

الإنسان روح لا جسّد

بَحْثٌ فِي الْعِلْمِ الرُّوحِيِّ الْحَدِيثِ



مقدم الطبع والنشر
دار الفكر والعقيدة



اهداءات ٢٠٠١

أ.د. محمد حبيب
جراح بالمستشفى الملكي المصري

صورة الغلاف

لوحة عنوانها « هذا هو الموت » من القرن
الثامن عشر من عمل الفنان الفرنسي و. بليك الرائي
W. Blake Le Visionnaire

طبعة نهضة مصر بالبحر

الإنسان رُوح لا جسد

بَحْثٌ فِي الْعِلْمِ الرُّوحِيِّ الْحَدِيثِ

تأليف

الدكتور رُؤف مجيد
أستاذ بكلية الحقوق
جامعة عين شمس

طبعة ثانية

مزيدة زيادات كبرى

تقديم رُوح أصبر الشعراء أحمد شوقي

المجلد الأول

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

القاهرة

١٩٦٦

مطبعة نوحه مصر بالجمهورية



أحمد شوقي

(١٨٧٠ - ١٩٣٢)

نحية

من روح أمير الشعراء للمؤلف

بربك كيف شيدت المنارا

وأزكيت الصباح^(١) فصار نارا؟

ركبت الصعب تقنعم^(٢) الضياء^(٣)

فبايعت^(٤) العلاء والافتدار^(٥)

وكرست الجهود بدوح علم

وعضّ النهج فاحتضن الفخارا

(١) الصباح : شمعة القنديل . (٢) تقنعم : ترى نفسك فيه بشدة وقوة .
(٣) كناية عن عالم الروح (٤) بايعه : عاهد . (٥) الافتدار : القوة .

ومن قيم المعارف بتّ تجنى
فَجَمَعْتَ اللَّالِيَّ وَالنُّضَارَا^(١)
تَخَيَّرْتَ النِّفَائِسَ بِالْتَّرَوَّى
وَالْعِرْفَانَ صَوَّرْتَ اَزْدَهَارَا
تَعَاتَّقَ كُلُّ مَخْطُوطٍ يَنَادِي
وَيَدْعُو الْخُلْدَ هَلُمَّا وَاخْتَبَارَا
عَشَقْتَ الْعِلْمَ . عِلِمُ الرُّوحِ حَتَّى
رَأَيْتَ النَّبْعَ قَدْ بَلَ الْاَوَارَا^(٢)
وَصَارَ الزَّادُ بِحُشَا تَجْتَلِيهِ
عَلَى الْاَيَّامِ لَيْلًا أَوْ نَهَارَا
وَعَوَّدْتَ الْمَيُولَ عَلَى مِرَانِ
بَأَن تُبْدِي عَلَى الْبَحْثِ اصْطَبَارَا
وَطَوَّعْتَ الزَّمَانَ وَكَمْ قَسَوْتَ
لِيَسْذِلَ فِي الْمُنَاصَرَةِ الْقُصَارَى^(٣)
وَلِلنَّفْسِ الْعَزِيزَةِ زِدْتَ حَزْمَا
يَصْرُخُ الْعِلْمُ أَجْمَادًا كِبَارَا

(١) النُّضَارُ : الذهب .

(٢) الْاَوَارُ : العنقش .

(٣) الْقُصَارَى : الجهد والغاية ، أى قسوت على نفسك لبيئته الزمان في مناصرتك غاية جهده .

كم استرخصت أغواماً تقضت
بالاستيعاب تُغتصرُ اعتصارا
وإذ ضجيت في هممٍ لعمري
لعلم الروح سجّلت انتصارا
ونصّغت الحقائق في يقين
يُنافسُ في نقاوتِهِ العذارى
ووثقت القرائن . إذ تجلّت
ظواهرها . لمن شادرا القرارا
وراعيت الأمانة في نصوص
أتتك العلم بحثاً واعتبارا
وأعلنت المراجع حيث فاضت
مراميها نقاشاً أو حوارا
ووفيت العهود لذي «حقوق»
من الرُؤاد من نثرُوا البذارا
فكنت بهم «رؤوفا» إذ تواسى
مواجههم وقد ذاقوا المارارا
فللعلم العريق منبأ وون
وكم ضربوا على الحُجج الحصارا

وبشوا الشوك في غنتِ عساه
يُضيرُ الباحثين . فما أضارا
وسار الركبُ مختالاً يُحاجي
بإيضاح العُجاب . وكيف صار !!
وبالموفور من غنى الثِّقاة
عَرَفْنَا الروحَ عَلِمًا . بل وقارا
وفي الآفاق أشرى في تليد
من التوكيد مأمونا جهارا
وبات الخلد للخلان سلوى
يناصرم ويُطهرم ثمارا
وَيَصْنُدُهُمْ مراسمَ ما تَأْتِي
بإعجازٍ يميناً أو يسارا
أخى . أطريك^(١) إِذَا طَرَيْتَ عَلَماً
جَآئِي الحقَ وَضَحًا وانتشارا
يحاديك الصمودُ بياسَ كَيْفٍ
تُصَدِّي للشكوكِ وَمَنْ أثارا

(١) أطرى فلانا : أحسن الثناء عليه .

وَمِنْ ثَمَّكَ مَنْ يَغَارُ عَلَى الْمُعَلَّى
حَرِيٌّ فِي الْحَيَاةِ بِأَنْ يُجَازَى
فَلَمَّا بِالْعِلْمِ وَالْحَقِّ اعْتِصَامًا
وَوَذْدَ شَكِّ الْمُنَاهِضِ^(١) لَنْ أَغَارَا
وَحَمَلْتُ بِالرَّوَائِعِ مَا نَهَلْتُ
مِنَ الْيَنْبُوعِ. وَاسْتَرْوَحَ^(٢) مَرَارَا
وَصَنَّفَ مِنْ مَأْثَرِكَ الْغَوَالِي
لَعَلَّ الرُّوحَ إِسْرَءُ فَالْركبُ سَارَا
يُنَاصِرُكَ الْخُلُودُ بِكُلِّ مَجْدٍ
وَبِالْعِرْفَانِ يَهْدِيكَ الْيَسَارَا^(٣)
أحمد شوقي

* * *

(راجع في الفصل الأخير من الباب الرابع عدداً وفيراً من أشعار روح شوقي)

(٢) استروح : وحده الراحة

(١) المناهض : المقاوم

(٣) اليسار : الفنى واليسر

إهداء

بدأ « خلود الروح » موضوعاً فلسفياً عند الأقدمين ، ثم تطور عند المحدثين - بتطور أسلوب المعرفة ذاته - إلى بحث علمي صرف ، وكان ذلك منذ نيف ومائة عام .

ومن المحقق أن الفلسفة والعلم معاً لم يدركا موضوعاً أخطر منه ، ولا أشد تعلقاً بحاضر الإنسان وبمستقبله ، وبعوامل سعادته وشقائه .

فالقارئ الذي يقرأ هذه الصفحات - بما تستحقه خطورة الموضوع من عناية - ثم يقول : بل أريد المزيد من الاطلاع فيه ، يخدم نفسه كما يخدم الحقيقة العلمية ، وهي ترفع أبداً قدر من يخدمها .

فإلى هذا القارئ العزيز - في أكثر من معنى - أهدي رسالة الروح هذه التي لم يدفعني إلى مشقة تحريرها سوى الإحساس بفداحة مسئوليتي قبله ، عليه يجد فيها قدراً من الاقتناع بدعوه إلى مزيد من الاطلاع في موضوعه الخاص .

ولست أشك في أنه كلما ازداد فيه اطلاعاً ازداد به اقتناعاً ، وتزود منه اطمئناناً إلى قدره ومصيره ، وعزاء عن آلام حاضره وماضيه وعن فراق أحبابه وذويه .

المؤلف

الإنسان رُوح لا جسد

بَحْثٌ فِي الْعِلْمِ الرُّوحِيِّ الْحَدِيثِ

مقدمة الطبعة الثانية

صدرت الطبعة الأولى من هذا المؤلف منذ حوالي عامين ، ورغم الاستقبال الطيب الذي قوبلت به في كل مكان ، والذي تشير إليه سرعة نفادها ، فقد رأيت أن أتأولها بمراجعة شاملة في ضوء عدد وفير من المراجع القيمة بشتى اللغات والتي حصلت عليها بمشقة بالغة بعد أن نقتبت عنها كثيراً في بلادنا وفي الخارج ، لاعتقادي أن الاطلاع عليها لازم للوصول بهذا المؤلف إلى المستوى الذي أريده له ، وكما يحقق غايته المرجوة في تعريف القارئ العزيز تعريفاً صحيحاً بأهم الجوانب العامة في علم الروح الحديث . وقد حرصت في هذه الطبعة الجديدة على أن أراعى عدة أمور وهي : —

أولاً : التوسع في بيان الأسماء والمراجع العلمية الموثوق في قيمتها وفي مكانة أصحابها ، وفي أصالة أساليبهم العلمية ، والتي تعالج الجوانب الفاصلة في مصير هذا العلم ، فهي بمثابة العمدة التي يقوم عليها في علوم الباراسيكولوجي والأتروبولوجي والفيزياء والرياضة والفلك وغيرها .

ثانياً : الاستزادة من البيانات والوقائع الهامة التي تكشف عنها بحوث عدد وفير من علماء الصف الأول في الجامعات المعروفة وخارجها . ومنها مثلاً بحوث جامعة ديوك بأمريكا في الإدراك عن غير طريق الحواس Extra Sensory Perception وتأثير العقل — أو إن شئت الروح — في المادة تأثيراً مباشراً Psycho-Kinesis .

وذلك بالإضافة إلى البيانات الوسطية — الفيزيائية والعقلية — التي أفسحت لها هي الأخرى مكاناً في الطبعة الحالية يتجاوز كثيراً مكانها في

الطبعة السابقة مؤيدة بعشرات من الصور وال لوحات الجديدة ، المأخوذة من المراجع العلمية المحايدة . فإن هذه البيانات وتلك تمثل مجتمعة الإطار الخارجى المحسوس لهذه المعرفة الجديدة والاسانيد العلمية الكفيلة بأن تعلمن : متشكك . وأن تقنع كل من يبحث عن الاقتناع الموضوعى المحايد من أرب سبله وأدعائها للوصول إليه .

وثالثاً : راعت التوسع فى الناحية الوصفية لعالم الروح لأنها تمثل ناحية شج هذا العلم فى تبيد الكثير من غموضها ، وإلقاء أضواء جديدة عليها ، وبهم كل قارىء ولا ريب الاستزادة من المعرفة فيها ، بعد إذ نجحت البحوث الدقيقة فى إثبات أن الموت بمعنى التلاشى خرافة كبرى وأنه ليس أكثر من مجرد تغير من حالة إلى حالة ، مماثل لبعض التغيرات التى تعرفها علوم الحياة ، بل حتى ظواهر المادة والطاقة فى الفيزياء الحديثة . وهو تغير حاسم فى مصير الإنسان لأن من شأنه أن ينقل النفس من مستوى منخفض إلى مستوى آخر مرتفع من مستويات الوجود غير المحدود خاضع لأسلوب آخر أرق من أساليب الحياة التى نعرفها وأرقى .

ربما : وقد حرصت أيضاً على أن أوفى الجوانب الفلسفية حقها من العناية على هدى ما خطته أفلام أبرز فلاسفة الروحية وعلمائها ، وما تنادى به الأرواح الراقية من تعاليم راقية لا اعتقادية أن هذه الجوانب الفلسفية تمثل أروع ما تكشف عنه من نتائج البحوث المضنية التى جرت فى نطاق هذه الروحية التجريبية .

وإذا كان من رأى شيشرون مشرع الرومان ومحاميهم العظيم أن الدفاع عن الفلسفة أجل خدمة يؤديها الإنسان لوطنه لأن الفلسفة تثقف العقل وتهذب النفس وتغرى بالتزام الفضيلة وتقى المرء شر الضلال . فإن هذا القول لا يصدق على أمر قدر صدقه على هذه الروحية العلمية بالذات .

فلسفة هذه الروحية التجريبية هى الجوهر الثمين التى تزين جيدها ، بل هى ضوء الفجر المنبثق منها والذى سيكون له أحسن الأثر — إن عاجلاً أو آجلاً — فى تغيير انجاء العقل البشرى إلى وجهة روحية جديدة تمثل

وحدها طريق النجاة من كثير مما تعانيه الإنسانية الآن من متاعب ، وما يكتنفها من أخطار التخبط في دياجير المادية والإلحاد ، أو التردى في هاوية الجمود الفكري والاستبداد .

ولعل هذا الاعتبار الأخير كان من أهم العوامل التي دفعتني إلى أن أتحمل راضياً مشقة مواصلة البحث في موضوع الروح رغم دقته المفرطة ، وعناء التوسع فيه رغم مشاغلي الكثيرة فإني مقتنع تماماً بصحة عدد من البحوث الجادة الآمنة فيه وما تكشفته عنه من حقائق هامة ، لعل أهونها شأناً يزدى بأخطار ما وصل إليه علم العلماء حتى الآن ، وكما اتضافر في تأكيد هذه الحقيقة الأولية التي عبر عنها الشاعر العربي ببساطة عند ما قال : « فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان » .

فلا غرابة إذا ما أخذت هذه المعرفة الحديثة تكتسح تدريجياً — ولكن في إصرار شديد — كل العقبات المصطنعة التي حاول البعض أن يضعها في طريقها عن اطلاع ناقص ، أو عن تسرع في الحكم على الأمور أو عن غير ذلك من عوامل الخطأ والعتار في الرأي . حتى لقد أصبحت المكابرة في حقائق الروحية الحديثة ليست أكثر من حماس للجهل ومن دعوة مرفوضة من أساسها للانطواء وللتخاف طالمارفضنا أمثالها من قبل أياً كان مصدر الدعوة وحجة الداعي .

وهذه المعرفة ستنبأ مكانها اللائق بها في بلادنا أسرع بكثير مما قد يتصور هذا البعض من المعترضين بغير ما بحث ولا تجريب . ويدفعني إلى الاعتقاد بذلك ما نلمسه من نهضة بلاد العروبة العزيزة في كل مكان ، بعد إذ نفضت نهائياً غبار الجمود كيما تلحق بركب التقدم العلمى الحديث إلى المدى الذى تجاوز ما كان يتوقعه أشد الناس تفاؤلاً منذ سنين قلائل . كما يدفعني إليه إيماني الراسخ بروحانية الشرق الأصيلة . . . هذا الشرق الذى كان مشرق الإيمان بالخلود ومهبط الرسالات الروحية العظمى التي أضاءت مشعل العرفان للإنسان منذ أقدم الأزمان .

وبالنظر إلى الزيادات الضخمة في جميع أبواب هذه الطبعة الثانية

وفصولها ومباحثها أراني مضطراً إلى أن أوزع موضوعاتها على جزئين بعد جزء واحد في الطبعة السابقة ، وبحيث يغلب على موضوعات الجزء الأول الطابع التاريخي والتجريبي ، ويغلب على موضوعات الجزء الثاني الطابع النظري والفلسفي بغير إمكان الفصل التام بين الطابعين ، لأن البحث الحديث في الروح هو في واقع الأمر مزيج من علم وتجريب ونظر وفلسفة في وقت واحد وفي بوتقة واحدة .

ولا يسعني إلا أن أسجل هنا عجزى عن تصوير شعور الشكر والعرفان لروح أمير الشعراء أحمد شوقي الذي تفضل فبعث من سماء خلده بتحية شعربة لعملى المتواضع تحسب من غرره بل من آياته التي تفيض رقة وعذوبة وتفيض بالحياة وبالجمال . ألا حياك الله يا شوقي فقد رفعت رأس الشعر العربي عالياً وكانت قصائدك العصماء درراً مشرقة في جبينه ومفخرة له على مدى الأجيال . وما هي تصيح الآن خير نداء يوجهه عالم البقاء إلى عالم الفناء حاملاً إلى الورى بشرى الخلود وفرحة الانتصار المحتوم على فناء الأعضاء في إعجاز من القريض هيات أن تدانيه بلاغة البلغاء .

وأقدم بالشكر الجزيل أيضاً إلى الصديق العزيز النطاسى البارع الدكتور سلامة سعد وإلى السيدة الفاضلة قرينته وسيطة هذا الإلهام الرائع من روح أمير الشعر والشعراء .

وكذلك أقدم بشكرى العميق إلى جميع سادة الفكر والقلم الذين غمروني بمناسبة ظهور الطبعة الأولى بثناء جم لا أستحق منه شيئاً ، مؤكداً لهم أنني سأحاول أن أكون عند حسن ظنهم بي . فإذا لم يعوزنى التوفيق لحسبي جزاء رضا القارىء عما يقرأ ، وإلا فخسبي ما بذلت من جهد في خدمته ، وما ترسمت من غاية في خدمة أخطر حقيقة وصلت إليها جهود العلماء ، وأكثرها ارتباطاً بالإنسان في حاضره وفي مستقبله على السواء .
والله ولى التوفيق ؟

مؤلفه عبید

باب تمهيدى فى علم الروح بين أنصاره ومناوئيه

الناس أعداء ما جهلوا . عصر البحث العلمى للروح . عقبات
فى الطريق . كانت متوقعة . ظهور الروح يصبح حقيقة علمية . لعلم
الروح رسالة جليلة من ناحية المعرفة والعزاء . ومن ناحية الإبرامه
بالله وبناموس الخلق . ومن ناحية الإطمار على الحركة الفكرية
والعلمية . ومن ناحية تقدير قيمة الامم . لم آتدرد إزده ١٩٠٠ .

موضوع المؤلف الخالى . نبيرب

* * *

الناس أعداء ما جهلوا

لو أن أى إنسان قال أمامى قبل سنة ١٩٤٧ إن الحياة بعد الموت حقيقة
مقررة ، وأن الصلة بين عالمى الروح والمادة قد ثبتت علمياً لرميته فوراً بالتعلق
بالخرافات الساذجة التى لا يصح قبولها فى القرن العشرين ، عصر العلم والعرفان ،
ولرميته بالتالى بكل ما يمكن أن يرمى به الآن - سرأ وجهرأ - أعداء
هذا النوع من المعرفة ... فما الذى جرى كىأ أمسك بالقلم للكتابة فى نفس
هذا الموضوع مقدراً خطورته ، شاعراً أن الكتابة فيه رغم مشقتها البالغة
أمانة فى عنقى على أن أؤديها الآن للقارىء ومسئولية كبرى ؟ ...

إن الذى جرى هو أنى بحثته - بحثاً كافياً فيما أعتقد - طيلة هذه
السنين الطويلة على اعتبار أنه مجرد دعوى مطروحة على محكمة العلم ، والبيئة
على من ادعى . لحصلت فيه على قدر من المعرفة أقنعنى أن من واجبى أن
أكتب فيه لأنه جدير بعناء هذه الكتابة ، بعد إذ تبينت أن العداوة لآى

أمر كثيراً ما يكون سببها الوحيد الجمل به ، فالناس دواماً أعداء ما جملوا ، اعتداداً بما يعرفون من أمور ، وما أضال ما يعرفون .

وعداوة أى أمر جديد - كبيراً كان أم صغيراً - قابلها الرواد الأوائل للكشوف العلمية وقاسوا منها الأمرين ، ومنهم من دفع حياته ثمناً لها . فعندما أخذ سقراط يدعو مواطنيه إلى نبذ بعض آرائهم القديمة وإلى معرفة نفوسهم جوزى بكأس السم . وعندما اكتشف جاليليو حركة الأرض حول نفسها وحول الشمس لاقى أهوالاً مريرة من عناد معاصريه ، انتهت - فيما يقال - بإعدامه . وعندما اكتشف باستير دنيا الميكروبات - وهو أعظم كشف في تاريخ الطب - كان عليه أن يخوض حرب حياة أو موت مع معاصريه من كبار الأطباء حتى دعاه أحدهم إلى المبارزة . وعندما تحدث داروين عن ناموس التطور لقي من صنوف التهمك والنقد المرير الشيء الكثير وهكذا كانت الحال دائماً على مر السنين والقرون بفعل الغيرة والعناد والأحقاد . . .

وحتى بالنسبة للكشوف الصغرى التى تقل شأنًا عما تقدم كانت دائماً تقابل بمعارضة شديدة عند أهل العلم أنفسهم ، فالمحافظة على القديم طبيعة عندهم مأثورة . فثلاً أنكر التخدير عند بدء ظهوره الفسيولوجى الفرنسى ماجندى Magendi رغم أنه كان عضواً فى أكبر معهد علمى فرنسى وهو د السكوليج دى فرانس ، وله عدة مؤلفات فى الجهاز العصبى . كما أنكر التليفون بوبو Bouillaud الذى كان عضواً بأكاديمية الطب والعلوم . وأنكر خصوم جالفانى Galvani اكتشافه الكهرباء ، وأنكرت الهيئات الطبية اكتشاف ادوارد جنى Jenner المصل الواقى من الجدري ، ثم تقبله العالم أجمع ...

وذلك إلى الحد الذى دفع مكتشفاً عظيماً مثل إديسون Edison إلى أن

يصرح « بأن الناس يكرهون كل ما هو جديد .. بل كل ما قد يدعوهم إلى التفكير » ... وهذه الآن حقيقة اجتماعية مسلم بها، فقد تبين أن كراهية كل أمر جديد Le misonéisme من نوااميس السلوك الإنساني في كافة ميادين الحياة ، لما يسيبه الأمر الجديد من ضرورة تحمل ألم الاستعاضة عن الإحساس القديم بإحساس آخر جديد ، أو بفهم آخر لهذا الأمر المستقر من أمور الحياة . كما تبين أن الإنسان محمول بدافع من كبريائه إلى أن ينكر صحة كل أمر يسمو على إدراكه ، ولكن هل إنكار الأمر الصحيح ينفي صحته ؟ وأى أمر عميق من أمور الحياة أمكن لعقل الإنسان الواهن أن يدركه إدراكاً صحيحاً حتى الآن ؟

عصر البحث العلمي للروح

وفي سنة ١٨٤٨ حدثت ظواهر معينة في قرية هيدسفيل Hydsville قرب مدينة روشستر Rochester بولاية نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية ، مثلها حدث ويحدث أحياناً نادرة في أماكن مختلفة دون أن يعنى أى إنسان ببحثه بطريقة علمية منظمة ، لكن إزاء الحيرة التامة في تعليل هذه الظواهر هناك تدخلت الجهات المسئولة في بحثها فشككت لها ثلاث لجان رسمية متوالية ، كما ساهم فيها عدد من العلماء الباحثين المجرىين الذين انتهوا متفرقين ومجتمعين إلى نسبة هذه الظواهر إلى كائنات غير منظورة هي أرواح الموتى ممن انتقلوا إلى العالم الآخر .

ومن أشهر من بحثوا هذه الظواهر غير المؤلف - في مبدئها - وانتهوا إلى نسبتها إلى الأرواح القاضى جون وورث إدموندز John Worth Edmonds (١٨١٦ - ١٨٧٤) الذى كان في وقت ما رئيساً للبحكمة العليا بنيويورك ، رئيساً لمجلس الشيوخ الأمريكى والذى كتب فيها « بياناً إلى الجمهور ، في جريدة نيويورك كورير New York Courier في أول أغسطس سنة ١٨٥٣ ذكر فيه أنه بحث الطرقات التى كانت تحدث في قرية هيدسفيل لمدة أربعة شهور مخصصاً لها جلستين أسبوعياً مستعيناً بحوالى عشرة من العلماء

وجبير في الكمبرياء ومبيناً فيه خطورة هذا الكشف الروحي من ناحية أنه يظهر للإنسان واجبه ومآله ولا يتركه بعد الآن غامضاً مشكوكاً فيه،^(١). ثم وضع فيه مؤلفاً ضخماً في جزئين عنوانه «الروحانية»،^(٢).

ثم تلاه جيمس مابس Mapes عالم الكيمياء والعضو بالجمعية العلمية الأمريكية. وبعد أن بحثها نشر نتيجة بحثه بالتفصيل. ثم تلاه روبرت هير (Robert Hare) (١٨٥٨ - ١٧٨٠) أستاذ الكيمياء بجامعة بنسلفانيا، وبعد طول معارضة لها تحقق منها بنفسه ونشر فيها مؤلفاً عنوانه «تحقيق تجريبي لظواهر الروح»،^(٣)، كما حاضر فيها في المؤتمر الروحي الذي عقد بنيويورك في سنة ١٨٥٤.

وقد ازداد اقتناع ثلاثتهم — إدموندز وماربس وهير — بعد تجارب أخرى كافية مع الوسيط دانييل دنجلاس هوم Daniel Dunglas Home وهو الذي خضع أيضاً لتجارب عالم الكيمياء سسير وليام كروكس William Crookes (١٨٣٢ - ١٩١٩). هذه التجارب التي ساهمت في بناء اقتناعه الكامل الذي حفزه إلى أن يقدم إلى الجمعية العلمية البريطانية في سنة ١٨٧٤ تقريره التاريخي — الذي يعبر عن نبل مقدمه وشجاعته — وعنوانه «بحوث في ظواهر الروحانية»،^(٤).

وبعد هؤلاء أقبل نفر من أبرز علماء الفيزياء والسيكولوجيا والبيولوجيا والفلك والرياضة على البحوث الروحانية، وأخذ الاهتمام بها يتزايد شيئاً فشيئاً في بلاد العالم المختلفة، حتى نشأت حركة واسعة النطاق للبحث في الروح، سرعان ما كان لها صداها في أغلب بلاد العالم، بما في ذلك بلادنا المصرية، فشملت بلاد الحضارة المعروفة، وفي نفس البيئات العلمية التي قادت

(١) راجع نص هذا البيان في مؤلف سير آرثر ككونان دويل عن تاريخ الروحانية ج ١. ص ١٢٥ - ١٣٢.

Spiritualism. (٢)

Experimental Investigation Of The Spirit Manifestations. (٣)

Researches In The Phenomena Of Spiritualism, (٤)

خطى هذه الحضارة وحملت مشاعلها منذ منتصف القرن الماضي حتى الآن .
والأسماء في هذه الحركة كثيرة ، وما يسترعى الانتباه فيها أن أفضل
روادها هم بأنفسهم أفضل رواد العلوم المادية الذين أثبتوا أصالة في منطقهم
وعمقاً في نظرهم للأمور ، كما أثبتوا أنهم في مجال التجريب والملاحظة يمثلون
مستوى خاصاً من القدرة عليهما ، مما يبعث على الثقة الكافية في قيمة بحوثهم
وفيما انتهوا إليه من نتائج إيجابية . فمنهم مثلاً :

— السيكولوجي الشهير فردريك و. ه. مايرز Frederic W. H. Meyers
(١٨٤٣ - ١٩٠١) الذي يعد من علماء النفس المعدودين بسبب بحوثه العميقة
في العقل الباطن .

— وسير ألفرد رسل والاس Alfred Russell Wallace (١٨٢٣ -
١٩١٣) وهو يعد في البيولوجيا نداءً لداروين ، وشاركاً له في نظرية التطور
عن طريق الانتخاب الطبيعي .

— وسير وليام باريت William Barrett (١٨٤٥ - ١٩٢٦) وهو
من علماء الطبيعة البارزين في تاريخها .

— ولورد رايلي Rayleigh (١٨٤٢ - ١٩١٩) ولا يقل شأناً عن
سابقه ، وقد نجح في عزل غاز الأرجون لأول مرة .

— وسير أوليفر لودج Oliver Lodge (١٨٥٢ - ١٩٤٠) وكان
يعد من أشهر علماء اللاسلكي في العالم ، وظل يواصل بحوثه في
موضوع الأرواح لمدة جاوزت نصف قرن ، حتى بنى اقتناعاً متكاملًا في
هذا الشأن .

— ومنهم الفيلسوف وعالم السيكولوجيا وليام جيمس William
James (١٨٤٢ - ١٩١٠) وقد سلم في مؤلفاته بصحة تجارب الجمعية
البريطانية للبحث الروحي S. P. R. ^(١) ، التي كان عضواً فيها ورئيساً
لها وشيد عليها دعائم فلسفة روحية خلدت اسمه .

(١) Society For Psychical Research

(م ٢ - الانسان روح)

— ومنهم الفيلسوف هنرى برجسون Henry Bergson — أبرز فلاسفة هذا القرن بغير منازع — (١٨٥٩ — ١٩٤١) وقد كان رئيساً للجمعية الآتفة الذكر فى سنة ١٩١٣ وسلم بصحة تجاربها وأسس عليها فلسفة روحية من الطراز الأول .

— ومنهم فلكى وفيلسوف بارز وهو كامى فلاماريون Camille Flammarion (١٨٤٢ — ١٩٢٥) .

— ومنهم عالم الفسيولوجيا الشهير شارل ريشيه Charles Richet (١٨٥٠ — ١٩٣٥) الحائز على جائزة نوبل فى الفسيولوجيا .

— ومنهم العلامة سيزار لومبروزو Cesar Lombroso (١٨٣٥ — ١٩٠٩) ، وهو من أشهر علماء علم الإجرام ومؤسس مدرسة فيه لعبت دوراً قوياً فى تطوير القانون الجنائى ودفعه إلى الأمام .

وغيرهم كثير من أصحاب الأسماء البارزة ممن واصلوا بحوثهم فى هذا الشأن لعشرات من السنين التى بلغت الثلاثين عاماً عند كروكس وريشيه وجاوزت الخمسين عند لودج ، وانتهوا فيها إلى نتائج حاسمة ونهائية بشأن إمكان الاتصال بأرواح من نسيمهم موتى وبالتالى الإيمان بخلود الإنسان . — وبعد هؤلاء اتسعت حركة البحث العلمى فى الروح حتى شملت العشرات ثم المئات من أفضل علماء القرنين الماضى والحاضر فى شتى البلاد ممن سنشير إلى عدد منهم خلال صفحات هذا المؤلف — بجزئيه — بعد إذ أصبحوا من دعائم هذا العلم ودعائه .

— ومنهم عدد من ذوى الأسماء اللامعة فى الأدب وفى الصحافة مثل سيروليام ت. ستيد William T. Stead (١٨٤٩ — ١٩١٢) الذى كان نقيباً للصحفيين فى بلاده . ومثل الروائى الشهير سير آرثر كونان دويل Arthur Conan Doyle (١٨٥٩ — ١٩٣٠) الذى أمضى حياته باحثاً وكاتباً وخطيباً فى موضوع الأرواح . ومثل الصحافى هانن سوافر

Hannen Swaffer الذى كان كسلفه ستيد نقياً للصحفيين وكان مثل دويل باحثاً فى هذا الموضوع وكاتباً وخطيباً حتى انتقله إلى عالم الروح منذ سنين قلائل .

وقد ساعد على انتشار الاقتناع بعالم الروح - بالإضافة إلى انتشار المواهب الوسايطية ونموها بالمران مع الاهتمام المتزايد بفحصها - أن تكشف العلم المادى المعاصر عن حقائق كثيرة جاءت مؤيدة فى مجموعها لصحة وجود عالم للروح متداخل مع عالم المادة ، ولصحة ما كانت تقول به أرواح كثيرة منذ منتصف القرن الماضى من أوصاف شتى لعالم الروح هذا :

- فمثلاً قبل أن تظهر نظرية أينشتين فى النسبية فى مطلع القرن الحالى كانت الأرواح منذ أواخر القرن الماضى - ومن بعدها المشتغلون بالعلم الروحى الحديث - تتحدث عن عالم رباعى الأبعاد وبالتالى تختلف فيه فكرة الزمان والمكان عن عالمنا ، وعن معلومات شتى عنه أصبحت عن طريق معادلات أينشتين حقائق رياضية .

- وقبل أن تظهر بحوث سير أوليفر لودج وكومبتون وبمجموعة ضخمة من علماء الفيزياء عن الأثير كانت الكتب الروحية تتحدث عن هذا الأثير بوصفه حقيقة مقررة . وعن طبيعة المادة الصلبة التى نلصقها بوصفها لا تعدو أن تكون أثيراً فى رتبة اهتزاز معينة خاضعاً لتأثير العقل المباشر فيه بحيث يبدو لهم كما لو كان وهماً من صنع العقل يغبو مع الموت ، كيما تظهر لهم مادة صلبة جديدة واقعة تحت تأثير العقل فى مستواه الجديد . . .

- وقبل أن تنبئ بحوث إدنجتون ولودج وغيرهما من علماء الطبيعة عن وجود جسدين لكل جسم صلب أحدهما مادى والآخر أثيرى ، كانت المراجع الروحية بجمعة على وجود جسدين لكل كائن أحدهما مادى والآخر أثيرى .

- وقبل أن نتحدث بحوث مير جيمس جينز وراسل عن هذا العالم المادى الذى نعيش فيه بوصفه عالماً بالفكر المطلق متوقفاً أولاً على إحساسنا به كانت البحوث الروحية تتضمن هذا المعنى بصور شتى .

- كما كان اكتشاف الاتصال اللاسلكى وتقدمه عاملاً هاماً فى تذييل كثير من الاعتراضات النظرية التى كانت تثار فى الماضى حول وجود عالم الروح هذا . إذ عن طريق هذا الكشف الجديد أصبح من المفهوم التحدث عن أطوال الموجات ، وكيف أن لكل شئ رتبة تردد أو اهتزاز وبالتالى طول موجة ، كما أصبح من المفهوم التحدث عن العقل الكونى العام بوصفه جهازاً للإرسال ، وعن عقل الإنسان بوصفه جهازاً صغيراً للاستقبال محدود القدرة بمستوى صاحبه .

- كما أصبح واضحاً أن المادة الصلبة فى حقيقتها عبارة عن فراغ اهتزازى ، ولذا تخرقها موجات اللاسلكى دون عناء . . . كما أصبح من المفهوم لهذا السبب التحدث عن تأثير مباشر للعقل فى المادة ، بل التحدث عن العقل الذى هو وراء كل مادة والذى يتفاعل دوماً مع الكتروناتها وبروتوناتها ، أى مع كهاربها السالبة والموجبة فيؤثر فيها ويتأثر بها ، حتى أصبح تلازمهما أمراً مسلماً به فى الفيزياء الحديثة .

- كما كان اكتشاف التويم المغناطيسى ، وما أسفرت عنه بحوثه من إمكان استقلال الوعى عن الجسد فى الزمان والمكان ، ومن إمكان استقلال الإحساس عن أدوات الإحساس المادية من أقوى المقدمات التى مهدت للوصول إلى احتمال ، دوام الحياة بعد موت الجسد المادى كحقيقة علمية مرتبطة بباقي الحقائق التى وصل إليها علم الإنسان (الانثروپولوجى) .

- كما جرت فى نطاق علم النفس بحوث أخرى متصلة وثيقة صلة ببحوث علم الروح - أرمى جزء لا يتجزء منها - مثل بحوث الإدراك عن غير

طريق الحواس Extra Sensory Perception وتأثير العقل المباشر في المادة سواء أتم أيهما في غيبوبة الوسيط أم في غير غيبوبته . وهي بحوث تجرى في نطاق العلم الروحي كما تجرى على نفس الصورة في نطاق الباراسيكولوجي ، في البلاد الانجلوسكسونية وفي نطاق علم ما وراء الروح La Métapsychique في البلاد اللاتينية .

- وهذه البحوث وتلك تجرى منذ عشرات من السنين على أقوى صورة في جميع بلاد الحضارة . وقد احتضنتها عدة جامعات عريقة ومعاهد عليا ووصلت - كلها - إلى نتيجة واحدة إيجابية حاسمة : وهي أن في الإنسان عنصراً روحياً متميزاً بغير ما ريب عن عنصره المادى . ومنها ما وصل صراحة وبشكل حاسم إلى الاعتراف بوجود صلات متعددة الجوانب بين عالمين : أحدهما مادى منظور والآخر غير مادى ولا منظور ...

أساطير الانكسار

هكذا وصلت كشوف المادة والنفس وما وراء النفس والروح مجتمعة إلى أن تجعل من الكشوف الوساطية الحديثة حقائق علمية تقبلتها في النهاية أفهام الفلاسفة والعلماء بعد إذ قاومتها كثيراً ، كما تقبلت من قبل بمشقة بالغة حقائق أخرى كثيرة أقل منها شأناً بكثير ، وذلك لمجرد خروج هذه الحقائق عن مجال الإحساس أو التصور الإنسانى .

وأصبح شأن الحقائق الروحية من هذه الناحية شأن حركات النجوم والكواكب طبقاً لنظام رياضى محكم يعجز العقل عن مجرد تصويره . مثلها حركات الكترونات الذرة وپروتوناتها ونيوتروناتها . . وكلها تدور في أفلاك لها مرسومة طبقاً لنفس النظام الرياضى العجيب . بل أصبح شأنها شأن تحول البذرة إلى زهرة والزهرة إلى ثمرة ، والشرقة إلى فراشة . . . فكل ذلك - لو تأملناه جيداً - لو جدناه يتعالى بغير ما ريب عن مستوى

أفهامنا وإن لم يتعال ، عن مستوى إحساسنا . لكن تعالى أية ظاهرة عن مستوى إحساسنا أو أفهامنا لا ينال مع ذلك من صحتها ، سواء اعترفنا بها أم أنكرناها ، وعرفناها أم جهلناها ، وعللناها أم عجزت عقولنا الواهنة عن الوصول إلى التعليل الذي يروى القليل .

فالمشكلة لم تعد الآن في إقناع الخاصة من الفلاسفة ، بل هي في إقناع الإنسان المثقف العادي بموضوع يتعالى بغير ما ريب على الإحساس بل على قدرة التصور الإنساني . كما تتعالى كل حقائق الكون الخطيرة على هذا وعلى ذلك ، حتى وإن بدا الإنسان مدفوعاً بفطرته إلى الاعتقاد بالروح والتعلق بالحديث فيها عن فهم أو عن غير فهم . . .

أما عن موقف الفلاسفة والعلماء الكبار من موضوع الأرواح ، فهؤلاء قد اقتنعوا الآن وانتهى الأمر ، وخفتت نهائياً أصوات المكابرين أو كادت ، وبدأت علوم الحياة وخصوصاً علماً النفس والبيولوجيا - بل وعلوم المادة غير الحية أيضاً ، تتخذ لها في بطن - ولكن في ثبات - محاور روحية صريحة على ما سنوضحه في بعض أبواب هذا المؤلف ، ولم يصمد على المكابرة إلا حفنة من المكابرين وصفهم برجسون الفيلسوف بأنهم من « أشباه العلماء » .

وذلك يبشر بغروب عصر غبي كئيب هو عصر التعبد لصنم جديد قديم اسمه « المادة الصلبة » والإيمان بقدرتها الخالقة المزعومة للحياة ، كما يشرق عصر الاعتراف بالروح وبقدرتها الخالقة الحقيقية بوصفها أصلاً للحياة مع الاعتراف بالله مصدر كل قدرة . . . أليس الله تعالى روح العالم وباعث كل حياة فيه . . . ؟ . . .

وهكذا صدق على كشوف الروحية الحديثة ما لاحظته سير الفرد راسل والاس عالم البيولوجيا في شأنها من أنه في كل مرة وُصفَ أى كشف جديد بأنه غير معقول ثبتت فيما بعد صحته ، فأصبح غير المعقول مع الوقت معقولاً ومقبولاً . . .

أما أساطين الإنكار حتى الآن فليسوا أكثر من أبناء مدرسة متداعية، هي مدرسة تعليل الحياة بالمادة ، وهي في نفس الوقت مدرسة الحكم على الأمور بحواس الإنسان الواهية ، وهم في ولائهم لهذه المدرسة يكابرون في الحقائق الدامغة ، ويناقضون - على غير وعى منهم - حتى حقائق المادة كما ثبتت في ضوء أحدث كشوف الفيزياء والرياضة معاً ، لأنها تتطلب منهم عناء جديداً وفهماً متطوراً لا يقدرّون على تحمل تبعاته الجسام ، كما يرفضون أن يتصوروا أن ثمت ذكاء أعلى من ذكاء الانسان وقدرات تتجاوز قدراته بكثير .

فهم في النهاية أسرى لحكم الحواس أو التصور المحدود الأفق لا الحكم المنطق ، ولا لحقائق الحياة سلموا بذلك أم رفضوا التسليم ، ومهما اندفعوا في إنكارهم محاولين تعزيزه بنظريات مادية ملتوية غامضة مفرطة في التوائها وغموضها ، على حسابان أنها قد تسعفهم في رفض مواجهة البينة الواضحة البسيطة على دوام الحياة بعد الموت ، هذه الحقيقة التي لم تصمد أية حقيقة أخرى لعشر معشار ما صمدت له هذه الأخيرة ، وما خضعت له من تحقيق جاد ومن اختبار لم ينقطع طيلة قرن ونصف من الزمان بمعرفة علماء يعتبرون في ذروة المقدرة على التحقيق والاختبار وانتموا جميعهم إلى الاقتناع التام بها .

وهؤلاء الهاربون من الاقتناع هم في نفس الوقت أسرى لعقيدة أخرى خاطئة ، وهي أن بحوث علم الروح ينبغي أن تجرى على نفس نمط بحوث المادة غير الحية وبنفس طريقتها ومنطقها وتخضع لنفس قوانينها ، وإلا فهي محض وهم وخداع . إذ فانهم أن دراسة الروح هي دراسة لقوانين الطبيعة في جانب هام منها ، فمن يريد أن يصل إلى أية معرفة عن هذه القوانين ينبغي أن يخضع لها أولاً ، وأن يقف منها لحسب موقف المراقب المستنتج لا موقف الأمر الناهي كما يريدون أن يفعلوا بمنطقهم هذا الذي لا منطق فيه . . .

ولاظهار ذلك يكفي أن يقارن القارئ بين الحجج الإيجابية التي لا يحيط بها حصر الآن ، والتي تضمنتها بحوث مئات من أفضل علماء القرنين الماضي

والخاص ، والتي لا يحوى منها هذا المؤلف بجزئية إلا نتفاً قليلة منها كأنها
فصراً من ماء مأخوذة من بحر عرم... من جانب وبين معارضتهم المرحلة التي
لا يميزها سوى قدرة - قد يحدون عليها أحياناً - على ارتجال القول
المرسى ، كما يدرك تماماً أن عصر الصراع بين الإثبات والنفي قد انتهى أمره
منذ زمن بعيد لصالح الإثبات ، بحيث أصبح الإنكار انحيازاً إلى دعوى خاسرة
فصلت فيها نهائياً بحكمة العلم ، فلم يعد الدفاع عنها إلا أثر فارغة وجهداً مضيعاً .
ولا يقر عن ذلك في الفراغ والضياح جسد الوقوف في تحفظ في غير
ما إثبات ولا إنكار .

فكما انتهى أمر مرحلة الإنكار فقد انتهى أيضاً أمر مرحلة مثل هذا التحفظ
المحايد ، الذي كان يعد في وقت ما موقفاً علمياً محموداً . ولكنه أصبح الآن
موقفاً بالياً من التفتت لا يمت بصلة ما إلى علم صحيح ولا إلى حياد
محمود . بعد إذ انتقلت بالفعل علوم الحياة إلى مرحلتها الجديدة في البحث في
قوانين الروح ، التي أصبحت تصاغ على أساس من التسليم بها قوانين النفس
والبيولوجيا والفيزياء والانتروبولوجيا ، على أوسع نطاق وعلى أقوى صورة .
فبدت أثبت جانباً وأصلب عوداً مما كانت عند ما كان « العلم الرسمي » يحمل
أو يتجاهل قيمة هذه الكشوف الواسطة الخطيرة التي غيرت وجه التاريخ
الإنساني في تقدم العلم والعرفان .

فالحياة الآن عند المطلع اطلاعاً كافياً مكابرة لا تقل في خطئها -
وفي ضررها - عن خطأ المنكرين من غير المطلع ، في أن كليهما
يقف موقفاً عدائياً غير علمي ولا مشروع ، فهو موقف عدو لا يرحم ولا
يريد لرحمة الله أن تنزل على قلوب الناس بشيء من سكينته ولا
من عزاء

لذلك كله نجد أن أفضل علماء المادة في عصرنا الحالي هم بأنفسهم
أفضل المقتنعين بعالم الروح ، وأقواهم حديثاً عنه . وقد وصل إليه أغلبهم عن

طريق دراستهم للأثير والحقيقة المادة الصلبة . إذ حطموا عالم المادة الصلبة
بنظرياتهم وبمعادلاتهم الرياضية كما يقيموا بطريقة علمية صرفة أساساً رياضية
لعالم الروح هذا على ما سنبينه في عدة مناسبات لاحقة .

عقبات في الطريق كانت متوقعة

ولم يقبل العلماء الماديون وكبار الفلاسفة والمفكرين على بحوثهم في
موضوع هذه الكشوف الوساطية الخطيرة بدافع من حماس لعقيدة عرفتهم
من قبل ، ولا دفاعاً عن نظرية متفقة مع آرائهم السابقة . بل كانوا على العكس
من ذلك يمثلون ذروة منطق عصرهم المادى في أكثر أيامه ازدهاراً
بالكشوف المادية وزهواً بها . وكان قد انتهى الرأى فيه إلى أن المادة
الصلبة هى كل شىء ، وأنها تكفى وحدها لتعليل الحياة ، لأن المادة الخاملة
غير الواعية قادرة بخواصها الذاتية على أن تخلق الحياة والوعى ! ...

فكان كل من يجرؤ على الخروج على هذه « البديهية العلمية » ينهم وقتها
بأنه كافر بحقائق العلم الصحيح ، مدافع عن أمر غير معقول ولا مقبول .
وكانت دعوى الحياة بعد الموت حينذاك ظاهرة البطلان في العلم المادى
لا تستحق عناء البحث فيها .

فلما ظهرت نتائج البحوث الروحية لم تجد ترحيباً عند جل علماء المادة
ولا عند علماء النفس ولا عند جل المفكرين باسم العقيدة . فأما علماء المادة
فقد قاوموا أغلبهم لأنها كانت بمثابة دعوة صريحة لتحطيم كل البنيان المادى
الذى شادوه بأنفسهم من قبل ، ولإقامة بنيان آخر جديد لفهم حقيقة المادة
الصلبة والطاقة لم يكرنوا قد استعدوا بعد لقبوله من الناحية النظرية .

وأما علماء النفس فقد قاوموا عدد كبير منهم لأنها كانت دعوة موجهة
إليهم للتخلي عن نظرياتهم القديمة التى شيدت فى جوهرها على أسس آلية
أو مادية لا محل فيها لإيمان بحياة تلى الموت ولا لإله مزعوم ، ولا تعرف
قوة أخرى خارج قوة المخ والحواس الميزيقية للإنسان .

وأما المفكرون تحت لواء العقيدة فقد قاوموها — بوجه عام — لأنها كانت دعوة موجهة إليهم هم أيضاً كيما يتخلوا عن بعض نظريات الماضي — وما أعظم سلطانها على النفوس — ويعيدوا صياغتها على أساس علمي بعيد عن غرور التعصب ، وقد كان الغرور منذ القدم قتالا للمعرفة وعدواً لكل تقدم وإنسانية فضيلة حقيقية ...

وبعبارة أخرى كانت الدعوة إليهم صريحة كيما يقيموا فقهاً مترابطاً متساعجاً موضوعياً جديداً إلى المدى الذي ينبغى أن تحتلط فيه حكمة الحكماء بعلم العلماء . فلا يعتبران بعد باينين للمعرفة منفصلين بل باباً واحداً ، ما دام العلم والحكمة معاً هما عبارة عن البحث في قوانين الله تعالى . باباً يصمد لنفس وسائل التجهيز والبحث المنحدر التي تصمد لها أية معرفة مسخرة لخدمة الإنسان ورفعة شأنه .

خلاود الروح يصبح مفقودة عميقة

فإذا كان قد أقبل — في النهاية — مئات من أفضل العلماء ومن أفضل المفكرين تحت لواء العقيدة في أنحاء مختلفة من العالم على هذا النوع من البحث التجريبي في الروح فإنما قد أقبلوا بدافع من رغبة في الوصول إلى الحقيقة العلمية في هذا الموضوع الخطير من أقرب أبوابها ، وهي في نظرهم أثنى من كل حقيقة أخرى تستحق عناء البحث فيها .

وانبمروا في ذلك كل الأساليب العلمية التي ألفوها من دقة في الملاحظة والفحص والنقد ، ومن استعانة بكل أساليب التحليل المنطقي والاستقراء والاستنتاج ، ومن تقليب للأمور على كافة وجوها ، ومن تأني تام في دراستها وفي استخلاص نتائجها ، ومن تحفظ شديد في قبولها وإعلانها . وهذه هي نفس الأساليب التحليلية الناقدة التي نادى بها ديكارت وغيره من الفلاسفة والتي أوصلت العلوم المادية إلى ما وصلت إليه من كشوف رائعة كانت تعد إلى عهد قريب ضرباً من الإفراط في الوهم وفي الخيال .

وانتهى هؤلاء العلماء بعد سنين طويلة من بحث شاق متواصل إلى أن الأمر فيه من الجدل أكثر مما فيه من الخرافة ، ومن الصواب أكثر مما فيه من الخطأ ، فصدق عليهم قول القائل « إن النفوس الضعيفة تؤمن بالمجهول إيماناً أعمى ، والنفوس القوية تنكر وجوده ، أما النفوس العظيمة فهي التي تقف من المجهول موقفاً جدياً » .

وتبين بعد هذا الموقف الجدى للعلماء أن الأمر على أية حال جد خطير ، وأنه أجل شأناً من أن يترك لأى كاتب يخوض فيه إثباتاً أو نفيّاً . أو أن يصبح نبأ لآى أديب أو متأدب يتصور أن السجال فيه محض مباراة كلامية يفوز فيها أقدرهم على فنون الكلام المرسل وعلى أساليب الهجوم فيه والدفاع .

ولم تكن هذه البحوث تجرى في جو مرضٍ لأصحابها ، بل كانوا هدفًا مستمرًا للحملات عنيفة سداها الجمل والعناد ولحمتها رغبة استجداء انفعالات جماهير العصر المادى . والجماهير عدوة بطبيعتها لكل جديد ، لذا قال الأقدمون بحق « الويل لمن يحاول أن يعلم الناس أكثر مما يستطيعون أن يتعلموا » . وكانت الوسيلة الأساسية في هذه الحملات الصاخبة هي اتهام الباحثين في عقولهم وفي سلامة تقديرهم .

بل لقد بلغ الأمر بالمعارضين إلى حد تلفيق الأقوال ونسبتها زوراً إلى بعض العلماء والباحثين ، وإلى كبار الوسطاء الذين حطموا بموهبتهم العظيمة عهد الإيمان بسلطان المادة تحطيماً كاملاً ، لنشرها في صحافة لم تتبغ إلا التماس الشهرة عن هذا الطريق ، طريق إثارة روح الطرافة والاستغراب عند الجماهير لما تقرأ أن هؤلاء العلماء الكبار بلهاء ، بجانب وسطاء أذكاء ضحكوا عليهم وخذعواهم ، حين تمكن الصحفي الأريب من كشف حيلهم لأول وهلة ، وهم الذين خدعوا سنين طويلة عباقرة العلم التجريبي وأساطين البحث والاستنباط والجماهير بطبيعتها سريعة التصديق سهلة القيادة .

ثم جاء دور نفر من المفكرين تحت لواء العقيدة يتصور أن من واجبه — أبدأ — محاربة كل بحث جديد ، فانهى منهم من انهى للمجوم على كل من يبحث في هذا الموضوع متهماً إياه بالمروق والعصيان . وبلغ هذا الهجوم الدينى فى أوروبا ذروته فيما بين عامى ١٨٥٢ ، ١٨٦٢ بحجة الحرص على العقيدة الدينية من أن تنزعزع ، ثم أخذ يضعف تدريجياً لما تبين أن هذه السكشوف تثبت على العكس من ذلك أهم حقيقة دينية ، وهى حقيقة الحياة بعد الموت بما تتضمنه من ثواب ومن عقاب .

بل ابتداء هذا البحث الجديد يكتسب بالتدريج أنصاراً عديدين له من بين رجال الدين وانتهى بحصوله على عدة اعترافات من رجال الأديان بوجه عام بصحته وبمشروعيته بعد بحث هذه الظواهر جيداً .

وهكذا أصبح العلم الروحى الحديث بفضل صفوة من رجال العلم والعقيدة العصريين من ذوى الأذهان المتفتحة مؤسساً على أسس علمية دينية فى نفس الوقت ، واختفت الهوة — أو كادت — بين العلم والعقيدة فى شأن حقائق الروح من جانب ، وبين كافة الأديان والأجناس من جانب آخر ، ولم يعد لهذه الهوة من وجود حقيقى إلا فى أذهان نفر من الجامدين البعيدين عن جوهر العلم والعقيدة معاً .

لعلم الروح رسالة جليلة : من ناحية المعرفة والعزاء

ولعلم الروحى الحديث رسالة جليلة من جوانب متعددة . فهو قد أثبت من جهة أولى أخطر حقيقة كونية أدركها عقل الإنسان بالفطرة ثم بالفلسفة النظرية ، ثم بالتجربة العملية . فهو بالتالى يطمئنه — بطريقة لا تقبل الشك — على قدره وعلى مصيره .

وهو يفتح ذهنه على أمور كثيرة كانت غامضة فى الحياة ، ولا يمكن أن يفك مغاليقها إلا هذا البحث المعمل فى وراء الطبيعة ، الذى هو بمثابة رأس

قنطرة إلى عالم بل إلى عوالم غير محدودة تعيش فيها كائنات بشرية غير منظورة منا ، كانت تعيش بين ظهرائنا . وسنكون من سكانها يوماً لأن هذا هو مصيرنا المحتوم ، فينبغي أن نستعد له منذ الآن إذا أردنا حسن العاقبة ونعم المصير .

وهو ينشئ صلة يتمناها كل إنسان مع أحبائه وذويه عن فصلهم عنه جبروت هذا الموت العاتي الذي ما تعود أن يرحم صلات ذوى القربى ولا عواطف يريد لها أصحابها أن تكون أبقي من الحياة ويشعرون أنها أقوى من الموت .

وهو يفتح أفاقاً للبحث جديدة في التاريخ وفي اللغات القديمة وفي الفلسفة وفي الكشف العلية ، وفي القيم الاجتماعية والخلقية بوجه عام .

وهو يدعم الإيمان بالله تدعيماً تاماً ، بعد موجة مخيفة من الإلحاد اجتاحت الفكر الغربي في القرنين الماضيين فإذا بظلام الإلحاد يروح بدداً إزاء نور الفجر ، وإذا بالعلم الحديث يتجه في القرن العشرين اتجاهاً واضحاً وصريحاً نحو الإيمان بهذه القدرة الخالقة التي أصبح العلم لا يعرف لها حدوداً . وأصبح البحث في الروح وسيلة من بين وسائل العلم الأخرى لاستكشاف جزء ضئيل من عظمة هذا الناموس وطريقاً للوصول إلى حقائق كثيرة أفلها شأناً يرمى بكل ما وصل إليه عقل الإنسان الهزيل من حقائق حتى الآن .

وهذا هو المعنى الذي عبر عنه علماء كثيرون ، وقال في بعضه الشاعر والكاتب جيرالد ماسي Gerald massy إن « الاتصال بالآرواح Spiritisme صار لي كما صار للكثيرين غيري توسعة في أفق العقلي ومنفذاً إلى السماء وتحولاً لإيماني بالغيب إلى عقيدة بمشاهدات محقة لا يمكن أن تشبه الحياة بدونه إلا بالمرور في قاع سفينة مغلقة النوافذ وليس مع السائر سوى بصيص من لهب شمعة ، ثم سمح له فجأة بأن يصعد إلى سطح السفينة في ليلة

سقطت فيها الكواكب كما يتأمل لأول مرة هذا المنظر العجيب للسماء وهي تتلألأ بعظمة الله . .

نعم إن السماء تتلألأ بقدرة الله الناطقة في الكواكب المضيئة ، والتي تنطق بها أرواح الموتى ، الذين فقدناهم غيلاً إلى حواسنا القاصرة أن الموت نهايتهم ، فإذا هو بداية الحياة الحقيقية لهم ، التي يغذيها النشاط المتدفق بحب المعرفة ، كما يغذيها الأمل والعاطفة بمشاعر حية وقوية لانعرف منها هنا إلا ضللاً باهتة وبصيصاً ضئيلاً ستطفتنه إن عاجلاً أو آجلاً ربح الموت التي تبدر الآن عاتية رهيبة .

فهذه المعرفة الجديدة تخفف الكثير من رهبة انتظار الموت عند الإنسان — وهو أبدأ يخشى المجهول — إذا ما تحقق بنفسه أن ربح الموت هذه لا تطفى شيئاً ، بل تزيد شعلة النفس قوة وضياء ، وتختطف الزهرة الذابلة من هنا كما تضعها في جنة اللخلد أكثر رونقاً وبهاء .

وفي هذا الشأن يقول سير أوليفر لودج Oliver Lodge عالم اللاسلكي المعروف بعد أن ظل يواصل بحث هذا الموضوع لمدة أكثر من نصف قرن في محاضرة له في سنة ١٩٣٤ :

« إنني دائماً أنسلم رسائل ممن هم في حزن عميق لفقدهم طفلاً أو شاباً أو شابة ... فأؤكد لهم أن الأحوال على مايرام مع ذريهم هناك . لقد وضع الأطفال تحت رعاية قلوب رحيمة . إن الحجاب بين العالمين لجد رقيق ، ومن الممكن إذا كانت الظروف مؤاتية الاتصال بهؤلاء الذين نسميهم أمواتاً . إذ أنهم لا زالوا يهتمون بعطفنا وحبنا ثم يبادلوننا هذا الشعور بأقوى منه ، ولا يؤذيهم سوى حزننا المتزايد .

« إنهم لا يعتبرون أنفسهم أمواتاً ، بل أحياء موفوري الحيوية ، محررين من هذا الجسم الثقيل ، قادرين على التنقل في حرية في حالتهم الجديدة هذه مستعملين الجسد الأثيري الذي هو في حوزتهم دائماً . »

كما يقول العالم الروحي جيمس آرثر فندلاى James Arthur Findlay وهو صاحب خبرة عشرات من السنين في هذا الموضوع ، وكان مديراً للمعهد الدولى للبحث الروحي بلندن منذ إنشائه «إن الموت - كما أثبتت - سهل وبسيط كالذهاب إلى النوم والتيقظ . لجسمنا الأثيرى ينسل من جسمنا الفيزيقي حاملاً العقل . ثم نصحو في هذا الوسط الجديد فنجد أن أصدقائنا وذوى قربانا على استعداد لمساعدتنا وإرشادنا في حياتنا الجديدة ويعود الجسم الفيزيقي إلى الأرض ، أما الجسم الأثيرى وهو الذى يهيمن عليه العقل فيستمر في تأدية وظائفه في هذا العالم الأثيرى وتبقى الشخصية وهى بمعزل عن المادة الفيزيائية ، وسنظل نفكر كما نفكر الآن ، لأن كمية العقل الصغيرة التى لدى كل منا هى نفسها التى تؤثر في الجسم الأثيرى وحده» (١) .

فإذا تركنا كلام العلماء الأرضيين وأردنا أن نعرف ما الذى تقوله الأرواح الراقية نفسها عن الموت وجدنا الروح الحكيم سيلفر بيرش Silver Birch أى الشجرة الفضية يقول «أريد ، وقد عشت في عالم الروح سنين كثيرة ، أن أخبر المحزونين المسكومين أن الموت لا يمكن أن يفرق بين أولئك الذين وصلت بينهم المحبة . فالمحبة تحترق كل الحجب والتخوم وهى دائماً تبلغ ما تريد . لا تلتجئوا لأن من تحبونه قد انتشل من عالم الشقاء والصراع والجهل وأدخل في حياة أكبر تظهر فيها بأسلوب أغزر الصفات الفطرية للإنسان . . . جففوا دموعكم حيث لا داعى للحزن لأن من تحبون قريب منكم دائماً . الموت لا يذهب بالمحبة ، فالمحبة غير متناهية والروح الأعظم غير متناه كذلك . . .»

فهل ثمت عزاء يمكن أن يبدد ظلام الحزن مثل الاقتناع الختمى

(١) «على حافة العالم الأثيرى» ترجمة المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير مطبعة ٣

بأن الموت هو عملية انتقال سهلة إلى عالم أرق من عالمنا وأرقى ؟ ... ومن الافتناع بأن أرضنا أرض منق وأحزان بالنسبة للنفوس الوديعه الطيبه ؟ ... حتى أن الحزن عند الروحيين يعد كفرآ بالله وبرحمته ، وإنكارآ لحقيقة يعرفونها جيدآ وهى أن « يوم الوفاة أفضل من يوم الولادة » ، لأن الولادة اعتقال الروح فى مكان سحيق ، أما الوفاة فهى انطلاق لها - بعد ضيق - إلى آفاق من النور يعجز خيالنا المحدود عن إدراكها ، كما تعجز الشرقة وهى تزحف فى الجحور عن أن تدرك ما تصير إليه حالها عندما تتطور إلى فراشة جميلة تخلق فوق الزهور ...

لذا كان العلم الروحى رسالة عزاء - لا تدانيها أية رسالة أخرى - لمن يعوزهم العزاء على من ظنوا أنهم قد وسدوهم الثرى وهم لا يدرون أنهم قد أودعهم السماء ... ما دام هذا العلم يأبى الاعتراف بالموت وبالفناء .

فبعض من تاجب الامانه بالله تعالى ديناموس المنفى

والعلم الروحى إلى ذلك دعوة قوية للتحلى بمكارم الأخلاق وتعزيز لإيماننا بالله فى عظيم عدله وحكمته ورحمته . ألم يلاحظ الفيلسوف عمانوئيل كنهط E. Kant أن الإيمان بالله ليس مسألة علاقة بين الله والطبيعة ، أو بين الله وهذه الأكوان المادية ، ولكنه مسألة علاقة بين الله وضمير الإنسان ؟

وفى ضمير الإنسان إذن نستمد الدليل على وجود الله . وفى ضمير الإنسان شعور أصيل بالواجب الأدبى وقسطاس مستقيم يوحى إليه أن يعامل الناس كما يحب أن يعاملوه . وهذا الوحي الذى أودعه الله النفس الإنسانية ضميرين يأسعدها منهم من يطيعونه وحسن الجزاء لهم من الله . ولكنهم لا يسعدون فى كثير من الأحيان ، وقد يسعد الآثمون ويشقى العاملون بالواجب فى هذه الحياة . فلا بد من عالم آخر يتكافأ فيه واجب الإنسان وجزاؤه ، وهذا هو البرهان الأدبى على خلود الروح وحرية الإنسان^(١) .

(١) كتاب « الله » للأستاذ عباس محمود العقاد ص ١٩٩ .

ومتى كان البرهان الأدبي على ذلك مستمداً من الإيمان بالله وبعدالة ناموسه الخلقى ، فإن البرهان إذا كان علياً مستمداً عما يراه الباحث ويحققه بنفسه يكون أدعى إلى التمسك بإيمانه بالله وبعدالة ناموسه الخلقى ، فهل فى ذلك أدنى ريب ؟ . . . وإذا كان البرهان الفلسفى يناسب الفلاسفة فإن البرهان العلمى يناسب كل مثقف ، بل يناسب كل إنسان يريد أن يعزز هذا الإيمان ويحافظ عليه ، كما يريد أن يعزز معه إيمانه برسالة السلام والمحبة بين جميع الأجناس والأديان .

ولعله لذلك قال المرحوم الأستاذ محمد فريد وجدى وهو يعرض قضية العلم الروحى الحديث ويدافع عنها فى دائرة معارفه (القرن الرابع عشر إلى القرن العشرين) للقارىء أن يتأمل فى سيرة رجلين أحدهما منكر للخلود يظن أن من مات تحلل جسمه وأحى أثره وزال وجوده وبطل كل ما بلغه من محصول عقلى وارتقاء نفسى ، وكال صوري وأدبى ، والآخر مثبت له يعتقد بأن الموت انتقال من دار أعمال إلى دار جزاء يرى فيها كل عامل ثمرة ما عمل من خير وشر ، وتفتح له من باحات الجمال المعنوى ما يدوم عروجه فيه إلى كمال لا يحد بحد ، ولا يتقيد بقيد .

للقارىء أن يتأمل فى حال أولهما ليرى هل يعقل أن تكون له شكيمة ترده عن هوى ، أو تصده عن غي ، أو تصرفه عن باطل ، أو تزجره عن إتيان قبيح . . . أنا بمن يعتقد أن للروح قدرة ذاتية على كبح جماح صاحبها لأنها من عالم علوى تنزع بفطرتها إلى الكمال ، ولكن قلما يصل إنسان إلى إنالة روحه سلطانها على جسده ، لأن هذا الأمر يحتاج لرياضة نفسية قاسية لا تسهل إلا لمن يعتقد بالخلود فعقيدة الخلود هى مطمأن نفسه وسكن خواطره ومعتصم اندفاعاته ، بها تمتد أشعة أمانيه إلى ما لا نهاية ، ولا تقف مراميه عند حد فتجد فطرته متسعاً لمواهبها ، ومضطرباً لعواطفها فيصبح فاضلاً لا لأنه يخاف عذاباً ، بل لأنه يجد لذة الفضيلة أكبر من لذة الرذيلة فيميل للأولى^(١) . . .

(١) جزء ٤ ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

نبرز من ناحية الموضوع على الحركة العلمية والفكرية

والاطلاع في هذا الموضوع يضيء للقارئ جانباً من أجمل نواحي الحركة الفكرية والعلمية ، بل والأدبية أيضاً في العالم إلى المدى الذي يتعذر تحقيقه عن أى طريق آخر . هذه الحركة الروحية التي لا تزال تعاني من الجحود في بلادنا ، بل ومن التخلف الذي لا يقل مداه عن قرن كامل من الزمان يكاد يمثل كل تاريخها حتى الآن

وذلك مع أن البحث في الروح بأسلوب معلمي حديث ألقى أضواء جديدة على مشكلات فلسفية قديمة ، منها بوجه خاص مشكلة معنى الإيمان بالله وبناموسه الخلقى ، ومعنى الضمير الذى كان في الماضى مجرد كلمة فأصبح الآن حقيقة نفسية أو بالأدق عقلية ، بعد إذ اتضح أن عقل الإنسان يسجل عليه كل ارادة وواردة من خواطره . كما ألقى بالتالى أضواء جديدة على ظروف الحياة بعد الموت ، بما فيها من ثواب ومن عقاب ، بالإضافة إلى تعرضه لمشكلات هامة كثيرة في شأن معنى الزمان والمكان ، ومدى حرية الاختيار في تصرفات الإنسان ، وفي شأن الألم والإلهام والأحلام وغيرها . . هذه الأضواء التي يحرم نفسه منها من لا يطلع فيه .

وإنسان القرن العشرين من حقه - ومن واجبه أيضاً - أن يربط بين آرائه الموروثة والمكتسبة وبين حقائق القرن الذي يعيش فيه وفلسفاته ، لأن هذه وتلك تساهم معاً بغير ماريب في بنية عقله وعاطفته ، ورسم له بالتالى خطوط سعادته وشقاؤه مجتمعة ، فلا أقل من أن يستمد عناصر هذا الارتباط من كل باب للمعرفة فتحة له أسلوب البحث العلمى وكان في الماضى مغلقاً أو شبه مغلق بفعل الجهالة وحدها ، وعرف الإنسان طريقه إليه عندما عرف كيف يستخدم العقل في تمحيص ظواهر الطبيعة ودراسة صننها غير المحدودة والتي تتكشف شيئاً فشيئاً لمن يحاول البحث عنها وفيها . ثم إن الإنسان - كما يقول الفيلسوف كنت Kant - خاضع في حياته المادية

والروحية معاً للجمهورية واحدة كبرى » فإن نفسه تتصل في حياتها الحاضرة بعالمين في نفس الوقت ولكنها لا تدرك منهما إدراكاً واضحاً إلا العالم المادى طيلة اتصالها بجسده مكونة بذلك وحدة شخصية ، ولكنها باعتبارها عضواً في العالم الروحى تتلقى التأثيرات الخالصة ذات الطبيعة غير المادية وتعطيها ، كما يقول أيضاً « سيجىء الوقت الذى يثبت فيه أن نفس الإنسان متصلة فعلاً بعالم الأرواح اتصالاً وثيقاً لا ينحل ، وأن هذا العالم يؤثر في عالمنا ويطبعه بطابع عميق » . وهذا هو نفس ما قرره وأكده علماء وفلاسفة كبار من أمثال وليام جيمس William James وغيره على ما سيجىء في صفحات هذا المؤلف .

علم الروح بقدر الإنسان من قدره

وللعلم الروحى دوره الخطير في تقدير قيمة الإنسان واحترام مشاعره البناء وعقله الباحث عن الحقيقة أبداً . ولا أعتقد أن ثمة فلسفة أخرى يمكنها أن تزعم أنها تحترم قيمة الإنسان وتقديرها حق قدرها مثلما يفعل بحث علمى يقوم على أن الإنسان روح لا جسد وأنه خالد لا يموت ، وأنه يسير حثيثاً في طريق التقدم والكمال بالغة ما بلغت ضالة قدره بحسب مظهره الخارجى الآن — وفي ماضيه السحيق — من ناحيتى الخلق أو المعرفة .

قرأت كلمة معناها أن حياة إنسان واحد تبدو لا قيمة لها في خضم الحياة مع أن هذا الكون كله لا يساوى شيئاً بجانب حياة إنسان واحد
كم هى إنسانية هذه الكلمة ! لكنها لا تبدو على حقيقتها إلا للروحى الذى يعلم أن أى كوكب في هذا الكون مهما كان حجمه عرضة للزوال لأنه من مادة صلبة ، أما أى روح إنسانية فإنها لا تقبل الزوال لأنها شعلة قدسية انبثقت من جوهر الحياة الكونية ، التى صنعت الكواكب والنجوم ، كما تحتفى هذه وتلك عند الزوم وتنمو في رونقها شعلة النفس الخالدة ! ...

ثم هل هذا الكوكب الذى نعيش فيه يعد في صحيفة الكون شيئاً

مذكوراً ؟ ... إن الكون عبارة عن نظام يضم ألوف الملايين من المجرات
والجزة منها تحتوى على ألوف الملايين من النجوم . وعند الحافة الخارجية
لجزة منها تسمى ، طريق التبانة ، يوجد نجم متوسط الحجم معتدل الحرارة
ازداد لونه اصفراراً بسبب الشيخوخة هو شمسنا التى تدور حولها - وسط
نخضم هائل من الحركة فى كل اتجاه - بسرعة حوالى ١٨٠٠٠ كيلومتر
فى الساعة . .

ولقد أظهر الإحصاء الذى أجرى لقطاعات مختارة من طريق التبانة،
هذا عمر علماء الأرض بجامعة هارفارد أن هناك أكثر من مائتى نجم منفرد،
وعلى أساس هذا الإحصاء - ولا اعتبارات تتعلق بالقوة المحركة - قدروا
أن هذه الجزة وحدها تحوى حوالى مائة ألف مليون نجم . وكما يحصلوا على
صورة لأطراف الكون قدروا أن الكرة الأرضية قد انخفض حجمها إلى
حجم نقطة حبر عادية قطرها نصف المليمتر بدلاً من قطرها الحالى وهو ١٢٧٤٠
كيلومتر ، أى انخفضت إلى أقل من واحد على ٢٥ ألف مليون من حجمها
الأصلى ، فإن كل أبعاد الكون تنكش بنفس هذه النسبة . وعندئذ وصلوا إلى
هذه النسب الناطقة بضآلة الأرض : - المسافة من الأرض إلى الشمس تصبح
حوالى ستة أمتار - المسافة إلى أقرب نجم آخر تصبح حوالى ١٦١٧ كيلومتر -
قطر طريق التبانة يصبح حوالى ٣٧,٦١٥,٠٠٠ كيلومتر - المسافة إلى
جزة أخرى يطلق عليها ، جزة المرأة المسلسلة ، تصبح حوالى ٧٣٢,٣٧٠,٠٠٠
كيلومتر .

فهل يعد كوكننا بعد ذلك شيئاً مذكوراً ؟ ... وهل يتصور عقل عاقل أن
تكون الحياة كلها قد تركزت فيه وأنها تزحف حثيثاً إلى فناء تدريجى محتوم ،
وأن كل هذا الكون مسخر لخدمته كما يتصور الرأى المادى ؟ ... إن أى باحث
روحى يعلم أن هذا الكوكب لا يعد شيئاً مذكوراً وأنه عرضة للتلاشى إذا
أرادت له ذلك حكمة الله ، أما حياة أى إنسان فقد أرادت لها حكمة الله الخلود .

فهل يمكن لآية فلسفة أخرى أن تقدر الحياة الإنسانية هذا التقدير ، وتقيم الدليل عليها تلو الدليل ؟ . . .

وليس قدر الإنسان في خلوده فحسب ، بل أيضا في خضوعه لنواميس عاقلة عطوفة عليه تعرف له قدره تريد له النجاة أبداً ، أو بالأدق تريد له التطور المستمر إلى مستوى متزايد من الارتفاع عن طريق الارتقاء التدريجي - الذى يتوقف على إرادة الإنسان تحديد سرعته ومداه - فى تكوينه العقلى والعاطفى والخلقى ، والذى يحىء بسبب الخبرة التى يكتسبها حتماً من المشاهدات ومن التجارب المتواصلة التى تفرضها عليه حياته التى لا تتوقف ، لو عرف كيف يستفيد منها فى بنيان حاضره ومستقبله ، عند تنقله من مستوى إلى آخر من مستويات هذا الوجود غير المحدود بحكم قوانين موضوعية محايدة . . . فهل هنالك ما هو أعدل من ذلك ؟

وهل يمكن لفلسفة أخرى غير فلسفة الروح أن تقيم - بالإضافة إلى ذلك - بنيانا موضوعياً متماسكاً للمحبة بين البشر من جميع الأجناس والأديان ، أساسه خضوعهم جميعاً لهذا الناموس الواحد المشترك الذى لا يعرف محاباة ولا تمييزاً ، ولا فضلاً لإنسان على آخر إلا بالتقوى ، وهى تمثل منبع الشمائل الطيبة فيه ؟

لذا يأخذنى العجب من الموقف السلبي الذى وقفه من حركة البحث فى الروح علماءنا وقادة الفكر عندنا حتى الآن ، حين أنها اجتذبت عدداً كبيراً منهم فى الخارج اجتذاباً قوياً إحساساً منهم بمدى خطورة الحقائق التى تكشف عنها ، ومدى اتصالها بحركة العلم المادى ، وفى نفس الوقت بالتكوين الفكرى والروحى للإنسان . هذا إلى وثيق صلتها بالقيم الخلقية السائدة والتى ينبغى أن تسود .

ولمن يشك فى ذلك له أن يقلب صفحات أى كتاب من الكتب القيمة التى عالجت هذا الموضوع سواء من زواياه العلمية أم الفلسفية أم الاجتماعية فإنه سيتحقق بنفسه من مدى خطورته وعمق أثره ، وسيدرك فوراً أية جناية

يجنيها علينا الصمت والجمود في هذا الميدان الذي كان في عصور نهضتنا هو ميداننا ، وهو نبراسنا ، وهو تراثنا الأصيل من الأولين ...

أليس الشرق هو مهبط الرسائل السماوية التي تهدف إلى النهوض بالروح لا بالمادة ، عن طريق تعزيز عاطفة المؤمن وإيمانه وضميره ؟ ... فضلا عن تقريب أخطر حقائق الكون إلى فهمه ومعرفته ؟ .. فهل أصبحنا أكثر تعلقاً بالمادة وعزوفاً عن الروح متى تعودنا أن نقول إنهم بناء حضارة مادية ودعاة تشكك وإلحاد ؟ ... إنه حزن — وحزن عميق — نسجله هنا من موقف حملة الأقلام وقادة الفكر الذين يعلق الوطن عليهم آماله في النهوض به وتذليل العقبات الجسام من طريقه .

لم نررد إذا ١٩

فإذا كنت بعد اطلاع كافٍ — وتجريب — قد اقتنعت بجدية هذا البحث وبخطورته البالغة ، وبأنه جدير بأن أحمل عناء الدفاع عن نتائجه البعيدة المدى أمام ضميري ، وأمام قاريء أقدر فداحة مسؤوليتي قبله ، لا أجد ثمت مبرراً للتردد إلا خشية معارضة محتملة من نفر من الجامدين أو الأدعياء ، معارضة ليس من النهج العلمي في شيء أن يحسب الباحث لمثلها حساباً ، وقد آثر أن ينشر بحثه خدمة للحقيقة العلمية وحدها كما اقتنع بها — بعد لآي وطول عناء — لا خدمة لانفعالات هذا النفر من المعارضين الذي لا يمكن أن ينزل إلى مستوى بحث هذه الأمور ، ولا أن يرتفع إلى مستوى التسليم بالعجز فيها .

وهذا النفر لن أناقشه بنفسى كثيراً ، بل سأدع لبحوث لفيف كبير من خيرة علماء القرنين الماضي والحاضر مهمة مناقشته . وسأشوق طريقى للأمام تاركاً في كل صفحة منه بيئة قوية أو عدة بينات لها قيمتها ، لمن يريد أن يعرف فيه شيئاً جديداً بطريقة موضوعية محايدة ، أما المسكابر فلا حيلة لاحد فيه ، ولن تخسر الحقيقة العلمية شيئاً بعدم اقتناعه بها ..

لقد كان بمقدورى أن أقول لمثل هذا النفر كما قال من قبل إدوين فردريك

ياورز E. F. Bowers الأستاذ بجامعة مينيابوليس لأمثاله في الخارج - فإن هذا الكتاب تحد للجهل والتطرف وروح التعصب الناكرة الكارهة ما تجمع من البيانات الدالة بشكل قاطع على بقاء الشخصية بعد الموت،^(١) .

فإن كنت لا أفعل فلأن التحدى قد يصح في ميدان الحرب أو السياسة. أما في ميدان البحث العلمي فإن الباحث يدخل محراباً قدسته المعرفة الصحيحة فلا يلغى له أن يدع للتحدى أى مكان في وسائله ولا في غاياته، طالما كان جاداً في طلب البحث عن الحقائق والاستضاء بنورها، للوصول إلى معرفة ذاته وهى أتمنى ما يستحق عناء البحث فيه، بدلا من أن يخطب خطب عشواء في طريق الظلام والأوهام... ثم يصر على التخطب على مدى الأيام والأسابيع ولا أحب أن يتصور أى إنسان أن البحث في الروح شائك كما يقال أحيانا، لأن البحث عن الحقيقة العلمية لا يعرف - ولا يعترف - بالاشواك في طريقه، ولا يعوقه شيء عنها، إذ المعرفة الصحيحة هى أتمنى ما يستحق عناء البحث فيه، وهى تمثل في النهاية كل ما يملكه الإنسان من مجد ومن كرامة.

كالا أحب أن يهون إنسان من قيمة البحث في هذا الموضوع أو يقلل من شأنه، لأن المعرفة الروحية ستصبح إن عاجلا أو آجلا مصدراً لعلوم الحياة وأصلا لعلم النفس بوجه خاص يعوض به ما فاته من تخلف، وتقضى به علوم الحياة كثيراً من الجوانب الغامضة في علوم الجماد بعد إذ أصبح تقدم علوم الجماد على علوم الحياة «إحدى السكوارث التى عانت منها الإنسانية - على ما لاحظته الدكتور الكسيس كاريل Alexis Carrel الحائز على جائزة نوبل في الطب -... فالبيئة التى ولدتها عقولنا واختراعاتنا غير صالحة لا بالنسبة لقوامنا ولا بالنسبة لهيئتنا... إن القلق والهموم التى يعاني منها سكان المدن العصرية تتولد عن نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية» .

(١) فى « مؤلفه ظواهر حجرة تخضير الأرواح » .

ثم يضيف قائلاً : «إننا ضحايا تخلف علوم الحياة عن علوم الجهاد . .
إن العلاج الوحيد للجائز لهذا الشر المستطير هو معرفة أكثر عمقاً بأنفسنا . .
إننا لا نملك وسيلة أخرى لمعرفة القواعد التي لا تلين لوجوه نشاطنا العضوى
والروحى وتميز ما هو غير مشروع عما هو مشروع . وما دامت الأحوال
الطبيعية للحياة قد حطمتها المدنية العصرية فقد أصبح علم الإنسان أكثر
العلوم ضرورة» (١) .

وجوهر علم الإنسان الآن هو علم الروح بعد إذ تبين أن « الإنسان
روح لأجسد ، وأنه أعظم بكثير مما كانت تصوره مدارس المادة بوصفه
قطعة من جماد لا تختلف عن غيرها إلا بوظائفها العضوية ، أو كائناً يجهو
على قدمين لا يختلف كثيراً عن تلك التي تجبو على أربع .

فإذا كان الأمر كذلك فلم أتردد في نشر نتيجة بحثى هذا ؟ . . . ولم
أراجع متخلياً عن مسئوليتى قبل القارئ الذى أقدر أن من حقه أن يعرف
من هذا الأمر الخطير شيئاً صحيحاً بطريقة موضوعية محايدة ؟ ولحساب
من يكون التراجع ؟

إن اعتراضات المعارضين لا تضيرنى فى شيء كما قلت ، كما لا تضير
موضوعاً علياً صرفاً ثبتت أقدامه بصفة حاسمة ونهائية فى أرقى البيئات
العلمية ، وأخذ يشق طريقه للأمام على نحو يبعث على الاطمئنان التام أننا
إزاء علم حديث ، لكنه فى أساسه الأول قديم قدم الحضارة الإنسانية ، بل
قدم الإنسان ، وهو يشعر أبدأ أنه أكثر من مجرد جسد مادى يحوله الموت
إلى حفنة من تراب أو إلى بقعة من سراب . .

وسأحفظ غاية التحفظ فى اختيار البيانات فلن أجعل منها عماداً
لهذا المؤلف إلا البحوث التى جرت على منهاج علمى سليم وبواسطة علماء
مبرزين ، من بينهم عدد من قادروا أوضح خطى التقدم العلمى الرائع منذ منتصف

(١) د. مؤلفه « الإنسان ذلك المجهول » L'homme Cet Inconnu ترجمة الأستاذ
عادل شفيق ص ٣١ ، ٤٣ .

القرن الماضي حتى الآن في نواحي العلوم الأخرى من فيزياء وكيمياء وسيكولوجيا وفلك وبيولوجيا وفسولوجيا وغيرها . وتم عدد منها داخل معاهد علمية راقية عريقة تقدم كل الضمانات المطلوبة لدره شبهة التسرع في تكوين الرأي أو الخطأ فيه . كما سأتحفظ في إيراد البيانات المختلفة مراعيأ فيها الدقة التي ينبغي أن تكون رائد كل من يتصدى للدفاع عن حقيقة علمية لا يخدمها شيء . الآن قدر التحفظ في قبول أصولها وعرض أسانيدها .

ولا أريد أن أقف طويلاً هنا عند اعتراض بعض ذوى النوايا الطيبة ممن يقولون ، ولم لا نقف عند الروح كما بحثها فلاسفة العرب من أمثال ابن سينا وابن رشد وابن القيم الجوزية والغزالي وغيرهم ؟ . فالجواب يسير وهو أن هؤلاء فلاسفة كبار ، ولكن لم لا نقف في الكيمياء أيضاً عند ابن حيان ، أو في الطب عند ابن سينا أو عند هيبوقراط ، وقد كان الطب يحمل في أيامهما حتى دورة الدم ، كما كان يحمل الميكروبات وبالتالي وسائل مكافحتها ، والهورمونات والفتيامينات ووظائف أهم الأعضاء ؟ . . . بل لم لا نقف في الفلك عند بطليموس وقد كان ينكر حركة الأرض . . . ويؤكد أن الأرض لا يمكن أن تدور حول نفسها مع أنه يعد أحسن علماء الفلك من الإغريق ؟ . . .

فمثل هذا الاعتراض لا يستحق في الرد عليه أكثر من ذلك ، ومن عبارة في محلها قالها عالم الفيزياء سير أوليفر لودج وهو يرد على معارضيه في البحث الروحي قائلاً في مؤتمر الجمعية تقدم العلوم ، عقد في لندن في سنة ١٨٩١ «إن الحد الفاصل بين العالمين المادى والروحي قد قرب أن ينهار كما انهارت فواصل كثيرة غيره ، وبذلك سنصل إلى إدراك سامٍ لوحدة الطبيعة . إن الأشياء الممكنة لاحتلالها كما أن الوجود نفسه لا حده ولا نهاية ، وما نعلمه الآن منه لا يساوى شيئاً بالنسبة لما غاب عنا عليه . وإن إرادة قصر بحوثنا على المجالات التي افترضناها نصف افتتاح يعتبر خيانة لعهود الرجال الذين كاثروا للحصول على حرية البحث وتحريضاً لأقدس آمال العلم فينا . »

فأى تراجع فى البحث العلمى هو فى حقيقته خيانة لعمود الأقدمين والمحدثين معاً من العلماء والباحثين ، ونذير انهيار لركب الإنسانية الذى يسير إلى الأمام قدماً بفضل جهود من لا يعترفون بإمكان إيقاف عقارب الساعة أو إرجاعها إلى الوراء . ومن يفعل ذلك ربما يخدع نفسه ، لكنه لا يوقف سير الزمن الذى هو كالسيف إن لم نقطعه قطعنا . . .

ولنستعيد فى هــ هذا الشأن بعض مارد به المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى - وهو من أصحاب التفاسير القيمة - على المعارضين فى مؤلفه « كتاب الأرواح » ، ويدور كله حول صحة العلم الروحى الحديث والدفاع عنه وفق شبهة التعارض بينه وبين العقيدة ، عندما قال (فى ص ٥ - ٧ من طبعة ١٣٣٨ هـ و ١٩٢٠ ميلادية) :

« فهل تقف أمام هذا الحادث صامتين ، إنه لعيب فاضح ، وخطأ واضح وشين مبين . نحن أحق بهذا العلم من الغربيين . إن الأمر لجلل يعوزه كتب تؤلف ومجامع تحشد ، وعلماء تنتقد . أنا لست فى كتابى هذا أثبت العلم الروحى فحسب ، فلقد سبقنى إليه من نشروا الفكرة وأذاعوا أمره بين إخوانى المصريين ... »

« أنا لست فى كتاب الأرواح أسرد الحوادث المنقولة «سبيللا» ولكنى أجد ذلك يطابق مانص عليه الغزالي وغيره بطريق الكشف ، وكيف قال إن عذاب القبر على هذا الأسلوب ، وستراه مفصلاً فى الكتاب .

« ... فليتناون الكتاب على نشره فإن فيه سلوة المحزونين وإيقاظ الغافلين وتعليم الجاهلين واتباع الإيمان باليقين وورق الأخلاق وتقليل النفاق وضعف الشقاق وذهاب الأحقاد والوثوق بحياة جديدة فلا يفرع الناس أشد الفرع من الممات ويقل بكاء الباكيات ويسهل احتمال النكبات وأشد الأزمات ، علماً بأنها طهارة للروح وإنماء للأخلاق ودروع سابقة وأجنحة بها تطير إلى العلا ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ... »

وفى ص ٤٧ من نفس الطبعة « اعتراض على المؤلف كيف يستدل

بكلام الفرنجة الذين يدعون إحضار الأرواح ؟ . . والإجابة على ذلك بأن العلوم جميعاً تؤخذ من أربابها وليس الدين بمانع من ذلك .

* * *

ثم إن اعتراضات المعترضين التي كانت تثار ضد هذا النوع من البحث في مستقبل أيامه قد أضحت برمتها غير مقبولة الآن بعد خضوعه طيلة هذه السنين - وقد قاربت قرناً وربعاً من الزمان - لكل وسائل البحث الدقيق والتجريب المتواصل ، وبعد إذ انحازت إليه صفوة من علماء ماديّين كانوا من قبل مؤمنين بقوة المادة كل إيمان ، ومنكرين الروح كل إنكار ، فكانوا يتمنون عند ما بدأوا بحوثهم فيه أن يثبتوا أنه وهم مطلق وخرافة باطلة . لأن العقيدة العلمية إذا تمكنت من عقل صاحبها أضحت في قوة العقيدة الدينية ، ومن هنا جاء التشابه بين رجل العلم ورجل الدين من ناحية التعلق الشديد بالقديم ورفض كل جديد كبر شأنه أو صغر .

لكن الاقتناع بحقيقة الحياة بعد الموت بعد التحقيق الطويل الذي أجروه وبعد الظواهر الحاسمة التي رأوها غلبهم على أمرهم كما صرحوا بذلك ، فانحازوا إلى هذا العلم بعد تقليب الأمور على كافة وجوها . وكان انحيازهم له في حذر وأناة - رغم تدفق البيانات وقوتها - لأنه كان انحيازاً إلى الحقيقة العلمية وحدها كما عرفتهم في بحوثهم في العلوم المادية ، وكما عرفوها في بحوثهم الروحية . بل كان انحيازاً لاخطر حقيقة كونية أخضعها العلم التجريبي لوسائله وأساليبه العملية ، لذا تم في بطن شديد واحتياط بالغ . وقد كبدهم هذا الاقتناع الكثير من هجوم الجملة والأغبياء ، لكن العلماء ضربوا عن الهجوم صفحاً وساروا في طريقهم لا ييغون إلا خدمة وجه الحقيقة دون أي اعتبار آخر . إذ الرجل الشريف الأمين هو أنبل ما خلق الله ، فلم يتراجع هؤلاء العلماء عن نشر مؤلفاتهم حاملة نتائج بحوثهم مطبوعة بكل طابع البحث المحايد المتأني الناقد الجدير بالاعتبار ، والذي يلفت نظر أي قارئ بمجرد تصفح أي مؤلف منها . وهي تعد الآن بالآلاف بالملئات ،

وبكل اللغات ، ونكفى لإفناع أى إنسان يبحث عن الاقتناع العلمى السليم
كأشد ما يدل عليه اللفظ . .

بل إن تمت حقيقة أخرى لاحظها الأديب الإيرلندى شودرموند
Shaw Deamon — أحد كبار الباحثين فى موضوع العلم الروحى — وهى
، أن ملايين من البشر من جميع الأجناس والأوطان قد اقتنعوا الآن بصحة
البيئات التى قدمها العلماء ، واقتنعوا قبل أى اعتبار آخر بالبيئة التى استمدوها
من عقولهم ومن ضمائرهم ، ومعها ذلك الشعور بالسلام الذى يتجاوز كل
معرفة (١) .

موضوع المؤلف الحالى

النتيجة الهامسة التى يخرج بها الباحث فى موضوع الروحانية هى أن
الإنسان روح لا جسد ، وهو العنوان الذى اخترته كيما أخصر تحتته
— تلخيصاً محدوداً على أية حال — بعض المعلومات العامة التى تلزم من
قد نجد فى نفسه ميلاً كافياً إلى مزيد من الاطلاع فيه .

قد يعترض البعض ابتداء على هذا العنوان قائلاً ولم لا تقول إن الإنسان
روح وجسد معاً فتكون أقرب إلى الواقع ، ؟ ... لكن الواقع هو أن الإنسان
فى العلم الروحى روح فقط . ذلك أن الجسد الأرضى إن هو إلا رداء بال
يحبس الروح ويذلها إلى حين ... وهل يصح أن نعرف شخصاً بالرداء الذى
يرتديه ولو كان من أغزر نوع ، فما بالك إذا كان من تراب ؟ ١٩ ..

وهل يصح أن نعرف درة ثمينة بصندوق من طين يحتويها إلى حين ؟ ...
أو أن نعرف طائراً جميلاً بقفص من عظام بالية يخلق عليه سبيل الانطلاق ؟ .
لذا كان من الشائع فى هذا العلم القول بأن الإنسان روح لها جسد ، لا جسد
له روح . وأقرب من ذلك إلى الصواب فى رأي أن أقول إن الإنسان — وهو
يمثل الذات الواعية الناطقة فىنا — محض روح . أما الجسد المادى فهو المظهر

(١) فى مؤلفه « كيف نحيا عندما تموت ؟ » How You Live When You Die ؟

الخارجى الذى به نتعارف إلى حين ، فلا صلة له بتعريف هذه الذات ، ولا هو ملك لها ، بل هو ملك لآمه الأرض التى منها جاء وإليها يعود ...

وإذا أردنا أن نستعمل لغة الرياضة ، وقلنا إن الروح - لا الجسد - هى التى تمنح الإنسان شخصيته أى طابعه العقلى والخلقى ، وهذا واضح بذاته لا يثير أدنى شبهة ، فإن الجسد بدون الروح لا يساوى شيئاً عندئذ . وتكون النتيجة المحتومة هى أن الروح بدون الجسد لا تنقص شيئاً يذكر بالتالى ، وتكون هى جوهر الإنسان . فالروح هى صانعة الجسد ، كما هى صانعة مصيرها فى حدود نوااميس الطبيعة . وهى ليست متكافئة معه فى الجوهر حتى أضعها معه على قدم المساواة وأقول « بل الإنسان روح وجسد » . ومن هنا جاء عنوان مؤلفى هذا وهو « الإنسان روح لا جسد » .

ولست أطمع فى أن أعطى القارئ الإلمام المطلوب بهذا الموضوع المتسع النطاق فى مؤلف واحد - ولو كان فى جزئين - إذ لعل ما كتب فيه يملأ مكتبة تزيد محتوياتها - الآن - عن أية مكتبة عامة فى القانون أو فى الطب أو فى غيرهما من العلوم ، ونواحيه متشعبة ومتداخلة فى علوم أخرى كثيرة على ما سأبينه فيما بعد . بل إن الظواهر الواسطية فى ذاتها متنوعة وكل منها قد يتطلب فى عرضه مؤلفاً من عدة أجزاء . فما بالك بمن يريد أن يتعدى دراسة الظواهر الواسطية إلى ما هو أهم فى رأى منها ، وهو دراسة المعلومات الروحية فى ذاتها ومدى صلتها بالحقائق العلمية الثابتة وبالمعتقدات المستقرة فى الأذهان ، وإلى حقيقة الثواب والعقاب ، وإلى بعض المعرفة بآراء الأرواح وفلسفاتها ، فإن هذه وتلك مجتمعة قد تتضمن من أسباب الموازنة وعناصر الحكم العام للموضوع فى جملته أو عليه أكثر مما تتضمنه دراسة أى نوع من الظواهر الواسطية على حدة وبالطريقة المعملية التى جرت وتجري بها فى البيئات المعينة ببحثها .

وبعبارة أخرى إنى أبتغى جولة سريعة فى نواح متعددة من موضوع البحوث الروحية الحديثة بقصد التعريف العام بها ، فإن نجحت فى إقناع

التقاربه بحدوى هذا النوع من المعرفة ، وبصحته ، فقد أدبت واجبي والحمد لله ، وإلا فمليه هو أن يوالى البحث والاطلاع فى المراجع المختلفة على النحو الذى يروقه ، إن كان يحد فى نفسه نزوعاً إلى مزيد من المعرفة فيه .

نبوب

هذا وقد رأيت أن أوزع موضوعات هذا المؤلف — بجزئيه — على تسعة أبواب متتابعة على النحو الآتى :

- الباب الأول : عجالة عن الروح عند الأقدمين .
- الباب الثانى : فى نشأة العلم الروحى الحديث .
- الباب الثالث : فى بعض الأسماء والمراجع فيه .
- الباب الرابع : فى بعض البيانات والوقائع .
- الباب الخامس : فى موقع عالم الروح .
- الباب السادس : فى ظروف الحياة فيه .
- الباب السابع : فى الثواب والعقاب .
- الباب الثامن : فى بعض المشكلات الفلسفية الأخرى التى يعالجها هذا العلم .
- الباب التاسع : فى الروح بين العلم والاعتقاد .

وبحيث يكون تناول موضوعات الأبواب الأربعة الأولى فى الجزء الأول ، وموضوعات الأبواب الخمسة الأخيرة فى الجزء الثانى منه .

الباب الأول

عجالة عن الروح عند الأقدمين

نمريه

الإيمان بالروح قديم قدم الإنسان ، بما في ذلك الاعتقاد بخلودها وبالثواب وبالعقاب . وكلما تتبع الباحثون تاريخ المجتمعات البشرية وجدوا الإيمان واضحاً بهذا الخلود ، بل وجدوا علامات كثيرة من التشابه في وصف الحياة الآخرة وربطها بالحياة الدنيا . ومن الاعتقاد بأن هذه الحياة الآخرة فيها كل مظاهر الحياة الدنيا مع تفاوت كبير في ظروف السعادة أو الشقاء .

فذلك هو ما التقت عنده معتقدات الأقدمين وأساطيرهم وأشعارهم في شتى الحضارات المندثرة . وعند من يعرفون كيف أن الإلهام قد يوجه الحياة في كافة مستوياتها ، وكيف أن عقول العباقرة والفلاسفة والشعراء كثيراً ما تكون هي « أجمزة الاستقبال » لهذا الإلهام السكوني العام يبدو مفهوماً أمر تشابه المعتقدات المختلفة عند شتى شعوب الأرض في شأن طبيعة الحياة الأخرى ، لا في شأن التسليم بها بحسب .

وفي هذا الشأن يقرر الدكتور حسن عثمان الأستاذ بجامعة القاهرة في ترجمته العربية لكوميديا الشاعر دانتي الإيجيري عن « الجحيم » ، « لم يكن دانتي بطبيعة الحال أول من تناول في « الكوميديا » عالم ما بعد الحياة ولقد تناولت ثقافة البشر هذه الناحية منذ أقدم العصور ، من سيبيريا إلى الهند وبابل ومصر وسوريا وفارس واليونان وروما واسكندناوة وأيرلندا والأندلس .

نجد مثلاً المصريين القدماء قد عرفوا في ديانتهم الجحيم المظلم بما يحتويه من ألوان العذاب ، وتصوروا الفردوس بما فيه من أنواع النعيم والسعادة الأبدية . وعندهم أوزيريس يزن أعمال الناس ويدفع بهم إلى الجزاء العادل .

وفي ديانة البابليين تهبط عشتروت إلى الجحيم حيث عذاب الزمهرير والجوع والعطش والبرص لتبعث تآموز إلى الحياة .
وعند اليهود أرض الظلام التي تقع تحت الأرض وتلقى الأخيار والأشرار على السواء .

وفي ديانة الفرس جحيم ومظلم وفردوس ، والإنسان ميدان معركة بين أهورا ما زدا إله الخير وأهريمان ملك الظلمات والعالم السفلي .

وفي ديانة الهند يهبط يودهيشثيرا إلى الجحيم حيث رائحة الإثم والجثث والديدان والهوام والطيور والكواسر وأمواج الاله ويصعد البطل أرجنا إلى السماء مأوى المؤمنين حيث الأزهار الجميلة والغواقي تحت الأشجار الخضراء والأنعام السماوية ويصل البطل محاطاً بالملائكة وصفوة البراهمة إلى حضرة رب الأرباب .

ويذكر هوميروس في الإلياذة عالم الموتى والآبالسة وأنهار الجحيم وأبواب السماء ونعيم الفردوس . ويتكلم في الأوديسية عن زيارة أوليسيس للعالم السفلي وحديثه مع أشباح الموتى .

وتحتوى ثقافة الأوترسكيين على عالم ما بعد الحياة وما يشمله من الشياطين والرعب والفرع . وبعض رسوم مقابرهم تعتبر كقدمات الجحيم دانتى ، (١) .

وهكذا يصدق على إيمان مواكب الشعوب بالروح وبالخلود ، ما لاحظته أحد الحكماء من أنه « مما كتبه قدماء الفلاسفة من جميع الأجناس ، وما أنشده فطاحل شعراء جميع الشعوب وما جاء به حكماء جميع الأمم نستطيع أن نجتمع آثار هذا الإشرار الذي جاء الإنسان وهو تفتح الوعي الروحي .

لقد تحدث عنه هذا بطريقة ، وذلك بأخرى ، ولكن الجميع رددوا نفس القصة — قصة واحدة لا تختلف . كل الذين أشرق عليهم هذا النور ولو

(١) الكوميديا الإلهية « الجحيم » راجع بوجه خاص ص ٥٥ — ٦١ .

خافتاً باهتاً ضعيف الضياء يرون نفس المعالم . وقرب الشبه بين ما تصنعه
الأنشودة والشعر والتعاليم مهما بعد العصر واتسعت الحقبة بينها . إنها
أنشودة الروح التي إذا سمعت مرة لا تنسى ، سواء أنشدتها المتوحش على
صوت آله البدائية ، أو عزفها المتحضر على أوتار الآلة العصرية المتقنة .
إنها هي التي انحدرت من مصر الفراعنة ، أو من الهند ، أو من أثينا
وروما ، من القديس المسيحى فى الكنيسة والدير ، من الفيلسوف الصينى
ومن قصص الهنـدى الأحمر وهو يروى أسطورة النـبى البطـل ، إنها واحدة
النبرات متشابهة النغم . ولكن صوتها يزداد ارتفاعاً كلما مر الزمان بانضمام
المنشدين الجدد ، كل بما فى يده من قيثارة أو غيرها من آلات النغم إلى
الفرقة العظمى ، (١) .

والاعتقاد بإمكان الاتصال بين الأحياء والأموات ، ليس بدوره أمراً
جديداً على الفكر الإنسانى ، بل إنه يمثل عقيدة كانت معروفة وشائعة
فى مجتمعات كثيرة ، ثم اندثرت فى أمريكا وأوروبا تحت تأثير ذبوع الآراء
المادية ، إلى أن بعثت من جديد فى منتصف القرن الماضى تحت تأثير
طرق منزل «ويكمان» فى قرية هيدسفيل بالولايات المتحدة الأمريكية .
فيروى المؤرخ «فسك» مثلاً أن الاتصال بأرواح الموتى كان من أول
العبادات التى عرفها أجدادنا على اختلاف أجناسهم التى عاشت فى إفريقيا
وآسيا والصين واليابان وفى الشعب الآرى الأوروبى وفى قبائل الهنود
الأمريكيين . كما يروى «آلين» أيضاً فى «تاريخ المدنية» أن القبائل المتوحشة
فى كل العالم ذات إلمام بالنفس الإنسانية وعالم الروح والخلود بوجه عام . .
وأن الوفاة ما هى إلا خلاص الجسم عن طريق هذه النفس العجيبة التى يعتقدون
أنها تظل فى مكان ما قريب ، وأن الحب والكره فى هذا العالم ينتقلان إلى
العالم الآخر

(١) «فلسفة اليوجا» تأليف يوجى راما شاراك ، ترجمة الأستاذ عزيزان يوسف سعدى ١١١ .
(م ٤ — الإنسان روح)

ويضيق المقام هنا عن تتبع هذه العقيدة في البلاد المختلفة عند الأقدمين ، بل يكفي في مؤلف خصصناه « للعلم الروحي الحديث » ، أن ننبه الأذهان — في بحالة — إلى أن هذا الموضوع قديم ، وكل ما فعله العلم الحديث هو أنه رضى أخيراً أن يتواضع قليلاً ويبحثه بالأساليب العلمية الحديثة ، فكانت المفاجأة الكبرى أنه جاز الامتحان بنجاح في الوقت الذي كان قد استقر في أذهان الباحثين أنفسهم أنه محض خرافة اندثرت مع تقدم العرفان إلى غير رجعة . فاضطر الباحثون العلميون إلى أن يراجعوا آراءهم المادية ويعيدوا صياغتها من جديد ، فإذا بها بعد هذه الصياغة الجديدة أثبتت قدماً وأقوى على النقد وعلى مواجهة كشوف العلم المادى نفسها ، التي أخذت تنرى في تدفق مثير منذ عرفت الحقائق الروحية سيلها إلى الأذهان ، وفي تضامن تام مع التسليم بصحة هذه الحقائق

وذلك إلى المدى الذي يدفع بعض الباحثين الروحيين إلى الاعتقاد بأن عالم الروح كان وراء هذه النهضة الروحية العلمية الباهرة ، كما كان من قبل وراء كل نهضة روحية عرفها الإنسان ، فعالم الروح قديم قدم الحياة ، وعالم المادة ظل باهت له ، وأولهما خالد لا يفنى وثانيهما عرضة للفناء ، ويمكن الآن اعتبار أثير الفضاء — كما يقول جيمس آرثر فندلاى مدير المعهد الدولى للبحث الروحي بلندن — هو حلقة الاتصال الكبرى التي توحد ما بين عالم المادة وعالم الروح ، لأن مادة الأثير مشتركة بين العالمين . وكلاهما محصور داخل هذه المادة ، وكلاهما جزء منها ، وكلاهما مكون منها . والعالمان جزء من كون واحد ، والحياة في كليهما مقيدة به . فهنا في العالم المادى الذى نعيش فيه إنما نحس فقط بنوع من الاهتزازات المنخفضة الدرجة ، أما في عالم الروح حيث تؤدي الحياة وظائفها أيضاً فإن الوعى يتأثر بنوع من اهتزازات أعلى درجة . وكلما أروغلنا في البحث سنزداد اقتناعاً بهذه الآراء ، لأنه من أحاديثي مع أولئك الذين يحبون تلك الحياة ، سنعلم أن عالم الروح حقيقى ملموس جميل كهذا العالم المادى الذى تدركه حواسنا المحدودة ، بل إنه في الواقع

أكثر منه في هذا الصدد،^(١).

فالعلاقات بين العالمين قديمة قدم الحياة وهي أقوى مما نتصور ، أقول بكل ما في وسعي من قوة — يقول الأستاذ إدوارد راندال Edward C. Randall — المحامي الأمريكي والباحث الروحي إن الحياة كلها مستمرة وأنه لا شيء ضائع البتة ، وإن التواصل يمكن بل إنه قد تم فعلاً بطرق كثيرة مع أولئك الذين في الحياة الأخرى . وقد كان همي أن أوجد الحالة التي تستطيع بها الأرواح أن تغلف أعضائها التنفسية بمادة فيزيقية فتستطيع أن تكلمنا ونحن في حياتنا الأرضية . وقد كان من حسن حظي أني سمعت صواتها مئات المرات ، فكان ذلك خير طرق التواصل كلها . . وقد أمكن الحصول من هذا المصدر على معارف عظيمة وحقائق خابت عن العلماء ...

وفيما يلي سنمر مروراً سريعاً على موضوع الروح من ناحية الاعتقاد في خلودها في عصور مختلفة من التاريخ وفي آداب مختلف الحضارات وفلسفاتها، متوخين أن نقدم هذه العجالة بترتيب تاريخي على النحو الآتي :

- الفصل الأول : الروح عند الفراعنة .
- الفصل الثاني : الروح عند الهندوس .
- الفصل الثالث : الروح عند الإغريق والرومان .
- الفصل الرابع : الروح عند فلاسفة المسيحية .
- الفصل الخامس : الروح عند فلاسفة الإسلام .
- الفصل السادس : الروح في عصور أحدث مما تقدم .

(١) « على حافة العالم الأثيري » طبعة ثالثة من ١٩٤٤ .

الفصل الأول

الروح عند الفراعنة

إذا كان الأمر كما تقدم في شأن عمق الصلة بين العالمين المادى والروحي فلا غرابة أن نجد أن الفراعنة منذ القدم يعرفون الكثير عن الروح في بعثها ونشورها وثوابها وعقابها وحياتها . ويصورونها على جدران قبورهم ومعابدهم تحيا هناك حياة مادية أشبه ما تكون بالحياة الأرضية النقية في الحدائق والمروج المدعرة حقول « يارو » الدائمة الخضرة الوفيرة الخيرات يعمها السلام والأمن والطمأنينة وينال كل فرد منها نصيبه . كما أن هناك أرواحاً أخرى تعلو طبقات الجو حتى تبلغ الشمس وتعيش أزلية^(١).

وكانوا يؤمنون بأن الروح عندما تغادر جسدها المادى تكتسى بجسد جديد أرق من الجسد المادى وأرق ولا يقبل الفناء وكانوا يطلقون عليه وصف « كا » ، وكل ذلك منذ أول عهدهم بحضارتهم العريقة التى ترجع إلى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد .

وإلمامهم الدقيق بحياة الروح يدفع بعض الباحثين في العلم الروحى الحديث إلى الاعتقاد بأنهم كانوا على صلة مستمرة بالأرواح عن طريق وسطاء الاستشفاف البصرى والسمعى وغيرهم ، وأنهم أخذوا أسباب حضارتهم العظيمة عن هؤلاء الوسطاء لاعن العلماء الأرضيين بالمعنى الذى نفهمه الآن لهذا اللفظ . ويقال إن الفراعنة كانوا يفضلون اختيار كهنتهم من بين هؤلاء الوسطاء ، وأن الاتصال بالأرواح كان يتم في المعابد عادة عن طريق هؤلاء الكهنة الوسطاء . وأن الكهانة كانت محصورة في أسر معينة ، لأن موهبة الوساطة الروحية تكثر عادة في أسر معينة ، وعرضة لأن يتلقاها الإنسان

(١) راجع « تاريخ مصر القديمة » لجيبس هنرى بويستد ترجمة الدكتور حسن كمال ص ٤٧ .

أحياناً عن طريق قوانين الوراثة الطبيعية شأن الملامح والصفات والكثير من المواهب الأخرى كالموسيقى والرسم والأدب .

وكان الفراعنة يؤمنون أيضاً بإمكان التنبؤ بالمستقبل بقيمة وحى « الآلهة » . ويذكر المؤرخون الإغريق في هذا الشأن وحى « آمون رع » ، الذى يرجع تاريخه إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد وكان يظهر فى شكل طيف يمثل الإله متحدثاً إلى الناس ، مستمعاً إلى أسئلتهم ومجيباً عنها . ويقال إن الإسكندر الأكبر عندما زار معبده قال له الطيف « سوف تملك جميع البلاد وتخضع لك جميع الأديان » .

كما يذكرون أيضاً وحى « عين شمس » ، الذى كان الناس يقدمون إليه لاستشارة كهنته . ويقول بعض المؤرخين الإغريق إن الامبراطور الرومانى تراجان رأى قبل أن يدخل حرب برشيا أن يستشير فبعث إليه وفداً لهذا الغرض فأجاب الكهنة إجابة صامته بأن أرسلوا إلى تراجان غصن كرم مكسوراً دون أى تعليق ، وقد خسر تراجان هذه الحرب وقتل فيها . . .

وفى الجملة لقد كانت الظواهر الوساطية معروفة عند الفراعنة ، وكانت الصلات بين عالمى الروح والمادة مسلماً بها عندهم كحقيقة أولية لعبت دوراً واضحاً فى توجيه أسلوب حياتهم هذه الوجهة الدينية البارزة فى كل ما خلفوه من شتى مظاهر حضارتهم العظمى ، وفى كل ما حصلوا عليه من علم ومن عرفان . فلم يكن الإيمان بعالم الغيب عندهم مجرد عقيدة دينية بقدر ما كان جزءاً لا يتجزأ من أسلوب حياتهم اليومية التى يعتقد عدد من العلماء والباحثين أنها كانت سبيلهم للوصول إلى جل علومهم ومعارفهم ، التى لا تزال تحير الالباب وتثير أسئلة عديدة دون أن تظهر حتى الآن بأى جواب حاسم . ومن قبيل ذلك اهتمامهم الشديد بتحنيط أجداث موتاهم ، فقد كان ذلك صدى لإيمانهم الثابت فى الخلود ، ولكنهم كانوا لا يفهمون مصدر الأجساد التى تلازم الروح فى رحلتها الأبدية ، لأنهم كانوا فيما يبدو لا يعلمون بعد شيئاً يذكر عن الأثير وعن تأثير العقل المباشر فى المادة ، وهما محور علم الروح فى طوره المعاصر .

وقد أشارت عدة كتب تلقاها بعض الوسطاء المعاصرين إلى كل ذلك.
ومنها مثلاً كتاب « أول فرعون ، الذي تلقتة من عالم الروح الوسيطة
الملهمة ديجار أوكونر Dagmar Oconnor ^(١) .

وكان الفراعنة يطلقون على أرواحهم الراقية وصف الآلهة ومن هنا
تعددت عندهم الآلهة ، وأخذوا يرمزون إليها برموز شتى - لأنها كانت
فيما يبدو تختار لنفسها أسماء رمزية مستعارة كما تفعل الأرواح الراقية في
عصرنا هذا ، مثل « هوايت هوك ، أى الصقر الأبيض أو « هويت إيجل ،
أى النسر الأبيض أو « سيلفر بيرش ، أى الشجرة الفضية ... ونحوها .

إلى حد أنهم - على حد ظني الخاص - كانوا يرسمون أرواحهم هذه
في صورة صقر أو نسر حقيقي على قبورهم ومعابدهم كناية عنها . ومع الزمن
اكتسبت الرسوم قيمة خاصة في أذهان الناس فقدسوها دون أن يفظنوا إلى
أنها مجرد أسماء رمزية مستعارة لأرواح راقية . . وكل شيء في الأديان
يكتسب مع الوقت قداسة خاصة ، فينسى الناس الجوهر ويتمسكون بالمظاهر
ويتبعدون عن الخالق لأنه بعيد عن حواسهم القاصرة ، ويتعاقون بما هو
قريب من حواسهم المادية وأفهامهم في صورة نبي أو ولي أو قديس ، أو حتى
في صورة رموز أو أشياء يصفون عليها القداسة ويعلقون عليها الأهمية
الكبرى في عباداتهم وطقوسهم . وظلت الحال على هذا المنوال ، إلى أن تنبه
أخنا تون إلى هذا الخلط بين رموز الأرواح الراقية وبين الإله الواحد خالق
هذا الكون فدعاهم إلى عقيدة التوحيد على ماتروييه كتب التاريخ .

وقد انتقلت نفس هذه الطريقة في التعبير عن الأرواح الراقية بالآلهة من
الفراعنة إلى اليهود ثم إلى الأغريق ثم إلى الرومان . . على ما سيلي فيما بعد .

(١) وهو كتاب رائع من التأليف التاريخية والقصصية مأخوذة إلى العربية صديقتنا الدكتورة
على راضى الأستاذ بكلية العلوم . وقد أوضحت هذه الآراء أيضاً قصة « الفرعون المنجى »
تأليف جون جرانت Joan Grant وقد نقلها إلى العربية الأستاذ إبراهيم العفيفي ، وفيها
حديث عن وسطاء الاستشفاف والتضاطر عند الفراعنة والمملات بين عالمي الروح والمادة عندهم .

الفصل الثانى

الروح عند الهندوس

فى آسيا يعلم الناس الكثير عن الروح وعن عالم الروح وعن إمكان الاتصال بين عالمى الروح والمادة . وتعتبر أقدم الديانات فى العالم أجمع الآن هى الديانة الفيدية ، وهى الشكل الفطرى الأول للدين الهندوسى المأخوذ عن كتب الإله «فيدا» Vedas ، الأربعة المكتوبة باللغة السنسكريتية والمنسوبة إلى رضى نزل من السماء على براهما .

وهذه الكتب هى ساما ورج وياجور وأثارفا . وتشرح الفيدات طبيعة براهما الإله الخالق الذى هو «أتما» أو النفس الخالدة فى الإنسان ، وتصور الكون كنسيج متطور من كيان الله ، كما تجعل امتزاج الفرد مع الله صورة لامتزاج النفس مع الروح .

والفيدتا تانخص الفيدات الأربعة وقد أعجبت كثيرأ من مفكرى الغرب وفلاسفته . وقد وصفها المؤرخ فكتور كوسان قائلاً : «إننا حينما نطالع يامعان فلسفة الشرق — وخصوصاً الهندية منها — فإننا نقف على كثير من الحقائق العويصة التى تذكرنا على أن ننحنى إجلالاً للفلسفة الشرقية ، ونرى فى هذا المهد للجنس البشرى موطنأ لأسمى ضروب الفلسفة...» كما يقول فيها شليجل : «إن أسمى فلسفة أوروبية وهى مثالية التفكير كما وضعها فلاسفة الإغريق تبدو — متى قورنت بالحياة والنشاط الزاخرين للفلسفة الشرقية المثالية — كبصيص ضوء ضئيل مقابل فيض كامل من ضوء الشمس...»

وهى مؤسسة على عقيدة خلود الروح والعودة إلى التجسد والإيمان بإله واحد . وبالسما الذى تصعد إليها الأرواح الصالحة فيتلقاها «ياما» الذى يرفعها إلى الجنة حيث تنعم بكل اللذائذ الأرضية التى تكون قد اكتملت

وأصبحت أبدية وقد وصف أحد هذه الكتب السماء الفيديّة بأنها المقام المقدس والمقر النهائي للآلهة الخالدة . وموطن الضوء الخالد الذي هو الأصل والقاعدة في كل ما هو كائن . وحيث تتحقق الرغبات بمجرد أن تنشأ . .

وهذا الوصف هو تقريباً ما تصف به الكتب الروحية الحديثة عالم الأثير ، مع أن كتب فيدا هذه تتجاوز في قدمها حتى تاريخ الفراعنة الأقدمين ، بما يحمل على الاعتقاد بأن وسطاء الهندوس قد تلقوها بدورهم عن طريق الإلهام من أرواح راقية تسكن عالم الأثير بحسب الوصف الحديث .

والديانة البرهمنية خاصة بالحقائق الصحيحة الكثيرة عن الروح في حياتها الأرضية والسمائية وبالنصائح الخلقية التي يؤدي اتباعها إلى خلاص الروح في حياتها معاً وإلى استحقاق النعيم في عالم الماسكوت . كما تؤمن بأن الروح الإنسانية نفحة إلهية ، وأن الموت يعطى الروح جسداً شفافاً نورانياً يلتقل إلى الملأ الأعلى ، وأن هذا الجسد وإن كان مادياً في مظهره إلا أنه من طبيعة غير ترائية ، بل أرق من أجسادنا الفانية . وفي علم الروح الحديث ما يتفق مع هذه المعاني أيضاً . وتؤمن المذاهب السائدة في البوذية بوجود جنات حول جبل ، ميرو ، الذي سفحه من الذهب المرصع بالأحجار الكريمة ومقسم إلى عدة طبقات في كل طبقة أهلها من الصالحين على حسب درجاتهم وفوقها جنات أخرى كثيرة حتى تنتهي إلى جنة علوية في السماء يحيا فيها الأبرار في سعادة مطلقة .

ويعتبر مذهب اليوجا الهندي بوجه خاص من المذاهب الشرقية الهامة في الفهم العميق للروح إلى حد أنه يثير دائماً اهتمام الباحثين الروحيين في الغرب والشرق عند معالجة موضوع الأرواح^(١) .

والإيمان بالروح وبالخلود يبلغ ذروته عند اتباع هذا المذهب بوجه

(١) راجع فيه « فلسفة اليوجا » التي ترجمه إلى العربية الأستاذ عريان يوسف سعد .

خاص، بما يستتبعه الإيمان من وجوب اتباع أنظمة صارمة من الزهد والتشف و ضبط النفس للوصول إلى المواهب الروحية القوية ، حتى أن جبايرة الروح في الهند ممن يحققون الخوارق الواسطية التي تحير ألباب علماء الغرب يكثرون عادة عند اتباع هذا المذهب ، الذين لا يصرفهم شيء من أعراض الدنيا الزائلة عن مشاغلهم الروحية .

ويروى المؤرخون أن الإسكندر الأكبر عندما ذهب إلى الهند فاتحاً أراد عند ما وصل إلى تاكسلا بشمال الهند أن يرى دندامس المعلم اليوجي الهندي العظيم فبعث إليه أونيسكريتوس أحد طلبة مدرسة ديوجينيس الإغريقية ليأتيه به .

وقال أونيسكريتوس بعد أن عثر على دندامس في مخبئه في إحدى الغابات « تحية وسلاماً أي معلم البراهمة ! إن الإسكندر ابن الإله العظيم زفس ومسيد الخلق أجمعين يطلب منك أن تذهب إليه ، فإن فعلت أجزل لك العطاء ، ولكن الويل لك إن أبيت فسوف تدفع رأسك ثمناً لهذا الإباء » .

وتلقى الحكيم اليوجي هذه الدعوة الإلزامية برباطة جأش ورد عليها رداً طويلاً ساخراً نقتطف منه ما يلي « إن الإسكندر ليس إلهاً ، إذ هو لا بد ذائق الموت . وكيف يكون مثله سيداً للكون في حين أنه لم يتربع بعد على عرش السلطان الداخلي ، ولم يدخل للآن حياً إلى الهاوية ولا يعلم سير الشمس في أقطار الأرض الوسطى ، ولم تسمع الدول المتاخمة ولو قدراً يسيراً عن اسمه ؟ ... »

ثم استطرد الحكيم الهندوسي قائلا وإذا أطاح الإسكندر برأسى فلن يقوى على تحطيم نفسه . ورأسى الذي يصمت سوف يبقى ويخلف الجسد كراء ممزق على الأرض التي جبل منها . وكروح أصدع حينئذ إلى الله الذي سوانا جسداً ، ووضعنا على هذه الأرض لكي تثبت له في وجودنا عليها ما إذا كنا نحيا في طاعته . والذي يتطلب منا حينما نقف أمامه أن نقدم

حساباً عن أعمالنا . إذ أنه ديان جميع المعاصي كما أن أنات المظلوم ستصبح عقاباً للظالم .

دع الإسكندر يهرب بهذا الوعيد أولئك الذين يطمعون في الثراء أو يحشون الموت . اللذين هما سلاحان مفلولان بالنسبة لى . فالبرهميون لا يتعشقون الذهب ولا يرهبون الردى . اذهب وقل للإسكندر : إن دندامس ليس بحاجة إلى شيء مما لك ، وبالتالي يرفض أن يحىء إليك . أما إذا كنت في حاجة إلى دندامس فتعال أنت إليه .

وتلقى الإسكندر بانتباه عميق جواب اليوجى على لسان أونيسكريتوس وأحس برغبة متزايدة في رؤية دندامس الذى كان رغم عريه وتقدمه فى السن الخصم الوحيد الذى وجد فيه مدوخ الأمصا نداءً حقيقياً له^(١) ، وهو فى الواقع الروحى أكثر من ند بكثير .

• • •

وديانة كوفنشيوس (القرن السادس قبل الميلاد) الشائعة فى الصين واليابان تعرف أيضاً الكثير عن حقائق الروح والخلود والصلوات بين العالمين مع الاعتقاد بأن أرواح آبائنا وأجدادنا توجه تصرفاتنا بما يضييق المقام عن التعرض له هنا^(٢) .

(١) « فلسفة الهند فى سيرة يوجى » لصكيم برمهنا يوجا نندا ترجمة الأستاذ زكى عوض الهامى ص ٤١٢ - ٤١١ .

(٢) راجع كتاب بوتيه عن الصين ص ١٣٦ وما بعدها . وفيه يقول أبان كوفنشيوس كان يعتقد بأن للروح غلاماً جسدياً يخالف الجسد المادى ولا يقبل القناء ، كما كان يقول بأن الأرواح تحيط بنا من كل جانب وأن لها قدرة على اتخاذ مظهر جسدى .

الفصل الثالث

الروح عند الإغريق والرومان

إذا انتقلنا إلى الإغريق وجدناهم في أزهى أيام نهضتهم الفلسفية العظيمة يكثرون من الحديث عن الأرواح ويصفونها بالآلهة . ومن هنا كثرت أساطيرهم عن آلهة الحكمة ، وآلهة الجمال ، وآلهة الحب والصيد والخمر والحرب ...

وتحدث أكبر فلاسفتهم وشعرائهم ومؤرخيهم عن الأرواح كحقيقة واقعة لا تثير شبهة . ومنهم بوجه خاص سقراط وأرسطو طاليس وأفلاطون وسوفوكليس وهوميروس ويوريديس وفرجيل وبلوتارك وهيرودوت وبطليموس وهوراس ويوسفوس وما كزيموس أوف تير وتاليس (١) ... وغيرهم .

وكانت نحلنا الأورفية والفيثاغورية تؤمنان بخلود النفس وتعتقدان أنها جوهر إلهي نزل وسكن في الجسد ، أو بالأدق سجين فيه ، ولا بد أن تقضى النفس مدة العقوبة قبل أن تغادر الجسد (٢) ، ويكاد يكون هذا بعينه مذهب العودة للتجسد Reincarnation السائد عند غالبية الروحيين .

وكان سقراط يؤمن بخلود النفس وعندما حكم عليه بالموت صرح لاثين من أتباعه هما سيمياس Simias وسيبس Cébés قائلاً : نعم إنى أعترف أنه لو لا اعتقادي أنى سوف أذهب أولاً صوب آلهة أخرى حليلة ورجيمة ، ثم بعد ذلك نحو رجال ماتوا هم أفضل من رجال هذه الحياة الدنيا لمكان

(١) كان تاليس يقول إن العالم مملوء بالأرواح والشياطين وأنهم يجولون بين أيدينا ومن خلفنا وأنهم يرونا رغم أننا لا نراهم . وتاليس هذا من فلاسفة القرن السابع قبل الميلاد .

(٢) راجع عن التعلل الأورفية كتاب « عالم الفلسفة » للدكتور أحمد زواد الأهواني

من الخطأ الفاحش ألا تنور نفسى ضد الموت . . . وهذه الواقعة رواها أفلاطون عن سقراط في محاوره فيدون Phédon.

كما يروى أفلاطون عن سقراط أن أستاذه كان يعتقد أن الفيلسوف الحق هو الذى لا يشغله عن التفكير فى الموت شاغل ، إذ أن الموت هو وسيلة تحرير الفكر ، وأن النفس لن تستطيع أن تدرك شيئاً على حقيقته إلا إذا قطعت كل صلة تصلها بالجسد ، إذ هو عائقها عن المعرفة الحقة ، وهو عاجز عن تفهم معانى العدل والخير والجمال ، إذ طالما بقيت لنا أجسادنا ، وظلت نفوسنا مختلطة بشديد اختلاط بذلك الشيء الردىء ، فإننا لن ندرك موضوع رغبتنا إدراكاً كافياً ، وإن هذا الموضوع لهو الحقيقة . . . (١).

ولذا كان سقراط يؤمن أن الفيلسوف الحق هو الذى ينبغي أن يطلب الموت ، ويعتقد العامة أن اتصال النفس بالجسد حياة وانفصالها عنه موت ، ولذا يخافون الموت مع أن حياتهم فى حقيقتها موت وموت الفلاسفة فى حقيقته حياة ، لأن الإنسان العاقل يتعلق بمطالب الجسد ويفضل مطالب النفس وهما العلم وطلب المعرفة ، فهو ذو نفس مينة ولو كان على قيد الحياة ، أما الفيلسوف فيعد نفسه للحياة عن طريق الموت ، وذلك بأن يعمل على استقلال النفس عن البدن ومطالبه بالزهد فيها وبالبحث عن المعرفة لا عن طريق الحواس الخداعة ، بل عن طريق العقل والفكر ، وبالبحث عن الوجود الحقيقى فى الحق والخير والجمال والشكل والصحة .

كما كان سقراط كثيراً ما يبرهن على خلود النفس بعد الموت وعندما صدر الحكم الظالم بإعدامه قال : « إنى لمغتبط بهذا الموت كل الاغتباط لأن الإله (يقصد روحه المرشدة التى كان يصفها بهذا الوصف على طريقة الإغريق) لم يعطينى إشارة سيئة عندما برحت دارى ولا عندما اعتليت هذه المنصة كما أتولى الدفاع عن قضيتى . ومن عادة الإله أن يعطينى هذه الإشارة السيئة

كلما هددنى شرما ، وأخذ قرب احتضاره يبين لاتباعه كيف أن الأشياء عوداً على بدء ، فالحياة يتبعها الموت والموت تتبعه الحياة .

وكان سقراط يعتقد أيضاً أن لكل روح روحاً تحفظها وتلمها ما قد ينفعها في دنياها ، وعليه فن الجائز أن يقوم الأحياء بمخاطبة الأرواح أثناء وجودهم في هذا العالم . كما كان يؤكد أن روحاً كانت تخاطبه وترشده في أمور دنياه منذ كان طفلاً صغيراً وكان يسمع صوتها ويأتمر بأمرها حتى بعد أن أصبح رجلاً كبيراً^(١) . وكان سقراط يعتقد أيضاً بأن إلهاً خيراً يعين الناس عندما يكونون في شك من أمر مستقبلهم ، لذا كان ينصح أصدقائه باستشارة الوحي ولا سيما وحي « دلفي » ، عندما كان معبدها مع معبد دودونا ، من أهم مرا كز النبو عند الإغريق بفضل تفوهات الغيوبه التي كانت تصدر عن كاهنات المعبد^(٢) .

وتولى أفلاطون بعد سقراط إضافة الأدلة الفلسفية الكثيرة على خلود النفس ، مثل برهان الحياة والحركة ، وبرهان الضدين ، وبرهان التذكر ، والبساطة والتركيب ، والبرهان الخلقى ، بما يضيق المقام عن ذكره . ويكفى مثلاً أنه في برهان الضدين يقول « إن صلة الحياة بالموت لشديدة الشبه بتلك العلاقة التي توجد بين اليقظة والنوم فكما أن المرء ينتقل من اليقظة إلى النوم ومن النوم إلى اليقظة كذلك ينتقل من الحياة إلى الموت ومن الموت إلى الحياة . والانتقال من أحد الضدين إلى الآخر أمر لا مفر منه ، إذ لو كان الانتقال في اتجاه واحد فقط لاختل التوازن في الطبيعة .

ويترتب على ذلك أنه من الواجب أن تظل نفوس الموتي حية في مكان خاص حتى تكون منبعاً ومبدأ لكل حياة جديدة . ولو لم يكن هناك انتقال

(١) راجع كتاب بونفير « الروح ومظاهرها خلال التاريخ » .

(٢) راجع كتاب « التنبؤ بالغيب قديماً وحديثاً » الأستاذ أحمد الشنتاوى ص ١٨ - ٢٢ .

من الموت إلى الحياة لا تهى كل ما فى الوجود إلى العدم . كما هى الحال تماماً لو استقر المرء فى نومه إلى ما لا نهاية ،^(١)

ومحاورة فيدون - وهى من أمتع ما كتب أفلاطون - تمثل لياة إعدام سقراط ومحورها خلود النفس . ويشير إليها أفلاطون فى الخطاب السابع ، فإذا كانت النفس إلهية خالدة فليس لها أصل نشأت عنه ولا تخضع للفساد . وإذا كانت النفس إلهية فعليها أن تتعلق بها وحدها لأن الفلسفة هى التشبه بالإله بقدر الطاقة الإنسانية . ولكن الإنسان ليس نفساً فقط ، بل هو نفس وبدن ، ولكل منهما مطالب ، ولذلك لن يكون الإنسان ما دام على قيد الحياة ومنصلاً بالبدن حكيماً بل محباً للحكمة أى فيلسوفاً فقط ، وإذا انفصل عن البدن عند الموت بلغت النفس الحكمة . فالموت للرجل الصالح مطية لحياة أفضل لأنها حياة النفس ،^(٢) .

وكان أفلاطون يعتقد أيضاً أن الموت هو الوسيلة التى بها يتيسر للفيلسوف أن يفكر جيداً ، وذلك لأن حياة الفيلسوف عند أفلاطون هى حياة متجهة دائماً إلى تأمل الصور أو المثل ؛ ولا يتيسر تأمل الصور تأملاً حقيقياً ما دامت النفس سجيئة فى البدن ، فلا بد من الخلاص من البدن - أى لابد من الموت - حتى يكون فى مقدور المرء أن يتأمل الصور دون أن يشوه عليه هذا التأمل مشوه . فكان الموت فى نظر أفلاطون إذاً جسراً ومعبراً ينتقل بنامن حياة النفس فى البدن إلى عالم الصور ، هو ابتداء أولى من أن يكون نهاية ، لأنه ابتداء للحياة الروحية الحقيقية ، حياة النفس ، حياة تأمل للصور ، هو على وجه العموم باب يفتح على الأبدية ... ،^(٣) .

كما كان أرسطو يتحدث عن العقل فيرى فيه شيئاً خالداً مستقلاً عن

(١) الدكتور محمود قاسم « فى النفس والعقل عند لفلاسفة الإغريق والإسلام » طبعة ٣ ص ٥٤ .

(٢) عن كتاب « أفلاطون » للدكتور أحمد نؤاد الأهوانى ص ٩٢ .

(٣) من « الموت والمبغرة » للدكتور عبد الرحمن بدوى طبعة ١٩٦٢ ص ١٥ ، ١٦ .

الجسد وكان يعتقد بالتالى بوجود عالم عقلى مغاير لعالم الحس والمادة
« ولا يستطيع المرء القول بأن هذا العقل يفكر تارة ولا يفكر تارة أخرى.
فتى فارق الجسد فإنه يصير على غير ما كان عليه ... وهو وحده الذى
لا يموت وهر الخالد ... فى حين أن العقل المنفعل قابل للفساد »^(١).

وهذا رأى يوافق ما يقول به علم الروح الحديث من أنه وإن كانت
الذاكرة تبقى بعد الموت ، إلا أنها لا تبقى فى كل جوانبها بل يلحقها نوع
من التغير يمس جوانبها السطحية ولا يمس الذكريات العميقة الدفينة فيها.
أو بعبارة أخرى أن الذاكرة تبقى على حالها بقدر اتصالها ببقاء الشخصية
بعد الموت ولا تبقى بقدر بعدها عن هذه الشخصية . لذلك كانت أحسن
البيانات على ثبوت بقاء الشخصية هو ما يحىء عرضاً ، أما امتحان الروح فى
ذكرياتها الأرضية فقد ينجح أولاً ينجح بحسب قوة هذه الذكريات ومدى
عمق ما تركته من أثر فى العقل الباطن . وفى هذا الموضوع بحوث كثيرة
فى ضوء علم الروح الحديث أضاءت بعض جوانب ما قد يتبقى من الذاكرة
بعد الموت وما قد يندثر منها بسبب عملية انسلاخ الجسد الأثيرى — وهو
موطن العقل والذاكرة — عن الجسد المادى .

وقد تحدث فى هذا الشأن أيضاً إسكندر الأفروديسى وهو من شراح
أرسطو فذهب إلى أن العقل الفعال « ليس من أجزاء النفس ولا من
وظائفها ، بل هو الإله الذى يتمثل فى نفوس البشر ، ويحل محلهم فى تفهم
معانى الأمور وصنع المعقولات .. وهو غير قابل للفساد ، بل هو كائن إلهى
خالد ، بل هو الذى يخلق العقل المادى بصفة خاصة .

وفعل مثله تمستويس Themistuis وهو أيضاً من شراح أرسطو الذى
كان ينسك أن أرسطو كان يرى أن العقل الفعال هو الله الذى يفكر

في نفوس البشر ، لأن هذا العقل جزء منا ، أو هو حقيقتنا بعبارة أصح . كما كان يرى أن العقل المادى بدوره غير قابل للفساد ، وينسب إلى أرسطو أنه يتحدث لحسب عن فناء العقل المشترك الذى يكون به الإنسان مكوناً من نفس وجسد ، والذى هو محل الانفعالات كالغضب والشهوة^(١) .

وهذا الفهم الإغريق العميق لخلود الروح ، ولقيمة المعرفة في سعادتها ، ولتمييز بين موت الجاهل وموت العالم ، ولوجود عالم عقلى مغاير لعالم المادة ، وصل إليه أحسن فلاسفة الإغريق بالفطرة السليمة وحدها ، أو بالأدق بالإلهام الراقى وحده . ولم يفعل علم الروح الحديث أكثر من إثباته بأدلة تجريبيية على ما سبلى في عدة مواضع وبخاصة في الموضع الذى خصصناه للكلام في وصف عالم الروح وفي الثواب والعقاب .

وكان الرومان يعرفون الروح أيضاً ويتحدثون عنها لكن بطريقة لاتعد شيئاً إلى جانب طريقة الإغريق ، لأن حضارة الرومان كانت محض حرب واستعباد للشعوب . فسرعان ما تقوضت أركانها غير مخلفة وراءها سوى المآسى والدماء ، حين خلفت حضارة الإغريق تراثاً روحياً فلسفياً لا يزال العالم يستضيء بهديه حتى الآن ، ولا يزال يهر أبصار الفلاسفة والمفكرين رغم قدم العهد به .

ومع ذلك فما هو مثلاً شيشرون Ciceron خطيب الرومان ومشرعهم المعروف يقول في خطبة له : أليست غالبية السموات كلها مملوءة بالبشر ؟ هؤلاء الآلهة أنفسهم نشأوا هنا في الأسافل ثم صعدوا إلى السماء !

الفصل الرابع

الروح عند فلاسفة المسيحية

من يراجع سيرة مؤسس المسيحية يجد أنه كان روحياً في حياته مثلما كان في تعاليمه الصارمة التي عاش فيها بكل خليجات نفسه ، ولا نريد هنا أن نعطي أى التفات لمن يرون في المسيح أسطورة من نسج الخيال ، فلو لم يظهر يسوع حقاً لكان واضعو الأناجيل — كما يقول جان جاك روسو — عظماء مثله ، . وقد استرعى نقاء حياته أنظار الفلاسفة الذين عنوا بالتأمل فيها مثلما استرعاها عمق تعاليمه ، ومنهم أمثال بلزاك وريتان وأندريه موريالك في فرنسا وجوزيبي بايني في إيطاليا وإميل لودفيج في ألمانيا وغيرهم .

فلم يكن المسيح معلماً فحسب ، بل كان مثلاً حياً لتعاليم حية تطالب الإنسان كقاعدة ذهبية أن يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به . « فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم بهم أيضاً ، لأن هذا هو الناموس والأنبياء » (متى ١٢ : ٧) .

وكان المسيح هو « النموذج » لتعاليمه كما قال باراسيلز Paracelse . فكان يمثل نقاء الروح في إشراقها بالمحبة وبالوداعة ، وعامل الناس بأفضل مما عاملوه به . وربما لذلك لم يدركوا قدره فعاش غريباً عن العالم . بل خسر العالم كيما يربح نفسه أمام اكتمال الناموس « إذ ماذا ينتفع الإنسان — كما قال — لو ربح العالم كله وخسر نفسه ، أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه ؟ » (متى ١٦ : ٢٦ ولوقا ٩ : ٢٥) .

وكانت تعاليمه في تعريف الناس بإله المحبة ، وبإخلاص عن طريقها ، من البساطة ومن البعد عن الطقوس إلى المدى الذي يحمل الفلاسفة على الشك (م . — الإنسان روح)

فما إذا كان المسيح قد قصد برسائله أن يؤسس ديناً ويحيط نفسه باتباع . بل الأقرب إلى فهمهم أنه أراد أن يعرف الإنسان بنفسه كما يبحث في دخيلتها أولاً عن إرثه السماوي . وقد بذل نفسه عن رسائله ، لأن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ، كما قال (متى ١٦ : ٢٥ ، ١٠ : ٢٩) . ولأنه كان يعلم جيداً — مثلاً حسب بولس الرسول من بعده — أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا ،^(١) .

« يسوع — كما يقول إميل لودفيج — إذا ما كان واقفاً على سفينة بدا كصخرة سائدة لأولئك الجالسين القرفصاء على الشاطئ أو المستلقين عليه ، فيحدثهم عن رسائله بالرموز والأمثال الطريفة المقتبسة من حياتهم اليومية النقية . والأمثال كان يراها خير وسيلة لتثقيف الجموع ، ولم يحجم عن تشخيص الرب بالصور القولية تقريباً لأذهان الجمهور مع أن تصوير الرب محرم على اليهود ، فيجعل من الرب ملكاً جالساً على عرشه مالكاً للكرم قارباً للضيف سيداً للعبيد .

هنالك يرى يسوع بعين بصيرته ما لكلامه من الأثر في قلوب البسطاء ، ويسوع يحجب عن أسئلة هؤلاء ويشفي من يأتون بهم من المرضى...»^(٢)

ثم يقول لودفيج « ويشعر جميع الذين يقتربون من يسوع بحبه لهم ، ويسوع لم يظهر ليبغض الناس بل ليحبهم ، وما كان يسعى إلى مقاتلة أحد ، وكل ما كان يعلمه أهل بحر الجليل الفقراء الهادئين فصدره قلبه ، وما كان علماء البلد يقابلون ما يلقيه في الأفتدة بغير الشك الذي هو وليد التعليم ويفيض فؤاد يسوع الذي هو معدن الحب رافة وحناناً ، ويقابل يسوع بالحببة أباه الرب الذي أنعم عليه بها والجميع أبناء للرب ، وأكثر

(١) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية : أصحاح ٨ عدد ١٨ .

(٢) « ابن الإنسان » ترجمة الأستاذ عادل زعيتر مطبعة ١٩٤٧ ص ٨٥ .

الناس معرفة بالآب الرب هم الخالصو النية السليمو السريرة الرحاء الأميون الذين يشابهون الأولاد في أفكارهم ، ومن يعتمد على كرم الرب ينل حمايته ويعش تحت رعايته . والرب يشرق شمسهُ على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين . فمن يعتقد هذا لا يلبث أن يملك ملكوت السموات على الأرض فيجد كنزاً في حقل هذا العالم.... (١) .

* * *

وفد خاطب السيد المسيح الأرواح الراقية وغير الراقية معاً . فخاطب من الأرواح الراقية موسى وإيليا عندما تجليا له وكان مع تلاميذه (لوقا ٩ : ٢٩ - ٣٦) . كما خاطب الأرواح الشريرة عندما كان يأمرها بأن تغادر المرضى والمجانين . بل خاطب إبليس فوق جبل التجربة عندما أراد أن يجربه فردّه كسيفاً مهزوماً (متى ٤ : ١ - ١١) .

وكان المسيح - ولا يزال - هو المعالج الروحي الأول . وحقق معجزات أخرى كثيرة غير العلاج الروحي ، لم يقل أبداً إنها خاصة به ، بل يقول الكتاب إنه « دعا تلاميذه الإثنى عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف » (متى ١٠ : ١ و مرقس ٦ : ٧) . كما خاطب تلاميذه قائلاً « الحق الحق أقول لكم من يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً ، ويعمل أعظم منها ، (يو ١٤ : ١٢) » .

وقد حقق تلاميذه معجزات كثيرة بدورهم ، كما نجمع رسل المسيحية في تحقيق مثلها . وكان من مفهوم القداسة عند الأقدمين القدرة على تحقيق « المعجزات » ، وعلى الاتصال بالعالم غير المنظور بوسيلة أو بأخرى بالإضافة إلى طهارة الروح .

فمن يتابع موقف عدد كبير من رجال الكنائس من الحركة الروحية

منذ بدء ظهورها يأخذه العجب من الموقف العدائى الذى وقفه بعضهم، والموقف السلبى الذى وقفه - ولا يزال يقفه - بعضهم الآخر، مما أثار مشاعر الروحيين وأطلق أسنتهم بالنقد لهذا الموقف الذى ذكرهم بمواقف مرة لبهض رجال الكنيسة من عدد من الكشوف العلمية فى القرون الوسطى. مثل موقف بعضهم من جاليليو عندما اكتشف كروية الأرض ودورانها حول نفسها وحول الشمس، ومن نيوتن عندما كشف قانون الجاذبية، لأنه كان يحاول خلع العنائة عن عرشها، !

وهذا تاريخ محزن من الصراع بين القديم والجديد يطول شرحه الآن ولا يتسع له المقام، خصوصاً بعد إذ انتهى أمر الصراع بين العلم والعقيدة بانتصار حرية البحث العلمى على وصاية العقيدة انتصاراً نهائياً وفى كل مكان..

وقد أعدت الجمعية الأهلوية المستقلة للروحانية بلوس أنجيلس بالولايات المتحدة الأمريكية قائمة طويلة بالمواضع التى وصفت الظواهر الروحانية بالكتاب المقدس. وتشمل هذه القائمة معجزات المسيح والتلاميذ، وظواهر التجسيدات، والكتابة التلقائية والمباشرة والأصوات المباشرة، والغيوبة الواسطية، والشفاء الروحى، وتحريك الأشياء، والمجلوبات الروحانية، والطرح بالجسد وبالروح، والرؤى الصادقة، وغير ذلك من الظواهر الواسطية مبينة بمواضعها فى المهدىين القديم والجديد كما يرجع إليها من يشاء للتأكد من مطابقتها لظواهر العلم الروحى الحديث فى جملتها وتفصيلها. وهذه القائمة تهدف إلى تبيان مشروعيتها واتفاقها مع ما هو مدون اتفاقاً ملفتاً للنظر.

كما عني ببحث الموضوع من الزاوية الدينية عدد من الباحثين الروحيين من أمثال الدكتور آرثر ج. ولز Arthur G. Wells مدير كلية العلم الروحى

الأمريكية ، في مؤلفه « الحياة الآن وإلى الأبد »^(١) . وممثل الأساقفة درايتون توماس Drayton Thomas وموريس إليوت Maurice Elliott وشارل تويديل Charles Tweedale وستانتون Stainton Moses ووزس Stainton Moses وغيرهم من رجال الدين الذين مارسوا عملياً بحث الظواهر الروحية فانتهوا إلى التسليم بمشروعيتها وبصحتها وأصبحوا من كبار الروحيين على ما سنبينه عندما نتكلم عن بعض « الأسماء والمراجع » .

وكان قدوتهم في الدفاع عن قيمة الظواهر الوساطية هو القديس بولس نفسه ، والمعتبر في المسيحية فيلسوفها الأول ، لما أعلن صحة المواهب الوساطية ومشروعيتها إعلاناً لا شبهة فيه في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس قائلا :

« فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد . وأنواع خدمة موجودة ولكن الرب واحد . وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد الذي يعمل الكل في الكل . ولكنه لكل واحد يعطى إظهار الروح للنفعة فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة . ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد . ولآخر إيمان بالروح الواحد . ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد . ولآخر عمل قوات (معجزات) . ولآخر نبوة . ولآخر تمييز الأرواح (جلاء بصرى) . ولآخر أنواع السنة . ولآخر ترجمة السنة . لكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء »^(٢) .

وفي الأصحاح الرابع عشر يقول أيضاً قولاً لا يحتاج لأى تعليق « اتبعوا المحبة ولكن جددوا للمواهب الروحية . وبالأولى أن تتنبأوا ،

Life Now And Forever.

(١)

راجع بوجه خاص الفصل الثاني منه .

(٢) الأصحاح الثاني عشر . راجع من عدد ١ إلى عدد ١١ .

لأن من يتكلم بلسان لا يكلم الناس بل الله لأن ليس أحد يسمع ، ولكنه بالروح يتكلم بأسرار . وأما من يتنبأ فيكلم الناس ببنيان ووعظ وتسلية .. فالآن أيها الإخوة إن جئت إليكم متكلماً باللسنة فإذا أنفعكم إن لم أكلهم إما باعلان أو بعلم أو بنبوة أو بتعليم ..؟ ثم يقول أيضاً :

« وأرواح الأنبياء خاضعة للأنبياء لأن الله ليس إله تشويش بل إله سلام ... إذاً أيها الأخوة جدوا للتنبؤ ولا تمنعوا التكلم باللسنة . وليكن كل شيء بلياقة وبحسب ترتيب^(١) » .

وفي الأصحاح الخامس عشر من نفس الرسالة يتحدث بولس عن الجسد الأثيري وقيامة الأموات قائلاً :

« ولكن إن كان المسيح يكرز به أنه قام من الأموات فكيف يقول قوم بينكم أنه ليس قيامة أموات . فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام . وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم . ونوجد نحن أيضاً شهود زور لله لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح ، وهو لم يقمه إن كان الموتي لا يقومون .

لكن يقول قائل كيف يقام الأموات وبأي جسم يأتون . يا غبي الذي تزرعه لا يحيا إن لم يمت . والذي تزرعه لست تزرع الجسم الذي سوف يصير ، بل حبة مجردة ربما من خنطة أو أحد البواق . ولكن الله يعطيها جسماً كما أراد . ولكل واحد من البذور جسمه .. وأجسام سماوية وأخرى أرضية ، امكن مجد السماويات شيء ومجد الأرضيات آخر .. »

ثم يقول بولس في وضوح يقطع السبيل على كل مكابر في شأن قيامة الإنسان حال رقاذه الأخير مباشرة : —

هكذا أيضاً قيامة الأموات . يزرع في فساد ويقام في عدم فساد . يزرع

(١) راجع الأصحاح كله لأنه غاص بالمواهب الواسطة .

فى هوان ويقام فى مجد . يزرع فى ضعف ويقام فى قوة . يزرع جسماً حيوانياً ويقام جسماً روحانياً . يوجد جسم حيوانى ويوجد جسم روحانى ، وكما لبسنا صورة الترابى سنلبس أيضاً صورة السماوى : هو ذا سر أقوله لكم : لا نرقد كلها ولسكننا كلها تتغير . . أين شوكتك يا موت ؟ أين غلبتك يا هاوية ؟ أما شوكة الموت فهى الخطيئة وقوة الخطيئة هى الناموس . . (١) ،

وفى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس يقول بولس فى الأصحاح الرابع : لذلك لا نفشل . بل وإن كان لإنساننا الخارج (الجسد المادى) يفنى فالداخل (الجسد الروحى) يتجدد يوماً فيوماً . لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً . ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التى ترى بل إلى التى لا ترى ، لأن التى ترى وقتية وأما التى لا ترى فأبدية ، (عدد ١٦ - ١٨) .

ثم يقول فى الأصحاح الخامس من نفس الرسالة : لأننا نعلم أنه إن نقض بيت خيمتنا الأرضى (الجسد الترابى) فلنا فى السموات بناء من الله . بيت أبدى غير مصنوع بيد فنانا فى هذه (الأجساد الترابية) أيضاً نحن مشتاقين إلى أن نلبس فوقها مسكننا الذى من السماء (الجسد الروحى) إلى أن يقول « فإذا نحن واثقون كل حين وعالمون ونحن مستوطنون فى الجسد فنحن متغربون عن الرب . لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان ، فنثق ونسر بالأولى أن نتغرب عن الجسد (الترابى) ونستوطن عند الرب ، (عدد ١ - ٨) .

وكان بولس فيلسوف المسيحية الأولى لم يناد فحسب بقيامه الأموات عقب الرقاد الأخير مباشرة ، وبخلود الروح ، بل نادى أيضاً كما سبق أن قلنا بتنمية المواهب الروحية ، ونادى بحرارة بذلك « للبنيان وللوحظ ، أى لنشر الإيمان بالله وبالخلود وبالعقيدة .

(١) والأصحاح كله عن نفس هذا الموضوع .

ثم انظر بولس وهو يتحدث في رسالته إلى العبرانيين قائلاً ولذلك نحن أيضاً ، إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا ، لنطرح كل ثقل والخطيئة المحيطة بنا بسهولة ، ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا . . . (١:١٢) فآية سحابة من الشهود هذه التي يتحدث عنها بولس ؟ ...

وكما فعل بولس فعل أيضاً يوحنا البشير ، الذي قال هو أيضاً قولاً صريحاً لا شبهة فيه : أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح ، بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم^(١) . . . وامتحن الأرواح لا يتأني إلا بالاتصال بها أولاً . . . هل في ذلك أدنى ريب ؟ . . . وامتحن الأرواح واجب بديهي في علم الروح الحديث كما تعرف روح الحق من روح الضلال ، على حد تعبير يوحنا .

وفي أعمال الرسل نجد عشرات من الإشارات الصريحة إلى الظواهر الوساطية التي يضيئ نطاق هذا البحث دون التعرض لها هنا . وإنما يكفي أن يقرأ القارئ هذه الآية : فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته وقال لهم أيها الرجال اليهود والسامريون في أورشليم أجمعون ليسكن هذا معلوماً عندهم واصفوا إلى كلامي ، لأن هؤلاء ليسوا مسكاري (يشير إلى عدد من الجالسين الذين أخذوا يتحدثون بلغات غريبة عنهم) بعظائم الله . — على حد وصف الكتاب — فتحير الجميع وارتابوا قائلين ما عسى أن يكون هذا . . . (١٩) كما أنهم تظنون لأنها الساعة الثالثة من النهار . بل هذا ما قيل يهوذا النبي : يقول الله ويكون في الأيام الأخيرة أني أسكب من روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ، ويرى شبابكم رؤى ويعلم شيونكم أحلاماً . وعلى عبيدي أيضاً وإمامي أسكب من روحي في تلك الأيام فيتنبأون ، وأعطي عجائب في السماء من فوق وآيات على الأرض من أسفل دماً وناراً وبخار دخان . . .) (أصحاح ١ : عدد ١ - ٢٠) .

(١) رسالة يوحنا الأولى الأصحاح الرابع عدد ١ - ٦ .

بل إن في أقوال المسيح إشارات عابرة فسرّها بعض المفسرين على أنها تتضمن تنبؤاً صريحاً عن الحركة الروحية المعاصرة بكل ما فيها من عزاء حقيقى دائم ، ومع ذلك فلم يتقبلها العالم كحقيقة وضعية للحياة إلا بعد مشقة وعناء عن « عدم رؤية وعدم معرفة » . ومن ذلك قول المسيح « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى . وأنا أطلب من الآب فيعطىكم معزياً آخر ليسكن معكم إلى الأبد . روح الحق الذى لا يستطيع العلم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه ، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ما كثر معكم ويكون فيكم . لا أترككم يتامى... » (يو ١٤ : ١٥ - ١٨) . فكيف نعلل إذأ موقف بعض المعارضين من رجال الكنيسة عندما يتحدثون الآيات الصريحة في ألفاظها ومعانيها ١١٩ ...

في هذا الشأن يقول الأديب الكبير شوزدموند Shaw Desmond :
« لا أخال بولس الرسول كان يقدم على التكلم مع الموتى لو كان هذا التكلم خطأ كبيراً . لقد كان الرجل نفسه روحياً بكل ما تعنيه كلمة روحى - الحقيرة في نظر بعضهم - من معان . وإذا عنى القارىء بقراءة النصوص الروحية من أمثال الآية العاشرة من الأصحاح الثانى عشر من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس والأصحاح الرابع عشر من الرسالة الأولى لأهل كورنثوس فسيجد أننى لم أقل إلا الصدق ، وهناك عدا ذلك إثنا عشر نصاً أخرى في الرسائل تثبت نفس الشئ » .

ولا فائدة في أن نقول لتفسير أو لرجل من العوام يكون قد أعد عقله للإنكار إن مخاطبة الموتى ليست أمراً باطلاً بل هى أمر روحى حقيقى . لكن إذا حاول إنسان أن يبحث مسألة ما مع عقل مغلق فلا هو ولا الله بقادرين على إقناع ذلك العقل . ولئن كان لأمثال هؤلاء الحق المطلق في أن يتمسكوا بأرائهم - مثل مالى ومالك من الحق في أن تتمسك بها - فليس لهم الحق في أن يرفضوا مواجهة البيئة .

وإذا كانت أمثال هذه العقول المغلقة تقول إن من الخطأ أن تكلم عالم الأرواح فإن يسوع وبواس إذن قد أخطأ، لأن كليهما قد تسكلا فعلا مع عالم الأرواح وكثيراً ما تكلم، اللهم إلا إذا كنا لاثق في أن ما هو مدون بخصوص ذلك في العهد الجديد أمر حقيقي .

لكن ترى ما هي الفكرة الحقيقية الكامنة وراء مثل هذا الرفض لمواجهة الحقائق؟ وددت لو أقف على ما يدور بخلد هؤلاء الناس . نحن كان لك الحق منذ ألفي سنة في أن تكلم موتاك فإنه ليس لك الحق الآن أن تتحدث إليهم . ولعل سبب ذلك هو الظن بأننا من معدن رוחي يختلف عن معدن أولئك السكبار الذين ذكرتهم .

وإذا كان التكلم مع الموتي منذ ألفي سنة حقاً مباحاً فإن التكلم معهم الآن حق كذلك . ولما كانت الروحية أساس كل ديانة في العالم تقريباً ، وكان الاتصال بالروح يتم إما بالصلاة والابتهاال وإما مباشرة ، فإنه يتضح لكل ذي عقل سليم أن هذا الاتصال أمر قائم وحقيقة أبدية . واليوم الذي ينعدم فيه الاتصال بين العالمين معناه نهاية الدين . ولكن لما كان هذا الاتصال لم ينعدم قط ولن ينعدم أبداً ، كذلك فإن الدين باق لا ينعدم .

والواقع أنه يوجد مائة برهان على صدق الاتصال بالروح ولا يوجد برهان واحد ضد هذا الاتصال . وإذا وجد أى اعتراض ضد هذا الاتصال فثق بأن الذى قدم ذلك الاعتراض هو المتدين المنزمت الذى يخشى المباراة السليمة للروحية

إلى أن يقول دزموند :

« والذى أعرفه أنه يوجد في كنيسة إنجلترا وحدها نحو ثلاثمائة قسيس كانوا وما زالوا يعتنقون الروحية ، وبعض هؤلاء القساوسة يشغل مناصب رفيعة في الكنيسة ، وقليل منهم كان له من الشجاعة والمقدرة أن يقف

بحوارى منذ بضع سنين فى لندن كما يشهد علنا بصحة اعتقاده فى الروحية ، وكثيرون يخشون أن يعلنوا للجمهور صدق العقيدة التى يعتقونها ويعتقدون فى صحتها . . . وأذهب إلى أبعد من ذلك فأقول إن فى هذه الكنيسة عينها يوجد الآن عشرات من القساوسة الذين أخبرونى أنا وغيرى أنهم رحيون فى قلوبهم ، لكنهم يخشون الإفصاح خوفاً من أساقفتهم الذين هم سرّاً أعداء لما نادى به السيد المسيح وأثبتته من أن النفس الإنسانية تحيا بعد الموت . . .»^(١) .

* * *

وفى هذا الشأن يتحدث الدكتور حسن عثمان الأستاذ بجامعة القاهرة قائلاً : « كذلك نجد تراث العصور الوسطى مليئاً برؤى القديسين وقصص المغامرين الذين تناولوا عالم ما بعد الحياة . ومن هؤلاء مثلاً القديس يوحنا — ورؤيا القديس بولس . . . وللأيرلنديين رحلات خيالية إلى العالم المجهول مثل رحلة القديس براندان ومن ذلك رحلة الفارس أوين التى تعرف باسم مطهر القديس باتريك . . »

وفضلاً عن ذلك فقد وجد فى إيطاليا فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر جماعة من كتاب الرؤيا (المشاهدة) وصفوا الحياة فى عالم ما بعد الحياة ، مثل الراهب يواكيمو دافلورا . . . والراهب اليريجو . . . وكذلك تناول القديس توماس الأكويني الجحيم والمطهر والسماء ووفق فى ذلك بين المسيحية وفلسفة أرسطو . . . »

ثم يشير المؤلف أيضاً إلى رؤى بونفوزين داريفا من ميلانو والمركيز أوجو دى براندبرج وماتيلدا دى مجدبورج وماتيلدا دى هاكنبورن عن الجحيم والفر دوس^(٢) .

(١) راجع « أحاديث فى الروحية للعلامة شو دزمند » مترجمة عن الإنجليزية فى مجلة « عالم

الروح » عدد أكتوبر سنة ١٩٥٥ ص ٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٧ ، ٥٨ .

وكان آباء الكنيسة الأوائل مثل أوريجانوس Origène وسان كليمان
السكندري Saint Clement كثيراً ما يتحدثون عن هجرة الأرواح إلى العالم
الآخر وقيامه الأجساد الأثرية بعد الموت مباشرة ، وهذا هو جوهر البحث
الروحي الحديث كما هو جوهر كل عقيدة دينية عرفها الإنسان فأوريجانوس
الذي عاش في القرن الثالث الميلادي يقول مثلاً : ما زالت كل النفوس التي
غادرت هذه الدنيا محتفظة بحبها للذين فيها يضعون أنفسهم لأجل تخليصهم
ومساعدتهم بصلواتهم وشفاعتهم عند الله . ويستشهد على ذلك بأن أرميا النبي
كان يصلي دائماً من أجل الشعب . كما يقول أيضاً : « في رأي أن كل الآباء
الذين رقدوا قبلنا يحاربون في صفنا ويساعدوننا بصلواتهم ، . . . ثم جاء
عصر فيه رأت مجامع نيقية والقسطنطينية أن تفصل ما بين البحث في الروح
وما بين العقيدة الدينية لغير حكمة مفهومة .

ولعل معارضة البحث الروحي من رجال الدين المسيحي — ومن يقف
منه موقفاً سلبياً حتى اليوم — يرون أيضاً أن هذه القرارات أولى بالاتباع
من النموذج الذي أعطاه السيد المسيح ومن تعاليم بولس الرسول ويوحنا
البشير وغيرهما ، وأن قرارات المجامع التي كان يملئها أباطرة الرومان إملاء
من عندهم أولى بالعصمة من العهدين القديم والجديد معاً ، وأن بعض تفاسير
متسرعة غير علمية قيلت في عصور من الظلام الفكري أولى بالاتباع من آيات
صريحة حاسمة ، كانت كفيلاً بأن تدفع عجلة هذا البحث العلمي كله للأمام
وتبارك خطواته . . . لو عرف رجل العقيدة قدر الحقيقة العلمية في تعزيز
الإيمان المستنير وتثبيت أقدامه ، وتفوقها في ذلك على التسليم الاعمي
والجود الممقوت .

ولسنا نريد أن نقف طويلاً عند هذا الموضوع ، لأننا نهدف إلى البحث
في العلم الروحي الحديث لا في العقيدة . ولولا شبهة غامضة ليس لها ما يبررها
كانت — ولا تزال — قائمة عند بعض الجامدين منذ ظهور هذه الكشوف

لما وجدنا أنفسنا في حاجة حتى إلى هذه الكلمات القليلة في موضوع واضح كل الوضوح من الناحية الدينية .

وذلك خصوصاً لأن موقف الكنيسة الآن قد تحول — فيما يبدو — تحولا حاسماً ونهائياً في شأن موضوع الأرواح إلى الحد الذي قد يعبر عنه قول الدكتور جورج سيرل رئيس الكنيسة الكاثوليكية في سانت بول بنيويورك من «أن حقيقة وجود أرواح كما تنادى به الروحية الحديثة لم يعد موضع سؤال اليوم حتى بين رجال العلم إذ أن هؤلاء قد أجروا فيها الأبحاث . فكل من يعتبر ظواهرها سفسطة أو كذباً أو خداعاً . اهو إلا شخص متأخر ليس إلا » . كما قال ج. ج. فرانكو في سيفلتا كاثوليكاً لا يوجد في يومنا هذا من ينكر الحقائق الروحية ما عدا القلائل الذين يعيشون وأقدامهم في الأرض وعقولهم في القمر »

بل إن الدكتور جودفري روبرت Godfrey Rupert مبعوث البابا بيوس العاشر الذي سافر خصيصاً إلى أمريكا لمخاطبة الكاثوليك الأمريكان في شأن موضوع الأرواح قد أعلن بياناً مطولاً على لسان البابا ونيابة عنه جاء فيه « أن الكنيسة تسلم بحقيقة الظواهر الروحية وبالأرواح المحدث لها ؛ نعم إنها سلمت في الواقع بصدق ذلك كله والمسألة الآن هي استكشاف طبيعة الروح ، ثم أضاف البيان أن البحث في الروحية دراسة جديدة وهو لذلك دراسة خطيرة ، والمعرفة المبتورة قد تسبب أخطاراً شديدة » والإشارة إلى خطر المعرفة المبتورة لا ينازع فيه إنسان ، لكنه لا يعادل على أية حال خطر تجاهل الحقائق العلمية أو المكابرة فيها ، وهي خطة بعض المتحدثين باسم العقيدة حتى الآن .

الفصل الخامس

الروح عند فلاسفة الإسلام

القرآن الكريم يفيض - كالإنجيل - بالآيات التي تتحدث عن الروح في خلودها وثوابها وعقابها ، كما يفيض بالظواهر التي تتفق مع العلم الروحي الحديث ، ومثله الأحاديث النبوية الشريفة .

وسنعالج في مناسبة لاحقة ، عندما نتكلم في انتقال العلم الروحي الحديث إلى بلادنا ، كيف أوضح بعض العلماء والباحثين أن الظواهر الواسطية أو الروحية واردة فيهما ، وكيف أمكن التوفيق تماماً بين علم الروح الحديث وبين العقيدة عند علماء كبار مثل المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى ، وهو من أصحاب التفاسير المشهورة في العالم الإسلامى ، ومثل العلامة محمد فريد وجدى فيلسوف الإسلام في دائرة معارف القرن العشرين ، وغيرهما كثير . إنما في هذا الباب الحالى الذى خصصناه للكلام فى « عجالة عن الروح عند الأقدمين » ، يكفى أن نبين كيف عالج أكبر فلاسفة الإسلام الأقدمين موضوع الروح من أمثال الفارابى وابن سينا والغزالى وابن رشد وابن باجة وابن طفيل وابن القيم الجوزية وابن خلدون وغيرهم . .

فها هو مثلاً الفيلسوف أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابى^(١) يقول فى كتابه « الثمرة المرضية » ، إن الروح الذى لك من جوهر عالم الأمر ، ولا يتعين بإشارة ، ولا يتردد بين سكون وحركة . فلذلك تدرك المعلوم الذى فات والمتنظر الذى هو آت وتسبح فى عالم الملسكوت وتتنفس من خاتم الجبروت ، . وهو نص صريح يفرق به بين عالمين : عالم الروح وعالم الجسد .

(١) ولد حوالى سنة ٢٠٩ هجرية وتولى حوالى سنة ٣٣٩ هـ (٩٥٠ م) .

كما حاول الفارابي التوفيق بين تعريف كل من أفلاطون وأرسطو للنفس . فمن جهة يقول كأفلاطون إن النفس العاقلة هي جوهر الإنسان عند التحقيق . وأنها لا تفنى بفناء البدن ، وأن المعرفة الحقة هي سبيل الصعود إلى العالم العلوى . لكنه يقول من جهة أخرى تبعاً لأرسطو بأن النفس صورة وكال للبدن ، وأنها لا توجد قبله . وأن المادة هي سبب الاختلاف بين أفراد النوع الواحد . . . (١)

وها هو الفيلسوف الطبيب أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (٢) الذى يعد إمام فلاسفة المسلمين فى دراسة النفس يقيم الأدلة الكثيرة على وجود النفس وعلى خلودها بعد الموت فيقول : تأمل أيها العاقل فى أنك اليوم فى نفسك هو الذى كان موجوداً فى جميع عمرك ، حتى أنك تتذكر كثيراً مما جرى من أحوالك . فأنت إذن ثابت مستمر لا شك فى ذلك . وبدنك وأجزاءه ليس ثابتاً مستمراً ، بل هو أبداً فى التحلل والانتقاص . ولهذا يحتاج الإنسان إلى الغذاء بدل ما تحلل من بدنه . . . فذاذك مغايرة لهذا البدن وأجزائه الظاهرة والباطنة . فهذا برهان عظيم يفتح لنا باب الغيب ، فإن جوهر النفس غائب عن الحس والأوهام ، (٣)

كما يقول أيضاً : . . . ولو كانت القوة الناطقة قوة جسمانية لسكان لا يوجد أحد من الناس (على مر السنين) إلا وقد أخذت قوته تنقص ، ولكن الأمر فى أكثر الناس على خلاف هذا . بل العادة جرت فى الأكثر أنهم يستفيدون ذكاء فى القوة العاقلة وزيادة بصيرة . فإذاً ليس قوام القوة المنطقية بالجسم والآلة ، وإذن هى جوهر قائم بذاته ، (٤)

(١) الدكتور محمود قاسم « فى النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والاسلام » مطبعة ٣

س ٧٥ ، ٧٦ .

(٢) ولد فى سنة ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م) وتوفى فى سنة ٤٤٨ هـ (١٠٣٧ م) .

(٣) « رسالة فى معرفة النفس الناطقة وأحوالها » ص ٧ لمرها الدكتور محمد ثابت القندى .

(٤) « النجاة بمبحث القوى النفسانية » ص ٧١ .

كما أقام البراهين على أن الصلة بين الروح والجسد صلة عرضية، فلا يؤدي فناء الجسد إلى فناء الروح . ففي رسالته « معرفة النفس الناطقة وأحوالها » ، يقول : « اعلم أن الجوهر الذي هو الإنسان في الحقيقة لا يفنى بعد الموت ولا يبلى بعد المفارقة عن البدن ، بل هو باق بقاء خالقه تعالى . وذلك لأن جوهره أقوى من جوهر البدن ، لأنه محرك البدن ومديره ومتصرف فيه . والبدن منفصل عنه تابع له ، فإذا لم يضر مفارقه عن الابدان وجوده إلى أن يقول :

« ثم إن الإنسان في نومه يرى الأشياء ويسمعها بل يدرك الغيب في الملمات الصادقة بحيث لا يتيسر له في اليقظة . فهذا برهان قاطع على أن جوهر النفس غير محتاج إلى هذا البدن ، بل هو يضعف بمفارقة البدن ويقوى بتعطله . فإذا مات البدن وخرب تخلص جوهر النفس عن جنس البدن » (١) .

ثم يجيء دور فيلسوف آخر هو الإمام أبو حامد الغزالي (سنة ٤٥٠ - ٥٠٥ هجرية) فنجدته يتحدث عن النفس والروح ويفرق بينهما . « فالنفس لديه هي ذلك الجوهر الذي يجمع بين العالمين وهما عالم العقل أى العالم الإلهي وعالم الحس أى العالم المادى . وقد وصف الغزالي هذين العالمين على نحو قريب جداً مما فعل أفلاطون بل ذهب إلى أن العالم الثانى ظل وخيال للعالم الأول ، إذ يقول إن الرحمة الإلهية جعلت عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت ، لأنه لا يوجد شيء في العالم الأول إلا وهو مثال لشيء من ذلك العالم . وربما كان الشيء الواحد مثالا لأشياء من عالم الملكوت ، وربما كان للشيء الواحد من الملكوت أمثلة كثيرة من عالم الشهادة » (٢) .

وسنبين في الجزء الثانى - عند ما نتحدث عن « ظروف الحياة في عالم الروح » - كيف أن المعلومات الحديثة لا تخرج عن رأى

(١) ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٢) « مشكلة الأنوار » طبعة مصر سنة ١٩٠٨ ص ٤٥ ، ٤٦ . والدكتور محمود قاسم للرجع السابق ص ١٠١ .

الإمام الغزالي في الكثير من هذه الناحية ، بل ومن ناحية الثواب والعقاب على ما سنبينه في باب آخر ، مما يشير إلى صدق ما لاحظته الباحثون في الروح عن الغزالي من أنه كان ملهماً من أحسن الملهمين الروحيين قبل أن يكون مفسراً .

كما كان الإمام الغزالي يرى أن الجسد منزل أو مسكن للروح ، وأنها تحل به لعناية إلهية ، أى كيما تزود لآخرتها من هذا العالم ، وتظل في ذلك الجسد لمدة محددة لا تقبل زيادة ولا نقصاً ثم ينقضى أجلها^(١) .

ويقرر أيضاً أن سعادة الإنسان لا تكمل إلا بعد الموت وهناك تختلف حظوظ الناس منها ، فإن النفوس التى تشغل بالبدن فيلمبها ويصرفها عن الشوق وعن طلب الكمال الذى قدر لها ، وعن الشعور بلذة هذا الكمال لا تستطيع التخلص بعد الموت مما لحقها من ثقل البدن وشهوانه . . وتجدها أن هناك نوعاً عظيماً من التضاد بين العالم الذى غادرته والعالم الذى انخرطت في سلكه وحينئذ يشتد بها الأذى . ومع ذلك فإن هذا الأذى لا يدوم أبداً الدهر لأنه لم يكن ذاتياً بل يرجع إلى أسباب عارضة . وإذن فلا تخلد هذه النفوس في العذاب أبداً الدهر ، وإنما تنمحي ذنوبها شيئاً فشيئاً حتى تصفو وتترك السعادة التى قدرت لها^(٢) . كما قال الغزالي بأن البعث معناه إيجاد لمثل ما كان لا لعين ما كان ، وأن جمع جميع الأجزاء محال وليس ضرورياً حتى يحتاج باستحالته^(٣) . وهذا هو - في جملة - ما أقرته أبحاث الروحية التجريبية على ما سيلي في مناسبتة .

كما يقول الغزالي أيضاً عن الروح إن للطيفة الربانية الروحانية (الروح) علاقة مع القلب الجسماني ، وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في

(١) رسالة إلى ملكشاه ، ص ٦٣ .

(٢) الدكتور محمود فاسم المرجع السابق ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٣) تهافت الفلاسفة ، ص ٣٦ .

إدراك وجه علاقتهما ، فإن تعلق الروح بالقلب يضاهى تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات ، أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة أو تعلق المتمكن بالمكان (١) .

وهكذا في الوقت الذي يرمز النفخ من الروح الإلهية في الجنين المتقبل لها ، إلى بداية الاتحاد بين الجوهر والعرض في الإنسان ، فإن الموت يرمز إلى عودتهما إلى الانفصال ، وكل ما يبقى بعد الموت هو الجوهر . ولا يعنى الموت بالنسبة إلى جوهر الإنسان إلا اللحظة التي يتخلص فيها من العرض . ولكن ما خلق كاستعداد عنده في جوهره يتحول في هذه اللحظة إلى شيء واقع . ويعكس الواقع الفعلي لروحه بعد الموت الآثار المتجمعة لمعرفته ، والأعمال التي قامت بها الروح أثناء وجودها في الجسد . وهذا يعنى بعبارة أخرى أن جوهر الإنسان هو قدرته على المعرفة . ولكن هذه الطبيعة تسلم نفسها للتشكيك عن طريق المعرفة الفعلية والتجارب التي يكتسبها في حياته ، وهذه الطبيعة هي « الغريب » الذي يفد إلى هذا العالم لاكتساب المعرفة والخبرة بأعمال الله .

والذي يكتسبه هذا « الغريب » ، يولد اتجاهات وصفات تشبه اتجاهات وصفات الملائكة أو الحيوانات أو الشياطين ونزعاتها ، وبالرغم من أن هذه الصفات تصبح جزءاً لا يتجزأ من طبيعة الإنسان الأساسية في نموها إلا أنها مكتسبة . وكل ما هو أصيل في هذه الطبيعة هو الفطرة أو ميل الإنسان إلى المعرفة ، وإلى معرفة الله . لكن هذه الفطرة مرنة تتكيف في نموها الفعلي تبعاً للعلاقات التي تتأصل بينها وبين الشهوات والغضب . وهكذا تعكس هذه العلاقات المتأصلة الأحوال الفعلية لطبيعة الإنسان الأساسية ، وعلى ضوء هذه الفطرة وحدها يمكن وصف هذه الطبيعة بأنها تحمل خصائص الملائكة أو الحيوانات أو الشياطين .

(١) « الأحياء كتاب شرح عجائب القلب » ص ١٣٥٠ .

وعلينا دائماً أن نذكر الفرق الهام بين طبيعة الإنسان الأساسية كطائفة وميل ، وبينها ككيان ينمو بصفات معينة لنفهم إصرار الغزالي على العلاقة الوثيقة بين طلب المعرفة وبين الرياضة الخلقية في نمو الإنسان .

وما هي إذن طبيعة الروح التي هي الطبيعة الأساسية للإنسان ؟... ، إنها « اللعيفة الربانية التي تحل في الجسم وتقيم فيه ونعبر عنها بعبارات مختلفة حسب حياتها وأعمالها المختلفة في البدن . لكن اللطيفة نفسها التي يشير إليها أى من هذه العبارات هي فوق مستوى الفهم العادي ، فهي من عالم الأمر ولذلك تتحدى أى تعريف أو وصف . وعلى الإنسان أن يكشف طبيعتها بنفسه وبمفرده . ويلجأ الغزالي أحياناً إلى الاستعارات وأخرى إلى التشبيه وثالثة إلى التعابير الرمزية عند ما يتحدث عن الروح... » (١) .

ثم يحىء دور فيلسوف قرطبة القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (سنة ٥٢٥ - ٥٩٥ هـ) . وهو أبعد فلاسفة الإسلام ذكراً وفي نفس الوقت يعد من أكبر شراح أرسطو . وهو يقول في « تهافت التهافت » : « إنا ندرك النفس وأشياء كثيرة . ولا ندرك حدها ، ولو كنا ندرك حد النفس مع وجودها لكاننا نعلم ضرورة من وجودها أنها في جسم أو ليست في جسم ، لأنها إن كانت في جسم كان الجسم ضرورة مأخوذة في حدها وإن لم تكن في جسم لم يكن الجسم مأخوذاً في حدها . فهذا هو الذي ينبغي أن يعتقد... » (٢) .

وانحاز ابن رشد صراحة للإمام الغزالي قائلاً : « وما يقوله هذا الرجل جيد... ولا بد في معاندتهم أن توضح النفس غير فانية كما دلت عليه الدلائل العقلية والشرعية ، وأن يوضح أن التي تعودى أمثال هذه الأجسام

(١) « الإنسان عند الغزالي » للدكتور علي عيسى عثمان . تعريب الأستاذ خيرى حماد ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(٢) « تهافت التهافت » طبعة بيروت . ص ٥١٧ .

التي كانت في هذه الدار لا هي بعينها ، لأن المعلوم لا يعود بالشخص^(١) ، فهو يتحدث عن الجسد الأثيري ، وهو مثل الجسد المادي ، وهو الذي يعود بالنفس إلى الدار الآخرة .

كما أن ابن رشد أقام البراهين عديدة على خلود الروح في كتابه «الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة» ، وفيه يبين كيف أن الإنسان لم يخلق عبثاً وإنما كما يدرك السكّال في العلم والفضيلة ، وليس إدراك ذلك ممكناً في هذه الحياة الدنيا لأنها عابرة ، فلا مفر من التسليم فعلاً بوجود حياة أخرى تعود إليها النفس كما تلتقي جزاءها ، وهذا أول دليل على خلود الإنسان ، والدليل الثاني استمدّه من طبيعة الصلة بين الروح والجسد وأنها صلة عابرة ، إذ ليس الجسم سوى آلة تستخدمها النفس ، ووسيلة إلى إدراك ما يحتوي عليه عالم الحس . وهو يرى أن الخلود لجميع النفوس دون أية تفرقة ، وسواء أكانت نفوساً شقية أم سعيدة .

ومن يراجع أقوال فلاسفة آخرين مثل أبي بكر محمد بن يحيى الشهير بابن باجة^(٢) ، ومثل أبي بكر محمد بن عبد الملك الشهير بابن طفيل^(٣) ، يجد الكثير من حقائق الروح ومن البيانات عن خلودها وعن عوامل سمادتها وشقاقها .

ثم يحيى دور عالم معروف في الروح وهو الإمام شمس الدين أبي عبد الله ابن القيم الجوزية^(٤) . ومن يرجع إلى كتاب «الروح لابن القيم» يجد الكثير من البيانات عن أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار وأقوال العلماء . وفيه يبين كيف أن الأرواح قسمان : أرواح معذبة وأرواح منعمة . فالمعذبة في شغل بما هي فيه من العذاب عن النزاور

(١) للرجع السابق في آخره .

(٢) تولى في سنة ٣٣٠ هـ هجرية (١١٣٨ م) .

(٣) تولى بمراكش في سنة ١١٨٥ ميلادية .

(٤) تولى سنة ٧٥١ هجرية .

والتلاقى ، والأرواح المنعمة المرسله غير المحبوسة تتلاقى وتزاور وتذاكر ما كان منها فى الدنيا وما يكون من أهل الدنيا فتكون كل روح مع رفيقها الذى هو على مثل عملها . (١) ويبين كيف أن الشواهد كثيرة على تلاقى أرواح الأموات ، وكيف أن الأدلة أكثر من أن نحصىها ، إلا الله تعالى والحس والواقع من أعدل الشهود بها فتلتقى أرواح الأحياء والأموات كما تلتقى أرواح الأحياء (٢) .

ويصف ابن القيم الروح بأنها « تأخذ من بدنها صورة تتميز بها عن غيرها فإنها تنأثر وتنتقل عن البدن كما يتأثر البدن وينتقل عنها فيكتسب البدن الطيب والخبث من طيب النفس وخبثها (٣) » .

ثم ينتقل ابن القيم إلى المسألة التاسعة عشرة وهى « ما حقيقة النفس وهل هى جزء من أجزاء البدن أو عرض من أعراضه أو جسم مساكن له مودع فيه أو جوهر مجرد ؟ وهل هى الروح أو غيرها ؟ وهل الأمانة واللوامة والمطمئنة نفس واحدة لها هذه الصفات أم ثلاث أنفس ؟ » .

وبعد أن يستعرض شتى الآراء فى هذه الأمور ينتهى إلى ترجيح رأى القائل إن الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، وهو جسم نورانى علوى خفيف متحرك ينفذ فى جوهر الأعضاء ويسرى فيها سريان الماء فى الورد وسريان الدهن فى الزيتون والنار فى الفحم . فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقى ذلك الجسم اللطيف مشابكاً لهذه الأعضاء ، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية . وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم

(١) طبعة سنة ١٩٥٧ ميلادية ص ١٧ .

(٢) ص ٢٠ .

(٣) ص ٣٨ .

الأرواح. ثم يقول : وهذا القول هو الصواب في المسألة وهو الذى لا يصح غيره وكل الأقوال سواه باطلة ، وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة ، ونحن نسوق الأدلة عليه على نسق واحد^(١) .

ثم ها هو العلامة المشهور ابن خلدون الذى ولد في تونس — وكان سياسياً وسفيراً في الأندلس وتوفي بالقاهرة سنة ١٤٠٦ م وهو قاض للقضاة — يتحدث عن بعض أنواع من الجلاء البصرى ويصفه بأنه : إدراك يتعلق بالروح لا بالبصر ، كما يتحدث في مؤلفه : تاريخ العالم ، الذى أصبح يعرف فيما بعد : بمقدمة ابن خلدون ، عن مس الجان ويعزو إليه بعض حالات الجنون . كما يقول : إن الروح تؤثر في الجسم المادى كما تنوذا الحرارة بالضحك أو الحزن ، ويشير إلى اتحاد الروح بالشئ المادى ، وكيف تتجلى فيه الطبائع السماوية العليا والطبائع الدنيوية السفلى ، ...

فأراى السادة المعارضين — في بلادنا أيضاً — تحت لواء العقيدة ؟ ...
إنى لا أزعم المقدرة على النقاش ، لكننى اكتفى بالإشارة إلى بعض المراجع من أقوال الأقدمين وبحوثهم في الروح لمن يريد المزيد من الاطلاع فيها وفي غيرها بحثاً عن الاقتناع . وسأبين مراجع المحدثين فيما بعد عند ما أعالج موضوع انتقال العلم الروحى الحديث في بلادنا مع فتاوى لفيف من أفضل رجال الدين الذين يملكون حق الإفتاء الصحيح فيه . وسيدرك القارىء — على الفور — إلى أى مدى كانت البحوث العصرية في الروح امتداداً طبيعياً لمعرفة بدأت منذ القدم ، وما كان لها أن تتوقف عند عصر معين لأن عجلة العرفان لا تعرف التوقف ، وسيدرك أيضاً كيف أن الجمود في هذا الميدان مضره كبرى شأن الجمود في علوم الطب أو الفيزياء أو الكيمياء أو الفلك أو غيرها .

(١) الرجوع السابق ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

الفصل السادس

الروح في عصور أحدث مما تقدم

إذا انتقلنا إلى عصور أحدث من عصور الرسائل السماوية نجد أحسن شعراء هذه العصور قد تحدثوا عن الروح وخلودها وعن اتصالها بالبشر، وكتبوا فيها ببلاغة الشاعر، بها والرائق مما يقول. ومنهم مثلاً شكسبير الذي ملأ رواياته بظهور الأرواح والأشباح وبآلامها ومباهجها وبرضاها وبغضبها، وبوجه خاص في روايات مكبث والملك لير وهملت. ومن الشعراء الذين تحدثوا عنها أيضاً تنسون وبأكون وملتون ولونجفلو ووردزورث وفيلكتور هيجو وغيرهم. ومن يتجول في الأدب العالمي الراقى يأخذه العجب من الدور الضخم الذي تقوم به الأرواح في هذا الأدب، ويزداد هذا الدور قوة كلما ازداد الشعر أو الأدب روعة، حتى ليبلغ ذروته في شعر شكسبير أشهر شعراء التاريخ.

وإذا انتقلنا إلى الهند وجدنا فيلسوفها وشاعرها العظيم رابندرانات طاغور (١٨٦٢ - ١٩٤١) يتحدث كثيراً عن الروح في عمق وبلاغة رائعة فهو مثلاً يقول: «لقد حذرت من يستمعون إليّ وأعيد تحذيرهم مرة أخرى من أن ينخدعوا بذلك الرأي الذي يقول إن معلى الهند ومرشديهم يشيرون إلى نبذ الحياة والنفس حيث الفراغ والحياة السلبية، فقد كان مقصدهم تحقيق الروح أو بعبارة أخرى الوصول إلى الحياة بالمعنى الصحيح. وقد كان المسيح يعني ذلك عندما قال «طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض»، ولأنه يعني هذه الحقيقة وهي أن الإنسان حين يتخلص من كبريائه يصل إلى ميراثه الحق، وليس عليه أن يناضل بأكثر من هذا ليحتل مكانه في الحياة. فالخلاص أمامه حيث سار بحق روحه الخالدة، إلا أن كبرياء النفس هي التي

تدخل في وظيفة الروح الصحيحة ، وهي تحقيق نفسها بعقد الأواصر بينها وبين العالم وبينها وبين إله العالم^(١) . .

ثم يقول عن عودة الروح إلى موطنها الأصلي : « أجل إن المسافرين سيفقدون ذرات ووحداً ويسعون إلى ميراثهم الصحيح في ذلك العالم . وستتسع دائرة وعيهم إلى الأبد وسيحدثون دلي الدوام عن وحدة أسمي وأسمي ، ويقتربون دائماً من مركز الحق الذي يشمل كل ما في الوجود ... » .

ويقول أيضاً : « كما أن الطفل في رحم أمه يجد قوامه باتصال حياته بحياتها التي هي أوسع من حياته فكذلك روحنا تجد غذاءها في الخير فحسب ، ذلك الخير الذي يعد بمثابة الإدراك لوشائجها الباطنة والممر الذي يوصلها إلى اللانهاى الذي يحيطها ويغذيها . لذلك قيل : « طوبى للجوع والعطاش إلى ابر لأنهم يشبعون » . فالحق هو غذاء الروح المقدس ولا يشبع الإنسان ويجعله يحيا حياة اللانهاية ، ويساعده على المسير إلى الأبد شئ . سواء إننا ننحنى إجلالاً لك يا من تلعبت عنه مسرات حياتنا ، وننحنى لك يا من يذبح عنه خير روحنا ، وننحنى لك يا من هو الخير والخير الأسمي ، يا من فيك تتمل بسائر الأشياء في الأمن والتوافق والإحسان والحب ، ... » .

كما يقول أيضاً : « وإذا كان ثم كسب متواصل في الحياة ، وكانت تلك الحياة لا تنتهى بنا إلى الفراغ والعدم ، بل إلى الامتلاء والوفر فإن هذه المظاهر السلبية وأعنى آلامها المبرحة وتضحياتها تزيد في نفاستها . وقد تبين أنها كذلك لمن أدركوا عظمة الناحية الإيجابية في النفس وتقبلوا مسؤولياتها بشغف وتحملوا التضحيات في غير ما إحجام ... » .

ويقول طاغور : « من واجب النفس أن تطرح سنها على الدوام وتمدد حدوده في عالم النسيان والموت لكي تحقق شبابها الخالد ، ويجب أن تنبثق شخصيتها في العالم الشامل آنأ بعد آن ، وتمر منه كل لحظة على الدوام حتى تتجدد حياتها الفردية . وعليها أن تسير النغم الأبدى وتلمس الوحدة الجوهرية في

(١) « مختارات من طاغور » للأستاذ طاهر الجبلاوى ١٩٦١ (دار الفكر العربي) ص ١١١ .

كل خطوة ، وبذلك يظل انفصالها في توازن بين الجمال والقوة . إننا نشاهد في كل مكان قصة الحياة والموت أو تحول القديم إلى الجديد وإن نفسنا ينبغي أن تعرف أنها تولد جديدة في كل لحظة من لحظات حياتها ويجب أن تتحرر من الأوهام التي تحبسها في قشورها وتظهرها في مظهر الكبر وثقلها بعبء الموت . فالحياة شباب أبدي . وإنما لتكره الشيخوخة التي تعرقل سيرها ولا تنتمي للحياة في حقيقتها ، وإنما تتبعها كما يتبع الظل المصباح^(١) .

وهذا الذي ذكرناه عن الروح حتى الآن إنما يمثل في جملة الروح في جانبها الفلسفي ، وذلك منذ عهود التاريخ الغابرة إلى عهد الإغريق . وقد قصدنا بهذه المتابعة التاريخية ربط الحاضر بالماضي ، ولذا فقد تابعنا تطور الروح بعد الإغريق في المسيحية ثم في الإسلام حتى وصلنا إلى فيلسوف الهند طاغور الذي توفي في سنة ١٩٤١ ، كيما نبين كيف أن الروح الإنسانية — كحقيقة خالدة مستقلة عن الجسد المادى وخاضعة لقوانين خاصة — لم تكن محل شك عند أحسن فلاسفة التاريخ بين قدامائهم ومحدثيهم .

ثم ظهر في معالجة الروح أسلوب جديد ، متفق مع أسلوب العصر العلمى وهو أسلوب البحث التجريبي الذي جاء مؤيداً لهذه الحقيقة الفلسفية ، بأدلة مستمدة من تمحيص ظواهر معينة لا شك أنها بدورها قديمة قدم الإنسان، لكنها لم تكن تظهر في الماضي بالتحقيق العلمى المطلوب . وإنما خضعت لهذا التحقيق على نطاق واسع بعد أن ألف عقل الإنسان أن يمحس كل ظاهرة طبيعية مهما بدت ضئيلة الشأن ، وكان ذلك هو مصدر جل كشوفه العلمية الضخمة . ألم يكتشف نيوتن قانون الجاذبية من تأمله في سقوط تفاحة على الأرض ؟ ألم يكتشف جيمس وات قوة البخار من تأمله في علة تحرك غطاء إناء به ماء مغلي ؟ ألم يكتشف أينشتاين قانون النسبية من

(١) للرجع السابق ص ١٣٠ ، ١٣٨ ، ١٤٠ .

تأمله في الفضاء الخارجي وكيف يبدو لأبصارنا كروياً مع أن أمواج الضوء تسير في خطوط مستقيمة ؟ ...

وهكذا بدأ بحث العصر العلي للروح تحت وطأة طرقات وظواهر بدت في مبدئها نافذة ضئيلة الشأن في كوخ المدعو ويكان في قرية صغيرة على بعد حوالي عشرين ميلاً من مدينة روشستر بولاية نيويورك في شهر مارس من سنة ١٨٤٨ ، لكنها على ضالة شأنها أثبت أن تتقطع إلا بعد أن اجتذبت انتباه العلماء والباحثين — رغم أنهم وعن كل معلوماتهم المادية — ودفعتهم دفعاً إلى بحثها ، وتقصى مصدرها بكل ما لديهم من سبل صارمة مادية للتحقيق .

وكان يد القدر الرحيم أرادت أن تكون هذه الدقات الخافتة بمثابة النذير الذي أيقظ ضمائر الغافلين ، أو بمثابة الموعول الرهيب الذي قوض عمد العصر المادي — في نفس بيناته — كما تقيم على أنقاضه عصراً روحياً باذخاً ما كان أشد المتفائلين يتصور له قياماً ، بكل هذا التأثير الدافق على النفوس .

فالعلم الروحي الحديث إن هو إلا مجرد طور جديد من التفكير الإنساني في الروح طابعه البحث التجريبي الصرف ، وهو لذلك أكثر إقناعاً من أطواره القديمة ، لما فيه من بنية علمية متماسكة هو الطابع للتطورات الحديثة في الطب والفيزياء والكيمياء والقانون والرياضة . . . بالمقارنة مع أطوارها القديمة . لذلك كان أعصى من غيره على النقد ، وأقدر على تقع الإنسان في تقدمه المستمر في كافة مناحي الحياة بل في تكوينه العقلي والروحي ... أليس التقدم سنة النشوء والارتقاء ؟ . . . ولم تؤمن بتقدم واضح في نواحي العلوم كلها ولا تؤمن بتقدم مماثل في بحث الروح ؟ . إن بديهيات المنطق تأتي التفرقة ، وذلك ما سيبين بوضوح بعد إذ نعالج موضوع « نشأة العلم الروحي الحديث » .

الباب الثاني في نشأة العلم الروحي الحديث

نمريه

في الباب السابق تعرضنا لموضوع « الروح عند الأقدمين » في مجاله سريعة أوضحنا فيها ذبوع الاعتقاد في الخلود في جميع العصور وفي كافة الجماعات الإنسانية ، وهذا الذبوع في ذاته لا يمر بغير مغزاه الواضح . وقد قال فيه المفكر بوريس جنكنز Burris Jenkins « إن ذبوع فكرة الحياة التي لا تنتهي في العالم في جميع العصور وبين جميع الشعوب قد يشير بذاته إلى أن لها أساساً صحيحاً . فالأفكار هي أكثر الأشياء صدقاً في العالم ، ولا تنتشر من تلقاء نفسها وبدون حقيقة من ورائها ، فكل فكرة أساسها ، وفكرة الحياة التي لا تنتهي كائنة في تاريخ الإنسانية بقدر ما يمكننا الرجوع إلى الوراء ، فكيف يكون الأمر كذلك ؟ إن ذلك لا يمكن أن يحدث من تلقاء نفسه ، فلا بد أن ورائه سبباً ، وأساساً ، وسنداً من الواقع ،^(١) .

وهذا السند من الواقع تكفل بإثباته وبدراسته على نحو على بعيد عن الارتباط مقدماً بأي اعتقاد سابق أو بأي رأي خاص « العلم الروحي الحديث » الذي خصصنا للكلام في جوانبه الرئيسية صفحات هذا المؤلف .

ويطابق وصف « العلم الروحي الحديث » على البحوث التي بدأت في النصف الثاني من القرن الماضي إثر حدوث ظواهر هيدسفل التي أشرنا إليها أكثر من مرة . وإذا كان الأسلوب العلمي في بحث ظواهر الطبيعة المختلفة وتمحيصها قد نجح في الكشف عن قوانين الطبيعة وتسخيرها لخدمة التقدم ، فلا شك أن استخدام هذا الأسلوب نفسه يمكن أن يجيئ بنفس النتائج عند

(١) راجع « الكتاب الذهبي عن الخلود » طبعة ١٩٥٤ م ص ٥ .

اتباعه في بحث موضوع الروح وبوجه خاص موضوع الظواهر الواسطية .
ذلك أن من شأن الأسلوب العلمي النقد بغير هوادة للتمييز بين الغث
والثين في معلومات الأقدمين والمحدثين معاً .. كما أنه يحسن التفكير التحليلي
المترايط في استخلاص النتائج من المقدمات التي تصمد للنقد ، وذلك ما
تعجز عنه بدهاة الفلسفة النظرية الصرفة .

ويتطلب الأسلوب العلمي أيضاً ما هو أثمن من كل ذلك ، وهو محاربة
الربط بين هذه النتائج وبين أوامير العلوم الأخرى توصلاً إلى الحقيقة
العلمية وحدها ، والتي يعتبرها الباحثون الجادون أثمن من كل حقيقة أخرى .
فليس لديهم أثمن من الصواب ولا أجدر بالبحث عنه من أقرب سبله ، وهو
سبيل الملاحظة والتجريب الناقد في يقظة وتحليل صحيح للأمور .

فهم يعلمون جيداً — كما كان ينادى ديكرت صاحب المنهج التحليلي
الناقد — أنه ليس مما يتفق مع طبع العالم أو الفيلسوف أن يسلم بصحة
شيء لم يتحقق منه ، ولا أن يركن إلى الثقة بالحواس ، فلا يكون اطمئنانه
إلى ما تلقاه في طفولته من أحكام هو جاء أكثر من اطمئنانه إلى ما يقضى
به العقل الناضج . كما أنهم يعلمون جيداً أنه للبحث عن الحقائق ينبغي التخلص
أولاً من الأحكام السابقة واطراح جميع الآراء التي سلم العقل بصحتها من
قبل ريثما يحقق مدى صحتها بعد إعادة النظر فيها .

وينبغي كما نعالج « نشأة العلم الروحاني الحديث » ، أن نتحدث في
موضوعين متتابعين : —

— أولهما : موضوع هذا العلم .

— وثانيهما : الظواهر التي نشأ عن ملاحظتها ، وهي الظواهر التي يطلق
عليها « الظواهر غير العادية أو غير المألوفة » ، ويطلق عليها
عادة « الظواهر الواسطية » .

الفصل الأول

في موضوع العلم الروحي الحديث

يطلق على العلم الروحي الحديث بالانكليزية *Psychic Science* كما يطلق عليه بالفرنسية *Science Psychique* . ومن الخطأ الواضح أن يتصور أى إنسان أن هذا الوصف يشير إلى علم النفس ، فإن علم النفس يعبر عنه بالسيكولوجيا (*Psychology* بالانكليزية و *Psychologie* بالفرنسية) .

أما أى بحث يشير إلى *Psychic Science* أو ما يقابله بالفرنسية فهو يشير بغير أدنى شبهة إلى علم الروح . وقد اصطلح الباحث على ذلك في العالم أجمع منذ عرف البحث الحديث فيه طريقه إلى الوجود ، فأطلقوه على مؤلفاتهم ومعاهدتهم وجمعياتهم وهيئاتهم ومؤسساتهم ودوائرهم ومجلاتهم ، وكل ما يتناول بطريق مباشر أو غير مباشر البحث في الروح ، بما في ذلك ثبوت الحياة بعد الموت وحصول الاتصال بين الأحياء والأموات .

فأصبح لهذا التعبير *Psychic Science* معنى اصطلاحى محدد يشير إلى هذا النوع من البحث ولا يشير إلى بحوث السيكولوجى أو علم النفس . والكلمتان *Psychic* و *Psychology* مشتقتان معاً من الكلمة اللاتينية *Psyché* أى العقل أو النفس . فأصبحت الأولى تدل على علم الروح وحده ، وأصبح الاشتقاق القديم *Psychology* يدل على علم النفس وحده بمفهومه التقليدى . ولأن المعنى الاصطلاحى لكلمة *Psychic* يشير الآن إلى الروح - لا إلى النفس - ويقوم على التسليم « باحتمال » بقائها بعد الموت وإمكان الاتصال بها ، فإن الترجمة الصحيحة لكلمة *Métapsychique* ينبغي أن تكون « ما وراء الروح ، لا ما وراء النفس » .

والتعبير الانكليزى *Spiritualism* الذى يقابل التعبير الفرنسى

Spiritisme يشير إشارة مباشرة إلى الاتصال بالكائنات غير المنظورة، وهو يعد على هذا الوضع فرعاً من الأصل العام وهو «علم الروح»، الذي يتناول بالإضافة إلى هذا الاتصال فروعاً من البحث متنوعة، مثل تاريخ العلم الروحي ومثل دراسة الظواهر الوساطية، ومثل فلسفة الروح. ومثل دراسة الأرواح في الأديان والفلسفات المقارنة، ومثل الفيزياء والفسولوجيا والبيولوجيا بقدر اتصالها بعلم الروح، وفي النهاية كل ما يتصل بأبحاث خلود الإنسان وما يترتب على هذه الأبحاث من نتائج. فالعلم الروحي أصل، أما الاسبريزم فهو فرع منه ينصب على دراسة الاتصال بالأرواح مباشرة.

ويستعمل بعض كتاب العربية وصف علم تحضير أو استحضار الأرواح، كقابل للفظ الأجنبي «اسبريزم»، بالفرنسية و«اسبريتيزم» بالانكليزية.. وهو وصف يعوزه التوفيق فيما يبدو لنا، لأنه يشير إلى أن الروح قد تخضع لإرادة إنسان ما، وهذا غير صحيح لأن الروح لا تؤمر وليس لأي إنسان أن يزعم أن له عليها أي سلطان، ودور الوسيط هو - بحسب - دور من يمكنه الاستسلام لقوة واعية غير منظورة قد تريد طواعية أن تظهر نفسها بصورة ما للجالسين - عن طريق السيطرة على جانب من وعي الوسيط متى أمكنه ذلك. وهذا الاتصال يكون لتحقيق هدف راقٍ عند الأرواح الراقية وغير راقٍ عند الأرواح غير الراقية.. أما دور الوسيط فهو سلبي بحت.

وهذه التسمية غير الدقيقة «علم تحضير أو استحضار الأرواح»، طالما جنت على البحث الروحي في بلادنا ودفعت بعض الوسطاء أو أذعياء الوساطة إلى إيهام البسطاء أن بمقدورهم تحضير أو استحضار أي روح يطلبونها. مع أن حضور الروح يتوقف على جملة عوامل: منها إرادة الروح نفسها وظروفها، ثم قدرتها على أن تظهر نفسها باستخدام موهبة الوسيط إن كان يتمتع حقاً بأية موهبة وساطية. وقد يمكن للروح أن تستخدمها بحسب معلوماتها الخاصة ومراها، وقد لا يمكنها هذا الاستخدام مهما بذلت من جهد.

وفي جميع الجلسات الناجحة يلزم وجود أرواح مرشدة أو حارسة على كفاية خاصة قد تكون إحداها بمثابة «وسيط أثري» بين الوسيط الأرضي وبين الروح راغبة الاتصال . وكل ذلك لايجيء جزافاً ، بل يحتاج إلى مران وتنظيم وبيئة جادة وإلمام كاف بالموضوع للحكم على نجاح المحاولة أو فشلها . فدور وسيط الأرواح لا يعدو دور وسيط التنويم المغناطيسى ، وكل الفارق هو أن الأخير يخضع لإرادة منوّم لم يتخلّ عن جسده المادى بعد ، أما الأول فيخضع لإرادة منوّم قد تخلى عن جسده المادى « بالوفاة » .

وكل مجرب في الظواهر الوساطية يعلم جيداً كيف أنه قد يمضى أحياناً سنين طوالاً لمحاولة الاتصال بروح شخص معين عبثاً ، حين قد يتصل بأرواح كثيرة لم تخطر أسماؤها على باله من قبل . لأن نجاح عملية الاتصال الروحي لا يتوقف على مدى علم أى من العلماء الأرضيين ، كما لا يتوقف على إرادة الوسيط أو قدرته ، فهي عملية أكثر تعقيداً مما يتصور البعض لأنها خاضعة لنواميس طبيعية ليس للعلم المادى عليها أى سلطان .

بل إن تسمية البحث في الأرواح بوجه عام بأنه «العلم الروحي» لا ينبغي أن تنصرف إلى معنى ادعاء العلم بطبيعة الروح بمعنى الشعلة القدسية التي تهب الحياة للإنسان هنا وهناك ، فهذه لا يعرف أحد عنها شيئاً بعد ، ولم يدع أى عالم أنه قدر أن يعرف عنها (١) .

فهذا العلم ينصب مباشرة على دراسة الروح بمعنى الجسد غير المادى للكائنات الحية لأنه حجر الزاوية فيه . وهذا الجسد غير المادى متداخل في الجسد المادى ويشغل معه نفس الحيز من الفراغ كتداخل الماء في العود الرطب ، وهو الذى يحمل الروح في الكائنات الحية ويستمد منها الحياة ، كما يهبها - إلى حين - للجسد المادى عن طريق حبل أثري يراه الوسطاء أحياناً يصل بين الجسدين المادى وغير المادى . فالجسد غير

(١) وهذه الحقائق كلها تعلى تفسيراً كافياً في نظر الباحثين في الروح للآية السكرية : -
« ويسألوك من الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » .

المادى أو الأثيرى بخصائصه الطبيعية وأهمها عدم قابليته للفناء ، وتأثيره المباشر فى الأثير هو محور علم الروح الحديث ، الذى كان يصح أن يوصف أيضاً بأنه علم دراسة . الجسد الأثيرى ، أو علم « دراسة العالم الأثيرى أو ما وراء المادى » .

ولعل بعض الأوصاف الأجنبية لهذا العلم أقرب إلى الدقة من وصف علم الروح . فهو يطلق عليه فيها — كما قلنا — بالفرنسية Science Psychique كما يطلق على الاتصال بالأرواح وصف اسبرتزم المستمد من كلمة esprit لا ، من كلمة ame وهى النفس الناطقة فى الإنسان التى ينصرف إليها هى أيضاً لفظ الروح العربى فى المفهوم الدارج له . ومع ذلك فقد آثرنا ترجمة Science Psychique بمعبارة « العلم الروحى » ، لأنه أصبح وصفاً شائعاً معروفاً . واستعمال أى وصف آخر له قد يبعد الذهن عن حقيقة موضوعه . خصوصاً وأنا نعودنا أن نستعمل كلمة « روح » العربية فى التعبير عن أكثر من معنى . فنحن نستعملها بمعنى النفس الناطقة فى الإنسان ، كما نستعملها أيضاً بمعنى الجسد الأثيرى .

فوصف « العلم الروحى » هو الوصف العام الذى تبحث تحته ظواهر الوساطة الروحية ، فضلاً عما قد ترسله الأرواح من بيانات شتى عن ظروف حياتها هناك ، وعن فلسفاتها وآرائها بالإضافة إلى النظريات التى توضح الصلة بين عوالم « الأمر » و « الشهادة » ، فى ضوء نظريات الاهتزاز وأمواج الأثير . أما الروح التى قد يرى البعض أن البحث فيها محظور فهى الشعلة القدسية التى تهب الحياة للإنسان . ولست أعتقد أن أحداً من العلماء زعم لنفسه إمكان إخضاعها للتجريب ، أو أنه وصل إلى حقيقة كنهها . وهكذا كان البحث فى الروح فى بلادنا ضحية أمرين مجتمعين حتى الآن : أولهما وصفه بأنه علم « تحضير للروح » ، مع أن الروح لا تخضع لإرادة أى محضر ، وثانيهما أن كلمة روح تستعمل فى أكثر من معنى .

الفصل الثاني

في الظواهر الوساطية بوجه عام

لم ينشأ العلم الروحي الحديث عن رغبة في دراسة سر الحياة الإنسانية نبتت لدى أى عالم ، بل نشأ عن محض دراسة معملية لظواهر تعرف الآن باسم الظواهر الوساطية أو فوق العادية أو غير المألوفة ، وهى لا تخضع لسلطان أى إنسان كما قلنا . بل إن الوسيط نفسه لا يعلم كيف تحدث ولا متى ، أو لماذا تحدث أحياناً ، ولا تحدث أحياناً أخرى . وليس لظهور الوساطة سن معينة ، فقد تظهر مبكرة وقد تظهر متأخرة ، وقد تتطور مع الوقت وقد تنمو وقد تضعف . وقد يفقد الوسيط موهبته الطبيعية لسبب لا يعلمه ، وقد تعود إليه هذه الموهبة بعد وقت طويل أو قصير وقد لا تعود إليه أبداً .

كما لا تخضع لسلطان أى عالم أو مجرب ، لأن دور العالم مقصور على التحقق من حدوثها إذا ما حدثت وتدوين مشاهداته بشأنها ، فدراسة هذه الظواهر هى أشبه ما تكون بدراسة ظواهر الطبيعة المختلفة التى يقتصر دور العلم المادى على تسجيلها ومحاولة البحث عن أسبابها وترتيب نتائجها ، مثل تجمع السحاب وتكاثفه أو تكون قوس قزح ، أو هبوب الريح ، أو نمو زهرة أو شجرة ، أو شروق الشمس أو غروبها أو كسوفها أو البقع الشمسية ، أو خسوف القمر ...

وكل ما يملكه الوسيط أو العالم بشأن هذه الظواهر هو تهيمته الظروف التى قد تبدو مؤاتية لتيسير حدوثها ، إذا ما توافرت له باقى الأسباب المطلوبة . ومن هذه الظروف الهدوء ، والتنظيم فى مواعيد معينة ، والمواظبة . وأحياناً الظلام أو الضوء الخافت أو الأحمر ، بالإضافة إلى وجود الوسيط أو الوسطاء مجتمعين فى انتظار حدوثها . ويلزم لها جو من التوافق فى

الفرقة قد تساعد على تحقيقه الصلاة أو الموسيقى الهادئة أو الأناشيد .
ونجاح الجلسة قد يتوقف على الأشخاص الموجودين فيها ، إذ قد تنبعث
من أحدهم طاقة تدخل الطاقة المنبعثة من الوسيط . أو بمباراة أخرى إن
جميع الموجودين في الجلسة - ومنهم الوسيط أو الوسطاء - يكونون
أجزاء في د بطارية كهربائية ، واحدة يتوقف على نوعها وعلى قوتها نوع
الظواهر الوساطية التي قد تحدث وقوتها ، بل نجاحها أو فشلها في النهاية .
ومع مراعاة أن بعض الجالسين قد تصدر منه طاقة إيجابية ، والبعض الآخر
طاقة سلبية ، ونظر ذلك قد يساهم في نجاح الجلسة أو فشلها .

وفي هذا الشأن يقول جيمس آرثر فندلاي - مدير المعهد الدولي للبحث
الروحي - : « وقد لا يصل بعض الناس إلى نتيجة ما لأنهم يعيشون اهتزازات
تجعل من المستحيل على أوائك الذين في الجانب الآخر أن يحضروا خلالها
إليهم ، وذلك لأن اهتزازات الشخصيتين تتصادم وتفسد الظروف اللازم
توافرها . وهذا هو السبب في أن بعض الناس جليس صالح وبعضهم جليس
غير صالح ... فالانسجام أو التوافق هو الغرض المطلوب وهو ضروري
كالوسيط القوي ، وهذا هو ما حاولنا دائماً أن نوجده في جلسات سلون
(الوسيط) ... ولا شيء كالموسيقى يساعد على إيجاد حالات التوافق .
فللا اهتزازات الموسيقية ، على الرغم من أن الهواء هو الذي يحملها وليس
الآثير ، تأثير غير مباشر في الاهتزازات التي نطلقها في الآثير ، ولهذا
كنا نبدأ الجلسة بالغناء بصحبة الأرغن (الهارمونيم) ... » (١)

كما لخصت إحدى الأرواح العقبات التي قد تحول دون نجاح الاتصال
بالأرضيين قائلة : « هنالك صعوبات جمة نواجهها قبل التمكن من الاتصال
بكم . فصعوبة اختراق هالة الوسيط وصعوبة التحكم في حواسه وتفكيره ،

(١) على حافة العالم الأنثري طيبة ٣ من ٦٣ .

وصعوبة إلهامه وصعوبة إيقاعه في غيبوبة ، وصعوبة محب مادة الاكتوبلازم من دمه ، وصعوبة إبعاد الموجات الفكرية المعاكسة ، وصعوبة منع المتطاولين من الأرواح الجاهلة من الاقتراب والتأثير في مجرى أعمالنا ، هذا عدا صعوبة القضاء على الشعور بالخوف والاضطراب بين الوسيط والمجتمعين معه . أضف إلى كل ذلك صعوبة التأثير في عقول الأعضاء وتشجيعهم وحشهم على المثابرة والمضي في تكرار اجتماعاتهم لمدة طويلة لإعطائنا المجال الكافي للتغلب على هذه الصعوبات جميعها . فالصعوبات عديدة ، والقليل جداً من يتمكن من التغلب عليها في ظروف خاصة . وكلما زاد فهمكم لهذه الحقائق كلما سهلت مهمتنا في التغلب على الصعوبات ...» (١)

كما يقول أيضاً شو دزموند Shaw Desmond — مؤسس « المعهد الدولي للبحث الروحي بلندن » — « إنني أحذر كل إنسان : فإن الاتصال بسكان العالم الكوكبي مليء بأسباب العثار ، محتاج للدراسة والصلاة ، وقبل كل شيء للذكاء وللإخلاص وللإيمان . فإن بملسكة السماء لا تؤخذ قسراً بل تحتاج إلى الحاف متواصل ، بل إلى حصار إذا صح هذا التعبير . لكن مع المثابرة ستجد أن الحواجز قد انهارت وأصبح في مقدورك الحديث مع موتاك ، وتصبح متأكداً بالتالي أن ابنك المتوفى (أو ابنتك) كثيراً ما يكون معك راعباً في الحديث إليك ناظراً إليك بحنان» (٢) .

وعند أمثال هذه المعاني التقى جميع الباحثين في الروحانيات .

بعض وسطاء الإلهام البارزين : سويدنبيرج

في تاريخ الحركة الروحية توجد أسماء بارزة بوجه خاص لوسطاء كانوا عمداً حقيقية لها . ومنهم مثلاً وسيط الطرح الروحي والإلهام السويدي عمانوئيل سويدنبيرج E. Swedenborg الذي تعتبر كتبه في الروحية

(١) من رسالة لروح اسمه هنري كراتون على الوسيطة الكندية ماري مارشال في سنة ١٩٤٢ .

مجلة « عالم الروح » عدد أبريل سنة ١٩٥٨ ص ٢٢ .

(٢) في مؤلفه « كيف تحيا عندما تموت » طبعة ١٤٣٠ .

من أهم المراجع حتى الآن ، مع أن هذا الوسيط يرجع تاريخه إلى ما قبل ظهور حركة البحث الروحي العلمي الحديث ، لأنه ولد في استوكهلم في سنة ١٦٨٨ وتوفي في ١٧٧٢ ، إذ أن الإلهام الروحي قديم قدم الإنسان هذا وقد اختير سويدنبرج عضواً في أكاديمية العلوم في سان بطرسبورج في سنة ١٧٣٤ وعضواً في الأكاديمية الملكية للعلوم في استوكهلم في سنة ١٧٤١ .



سويدنبرج

ويصفه الدكتور محمد مصطفى حلى أستاذ الفلسفة والتصوف بكلية الآداب بجامعة القاهرة بأنه «برز في كل فرع من فروع العلم اشتغل به أو شارك فيه: فمنذ العشرين من عمره درس سويدنبرج العلم . وكتب كثيراً في كثير من فروعه ، وخلف تراثاً ضخماً في كل من هذه الفروع ، حتى يقال إن جملة مؤلفاته وآثاره العلمية تتجاوز في عدتها ما خلفه شكسبير .

وإذا كان ذلك كذلك ، فقد أصبح اسم سويدنبرج علماً من الأعلام بين علماء الدين واللاهوت ، كما كان صاحب منزلة كبرى بين الصوفية من أصحاب الأحوال النفسية والأذواق الروحية ، وكما كان فوق هذا كله جيولوجياً عالماً بطبقات الأرض ، ومنجماً خبيراً بالمعادن وبغيرها مما تحتويه الأرض والمناجم في بطونها وعالمها رياضياً وفلكياً وطبيعياً وكيمائياً وحيوياً له ذرية كبرى بعالم الحياة ، بقدر ماله من هذه الدراية بعالم المادة من ناحية وبالعالم النفس والعقل والروح من ناحية أخرى .

ولم يكن سويدنبرج صاحب فضل في هذه العلوم من الناحية النظرية لحسب ، وإنما كانت له نتائج وثمرات لها خطرهما من الناحية العملية أيضاً . فقد طاف حول أوروبا وأفاد كثيراً من طوائفه سواء من الناحيتين العلمية

والعملية : ذلك بأنه بعد عودته من هذا الطواف عين في منصب مساعد مدير منجم ، وهناك أتيج له من فرص العمل ما يمكنه من إدخال صناعات جديدة إلى بلاده ومن ابتكار أشياء مستحدثة

وليس من شك في أن سوينبرج الذى ألم بهذه العلوم كلها ، وشارك فيها مشاركة جديدة منتجة لأحسن النتائج العلمية وأطيب الثمرات ، قد كان له من الخصائص النفسية والعقلية والخلقية ما هيا له سبيل التفوق فيما ألم به من أطراف هذا الخضم العلمى الواسع ، وفيما انتهى إليه من هذا الانتاج العلمى الرائع . وآية ذلك أنه ما ألم بعلم من العلوم إلا وكان إلمامه به تعمقاً ، وما عمل عملاً من الأعمال إلا وكان عمله تحقيقاً : فهو عندما كان يريد أن يعرف شيئاً أو ينظر فى شيء ، أو يعمل أية ملكة من ملكاته الحسية أو النفسية أو العقلية أو الروحية فى أى شيء فإنما كان كل أولئك عنده على أحسن وجه وأدق وأعمقه ، بحيث أنه لم يكن ثمت موضوع يوجه إليه نشاطه المتدفق وعقله المدقق وقلبه المتذوق إلا ويستمد منه قوته الخارقة وقدرته المحققة ويصطنع فى معرفة حقيقة أمره والوصول إلى مكنون سره فطرته الخدسية الصادقة . . .

هذا نموذج مما كتب عن سوينبرج الوسيط الملهم الذى عزا صراحة مواهبه إلى هذه الوساطة ، كما أسند فلسفته لروحانية صراحته إلى صلاته التى لم تنقطع بعالم الروح لمدة سبعة وعشرين عاماً بدأت فى سنة ١٧٤٤ ، فإذا به يصبح أيضاً — على حد تعبير الدكتور محمد مصطفى حلى — صاحب رؤى ومكاشفات ونبوءات . ومن ثم استحال رجل العلم والأعمال والفيلسوف الطبيعى الذى عول على المنهج التجريبي إلى رجل يرى أشياء ويسمع أصواتاً ويصف ما يرى وما يسمع وصفاً لا يكاد يقف عليه من يتحدث به إليه حتى يتعجب وبدهش ويستولى عليه القلق والخيرة ، فإذا هو بين مصدق ومكذب أو بين متردد ومتحفظ على أقل تقدير ...

وليس من شك أيضاً في أن سويدنبرج قد وقف شطراً كبيراً من حياته وحيويته على أداء رسالته الروحية التي غيرت وجه حياته العلمية والفلسفية الواقعية الأولى. فإذا هو يتحدث ويكتب عن نعيم السماء وجحيم الأرض، وعما في العالمين العلوي والسفلي من أسرار، وما يشرق في باطن أرباب الحب الإلهي من أنوار، وإذا ثمرات ما كتب عنه وما تحدث به تراث روحى من الكتب والرسائل التي تعرض لكثير من المسائل الغيبية وتعبّر عن كثير من الآذواق والمواجيد الروحية، فضلاً عما فيها من عناصر علمية وفلسفية^(١)

وأهم مؤلفات سويدنبرج الروحية هي « أسرار السماء »^(٢) (بين عامي ١٧٤٩ و ١٧٥٦) ، و « الفردوس والجحيم »^(٣) ، (١٧٥٨) و « الحكمة الملائكية للحب الإلهي والحكمة الإلهية »^(٤) (١٧٦٣) و « الحكمة الملائكية للعناية الإلهية »^(٥) (١٧٦٤) ، ثم « علاقة النفس والجسد »^(٦) (١٧٦٩) و « المذكرات واليوميات الروحية » (نشرت بين عامي ١٨٨٣ و ١٩٠٢)^(٧) . وقد كتب سويدنبرج هذه المؤلفات باللاتينية ، ثم ترجمت إلى ثمانى عشرة لغة أخرى بين أوروبية وشرقية .

أندروجا كسره دافيز

لا تقل غرابة عن حياة سويدنبرج حياة الوسيط الشهير أندروجا كسون

(١) راجع في مجله « تراث الإنسانية » التي تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القوى، المجلد الأول عدد ١١ الصادر في ٥ نوفمبر سنة ١٩٦٣ ، بحثاً علمياً محايداً عنوانه « الحب والحكمة الإلهيان » لسويدنبرج .

(٢) Arcana Coelestia,

(٣) De Coelo et Inferno.

(٤) Sapientia Angelica De Divino Amore et de Divina

Sapientia.

(٥) Sapientia Angelica De Divina Provendentia.

(٦) De Commercio Animae et Corporis.

(٧) ترجم إلى الانكليزية بعنوان

The Memorabilia or Spiritual Diary,

دافيز Andrew Jackson Davis الذى ولد فى ولاية نيويورك فى سنة ١٨٢٦ وكان عاملاً بسيطاً يبلغ من العمر ١٩ عاماً عندما بدأ منذ سنة ١٨٤٥ يملئ، وهو فى حالته الوساطية ، كتباً رائعة بلغ عددها الواحد والثلاثين كتاباً أهمها : مبادئ الطبيعة :



أندرو جاكسون دافيز

وحياها المقدس، ^(١) (١٨٤٧) فى ثمانية أجزاء و «قانون الإنسانية» ^(٢) و «التناسق العظيم» ^(٣) (١٨٥٢) فى خمسة أجزاء، والننى قال الدكتور جورج بوش George Bush الأستاذ بجامعة نيويورك عنها إنها «تكون فى مجموعها مناقشة فلسفية عميقة ومتأسكة للسكون. ولا أعرف أن ثمت بنياناً آخر يدانها من ناحية

عظمة الأفكار واستقامة المبادئ ووضوح العرض والترتيب والغنى الواسع فى الموضوع . . encyclopedic richness of subject .

ومن مؤلفاته أيضاً : العصر الحاضر والحياة الداخلية، ^(٤) ، (١٨٥٣) و «الموت والحياة الأخرى» ^(٥) (١٨٦٥) ، و «مفتاح نجى إلى السمرة لاند» ^(٦) (١٨٦٨) و «الروح القديمة والحديثة» ^(٧) و «الاضطراب

-
- | | |
|---|-----|
| The Principles of Nature. Her Divine Revelations. | (١) |
| The Law Of Humanity. | (٢) |
| The Great Harmonia. | (٣) |
| The Present Age and the Inner life. | (٤) |
| Death and the After Life. | (٥) |
| A Stellar Key to Summerland. | (٦) |
| Ancient and Modern Spirit. | (٧) |

العقلي،^(١) (١٨٧١) ودالمعبد : عن أمراض المخ والأعصاب،^(٢) (١٨٧١) ودأحداث في حياة أحد الرائيين،^(٣) (١٨٧٣) ودأفكار حرة متعلقة بالدين،^(٤) (١٨٧٣) ودالإنسان المتناسق؛ أو أفكار للعصر،^(٥) (١٨٧٣) ودأنازيخ الشر وفلسفته،^(٦) (١٨٧٣) ودأوجها نفاظر إلى مسكننا السماوى،^(٧) (١٨٨٣) ودأما بعد الوادى،^(٨) (١٨٨٥) وغيرها كثير . وقد أسس دأفيز في سنة ١٨٦٣ في أمريكا أول مدرسة روحية للأحداث .

وهكذا نجح هذا العامل الشاب بفضل مرشديه غير المنظورين — ومنهم روح سويدنبرج كما قال هو نفسه — في إقامة دعائم العقيدة الروحى الحديث قبل أن يتبهى العلم المادى تجاربه المثيرة فى الروحية^(٩) . وقد توفى دأفيز فى سنة ١٩١٠ ولا يزال معتبراً رائداً كبيراً من رواد هذه الحركة ، كما يعتبر الأديب و. هـ. إيفانز W. H. Evans حجة فى شرح هذه الفلسفة الكبرى، ومؤلفاته من أعمق المراجع فيها ، وفى فلسفة الروحية بوجه عام .

هدسون تاتل

من أبرز وسطاء الروحية فى أمريكا هدسون تاتل Hudson Tuttle (١٨٣٦ — ١٩١٠) وهو من وسطاء الكتابة التلقائية والرؤية . وله عدد رافر من المؤلفات الرائعة العميقة التى اجتذبت الأنظار إلى وساطته الفذة .

Mental Disorder. (١)

The 'Temple : On Diseases of The Brain and Nerves. (٢)

Events in the life of a Seer. (٣)

Free Thoughts Concerning Religion. (٤)

Harmonial Man or Thoughts for the Age. (٥)

The History and Philosophy of Evil. (٦)

Views of our Heavenly Home. (٧)

Beyond the Valley. (٨)

(٩) راجع مؤلف الأديبة سيديون سان كلير Simone Saint Clair واسمه

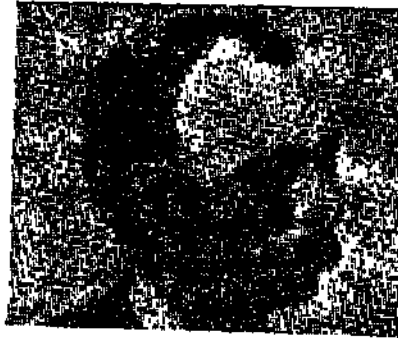
Le Flambeau Ardent وقد نقلته إلى الإنجليزية السيدة سوزان آن موير Susan

Anne Moyse تحت اسم The Heart A Flame فى سنة ١٩٥٥ من ٣٩ .

والتي لا تتناسب أبداً مع مستواه الثقافي ولا مع حياته المتواضعة كزارع ومرب للخيل في « مرتفعات برلين » بولاية أوهايو Ohio ، وهي الحياة التي تمسك بها حتى وفاته

وأهم مؤلفاته وتطور الأفكار الدينية، ^(١) (١٨٧٢) و « أسرار الروحية »، ^(٢) (١٨٧٦) و « الأخلاق الروحية »، ^(٣) (١٨٧٨) ، و « دراسات في الجوانب العامة للعلم الروحي »، ^(٤) (١٨٨٩) و « ديانة الإنسان والأخلاق العلمية »، ^(٥) (١٨٩٠) و « فلسفة الروح ، وعالم الروح »، ^(٦) (١٨٩٦) و « الوساطة وقوانينها »، ^(٧) (١٩٠٠) و « قصص من وراء الأرض المجاورة »، ^(٨) (مع إيمارود تاتل Emma Rood Tuttle) (١٩١٠) .

وقد أقر تاتل بأنه تلقى كتبه من أرواح معينة فأسند مؤلفه عن « أسرار الطبيعة »، ^(٩) إلى روجي العالمين لامارك Lamarck وهمبرولد Humboldt وغيرهما . ويقال إن داروين أخذ بعض آرائه من مؤلف له قديم عنوانه « أصل الإنسان الفيزيقي وتاريخه القديم »، ^(١٠) (١٨٦٦) .



هدسن تاتل

كما أقر بأنه كان في كل كتاباته رهن إشارة بعض الأرواح التي تفوقه كثيراً من الناحية العقلية، والتي كانت تتخلل عنه

Career of Religious Ideas.	(١)
The Arcana of Spiritualism.	(٢)
Ethics of Spiritualism	(٣)
Studies in Outlying Fields of Psychic Science.	(٤)
Religion of Man and Ethics of Science.	(٥)
Philosophy of Spirit and the Spirit World.	(٦)
Mediumship and its Laws.	(٧)
Stories from Beyond the Borderland.	(٨)
Arcana of Nature,	(٩)
Origin and Antiquity of Physical Man.	(١٠)

أحياناً لأساييع أو لشهور فيجد أن ينايع أفكاره قد نضبت ، فإذا ما عمد إلى الكتابة بدونها تبين له أنه كتب لغواً لا يستحق عناء القراءة ، بما حمله على أن يتأكد أن هناك قوى عاقلة سامية متداخلة في حياته .

وغير وسطاء الإلهام الذين تحدثنا عنهم آنفاً ظهر وسطاء آخرون كبار يضيق المقام عن التحدث عنهم^(١) . ولفر الآن مروراً سريعاً على بعض وسطاء الظواهر الفيزيائية والعقلية بعد هذه الإمامة السريعة ببعض وسطاء الإلهام من رواد الحركة الروحية الحديثة .

من وسطاء الظواهر الفيزيائية والعقلية

أخذت قائمة الوسطاء الكبار — ممن يتمتعون بشتى صور الوساطة الفيزيائية والعقلية — تتسع شيئاً فشيئاً حتى أصبحوا يعدون بالعشرات بعد إذ كانوا يعدون بالأحاد عندما كانت الحركة في مهدها . ونقصد بالوسطاء الكبار أولئك الذين امتحنتم موهبتهم هيئات عليمة موثوق بقيمة امتحانها وبحوثها ، أو الذين خضعوا لتجارب علماء كبار لم يتعودوا أن يسلموا للوسيط بموهبته إلا بعد تجارب شاقة وعسيرة قد تستمر لسنين طويلة . ومحاولة حصرهم كلهم أو بالأقل حصر أهمهم يضيق عنها موضوع المؤلف الحالي ، وإنما نكتفي بالإشارة إلى عدد منهم محدود فحسب .

فلورنس كوك

فن أشهر وسطاء الظواهر الفيزيائية في القرن الماضي فلورنس كوك Florence Cook (١٨٥٦ — ١٩٠٤) التي خضعت لتجارب العالم المعروف سير وليام كروكس William Crookes وآخرين غيره ، وتجسدت

(١) راجع في هذا الموضوع ، أولاً للوسيط المصري الأستاذ عبد اللطيف محمد البساطي عنوانه « الوساطة الروحية » . القاهرة ١٩٤٩ . وبالإنجليزية كتاب « وسطاء ثلاثة مشهورون » Three Famous Mystics وهم سانت مارتن وجاكوب بوبم وسويدنبرج . وهو من تأليف آرثر ادوارد ويت A. E. Waite وسوانسون W. P. Swainson وسنشير فيما بعد إلى مراجع كثيرة عن بعض الوسطاء ومراجع أخرى جاءت عن طريقهم .

في حضورهم الروح كاتى كنج Katie King تجسداً تاماً . وكانت هذه التجارب حاسمة إلى الحد الذى دفع كروكس إلى تقديم تقريره التاريخى إلى المجمع العلمى البريطانى — الذى كان هو رئيسه — بجانب تجاربه على الوسيط هوم ، على ما سيرد تفصيله فيما بعد فى الباب الذى خصصناه لبيان بعض الوقائع والبيانات .

أسايا بلاديرو

ومن وسطاء الظواهر الفيزيكية أيضاً الوسيطة الأسبانية المعروفة أسايا بلاديرو Eusapia Palladino التى ولدت فى سنة ١٨٥٤ وتوفيت فى سنة ١٩١٨ . وكان روحها المرشد إيطالياً يدعى جون كنج John King وخضعت لتجارب عدد كبير من أبرز العلماء فى العصر الحالى منهم لومبروزو Lombroso وشيايا Chiaia وبوزانو Bozzano وشكاباريلى Schiaparelli وجيروزا Gerosa فى إيطاليا ، وأوليفر لودج O. Lodge وف. و. ه. مايرز F. W. H. Myers وأوشكورين Ochorowicz وريتشارد هودجسون R. Hodgson فى إنجلترا وشارل ريشيه C. Richet ودى روشا De Rochas وجابريل ديلان G. Delanne وفكتوريان ساردو V. Sardou وغيرهم فى فرنسا . كما أجريت لها عدة تجارب فى سويسرا اجتازتها بنجاح .

وقد ذكر بعض الباحثين فى جمعية البحث الروحى البريطانية S. P. R. فى تقاريره أنه اكتشف أن أسايا تدلس ، لأنه لاحظ وجود شعرة رقيقة أو خيط أبيض رفيع متصل بيدها ، فأسندوا إليه إحداث بعض الظواهر . وقال بعض المجريين بل يد ثلاثة أو عصا . وقد كان لإذاعة هذا التقرير أثره من ناحية التشكيك فى صحة وساطة أسايا رغم كل وسائل الامتحان الصارمة التى خضعت لها فى هيئات متعددة واجتازتها كلها بنجاح .

ولكن يقول الباحثون المعروف جابريل ديلان G. Delanne إن ما شهد متصلاً بجسم الوسيطة عبارة عن السيالات الاكثوبلازمية المنبعثة منها

les filaments fluidiques وأن هذه الهيالات كثيراً ما تتجسد في أشكال خيوط شعرية أو أجسام صلبة بحسب نوع الظواهر التي يراد إحداثها ، فهي ليست من التدليس في شيء ، ولذا يقول إن هذا التقرير خاطيء برمته وصدر من أشخاص لم تكن لديهم دراية كافية بعد عن طبيعة الظواهر التي تصدروا لتحقيقها^(١) .

تضاف إلى ذلك حقيقة أخرى يعلمها الآن جيداً بحاث الروحية ، وهي أنه عندما يكون الوسيط الروحي واقعاً في غيبوبة تامة فإنه قد يكون خاضعاً للإيحاء الصادر من كائنات غير منظورة ، كما قد يخضع للإيحاء الصادر من بعض الجلساء . فإذا ما حصر الجلساء أفكارهم في الخداع والتدليس (المحتمل بصورة أو بأخرى) فإنه من الجائز توجيه عقل الوسيط إلى هذا الاتجاه نفسه ، إذ أن الوساطة الصحيحة لا تخرج بدورها عن ملكة إدراك عن غير طريق الحواس أثناء الغيبوبة ، وهذه الملكة تقبل بطبيعتها الخضوع للإيحاء أياً كان نوعه أو مصدره .

وأياً كان الرأي في صحة هذه الآراء فهناك حقيقة ثابتة ، وهي أن وساطة أسايا اجتازت بنجاح باهر امتحانات صارمة ، عقدها لها عدد كبير من العلماء في عدة بلاد من أشرنا إلى أسمائهم فيما سبق ، بعد إذ استخدموا أقصى الاحتياطات لاكتشاف التدليس إن كان ثمة تدليس فلم يسجل أحدهم تدليساً قبلها .

كما ظلت أسايا من سنة ١٩٠٥ إلى سنة ١٩٠٧ خاضعة لتجارب المعهد العام للسيكولوجيا في باريس التي نظمها الأستاذ جيل كورتنيه Jules Courtier فعقدت لها فيه ثلاث وأربعون جلسة واشترك في هذه التجارب عدد من كبار العلماء منهم بيير وماري كوري Pierre et Marie Curie (مكتشفا الراديوم) ، ودارسونفال (الأستاذ بالكوليج دي فرانس ومدير المعهد)

(١) Les Apparitions Materialisées des Vivants et des Morts

ولـ إدوارد برانلى (أحد مخترعى الراديو) وریشيه (عضو أكاديمية الطب والعلوم) ولانجفان Langevin والفيلسوف هنرى برجسون مستخدمين جميع الاحتياطات الدقيقة ، ومع ذلك سجلوا حدوث ارتفاع كامل لمنضدة بدون وسيلة مادية عندما كانت أسايا فى غيوبتها مقيدة الوثاق تماماً ، واستخدموا فى تسجيل الظاهرة الغربية جهازاً كهرياً حتى لا يكون الأمر مجرد تأثير نفسانى عن طريق الإيحاء أو ما هو أشبه . كما أثبتوا أنه أثناء ارتفاع المنضدة ازداد وزن الوسيطة — غير المتصلة بها — بما يعادل تقريباً وزن المنضدة (وهذه ظاهرة تنفى وحدها احتمال التدليس)

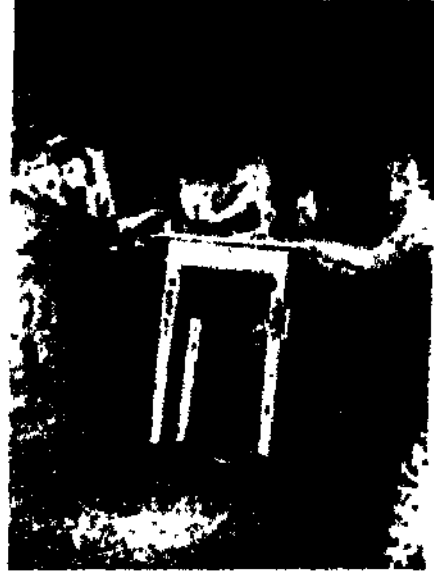
وفى ١٠ أبريل سنة ١٩٠٦ أشرف على تحقيق وساطة أسايا العلماء ميركورى ويوريفتش Yourévitch وشارل ريشيه ، وتبين لهم انبعاث طاقة غريبة من الوسيطة ، كما تبين لهم هبوب نسيم بارد مجهول المصدر على جو الغرفة .

وخضعت أسايا أيضاً لبحوث مدام مارى كورى داخل المعهد الدولى لما وراء الروح ، بباريس . فشخصت مدام كورى ثلاثة كشافات كهربائية وطلبت من الوسيطة ، إن كانت هناك طاقة حقيقية تخرج من جسمها ، أن تفرغ الكشافات بغير أن تلامسها ، وفعلت جازت الوسيطة الامتحان بنجاح وأفرغت الكشافات بغير أن تلامسها حتى انطبقت أوراقها الذهبية .

وقد حقق وساطتها أيضاً الفيلسوف كامى فلاماريون C. Flammarion واجتازت عدة تجارب ناجحة فى منزله بعد اتخاذ كافة الاحتياطات معها . وتمكنت — بالإضافة إلى رفع المناضد — من القيام بأعمال نحت على أحجار صلبة بعيدة عن متناول يدها ، كما يتضح من الصورتين الآتيتين المأخوذتين عن مؤلفه « قوى الطبيعة المجهولة » (١) .



أعمال نحت عن يدي تمت في حضور أسابيا (المرجع السابق ص ١٨٦)



ارتفاع المنصة في حضور أسابيا كما سجله
الاماريون . وقد أختفى أحد الحاضرين وجهه
الوسطية بمخدة لحماية من ضوء الفلاش
(من قوى الطباعة المجهولة ص ٢٢)

ولا يتسع المقام لأكثر من ذلك عن أسابيا ، ومن يريد الاستزادة
من المعرفة عنها فليرجع إلى بعض البحوث التي قام بعملها علماء كبار ،
وبحاث ثقة مدققون من بلاد متعددة (١) .

(١) منهم : Morselli : Psicologia & Spiritismo, Turin 1908.

Carrington: Eusapia Paladino and Her Phenomena.

De Rochas: L'Exteriorisation de la Motricité.

G.D. Fontenay : Apropos d'Eusapia Paladino, Paris 1898.

Lombroso : After Death — What ? 1909.

Rapport de L'Institut General de Psychologie. Paris

Journal S.P.R. Vol. VI and VII.

Proceedings S.P.R. Vol. XXIII and XXV.

Botazzi : Nelle Regioni Inesplorate della Biologia 1904.

L. Barzini : Mondo dei Misteri 1907.

مراسم ديسبرانس

ومنهم أيضاً الوسيطة الفرنسية مدام ديسبرانس Madame D'Esperance

أو مستر هوب « ١٨٥٥ - ١٩١٩ »

وكانت وسيطة للتجسد والبلجوبات

الروحية، وخضعت لتجارب الوزير

والعالم اللغوي الروسي أكزاكوف

Aksakoff ولبعض العلماء الألمان

منهم زولتر Zollner من ليبزج

وفريس Friesse من بريسلو وغيرهم .

وفي مدينة كريستيانا بالنرويج

خضعت لتجارب ثلاثين من أساتذة

مدام ديسبرانس

الجامعات والأطباء ورجال الدين . وفي حضورها تجسدت تجسداً تاماً

روح مفرطة في الجمال لفتاة إغريقية تدعى نيفنتس Nephentés ولما طلب منها

أحد الحاضرين — بغثة — أن تكتب له شيئاً في مفكرة معه كتبت له رسالة

صداقة باللغة اليونانية القديمة التي لم يكن أحد من الحاضرين يعرف عنها شيئاً .

وقام بعض الخبراء بإشراف الدكتور فون دي برجن Von De Bergen

بصنع نموذج من شمع البارافين للوجه المتجسد والصدر والذراعين إلى

الرسمين ، والوسيط في غيبوبة تامة (١) .

(١) راجع التفاصيل في مؤلف العالم النفسى لارستو بوزانو

A Propos de L'Introduction à la Métapsychique Humaine, J. Meyer. Paris 1926.

الترجمة الفرنسية (من ١٨٦) .

ومن المراجع عن هذه الوسيطة أيضاً : —

William Oxley : Angelic Revelations.

Aksakoff : A Case of Partial Dematerialisation

ومن كتبها الخاصة Au Pays de L'ombre وله ترجمة انجليزية عنوانها

Shadow Land ولها كتاب آخر عنوانه « أضواء من السماء » Northern Lights

وصنع أمثال هذا النموذج أصبح الآن أمراً معروفاً ، ينفى بذاته كل احتمال لتدليس أو لإيحاء أو لما أشبه ، على ماسيلي فيما بعد ، عند ما نتحدث عن التجارب التي تمت في عدة بلاد على الوسيط البولندي فرايك كلاسكى .

إيجلنتون

ومنهم الوسيط وليام إيجلنتون William Eglinton الذى ولد في سنة ١٨٥٧ وكان وسيطاً للتجسد الكامل ، كما كان وسيطاً للحصول على رسائل مباشرة من الأرواح على الألواح الحساسة slate writing . وقد خضع لتجارب بعض العلماء الألمان في لينج ، كما شاهد بعض ظواهره ومنها تجسّدات الأرواح في ٢٩ من أكتوبر سنة ١٨٨٤ المستر غلادستون رئيس الوزارة البريطانية وقد انضم بعدها إلى « جمعية البحث الروحي » ، S. P. R. كما خضع إيجلنتون لتجارب « جمعية دالستون للروحيين » (١) و « جمعية بركستون للسيكولوجيا » (٢) و « الجمعية البريطانية الأهلية للروحيين » (٣) .



إيجلنتون

ليونور بير

ومنهم أشهر وسيطة للغيبوبة وللظواهر العقلية غير المألوفة في هذا القرن ، وهى مسز ليونور بير Leonore Piper من بوسطن التى خضعت لتجارب سير أوليفر لودج ، وأحضرت له رسائل كثيرة تحقق من صحتها . كما خضعت

(١) Dalston Association of Spiritualists.

(٢) Brixton Psychological Society.

(٣) British National Association of Spiritualists.

وعنوانها كالآتى : 38, Great Russell St. Bloomsbury .

لتجارب الفيلسوف الأمريكى وليام جيمس William James مدير جامعة هارفارد ، وجعلت منه روحياً من الطراز الأول . ثم خضعت لتجارب عالم الأخلاق ريتشارد هودجسون Richard Hodgson الأستاذ بجامعة كبريدج ، كما خضعت لتجارب هايسلوب Hyslop أستاذ الأخلاق والمنطق بجامعة كولومبيا Columbia ، وجازت كل تجاربها بنجاح تام مما كسب للحركة الروحية أنصاراً جدداً .

مالك وبر

ومنهم جاك وبر Jack Webber الذى كان وسيطاً لتجارب جامعة كبريدج ، وهو وسيط للصوت المباشر وتحريك الأجسام الصلبة ورفعها والطرح الروحى ، والأكتوبلازم ، وقد انتقل إلى عالم الروح فى سنة ١٩٤٠ ، ولنا عودة إليه عندما نتكلم فى أحد فصول الباب الرابع عن « بينات على وجود الجسد الأثيرى » .

كارلو ميرابلى

ومنهم وشيخ من أقوى وسطاء القرن الحالى فى الظواهر الفيزيائية، وهو البرازيلى كارلو ميرابلى Carlo Mirabelli الذى ولد من والدين إيطاليين فى قرية بوتيكاتو بالقرب من مدينة شان باولو فى سنة ١٨٨٩ ، وبلغت مساحته ذروتها فى سنة ١٩٢٠ . وفى سنة ١٩٢٦ أخضع نفسه لبحوث أكاديمية الدراسات الروحية Academia de Estudos Psychicos بالبرازيل خلال ثلاثمائة واثنتين وتسعين جلسة تم بعضها فى ضوء النهار أو فى ضوء مصباح قوى ليلاً ، قبل أن تكتب الأكاديمية تقريرها عنه . وقد ورد فيه أنه نجح فى التكلم بست وعشرين لغة ، وفى الكتابة بثمانى وعشرين لغة لا يعرفها ، منها العربية بالإضافة إلى الحديث بثلاث لغات مندثرة وهى الهيروغليفيه واللاتينية والكلدانية .

كما تبين أنه وسيط للتجسد الكامل ، فى حضوره شوهدت أرواح متعددة ، منها كريمة الدكتور دى سوزا التى تجسدت لمدة ٢٦ دقيقة وراها الحضور (م ٨ — الإنسان روح)

جميعاً مرتدية نفس ثيابها التي دفنت بها ، والتقط لها والدها صورة واضحة . ومنها روح الدكتور جوزى دى كاماريو التي تجسدت تجسداً كاملاً فقام الدكتور دى سوزا بفحص ضربات القلب وحركة التنفس وتقلصات الأمعاء والأسنان واللحاب والأظافر والعينين . وقرر أن الفحص أسفر عن أن جميع هذه الأجهزة تعمل كما لو كانت لإنسان عادى (١) .

وفي إحدى الجلسات ربط ميرابلى وختمت عقد الحبال التي قيد وثاقه بها بالشمع الأحمر ، وبعد الغيبوبة بلحظات وجد في غرفة أخرى وهو لا يزال في غيبوبته ، وقد تبين أن جميع الاختام التي وضعت على الأبواب والنوافذ وعقد الحبال لا تزال سليمة . وذلك بالإضافة إلى تحقيق ظواهر شتى للمجاولات الروحية وغيرها ، وقد تمت كلها على أروع وجه وأدعاه إلى الاقتناع . وبعد انتقال هذا الوسيط إلى عالم الروح خلدت حكومة بلاده ذكره على خمسة ملايين طابع بريده تحمل اسمه وصورته ...

استيل روبرتس

ومنهم استيل روبرتس Estelle Roberts وهي وسيطة للجلاء البصرى والسمعى وللكتابة التلقائية . وقد خضعت لبحوث هانن سوافر Hannen Swaffer نقيب الصحفيين البريطانيين ، وموريس باربانيل Maurice Barbanell أحد كبار الكتاب الروحيين . وكانت تقدم ظواهرها علناً في أغلب المدن الكبرى وفي حضور عدد غفير من المشاهدين .

كما استعانت بها السلطات البريطانية للكشف عن غوامض جناية قتل فنجحت في الإنباء عن مكان وجود جثة الطفلة القتيلة في قاع أحد الأنهار بجوار

(١) راجع مجلة Zeitschrift fur para-psychologie عدد أغسطس سنة ١٩٢٩ وجريدة البحث الروحى Psychic Research مع تطبيق لعالم الباراسيكولوجى دينجوال E.C. Dingwall في عدد يولية ١٩٣٠ ومقالا للرحوم الدكتور زكى العزيزى الطيب النفسانى في مجلة « عالم الروح » عدد يونية سنة ١٩٥٩ ص ٢٤ - ٢٨ .

قنطرة، وفي الإرشاد عن الطريق الذي سلكه الجاني لإخفاء الجثة. وقد ثبتت صحة كل ذلك فيما بعد بالوسائل العادية، كما تم العثور على الجثة في المكان الذي عينته الوسيطة، ولما تجمعت الأدلة السكافية ضد القاتل حوكم وأعدم^(١).

وسطاء للمدح الرومي

ومنهم وسطاء للعلاج الروحي حققت صحة وساطتهم هيئات ومعاهد شتى، مثل و. ت. باريش W.T.Parish ووليم هنري ليللي William H.Lilley وهاري إدواردز Harry Edwards وقد كتبت عن ثلاثتهم



العلاج الروحي وليام باريش وقد التقطت له هذه الصورة بالأشعة دون الحراء فظهرت إلى جواره الروح المهيمنة عليه

مؤلفات من باحثين محايدين كان هدفهم التحقق من مدى صحة العلاج الروحي، وإعلانه للقراء إن كان صحيحاً. وكان التحقق من نجاح بعض حالات العلاج الروحي من أقوى البواعث التي حملت الفيلسوف وليام جيمس إلى التحول إلى الروحية الحديثة، وإلى تطوير فلسفته في اتجاه روحاني جديد على ما سنوضحه فيما بعد، كما سنوضح بعض المراجع عن العلاج الروحي التي قام بوضعها ثقة من الباحثين والمؤلفين.

إثبات الظواهر الوسايطية

بعض صور الوساطة لا يحتاج في إثباته لأي جهاز مادي مثل وساطة الاستشفاف البصري أو السمعى، أو تقوّهات الغيوبية. وبعضها الآخر

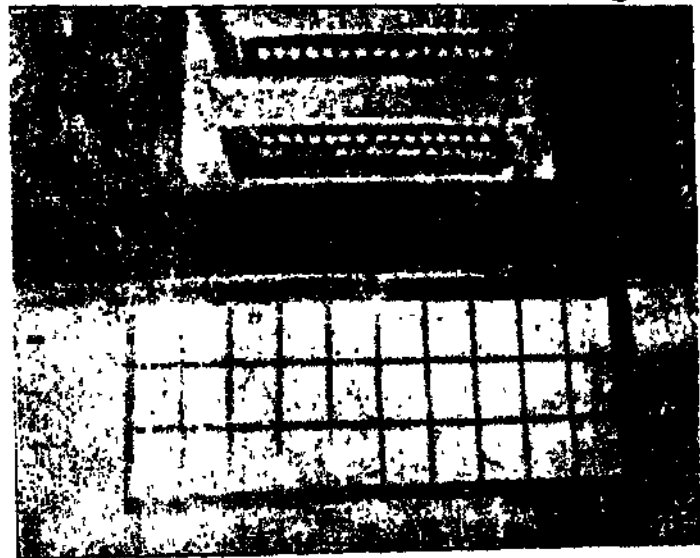
(١) راجع عنها كتاب « استبل ووبرنس » للأستاذ عبد السلام حجازي.

قد يحتاج إلى مجرد قلم وورقة في يد الوسيط كوساطة الكتابة التلقائية .
وبعضها الآخر قد يحتاج إلى مجرد لوحة عليها الحروف الأبجدية Ouija Board
وهي الطريقة الشائعة في الجلسات العائلية ، والتي حلت محل الموائد المتكلمة
التي كانت شائعة في أمريكا وأوروبا عند بدء ظهور الحركة الروحية في منتصف
القرن الماضي . ولوحة الحروف الهجائية أسرع من سابقتها كما أنها لا تحتاج
إلى وساطة قوية ، وبعضها الآخر قد يحتاج إلى سلة صغيرة وقلم وورقة
وهي الطريقة الشائعة في بعض بلاد الشرق الأقصى .

وقد استخدمت عدة أجهزة كاتبة تعمل بالكهرباء وأمكن عن طريقها
تلقي كتباً كاملة من عالم الروح ، لكن يلزم لهذه الأجهزة وجود وسيط
قوى خاص بجوارها هو وسيط تحريك الأجسام الصلبة Telekinesis
وهو عادة نفس وسيط الاككتوبلازم . ومن هذه الأجهزة جهاز
الكوميونيجراف Communigraph والرفلكتوجراف Reflectograph .
بل لقد استعمل أيضاً جهاز تلغراف مورس Morse بعد تغطيته بناقوس



الكوميونيجراف



الرفلكتوجراف

زجاجى منذ سنة ١٩٣٨ فنجح أيضاً فى تلقى رسائل مطولة (١) .
وتستعمل هذه الأجهزة أيضاً فى معهد ماجنا جوبسون للبحوث الروحية
بلندن Magna Jobson . وفيه يتعاون علماء من العالمين فى ابتكار
الأجهزة التى قد تسهل عملية الاتصال الروحى والتى يراد لها أن تعمل بأقل
قدر من الطاقة الروحية التى تنبعث من جسم الوسيط أو الوسيطة . ومن
هذه الأجهزة كذلك جهاز يدعى التليفوكس للصوت المباشر وأنبوبة تدعى
أنبوبة دنجن للعلاج الروحى .

وعن طريق هذه الأجهزة أمكنهم أن يتلقوا كتباً كاملة من عالم الروح
منها كتاب أملة روح سير فانسن كايار Sir Vincent Caillard وعنوانه
« معنى جديد للحبة » (٢) ، وهو قطعة من الأدب الرائع قرظته عند ظهوره
الصحافة السبارة بتقدير كبير . ومثله كتاب « عصفورنى الصغيرة » (٣) الذى
ورد بنفس الطريقة فى سنة ١٩٣٩ .

وتستعمل أحياناً — بالإضافة إلى نوع الوساطة اللازمة — آلات
للتصوير ملحقمة بأجهزة الأشعة فوق البنفسجية ultra-violet لتصوير
غير المنظور فأتت بأحسن النتائج بحضور الوسيط روبرت بورسنيل
Robert Boursenell (١) . كما استعملت أحياناً أخرى أجهزة الأشعة
دون الحمراء Infra-red لتصوير الأرواح المتجسدة أو الظواهر الوساطية
فى الظلام . وأمكن للعلامة وليام كروكس أن يلتقط عشرات من الصور
لروح متجسدة — بالكاميرا فى ضوء المغنسيوم العادى — وهى كأتى كنجم
فى حضور الوسيطة فلورنس كوك على ماسيلى فيما بعد .

(١) وقد وصف هذه التجربة تفصيلاً الأديب شودزمووند فى جريدة الصنداي جرافيك
وسفا مؤيداً بالصورة وصفا الأديب موريس باربايل فى جريدة السايك نيز، وكلاهما شاهدا
رؤية مع آخرين دعوا خصيصاً لحضور التجربة الفريدة وللتثبت من نجاحها .

(٢) A New Conception of Love.

(٣) My Birdy.

(٤) مجلة « السكيلة البريطانية للعلم الروحى » عدد يولية ١٩٢٧ ص ١٠٠ — ١١٢ ولنا عودة
إلى بعض هذه التجارب فى الباب الرابع .

كما يستعمل أحيانا بوق Trumpet في حالة توافر وساطة خاصة تتطلب اجتماع نوعين من الوساطة معاً في مكان واحد : هما وساطة الصوت المباشر direct veice بالإضافة إلى وساطة تحريك الأجسام الصلبة telekinesis .



وتستعمل أحيانا كراس حاسبة للوزن يجلس عليها الوسطاء في غرف الجلسات المكتملة المعدات ، للتحقق من انبعاث مادة الاكتوبلازم ومراقبة وزنها ووقت انبعاثها ووقت عودتها . كما قد يستعمل بارومتر لقياس الضغط الجوي ، لأنه لوحظ في

بوق طائر في سقف الغرفة تم تصويره تحت رقابة علمية بما يميز العلم المادي عن تفسيره (من كتاب التجارب للعلامة بود نجتون طبعة ١٩٣٨)

الجلسات القوية تغير واضح في الضغط الجوي . كما لوحظ تغير مماثل في درجة الحرارة في الغرفة وفي درجة حرارة الوسيط . وكل هذه الأجهزة — وغيرها — لا تستعمل لإنجاح الجلسة أو لإحداث الظواهر الروحية بطريقة آلية ، بل لمجرد التحقق من حصولها إذا ما حصلت ولامتحانها بوسائل التحقيق العلمي المختلفة .

وقد تضاف إلى هذه الأجهزة وسائل أخرى من ابتكار العلماء والباحثين ، وبعضها يستعمل بإرشاد الأرواح المرشدة للجلسات ، التي يعد وجودها أيضاً شرطاً لازماً للجلسات القوية الناجحة ، وبعضها الآخر بغير إرشاد منها . وهي عادة لا تعترض على أية وسيلة يهدف بها الباحث إلى الوصول إلى التحقيق العلمي ما دامت ميسورة ولا يترتب عليها ضرر ما بالوسيط أو بالوسطاء . وكلما تعدد الوسطاء في الجلسة الواحدة كلما كان ذلك أدعى لنجاحها .

الاكتوبلازم

إذا كانت الوساطة من نوع وساطة الاكتوبلازم فإن إثباتها من السهولة
بمكان ، إذ تنبعث عندئذ مادة الاكتوبلازم Ectoplasm (ويطلق عليها
أحياناً وصف سيكوبلازم Psychoplasm أى بلازما الروح) من الوسيط
بشكل واضح من فتحات وجهه ، وأحياناً من مسام جسمه . وقد أمكن
تصويرها مئات من الصور يجد القارىء بعضها فى أى مؤلف أو مرجع من
المراجع التى قام بوضعها علماء ثقافة من بلاد متعددة خصوصاً كبراً
من بحوثهم لدراسة هذه المادة العجيبة . ومنهم شرنك فون نوتزنج
Schrenck Von Notzing وأوكسلى Oxley وريمرز Reimers وجوستاف
جىلى Gustave Geley^(١) والفريد رسل والاس A. R. Wallace ووليام
كروكس W. Crookes وكروford W. J. Crawford وكارنجتون Carrington
وجلين هاملتون Glen Hamilton وغيرهم .

وهذه المادة تحصل عليها الأرواح من جسم الوسيط أو الوسيطة . وقد
سماها هذا الاسم شارل ريشيه Charles Richet ، وهى تتكون من مقطعين
أولها ecto باللاتينية أى خارج وثانيهما plasma أى مصل الدم ، لأنها
تتزع من مصل الدم ومن خلايا الجسم بوسائل لا يزال يجهلها العلم المادى .
وتستخرج هذه المادة عادة من للصفيرة الشمسية للوسيط أو الهالة aura ،
وأحياناً من القلب لأنه مستودع الدم ، وأحياناً من فرق الكتف ويحتاج
استخراجها إلى مران طويل من الروح وإلى غيبوبة وإذعان طويل من
الوسيط أو الوسيطة .

وتضيف إليها الأرواح عادة مادة تستخلصها من الأثير فيصبح اسمها
تلبلازم Teleplasm . واتضح من تحليل مادة الاكتوبلازم أنها تحتوى

(١) وكل تجاربه فى شأنها جرت داخل « المعهد الدولى لادواء الروح بباريس » . وقد وقع
على سحنة تجاربه حوالى مائة شخص من غير رجال المعهد . وفى سنة ١٩٢٣ حضر ثلاثون
شخصاً بارزاً — بينهم ثمانية عشر طبيباً — تجاربه ووقعوا شهادة بصحة ما شهدوه . وقال
جىلى فى شأنها « لئنى لأؤكد أنه ليس هناك خداع ، بل لا توجد طريقة للخداع » .

على كلوريد الصوديوم وفسفات الكالسيوم ، وهى لا غنى عنها لإحداث ظواهر التجسد الكلى والجزئى ، وكثير من الظواهر الفيزيائية الأخرى . وهى من أندر الوسائط ، وفيما يلى سنوضحها ببعض صور منتزعة من المراجع المختلفة:-

الاكتوبلازم بالصور عند وسطاء متعددين

١ - صورة توضح انبثاق مادة الاكتوبلازم من أحد الوسطاء ، وكيف كانت تتشكل فى شكل منديل إكتوبلازمى بجوار منديل عادى



مشبوك بقدم الوسيط
كما شرحها ماك إيندو
Mac Endoe فى محاضرة
له عن ، التكوينات
الروحية ، (عن مؤلف
والتجسيدات ، هارى
بودينجتون . طبعة
١٩٢٨) .

٢ - صورة عن كتاب ، التكوينات
الروحية فى دائرة مسز جوليجر ،
Psychic Structures In The Goligher
Circle (١٩٢١) من تأليف د. ج .
كروفورد أستاذ الهندسة الميكانيكية
بجامعة بلفاست ، وهى تبين انبعاث مادة
الاكتوبلازم من جسم الوسيطة ثم اتخاذها
شكلاً صلباً إلى حد رفع المائدة .





٤ - الاكتوبلازم يتدفق
بغزارة من فم الوسيط الدائم راكي
إيزنيلزن عن مؤلفه ، أداة صلبة
على الحياة بعد الموت .



٣ - عودة الاكتوبلازم المضيء
إلى جسم الوسيط كلايف هولمز
Clive Holmes . (عن كتاب
بودنجتون المشار إليه آنفاً)



٦ - الاكتوبلازم وقد اتخذ
شكل غلالة ثم ارتفع في الهواء بدون
وسيلة مادية منظورة .



٥ - الاكتوبلازم يصنع غلالة
كما تطايرت كمية منه في الهواء .

ظواهر أكتوبلازمية غريبة في حضور الوسيطة ماري



٧ - الاكتوبلازم يتدفق
غزيراً من أنف الوسيطة ماري في
غيوبتها، وقد ظهر خلاله من أعلا
وجه المرحوم ريموند (ابن سير
أوليفر لودج) ومن أسفل وجه
آخر تعرف عليه الدكتور جلين
هاملتسون Glen Hamilton
عن « موسوعة العلم الروحي »
Encyclopaedia of Psychic
Science ، للدكتور ناندور فودور
Nandor Fodor



٨ - نفس الوسيطة
في غيوبتها وقد انبثق
الاكتوبلازم من أنفها ،
وظهر فيه من أعلى وجه سير
آرثر كونان دويل ومعه رجوه
ورموز مجهولة المصدر (عن
المرجع السابق) .

الرد على الاعتراضه بالنمائس

كما تقدم يبين أن نجاح أية جلسة إلى المدى الذي يراد له أن يفهم أشد
المكابرين مسألة أكثر تعقيداً مما قد يتصوره بعض الناس . لحضور جلسة
واحدة فاشلة أو أكثر لا يعنى أن الموضوع كله وهم أو تدليس ، بل إن
العلماء الذين سنشير إليهم جميعهم قد تابعوا دراسته في صبر وأناة لمدة
سنتين طويلة ، وصلت عند بعضهم إلى عشر سنين أو عشرين أو ثلاثين أحياناً
قبل إبداء رأى حاسم بشأنها . وكل الذين شهدوا لمصلحة صحة هذه
الظواهر تحدثوا عن جلسات فاشلة أو ضعيفة ، وأخرى ناجحة قوية ، كما
تحدثوا عن تدليس كشفوه عند بعض الوسطاء ، وعن وساطات أخرى
صمدت لأغنى وسائل الكشف والتحقيق باللغة ما بلغت من الشدة والصرامة .

فمثلاً واصل الباحثة الأمريكية شارل ليفرمور Charles Livermore —
لمدة خمس سنين — وكان مديراً لأحد المصارف — بجوئهم الوسيطة كاتى فوكس
Katie Fox يعاونه الدكتور جون جراى John F. Gray وحضر معها
٣٨٨ جلسة . وفي إحدى هذه الجلسات تجسدت زوجته الراحلة استيل
Estelle . كما شاهد يداً متجسدة ظلت تكتب لمدة ساعة كاملة بقلم رصاص
فضى ، ثم أخذت اليد تتلاشى تدريجياً إلى أن أصبحت عبارة عن كتلة غير
محددة للمادة غامضة ، ومع ذلك استمرت في الكتابة وتقليب صفحات
الورق . وكانت الكتابة باللغة الفرنسية ، وفي ضوء ظهر من مصدر غير
معروف في صورة مصباح ضخم مغطى بقماش .

ونفس هذه الوسيطة سافرت إلى إنجلترا وجازت بنجاح تجارب
سير وليام كروكس ويقول الأخير إنه شاهد في حضورها « يداً متجسدة
مضيئة تنزل من سقف الغرفة ثم تأخذ في الكتابة بسرعة على قصاصة ورق
ثم ألقت القلم وارتفعت فوق رؤوسنا واختفت تدريجياً »^(١) .

(١) « بحوث في الظواهر الروحية . تجارب جديدة على القوة الروحية » من تأليف وليام
كروكس ترجمة فرنسية بمعرفة أليدل Alidel وأدوارد ماير Ed. Meyer باريس ١٩٢٣
ص ١٦٤ — ١٦٥ .

ومثلاً قبل أن يحكم سير أوليفر لودج على وساطة مسز ليونور بيير
Leonore Piper من بوسطن حضر معها ثمانى وثمانين جلسة تحت إشرافه
الخاص، مع أدق رقابة علمية ممكنة بمعرفته وبمعرفة الدكتور و. ليف W. Leaf



ليونور بيير

والعلامة السيكلوجى ف. و. ه مايرز
F. W. H. Meyers. وحصل منها على
ثمانية وثلاثين بياناً مختلفاً بعيداً عن
عقلها الباطن وعن عقول الجلساء قبل
أن يبدى رأياً فى جانبها كوسيلة
روحية .

وخضعت نفس الوسيلة لأدق
التجارب من ريتشارد هودجسون
أستاذ الأخلاق بجامعة كمبريدج ،
والبروفسور هايسلوب أستاذ المنطق

والأخلاق بجامعة كولومبيا ، كما خضعت لبحوث عالم النفس والفيلسوف
الأمريكى وليام جيمس منذ سنة ١٨٨٥ .

وظلت التجارب تتوالى على نفس الوسيلة لمدة خمسة وأربعين عاماً
بمعرفة عدد من العلماء بنجاح تام ، وكانت الأرواح المرشدة لها على
التوالى هى روح الدكتور فينويت Phinuit (سنة ١٨٨٤) ثم جورج
يلمان G. Pelman (سنة ١٨٩٢) ثم الروح إمبراتور Emperor
(سنة ١٨٩٧)^(١) .

ومثلاً ظل جيمس آرثر فندلاى يوالى تجاربه مع وسيط الصوت المباشر

(١) راجع عن هذه الوسيلة مضابط جمعية البحث الروحى البريطانية S.P.R. Proceedings
المجلد السادس الصادر فى سنة ١٨٩٠ والمجلد الثامن الصادر فى سنة ١٨٩٢ والمجلد الثالث
عشر الصادر فى سنة ١٨٩٧ .

الاسكتلندي جون سلون John C. Sloan لمدة اثنتي عشرة سنة متوالية قبل أن يؤلف كتابه «على حافة العالم الأثيري» وفيه يقول: -

«وبالرجوع إلى ما دونته وجدت لدى مذكرات عن ثلاث وأربعين جلسة مختلفة تحدثت فيها أنا وأصدقائي مع أولئك الذين ادعوا أنهم معارفنا منذ كانوا على الأرض... وتكلم في هذه الجلسات ثلاثة وثمانون صوتاً متباينة معي أو مع أصدقائي الخصوصيين الذين دعوتهم معي، وبلغ عدد المحادثات التي جرت مائتين وثمانين واثنين...» (١).

ومثلاً ظلت الوسيطة الأمريكية ماري هوليس Mary Hollis خاضعة لمدي سنين طويلة لتجارب الدكتور ن. ب. وولف N.B. Wolfe قبل أن يضع عنها مؤلفه «حقائق مثيرة في الروحانية الحديثة» (٢)، وكانت وسيطة للصوت المباشر - ولها مرشدان من عالم الروح هما جيمس نولان James Nolan وروح هندية كانت ترمز لنفسها بكلمة أسكي Ski.

وظلت وسيطة الصوت المباشر مسز إميلي س. فرنش Emilie S. French خاضعة لتجارب المحامي الأمريكي ادوارد راندال E. Randall لمدي عشرين عاماً قبل أن يضع مؤلفه «الموتى لم يموتوا أبداً» (٣). وظلت الوسيطة مسز مرسيا. م. سوين Mercia M. Swain خاضعة لتجارب الباحثة ليندر فيشر Lender Fisher لمدي خمس وعشرين عاماً قبل أن يضع مؤلفه عن «لمحات عن الحالة التالية» (٤).

وهذه الأمثلة سقناها لما رأينا كيف أن التسرع في الحكم لم يكن من صفات الباحثين الجادين في هذه الأمور، وهم بحمد الله

(١) على حافة العالم الأثيري طبة ٣ من ٥٦، ٥٨، ٨٨

(٢) Startling Facts In Modern Spiritualism.

(٣) The Dead Have Never Died

(٤) Glimpses Of The Next State.

كثيرون. وقد جعلنا بحوثهم — دون غيرهم — محور هذا المؤلف . أما القول بأن جميع الظواهر الوساطية وايدة التدليس فهو لا يدل إلا على جهل قائله وبعده عن رغبة مواجهة الحقيقة لأن هذه الحقيقة تقض مضجعه ، وتورق تفكيره في غفوته العميقة ...

ثم إن تقليد بعض الظواهر الوساطية عن طريق التدليس الماهر إن دل على شيء فعلى وجود ظواهر صحيحة يهدف المداس إلى تقليدها ، فلو لا النقود الصحيحة لما وجدت النقود الزائفة على ما لاحظته سير آر كونا ن دويل . أليست هذه حقيقة واضحة بذاتها ؟ . . .

هذا وقد تكفل بالرد على الاعتراض بأن الظواهر الوساطية كلها عبارة عن تدليس عدد كاف من الباحثين في هذه الأمور ، وقد اخترنا منهم ثلاثة . أولهم غلادستون السياسي المعروف والذي كان رئيساً للوزارة البريطانية وفي نفس الوقت عضواً بجمعية البحث الروحي S. P. R. وقد قال : « أدرس الاتصال بالأرواح فإذا وجدت فيه غشاً أو تدليساً فاهزأ بسائر المعتقدين به ، واستخزني في مقدمتهم . . . فهل تتصور أن شهادة كهذه تلقى من سياسي كبير جزافاً ، وإن لم يكن مطمئناً تماماً إلى صحة ما يقول ومقدراً خطورته ؟ . . . »

كما اخترنا رالف فيلسوف وعالم الفلك كامى فلاماريون Camille Flammarion وله في موضوع الأرواح مؤلفات عديدة سنعود إلى بيانها فيما بعد . إنما يكفي أن نقتطف هنا من رده على المعارضين بالتدليس ما يلي عن مؤلفه « قوى الطبيعة المجهولة »^(١) .

« لأنه من السهل جداً أن يقف الإنسان موقف المنكر إنكاراً مطلقاً حيال المشاهدات التي هي غرضنا من هذا الكتاب . . فكل هذه الحوادث تعتبر بالنسبة لثلاثة أرباع سكان الكرة الأرضية هذياناً أو شعوذة ،

فلا يصح أن يبحث عن علتها في نظرهم . والرأى المعقول الوحيد لديهم هو أن كل هؤلاء الوسطاء من الذين اتخذوا الوساطة صناعة أو لم يتخذوها كذلك من المدلسين المزورين ، وكل المجرمين من الغفل المخدوعين .

وقد لا يكتفى الواحد من هؤلاء القضاة الكبار بالغمن بعينه أو بالتبسم وهو على أريكة اختصاصه الملصكي ، ولكنه قد يتفضل فيحضر إحدى التجارب ، فإذا اتفق كما يحدث كثيراً عدم حصوله على شيء يخضع لإرادته ، يبرح المجرى المحترم المكان معتقداً تمام الاعتقاد بأنه بناقد بصيرته الفائقة قد اكتشف الحيلة ، ومنع ظهور أى شيء يادراكه الواسع ونظره البعيد فيسارع إلى الكتابة للجرائد معلناً التدليس . وباكياً بأدمع التماسيح تأثراً من ذلك المنظر المحزن وهو انخداع رجال معدودين من الأذكىاء بتدليسات اكتشفها هو من أول وهلة .

« هذا التعليل الأولى الساذج قد عرضناه كثيراً في هذا الكتاب وجادلناه ودحضناه ، وقد صار قرأى يعتبرونه فيما أرجو محكوماً عليه حكماً تاماً ومطلقاً ونهائياً ومطروحاً خارج دائرة البحث . »

كما تكفل بالرد عليهم أيضاً سير وليام كروكس William Crookes العالم الكيمياءى - ورئيس المجمع العلمى البريطانى - قائلاً :

« قالوا إن كل هذه الحوادث نتيجة التدليسات والتدبيرات الآلية المتقنة أو المشعوذة ، وأن كل الوسطاء مزورون وكل المجرمين غفل مخدوعون ... وقد رأيت عدة تدليسات كان بعضها متقناً جداً وبعضها من الغلاظة بحيث لا يتفق أن يقع فيه واحد من شهدوا الحوادث الحققة لهذا العلم . فمن الباحثين من إذا صادفه تدليس من هذا القبيل يكره موالاته البحث ، ويحدد نفسه مدفوعاً إلى إطلاق العنان لأرائه سواء فى مجالسه الخاصة أو بلسان الصحف .

« فلا يجوز أن نلسى أن أى تعليل من التعليلات ينبغى أن تتوافر له

جميع الشروط لأجل أن يكون ذا قيمة حقيقية . فليس من العقل أن يقول شخص لم يرَ إلا بعض المشاهدات التافهة ، أظن أن كل هذه من التدليس ، أو أن يقول ، قد رأيت كيف تدبر هذه الأدوار من الغش ، .

تضاف إلى ذلك عدة أمور في الرد على القول بأن الظواهر الواسطية كلها تدليس . منها أن بعض كبار الباحثين والكتاب في الروحية كانوا وسطاء أنفسهم ، فلا محل للقول بأنهم كانوا ضحايا وسطاء مدلسين . ومنهم مثلا الأسقف ولم ستانتون موزس W. Stainton Moses ، الأستاذ بجامعة لندن ، وقد كان هو نفسه وسيطاً لبعض الأرواح المرشدة التي تعد بالعشرات . والباحث الأمريكي ريتشارد زينور Richard Zenor وهو حالياً وسيط الروح المرشد المشهور أجاشا Agasha (١) ، والأديب المعروف موديس باربانيل Maurice Barbanell وهو حالياً وسيط الروح الحكميم سيلفر بيرش Silver Birch أي ، الشجرة الفضية ، والمرحوم وليام ستيد W. Stead الذي كان نقيباً للصحفيين وكان هو نفسه وسيطاً لروح مرشدة تدعى أمس جوليا Ames Julia ظل على صلة وثيقة بها لمدة جاوزت خمس عشرة سنة.... فهل كان هؤلاء جميعهم يدلسون على أنفسهم وعلى الناس؟ . . . ولمصلحة من يفعلون ذلك ، إن لم يكن لمصلحة الهجوم المبرر الذي تعرضوا له من معارضي البحث في الروح وما أكثرهم ؟ . . .

وبعضهم الآخر كان وسطاؤهم من أوثق الناس صلة بهم: فالوزير والعالم الروسي اكرا كوف Aksakoff كانت وسيطته ابنته ، والأسقف الاسكتلندي شارل تويديل Charles Tweedale كانت وسيطته زوجته

(١) راجع كتاب تليفون بين العالمين Telephone Between Worlds للكاتب الأمريكي جيمس كرلشو James Crenshaw الذي ظهر في سنة ١٩٥٠ وطبع حتى سنة ١٩٥٧ سبع طبعات، وقد قدم له عالم الفلك المعروف جوستاف سترومبيرج Gustaf Stromberg ويدور حول الروح أجاشا هذه وسيطها ريتشارد زينور Richard Zenor .

وابنته، ووليام كروكس كانت وسيطته الرئيسية — وهى فلورنس كوك — ضيفة عليه ظلت مقيمة فى منزله لشهور كثيرة قبل أن يبدى حكمه عليها . وفى البيئات العلمية مثل « الكلية البريطانية للعلم الروحى » يطلب من الوسيط أو الوسيطة عادة أن يظل ضيفاً مقيماً فى الكلية طيلة خضوعه لتجاربها ، ويفتش تفتيشاً دقيقاً قبل كل جلسة وبعدها . كما يلبس غالباً ملابس خاصة معدة له لا تمكنه من التدليس . ويوضع فى كل سكناته وحركاته تحت الملاحظة الدقيقة ، هذا بالإضافة إلى احتياطات أخرى تعد أحياناً من قبيل القسوة المفرطة فى معاملة الوسيط .

ومثل هذه الاحتياطات الصارمة تجدها أيضاً فى جميع البحوث العلمية التى انتهت إلى نتائج إيجابية جديرة بالاعتبار ، سواء منها تلك التى تمت بمعرفة علماء يقدرّون تماماً خطورة أعمالهم وما تكشففت عنه من دلالات ، أم تلك التى تمت داخل معاهد وهيئات راقية للبحث الروحى مثل « جمعية البحث الروحى البريطانية S. P. R. ، أو الأمريكية A. S. P. R. » .

فالوسيطه عقيلة الدكتور كراندون — أستاذ الجراحة بجامعة هارفارد — المعروفة باسم مارجرى ، Margery ، التى توصف بأنها العجيبة الثامنة كانت توضع داخل صندوق كبير محكم الغلق لا يبرز منه سوى رأسها ويديها . وكان يمسك بإحدى اليدين أحد العلماء ، وباليده الأخرى لاعب



مارجرى
(م ٩ — الإنسان روح)

المسارح هودينى لكشف تدليسها إن وجد ، ومع ذلك صمدت حتى النهاية ونجحت تجاربها فى تجسيد يد حية لشقيقها الروح المرشد والتر ستينسون Walter Stinson الذى كان قد توفى فى حادث قطار ، وصنع الليد قفاز من الجبس والتقطت لها حوالى ٧٠ بصمة اتضح أنها مطابقة تماماً لبصمات يد المتوفى .

وحققت وساطتها عدة هيئات أخرى وشكلت لها عدة لجان، منها لجنة رأسها وليام مكندوجال أشهر علماء النفس الأحياء وقتئذ (وكانت له معها تجارب سابقة) ومن أعضائها الدكتور دانييل ف. كومستوك Daniel F. Comstock والدكتور والتر فرانكلين برنس W. F. Prince وكيل «جمعية البحث الروحي الأمريكية»، وهيروارد كارنجتون ومالكولم بيرد J. Malcolm Bird^(١) وغيرهم...

كما حقق وساطتها من جديد إريك جون دنجول Eric John Dingwall عالم البساراسيكولوجي بالاشتراك مع مكندوجال والود وورسستر Ellwood Worcester ونشرت نتيجة هذا التحقيق بقلم دنجول «جمعية البحث الروحي البريطانية» في مضابطها^(٢). وحقق وساطة مارجرى أيضاً علماء والمعمل الوطني للبحث الروحي، بلندن، وسافرت مع زوجها إلى باريس في سنة ١٩٢٣، وكان لها تجارب ناجحة في حضور العلماء جوستاف جيلي وشارل ريشيه وآخرين. ثم عادت إلى بريطانيا وجازت بنجاح تجارب «الكلية البريطانية للعلم الروحي»، لذا اعتبرت ظواهرها ثابتة علمياً فنشرتها في مجلتها مؤيدة بالصور العديدة^(٣).

وفي بوسطن أجريت تجارب ناجحة كثيرة على نفس الوسيطة في عامي

-
- (١) راجع Journal Of the A. S. P. R. New York, March 1925 والمجلد التاسع عشر من ١١٦ والعشرين من ٦. والثاني والعشرين الصادر في سنة ١٩٢٨ من ١١ وعدد يولية ١٩٢٦ ويناير ١٩٢٨.
- (٢) Proceeding S. P. R. London في المجلد رقم ٣٦ الصادر في يولية سنة ١٩٢٦ ومجلد رقم ٣٩ من ٢٥٨ — ٣٦٨ ومجلد رقم ٤٣ الصادر في أبريل سنة ١٩٣٥ وراجع عن نفس الوسيطة أيضاً Journal S. P. R. London مايو ١٩٢٢
- (٣) عدد يولية ١٩٢٨.

وراجع عن هذه الوسيطة كتاب «تجارب بصمة الإبهام مع الوسيطة مارجرى» تأليف الدكتور مارك. و. ريشاردسون وكتاب «مارجرى الوسيطة» تأليف بيرد. وكتاب «المجيب الثامنة» تأليف المرحوم الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير.

١٩٢٤ ، ١٩٢٥ وقد اتخذت فيها كل حيلة ممكنة لمنعها من أن تكون لها يد فيما يحدث في حضورها من ظواهر عجيبة . فمثلا جلس معها الدكتور روين تليارد R. Tillyard - وقد كان من أكبر المعاندين للروحانية - وقبل إطفاء النور وإغلاق الباب على الحاضرين شد وثاقها على مقعدها بأربطة من شريط لزج علمت جوانبه بقلم أزرق ، ومدت الخطوط الزرقاء على بشرة الوسيطة بحيث إذا ما تحركت تغير انتظام وضع تلك الخطوط وتزحزحت عن مكانها .

وقد ظلت هذه الخطوط في وضعها الصحيح حتى نهاية الجلسة . كما بدئت الجلسة بأخذ بصمات للمتحدثين على قطع متعددة من الشمع اللين ، ولم تطابق هذه البصمات بصمات الأشخاص الجالسين ... واستخدم مع الوسيطة جهاز مانع من الصوت اخترعه الدكتور مارك ريشاردسن ، موصوف في كتاب « المذهب الروحي بين التأييد والمعارضة » الذي أصدرته جامعة كلارك الأمريكية في سنة ١٩٢٧ .

وقد جازت الوسيطة جميع الاختبارات بنجاح نام إلى حد أن الدكتور تليارد اقتنع بصحة الموضوع تماماً وكتب مقالا في جريدة نايتشر Nature اختتمه بالعبارة الآتية « رأي الأخير هو أن والتر ستنسون الذي توفي في سنة ١٩١٢ قد أثبت بطريقة علمية إثباتاً تاماً دعواه أن شخصيته باقية بعد موته الجسدي »^(١) وأرسل إلى سير أوليفر لودج بتاريخ ١١ أغسطس ١٩٢٨ خطاباً يسلم فيه باقتناعه هذا قائلاً « لقد بلغت الغاية التي ليس ورامها زيادة لمستزيد . . . » وهذا كله على سبيل الأمثلة من الاحتياطات التي تؤخذ ضد الوسطاء الأقوياء والتي تزخر بأمثالها المراجع الروحية .

(١) عدد ٢٨ أغسطس سنة ١٩٢٨ .

توضيح وساطة مارجري بالصور
عن مجلة العلم الروحي ، التي تصدرها ، النكالية البريطانية للعلم الروحي ،
عدد يولييه من سنة ١٩٢٨ ص ٨٧ - ١٦٠



مارجري في غيبوبتها وقد أمسك يديها اثنان من العلماء
واينق الاكتو بلازم الأبيض من فتحات رأسها فظاها تماما أو كاد



مارجري في غيبوبتها وقد انبعثت منها مادة الاكتوبلازم
الأبيض وارتفعت إلى قنمين من رأسها بقوة غير منظورة .

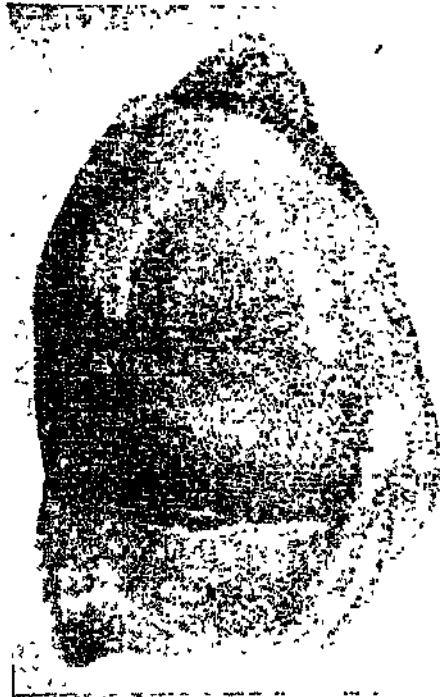
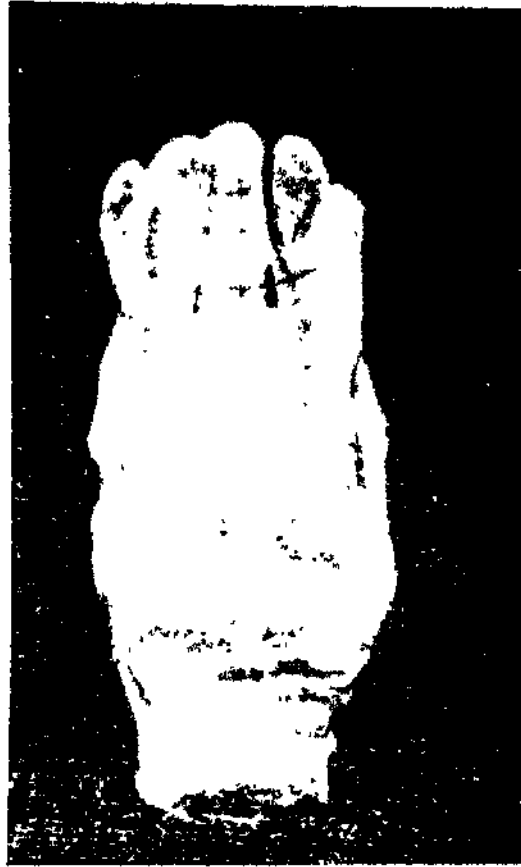


مارجرى فى غيبوبتها وفوق كشفها جم ازسوتى من التلبلازم صنته
روح شقيقها والتر المرشد لها، وقد أمسك اثنان من العلماء بيديها فلما لآى
تدائيس



مارجرى فى غيبوبتها بمد تمسك يد شقيقها الروح المرشد والتر ،
وترى اليد ومى تبهم على شمع رخو وقد أمسك العلماء يبنى الوسيطة

→
فأز من الشمع ليد الروح المتجسدة
وقد اتضح أن به بصمات مطابقة
بدورها لصورة البصمات السبعين التي
التقطت بهد عمل هذا القفاز بسلتين



←
صورة بصمة لإيهام الروح والفر التي
أخذت لها سبعون بصمة أخرى من هذا
النوع منها اثنتان بمد تقييد وثاني الوسيطة
في رأسها ويدنها وقد عينا في غرفة مظلمة وبعد
تفحصها جينا بدون وجود إنسان آخر إلا
خبر البصمات . وقد اتضح أنها مطابقة لبصمة
المتولى . فأثبتت شخصية المتولى كما أثبتت أن
هذه جسداً أثرياً يحفظ بكل معالم الجسد
المادى حتى بصمة الإيهام ولا يبنى بالموت

نفس التجارب تنجح في معاهد شتى
وصنع نماذج من الشمع لأيد وأقدام ووجوه متجسدة أمر تكرر في
معاهد شتى ومع وسطاء آخرين غير مارجرى ، واتبعت فيه أدق الوسائل
التي تنفي تماماً فكرة الإيحاء أو التدليس أو نحو ذلك .
وقد سبق جمعية البحث الروحي الأمريكية في إجراء مثل هذه التجارب
العالمان وليام أوكسلي W.Oxley وريمرز Reimers منذ سنة ١٨٧٦ مع
الوسيط القس الدكتور مونك Monck ، وقد شرحاها في مؤلفهما
الذي ظهر في سنة ١٨٧٧ ، وفيه مبين تفصيلاً كيف أمكن عمل نماذج متعددة ليدي
الروح ليلي Lilly ولقدعى الروح برتي Bertie كما يتضح من الصورتين
الآتيتين (١) :

يبدأ الروح ليلي



لدى الروح برتي



(١) عن ص ٤٩ ، وما بعدها من الطبعة الألمانية وعنوانها «دراسة روحية» Psychische Studien

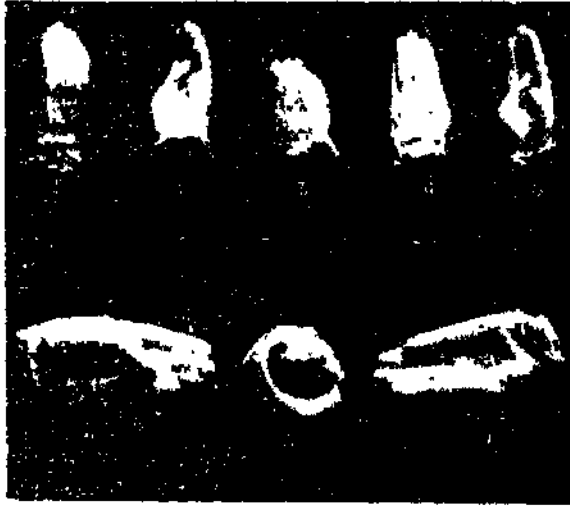
ومساعدة الدكتور مونك هذه خضعت أيضاً لبحوث ثقة مدققين آخرين منهم الأرشيديا كون كولي Colley ، وسير ألفرد راسل والاس عالم البيولوجيا المعروف ، والأسقف ستانتون موزس الأستاذ بجامعة لندن وغيرهم . . .

وتمت تجارب مماثلة في وارسو (عاصمة بولندا) مع الوسيط فرانك كلاسكي Franck Kluski - الذي كان أديباً وشاعراً - داخل جمعية الدراسات الروحية ، هناك في شهر سبتمبر سنة ١٩٢١ تم في أبريل سنة ١٩٢٢ .

وتمت تجارب أخرى ناجحة مع نفس الوسيط البولندي داخل الكلية البريطانية للعلم الروحي ، بإشراف مديرها هيو وات ماكنزي Hewat McKenzie ، حيث صنعت عدة نماذج في حضوره من الشمع لا يده متجسدة في شهر مايو سنة ١٩٢٢ ، ونشرت تفاصيل التجارب في مجلة هذه الكلية الربع السنوية (عدد يولية سنة ١٩٢٢ : ص ١٩٥ وما بعدها) وعنهما نقدم الصورتين الآتيتين :



نموذج طبق الأصل من الشمع ليد متجسدة في حضور الوسيط البولندي فرانك كلوسكي Franck Kluski تم صنعه - مع نماذج أخرى - في شهر مايو سنة ١٩٢٢ داخل الكلية البريطانية للعلم الروحي



← نماذج أخرى من الشمع
لأيد متجسدة تم صنعها داخل
الكهية الربطانية مع نفس
الوسيط .

وداخل معمل المعهد الدولي لما وراء الروح، L'Institut Métapsychique International بباريس تمت تجارب أخرى ناجحة على نفس الوسيط في ديسمبر سنة ١٩٢٠ وفي شهرى يناير وفبراير من سنة ١٩٢٢ بإشراف الدكتور جوستاف جيلي Gustave Geley مدير المعهد، وباشتراك ثلاثة علماء آخرين وهم شارل ريشيه Charles Richet عضو المجمع العلمى الحائز على جائزة نوبل فى الفسيولوجيا ، ودى جرامونت DeGramont عضو المجمع العلمى أيضاً، والكونت بوتوكى Potocki . وفيه تجسدت روح تجسداً كاملاً فى حضور الوسيط المذكور فى سلسلة من الجلسات المتتالية ، وتم صنع عدة نماذج ليديها ولأيدٍ أخرى متجسدة .

ورغم أن جميع ظروف هذه التجارب كانت كافية بذاتها كيما تنفى كل احتمال للخداع ، فقد قرر جيلي وريشيه أن يضعوا بضع جرامات من مادة الكولسترين ، فى سرية تامة وبدون علم الوسيط ، على مادة شمع البارافين المستخدمة وهى ساخنة ، وكان ذلك فى الجلسة الحادية عشرة معه بتاريخ ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٠ . وبإذابة قليل من الشمع بعد مزجه بالكوروفورم وبحامض الكبريتيك ينتج لون أحمر يتحول تدريجياً إلى لون بنى . أما شمع البارافين بدون مادة الكولسترين فلا يعطى سوى اللون الأبيض .



رسم يمثل جبل إلى اليمين ثم شارل ريشيه ثم دي جرامون وهم يصنعون نموذجاً من شمع البارافين ليد الروح المتجسدة إلى اليسار داخل «العمد الدولي لساويراء الروح» .

وبعد فحص النماذج في نهاية الجلسة تبين حدوث تغير للونها من الأحمر إلى البني مما أعطى جبلي وريشيه اليقين المطلق أن الشمع المستخدم في صنع هذه النماذج هو نفس الشمع الذي أعداه مقدماً ، وأنه لا يتصور بالتالي أي استبدال له بصورة ما ، أو أن تكون هذه النماذج معدة مقدماً بطريقة ما . وهذا الاحتياط الشديد يبين مدى حرص هؤلاء العلماء على الوصول إلى اليقين العلمي ، فلم تكفهم الاحتياطات العادية مثل تفتيش الوسيط تفتيشاً دقيقاً قبل الجلسة ، فضلاً عن إحكام غلق الأبواب وختمها وغير ذلك من الاحتياطات المألوفة .

وتم صنع سبعة نماذج أخرى لأيد صغيرة لطفل ، وقدم لطفل والجزء الأسفل لوجه رجل بالغ أي تسعة نماذج^(١) . مما دفع ريشيه إلى أن يصف كلاسكي بأنه «ملك الوسطاء في عصره» .

وبعد ذلك سافر الدكتور جبلي إلى وارسو كيما يواصل تجاربه مع نفس الوسيط داخل «جمعية الدراسات الروحية» . فأجرى له تجارب أخرى

(١) راجع . ژولف الدكتور جبلي : L'ectoplasme et la Clairvoyance :

(Alcan 1924)

ص ٢٤٤ ، ١٢٨ — ٢٤٥ ، ٢٠٢

في سبتمبر سنة ١٩٢١ ثم استأنفها في شهرى أبريل ومايو سنة ١٩٢٢. وتدارك هناك بعض أوجه النقص التي لاحظها في تجاربه السابقة بباريس بسبب تسرب الماء الساخن بين قفاز الشمع وبين العضو المتجسد ، فاستخدم وعاء به طبقة رقيقة جداً من الماء بحيث تطفو فوقها طبقة سميكة من شمع البارافين .

وبهذه الطريقة حصل على قفازات من الشمع مفرطة في رقتها ويقل سمكها عن ملليمتر واحد . وكانت الأعضاء المتجسدة تغطس في الشمع دفعة واحدة وبسرعة شديدة . وكانت القفازات رقيقة إلى المدى الذي وجد معه الباحثون صعوبة كبرى كيما يصنعوا لها فيما بعد مقابلاً من الجبس ، فظهرت أدق التفاصيل التشريحية ، بوضوح يتجاوز وضوح أحسن النماذج التي تم الحصول عليها في باريس .

وكانت اليد المتجسدة تنوب من تلقاء نفسها وتتلاشى بغير أن يجد صاحبها نفسه بحاجة لأن يسحبها من فتحة القفاز الضيقة . وفي هذا الشأن يقول الدكتور جيلي : « إنه من الجائز لإخراج اليد من قفاز البارافين مادام يحيط بالأصابع فقط وبشرط أن يكون القفاز سميكاً إلى المدى الذي يجعله لا يتحطم ، أما إذا كان القفاز رقيقاً فن المستحيل ذلك ، إذ أنه لا يلبث أن يتحطم عند أية محاولة لإخراج اليد منه ، فما بالك إذا كانت الأصابع مثنية repliés أو متقاطعة entrelacés كما كانت الحال في بعض النماذج ؟ » (١) .

وقد عرضت هذه النماذج الدقيقة على خبراء صناعة النماذج بمعامل جابريلي Gabrielli فكتبوا تقريراً مسيئاً أثبتوا فيه دقتها المتناهية التي تتجاوز مقدرة أحسن المثالين من طراز جون أوبرين John O.Brien . ثم رقها التي كانت في رقة ورقة الكتابة ، ووضوح المعالم التشريحية ، وأكدوا أن هذه النماذج « تمثل بكل وضوح أيادى حية » كما أعلنوا هجرهم التام عن تفسير كيفية خروج الأيدي من القفازات الرقيقة بغير أن يتحطم .

(١) للرجع السابق ص ٢٥٣ .

وأنهموا تقريرهم كالآتي : « نقرر أنه من المحال علينا أن نفهم كيف أمكن الحصول على النماذج التي قدمها إلينا الدكتور جيلي ، فذلك بالنسبة لنا محض لغز » . هذا ولنا عودة إلى ظاهرة التجسد السكلي والجزئي فيما بعد ، وسنختار أيضاً التجارب المحوطة بضمائمات جمّة .

امنباطات أخرى

وفي أغلب الجلسات التي أقنعت العلماء الماديين كانت الامكنة تفحص أيضاً لحصاً جيداً قبل الجلسة . وكانت الأبواب تغلق وتختتم بالجمع الأحمر . وكان الوسطاء يقيدون ثاقهم بالحبال الغليظة ، كما كانوا يوضعون في حالة استراحة تامة من الإتيان بأية حركة ، وإلا أنهم عنهم جهاز كهربائي خاص يسمى جالفانومتر Galvanomètre . كما كانت توضع حتى في أيدي الحاضرين قيود معدنية متصلة بجهاز كهربائي معد خصيصاً يكشف عن كل حركاتهم ، كما حدث في التجارب التي أجريت على الوسيط رودى شنيدر Rody Schneider في لندن في سنة ١٩١٩^(١) .

وفي كثير من الأحيان كان يستعين الباحثون - فضلاً عن الاحتياطات الآتية الذكر - ببعض كبار لاعبي المسارح المعروفين بمهارتهم الشديدة في الحيل والخدع المسرحية للكشف عن خداع الوسطاء إن وجد . ومنهم من شهد كتابة بأن الظواهر التي يراها صحيحة لا مطعن عليها . ومن ذلك مثلاً ما شهد به اللاعب بوسكو Bosco بعد إذ امتحن وسيط التصوير الروحي هوب Hope بأن هذا الأخير لا يفس ، على ما وضعه سير الفريد رسل والاس في مؤلفه « دفاع عن الروحية الحديثة »^(٢) . كما أكد اللاعب روبرت هودان Robert Houdin أنه فيما يتعلق بوسيط الغيبوبة الحركية اليكسيس ديديه Alexis Didier ، إن الوقائع الموصوفة صحيحة علياً . ويبدو أنه من المستحيل إمكان اعتبارها نوعاً من الحيل

La Revue Spirite. Septembre 1923p. 420.

(١)

A Defence Of Modern Spiritualism.

(٢)

التي يمكن إحداثها عن طريق أى فن من الفنون،^(١) . ومثل ذلك قرره اللاعب المسرحي ييلا كيني Bollachini الذي دعى لامتحان الوسيط الدكتور سلايد Slade ، بعد إذ صمد لكل وسائل الامتحان القاسية، فقال : «لنى لم أجد شيئاً ضده رغم أشد أنواع الملاحظة والمراقبة دقة ، بحيث لا يمكن أن يكون الأمر منه خداعاً للنظر» ،^(٢) .

ثم إن العباد الأول في إثبات الظواهر الروحية عند الإنسان الذي لا تتوافر له وسائل التجريب المعمل الكافية هي الجلسات المنزلية أو العائلية التي تكون مقصورة عادة على أفراد محدودين تجمعهم صلوات وثيقة . ولعل في هذه الجلسات ، إذا ما جرت في مواعيد دورية وبطريقة منظمة ، من الإقناع أحياناً ما يكفي الإنسان الراغب في الوصول إلى الحقيقة من أقرب سبلها وهي أحياناً في تناول من يريد لها ، ولا تكبد صاحبها شيئاً سوى المثابرة . وقد كان انتشار هذه الجلسات العائلية هو الظاهرة التي حفزت العلماء والهيئات العلمية إلى بحث حقيقة هذه الظواهر والتصدى لها في كثير من بلاد العالم ، بقصد دحضها وإثبات بطلانها ، فكانت النتيجة أنهم أصبحوا يعضى الوقت مقتنعين بصحتها ، وبصحة ما تدل عليه من بقاء شخصية الإنسان بعد الموت . فلم يكتفوا بتسجيل حدوثها ودراستها عن قرب في منازلهم ، بل خرجوا منها بدلالات علمية بالغة أقصى درجات الخطورة ، وأخطرها إطلاقاً هي دلالة دوام الحياة بعد موت الجسد على ما سنبينه فيما بعد .

« الروح ، تصبح علماً بامعياً

فلا غرابة إذا ما نما هذا العلم ، إلى أن أصبح بحثاً يجري الآن على أقوى صورة ، فأنشئت له معاهد متخصصة ، مثل « كلية البحث الروحي ، في الولايات المتحدة الأمريكية » و « الكلية البريطانية للعلم الروحي »^(٣) و « المعهد الدولي للبحث

(١) راجع ميرفيل في الأرواح ج ١ ص ٢ - ١٥ .

Mirville: Des Esprits t. I. p. 2—15.

(٢) راجع مؤلف العالم الفلسفي الألمانى زولنر . ترجمة فرنسية عنوانها : « الفيزياء السماوية » .

Zoellner, La Physique Trans — cendental.

British College of Psychic Science.

(٣)

الروحي بلندن^(١)، ومعهد ما جناجويسون للبحث الروحي، بلندن أيضاً، وكلية إدنبرة الروحية، ومعهد جلاسجو للعلم الروحي، ومعهد الدولي لما وراء الروح، بباريس^(٢)، ومعهد الدولي لما وراء الروح، بروكسل وغيرها...

كما دخل العلم الروحي الحديث كفرع من العلوم المعترف بها في عدة جامعات، مثل جامعة لندن التي تملك معملًا للبحث يعد الأول من نوعه في العالم، ومثل جامعة كبرج التي أنشئت بها دراسة روحية منذ سنة ١٩٤٠ بكلية ترنتي، وبعدها مباشرة دخل العلم الروحي جامعة أكسفورد. ومثل جامعة ديوك بالولايات المتحدة الأمريكية، وجامعتي بون وفرايبورج بألمانيا، وأنشئت له في جامعات أمريكا الجنوبية كراسٍ للأستاذية وأيضاً عدة أكاديميات، بالإضافة إلى الجمعيات والهيئات والمؤسسات العلمية التي تعنى ببحثه الآن والموزعة على بلاد العالم المختلفة، على ما سيلي بيانه في الباب المقبل الذي خصصناه لبيان بعض الأسماء والمراجع.

كما أصبحت تعقد الجلسات الدورية للاستماع إلى الأرواح في القاعات العامة تحت إشراف عدد من العلماء وصفوة أهل الفكر. وأخذت المؤتمرات الدولية لبحث شتى الموضوعات الروحية وكافة مشكلاتها تعقد في المدن الكبرى، بتنظيم من الهيئات الروحية الدولية لمناقشة تقارير العلماء والباحثين.

بل إن هذا العلم الذي بدأ متواضعاً - مثل سندريلا في قصتها المعروفة - يشق طريقه بصعوبة وسط أرستقراطية العلوم الأخرى، أصبح يعرف في البيئات العلمية الآن بأنه «علم العلوم» Science of Sciences بعد إذ تبين

International Institute For Psychical Research (١)

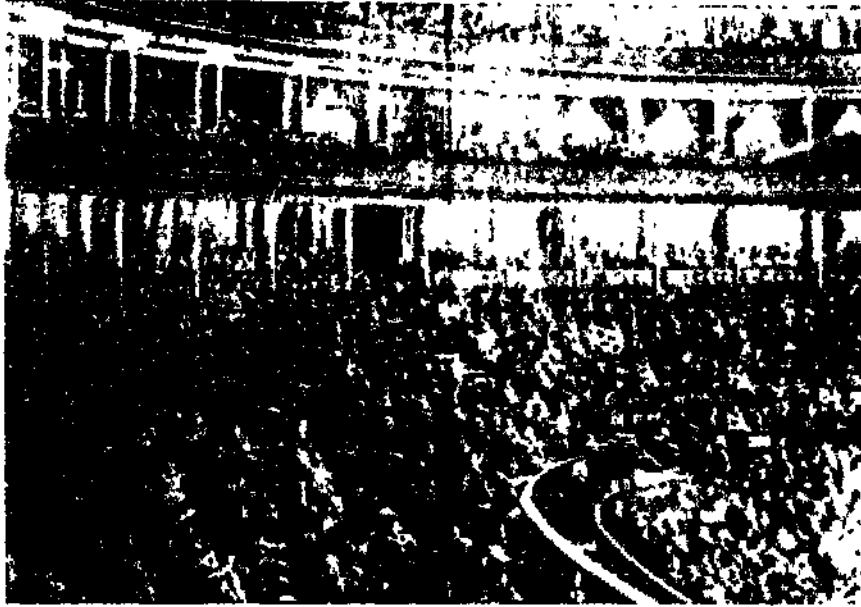
Institut Métapsychique International. (٢)

أنه أجل شأناً بكثير من أن يكون مجرد دراسة تجريبية لبعض الظواهر الواسطية ، غير المألوفة أو فوق العادية ، كما يسمونها أحياناً .
فأصبح يشمل أولاً دراسة كافية للسادة الصلبة في تكوينها الذرى والجزيئى والطاقة ، ولنظرية النسبية ومعادلاتها الرياضية العويصة ولنظريات الاهتزاز والكهربائية والمغناطيسية وأمواج الأثير ، وهى أساس دراسة الفيزياء الحديثة ، كما أنها أساس دراسة علم الروح . بل هناك علوم كثيرة جديدة ناشئة داخل نطاق العلم الروحى بمعناه العام : منها الفيزياء الروحية Psychical Physics والإشعاعات غير المنظورة Radiesthesie وتصوير الأفكار Ideographie والكيمياء الروحية Psychical Chemistry والفلسفة الروحية ، وتأثير العقل فى المادة ، والإدراك عن غير طريق الحواس ...

وبالتالى أصبح علم الروح يتطلب إلماماً كافياً بقوانين كثيرة فى الفيزياء والكيمياء والرياضة والنفس وما وراء النفس والبيولوجيا والفسولوجيا والفلك ، ومعلومات وافية فى مبادئ الفلسفة — وقد عاجلت الروح قبل أن يعالجها البحث التجريبي — والأديان المقارنة ، لذكرها تقوم على التسليم بوجود الروح وبالحياة بعد الموت . كما أصبح يتطلب إلماماً كافياً بما وراء الطبيعة منذ بدأه أرسطو إلى الحد الذى وصل إليه فى ضوء الكشف الروحية هذه .

والإلمام بشتى العلوم والمعارف ، كالتاريخ وكاللغات القديمة ، كثيراً ما يساعد الباحث الروحى على تحقيق مدى صحة رسائل شتى . فالباحث العلمى فى الأرواح يجد مشقة كبرى الآن فى أن يشق طريقه فى هذا البحث إن لم يكن مزوداً بقدر كاف من الثقافة الصحيحة فى نواح شتى من المعرفة .

هذا ما وصلت إليه الروحية التجريبية في الخارج



الاحتفال باليوبيل المئوي للعالم الروحي الحديث — في ألبرت هول بلندن — يوم ٣١ مارس ١٩٤٨ وقد تحدثت فيه الأرواح بأسوانها المباشرة . ثم أخذت تعقد الجلسات دورياً في هذه القاعة — وفي غيرها من القاعات — اسبوع الأرواح تتعاقب على الميكروفون .

وفي هذه القاعة التاريخية في
فيلادلفيا ، وهي « قاعة الاستقلال » (إذ تم
فيها التوقيع على إعلان استقلال أمريكا
في سنة ١٧٧٦) المقعد أحدث ، وتتمتع رוחي
دولي في سبتمبر سنة ١٩٦٣ بدعوة من الاتحاد
الروحي الدولي
International Spiritualist Federation
فهل يقدر للروحية قريباً مثل هذا الازدهار
في بلاد العربية المزنة مهبط الرسالات
الساوية وموطن الإيمان بالروح ؟



الباب الثالث

في بعض الأسماء والمراجع في العلم الروحي الحديث

هذه الظواهر الوسائطية أو الروحية التي يطلق عليها أحياناً وصف «الظواهر غير المألوفة» أو «فوق العادية» التي أعطينا عنها فكرة عامة في الباب السابق بحثت بمعرفة عدد كبير من العلماء، وفي بيئات علمية. ولا يعنيها في هذا البحث علاقتها بعلم النفس التقليدي، فبعض الذين بحثوها من هذه الزاوية اعتبرها ظواهر نفسية، وبوجه خاص التلبائي (قراءة الفكر) والجللاء البصري والسمعي والسيكومتري (القياس الروحي أو تقصي الأثر في الزمان والمكان). لكن غالبيتهم الساحقة اعتبرتها صراحة ظواهر روحية وثيقة صلة بنشاط الأرواح بعد تحررها من أجسادها الأرضية.

وسأعرض في الباب الحالي للعلماء الذين بحثوها لسنين طويلة وانحازوا انحيازاً نهائياً وحاسماً إلى أنها ظواهر تثبت بقاء الوعي بعد موت الجسد. كما تثبت وجود صلات متعددة الصور والمظاهر بين أولئك الذين تخلوا عن أجسادهم المادية وأولئك الذين لم يتخلوا عنها، بعد إذ قلبوا الأمور على كافة وجوهها، فلم تقنعهم التعليلات النفسية لقصورها عن استيعاب جميع هذه الظواهر أو بعضها، وهؤلاء هم مؤسسو العلم الروحي الحديث.

ولم يكن انضمام هؤلاء العلماء إلى نطاق البحث الروحي تعبيراً عن اتجاهات فردية لديهم، بقدر ما كان نتيجة لتطور حركة البحث الروحي وانتشارها في البيئات المختلفة إلى الحد الذي دفع عدداً منهم إلى الاشتراك في التجريب العملي بدافع من رغبة دحضها وإعلان بطلانها. إذ كانت لدى أغلبهم عقيدة ثابتة مقدماً هي أن الأمر كله لا يعدو أن يكون محض خرافة شائعة

لا يلبث أن ينقض أمرها بمجرد تمحيصها وكشف جوانب بطلانها، وقد صرح أغلبهم بذلك فيما بحثوا وأعلنوا من آراء .

إلا أن العلم كما يقول كلفن ، يتقيد بقانون سرمدى دائم هو قانون الشرف عندما يواجه بشجاعة أية مسألة تقدم إليه في صراحة ، . وقد تقيد هؤلاء العلماء بقانون الشرف ، لأن طبيعة العالم الجاد واحدة لا يمكن أن تتغير من ميدان إلى ميدان . ولذا نجدهم بعد أن تأكدوا من صحة الموضوع ، رغم خطورته البالغة التي تتضاءل أمامها خطورة أى كشف علمى آخر ، أعلنوها صريحة وحاسمة ، لكن فى تأنٍ شديد وبعد سنوات طوال من البحث الشاق - وهو ما يضاعف قيمة إعلانهم - أن الموضوع صحيح ، وأن أرواح من نسميهم ، موقى ، قريبة منا تريد الاتصال الدائم بنا وتشجعه وتتمناه . فصدق عليه قول إديسون المكتشف العظيم ، لأن تكون عادلاً تمام العدل فتلك صفة من صفات الطبيعة المقدسة ، ولأن تكون كذلك على أقصى ما تستطيع الجهور فذلك هو نغز الإنسان ونبله .

وها هى العقول النيرة الشريفة التى لم تبتغ إلا البحث عن الحقيقة للحقيقة ، أياً كانت وكيفما جاءت ، قد واجهت بشجاعة المسألة التى طرحت عليها ووجهت بحوث هذا نفر من العلماء ، فأعلنوها فى إصرار تام حقيقة هادئة بسيطة وهى أن الإنسان خالد لا يموت ، موقنين تماماً أنه ليس هناك ما هو أقوى من هذه الحقيقة ولا أغرب منها .

وفى الأبواب المقبلة ما يكفى للاقتناع أيضاً بأن أولئك الرواد الأوائل الذين أقدموا على البحوث الروحية وانكبوا عليها خلال سنين طويلة من حياتهم ، وجلهم من أفضل قادة العلم المادى وصفوة الفلاسفة والمفكرين ، لم يفعلوا ذلك إلا مزودين بكل الوسائل اللازمة لكشف بطلان هذا البحث إن كان فيه أى بطلان ، أو لإعلان مشروعيته كعلم وكعرفة عظمى للإنسان . ويكفى فى إبراز هذا المعنى أنهم عندما وصلوا إلى بعض حقائقه التى

تحف بها الخطورة من كل جانب لم يخفوها ، لأن الضعاف فقط هم الذين يحاولون إخفاء الحقائق ، أما العباقرة فإنهم يشعرون أن ما وصلوا إليه أثمن من أن يخفوه ، سواء أقدرهم معاصروهم حق قدرهم أم عزعندهم هذا التقدير ، لأنهم خالفوا الناس فيما تواضعوا عليه من رأى ومن شعور .

ريأى المنطق لإباء تاماً أن يكون كل هؤلاء العباقرة والمفكرين قد ضلوا طريقهم في بيداء من العبث أو الخرافة طيلة الجزء الأكبر من حياتهم ، الذى ما كان من الممكن أن يضيعوه لو لم يكن هذا النوع من البحث والتجريب قد كشف لهم فعلاً عن أسس مترابطة من العلم والفلسفة معاً ، وما لم تكن هذه المعرفة الجديدة قد قادت أقدامهم إلى آفاق بعيدة المدى ما كانت لتخطر ببالهم من قبل .

ومن يرجع إلى هذه البحوث العميقة ويطلع عليها فى مصادرنا الأصلية يقطع بأن جل الباحثين فى الروح - من ذلك الطراز الذى سنشير إليه خلال الصفحات القادمة - قد تجرد من الغرض ، ولم يقيد نفسه مقدماً بأسلوب معين فى التفكير لأنه أراد أن يصل إلى الحقيقة من أقرب أبوابها ، مهما أداها بقسوة أنصار ذلك التفكير القديم والفقه غير المتطور .

وليس من مقتضى ذلك القول بأن كل ما كتبوه يعالو على مستوى النقد ، بل إن للنقد دوره الهام فى هذا الميدان كما فى غيره ، لأن النقد والنقد وحده هو إيدان تحرر العقل من عبودية الماضى ، وهو وحده سبيل أية معرفة صحيحة ، ودعامة كل تقدم على مر العصور .

لكن من يريد أن يتزود بالمعرفة بعقلية متجردة من الغرض - لا يدفعه دافع سوى رغبة المعرفة التى تميز العالم الحقيقى مع النزوع إلى الحق للحق - وفى نفس الوقت بشجاعة محمودة تتحدى الحماقة عدوة التجديد - ويجعل من النقد الموضوعى المحايد سبيله فى بحثه عن المعرفة - تكون فرص النجاح أمامه فى الوصول إلى الحقيقة أكثر بكثير مما تكون لغيره ، خصوصاً إذا كان من طراز هذا نفر من العلماء والمفكرين الذى ألف التجريب

الناقد المتأنى ، والتفكير المنطقي المتحرر ، والذي جعلنا بحوثه عماد المؤلف الحالى مستبشرين تماماً ماعداها حتى لانهم بضعف أسانيدنا فيه .
وسيلحظ القارئ ، بنفسه فيما بعد أية طائفة من العلماء والمفكرين اخترناها للاستناد إلى أعمالها وآرائها ونحن بصدد بحثنا عن اليقين العلمى - بل الفلسفى - قبل أى اعتبار آخر . أما احتمال الخطأ فهو من طبيعة كل بشر والعصمة لله وحده .

وتحت هذا العنوان وهو « فى بعض الأسماء والمراجع ، سنمر مروراً سريعاً على بعض أسماء كبار العلماء والفلاسفة والمفكرين الذين قاموا ببحث موضوع الصلات القائمة فعلا بين العالمين الروحى والمادى ، والذين اقتنعوا اقتناعاً صريحاً مبنياً على التجريب العلمى بصحة هذا الموضوع . دون أن ندرج فيها من قاموا ببناء اقتناع نظرى أو فلسفى على دوام الحياة بعد موت الجسد ، لأن محور بحثنا هو العلم الروحى الحديث دون سواه ، وهو محض علم تجريبى شأنه فى ذلك شأن الكيمياء أو الطب أو غيرها .

كما سنمر بالتالى على أسماء بعض الهيئات التى قامت بهذا النوع من البحوث فى البلاد المختلفة ، وقد اخترنا من بينها الهيئات التى لها مكانة خاصة تبعت على الاطمئنان التام إلى نتائج أبحاثها . وخلال مرورنا على أسماء بعض الباحثين والهيئات العلمية سنمر أيضاً على أسماء بعض كبار الوسطاء الروحانيين ، وعلى كثير من أمهات المراجع .

وفى ما يلى سنستعرض هذه الأسماء والمراجع فى أمريكا الشمالية أولا حيث بدأ هذا النوع من البحث منذ سنة ١٨٤٨ ، ثم فى إنجلترا ، ثم فى فرنسا وغيرها من بلاد العالم الأخرى ، ثم سنتكلم عن انتقال العلم الروحى الحديث إلى بلادنا المصرية ، فنبين بعض الأسماء والمراجع باللغة العربية ، مخصصين لكل موضوع من هذه المواضيع فصلاً على حدة . وكل ذلك بالقدر الذى يتسع له باب واحد فى مؤلف يريد أن يحيط من العلم الروحى الحديث بأهم جوانبه العامة وهى كثيرة .

الفصل الأول

بعض الأسماء والمراجع في أمريكا الشمالية

بدأت الحركة الروحية في الولايات المتحدة الأمريكية عقب حدوث ظواهر قرية هيدسفيل بقرب مدينة روشستر بولاية نيويورك، التي حدثت في كوخ المستر ويكمان في حضور الشقيقتين مرجريت وكيت فوكس Margaret and Kate Fox . وقد بدأت الظواهر منذ يوم ١١ ديسمبر سنة ١٨٤٧ ولكنها لم تظفر بالتحقيق العلمي المطلوب إلا ابتداء من شهر مارس ١٨٤٨ بعد أن حيرت أبواب الناس لفترة طويلة ، دون أن يعرفوا لها مصدراً ولا تعليلاً . فتصدى أشخاص من كبار المسؤولين هناك لبحثها في صبر وأناة مستعينين بكل أساليب التحقيق العلمي الهادى ، وانتهوا إلى إعلان محنتها ونسبتها إلى الأرواح .

وكانت هذه الظواهر في جملتها عبارة عن طرقات مسموعة على الجدران وقطع الأثاث مصحوبة أحياناً بتحريك منقولات شتى بدون وسيلة مادية . وأمكن التفاهم مع مصدر هذه الطرقات على جدول معين بحيث يمثل كل عدد منها حرفاً من الحروف الهجائية ، أو كلمة شائعة ، مثل نعم ولا ، . وبهذه الطريقة قرر المصدر أنه روح متوفى يدعى تشارلس روزنا Charles B. Rosna وأنه كان والدًا لخمس أطفال وأرملة ، وأنه مات قتيلاً بمعرفة مستأجر سابق لهذا الكوخ ذكر اسمه ، وذلك طمعاً في ماله ، كما قرر أنه دفن في كهف الكوخ .

فقام الباحثون بالحفر فيه حيث عثروا على بقايا عظام وشعر وجمجمة آدمية ، فضلاً عن بقايا أوعية وخم وجير بما استخدمه القاتل في التخلص من جثة القتيل . وتحققوا من باقى ما أدلت به الروح من بيانات بوسائل

البحث والتحرى العادية . ثم تكاثرت الظواهر الروحية في عدة أماكن
فازداد اهتمام الناس بهذا الموضوع ، إلى حد أنه في سنة ١٨٥٢ تقدمت
عريضة موقع عليها من ١٤٠٠٠ أمريكي إلى مجلس الشيوخ يطلب فيها أصحابها
تشكيل لجنة عليية « لدراسة جميع المسائل المتعلقة بالروحانية » .

جورج إدسون

وعن بحثوا ظواهر كوخ هيدسفيل القاضى جون وريث إدموندز (١٨١٦ -
١٨٧٤) الذى كان في وقت ما رئيساً لمجلس الشيوخ الأمريكى كما سبق
أن قلنا . وفي بيانه الأول إلى الجمهور أكد صحتها ، كما قرر في خطاب له إلى
جريدة « نيويورك هيرالد » نشرته في عددها الصادر في ٦ أغسطس من سنة
١٨٥٣ « لقد ذهبت إلى التحرى عن هذه الظواهر معتقداً أنها مجرد خداع
ومتوياً أن أنشر ذلك على الجمهور ، ولكن عندما وصلت يبحوثى إلى نتيجة
عكسية ، فإني أشعر بأن على الزام قوى بتعريف الناس بهذه النتيجة . وهذا
هو السبب الأساسى الذى يدفعنى إلى ذلك . وأقول « الأساسى » لأن ثمت
اعتباراً آخر أثر في ، وهو الإحساس بالحاجة إلى نشر معرفة بين الآخرين
لا يمكن إلا أن تجعلهم أكثر سعادة وفي حالة أفضل من ذى قبل .. »

وقد شهد فيها بعد بصرحة الظواهر الفيزيائية والعقلية معاً فيما قام به من بحوث
بلغ عدد صفحاتها ألفاً وستمائة صفحة . وفيما بين عامى ١٨٥٣ ، ١٨٥٤
واصل تجاربه في دائرة روحية عائلية . وأمكنه أن يتلقى بيده رسائل روحية .
ومن الأرواح التى تم الاتصال بها فيها فيلسوف السويد سويدنبرج
Swedenborg وبأكون Bacon الشاعر المعروف ، ونشر التفاصيل في
مؤلف له من جزئين عنوانه « الروحانية » Spiritualism . وكان لموقفه النبيل
ولدفاعه المتواصل عن الروحانية أثرهما الواضح في نمو الحركة الروحانية
وازدهارها .

جيمس مابيس

كما تصدى لبحثها جيمس مابيس J. Mapes وكان كيميائياً معروفاً
في الكيمياء الزراعية وعضواً بالمجمع العلمى . وبعد أن اتهم أصدقائه الباحثين

في الروح بأنهم يسرون حثيثاً إلى الجنون بحث بعض الظواهر الوساطية على وسيطة تدعى مسز كورا هاتش Gora Hatch ، ثم على وسيطة أخرى تدعى مسز ريتشموند Richmond وتلقى أجوبة عليـسة صحيحة على أسئلته .

ثم أصبحت زوجته وسيطة للرسم ، مع أنه لم يكن لها من قبل أى ميل فنى . كما تحولت كريمته إلى وسيطة للكتابة ، وعن طريقها تلقى رسالة حاسمة من والده لإثبات شخصيته إذ قال له : « إلك تذكر أنى كنت قد أعطيتك بن كتب أخرى دائرة المعارف ، فانظر فى ص ١٢٠ ستجد اسمى مكتوباً فيها وهو لم تره من قبل ، . وكانت دائرة المعارف هذه ملقاة فى مخزن للنزل داخل صندوق مهمل منذ سبعة وعشرين عاماً . ولما بحث عنها مايس تحقق من صحة ما ذكرته روح والده . وواصل بعدئذ بحوثه فى هذا الموضوع لأنه كان مثل صديقه روبرت هير مادياً مزمناً من قبل ، ثم نشرها شاهداً فيها بصحة هذا الموضوع^(١) .

روبرت هير

وبعد مايس يحىء دور روبرت هير Robert Hare (١٧٨١ — ١٨٥٨) أستاذ الكيمياء بجامعة هارفارد بولاية بنسلفانيا ، الذى كان قد سخر منها وعن سبقوه ، ثم أعلن بعد البحث صحتها فى مؤلفه « تحقيق تجريبي لظواهر الروح »^(٢) (١٨٥٥) ، وقد قرر فى مؤلفه هذا (ص ٥٤) :

« بعد إذ حصلنا أخيراً على قوى وساطية إلى مدى كاف لتبادل الآراء مع أصدقائنا الأرواح ، لم تعد فى حاجة لأن أرفع عن الوساطة تهمة التدليس والخداع ، إنما هى الآن أخلاق الخاصة التى ينبغى أن تكون محل التساؤل ، .

(١) راجع « تاريخ الروحانية » لسير آرثر كونان دويل الجزء الأول ص ١٣٥ — ١٣٦ .

(٢) Experimental Investigation Of The Spirit Manifestations. (٢)

كما يقول في ص ٥٥ ، بعد إذ وصف حدوث طرقات مجهولة المصدر ، وأصوات مختلفة تعذر إسنادها إلى مصدر أرضي معروف ، وتحرك أجسام صلبة وغيرها - رغم أن الأجهزة التي حقق بها هذه الأدلة المختلفة صنعت بأكبر قدر ممكن من الاحتياط والدقة ، ولحقها التعديل بحسب الظروف - إن جميع البيئات التي حصلت عليها والتي أسست عليها النتائج التي 'شرت إليها حصل على مثله وفي جوهرها عدد كبير من الباحثين . ومنهم كثيرون لم يفكروا مطلقاً في أمر الاتصال بالآرواح ولم يدر بخلدكم أن يصبحوا روحين . وهم على استعداد لأن يؤكدوا حدوث هذه الظواهر والتحركات ، وعلى غير استعداد لأن يتنازلوا عن الجزم بها حتى وإن كانت غامضة عليهم .

روبرت أوين

وبعد ظهور مؤلفات هؤلاء الرواد الأوائل للروحانية في أمريكا^(١) ، لم يعد هناك كبير محل للاعتقاد الذي كان سائداً عند الغالبية العظمى من أن هذا الموضوع محض هراء ، وكذلك الشأن في نظر البيئات العلمية . ثم توالى المؤلفات وتنوعت ، ومن أحسنها مؤلفان للمستر روبرت ديل أوين Robert Dale Owen (١٨٠١ - ١٨٧٥) الذي كان دبلوماسياً ووزيراً مفوضاً في سنة ١٨٥٥ - وعنوان أولها «العمور على حدود عالم آخر»^(٢) الذي ظهر في سنة ١٨٦١ فكان له شأن يذكر في خدمة الحركة الروحانية هناك . ثم ظهر له مؤلف آخر في سنة ١٨٧١ عنوانه «الأرض محل المناقشة بين هذا العالم والعالم الآخر»^(٣) .

(١) راجع في تطور الحركة الروحانية الأمريكية مؤلفا للرائدة الروحانية مسز إيمما هاردنج برين Mrs Emma Hardinge Britten (١٨٢٣ - ١٨٩٩) عنوانه «الروحانية الأمريكية الحديثة» Modern American Spiritualism . ولها مؤلف آخر عنوانه «معجزات القرن التاسع عشر» Nineteenth Century Miracles وراجع أيضاً مؤلف بنجامين كولمان Benjamin Colman عن الروحانية في أمريكا Spiritualism In America 1891

Foot Falls On The Boundaries Of Another World. (٢)

The Debatable Land Between this World and The Next. (٣)

الحركة الروحية تزدهر تدريجياً

ثم انضمت للحركة الروحية الأمريكية — بعدمقاومة عنيفة — جرائد ومجلات شتى . كما أبدى عدد من كبار الساسة عطفه على هذه الحركة، ولم يخف بعضهم اقتناعه التام بصحة الموضوع ، ومنهم الرئيس أبراهام لنكولن Abraham Lincoln الذى أخذت تعقد الجلسات فى حضوره فى البيت الأبيض فى سنة ١٨٦٢ . وقد تلقى فيها بعض آراء ناضجة وتوجيهات اقتنع بصحتها وأثرت فى آرائه العامة^(١) .

بل إن المخترع العظيم إديسون اشترك فى البحث الروحى ووقف فى جنازة الرئيس هاردينج Harding يعلن « إنى أبحث عن الحقيقة . وقد تقدمت فى مضمارها تقدماً كبيراً خصوصاً فيما يتعلق بالعالم الآخر والحياة بعد الموت . وإنى أقر بأنه لا بد وأن تبقى الروح وتحيى بعد انفصالها عن الجسد . وتتجه جميع أفكارى نحو حل هذه المشكلة ، وهى مشكلة استمرار الحياة بعد الموت ، والمناطق التى تعلو عليها النفس ، وأى شكل تتخذه فيها وطبيعة صلاتها المحتملة بهذا العالم الأرضى^(٢) . كما انضم إديسون إلى الجمعية الشيوصوفية منذ سنة ١٨٧٨ ، وهى جمعية تقوم على الفلسفة الروحية وبوجه خاص على الأخوة الإنسانية، وقد أسستها — مع الكولونيل أولكوت Olcott — فى سنة ١٨٧٥ الوسيطة الروسية المعروفة مدام هيلين بروفوا Blavatsky (١٨٣١ — ١٨٩١) التى عاشت جزءاً من شبابها فى بلادنا ، وأسست بالقاهرة منذ سنة ١٨٧١ أول جمعية روحية .

جمعية البحث الروحى الأمريكية

ولما ازدهرت حركة البحث الروحى فى الولايات المتحدة الأمريكية أنشئت « جمعية البحث الروحى الأمريكية »^(٣) A. S. P. R. على غرار

(١) راجع فى هذا الموضوع « كتاب هل كان أبراهام لنكولن روحياً ؟ »

Was Abraham Lincoln A Spiritualist ؟ مؤلفته نى كولبيرن ماينارد

Nettie Colburn Maynard ، والمؤلفة هى نفسها وسيطة هذه الجلسات .

(٢) المجلة الروحية الفرنسية La Revue Spirite عدد ديسمبر سنة ١٩٢٣ ص ٥٦٣ .

(٣) American Society For Psychical Research.

« جمعية البحث الروحي البريطانية » — التي سيأتي الكلام فيها في الفصل المقبل . بل لقد كانت في أصلها فرعاً منها . وقد أنشئت الجمعية البريطانية في سنة ١٨٨٢ أما الجمعية الأمريكية فقد أنشئت في سنة ١٨٨٩ ، وكانت الجمعيتان — ولا تزالان — تضمان صفوفه من علماء النفس والمادة ، فهما أكاديميتان للبحث الروحي تعملان على أعلى مستوى علمي .

وكان من أقطابها المؤسسين واحد يعد أبرز فلاسفة أمريكا في عصره وهو وليام جيمس ، الذي انضم ابتداء إلى الجمعية البريطانية منذ إنشائها في سنة ١٨٨٢ واختير رئيساً لها في سنة ١٨٩٤/١٨٩٥ . كما اختير نائباً لرئيس الجمعية الأمريكية منذ سنة ١٨٩٠ ، وظل عضواً في هذه الأخيرة إلى حين انتقاله إلى عالم الروح في سنة ١٩١٠ .

وقد ذكر وليام جيمس عن هذه الجمعية في مؤلفه « إرادة الاعتقاد » تحت عنوان « ماذا أنجز البحث الروحي ؟ » (ص ٣٠٦ - ٣٠٨)^(١) ما يلي : —

إن إجراءات « جمعية البحث الروحي » أخذت في الاعتبار مبدأ الكيف لا الكم .. وإني أعتقد اعتقاداً راسخاً بأنه بمرور السنين وباتساع رقعة البحث فإن هذه الإجراءات ستصدر سائر مراجع المعرفة بخصوص نظرية كان يظن عنها أنها غامضة ، ومن المعتاد أن أبحاثاً من هذا القبيل يكون لها اعتبار خاص عند الجيل الصاعد . كما أن الشبان من إخصائيين في علم الإنسان (انثروپولوجي) وعلم النفس الذين ستكون لهم الصدارة في البحث العلمي سيرون أنه من العار العلمي أن يتركوا قدراً كبيراً من الخبرة البشرية يتأرجح بين اعتقاد غامض أو تصديق دون فحص من ناحية ، أو إنكار قاطع جازم من ناحية أخرى ، وبغير أن يتقدم أناس مقتدرون لهم الإرادة والعزيمة لدرس هذا الموضوع بكل صبر وحماس .

وإذا طال البقاء ، للجمعية البحث الروحي ، حتى يحس الجمهور بوجودها وتشعر بكيانها ، كما يبادر الجمهور إلى إبلاغ أولى الأمر فيها بما يرى من رؤى وأشباح أو يسمع من دوى سقوط أثاث أو خلافة من الظواهر الغير العادية، فإنه من المؤكد أن تتجمع لدى تلك الجمعية كمية كبيرة من الوقائع التي يمكن اتخاذها أساساً لبناء نظريات جديدة عليها . ومن ثم فإنه على معضدي هذه الجمعية أن يفهموا أن واجهم الأول هو أن يحافظوا على كيانها من سنة إلى أخرى، وأن يدونوا ما يتجمع لديهم من حقائق بطريقة دقيقة، حتى إذا لم تكن لها نتائج ملموسة في أول الأمر ، فإن جميع جمعياتنا العلمية نشأت بهذه الطريقة المتواضعة .

ولكن من المحال أن تتقدم البحوث العلمية بمجرد إنشاء الجمعيات . فالجمعيات بوسعها أن تساند العباقرة ولكن لا تحل محلهم ، والفارق بين الجمعية البريطانية الأصلية والفرع الأمريكي التابع لها يبرهن على هذه النظرية . ففي إنجلترا كانت نواة الجمعية عبارة عن عدد قليل من الرجال المتصفين بالحماسة والعبقرية ، حين أنه في أمريكا فقد استدعى الأمر ، استيراد ، عالم أوروبي يدعى مستر هودجسن Hodgson^(١) قبل الوصول إلى أي تقدم في البحث . ومن المرجح أن من أسباب ارتباط أفراد الجمعية الإنجليزية هو شخصية الأستاذ سيدجويك Sidgwick الفذة وقدرته على بعث الثقة في أناس من مشارب مختلفة ، فإنه ليس من السهل أن يجود الزمن بشخص مثل سيدجويك يجمع في أن له هذه الرغبة الملحة في الوصول إلى النتيجة في البحث مع عدم التعصب لآرائه عند مناقشتها ، كما أن اعتقاده الراسخ بأن ثمت أشياء مجهولة ينبغي أن تظهر يزود الرجلين بالصبر . وجهره بعدم قدرته على الوصول إلى قرار حاسم في اختباراته يبعث الثقة ونفوس أولئك الذين يخشون أن يكونوا ضحية للخداع أو للحيلة^(٢) .

(١) أستاذ الأخلاق بجامعة كمبريدج .

(٢) ولد كان سيدجويك هذا فيلسوفاً وحالماً خلقياً وبمذولة = Methods Of Ethics

كما ذكر نفس الفيلسوف عن هذه الجمعية في مؤلفه الأنف الذكر (ص ٣١٣ وما بعدها) ما يلي :

إن جمعية البحث الروحي ، التي تمتد عملها في إنجلترا وأمريكا قد سمحت بأن يلتقي العالمان العلي والروحي في مجال واحد . وإني أعتبر أن هذه الجمعية مهما كانت وظيفتها محدودة سيكون لها نصيب كبير في ترتيب المعارف الإنسانية . فلذلك أستحسن أن أفضي إلى القارىء بنتائج أعمالها بإيجاز ، فأقول إننا إذا صدقنا الجرائد وأوهام الصالونات خيل لنا أن الضعف العقلي وسرعة التصديق هما الرباط المعنوي الذي يجمع بين أعضاء هذه الجمعية ، وأن حب العجائب هو الروح المحرك لها ، ومع هذا فيمكنني أن نلقي نظرة واحدة على أعضائها لدحض هذه التهمة . فإن رئيس هذه الجمعية الأستاذ سيدجويك معروف بأنه أشد الناس شكيمة في النقد وأعصام قياداً في الشك في جميع البلاد الإنجليزية ... وتشمل قائمة أعضائها رجالا كثيرين آخرين ، كفاءتهم العلمية أشهر من نار على علم .

وإذا طلب إلى أن أعين جريدة علمية تكون مصادر أغلاطها بمحصة بأدق الأساليب فإنني أنوه بمضابط جمعية البحث الروحي S. P. R. Proceedings فإن الفصول الفيزيولوجية التي تنشرها الجرائد الخاصة بهذا العلم لا تبلغ في دقة النقد مبلغ المضابط المذكورة ، حتى أن صرامة الأساليب الكشفية التي طبقت منذ عدة سنين على اختبارات بعض الوسطاء كانت بحيث توجد اختلاف الآراء داخل الجمعية نفسها .

وليم جيمس

هذا وقد بدأ عالم النفس والفيلسوف وليام جيمس (١٨٤٢ - ١٩١٠)

= من الكتب التي ترفع صاحبها إلى مستوى فلاسفة الأخلاق الكبار (راجع في هذا الشأن مؤلف ك. د. بروس C. D. Broad وعنوانه Five Types Of Ethical Theory طبعة ١٩٤٤ ص ١٤٣ - ٢٥٦ .

حياته طبيباً بمستشفى مساتشوستش ، ثم أصبح أستاذاً للتاريخ الطبيعى فى سنة ١٨٧٤ ثم أستاذاً للتشريح المقارن ثم تحول إلى علم النفس الفسيولوجى فى سنة ١٨٧٦ ، ثم أصبح أستاذاً للفلسفة بجامعة هارفارد ، ثم أصبح مديراً لهذه الجامعة . وينظر إليه حالياً على أنه من أحسن علماء النفس والفلاسفة الذين أنجبته أمريكا^(١) ، وفى نفس الوقت من أحسن الباحثين الروحيين الذين أفادوا جمعية البحث الروحى ، واستفادوا منها إلى أبعد مدى .

وفى هذا الشأن يقول الأستاذ محمود زيدان فى مؤلفه « وليم جيمس » (٢) :
« ولقد أفادته بحوثه مع زملائه إفاده جمّة فى الوصول إلى نتائج عليه تخدم أغراضه فى التوفيق بين العلم والدين . ولعل هذه الجمعية كانت الأساس المتين الذى جعل لجيمس شهرة فى الموضوعات الصوفية . إذ وصلت الجمعية فيما وصلت إليه إلى وجود النفس المستورة Subliminal ، فجعل منها قاعدة لوجود عنصر غير فسيولوجى فى الطبيعة الإنسانية يمكن أن يودى إلى اتجاه الإنسان نحو الله .. واكتشف جيمس — كعضو عامل فى الجمعية — وجود مناطق خفية من الشعور يمكن للإنسان عن طريقها معرفة عالم غير منظور ، وأصبح هذا العالم جوهر الدين فى فلسفته الدينية كما سنرى . »

وفى مؤلفه عن « صنوف التجربة الدينية » (٣) (١٩٠٢) قال عن هذا العالم غير المنظور ما يلى : ليست الذات الواعية إلا جزء من

(١) يقول الدكتور عثمان أمين فيه « ولانزاع فى أن جيمس قد نبأ من فلاسفة أمريكا أعلى مقام ، فاستطاع أن يثبت فى التفكير العلى فى بلاد روحاً فنية زاهرة اكتبته حياة وخصبا ومدت رحابه إلى العلم والأدب والفن وهبات له أن يشارك فى مشاغل المجتمع المتجدد النامى بأولى نصيب . كما يقول فيه ، أيضاً إنه من القلائل فى عصرنا هذا الذين استطاعوا أن يؤلفوا بين المثالية والواقعية تأليفاً فريداً (مقال فى مجلة الكتاب العربى عدد ١٠ يونية سنة ١٩٦٤ (العدد الأول ص ٢٢) .

(٢) والكتاب المذكور ضمن مجموعة « نوابغ الفكر الغربى » راجع ص ٣١ ، ٣٢ .

(٣) Varieties Of Religious Experience .

ذات أعظم. وإن امتدادات الذات الواعية لتذهب إلى ما هو خارج الإحساس والعقل بكثير في إقليم يمكن تسميته بالغامض أو بما فوق الطبيعي . وطالما أن ميولنا تستمد أصولها من ذلك الإقليم - وهذه هي حالة الغالبية من بين هذه الميول - فإن صلتنا بذلك الإقليم تكون ممتدة فيه إلى ما هو أعمق مما تمتد إليه في العالم المنظور ، وذلك لأن مطامعنا الأكثر سمواً هي محور شخصيتنا .

ولكن ذلك العالم غير المنظور ليس مجرد مثل أعلى فحسب ، كلا بل إنه يحدث آثاره كذلك في العالم المحسوس . فإننا باتصالنا بذلك العالم غير المنظور تنتهي ذراتنا بالتحول فنصبح أشخاصاً آخرين ، ونصح من سلوكنا عن طريق إعادة تقويم خصائصنا الأصلية من جديد . ومن ثم يحدث ذلك العالم غير المنظور تأثيره في العالم الطبيعي ، فكيف نأبى أن نسمى ذلك العالم الآخر بالحقيق ، وهو الذي يحدث أثره في داخل حقيقة أخرى (هي العالم الطبيعي) ؟ .

ولم ين و أيام جيمس عقيدته بوجود العالم غير المنظور على مجرد فلسفة نظرية ، وهذا هو الجانب الهام في آرائه ، بل بناها على دوائر مؤكدة تنطوي على الاعتقاد بوجود عالم غير منظور وله وجود حقيقى واقعى وليس مجرد تصور . وسيجعل هذه النتيجة هي نقطة الارتكاز في الدين ، وهو يقدم لهذه النتيجة بمقدمات كثيرة . . ويتصور جيمس الدين - حسب هذا التعريف - تصوراً أوسع من المعنى المألوف له . إنه يتصوره علاقة الإنسان بشيء غير منظور ، دون أن يتحتم أن يكون هذا الشيء إلهاً أو ما يشبه الإله . وهو تصور نجده واضحاً في تيارات فلسفية كثيرة من تلك التي تدافع عن الدين . قد نقول عن فرد إنه متدين دون أن يكون معتقداً بوجود إله . وقد يكون الفرد ومناً مجرد أنه يتصور العنصر الإلهي في طبائع الأشياء ، أو يصور للكون تركيباً روحياً خاصاً . إننا نسمى هذا التصور تصوراً

دينياً رغم أنه لا ينطوى على وجود إله حقيقى محدود... ويعرف جيمس الدين بأنه الاعتقاد بعالم غير منظور، وأن خيرنا الأسمى كائن فى إيجاد الملائمة الناجحة بيننا وبين ذلك العالم...

ويبنى وليام جيمس أراءه هذه على تجاربه الخاصة فى الروحيات والتجارب الدينية لدى الصوفية وما أوحته نتائج العلاج الروحاني. كل هذه « يثق بها جيمس ويتخذها وثائق ولا يوجد ما يدعو إلى تكذيب أصحابها ». على ما يقرره الأستاذ محمود زيدان، الذى يقول أيضاً فى بحثه القيم الذى لم يضعه إلا لدراسة فلسفة وليام جيمس : -

« لقد وصل جيمس من خلال دراساته للتنويم المغناطيسى وأبحاثه فى العلاج الروحاني ودراسته سيراً كتبها أدباء مشهورون لهم نزعات صوفية (هم وسطاء الإلهام) - وصل من ذلك إلى حقيقة هامة هى أن شعورنا اليقظ الراهن ليس إلا نمط واحد من أنماط الشعور الإنسانى . ويجب ألا نغفل أن وراء هذا الشعور اليقظ شعوراً خفياً آخر ولعله أكثر عمقاً وسعة وتأثيراً فى حياتنا ... ويرى بنفسه أن هذه الحقيقة نتيجة هامة وصل إليها بعد قيامه بملاحظات وتجارب كثيرة ، واقتنع بصدقها ولم يززع اعتقاده بها شيئاً^(١) .

« ولقد تأكد جيمس من خلال دراساته للصوفية والقداسة وخصائصها أن القديس فى حالات غيبوبته - مما له أثره الثابت فى حياته اليقظة المألوفة - يشعر بوجود كون فسيح أكثر سعة من العالم الأرضى ، ويشعر أن بينهما علاقة جاذبية وتعاطف وصدافة . بل يشعر أنه خاضع له ، أو أنه ينبغى أن يكون خاضعاً له ، ومن المحال أن يكون الشعور العقلى هو مصدر الوعى بهذا السكون . إذن فمن الملائم أن نفترض وجود مناطق خفية بالقوة من الشعور يمكنها الاتصال بهذا السكون العظيم... »^(٢)

(١) مؤلف الأستاذ محمود زيدان عن « وليام جيمس » ص ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦٤ .

كما يقول أيضاً إنه توجد في الطبيعة الإنسانية منطقة لها صلة وثيقة بالمنطقة الإلهية أى بالعالم غير المنظور . هذه المنطقة هي الشعور الخفى أو ما وراء الشعور الخالد ، أو بروز النفس الاجتماعية بروزاً أوضح من النفس المادية . كما يعتقد أن هذه الصلة بين النفس الكامنة في الإنسان وبين هذا الكون الفائق ينبغى أن تتحقق بالصلاة لا بالتصوف .

وهو يعتقد أيضاً أن الله لم يخلق الكون من الأزل ، وإنما الخلق وعمل الله فيه قائم في مجال الزمن . والزمن صورة الإمكان ، وأهم فكرة متضمنة في فكرته الشخصية عن الله هي أن الله رفيق للإنسان صديق له معين له على الوصول إلى كماله ، مساعد له في التغلب على الشر الذي في العالم . فهو ليس مصدر خوف لنا أو رهبة ، وإنما هو مصدر حبنا لأنه رمز تفاؤلنا في هذه الحياة . (١)

وقد صور وليام جيمس الطبيعة حولنا « بعقل مفكر جبار يتسلل منه قدر يسير إلى جمجمة كل إنسان ، فيز هو بما أصبح في حوزته من قوة قادرة على التفكير والخلق والابتكار ... ولا حرج في هذا ، ولكن من المضحك أن يحاول بهذه القوة اليسيرة أن يفسر جميع غوامض العقل الجبار الذي يحيط به ، فإذا أخفق في تفسير شيء أنكره وراح يشكك الناس في وجوده » (٢) ،

وبسبب بحوثه في الروحية التجريبية أصبح هذا الفيلسوف مؤمناً بإمكان استحواذ بعض الأرواح على بعض الأشخاص أو المس الروحي obsession قائلاً : إن رفض التعاليم الحديثة اعتبار المس الروحي أمراً يمكن الحدوث برغم روايات الناس المتراكمة المبنية على التجربة الملبوسة إنما هو في نظري مثل غريب للتحكم الشكلي في المسائل العلمية .. ترى هل يكون الإنسان

(١) المرجع السابق ص ١٧٩ .

(٢) عن مقال توفيق الدوس مكسلى عنوانه « الظواهر الروحية حقيقة لا سبيل لإنكارها » نشرته مجلة الهلال في عدد يولييه ١٩٥٥ عن جريدة ريدرز دايجست وصاحب المقال معروف - مؤلفاته المبينة عن سير الحياة ، وعرفت عنه دقة التحليل العلمى والفلسفى .

علياً في الواقع إذا كان هو من العمى والجهل بحيث يرتاب في إمكان ذلك ؟ .

فاقتناع وليم جيمس بصحة الظواهر الروحية - وبجته الشخصي فيها - هو الذي دفعه إلى اعتناق فلسفة جديدة بالنسبة له قائمة على التسليم بوجود عالم الروح ، وعلى تأثيره المستمر في عالم المادة على النحو الذي يبناه ، والذي قلب آراءه السيكلوجية القديمة رأساً على عقب ، وكانت مؤسسة من قبل في جوهرها على مبادئ مادية . فراح يصف - بعد هذا التحول - مؤلفاً قديماً له عن « مبادئ السيكلوجي » ، قائلاً بتواضع العالم وشجاعة الفيلسوف إنه يمثل « كتلة كريمة منتفخة متورمة تشهد أنه لا شيء هناك يسمى علم السيكلوجي » ويقصد أن علم الروح هذا *Psychic Science* قد حل محل الـ *Psychology* القديمة هذه .

فهل هناك دلالة في جانب علم الروح أعظم من دلالة تحول عالم وفيلسوف من طراز وليام جيمس هذا التحول الخطير بعد بحوث معملية فيه دامت لسنين طويلة ، وأدت إلى تشييده فقهاً جديداً وفلسفة هي الآن في جوهرها فلسفة الروحانيين العامة في جوانب المعمورة ، مهما اختلفت التفاصيل فيما بينهم ؟ .

ثم انظره وهو يقول في أحد فصول مؤلفه « إرادة الاعتقاد » ، عن البحث الروحي : « إننا لو قارنا رأينا الحال مع نظرة الماضي نحو الفكر البشري حينذاك ، سواء علياً أو دينياً ، لرعتنا الدهشة بأن السكون الذي يظهر بهذه العظمة والغموض لنا ، يكون قد بدا لغيرنا شيئاً صغيراً بسيطاً .

والآن إذا نظرنا إلى العالم من زواياه المختلفة وهي عالم ديكارت *Descartes* أو نيوتن *Newton* أو عالم المادة في القرن الماضي ، أو عالم برادجواتر *Bridgewater* في عصرنا الحاضر لرأينا هو هو بعينه دائماً « العالم الصغير الغير المنظور » .

وإذا رجعنا إلى ليل Lyell وفراڊاي Faraday وميل Mill وداروين Darwin وخصنا نظرياتهم المختلفة لوجدنا أنهم يصفون على آرائهم نظرية الطفولة والبراءة .

وهل هذا يعنى أن العلم فى يومنا الحاضر سيهرب من مصيره العادى، وهلا تبدو عقول مفكره متخلفة لأحفاده ؟ إنه لمن الحاقه أن نطن ذلك . لكن فى الوقت نفسه لو قسنا الحاضر على الماضى وأصبح علينا متخلفاً بالنسبة للمستقبل ، فذلك سيكون راجعاً بالأكثر إلى استبعاده للحقائق . وإلى جهله بمجالات بأكملها عن الظواهر المركبة التى يلزمها الإيضاح ، لا إلى افتقاره إلى الروح أو المبادئ العلمية . فإن روح العلم ومبادئه ما هى إلا عبارة عن وسائل معينة . . .

إلى أن يقول « إن الفصيلة الوحيدة المتكاملة لتفكيرنا ، كما يقول أساتذتنا فى الفلسفة هى فصيلة شخصيتنا وما عدا ذلك من الحالات يعتبر من العناصر التجريدية فقط . وإن إنكار العلم التقليدى للشخصية كظهور للحوادث ، وإن الاعتقاد الصارم بأن العالم قطعاً عالم غير شخصى فى أخص خصائصه ، ليرهنان أنهما النقص الذى سيتعجب منه خلفاؤنا بالنسبة للعلم الذى نفخر به نحن — ذلك النقص الذى سيجعل علمنا فى نظريهم قصير النظر وعديم العمق . . . » (١)

هذا وقد قرر مستر هيوات ماكنزى H. Mckenzie مدير الكلية البريطانية للعلم الروحى ، فى مؤلفه عن « الاتصال بالروح » (٢) (١٩١٦) أنه أمكنه الاتصال بروح وليام جيمس بعد انتقاله . ومثل ذلك قرره أيضاً البروفسور جيمس هايسلوب رئيس « جمعية البحث الروحى الأمريكية » A. S. P. R. وأستاذ الأخلاق والمنطق بجامعة كولومبيا فى مؤلفه عن « اتصال بالعالم الآخر » (٣) (١٩١٩) . وأدلت الروح بمعلومات قيمة ، وذلك

(١) من ٣٢٧ ، ٣٢٨ The Will To Believe

(٢) Spirit Intercourse : Its Theory and Practice .

(٣) Contact With The Other World .

لتثبت بطريقة عملية حاسمة بقاء الشخصية بعد موت الجسد المادى .
كما عاد هايسلوب بدوره بعد انتقاله ، على ماروته سكرتير ته مس جر ترود
تيوبى Gertrude O. Tubby فى مؤلفها عن «جيمس ه . هايسلوب» (١٩٢٩) .

جيمس هايسلوب

وقد كان جيمس هيرفى هايسلوب هذا James Hervey Hyslop (١٨٥٤ — ١٩٢٠) أستاذاً للناطق والأخلاق بجامعة كولومبيا بولاية
نيويورك، ومن أشهر بحاث العلم الروحى ودعاته فى أمريكا الشمالية وقد أجرى
تجاربه مع وسطاء متعددين ، منهم مسز ليونور بيير L. Piper وتلقى منها
٢٠٥ بيانات مختلفة من أشخاص متوفين أمكنه أن يتحقق من صحة ما لا يقل
عن ١٥٢ بياناً منها، وقال بعد ١٢ جلسة معها : لقد تحدثت مع روح والدى
وشقيقى وأعمامى ... (١)

وقد ساهم هايسلوب فى تنظيم «جمعية البحث الروحى الأمريكية» وأصبح
رئيساً لها وعمل على إصدار جريدتها منذ سنة ١٩٠٧ ، وقد أصبح مساعداً
له فى رئاسة الجمعية دكتور هيروارد كارنجتون H. Carrington ، ثم أعقبه
دكتور والتز فرانكلين برنس W. F. Prince .

ومؤلفات هايسلوب غزيرة فى العلم الروحى منها «الحياة بعد الموت» (٢)
(١٩١٨) وفيه يقرر : «إنى اعتبر وجود أرواح غير متجسدة أمر قد ثبت
عليها ، ولا يمكن بعد الآن أن أنظر إلى المتشكك بوصفه صاحب حق فى
الكلام فى الموضوع . وكل من لا يقبل الاقتناع بوجود أرواح غير متجسدة
وبقيام الدليل على وجودها إما جاهل وإما تعوزه الشجاعة الأدبية ...»

ومن مؤلفاته أيضاً : «العلم وحياة مستقبلية» (٣) (١٩٠٦) و «حدود
البحث الروحى» (٤) (١٩٠٦) و «الغاز البحث الروحى» (٥) و «البحث

(١) راجع ما سبق عن الوسيلة ص ١١٢ .

Life After Death .

(٢)

Science And a Future Life.

(٣)

Borderland of Psychical Research.

(٤)

Enigmas of Psychical Research.

(٥)

الروحي والبحث،^(١) (١٩٠٨) و البحث الروحي والحياة بعد الموت،^(٢)
(١٩١٣) و اتصال بالعالم الآخر،^(٣) (١٩١٩).

فرديناند شيلر

من الرواد الأوائل للحركة الروحية فرديناند سكوت شيلر
Ferdinand Scott Schiller (ولد في سنة ١٨٦٤) وكان أستاذاً للفلسفة
في جامعة كورنل (من ١٨٩٣ - ١٨٩٧) ثم أستاذاً لها في جامعة جنوب
كاليفورنيا بلوس أنجلوس.

ومنذ سنة ١٨٨٧ نشر دراساته الأولى بمضابط «جمعية البحث الروحي»
البريطانية S. P. R. التي كان من أعضائها الأول بعنوان «تقرير عن بعض
التجارب التلقائية»^(٤) (في المجلد الحادي عشر) كما نشر عدة مقالات وبحوث
أخرى في هذه المضابط وفي جريدة الجمعية. وكتب عن «تقدم البحث
الروحي»^(٥) في دائرة المعارف البريطانية (الطبعة ١١ الصادرة في سنة ١٩٢٠)،
كما كتب عن «الروحية والتلباثي»^(٦) في دائرة معارف هاستنج للدين
والأخلاق،^(٧).

واختير عضواً بمجلس «جمعية البحث الروحي» البريطانية ثم اختير
رئيساً لها في سنة ١٩١٤.

ومن مؤلفاته الفلسفية والإنسانية،^(٨) (١٩٠٣)، و دراسات في
الإنسانية،^(٩) (١٩٠٧) و تانتالوس أو مستقبل الإنسان،^(١٠) و «مشكلات

- | | |
|---|------|
| Psychical Research and the Resurrection . | (١) |
| Psychical Research and Survival. | (٢) |
| Contact with the Other World . | (٣) |
| Report of Some Automatic Experiments. | (٤) |
| Progress of Psychical Research. | (٥) |
| Spiritism And Telepathy. | (٦) |
| Hasting's Encyclopaedia of Religion And Ethics. | (٧) |
| Humanism. | (٨) |
| Studies in Humanism . | (٩) |
| Tantalus, or The Future of the Man. | (١٠) |

الاعتقاد،^(١) (١٩٢٤) .

ادوارد راندال

ومن الباحثين ادوارد كالب راندال Edward Caleb Randall وكان محامياً معروفاً ، وقد أجرى بحوثه الروحية بمدينة بافالو بولاية نيويورك واستمرت مع مسز إميلي فرنش Emily French (١٨٣٠ - ١٩١٢) وسيطة الصوت المباشر لمدة عشرين عاماً ، كما قام ببحوث في دوائر أخرى. وشرح نتائج بحوثه في جملة مؤلفات قيمة منها « تقدم الحياة »،^(٢) (١٩٠٦) و« مستقبل الإنسان »،^(٣) (١٩٠٨) و« الموتى لم يموتوا أبداً »،^(٤) (١٩١٦) و« حدود الحياة التالية »،^(٥) (١٩٢٢) و« الميت الحي »،^(٦) (١٩٢٧)

هيروارد كارنجتون

ومن البحوث الأمريكيين أيضاً الدكتور هيروارد كارنجتون Hereward Carrington العالم النفسى الذى انضم إلى الجمعية الأمريكية للبحث الروحى، A. S. P. R. فى سنة ١٩٠٦ ، وكانت تحت رئاسة هايسلوب فأصبح هو مساعداً له . وتجارب كارنجتون فى الظواهر الروحية كثيرة ، منها تجاربه فى سنة ١٩١٠ على الوسيطة الأسبانية أسايا بلادينو،^(٧) وقد ذكر عنها « أن جلسأتى التى عقدتها قد أقنعتنى أخيراً — بدون أدنى اعتراض — أن

• • كارنجتون

- | | |
|------------------------------|-----|
| Problems of Belief. | (١) |
| Life's Progression. | (٢) |
| Future of Man. | (٣) |
| The Dead Have Never Died. | (٤) |
| Frontiers of the After Life. | (٥) |
| The Living Dead . | (٦) |

(٧) راجع ما سبق عنها فى ص ١٠٧ — ١١٠

هناك عدة ظواهر حقيقية تحدث فعلاً . ومن الطبيعي في مثل هذه الحالة أن يبرز أمامي السؤال الخاص بتفسيرها ، وإني لأظن أن الفرض الروحي لا يمكن اعتباره فحسب نظرية عملية ، بل إنه في الحقيقة النظرية الوحيدة التي يمكن بها تعليل هذه الحقائق تعليلًا علميًا .



مrs. إيلين جارت

وفي سنة ١٩٣٣ عندما زارت الولايات المتحدة الوسيطة البريطانية Mrs. Eileen جارت Garrett أخضعها كارنيجتون لتجارب كثيرة داخل المعهد الروحي الأمريكي ،^(١) منها تجارب متصلة بالتحليل النفسي مصحوباً بأجهزة تسجيل كهربائية ، كما يكتشف ما إذا كانت الكائنات المتصلة بالوسيطة مستقلة عنها أم لا . واختتم

بحوثه بما يلي : « يمكنني الآن أن أقرر أن تجاربنا أظهرت وجود كائنات عاقلة مستقلة عن سيطرة الوسيطة ، ومنفصلة عن العقليين الواعي والباطن ومعزولة عنهما . »

كما خضعت نفس الوسيطة لتجارب التلباثي في جامعة ديوك تحت إشراف الأستاذ ج. ب. راين ، التي نشرها في سنة ١٩٣٤ في مؤلفه عن « الإدراك عن غير طريق الحواس » .

وأكد الدكتور كارنيجتون — بالاشتراك مع الدكتور ميدرفي مؤلفهما « الموت أسبابه وظواهره » ،^(٢) (١٩١١) — صحة ظاهرة الغيبوبة الوساطية وقد ذكرنا فيه « إذا نحن أردنا أن نقف على الجوهر الحقيقي للغيبوبة

The American Psychical Institute.
Death, its Causes and Phenomena,

(١)

(٢)

والحالات التي من نوعها نجد أنفسنا سادرين في جهل فاضح مدهش بأمثال هذه المعلومات . ويرجع ذلك بالأكثر إلى أننا نعتبر البحث فيها نوعاً من الخرافة أو علامة على التخريف ... ثم بينا كيف أن الغيبوبة الوساطية ليست حالة مرضية ، بل إنه عند مرض الوسيط يصبح وقوعه في الغيبوبة مستحيلاً . وأكدا أن الوسيط الواقع في الغيبوبة يمكنه أن يدلى بمعلومات صحيحة خارقة للعادة ، وتلك هي عقدة العقد . ونحن لا تهمننا أية نظرية تقدم عن طبيعة الغيبوبة، لكن بشرط أن يكون في وسعها تفسير جميع الحقائق ، والواقع أن النظريات المادية الحالية لا تستطيع ذلك .

كما يقول كارنيجتون في مؤلفه عن «الظواهر الروحية الحديثة» إنه لمن الواضح أن المس الروحي هو على الأقل شيء ممكن لا يجوز للعلم أن يهمله ، إذ أن هناك حقائق دامغة كثيرة تدعمه . وإذا ما سلمنا بإمكانية المس العقلي فإن مجالاً واسعاً للبحث والدراسة سوف يفتح أمامنا ، ويكون بحاجة إلى كل العناية والمهارة والصبر الذي يمكن أن يتكفل به العلم الحديث والفهم السيكلوجي .

وحرر مقالاً لمجلة القدر Fate في عدد سبتمبر سنة ١٩٥٥ سلم فيه بصحة أغلب الظواهر الوساطية ، بما في ذلك ظاهرة المنازل المسكونة، أو الشغب المجهول المصدر . . . وقد ظن أنها تصورات ذهنية نتيجة هلوسة . ولكن هذه التجارب الدقيقة القاسية قد أثبتت أنها حقيقة واقعة . كما يتحدث عن التصوير الروحي قائلاً إنه في هذه الحالات « يؤثر إشعاع ما من الجسم في المزيج الموجود فوق اللوحات التي تظهر فيها علامات غير متوقعة ... » . ويتهى بأنه « في مجال البحث الروحي توجد حقائق كثيرة تبدو لأول وهلة أنها تافهة ولا معنى لها ، لكنها مستصير ذات قيمة كبرى ، وستؤدي إلى فهم كثير من الأمور الخافية علينا في الوقت الحاضر . »

وأهم مؤلفات كارنيجتون في موضوع الظواهر الروحية : « الظواهر

الفيزيكية للروحانية، (١) (١٩٠٧) و«العلم الآتى»، (٢) (١٩٠٨) و«أسايا بلادينو وظواهرها» (٣)، (١٩٠٩) و«تجارب شخصية فى الروحانية»، (٤) و«السحر الهندوسى»، (٥) (١٩١٣) و«مشكلات البحث الروحى»، (٦) (١٩١٤) و«قصص حقيقية للأشباح»، (٧) (١٩١٥) و«الظواهر الروحانية والحرب»، (٨) (١٩١٨)، و«الظواهر الروحانية الحديثة»، (٩) (١٩١٩) و«قوانا الروحانية وكيف ننمىها»، (١٠) (١٩٢٠) و«تقديم أسمى للروحانية»، (١١) (١٩٢٠)، و«الروحانية»، (١٢) بالاشتراك مع الدكتور جيمس والش James Walsh (١٩٢٥). و«طرح الجسد الكوكبى»، (١٣) بالاشتراك مع سيلفان ج. ملدون Sylvan J. Muldoon (١٩٢٩) و«قصة العلم الروحى»، (١٤) (١٩٣٠) و«هودينى وكونان دويل»، (١٥) بالاشتراك مع برنارد م. ل. إرنست Bernard M. L. Ernest (١٩٣٢) و«أولية فى البحث الروحى»، (١٦) (١٩٣٣) و«ظواهر الطرح الروحى»، (١٧) و«العالم غير المنظور»، (١٨) و«العلم الروحى والحياة بعد الموت»، (١٩) (١٩٣٩).

The Physical Phenomena of Spiritualism.	(١)
The Coming Science.	(٢)
Eusapia Paladino and her Phenomena.	(٣)
Personal Experiences in Spritualism.	(٤)
Hindu Magic.	(٥)
The Problems of Psychical Research .	(٦)
True Ghost Stories .	(٧)
Psychical Phenomena and the War.	(٨)
Modern Psychical Phenomena.	(٩)
Our Psychic Powers, and How to Develop Them.	(١٠)
Higher Psychical Development.	(١١)
Spiritualism .	(١٢)
The Projection of the Astral Body.	(١٣)
The Story of Psychic Science.	(١٤)
Houdini and Conan Doyle.	(١٥)
A Primer in Psychical Research.	(١٦)
The Phenomena of Astral Projection.	(١٧)
The Invisible World.	(١٨)
Psychic Science and Survival.	(١٩)

والتر فرانكلين برنس

ومن البحوث الأمريكيتين المعروفين أيضاً والتر فرانكلين برنس W. F. Prince وكان راعياً دينياً ثم تفرغ للبحث الروحي فأصبح ضابطاً للبحث Research Officer « للجمعية الأمريكية للبحث الروحي » ، من سنة ١٩٢٠ إلى ١٩٢٤ ، ثم مساعداً لرئيسها ثم رئيساً لها في سنة ١٩٣١/١٩٣٢ .

وأسس جمعية بوسطن للبحث الروحي Boston S. P. R. ودرس وساطة دوريس فيشر Doris Fischer الوسيطة ذات الشخصيات المتعددة . وأهم مؤلفاته « حالة باشينس وورث » (١) (روح مرشدة راقية) و « الوسيط في المنزل » (٢) و « شهادات مدونة عن أحداث روحية » (٣) و « التخوم المسحورة » (٤) و « ليونارد وتجارب صول في البحث الروحي » (٥) (١٩٢٩) . و « صول Soule هذه كانت وسيطة » جمعية البحث الروحي الأمريكية ، A. S. P. R. وخضعت لتجارب البروفسور هايسلوب وكانت تتلقى الأشعار الراقية من أرواح تينسون وبروننج ولو نجفلو وعدد آخر من أصحاب العقول الراقية من المنتقلين إلى العالم الآخر .

إدوين فردريك باورز

من بحاث هذا الموضوع إدوين فردريك باورز Edwin Frederic Bowers الأستاذ بجامعة مينيا بوليس . ومن مؤلفاته ، ظواهر حجرة تحضير الأرواح (٦) ، وقد بدأه بقوله ، بعد مضي خمس وثلاثين سنة قضيتها في بحوث الظواهر الروحية ودراستها من جميع وجوها المختلفة اقتنعت حقاً

The Case of Patience Worth . (١)

The Psychic in the House . (٢)

Noted Witnesses for Psychic Occurences . (٣)

The Enchanted Boundary . (٤)

Leonard and Soule Experiments in Psychical Research, (٥)

بأن المعرفة التي حصلت عليها نتيجة لبحث هذه الأمور بحثاً هادئاً متأنى فيه تقدم للناس ما لعله يكون أهم تجريب عقلى وروحى يمكن للإنسان أن يحصل عليه خلال حياته الأرضية . والواقع أننى واثق بأنه يوجد الآن ملايين من الناس يعتقدون أن البرهان على استمرار الوجود بعد الموت ، أى على بقاء الشخصية والقدرة على التواصل مع الأرواح غير المتجسدة ، هو أثمن ما يمكن التطلع إلى الحصول عليه ...

إلى أن يقول عن المعارضين : « هؤلاء إما أن يقولوا لنا شيئاً بصدد تلك البيانات العظيمة المترتبة الدالة على استمرار الحياة بعد الموت ، وهى تلك البيانات التى جمعها فى كد ونصب أولئك العلماء المقطوع بشهرتهم وكفاياتهم ، وإما أنهم يستخفون بتلك البيانات معتبرينها مادة تصاغ منها الأحلام والأخيلة .

« ومع ذلك يحزننا أن نقول إن هؤلاء الماديين يوجدون فى الكنيسة وفى المدرسة بنفس الكثرة التى يوجدون بها فى الأسواق التجارية الحاشدة حيث يسود الإلحاد ، وحيث يكون البغض للتقدم الفكرى عائقاً باستمرار للرأى الصائب الثاقب . على أن انعدام أصغر أجزاء الوعى السكونى فيهم يظهر حتى فى ناكيدهم القاطع لأرائهم ، وفى اقتراضهم لأنفسهم الذكاء الخارق الاسمى .

وفى الفصل الأول يقول باورز^(١) : « هذا الكتاب تحد — تحد للجمل والتطرف وروح التعصب الناكرة الكارهة ما تجمع من البيانات الدالة بشكل قاطع على بقاء الشخصية وحياتها بعد ذلك التغير الذى نسميه موتاً .

وقوام نقاش العلم الروحى الحديث هو أن الروحانية لم تعد بعد فى حاجة

(١) لى ص ٦٣ وما بعدها ، من الترجمة العربية بمعرفة المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير مطبعة ١٩٤٢ .

إلى دفاع ، فهي ليست بعد الآن ذلك اللاهث الهامس في ذل ، المتوسل إلى قضاة الشك أن يستمعوا إلى قضيته .

فمسائل الروحية واضحة لا تتطلب إلا جواباً صريحاً . ولكي لا يساء الفهم بصدد كتابي هذا أعود فأقول مرة أخرى إن هذا الكتاب ليس دفاعاً عن الروحية ، لأن الروحية لا تحتاج إلى دفاع ولكنه تحد .

إنه تحد لكل شخص يعتقد أن كتلة البيانات التي سأعرضها هنا — من تجاربي الخاصة ومن تجارب كثيرين من كبار المفكرين الذين ظهروا في الوجود — ما هي إلا قصص ونوادير يرويها جماعة من البلهاء .

وأني لك أن ترد على هذه القصص والنوادير ؟ إنني أنا شخصياً أكون سعيداً لو أتيحت لي أن أساجل في هذا الموضوع أى مراتب مقتدر يقبل التحدى .

إن أصدقائي فرانك دكر Frank Decker وآرثر فورد Arthur Ford وَايتيل بوست Ethel Post وغيرهم من الوسطاء الموثوق بهم ليسرهم كثيراً أن يقفوا أمام أية هيئة مسئولة موثوق فيها من العليين والباحث ويعيدوا التجارب الروحية التي دونتها هنا .

لقد مضى حتى الآن على وضع الروحية تحت الاختبار نحو تسعين سنة (الآن نحو مائتين عشرين عاماً) وذلك لما أن عادت إليها الحياة بعد ممارستها القديمة . ولقد حملت صابرة تاجاً من الشوك وارتدت لباس المجذوم فتجرعت صابرة كأس الضيم وأطرقت على مضض ، ولكن قد حان الوقت لأن ننزع عنها هذا الرداء ، لكي تستعيض عنه بالحلي الأخلاق بأن تزين به أركان فلسفتنا الراقية .

وفي هذا الكتاب يروي باوزر بدقة تامة أنباء عدد من التجسيدات الحقيقية النادرة التي تحتل التجريب بالحوامض على حد وصفه ، مع وسطاء تقصى أمرهم وتؤكد أنهم من الشرفاء الصادقين ، ومنهم القس الدكتور .

روبرت مور Robert Moore راعي الكنيسة الروحية في دايتون Dayton بولاية أوهيو Ohio ويقول في شأنها ، ويغلب على ظني أن الظواهر المدهشة التي تمت على يدى مور هذا تجعلها «جمعية البحث الروحي» ، A.S. P. R. ويجعلها البحوث عامة ، مع أن مور هذا من أعظم الوسطاء الموهوبين الأفاضل الذين رأيتهم ،

لارل ويكولاند

منهم أيضاً الدكتور كارل ويكلاند Carl Wickland عضو الجمعية الطبية في شيكاغو وإلينوى Illinois ، كما هو عضو «الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم» ، وقد أنصبت دراسته على الأرواح الماسة التي تسبب بعض الأمراض النفسية والعصية . وظل يواصل بحوثه في هذا الشأن لمدة سنين طويلة ثم نشرها في مؤلفه «ثلاثون عاماً بين الموتى» (١) الذي قال في مقدمته :

«لست أبغى أى علم أو تفقه بتقديم هذا الكتاب للجمهور ، وإنما أود أن أقدم السجلات والاستنتاجات لأبحاث تجريبية استغرقت ثلاثين سنة في علم النفس العادى والشاذ الذى له علاقة كبيرة بالمواضيع الغامضة التي تتعلق بالحياة الأخرى وصلتها بشئون الإنسان ، والتي على جميع العقول المفكرة أن تتعرف عليها لأهميتها البالغة» .

وكانت وسيطته في تجاربه العلاجية زوجته أنا ويكلاند ، وله مرشدون من عالم الروح كانوا يتولون طرد الأرواح الماسة بوسائل غير مادية بعد مدد متفاوت في طولها ، فنجحوا في شفاء حالات مرضية مستعصية كانت قد فشلت تماماً في علاجها وسائل التحليل النفسى والصدمات الكهربائية

Thirty Years Among the Dead.

(١)

وقد نقله إلى العربية في سنة ١٩٥٨ صديقنا الدكتور على عبد الجليل راضى الأستاذ بكلية العلوم .

وغيرها من الوسائل القاصرة التي يملكها طب الأمراض العقلية والعصية ،
والتي يسلم بقصورها أى طبيب عقلي .

وقد أظهر فيه كيف أن تأثير الأرواح الضالة هو سبب بعض الحوادث
الغامضة التي لا يمكن تفسيرها في الحياة الأرضية وسبب جزء كبير من يؤس
البؤساء ، وأن الحياة الطاهرة والنية السليمة أو الذكاء الشديد أمور لا تكفي
للوفاة من المس الروحى ، وإنما المعرفة والاطلاع هما اللذان يحرسان .
وتختلف الظروف الأرضية التي تسبب هذا التداخل فقد تكون من أثر
حساسية طبيعية أو انهيار في الجهاز العصبي أو من أثر صدمة مفاجئة .
والاضطرابات الفيزيائية تقود للمس لأنه عندما تقل القوى الحيوية تكون
المقاومة أقل ، وبذلك تصبح الأرواح المهاجمة أكثر تمكناً ، مع أنه في
غالب الأحيان لا يشعر كل من السكان الحي ولا الروح بوجود الآخر
معه ، (١) .

وفي الباب الثالث وعنوانه « العقل اللاشعوري والإيحاء الذاتى فرضان
خاطئان » ، يبين ويكلاند كيف أنه من المستحيل حدوث أى غش في هذه
التجارب ، لقد سمعت عدة لغات أجنبية غير معلومة بالمرّة لمسز ويكلاند
(الوسيطة) كما أنها استخدمت اصطلاحات لم تسمع بها قط من قبل ، في حين
أن شخصية الأرواح المهيمنة قد تحققت من صحتها مرات ومرات ، كما تم إجراء
إثباتات لا عدد لها .

و لقد تناقشت مرة مع واحد وعشرين روحاً مختلفاً تكلموا خلال
زوجتى ، وأعطاني معظمهم الدلائل الكافية على أنهم أصدقاء وأقارب كانوا
معروفين لى عند ما كانوا على الأرض . وعلى وجه عام لقد تكلموا بست
لغات مختلفة في حين أن زوجتى تتكلم فقط الانجليزية والسويدية ، (٢) .
والكتاب حافل بالبيانات المستمدة من اسم المريض أو المريضة واسم

(١) المرجع السابق ص ٣٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٠ .

الروح الماسة وظروف وفاة صاحبها، والتحقق أحياناً من دفاتر المستشفيات عن الاسم وظروف الوفاة، بما اتضح أنه مطابق للمعلومات التي تلقاها المؤلف من الأرواح المعالجة والمرشدة . وهي تجارب مطابقة لتجارب أخرى تمت في بيئات مختلفة وأسفرت عن نفس هذه النتائج المتماثلة . ولنا عودة في الباب المقبل إلى بعض البيانات العلاجية الأخرى .

وليام مكندوجال

ومن ساهموا بقسط وافر في بحوث علم الروح الحديث وليام مكندوجال W. Macdougall (١٨٧١ — ١٩٢٨) الذي كان أستاذاً لعلم النفس بجامعة هارفارد، ثم أصبح عميداً لكلية علم النفس بجامعة ديوك ، وهو صاحب شهرة عالمية في علم النفس الحديث . وقد اتجه إلى بحث الظواهر الواسطية أولاً في «جمعية البحث الروحي البريطانية» S. P. R. التي أصبح في سنة ١٩٢٠ — ١٩٢١ رئيساً لها ، ثم رئيساً « لجمعية البحث الروحي الأمريكية » ، في السنة التالية . كما كان عضواً في اللجنة التي حققت وساطة مارجرى أو العجيبة الثامنة^(١) . وقد أنشأ مكندوجال معامل للباراسيكولوجي داخل جامعة ديوك ، وهي المعامل التي نمت مع الوقت وتولى إدارتها من بعده مديرها الحالي ج . ب راين Joseph Banks Rhine .

وقد نجح مكندوجال — كما نجح من بعده راين — في زعزعة أسس علم النفس المادى ، وتقويض كيانه ، ثم جاء من بعدهما يونج أشهر علماء النفس الأحياء لينعنى هذه الأسس إلى الأبد ، كما يحل محله علم الروح أو إن شئت علم النفس الروحي ، القائم على أساس التسليم بعدم الارتباط المحتوم بين المنح والعقل وبصحة الظواهر الواسطية وبخلود الإنسان .

وقد وضع مكندوجال آراءه في مؤلفاته التي منبها التحليل النفسى وعلم النفس الاجتماعى^(٢) (١٩٣٧) وهو عبارة عن سلسلة محاضرات ألقاها

(١) راجع ماسى عن هذه الوسيط من ١٢٩ — ١٣٤ .

(٢) Psycho - Analysis And Social Psychology .

في جامعة لندن في سنة ١٩٣٥. وقد هاجم فيه بوجه خاص الفهم القديم للعقل الباطن ولعقدة أوديب التي قال عنها « أعلم تمام العلم أن التخلي عن عقدة أوديب قد يتطلب جداً جباراً من المؤمنين بفرويد، بل إن ذلك قد يقارب الكفر بمعبود مقدس، ولكني أناشدهم باسم الإنسانية أن ينسكروها وينبذوها نبذاً ».

وبشر مكدوجال في مجلته « الباراسيكولوجي Para Psychology »، بصدق الظواهر الروحية وطالب بالاستعاضة عن العقل الباطن وعقدة أوديب بالجسم الأثيري أو الروحي^(١)، وحاضر منذ سنة ١٩٢٧ في موضوع « البحث الروحي كدراسة جامعية »، وأخذ على بعض علماء النفس موقفه من البحث الروحي قائلاً « يبدو في الوقت الحاضر أن العلم ينقسم على نفسه يوماً بعد يوم حول مسألة صدق المادية. فالنقص في المعلومات الأكيدة وتعدد الآراء فضيحة وهروب من ثقافتنا العلمية، وخطر اجتماعي ساحق، وهذا هو سبب وجيه كيما يتقدم رجل العلم المادي ليساهم في البحوث الروحية ».

بحوث م. ب. ب. - رابن بجامعة ديوك

وتبحث الظواهر الواسطية بعناية خاصة في العصر الحاضر في جامعة ديوك Duke بكارولينا الشمالية بالولايات المتحدة الأمريكية بإشراف ج. ب. رابن J. B. Rhine أستاذ السيكولوجيا ومدير معامل الباراسيكولوجي بها — التي أنشأها مكدوجال. ورابن يعد من أحسن العلماء الأحياء فيها، إذ أمضى في دراستها أكثر من ثلاثين عاماً، وأصدر فيها عدة مؤلفات منها مؤلف عنوانه « عالم جديد للعقل »، قال في مقدمته :

« إن العالم الجديد الذي أريد أن أتكلم عنه ليس جديداً في الواقع إلا لأبناء هذا العصر. فجميع هذه الظواهر التي تعد في نظرنا غارقة للطبيعة كانت معروفة للإنسان منذ العصر البرونزي، إذ ظلت أمراً مسلماً به حتى أوائل القرن الثامن عشر عندما بدأ لفيف من المتعلمين يشك في وجودها ويشكك... »

(١) لنا عودة تفصيلية إلى « الجسم الأثيري » في أحد فصول الباب المقبل.

وقد ظل راين يجرى خلال خمس عشرة سنة تجارب متواصلة يبحث فيها عما إذا كانت توجد بالفعل أعمال من التلبائي والجلاء البصرى والتنبؤ بالمستقبل ، وقال عن نتيجة تجاربه : « إننا لا نبحث كيف نبرهن على كل حالة على حدة ، بل عملنا مجرد بحث بحسب الطريقة العلمية مع استعمال الطرق السليمة ، ومقاييس كافية لإقناع الشخص المادى تماماً . ومن سنة إلى أخرى قمنا بتجارب عديدة بصر وإيمان مع كثيرين من المشتغلين فى هذه المسائل ، وقد وجدنا أن التلبائي والجلاء البصرى هما عبارة عن المقدرة الحقيقية للعقل البشرى ، (١) .

وقد زار راين إنجلترا فى سنة ١٩٥٠ كىما يحاضر فى جامعاتها ، فالتقى عدة محاضرات مبينة كيف « أن مكان الإنسان فى الطبيعة لا يمكن أن يوجد البتة داخل حظيرة القوانين الفيزيائية . وأن وجهة النظر المادية عن الإنسان قد رفضت من الناحية التجريبية » . كما بين فى محاضرة له فى إذاعة لندن بتاريخ ٢٦ مايو سنة ١٩٥٠ كيف أن هناك عدة أحداث تثبت استمرار نشاط شخصية الإنسان بعد موته . وهذا النشاط لم تبخه السيكلوجيا بعد بحثاً جدياً رغم النتائج التى وصلت إليها جمعيات البحوث الروحية . ثم روى وقائع محددة متعددة حققها بنفسه تثبت هذا الاستمرار ، وقد وصف بعضها بأنه « يصح أن يكون فعلاً متعمداً من الشخص الميت » .

وهو يرى أن علمى السيكلوجيا والبيولوجيا يجب أن يعترف بإمكان الحياة بعد الموت ، وينحى باللائمة على العلمين إهمالهما هذا الأمر ، ظناً منهما أنه لا يستحق عناء البحث والتحقيق ، قائلاً : « لو تتبعنا الأحداث الروحية التى حدثت فيما مضى لوجدنا عديداً من الأمور التى يحلمها هذان العلمان كل الجهل أو يرفضانها على اعتبار أنها خرافة . على أن التجريب فى ذاته ينبغى أن يدفعنا نحو السير فى بحث أى أمر حتى نهايته مهما كانت النتائج » .

(١) عن « كتاب اكتشاف عالم الروح » من تأليف جون بتر . وقد نقله إلى العربية الأستاذان هبة السيد جرجس ورسوم دوفائيل .

وهو يرى أيضاً أن الطبيعة من ناحية الوقوف على الحقائق خير معلم وأفضل مرشد ، مهما كانت الآراء التي سبق اعتناقها وإذا كانت ثمت رتبة أخرى من الوجود الفيزيقي فإن هذه الرتبة تتألف من عالم يتحتم علينا كشفه ، لأن هذا العالم سيكون من الأهمية بمكان كبير ، بل إن كثيراً من القيم سيتأثر بغير ما ريب بكشف رتبة الوجود الجديدة تلك . وهو يرى أنه في البحث في الروح يمكن أن تلعب علوم العلاج النفسي والسيكولوجيا بوجه عام والطب والبيولوجيا والأنتروبولوجيا والفلسفة دوراً هاماً^(١) .

وفي مؤلفه عن «الوصول إلى العقل»^(٢) يقول راين : «علم النفس هو الميدان الذي تنتمي إليه هذه القضية ، فطبيعة العقل أو النفس هي بالتحديد مادة بحث السيكولوجيا . غير أنها فقدت اهتمامها منذ أمد طويل بالنفس ، وحتى كلمة العقل كما يستخدمها الإنسان العادي بمعنى يختلف عن معنى المخ لم تعد في وضع يؤدي المعنى المقصود منها . ولذلك أصبح الباحث في النفس لا يجد عنها شيئاً في مصادر السيكولوجيا الحديثة ولا في المحاضرات التي تلقى عنها . وربما وجد هناك القليل عن العقل كحقيقة مستقلة ، وبدلاً من ذلك فهو يطالع الكثير عن السلوك وصلاته بمناطق المخ وخطوطه .

و أما العلاقة بين العقل والجسم فقد أضحت موضوعاً قديماً ، وكذلك الرأي الإثنيني (الذي مؤداه أن العقل غير المخ ويتحكم إلى درجة ما في نشاطه) فقد أصبح في السيكولوجيا الحديثة من النظريات البائدة ، ومن بين النفسيين قد غاب عن الأنظار أولئك الأوائل الذين دافعوا عن هذه

(١) راجع مجلة *Psychic News* عدد ٩٣٨ الصادر في ٢٧ من مايو سنة ١٩٥٠ تحت عنوان «الدكتور راين أستاذ السيكولوجيا بجامعة ديوك يتحدث في الراديو عن حقيقة الحياة بعد الموت» ص ١ وما بعدها .

(٢) *The Reach Of The Mind* وله ترجمة عربية للدكتور محمد الخلوji عنوانها «العقل وسطوره» (م ١٢ — الإنسان روح)

النظرية الإثليينية، وهم وليم جيمس ووليم مكدوجال وهنرى برجسون ثم هارز دريش، ولم يظهر خلفاء لهم يمكن أن يقارنوا بهم^(١) .

وقد أصبحت النظرية القائلة بوجود نفس للشخصية في ذمة التاريخ النفسى . ومع ذلك فإن أغرب الأشياء أنه لا يوجد شخص واحد استطاع أن يبرهن على مادية العقل ولم تسجل قط نظرية مادية واحدة لحالة شعورية عقلية . وإنه لمن المدهش حقاً أن يقبل فرع من فروع العلم رأياً بغير دليل إيجابى بل حتى بغير فروض نظرية لتعليه . وإنما يمكن فقط أن يوصف هذا التقهقر بأنه نوع من الاعتقاد المجرد — كأنه من أعمال الإيمان - ومع ذلك أصبح هذا الاعتقاد مثالياً في دوائر العلم، تماماً كما كان الاعتقاد في وجود النفس سائداً في مدارس اللاهوت^(٢) .

كما يقول راين أيضاً عن نتائج بحوثه في الإدراك عن غير طريق الحواس، التي جرت على أشد المناهج الرياضية دقة وصرامة ودامت لمدى عشر سنوات متوالية . وهذه الفترة من العشر السنوات دفعتنا للأمام مرحلة طيبة في البحث في مشكلة الإنسان. ففي نهايتها علمنا أن العقل يمكن أن يحصل على نتائج يمكن الوثوق بها عن المادة بدون تدخل الحواس ، وأن الإدراك خارج الحواس للأشياء هو مظهر لهذا التفاعل والإدراك هو معنى نوعاً من العلاقة الوظيفية بين الشخص المدرك والشيء المدرك ، فإذا استطاع العقل أن يفعل ذلك وهو نفسه إلى حد ما غير مادي فإن وجهة النظر الروحية للإنسان تكون قد حصلت على سند قوى . وكانت هذه المسكتشفات هي بالضبط ما يحتاج لمعرفته والإلمام به أولئك الذين أزعجتهم الفكرة الآلية للإنسان. ودلت النتائج على أن الرأى القائل

(١) هؤلاء الأربعة النفسيون السكبار لهم وثيق صلة ببحوث الروحية الحديثة ، وقد دافعوا كلهم عنها ، وعن دلائلها المحتومة على إمكان بقاء الحياة بعد موت الجسد على ماسبق خلال صفحات هذا الكتاب بجزئية .

بأن المنح هو المحور للإنسان هو تدليس على لم يكن له أساس حقيقى . . . (١)

ثم يقول راين عن نظره بعض الناس إلى بحوث الباراسيكولوجى « فإن وجد من يذعن عالم الباراسيكولوجى بأنه مهفوف فهناك من ينعتنه بأنه رائد شجاع . ثم فوق ذلك فهناك الدافع القوى بأن الباحث يقوم برسالة لها أكبر الخطر بالنسبة للإنسانية ، وبأنه فى ميدان ما زال بكرأ ، وبأنه عضو فى جماعة صغيرة من الباحثين ألهمها الشوق والاهتمام ببحثها . ثم إن فى هذا العمل مجالة للمسكات الإنسان ، لأن العمل من الجسامة بحيث يستغرق كل جهود الباحث .

وعلى ذلك فأنا لا أستطيع أن أشارك أحداً فى الخوف من ميدان عملت به وعشت فيه ناعماً بالسعادة لمدة تزيد على العشرين عاماً والامور تسير مع علم الباراسيكولوجى بما يدعّر للتفاؤل . وهناك علامات كثيرة مشجعة تدل على حدوث تغيير ، وبعضها محسوس جداً لدرجة كافية تدعو لذكره . . . فقد انضم بعض العلماء الشبان فى علم النفس فى منطقة نيويورك إلى جمعية البحث الروحى الأمريكية A.S.P.R فى جهودها ، وذلك لمصلحة الطرفين ، وكان ذلك تحت قيادة الدكتور جاردنر ميرفى Gardner Murphy

وفى انجلترا بدأت تتضح معالم خطة مشابهة ، فقد رصد مبلغ من المال لكلية ترينيتى Trinity بجامعة كامبردج وكان ذلك فى عام ١٩٤٠ للانفاق منه على أبحاث الباراسيكولوجى وبعض أساتذة كامبردج الذين لهم حق الإشراف على أبحاث هذه المنحة على علاقة رسمية « بجمعية البحث الروحى البريطانية ، (لنا إليها عودة فى الفصل المقبل) . . .

والأبحاث على المشكلات الباراسيكولوجية على قدم وساق فى عدة كليات

ومعامل جامعية هنا (في أمريكا) وفي الخارج ، وكل ما هو مطلوب هو زيادة عدد هذه المراكز ، وتقديم عون أكبر لتلك التي بدأت ، وهذه الأبحاث تستغرق وقت الباحث بأكمله وتتطلب باحثين منقطعين قد أحسن تدريبهم^(١).

ثم يقول في مكان آخر : وهناك عدة عمليات تلقائية (أوتوماتيكية) يمكن الاستفادة منها : مثل الكتابة الأوتوماتيكية^(٢) ، واستعمال لوحة ويجا^(٣) أو العصا السحرية . وقد تم بعض الفحص المجدي لقيمة هذه الوسائل الأتوماتيكية في الاستجابة ، ولكنني أعتقد أنه من المعقول القول بأن عالم الحركات الذاتية أو التلقائية — أوتوماتزم — يصلح لدراسة تجريبية جامعة في ضوء الطرق والمعايير الحديثة والعلم بالباراسيكولوجي .

ثم يقول رابن أيضاً : وإثبات أن العقل يختلف عن المخ في بعض النواحي الرئيسية مما يؤيد النظرية الروحية للإنسان ، وهذا يعني أن العقل عامل قائم بنفسه في الهيكل العام للشخصية . وعلى ذلك فإن عالم الفرد لا يتركز تماماً في العمليات العضوية للمخ المكون من المادة والمشكلة هي ، هل هناك شيء خلاف المادة أي رוחي في طبيعة الإنسان ؟ .

والجواب الذي تمليه الدراسة التجريبية هو بالإيجاب ، فلدينا الآن الدليل على أن هذا العامل الخارج عن المادة موجود في الإنسان . ونظرية الروح كما حددناها قد تثبت بالمعنى الذي حددناه بها . . .

ثم يقول : وحتى الآن لم يبد أي تعارض بين المعنى السيكولوجي والمعنى

(١) المرجع السابق من ٢٠٨ — ٢١١ .

(٢) الكتابة التلقائية هي بعض الأساليب التي يلجأ إليها في التخاطب مع الأرواح ومعناها أن تستولى روح ما على ذراع الوسيط فتبدأ يده تتحرك بالكتابة السريعة .

(٣) لوحة ويجا Ouija هي سبورة صغيرة تستعمل لكتابة الأرواح عليها ، والعصا السحرية هي فرع من شجرة مخصومة يستعملها بعض الناس في تحديد أماكن وجود المياه الجوفية والمعادن .

الدينى للروح ، ولكن المعنيين يختلفان حينما نصل إلى المنطقة التى لم ينقب العلم فيها بأساليبه . ويجب أن نؤكد أنه بدون قيام هذه النظرية المحدودة عن الروح فسيكون من ضعف الجدوى أن نسير فى التنقيب عن المظاهر الأخرى لنظرية الروح كما تقدمها تعاليم الدين .

ولذلك فقد كانت الخطوة الأولى رغم — تواضعها — ضرورية ، وقد استطاعت أن تحسم إشكالا لم تستطع ملايين المناقشات أن تحسمه . وهذه البداية تمثل انحسار المد الذى استمر ثلاثة قرون من تسلط النظرية المادية على العلم الخاص بطبيعة الإنسان . وسيكون لهذا أكبر مغزى ثورى ، ولو أن نتأججة ستكون بطيئة التحقيق — وهكذا الأيام لا تدور فجأة^(١) .

ثم يقول : وحتى البحث الجارى الآن فى الباراسيكولوجى يمس مسائل أخرى هامة فى الدين . فإذا كان عقل الإنسان شيئاً غير مادي فمن الممكن تكوين صورة عن نظام غير مادي أو عالم غير مادي يجمع كل تلك العقول فى عروة وثقى . وهذا يجرنا إلى صور من التأملات عن نوع من الروح الشاملة أو الجامعة أو المتسلسلة أو المكونة لعالم له نظامه وقوانينه وخواصه وإمكانياته . ويمكن أن يتصور المرء أن هذا الهيكل الكبير المتكامل تفرداً يسمو على طبيعة الأفراد المكونة له حتى ليسميه البعض لاهوتاً .

أما فى مشكلة الخلود فكثيراً ما يلتقى الدين والباراسيكولوجى . وهذا الموضوع قديم نسبياً بالنسبة لبقية الأشياء ، وذلك فى علم الباراسيكولوجى الحديث . فنذ البداية حاولت جمعيات البحوث الروحية أن تعالج هذه المشكلة ، وهى بقاء الإنسان بعد موته الجسدى وبهذا نجد حلاً للمشكلة . وكانت جهودهم مركزة بصفة خاصة على تحليل الرسائل الواردة عن طريق الوسطاء الروحيين ، والمقول إنها آتية من الأرواح . وفى خلال خمس

(١) المرجع السابق ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

وسبعين عاماً من دراسة الوسطاء اقتنع قليل من العلماء العالميين وعدد كبير ممن يقلون عنهم في المرتبة بأن الرسائل — أو على الأقل بعضها — تعطى بكل تأكيد دليلاً على استمرار البقاء لشخصيات ماتت ولأرواح بدون أجساد....^(١).

وهذا هو نفس الاقتناع الذي وصل إليه راين — نفسه — كاملاً فيما بعد عندما أخذ يحاضر ، منذ سنة ١٩٥٠ ، أى بعد صدور مؤلفه هذا ، عن هذا الاقتناع ويبين أساسه التجريبية على ما بيناه آنفاً ، ودفعه إلى السفر إلى إنجلترا للاقاء عدة محاضرات فيه في جامعاتها ، وفي الإذاعة عندما دعى للحديث في هذا الأمر البالغ أعلى مراتب الخطورة للإنسان في حاضره وفي مستقبله .

فلوفرنا جدلاً أن علم الروح الحديث لم يكن يملك من أدلة على صحته إلا بحوث جامعة ديوك - وحدها - والتي احتاجت إلى جهود شاقة دامت لمدى عشرات من السنين ، وساهم فيها عدد كبير من أحسن علماء النفس والرياضة ، مستخدمين أضخم معامل الباراسيكولوجي لتحقيق الظواهر الوسائطية وأحدث المعدات ، وغير مرتبطين مقدماً بأى رأى خاصة في صحة هذا الموضوع أو بطلانه ، ومتبعين أشد الأساليب العلمية دقة وأكثرها تحفظاً ، أما كان يكفي ذلك وحده كيما يتحفظ بعض السادة من الممارضين في معارضته ويخفف من حدة هجومه ، ويناقش في هدوء نتائج هذه البحوث الإيجابية قبل الكلام المرتجل بثقة مطلقة وبيقين تام أن الحق في جانبه ؟ .

في الباراسيكولوجى برهه عام

وهذه الاتجاهات الحديثة ليست مؤسسة على الآراء النظرية كما أشرت إلى ذلك مراراً ، بل على بحوث عملية صرفة تجرى في البلاد الأنجلوسكسونية تحت وصف الباراسيكولوجى ، — أى ما وراء النفس — ، كما تجرى في ألمانيا

(١) المرجع السابق ص ٢٤٤ .

تحت نفس هذا الوصف حين تجرى في فرنسا والبلاد اللاتينية تحت وصف La Métopsyche — أى ما وراء الروح — وكلا الوصفين يشير أن إلى موضوع واحد وهو دراسة الظواهر الوسايطية برمتها دون التقيد مقدماً بمصدرها من عالم آخر ، ولكن بغير إنكار لهذا المصدر .

وقد أثبتت هذه البحوث بما لا يدع مجالاً لاية مكابرة الآن إمكان استقلال الوعي الإنسانى عن الجسد المادى ، فى شتى صور الإدراك التى تصل إلينا عن طريق حواسنا الخمسة ، وبالتالي إمكان استقلال الشعور عن الحواس المادية ، والتفكير عن المخ . أو بعبارة أخرى ثبت انتفاء الارتباط المحتوم بين الأمرين بغير إنكار فى نفس الوقت للروابط الوثيقة بينهما ، فالعقل قد يعد مصدراً للمخ ، أو هو بالفعل مصدره ، ولكن لا يصح القول بأن المخ مصدر للعقل .

فإذا صح تشبيه العقل بزهرة فإن المخ ينبغي أن يعد ظلاً لها ، فإذا ما تلاشت الزهرة تلاشى ظلمها حتماً ، أما إذا تلاشى الظل فإن ذلك لا يعنى بالضرورة تلاشى الزهرة ، إذ أن ظل الزهرة يمكن أن يتغير شكله ، أو أن يغير مكانه أو أن يضعف أو أن يقوى أو أن يتلاشى لأسباب مستقلة عن الزهرة ذاتها . وهذا النظر هو حجر الزاوية فى القول ببقاء الوعي حتى بعد انفصاله بالموت عن الجسد المادى ، وهو جوهر العلم الروحى الحديث وخلاصة ما يستند إليه من حقيقة عليية .

وقد أوضح هذه الصلة بين انتفاء الارتباط المحتوم بين الوعي والجسد وبين دوام الحياة بعد موت الجسد المادى — أفضل توضيح — الفيلسوف هنرى برجسون H. Bergson فى محاضرة ألقاها بباريس فى الثالث والعشرين من أبريل سنة ١٩١٣ عنوانها : الروح والجسد ، قائلاً :

« إذا كانت الحياة النفسية ، كما حاولنا أن نبرهن على ذلك ، تضاف على

الحياة الدماغية . وكان الدماغ لا يزيد على أن يعبر بحركات عن جزء صغير مما يجرى في الشعور فإن البقاء يصح عندئذ معقولاً جداً ، بحيث يقع واجب البرهان بمدئذ على عاتق من يذكر لا على عاتق من يدعى ، لأن الباعث الوحيد الذى يدعو إلى الاعتقاد بفناء الشعور بعد الموت هو رؤية الجسم يفنى ولا يكون لهذا الباعث قيمة إذا كان استقلال جل الشعور إن لم يكن كله عن الجسم ظاهرة مرئية هي الأخرى

ثم يقول عن معالجة مسألة البقاء بعد الموت عن طريق الملاحظة إنها تؤدي إلى نتائج تقريبية لحسب إلا أنها قابلة لأن تصحح وتكمل باستمرار ، فهي لا تهدف في أول الأمر إلى غير الاحتمال ، ولكنها إذ تسير في طريق يزداد فيه الاحتمال باستمرار تفضى بنا شيئاً فشيئاً إلى حالة تكاد تعدل اليقين ثم يقول إنه وبين هذه الطريقة وطريقة التفكير المحض الذى يرمى إلى نتيجة نهائية قد تم اختياره للطريقة الأولى دون غيرها ، ولم يسعدنى أن أوفق إلى المساهمة ولو قليلاً في توجيه اختياركم ،^(١) .

لذلك كانت جميع البحوث التى تدور حول إثبات إمكانية استقلال الوعى — أحياناً — عن الجسد المادى ، والتى بدأت باكتشاف التنويم المغناطيسى ، تخدم بطريق مباشر موضوع الحياة بعد الموت كحقيقة عليية ، وتكمل دور الظواهر الواسطية في هذا الشأن . فعلم الباراسيكولوجى وعلم الروح يعتبران من هذه الناحية فرعين متكاملين لموضوع أساسه ثبوت إمكانية استقلال الوعى ولو في بعض جوانبه عن الحواس المادية ، وهو ما يقتضى بالضرورة القول بعدم فناءه حتماً بفناء الجسد ، على ما لاحظته برجسون الذى سلم مراراً بوجود روح الإنسان مستقلة عن الجسد المادى^(٢) .

* * *

(١) «العلماء الروحية» برجسون L'Énergie Spirituelle ترجمة الأستاذ سامى الدروبي الطبعة الأولى من ٥٠ ، ٥١ . وراجع «المنهج فى فلسفة برجسون» للدكتور مراد وهبة القاهرة ١٩٦٠ من ١٣٢ .

(٢) ولنا عودة إلى بعض آرائه فى هذا الشأن فى الجزء الثانى .

ويبرز عمق الصلة بين علم الروح الحديث وبين الباراسيكولوجي كعلمين متكاملين أن مؤتمر الباراسيكولوجي الذي عقد في المدة من ٢٥ يولية إلى ١٢ أغسطس سنة ١٩٥٢ بمدينة اوترخت بهولندا قام بتوزيع أعماله على ثلاث شعب على النحو الآتي : -

الشعبة الأولى : للباراسيكولوجيا التجريبية ، وتختص ببحث أحدث التجارب الروحية والإحصائيات ومعدات التجريب.

والشعبة الثانية : للباراسيكولوجيا العامة ، وفيها تناقش نظريات الباراسيكولوجيا والتحليل النفسي وطرق البحث في الظواهر التلقائية Spontaneous Phenomena ، وهي تلك التي يطلق عليها أيضاً وصف الظواهر الوساطية .

والشعبة الثالثة : تعالج المشاكل التنظيمية كالفهارس الخاصة بالباراسيكولوجيا، وتأليف موسوعة للبحوث الروحية، وإنشاء جمعية دولية للبحث الروحي التجريبي .

وقد اشترك في هذا المؤتمر الدولي حوالي أربعين من أساتذة الجامعات منهم ج . ب راين الذي تحدثنا عنه آنفاً عن الولايات المتحدة الأمريكية ، وس . ج صول S. G. Soal عن إنجلترا ، وهانز بندر Hans Bender عن ألمانيا . . . فإرأى السادة المتذرعين بالباراسيكولوجي والذين يتصورون فيها شيئاً مغايراً للعلم الروحي التجريبي ؟

انساع نظام الحركة الرومينة في أمريكا

بحسب إحصاء أجرى قبل سنة ١٩٤٨ اتضح أنه كان يوجد بالولايات المتحدة أكثر من تسعمائة هيئة وجمعية تبحث أمور العلم الروحي الحديث ، وحوالي ثلاثمائة خطيب فيها وأكثر من ألف وسيط روحي عدا وسطاء الدوائر المنزلية الذين لا يظهرون في الجلسات العامة .

واتضح أن هذه الجمعيات والهيئات الروحية تضم حوالى ستين ألفاً من الأعضاء ومائة وخمسة وعشرين ألفاً من المهتمين بهذه الأمور ومن المتصلين بها بطريقة أو بأخرى . أما عدد المقتنعين بها عن تجارب شخصية أو عن اطلاع فيمثلون ثلاثة أفراد من كل أربعة أو من كل خمسة من أفراد الشعب الأمريكى بحسب الإحصاء الذى قامت به إحدى الهيئات هناك

ومن أهم المنظمات ، الجمعية الروحية الوطنية لأمريكا ، . وقد أسستها روح ، هى روح مستر جون . ب . ولف John B. Wolff الذى كان فى حياته الأرضية مهتماً بالحركة الروحية ، ثم تجسد بعد انتقاله عدة مرات فى واشنطن فى سنتى ١٨٩٢ ، ١٨٩٣ عن طريق وسيطة التجسد ه . ف . روس H. V. Ross ، وطلب فى تجسده إنشاء هذه الجمعية ، التى أصبحت مع الوقت من أقوى الجمعيات الروحية . وتوالت عليها الهيئات والتبرعات لنشر المعرفة الروحية ، وتقوم الجمعية بذلك على أوسع نطاق عن طريق الرحلات والمحاضرات ونشر المؤلفات .

ولا شبهة فى أن الحركة الروحية تقدمت كثيراً فى أمريكا منذ سنة ١٩٤٨ حتى الآن ، وإن كانت تعوزنى الإحصاءات الجديدة ، لكن حركة البحث والتأليف فى نشاط مستمر هناك .

ومن أهم الهيئات العلمية القائمة على البحوث الروحية هناك ، المعهد الروحى الأمريكى ومعمله ،^(١) الذى أسسه فى سنة ١٩٢٠ الدكتور هيروارد كارنيجتون^(٢) ، وأعيد تنظيمه فى سنة ١٩٣٣ . وله مجلس استشارى Advisory Council مكون من عدد من الشخصيات العلمية ذات السمعة

(١) American Psychical Institute And Laboratory .
وعنوانه كالآتى : —
20 W 58th Street, New York.

(٢) راجع عنه ماسبق فى ص ١٦٥ — ١٦٨ .

العالمية في شتى نواحي العلوم ، ويصدر نشرات دورية Bulletins بأعماله .

ومنها : المعهد الأمريكي للبحث العلمي ، ^(١) الذي أسسه الأستاذ هايسلوب في سنة ١٩٠٦ بمدينة نيويورك وهو مكون من قسمين (أ) و (ب) وقد تحول القسم الأخير إلى : جمعية البحث الروحي الأمريكية ، A. S. P. R. ^(٢) ، وهي قائمة حتى الآن وتصدر بانتظام مضابط وجريدة ^(٣) .

الحركة في اليهود الأمريكية الأفرى

وليست الحركة الروحية مقصورة على الولايات المتحدة ، بل لقد انتشرت انتشاراً قوياً في كندا حيث توجد جمعية للبحث الروحي S. P. R. منظمة على نمط الجمعية التي تحمل نفس الاسم في الولايات المتحدة وفي إنجلترا ، وتضم عدداً من العلماء الكنديين . وذلك بالإضافة إلى البحوث الفردية التي يقوم بها عدد منهم في منازلهم أو في معاملهم الخاصة وتتضمن المراجع المختلفة إشارات شتى إليها .

ومن البحوث المعروفين هناك الدكتور جلين هاملتون Glen Hamilton الذي كان طبيباً بمدينة وينيبيج Winnipeg حيث كان رئيساً لجمعية البحث الروحي ، لمدة خمس عشرة سنة وبأشر تجاربه في الجمعية ، وكذلك في معمله الخاص ، في ظروف علمية دقيقة ، وفي حضور عدد من الشخصيات البارزة

(١) American Institute For Scientific Research .

(٢) راجع ما سبق عنه في ص ١٦٣ .

(٣) American Society For Psychical Research .

Proceedings and Journal of the A. S. P. R. (٤)

وعنوانها كالآتي : —

15 , Lexington Avenue . New York .

في كندا وفي الولايات المتحدة .

وكانت دائرته النظامية مكونة من زوجته ومن أربعة أطباء ومحام ومهندس مدني وآخر كهربائي. وقصر بحوثه على الوسطاء الهواة غير المحترفين مثل اليزابث Elizabeth M. وماري وميرسيدس Mercedes ، وسجل أغلب ظواهره بالصور بواسطة مجموعة من الكاميرات مثبتة في معمله، وكان بعض هذه الصور مجسماً Stereoscopic وتبين منها ثبوت ظواهر شتى أرفع المناضد وتحريك الأجسام الصلبة، ولأشكال تلبلازمية ولأيدي ولوجوه ولرؤوس متجسدة .

ودرس جلين هاملتون بوجه خاص ظواهر الصوت المباشر والاضواء العجيبة التي قد تنبعث في الجلسات الروحية من مصادر غير معروفة . وكانت تهيمن على جلساته أرواح عدد من أصحاب الأسماء الكبيرة من المنتقلين قديماً وحديثاً مثل سير وليام ستندوسير آرثر كونان دويل وكامى فلاماريون ومنهم أيضاً ستيفنسون مككشيف قوة البخار، والرحالة المروف دافيد ليفنيجستون الذي اكتشف منابع النيل وغيرهم، وبحوث هاملتون تقع في الصف الأول من البحوث العلمية الجادة^(١).

في عهد أسيرط اليونانية

وقد ازدهرت الحركة الروحية أيضاً ازدهاراً قوياً وتعددت الأكاديميات وكراسى الأستاذية في شتى الجامعات في بلاد أمريكا اللاتينية وكذلك جهات البحث العلمي ، كما تعددت الجمعيات والدوائر العامة والمنزلية وخصوصاً في البرازيل .

وتصدر في أمريكا اللاتينية وحدها أكثر من ستين جريدة ومجلة معنية بالشئون الروحية، وظهر فيها وسطاء ذوو شهرة عالمية مثل كارلو ميرابلي الذي تحدثنا عنه فيما سبق^(٢)، ولما كانت هذه البلاد تنطق بلغات لانعر فيها لذلك نكتفي بهذه الإشارة العابرة كيما ننقل إلى بيان بعض الأسماء والمراجع، في إنجلترا .

(١) راجع ما سبق في ص ١٢٢ موضحاً بالصور . (٢) راجع عنه ما سبق في ص ١١٣ .

الفصل الثاني

بعض الأسماء والمراجع في إنجلترا

الجمعية الجدلية تحت الموضوع

شاعت الجلسات العائلية في إنجلترا بعد أن عرفت في أمريكا مباشرة فتقدمت عدة طلبات إلى الجمعية الجدلية بلندن London Dialectical Society وكانت تضم صفوة من علماء المادة والسيكولوجيا — من سترد أسماء بعضهم فيما بعد — لبحث هذه البدعة التي لا تستند إلى أى أساس على ، فكان أن شكلت الجمعية في سنة ١٨٦٩ لجنة من أربعة وثلاثين عضواً كانت مهمتها حسبما ورد في قرار تشكيلها « القضاء نهائياً على هذه الظواهر الروحية التي هي من عمل الخيال » . واستمرت اللجنة توالى جلساتها بغير توقف لبحث هذا الموضوع لمدة ثمانية عشر شهراً . وإذا بها في النهاية تضع تقريراً في سنة ١٨٧١ تسلّم فيه بصحة هذه الظواهر تسليماً تاماً ، وهو يعد وثيقة خطيرة لمصلحة العلم الروحي .

وكان من ضمن أعضاء هذه اللجنة مع آخرين :

— سير جون لا بوك John Lubbock عضو الجمعية الملكية .

— سير ألفريد راسل والاس A. Russel Wallace عالم البيولوجيا المعروف .

— دى مورجان De Morgan رئيس الجمعية الرياضية بلندن

— سير وليام كروكس W. Crookes عضو الجمعية الملكية ، والعالم المعروف في الفيزياء والكيمياء .

— شارلس برادلاف Charles Bradlaugh عالم العلوم العقلية .

ومن الغريب أن علماء كباراً آخرين قد دعوا للشاركة في بحوثها مثل توماس
هاكسلي Huxley (١٨٢٥ - ١٨٩٥) وج. ه. لويز G. H. Lewes فرفضوا .
ورد هاكسلي قائلاً ، حتى إذا افترضنا أن هذه الظواهر صحيحة فإنها مع ذلك
لا تعينى ، مما يعبر عن الطريقة التى كان بعض العلماء ينظر بها إلى هذه الأمور
في بدايتها وبغير أى بحث فيها .

وقد قسمت اللجنة العامة نفسها إلى ست لجان فرعية واجتمعت حوالى
أربعين اجتماعاً للبحث والتجريب ، غير اجتماعاتها لتنظيم العمل وتوزيعه ،
وفى النهاية وضعت تقريراً إيجابياً سجلت فيه :

١ - سماع أصوات متنوعة تبدو كالكلمات صادرة من مفروشات
الغرف وجدرانها وأرضياتها .

٢ - تحرك أجسام صلبة ثقيلة بدون تدخل من أى إنسان .

٣ - أن هذه الأصوات والتحركات كانت تحدث بناء على طلب
الحاضرين .

٤ - صدور ردود عاقلة على أسئلة متضمنة بيانات صحيحة لبعض
الحاضرين لا يعرفها إلا أصحابها .

٥ - أن حضور أشخاص معينين فى الاجتماع كان لازماً لحدوث هذه
الظواهر .

٦ - أن حدوث هذه الظواهر لم يكن مضموناً فى بعض الأحيان رغم
حضور هؤلاء الأشخاص .

وقد تحاشى بعض اللجان أن يستخدم الوسطاء المشتغلين بهذا العمل فى
الخارج أو أولئك الذين يأخذون أجراً عن عملهم هذا ، فكان وسيطنا الوحيد
هو أحد أعضاء اللجنة ، وهو شخص جليل الاعتبار فى الهيئة الاجتماعية
وحاصل على صفة النزاهة التامة وليس له غرض مالى يرمى إليه ولا أية

مصلحة في غش اللجنة . وكل تجربة من التجارب التي عملناها بما أمكن لمجموع عقولنا أن تتخيله عملت بصبر وثبات . وقد تمت هذه التجارب في أحوال كثيرة الاختلاف ، واستخدمنا لها كل المهارة الممكنة لأجل ابتكار وسائل تسمح لنا بتحقيق مشاهداتنا وإبعاد كل احتمال لغش أو توهم .

« وقد بدأ نحو أربعة أخماس اللجنة التجارب وهم في أشد درجات الإنكار لصحة هذه الظواهر ، وكانوا مقتنعين أشد اقتناع بأنها نتيجة التدليس أو الوهم ، أو أنها حادثة بحركة غير إرادية للعضلات . ولم يتنازل هؤلاء الأعضاء المنكرون أشد الإنكار عن فروضهم إلا بعد ظهورها بوضوح لا يمكن مقاومته ، وفي شروط تنفي كل فرض من الفروض السابقة . وبعد تجارب وامتحانات مدققة ومكررة اقتنعوا مضطرين بأن هذه المشاهدات التي حدثت في خلال هذا البحث الطويل هي مشاهدات حقيقة لا غبار عليها ... ، على ماورد في تقرير اللجنة . وقد ورد في هذا التقرير أيضاً ما يلي :

١ - أن ثلاثة عشر عضواً من أعضاء اللجنة يشهدون بأنهم شاهدوا أجساماً صلبة ترتفع تدريجياً في الهواء وتظل معلقة لفترة من الوقت بغير وسيلة مادية منظورة .

٢ - أن أربعة عشر عضواً يشهدون بأنهم شاهدوا أيدي ووجوهاً لا تمت إلى أي كائن أرضي تبدو فيها الحيوية في مظهرها وتحركها ، وأنهم أحياناً قد لمسوها أو ضغطوا عليها بشدة ولذا فقد اقتنعوا بأنها ليست نتيجة تدليس أو وهم^(١) .

٣ - أن خمسة شهود يشهدون بأن كائنات غير منظورة قد لمستهم في أجزاء مختلفة من أجسامهم ، وغالباً بناء على طلبهم عندما كانت أيدي جميع الموجودين في الغرفة ظاهرة .

(١) راجع ماورد من تجسيدات الأيدي فيما سبق من ١٣٤ - ١٤٠ .

٤ - أن ثلاثة عشر شاهداً يقرون أنهم استمعوا إلى قطع موسيقية جيدة العزف على آلات موسيقية لم تتداولها أيدي كائنات مادية .

٥ - أن خمسة شهود يشهدون أنهم شاهدوا قطع فخم تبدو كما لو كانت حمرًا مشتعلة توضع فوق أيديهم أو رؤوسهم ، دون أن تحدث الماء أو احتراقاً .

٦ - أن ثمانية شهود يشهدون أنهم تلقوا معلومات دقيقة خلال طرقات أو كتابات أو بوسائل أخرى لا يعلم أحد من الموجودين شيئاً عنها .

٧ - ويشهد أحد الشهود أنه تلقى تقريراً دقيقاً ومفصلاً لكنه تبين له أنه خاطيء برمته .

٨ - أن ثلاثة شهود يقرون أنهم شاهدوا حدوث رسومات بالقلم الرصاص وبالألوان بسرعة شديدة ، وتحت رقابة تجعل إحداثها مستحيلاً بمعرفة أى إنسان .

٩ - أن ستة شهود يشهدون أنهم تلقوا نبوءات عن حوادث مستقبلية كان وقت حدوث بعضها محددًا بدقة قبل حدوثها بأيام أو بأسابيع سابقة .

وبالإضافة إلى ذلك قدم التقرير بيانات أخرى عن تفوهات غيبوبة ، وعلاج روحي ، وكتابة آلية ، وإدخال زهور وفواكه في غرف مغلقة ، وأصوات في الهواء ، ومشاهدة بللورات مجهولة المصدر وزجاج ...

واختتمت اللجنة العامة تقريرها - الذى جاوز خمسمائة صفحة - بما يفيد أنه بالنظر إلى أنها تدخل في الاعتبار الخلق العالى والذكاء الكبير الذى يتصف به شهود هذه الظواهر (من أعضاء اللجان الفرعية) وانتفاء كل دليل على حدوث وهم أو تدليس في هذه الظواهر ذات الصفة الاستثنائية

فإن العدد الأكبر من كافة الطبقات الاجتماعية في جميع أنحاء العالم المتمددين
سينتأثر بها بدرجات متفاوتة من ناحية الاعتقاد بمصدرها فوق الطبيعي
supernatural origin . وأنه بالنظر إلى أنها لم تصل إلى أى تعليل فلسفى لها..
فإنها تقرر اقتناعها بأن الموضوع جدير بالمزيد من الالتفات الجدى والتحرى
الحذر بما يتجاوز ما تلقاه حتى هذا التاريخ .

* * *

هذا ملخص سريع لهذه الوثيقة الهامة في تاريخ الروحية التى أذيع
أمرها في العالم منذ سنة ١٨٧١ وطُبعت وترجمت إلى أغلب اللغات الحية -
عدا العربية للأسف الشديد - فهِزت في أواخر القرن الماضى أركان البيئات
العلمية، بالنظر إلى خطورة البيانات التى تتضمنها وإلى ضخامة أسماء بعض المؤتمين
عليها ، وقد بلغوا أربعة وثلاثين عالماً من أفضل علماء بلادهم في ذلك التاريخ .

وقد علق سير آرثر كونان دويل على هذا التقرير الهام في مؤلفه "الوحى
الجديد" (١) الصادر في سنة ١٩١٨ ، والذي أعلن فيه أن تجارب ثلاثين عالماً
واصلها بنفسه في هذا الموضوع كانت كافية لبناء اقتناعه الخاص بصحته، قائلاً
في الفصل الأول: "ولقد تأثرت أيضاً بتقرير الجمعية الجدلية. فإنه من الأعمال التى
تفضى قراءتها إلى الاقتناع . وهو وإن كان قد قوبل من الصحفيين الجُهلاء
ومادى العصر بالسخرية ، إلا أنه في الواقع ذو قيمة جليلة . فلقد تألفت
هذه اللجنة من جماعة من الرجال الممتازين المعروفين بالنزاهة ، وقد رغبوا
في تحقيق هذه الظواهر الروحية الخارجية ، فجاء تقريرهم مفصلاً تجاربهم مع
التحولات التى اتخذوها ضد التدليس .

فبعد أن يقرأ الإنسان البراهين المجموعة في ذلك التقرير لا يستطيع

(١) وله ترجمة فرنسية بعنوان A. Tougarde De Boismilon

عنوانها : La Nouvelle Revelation

(م ١٣ - الإنسان روح)

أن يدرك كيف كان يصل هؤلاء المجرّبون إلى غير النتائج التي أعلنوها ، وهي أن هذه الظواهر حقيقية بلا أدنى ريب ، وتدل على وجود نواميس وقوى لا تزال مجهولة من العلم . والأغرب مما تقدم أنه لو جاء قرار هذه الجمعية ضد الحركة الروحية لطمعها طعنة قاتلة ، وما كان يقابل بالاستهزاء الذي قوبل به عندما ضمن صحتها

ثم يضيف في الفصل الرابع قائلاً : إن هذا الموضوع كما برهنت عليه يجدر أن يعتبر بحثاً لم يكن قد اندثر لا استكشافاً جديداً . وإننا لسنا في عهد يصح أن نهدر فيه الآراء الناضجة المترى فيها لأمثال كروكس ووالاس وفلاماريون وشارل ريشيه ولودج وباريت ولومبروزو والجنرالين دريزون Drayson وتيرنر Turner والسرجنت بالانتاين Ballantyne وستيد والقاضي إدموندزو الأميرال اسبورن مور Ushorne Moore والمرحوم الأرشيديا كون ويلبرفورس Wilberforce وجم غفير من شهود آخرين . قلت لسنا في عهد يصح أن توصف فيه آراء هؤلاء بأنها من الخلط أو اللغو الملل . وقد اتفقنا أنا والمستر آرثر هيل Arthur Hill على القول بأننا وصلنا من هذا العلم إلى الغاية التي تعتبر معها كل شهادة جديدة زائدة عن الحاجة ويقع عبء كل إنكار على المنكرين أنفسهم

ثم يقول في مكان لاحق : إن زمن البحث والتنقيب قد مضى وحان وقت العمل منذ وقت بعيد . إن الأدلة التي يستند إليها هذا العلم من الكثرة بحيث تملأ مكتبة بأكملها ، والشهود الذين دعموه لا يعيشون في غيابات الظلام ، ولا هم في ماض بعيد لا يقبل التحييص ، ولسكنهم معاصرون لنا ومن أصحاب المدارك والصفات المجمع على احترامها .

« أما النظرية التي مؤداها أن الروحية لا تعدو التدليس والإفك فلا تثبت أمام الوضوح والعيان . فإما أن يكون هذا الأمر من الجنون البحث ، وإما أن يكون انقلاباً يجعلنا نقابل الموت وجهاً لوجه بلا وجل ، وبتعزية لاحد

لها باقتناعنا بأن الذين نحبهم لم يتلاشوا بالموت ، ولكنهم انتقلوا إلى عالم وراء حجاب ... (١) .

* * *

كما علق المرحوم الأستاذ محمد فريد وجدى على نفس التقرير قائلاً :
« هل هذا رأى العلمى الناضج الذى هو نتيجة تجارب ثلاثين من أكبر علماء الأرض فى مدى ثمانية عشر شهراً بغير وسيط مأجور ، ولا تأثير من أى نوع كان ، يتأتى دحضه بكتابة مقالة يكتبها رجل مهما كانت منزلته لم يكلف نفسه تجربة هذه المسائل والتورط فى مآزقها ؟ » .

إذا جوز العقل أن ينخدع بحيل المدلسين عالم أو عالمان أو عشرون عالماً درسوا هذه المسألة على انفراد ، فهل يجوز أن ينخدع بها مئات منهم فخصوها فى كل بلد ، وأن تنخدع كذلك ألوف مؤلفة من أطباء ومهندسين وأصوليين وماليين وصحفيين ومؤلفين ، ممن خبروا أحاييل الخلق وعرفوا دعائلم فى مدى ثمانين سنة (الآن حوالى مائة وعشرين سنة) وفى كل صقع من أصقاع الأرض ؟

وهل يعقل أن ينخدع بها ثلاثون عالماً من أكبر علماء الإنجليز ندبوا خصيصاً لفحصها وهم فى أشد درجات الإنكار لها ، فبحشوها بغير وسيط مأجور فى مدى ثمانية عشر شهراً ، واتخذوا لتحريضها ما أمكن لعقولهم الراقية من الوسائل والتدابير ؟

ماذا يريد الناس أكثر من هذا الضمان على صحة مشاهدة من المشاهدات ؟ إن هذه الخوارق الروحية هى المسألة الوحيدة التى لا يقبل أن يأخذ بها آخذ إلا بعد أن يراها بعينى رأسه ، ولو رآها الناس أجمعون إلا واحداً

(١) راجع أيضاً ص ٣٧ ، ١٣٥ ، ١٣٩ من الترجمة الفرنسية .

منهم لظل ذلك الواحد منكراً لها حتى يراها . وهذا التنويم المغناطيسى الذى كافح العلماء الجامدين مائة سنة ثم تغلب عليهم وصار يدرس اليوم فى جامعات الطب الكبرى ، لا يزال فى الناس من ينكره ولا يأبه به ، فما قولك فى أخوارق الروحية التى لا تعد عجائب التنويم المغناطيسى بجانبها شيئاً يذكر ١٩ ...

ألا إن هذا انجود العلمى الذى يعتبره البعض من قوة العقل ومن الألمعية هو شر ما منى به هذا الإنسان المسكين ، ولا ندرى متى يخلص من كابوسه ليسرع فى ترقيه إلى الغايات البعيدة التى أعد لبلوغها مدفوعاً بالقوى العلوية التى متع بها دون غيره من الكائنات الحية . نحن نكره بل نرى من الشؤم عليه أن يجرى وراء كل تاعق بخرافة ، ولسنا نربأ به أن ينكر ما يؤتى به حاصلًا على كل الضمانات العلمية ، مما بحث على أدق الأساليب التجريبية وسريت عليه أشد الأصول التحصية ،^(١) .

جمعية البحث الرومى البريطانية S.P.R.

كان لنشر تقرير الجمعية الجدلية دوى ضخم فى الأوساط العلمية — لأنه لم يكن متوقعاً من جمعية مكونة من صفوف من علماء فى فروع شتى من العلوم — لذا علت الأصوات فى بريطانيا للمطالبة بإنشاء هيئة دائمة منظمة تتولى بحث موضوع الأرواح هذا على مستوى الأكاديميات الكبرى . وظلت الصيحات تتوالى منذ سنة ١٨٧١ إلى أن أثمرت فى سنة ١٨٨٢ عن إنشاء هذه الأكاديمية الدائمة تحت اسم جمعية البحث الرومى Society For Psychical Research التى انتظمت بمجموعة من أفضل العلماء منهم: رليام باريت وجورج ج. رومانس وفردريك مايرز وإدموند جيرنى ووليام كروكس والفرد رسل والاس وأوليفر لودج وهنرى سدجويك

(١) « على أطلال المذهب المادى » : الجزء الثانى من ٢٤ ، ٢٥ .

وميرس ورشاردهد جسون وأوسكار برونيج، وكلهم من أعضاء الجمعية الملكية (المجمع العلمي) أو أساتذة في الجامعات البريطانية. ومنهم أيضاً تشارلس أوليوت نورتون الأستاذ بجامعة هارفارد بأمریکا ووليام جيمس الفيلسوف الأمريكي وأستاذ علم النفس الذي أصبح مديراً لنفس الجامعة، ووليام ر. ليوبولد أستاذ علم النفس بجامعة بنسلفانيا بأمریکا، وجيمس هايسلوب أستاذ العلوم العقلية بجامعة كولومبيا، والعالم الفرنسي كامى فلاماريون الفلاسكى المعروف، وشارل ريشيه الفزيولوجى الكبير وعضو المجمع العلمى والأستاذ بكلية الطب بباريس. وكان رئيس هذه الجمعية عند تشكيلها هو الأستاذ سيدجويك (١٨٣٨ — ١٩٠٠)، وكيلاها الأستاذان آرثر بلفور وج. ب. لنجلى.

وقد حدد قرار تشكيلها اختصاصاتها كالآتى :

« دراسة طبيعة أى تأثير قد يباشره عقل فى آخر خارج أعضاء الحس العادية ومداه، والتنويم المغناطيسى، والمسمرية Mesmerism، والجللاء البصرى وما يلحق به من ظواهر، وتحقيق كشوف ريخنباخ Reichenbach عما يسمى بالقوة الشاذة odic force، والبحث فى ظهور الأشباح، والمنازل المسكونة، وتحقيق الظواهر الفيزيائية للروحية physical phenomena of spiritualism وإنشاء مكتبة متعلقة بالموضوعات الروحية بوجه عام. »

وقد تعاقب على رئاسة هذه الجمعية عدد من أبرز الفلاسفة والعلماء فى القرن الحالى وهم : هنرى سيدجويك (من ١٨٨٢ إلى ١٨٨٤ ومن ١٨٨٨ إلى ١٨٩٢) وبالفور ستوارت (من ١٨٨٥ إلى ١٨٨٧) ولورد بالفور (١٨٩٣) ووليام جيمس^(١) (١٨٩٤ — ١٨٩٥) وسير وليام كروكس (من ١٨٩٦ إلى ١٨٩٩) وف. و. ه. مايرز (١٩٠٠) وسير أوليفر لودج (من ١٩٠١ إلى ١٩٠٣) وسير وليام باريت (١٩٠٤) وشارل ريشيه (١٩٠٥) وجيرالد و. بالفور (١٩٠٦ — ١٩٠٧) ومسز هنرى سيدجويك (١٩٠٨ — ١٩٠٩) و. ه. أ.

(١) راجع ما سبق عنه فى ص ١٥٦ — ١٦٢.

سميث (١٩١٠) وأندرو لانج (١٩١١) والأسقف بويد كارنتز (١٩١٢) وهنري
برجسون (١٩١٣) وف.ك.س شيلر^(١) (١٩١٤) وجيلبرت موراي (١٩١٥) —
١٩١٦ (١٩١٦) ول.ب.جاكس (١٩١٧ — ١٩١٨) ولورد رايلي (١٩١٩) ووليام
مكدوجال^(٢) (١٩٢٠ — ١٩٢١) وت.و.ميتشل (١٩٢٢) وكامي فلاماريون
(١٩٢٣) وج.بودنجتون (١٩٢٤ — ١٩٢٥) وهانز دريش (١٩٢٦ — ١٩٢٧)
وسير ل.ج.جونز (١٩٢٨ — ١٩٢٩) ر.و.ف.برنس^(٣) (١٩٣٠ — ١٩٣١)
ومسر هنري سيدجويك وسير أوليفر لودج (١٩٣٢) ومسر أ. ليتلتون
(١٩٣٣ — ١٩٣٤) وك.د.بروض (١٩٣٢ — ١٩٣٦) ولورد رايلي (١٩٣٧ —
١٩٣٨) وهاري برايس (١٩٣٩)، وبعد هذا التاريخ الأخير تعوزنا البيانات
عن أسماء رؤسائها، ولكن الجمعية لا تزال تواصل نشاطها حتى الآن.
ولنا عودة إلى الحديث عن أعمال عدد من هؤلاء الرؤساء في البحث الروحي
في الصفحات القادمة.

ومنذ تأسيس هذه الجمعية لم تنقطع تصريحات رؤسائها وأقطابها عن ثبوت
صحة الظواهر الوساطية والاتصال بأرواح من نسميهم موتى، وبالتالي
ثبوت استمرار حياة النفس بعد موت الجسد المادى. ومن هؤلاء من كانوا
من قبل أبناء مدارس مادية مزمنة لا تسلم مطلقاً بصحة أى أمر من هذه الأمور.
ومن هؤلاء مثلاً نجد ريتشارد هودجسون Richard Hodgson أستاذ
الأخلاق بجامعة كمبريدج يصرح - منذ سنة ١٨٩٩ - قائلاً:

«إن العالم على وشك رؤية حوادث خطيرة جداً. فأؤمل أنه بعد
مضى عامين أو أقل أهدى إلى العالم أجمع تفسيراً جديداً لنواميس الحياة
الإنسانية، ولهذا العقيدة القديمة التى لا يمكن أن يعارضها أى دين ولا أن
تعرض طريق أية طائفة من الطوائف... وسيتضح كل شيء للنوع
الإنسانى الذى يئن ويتألم من الشكوك ويتأرجح معها إلى هنا وهناك..»

(١) راجع ما سبق عنه فى ص ١٦٤.

(٢) راجع ما سبق عنه فى ص ١٧٤.

(٣) راجع ما سبق عنه فى ص ١٦٩.

وإذا كان الأستاذ هايسلوب^(١) قد أعلن أنه تحدث مع أرواح الموتى فإنه لم ينطق إلا بحقيقة نقية ، .



ر . هودجسون

ثم يضيف هودجسون : لقد بدأت أبحاثي أنا والأستاذ هايسلوب منذ اثنتي عشرة سنة ، وكنا ماديين دهرين لانصدق في شيء من ذلك مطلقاً ، ولم يكن لنا إلا غرض واحد وهو كشف الغش والتدليس ليس إلا . أما اليوم - وما أدراك ما اليوم ! - فإني أعتقد وأجزم بإمكان المحادثة مع أرواح الموتى ، وقد قام عندي الدليل على صحة هذا الأمر بحيث لا أتصور مطلقاً أن يتطرق إليه الشك ، .

وفي المجلد رقم ٢٢ من مضابط جمعية البحث الروحي ، قال في ص ٣٩٦ : لقد خبرت التلباثي بين الأحياء لمدى سنين كثيرة ، وها أنا ذا لا أتأخر عن التأكيد بطريقة قاطعة بأن النظرية الروحية (أى إسناد هذه المشاهدات إلى الأرواح) حق لاشبهة فيه وتدل عليه النتائج بخلاف الفرض الأول (فرض التلباثي) .

وقال في ص ٤٠٥ : إن وضوح هذه الأمور هذا الوضوح التام قد أزال عني كل ما كان يصرفني عن التصديق بأن هذه الظواهر نتيجة أفعال الموتى ، .

ثم قال في ص ٤٠٦ : والآن لا يمكنني أن أقول بأن لدى أدنى شك أو ريب في أن المشاهدات التي تكلمت عنها في الصفحات السابقة صادرة

(١) أستاذ المنطق والأخلاق بجامعة كولومبيا . راجع ما سبق عنه في ص ١٦٣ .

حقيقة من نفس الأشخاص الذين تدعى أنها صادرة منهم، وأنهم لا يزالون أحياء بعد هذا التحول الذى نسميه موتاً وأنهم بواسطة جسم مدام بيير^(١) (الوسيلة) وهى فى غيوبتها يعرفون أنفسهم بنا نحن الذين نسمى أنفسنا أحياء... . وأمثال هذه التصريحات يجدها القارىء عند العشرات من رؤساء الجمعية وأعضائها فى مجلداتها الدورية^(٢).

وتنشر هذه الجمعية حتى الآن - وبغير انقطاع منذ ثمانين عاماً - مجلداتها فى صورة مضابط Proceedings بدأ صدورها منذ سنة ١٨٨٢ وجريدة Journal بدأ صدورها منذ سنة ١٨٨٤. وتعتبر مجلداتها وثائق ذات قيمة كبرى فى موضوع العلم الروحى الحديث، والظواهر الواسطية المختلفة على كافة أنواعها وصورها.

فإذا يقول المعارضون فيما نحويه هذه المجلدات وتلك من وثائق خطيرة؟ وماذا يقولون فى أن بين جميع الذين تولوا رئاسة هذه الجمعية - وعضويتها - لم يظهر واحد فيهم كما يقول إنه اكتشف فى بحوثها أى لغو أو بطلان يدعوه للتخلى عنها، أو لتغيير رأيه فى ثبوت الحياة بعد الموت وثبوت إمكان الاتصال بين العالمين الروحى والأرضى؟

برجسونه برأس هذه الجمعية

فكم مفكر فى قرننا الحالى يعد نداءً لهنرى برجسون (١٨٥٩ - ١٩٤١) Henry Bergson الفيلسوف الفرنسى^(٣)؟ وقد تولى رئاسة هذه الجمعية لعام ١٩١٣، وراح يحاضر فى هذه المناسبة محاضرة طويلة تقتطف منها هنا فقرات كافية لما تتضمنه من مناقشة مستفيضة للمعارضين : -

(١) راجع ما سبق منها فى ص ١١٣ ، ١٢٤ .

(٢) راجع ماورد عن هذه الجمعية أيضاً فى دائرة المعارف الأستاذ محمد فريد وجدى .
الجزء الرابع ص ٣٦٨ وما بعدها .

(٣) يقول الدكتور زكريا إبراهيم فى تصدير كتابه عن برجسون « ليس هناك أكثر مما كتب عن برجسون فى اللغات الأجنبية » ، فإن عدد ما ظهر من البحوث والدراسات عن فلسفته قد يبلغ عدة آلاف ... » .

« وما أدري كيف يشوخ أن تجعلوني خلفاً لرجال بارزين تعاقبوا على هذا المنصب (منصب رئيس الجمعية) وكانوا قد وقفوا أنفسهم على نفس الدراسات التي تقفون عليها أنفسكم . لعلمكم بالاستشفاف ، أو « بالتخاطر » شعرت من بعد بما أولى ببحثكم من اهتمام ، ورأيتوني على مسافة أربع مائة كيلو متر منكم أقرأ تقاريركم في عناية وأتبع أعمالكم بشوق عظيم . لطالما أعجبت ببراعتكم ونفاذكم وصبركم وقدرتكم على ارتياد هذا الربع المجهول الذي تدور فيه الحوادث الروحية . لكنني أعجب ، أكثر من عجبى بالبراعة ونفاذ البصيرة والدأب الذي لا يكل ، بالشجاعة التي كان لابد منها ولا سيما في السنين الأولى للنضال ضد سوء ظن قسم كبير من الجمهور ، وللتغلب على السخرية التي ترعب أعظم الشجعان .

« ولذلك فإني لا فتخر بانتخابكم إياي رئيساً لجمعية البحث الروحي نقرأ يفوق قدرتي على التعبير قرأت عن ضابط عهد إليه بقيادة فرقته إثر خلو الميدان من القادة الذين ماتوا أو جرحوا ، أنه ظل طوال حياته يذكر ذلك اليوم ، وظل طوال حياته يتحدث عنه ، وظلت حياته كلها بعد ذلك معطرة بذكرى هذه الساعات القليلة . إني ذلك الضابط ، فسوف أهنيء نفسي ما حييت على هذا الحظ العظيم الذي جعلني على رأس فرقة من الشجعان ، لا لبضع ساعات بل لبضعة أشهر .

« فما مرد سوء الظن الذي لقيته العلوم الروحية وما تزال تلقاه من كثير من الناس ؟ نعم إن الذين يحاربون أمثال دراساتكم هم أشباه علماء ، ومن أعضاء جمعيتكم فيزيائيون وكيميائيون وفيسيولوجيون وأطباء . وقد كثر عدد العلماء الذين يعنون بدراساتكم ولو لم ينتموا إليكم . إلا أنه يتفق مع ذلك أن نرى علماء حقيقيين ممن يرحبون بأي عمل يخرج من المعامل مهما ضؤل يتحاشون عمداً ما تأتون به ، وينبذون جملة ما قد فعلتم ، فما سبب ذلك ؟

ليست غايي أن أنقد نقدهم لمجرد أن أوجه نقداً أنا الآخر . فأنا أعتبر

الوقت الموقوف على النقد في الفلسفة وقتاً ضائعاً بوجه عام وليت شعري ماذا بقي من الاعتراضات الكثيرة التي أثارها المفكرون بعضهم ضد بعض؟ لم يكد يبق منها شيء ، فما يمكن على الأرض إلا حقيقة موضوعية يأتي بها الإنسان . فالرأي الصحيح يحل محل الفكرة الخاطئة بقوة الذاتية ، وهو أدمغ الردود على الإطلاق بدون أن يكلفنا نقد أحد من الناس .

غير أن ما أقصده هنا شيء آخر غير النقد وغير الرد . فإنما أريد أن أكشف وراء اعتراضات البعض وسخرات البعض الآخر عن وجود فلسفة مستقرة غير واعية لذاتها ، غير واعية وبالتالي متقلبة ، غير واعية وبالتالي عاجزة عن أن تسكيف باستمرار مع الملاحظة والتجربة كما يخلق بالفلسفة الجديرة بهذا الاسم . وأريد أن أبين من جهة أخرى أن سبب هذه الفلاسفة هو العادة التي تعودها الفكر الإنساني منذ زمن طويل ، وأن ذلك هو السبب في بقائها وانتشارها بين الناس . أريد أن أزج النقاب عن هذه الفلاسفة وأقابلها وجهاً لوجه ، وأبين ما لها من قيمة .

ثم يقول في محاضراته هذه : « ولاني حين أستعرض نتائج التحقيق الذي قمت به في غير ما كلل لمدة تشرف على ثلاثين عاماً ،^(١) وحين أفكر فيما أخذتم به أنفسكم من الحيلة والحذر خشية الوقوع في الخطأ ، وحين أرى أن حادثة التخاطر في معظم الحالات التي سجلتموها قد رويت لشخص أو لعدة أشخاص بل سجلت كتابة من قبل أن يتبين صدقها ، وحين أرى كثرة هذه الحوادث وتشابهها على وجه الخصوص ، وما يتجلى فيها من قرابة وحين أرى توافق كثير من الشواهد المستقلة بعضها عن بعض ، والتي تملأونها جميعاً وتراقبونها وتجرحونها فإني محمول على الاعتقاد بالتخاطر مثلاً أحمل على الاعتقاد بتحطيم « الأرماد الذي لا يغلب » .

ثم يقول : « تلكم هي باختصار النتائج التي توصلت إليها بفحص الوقائع المعروضة خصاً حياًدياً . ومعنى هذا أنني أعد المجال المفتوح أمام البحث

(١) إذ ألفت هذه المحاضرة في سنة ١٩١٣ كما قلنا .

الروحي واسعاً جداً ، بل لا يكاد يحيد وسيعوض هذا العلم الجديد ما فاتته من وقت . إن الرياضيات ترجع إلى عهد اليونان القديم ، والفيزياء تعود إلى ثلاثة أو أربعة قرون ، والكيمياء قد ظهرت في القرن السابع عشر وفي مثل سننها تكاد تكون البيولوجيا . أما علم النفس فهو ابن الأمس ، وأحدث منه البحث الروحي .

هل يجب أن نأسف لهذا التأخر ؟ لقد تساءلت أحياناً ترى ماذا كان يحدث لو أن العلم الحديث ، بدلاً من أن يمضي من الرياضيات إلى الميكانيكا والفلك والفيزياء والكيمياء ، وبدلاً من أن يوجه كل جهوده إلى دراسة المادة ، قد بدأ بالنظر في الروح ؟ . ماذا كان يحدث لو أن كبلر وجاليليو ونيوتن كانوا علماء نفس ؟ لو حدث ذلك لكان بين أيدينا سيكولوجيا لا نستطيع اليوم أن نتخيلها ، كما أن الناس كانوا قبل جاليليو لا يستطيعون أن يتصوروا ما أصبحت عليه الفيزياء في عصرنا الحاضر . وربما عدت هذه السيكولوجيا من سيكولوجيا العصر الحاضر بمثابة الفيزياء الحديثة من الفيزياء التي كانت في عهد أرسطو طاليس .

لو حدث ذلك لرأينا العلم الذي يكون عندئذ بعيداً عن كل فكرة ميكانيكية يخف إلى تسجيل أمثال الحوادث التي تدرسونها في كثير من الاهتمام ، بدلاً من أن يشيع عنها قليلاً . ولعل البحث الروحي كان سيكون عندئذ في طليعة مشاغله الرئيسية .

فإذا اكتشفت القوانين العامة للنشاط الروحي (كما كان شأن المبادئ الأساسية للميكانيكا) انتقل الباحثون بعد ذلك من الروح المحض إلى الحياة ، فتكونت البيولوجيا ، ولكنها تكون عندئذ بيولوجيا حيوية مختلفة عن بيولوجيا العصر الحاضر كل الاختلاف ، إذ تمضي إلى البحث وراء الصور المحسوسة للكائنات الحية عن القوة الداخلية غير المنظورة التي ليست هذه الصور إلا تجليات لها . فلئن لم يكن لنا الآن سلطان على هذه القوة فلأن علينا بالروح لا يزال في المهد . ولهذا فإن العلماء ليسوا مخطئين حين يأخذون على النزعة الحيوية أنها مذهب عقيم .

نعم إنها الآن عقيمة ، ولكنهما لن تكون كذلك دائماً ، وما كانت تكون كذلك لو أن العلم الحديث في الأصل كان قد تناول الأشياء من طرفها الآخر فإذا ما وجدت هذه البيولوجيا الحيوية تظهر معها طب يشفى أمراض القوة الحيوية مباشرة فيستهدف السبب لا النتائج ، يستهدف المركز بدلا من المحيط . ولعل المعالجة بالإيحاء ، أو قل المعالجة بتأثير الروح في الروح بوجه عام تأخذ عندئذ أشكالا وأبعاداً لا نتصورها الآن . على هذا النحو كان يمكن أن ينشأ علم النشاط الروحي وكان يمكن أن ينمو . .

ثم يقول الفيلسوف العظيم : ولذلك فلو قد انصرف العلم إلى شئون الروح أول ما انصرف ، لظل غير يقيني ولا دقيق مهما تقدم . ولعله ما كان يميز عندئذ بين ما هو ممكن فحسب وبين ما ينبغي أن يقبل قبولاً نهائياً . أما اليوم وقد أصبحنا بفضل دراستنا للمادة نحسن هذا التمييز ، ونتمتع بالمزايا التي تقتضيها ، فإننا نستطيع أن نغامر بدون ماخوف في هذا الربح الذي لم يكده يستكشف ، ربيع الوقائع الروحية . فلنتقدم في جراءة عاقلة ، ولنلق عن أكتافنا تلك الميتافيزياء السيئة التي تعرقل حركاتنا . ويقيني أن علم الروح سيؤدي إلى نتائج تفوق كل ما نرجوه من آمال ، (١) .

بريمسونه يشير لفلسفة متفقة مع نتائج البواب الروحية

ولم يقف الأمر فحسب عند حد اختيار برجسون لرئاسة جمعية البحث ، الروحي البريطانية لفترة من الزمن ولدفاعه عنها وعن نتائج بحوثها ، بل إنه في مؤلفاته وبحوثه ومحاضراته ومقالاته استشهد مراراً بالظواهر الروحية التي حققها واعتبرها ثابتة علمياً ، بما في ذلك الاستشفاف والتخاطر والرؤى التي يراها الوسطاء Intuition . وكثيراً ما تحدث

(١) راجع كتاب « الطاقة الروحية » لبرجسون H Bergson : L , Energie Spirituelle تعريف الأستاذ سامي الدروبي ص ٥٣ وما بعدها .

عن « الروح التي قد تعلو بها الحياة حتى تتغلب على الموت ، وقد يسمو فيها العقل حتى يحطم قيود المكان والمادة » ، وقد جاءت فلسفته تدور على محاور تتضمن هذه المعاني الروحية في سداها ولجتها .

فهو تارة يتحدث عن « نظرية الديمومة » ، وأخرى عن « التطور الخالق » ، وأخرى عن « الحدس والميتافيزياء » ، وأخرى عن « النفس والبدن » ، وأخرى عن « الحياة والمادة » ، وأخرى عن « التصوف والحب الإلهي » ،^(١) .

وفي الجملة إن برجسون — كما وصفه الأستاذ يوسف كرم — يعد أكبر فيلسوف ظهر في فرنسا من عهد بعيد . . . ولعله أكبر فيلسوف على الإطلاق في هذا النصف الأول من القرن العشرين . وقد كان نفوذه واسعاً وعميقاً فقد أذاع لونا من التفكير وأسلوباً من التعبير طغيا على سائر فروع المعرفة العلمية وتجاوزها إلى الأدب . وكانت دلالاته التاريخية أنه قصد إلى إنقاذ القيم التي أطاحها المذهب المادى . فهو يبدو من هذه الوجهة وكأنه واحد من أولئك الأبطال الذين أشاد بهم ، أولئك الذين يقومون في الإنسانية ليعلنوا إيمانهم بالروح وينبئوا إخوانهم إلى أن الكون المادى ليس وطناً لهم ، وإنما الكون آلة لصنع آلهة .. ،^(٢)

هذا هو برجسون العظيم الذي انتهى إلى الروحانية العلمية الأصيلة العميقة المفرطة في أصالتها وفي عمقها ، بعد إذ بدأ حياته مادياً صرفاً على مذهب سبنسر كما قال هو عن نفسه ، وكان تحولاً عن المادية بفضل بحوثه التجريبية . فكان موقفه من هذا العلم الناشئ أشبه ما يكون بموقف وليام جيمس في أمريكا ، وكلاهما في عصره أبرز فلاسفة بلاده ...^(٣)

(١) راجع فيها كتاب « برجسون » للدكتور زكريا إبراهيم . ولنا عودة إلى بعض آراء برجسون المتصلة بموضوع خلود الروح فيما بعد في مواضع متفرقة من هذا الجزء ومن الجزء الثاني .
(٢) « تاريخ الفلسفة الحديثة » ١٩٦٢ ص ٤٤٩ . وهو يحيل القارئ إلى مؤلف برجسون « ينبؤها الأخلاق والدين » .

(٣) راجع عنه ما سبق في ص ١٥٦ — ١٦٢ .

فقدان هذا الموقف بموقف بعض المتحذلقين من الجامدين أو من الماديين الذين لا يجدون - لغاية الآن - ما يدحضون به نتائج أمثال هذه البحوث إلا ألفاظ الخرافة، أو «التدليس» يلقون بها جزافاً، وكأن فيها كل القوة الإقناعية المطلوبة لدحض بحوث خطيرة تجرى على أشد المناهج العلمية صرامة وأكثرها دقة، بمعرفة فلاسفة وعلماء كبار يقدرون تماماً مدى خطورتها، ولم تعرفهم البيانات العلمية إلا باحثين أمعاء جادين عن الحقيقة العلمية أولاً وأخيراً، ولو من أكثر طرقها عناء ومشقة كما تصل إلى إثبات أخطر النتائج، وهي في نفس الوقت أروعها للإنسان، وأدعاهها إلى السرور والاطمئنان...

«جمعية البحث الروحي» تراصد نشاطها عنى الآتية

وهذا الكلام من برجسون في الدفاع عن نشاط «جمعية البحث الروحي»، قيل في محاضرة أقيمت في مقر هذه الجمعية في ٢٨ من مايو سنة ١٩١٣ فمل وقت هذه الجمعية عند القدر من البيانات الذي كانت قد حصلت عليه خلال ثلاثين سنة من عمرها، لإثبات الحياة بعد الموت عن طريق جميع أبواب التجربة المعملية الممكنة التي تزخر بها محاضرها وجريدتها... كلافان هذه الجمعية تقوم حتى الآن بمقرها بلندن (بميدان تافستوك Tavistock Square, Bloomsbury) بأبحاثها وتوالى نشر مضابط جلساتها - وجريدتها أيضاً - مليئة بالمعلومات والمناقشات العلمية والفلسفية، وبالظواهر الواسطية مؤيدة بالصور والبيانات والإحصائيات والحقائق التجريبية الصرف، وكل ما يدور حول هذه الحقيقة الخطيرة وهي أن «الإنسان روح لا جسد»، وأن الموت يعدّ حادثة فقط في حياته ولا يعدّ نهاية لها...

إن عالماً معاصراً في السيكولوجيا وهو وليام براون William Brown الأستاذ بأكسفورد - وهو في نفس الوقت وسيط للكتابة التلقائية - وقف منذ سنة ١٩٢٧ يتكلم في مدينة ليدز بالإنجلترا عن موت الجسد واصفاً

أبحاث هذه الجمعية بأنها « تضع حجر الأساس في علم النفس الحديث » . وقد دفعته في سنة ١٩٣٣ إلى أن يقول - في محاضرة له في الاحتفال السنوي لهذه الجمعية - « بالإشارة إلى البيانات التي قدمتها لنا جمعية البحث الروحي خلال الخمسين السنة الماضية فإنها كافية كيما تجعل الحياة بعد موت الجسد راجحة عليها إلى أقصى الحدود^(١) » .

وإذا كانت بحوث خمسين سنة لها هذا الأثر فما هو ياترى أثر بحوث ثمانين سنة بمعرفة نفس الجمعية وهو عمرها حتى الآن ؟ وما هو ياترى أثر بحوث عشرات أخرى من المعاهد والجمعيات والهيئات العلمية المعترف بها إذا جاءت كلها مؤيدة نفس الاتجاه ومطابقة له في مقدماته ونتائجه ١٩ .

أن نتائج هذه البحوث دفعت أستاذاً آخر للسيكولوجيا في جامعة لندن هو الدكتور فلوجل لأن يصرح بأن علم النفس قد أصبح شيئاً قديماً وضعيفاً أمام علم الروح الذي سيحتل مكانه ... « فلا شك إذن في أن اطراد تقدم جنسنا البشرى - على حد قوله - يتوقف على قدرتنا في التذرع بقانون المنطق .. وعلى شجاعتنا في التخلص من عذاب التقاليد وترهاتها ، واستخدامنا الكامل للكشوف الحديثة لإسعاد الجنس البشرى وتقدمه ، ولهذا فقط توجد الحرية الداخلية الصادقة ، والتي بدورها لن تكون المقاييس السياسية والاقتصادية للتقدم إلا عرضاً زائفاً . . . » .

(١) اشترك الدكتور وليام براون مع لجنة من الأساقفة الانجليز شكلها الدكتور لانج كبير أساقفة كنتربرى وقد انتهت بأغلبية سبعة أصوات ضد ثلاثة إلى ثبوت الاتصال بأرواح الموتى (راجع التماسيل في مجلة عالم الروح عدد يوليو - أغسطس ١٩٦٠ من ١ - ٤) . ولد عالم الدكتور براون موضوعي الغيبوبة الواسطية والحياة بعد الموت في مؤلفه عن « العقل والطب وما وراء الطبيعة » Mind, Medicine And Metaphysics الذي ظهر في سنة ١٩٣٦ . (راجع بوجه خاص من ١٠٧ - ١٢٤ و ٢٤٧ - ٢٦٦ من الطبعة الثانية التي ظهرت في فبراير من سنة ١٩٣٨) .

بحوث فردية لافيف من أفضل علماء إنجلترا
تضاف إلى ماتقدم بحوث فردية واصلها عدد كبير من علماء كبار
وانتهوا فيها إلى نفس نتائج «جمعية البحث الروحي» ، وانكتفى بذكر بعضهم
في هذا الفصل الذى قصرناه على عرض تطور الحركة الروحية في إنجلترا
فنجد من كبارهم : —

دي مورجان

كان أوجستوس دي مورجان Augustus De Morgan (١٨٠٦-١٨٧١)
أستاذاً للرياضيات بجامعة لندن ، ورئيساً للجمعية الرياضية وسكرتيراً للجمعية
الملكية الفلسفية ، وله تجارب ترجع إلى سنة ١٨٤٩ مع وسيطة الجلاء والطرح
الروحي إللى داوسن Ellen Dawson . ثم واصل تجاربه مع الوسيطة
الأمريكية مسز هايدن Mrs Hayden ، ثم مع وسيطة كانت وصيفة تقيم في
منزله تدعى جين Jane ظلت لمدة عامين خاضعة لإشرافه ولإشراف زوجته .
فكانت في حضورها تتحرك المناضد بدون وسيلة مادية منظورة ، وكانت
تحدث طرقاً مجهولة المصدر ، كما كانت تروى مشاهدتها لرؤى Visions شتى .

وقد كانت جميع بحوثه في منزله ، وقد جمعها في سنة ١٨٦٣ في مؤلف
عنوانه «من المادة إلى الروح»^(١) . ضمنه نتيجة تجارب عشرة أعوام في ظواهر
الروح ، وفيه يقرر في مقدمته «بأنى مقتنع تماماً بأنى شاهدت وسمعت
بطريقة تجعل الإنكار مستحيلاً أشياء توصف بالروحية ، لا يمكن لآى كائن
منطقي أن يفسرها بالخداع أو بمصادفة التعاصر الزمنى Coincidence
أو بالخطأ ، ولذا فإنى أشعر بأنى أقف على أرض صلبة . ولكن عندما
أصل إلى البحث في علة هذه الظواهر فإنى لا أجد نفسى قادراً على قبول
أى تفسير من التفسيرات المقترحة حتى الآن .»

(١) From Matter To Spirit : The Result of Ten Year's
Experience in Spirit Manifestations.

كما نشر كتاباً آخر عن « العقل Mind » ، في نفس العام أكد فيه صحة هذه الظواهر ، كما أكد أن التعليل الوحيد المقنع لهذه الظواهر هو أن وراءها عقولا أجنبية عن المجريين .

وليام كروكس

كان سيروليام كروكس William Crookes (١٨٣٢ - ١٩١٩) رئيساً للمجمع العلمي البريطاني (الجمعية الملكية) ، ويعد من أبرز العلماء الطبيعيين في القرن الماضي . وقد كانت بحوثه في موضوع الأرواح من القوة والوضوح بحيث أضفت عليها صفة العلم الرسمي منذ سنة ١٨٧٤ عندما قدم تقريره التاريخي إلى المجمع العلمي تحت عنوان « بحوث في الظواهر الروحية »^(١) . وكان ذلك عملاً معبراً عن نبل وعن شجاعة أدبية منقطعة النظير ، لأن الأذهان لم تكن قد تهيأت بعد للخروج على النظريات المادية التي كانت سائدة في البيئات العلمية .

وفي هذا المؤلف يقرر كروكس : « بما أني متحقق من صحة هذه الحوادث فمن الجبن الأدبي أن أرفض شهادتي لها بحجة أن كتاباتي قد سخر منها الناقدون وغيرهم ممن لا يعلمون عن هذا الأمر شيئاً » .

وبعد ست سنوات من البحث قال عبارة أصبحت مأثورة عنه ، وهي « لست أقول إن الاتصال بالأرواح ممكن الحدوث ، بل أقول إنه أمر حاصل بالفعل » . ولما تولى رئاسة المجمع العلمي أشار في خطاب الرئاسة إلى بحوثه في العلم الروحي وذكر أنه مضى عليه فيها خمسة وثلاثون عاماً ، وأن معارفه قد ازدادت وأنه سينشر فيها مؤلفاً جديداً .

وفي ٢٩ من يناير سنة ١٨٩٧ خطب كروكس في جمعية البحث
الروحي، Society For Psychical Research ، التي كان عضواً فيها مع



وليام كروكس

نخبة من العلماء في بلاده وفي خارجها
قائلاً: إنني مستطيع أن أوكد لكم أن
أعمال جمعيتنا ونشراتها فيما يختص
بالتدوين الدقيق للمشاهدات الجديدة
الهامة، أو بالفائدة التي تنتج من هذه
المشاهدات ، تؤلف مقدمة لا تقدر
قيمتها لعلم هو أبعد غوراً من أي
علم ظهر على سطح الأرض ، سواء

في كشفه عن حقيقة الإنسان ، أو عن حقيقة الطبيعة وعن عوالم أخرى
ليس عليها إلى الآن أقل إشارة من علم... ، فانظر وتأمل... .

وفي سنة ١٩١٧ نشرت له «الجريدة الروحية الدولية»^(١) حديثاً قال فيه
«لم يجد بعد ما يجعلني أغير رأيي في الموضوع، وإنني مقتنع تماماً بكل ما قلته
فيما مضى ، وإنه لحق صراح أن الاتصال قد تم بين هذا العالم والعالم الثاني» .

وهذه الأقوال صدرت من كروكس في حقب متباعدة إذ يفصل بين أولها
وآخرها أكثر من أربعين عاماً ، مما يظهر تماماً كيف أنها ليست أقوالاً مرتجلة
أو خواطر وهمية أملاها عليه التسرع ، وهو العالم الذي يقدر ولا ريب
قيمة كل كلمة يتكلمها ، ومدى مسؤوليته عنها إزاء ضميره ، وإزاء حكم التاريخ
عليه. ولم يتهمه أحد بأنه كان متسرعاً في أي بحث آخر من بحوثه العلمية، التي
كان لها شأن عظيم في تقدم الكيمياء والفيزياء معاً ، بما في ذلك اكتشافه

للالكترون في الذرة. ولنا عودة في الفصل الأول من الباب المقبل إلى تلخيص بعض تجاربه في موضوع الأرواح، موضحة بالصور التي التقطها بنفسه لروح متجسدة تدعى « كاتي كنج » في حضور الوسيطة فلورنس كوك .

ألفرد راسل والاس

لا تقل قيمة عن شهادة كروكس شهادة عالم آخر جليل الشأن في تاريخ البيولوجيا هو سير ألفريد راسل والاس Alfred Russel Wallace (١٨٢٣ - ١٩٠٣) ، وقد حقق بنفسه صحة الظواهر الوساطية مع عدد من وسطاء عصره من أمثال الدكتور مونك Monck ومسز جابي Guppy وكاتي كوك Katie Cook وإجلنتون Eglinton ومسز روس Ross وكيلر P. L. Keeler وفريد إيفانز Fred Evans ومسز مارشال Marshall وآخرين. ثم ألف في العلم الروحي مؤلفين أولها «دفاع عن الروحية الحديثة»^(١) . وثانيهما «المعجزات والروحية الحديثة»^(٢) ، الذي ظهر في سنة ١٨٧٨ .

وقد ذكر في هذا الأخير ، لقد كنت ملحداً بحثاً مقتنعاً بمذهبي تمام الاقتناع، ولم يكن في ذهني أى محل للتصديق بحياة روحية، ولا بوجود عامل في هذا الكون كله غير المادة وقوتها ، ولكني رأيت أن المشاهدات الحسية لا تغالب ، لذا فإنها قهرتني وأجبرتني على اعتبارها حقائق ثابتة قبل أن أعتقد نسبتها إلى الأرواح بمدة طويلة ، ثم أخذت هذه المشاهدات مكاناً من عقلي شيئاً فشيئاً . ولم يكن ذلك بطريقة نظرية تصورية ، ولكن بتأثير المشاهدات التي كان يتلو بعضها بعضاً على صورة لا يمكن تعليلها بوسيلة أخرى . كما ذكر فيه أيضاً أن المعجزات عبارة عن أحداث مادية تقوم بها عوامل عاقلة غير منظورة ، وتؤدي إلى نتائج لا تفسرها القوانين المعروفة .

A Defence Of Modern Spiritualism.

(١)

Miracles And Modern Spiritualism.

(٢)

وليام باريت

ومنهم عالم الطبيعة سير وليام باريت William T. Barrett (١٨٤٥

- ١٩٢٦) الذى كان أستاذاً

للفيزياء بكلية العلوم بجامعة دبلن

Dublin من سنة ١٨٧٣ إلى ١٩١٠

وعضواً فى الجمعية الملكية، ووصل

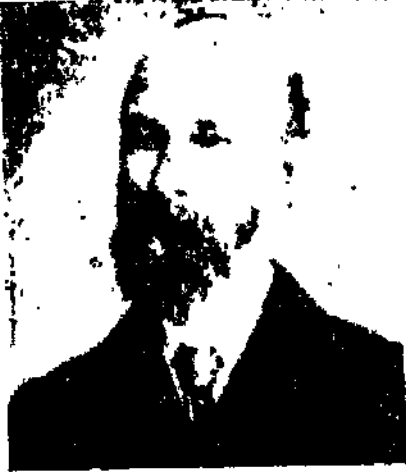
فى الفيزياء إلى كشوف كثيرة، منها

كشف ظاهرة تأثير الشعلة بالصوت،

فضلاً عن كشوف أثرت فى الصناعات

الكهرية، خصوصاً ما كان منها

متصلاً بصناعة الصلب .



وليام باريت

وقد كان باريت ممن دفعوا الجمعية الجدلية إلى تشكيل لجنتها الآنفة

الذكر لبحث الظواهر الواسطية وفى يناير من سنة ١٨٨٢ دعا إلى عقد

مؤتمر فى مقر الجمعية البريطانية الأهلوية للروحانيين، وهو الذى تمخض عن ميلاد

«جمعية البحث الروحى»، S.R.R. التى تحدثنا عنها آنفاً بما فيه الكفاية . ولما

زار الولايات المتحدة فى سنة ١٨٨٥ أرسى أساس الجمعية الأمريكية للبحث

الروحى، كما ساهم فى سنة ١٩٢٠ فى إنشاء الكلية البريطانية للعلم الروحى،

British College Of Psychic Science (١).

وقد لخص وليام باريت نتائج بحوثه الطويلة الشاقة فى المجلد الرابع

والثلاثين من «مضابط جمعية البحث الروحى»، الصادر فى سنة ١٩٢٤ قائلاً

«لقد ثبت : أولاً وجود عالم روحى . وثانياً الحياة بعد الموت . وثالثاً

إمكان الاتصال بهؤلاء الذين انتقلوا إلى هناك . وكان مقتنعاً — من ناحية

معرفة بالفيزياء — بوجود أثير مسمى مذى طبيعة خاصة Luminiferous ether

(١) وعنوانها 7. S. W. London, Queens Gate, 15.

يحيا فيه سكان عالم الروح . . . فهل هناك كثيرون يمكنهم أن يفهموا حقيقة
الآثير مثله ؟

كما نجده يصرح أيضاً ، إنى مقتنع تمام الاقتناع بالحقيقة الواقعة ، وهى
إن أولئك الذين عاشوا على الأرض فى وقت من الأوقات يمكنهم الاتصال بنا ،
بل هم فى الواقع متصلون بنا ، وإنه من الصعب جداً أن نبدى للمشككين غير
المدرين أية فكرة كافية عن القوة العظيمة للواقع المجهول . .

ومن مؤلفاته «البحث الروحى»^(١) (١٩١١) وفيه يلاحظ ملحوظة ينبغى
أن يضعها فى الاعتبار كل مجرب فى هذه الأمور ، إذ يقول (ص ٢٤٥-٢٤٦)
إن الرسائل الذكية التى قد تكشف عن شخصية أصحابها قد يشوب بعضها غموض
يشير إلى أن الذكريات الأرضية آخذة فى الزوال والانحلال . وأن الراحلين
يصبحون مستغرقين فى حياتهم الجديدة التى نعجز فى حالتنا الحاضرة
أن نتصور طبيعتها تماماً ، فإن قيودنا الخاصة تجعل من المحال لمثل هذه البيئة
أن تأتينا باليقين بأننا إنما نراسل أفضل وأبل مافى أولئك الذين مروا
إلى العالم غير المنظور . .

ومن مؤلفات باريت أيضاً ، على عتبة غير المنظور ،^(٢) (١٩١٧) وفيه
يقرر أنه ، مما ينسجم مع كل معلوماتنا الاقتناع بعالم غير منظور تحيا فيه
مواكب من كائنات حية يملك بعضها ملكات مثل ملكاتنا ، أو أقل
أو أكثر ، ومن الجائز أن الارتقاء عن طريق التطور فى عالم كهذا جرى
فى خطوط موازية للتطور فى عالمنا ، وأن تنازع البقاء ووجود الغرائز
والعقل والوعى والإرادة القويمة والسقيمة أمور تبدو متوافرة هناك كما هى
متوافرة هنا . وبمرور الوقت يبدو أن الإحساس بالوجود الإنسانى قد

Psychical Research. (١)

On The Threshold of the Unseen. (٢)

وله ترجمة فرنسية فى سنة ١٩٢٣ عنوانها Au Seuil de l'Invisible.

وصل إلى جيراننا غير المنظورين ، وأيضا أنهم قد عثروا على بعض وسائل للاتصال العقلي بنا ، بل حتى المسمى ، .

وله عدة مؤلفات أخرى منها «سويدنبرج : العالم والرائي» ،^(٢) (١٩١٢) و «عصا التنجيم»^(٢) ، (١٩٢٦) و «رؤى على فراش الموت» ،^(٣) (١٩٢٦).

مهمه رايلى

وهمهم أيضاً عالم الطبيعة لورد جون وليام مسترات رايلى John William Strutt Rayleigh (١٨٤٢ — ١٩٢٠) وقد كان أستاذاً للطبيعة التجريبية منذ سنة ١٨٧٩ في جامعة كبريدج ومديراً لمعاملها . وقد اكتشف في الجو غازات لم تكن معروفة من قبل ، ونجح في عزل غاز الأرجون Argon ، وفي سنة ١٩٠٤ حصل على جائزة نوبل في الطبيعيات .

وترجع صلتة بالبحث الروحي إلى سنة ١٨٧٤ عند ما بدأ تجاربه مع الوسيطتين كات فوكس Kate Fox وأساييا بلادينو . وكان اهتمامه بالظواهر الفيزيائية أكثر منه بالظواهر العقلية مثل الغيبوبة والكتابة التلقائية . ومن رأيه أن التلباث لا يصلح لتعليل هذه الظواهر في جملتها ، وأنه إذا صح وجود التلباث بين عقول الأحياء فليس هناك ما يمنع من القول بتوافره أيضاً بين عقول «الأموات» والأحياء .

وفي خطاب رئاسته للجمعية البحث الروحي ، عند ما اختير رئيساً لها في سنة ١٩١٩ قال متحدثاً عن الوسيطتين كات فوكس و دانييل دانييلاس هوم : « إنى أرفض كلية تعليل هذه الظواهر بالخطرفة فإن الأحداث كانت دائماً

Sweedenborg : The Savant and the Seer. (١)

The Divining Rod (La Baguette Divinitoire). (٢)

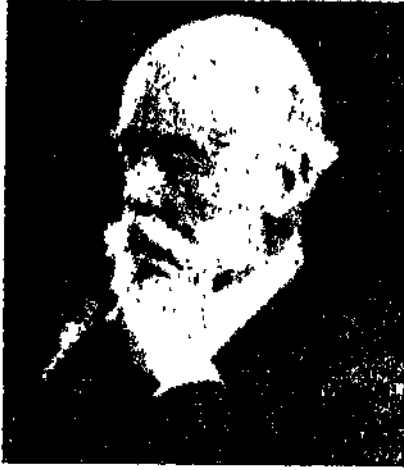
وهي العصا التي تستخدم في الكشف عن المياه الجوفية وعن المادن الخبوءة في باطن الأرض وتعمل بالأمواج غير المنظورة وعن طريق نوع خاص من الوساطة .

Death — Bed Visions. (٣)

تقريباً غير متوقعة ووقعها في نفوسنا مسلياً به . . .

أوليفر لودج

من علماء المادة البريطانيين الذين أصبحوا أيضاً من أبرز أعلام العلم الروحي سير أوليفر لودج Oliver Lodge (١٨٥٢ - ١٩٤٠) مدير جامعة برمنجهام، وعضو الجمعية الملكية، وهو من أقوى علماء الفيزياء في القرن العشرين . وتنصب بحوثه في



الطبيعة بوجه خاص على دراسة الأجواء الواسعة التي تقع بين الأجرام السماوية، كما قام بحوث عميقة حول طبيعة الأثير وانتقال الأمواج الكهربائية المغناطيسية، وابتكر جهازاً لالتقاط هذه الأمواج يدعى the Coherer كان من أهم العوامل التي هيات لماركوني أن ينجح فيما بعد في اختراع المذياع . ويعد مؤلفه عن «أثير الأجواء»

أوليفر لودج

من أعمق ما كتب في هذا الموضوع، ويصل إلى المستوى الذي يتعذر على علماء كثيرين أن يفهموه . وذلك بالإضافة إلى مؤلفات عديدة له في الأثير وفي المادة الصلبة وفي نظرية النسبية وفي الإلكترونات وفي الطاقة وفي اللاسلكي .

وبعد بحوث شاقة دامت لمدة خمسة وعشرين عاماً أعلن لودج شهادته الصريحة الحاسمة للحياة بعد الموت «ولبقاء الشخصية الإنسانية بعد فناء الجسد» على حد تعبيره . ثم ظهرت له عدة مؤلفات رائعة في الروحية مثل «الإنسان والكون»^(١) . (١٨٨٠) ومثل «حياة الإنسان بعد الموت»^(٢)

(١٩٠٩) ومثل ، العقل والاعتقاد^(١) ، (١٩١٠) و ، الحياة والمادة^(٢) ،
(١٩١٢) و ، المشكلات الحديثة^(٣) ، (١٩١٢) و ، العلم والدين^(٤) ،
(١٩١٤) و ، ريموند أو الحياة والموت^(٥) ، الذى ظهر فى سنة ١٩١٧
وأعيدت طباعته ، منقحة فى سنة ١٩٢٢ .

ويتضمن الأخير بوجه خاص عشرات من الأدلة الحاسمة على أن ابنه ريموند
ضابط الجيش الذى قتل فى الحرب العالمية الأولى أمكنه أن يتصل به ويعطيه
شواهد ووقائع كثيرة لا يعلم عنها إنسان شيئاً . وذلك عن طريق الوسيط
جلاديس أو سبورن ليونارد Gladys Osborne Leonard ومسز بير Piper
وفوت يترز Vout Peters وغيرهم . وقد حققها لودج بنفسه فى صبر وأناة
قبل أن يبدى رأيه فيها واستبعد منها كل ما يمكن تعليله ، بالعقل الباطن
أو بظاهرة التلباثى .

ومن هذه مثلاً قصة خطابات كان يتلقاها ريموند من قتاته ، ودفنها فى
صندوق خشبي فى حديقة المنزل فى مكان سحيق عند ما تطوع فى الحرب
خشية الوفاة ، فذكر له بعد انتقاله مكانها ، وتأكد لودج من صحتها عند ما عثر
على الخطابات فى المكان الذى عينته الروح وأعادها بنفسه إلى مرسلتها...
فمن أى عقل أرمى التقطت الوسيطة هذه الواقعة التى لم يكن أحد يعرف
عنها شيئاً ؟

ومنها أيضاً قصة عدة صور كانت قد التقطت لريموند فى فرنسا بعد
تطوعه فى الحرب مع زملائه ضباط الفرقة التابع لها ، وقد وصفت له الروح
موضع وقوف صاحبها أو جلوسه فى كل صورة وظروف التقاطها وأسماء

Reason And Belief,	(١)
Life And Matter.	(٢)
Modern Problems.	(٣)
Science And Religion.	(٤)
Raymond, Or Life And Death,	(٥)

بعض الموجودين فيها . ثم بحث أوليفر لودج عن هذه الصور مع رفقاء ابنه في الحرب ممن عادوا سالمين فوجدها مطابقة تماماً لما أنبأته به الروح .

وهكذا الحال في الأدلة العديدة التي اقتضى بيانها أكثر من ثلاثمائة صفحة من هذا الكتاب ، ثم تطرق إلى الكلام في « الوجود المستمر ، و فكرة الماضى والحاضر والمستقبل ، والتداخل بين العقل والمادة ، و «بعث الجسد» ، والتمييز بين العقل والمخ ، و الحياة والوعي ، و سبل التراسل ، و نظرة عامة إلى الكون ، ... إلى غير ذلك من الفصول الرائعة التي لا يحسن فهمهما وتقديرها إلا أصحاب العقول النيرة وحدهم .

وواصل لودج بحوثه الروحية الغزيرة فظهر له فيما بعد كتاب « لماذا أومن بخلود الإنسان ؟ »^(١) (١٩٢٨) ثم « جدران الشبح »^(٢) (١٩٢٩) ثم « ما يلي الفيزياء »^(٣) (١٩٣٠) ثم « حقيقة عالم الروح »^(٤) (١٩٣٠) ثم « اقتناع بالحياة بعد الموت »^(٥) (١٩٣٠) ثم « الأعوام الماضية »^(٦) (١٩٣٢) ثم « فلسفتي »^(٧) (١٩٣٣) .

وهكذا واصل لودج بحوثه الروحية على نمط دقيق لمدة جاوزت نصف قرن ، وكلما نجح في الربط بين هذا العلم وبين معلوماته الواسعة في الفيزياء الحديثة كلما ازداد اقتناعاً ، ولا غرابة في ذلك لأن دراسة اللاسلكي عبارة عن دراسة الاهتزاز . ونظرية الاهتزاز vibrational system هي التي تفسر وحدها وجود عوالم متداخلة تشغل نفس الحيز من الفراغ دون أن يشعر

Why I Believe in Personal Immortality.	(١)
Phantom Walls.	(٢)
Beyond Physics.	(٣)
The Reality Of A Spiritual World.	(٤)
Conviction Of Survival.	(٥)
Past Years.	(٦)
My Philosophy.	(٧)

بعضها بالبعض الآخر ، فلكل عالم منها أمواجه الضوئية والصوتية والحرارية .. التي تختلف في أطوالها عن أمواج العالم الآخر .

ولم تنقطع أيضاً محاضراته ولا خطبه الشائقة عن الخلود والاتصال بالأرواح . ففي خطبة له ترجع إلى سنة ١٩١٥ يقول لودج : « إن الإنسان لا يسود الكون ولا يعرف أسرار له ولكنه يتلمس فيه الحقائق تلمساً . وقد كشف حديثاً الراديوم وغاز الأرجون وأشعة رنتجن وبعض خواص الكهرباء . وقد بدأ الآن يعرف شيئاً عن بناء الجواهر الفرد ، وتظهر هذه الأمور كأنها جديدة ، وهي غير جديدة ، بل كانت موجودة أيضاً ونحن لا نعرفها . وفي الطبيعة أيضاً أمور كثيرة لم نكشفها حتى الآن . »

إلى أن يقول في نفس الخطبة : « وليس من العقل أن يقال إن النفس تضمحل إذا تلف الجسد ، بل سنظل موجودين بعد موتنا وانتهاء أعمارنا القصيرة على هذه الأرض . أقول ذلك مستنداً إلى أدلة عليية — أقوله لأنني تحققت أن بعض أصدقائي الذين ماتوا لا يزالون موجودين إذ أني قد ناجيتهم ، ومناجاة الموتي ممكنة لكن ينبغي أن نجرى على نواحيها ، وأن نعرف شروطها وهي ليست من الأمور الهيئية .

وقد حدثت أصدقائي الموتي كما أحادث واحداً من الحضور . وقد كانوا في حياتهم من أهل العلم ، ولذلك برهنوا لي ببراهين قاطعة ، نشر بعضها وسينشر البعض الآخر في حينه ، إنهم هم أنفسهم كانوا يحدثنني وإنني لست واهماً . إن تلك حقيقة أنا مقتنع بها وبصحتها بكل ما في من قوة الاقتناع . إنني مقتنع بأننا لا نضمحل عند الموت ، وأن الموتي يهتمون بأمور هذا العالم ، ويساعدوننا ويعرفون أكثر مما نعرف بكثير ويقدرون على مناجاتنا أحياناً ، (١) .

(١) راجع أجزاء من هذه الخطبة في مجلة « المتكلم » عدد ٦٤ الصادر في فبراير من سنة ١٩١٥ .

وفي محاضرة له في سبتمبر من سنة ١٩٢٨ بقاعة ألبرت بلندن نجده يقرر أيضاً : إن التساؤل عما إذا كنا سنحيا بعد الموت أم لا تساؤل على بمقدورنا أن نجيب عليه . ولست أصف هذا التساؤل بأنه ديني ، حتى وإن كان مرتبطاً بالدين وبالأخلاق وبما وراء الطبيعة . بل إنه يتطلب بذاته جواباً بالإيجاب أو بالسلب . واعتقد أنه يمكنني أن أجيب عنه جواباً نهائياً بالإيجاب دون أن ينتابني تأنيب في هذا الصدد . كما قال عن قيمة البحث في هذا الموضوع : إن الذي نعلمه لا يعد شيئاً مذكوراً إلى جانب ما ينبغي أن نتعلمه . وقد يقال ذلك أحياناً بلا عقيدة حقيقية ، أما بالنسبة لي فهي الحقيقة الحرفية .

وقال لودج : « إنني أقول إنني مصر على أن الاتصال بالعالم الآخر ممكن ، ولقد برهنت على أن الأشخاص الذين يمكنهم الاتصال بالعالم الآخر هم الذين يحاولون ذلك ويرغبون فيه ، والنتيجة هي أن الحياة بعد الموت قد ثبتت بالبحث العلمي ، كما قال : الحقيقة هي ما تتوق كل نفس لمعرفة ولا رغبة لأحد في أن يخدع ، ولكننا نواقون لمعرفة أصدق الأنباء عن كل من العالمين المادي والروحي اللذين يؤلفان الكون ... وأثير الفضاء هو حلقة الاتصال بينهما . فهو في العالم المادي الحقيقة الأساسية الجوهرية : أما في عالم الروح فخقائق الوجود غير تلك ، وهي أرق منها بكثير ، غير أن الأثير هناك أيضاً هو الأداة المستخدمة ، ولكن بطرق لا يسعنا في الوقت الحاضر إلا أن نتخيلها ... »

وقد أخذ لودج يحاضر أيضاً في الإذاعة البريطانية في سنة ١٩٣٤ في هذا الموضوع — وقد بلغ الثانية والثمانين من عمره — قائلاً : « إنني لم أصل إلى معتقدي في صحة هذا الأمر عن طريق التأثير الديني ، وإنما بنيت اعتقادي فيه على نتائج التجارب العلمية التي قمت بها في مجال العلم الواسع المدارك . هذا العلم الذي ينبغي عليه كما أعتقد أن يلتفت إلى هذه الظواهر فلا يقصر أمره

على ظواهر المادة كما حمله على ذلك علماء القرن التاسع عشر ، بل ورجال العلم منذ نيوتن .

ثم اختتم محاضراته قائلاً : دعوني أتميز هذه الفرصة الفريدة كيما أتحدث إلى هؤلاء الذين يمدون في الحياة فسوة تصل بهم إلى مرحلة اليأس فيتساءلون في عجب . هل تستحق الحياة كل هذا العناء ؟ . دعوني أبعث إليهم شيئاً من الاطمئنان وأقرر لهم الحقيقة التي تكشفت تدريجياً لعقلي نتيجة لاقتناع وصلت إليه في مدى يقرب من خمسين عاماً (فتأمل) . فهذا الدليل الكامل الذي لا عيب فيه سارني إلى هذه الفكرة ، وهي أن عالم الروح حقيقة عظمى . إننا إن نتغير في اللحظة التي ننقل فيها ، وعندما نتخطى الحدود سيقابلنا صحبنا بالترحاب .. ،

وقد انتقل لودج إلى عالم الروح في أغسطس من سنة ١٩٤٠ عن ثمانية وثمانين عاماً وهو مصر على اقتناعه هذا . وعادت روحه من جديد كيما تتحدث في نفس هذا الموضوع في قاعة كنجزواى بعد ذلك بسنوات فلائل في شهر يونيه من سنة ١٩٤٦ ، أمام أكثر من ألف وخمسمائة مستمع حضروا الاجتماع الحافل برئاسة مارشال الطيران لورد دودنج وبوساطة وسيط الصوت المباثر لزللى فلنت Leslie Flint^(١) .

* * *

فتأمل أية شهادات هذه ، ومن هم أصحابها ، وبعدهم من سنين بذلت في بحوث وتجارب شاقة من يعتبرون في ذروة المقدرة عليها ، وعلى تقدير مسئولية كل كلمة تصدر منهم إزاء ضمائرهم وسمعتهم وحكم التاريخ عليهم ، ولو تعلق الأمر بجزئية صغيرة من جزئيات العلوم التي قد يختلف فيها رأى بين عالم وآخر ، فما بالك إذا تعلق في تقديرهم جميعاً بأخطر حقيقة كونية وضع العلم يده عليها حتى الآن ؟ ...

(١) راجع مجلة « عالم الروح » عددا أبريل سنة ١٩٤٨ ومارس سنة ١٩٥٥ .



ف. و. هـ. مايرز

فردريك و. هـ. مايرز
ومنهم أيضاً عالم النفس المعروف
فردريك و. هـ. مايرز (١٨٤٣ - ١٩٠١)
الذى Frederic W. H. Myers الذى
كان أستاذاً للسيكولوجى بجامعة
كبريدج ، والذى تعتبر بحوثه فى
العقل الباطن من أعمق ما كتب فيه
حتى الآن. وقد ظل مايرز من أهم الأعضاء
العاملين فى «جمعية البحث الروحى»
حتى انتقاله ، ومجلدات هذه الجمعية
التي صدرت أثناء حياته حافلة ببحوثه فى الروحية .

ويعتبر مؤلفه «الشخصية الإنسانية وبقاؤها بعد موت الجسد»^(١) الذى
ظهر فى سنة ١٩٠٣ فى مجلدين من أقوى الكتب التقليدية فى هذا البحث ، إذ
أنه قد أقام دعامة العلم الروحى الحديث. وقد وصفه الفيلسوف وليام جيمس
بأنه «الخطوة الأولى فى أية لغة لفهم الظواهر الروحية» . وفيه يعالج
مايرز العقل الباطن للإنسان الذى يمثل الذات الحقيقية له ، ولا يعد العقل
الواعى إلا شطر أضيق منه ، ويثبت الحياة بعد الموت لهذه الذات من هذه الزاوية
وابتكر مايرز طريقة فى بحثه الروحى تسمى طريقة «التواصل المتبادل»^(٢).
وكانت هى الطريقة التى استعملها لإثبات شخصيته بعد انتقاله إلى العالم الآخر
عن طريق الوسيطة ليو نوربير M. Piper. وقد وصف الأستاذ فرانك بودمور
أحد شركائه فى البحث والتأليف هذا الإثبات بأنه «ربما يكون أقوى بينة
لإثبات الشخصية حصلنا عليها من أى روح اتصلت بنا» . وفرانك بودمور
F. Podmore هذا مؤلف قيم فى الروحية عنوانه «الروحية الحديثة»^(٣)
ظهر فى سنة ١٩٠٢ .

Human Personality and its Survival of Bodily Death. (١)
Cross Correspondences (٢)
Modern Spiritualism. (٣)

وبعد انتقال مايرز إلى العالم الآخر في سنة ١٩٠١ ظلت روحه على صلة وثيقة بعدد من الدوائر الروحية، وأثبت مايرز شخصيته لعدد من كبار الباحثين، كما أملى معلومات قيمة عن عالم الروح وعن نفسية الإنسان وعواطفه في بعض عوالم ما بعد المادة، ومن ذلك مثلاً : —

— ما رواه سير أوليفر لودج في مؤلفه «لماذا أومن بخلود الإنسان» ؟

— وما روته الوسيطة جير الدين كامينز التي أملاها مايرز فصلاً كاملاً عن «وثيقة الوجود» في مؤلفها «الطريق إلى الخلود» ، ولنا إليه عودة عند الكلام في هذه الوسيطة ، وعودة ثانية عند الكلام في الجزء الثاني في وصف ظروف الحياة في عالم الروح .

— وما أكده الأديب الإيرلندي المعروف شودز موند مؤسس «المعهد الدولي للبحث الروحي بلندن» في مؤلفه عن «الحب بعد الموت» ، ولنا إليه عودة تفصيلية عند الكلام في الجزء الثاني عن «ظروف الحياة في عالم الروح» .

إدموند جبرني

ومنهم أيضاً إدموند جبرني Edmund Gurney (١٨٤٧ — ١٨٨٨) وهو من علماء النفس ومعروف ببحوثه في التنويم المغناطيسي ، وتحليل الصلة بين الذاكرة وبين مراحل هذا التنويم ، وبينها وبين ذاكرة اليقظة . كما كان معروفاً ببحوثه في التخاطر أي التلبائي Telepathy . وقد درس موضوع الاتصال بأرواح الأموات ووضع فيه مؤلفاً عنوانه «أشباح الأحياء» (١) وهو من أوائل الدراسات الهامة في بريطانيا في هذا الموضوع ، وذلك بالاشتراك مع الاستاذين فرانك بودمور Frank Podmore ومايرز F. W. H. Myers

وأشار الفيلسوف وليام جيمس إلى هذا المؤلف في كتابه «إرادة الاعتقاد»
(ص ٣١٢ - ٣١٣) قائلاً عنه : «من أعظم مؤلفات جيرنى Gurney
مؤلفه المعروف باسم «أشباه الأحياء» . ولكي يعطى للقارئ صورة واضحة
للبحث المضمن الذى أجراه ذلك العلامة يقول إنه يسرد سبعمائة حالة
من حالات ظهور الأشباح . وفي كثير منها تبدو هذه الظواهر واقعية مطابقة
لمصائب حدثت للشخص الذى ظهر شبحه . وبناء على نظرية التلباثى أو
التخاطر هذه telepathic theory يمكننا أن نعتبر الأشباح حقائق موضوعية
objective ، ولو أنها غير مادية»

ولكى يختبر جيرنى ما إذا كانت هذه الظواهر ترجع إلى مجرد الصدفة أم
لا ، فإنه قام بعمل إحصاء عن تجارب ٢٥ ألف شخص في مختلف البلاد ستلوا
عما إذا كانوا ، وهم في صحة جيدة ويقظة تامة ، قد سمعوا صوتاً أو رأوا
شبحاً أو شعروا بلبسة خارجية لا يمكن إيعازها إلى شخص ما بجوابهم ،
والنتيجة كانت بالتقريب أن واحداً من عشرة من البالغين في إنجلترا جاز
هذه التجربة مرة واحدة في حياته ، ومن التجارب نفسها أن عدداً كبيراً
منها يرتبط بحوادث جرت من زمان بعيد»

والسؤال الآن : هل تكرر وقوع هذه الظواهر أكثر مما يمكن أن
نعتبره قد وقع بالقضاء والقدر ، وهل من الواجب أن نقدر أن نعتقد
أن ثمة ارتباطاً غامضاً بين الحادثتين»

وبعد انتقال إدموند جيرنى إلى عالم الروح تلقى منه سير أوليفر لودج
عن طريق الوسيطة ليونور بيير (١) L. Piper جملة إحالات واضحة ودقيقة
للغاية إلى مؤلفاته الخاصة في علم النفس ، ولم يكن يعلم عنها لودج شيئاً

(١) راجع ما سبق من هذه الوسيطة في ص ١١٢ ، ١٢٤ .

وقد تحقق بنفسه من صحتها . فكانت هذه الإحالات منه بمثابة أدلة قاطعة لإثبات شخصيته ، وحقيقته كروح لا تزال تواصل حياتها هناك .

و ج . كروفورد

ومنهم أيضاً الدكتور و . ج . كروفورد W. J. Crawford أستاذ الهندسة الميكانيكية بجامعة بلفاست الذى باشر بحوثه بوجه خاص فى دائرة مسز جوليجر الروحية من سنة ١٩١٥ حتى سنة ١٩٢٠ مستخدماً فى تسجيل الظواهر الوساطية الميزان والكاميرا والدينامومتر وجهازاً لتسجيل الأصوات . وقد تبين له أن وزن المنضدة التى كانت ترتفع فى الدائرة من تلقاء نفسها كانت تتحمل الوسيطة منه ٥٠ ٪ وجميع الحاضرين الباقى ، وأن مادة غير منظورة كانت تخرج من جسم الوسيطة وتتحول إلى حبال (لفائف) تتفاوت فى صلابتها ويمكنها أن تتشكل بأى شكل . وإذا كان ثقل المائدة كبيراً فإن أغلب هذا الوزن كان يتحول عن طريق هذه المادة إلى الأرض . وأشهر مؤلفات كروفورد هى «حقيقة الظواهر الروحية»^(١) (١٩١٧) و «تجارب فى العلم الروحى»^(٢) (١٩١٩) و «التكوينات الروحية فى دائرة جوليجر»^(٣) (١٩٢١) .

وظل كروفورد إلى ما بعد انتقاله إلى عالم الروح مهتماً — شأن غالبية علماء الروح الآخرين — بالحركة الروحية من ذلك الجانب من الحياة . وقد أمكن التقاط بعض صور لروحه ورسائل بخط يده وبتوقيعه على اللوح الحساس ، وقد نشر بعضها ف . و . واريك F. W. Warrick فى مؤلفه «تجارب فى الروحيات» ولنا إليها عودة فى مناسبة لاحقة عندما نتكلم فى «البيئة المستمدة من تأثير العقل المباشر فى المادة» .

The Reality Of Psychic Phenomena.

(١)

Experiments In Psychical Science.

(٢)

The Psychic Structures In The Goligher Circle.

(٣)

م . ر . ديون

ومنهم جون وإليام ديون John William Dunne (١٨٧٥ - ١٩٤٩) الذي صمم أول طائرة حربية بريطانية في عامي ١٩٠٦، ١٩٠٧ وهو من أبرز علماء الرياضة في القرن العشرين ، وتعد أعماله الفلسفية مقدمة لعلم جديد عن حقيقة الكائنات أو المخلوقات . Ontology .

ومحور هذه الفلسفة الرياضية الجديدة التسليم ببقاء الحياة بعد الموت كحقيقة علمية مقررّة ، واضعاً فيها نظريات أصيلة اجتذبت انتباه العلماء في جامعي لندن وإكسفورد لتحقيق مدى صحتها ، فنجحت جزئياً ولا تزال قيد البحث العلمي . وأهم مؤلفاته فيها : تجربة مع الزمن ،^(١) (١٩٢٧) و الكون المتعاقب ،^(٢) (١٩٣٤) و الخلود الجديد ،^(٣) (١٩٣٨) و لا شيء يموت ،^(٤) .

جورج هنتنجر

من هؤلاء العلماء أيضاً الدكتور جون هنتنجر J. Heninger الذي ظل يجري بحوثه على السيكمترى « قياس الروح أو تعقب أثر الإنسان في الزمان والمكان » من سنة ١٩٣٤ إلى سنة ١٩٣٨ في الكلية الملكية King's College بجامعة لندن وفي عامي ١٩٤٥، ١٩٤٦ قام بسلسلة من التجارب الناجحة عبر المحيط الأطلسي في التلبائي السيكمترى Psychometric Telepathy بالتعاون مع « جمعية البحث الروحي الأمريكية » ، A.S.P.R. ثبتت منها صحة هذه المللكة العجيبة ، وفي هذه التجارب كلف أحد الأشخاص في نيويورك بأن يتصفح بعض المجلات والنشرات حين كان هناك وسيطان في لندن يفصل

An Experiment With Time. (١)

The Serial Universe. (٢)

The New Immortality. (٣)

Nothing Dies. (٤)

بين أحدهما والآخر عدة أميال ، فنجح كلاهما في الإنباء عما يفعله الرجل الأمريكي في نيويورك ، ولم يكن أى واحد من الوسيطين يعلم شيئاً عن طبيعة التجارب التى كان يساهم فيها . وأهم مؤلفات هتنجر « القوة الفوق المدركة »^(١) و « استكشاف القوة الفوق المدركة »^(٢) ، ثم « التلباى والروحية »^(٣) ، (١٩٥٢) .

الكساندر كانون

ومن هؤلاء العلماء نذكر الدكتور الكساندر كانون Alexander Canon وهو طبيب ودكتور فى الفلسفة ، وله عدة مؤلفات فى التنويم المغناطيسى والتحليل النفسى والأمراض العصبية ، وفى نفس الوقت من المعروفين ببحوثه الروحية . وأهم مؤلفاته فيها « قوة الكارما »^(١) ، (أو قانون العلة بحسب الـ بـير الـيوجى) الذى أعيدت طباعته تحت اسم « ظلال المصير »^(٢) . و « التأثير الغير المنظور »^(٣) . الذى ظهرت طبعته الأولى فى أكتوبر سنة ١٩٣٣ فلم يأت فبراير من سنة ١٩٤٨ إلا وقد ظهرت طبعته السادسة والعشرون . ثم ظهر له مؤلف قيم آخر يدور حول بعض الظواهر الواسطية وقوة الإرادة والجسد الأثيرى والخلود تحت اسم « القوة التى بالداخل »^(٤) ، وقد ظهر فى سنة ١٩٥٠ وطبع طبعته السابعة فى سنة ١٩٥٢ ، وذلك بالإضافة إلى مؤلف آخر له عنوانه « القوى الكائنة »^(٥) وآخر عنوانه « النوم خلال الفضاء »^(٦) .

- | | |
|---|-----|
| The Ultra — Perceptive Faculty. | (١) |
| Exploring the Ultra — Perceptive Faculty. | (٢) |
| Telepathy and Spiritualism. | (٣) |
| The Power Of Karma. | (٤) |
| Shadow Of Destiny. | (٥) |
| The Invisible Influence. | (٦) |
| The Power Within. | (٧) |
| Powers That Be. | (٨) |
| Sleeping Through Space. | (٩) |

هارى برايس

ومنهم هارى برايس Harry Price السكرتير الفخرى لجامعة لندن
ولمجلس التحقيق الروحى بها Council For Psychical Investigation
وقد كان فيما مضى من غلاة المعارضين للروحية ، لكنه بعد أن بحث الموضوع
بنفسه اضطر للتراجع وأصبح باحثاً ومؤلفاً ممتازاً .

وقام هارى برايس بإلقاء عدد من المحاضرات عن شتى موضوعات العلم
الروحى الحديث فى الإذاعة البريطانية B. B. C. ، منها إذاعات من « منازل
مسكونة » ، لإذاعة ما كانت تسجله الأجهزة المختلفة من تغيرات فى درجات
الحرارة ، وأصوات ، وتحركات غير معروفة المصدر . ولنا عودة إلى هذا
الموضوع الهام فى فصل على حدة من الباب المقبل .

ولهارى برايس عدد من المؤلفات فى العلم الروحى منها : « كشف وسيط
للروح » ^(١) بالاشتراك مع عالم الباراميكولوجى دنجوول E. J. Dingwall
واستلّا : بيان عن ظواهر فريدة فى البحث الروحى ^(٢) و « كتالوج مخزن
عن أعمال فى البحث الروحى » ^(٣) و « رودى شنيدر : امتحان على لوساطته » ^(٤)
و « بيان لتجارب لاحقة مع رودى شنيدر » ^(٥) و « صفحات من سجل
روحى » ^(٦) و « خمسون عاماً من البحث الروحى » ^(٧) ، (١٩٣٩) و « بحث

Revelations Of A Spirit Medium. (١)

Stella C. : An Account Of Some Original Experiments (٢)
In Psychical Research.

Short Title Catalogue Of Works On Psychical Research. (٣)

Rudi Schneider : A Scientific Examination Of His (٤)
Mediumship.

An Account Of Some Further Experiments With Rudi (٥)
Schneider.

Leaves From A Psychiatrist's Case — Book, (٦)

Fifty Years Of Psychical Research. (٧)

عن الحقيقة^(١)، (١٩٤٢) ، بالإضافة إلى عدد من المؤلفات عن المنازل المسكونة سنعود إليها فيما بعد .

المعمل الوطني للبحث الروحي

والكلام عن هاري برايس يجرنا حتماً إلى الكلام في «المعمل الوطني للبحث الروحي»^(٢)، الذي أسسه منذ سنة ١٩٢٥ وقد أصبح رئيسه الفخري فيما بعد لورد ساندز Lord Sander ومديره ه. ج. بوا H. G. Bois، وأخذ يصدر عدة مطبوعات دورية تتضمن نتائج بحوثه وتجاربه منها: «الجريدة البريطانية للبحث الروحي»^(٣)، و«مضابط المعمل الوطني للبحث الروحي»^(٤) ونشرات



أربع صور من داخل «المعمل الوطني للبحث الروحي» التابع لجامعة لندن

-
- Search For Truth. (١)
National Laboratory of Psychical Research. (٢)
13 Roland Gardens, Lodon S W. 7 وعنوان
British Journal of Psychical Research (bi — monthly) (٣)
Pocceedings of the N. L. P. R. (٤)

هذا المعمل ،^(١) وقد ضمت جامعة لندن هذا المعمل وزودته بالأجهزة اللازمة لتحقيق كافة الظواهر الوسيطة فاصبح أكبر معمل من نوعه في العالم ، ولا تضارعه إلا معامل الباراسيكولوجي في جامعة ديوك بأمریکا .

وأهم الوسطاء الذين خضعوا لبحوث هذا المعمل حتى سنة ١٩٣٨ هم : —

أرو ' وسطاء للظواهر الفيزيائية : Physical mediums : منهم جان جوزيك Jean Guzik (بولندي)^(٢) وستلا . ك Stella C. وويلي شنيدر Willi Schneider (ألماني) ورودي شنيدر Rudi Schneider (ألماني) وستاينيسلاف . ب . Staris'awa P. (بولندية) وويليام هوب W. Hope (وسيط بريطاني للتصوير الروحي)^(٣) وجورج موس G. Moss (وسيط آخر للتصوير الروحي) وماريا سيلبرت M. Silbert (من جراز) وفريدا ويلز F. Weisl (من جراز) وجي ليسترانج Guy L'Estrange وإينر نيلزن Einer Nielsen (وسيط تجسد دائم كي)^(٤) وأنا راسموسن Anna Rasmussen (دائمة ركبة) وستارجس E. M. Sturgeess واليونور زوجون Eleonore Zugun (من فينا) ودوجلاس درو Douglas Drew وهربرت دير Herbert Dyer ومارجري (العجيبة الثامنة)^(٥) وفردريك ماننجز F. Munnings وهيلين دنكان H. Duncan وباسكال إرتو Pasquale Erto وفرانك دكر F. Decker (وسيط تجسد أمريكي)^(٦) وميسز هندرسون

Bulletins of the N. L. P. R.

(١)

(٢) لنا عودة إليه عند ما نتكلم في الجسد الاثري عند الإنسان والحيوان .

(٣) لنا عودة تفصيلية إلى وساطة الصور الروحية في الفصل الذي عنوانه « تأثير العقل المباشر في المادة » .

(٤) راجع ما سبق عنه ص ١٢١ وما سبيل عنه في الفصل الأول من الباب الرابع .

(٥) راجع ما سبق عنها ص ١٢٩ — ١٣٤ .

(٦) راجع ما سبق عنه في ص ١٧١ على لسان إدوين لردريك باورز .

Henderson و كلود بيشوب C. Bishop (أودولوريس) و ماتيلدا سكرزيتوسكا M Skrzetuska ولورا برودن Laura A. Pruden وهارولد ليفانز H. Evans وإيرفينج Irving (وسيلة للتصوير الروحي) و كارنيجي Carnegie .

ثانياً : وسطاء لنظواهر العقلية Mental Mediums : منهم أييه لامبرت Abbé Lambert وجورج فالبانتين G. Valiantine (وهو وسيط للصوت المباشر أيضاً) (١) وأنا ييلش Anna Pilch (بولندية) وانجبورج داهل Ingeborg Dahl (نرويجي) وبياتريس هاستنجز B. Hastings وسان جون جيمس وفلورنس كنجستون F. Kingstone و ج. م. لوز G. M. Laws وفوت يترز Vout Peters وإيلين جاريت Eileen Garrett (٢) وكليز كانتون Claire Cantlon وفراولن ستيف بريشا F. S. Breicha وسورانا هاريس كاي S. Harris — Kaye (أمريكية) وأوجيني بيكار E. Picquart (فرنسية) ودكتور آرثر لينش A. Lynch والسيدة س (إيطالية) وفراولوت بلات Fraw Lotte Plaat وجان لابلاس J. Laplace (فرنسية) وفراو ليبرمان Frau Libermann (ألمانية) وستاهل رايت Stahl Wright وماريون Marion وجين دنيز Gene Dennis ومالويتز Maloitz .

وقد ساهم في نشاط هذا العمل عدد من أفضل علماء القرن الحالي وأساتذة الجامعات وأعضاء الأكاديميات ، من أعلام النفس والفيزياء والطب والفسولوجيا ، ومن دول متعددة، سواء كأعضاء في مجلس إدارته أم محاضرين أم مراسلين أم باحثين ومنهم : سير ريتشارد جريجوري R. Gregory وويليام مكندوجال (٣) ودكتور تليارد وماكبريد ولورد رايلي (٤) وأندراد C. Andrade

(١) لتأعودة إليه في الفصل الرابع من الباب الرابع على لسان عالم النفس الإيطالي لارنتو بوزانو .

(٢) راجع ما سبق عنها في ص ١٦٦ .

(٣) راجع ما سبق عنه في ص ١٧٤ .

(٤) راجع ما سبق عنه في ص ٢١٤ .

وبوسفيلد Bousfield وهيرون ألن Heron Allen ورائكين Rankine وسير وليام باريت^(١) وجولييان هكسلي Julian Huxley وهانز دريش Hans Driesch (الفيلسوف وعالم النفس النمساوي) وجود C. F. M. Joad (فيلسوف معاصر) ودارسونفال D Arsonvol^(٢) وفردريك شيلر ووليام براون^(٣) (عالم نفس معاصر) وفلوجل (عالم نفس معاصر)^(٤) ودنچوول وعشرات من أبرز العلماء في إنجلترا وفرنسا وألمانيا والنمسا وإيطاليا وأمريكا والسويد واليونان ، ممن يضيق المقام عن ذكرهم جميعاً هنا^(٥) .

ونكتفي بهذا القدر من أسماء العلماء والهيئات العلمية التي ساهمت بنصيب ملحوظ في تطور البحث الروحي وتقدمه في إنجلترا ، كيما ننقل إلى الكلام في دور رجال الفكر والأدب .

دور المفكرين والأدباء

ثم يحى دور المفكرين والأدباء ، ممن عرفت لهم البيئات الأدبية حق قدرهم ومكاثتهم من الناحيتين الثقافية والخلقية . فلانكاد نجد في إنجلترا أديباً كبيراً ولا صحفياً مرموقاً إلا وقد أدلى بدلوه في موضوع الاتصال بالآرواح وانتهى إلى الاقتناع بصحته ، بعد بحث وتجربة ، بما أدى إلى أن يمسك القلم ويعلم رأيه جهاراً . ومنهم من شعر بخطورة هذا الموضوع وبفائدته العظمى للناس فكرس الشطر الأكبر من جهده وماله لنشر المعرفة الروحية بين مواطنيه ، غير عابئ بسخرية الساخرين من الجبهة وما كان أكثرهم ، خصوصاً عندما كانت

(١) راجع ما سبق عنه في ص ٢١٢ .

(٢) لنا عودة إليه في الفصل المقبل .

(٣) راجع ما سبق عنه في ص ٢٠٦ .

(٤) راجع ما سبق عنه في ص ٢٠٧ .

(٥) المزيد من نشاط هذا العمل راجع هاري برايس في مؤامره : Fifty Years of

Psychical Research ص ٣١٧ وما بعدها .

الكشوف الروحية في مهبها لا يعرف أغلب الناس عنها شيئاً بعد .

وليام ت . ستيد

فن أوائلهم اسم لامع في تاريخ الصحافة والروح معاً هو سير وليام ت . ستيد William T. Stead (١٨٤٩ - ١٩١٢) الذي كان تقيماً للصحفيين ومديراً ، لمجلة المجلات ، Review of Reviews وكان هو نفسه وسيطاً

لروح تدعى أمس جوليا Ames Julia طلبت منه أن يفتح مكتباً للاتصال بالأرواح مجاناً ، فافتتحه في سنة ١٩٠٩ تحت اسم مكتب جوليا Julia's Bureau . وقد أملت عليه الروح جملة خطابات عن عالم الروح نشرت لأول مرة تحت عنوان « خطابات جوليا » (١) في سنة ١٩٠٨ وأعيد نشرها في سنة ١٩٥٢



وليام ت . ستيد

بمعرفة « نادى الكتاب الروحي » (٢) ، بعد إضافة عدة خطابات جديدة تحت عنوان « بعد الموت » (٣) وقد ترجم هذا الكتاب إلى أغلب لغات العالم وترجم حديثاً إلى اللغات اليابانية واليونانية والبولندية .

ولم يكن اقتناع ستيد بافتتاح هذا المكتب أمراً هيئاً ، فقد ظلت روحه المرشدة تلح عليه لمدة سنين عديدة مبينة له المزايا التي تعود على الإنسانية منه ، ومحاولة أن تذلل الاعتراضات التي كان يثيرها ذهنه على هذا المشروع الخطير في عصر مادي صرف ، ومن أقوال جوليا في هذا الصدد :

Letters From Julia.

(١)

Psychic Book Club.

(٢)

After Death.

(٣)

وإنكم فى اشتياق لأن تقيموا قنطرة — كما تصف — بين العالمين ، ونحن أكثر منكم اشتياقاً ، ولكن عندما نقول ذلك هل تدرك كل مغراه ؟ وما هو الأثر المترتب على تحقيقه ؟ إن اقتناعى يتزايد يوماً بوماً بأن ثبوت هذه الحقيقة ، وتوافر اليقين بالصلة بين عالمنا وعالمكم يمكن وصفه بدون أدنى مبالغة بأنه أخطر شىء فى كل ما أمكن الإنسان الفانى أن يحققه من أشياء . فلا يوجد ما يعادله بالنظر إلى الأثر البعيد المدى الذى سيحدثه فى جميع الأمور فإنه سيغير التفكير ، والتفكير هو الذى يصنع العالم الذى فيه نحيون . ولا يمكن لأى شخص أن يقدر مدى صدق ذلك طالما كان غارقاً فى المادة .

إن ذلك سيغير بؤرة الحياة نفسها ، لأنها فى الوقت الحاضر تنحصر — بالنسبة لغالبية الناس — بين الولادة والوفاة . فهذه البؤرة ستتغير عندما يصبح من الحقائق الثابتة علماً أننا نحيا هنا ويمكننا الاتصال بهم ، ولا يعود ذلك مجرد احتمال . وإذا ما غيرتم بؤرة الحياة فقد غيرتم مفاهيم جميع الأشياء . . . هذه المفاهيم التى تبدو الآن صحيحة لأن بؤرة الحياة محدودة بحدود ضيقة ، لكن ان تصبح كذلك عندما تصبح هذه البؤرة لا حدود لها .

إن التغيير الأساسى الذى سيحدثه «مكتب القنطرة» The Bridge Bureau الذى تريد إنشائه ، هو زيادة الإحساس بمسئولية الحياة إلى مدى لا يمكن تصوره . قد تظن أنه من الغريب أن يكون التحقق من الحياة الأخرى سبباً فى ازدياد أهمية الحياة الأولى ، لكن هذه هى الحقيقة ، ولا يمكنكم أبداً أن تقدروا مدى أهمية حياتكم إلا إذا نظرتُم إليها من هذا الجانب . فأنتم لستم بعيدين عن التأثير فى الأبدية ، وليس ذلك تعبيراً مجازياً . لأنكم تصنعون هذا العالم الذى نعيش فيه فى العالم الذى فيه نعيشون ، وذلك إلى مدى يتجاوز بكثير ما يمكنكم أن تتخيلوه .

إنكم تصنعون حياتكم الأخرى ، نعم وتصنعون حياتكم هنا يوماً
فيوماً ، وساعة فساعة . . وإيضاح هذه الحقيقة هو النتيجة المكتبة القنطرة .
قد تقول إن هذه هي حقيقة جميع الأديان ، لكنكم لا تهملونها ، وغالباً
ما تتجاهلونها ، فإذا ما أمكننا الاتصال بكم دائماً فليس بمقدوركم أن تتجاهلوها
بعد الآن ، لأنه لا يوجد تحول فجائي . فأنتم هنا كما كنتم هناك ، ولا يوجد
انقطاع في الاستمرار . فأنتم تبدأ هنا ما تركته هناك ، وما أنت عليه
تظل عليه .

فنتيجة هذا المكتب هي في رأي تعميق الإحساس بمسؤولية الحياة إلى
مدى بعيد وتقويته ، وهذا أمر مفيد بغير شك . فإن هذا الإحساس يحتاج
إلى تقوية ستجدون أننا نحن الذين على هذا الجانب ، والذين أمكنهم
أن يروا ويشعروا ويعلموا أن الله محبة سيخبرونكم أن هذه المحبة هنا كما هي
عندكم ليس من طبيعتها أن تمحو الألم والأسى ، وكل ما ينجم عن نقص الإنسان
من آثار . فلم نصل إلى الكمال بعد بل نتجه فقط نحو ندائنا الأسمى هنا كما هي
الحال عندكم .

فهل تظن أننا قد وصلنا إلى التمتع بمجد الله كاملاً لجرد أن بيت خيمتنا
الأرضي قد نقض ؟ قطعاً لا ، فإذا ما سقط رداؤنا الأرضي فإننا نبقى أحياء .
وزيادة هذا الإحساس بالبقاء ، وبحقيقة سيادة الناموس ، وبالمسؤولية عن
الوقت الذي أمضيته إزاء الأبدية ، بكل ما يتضمنه ذلك من معان ، هذا هو
التعبير العظيم الذي يمكن للمكتب أن يقوم به .

ستكون : جديدة الحياة ، محددة وعظيمة ، ستصبح الحياة أكثر جدية
بكثير مما هي الآن . ولن يوجد فيما بعد هذا العزاء الوهمي الذي تسرب إلى
الكثيرين بأن الموت ينهي كل شيء ، فالموت لا ينهي شيئاً بل تبدأ به أشياء
وأشياء . ولا تدعى أخيب أملك ، ففي هذه الأشياء الجديدة من خير أكثر
مما فيها من شر . وإذا أضاف المكتب إلى تعاسة أولئك الذين لا يعرفون
الله اليقين بأنه لا فرار منه — ولا حتى في القبر — فإنه سيجعل من الكون

كله معبداً لله تتوافر محبته حيثما توافر الهواء والضياء . .

ثم تتحدث جوليا عن احتمال تداخل بعض الأرواح الشريرة قائلة :
« إن هدف الحياة هو أن نناجى الله الذى فىنا وننميه . وذلك لا يتحقق
بأن تسمح لغيرك أن يوجهك الوجهة التى يريد بها ، لكنك ستجد أن الهدف
الذى رسمه الأب لا يمكن أن يفسده جنون الأبناء على هذا الجانب أو ذاك .
إن هاته الأرواح التى ستحاول أن تتدخل أكثر مما ينبغى لتفسد عملنا
ستهرب منا وستخرج خارجاً ، ويضيع سلطانها ، وهكذا ستسير الأمور
فى طريقها الصحيح فى النهاية . »

كما ستجد أيضاً أن ثمت أضراراً ستحدث من أن أشخاصاً فى حياتكم
الأرضية سيحاولون أن يجعلوا أفكارهم تصاغ لهم هنا بواسطة ، كما يوجد
هنا آباء كثيرون وآخرون على هذا الجانب يعيشون فى لطفة إلى أن يواصلوا
استعمال سلطانهم على أولادهم الذى فقدوه بالانتقال . . . فلم إذا تجدنى
مهمته بإنشاء هذا المكتب كما تقول ؟

إنى مهمة بذلك لأن فوائده ستكون أعظم بكثير من أضراره . فإذا
أردت أن يكون عندك تليفون فليس معنى ذلك أنك تريد أن يطلبك الناس
دائماً أو أن يخبروك بما ينبغى عليك أن تفعله ، إنه على هذا الوضع يصبح
محض ضرر ، وهكذا يمكن أيضاً أن يصبح مكتبى . فإذا ما أمكنك أن تحقق
الاتصال لمجرد إثبات أن الحياة مستمرة وأن الحب باق ، وأن العالم الآخر
على صلة بعالمكم . . . ألا يكفى ذلك ؟ .. لو أن ذلك كان كذلك فحسب ، ولاشئ
غيره ، لاستحق العناء لكى يعود قويا الشعور بالعالم غير المنظور وحقيقة المحبة
الخالدة . إن ذلك يكفى ،^(١)

كما تقول أيضاً نفس الروح : « لن تأتى أى روح فى أية درجة من درجات
التقدم للاتصال عن طريق مكتبك إلا كما تؤكد لكم أنه لا توجد أية لحظة

توقف في دوام الوجود الإنساني . سيقولون جميعهم لك إن الموت انتقال أكثر منه تحول . ورغم أن الانتقال هام فإنه لا يهدم حياة الروح في أى معنى من المعانى . جميعهم سيقولون لك ذلك . وجميعهم سيشهدون بالواقع ، وهو أنهم ظلوا يواصلون الوجود في حياة واعية لا يفصلها أى حاجز عن الحياة السابقة . بغير شك يوجد تغيير ، لكنه تغيير في ظروف الحياة أكثر منه في صفات الإنسان . والذاكرة تبدو أكثر سرعة لا خمولاً ، والعقل يبدو أقوى بصيرة . .

لن تأنى إليك روح واحدة إلا كما تقرر لك أن المادة التى تغمركم محض بخار ووه من صنع العقل يضع مع الموت ، أما الروح فهى الحقيقة الوحيدة سواء أكانت فى الجسد أم خارجه ، وهذه هى الروح التى تحيا ثم تموت . وهذان الشيطان : وهما دوام الإحساس الواعى بالذات ، وفراغ المادة معروفان عندهم ، وهما حقيقتان كونيتان . . فحينما كما قلن يحدث خطأ فى هاتين النقطتين . ،^(١)

وهكذا ظلت جوليا تلح بعشرات من الخطابات الرائعة على وسيطها ستيد - ولمدة زهاء أربع سنوات - كما يقبل أن يفتح « مكتب القنطرة » ، هذا الذى افتتحه فى النهاية تحت اسم « مكتب جوليا » ، بعد تردد كبير ومناقشات طويلة بينهما .

وكان ستيد ينفق على « مكتب جوليا » ، حوالى ألف وخمسمائة جنيه سنوياً لمجرد نشر الدعوة الروحية التى وهب لها جزءاً كبيراً من ثروته العريضة . كما أنشأ لها مكتبة عامة وكان انضمامه إلى الحركة الروحية ودفاعه عنها كسباً كبيراً لها ، لما كان يعرف عنه من نضج عقلى . ومن بليان خلقى متين دفعه إلى أن يرفض تنفيذ وصية اللورد الأثرى

(١) « بعد الموت » After Death المرجع السابق طبعة ١٩٥٢ ص ٦٧ — ٨٢ .

سيسيل رودس ، لأنه وجد فيها شرطاً يخالف مبادئه الخلقية رغم ما كانت ستدره عليه من دخل سنوى كبير .

وكان يصدر أيضاً جريدة ربع سنوية متخصصة في موضوع الأرواح اسمها « الأرض المجاورة »^(١) ظلت منتظمة لمدة أربع سنوات ، ابتداء من سنة ١٨٩٤ وصدر آخر أعدادها في أكتوبر سنة ١٨٩٧ ثم توقفت بعد ذلك بتوقف رسائل روجه المرشدة لفته من الوقت . ثم عادت الصلة من جديد بين ستيد وروجه المرشدة ، وظل على صلة وثيقة بها عن طريق الكتابة التلقائية . وآخر رسائلها له كانت في ١١ أكتوبر سنة ١٩٠٨ ، أى أن صلتها ظلت قائمة لمدة حوالى خمس عشرة سنة . وبعد انتقاله التقى بها هناك وأخذوا يواصلان معاً إرسال الرسائل من جديد إلى هذا المكتب الذى أعيد افتتاحه فى سنة ١٩١٤ تحت اسم « مكتبة ستيد ومكتبه » W. T. Stead Library And Bureau . وكان عنوانه حتى سنة ١٩٢٧ هو ٥ ميدان سميث بلندن 5, Smith Square .

وقد انتقل ستيد إلى عالم الروح فى حادثة غرق الباخرة تيتانيك فى شهر أبريل من سنة ١٩١٢ . وظل بعد انتقاله يرسل عالم المادة بخطابات كثيرة ، وبكتاب كامل أملاه على الوسيط بارودى ودمان عنوانه « الجزيرة الزرقاء »^(٢) ، وقد ترجمه إلى العربية الأستاذ عبد الحميد فهمى مطر تحت عنوان « ميت يتكلم » .

وقامت بنشر هذا الكتاب كريمته استيل ستيد بمقدمة من سير آرثر كونان دويل يشهد فيها — كناقد أدبى — بمطابقة أسلوب الكتاب لأسلوب ستيد ، ومعه صورة روحية التقطت له فى دائرة كرو فى سنة ١٩١٥ . وسنعرض على القارئ بعض صفحات من هذا الكتاب الرائع فى الجزء الثانى فى الفصل الذى خصصناه لوصف عالم الروح ، ثم فى الفصل الذى خصصناه لمشكلة الخلق والضمير ، كما نبين كيف يعالج ستيد دور الضمير

Borderland.

(١)

The Blue Island.

(٢)

هناك — بعد إذ لمس نفسه — بطريقة الكاتب القدير والإنسان
اليقظ الضمير .

آرثر كونان دويل

ومن هؤلاء الكتاب سير آرثر كونان دويل Arthur Conan Doyle
الذى كان طبيباً وفي نفس الوقت أديباً وخطيباً وقصصياً ذائع الصيت . ولعل
كثيراً من القراء قرأوا له بعض قصصه عن شارلوك هولمز والدكتور واطسن،
وكان يتحدث فيها أحياناً عن الأرواح والأشباح ، لأن له تجارب معها
دامت أكثر من الثلاثين عاماً ودفعت دويل إلى تأليف كتبه في الأرواح التى
أهمها: والوحى الجديد،^(١) (١٩١٨) و الرسالة الحيوية،^(٢) (١٩١٩) ثم مغامرتنا
الأمريكية،^(٣) (١٩٢٣) ومغامرتنا الأمريكية الثانية،^(٤) (١٩٢٤) وفيهما مجموعة
خطب ومحاضرات كان قد ألقاها في أمريكا عندما زارها داعياً لهذا الموضوع .
ثم كتاب «البينة على التصوير الروحى»^(٥) (١٩٢٤) و تاريخ الروحانية،^(٦)
في جزئين كبيرين (١٩٢٦) وكتاب «جولات روحى»^(٧) (١٩٢٦)
و «قدوم الجنيات»^(٨) فضلاً عن بعض القصص الروحانية مثل قصة «أرض
الضباب»^(٩) (١٩٢٦) .

كما قام دويل بنشر عدد من الكتب والرسائل الواردة من
عالم الروح ، منها مثلاً «القارىء الروحى»^(١٠) الذى قدم له بمقدمة يقرر

The New Revelation.	(١)
The Vital Message.	(٢)
Our American Adventure.	(٣)
Our Second American Adventure.	(٤)
The Evidence For Spirit Photography.	(٥)
The History Of Spiritualism.	(٦)
Wanderings Of A Spiritualist.	(٧)
The Coming Of The Fairies.	(٨)
The Land Of Mist.	(٩)
The Spiritualist's Reader.	(١٠)



آرثر كونان دويل

فيها أن القارىء سيؤخذ ولا شك بالمستوى الرفيع لهذه الرسائل ، وبتوافقها الواضح في السكليات مع أنها استمدت من مصادر متعددة .

وقد قام دويل بدور هام في إنشاء الكلية البريطانية للعلم الروحي^(١) ، بالاشتراك مع سير وليام باريت ، الذى تحدثنا عنه آنفاً ، وكان مديراً لها في وقت ما .

واختير عضواً منذ سنة ١٩٠٢ في جمعية البحث الروحي S. P. R. ، التى تحدثنا عنها أيضاً ، وأصبح رئيساً شرفياً منذ سنة ١٩١٥ للاتحاد الدولى للروحيين^(٢) ، ورئيساً شرفياً للاتحاد الاهلى للروحيين ، بلندن^(٣) ، والاتحاد اللندنى للروحيين^(٤) .

وقد تأثر دويل بويلات الحرب العالمية الاولى إلى المدى الذى دفعه إلى أن يهب للدعوة الروحية بقية حياته ، إيماناً منه بأنها دعوة سلام ومحبة وإخاء بين جميع الاجناس والأوطان والأديان . فأخذ منذ سنة ١٩١٨ يلقي المحاضرات تباعاً في موضوع الاتصال بالارواح هذا وثبتت الحياة بعد الموت . فسافر إلى استراليا ونيوزيلندا لهذا الغرض في سننى ١٩٢٠ ، ثم إلى أمريكا في سنة ١٩٢٢ ، ثم إلى أوروبا وجنوب أفريقيا في سنة ١٩٢٨ .

British College Of Psychic Science. (١)

International Spiritualist Federation. (٢)

ومقره الرئيسى بباريس Rue Copernic 8 وله فروع في شتى أنحاء العالم .
Spiritualist National Union. (٣)

London Spiritualist Alliance. وعنوانه (٤)

16, Queensberry Place, South Kensington S. W.

وأصبح - بسبب رحلاته هذه - يطلق عليه لقب « قديس بولس الروحية »، إذ أن القديس بولس معروف أيضاً برحلاته الكثيرة بين الرومان واليونان لتعريفهم بعقيدته الجديدة .

وبالإضافة إلى نشاطه في البحث والتأليف والخطابة ، أسس دويل في سنة ١٩٢٥ المتحف الروحي بلندن Psychic Museum كما تعرض فيه صور فوتوغرافية للأرواح ولوحات وكتابات للوسطاء الروحيين ، ومجلوبات روحية ونماذج من تجسيدات الأيدي والأعضاء وغير ذلك ، على أن تقدم من هيئات موثوق بها ، وهو متحف دائم ويعتبر الوحيد من نوعه في العالم وملحقة به مكتبة روحية^(١) . وقد انتقل دويل إلى عالم الروح في سنة ١٩٣٠ .

وبعد انتقاله ظل يشرف على بعض الدوائر الروحية وتلقى منه الكثير من معلومات هامة دقيقة ، كما أمكن لبعض الباحثين أن يلتقط له صوراً . ومن هؤلاء الأسقف شارل تويدل Charles Tweedale رئيس أساقفة يوركشير الذي نشر صورة له التقطها بنفسه - وفي داخل منزله - وبوساطة زوجته وكريمته ، كما نشر أنباءه في مؤلف عنوانه « أنباء من العالم الآخر »^(٢) ، ومعه صور كثيرة لأشخاص آخرين مع أنبائهم هم أيضاً .

كما فعل مثل ذلك الأستاذ وارريك Warrick الذي نشر أنباء أخرى لدويل مع مناظر متعددة لعالم الروح أرسلت بمساعدته في مؤلف له عنوانه « تجارب في الروحيات »^(٣) قدم له سير أوليفر لودج شاهداً بدقة المؤلف ، وبطريقته الجادة الآمنة في البحث الروحي . فما رأى السادة المعارضين

(١) وعنوان هذا المتحف كالآتي :

Abbey House, Victoria Street, Close to Westminster Abbey.

News From The Next World.

(٢)

Experiments In Psychics

(٣)

حتى الآن ؟ .. إن البينات كثيرة وأكثر بكثير مما يلزم للراغب في الاقتناع الموضوعي المحايد .

كذلك أملى كونان دويل بعد انتقاله على الوسيطة جريس كوك رسائل كثيرة تتميز كلها بنفس أسلوبه الجذاب وطريقته الشائقة المعروفة التي يعرفها أى ناقد أدبي وفي بعضها يقول : « وُصفت أثناء حياتي الأرضية بأننى صاحب رسالة ، وما أنا مازلت أتم هذا العمل لسكان الدنيا ولو اختلفت الوسائل عن تلك التي تعودت اتباعها . ما أصعبها من مهمة ، مهمة الاتصال مع الأرض وسكانها ! إن كل شيء يختلف عما كنت أنتظره ...

عندما ينتقل المرء من العالم الكوكبي يخلع المحارة أو الرداء الذي كان يضم النفس عند حياتها الأرضية هذا الرداء يظل في العالم الكوكبي الذي نموت فيه (يتحدث عن المرة الثانية) لكي نرتفع إلى حياة روحية حققة ... ويجب أن ندرك أن نسبة كبيرة من الناس الذين يعيشون في العوالم الكوكبية ليست لهم رغبة بالمرّة في العودة إلى الأرض لأنهم لم يعودوا يهتمون سواء بتقدمها أم بالناس الذين تركوهم عليها . وهذا هو السبب في أنه لا يجب على كل إنسان أن يبحث أو يحاول الاتصال بالقوة بين عالمه والعالم الذي تسمونه عالم الأموات .

إن الروحية في العالم ينبغي أن تتطور في المستقبل . ينبغي أن تتغير من حالتها الراهنة من اللام والمداعبة بين الإنسان والنفوس المنتقلة ، حيث تثار فيها الذكريات الشخصية المتع والحوادث الدنيوية ، إلى تفاهم أتم بين النفوس يؤدي إلى التعرف على الحاجيات الروحية لكل نفس .

إنى أريد أن أكشف لكل أصدقائي بكل ما أوتيت من قوة روحية الحديثة الانطلاق عن الرجل الجديد الذي هو دويل . إنى لم أعد أهتم بعد بكل تفاصيل الحياة الدنيوية ، اللهم إلا إذا كانت هذه تؤثر في التقدم (م ١٦ — الإنسان روح)

الروحى للشخص المقصود . وليس فى إمكانى مساعدة شخص على النجاة بإخباره بالأسس التى تقوم عليها الحياة الروحية .

« نعم نعم إن دويل القديم يبدو أنه انتقل ولكن سوف أبرهن لكم جميعاً أننى عندما أموت أعيش من جديد ... نعم وأنه ليس هناك طلاء يترك على الإنسان عندما يمر من الموت الثانى ، فروح الصافية هى التى تبقى بعد تلك التجربة العليا ، آه ولكن تلك هى اللحظة الثانية بالنسبة لى . وعندئذ أصبحت داعياً لشيء واحد فقط ، ويا للعجب لشيء واحد فقط ، وهو اللانهاية الكلية لمحبة الله لى ولكل البشر .

« وفى تلك اللحظة العليا أدركت أنه لا يوجد شيء اسمه الوجود المنفرد عن الله ، لأنه فى تلك اللحظة تموت الشخصية التى تفصل الإنسان عن الله وتولد له شخصية من جديد . لقد رأيت أمامى كتلة متدفقة من الحياة ومن الوجود الروحى الذى انتقلت إليه كل نفوس البشر الذين عاشوا فى طهر وفى إنكار للذات .

« إنى لا أريد إفساد معتقداتكم فى الروحية ، وإنما أحاول وضع فهم أكثر عمقا وحكمة ودقة للحق المبين للحياة بعد الموت . إن بعض الذين ينتقلون من عندكم يكونون فى حالة إنهاك عقلى وروحى ، وبذا يعيشون أزمان طويلة كما لو كانوا فى حلم ، وبعض النفوس الأخرى يخترق العوالم السفلية بسرعة ويرمى بالجسم الكوكبى الثقيل ثم يدخل ملكوت السموات .

تذكروا أنه فى حالة وعى كهذا فقط تواجه النفس البشرية بحكمها أو بالله ، وعندما تواجه بهذا الحكم الذى ما هو إلا إدراك النفس على حقيقتها يصبح الإنسان قادراً على النظر فى أعماق ذاته مرة واحدة وإلى الأبد ...

... أنا لا أحب أن أتكلم الآن بلفظ « أنا » ، لقد أصبحت « نحن » ، بدلا منها ، وهذا هو شعور كل من يدخل إلى مملكة الحياة الروحية حيث

لا انفصال بينه وبين إخوانه ولا بينه وبين الله . عندئذ سوف يعلم الإنسان أنه لا يستطيع التفكير أو الكلام أو العمل منفرداً بنفسه، لأن كل فكرة أو كلمة أو عمل له تأثير في المجموعة كلها ... (١)

هذا وقد أذاعت محطات الإذاعة في بريطانيا وأستراليا في سنة ١٩٥٣ خطبة كاملة لروح سير آرثر كونان دويل مسجلة على شريط عن طريق وساطة الصوت المباشر استغرقت إذاعتها مدة خمس وأربعين دقيقة .

إرنست أوتن

كان الأديب الكبير إرنست أوتن Ernest Oaten هو المساعد الأيمن لسير آرثر كونان دويل أثناء حياته في الدعوة للروحانية الحديثة ، وكان المنظم لرحلاته في البلاد المختلفة . ويرجع إليه جزء كبير من الفضل في إنشاء ، الاتحاد الوطني للروحانيين ، Spiritualist Natinal Union ، الذي أصبح رئيسه في سنة ١٩١٥ . وفي سنة ١٩١٩ تولى رئاسة تحرير جريدة العالمين The Two Worlds الروحية وظل يشغل هذا المنصب حتى سنة ١٩٤٥ حين خلفه فيه إرنست تومسون Ernest Thompson الذي سنشير إليه فيما بعد .

وقاد أوتن حملة في البرلمان البريطاني في سنة ١٩١٦ للاعتراف بالوساطة الروحية وتنظيم ممارستها، كما دافع عن قضاياها في كل مناسبة، ومثل الروحية في اللجنة التي شكلها أسقف كنتربري ، وقام بإلقاء عدة محاضرات في الإذاعة البريطانية عن موضوع الأرواح . وينظر إليه هناك كرائد للتفكير الروحي وفلسفاته .

ألفرد كيتسون

من يمكن عدم من الرواد الأوائل للحركة الروحية في إنجلترا ألفرد كيتسون Alfred Kitson (١٨٥٥ — ١٩٤٣) . وقد حمل لواء الدعوة

(١) ترجمة الدكتور علي راضي في « أرواح مرسله » ص ٧٨ — ٨١ .

لنشر المعرفة الروحية بين الأطفال والأولاد، وكان ذلك قد بدأ فعلاً منذ سنة ١٨٦٦ عندما افتتح ج. هيتشكوك J. Hitchcock أول مدرسة روحية للأولاد. ثم بافتتاح مدرسة ساوربي Sowerby Bridge Lyceum



ألفريد كيتسون

في سنة ١٨٧٠ فدعا كيتسون لإنشاء مدارس مماثلة للأطفال حتى تعدهم الإعداد الروحي المطلوب، كما يحسنوا فهم الحياة على المستويين الأرضي والروحي أيضاً، وبدأ منذ سنة ١٨٨٢ في تدريس الروحية في مدرسة باتلي كار Batley Carr Lyceum ووضع لها منهاجاً مماثلاً للمنهاج الذي وضعه لمثل هذه المدارس في أمريكا رائد

الروحانية أندرو جا كسون دافيز A. J. Davis (١).

وقد نجحت حركة إنشاء مدارس روحية في مستوى المدارس الثانوية للأولاد والبنات إلى الحد الذي اقتضى عقد مؤتمر في برادفورد في سنة ١٨٨٦ حين ظهرت الحاجة إلى كتاب مناسب يدرس في هذه المدارس A Lyceum Manual والتي تبلورت عن ظهور هذا الكتاب من تأليف كيتسون وكيرزي Kersey في سنة ١٨٨٧ .

وبفضل جهود كيتسون أيضاً تأسس «الاتحاد البريطاني للمدارس الروحية»^(٢) بمدينة أولدهام في سنة ١٨٩٠ وظل كيتسون سكرتيراً لهذا الاتحاد لمدة تسعة وعشرين عاماً . ويوجد هناك من يطالب بجعل العلم الروحي إجبارياً في جميع المدارس . وذلك إيماناً منهم بأن التعليم الذي

(١) راجع ما سبق عنه في ص ١٠٢ .

(٢) The British Spirituallist's Lyceum Union.

لا يكشف عن الروح ، ولا يمهّد للإنسان أن يعرف نفسه جيداً ، إنما هو تعليم ضال يقوم به عميان يقودون عمياناً . ولأن الطفل الذي يلقي أن الإنسان مجرد حيوان راق لن يحاول استطلاع نفسه في المستقبل ، ولن يحاول التسامى إلى مستواه الحقيقي الذي أعدته له طبيعته الروحية الحقة .

هانس سوافر

من الكتاب البريطانيين أيضاً هانس سوافر Swaffer Hannen الذي كان مثل سلفه ستيد نقيباً للصحافيين هناك . وقد افتتح بصحة موضوع الأرواح بعد جلساته مع وسيط الصوت المباشر دنيز برادلي Dennis Bradley في سنة ١٩٢٤ . ومنذ هذا التاريخ أخذ يواصل البحث ويعقد جلسات دورية منتظمة في منزله إلى حين انتقاله . وكان من أهم وسطائها موريس باربانيل Maurice Barbannell الوسيط للروح الحكيم سيلفر بيرش Silver Birch (أي الشجرة الفضية) وهي التي كانت تتولى الإرشاد الدائم في دائرة هانس سوافر المنزلية^(١) .

وشأن آرثر كوانان دويل كان هانس سوافر خطيباً مفوهاً أخذ على عاتقه أن يحاضر في الأرواح جااعلامها موضوعاً شعبياً . وبعد انتقال دويل ، إلى عالم الروح انتخب هانس سوافر خلفاً له كرئيس شرفي للاتحاد الوطني للروحيين S. N. U. .

وكان هانس سوافر اشتراكياً متحمساً لاشتراكيته ، معتقداً أن الروحية والاشتراكية مذهبان يكمل أحدهما الآخر . وكانت مكانته في الحركة الاشتراكية ذات قيمة كبرى في الكفاح لأجل الحرية الدينية في البلاد الاشتراكية .

ومؤلفاته في موضوع الأرواح : عودة نورثكليف^(٢) ، (١٩٢٤)

(١) راجع عن هذه الدائرة كتاباً مؤلف بدعي أوستن عنوانه :

W. Austen : Home Circle (of Hannen Swaffer).

Northcliffe's Return.

(٢)

وفيه يتحدث عن عردة روح ، ملك الصحافة ، و مغامرات مع الإلهام^(١) ،
(١٩٢٩) ، و دراسات في السيكولوجيا^(٢) ، (١٩٣٣) و قصتي العظمى^(٣)
(١٩٤٤) . كما ظهر له مؤلف آخر عنوانه أحاديث مع الموتى^(٤) . هذا وقد عقد
اليويل المئوى للعلم الروحي احتفاله التاريخي بقاعة ألبرت تحت رئاسته .
وقد ساعد هانن سوافر على نشر فلسفة الروح الحكيم ، سيلفر بيرش ،
أى الشجرة الفضية التى أشرنا إليها آنفاً ، والتي تعد حالياً أشهر روح مرشدة
فى العالم بسبب آرائها التى تمتاز بجمالها وعمقها مع بساطتها . وهى تعالج مشكلات
الأرضيين وآلامهم وتجيّب على أسئلتهم فى تدفق وبلاغة مما جعل هذه
الكتب تترجم إلى أغلب لغات العالم الحية وتطبع تباعاً .

وأهم كتبها ، تعاليم سيلفر بيرش^(٥) ، و تعاليم أخرى لسيلفر
بيرش^(٦) ، و حكمة سيلفر بيرش^(٧) ، و حكمة أخرى لسيلفر بيرش^(٨) ،
و سيلفر بيرش يتحدث^(٩) ، و سيلفر بيرش يتحدث ثانية^(١٠) . و إلى
الروح الأعظم^(١١) ، وهو يتضمن مجموعة صلوات ودعاءات رائعة ...

كما ساعد فى نشر هذه الفلسفة أيضاً وسيط هذه الروح وهو الأديب موريس
باربانل Maurice Barbanell والكاتبة سيلفيا باربانل Sylvia Barbanell .
وسنشير فيما بعد إلى نبذات من أقوالها فى الجزء الثانى فى الباب الذى
خصصناه لمعالجة بعض المشكلات الفلسفية فى ضوء العلم الروحي الحديث .

Adventures With Inspiration.	(١)
Studies In Psychology.	(٢)
My Greatest Story.	(٣)
My Talks With the Dead.	(٤)
Teachings of Silver Birch.	(٥)
More Teachings of Silver Birch.	(٦)
Wisdom of Silver Birch.	(٧)
More Wisdom of Silver Birch.	(٨)
Silver Birch Speaks.	(٩)
Silver Birch Speaks Again	(١٠)
To The Great Spirit.	(١١)

جيمس آرثر فندلاى

يعد جيمس آرثر فندلاى James Arthur Findlay من ألمع قادة الحركة الروحية فى بريطانيا . وقد ولد فى جلايجو فى سنة ١٨٨٣ من أسرة مشغلة بالمسائل المالية والاقتصادية . وبعد أن أتم تعليمه بجامعة فيت Fette ثم بجامعة جنيف بدأ حياته الاقتصادية . ثم أصبح مديراً لعدة شركات ، إلا أن هذا النجاح المادى لم يشغله عن موضوع الأرواح ، فإذا به يبحث فيه ويؤلف ويخطب فى قاعات الخطابة فى معظم مدن إنجلترا ، معالجاً إياه من زواياه العلمية والفلسفية ، ببلاغة لا تقل عن بلاغة آرثر كونان دويل أو هانن سوافر .

ومن مؤلفاته فى الروحية : على حافة العالم الأثيرى^(١) ، وهو من أشهر الكتب الشعبية فى هذا الموضوع ، إذ ظهر فى سنة ١٩٣١ ، ولم تأت سنة ١٩٤٢ إلا وقد ظهرت طبعته الأربعون ، وقال الطبيب الدكتور جورج لندسى جونسون فى مقدمة كتابه : المسألة الكبرى والبيئة على حلها^(٢) ، إن مؤلفات فندلاى ، قد حركت شعور الناس بشكل لم تصل إليه أية مؤلفات أخرى ، فأمكنها فى النهاية أن تثبت بشكل قاطع أن للإنسان حياة بعد الموت ، وأن فى الوجود عالماً ووعياً آخر يحيط بنا .

كما قالت عنه : موسوعة العلم الروحى^(٣) ، إنه : فى التدليل على صدق الدعاوى الروحية قد استند إلى تلك الزيادات المضطردة فى علم الفيزياء . فلا غرابة إذا ما ترجم هذا الكتاب إلى حوالى عشرين لغة وطبع بحروف

On The Edge Of The Etheric.

(١)

The Great Problem And The Evidence For Its Solution.

(٢)

Encyclopedia Of Psychio Science.

(٣)

لصاحبها الدكتور ناندور فودور Nandor Fodor.

العميان وقد ترجمه إلى العربية الفقيه الكبير الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير، ولنا عودة إلى بعض صفحاته عندما نعالج عالم الروح من ناحيتي تعيين موقعه ووصف ظروف الحياة فيه .

ثم ظهرت لفتدلاى مؤلفات متعددة في العلم الروحي قابلتها البيئات العلمية بتقدير كبير مثل «صخرة الحق»^(١) (١٩٣٣) و «الكون المنشور»^(٢) (١٩٣٥) و «مشعل العرفان»^(٣) (١٩٣٦) و «المجرى الروحي»^(٤) (١٩٣٩) و «لعنة الجمل»^(٥) (١٩٤٧) في جزئين ضخمين ، وفيهما يستعرض تاريخ الحضارات والشعوب من وجهة نظر العلم الروحي الحديث .

وكان آرثر فتدلاى إلى حين انتقاله إلى عالم الروح في سنة ١٩٦٤ مديراً «للهيئة الدولية للبحث الروحي» بلندن كما كان أحد نواب رئيس «اتحاد الروحيين الوطنى» S. N. U. ورئيساً سابقاً ، للاتحاد الروحي اللندنى ، وقد أسس في سنة ١٩٢٠ «جمعية جلايجو للبحث الروحي» . وهو بالإضافة إلى ما تقدم مؤسس جريدة الأنباء الروحية Psychic News التى تصدر أسبوعياً منذ سنة ١٩٣٣ .

شودزمووند

من أبرز الكتاب الروحيين شودزمووند Shaw Desmond وهو كاتب قصصى ومسرحى إيرلندى المولد ، وصاحب خبرة خمسة وعشرين عاماً في هذا الموضوع ، كما هو صاحب مؤلفات كثيرة فيه . وكثيراً ما كان يحاضر فيه في جامعتى اكسفورد وكمبردج ولقيت محاضراته إقبالا كبيراً . وقد سافر للحاضرة في هذا الشأن إلى أمريكا واسكندناون وبلاد القارة الأوربية وتلقى مؤلفاته في الأرواح نفس

The Rock Of Truth.

(١)

The Unfolding Universe.

(٢)

The Torch Of Knowledge.

(٣)

The Psychic Stream.

(٤)

The Curse Of Ignorance.

(٥)

الإقبال ، وأهمها : « كيف تحيا عندما تموت » ،^(١) أو الدليل للعالم الآخر . وفيه يوضح لكل إنسان أهم المشكلات التي سيقابلها هناك بمجرد انتقاله وطرق التغلب عليها ، و « نحن لانموت » ،^(٢) و « يمكنك الحديث مع موتاك » ،^(٣) و « الروحية ؟ » ،^(٤) و « عودة التجسد لكل إنسان » ،^(٥) و « لم يمت إنسان منذ الأزل » ،^(٦) و « الحب بعد الموت » ،^(٧) وفيه يعالج المشكلات العاطفية في الحياة الأخرى بأسلوب شائق بناء على معلومات يقول إنه تلقاها من مرشديه في عالم الروح . ويحاول أن يعالج بعض جوانب مشكلاتنا العاطفية أيضاً في ضوء هذه المعلومات الروحية ، ولنا عودة تفصيلية إلى هذا الموضوع في الباب الثاني من الجزء الثاني .

وقد أسهم دزموند في تأسيس « المعهد الدولي للبحث الروحي » ، بلندن ، كما كان إلى حين انتقاله - منذ سنوات قلائل - رئيساً « لرابطة الحياة بعد الموت » ،^(٨) .

موريس باربانيل

من الكتاب المعروفين أيضاً موريس باربانيل Maurice Barbanell وهو حالياً رئيس تحرير جريدة السايكل نيز (أى الأنباء الروحية) وقد مراسمه فيما مضى كوسيط للروح الحكيم سيلفر بيرش ، وله جملة مؤلفات قيمة في فلسفة الروحية منها : « سوف يدوى البوق » ،^(٩) و « سوف

-
- | | |
|-------------------------------|-----|
| How You Live When You Die. | (١) |
| We Do Not Die. | (٢) |
| You Can Speak With Your Dead. | (٣) |
| Spiritualism? | (٤) |
| Reincarnation For Everyman. | (٥) |
| Nobody Has Ever Died. | (٦) |
| Love After Death. | (٧) |
| The Survival League. | (٨) |
| The Trumpet Shall Sound. | (٩) |

يتعزون ،^(١) و عبر البرزخ^(٢) و حالة هيلين دنكان ،^(٣) و ودع حرائق روما
تشتعل ،^(٤) و قوة الروح ،^(٥) و حيث توجد إرادة ،^(٦) .

كما عني في مؤلفات أخرى بدراسة بعض وسطاء العلاج الروحي ، فألف
كتاباً عن وسيط معروف في تاريخ الروحية وهو وليام باريش تحت
عنوان ، باريش المعالج ،^(٧) ، وألف كتاباً آخر عن وسيط معروف
على قيد الحياة تحت عنوان ، هاري ادواردز وعلاجه ،^(٨) ، فضلاً عن
كتاب آخر عن العلاج الروحي تحت عنوان ، ملحمة العلاج الروحي ،^(٩) .

واليس

كان ا. و. واليس E. W. Wallis (١٨٤٨ - ١٩١٤) أديباً ووسيطاً
للإلهام وللغيبوبة وخطيباً ومعالجاً روحياً ، وقد تولى رئاسة تحرير جريدة
العالمين The Two Worlds منذ أصدرتها في سنة ١٨٨٧ الرائدة الروحية
إيما هاردنج برتين Emma Hardinge Britten حتى سنة ١٨٩٩ حين ترك
منصبه هذا كيما يصبح رئيساً لتحرير جريدة لايت Light الروحية ، وظل
يشغل هذا المنصب الأخير حتى تاريخ انتقاله إلى عالم الروح في سنة ١٩١٤ .
وجريدة العالمين هذه تصدر الآن طبعتين إحداهما شهرية والأخرى
أسبوعية ، وتملك مكتبة ضخمة لبيع المؤلفات الروحية^(١٠) .

-
- | | |
|---------------------------------------|------------------------|
| They Shall Be Comforted. | (١) |
| Across The Gulf. | (٢) |
| The Case Of Helen Duncan. | (٣) |
| Keep The Rome Fires Burning. | (٤) |
| Power Of The Spirit. | (٥) |
| Where There Is A Will. | (٦) |
| Parish The Healer. | (٧) |
| Harry Edwards And His Healing. | (٨) |
| Saga Of Spirit Healing. | (٩) |
| 18, Corporation Street, Manchester 4. | (١٠) وعنوانها كالآتي : |

وكانت لو اليس عدة أرواح، مرشدة: منها لايتهارت Lighthouse وستاندارد بيرر Standard Bearer وليدر Leader وتوم جويس Tom Joyce وغيرها. وكانت زوجته وسيطة أيضاً، بدأت وساطتها في الظهور منذ سنة ١٨٧٢ وكانت في الثامنة عشرة من عمرها. وعملت وسيطة منذ سنة ١٨٧٥، للمعهد جيمس بيرنز الروحي،^(١) كما خضعت لتجارب اتحاد الروحانيين اللندني،^(٢) ومن أهم أرواحها المرشدة فيناجورى Veina Goree ومورامبو Morambo.

وأهم مؤلفات واليس، الروحية مشروحة،^(٣) وله عدة مؤلفات أخرى بالاشتراك مع زوجته وهي: الدليل إلى الوساطة،^(٤) والمرشدون بالروح،^(٥) و الروحية في الإنجيل،^(٦) ولزوجته بمفردها مؤلف بالإلهام الشعري عنوانه: كما يبحثون،^(٧).

إرنست تومسون

ومنهم أيضاً كاتب وباحث معروف وهو إرنست تومسون Ernest Thompson الذي يعمل رئيساً لتحرير جريدة العالمين The Two Worlds التي أشرنا إليها آنفاً.

ومن أهم مؤلفاته تاريخ الروحية الحديثة وأسسها العلمية،^(٨) وفي هذا المؤلف يربط تومسون بين أسس علم الروح الحديث وبين

-
- | | |
|--|-----|
| James Burnes Spiritual Institution, | (١) |
| London Spiritualist Alliance. | (٢) |
| Spiritualism Explained. | (٣) |
| Guide To Mediumship. | (٤) |
| Spirit — Guided. | (٥) |
| Spiritualism in the Bible. | (٦) |
| As They Come Through. | (٧) |
| History of Modern Spiritualism And Its Scientific Foundations. | (٨) |

مبادئ العلوم المادية . فهو يوضح تأييد الفيزياء له من نواحي الحركة والكهربائية والمغناطيسية والضوء والحرارة والصوت والطاقة والفعل والجاذبية والتناسق والنسبية . وفي علم الكيمياء من نواحي التثيل الغذائي والذرة وحالات المادة والتركيبات العضوية وغير العضوية وفي الفسيولوجيا من نواحي وظائف الأعضاء والأعصاب والمخ والروح وفي البيولوجيا من نواحي نظرية التطور والانتخاب الطبيعي في الحيوان والإنسان والروح . وفي السيكولوجيا من نواحي البيئة والغرائز والانعكاسات والطاقة والجنس والتحليل النفسي ، وحتى المشاعر التي يعانها الإنسان المريض نفسانياً ، والوظائف الاجتماعية للعقل والإحساس بالمجهول والتنويم المغناطيسي والتلباثي والأحلام . وكل ذلك في مقدرة وإطلاع على هذه العلوم .

ومن مؤلفاته أيضاً : « تعاليم الروحية » ،^(١) و « ظواهر الروحية » ،^(٢) و « علم الروحية » ،^(٣) و « العلم في عون الروحية » ،^(٤) و « الاتصال الإلكتروني » ،^(٥) و « الأسس المستقبلية للروحية » ،^(٦) و « الروحية في تطور الدين » ،^(٧) و « الروحية في تطور الفلسفة » ،^(٨)

جيرالدين كامينز

ومنهم أيضاً كاتبة روحية ووسيلة معروفة وهي جيرالدين كامينز Geraldine Cummins ، التي تلقى كتبها تقديرًا خاصاً ومنها كتاب « مغامرات

-
- | | |
|--|-----|
| The Teachings Of Spiritualism. | (١) |
| The Phenomena Of Spiritualism. | (٢) |
| The Science Of Spiritualism. | (٣) |
| Science An Aid To Spiritualism. | (٤) |
| Electronic Communication. | (٥) |
| The Future Basis Of Spiritualism. | (٦) |
| Spiritualism In The Evolution Of Religion. | (٧) |
| Spiritualism In The Evolution Of Philosophy. | (٨) |

غير منظورة،^(١) الذى قدم له دافيد جراى السفير الأمريكى السابق، وهو يتضمن تجارب أربعة وثلاثين عاماً من العمل فى البحث الروحى .

ومنہا أيضاً جملة مؤلفات تلقتها عن طريق وساطة الإلهام مثل مخطوطات كليوفاس،^(٢) و «أيام أفسس العظمى»،^(٣) و «عندما كان نيرون دكتاتوراً»،^(٤) و «طفولة المسيح»،^(٥) و «رجولة المسيح»،^(٦) و «بعث المسيح»،^(٧) و «ما يلى الشخصية الإنسانية»،^(٨) و «إنهم يقيمون بعد الموت»،^(٩) و «المسافرون فى الأبدية»،^(١٠) و «العلاج الإدراكى»،^(١١) و «بولس فى أثينا»،^(١٢) و «بعد الفصح»،^(١٣) .

وفى مؤلفها «الطريق إلى الخلود»،^(١٤) (١٩٣٢) يجد القارىء بيانات هامة أملتھا روح عالم النفس فردريك و . ه . مايرز (الذى كان قد انتقل إلى عالم الروح منذ سنة ١٩٠١ عن «تقدم الروح خلال الحالات التى تلى الموت» . كما تلقى سير أوليفر لودج بيانات خاصة من روح مايرز عن طريق الوسيطة مسز ليونارد عن اتصالاته بالوسيطة جيرالدين كامينز . . . على ما ذكره فى تقديمه لهذا الكتاب الذى يقول فيه أيضاً «إنى أعتقد أن هذا الكتاب مساهمة حقيقية كما تلائم بالتقريب أفكاراً صادقة خلال وساطة ذات

Unseen Adventures.	(١)
The Scripts Of Cleophas.	(٢)
The Great Days Of Ephesus.	(٣)
When Nero Was Dictator.	(٤)
The Childhood Of Jesus.	(٥)
The Manhood Of Jesus.	(٦)
The Resurrection Of Jesus.	(٧)
Beyond Human Personality.	(٨)
They Survive.	(٩)
Travellers In Eternity.	(١٠)
Perceptive Healing.	(١١)
Paul In Athens.	(١٢)
After Pentecost.	(١٣)
Road To Immortality.	(١٤)

ثقافة معقولة تميزها الرغبة المستعدة للخدمة المخلصة والأمانة الواضحة ..

ولنا عودة إلى بعض هذه المعلومات في الباب الأول من الجزء الثاني عند ما نعالج موضوع موقع عالم الروح . ولنا عودة ثانية إلى معلومات أخرى أملت بها روح مايرز في جلسات شودزموند Shaw Desmond عن الحياة العاطفية هناك في الباب الثاني من نفس الجزء .

بول ميلر

من مؤلفي الروحية أيضاً بول ميلر Paul Miller ، وأهم مؤلفاته فيها : وجوه الموتى الأحياء ، (١) و : موكب الروح ، (٢) و : عدو الجنس البشري ، (٣) و : العلم في غرفة الجلسات ، (٤) و : موتى الحرب يعودون ، (٥) . وقد درس موهبة العلاج الروحي وألف فيها كتاباً تحت عنوان : ولد كيما يعالج ، (٦) تناول فيه وساطة المعالج هاري إدواردز Harry Edwards الذي ألف عنه كتب أخرى من أشخاص شاهدوا معجزاته العلاجية وتحققوا منها بأنفسهم .

وعن مؤلفه : وجوه الموتى الأحياء ، الذي ظهرت طبعته الأولى في سنة ١٩٤٣ نقدم فيما يلي بالصور بعض نماذج عن نتائج التحقيق الذي أجراه مع الرسام الروحي فرانك ليه Frank Leah المعروف بأنه وسيط للجلاء البصري يرى الأرواح التي لا يعرف أصحابها ويرسمها واضحة ، والذي اقتضى من ميلر مثابة في عشرات من التجارب الناجحة .

-
- | | |
|-----------------------------|-----|
| Faces Of The Living Dead. | (١) |
| Cavalcade Of The Spirit. | (٢) |
| The Enemy Of Mankind. | (٣) |
| Science In The Seance Room. | (٤) |
| The War Dead Return. | (٥) |
| Born To Heal. | (٦) |

بعض نماذج من رسوم الأرواح الغير المنظورة



The first picture is one of the faces of the man in the middle. The second photograph is one of the faces of the man in the middle. The third photograph (to the right) shows how we may see the face during his last illness. (See page 15)



Portrait drawing of Ann Hill (See page 15)



Portrait of Ann Hill



The first picture is a spirit drawing of the man in the middle. The third picture is a spirit drawing when he posed in his top hat to show how well-dressed he was when he went to work. (See page 15)

بعض رسوم روحية لوجوه «الموتى الأحياء» كما رسمها رسام الأرواح فرانك ليه Frank Leah تحت الرقابة العلمية، وقام بمطابقتها على صور فوتوغرافية لهم البتانة المعروف بول ميلر في مؤلفه *Faces Of The Living Dead*. والرسام لا يعرف أصحاب هذه الرسوم وقام بتحقيق وساطته عدد آخر من الباحثين نجأت نتائج تحقيقهم إيجابية أيضاً (راجع أيضاً التحقيق الإيجابي المنشور في جريدة السايك نيوز عدد يولية سنة ١٩٦٤ رقم ١٦٧٤)

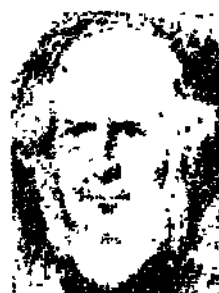
نماذج أخرى من تحقيق وساطة فرانك ليه رسام الأرواح



Psychic drawing of the Rev. G. Gibson Gunn.



Photograph of the same man.



Psychic drawing of John Millard.



Photograph of John Millard.



Psychic drawing of the stranger.



Photograph of the stranger.



صورة فوتوغرافية أثناء الحياة الأرضية
لستر تيفرسون Teverson كما عثر
عليها الجحانة بول ميللر (مؤلفه المأثور
إليه آغا من ٢٦ وما بعدها) .
رسم الروح التي لا يعرفها الرسام
فرانك إيه . ولم ير صورتهما من قبل



Psychic drawing of Archibald
Richardson of Ontario, Canada.



Normal photograph taken from
America by his son. (See page 31)



Best modified in two hours, based
on Leade's psychic portrait.

رسم روح الأرشيد يا كون
ريشاردسون من أونتاريو
بكنادا ، الذي لا يعرفه الرسام
الروحي فرانك إيه ، ولم يسبق
له رؤيته .

(م ١٧ — الإنسان روح)

صورة فوتوغرافية عادية المأثور
قبل وفاته أرسلها ابنه من
أمريكا لمصاحبتها على الرسم الذي
إلى اليسار بعد إذ تم صنعه
بالفعل .

نموذج لرأس ريتشاردسون
صنع في ساعتين . مطابقا للرسم
الروحي الذي قام بعمله الرسام
فرانك إيه (من المرجح
السابق) .

و . هـ . إيفانز

من الباحثين الروحيين واحد معروف في الفلسفة الروحية بوجه خاص هو و . هـ . إيفانز W. H. Evans الذي كان — رئيس تحرير جريدة Beyond الروحية الشهرية — وأهم مؤلفاته فيها : الروحية الحديثة، (١) والروحية للإنسان المشغول، (٢) وكيف تصبح وسيطاً (٣)، ودشمة الإله، (٤) والروحية فلسفة الحياة، (٥) والروحية البناء، (٦) ود زنايق المذبح، (٧) والسكل واحد، (٨) وسما جديدة، (٩) ود هل العودة للتجسد حقيقة أم خرافة ؟، (١٠).

كما يعد إيفانز حجة في وساطة العامل الوسيط أندرو جاكسون دافيز وفي الفلسفة الرائعة التي تلقاها بطريق الإلهام، وله في شرح فلسفته في التناسق مؤلف عنوانه اثنتا عشرة محاضرة في فلسفة التناسق لأندرو جاكسون دافيز (١١).

فردريك . هـ . وود

ومنهم الدكتور فردريك . هـ . وود Fredric H. Wood، وهو ملحن وصاحب عدة مؤلفات في الموسيقى والأناشيد. وأهم مؤلفاته في الروحية

Modern Spiritualism.	(١)
Spiritualism For The Busy Man.	(٢)
How To Be A Medium.	(٣)
The Candle Of The Lord.	(٤)
Spiritualism, A Philosophy Of Life.	(٥)
Constructive Spiritualism.	(٦)
Altar Lilies	(٧)
All Is One.	(٨)
A New Heaven.	(٩)
Réincarnation Fact Or Fallacy?	(١٠)
Twelve Lectures On The Hurmonious Philosophy Of	(١١)
Andrew Jackson Davis.	

وراجع ما سبق من ١٠٣، ١٠٤.

« بعد ثلاثين قرناً^(١) (١٩٣٥) ، و « مصر القديمة تتحدث »^(٢) (١٩٣٧) بالاشتراك مع هوارد هيولم H. Hulme العالم في التاريخ الفرعوني — وقد ترجمه إلى العربية الدكتور علي عبد الجليل راضى تحت عنوان « روح فرعونية تتكلم » — و « هذه المعجزة المصرية »^(٣) (١٩٤٠) .

والمؤلفان الأخيران يتحدثان عن اتصالاته ببعض أرواح فرعونية أعطت أدق التفاصيل والبيانات عن مظاهر الحياة عند الفراعنة وتاريخهم ولغتهم ، وعن حضارتهم العظيمة بما فى ذلك موسيقاهم . وقد حاضر فردريك وود فى جامعة أكسفورد فى هذا الموضوع مبيناً كيفية النطق باللغة الهيروغليفية طبقاً للشريط الذى سجله للروح الفرعونية الأميرة نونا على لسان الوسيطة روزمارى (مس أنى بومونت) والذى قام بترجمته إلى الإنجليزية هوارد هيولم .

ومن مؤلفات فردريك وود أيضاً « الوساطة الروحية والحرب »^(٤) (١٩٤٢) و « عصر جديد للروحانيات »^(٥) (١٩٤٣) و « خلال الباب الروحى »^(٦) (١٩٥٤) .

جيمس كوتس

من بحاث الروحانية أيضاً جيمس كوتس James Coates وهو دكتور فى الفلسفة ، وله عدة مؤلفات فى التنويم المغناطيسى مثل « المنوم

-
- | | |
|---------------------------|-----|
| After Thirty Centuries. | (١) |
| Ancient Egypt Speaks. | (٢) |
| This Egyptian Miracle. | (٣) |
| Mediumship And War. | (٤) |
| A New Era For Psychics. | (٥) |
| Through The Psychic Door. | (٦) |

العمل،^(١) و «المغناطيسية البشرية»^(٢) .

وأهم مؤلفاته الروحية «رؤية غير المنظور»^(٣) و «هل الروحية الحديثة مؤسسة على حقائق أم أوهام؟»^(٤) و «الظواهر الروحية»^(٥) و «تصور غير المنظور»^(٦)، وقد نشر به ثمانى وثمانين لوحة من الصور الروحية التقطت في ظروف تنفى كل خداع . وسنقدم فيما بعد عدة نماذج من هذه الصور بعد أن نتحدث فى «تأثير العقل المباشر فى المادة» ، لأنه موضوع وثيق صلة بظهور غير المنظور فى الألواح الحساسة ، وهى الظاهرة التى سجلها جيمس كوتس ، كما سجلها عدد لا يستهان به من الباحثين المشهور لهم بالدقة وبالتحفظ الشديد فى قبول الأمور .

بول برنتون

ومن بحاث الروحية بول برنتون Paul Brunton وهو دكتور فى الفلسفة أيضاً ، وله جولات كثيرة موفقة فى الروحية عند الأقدمين وبخاصة فى مصر القديمة ، وقد سجلها فى مؤلفه «بحث فى مصر الخفية»^(٧) ، وفى الهند وقد سجلها فى مؤلفه «بحث فى الهند الخفية»^(٨) . واهتمامه بدراسة الظواهر الروحية عند الأقدمين سببه ما يعتقد من أن الأقدمين كانوا عمالقة فى علوم الروح أقزماً فى علوم المادة ، حين أن علماء الحضارة المعاصرة عمالقة فى علوم المادة أقزماً فى علوم الروح ، وذلك على حد تعبيره .

The Practical Hypnotist.	(١)
Human Magnetism.	(٢)
Seeing The Invisible.	(٣)
Is Modern Spiritualism Based On Facts Or Fancy ?	(٤)
Psychical Phenomena.	(٥)
Photographing The Invisible.	(٦)
A Search In Secret Egypt.	(٧)
A Search In Secret India.	(٨)

وقد قضى برنتون شطراً من حياته جاثلاً في بلاد الشرقين الأقصى والأدنى دارساً ظواهر الروحية التي يعجز العلم المادى عن تعليلها وواضحاً عدداً من المؤلفات فيها . ومنها رسالة من أروناشالا ،^(١) و « الفلسفة الهندية والثقافة الحديثة » ،^(٢) و « التعليم المخبوء وراء اليوجا » ،^(٣) و « ناسك في الهملايا » ،^(٤) .

وذلك بالإضافة إلى مؤلفاته الأخرى في فلسفة الروحية والتي أهمها « الحقيقة الداخلية » ،^(٥) و « البحث عن النفس العليا أى الروح » ،^(٦) و « حكمة النفس العليا » ،^(٧) بالإضافة إلى أحدث مؤلفاته وهو « الطريق الخفى » ،^(٨) الذى ظهر فى سنة ١٩٣٤ ، وطبع حتى سنة ١٩٥٠ أكثر من عشرين طبعة .

ونخطة برنتون فى السياحة فى بلاد الشرقين الأقصى والأدنى لدراسة الظواهر الخارقة للعادة ، على الطبيعة ، فى بلاد السحر والخيال هى نفس خطة عدد ملحوظ من باحثى الروحية من أمثال الأديب شودزمووند ، والطبيب الكسندر كانون ، والسيدة الكسندرا دافيدنيل وغيرهم .

فهم يرون أن فى أسرار هذا الشرق العجيب وظواهره المعجزة ، خصوصاً منها ما يتم على الفطرة بواسطة بعض فقراء الهند من رهبان الهملايا والتبت وبعض سحرة أواسط أفريقيا ، ما يستحق التحقيق للتثبت من حصوله ، وقد انتهوا إلى الاقتناع بصحة عدد من هذه الظواهر الخارقة للعادة كيفما

-
- | | |
|---------------------------------------|-----|
| A Message From Arunachala. | (١) |
| Indian Philosophy And Modern Culture. | (٢) |
| The Hidden Teaching Beyond Yoga. | (٣) |
| A Hermit In The Himalayas. | (٤) |
| The Inner Reality. | (٥) |
| The Quest Of The Overself. | (٦) |
| The Wisdom of the Over Self. | (٧) |
| The Secret Path. | (٨) |

حدثت في أرجاء هذه الدنيا ، لأنها تتحدى في الواقع معارف الغرب وعلموه المادية .

أولد فيلد

ومن بحاث الروحية أيضاً الدكتور جوزيا أولد فيلد Josiah Oldfield وهو صاحب عدة مؤلفات منها : العلاج والانتصار على الألم ،^(١) و لغز الميلاد ،^(٢) و ، لغز الموت ،^(٣) .

وقد أمضى أولد فيلد حياته بجوار مئات من المحتضرين ، ممن يخافون قدوم الموت ومن يرغبون فيه ، باحثاً في مشكلات الحياة والموت بطريقة الفيلسوف والعالم المعروف في دوائر هارلي ستريت ، معتقداً أن البحث فيها ينبغي أن يعتبر بمثابة استكشاف لأرض مجهولة . وأن مخاوف الإنسان من الموت تقوم على الإيمان بخرافات قديمة العهد ، وعلى زعر ليس له ما يبرره من المجهول ، وعلى تصديق عدد من كهنة كل دين الذين أدخلوا في روع الناس أنهم وضعوا أيديهم في يدي الله كيما يكفلوا للمحتضرين السعادة والنعيم في السماء ، أم التعاسة واللعة الأبدية في الجحيم

وهو يؤمن أن مواليد هذا العالم يفقدون إليه عن طريق الموت في عالم سابق ، كما أن الموت في هذا العالم يؤدي إلى الميلاد في عالم قادم وأن العامل الوحيد الذي يسود سعادتنا أو شقاءنا في هذا العالم القادم هو الخلق الذي نمناه في هذه الحياة الدنيا . فنحن نولد بين يدي الله ، وبين يديه نموت أيضاً ، ولربؤ من كل امرؤ — في سلام وسعادة — بأبوة الله وعدالته ، فسواء أعشنا أم متنا فنحن بين يدي الخالق المحبوب .

بعض رجال العقيدة

بعد هذا البيان لبعض الاسماء والمراجع في موضوع الأرواح

Healing and the Conquest of Pain.

(١)

The Mystery of Birth.

(٢)

The Mystery of Death.

(٣)

من العلماء والمفكرين والباحث البريطانيين — وقد راعينا في اختيارها أن تكون من أسماء الصف الأول دون غيره — نرى أن هذه القائمة لاتكتمل إلا بذكر طائفة من رجال الدين الذين عنوا أيضاً ببحث هذا الموضوع ، والذين اقتنعوا بصحته بعد تجارب شخصية في دوائرهم المنزلية وغيرها فأصبحوا من خيرة الأفلام في عرضه وفي الإفادة منه في تكوين آرائهم العامة ، وتوجيه أفكارهم الدينية إلى الوجهة التي يمكن معها القول بأن « العلم والدين يتجهان بالتدريج ، ولكن بالتأكيد ، إلى الجهة التي تقودهما إليها المعلومات الروحية ، على ما لاحظته جيمس آرثر فندلاي ^(١) .

ستانتون موزس

فمن أبرز رجال الدين هؤلاء الأسقف ستانتون موزس Stainton Moses (١٨٣٩ — ١٨٩٢) وقد كان هو نفسه بسيطاً قوياً للكتابة المباشرة ولتحريك الأجسام الصلبة وظواهر الضوء والمجملوبات الروحية . وقد خضعت وساطته لتجارب « جمعية البحث الروحي » ، S. P. R. ورغم قوة وساطته الخاصة ظل متشككاً لسنين طويلة — حول مصدر هذه الظواهر الغريبة التي كانت تحدث في وجوده — بسبب روحه النقادة وتربيته الدينية المحافظة ، إذ عاش شطراً من حياته



الأسقف ستانتون موزس

في دير للرهبان اليونانيين في جبل آتوس ، قبل أن يعين أسقفاً لجزيرة مان ثم في لانجرتون مكافز ثم في سالسبوري ، ثم أصبح أستاذاً بجامعة لندن من سنة ١٨٧١ حتى سنة ١٨٨٩ . وقد ساعد في إنشاء « جمعية البحث الروحي » ، في سنة ١٨٨٢ وظل عضواً فيها ، إلى أن استقال منها بسبب القسوة

(١) « على حافة العالم الأبدى » طبعة ٣ من ٣٣ .

المفرطة التي حققت بها ومساندة بعض الوسطاء، والتي لم يكن لها في تقديره أى داعٍ مع وضوح قوة هذه الوساطة كما اختير رئيساً لاتحاد الروحيين بلندن في سنة ١٨٨٤^(١)، وظل رئيساً له إلى حين وفاته في سنة ١٨٩٢ .

وقد تلقى من عالم الروح عدة كتب بالكتابة المباشرة أحياناً أى بدون أن يمسك القلم بيده، وبالكتابة التلقائية أحياناً أخرى، منها كتاب "تعاليم الروح"،^(٢) (١٨٨٣) و"تعاليم أخرى للروح"^(٣)، وهما يبحثان في الأمور اللاهوتية على نحو يخالف تماماً آراءه الخاصة، وقد نشرهما على لسان الأرواح لوعده كان قد ارتبط به معها على نشرهما، ودون أن يقيد نفسه بهذه الآراء. ومن مؤلفاته أيضاً "نواح أسى للروحية"،^(٤) (١٨٨٠) و"الكتابة المباشرة للأرواح"،^(٥) (١٨٨٢) وفيه يعالج الكتابة المباشرة لها التي تظهر أحياناً على الألواح الحساسة في غرف الجلسات، وكتاب تحقيق "شخصية الروح"،^(٦).

وكانت الأرواح المهيمنة على موزس متعددة. وكانت تفضل غالباً استعمال أسماء مستعارة، ولو أنها في النهاية أفصحت له عن شخصياتها، فكان ملاخى يستعمل اسم امبراتور Imperator (أى الأمر) وأليشع يستخدم اسم Precaptor (أى المعلم أو المهدب) ودانيال اسم Vates (وهو لاء الثلاثة من أنبياء العهد القديم) ويوحنا المعمدان اسم Theologus (أى اللاهوتى، وهو من أنبياء العهد الجديد).

كما كان من أرواحه المهيمنة الفلاسفة سولون وأفلاطون وأرسطو ومسينيكا والإمام الغزالي (وكان يستخدم اسم Mentor) وهيبوليت (وكان

-
- | | |
|---------------------------------------|-----|
| London Spiritualist Alliance. | (١) |
| Spirit Teachings. | (٢) |
| More Spirit Teachings. | (٣) |
| Higher Aspects Of Spiritualism. | (٤) |
| Direct Spirit Writing (Psychography). | (٥) |
| Spirit Identity. | (٦) |

يستخدم اسم Rector أى المدير (وبلوتيناس Plotinus) وكان يستخدم اسم Prudens أى الحكيم) واسكندر اخيليني A. Achillini (وكان يستخدم اسم Philosophus أى الفيلسوف)... وغيرهم ممن قارب عددهم أربعين روحاً^(١).

شارل توبديل

ومنهم أيضاً شارل توبديل Charles L. Tweedale الذى كان رئيساً لأساقفة يوركشير . وقد بحث هذا الموضوع داخل منزله فى أبروشيته لمدة جاوزت أربعين عاماً . وتلقى معلومات كثيرة من أرواح منتقلين حديثاً — مثل سير وليام كروكس وسير ألفريد رسل والاس وسير آرثر كونان دويل فضلاً عن روح زوجته السيدة ماري توبديل — ونشرها فى كتابه « أبناء من العالم الآخر »^(٢) ، الذى ظهر فى سنة ١٩٤٠ مؤيداً بصورهم الروحية مع عشرات من صور غيرهم التى تلقاها داخل منزله ، وبدون الاستعانة بوسيط أجنبى عن أسرته .

وذلك بالإضافة إلى صور بعض رسائل تلقاها بطريق الكتابة المباشرة من الأرواح التى كانت تظهر أحياناً على اللوح الحساس فى حضور زوجته وكريمته . وهى بنفس خط الأرواح وبتوقيعهما ، وفى مناسبة لاحقة سنقدم للقارىء صورة فوتوغرافية لرسالة تلقاها من روح آرثر كونان دويل بخطه وتوقيعه . كما ألف كتاباً آخر عن « حياة الإنسان بعد الموت »^(٣) ، ظهرت طبعته الأولى فى سنة ١٩٠٩ والخامسة فى سنة ١٩٤٧ . ومن مؤلفاته أيضاً « الظواهر الروحية الحاضرة والكنائس »^(٤) .

(١) راجع فى هذا الشأن « موسوعة العلم الروحى » .

Encyclopaedia of Psychic Science.

تحت اسم Moses س ٢٤٨ — ٢٥٠ .

ومؤلفاً عنوانه « الأرواح المهيمنة على ستانتون موزس » من تأليف ترنوى

A. W. Trethewy : The Controls of Stainton Moses.

News From The Next World.

(٢)

Man's Survival After Death.

(٣)

Present Day Spirit Phenomena and the Churches.

(٤)

جورج لاموند

ومنهم أيضاً القس جون لاموند John Lamond الذى كان من معارضيه، واختير عضواً فى اللجنة التى شكلتها الكنيسة الاسكتلندية لبحث الظواهر الروحية ، وبعد تجارب دامت شهوراً كتبت اللجنة تقريراً لمصلحتها . ومن مؤلفاته الروحية « المعجزات فى الحياة الحديثة »^(١) ، وكتاب « كاتلين Kathleen » . كما كتب سيرة آرثر كونان دويل ، وأخذ منذ سنة ١٨٧٨ يقيم عظاته الدينية على تجاربه الخاصة فى الظواهر الروحية . وهو من رجال العقيدة الذين يسعون جهدهم فى تفسيرها تفسيراً جديداً فى ضوء كشف الروحية التجريبية .

جورج فيل أوين

ومنهم جورج فيل أوين George Vale Owen (١٨٦٩ - ١٩٣١) الذى كان أسقفاً لأبروشية أورفورد Orford بالقرب من وارينجتون Warrington كما كان وسيطاً للكتابة التلقائية Spirit Controlled Writting ، وعن طريقها تلقى رسائل فلسفية راقية وعميقة نشرها تباعاً فى جريدة الديلى ديسباتش Daily Dispatch ابتداء من أول فبراير سنة ١٩٢٠ . وكان لها دوى هناك ، إذ أثارت اهتمام القراء والمعلقين .

كما قام بعدة رحلات فى إنجلترا وأمريكا للدعوة الروحية بعد إذ استقال من عمله كبا يتفرغ لهذه المهمة الجديدة . ثم أصبح راعياً « للجمع الروحى » بلندن Spirituslist Congregation ونشر كتاباً عن « الحياة وراء الحجاب »^(٢) فى خمسة أجزاء متضمناً الرسائل الروحية الآتفة الذكر ، وهو من الكتب التقليدية الهامة فى موضوع الأرواح ،

Miracles In Modern Life.

(١)

Life Beyond The Veil.

(٢)

بالإضافة إلى كتابه « الحقائق والحياة المستقبلية »^(١) . وبعد انتقاله بعام واحد
أملى بالكتابة التلقائية على الوسيط فردريك هاينز Frederic H. Haines
مؤلفاً نشره الأخير في سنة ١٩٣٣ تحت عنوان « صوت من السماء »^(٢) .

موريس إليوت

ومنهم أيضاً القس موريس إليوت Maurice Elliot الذي بحث الظواهر
الوساطية الحديثة مبيناً كيف أنه بدونها يصبح الدين غير مفهوم ، والعقيدة
غامضة ، وموضحاً كيف كان السيد المسيح يختار تلاميذه من أصحاب المواهب
الوساطية القوية ، وكان يعرفهم بمجرد النظر إليهم .

وكان هؤلاء الوسطاء يتمتعون بما يتمتع به الوسطاء الأقوياء من وداعة
في الخلق وبساطة ، إلى الحد الذي يصدق عليه قول الشاعر الملهم تينيسون
Tennyson « إن من يستطيع أن يناجي الموتي ساعة من الزمان لا بد أن
يكون طاهر القلب سلم العقل ذا عواطف قدسية فياضة » .

وأهم مؤلفات موريس إليوت « الروحية في العهد القديم »^(٣) و « حياة
يسوع المسيح الروحية »^(٤) .

درايتون توماس

ومن رجال الدين أيضاً الأسقف درايتون توماس Drayton Thomas
الذي قدم للعلم الروحي جملة مؤلفات قوية زاخرة بالأدلة مفعمة
بتجاربه الشخصية ، دقيقة في مقدماتها وفي استنتاجاتها ، نذكر
منها : « الحياة بعد الموت بالبيئة »^(٥) و « بعض بينات جديدة لحياة الإنسان
بعد الموت »^(٦) الذي قد قدم له سير وليام باريت عالم الفيزياء . ثم يحىء

Facts And The Future Life. (١)

A Voice From Heaven. (٢)

Spiritualism In Old Testament. (٣)

Psychic Life Of Jesus Christ. (٤)

Life Beyond Death With Evidence. (٥)

Some New Evidence For Human Survival. (٦)

مؤلفاه في وصف الحياة هناك وهما « في الفجر بعد الموت »^(١) و « بعد
أفول شمس الحياة »^(٢). ويعتبران من أفضل ما كتب في وصف الحياة هناك ،
مع كثرة ما كتب فيه من مراجع .

وذلك بالإضافة إلى « وفاته الأخرى وهي الظواهر العقلية للروحية »^(٣)
و « تجربة مذهلة »^(٤) و « من حياة إلى حياة »^(٥) .

هذه طائفة من أسماء العلماء والهيئات العلمية والمراجع البريطانية
في علم الروح اخترناها من هنا وهناك ، متوخين أن نمثل مستوى خاصاً
من العمق ودقة البحث والمثارة فيه لسنين طوال ، بما يبعث على الثقة الكافية
فيها وفي أصحابها ، لأنهم جميعهم من أفضل العلماء والمفكرين والباحثين
ورجال الدين .

بقى الآن أن نبين بعض الأسماء والمراجع في فرنسا والبلاد الأخرى .

In The Dawn Beyond Death.	(١)
Beyond Life's Sunset.	(٢)
The Mental Phenomena Of Spiritualism	(٣)
An Amazing Experiment.	(٤)
From Life To Life.	(٥)

الفصل الثالث

بعض الأسماء والمراجع

في فرنسا والبلاد الأخرى

عرفت فرنسا العلم الروحي الحديث Science Psychique منذ أوائل العهد به ، وانتشرت جلسات الاتصال بالأرواح انتشاراً سريعاً رغم المقاومة العنيفة التي أقيمت في سنة ١٨٥٤ من أكاديمية العلوم ، وكان من أقطابها حينذاك أمثال فاراداي Faraday وشيفريه Chevreul ، مع أن التجارب الروحية كانت في مهدها ولم تتكشف عن شيء يذكر من البينات والوقائع التي تكشف عنها فيما بعد . ولم يكن أحد من معارضيها قد بحثها أو أجرى تجارب فيها ، لأن الفكرة المسيطرة على أذهان المعارضين كانت عندئذ أن الخرافة واضحة في الموضوع لا تستحق من عاقل أن يحاول التجربة .

لكن الجلسات الروحية سرعان ما عرفت طريقها إلى الصالونات الراقية ، فإذا بها تكسب بين أنصارها الشاعر العظيم فيكتور هيجو V. Hugo عن طريق وساطة مدام دي جيراردان De Girardin .

كما انحاز إلى الحركة الروحية أصحاب أسماء لامعة كثيرة في الأدب والفنون والعلوم المختلفة ، مثل أوجست فاكيرى Auguste Vacquerie وبوشيه دي برت Boucher De Perthes المؤرخ في عصور ما قبل التاريخ وهنري مارتان Henry Martin ، والفيلسوف بلزاك Balzac والعلامة تيوفيل جوتييه Theophile Gauthier والأديبة جورج صاند Georges Sand والفيلسوف بول جانيه Paul Janet . ومن العلماء أيضاً بويسون F. Buisson عالم التربية والسياسي وإدوارد برافلي E. Branly أحد مخترعي المذياع وجيرارد دي نيرفال Gerard De Nerval

وكالدرون Calderone وسيجار Ségard ودارسفال Darsonval وكورتيه Courtier وساباتييه Sabatier وواتفيل Watteville . ومن الكتاب والمفكرين دى سافى De Savy وفورييه Fourier وجان رينو jaen Reynaud وبللتان Pellelean ، وفيكتوريان ساردو Victorien Sardou عضو الأكاديمية الذى كان هو نفسه وسيطاً روحياً للكتابة التلقائية وللرسم الروحى ، وعقد تحت رئاسته أول مؤتمر روحى بباريس فى سنة ١٩٠٠ . ومنهم الدكتور داريه Dariox الذى أسس فيما بعد التقويم السنوى للعلوم الروحانية (١) .

بول جييه

ومنهم الدكتور بول جييه Paul Gibier (١٨٥١ — ١٩٠٠) تلميذ باستير Pasteur مكتشف دنيا الميكروبات ، وقد بحث جييه فى الروحانية الحديثة وأصدر فيها مؤلفاً فى سنة ١٨٨٩ عنوانه « الروحانية » (٢) وآخر فى سنة ١٨٩٠ عنوانه « تحليل الأشياء : بحث فى علم المستقبل » .

وقد قال فى مقدمة أولها « لنعلن على رؤوس الأشهاد بأننا بدأنا دراسة هذه المباحث الروحانية معتقدين من صميم قلوبنا بأننا أمام عالم من خيالات وأباطيل ينبغى علينا أن نزيح عنها النقاب ونفضحها ، وقد احتجنا إلى كثير من الزمن كيما نتخلص من هذه الفكرة ... » .

وقال فى ثانيهما متحدثاً عن تجسد الأرواح فى ضوء تجاربه الخاصة « بأن التجسد يحدث بواسطة الأرواح العاملة عن طريق القوة التى تستعيرها من الوسطاء فثبت لدى العلماء الذين شاهدوا هذه العلامات الخارجية الحادثة فى حضور الوسيط بأنها تتضمن البرهان المفحم الذى لم نحصل قط على مثله بأن لنا روحاً مدركة ومميزة وغالدة بعد الموت . أما هذه الحالة التى نحيا فيها الآن فهى ليست سوى لحة حائرة ... » .

Les Annales Des Sciences Psychiques. (١)

Le Spiritisme (Fakirisme Occidental). (٢)

Analyse De Choses, Essai Fur La Science Future. (٣)

Les Materialisations De Fantomes. « وراجع له أيضاً «تجسيدات الأشباح»

جان مایر

ومنهم عالم النفس جان مایر Jean Meyer الذى وهب جزءاً من ثروته
للمعهد الدينى لما وراء الروح ،، كما تبرع له والبركر الروحى، Centre



جان مایر

Spiritualiste بمقر ومكتبة لكل
منهما . وقد أصبح جان مایر فيما بعد
رئيساً لتحرير المجلة الروحانية،
La Revue Spirite منذ سنة ١٩١٦
حتى انتقاله إلى عالم الروح فى سنة
١٩٣١، وكان قد أسسها العلامة آلان
كاردك منذ سنة ١٨٥٨ . كما أسس
داراً للنشر المؤلفات الروحانية
لا تزال تحمل اسمه حتى الآن .

وقد خلف مایر فى رئاسة تحرير هذه المجلة الأستاذ هير فورستيه
Hubert Forestier الذى ساهم بمقدرة فى نشر الفقه الروحى كتابة وخطابة.

دى روشا

ومنهم المکولوج نيل أوجين دى روشا De Rochas (١٨٣٧—١٩١٤)
الذى باشر بحوثه داخل مدرسة الهندسة العسكرية التى كان مديراً لها فى وقت ما.
ويعد دى روشا من أفضل رواد العلم الروحى الحديث ومن أكثر
الباحثين تعمقاً وتضللاً . وقد أهدى إلى العلم الروحى عدة مؤلفات مثل
والقوى غير المحددة^(١)، (١٨٨٧) و«سيال المغناطيسيين»^(٢) (١٨٩١)

Les Forces Non Définies.

(١)

Le Fluide des Magnetiseurs.

(٢)

و « الحالات العميقة للمغناطيسية »^(١) (١٨٩٢) و « بروز القوة المحركة »^(٢)
(١٨٩٦) و « الحالات السطحية للمغناطيسية »^(٣) (١٨٩٨) و « الانبعثات
الشاذة » و « التماويز و حدود العلم »^(٤) (١٩٠٢) و « الحيوانات المتتابعة »^(٥)
(١٩١٠) و « تعليق الحياة »^(٦) (١٩١٣)

كامي فلماريون

ومن المع الأسماء كامي فلماريون Camille Flammarion (١٨٤٢ —
١٩٢٥) الفيلسوف وعالم الفلك ومؤسس الجمعية الفلكية الفرنسية ، وله فيها
عدة مؤلفات معروفة مثل « الموت و غامضه »^(٧) في ثلاثة أجزاء ، و مثل
« المنازل المسكونة »^(٨) التي حققها بنفسه ، و مثل « قوى الطبيعة المجهولة »^(٩)
و « تعدد العوالم المسكونة »^(١٠) و « المجهول والمشكلات الروحية »^(١١) ،
بالإضافة إلى مؤلفه « الله في الطبيعة — أو الروحية والمادية إزاء العلم
الحديث »^(١٢) في مجلدين .

وعندما اختير فلماريون رئيساً « لجمعية البحث الروحي » البريطانية لخص

Les Etats Profonds De L'hypnose.	(١)
L'Extériorisation De La Motricité.	(٢)
Les Etats Superficiels De L'hypnose.	(٣)
Les Effleuves Odiques, L'Envoutement, Les Frontières	(٤)
De La Science.	
Les Vies Successives.	(٥)
La Suspension De La Vie.	(٦)
La Mort Et Son Mystère	(٧)
وقد عرب المرحوم الأستاذ محمد فريد وجدي بعض أجزاء منه في مؤلفه « على أطلال المذهب المادي » .	
Les Maisons Hantées.	(٨)
Les Forces Naturelles Inconnues.	(٩)
La Pluralité Des Mondes Habités.	(١٠)
L'Inconnu Et Les Problèmes Psychiques	(١١)
Dieu Dans La Nature.	(١٢)

في خطاب الرئاسة الذي ألقاه في أكتوبر من سنة ١٩٢٣ نتائج تجارب ستين عاماً في البحث الروحي قائلاً : « أن هناك ملكات غير معروفة في الإنسان تنتمي إلى الروح ، وثأت شيء أشبه ما يكون بنموذج آخر منه (١) such a thing as the double ، وأن الفكر يمكن أن يخلف وراءه صوراً ما ، وأن التيارات الروحية تخترق الأجواء ، وأنا نحيا في وسط عالم غير منظور ، وأن ملكات الروح تبقى بعد تحلل الأعضاء الجسدية ، وأن هناك منازل مسكونة ، وأن الموتى يظهرون بصورة استثنائية ونادرة ، وأنه لا محل للشك في إمكان حدوث هذه الظواهر ، وأن التلبأى يوجد بين الأموات والأحياء بقدر ما يوجد بين الأحياء . »

وقد عادت روح فلاماريون في سنة ١٩٣٢ عن طريق وساطة أ. ه. لويمان A. H. Loweman ، وهو بائع محدود الثقافة ، وأملت كتاباً بتوقيع إيجولاند — على ما قرره إميلي لويمان Emily Loweman في مؤلفه الذي يحمل هذا الاسم Egoiland ، وهو ابن الوسيط — وكان ذلك ببلدة ليتل جلنهام ، Little Glenham . كما قرر الدكتور جلين هاملتون أن روح فلاماريون كانت من ضمن الأرواح المرشدة في جلساته بمدينة وينبيج بكندا (٢) .

علماء المادة في فرنسا بمجئونه موضوع الروح والمطور

ومن العلماء ذوى المكانة الكبرى الذين اشتركوا في البحوث الروحية بيركورى عالم الراديو وزوجته ماري Pierre et Marie Curie والفسيولوجى ديران دى جرر Durand De Gros . ومنهم من قام بإثبات حقيقة الحياة بعد الموت عن طريق بحوثه في علوم الأحياء ، ومعادلات رياضية شتى ، بالإضافة إلى بحوث الظواهر الوساطية ، وهى تتضافر معها في إثبات هذه الحقيقة .

(١) وسنعالج تفصيلاً موضوع هذا النموذج في الفصل الذى خصصناه للكلام في « الجسد الأثيرى عند الإنسان » وهو أحد فصول الباب المقبل .

(٢) راجع ما سبق من ١٨٨ .

ومن هذه الطائفة الأخيرة العالم الأيرلندي شارل هنري Charles Henry الذي كان يدير معمل « فسيولوجيا الانفعالات بالسوربون » . وقد وجد سيلا علياً لإثبات الحياة بعد الموت قائلاً : إذا كانت دراسة الروح كما تكون عليه بعد الموت اعتبرت فيما مضى ، ما يدخل في نطاق البحث فيما وراء الطبيعة فإنها ستصبح غداً من البيولوجيا .

وقد قدم فرنان ديفوار Fernand Divoire مدير دار الكتب المعاصرة ، شارل هنري بهذه العبارة : إنه أحد هؤلاء العلماء الذين لا يمكن أن يفهم أعمالهم بالكامل أكثر من دستة في العالم من أمثاله . وقد قادته مباحثته إلى اكتشاف المواد التي تحدث التعادل البيولوجي ... كما وجد دليلاً رياضياً على الحياة بعد الموت ،^(١) .

وكتب الأستاذ شارل أندري بورجوا Charles Andry Bourgeois عنه قائلاً إنه طبق الرياضيات على دراسة الانفعالات فشيدها علماً حقيقياً عن الانفعالات من الوجهة النفسية الفيزيائية psychophysique des sensations وتأثير المواد التي تحدث التعادل في بيولوجيا الروح^(٢) . وانتهى إلى الإثبات العلني للحياة بعد الموت ولوجود الله تعالى . وهو على اتفاق مع برجسون Bergson وهنري بوانكاريه الذي قرر أنه لا يوجد ما هو حق إلا الروح ومظاهرها الخارجية ، ومع الدكتور جوستاف جيلي Geley في مؤلفه عن « التفسير المثالي للعالم عن طريق عنصر واحد »^(٣) .

كما كتب الدكتور دارسونفال D' Arsonval عضو أكاديمية العلوم والطب والأستاذ بالكوليج دي فرانس ، ورئيس المعهد العام للسيكولوجيا ، في مقدمة لكتاب السيدة الكسندرا دافيدنيل Alexandra David Neel عن « الغيبيات والسحرة في بلاد التبت »^(٤) يقول :

(١) أشار إليه أنكييل Anquetil في مؤلفه :

Le Reliquaire De La Mort p. 101.

Reactions des resonateurs biopsychique.

Le Monisme Idéaliste.

Mysticisme Et Magiciens Au Thibet.

(٢)

(٣)

(٤)

وفي المحاضرات التي طلبت من مدام دافيد نيل أن تلقى في الكرسي الذي أشغله الآن (في الكوليج دي فرانس) - والذي كان يشغله أستاذنا كلود برنار - أمكن للسيدة أن تنتهي إلى النتيجة الآتية ، وهي أن كل ما يتصل من قريب أو من بعيد بالظواهر الروحية - وتأثير القوى الروحية بوجه عام - ينبغي أن يدرس كأى علم من العلوم . فلا توجد هناك خوارق للطبيعة ، وليس هناك ما من شأنه أن يورث الأخطاء ، بل إن الدراسة الروحية العاقلة التي تسعى على نهج علمي يمكن أن تؤدي بنا إلى نتائج مرجوة .

ولذلك فإن ما يجمع من المعلومات عن هذا الطريق - حتى ولو تمت تلك الدراسات بأسلوب حماسي وعلى أساس من النظريات التي لا يمكن قبولها كلها - تكون في النهاية وثائق مفيدة جدية بالتفاتها ، ثم يضيف الدكتور دارسونفال معقبا : إن هذا هو النهج العلمي الصحيح البعيد عن التشكك قدر بعده عن التصديق الأعمى .

وهو ما عبر عنه الجراح الكبير مارتل Martel عندما قال أيضاً ، إن خطة العلم المادى في أن يحبس نفسه داخل صندوق من حديد كما لا يحصص الأصوات ومظاهر القوى التي تأتينا من العالم الآخر ... لخطة غير مشروعة ، فما يجب أن زفض إجراء أية تجربة مهما كان نوعها ،^(١) .

جان ليرميت

ومن علماء المادة الفرنسيين الذين بحثوا موضوع الروح الدكتور جان ليرميت Jean Lehermitte الأستاذ بكلية الطب بباريس والذي خرج من بحوثه بأن رؤية روح الإنسان الحى ليست خيالا بل حقيقة علمية . وحاضر في هذا الموضوع ونشرت نتيجة أبحاثه ، الصحيفة البريطانية العلمية ،^(٢) في عدد الأسبوع الأول من شهر مارس سنة ١٩٥٠ .

Mme Blavatsky : Isis Devoilée T. 4, P. 366.

(١)

British Medical Journal.

(٢)

وقد انتهى ليرميت إلى أن الطرح الروحي حقيقة واقعة وقال إنه حقق حالة فناء عندما تأوى إلى فراشها كانت تشعر بانقسام في جسمها يتبعه انسياب جزء منه فوقه (وهو جسدها الأثيري) كما ذهب إلى أن الطرح الروحي الذي يحدث في حالات الصرع هو في حقيقته ضد ضلالة التصور أو الهلوسة . وبعد أن سرد حوادث متعددة لهذا الطرح الروحي لاحظ — كما لاحظ عدد من الوسطاء الروحيين وأكبره — وجود شعور من التبعية أو الارتباط المادى والروحي بين الروح المطروحة وصاحبها ، أو بين الشبح والأصل لأن الإنسان في هذه الحالة لا يعتقد لحسب أنه يستطيع أن يرى شبح نفسه وكأنما انعكس على مرآة ، بل يدرك كذلك أن في هذا الشبح يوجد جزء من نفسه . فهو يشعر كما لو كان مرتبطاً بهذا الشبح بروابط روحية ومادية . .

دور المعهد الدولي لما وراء الروح ،

ويتعذر علينا أن نأخذ فكرة كافية عن بحوث الروح في فرنسا إلا إذا أفسحنا مكاناً مناسباً للمعهد الدولي لما وراء الروح ، Institut Métapsychique International . وما وراء الروح La Métapsychique هو — بحسب تعريف شارل ريشيه — العلم الذى « يدرس جميع الظواهر التى تبدو مسندة إلى قوى عاقلة غير معروفة ، وتدخل فيها الظواهر الغريبة لعقلنا الباطن » . وهو بحسب دائرة معارف لاروس Larousse ، علم دراسة ظواهر الروح الإنسانية التى تتجاوز علم النفس العادى ، (١) .

وقد تأسس هذا المعهد فى سنة ١٩١٩ . وكان أعضاؤه المؤسسون هم : شارل ريشيه الأستاذ بكلية الطب بباريس رئيساً شرفياً وسانتوليكيديو R. Santoliquido مستشار الدولة فى إيطاليا رئيساً والمفتش العام ليكلينش Leclainche والعالم السيكلوجى الإيطالى إرنستو بوزانو E. Bozzano

(١) Science des phénomènes de l'âme humaine qui dépassent la psychologie ordinaire.

والوزير جيل روش Jules Roche والدكتور ترسييه Treissier وأرنودي
جرامون Arnaud De Gramont عضو أكاديمية العلوم والمفتش العام
الدكتور كالميت Calmette والدكتور شارل رو Charles Roux والسناتور
سيراولو Ciruolo وسينيو Guccio الأستاذ بكلية الطب وسير أوليفر لودج
العالم الانجليزي والدكتور ماكسويل Maxwell النائب العام وإرنست ماير
E. Meyer مستشار الدولة بباريس والعالم الألماني شرنك فون فوتزنج
Schrenck Von Notzing وعدد آخر من العلماء والباحثين في فرنسا وإنجلترا
وألمانيا وإيطاليا .

وأطلق عليه اسم « المعهد الدولي لما وراء الروح » ، على اعتبار أن
« ما وراء الروح » وصف عام يشمل كل الظواهر غير المألوفة وغير
العادية التي قد لا يعرفها أو قد لا يعترف بها علم النفس العادي ، ومن بينها
ظواهر الوساطة الروحية .

لحين يطلق وصف « الاسبرتزم » ، أو علم التجريب الروحي على
« الفقه المؤسس على وجود الأرواح وظواهرها وتعاليمها » بحسب تعريف
آلان كاردك . يطلق وصف « ما وراء الروح » كما قلنا آنفاً على كل بحث
يتجاوز بحوث علم النفس العادي وينصب مباشرة على دراسة الظواهر غير
العادية أو غير المألوفة المسندة إلى قوى عاقلة غير معروفة ، بصرف النظر
عما إذا كان مصدرها من عالم الروح أم من عالم المادة ، وبدون ارتباط مبدئي
بمصدرها من عالم آخر ، ولكن بدون إنكار لهذا المصدر .

فعلم ما وراء الروح هو في الواقع قطاع من العلم الروحي الحديث
ينصب مباشرة على دراسة الظواهر الوساطية ، وتسجيلها بين ظواهر أخرى .
أما التجريب الروحي أو الاسبرتزم Spiritisme فهو يطوى دراسة هذه
الظواهر ، كما يطوى أيضاً دراسة الكائنات العاقلة المحدث لها ، من ناحية حقيقة
أمرها كأرواح أشخاص انتقلوا إلى عالم الروح أو غيرهم ، ومن ناحية إثبات

شخصيتها ، ومن ناحية صلاتها بنا ، ووصف العالم الذى تعيش فيه ، هذا إلى دراسة الآراء التى تنادى بها نقداً وتحليلاً .

والموضوعات التى تبحث فى فرنسا تحت وصف « ما وراء الروح » ، هى نفس الموضوعات التى تبحث فى البلاد الأنجلوسكسونية وألمانيا تحت وصف « الباراسيكولوجى »^(١) . لذا يمكن القول بأن علوم التجريب الروحى « الاسبرتزم » ، والروح ، وما وراء الروح والباراسيكولوجى متكاملة ، تجمعها رابطة هامة واحدة هى أنها هى كلها تدور حول التسليم بإمكان استقلال الوعى الإنسانى عن الجسد والشعور عن الحواس .

ووصف علم الروح (بالفرنسية Science Psychique وبالانكليزية Psychic Science) بالإضافة إلى أنه يشمل دراسة الظواهر غير المألوفة ، فإنه يشمل أيضاً دراسة المشكلات الفلسفية والعلمية المتصلة باستقلال الوعى عن الجسد . فهو أكثرها شمولاً ، ويعد الأصل العام للعلوم الثلاثة الأخرى التى تعتبر فروعاً منه .

وكان علم « ما وراء الروح » ، يعد فى وقت من الأوقات منافساً خطراً لعلم الروح ؛ لكن سرعان ما تبين أن الفصل بينهما متعذر ، بل لقد تراجع « ما وراء الروح » ، تراجعاً واضحاً لمصلحة العلم الروحى الذى تفوق عليه مكتسباً أنصاراً جدداً على الدوام من بين أنصاره^(٢) . حتى ليكن القول الآن إنه لا يكاد يوجد باحث على جاد بدأ بحوثه الروحية تحت وصف علم ما وراء الروح (أو الباراسيكولوجى) إلا وقد انجبه مع الوقت اتجاهها

(١) راجع ما سبق ص ١٧٤ — ١٨٥ .

(٢) راجع فى هذا المعنى مدام إيفون كاستلان Yvonne Castellan فى مؤلفها :

Le Spiritisme.

وهو أيضاً باحث فى علم « ما وراء الروح » ولها فيه مؤلف عنوانه La Métapsychique

وراجع أيضاً مؤلفاً عنوانه « ما هو ما وراء الروح بحسب ريشيه وبرجسون وأوستي؟ »

Frédéric Saisset Qu'est-ce Que La Métapsychique للأستاذ فريدريك سيسيه

Paris سنة ١٩٥٠ .

واضحاً وصريحاً نحو تعليل الظواهر الوسايطية بالروح ، ونحو الاقتناع بالحياة بعد الموت كحقيقة عليية تسكن وراء هذه الظواهر في دلالاتها الواضحة ، والتي يتعذر أن يجد العلم المادى لها تعليلاً آخر في قوة التعليل الروحى ، أو يمكن الاستغناء به عنه .

على أنه بين العلمين في النهاية وثيق صلة ، فلا يمكن للعلم الروحى أن يزعم أن كل الظواهر الوسايطية تخضع لتأثير مباشر من عالم الروح أو من أرواح المنتقلين . فقد تبين أن ثمت ظواهر وساطية — وإن كانت بذاتها تثبت استقلال الوعى عن الجسد المادى — وبالتالي إمكان بقائه بعد تحال هذا الأخير — إلا أنها ليست خاضعة حتماً لتأثير من عالم آخر .

وهذا التحفظ في اختيار اسم « المعهد الدولى لما وراء الروح » ، قصد به توسيع رسالة هذا المعهد ونطاق نشاطه ، كما روعى فيه عدم تقييده مقدماً بأى اتجاه معين ، مع أن جل مؤسسيه كانوا قد انحازوا انحيازاً صريحاً إلى جانب التعليل الروحى في بحوثهم للظواهر الوسايطية .

ومنذ بدأ هذا المعهد أعماله في سنة ١٩١٩ تلقى اعترافاً رسمياً من الحكومة الفرنسية بأنه « مؤسسة ذات نفع عام » ، ومجالاته تتضمن أحياناً ظواهر حضور الأرواح من العالم الآخر ونجارب الجلاء البصرى ، والتجسد السكلى والجزئى ، وكافة المباحث الروحانية وما يتصل بها ، حتى كاد أن يكون مهيئاً للأرواح ، لكنه لم يقصر نشاطه على هذه المباحث وحدها .

جوستاف جيلي

ومن الدلالات ذات المغزى الهام أن مديره الأول وهو الدكتور جوستاف جيلي Gustave Geley (١٨٦٨ - ١٩٢٤) الذى تولى إدارته من سنة ١٩١٩ إلى سنة ١٩٢٤ كان من الباحثين الروحانيين الذين عثوا بوجه خاص بظواهر التجسد ودراسة مادة الاكتوبلازم . ومن مؤلفاته في

هذا الشأن ، الاكتوبلازم والتجسيدات^(١) ، و ، الاكتوبلازم والجلاء البصرى^(٢) ، (١٩٢٤) .

وقد حاضر جيلى فى هذا الشأن فى أرقى معهد على فرنى وهو الكوليج دى فرانس ، Collège De France عن تجاربه على الوسيطة الروحية إيفا Eva — وقد استغرقت



ثمانية عشر شهراً بين عامى ١٩١٧ ، ١٩١٨ — تحت عنوان «الفسيولوجيا التى توصف بأنها فوق العادية»^(٣) ، وشرح فى محاضراته بكل دقة ظاهرة التجسد الجزئى لايد ولوجوه ولرؤوس غير منظورة عن طريق مادة الاكتوبلازم التى حلتها مراراً ووصفها وصفاً دقيقاً فى محاضراته^(٤) .

جوستاف جيلى

وسنقدم فى فصل لاحق نموذجاً لوجه تجسد فى حضوره عن طريق الوسيطة إيفا هو وجه المركيزة دى سانت أمارانت التى أعدمها الثوار فى سنة ١٧٨٩ . كما ألف كتاباً فى سنة ١٩١٩ عنوانه « من العقل الغير الواعى إلى العقل الواعى »^(٥) وهو دراسة فريدة لنظريات التطور الإنسانى ونشوء الحياة على هذا الكوكب ، أو بالأدق نشوء الوعى الإنسانى وتطوره نحو الاكتمال . ومن مؤلفاته أيضاً « الكائنات فوق الواعى »^(٦) و « أدلة التحول وتعاليم

L'Ectoplasme Et la Materialisation. (١)

L'Ectoplasme Et La Clairvoyance. (٢)

Physiologie dite supra-normale, (٣)

(٤) راجع ما سبق من ١١٩ — ١٢٢ ، ١٣٢ — ١٤٠ .

De L'inconscient Au Conscient. (٥)

L'être Subconscient. (٦)

نظرية التطور،^(١) . وقد توفي جيلي في حادثة سقوط طائرة كان قد استقلها من وارسو عائداً إلى باريس بتاريخ ١٤ يولية سنة ١٩٢٤ ، وكانت إحدى الوسيطات وهي مدام بيروتيه Peyrouet قد تنبأت بالحادثة — بإشارات واضحة الدلالة — داخل المعهد الدولي في ٩ يولية للدكتور أوستي الذي كان يعمل معه فيه . . . (على ما رواه شارل ريشيه في مجلة المعهد : سنة ١٩٣٠ ، العدد الأول ص ١٠٨ — ١١٠) .

أوجين أوستي

ثم راح خلفه الدكتور أوجين أوستي Eugène Osty — الذي تولى إدارة المعهد من سنة ١٩٢٥ إلى سنة ١٩٣٨ — يبحث بوجه خاص في ظواهر الإدراك عن غير طريق الحس *perception extra sensorielle* التي منها التلباتي، والجللاء البصري، والجللاء السمعي، وألف فيها كتاباً عنوانه المعرفة الفوق العادية^(٢) ، التي كانت تميز بعض العرافين والعرافات الذين أخضعهم لبحوثه مثل العراف باسكال فورثوني Pascal Forthuny ودامدي فلييريير De Fleurière .

وقد تعرض فيه لطائفة من العوامل التي قد تلعب دوراً في أخطاء الوسطاء ، خصوصاً أخطاء التنبؤ بالمستقبل . ومن بينها سوء استخدام الوسيط أو مقاطعة أفكاره بأفكار أخرى أو توجيهه فكرياً في اتجاه معين من نفس الشخص الذي قد يستشير ، إلى غير ذلك من صور التداخل التي قد توجه الوسطاء إلى بعض صور الخطأ المحتملة . يضاف إلى ذلك أن العقل الواعي للوسيط قد يترجم ترجمة خاطئة ما قد يراه من رؤى مختلفة قد تؤدي به إلى خطأ في الشخصية .

ومن ذلك ما ذكره من أن وسيطاً تنبأ يوماً لأحد سائليه بكل التفاصيل التي ستقع عند انتقاله إلى عالم الروح ، فتحققت النبوءة عند وفاة

(١) Les Preuves Du Transformisme Et Les Enseignements

De la Doctrine Evolutionniste.

Connaissance Supra Normale.

(٢)

والد السائل بكل تفاصيلها ، فهنا حدث خطأ في الشخصية ... وهكذا .
والدكتور أوستى مؤلفات أخرى قيمة مثل : شفافية وإلهام : دراسة
تجريبية .^(١) (١٩١٣) و : اتجاه الحياة الإنسانية ، (٢) (١٩١٩) . وذلك
بالإضافة إلى دراسة موضوعها : القوى المجهولة للروح على المادة ، (٣) قام بها
بالاشتراك مع نجله مارسيل أوستى Marcel Osty .

رينيه فاركوليه



ولا يزال المعهد الدولي لما وراء الروح ،
يواصل رسالته حتى الآن بميدان فخرام
نمرة ١ باريس . وقد تولى إدارته منذ سنة
١٩٥٠ إلى سنة ١٩٦٢ المهندس رينيه فاركوليه
René Warcollier الذي انتقل إلى عالم الروح
في هذا العام الأخير . وقد عرف ببحوثه
الغزيرة التي جاوزت خمسين بحثاً في الظواهر
الوساطية بما في ذلك السيكونمى والتجسد
والتلباثى والجللاء البصرى والتنبؤ وتعريف
الزمان والمكان بحسب علم الروح ونظرية العودة

فاركوليه

للتجسد Reincarnation ، إلى غير ذلك من الموضوعات التي يعنى بها علماء الروح
وما وراء الروح . ومن يرجع إلى مجلد سنة ١٩٦٢ من مجلة هذا المعهد يجد فيه
بياناً لبحوث فاركوليه نشر بمناسبة انتقاله إلى عالم الروح ، فليرجع إليها
من شاء الاستزادة في هذه الأمور^(٤) . وله أيضاً كتاب عن التلباثى يرجع إلى
سنة ١٩٢١^(٥) .

(١) Lucidité Et Intuition. Etude Experimentale: Alcan 1913.

(٢) Le Sens De La Vie Humaine.

(٣) Les Pouvoirs Inconnus De L'Esprit Sur La Matière.

(٤) من ٣٥ ، ٣٦ من Revue Métapsychique.

(٥) La Telepathie.

ل . شفرى

ثم أضف إلى البيانات المستمدة من أعمال هذا المعهد الدولى لمدة قاربت الآن نصف قرن ، شهادة الأكاديمية الفرنسية L' Academie Francaise وهى تمنح فى سبتمبر سنة ١٩٣٠ جائزة فاني إمدن إلى الأستاذ ل شفرى عن مؤلف عنوانه « الإنسان لا يموت » يدور حول نتائج البحوث التى جرت حتى هذا التاريخ فى المعهد الدولى وفى غيره ، لتعلم أن الموضوع قد دخل حيز اليقين العلمى بالفعل . وأن الجدل به أو المسكورة فيه الآن لا تجوز إلا بمن لا يزال يحمل كروية الأرض ودورانها حول نفسها وحول الشمس ، وهؤلاء كثيرون لكنهم على أية حال أقل عدداً ممن لا يزالون يحملون حقائق علم الروح الحديث .

طائفة من الفلاسفة ومحمد الأندلسى

هذا عن البحوث التى جرت بمعرفة علماء متفرقين أو داخل المعهد الدولى لما وراء الروح ، . ولا يتم سردنا لبعض الأسماء والمراجع الفرنسية فى هذا الموضوع إلا إذا أوردنا بعض شذرات سريعة عن جانب من أبرز فلاسفة هذا الموضوع وكتابه من حملة الأفلام فى فرنسا ، أسوة بما فعلناه عنهم فى غيرها .

آلوه فاردك

لعل أبرز فيلسوف فرنسى فى موضوع الأرواح حتى الآن هو آلان كاردك Allan Kardec (١٨٠٤ — ١٨٦٩) . وقد كان طبيباً وعالماً تربوياً وواصل بحث هذا الموضوع لسنين طويلة داخل جمعية روحية أنشأها خصيصاً كانت تضم صفوة من أهل الأدب والفكر هناك ممن ذكرنا بعض أسمائهم آنفاً ، ولها جملة فروع فى الأقاليم ، كما كان ينشر اتصالات هذه الجمعية مع الأرواح فى مجلة أنشأها لهذا الغرض اسمها « المجلة الروحانية » (١) . وله مؤلفات عديدة تعد من أفضل المراجع فى هذا الموضوع فى فرنسا والبلاد

اللاتينية بوجه عام أهمها كتاب الأرواح،^(١) وكتاب الوسطاء،^(٢) والتكوين،^(٣) ومؤلفات ما بعد الموت،^(٤) و«الجنة والنار»،^(٥) و«تعريف عملي بالظواهر الروحية»،^(٦).

ولنا عودة إلى أعمال هذا الباحث الفيلسوف عندما نعرض في الجزء الثاني لموضوع «الثواب والعقاب»، إذ ستكون بحوثه هي المرجع الرئيسى لنا فيه، وبخاصة مؤلفه «الجنة والنار».

ليون دني

ويجىء بعده دور ليون دنيز Léon Denis (١٨٤٧ - ١٩٣٧) الذى كان وسيطاً وفيلسوفاً، وقد ألف فى موضوع الأرواح حوالى ثمانية عشر كتاباً، ودخل بسبب بعضها فى صراع شديد مع رجال الدين من الكاثوليك الذين جهروا بعدائهم للحركة، فهاجمهم بعنف أصبح يميزاً لكتابات فى عدد من المواضيع الكهنوتية التى أثارها فى بعض مؤلفاته.

وأهم هذه المؤلفات «بعد الموت»،^(٧) و«مشكلة السكان والمصير»،^(٨) الذى يتضمن ثمرة تجريب طويل فى دائرته الروحية بمدينة تور Tours و«المسيحية والروحية»،^(٩) و«العالم الغير المنظور والحرب»،^(١٠) و«عبقريّة الصلت والعالم الغير المنظور»،^(١١) وقد ذكر فيه «أن روح آلان كاردك هى

Le Livre Des Esprits.	(١)
Le Livre Des Mediums.	(٢)
La Genèse.	(٣)
Oeuvres Posthumes.	(٤)
Le Ciel Et L'Enfer.	(٥)
Instruction Pratique Sur Les Manifestations Spirites.	(٦)
Après La Mort.	(٧)
Le Problème de l'Etre Et De La Destinée.	(٨)
Christianisme Et Spiritisme.	(٩)
Le Monde Invisible Et La Guerre.	(١٠)
Le Génie Celtique Et Le Monde Invisible.	(١١)

التي دفعتني إلى تحرير هذا الكتاب، وسيجد فيه القارىء مجموعة من الرسائل التي أملتها علينا روحه بطريق الاندماج incorporation في ظروف تنفي كل خداع. وفي خلال هذه المحادثات قدمت إلينا أرواح تحررت من حياتها الأرضية نصائحها وتعاليمها.

ومن أهم مؤلفاته أيضاً « في الغير المنظور : الروحية والوساطة »،^(١) و« اللغز الكبير »،^(٢) و« الله والكون »،^(٣) الذي شرح فيه نظريات الأرواح فيما وراء الطبيعة.

ومن مؤلفاته أيضاً « الحقيقة حول جان دارك »،^(٤) الذي أظهر فيه قدسية اللورين في رداها الصحيح كوسيطه كانت تعمل بتوجيه من أرواح ذكرت أسماءها، وهي أرواح القديس ميخائيل والقديستين كاترين ومارجريت، حتى تمكنت من تحرير وطنها من معتد غاصب فكان جزاؤها الأوفى أنها ما بالسكر وإحراقها حية، ف راحت ضخمة الظلم الغشوم كراحت من قبل القديستان مارجريت وكاترين. وقد كانت جان دارك في حياتها ومماتها أروع مثال لقصة السكفاح الخالد بن الخير والشر، ثم أصبحت الساحرة في حياتها الأرضية قدسية تستحق الاحترام والتبجيل، وتقام لذكراها الموالد والأعياد بعد مضي خمسة قرون. ومن يدرس تاريخ جان دارك بعناية يدرك تماماً أنها لم تكن واهمة. فمن رؤى صادقة إلى مشاهدة الأرواح وسماع أصواتها إلى محاولات متكررة كيما تروغ منها لمدة أربع سنوات، إلى أن أذعنت على مضض، مما يبين تماماً أنها كانت مسيرة بقوى غير منظورة غلبتها في النهاية على إرادتها، لخدمة هدف معين كانت الأرواح تريد تحقيقه. وقد أعجب به الأديب الكبير سير آرثر كونان دويل فنقله إلى الإنكليزية تحت عنوان « لغز جان دارك »،^(٥).

Dans L'invisible : Spiritisme Et Mediumnité. (١)

La Grande Enigme. (٢)

Dieu Et L'Univers. (٣)

La Vérité Sur Joanne D'Arc. (٤)

The Mystery Of Joan Of Arc. (٥)

وقد انتخب ليون دينيز رئيساً فخرياً لل مؤتمر الروحي الدولي الذي عقد في باريس في سنة ١٩٠٠ كما أعيد انتخابه رئيساً للمؤتمر الذي عقد في سنة ١٩٢٥ وانتقل إلى عالم الروح في سنة ١٩٢٧ .

مبارييل ديلان

من الباحثين الفرنسيين أيضاً جابريل ديلان Gabriel Delanne (١٨٥٧ - ١٩٢٦) وكان مهندساً ، وتولى في وقت ما رئاسة تحرير المجلة العلمية والخلقية للروحانية^(١) ، وقام يبحث الظواهر الروحانية بأسلوب علمي ، وكان باحثاً مدققاً أميناً ، ويعتبر من رواد الحركة الروحانية الفرنسية ، إذ ظهر له أول مؤلف فيها وعنوانه : الظاهرة الروحانية^(٢) في سنة ١٨٩٤ ثم ظهرت له بعد ذلك عدة مؤلفات مثل : الروحانية إزاء العلم^(٣) (١٨٩٥) ومثل : بحوث على الوساطة^(٤) (١٨٩٦) و : الروح خالدة ، أو بينات على الحياة المستقبلية^(٥) (١٩٠٤) و : أشباح متجسدة لأحياء ولأموات^(٦) في جزئين ظهر أولهما في سنة ١٩٠٩ وثانيهما في سنة ١٩١١ .

وقد كان ديلان أكثر اعتدالاً من ليون دينيز في موقفه من رجال الكنيسة ، والتزم موقف آلان كاردك المعتدل من ناحية محاولة التوفيق بين آرائهم وآراء الأرواح وقد أسس ديلان مع آخرين : الاتحاد الروحي الفرنسي^(٧) في سنة ١٩١٧ .

بمات آفرويه

ومن البحوث المعروفين مدام جوليت ألكسندريسون J. A. Bisson التي ظلت تواصل تجاربها في باريس على الوسيطة إيفامن سنة ١٩٠٨ إلى

-
- | | |
|---|-----|
| La Revue Scientifique Et Morale Du Spiritisme. | (١) |
| Le Phenomène Spirite. | (٢) |
| Le Spiritisme Devant La Science. | (٣) |
| Recherches Sur La Mediumnité. | (٤) |
| L'Ame Est Immortelle. | (٥) |
| Les Apparitions Materialisées Des Vivants Et Des Morts. | (٦) |
| L'Union Spirite Francaise. | (٧) |

سنة ١٩١٣ بالاشتراك مع العالم الألماني الدكتور ثرنك فون نوتزنج من ميونيخ Schrenck Von Notzing والتي ورد بيانها في مؤلف لها عنوانه «الظواهر الموصوفة بالتجسد»^(١) (١٩١٤) وفي مؤلف للدكتور نوتزنج عنوانه «ظواهر التجسد»^(٢) (وله ترجمة إنكليزية) .

ومنهم الدكتور شازاران L. Ch. Chazarain وله مؤلف عنوانه «الأدلة العلمية على حياة الروح بعد الموت»^(٣) (١٩٠٥) وآخر عنوانه «تجسّدات غير معروفة كثيراً شوهدت في باريس»^(٤) (١٩١١) .

ومنهم ميشيل ساج Michel Sage ومن مؤلفاته «مدام بيير وجمعية البحث الروحي الأنجلو أمريكية» (١٩٠٢) «بمقدمة من الفيلسوف كامي فلاماريون»^(٥) و «منطقة الحدود»^(٦) (١٩٠٣) ثم ظهر له كتاب «الصعود الكوني»^(٧) ، ثم ظهر له كتاب «الروحانية مشكلة علمية»^(٨) (١٩٣٠) .

ومنهم الراعي ألفريد بينزيك Alfred Bénézech الذي انتقل إلى عالم الروح في سنة ١٩٢٦ بعد أن وضع عدة مؤلفات مثل «الظواهر الروحية ومسألة العالم الآخر»^(٩) و «الأمم والحياة مجددة»^(١٠) و «محادثات

-
- | | |
|--|------|
| Les Phenomènes Dits De Matérialisation. | (١) |
| Phenomena Of Materialisation. | (٢) |
| Les Preuves Scientifiques De La Survivance De L'Ame. | (٣) |
| Materialisations Peu Connues Observées à Paris. | (٤) |
| Mme Piper Et La Société Anglo-Américaine Pour Les | (٥) |
| Recherches Psychiques (Leymarie). | |
| La Zone Frontière. | (٦) |
| L'Ascension Cosmique. | (٧) |
| Le Spiritisme Problème Scientifique. | (٨) |
| Les Phenomènes Psychiques Et La Question De | (٩) |
| L' Au—Delà | |
| Souffrir Revivre. | (١٠) |

خلقية ودينية،^(١) كما ساهم في تحرير « الجريدة الروحية » .

وقد واصل ابنه الأستاذ شارل بينزيك Charles Bénézec الذي كان مستشاراً بمحاكم الاستئناف بحوث والده وأصدر فيها مؤلفاً عنوانه « الحياة الأرضية وحياة ما بعد القبر »،^(٢) سنعود إليه في الجزء الثاني .

ومن البحوث المعروفين أيضاً شارل لانسلان Charles Lancelin الذي له عدة مؤلفات هامة في هذه الأمور منها « العالم الآخر ومشكلاته »،^(٣) و « التدليس في إحداث الظواهر الوساطية »،^(٤) و « كيف يموت الإنسان وكيف يولد »،^(٥) و « طريقة الازدواج الشخصي »،^(٦) و « العودة إلى التجسد »،^(٧) و « الروح الإنسانية »،^(٨) و « الحياة بعد الموت »،^(٩) .

ومنهم الباحث بيير لي كور Pierre Le Cour وله في الروحية عدة مؤلفات منها « ظواهر ما بعد الموت »،^(١٠) الذي يسرد فيه اتصالاته مع غير المنظورين من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٨ ، بما في ذلك تجارب التجسد التي شاهدها في « المعهد الدولي لما وراء الروح » ، في حضور مديره الدكتور جيلي وبعض الباحثين مؤيدة بالصور التي التقطها للوسيلة إيذا والأرواح ،

-
- | | |
|---|-------------------------|
| Causeries Morales Et Religieuses. | (١) |
| La Vie Terrienne Et La Vie D'Outre Tombe. | (٢) |
| L'Au-dela Et Ses Problemes. | (٣) |
| La Fraude Dans la Production Des Phenomènes Médiumniques. | (٤) |
| Comment On Meurt, Comment On Naît? | (٥) |
| Méthode De Dédoublément Persounel. | (٦) |
| La Reincarnation. | (٧) |
| L'Ame Humaine | (٨) |
| La Vie Posthume. | (٩) |
| Manifestations Posthumes. | (١٠) وراجع ما سبق ص ٢٨٠ |

إذ إنه من هواة التصوير. ومن مؤلفاته أيضاً، الحاسة السابعة^(١)، والبحث عن عالم مفقود^(٢) .

رينيه سيدر

ومنهم بحثة معروف وهو رينيه سيدر René Sudre الأستاذ بمدرسة الدراسات العليا الاجتماعية بباريس ونائب رئيس «المعمل الوطني للبحث الروحي» بلندن^(٣) كما كان مساعداً للدكتور جيلي في إدارة المعهد الدولي لما وراء الروح، بباريس من سنة ١٩٢١ إلى ١٩٢٦ .

وهو مفكر ممتاز في علم ما وراء الروح ، وله بحوث عميقة نشرت في مجلة هذا المعهد بين عامي ١٩٢٦ ، ١٩٣٠ في نظريات التعليل الروحي للطبيعة والسكون تضاهي في عمقها بحوث برجسون وشوبنهاور وغيرهما من فلاسفة التطور الروحي كما أسهم بدور فعال في المؤتمرات الروحية الدولية التي عقدت في كوبنهاجن في سنة ١٩٢١، وفي وارسو في سنة ١٩٢٣، وفي باريس في سنة ١٩٢٧ وأسس «المكتبة الدولية للعلم الروحي والباراسيكولوجي»^(٤) التي قامت بترجمة أهم مؤلفات العلماء سير باريت وكروفرود وشرنك فون نوتزنج وغيرهم إلى اللغة الفرنسية .

وأهم مؤلفاته «مقدمة لعلم ما وراء الروح الإنساني»^(٥) (١٩٢٦) .

منابع لبحاث آخريين

ومن البحات المعروفين أيضاً ج سيمون G. Simon الذي له مؤلف عن

(١) Le Septième Sens.

(٢) A La Recherche D'un Monde Perdu. L'Atlantide Et Ses

Traditions.

(٣) راجع ما سبق عنه ص ٢٢٨ - ٢٣١ .

(٤) Bibliothèque Internationale de Science Psychique et

Para-Psychologie

(٥) Introduction A La Méta — Psychique Humaine, Payot.

(م ١٩ — الإنسان روح)

الموائد المتكلمة عند فكتور هيجو،^(١) (١٩٢٣) . والكونت سيزار دى فيزم Cesar De Vesme (وهو من أب إيطالي وأم فرنسية) وله عدة مؤلفات قيمة منها « تاريخ الروحية التجريبية »،^(٢) الذى حصل على جائزة أكاديمية العلوم (١٩٢٨) ومنهم ج . لاباديه J. Labadie مؤلفه « عند حدود العالم الآخر »،^(٣) (١٩٣٩) .

ومنهم أندريه ديماس André Dumas ومن أهم مؤلفاته الروحية « التطور العالمى أو أصل الروح الإنسانية ومصيرها »،^(٤) و « علم الروح »،^(٥) (١٩٤٧) ويتضمن الأخير منهما شرحاً للأصول العلمية لدراسة الظواهر فوق المألوفة ونظرية علم ما وراء الروح .

ومنهم موريس ماجر Maurice Magre وهو شاعر ومؤلف مسرحى وصاحب عدة مؤلفات فى الموضوعات الروحية منها : « الموت والحياة المستقبلية »،^(٦) و « الجمال غير المنظور »،^(٧) و « فى مطاردة الحكمة »،^(٨) و « التداخلات الفوق الطبيعية »،^(٩) .

ومنهم جورج فيتو Georges Vitoux الذى له عدة مؤلفات فى الروحية أهمها « خفايا الجانب الآخر »،^(١٠) و « الخفاء العلى »،^(١١) و « الأشعة السينية وتصوير غير المنظور »،^(١٢) .

(١) Chez Victor Hugo. Les fables Tournantes de Jersey.

(٢) Histoire Du Spiritisme Experimental. (J. Meyer, Paris).

(٣) Aux Frontières De l'Au—Delà (Grasset. Paris).

(٤) L'Evolution Universelle (Les origines et le devenir de l'ame humaine).

(٥) La Science de L'Ame (Ocia, Paris).

(٦) La Mort Et La Vie Future.

(٧) La Beauté Invisible.

(٨) A La Poursuite De Sagesse.

(٩) Les Interventions Surnaturelles.

(١٠) Les Coulisses De L'Au—Delà.

(١١) L'Occultisme Scientifique.

(١٢) Les Royons x, Et La Photographie De LInvisible.

إدوارد سابى

ومنهم إدوارد سابى Edward Suby وهو بدوره صاحب عدة مؤلفات قيمة فى العلم الروحى مثل كتاب « الصعود الإنسانى » (١) (١٩٣٨) وكتاب « ما وراء العالم المنظور » (٢) (١٩٤٧) و« نهاية عالم وقيامته » (٣) و« على طريق الإلهام » (٤) . كما أسس فى سنة ١٩٢٦ مدرسة روحية خاصة اسمها Ecole Addéiste تجمع على حد وصفه أصحاب العقول المتحررة فى البحث عن الحقيقة ، لمعالجه أمور العقيدة والفلسفة والاجتماع ، وتصدر جريدتين إحداهما تدعى «المجهود الروحى» (٥) والثانية تدعى « جبهة الروح » (٦) .

ومن أهداف هذه المدرسة ، بالإضافة إلى التوفيق بين شتى الاتجاهات الروحية ، تعزيز الأخوة بين أعضائها عن طريق محبة العدالة ، ومساعدة أعضائها فى البحث عن الله وشعارها « مزيد من المعرفة لمزيد من المحبة » (٧) .

جورج بارباران

ومنهم جورج بارباران George Barbarin وهو باحث وأديب معاصر غزير الإنتاج ، فقد ألف حتى الآن حوالى أربعين كتاباً فى كافة الموضوعات المتصلة بالروحانية التجريبية وفلسفتها وما يرتبط بها من أمور . ومن أهم مؤلفاته « غير المنظور وأنا » (٨) و« مؤلف صغير فى الغيب التجريبي » (٩) و« الدليل الروحى للإنسان العصرى » (١٠) و« كتاب الموت الهادى » (١١)

- | | |
|---|------|
| L'Ascension Humaine. | (١) |
| Au Déla Du Monde Visible | (٢) |
| Fin Et Ressurrection D'un Monde. | (٣) |
| Sur Le Sentier De L'Initiation. | (٤) |
| L'Effort Spirituel. | (٥) |
| Le Front De L'Esprit. | (٦) |
| Mieux comprendre pour mieux aimer. | (٧) |
| L'Invisible Et Moi. | (٨) |
| Petit Traité De Mysticisme. Experimental. | (٩) |
| Guide Spirituel De L'homme Moderne | (١٠) |
| Le Livre De La Mort Douce. | (١١) |

و هل الله رياضى ؟ ،^(١) و ما هو الإشعاع الحيوى ؟ ،^(٢) و ما بعد الموت ،^(٣)
و رحلة إلى أطراف العقل ،^(٤) . وقد ترجم عدد من مؤلفاته إلى لغات شتى .

بعض الأسماء والمراجع في بعض أمضى

ولنترك فرنسا اكتفاء بما بيناه من أسماء ومراجع كيما ننقل إلى باقى
البلاد الأخرى فنجد عدداً كبيراً من أفضل العلماء الذين بحثوا فى الظواهر الروحية
واقنعوا بصحتها وبدالاتها البالغة الخطورة فى بقاء الحياة بعد موت الجسد ،
ولنذكر منهم هنا بعض البارزين :

فى بلجيكا : نيجد الأديب والشاعر المعروف مورييس ماترلنك Maurice
Maeterlink (جائزة نوبل فى الأدب فى سنة ١٩١١) يعالج موضوعات
الروحية الحديثة بعمق وغزارة فى جملة مؤلفات : منها « ملسكة
الموتى » ،^(٥) و « الضيف المجهول » ،^(٦) و « أبديتنا وحطام العاصفة » ،^(٧) .

وفى هذا الأخير يقول إن أول ما يخطر على الذهن عند ما نبدأ فى دراسة
هذه الظواهر غير المألوفة هو تحليلها بالتدليس وبالذجل ، ولكن أقل
إلمام بحياة الوسطاء الثلاثة أو الأربعة الأوائل وعاداتهم وأساليبهم كافٍ
لحزوة أى ظل من الشك فى هذا الشأن .

وبين جميع التفسيرات المتصورة فإن التفسير الذى يعزو كل شئ إلى
الذجل والحيلة هو بغير نزاع أكثرها غرابة وأقلها احتمالاً ... فنجد اللحظة
التي يطرق فيها الإنسان طريق هذه المعرفة يجد أن شكوكه قد تبددت غير
تاركة وراءها أى أثر ، ويقنع أن مفتاح اللغز لا يمكن أن يكون فى الذجل ...
ومنذ أقل من خمسين عاماً كانت أغلب ظواهر التنويم المغناطيسى المعترف

Dieu Est-il Mathématicien ? (١)

Qu'est-ce Que La Radiesthésie? (٢)

L'Après Mort (٣)

Voyage Au Bout De La Raison. (٤)

Le Royaume Des Morts. (٥)

The Unkown Guest, (٦) وله ترجمة انكليزية عنوانها :

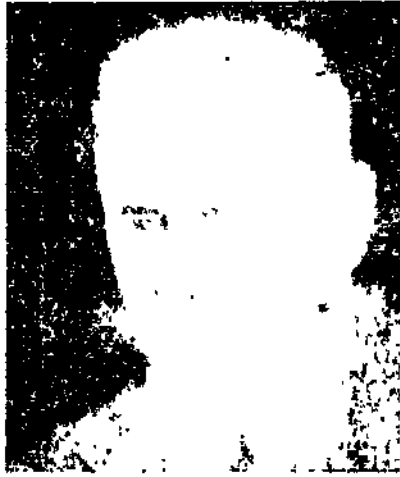
(٧) وله ترجمة انكليزية عنوانها :

Our Eternity and the Wrack of the Storm.

بها علماً الآن معتبرة تدليلاً ، ويبدو أن الإنسان يأتى أن يعترف أنه تسكن بداخله ملكات تتجاوز كثيراً مدى تصورهِ . . . ومن مؤلفاته أيضاً ، العالم العظيم التالى ، (١) .

وفى ألمانيا : نجد من المشتغلين بالبحث الروحى عالم النفس والبيولوجيا هانز دريش Hans Driesch أستاذ الفلسفة بجامعة ليبزج وله فيه مؤلف هام عنوانه ، البحث الروحى ، (٢) . كما نجد منهم الفلكى المشهور جوهان زولنر i G. F. Zollner الأستاذ بجامعة ليبزج (١٨٣٤ - ١٨٨٢) الذى يعد من رواد البحث الروحى وهو يعلن بكل ثقة فى ، الفيزياء السماوية ، (٣) « تؤكد ابنى الإنسان ناكداً بعيداً عن الشك أنه يوجد عالم ذكى آخر . ولقد صاغت صديقاً من هذا العالم ، ثم نشر فى هذا الموضوع كتاباً آخر عنوانه « أوراق علمية » ، (٤) أثبت فيه ما رآه وحققه بنفسه مع مجموعة أخرى من العلماء من المشاهدات الحسية فى الظواهر الروحانية .

ومن الأسماء الألمانية الطيب والبيولوجى شرنك فون نوتزنج Shrenck Von Notzing (١٨٦٢ - ١٩٢٩) وهو من علماء ميونيخ . ومؤلفه



شرنك فون نوتزنج

و ظواهر التجسد ، (٥) يعد من المراجع الأولى فى موضوع الاكتوبلازم . كما أن منهم الريشى Ulrici وفير Weber ورودلف تشنر R . Tischner الأساتذة بجامعة ليبزج . ومنهم كارل دى برل Carl Du Prel (١٨٣٩ - ١٨٩٩) بجامعة ميونيخ وفرتز جرونوالد Grunewald

The Great Beyond.
Psychical Research.

Transcendental Physics 1882.

Scientific Papers. ترجم إلى سنة ١٨٨٩ . Massey

Phenomena Of Materialisation.

(١) وله ترجمة انكليزية عنوانها :

(٢)

(٣) وله ترجمة انكليزية عنوانها :

(٤) وله ترجمة انكليزية : مرفقة ماسى Massey

(٥)

كارول جروبر Karl Gröher وبول سونر Paul Süner وريتشارد بوروالد R. Baerwald وإدوارد هارتمان E. Hartmann وألبير مول A. Moll وماكس دسوار M. Dessoir وغيرهم ..

وفي سويسرا: اشترك في بحث الظواهر الوسايطية العلامة كارل جوستاف يونج C. G. Jung (١٨٧٥ - ١٩٦١) أشهر علماء النفس في العصر الحاضر تحت وصف الباراسيكولوجي^(١) وقرر في مؤلفه «السيكولوجيا والدين»،^(٢) أن فكرة العقل الباطن ليست إلا فرض اختيار من باب التسهيل، وأن تجريبه السيكولوجي أظهر له غير مرة، أن ثمة أشياء تصدر عن نفس أو عن روح أكثر اكتمالا من الوعي، وأن هذه الأشياء تتضمن تحليلا أرقى أو نظرة فاحصة أدق لمعرفة لا يستطيع الشعور أن يمدنا بها

وفي مؤلفه «الإنسان الحديث يبحث عن نفس»،^(٣) نجده في طبعة سنة ١٩٤١ في الفصل العاشر وعنوانه «مسألة الإنسان الحديث الروحية»، يبشر بعالم الروح والحياة الروحية، ويقرر أن عالم المادة قد تبخر واندثر حتى في ضوء الفيزياء الحديثة. وسنبين في الجزء الثاني عند الكلام في موقع عالم الروح كيف قد تبخر عالم المادة هذا واندثر طبقاً لأحدث حقائق الفيزياء. كما سنعود إلى رأي ليونج بالغ أقصى درجات الخطورة عن اقتناعه بوجود الجسد الأثيري للإنسان في فصل مقبل.

وفي إيطاليا: تشير المراجع الروحية إلى أعمال وبحوث لومبروزو Lombroso (١٨٣٥ - ١٩٠٩) وهو أبرز الأسماء في تاريخ علم الإجرام، وصاحب المدرسة الوضعية الإيطالية، التي أدت جليل الخدمات لدراسة

(١) راجع ما سبق في ص ١٧٥ - ١٨٥.

Psychology And Religion.

(٢)

Modern Man In Search Of A Soul. 1933,

(٣)

مكافحة الجريمة . وكان لمبروزو أستاذاً للطب الشرعي والأمراض العقلية
بعدة جامعات إيطالية ، وظل يرمى المصدقين بالظواهر الروحية بالجنون
وينتقدهم في مؤلفاته . ثم أتاحت له فرصة بحث هذه الظواهر في باريس
بالاشتراك مع الفيلسوف كامى فلاماريون Camille Flammarion ومع
الفسولوجي شارل ريشيه Charles Richet الأستاذ بكلية الطب بباريس
وعضو أكاديمية العلوم .

كما قام لمبروزو ببعض التجارب في نابلي بناء على دعوة الأستاذ شيايا
Chiaia من علمائها في فبراير من عام ١٨٩١ . وحضر بعض جلسات روحية
مع أسايا بلادينو فصرح بعدها «بأنى لأشعر بالكثير من الخجل ، كما أشعر
بالأسف الشديد لمعارضتى في كثير من التشبث بإمكان وقوع هذه الأمور
الحقيقية المسماة ظواهر روحية ، . ثم عدل عن رأيه السابق نهائياً وألف
في الروحية مؤلفاً معروفاً عنوانه «ماذا بعد الموت ؟»^(١) قال في مقدمته «لم يكن
هناك أحد أشد منى عداً للظواهر الروحية بحكم تربيته العلمية وميوله



لمبروزو

النفسية . وكنت أعتبر أن من البديهيات العلمية
أن كل قوة ليست إلا خاصية من خواص
المادة . وأن كل فكر وظيفة من وظائف
المخ . وكنت أهزأ من الموائد المتكلمة ،
لكن ولعى بإظهار الحقيقة وكشف غموض
الحوادث المرئية قد تغاب على عقيدتى
العلمية . وقال فيه أيضاً : «ولنحذر من ادعائنا
دقة العقل واعتقاد أن كل الناس من قيسل

المخرفين والظن بأننا نحن فقط العلماء ، فإن ذلك يوقعنا في الضلال .. (١)
ومن العلماء الإيطاليين الذى اقتنعوا بصدق الظواهر الوساطية
وبدلالتها المحتومة شكاباريلى Schiaparelli (١٨٣٥ - ١٩١٠) مكتشف
قنوت كوكب المريخ ومدير مرصد ميلانو : وعالم الطبيعة جيروزا Gerosa
والفسيولوجى دى أميسيس De Amicis والسيكولوجى إرنستو بوزانو
Ernesto Rozzano الذى منفرد فى الباب المقبل فصلاً لتلخيص مقال له فى
الأرواح نقلاً عن مجلة « السككية البريطانية للعلم الروحى » .

ومن الإيطاليين أيضاً ألفريدو باسيني Alfredo Passini وبوتازى
Botazzi وفوا Foa وفنزي مورسيللى (٢) Finzi Morselli وشيايا Chiaia
وبروفيريو (٣) Brofferio وهم أساتذة فى الجامعات الإيطالية .

وفى روسيا : تشير البحوث فى الأرواح إلى أعمال الأساتذة بوتلروف
Boutlerow وفاجنر Wagner وأوستروجرادسكى Ostrogradsky . وقد
كانوا أساتذة بجامعة بطرسبورج (التى أصبح اسمها ليننجراد) . ومن
أشهرهم أكراكوف (٤) Aksakoff الذى كان عالماً لغوياً ووزيراً ومستشاراً
للقيصر أسكندر الثالث ومنهم أيضاً الكونت دى بوديسكو De Bodisco
الذى كان ياوراً للقيصر ، ثم كوروفيتش .

(١) كما ألف لومبروزو كتاباً عنوانه « الظواهر الغامضية والروحية » .
Fenomeni Ipnotici e Spiritici

وله ترجمة فرنسية بمؤلفه روسينييه Rossigneux ظهرت فى سنة ١٩٣٠ عنوانها :
Hypnotisme et Spiritisme

Psicologia e Spritismo, Turin 1908. (٢) من مؤلفاته :

Per Lo Spiritismo. (٣) من مؤلفاته :

(٤) وكان يصدر جريدة « الدراسات الروحية » أثناء إقامته فى ألمانيا

Psychiche Studien.

Spiritualism And Science.

ومن مؤلفاته « الروحية والعلم »

وفي إسبانيا : من الأسماء التي يشار إليها في هذا الميدان رامون دي لاساجا من علماء الطبيعيات والفيكونات دي توريس سولانو Torrens Solanot . وقد نشطت حركة البحث الروحي منذ أوائل هذا القرن فلم تعد تخلو مدينة من جمعية أو مجلة أو مؤسسة للبحث الروحي . ومنها دائرة برشلونة Centro Barcelones ومعها د اتحادات الدراسات الروحية ، L.Union Escolar Espiritista الذي يصدر مجلة الدراسات النفسية ،^(١) واتحاد جمعيات كتالونيا La Federation Des Groupes De Catalogne تحت رئاسة الفيكونت دي توريس سولانو .

وتصدر هناك مجلة شهرية اسمها الفجر ، تتولى الأرواح التحرير فيها ، بما في ذلك روح الشاعر الإيطالي دانتي أليجييري Dante^(٢) (١٢٦٥ - ١٣٢١ م) الذي يكتب فيها قصائد رائعة بنفس اللغة الإيطالية القديمة تحت عنوان « من الأرض إلى السماء » ولا تخلو أحياناً من مقالات لبعض من السياسيين المنتقلين . وفي تركيا : حركة روحية من روادها الدكتور بدرى روهسلان Badri Rubselman رئيس الجمعية التركية لما وراء الطبيعة ، ومؤلف عدة كتب روحية منها « الروح والكون » ، الذي ظهر في سنة ١٩٤٦ . كما قام بعض أساتذة الجامعات والأطباء بإجراء تجارب على الوسيط ريكال أوتكين Rekal Otken وماست أراي Macit Aray . وفي سنة ١٩٥٠ قام روهسلان بإلقاء عدة محاضرات بجامعة أنقرة في عالم الروح . كما تأسست في نفس العام الجمعية التركية للبحوث الروحية ، وبدأت نشاطها بإلقاء المحاضرات عن هذا الموضوع بجامعة استامبول ، مما دفع وزير المعارف

Revista De Estudios Psicologicos.

(١)

(٢) يقول الدكتور حسن عثمان في ترجمته للكوميديا الإلهية للشاعر دانتي إن اأشر هذه الكوميديا بوكانشو قال إن « الفردوس » ظل عدة شهور بعد موت دانتي تقصه الأباشيد الثلاث عشرة الأخيرة وبحث عنها أولاده ومريدوه دون جدوى ... وبعد عدة شهور ظهر الشاعر لابنه جاكوبور في الحلم وأخبره بمكان القصائد الناقصة في حائط بمنزل جاردينو حيث مات دانتي ، وهناك أمكن العثور عليها ، وبذلك كملت الكوميديا (الجيم ص ٣٣) .

إلى أن يعلن أن الوقت قد حان لإدخال العلم الروحي في مناهج التعليم الجامعي هناك .

وفي المراجع الروحية إشارات كثيرة إلى الحركة الروحية في باقي بلاد العالم ، وإلى جمعيات ومؤتمرات واتحادات ودوائر روحية في آسيا وأفريقيا تبحث هذا الموضوع بما لديها من وسائل علمية ووساطية تتفاوت في قيمتها ونوعها ، وإلى مجلات دورية ومؤلفات شتى ، بما يضيق المقام عن التعرض له هنا ، خصوصاً وأن أغلبها خاص ببلاد تنطق بلغات لا نعرفها . وتكتفي بهذا القدر من أسماء القائمين على العلم الروحي في شتى بلاد العالم ومن مراجعه الهامة قبل الكلام في بعض الأسماء والمراجع باللغة العربية .

الفصل الرابع

في بعض الأسماء والمراجع باللغة العربية

وصلت أنباء الكشوف الروحية إلى بلادنا في تاريخ حديث نسبياً ، وكان بعض المجلات يشير إلى بعضها بطريقة الراغب في تسليّة القارئ أو إثارة روح الطرافة عنده ، أكثر منها بطريقة الراغب في تعريفه بأخطر موضوع على يبحث بدون توقف منذ منتصف القرن الماضي ، ويلزم كل قارئ أن يعرفه على النحو الجاد الذي ينبغي أن يكون طابع الحقائق الخطيرة.

الشيخ طنطاوى جوهرى

وقد بدأ بعض المؤلفات يظهر في بطاء وثاقل باللغة العربية عن هذا الموضوع . منها مثلاً كتاب الأرواح، للرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى، أحد أصحاب التفاسير القيمة الذى ظهرت طبعته الأولى في سنة ١٩١٨ ، وفيه يدافع عن هذا البحث ويبين مدى انطباق نتائجه مع العقيدة ويدفع كل شبهة قد تجيء من هذه الناحية .

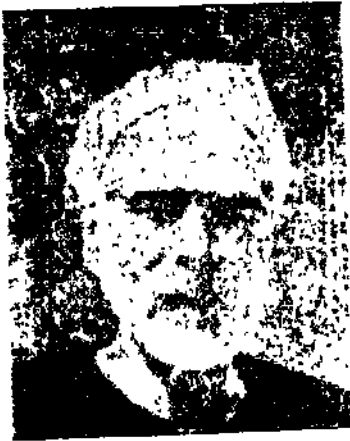
وقد كان الشيخ طنطاوى أستاذاً بدار العلوم ، كما اختير ضمن هيئة التدريس في الجامعة المصرية القديمة حين انشائها ، ثم كان هدفاً لدسائس كثيرة من بعض الجامدين انتهت به إلى المدارس الثانوية التى ظل فيها أستاذاً حتى أحيل إلى المعاش .

وكان من أبرز أعضاء دائرة القاهرة الروحية ، وقاراً وعلماً وتقوى . ويقول المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير في رثاء له بعد انتقاله إلى عالم الروح إن صلته لم تنقطع بنا بعد انتقاله ، فكثيراً ما يحضر جلعاتنا ويراه وسطاء الجلاء البصرى ويسلمون عليه ، ورأيت به بنفسى في حجرة التحضير رؤية خاطفة ، فإذا بطنطاوى جوهرى المفقود موجود ، وإذا العقل الفياض

هو العقل الفياض ، وإذا بعواطفه الخيرة متغلبة عليه . وكثيراً ما كان يرد على أسئلتنا إما بطريق وسيط الكتابة التلقائية وإما بالحروف النورية ، يراها الوسيط المختص ويمليها حرفاً حرفاً في سرعة متناهية ... (١)

كما كتبت جريدة الجمهورية في ٢٩ من يناير سنة ١٩٥٦ عنه ، عنى الأب جوميه أحد رهبان دير الدومينيكان منذ سنوات بدراسة عالم مسلم مصرى لم ينصفه معاصروه وجهلوا قدره ، بل وحاربوه في مكانته العلمية مع أنه لا يقل مكانة عن الرازى والرخشى وابن سينا وابن خلدون . ذلك هو العلامة طنطاوى جوهرى الذى أدخل لأول مرة في تاريخ البحث العلمى العربى العلوم الحديثة في تفسير القرآن الكريم ... (٢) .

فهو قد قام بنفس الدور الذى قام به في الخارج ذوو الأذهان المتفتحة عندما عرفوا كيف يربطون بين الآراء الدينية وبين حقائق العلم الروحى الحديث . وهو لا يجد أية غضاظة في أن يكون رجوعه في « كتاب الأرواح » إلى مراجع الفرنجة وبحوثهم قائلاً في ص ٤٧ من طبعة سنة ١٣٣٨ هجرية ١٩٢٠ ميلادية .



الشيخ طنطاوى جوهرى

« إن سائر العلوم المدونة من سماوية وأرضية يقرؤها القوم ونحن معهم ، وأهل كل فن صادقون . ولا جرم أنك تعلم أن سائر الناس لم يكونوا ليعلموا أن همنا مخلوقات صغيرة « ميكروبات » ، تحدث في أجسامنا الحى والجدرى وأمراض الوباء حتى أن آلافاً مؤلفة من تلك المخلوقات الحية تؤلف جماعة عظيمة تتعاون على إتلاف أجسامنا وتمزيق أحشائنا . وبهنا من عالم الأجسام إلى عالم الأرواح .

(١) من مجلة « عالم الروح » عدد مارس سنة ١٩٥٦ ص ٢ — ١٠ .

(٢) عن مقال عنوانه « طنطاوى جوهرى » يامضاء « عطارد » .

فأصبح بفضل علماء أوروبا الإيمان بهذه الحيوانات الذرية التي لا تراها العين يقيناً لا يشك فيه أحد . وقد آمن بها الصعاليك والملوك والجملاء والعلماء .
 ، فهكذا هم الذين خاطبوا الأرواح بتلك النفوس العسية ر يقصد النفوس الحساسة Sensitives وهو وصف يطلق بالإنكليزية على الوسطاء)
 والأمزجة المستعدة للتخاطب مع العالم اللطيف الذي لم نقرأ عنه إلا في الكتب الدينية ، فهل نصدقهم في الحيوانات الذرية المسماة (بالميكروبات)
 ونكذبهم في حياة الأرواح ؟ ... ، .

وهكذا يسترسل هذا العالم الجليل في مؤلفه هذا (الذي يقع في أكثر من ثلاثمائة صفحة) في تبيان الاتفاق التام بين العلم الروحي الحديث وبين العقيدة ، وفي الدفاع عن النتائج التي تكشف عنها هذا العلم . وهو في نفس الوقت من أصحاب التفاسير الدينية القيمة التي أهمها تفسير الجواهر ، الذي له في الشرق الأقصى وفي إيران بوجه خاص سمعة واسعة النطاق ، وهو يقع في خمسة وعشرين جزءاً . وذلك بالإضافة إلى مؤلفات كثيرة في مختلف الموضوعات ، وقد ترجم بعضها إلى الانجليزية والأمهرية والهندوسية والأندونيسية وغيرها . وله عشرات من البحوث والمقالات في الشؤون الدينية والاجتماعية .

محمد فريد ومجدي

لعلمم قلائل الذين يعرفون أن المرحوم الأستاذ محمد فريد وجدى كان



الأستاذ محمد فريد وجدى

يصدر فيما مضى أول جريدة عربية للبحث في الأمور الروحية الحديثة وهي مجلة « الحياة » .
 ثم كان ينشر هذه الأمور في جريدته اليومية « المستور » ، ثم في مجلتي المقتطف والهلل .
 ولما أسندت إليه رئاسة تحرير مجلة الأزهر في سنة ١٩٣٤ أدخل على أبوابها البحوث الروحية الحديثة إلى أن اعتزل رياستها في سنة ١٩٥٢ .

وظهر مؤلف قيم له من أربعة أجزاء

صغيرة تحت عنوان « على أطلال المذهب المادى » ، وقد وفق فيه فى عرض هذا الموضوع من عدة جوانب له ، مستعرضاً فيه خلاصة بحوث متعددة جرت فى الخارج بمعرفة علماء وفلاسفة معروفين ، استعراضاً دقيقاً بطريقة الأديب المقتنع بفائدة ما يكتب فى تحطيم المذهب المادى الذى كان قد استحوذ على النفوس فكاد أن يحطم جميع القيم الخلقية الراقية .

وقد كتب فى مقدمته « لقد رأيت أن أ كشف النقاب عن حقيقة هذه المسألة التى شغلت جمهور العلماء اليوم وأثرت فى المدركات البشرية تأثيراً قضت به على الفلسفة المادية قضاء لا قيام لها بعده ، وأوجدت للبحث عن الحقيقة التى بدأت الأجيال فى تلبسها عن طريق العلم الطبيعى عهداً جديداً لم يكن يحلم به الباحثون منذ أقدم أزمنة الفلسفة ، وقد أقر بهذه الحقيقة من علماء الطبيعة وكبار الفلاسفة العصريين مئات لا يعقل تواطؤهم على الكذب والانخداع ، ،

إلى أن يقول « وإنى ما وقفت سنين كثيرة من حياتى العلمية لاستقصاء هذه المباحث إلا لأنها حادث جلل فى تاريخ العلم العصرى سيكون من أثره تعديل مزاج الفلسفة العصرية ، وتكميل بناء المدركات البشرية على المادة والروح معاً ، (١) . كما خصص مكاناً لهذه البحوث الروحية فى « دائرة معارف القرن الرابع عشر إلى القرن العشرين » التى وضعها (٢) .

هذا وقد كتب المستشرق الألمانى بول كراوس يقول عن محمد فريد وجدى « خلقت كلمة أديب له ... وهو يستمد أدبه وعلمه من وثيق إيمانه وصدق إسلامه ... وإيمانه بالله يضىء له ظلمات الفكر ... وبحوثه تهدى الحيارى من قرائه ... » .

(١) راجع أيضاً ما سبق فى ص ١٩٥ ، ١٩٦ بخصوص رأيه فى تقرير الجمعية الجدلوية البريطانية .

(٢) فى الجزء الرابع تحت كلمة « روح » .

أحمد فهمي أبو الخير

ثم جاء دور المرحوم الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير الذي كان مراقباً عاماً للسياسة التعليمية « بوزارة المعارف » ، وهو في نفس الوقت أستاذ قديم للطبيعة ، ومؤلف قدير فيها . وقد ذكر لي أنه رأى يوماً كتاب « على حافة العالم الأثيري » ، للعلامة جيمس آرثر فندلاي فظنه يعالج موضوع الأثير في الطبيعة الحديثة ، فلما قرأه أعجبه موضوع الأرواح ووجد أنه جدير بعناء بحثه فانكب على الاطلاع فيه .

ثم انتقل من الاطلاع إلى التجريب ، ونجحت جلساته بوجه خاص في موضوع العلاج الروحي ففتح أبواب منزله بالروضة - سنين طوالا - لمن يريد أن يعالج مجاناً . وقد شاهد الكثيرون نجاح بعض حالات الشفاء عنده ، كما شاهدوا الأضواء التي كانت تتطاير في جو الغرفة من مصدر غير منظور . وبعض الوسطاء المعالجين كان من المثقفين الذين يشغلون مناصب مرموقة كما كان بعضهم الآخر من البسطاء .

وكان الأستاذ أبو الخير نشيطاً في خدمة القضية الروحية عن اقتناع تام بها ، كما كان كاتباً لبقاً ومحاضراً جذاباً طالما تحمل العناء في سبيل الدفاع عن اقتناعه ، فكان رحمه الله علماً في الدعوة الروحية حتى آخر لحظة من حياته الأرضية .



وكان يصدر صحيفة « عالم الروح » شهرية منتظمة منذ نوفمبر سنة ١٩٤٧م ثم احتجبت بعد صدور عدد أغسطس سنة ١٩٦٠م باحتجاب صاحبها في « عالم الروح » ، صحيفة مسطورة في سجل الأبرار المجاهدين (١) .

وله عدة مؤلفات قيمة منها « ظواهر

(١) وقد نشرت لنا صحيفة « عالم الروح » مشكورة مقالات كثيرة في علم الروح بتوقيع الحروف الأولى (ر . م . ع .) كانت بمثابة التواة الأولى للدولت الحال .

الطرح الروحي، « والسيكولوجيا والروح »، و « المعجبة الثامنة »،^(١) كما نقل إلى اللغة العربية مؤلفين هامين : أولهما ، على حافة العالم الأثيري ، الأستاذ جيمس آرثر فندلاي مدير المعهد الدولي للبحث الروحي ، بلندن ، وثانيهما « ظواهر حجرة تحضير الأرواح » ، للطبيب أدوين فردريك باورز الأستاذ بجامعة مينيابوليس بالولايات المتحدة .

وفي مقدمة هذا الكتاب الأخير (ص ٥١) يناقش الأستاذ أبو الخير معارضى البحث في الروح قائلا : « يحاول معارضو الروحية الكلاميون - وجلهم من الملاحدة أو بلهاء المتدينين - أن يكسبوا معارضتهم شيئا من القوة فيقولون إن الروح من أمر الله فلا يصح لنا أن نبحث فيها ! ! وكان دعاة المذهب الروحي قالوا إنهم خلقوا روحاً منطق سقيم وتفكير بانغ منتهى الإسفاف من الوجهتين الدينية والعلمية .

فن قال إن الروح ليست من أمر الله ؟ كل شيء من أمر الله . المادة من أمر الله ، والطاقة من أمر الله ، وتبادل التحول بين الطاقة والمادة من أمر الله ، الضوء من أمر الله ، والكهربائية من أمره ، والموجات الأثيرية اللاسلكية التي هي أساس الراديو من أمره ، والإشعاعات المختلفة بين معلومة ومجهولة من أمره ، فهل منع ذلك من البحث الذي أدى إلى الكشف العلوية البارعة ، فالخترعات العظيمة المدهشة ؟ .. لولا البحث في المادة وحقيقة تكوينها وفي الأثير وخصائصه ومختلف موجاته ، ولولا معرفة الاهتزازات وفهم لغتها ما كان يمكن فهم الروح ولا عالم الروح ، .

كما كتب ينقد الماديين في مقال له قائلا « ونقاد العلم الروحي الحديث وكارهوه هم سلالة تلك العصابات القديمة التي أرهقت أحرار المفكرين

(٢) ومى مارجرى Margery عيلة الدكتور كرا ندون . (راجع ما ورد عنها فيما سبق ص ١٢٩ - ١٣٤) .

وأوسعتهم تعذيباً وتقتيلاً وحرقاً . لكنهم لعجزهم في الوقت الحاضر عن ارتكاب أعمال القسوة والوحشية مضروا يسممون العقول والأفكار بتلك النظريات المادية الملتوية ، حتى لقد انتهى متحذلق منهم إلى أن جان دارك كانت مصابة بالتهاب في مجموعها العصبي جعلها تتخيل أنها تسمع أصواتاً وترى أشباحاً ... فاللهم قنا شر هذا التنطع الطبي السيكولوجي ، ا . (١)

جزاك الله « أبا الخير » خيراً بقدر ما كلفت طويلاً في خدمة أخطر قضية علمية في عصرنا الحاضر ، وفي وقت كانت بحاجة ماسة فيه إلى أمثالك وكان يد القدر الرحيم قد اختارتك كيما تبذل حياتك من أجلها بكل ما حبتك به من سعة في الأفق وصلابة في الحق ودمائة في الخلق .

على عبد الجليل راضى



ومن يخدمون حالياً بإخلاص قضية علم الروح في بلادنا صديقنا الدكتور على عبد الجليل راضى الأستاذ بكلية العلوم بجامعة عين شمس ، وقد أنشأ « دائرة الأهرام الروحية » (٢) وله عدة مؤلفات قيمة مثل « حياة محمد الروحية » و « العالم غير المنظور » و « أرواح مرسله » و « وسفير الأرواح العليا » و « وأضواء

على الروحية » . كما نقل إلى اللغة العربية كتاب « ثلاثون سنة بين الموتى » للطبيب الأمريكى كارل ويكلاند (٣) ، وقصة « أول فرعون » للوسيلة دجمار أوكنور Dagmar Oconnor .

وفي مؤلفه « أضواء على الروحية » الذى ظهر في سنة ١٩٦١ يقول الدكتور على راضى (ص ٣٩ - ٤١) : « وتكلم الإمام الرازى في مفاتيح الغيب » عن درجات الأرواح التى تتصل بالناس فقال « إن من النفوس

(١) مجلة « عالم الروح » عدد فبراير سنة ١٩٥٠ ص ١٣ .

(٢) عنوانها ١٤ شارع اسماعيل أباطة بالمبتديان بالقاهرة .

(٣) راجع ما سبق عنه فى ص ١٧٢ - ١٧٤ .

البشرية ما يستعين بالآرواح الأرضية وإن اتصال النفس الناطقة بها أسهل من اتصالها بالآرواح السماوية ، . ثم وصف طريقة إعداد الوسطاء للأعمال الروحانية فقال ، ولذلك أجمعت الأمر على أنه لا بد لمزاولة هذه الأعمال والوصول إلى غايتها من الانقطاع عن المألوفات والمشتبهات وتقليل الغذاء ومخالطة الخناق ، .

وقال فضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف في كتابه «المطالب القدسية في أحكام الروح وآثارها السكونية» ، « ما أظن ذا فهم مستقيم يرتأب في كرامات الأنبياء وتصرفات أرواحهم حال الحياة وبعد الممات أو يستغرب حوادث التنويم والتحضير .. »

وقال في مجلة المساجد عدد ذى القعدة سنة ١٣٦٦ (سبتمبر سنة ١٩٤٧) « يلبغى أن يعلم أن عالم الآرواح يختلف عن عالم المادة اختلافا كثيراً في أحواله وأطواره ... » ثم يقول عن الروح بعد الموت « والروح تبقى في البرزخ — وهو ما بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة من يوم الموت إلى يوم البعث والنشور — حية مدركة تسمع وتبصر وتسبح في ملك الله حيث أراد وقدر، وتتصل بالآرواح الآخرة وتناجيها وتأنس بها ، سواء كانت أرواح أحياء أو أرواح أموات (١) ، . »

وقال المرحوم الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر السابق في مقدمة كتاب «حياة محمد» مؤلفه المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل « والكهرباء وما نشأ عنها من المخترعات قربت إلى العقل إمكان تحول المادة إلى قوة وتحول القوة إلى مادة . وعلم استحضر الآرواح فسر للناس شيئاً كثيراً عما كانوا فيه يخلطون ، وأعان على فهم تجرد الروح وإمكان انفصالها وفهم ما تستطيعه من السرعة في طي الأبعاد ... »

(١) وذلك في فتاوى في مأتم الأربعين ، وهي أيضاً مطبوعة على شكل رسالة بتاريخ ٢٩ أغسطس سنة ١٩٤٧ ، وانشرت في الأهرام بتاريخ ١٢ أغسطس من نفس العام .

وقال المرحوم الأستاذ الأكبر محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر في حديث أدلى به إلى جريدة المصري بتاريخ ١٤/١١/١٩٥٣ ما يلي : وهناك سؤال لا بد من طرحه في هذا الشأن، وهو هل رؤية أرواح الموتى من البشر في صورة بشرية خاصة بالأنبياء وحدهم أو أنه أمر عام جائز عليهم وعلى غيرهم من البشر ؟ والجواب على هذا السؤال أن اختصاص المولى جل شأنه وحده بأمر الروح يجعل هذا أمراً جائزاً يمكن الوقوع ، إذ أن الجسد ليس إلا قيداً حديدياً للروح تسمح بعد مغادرتها لإياه في عالمها غير المحدود الذي تعرفه . بيد أن الذي يعطيهم الله إشرافه من إشرافه في عالمنا غير المحدود ويقربهم منه منازل في الحياة الدنيا قد يرون صوراً لهذه الأرواح ، . . . ونشرت صحيفة الأخبار بتاريخ ١/٤/١٩٦٠ رأياً لفضيلة المفتي المنتدب للديار المصرية جاء فيه : أما دراسة الأرواح دراسة علمية فلا مانع من ذلك شرعاً .

وأدلى فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق برأيه إلى مجلة الرائد وقد جاء فيه : الأديان تبيح ولا تمنع البحث في هذا الموضوع . فمن رأى التجربة فليصدقها ومن لم ير فلا جناح عليه . . .

* * *

ونضيف إلى ذلك أيضاً فتوى فضيلة المرحوم الشيخ محمد بن حبت مفتي الديار المصرية « في كرامة الأولياء » (الفتوى رقم ٤٣٦ من السجل رقم ٨ بتاريخ ٢٤/٧/١٩٤٠م) وهي صريحة في جواز وقوع السكرامات للأولياء بعد مماتهم . كما يشير إلى ما كتبه في مقدمة كتاب « شفاء السقام » للإمام السبكي وهاهو نصه (من ص ١٤) « وكما جاز أن يتوسط حي في قضاء مصلحة حي أو ميت ، والفعل لله وحده ، يجوز أن يتوسط روح ميت في قضاء مصلحة حي أو ميت والفعل لله وحده . والأرواح باقية على الحياة وأفعالها في عالم الملك . . . والروح باقية خالدة ففعلها باق وتصرفها في أفعالها لا يتغير إلا بعدم ظهور الأفعال بواسطة البدن . . . » (١).

(١) راجع الفتوى كاملة في مجلة « عالم الروح » عدد سبتمبر ١٩٤٨ ص ٢٠ — ٢٧ .

وهذه كلها فتاوى صريحة بمن يملكون صفة الإفتاء الديني الصحيح في هذا الموضوع .. فهل للعارض باسم العقيدة الذي تعود أن يلقي الكلام جزافاً أن يرجع إليها ويقرأها في روية ويتدبرها - ولو قليلاً - قبل أن يخامر باعتراض لا سند له ، وقد مضى وقته نهائياً في العالم أجمع ؟ ..

ومن ينقب في أعداد مجلة « عالم الروح » التي كان يصدرها فقيد الروحية المرحوم الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير يجد بحوثاً دينية كثيرة لإظهار مدى اتفاق تجارب العلم الروحي الحديث وما أسفرت عنه من كشف مع جوانب العقيدة . ونوجه نظر القارئ بنوع خاص إلى بحث قيم الأستاذ راجح لطفي جمعة القاضي بالمحاكم المصرية عنوانه « الناحية الروحية في القرآن الكريم » نشر مسلسل على ٢٤ عدداً ابتداء من يناير سنة ١٩٤٨ إلى نوفمبر سنة ١٩٥٢ . وقد جاء هذا البحث وافياً بالاستشهادات الدينية والعلمية الحاسمة التي تقطع السبيل على كل مكابر .

وقد اختتمه الأستاذ راجح قائلاً : « وبعد فإننا نريد أن نقول كلمة أخيرة صريحة هي أن ما جاء في القرآن الكريم عن الروح والحياة بعد الموت والثواب والعقاب والظواهر الروحية المختلفة ، كل ذلك أثبتته الروحية الحديثة في أوروبا وأمريكا على أيدي وسطاء أجلاء وعلماء معترف لهم بالفضل والتحرر الفكري في الأوساط العلمية — إثباتاً لا يتطرق إليه الشك مؤيداً بالتجارب العلمية العملية مصداقاً لقوله عز وجل « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » (١) . وكأنه بذلك قد واصل العمل الجليل الذي قام به من قبل الشيخ طنطاوي جوهرى والعلامة محمد فريد وجدي وغيرهما كثيرون (٢) .

ولنتقل الآن إلى سرد بعض « البيانات والوقائع » .

(١) عدد نوفمبر سنة ١٩٥٢ ص ١٥ .

(٢) راجع أيضاً آراء الأقدمين من الفلاسفة من أمثال الفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد وابن باجة وابن طفيل وابن القيم الجوزية فيما سبق (ص ٢٨ - ٨٦) . وللإمام المرحوم الشيخ محمد عبده أيضاً أقوال صريحة في « رسالة التوحيد » سنعود إلى بعضها في الجزء الثاني عندما نتناول « بعض المشكلات الفلسفية في ضوء علم الروح الحديث » .

الباب الرابع

في بعض البيانات والوقائع

مُهرَّب

نظن أن الأبواب السابقة تتضمن بيانات كافية للاقتناع بأن موضوع الروح دخل نطاق البحث العلمي منذ أواخر القرن الماضي . بل دخل — في اقتناع كبار الباحثين — نطاق الحقيقة العلمية ، لأنهم يفهمون هذه الحقيقة على أنها اقتناع له أسانيده العقلية المحتملة . أما عند من يفهمون الحقيقة العلمية على أنها مكابرة ، أو أنها تتطلب إخضاعاً للروح إلى قوانين آلية ، شأنها شأن المادة الصلبة عندما تخضع لإرادة الإنسان فيشكلها كيفما شاء ووقتها شاء ، فلن تدخل الروح أبداً نطاق هذه الحقيقة العلمية ، لأنه ليس من حقائق الكون ما يتطلب مثل هذا التحول المطلوب شرطاً للاقتناع وإلا فلا^(١).

على أننا بعد إذ قدمنا في الباب السابق ، بعض الأسماء والمراجع ، في البلاد المختلفة في هذا الموضوع الخطير نرى أنه يلزم في الباب الحال أن نقدم ، بعض البيانات والوقائع ، التي اخترناها من هنا وهناك كنماذج سريعة من البيانات التي لا تحصى ، والتي تزخر بها الآن المؤلفات والمراجع الروحية التي أشرنا إلى بعضها آنفاً .

وذلك بالإضافة إلى أن المجلات الروحية تحوى هي الأخرى أكادساً أخرى من البيانات والوقائع المبينة بشهودها وتفصيلها وأداتها ذات الدلالة الواضحة . وهي تتفاوت في قيمتها الإقناعية ، لكنها لا تقبل — مجتمعة — إلا تأويلاً واحداً هو ثبوت استمرار الحياة بعد الموت وقيام الصلة بين عالمي الروح والمادة كما شد ما يدل عليه اللفظ . ومن المجلات الروحية ما ينطوى على عوامل للثقة فيه لا تقل بحال عن عوامل الثقة التي يستمدّها الباحث من أحسن المجلات العلمية ، بالنظر إلى الهيئات الراقية التي تصدرها والتي لا مصلحة لها

(١) راجع ما سبق ص ٩٧ — ٩٩ .

إلا في البحث عن الحقيقة العلمية وحدها ، وإلى الضمانات الكثيرة المستمدة من الشخصيات القائمة على تحريرها وإصدارها ومنها مثلاً مجلة « العلم الروحي » ، التي تصدرها الكلية البريطانية للعلم الروحي أربع مرات سنوياً^(١) ، ومضابط الجمعية البريطانية للبحث الروحي ،^(٢) وجريدة هذه الجمعية^(٣) و مضابط الجمعية الأمريكية للبحث الروحي ،^(٤) وجريدة هذه الجمعية^(٥) .

وذلك بالإضافة إلى بعض المجلات العريقة المتخصصة في الأمور الروحية مثل مجلة « العالمين » ،^(٦) التي تصدر شهرياً بمانشستر منذ سنة ١٨٨٧ حتى الآن و « الأنباء الروحية » ،^(٧) و « الإنسان الروحي » ،^(٨) و « خدمة العالم والمجلة الروحية » ،^(٩) وهي مجلة شهرية تعالج موضوعات الحياة بعد الموت والإصلاح الاجتماعي والخدمة العالمية في وقت واحد . و « المراقب الروحي » ، الأمريكية^(١٠) و « مجلة المعهد الدولي لما وراء الروح بباريس » ،^(١١) و « المجلة الروحية » ، الفرنسية^(١٢) وغيرها كثير ، وهي تعد الآن بالعشرات ومنتشرة في العالم أجمع .

Psychic Science.

(١)

«Quarterly Transactions Of The British College Of Psychic Science».

Proceedings Of The S. P. R. (London).

(٢)

وقد بلغت مجلداتها حتى سنة ١٩٦٢ خمسة وخمسين مجلداً . وراجع ما سبق عنها في

ص ١٩٦ — ٢٠٤ .

Journal Of The S P. R. (London).

(٣)

وقد بلغت مجلداتها حتى سنة ١٩٦٢ أربعين مجلداً .

Proceedings Of The American S. P. R.

(٤)

Journal Of The American S. P. R.

(٥)

The Two Worlds.

(٦) وهي الآن في سنتها الثامنة والسبعين .

Psychic News.

(٧)

The Spiritualist.

(٨)

World Service And Psychic Review.

(٩)

Psychic Observer.

(١٠)

Revue Metapsychique «De l'Institut Métapsychique

International».

La Revue Spirite.

(١٢)

وفي عدد أبريل سنة ١٩٢٨ من المجلة التي تصدرها الكلية البريطانية للعلم الروحي ، إحصاء عن المجلات المتخصصة في العلم الروحي الحديث يبين منه أن عدد هذه المجلات في الخارج كان حتى ذلك التاريخ ١٥٤ مجلة دورية يصدر منها بانتظام ٦ في بريطانيا و ٢٣ في فرنسا وبلجيكا و ٩ في ألمانيا واسكتلندا و ١٤ في شمال أمريكا والمكسيك و ٦٣ في أمريكا الجنوبية وحدها ، والباقي في بلاد مختلفة . وتشير كل الدلائل إلى أن هذا العدد في تزايد مستمر منذ هذا التاريخ حتى الآن .

* * *

وهذه البيانات والوقائع التي سنقدم بعضها في الباب الحالي ، منتزعة من المراجع الموثوق بها ، ومن المجلات العلمية الراقية ، لم نختارها اعتباطاً ، بل راعينا في اختيارها مدى الثقة الخاصة التي توحى بها بالنظر إلى قيمة العلماء الذين قدموها وإلى الظروف التي قدمت فيها كما قلنا . هذا إلى أننا راعينا فيها أن تكون من أنواع مختلفة كقيلة بأن تعطى القارئ فكرة عامة عن نواح شتى من البحوث الواردة في شتى المراجع ومن بلاد مختلفة . وأن تكون من بيئات أكاديمية أو جامعية ، ومن أعلى مستوى عرفه العلم التجريبي حتى الآن .

ونقدمها إلى القارئ بالإضافة إلى تلك البيانات الشخصية التي قد يحصل عليها من يوالى التجريب بعناية وصبر في منزله ، والتي لا نشك في أن عدداً وفيراً من القراء قد حصل عليها بالفعل بعد انتشار الجلسات العائلية في بلادنا في السنين الأخيرة ، على ما لاحظته خلال أحاديثي مع كثير من المعارف والأصدقاء .

ولا ريب أن للتجربة الشخصية في مجال الاقتناع تأثيراً يفوق كل ما للأدلة المستمدة من تجارب الآخرين ، مهما كانت قوية ومحوطة بالضمانات العلمية المطلوبة . فلا يرجع الفضل في انتشار الحركة الروحية إلى انتشار

البحوث العلمية — مهما كانت قيمتها — بقدر ما — جمع ابتداء إلى هذه الجلسات العائلية البسيطة التي انتشرت في كل مكان فنجحت — متى توافرت وسائلها — في إيجاد صلة وثيقة بين العالمين أشبه ما تكون بصلة التليفون أو الإرسال اللاسلكي . ألم يكن أيهما خرافة كبرى في الماضي ؟ ... بل من تخيلهما في الماضي حتى مجرد خيال ؟ ...

أما الاعتقاد في الصلة بين عالمي الروح والمادة فتقديم قدم كل حضارة إنسانية، بل قدم كل وجود إنساني على ما يبناه في الباب الأول . وتضمنت كتب الأقدمين إشارات كثيرة عنه بوصفه حقيقة واقعة ، لكنها أهملت عند ما ذاع الاعتقاد بمادية الكون في وقت من الأوقات . إلى أن بعث بحث هذه الصلة من جديد في منتصف القرن الماضي — على أوسع نطاق وعلى أرقى مستوى علمي — فكان بعثها بعثاً لمعرفة هامة للإنسان، وتحقيقاً للمعجزة الحقيقية يصدق عليها قول أحدهم « إن أكبر أعجوبة هي أن تصبح المعجزة الحقيقية أمراً عادياً من أمور الحياة اليومية » . بل كان بعثها بعثاً لأفضل القيم الروحية والخلقية التي تكن حتماً وراء كل حضارة حقيقية ، على ما سنوضحه تفصيلاً في الجزء الثاني .

الفصل الأول

من تجارب وليام كروكس

في موضوع الأرواح

يعد سير وليام كروكس W. Crookes من أبرز العلماء في الفيزياء والكيمياء الحديثة ، وقد اكتشف عناصر جديدة مثل التاليم والفيكثور يوم والإستريا . كما اخترع الراديومتر الذي يعمل بتأثير الضوء وحده ، وكذلك الاسبينتاريسكوب Spinharscope وأنابيب كروكس Crooke,s tubes المستخدمة في توليد أشعة رنتجن . كما اكتشف خواص المادة المشعة مما دعاه إلى تقسيم المواد تقسيماً رباعياً بعد تقسيمها الثلاثي المعروف إلى مواد صلبة وسائل وغازية . وكان عضواً بالمجمع العلمي البريطاني ثم رئيساً له حتى مماته وحاز جميع ألقاب الشرف العلمية في بلاده .

فعالم هذه مكاتته لا تكون بحوثه في العلم الروحي التجريبي وشهادته محل مطعن إلا من مكابر أو من مادي موغل في ماديته بعناد لا يريد عنها بديلاً . خصوصاً وأن انحياز كروكس للجانب الروحي جاء — من جانبه هو أيضاً — بعد إنكار تام للظواهر الروحية ، ثم بعد تشكك طال أمداً طويلاً . ولم يقتنع إلا بعد تجارب دامت لمدى ستين طويلة شاركه فيها كثير من العلماء المجريين من بينهم أعضاء في المجمع العلمي البريطاني ، وآخرون من جنسيات مختلفة حضروا بدعوة منه لمشاهدة الظواهر التي قلبت أفكاره المادية رأساً على عقب .

وذلك إلى المدى الذي دفعه لأن يخطب في المجمع العلمي قائلاً : « من بين جميع الصفات التي عاونتني في بحوثي الروحية وذلت لي طرق الكشف الطبيعية — وكانت أحياناً غير متوقعة — اعتقادي الصحيح الراسخ بحمل ،

وأكثر الذين يدرسون الطبيعة يستحيل أمرهم عاجلاً أو آجلاً إلى إهمالهم الكلى لجانب عظيم من راسماتهم العلى المزعوم لأنهم يرون أن راسماتهم هذا وهمى محض ،... إلى أن يقول : —

« متى امتحنا عن قرب بعض النتائج العادية للظواهر الفيزيائية نبدأ بإدراك إلى أى مدى تنحصر هذه النتائج أو النواميس فى دائرة أخرى ليس لنا بها أقل علم . أما أنا فإن تخلى عن رأس مالى العلى الوهمى قد بلغ حداً بعيداً . فقد تقوض عندى هذا النسبج العنكبوتى للعلم كما عبر عن ذلك بعض المؤلفين إلى حد أنه لم يبق منه سوى كرة صغيرة لا تكاد تدرك . .

« ولست آسفاً على الحدود التى يضعها أمامنا جمل الإنسان ، بل اعتبرها منشطاً منقاداً . إني أعتقد بأنى لست أنا ولا غيرى أهلاً لأن نعين مقدماً ما ليس بموجود فى هذا الكون ولا يستطيع أحدنا أن يقول شيئاً معيناً لا يحصل حولنا فى كل يوم من أيام حياتنا . هذه العقيدة تدع لى أملاً مقوياً بأن اكتشافاً رئيسياً جديداً يمكن أن يحدث فى أى مجال من المجالات فى أقل الأوقات تفكيراً فيه ،^(١) ..

وقد جرى كروكس فى أبحاثه الروحية على أشد الأساليب العلمية صرامة ، مصمماً عدة أجهزة لمنع التدليس وخداع الخواس ونفى التأثيرات النفسية . ونجح بعد ذلك كله فى تصوير الجسد الأثيرى للإنسان عن طريق استخدام هليومتر جرينوتش Heliometer Of Greenwich كما نجح فى تصوير روح متجسدة تجسداً تاماً على ما سنوضحه تفصيلاً فيما بعد مؤيداً بالصور .

وقد باشر كروكس بحوثه على عدد من الوسطاء مثل مسز مارشال Marshall فى يولييه سنة ١٨٦٩ و ج . ج مورس Morse J . I فى ديسمبر من نفس العام ، لكن لعل أشهرهم هو الوسيط دانييل دنجلاس هوم Daniel Dunglas Home . ففى حضور كروكس كانت وساطة هوم تجعل الآ كورديون يعزف ألحاناً

(١) « على أطلال المذهب المادى » للمرحوم الأستاذ محمد فريد وجدى ج ١ ص ١٣٦ .
وراجع عن كروكس أيضاً ما سبق ص ٢٠٩ — ٢١١ .

جميلة ، وهو داخل قفص حديدى موضوع تحت مائدة فى غير متناول



الوسيط كما كان نفس الا كورديون
يعرف أحيانا وهو محبوب فى جو
الغرفة^(١) . هذا فضلا عن ارتفاع
الوسيط بكرسيه من على الأرض
إلى أبعاد مختلفة . ويعد هوم هذا من
أقوى وسطاء القرن الماضى ، وكان
من أصل اسكتلندى عريق ولم يكن
موسرا ، ومع ذلك كانت جلساته
بجانية دائما ، لأنه كان يعلم جيدا أنه
يقوم برسالة أسمى كثيرا من رسالة

جمع المادة . وكان يتمتع بكل صور الوساطة الفيزيكية عدا وساطة الصوت
المباشر Direct Voice والمجلوبات الروحية Psychic Apports .

وقد خضعت تجاربه لعدد كبير من الباحثين غير كروكس فى شتى البلاد
إذ كان كثير التجوال فى أنحاء العالم بدعوة من الباحثين الروحيين . فامتحن
وساطته فى أمريكا القاضى جون وورث إدmond J. W. Edmonds رئيس
المحكمة العليا بنيويورك والعالمان روبرت هير R. Hare وجيمس مايس
J. Mapee^(٢) . كما حقق وساطته العالم والوزير الروسى أكزاكوف Aksakoff .

وقد أثبت كروكس هذه الظواهر فى كتابه المعروف «بحوث فى
الظواهر الروحية»^(٣) الذى ظهر فى سنة ١٨٧٤ ثم ظهر له مؤلف آخر
عنوانه «تجارب جديدة فى القوة الروحية»^(٤) .

(١) وهذه الظاهرة سجلها أيضا تقرير الجمعية الجدلالية . راجع ما سبق ص ١٩٢ .

(٢) راجع ما سبق فى ص ١٥١، ١٥٠ .

(٣) Researches In The Phenomena Of Spiritualism.

(٤) وله ترجمة فرنسية بمعرفة J. Alidel عنوانها :

Nouvelles Experiences Sur La Force Psychique.

وأقوى تجارب كروكس وادعاها للاقتناع تمت مع الوسيطة فلورنس كوك Florence Cooke التي تجسدت في حضورها روح تجسداً كاملاً، هي روح كاتي كنج Katie King، والتي ذكرت أنها كانت تعيش على الأرض تحت اسم أنى أوين مورجان Annie Owen Morgan في



فلورنس كوك

جزيرة جامايكا، في عهد الملك شارل الأول وأنها أنجبت طفلين وماتت مبكرة في سن الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين. وذكرت أسماء بلدان وطرقات وجبال وأنهار ومعالم كثيرة في الجزيرة لم يكن أحد من الحاضرين يعرف عنها شيئاً، وتحقق كروكس فيما بعد من صدق البيانات التي قالتها. كما تحدثت عن ذكرياتها

الأرضية، وعن احتلال الجنود الأسبان للجزيرة.. وقد صورها كروكس أكثر من أربعين صورة، وأخضع الروح المتجسدة كما أخضع الوسيطة لكشف طبي دقيق بمعرفة الدكتور جالى Gully الأستاذ بكلية الجراحين وأرسل صورها مع تقريره والتقرير الطبي إلى الجمعية الملكية (المجمع العلمى البريطانى).

ولم يكن تجسد كاتي كنج في حضور كروكس جديداً على متابعي كشوف البحث الروحى، فقد وصفها قبله العالم والوزير الروسى أكزاكوف Aksakoff وكان ظهورها عن طريق الوسيط إدنجتون Edington، ووصفها كروكس بعد تجسدها لأول مرة بوقت كاف. وقد وصفها من بعده مدام دى لافيرسى De Laversey في المجلة الروحية الفرنسية^(١)، كما وصفها من بعده أيضاً الباحث الفرنسى جابريل ديلان Gabriel Delanne في

(١) أعداد مارس إلى أكتوبر سنة ١٨٩٧.

مؤلفه « الروح خالدة »،^(١) . وكل هؤلاء رأوا رؤبة العين في ظروف مختلفة وتواريخ متباعدة .

ونحن ننقل هنا للقارئ وصف هذه الظاهرة الغريبة كما ثبتت في محضر جلسة يوم ٢١ أبريل من سنة ١٨٧٢، الذي نشره في جريدة الإنسان الروحي The Spiritualist^(٢) أحد الحاضرين وهو مستر وإيام هاريسون W. H. Harrison رئيس تحرير هذه الجريدة الذي دعى لحضور التجربة المثيرة ، وهو مطابق بدوره لما رواه كروكس عنها^(٣) .

، سمع فجأة طرق على ألواح الزجاج وصوت موجه إلى مستر كوك والد الوسيطة فلورنس بأنه ينبغي أن ينزح بالوعة منزله إذا شاء حفظ بنيانه من التداعي ؛ فسكف من قام بفحص البالوعة فوراً وتبين أن قاع المنزل قد امتلأ فعلاً بالماء الذي فاض نتيجة للأمطار ، ثم حدثت سلسلة من الظواهر الغريبة التي أخذت تزداد دقة بفضل وساطة مس كوك ، إلى أن كانت الجلسة التي ظهرت فيها كاتى متجسدة في حالة من نصف الظلام ، وقد وصفها مستر كوك بأن وجهها كان يضيأواً وأنفها منحنياً ، كما كانت عيناها نابضتين بالحياة ووجهها بالغ الجمال .

ثم حدثت جلسة التجسد الثانية ، وفي هذه الجلسة جلس لفيف من الحاضرين بين الوسيطة وبين الروح وهو ما يثبت أن الشبح لم يكن ازدواجاً للوسيطة . وقد ثبت أيضاً في محاضر الجلسات اللاحقة ما يلي :

(١) راجع ما سبق عنه في ص ٢٨٦ .

(٢) في المجلد الثامن ص ٢٩٩ وما بعدها .

(٣) وذلك بالإضافة إلى الوصف الذي كتبه كروكس بقلمه في جريدة الإنسان الروحي في مجلد سنة ١٨٧٤ ص ٢٧٠ ، وفي الجريدة العلمية الربع السنوية Quarterly Journal Of Science التي كان كروكس نفسه هو رئيس تحريرها في ذلك الوقت .

ظهر وجه كاتى لنا وقد التف بالبياض حتى تمنع السيال Fluid من أن يتبدد سراعاً طبقاً لما قالتة . تم أعلنت أن وجهها هو الذى تجسد فحسب وأمكن للجميع أن يروا ملاحة جاية، وقد لاحظنا أن عينيها كانتا مغلقتين واستمر الوجه ظاهراً لمدة نصف دقيقة اختفى بعدها. ثم طلبت زيادة الضوء فأمكن لكل واحد منا أن يبصر وجهها وهو يفيض شباباً وجمالاً وسعادة وعينيها وهما تفيضان حيوية وذكاء إلى حد ما . ولم يعد وجهها باهتاً غير محدد كما كان لدى ظهوره في ٢١ من أبريل سنة ١٨٧٢ لأول مرة لأنها صارت تعلم الآن خيراً من قبل ما ينبغى عليها أن تفعله طبقاً لقولها .

تم توالى الجلسات بنجاح وازدادت قوة كاتى كنج شيئاً فشيئاً ، على أنها لم تملك المقدرة على الظهور بحرية ، وفي بهرة الضوء خارجاً عن الغرفة المظلمة وبشكل إنسانى أمام جمهور من المشاهدين المشدوهين إلا بعد خبرة طويلة ابتدأت غير كاملة في مبدأ الأمر ولكنها تكاملت تدريجياً . ومنذ تلك اللحظة بسطت على الوسيطة رقابة قاسية منظمة ، فأعلن صحة هذه الظواهر كل من العلماء بنجامين كولمان Benjamin Colman والدكتور جيمس جالى James Gully وجورج سكستون Sexton^(١) بعد دراسة أحيطت بكل أسباب التحفظ .

وقد التقط كروكس بيديه لكاتى كنج عدة صور في ضوء المغنسيوم بلغت أكثر من أربعين صورة على عدة دفعات، وكانت متجسدة فيها تجسداً كاملاً وواقفة في القاعة في ظروف أخضعت لرقابة بالغة الدقة^(٢) . ومنذ

(١) كان الدكتور جورج سكستون عالماً وخطيباً قديراً وكان من أعداء الروحية الحديثة ولكنه انضم إليها بعد مجارب خمس عشرة سنة جعلته من أقوى دعاةها . وكان الدكتور جيمس جالى يهودى من أعدائها ثم انقلب إلى الدفاع عنها.

(٢) ويقول كروكس في مقاله في مجلة الإنسان الروحي The Spiritualist (مجلد سنة ١٨٧٤ ص ٢٧٠ وما بعدها) إنه كان قد ثبت خمس قواعد للتصوير في أمكنة مختلفة من الغرفة في منزله الخاص وكانت الروح تتجسد ليلياً في منزله لمدة أسبوع حتى تمكنه من أن يلتقط لها صوراً في الضوء الصناعى . وأنه كان يلتقط لها أحياناً خمس عشرة صورة في الجلسة الواحدة .

بدأت وساطة مس كوك في الظهور تبرع لها شارل بلا كيون بهبة مالية كبيرة كفلت لها نفقاتها ولذا كانت جميع جلساتها مجانية .

ولم تتم التجارب التصويرية بغير احتياط فقد اصططحت مدام كورنر Corner وكريمتها الوسيطة إلى غرفتها حيث طلبتا منها خلع ملابسها لفحصها جيداً ثم ألبستها معطفاً كبيراً من القماش الرمادي بدلا من ثوبها الذي كانت ترتديه ، ثم اصططحتها إلى قاعة الجلسة وقد قيد معصاها بشريط من المعدن كما فحست جميع أركان الغرفة ، ثم جلست مس كوك ووضع الشريط الذي كان يقيدتها في حلقة من المعدن ثبتت في الأرض . ووضع فوقها رداء كان بمثابة



ستار للخباء وربط طرفه بكرسى بحيث إذا تحركت الوسيطة أحس بها الجميع على الفور . ثم نامت الوسيطة ، وبعد لحظات ظهرت كاتى كنج وتقدمت في الغرفة مرتدية فستاناً أبيض مفتوح الرقبة قصير الأكمام بحيث آثار جمال رقبتها الرائعة وذراعيها إعجاب الحاضرين .

وجه كاتى كنج متجسداً عن قرب

« وعندما أخذت لها الصور في الأوضاع المطلوبة أخذت تتمشى في الغرفة متحدة مع الجميع ومداعبة إياهم ، وأخذت الصور في ضوء المغنسيوم . أما إضاءة الغرفة فقد استمرت بعد ذلك بواسطة شمعة ومصباح صغير . وقرب انتهاء الجلسة أعلنت كاتى أن قواها في طريق الانتهاء ، وأنها آخذة في

الانبياء فشاهدناها تجلس القرفصاء ، ثم اختفى جسدها ولا مس رأسها الأرض وكانت الوسيطة لا تزال بعد مقيدة الوثاق ، . ثم حدثت تجسيدات أخرى عن طريق مس كوك وتحررت محاضر بما حدث وقع عليها الحاضرون .
وقد أنكر الماديون طبعاً صحة هذه الظواهر الغريبة وأثاروا حولها غباراً كثيفاً حتى بين أنصار هذه الروحية الجديدة ، ولكن تجارب كروكس كانت قد طبعت تجسيدات كاتي كنج بطابع رسمي لا محل للنزاع فيه وأبانت كيف أن الجسد الأثيري لا يمثل المظهر الخارجي للإنسان فحسب ، بل وكذلك الأعضاء الدقيقة من جسده ، كما أظهرت تجارب هذا العالم كيف أنه لا يمكن تعليل ظهور كاتي كنج بأنه ازدواج للوسيطة .

* * *

ولتكملة هذا الحديث عن كاتي كنج نفتطف الفقرات الآتية من محضر الجلسة الأخيرة التي ظهرت فيها كاتي متجسدة في حضور كروكس وعلماء آخرين . كان بمقدور الجميع أن يروا الوسيطة في غيورتها وقد غطى وجهها بنقاب أحمر لحمايتها من الضوء . وكانت كاتي تتحدث واقفة أمام الحاضرين عن قرب رحيلها . وتقبلت باقة من الورد قدمها لها مستر تاب Tapp كما قدم إليها وليام كروكس بعضاً من أزهار الزنبق ربط بعضها بالبعض الآخر فطلبت كاتي من المستر تاب أن يفك الباقة وينثر الأزهار علينا ونحن من حولها . كما كتبت خطابات وداع إلى بعض الجالسين ووقعت على الخطابات باسم أني أوين مورجان Annie Owen Morgan قائلة إن هذا هو اسمها الذي كانت تعرف به أثناء حياتها الأرضية .

ثم حررت خطاباً لوسيظتها واختارت لها برعم زهرة كهديّة للفراق . ثم أمسكت بمقص وقصت خصلة من شعرها وأعطت إلى الجميع كمية كبيرة منه ، ثم أمسكت بذراع كروكس وأخذت تتجول معه في أنحاء الغرفة مصافحة أيدي الجميع إلى أن عادت إلى مكانها وقصت قطعاً عديدة من فستانها ونقابها وأهدتها للحاضرين ، فسألوها عما إذا كانت تستطيع أن تصلح من التلف

الذى أحدهما كما فعلت في مرات سابقة فعرضت جزءاً مقطوعاً من فستانها وضربت يدها عليه ، وللحال عاد الجزء كاملاً وجلياً كما كان . . (ألا تنق هذه الحركة - وحدها - القول بأن كاتى كنج كانت مسيدة عادية متكرة ؟ ...) .

وأعطت كاتى بعدئذ تعليقاتها الأخيرة إلى كروكس وإلى باقى أصدقائها فيما يتعلق بما ينبغى اتباعه نحو الظواهر الأخرى التى وعدت بأن تجربها مستقبلاً . ثم بدا الإعياء عليها وقالت والحسرة بادية عليها إنها ترغب فى الرحيل وإن قواها آخذة فى الزوال ، وكررت للجميع عبارات الوداع بطريقة عاطفية متناهية فى الرفقة ، كما شكرها هؤلاء على ما منحته إياهم من ظواهر رائعة ، وكانت أثناء ذلك تلقى نظرة تفكير وأسى عميقين على الجميع ، وترك الغطاء ينزل وصارت غير منظورة منا . ثم سمعناها توقف وسيطتها التى قوسلت إليها وهى تذرف دموعها أن تمسك برهة أخرى من الوقت ، ولكن كاتى أجاوبها « لا يمكننى يا عزيزتى فقد انتهت رسالتى وإيباركك الإله ، . وسمعنا صوت قبة الوداع ثم تقدمت الوسيطة وصارت بيننا وقد هدها الإجماع والحزن العميق تماماً ، .

وظل ظهور كاتى كنج يتكرر لمدة ثلاث سنوات أخرى ، وكانت تقول إنها بقيامها بإحداث هذه الظواهر الفيزيائية تحملت كثيراً من العناء ، وإنه صار لها بعد ذلك أن ترقى فى حياة الروح إلى مرتبة أسنى ، وإنه لن يمكنها أن تتصل بعد الآن بوسيطتها عن طريق المراسلة إلا فى فترات متباعدة ، ولو أن بمقدور هذه الأخيرة أن تراها عن طريق وساطة الجلاء البصرى .

ومن الطريف أن الدكتور جلين هاملتون Glen Hamilton رئيس جمعية البحث الروحى ، S. P. R. ، بكندا ذكر أيضاً أن روح كاتى كنج عادت (م ٢١ - الإنسان روح)

إلى التجسد من جديد في أكتوبر من سنة ١٩٣٠ بواسطة الوسيط مير سيدس Mercedes في دائرته بمدينة وينبيج^(١) .

ولم يكتف كوكس بسرد وقائع التجسد التي حدثت في حضوره وفي حضور عدد من العلماء والفقهاء بدقة تامة، بل أورد عدة تفاصيل عن الفروق التي سجلها بنفسه بين أوصاف الروح المتجسدة كاتي ومس كوك أهمها :
أولاً : أن طول كاتي كنيج لم يكن ثابتاً في جميع الجلسات ، لكنه كان دائماً أطول من طول الوسيطة بأربع بوصات ونصف إلى ست بوصات .

ثانياً : أن رقبة كاتي كانت ملساء من ناحيتي الملمس والنظر حين كانت برقبة كوك بثرة كبيرة وكانت خشنة الملمس ، وكانت بشرة كاتي بيضاء أما بشرة الوسيطة فكانت سمراء نوعاً .

ثالثاً : أن أذني كاتي كانتا غير مثقوبتين على عكس مس كوك .

رابعاً : أن وجه كاتي كان ضاحكاً ، أما وجه مس كوك فكان في المعتاد غامساً .

خامساً : أن أصابع كاتي كانت أطول من أصابع مس كوك .

سادساً : أن نبض كاتي كان ٧٥ باستمرار حين كان نبض مس كوك ٩٠ في الدقيقة . وكانت رئة الروح المتجسدة أسلم من رئة الوسيطة .

سابعاً : أن شعر كاتي كان ذهبياً حين كان شعر الوسيطة أسود فاحماً .

وقد استفسرت جريدة « بانر أوف لايت » ، Banner Of Light الأمريكية

(١) كما تجسد أحياناً حتى الآن في حضور الوسيط الأمريكي المعاصر راينهارت . وقد تجسدت بالقاهرة في حضور عشرات من الأطباء المصريين عندما عقد هذا الوسيط جلسة بنادي الأطباء في ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٥٧ على ما رواه صديقنا الدكتور علي راضي أحد شهود الجلسة في كتيب عنوانه « معجزة في مصر » ظهر في سنة ١٩٥٨ يتضمن وصفاً للجلسة التي حضرها .

من وليام كروكس عن مدى تحققه من وجود شخصيتين أمامه فرد عليها
برسالة مطولة جاء فيها:

«رداً على استفساركم أقرر أني رأيت كلا من الأنسة كوك وكاتي معاً
في نفس اللحظة ، وكان ذلك بواسطة ضوء مصباح فسفوري ، وقد كان
ضوءاً كافياً لتمكيني من أن أشاهد بوضوح كل ما وصفته . إن العين الإنسانية
تستطيع في حالة طبيعية أن تحيط بزاوية واسعة ، وهكذا بدا الشكلان في
مجال البصر أمامي في وقت واحد ، وبسبب أن النور كان ضعيفاً والوجهين
يبعد أحدهما عن الآخر بضعة أقدام كنت مضطراً إلى تحويل الضوء ،
كما كنت أحول بصرى بالتعاقب من أحد الوجهين إلى الآخر ، وذلك عندما
كنت أرغب في التثبت في وضوح من وجه كل منهما ، وقد رأيت ومعى
ثمانية أشخاص في الواقعة التي أصفها هنا كاتي والأنسة كوك معاً ، وذلك
في منزلي ...»

ثم أضاف كروكس واصفاً الوسيطة فلورنس كوك : « وإن تخيل المرء
أن مثل هذه الطالبة الساذجة التي لا تزال في عامها الخامس عشر تستطيع
أن تفهم هذا النوع الهائل من الخداع (الذي كان يتهمها به المعارضون)
ثم تتقن القيام به لمدة ثلاثة أعوام تكون خلالها معرضة للفحص العلمي الذي
يفرض عليها ، خاضعة لكل ما يتخذ معها في حزم ودقة من الإجراءات أثناء
هذا الفحص ، راضية بأن تفتش في أي وقت قبل الجلسة أو بعدها وتستطيع
أن تقوم بهذا الدور في منزلي أنا بنجاح أكثر مما لو قامت به في منزل ذريها .
أقول إن تخيل المرء أن « كاتي كنج » ذات السنوات الثلاث الماضية هي نتيجة
للخداع فإنه يسيء إلى العقل وإلى الشعور الإنساني أكثر مما يسيء إليهما
الاعتقاد بصحة هذا الأمر » (١) .

(١) وقد ظهرت نفس الرسالة جريدة The Spiritualist الهندية بتاريخ ١٧ يولية
سنة ١٨٧٤ م ٢٩ . راجع أيضاً ، « تأليف سير آرثر كونان دويل عن « تاريخ الروحانية » ج ١
ص ٢٤٥ .

ويعطى الباحث والكاتب الروحي ليون دنيز Léon Denis تعليلاً لظاهرة تجسد الأرواح - وهي ظاهرة نادرة لكنها حدثت مراراً في حضور باحثين ثقات، وتتضمن المؤلفات الروحية تفاصيل متعددة عنها - فيقول: «إن بقاء الجسد الأثيري على حاله بعد الموت كما كان قبله يفسر ظهور الأطياف وتجسد الأرواح. فالجسد الأثيري وهو يحيا في الفضاء طليقاً يملك كل ما يلزم لتكوين الأعضاء المادية بلا استثناء ولكنه لا يستعملها. فإذا ما وجدت الروح نفسها في الظروف المؤاتية، بمجرد أن تتمكن من استعارة المادة السيالة (مادة الاكتوبلازم Ectoplasm من عالم المادة التي تصبح تلبلازم عند معالجتها بمواد أثيرية، وتتخذ أشكالاً مختلفة بخارية وفضة وصلبة...»^(١)، وكذلك من استعارة القوة الحيوية وهما لازمتان لها، فإنها تندمج في الاكتوبلازم وترتدى تدريجياً مظهر المادة الأرضية فيفسر فيها تيار حيوي بتأثير السيل المأخوذ من الوسيط وتنظم الجزيئات الفيزيكية طبقاً لخريطة الأعضاء، تلك الخريطة التي يحوي الجسد الأثيري جميع خطوطها الرئيسية، ومن ثم يتكون الجسد الإنساني من جديد وتؤدي الأعضاء وظائفها»^(٢).

نقاط للناس

إنها مع ذلك حقائق غريبة من شأنها لفرط غرابتها أن تبعث في نفس القارئ لأول وهلة كثيراً من الريبة والشك وله عنده. لكن حقائق الكون لا يمكن أن يحيط بها إدراكنا القاصر وحواسنا العاجزة، ولا يمكن أن يرقى إلى بعضها خيالنا مهما كان واسعاً، لأن الخيال مستمد في

(١) راجع فيها مؤلف جوستاف جيل مدير «المعهد الدولي لما وراء الروح باريس» وعنوانه L'Ectoplasmie Et La Materialisation كما عنى العالم البيولوجي الألماني شرنك لون أوتزنج ببعضها، وأخذ منها حوالي مائة عينة في أنابيب الاختبار وبين تحليلها الكيميائي، ووزنها وخواصها الضوئية.

(٢) راجع ما سبق من ليون دنيز ص ٢٨٤ وما بعدها.

الأصل مما يمكن أن تدركه هذه الحواس ، أما ما تقصر عنه ، فيقصر عنه أيضاً خيالنا ، حتى ولو كان حقيقة من حقائق الكون الثابتة التي لا ندركها بحواسنا ، فلا أضال ما تعقله عقولنا ، وما أتفه ما تحسه حواسنا ١١

فمن يتصور بأن هذا الكوكب الثابت تماماً — بحسب إدراك حواسنا — منطلق في فضاء غير محدود بسرعة تبلغ حوالى ١٨٠٠٠ كيلو متر في الساعة . بل من يتصور أنه يتحرك عدة حركات وهو منطلق بهذه السرعة الخيالية ، حتى أن علم الفلك الحديث يقدر حركته بأربع عشرة حركة مختلفة ، فلا نشعر بواحدة منها حتى نتمسنا عن قرب ؟ .. فهل يصح أن نجعل حواسنا التافهة هي الفاصل الوحيد بين الحق والباطل ؟ .. أم أن من واجبتنا أيضاً أن نتواضع قليلاً ونسلم بأن إدراكنا قاصر ، كأشد ما يكون القصور ؟ ...

لكن للقارىء المتشكك أن يتدبر مع ذلك في هدوء النقاط الآتية ويتأمل فيها ملياً بعين الإنصاف والحيدة : —

أرو : أن من قام بفحص ظاهرة تجسد الروح كاتى كنز نخبه من العلماء على رأسهم واحد مشهود له بقوة الملاحظة ، وبالدقة والعمق إلى الحد الذى دفعه إلى اكتشاف الإلكترون فى الذرة ، وحاز فى جميع ألقاب الشرف العلمية فى بلاده ، بما فى ذلك رئاسة الجمعية الملكية ، أى المجمع العلمى .

ونانياً : أن اقتناعه لم يأت نتيجة تجربة واحدة ، بل جاء بعد إنكار تام ، ثم تشكك دام طويلاً . وكان له ما يبرره من ناحية خطورة الموضوع واتساع نطاقه ، إلى المدى الذى قلب رأساً على عقب كل نظريات المادية ، وألقى بها نهائياً فى ذمة التاريخ ككائن من مخلفات ماضية أصبحت لا قيمة لها عنده فيما بعد ... (١) .

(١) راجع من أقواله فى موضوع الأرواح ما سبق من ٢٠٩ — ٢١١ .

ورائنا : أنه اتخذ احتياطات كافية تماماً لدفع كل اعتراض ، وذلك إلى حد أنه طلب من الوسيطة أن تنزل ضيفة مقيمة مع أفراد أسرته في منزله حتى يخضعها لـكل وسائل الفحص ، فظلت تقيم معهم شهوراً عديدة . وكانت كاتى كنج تتجسد كثيراً في منزله ، وطلبت منه ذات مرة أن يحمل طفلاً رضيعاً فسلبه لها فابتسمت له بخنان ثم ردت له ثانية ، والوسيطة نعط في غيبوبة عميقة لا تدرى شيئاً . فهل يعقل أنه كان طيلة تجاربه هذه ضحية خدعة مستمرة من طالبة ريفية ساذجة في شبابه المبكر إذ كانت تبلغ الخامسة عشرة فقط من عمرها ؟ ومع ذلك كان يخضعها دائماً للتفتيش الدقيق بمعرفة زوجته ، ولاحتياطات لا يتصور إنسان أدق منها .

ويكفى في هذا الصدد أن نذكر أنه أخذ يستعين بالأسلاك المعدنية وبجهاز الجلفانومتر Galvanometer بعد توصيله بجسد الوسيطة ، كما يسجل كل حركاتها . وكان يراقب هذا الجهاز أحد العلماء وهو فارلى Varley ويدون ما يسجله من تغييرات في جسم الوسيطة دقيقة بدقيقة ، وكان جسم الوسيطة يستخدم كوصل كهربائي أثناء غيبتها ، وذلك لدفع أى اعتراض محتمل بالخطأ أو بالتدليس . كما طالب كروكس من الروح أن تضع يدها في سائل أيودور البوتاسيوم Potassium iodure فلم تتحرك عقارب الجلفانومتر ، مع أنها كان ينبغي أن تتحرك لو كانت الروح على صلة بأسلاك معدنية بالوسيطة .

ورابعا : أن ظهور الروح واختفاءها كان يحدث دائماً بنفس الطريقة وهى انبعاث مادة لا كتوبلازم واضحة في صورة بخار أو ضباب أو لفائف متعددة الأشكال ويتراوح لونها بين الأبيض والرمادى ، ثم تتشكل تدريجياً حتى تصبح بشراً سوياً مستقلاً في مظهره وملابسه ، وملاحة ، وشخصيته وإدراكه تماماً عن الوسيطة .

وخامسا : أن جميع العلماء والبحاث الذين بحثوا هذا الموضوع اتفقوا على

كيفية حصول التجسد وتلاشيته على هذا النحو . وقام عدد منهم بتحليل هذه المادة إلى حد معرفة تركيبها الكيميائي ومنسوجها الجزيئي والذري . ومنهم مثلاً العالم والوزير الروسي أكراسكوف Aksakoff في مؤلفه Animisme Et Spiritisme وسير ألفريد رسل والاس A. R. Wallace العالم البريطاني في مؤلفه « بحوث في الظواهر الروحية »^(١) . ومنهم أيضاً العالمان الألمانيان شرنك فون نوتزنج Schrenck Von Notzing^(٢) . والفرنسي شارل ريشيه Charles Richet وكثيرون غيرهم .

وكل هؤلاء بحثوا ظاهرة التجسد السكلي والجزيئي عن طريق انبعاث الاكتوبلازم من جسم الوسيط أو الوسيطة بعناية تامة ، وفي عدد كبير من الجلسات ، فانتهوا إلى نتائج متباعدة . كما بحث غيرهم ظاهرة التجسد عن غير طريق الاكتوبلازم ، إذ أصبح للتجسد الآن عدة صور وسبل أمكن إرجاعها في ضوء البحوث الروحية الحديثة إلى أربعة على الوجه الآتي : —
الصورة الأولى : تجسد عن طريق الاكتوبلازم ، Ectoplasmic وهذه هي الصورة التي ظفرت بعناية العدد الأكبر من الباحثين لسهولة بحثها ، وهذا هو التجسد الصلب أو الجامد Solid .

الصورة الثانية : تجسد مستقل Independent or free وهذا لا يحتاج إلى الاكتوبلازم ، وقد سجلت حدوثه عدة مراجع روحية ، ويكون بفعل إرادة من الروح متى توافرت لها الظروف المؤاتية .

الصورة الثالثة : تجسد خفيف أو شفاف ويطلق عليه أحياناً وصف

Etherialisation

(١) وقد ترجم إلى الفرنسية تحت عنوان .

Recherches Sur Les Phenomènes Spirites.

وراجع ما سبق في ص ١١٩ — ١٢٢ ، ١٣٢ — ١٤٠ عن الاكتوبلازم وتجسيدات الأيدي في ظروف شتى ومع وسطاء مختلفين ، مع مراعاة أن طبيعة التجسد واحدة سواء أكان جزئياً أم كلياً . وراجع ما سبق ص ٢١١ عن ألفريد رسل والاس .

(٢) اقرأ عنه أيضاً مقالاً لجوليه فلوريزل فون رويتر Florizel Von Reuter في مجلة العلم الروحي التي تصدرها « السككية البريطانية للعلم الروحي » عدد أبريل من سنة ١٩٢٨ ص ١٣ وما بعدها وراجع ما سبق عن نوتزنج ص ٢٩٣ وما سبيل عن ريشيه في الفصل المقبل .

الصورة الرابعة : تجسد خلال رأس الوسيط أو الوسيطة، ويقضى أن يتغير وجه أيهما، ويصبح كوجه الشخص المتوفى على نحو أو آخر . وهذا التجسد يطلق عليه وصف Transfiguration . ويضيق المقام عن التعرض هنا لهذه الصور الأربعة بأكثر من ذلك (١) .

وساراً : أن تصوير كآتي كنج عشرات من الصور بالكاميرا ينفى تماماً فكرة التنويم المغناطيسى أو الإحياء النفسى ، أو الوهم أو نحو ذلك من التعليقات التى يقول بها أحياناً بعض النفسيين ، أو تلك التى كانوا يقولون بها فيما مضى . إذ ليس للكاميرا عقل واع ولا باطن ، وكذلك الشأن فى الكشف الطبى عليها وعلى الوسيطة فى وقت واحد بمعرفة أستاذ للجراحة فى كلية للجراحين هو الدكتور جالى Gully .

وساراً : أن هذه الظاهرة قد تكررت فى بينات مختلفة ، بما فى ذلك عدة معاهد عليية والتقطت فيها أيضاً عشرات من صور مختلفة ، كما حدثت ظاهرة التجسد لأشخاص انتقلوا حديثاً إلى الجانب الآخر ، وكانوا وثيق صلة ببعض الحاضرين ، إلى الحد الذى يستحيل فيه تماماً خداعهم أو التويه عليهم فالدكتور أدوين فردريك باورز ذكر أن روح أمه قد تجسدت فى إحدى الجلسات وخطبته بصوتها المعروف لديه وعانقته هو وشقيقه فى نفس الوقت ، وقص خصلة من شعرها المتجسد . وقائل هذا الكلام أستاذ للأمراض العصبية والنفسية فى جامعة مينيا بوليس (٢) ، ومئات من أمثال هذه التأكيدات الصريحة من أشخاص لهم جليل اعتبارهم فى البيئات العلمية يقرؤها القارىء فى المراجع الروحية .

وتامناً : بالإضافة إلى ذلك فن الملاحظ أنه رغم تباين الظروف والبيئات التى حدثت فيها ظاهرة التجسد — كلياً كان أم جزئياً وتاماً كان أم ناقصاً —

(١) المزيد راجع فى هذا الموضوع مؤلفا للوسيط الدانمركى أيرنر نيلزن Einer Nielsen وعنوانه « أدلة صلبة على الحياة بعد الموت » Solid Proofs Of Survival. (١٩٥٠) وراجع بوجه خاص منه الفصل التاسع عشر وعنوانه « مشكلة التجسد » .

(٢) راجع « ظواهر حجرة تخضير الأرواح » الذى ترجمه إلى العربية المرحوم الأستاذ أحمد فهى أبو الخير ص ٢٤٦ .

فإنه يوجد تشابه واضح في الأسلوب العام لكيفية التجسد له عدة شواهد ، من بينها مثلاً إصرار أرواح السيدات المتجسّدات — غالباً — على الظهور مرتديات ما يشبه الطرحة أو الشال ، على رؤوسهن وأكتافهن بما في ذلك كآتي كنج . ويتضح ذلك من هذه الصور المختلفة التي نقدمها في الصفحات المقبلة لعدة حالات تجسد محوطة بضمائم جمّة اخترناها لوسطاء من ستة بلاد: وهي إنجلترا وأمريكا وفرنسا والبرازيل والدانمرك وإيطاليا . كما سنلاحظ نفس الظاهرة بالنسبة للصور التي سنقدمها في مناسبة لاحقة لأرواح غير متجسّدة . والتي التقطت في بيئات جادة تماماً وبواسطة أشخاص موثوق بهم . . ألا يدل ذلك وحده على وجود نواميس طبيعية تحكم عالم الأرواح كما تحكم بالتبعية الظواهر الروحية على مختلف أنواعها ؟ ...

وهذه النواميس الطبيعية المشتركة التي سجلها علماء الروح وباحثوها في كل مكان ألا تكفي وحدها لنفي شبهة الوهم أو الخرافة ؟ ... ومن يشك في ذلك له أن يتصفح ، بالإضافة إلى المراجع العلمية ، إعداد المجلات الروحية مثل مجلة « السكينة البريطانية للعلم الروحي » ، ومجلة « المعهد الدولي لما وراء الروح » ، ومثل مجلة تورلندز « العالمين » ، والسايكك نيوز « الأنباء الروحية » ، والسايكك أوبزرفر « المراقب الروحي » ، وغيرها فيجدها حافلة بأخبار التجسّدات ، وبالصور والمعلومات المتشابهة في جوهرها وأسلوبهم العام . وناسم : أن تجسد الأرواح متفق تماماً مع الحوادث التي ورد ذكرها في الكتب السماوية . ومنها مثلاً حادثة تجسد روح النبيين موسى وإيليا على جبل الزيتون في حضور السيد المسيح وتلاميذه ، وقد ورد عنها في إنجيل لوقا (أصحاح ٩ عدد ٣٠) « وإذا رجلان يتكلمان معه (مع المسيح) وهما موسى وإيليا ، وكان موسى قد توفي منذ ١٤٨٢ سنة وتوفي إيليا قبله ب ٩٤٨ سنة . كما ورد في عدد ٣٢ « وأما بطرس والذنان معه فكانوا قد تنقلوا بالنوم (أي في غيبوبة وساطية بحسب التعبير العصري) فلما استيقظوا رأوا مجده والرجلين الواقفين معه . » وورد في عدد ٣٣ « قال بطرس ليسوع

يا معلم جيد أن تكون ههنا ، فلنصنع ثلاث مظال : لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة . . . أى كان بطرس سادراً في الغيوبة شأن معظم الوسطاء ، ولم يكن يعرف أن خباء واحداً (أو لا خباء) كان كافياً للغرض ، وذلك على ملاحظه الدكتور آرثر ج . ولز A. G. Wells مدير كلية العلم الروحي ، بالولايات المتحدة في مؤلفه « الحياة الآن وإلى الأبد »^(١) .

فهل ثبت بقية من شك ؟ إنا نسلم بأن ظاهرة التجسد من الأمور النادرة لكن هل ندرتها تنفي صحتها ؟ وهل ندرة ظاهرة طبيعية أخرى مثل ظهور قوس قزح أو حدوث الكسوف الكلي للشمس تنفي صحتها ؟ . . . هذا هو كل التساؤل من الناحية المنطقية . . . أما الاعتراض بأنها يجب أن تحدث فوراً الآن أمامي حتى اقتنع بها ، فهو كمثل الاعتراض بأن يجب أن أشاهد الآن ، أو في الزمان والمكان اللذين أعددتهما ، الكسوف الكلي للشمس حتى أسلم أن هناك شيئاً اسمه كسوف كلي للشمس وإلا فلا . وهكذا الشأن بالنسبة لأي ظاهرة طبيعية نادرة الحصول مثل خسوف القمر أو ظهور قوس قزح ، أو حتى نمو زهرة أو شجرة ، أو غير ذلك من كافة الظواهر الطبيعية المألوفة .

فكل هذه الظواهر محكومة بنواميس طبيعية تخرج تماماً عن سلطان العلم المادى فليس له أن يحدتها بوسائل آلية ، وإنما دوره فحسب هو تسجيلها عندما تحدث مع تأسيس نتائجها الضرورية واستخراج دلالاتها المحتملة . وفهم الظواهر الروحية برمتها على وضعها الصحيح هذا يذلل بغير ما ريب الكثير من اعتراضات المعارضين الذين لا يزالون حتى الآن يجهلون طبيعتها ويتصورون خطأ أن العلم المادى يزعم أنه قد أخضع الروح لسلطانه . وهذا ما لم يذهب إليه أحد من قبل ولا من بعد ، لأن بحاث الروح خير من يعلمون أن الروح لا تخضع لسلطان المادة بل المادة هي التي تخضع لسلطان الروح .

تجسد « كاتي كنج » بالصور

« من عشرات من صور « كاتي كنج » متجسدة انقلعت في ضوء المنسوبم الأبيض



الروح متأخرة ذراع « كروكس



الوسطة في غيوتتها على الكرسي إلى اليمين، والروح
واقفة إلى اليسار



« كروكس » واقف إلى يمين الروح المتجسدة



الدكتور جال Gully الأستاذ بكلية الجراحين
وهو يجس نبض الروح المتجسدة .

تجسد روحين في وقت واحد في حضور إجالتون



روحان متجسدان معاً وها « إراست » و « كاز » وقد كان أولهما أحد الأرواح المرشدة لوسيط التجسد إجالتون (راجع ما سبق عنه في ص ١١٢) وقد رسمها الفنان جيمس تيسو James Tissot على نفس الضوء المنبعث من الروحين Self-made light وهذا الضوء سجله باحثون عديدون في الأرواح . وقد امتنعت وساطة إجالتون امتنعانات صارمة بمعرفة عدة هيئات علمية منها جمعية البحث الروحي S. P. R. بلندن فجازها بنجاح . وقد حدث هذا التجسد الفذ بمجاسة ترجع إلى ٢٠ مايو سنة ١٨٧٥ (راجع التفاصيل بمؤلف جابريل ديلاي وعنوانه « أشباح متجسدة لأحياء وأموات » طبعة ١٩١١ الجزء الثاني ص ٣٣٧ — ٣٤١) .

حالة تجسد تام للوجه في المعهد الدولي لما وراء الروح ، بباريس



صورة المراكزة ديسانت
أمارات — التي أعدها التوار
في سنة ١٧٨٩ — متجسدة
داخل المعهد الدولي لما وراء
الروح (جلسة ٢٦ فبراير سنة
١٩١٨) وسط أمانات
الاكتوبلازم المنبثقة من جسم
الوسيلة أيضا تحت إشراف
الدكتور جيلي (راجع ماسق
في ص ٢٧٩ ، ٢٨٠)

←

لا بلي ديسانت أمارات في
ط يقيم إلى الأبد (لوح الرسم
جاكوب ومنتج ديز استامب
Des Estampes
الوزارة) .

→



من حالات التجسد التام في حضور مدام ديسبرانس



الفنانة العربية يولانده Yolande
متجسدة في حضور الوسيطة الفرنسية
مدام ديسبرانس. وقد كانت الروح تنطق
وسيطتها اجالسه بردها اكنوا لازى
لحابتها من ضوء المنسيوم ، وقد
بدد الضوء جزءاً منه كما ترى في
الصورة .

(عن مؤلفها في بلاد الظل)
Au pays De L'ombre
ص ٢٢٤) .



روح أخرى متجسدة تجسداً شبه تام
في حضور نفس الوسيطة .
(عن المرجع السابق . وراجع عن
الوسيطة ما سبق في ص ١١١) .



من حالات التجسد التام في الدانمرك



الملكة الراحلة أستريد
Astrid تجسدت علناً في حضور
الوسيط الدانمركي أيزنيلزن
Einer Nielsen أمام عدد
كبير من الشهود. وقام بالتصوير
الفن السويدي مارتن ليلجبلاد
Martin Liljeblad
بعد أن وضع ٣ كاميرات في
مواقع متفرقة من القاعة
واستخدم الضوء الأبيض
(من كتاب أدلة صلبة
على الحياة بعد الموت
Solid Proofs Of
Survival . راجع تقرير
الفن السويدي في الفصل
الخامس عشر) .



وجه الروح المتجسدة عن قرب



وجه الملكة أثناء حياتها الأرضية للمقارنة

وتجسد الملكة الراحلة أستريد — التي كانت ولية العهد السويد قبل أن تصبح قريبة للملك
ليوبولد وملكة بلجيكا ، والتي راحت ضحية حادثة اصطدام سيارتها — أحياناً في لندن
أيضاً بنفس الأسلوب والطريقة في حضور الوسيطة «مسز» (راجع جريدة الأنباء الروحية
«السايكك نيوز» عدد ١٦٩٢ الصادر في ٧ نوفمبر سنة ١٩٦٤) .



المرحوم الأسقف ناثان سودر بلوم
Nathan Soderblom متجسداً
في جلسات نفس الوسيط (لاحظ قوة
الملاع ومدى وضوحها) .



روح متجسدة أخرى تهي نفس مارتن
لبلجلاد وتضم يدها على كتفه في
جلسات لوسيط الدانمركي أيتز نيلزن
(راجع ما سبق عن نفس الوسيط
ص (١٢١) .

حالة تجسد جزئي واضحة في إيطاليا

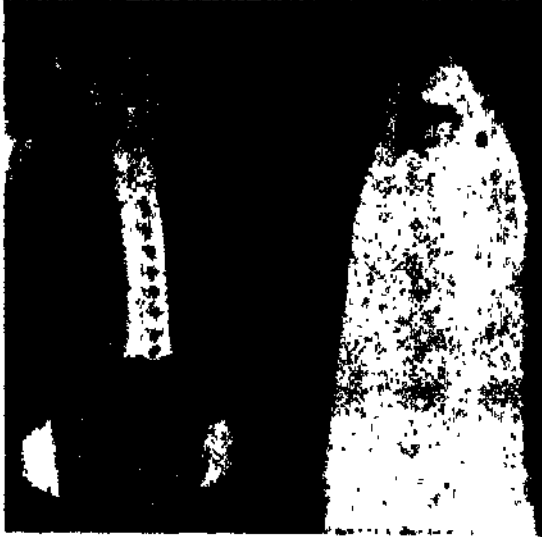


روح متجسدة جزئياً في حضور الوسيطة
الإيطالية ليندا جازيرا Linda Gazzera
التي ترى في غيبوبتها العميقة . وقد حقق
وساطتها عدة علماء منهم شارل ريشيه في
مؤلفه « ثلاثون عاماً من البحث الروحي »
والدكتور إيمودا E. Imoda من علماء
تورينو .

←

(راجع أيضاً ما سبق عن تجسيدات الأيدي والأقدام في ص ١٢٣ - ١٤٠) .

حالة تجسد تام في أمريكا



صورة مأخوذة عن صحيفة لمراقب
الروحي « سسايك أويزر »
Psychic Observer الأمريكية
(عدد ٢٥ مارس سنة ١٩٥٠)
للفتاة المتجسدة موريل هوفتر (في
حضور الوسيطة فانثيو هاروود)
واقفة بمحاور والدها الدكتور
ميلر ، وقد استخدمت في التقاطها
الأشعة دون الحمراء .

لحظة فقدان التجسد



صورة مأخوذة عن نفس الصحيفة
(عدد ١٠ مايو ١٩٥٠) تمثل
الفتاة المتجسدة في لحظة فقدان
تجسدها تدريجياً . وقد عززت الروح
المتجسدة البيان لمدة سبع دقائق وقام
بالتصوير المصور بايتون Payton
أمام ثلاثين شغماً من بينهم محرر
الجريدة ، وقد حضت الصورة بعد
نصف ساعة فقط، واختيرت لجنة من
الحاضرين لمراقبة المصور وهو يقوم
بالتصوير والتحميض والطبع ،
ونشرت الصحيفة أسماء الحاضرين
وعناوينهم . وقد وصفت الصحف
السيارة هذه الصورة الفريدة بأنها
« صورة القرن » .



صورة التقطت بالأشعة دون الحذاء لروح متجسدة (إلى اليمين) تدعى سيلفر بل
Silver Belle وهي المرشدة لوسيلة التجسد لميغيل بوست باريش Ethel Post
Parrish التي ترى إلى اليسار في غيبوبتها وبجوارها تقف مساعدة لها . وقد حدث هذا
التجسد في الخيم الروحي الذي يحمل اسم الروح المرشدة بمدينة إيفرانا بمقاطعة بنسلفانيا بالولايات
المتحدة . وقد حدث مرة أن ظهرت حوالي مائة وخمسين روحاً على التعاقب في هذا الخيم في جلسة
دامت لمدة ثلاث ساعات (عن جريدة الساينك نيوز Psychic News عدد رقم ١٦٨٢
المصدر في ٢٩ أغسطس سنة ١٩٦٤) .

حالة تجسد حديثة

في البرازيل



روح ظهرت في سان باولو
بالبرازيل كيما تهيء عروسين
في حفل زفافهما واسم الروح
Petrius Leferinus
(عن صحيفة Yours
Fraternally التي يصدرها
ربع سنوية اتحاد الروحانيين
الدولي Interntional
Spiritualist Feder-
ation عدد رقم ٥٠ وهو
الثاني من سنة ١٩٦٢) .

شعر روح متجسدة عرض في المعهد الدولي للبحث الروحي، بلندن



خصلة من شعر الروح المتجسدة هوايت موز White Moose بجاسة ٥ أبريل ١٩٣٧، عرضت في « المعهد الدولي للبحث الروحي » بلندن ابتداء من ٦ أبريل ١٩٣٧. وقد خصها عدد من الخبراء فقال الدكتور و. ج. وولي W. J. Wooley بمسئق سان توماس إنها خصلة من شعر إنسان حي بدون تردد. ثم خصها في ٢٦ يونيو ١٩٣٧ خبراء في معمل دلاكسون ويها كرز Clarksons Wigmakers فقررُوا أنه ليس شعر كائن حي، وإن كان يشبه شعر اليابانيين. ثم أصبح الشعر جافاً كالبلاستيك، وقد قرر الخبراء في معمل واتسون Watson's أن السبب في جفافه هو أنه قطع من رأس إنسان ميت. ولم يكن الذين خصوه بملءون أنه شعر لروح متجسدة.

(عن مؤلف التجسيدات Materialisations لماي بودنميتون طبعة ١٩٣٩).

وأيضاً عينة من رداء روح متجسدة



صورة عينة من رداء كانت ترتديه روح متجسدة. وقد لوحظ أن لسيجه شبكي من نوع غير معروف، وخال من « البرسل » الذي يوجد في شتى أصناف المنسوجات.

(عن المرجع السابق).



حرير قطن « شيفون » شفاف شاش
عينات من منسوجات شبكية بين اختلافها التام عن رداء الروح

الفصل الثاني

شارل ريشيه ينحاز نهائياً إلى النظرية الروحية

ولد شارل ريشيه Charles Richet في سنة ١٨٥٠ وانتقل إلى عالم الروح في سنة ١٩٣٥ عن خمسة وثمانين عاماً . وكان عالماً وأستاذاً للفسولوجيا بكلية الطب بجامعة باريس منذ سنة ١٨٨٧ وعضواً في أكاديمية الطب منذ سنة ١٨٩٨^(١) . وحصل على جائزة نوبل في الفسيولوجيا في سنة ١٩١٣ ، كما اختير عضواً في أكاديمية العلوم في سنة ١٩١٤ . واختير في سنة ١٩٠٥ رئيساً للجمعية البحث الروحي ، S. P. R. بلندن^(٢) . وقام ببحث الظواهر الوساطية تفصيلاً في مؤلفاته التي أهمها : مطول ماوراء الروح، *Traité de la Métapsychique* الذي أودعه كتقرير في أكاديمية العلوم في ١٣ فبراير من سنة ١٩٢٢ ، وفيه قام ببحث هذه الظواهر وراء العادية - *para-normaux* وقسمها إلى نوعين رئيسيين بالنظر إلى نوعي الوسطاء الذين قد تحدث في وجودهم وهما : —

النوع الأول : الظواهر الموضوعية *Les phénomènes objectifs*
أو الخارجية ذات الطبيعة الآلية أو الفيزيائية أو الكيميائية ، وهي تلك التي
توصف الآن — *Psycho Kinésie*

والنوع الثاني : الظواهر الشخصية *Les phénomènes subjectifs*
وهي أكثر شيوعاً من سابقتها . وهي عبارة عن ملكات يتمتع على

(١) بحث بوجه خاص في القابلية للاندوى ، وتكون البولينا بواسطة الكبد والاستهلاك الأوكسيجيني ، كما بحث في أمراض الربو والارتكاسكاريا والالتهاب الرئوي والاستعداد العرسي . إلى جانب بحوثه الروحية .

(٢) راجع ما سبق عندها ص ١٩٦ وما بعدها .

حواسنا كشفها ، ويعبر عنها الآن بالإدراك عن غير طريق الحس
perception extra-sensorielle

وقام بإجراء آلاف التجارب التي اقتضى بعضها استدعاء الوسيطة
الأسبانية أسايا بلادينو Eusapia Palladino من بلادها في سنة ١٨٩٤



ريشيه

ويجمل في حضورها تحرك الأجسام الصلبة
بدون وسيلة مادية ظاهرة ، وعزف آلات ،
والقيام بأعمال نحت عن بعد ، وهي نفس
الظواهر التي شاهدها في حضورها كل من
العلماء دوكوروف D'Ochorowicz ومايرز
Myers ولودج Lodge وهنري سدجويك

H. Sidgwick وشرنك فون نوتزنج S. V. Notzing وكامي فلاماريون
Camille Flammarion وغيرهم^(١) .

كما سجل بالتصوير انبعاث مادة بروتوبلازمية من الوسيطة كانت تصل
بينها وبين الأجسام المتحركة . وسلم مع شرنك فون نوتزنج ودوكوروف
أن علة هذه التحركات هي نوع من الأكتوبلازم .

وسجل ريشيه صوت الطرقات العاقلة وغير العاقلة ، وارتفاع الوسيطة
كمشكلة عليية حقيقية بغير إيجاد حل لها . كما عالج في هذا المؤلف موضوع
انبعاث الأكتوبلازم كمشكلة تبدو غير معقولة إطلاقاً ولكنها حقيقية^(٢) .
« très absurde mais vrai »

وعالج في هذا المؤلف أيضاً مشكلة المنازل المسكونة التي تعددت وثائقها
في مؤلفاته ومؤلفات لومبروزو Lombroso وبوزانو Bozzano وفلاماريون

(١) راجع مؤلفه قوى الطبيعة غير المعروفة ، Les Forces Naturelles Inconnues

وراجع ما سبق من الوسيطة في ص ١٠٧ — ١١٠ .

(٢) فصل ٣ ص ٧١٤ — ٧١٥ . Traité de la Métapsychique .

ومجلدات جمعية البحث الروحي S. P. R. وغيرها ، ووزعها بين ظواهر شخصية وموضوعية . وبعد استبعاد حالات معينة لعدم صحتها أو للشك فيها يسلم ريشيه في هذا المؤلف بصحة وقائع معينة حققها بنفسه من المنازل المسكونة وبثبوتها علمياً ، لكنه لم يرق فيها حالات تثير مشكلات مستقلة تخالف غيرها من الظواهر التي كان يعتبرها « ما وراء روحية » ، ويعزوها إلى وسطاء لا يعرفون أنفسهم بين سكان هذه المنازل ، واعتبرها من ضمن الظواهر الموضوعية المتصلة بتحريك - الأجسام الصلبة (١) .

وفي مقام المفاضلة بين الظواهر الروحية الشخصية والموضوعية قرر ريشيه في جريدة « أعراف كل شيء » (٢) (عدد مايو سنة ١٩٢٣) أنه لا يخفى تفضيله للظواهر الشخصية ، لأنه تبين عن طريق التجربة ، والتجربة وحدها ، أن الحقائق تصل أحياناً للفهم عن طرق غير طرق الإحساس العادية . ويشير إلى أربعين تجربة لا شائبة فيها ، تمت بدقة لا نظير لها مع الوسيط أوسوفيتسكي Ossovietski للرؤية خلال الأجسام الصماء (٣) .

كما أصدر ريشيه مؤلفه عن « حاستنا السادسة » Notre Sixième Sens وقد سلم فيه بأنه توجد في الإنسان حاسة سادسة مركبة من أكثر من حاسة ، يمكن أن تعتبر بدورها حاسة سابعة أو ثامنة . وبالتالي سلم أن بداخله جهازاً روحياً يمكنه أن يسجل أحياناً أحداث العالم الخارجى ووقائعها ، أو أفكار الآخرين دون أى تنبيه عقلى عن طريق الحواس العادية .

كما قرر أن هذا الجهاز يمكن أن يتأثر عن طريق ما يسميه باهتزازات العالم الحقيقي (٤) ، الذى تصدر منه من حولنا اهتزازات أى

La télékinésie dans la métapsychique. (١)

وراجع ما سبق عن علم ما وراء الروح من ٢٧٦ - ٢٧٩ .

Je Sais Tout. (٢)

(٣) راجع مؤلف الأستاذ فرديريك سايسيه Frédéric Saisset وعنوانه « ما هو علم

ما وراء الروح طبقاً لكل من ريشيه وبرجسون وأوسنى باريس ١٩٥٠ » .

Qu'est-ce que La Métapsychique d'après Richet, Bergson et Osty?

Les vibrations du monde réel. (٤)

أمواج تلتقط بعضها حواسنا العادية وبعضها الآخر حواسنا الروحية ، كما لا تلتقط بعضها الآخر ؛ إنما تحدث تأثيرها في بعض العقول الإنسانية وتكشف لها أجزاء من الحقيقة .

ولأن العقل يكون جزءاً لا يتجزء من الحقيقة فإن هذا الافتراض يطوى ظاهرة التلباثي *Télépathie* أى التخاطر أو انتقال الأفكار ، ويتجاوزها . إنما لم يلتقط بعض الأشخاص هذه الأمواج دون غيرها على غير وعى منهم ؟ ... إنه لغز . لكن هذه الأمواج الصادرة من العالم الحقيقى الذى يهتز برمته ، ومع ذلك لا يختلط بعضها ببعض الآخر ، تمثل في نظر ريشيه مشكلة ليست أكثر غرابة من مشكلة المذيع عندما يلتقط رسائل واردة من باريس أو لندن أو طوكيو أو غيرها غير محدودة العدد ، وتبدو كل واحدة منها بالنظر إلى طول موجتها كما لو كانت صادرة وحدها .

وهذه الحاسة السادسة تصور ريشيه في مستهل أعماله أنها موجودة لدى كل إنسان بصورة خامدة وقابلة للتنمية والتهديب ، لكنه لم يصر على ذلك في ختام أعماله ، بل انتهى إلى أن هذه الحاسة إذا وجدت لدى شخص معين قد لا توجد لدى آخر ، وإذا حدثت لإنسان لمدة لحظة قصيرة من حياته فقد لا تحدث له مرة أخرى .

كما يتعرض ريشيه في مؤلفه هذا للتنبؤ بالمستقبل *Les prémonitions* ويسلم بصدق بعض حالاته . كما يسلم بوجود ظاهرة الـ *La cryptesthésie* أى «السيكومتري» أو قياس الأثر الروحي في الزمان والمكان بطريق سلعة من السلع المملوكة لشخص معين على قيد الحياة الأرضية أو الروحية ، وهى ظاهرة وساطية تكررت في بينات علمية متعددة ويعبر عنها أحياناً بالقياس الروحي^(١) . ولا يعللها إلا بهذا التعليل الغامض بوجود اهتزازات تلبعث

(١) وهذا التعبير يعرفه أيضاً علماء النفس بمعنى آخر يقاير معناه عند الروحانيين فهو عندما يشير إلى قياس مدة الحالات أو العمليات العقلية ومدى قوتها .

من العالم الحقيقي . ويسلم بالظواهر الفيزيكية الوسائطية وبوجود تأثير مباشر للعقل في المادة الصلبة . . وينسب هذه الظواهر إلى قوى عاملة إنسانية الأصل أو المصدر (١) .

بل لقد قرر ريشيه صراحة أن « ثبت براهين كثيرة على أن التجسد سوف يحتل مكانه على أنه حقيقة علمية . إننا لا نفهمه تماماً ، إنه شيء غامض ، لكن هذا الغموض لا يهم لأن التجسد شيء حقيقي ، .

ويمكن القول إنه حتى هذا التاريخ لم يكن شارل ريشيه قد انحاز انحيازاً حاسماً وصريحاً لتعامل الظواهر الوسائطية التي سلم بصحتها ببقاء الحياة بعد الموت . وذلك وحده يدل على مدى تحفظه واحتياطه ، فكان يستعمل تعبيرات لا تقيد به بقيد صريح ، ويسجل الظواهر مستعملاً نفس العبارات التي ألفها الروحانيون مثل الاهتزازات المنبعثة من العالم المادى وغير المادى ، أو العالم الحقيقي وغير الحقيقي ، ومثل التأثير المباشر للعقل في المادة . . . دون أن ينسبها صراحة إلى كائنات أو إلى أرواح من عالم آخر . . .

وذلك إلى الحد الذى كان يدفع الباحثين حتى ذلك التاريخ أن يتساءلوا عن حقيقة موقفه من العلم الروحى ، رغم اختياره رئيساً « لجمعية البحث الروحى ، بلندن كما قلنا منذ سنة ١٩٠٥ ، ثم مديراً فخرياً « المعهد الدولى لما وراء الروح ، بباريس منذ سنة ١٩١٩ ، وهو يبحث ضمن ما يبحثه الظواهر الروحية وينسب بعضها صراحة إلى أرواح موفى معينين بأسمائهم وشخصياتهم وذكرياتهم وحوادثهم الأرضية (٢) .

لكن يننى كل شك في هذا الشأن أن ريشيه أخذ بعد ذلك ينظم الجلسات الروحية التي توطدت فيها حقيقة وجود أرواح من العالم الآخر ، وذلك في حضور علماء آخرين مثل سير أوليفر لودج وفردريك مايرز وغيرهما ،

(١) Puissances énergétiques d'origine humaine.

(٢) وراجع ما سبق من عنه في ص ٢٧٦ وما بعدها .

ويبدو اقتناعه صريحاً من توقيعه مع آخرين على عدة مضابط ، لجمعية
البحث الروحي ، S. P. R. .

وحسم ريشيه كل شك في موقفه بمقال حرره ، بالتقويم السنوي للعلوم
الروحية ، Les Annales Des Sciences Psychiques قال فيه ، إنى لا أرى
مقديماً أى سبب يدعونى إلى أن أرفض من جهتى قبول الاعتراف بوجود
كائنات عاقلة أخرى غير الإنسان تتدخل فيما بيننا ، ^(١) .

وفي تقاريره التى نشرها فى ، التقويم السنوي للعلوم الروحية ، وصف
ريشيه تفصيلاً ظهور شبح متجسد فى جملة جلسات عقدها فى فيلا كارمن
بمدينة الجزائر — حيث كان يقيم الجنرال نويل وأسرتة — الوسيلة
إيفاً كاريير Eva Carrière (أو مارتا ييرو Marthe Béraud) وكانت
وتتذاك خطيبة المضابط مورييس فجّل الجنرال نويل ، وكانت فى التاسعة عشرة
من عمرها وفى أوج قوتها الوساطية . وكان الشبح المتجسد لرجل برهمنى من
الهندوس قال إن ، اسمه يان بوا ، Bien Bôa .

ويقول ريشيه فى وصفه إنه كان حائزاً لكل خصائص الحياة ، فقد
كان يمشى ويتكلم ويتحرك ويتنفس ككل إنسان ، وكان صلب العود وقوى
العضلات إلى حد ما . فلم يكن وجهاً أصم ولا دمية ولا صورة تعكسها
مرآة ، وليس هناك مبرر للاعتقاد بأنه كان مجرد شبح له بعض خصائص
الحياة ، ولا مجرد إنسان يلعب دور شبح . كما ينبى أن تكون الحالة حالة
وتشخيصات ، للعقل الباطن ، فقد كان يمشى وعيناه تتلفتان وشفته تتحركان
عندما كان يحاول الكلام ، وكان تنفسه مسموعاً .

وفي وصف اختفاء هذا الشبح المتجسد يقول ريشيه إن ، يان بوا ،
كان يحاول أن يحضر بيننا إلا أنه كان أحذب أو ذا خطوة مترددة ، ولا يمكن
أن أجزم ما إذا كان يسير على قدمين أم ينزلق . وكان أحياناً يميل كما لو كان

(١) راجع للنزيد مقالا للأستاذ هنرى بلوندل H. Blondel فى عددى مارس وأبريل
سنة ١٩٣٦ من المجلة الروحية ، La Revue Spirite .

على وشك السقوط، أو يسير على ساق واحدة تبدو كما لو كانت عاجزة عن حمله . ثم كان يتجه إلى فتحة الخباء ويدلف إليه بغير أن يوسع فتحته ثم يسقط فجأة ويختفي محدثاً صوت سقوط جسم على الأرض، وكانت الوسيطة في ذلك الوقت تحت إشراف جابريل ديلان (رئيس تحرير الجريدة الروحية والباحث الروحي)^(١) .

ثم يقول ريشيه إنه بعد ذلك بحوالى دقيقتين إلى أربع دقائق في المعتاد كان يشاهد في فتحة الخباء من جديد نفس الكرة البيضاء (الرأس) ترتفع بسرعة وفي استقامة تامة إلى مستوى ارتفاع إنسان ، ثم يختفي الشبح فجأة في الأرض محدثاً نفس الصوت الذي يحدثه سقوط جسم صلب على الأرض .

وكان ظهور الشبح المتجسد واختفاؤه بهذه الطريقة مما دفع ريشيه إلى فحص الجدران والأرضية بعناية كافية رغم أنها كانت مصنوعة من الحجر لئلا يعثر على منفذ سرى فلم يجد شيئاً من ذلك ، ولكني يدرأ كل شك استعان بمهندس معمارى حرر شهادة بنتيجة فحصه السلبي .

وطلب ريشيه من الروح المتجسدة أن تنفس وتحقق من وجود ثاني أكسيد الكربون في تنفسها ، إذ قدم إليها زجاجة بها محلول الباريوم eau de baryte ، وعندما تنفست فيها ظهر وجود ثاني أكسيد الكربون l'anhydride Carbonique Co₂ . كل ذلك والوسيطة في غيبوبة تامة على كرميها تحدث شخيراً عالياً تحت رقابة ديلان ، أما ريشيه فلم يسقط نظره عن زجاجة السائل التي وضعها بين يدي « بيان بوا » والتي كانت تبدو كما لو كانت معلقة في الهواء حين كان الشبح ينفخ في الأنبوبة المتصلة بها فيتحرك السائل بصوت مسموع^(٢) .

(١) راجع ما سبق عنه في ص ٢٧٦ .

(٢) Annales De Sciences Psychiques. المجلد الثاني ص ٢٧٣ وما بعدها.

وراجع « تاريخ الروحية » لسيد آرثر كونان دويل الجزء الثاني ص ٩٦ — ١٠٠ . ووثلف شاول ريهيه فيما وراء الروح ص ٦٥٩ وما بعدها ووثلف جابريل ديلان عن « أشباح متجسدة لأحياء وأموات » ج ٢ ص ٥٤٦ ، ٥٤٧ .

وقد التقط شارل ريشيه وجابريل ديبلان عدة صور واضحة تماماً للروح المتجسدة في حضور الجنرال نوبل وقرينته .



صورة التقطها ريشيه لروح المتجسدة « بيان بوا » وبرى إلى اليساره الجنرال نوبل Noel ثم قرينته ثم جابريل ديبلان G. Delanne ممسكا بكاميرا حيث التقط صوراً أخرى لها (هن. ولفه أشباح متجسدة لأحياء ولأرواح ج ٢ ص ٥٤٣) .

←



صورة أخرى من الأمام للروح المتجسدة (من المرجع السابق ص ٥٤١) .

→

* * *

وكتب ريشيه في مجلة الطبيعة (Nature) تحت عنوان « العلم الروحي » ، يقول « إن الروح يمكن الوصول إليها بقوى تكشف لنا عن حقائق لا يمكن أن يظهرها النظر أو السمع أو اللمس » . كما كتب بعد حوالي ثلاثين

عاماً من البحث في أمور ما وراء الروح يقول ، إنى - مغلوباً على إرادتى - على أن أقرر فى النهاية أن التفسير الروحى هو النظرية الوحيدة التى بمقدورها أن تفسر جميع نتائج هذه البحوث ، . . .

وفى كتاب ، ثلاثون سنة من البحث الروحى^(١) ، الذى ظهر فى سنة ١٩٢٣ قال ريشيه معتزلاً عن بعض آرائه السابقة ، إن عبادة الآراء السارية كانت أمراً سائداً ، فى ذلك الزمن فلم تبذل جهود لتحقيق آراء كروكس أو رفضها ، واكتفى الناس بالصخرية منها . وإنى لأعترف فى خجل بأنى كنت مع العميان عامداً متعمداً . فبدلاً من الإشادة بشجاعة رجل على ممتاز اجترأ إذ ذاك (فى سنة ١٨٧٢) أن يجهر بأنه توجد حقيقة أشباح وأرواح يمكن تصويرها بالكاميرا ويمكن سماع قلوبها وهى تنبض - بدلاً من هذا سخرت منه ، .

ومضى ريشيه يقول عن ظاهرة تجسد الأرواح : لدينا بينات طيبة على أنه ينبغى أن يكون لهذه التجسيدات الاكتوبلازمية مكانها ومقامها بوصفها حقيقة علمية . ولا ريب أننا قد لا ندرك كنهها ، لكن من السخف العريق أن نعتبر الحق سخفاً . ولا أنكر أن الروحانيين لامونى على التعبير بكلمة « سخف » هذه ولهم عندهم ، فهم لم يستطيعوا أن يدركوا أن جهرى بصحة هذه الظواهر كان فى الحقيقة إيلاماً لى .

وفى الواقع أنك حين تسأل فسيولوجياً أو فيزيقياً أو كيمياوياً أن يجهر بأن القالب الجسمانى الذى يكون له دورة دم وحرارة وعضلات ، والذى ينفتخ غاز ثانى أكسيد الكربون والذى له وزن - والذى يتكلم ويفكر - أقول إنك حين تسأله كيميا يجهر لك بأن هذا القالب يمكن أن يخرج من جسم آدمى آخر إنما تسأله مجهوداً عقلياً مؤلماً . نعم إنه خارق للعقل واسكنه أمر واقع ، .

وفي هذا الكتاب يروي ريشيه أيضاً كيفية تجسد وجه آخر لسيدة جميلة في مقتبل العمر قالت إنها ملكة فرعونية ، وكان الوجه يبدو سعيداً جداً فكانت تبسم من كل قلبها فتكشف ابتسامتها عن صفين من اللآلئ . وظهر الوجه ذات مرة دفعتين أو ثلاثاً ثم اختفى وراء الحجاب كما لو كان يلعب الاستغاية ، مع الحاضرين .

وطلبت إليه الملكة المصرية المتجسدة أن يحضر معه مقصاً في اليوم التالي حتى يقص خصلة من شعرها متى سمح له بذلك ، ولما عادت في اليوم التالي سأته باهتمام عما إذا كان قد أعد المقص ، ولما شرع في قص الخصلة الموعودة أحس بيد خفية تمسك بيده وتقوده في عملية القص فقص ما طوله حوالى ست بوصات ، وطلبت منه الملكة الإسراع ثم اختفت . ويقول ريشيه إنه احتفظ بالخصلة من الشعر الرقيق الناعم كالحرير ، وأنها احتفظت بكل حيويتها ، ولما فحصها بالميكروسكوب تبين أنه شعر آدمى حقيقى^(١) .

كما قال عن الأشباح غير المتجسدة التى قد تظهر أحياناً من تلقاء نفسها في المنازل ، يبدو لى أنه في بضع حالات يحدث أن تسكن الأشباح منزلاً ، وإنى لا تردد كثيراً في كتابه هذا ، ويكاد قلبي يقف عن الكتابة ، لكن الأمر هنا كذلك واقعى . . . إلى أن قال لن يكون الموت موتاً بل ولوجاً في حياة أخرى .

وفي سنة ١٩٢٧ نشرت جريدة Comoedia الفرنسية آراء كبار العلماء في شأن الحياة بعد موت الجسد ، فقال ريشيه مخاطباً محرر المجلة « ساجييك في صراحة تامة . إننى أحياناً كنت أصدق وأحياناً أخرى كثيرة كنت لا أصدق ، إذ كيف يستطيع فسيولوجى أن يدرك أن هناك بعد الموت

(١) المرجع السابق ص ٥٠٨ .

وراجع ما سبق في ص ٣١٧ وما بعدها من تجارب مير وليام كروكس ، ص ٢٣٠ - ٣٣٩ من التجسيدات بوجه عام .

وعياً يبقى دون مخ ؟ ولكن من جهة أخرى كيف يستطيع إنكار الحقائق
الروحية التي تقدم من الوجهة النظرية تفسيراً أبسط من أى تفسير
آخر ١٩ ...

ألم أقل إن هؤلاء العلماء بدأوا بحوثهم منكرين تماماً للحياة بعد الموت
وظلوا منكرين طويلاً يصرار وعناد ؟ ... وهذا الإنكار هو الذى
دفعهم إلى مواصلة التجريب لمدة سنين عديدة قبل إعلان رأيهم ، لأن
الإنسان المقتنع أو سريع الاقتناع لا يجد فى نفسه الحاجة - ولا القدرة -
على التجريب المتواصل لعشرات من السنين ، بل لا يجد الحاجة إلى التجريب
الجاد لمدة بضعة شهور ... وهذه ضمانات من أكبر الضمانات التى تضاف قيمة
خاصة على نتائج بحوث عالم منكر شديد المراس مثل ريشيه ومن هم من
طرازه .

* * *

وكتب ريشيه أيضاً مقدمة لكتاب للأستاذ جوزيف ما كسفل
J. Maxwell نائب الجمهورية بمحكمة استئناف بورديو Bordeaux عن
« الظواهر الروحية » (١) قائلا : « يجب على الإنسان مع احترامه العظيم للعلم
العصرى أن يعتقد بقوة أن هذا العلم العصرى مهما بلغ من الصحة فهو لا يزال
ناقصاً نقصاً هائلاً ... إن حواسنا من القصور والنقص على حال يكاد معها
يفلت من شعورها الوجود كل الإفلات . فالقوة المغناطيسية العظيمة لم تعرف
إلا عرضاً . وإذا لم يوضع الحديد بجانب حجر المغناطيس اتفاقاً لكننا جعلنا
دائماً أن المغناطيس يجذب الحديد . وما كان أحد منذ عشرين سنين يعلم بوجود
أشعة رنتجن . وقبل اكتشاف الكاميرا كان لا يدري إنسان تأثير الضوء فى

Les Phenomènes Psychiques : Recherches, Observations. (١)
Méthodes (Alcan).

وله عدة مؤلفات أخرى منها La Divination (١٩٢٧) و La Mage
(١٩٢٨) و Les Tarots (١٩٣٣) .

أملاح الفضة . ولم تكتشف الأمواج الهرتزية إلا منذ ثلاثين سنة . ومنذ مائتي عام كان لا يعرف عن هذه القوة الكهربية العظيمة إلا خاصية جذب الكهرمان إذا ما ذلك بالصوف .

« إذا سألنا رجلاً بدائياً ، بل لو سألنا فلاحاً مصرياً أو قروياً روسياً عما يعلمه عن قوى الطبيعة لوجدنا أنه لا يدري منها عشر ما تسرده الكتب الابتدائية لهذا العلم في سنة ١٩٠٣ . ويظهر لي أن علماء هذا العصر سيكونون حيال علماء القرون المقبلة في مثل موقف قروى اليوم إزاء أساتذة الكوليج دى فرانس ، ... »

إلى أن يقول « لماذا لا نصرخ بصوت جهورى بأن كل هذا العلم الذى نفخر به إلى هذا الحد ليس فى حقيقته إلا إدراك لظواهر الأشياء ؟ أما حقاقتها فتغلت منا ولا تقع تحت مداركنا . والطبيعة الصحيحة للنواميس التى تقود المادة الحية أو الخادرة تتعالى عن أن تلم بها عقولنا ... »

« إننا نعيش فى وسط ظواهر تتوالى من حولنا ولم نفهم سر واحدة منها فهماً يليق بدرجةها . حتى أن أكثرها سذاجة لا يزال سرّاً من الأسرار المحجوبة كل الاحتجاب . فما معنى اتحاد الأيدروجين بالأكسجين ؟ ومن الذى استطاع أن يفهم ولو مرة واحدة معنى هذا الاتحاد وهو يفضى إلى إبطال خواص الجسمين المتحدين وإيجاد جسم ثالث مخالف للأولين كل المخالفة ؟ « إن العلماء لم يتفقوا حتى الآن على طبيعة الذرة المادية التى توصف بأنها غير قابلة للوزن ، وهى مع ذلك تصبح قابلة له متى اجتمع عدد كبير منها . »

« فالأولى بالعالم الصحيح أن يكون متواضعاً وجريئاً فى آن واحد . متواضعاً لأن علومنا ضئيلة ، وجريئاً لأن مجال العوالم المجهولة مفتوح أمامه ، ثم اختتم مقدمته قائلاً « فالويل للعلماء الذين يظنون أن كتاب الطبيعة قد أخلق وأنه لا يرجد شئ جديد يحسن فهمه للإنسان الضعيف ... » وكل ذلك فى مقدمة لكتاب عن « الظواهر الروحية » .

يضاف إلى ذلك أن شارل ريشيه صرح في مؤتمر على انعقد تحت رئاسته بأنه « يمكن دون كبير عناء تصور وجود الذكاء دون أن يكون المخ جهازاً له ، ولو أن ذلك يبدو لأول وهلة غير معقول » . وهذا هو المذهب الروحي في تعليل الذكاء الذي يناقض المذهب المادى وهو يرى أن الذكاء ليس منفصلاً عن الجسد ، وأن التفكير عبارة عن مجرد إفراز يفرزه المخ كما يفرز الكبد الصفراء ، وذلك على حد تعبير العالم الألماني كارل فوجت (Carl Vogt) (١٨١٧ - ١٨٩٨) .

وهذا التأكيد الأخير كذبتة مشاهدات متعددة . كما نفاه قبل شارل ريشيه العالم الفرنسى كلود برنارد Claude Bernard بحجة منطقية بسيطة وبغير ما بحث في العلم الروحي التجريبي عندما قال : « إننا بقولنا إن المخ يفرز التفكير نكون كن يقول إن الساعة تفرز الزمن أو فكرة الوقت . إن المخ والساعة جهازان أحدهما حي والآخر ميت . وهذا هو كل الفارق بينهما » . وهذا التقرير الهام يتمشى مع النظرية الروحية وحدها .

وقد أظهرت المشاهدة أن عدداً من الأشخاص أمكنه أن يحتفظ بذكائه مع أن الماده المخية لديه كانت قد أزيلت أو تشوهت . فقد ذكر مثلاً الدكتور هوزلاند Huseeland في جريدة الطب العملى (١) الحالة الآتية بمناسبة كلامه عن المخ البشرى « إن شخصاً كان مريضاً منذ زمن طويل بالشلل - ولكن لم تبد عليه حتى ساعته الأخيرة أية أعراض لاضطراب عقلى ما - وجدت جمجمته عند التشريح أشبه بصندوق غال إلا من الماء فحسب » . وأشار بعض مجلات الطب إلى حالات أخرى من هذا النوع .

ونجد على وجه الخصوص في « التقويم السنوى للعلوم الروحية » حالة تحقق

(١) عدد أكتوبر سنة ١٩٣٨ .

من صحتها الدكتور روبنسون Robinson وقدمها إدmond برييه Edmond Perrier إلى أكاديمية العلوم في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٣ وهي حالة إنسان عاش عاماً كاملاً وكان عادى المظهر، ومع ذلك كان محبة عبارة عن صديد مغلي لا غير .

كما نجد أيضاً أن جراحنا المعروف الدكتور محمد كامل حسين مدير جامعة عين شمس السابق يكتب في هذا المعنى قائلاً : « قد أجريت عمليات قطعت فيها الصلة التشريحية تماماً بين الجزء الجبهي من المخ كله وبين بقية المخ ، ولم يتغير تفكير الناس ولم يفقدوا ذاكرتهم أو عواطفهم ، كأن الصلة بين المخ الجبهي والجسم صلة لا علاقة لها بالاتصال المادى التشريحي ، ولعله اتصال كهربائي أو كيميائي أو الكتروني ، والأرجح أنه اتصال بطريقة لم تعلم بعد . » (١) . وهذه الطريقة التي لم تعلم بعد يقول علم الروح إنها عبارة عن اتصال روحي أو بالأدق أثري بين كهربائية العقل — مصدر كل ذاكرة وكل عاطفة — وبين الجسد المادى الخاضع للعقل عن طريق المخ .

ثم يستطرد الجراح الكبير في مكان لاحق قائلاً : « ولا شك أن للنفس حياة خاصة ، وأن دراستها تحتاج إلى طريقة بحث جديدة ، ولكن التحليل النفسى ليس الطريقة الجديدة المرجوة ، إنما هو تطبيق التفكير العصري الحالى على ظواهر لا يصلح لتفسيرها » (٢) . وكان ذلك بصدد ما يريده من إثبات أن علم النفس بمفهومه التقليدى علم ضال مفرط في ضلاله ، وأنه لا يقل ضلالاً عن الكيمياء عندما كانت خلواً من كل فكرة صحيحة عن طبيعة الأشياء .

* * *

وهذا الذى لاحظته بعض الأطباء وعلماء الفسيولوجيا وصل إليه أيضاً أفضل العلماء فى السيكلوجيا . ومنهم بوجه خاص الفيلسوف هنرى برجسون

(١) فى « مؤلفه » متنوعات » طاعة ٢ من ١٠٥ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٩ ، ١١٠ .

الذى انتهى خلال دراسته لأمراض الذاكرة وأخصها أمراض التعرف ومرض الحبسة وفقدان الذاكرة إلى نفس النتيجة ، وهى «أن العقل ليس هو الروح وإنما هو الدماغ ، وأنه لا يوجد نحو للذكريات بل اضطراب فى الأجهزة المحركة . وفى عبارة أخرى يقول برجسون إن وظيفة الدماغ هى العمل على أن يكون الفكر حينما يحتاج إلى ذكريات قادراً على أن يحصل من الجسم على حركة معينة هى بمثابة الإطار الذى فيه تدخل الذاكرة من تلقاء نفسها فهمة الدماغ إذن هى تقديم هذا الإطار دون الذاكرة...

ويخلص برجسون من ذلك إلى أن الفكر مستقل عن الدماغ . ومع ذلك فهذا الاستقلال ليس إنكاراً للتضامن الوثيق بينهما ، وإنما هو إنكار لفكرة أن النفس يعادل الدماغى ويوازيه ، وبرجسون حينما يقرر هذه العلاقة إنما هو يقررها مستنداً فى ذلك إلى الرؤية والتجربة ...» (١)

وقد وصل إلى نفس هذه النتيجة التى وصل إليها برجسون نتيجة بحوث عملية شاقة فى علم النفس العادى والشاذ العالم المعروف وليام مكيدوجال W. Mc Dougall منذ أوائل القرن الحالى فى مؤلفه عن «الجسم والعقل» (٢) . ووصل إليها الدكتور بروس C. P. Broad المفكر والفيلسوف المعاصر فى مؤلفه عن «العقل ومكانه فى الطبيعة» (٣) .

وسلم بذلك أيضاً تشارلس فوكس Charles Fox مدير إحدى كليات كمبريدج فى مؤلف له عن «العقل وجسمانه» (٤) . وفى طبعة ١٩٣١ ينتهى إلى أن الاعتراض على الخلود بالصلة المحتومة بين العقل والجسد يرجع إلى تفكير خاطئ وأن العقل يحصل عن طريق الجسد على التجربة اللازمة ،

(١) راجع «المذهب فى فلسفة برجسون» لادكتور مراد حبيب القاهرة ١٩٦٠ ص ١٣١ ، ١٣٢ .

وراجع ما سبق فى ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

Body And Mind.

(٢)

The Mind And Its Place In Nature.

(٣)

The Mind And Its Body.

(٤)

وأن سمو الروح مستمد من متابعتها الأشياء ذات القيمة الدائمة ، وأن من قدر الإنسان ومصيره أن يعصل على الخبرة مؤملاً أن ما قد حصل عليه منها ، بنا أنه غير مرتبط بالجسد ، فلا يمكن أن يكون إلى قناء ثم يعد قراءه بأن يعالج موضوع خلود الروح في مؤلف لاحق .

٥ ١ ٥

وليس معنى ذلك مطلقاً أن التفكير مستقل عن المخ ، بل معناه لحسب أن المخ هو جهاز التفكير لا مصدره ، فإذا فسد الجهاز فسد — بحسب الأصل — التفكير ، ولكن ليس المخ هو مصدر التفكير . كما أن العقل لا يخضع خضوعاً محتوماً للمخ ، بل إن المخ خاضع لنوعين من العوامل : أولها تأثير العقل فيه وبالتالي في وظائف الأعضاء ، وثانيهما عوامل الصحة والمرض فيه ، وهي وثيقة صلة بقوانين البيولوجيا والفسيولوجيا التي تلعب دورها في صحة الجسد المادى وأمراضه . فمن المتصور في حالات نادرة أن يظل التفكير سليماً حتى مع فساد الجهاز الذى يستخدمه لسبب مرض عضوى فيه ، إذا عرف العقل وهو مصدر كل عاطفة رداءكرة ، كيف يتغلب على ضعف جهازه المادى وهو المخ بصورة من الصور التي لا تزال مجهولة من العلين المادى والروحى معاً .

وهذه الاتجاهات لا تستقيم — حتى مع ندرتها البالغة — مع التعليل المادى للتفكير وتستقيم مع التعليل الروحى له ، وبالأخص مع قاعدة احتمال بقاء التفكير بعد تحلل المخ بالموت . ولذا قال ج. ب. راين أستاذ علم النفس بجامعة ديوك : إن إثبات أن العقل يختلف في بعض النواحي الرئيسية عن المخ يؤيد النظرية الروحية للإنسان ، وهذا يعنى أن العقل حامل قائم بنفسه في الهيكل العام للشخصية . وعلى ذلك فإن الفرد لا يتركز تماماً في العمليات العضوية للمخ المسكون من المادة ،^(١) .

(١) عن « العقل وسلطوته » للرجع السابق ص ٢٣٨ ، وراجع ما سبق عن راين في

وذلك كله يتمشى أيضاً مع ما تقول به الروحية الحديثة من أن الإنسان في المعتاد أذكى بعد الموت بفترة كافية منه قبله ، حين كان يستخدم المخ الجسدى بكل ما فيه من عوامل الضعف المتوارث أحيانا بحكم قوانين الوراثة . فضلا عن تأثير السن وأمراض سوء التغذية والدورة الدموية إذا كان المنتقل قد تعرض لشيء منها قبل انتقاله بفترة طويلة أو قصيرة ، ما دام الإنسان يستخدم العقل بعد الموت متحرراً من قيود جهازه الأرضى العتيق وهو المخ .

وذلك بالإضافة إلى أن الإنسان هنا يستخدم جزءاً فحسب من وعيه معتقلاً داخل المخ ، أما هناك فيستخدم الوعي برمته متحرراً من قيود جهازه الأرضى ، مهما كان هذا الجهاز سليماً . وهذا الوعي المتكامل هو الذى يسميه علماء النفس العقل الباطن أو الغير الواعى ، لأنه باطن على المستوى الأرضى وظاهر أو واعٍ على المستوى الروحى ، على ما بينه مايرز وغيره من بحاث الروحية (١) .

كما يستخدم العقل هناك حواسه متحررة من قيودها الأرضية البالية التى تحد منها وتعيق الكثير من إمكانياتها الفطرية . ومن ثم يعود البصر قوياً ، حتى ولو كان المنتقل قد فقدته تماماً على المستوى المادى ، ويعود السمع على نفس الصورة . . . وهكذا . بل تظهر للإنسان حاسة جديدة هى حاسة التلبأى أو قراءة الفكر ، وهى موجودة هنا لكننا معطلة تعطيلاً شبه تام لدى الإنسان العادى بسبب « العائق المادى » وهو المخ الذى يغلف إلى حين العقل وموطنه جسده الأثيرى . . . كما تعود هناك الأعضاء التى بترت فى حرب أو فى حادثة قبل انتقاله ، لأن الأعضاء الأثيرية المقابلة لها غير قابلة للبتر ، إذ هى من طبيعة ضوئية كطبيعة الجسد الأثيرى كله ، وليست من طبيعة ترابية كالجسد المادى .

ولنا — فى فصل لاحق — عودة تفصيلية إلى الكلام فى الجسد اللامادى

(١) راجع ما سبق عن مايرز فى ص ٢٢١ .

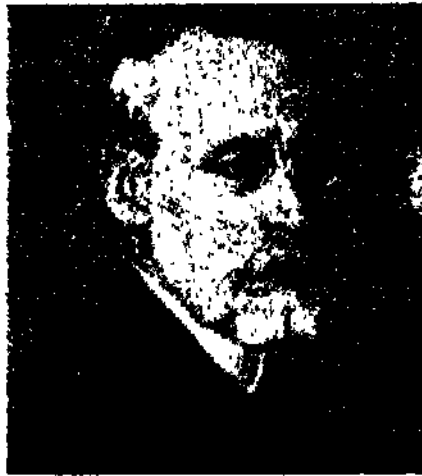
أو الأثرى هذا ، كما نين كيف ثبت بأدلة معملية متعددة وجوده فى الإنسان والحووان معاً ، وهى أدلة من أنواع شتى لكنهما تتضافر بمجموعة فى إثبات هذه الحقيقة الكونية الكبرى وهى أن لكل كائن مادى أكثر من جسد . والجسد اللامادى هو الذى يحمل عقل الإنسان وبالتالى حواسه ، أما الجسد المادى فىحمل لحسب أدوات التعبير عن العقل والإحساس على المستوى المادى ، الذى نجيا فيه مؤقتنا لهدف سام نعرفه نواامير الطبيعة وهو حصولنا على قدر لازم لنا من نمو العقل والأخلاق يؤهلنا لحياة — عقلية فى جوهرها — على المستوى الروحى أرقى من هذه الحياة المادية .

وهكذا نطرق بنا الكلام فى بحوث شارل ريشيه فى العلم الروحى إلى الكلام فى جوانب متعددة لهذا العلم عملا بقاعدة « الشىء بالشىء يذكر » . . . ولا غرابة فى ذلك ، فقد كان ريشيه طبيباً وعالماً فى الفسيولوجيا ، كما كان باحثاً فى النفس والروح فى وقت واحد .

الفصل الثالث

من تجارب إرنستو بوزانو وبحوثه

يعد العالم الإيطالي إرنستو بوزانو (Ernesto Bozzano ١٨٦٢ - ١٩٤٥) من أحسن العلماء النفسيين الذين واصلوا بحوثهم بدقة ولسنيين طويلة، قبل أن ينحازوا للنظرية الروحية. وقد بدأ بوزانو بحوثه منذ سنة ١٨٩١ واشترك معه فيها عدد من العلماء مثل تيودور ريبو Theodore Ribot ومورسيللي Morselli وبورو Porro وانضم بعدها إلى الروحية العلمية الحديثة. وكان بعد انضمامها مقتنعاً بها إلى الحد الذي دفعه إلى أن يكتب فيها في عمق وتدقق إلى أن انتقل إلى عالم الروح حتى لقد بلغ ما كتبه فيها أربعة وعشرين مؤلفاً، ومئات من المقالات التي ظلت تظهر بغير انقطاع في المجلات الروحية الإيطالية مثل جريدة النور والظلام Luce & Ombra والفرنسية مثل «الجريدة الروحية» La Revue Spirite، والانكليزية مثل مجلة «العلم الروحي» التي تصدرها «الجمعية البريطانية للعلم الروحي». وولفات بوزانو زاخرة بالتجارب العلمية المدروسة، وكذلك مقالاته.



وقد ظلت هذه وتلك تتوالى بغير انقطاع منذ حوالي سنة ١٩١٠ حينما أعلن صحة هذا الموضوع واقتناعه به، إلى تاريخ انتقاله إلى عالم الروح في سنة ١٩٤٥، أي لمدة تتجاوز ثلاثين عاماً.

وقد لخص رأيه في عبارات صريحة حاسمة نرجو أن يتأملها ملياً المعارض المتسرع لئلا يتصور أن الموضوع كله

عبارة عن مساجلات كلامية ، عندما قال ، لو أن أى إنسان بدلا من أن يصل طريقته في بيداغوجيا مناقشات بملة أقبل على البحوث الروحية ، وواظب عليها لمدة سنين طويلة جامعا قدرا كبيرا من الوقائع كيما يخضعها إلى طرق التحقيق العلمى ، لانهى حتما إلى الاقتناع بأن الظواهر الفوق العادية تكون مزججا رائعا من الأدلة الحيوية والروحية ، التى تشير كلها إلى ثبوت وجود حياة للنفس الإنسانية بعد الموت ثبوتاً علمياً كأشد ما يدل عليه اللفظ . هذا هو اقتناعى الثابت ، ولست أشك فى أن الزمن كفىل يظهر أنى على صواب (١) .

وقد بدأ بوزانو بحوثه مؤمناً بالفلسفة الوضعية لا النظرية ، ومتحمساً — مثل الفيلسوف الفرنسى برجسون — لمذهب التطور المادى كما وضعه سبنسر ، وذلك قبل أن يصل إلى أساس من الوقائع إلى اليقين العلمى ببقاء الإنسان بعد الموت ، على حد قوله ...

فهل ينبغي أن تهدر بسهولة شهادة من عالم فى مستوى بوزانو إذا كانت تتضمن ثمرة تجريب دام لأكثر من ثلاثين عاماً ؟ .. وهل ترجحها أقوال يلقبها جزافاً أى أديب أو متأدب يتصور أنه كلما ازداد عنفاً فى هجومه كلما كان أقرب إلى تقويض عمد هذا البنيان الشاخ من بحوث — علمية هادئة رزينة — دامت لمدة نصف ومائه عام — حتى الآن — وتكشفت — كلها — عن نتائج إيجابية من علماء من الطراز الذى أشرنا إليه فى صفحات هذا المؤلف ؟ وذلك فى أغلب بلاد العالم ؟ وفى نفس البيئات التى تدين لها الحضارة العلمية المعاصرة بالكثير ؟ نترك الجواب للقارىء لا لنا ...

* * *

وفى خطاب أرسله شارل ريشيه ، الذى تحدثنا عنه فى الفصل السابق ، قبل وفاته بشهور قليلة إلى إرنستو بوزانو ، ونشرته جريدة « الأنباء الروحية » اللندنية كما نشره بول ميلر Paul Miller فى مؤلفه « العلم فى حجرة الجلسات الروحية » الذى ظهر فى أواخر سنة ١٩٤٥ ، يقول ريشيه :

(١) « المجلة الروحية » الفرنسية عدد فبراير ١٩٣٩ ص ٤٦ .

«صديقي العزيز وزميلي الفاضل... إننى متفق معك تماماً . وما كان لى أن أصدق ذلك التفسير البسيط القائل بأن أحداث حياتنا وتسلسل وجودنا أمور ترجع كلها إلى المصادفة وحدها ، وهذا رغم العجز عن إثباته . هناك قضاء وقدر ، أى قوة ترشدنا وتقودنا حيث نشاء بطرق غريبة مبهمه... إلى أن قال والآن فلاسر إليك أن ما قررته أنت صحيح ، وأن ما لم يستطعه مايرز وهو دجسون وهايستوب وسير أوليفر لودج قد استطعت أنت أن تصل إليه برسائلك الممتعة التى تختص كل منها بموضوع واحد ، تلك الرسائل التى قرأتها بحماس يكاد يشبه الحماس الدينى . فهى تتباين تبايناً غريباً مع تلك النظريات السكندرية التى تعمى علومنا وتبهمها...»

ومن التجارب التى ساهم فيها بوزانو نقدم هـ—ذا التعليق الذى نشرته له مجلة لايت Light بتاريخ ١٠ من مارس سنة ١٩٢٨ ونقلته عنها مجلة العلم الروحى ، — التى تصدرها الكلية البريطانية للعلم الروحى B.C.P.S.^(١)— والذى نلخصه هنا فى هذه الصفحات القليلة عما دار فى عدة جلسات عقد بعضها فى قلعة تاريخية تملكها عائلة من النبلاء الإيطاليين تسمى قلعة ميليزيمو Millesimo Castle ، وقد تم فيها كثير من الظواهر الروحانية الناجحة بالنظر إلى تعدد الوسطاء الموهوبين . وقد حضرها غير صاحب التعليق كل من : — الميركيزة لويزا سنتريوني سكوتو وهى وسيطة روحية .

— المركيز كارلو سنتريوني سكوتو وهو وسيط للصوت المباشر ، فضلاً عن أنه محام ونائب سابق وصاحب القصر التاريخى .

— السيدة فاين روسى وهى فرنسية الأصل ووسيلة للمجلوبات الروحانية .

(١) عدد يناير ١٩٢٩ ص ٢٧٢ — ٣٣٠ .

- السنيور باولو روسي وهو وسيط روحي ومن رجال الأعمال .
- البروفسور تيليو كاستلاني وهو أستاذ للاقتصاد السياسي وعالم .
- البروفسور جليدو باسيني وهو أديب وعالم في الأدبين الفرنسي والإغريقي .

- مسز جوندولين كيلى هاك ، وهي فنانة أمريكية ووسيلة للكتابة
التلقائية والجللاء السمي .

وها هو تلخيص الظواهر التي نجت عن إجتماع عدة وسطاء أقوياء -
تنوعت مواهبهم الوساطية - في مكان واحد في وقت واحد : -

١ - اتصال بأرواح متعددة لبعض « المتقلين » من أقارب
الموجودين ، ومع بعض الشخصيات التاريخية مثل رابليه Rabelais
وفيكنتور هيجو ونابليون وجزالين أسبانيين هما نافارا Navarra وجريتا
Guerrita .

٢ - ظهور آلة موسيقية تسمى الفلكساتون Flex-a-tone أخذت
تجوب جو الغرفة وهي تعزف ألحاناً شجية متسقة مع الأنغام التي كانت
تلبث من الجراموفون عند بدء الجلسة^(١) .

٣ - إحضار مجلوبات روحية مختلفة بعضها مجهول المصدر ، وبعضها
من غرف مختلفة بالقصر رغم إغلاقها إغلاقاً محكماً ، مثل صور وأزهار
وسيفين ضخمين أحضرت أحدهما روح الجنرال نافارا و ثانيهما روح الجنرال
جريتيا ، فضلاً عن قرط ذهبي ثمين أحضرته روح كهديدة لإحدى الحاضرات
وظل مجهول المصدر .

٤ - تنبؤ بالمستقبل عن مرض أحد أقارب الأسرة بعديومين ثم وفاته
في هذا المرض ، وقد تحققت النبؤة بحذافيرها .

(١) راجع ظواهر مماثلة فيما سبق ص ١٩٢ ، ٣١٦ ، ٣٤١ .

- ٥ - حديث بالصوت المباشر باغات لا يتكلمها الحاضرون .
٦ - تجسيدات لبعض أعضاء الجسم من أيد وأقدام كانت تليس الموجودين^(١).

وقد تناول بوزانو بحث هذه الظواهر من ناحية القول بمدى إمكان تعليلها بنظرية العقل الباطن مفنداً إمكان هذا التعليل وقائلاً : « لعل مما لاحظته القراء أن الأصوات المباشرة التي سمعناها أثناء تجارب قلعة ميليزيمو لم تحدث كلها بطريق البوق^(٢) ، لأنه كثيراً ما كان يدوى صوت قوي من أبعد أركان السقف أو من أرض الحجرة وسط الحلقة كما لو كان منبعثاً من قبر . فقد كان يتكرر في تجارب ميليزيمو نفس النوع من ظواهر الصوت المباشر التي كانت تحدث في جلسات برادلي Bradley في لندن مع الوسيط فالياتين Valiantino وكانت لا تقل عن أحسن ما كان يحدث في هذه الجلسات الأخيرة ، وهو ما لاحظته أيضاً المراكزستريوني ومسيوروسي اللذان حضرا بعض جلسات فالياتين في لندن ، فقد كان صوت برت إيفيرت Bert Everett الروح الإنجليزية المرشدة يدوى في جلسات ميليزيمو بنفس القوة التي كان يدوى بها في لندن .

كما كان صوت مرشدنا المحترم دأنجلو D'Angelo طبيعياً وواضحاً كهو صوت إنسان حي . وكذلك كانت أصوات الجنرال نافارا وأسابيا بلادينو وجيريتا ووالدة السيدة المركيزة ورابليه . وقد كان صوت ابنة السيدة المركيزة ضعيفاً ولكن مفهوماً ، حين كان صوت والدتي ضعيفاً بلارنين وصعب الفهم .

وهنا ينبغي أن أقرر أن مجرد ملاحظة كيفية تتابع الأصوات المباشرة في جلسة واحدة بحيث كان يختلف بعضها عن البعض الآخر اختلافاً كلياً ، وتنوعها بشكل يبين من ناحية قدرتها على التعبير بوضوح يكفي لأن يكون -

(١) راجع ظواهر مماثلة فيما سبق في ص ١٣٣ - ١٤٠ ، وثبته بالصور .

(٢) راجع ما سبق في ص ١١٨ موضحاً بصورة يوق طائر .

إذا ما أضيف إلى بعض حقائق الجلسة الأخرى - رهاناً صحيحاً عن المصدر الخارجى أو الروحى لهذه الأصوات وإن تنوع الأصوات ليتفق بشكل واضح مع ما نفترضه من أننا كنا فى حضور شخصيات هؤلاء الموتى ، لأن هذه الشخصيات توجد بينها يقيناً فروق فنية وعقلية مختلفة حسبها تكون قصد وصلت إليه من التطور فى المناطق الروحانية المتعاقبة (فالأرواح الأقل تطوراً أسهل تعاقباً من الأرواح الأكثر تطوراً) كما ينبغي ألا ننسى أنها جميعها تحتاج إلى مران على استعمال السيلال الروحى قبل أن تتمكن من مخاطبتنا بوضوح ، ولذا كانت الأرواح المرشدة - وهى فى حالة من المران المستمر - تتصل بنا فى كل جلسة بأصوات طبيعية تماماً وواضحة كأصوات الأحياء .

وهنا يهمنى أن أسجل الخطوة النظرية لهذه الحقائق المركبة، وكيف أن النظرية الروحانية قادرة على تفسيرها ، حين تعجز عن ذلك نظرية وتشخيصات العقل الباطن، The Sub-Conscious impersonation ، إذ طبقاً لهذه النظرية تكون شخصية الوسيط الذى فى حالة يقظة نومية^(١) . somnambulistic personality هى التى تجسد خلال الإيحاء الصادر لها أو إيحاءها الذاتى لنفسها suggestion or auto suggestion أفكار الحاضرين ورغباتهم .

فلعل من يظن أنه فى حالتنا أيضاً كانت هذه الشخصية الباطنة أو تلك التى فى حالة حركة التنويم المغناطيس تقوم بتقليد أساليب المخاطبة المتعددة هذه أو يأتى تماماً لمحض الرغبة فى خداع الحاضرين .. ولكن الذين حضروا جلسة كهذه لاحظوا كيف أن المخاطبة كانت طبيعية، وكيف أن بعض الشخصيات التى لاقت صعوبات فى التعبير عن نفسها كيان يجاهد المرة بعد الأخرى حتى نفهمه - نقول إن أولئك الذين حضروا جلسة كهذه سيحتاجون وسير فضون

(١) يشير بوزانو إلى الحالة الراجعة من التنويم المغناطيسى التى اكتشفها الدكتور برنارد منذ سنة ١٨٨٤ والتى فيها يكون للنوم واقفاً تحت تأثير النوم لكنه يبقى مع ذلك شاعراً بما حوله، محفظاً بذكرى ما قد يحدث له فى حالة اليقظة النومية Somnambulistic stage

بشدة ، أو يبتسمون في سخرية - إذا ما أخذ بعض المتشككين الذى لم يشاهد مطلقاً ظواهر كهذه في المجادلة في الحقائق - أما إذا غلبنا مهولة العقل الباطن هنا فإننا سنجد أنفسنا إزاء ظاهرة من ظواهر التنويم الذاتى المتيقظ auto - somnambulistie أية كانت درجة صحتها من الناحية العلمية ، لكن علينا حينئذ أن نفترض أن في عقل الإنسان الباطن قوة عليا عاقلة ، بل شخصية واعية وأيضاً أخرى شيطانية ، بل مؤذية حمقاء .

وأن افتراضاً كهذا ل يبدو فجاً وسخيفاً ، فضلاً عن أن حقائق التنويم المغناطيسى تكذبه ، لأن هذه قد أظهرت أن ما يسمى بالنماذج الموضوعية objective types التى يخلقها الإيحاء في نفوس المنومين تنويعاً مغناطيسياً إنما هى أشياء جامدة ليس لديها ابتكار خاص وقوة إرادية أو فكرية وتقوم بدورها في التمثيلية مقيدة بإرادة المنوم . أو بعبارة أخرى إن هذه النماذج لا تحدث إلا بدافع الإيحاء حين لا تحدث مطلقاً في حالة هذه الشخصيات الواعية التى تجى وتذهب كما يحلو لها ، كاشفة أسرار أجمولة من جميع الحاضرين ، متحدثة إليهم بلغات مجهولة من الوسيط - بل وأحياناً منهم - ، قارئة أفكارهم ، لاعبة بحلق على آلات موسيقية لا يعرف أحد من الحاضرين عنها شيئاً ، محضرة مجلوبات رائعة ، موقعة بأسمائها بكتابتها المباشرة ، وصانعة غير ذلك الكثير .

وإنى أعتقد أن في ذلك ما يسمح لى بأن أقرر بأنه رغم البحوث النظرية التى تشير إلى أن شخصية هذه الأرواح لم تثبت بعد - وبغير خوف من خطأ - أن ما يسمونه « بتشخيصات العقل الباطن » ، التى تحدث للنوم مغناطيسياً لا تربطها أية صلة بالشخصيات التى تظهر نفسها في حضور الوسيط عن طريق الصوت المباشر . فإنه في بعض الأحوال تكون الشخصيات التى تتصل بنا قادرة بغير شك على أن تثبت شخصيتها بالكشف عن حوادث حدثت لها خلال حياتها الأرضية ، بمجولة من الوسيط والحاضرين .

فإذا ما أضيفت إلى ذلك البيئة المستمدة من التعرف على صوتها وعلى أسلوبها الخاص في الحديث بنفس الطريقة ، وببنفس الحلال والآراء والسجاياء التي عرفت بها خلال حياتها الأرضية ، لكان من نافلة القول بعدئذ أن نضيق الوقت في إثبات شخصية الروح لأنصار نظرية وتشخيصات العقل الباطن ، التي ليس في جانبها أدنى دليل ، حين يمكننا من جانبنا أن نستند إلى مجموعة طيبة من البيانات التي تشير كلها إلى حقيقة واحدة رئيسية وهي بقاء شخصية الإنسان بعد الموت .

أما من الناحية العلمية البحت ، فلو أنه لم تكن هناك حالة كاملة في هاتين الجلستين لإثبات شخصية أحد الأموات — وهو ما لم يكن منه مفر لأن اليقين العلمي التام لا يقوم إلا من مجموعة براهين ، ولا يحدث إلا في سلسلة متتابعة من الجلسات كما حدث في جلسات دنيز برادلي Dennis Bradley — إلا أن ذلك لا ينفي إمكان القول بأن أسايبلا دينو والجنرالين جريتا ونافارا أعطونا براهين كاملة تثبت وجودهم بالغرفة حقيقة .

ففي هاتين الجلستين حدثت عدة ظواهر مادية وهي ، ولو أنها لم تثبت شخصية أحد منهم ، إلا أنها تثبت بغير شك وجود كائنات روحية أجنبية عن جميع الأشخاص الموجودين بالغرفة ، وهو ما يؤدي من الناحية النظرية إلى نفس النتيجة . ويكفي أن أشير إلى الألحان الجميلة التي كانت تنبعث من آلة الفيلسكاتون ، إذ ماذا يعني ذلك ؟... فلم يكن أحد من الموجودين يعرف شيئاً عن العزف على الآلة الصغيرة ، فمن الذي كان يعزف عليها إذن ؟ جوابان فقط ممكنان على هذا السؤال : إما أن يكون العازف هو العقل الباطن ، وإما أن يكون مصدراً روحياً .

منذ عهد غير بعيد حدثت ظاهرة تختلف بعض الشيء عن هذه في جلسات الوسيط فالبايتين عندما تخاطبت روح صيني قديم بلغتها الأصلية وأعطت قراءة صحيحة لشعرها الذي حرفه الناقلون فجعلوه غير مفهوم ، وكان أحد

أعداء الروحية وناقديها موجوداً فقال إنه يعتقد أن هذه ظاهرة تفسيرها من اليسر بمكان ، لأن عقل الوسيط الباطن انتقل إلى الصين باحثاً عن طالب يجيد قراءة هذا النوع الخاص من الشعر ، ثم عاد إلى لندن في أقل من ملح البصر حيث أدلى بما حصل عليه من معلومات - طازجة وساخنة - إلى الحاضرين ، وكل ذلك قد تم بقصد طيب أو خبيث وهو خداع المجريين .

وطبقاً لهذه النظرية يكون العقل الباطن لأحد وسطائنا قد طار إلى شمال أمريكا حيث بحث عن لاعب خبير على الفلوكساتون ، فاختطف منه موهبته الموسيقية - كما يختطف لص حافظة نقود - وعاد بها إلى الجلسة ، وكل ذلك لنفس الغاية الجميلة أو القبيحة وهي خداعنا . هذا هو التحليل الوحيد الذي يمكن لأنصار نظرية العقل الباطن أن يتعلقوا بأهدابه .

إلا أن منطق لا يسمح لي البتة أن أصدق أن الشخصية الباطنة للوسيط يمكنها أن تعزف بمهارة فائقة على آلة لا يعرف عنها هو - ولا أى واحد من الحاضرين - شيئاً . فلا يكون أمامي إلا أن أقبل التفسير الآخر الأقرب إلى التصور وإلى المعقول ، وقد قدمه لنا دابجلو D'Angelo الروح المرشد ، وهو أن أمريكياً من أهل الشمال كان في حياته الأرضية صاعداً خبيراً على الساكسوفون ، هو الذى عزف لنا على آلة الفلوكساتون . وتجلت هذه الروح خلال الوسيط فالياتين في لندن ، ثم في جلسات مللزييمو في إيطاليا . هذا هو رأيي وإني أتحدى باسم المنطق والعقل السليم كائناً من كان أن يثبت خطأ هذا الرأي .

* * *

أنتقل بعدئذ إلى شخصية رابليه Rabalais التي تجلت خلال الوساطة وهي بحاجة أكثر من غيرها إلى تعقيب وتوضيح ، فالبروفسور جليدو باسيني Glido Passini أحد الحاضرين حجة في تعرف عبقرية هذا المؤلف الفرنسى الشهير ، وقد قام بترجمة مؤلفاته إلى الإيطالية . وإن الذين يقبلون

النظرية الروحية يصبح من السهل عليهم القول بأن باسينى - وقد درس خصائص أدب المؤلف المذكور بعناية وتقدير له لمدى سنوات طوال - قد أنشأ صلة روحية بين شخصية عقله الباطن وروح رابليه (إذ يذنبى ألا نفسى أن الفكر يحوى قدرة على الانتقال أقوى من القوة المادية التى تنبعث من الإرسال اللاسلكى) .

فالقوة التى مكنت رابليه من الاتصال بباسينى كانت هى هذه الرابطة الروحية ، وهى التى مكنت الأول من معرفة ما كان يجرى فى حياة هذا الأخير ، وذلك يفسر إذن وجود روح رابليه فى هذه الجلسات التى حضرها باسينى ، وعلى هنا أن أشير إلى أنه عندما اتصل بنا رابليه لأول مرة أخبره باسينى أنه قام بترجمة مؤلفاته إلى اللغة الإيطالية فأجابه رابليه « نعم أعلم ذلك » .

فإذا نظرنا إلى هذه الحقائق من وجهة نظر خصومنا فإنهم سيرجعون كل ما أظهره المتوفى إلى « تشخيصات العقل الباطن » . هذا ممكن بلا شك . لكنه من الناحية الأخرى أبعد ما يكون عن أن يصلح حجة لدعواهم ، لأن ذلك مما يمكن به أيضاً وبغير نزاع تفسير الحقائق من وجهة النظر الروحية . فإننى أوافق تماماً على أن نظرية « تشخيصات العقل الباطن » تستمد وجودها من أنه قد أمكن بوسائل التنويم المغناطيسى خلق نماذج موضوعية objectivation of types لكن لاصلة بينها وبين الشخصيات الوسائطية الحقيقية .

لذا أسارع إلى القول بأن ثمت حقيقة هامة جدية بالتسجيل ، ولا يمكن التوفيق بينها وبين نظرية « تشخيصات العقل الباطن » ، بل تستوجب استبعاد حالتنا من الحالات التى يجوز فيها تطبيق هذا التفسير . وهى أن الماركيز سنترىونى سكوتو قام بعبد البحث الروحى وذهب إلى لندن لحضور جلسة مع الوسيط فالينتين كيما يحاول الاتصال بروح ابن عزيز فقده ونجح فى ذلك هناك ، أما الآن بعد أن أصبح قادراً على الحصول على وساطة الصوت المباشر بنفسه وفى منزله الخاص ، وحيث لم تكن عنده وعند زوجته سوى فكرة

واحدة هي محاولة الاتصال بهذا الابن ، فلم يحاول ابنهما مع ذلك الاتصال بهما ولا مرة واحدة في سلسلة من الجلسات التي عقدها في منزلها .
وهذه الحقيقة سهل تفسيرها من الناحية الروحية بأن الأرواح ليست دائماً تحت تصرفنا ، لكن لا يمكن مع ذلك التوفيق بينها وبين نظرية « التشخيصات الباطنة » ، لأنه تبعاً لهذه النظرية تكون جميع الشخصيات الروحية التي تتجلى عن طريق الوسيط محض خداع خلقتة أفكار الحاضرين ورغباتهم ، ورغم ذلك فلم يقيم الابن ولا مرة واحدة بالاتصال بهما مع ما سببه ذلك من خيبة أمل لدى والديه .

يتعين علينا بعدئذ أن نناقش ظاهرة المجلوبات الروحية ، وجدير بالذكر أن نلاحظ أن الظواهر الثلاث الهامة منها لم تكن حوادث مستقلة ، بل حدثت كجزء لا يتجزأ من عملية إظهار ثلاثة من أرواح الموقى لشخصياتها ، لأنه في حالتين منها لجأت هذه الأرواح إليها كيما تثبت وجودها الحالي ، حين كانت الأخيرة بمناسبة الإجابة عن سؤال وجهته إحدى الحاضرات ، وهي تستحق تعليقاً خاصاً لخطورتها القصوى من الناحية النظرية .

ذلك أن السيدة المركيزة عندما أثقلت كاهلها نبوءة عن قرب وفاة أحد أقاربها توسلت إلى الروح المخاطبة ألا تتركها نهياً لشك رهيب ، وأن تذكر لها اسم ذلك القريب الذي تنبأت بقرب وفاته فأجابتها الروح قائلة « سأحضر لك صورته » ، وبعد ذلك مباشرة سقطت صورة فوتوغرافية لهذا القريب - داخل إطار - عند قدمي المركيزة .

والخطورة القصوى من الناحية النظرية تنحصر في أن هذا المجلوب كان نتيجة نبوءة عن وفاة ، وسؤال خطر لدى المركيزة عفو الساعة ، وذلك كاف وحده لأن يقلب رأساً على عقب هذه التفسيرات المملة الجاهلة التي تقول بأن الروحية « تدليس عالمي » . ففي هذه الحالة كان على الوسيط المدلس المزعوم أن يتنبأ بأن قريباً لعائلة سنتر يوني سكو تو سيصاب بعد يومين بمرض ثم يتوفى (وهو ما تحقق) وأن السيدة المركيزة ستبادره بسؤال كهذا الذي صدر منها كيما يعد مقدماً مجلوبه الزائف المثير .

فما دامت رؤية المستقبل فوق مقدور القوى العادية للوسيط المدلس فلا يكون هناك أحد قد تمكن في هذه الحالة من إعداد ظاهرة زائفة ، وذلك لأنها كانت نتيجة لظروف غير متوقعة . وتبعاً لذلك أنه مادام قد تحقق لنا بطريق اليقين — صدق هذه الحالة فلا يمكن منطقياً أن يكون لدينا أى شك في صدق الاثنتين الآخرين ، نظراً لأن المجولات الروحية الثلاثة قد تمت على نفس النمط .

أما فيما يتعلق بالحديث بلغات لا يفهما الوسيط فلا يمكن مقارنتها بنظائرها التي حدثت في جلسات الوسيط برادلى . لكن إذا مارعينا أننا حصلنا عليها في جلستين فقط لتبين كيف أننا حصلنا على ما فيه الكفاية ، فقد تحدثت إلينا أصوات باللغات الانجليزية والفرنسية والاسبانية واللاتينية . فإذا استبعدنا الانجليزية التي كانت لمجرد التحية والفرنسية التي كنا نعرفها جميعاً ، تبقت بعد ذلك اللغتان الاسبانية واللاتينية .

فقيماً يتعلق بالاسبانية لم يكن أحد منا يعرفها بل كنا كإيطاليين قادرين على أن نفهما بدرجات متفاوتة في وضوحها ، لكن ذلك لا يعنى أن أحداً كان قادراً على الكلام بها . أما اللاتينية فلم يكن يعرفها غير الأستاذ باسبني ، ومع ذلك فالقول بأن الصوت المتحدث المباشر قد دلف إلى عقله الباطن كيما يستخرج منه اللاتينية إنما هو فرض لا يقوى على مواجهة الحقائق كما أظهرتها في مقدمتي للترجمة الإيطالية لكتاب "حكمة الآلهة" .

وعلى أن اضيف الآن إلى الأمثلة الفنية واللغوية التي أشرت إليها فيها مثلاً آخر مما يحدث في حالة التنويم المغناطيسى واليقظة النومية hypnotic & somnambulist order ، وهو أنه إذا كانت الأصوات المباشرة التي تتحدث بطلاقة بلغة مجبولة من الوسيط يمكن تفسيرها بقوى العقل الباطن — أى بأن هذه الأصوات استخرجت ما نحتاج إليه من معلومات لغوية من عقول الحاضرين الباطنة — فحينئذ يتعين علينا أن نجد أمثلة متشابهة لذلك في حالات التنويم المغناطيسى واليقظة النومية ، وبالأخص (م ٢٤ — الإنسان روح)

عندما يكون المنوم قادراً على الجلاء البصرى تحت تأثير التنويم . وبالتالي أن يتمكن هذا الأخير فى حضور طبيب أو أكثر من أن يصف بدقة الأعضاء الداخلة له أو لأحد الموجودين ، وكذلك ما قد يشكو منه من أمراض ، وأن يعبر عن ذلك — فى بعض الأوقات بالأقل — بالفاظ طبية فنية يكون قد استخرجها من عقل الطبيب المنوم *medico-hypnotiser* ومن قد يكون على صلة روحية بهم . لسكن هذه الظاهرة لم يسجلها أحد ، وبدلاً منها يصف الشخص المنوم الأعضاء الداخلية وحالة المريض الموجود بالفاظ اللغة الدارجة للرجل العادى .

ويستنتج من ذلك أنه مادام المنوم مغناطيسياً عاجزاً عن أن يستعمل عدداً محدوداً من الألفاظ الفنية رغم الصلة الوثيقة التى تربطه بالمنوم فهو عاجز من باب أولى عن الحديث بطلاقة بلغة مجهولة منه ، وهى نتيجة مبينة على حقيقة لا جدال فيها تثبت وجود كائن خارجى أو بتعبير أدق وجود روح . وأخيراً أعتقد أنى كنت قادراً على إثبات أنه فى هاتين الجلستين نهضت حقيقتان واضحتان : أولاها أن ظاهرة الصوت المباشر ، ولو أنها ليست وحدها الظاهرة الحقيقية ، إلا أنها أكثر الظواهر تأثيراً فى إقناع أشد المتشككين . والثانية أنى خرجت من هذه الجلسات بقرائن قوية جداً على صدق ما تؤكد نفس هذه الأرواح من أنها هى بذاتها أرواح الموتى التى تتصل بالحاضرين عن طريق الصوت المباشر .

وقصارى القول أن جميع ما مضى من حقائق يشير إلى النتائج الآتية :
أولاً : أن هذه الأصوات التى يتابع بعضها البعض الآخر بسرعة فى الجلسة الواحدة ، ويختلف بعضها عن البعض الآخر بدرجة قوية وتظهر فيما بينها تبايناً قوياً فى قدرتها على التعبير عن نفسها بوضوح يمكن تحليلها بالنظرية الروحية حين تعجز عن ذلك تماماً نظرية «تشخيصات العقل الباطن» .
وثانياً : أن نفس النتيجة يمكن استخلاصها من الأصوات التى تتحدث بلغات مجهولة من الوسيط .

وثالثاً : يمكن استنتاج نفس النتيجة من ظاهرة اللعب الرائع على آلة

الفاسكانون الصغيرة التي كانت تتابع موسيقى الجراموفون بقدره موسيقى متمكن . وبما أن أحداً منا لم يكن يعرف شيئاً عن استعمال هذه الآلة فلا بد من اقتراض وجود لاعب غير منظور منا هو يقيناً ليس أحد الجالسين .

وراهماً : أن نفس النتيجة تفرض نفسها علينا أيضاً من الحديث الذي قمت به مع روح أسايا بلادينو (الوسيطة الأسبانية التي كانت آنذاك قد غادرت عالم المادة) التي كانت تتحدث بنفس نغمة الصوت التي كانت تستعملها حال حياتها وبفسس اللهجة والمميزات الصغيرة التي لا يمكن تقليدها والتي كانت تتميز بها صلاتها الشخصية بي ، وذلك غير الحديث عن المجلوبات الروحية التي حصلنا عليها والتي نعلم عليها اعتقاداً كهذا ، والتي تشير إلى حقيقة حضور أرواح الموتى بيننا ، وأن أحدها كان قادراً على التنبؤ بقرب حدوث وفاة .

وبالمقارنة بين ما تقدم وبين حقائق الروحية الأخرى كتجسد الأيدي والأقدام ورفع الأجسام الثقليلة ونقلها عن بعد ، والحصول على التوقيع بواسطة الكتابة المباشرة ، نجد أن هذه الأخيرة مهمة ، لكن أهميتها تضعف إزاء هذه الظاهرة الأهم ، وهي ظاهرة الصوت المباشر . ولو أنها كلها تدعم بعضها البعض في إظهار هذه القوة غير المحدودة التي نتجت عن تعاون عدد من الوسطاء مجتمعين معاً . وهي تبين أيضاً ما كان يمكن أن يتم لو أمكن الاستمرار في عقد جلسات كهذه بانتظام . فبوساطة مادية وعقلية كاملة كهذه كان يمكن من المؤكد الإجابة على كثير من الأسئلة المحيرة والمسائل التي بقيت بلا حل حتى الآن في نطاق العلم الروحي ، وهو ما لم يتم للأسف لاضطرار مسيو ومدام روسي إلى العودة إلى منزلها بلندن .

وفي الفصل المقبل سنبين كيف أن التعليل بالتلباثي أو بطواهر العقل الباطن ، كما لا يصلح لتفسير الظواهر الروحية عند بوزانو ، لا يصلح لتعليل بعض الظواهر العقلية الصرفة ، وسيوضح ذلك جلياً عندما نعرض لبيان بعض الوقائع التي لها دلالتها ، مأخوذة من مضابط « جمعية البحث الروحي » . وجريدها بلندن .

الفصل الرابع

وقائع لها دلالتها

عن مضابط جمعية البحث الروحي ، وجريدتها .

من الاعتراضات الشائعة التي كثيراً ما يوجهها البعض إلى صحة الظواهر الوساطية، وإلى دلالتها في الإنباء عن استمرار حياة الروح بعد موت الجسد الاعتراض بالتلبائي أي بانتقال الأفكار من عقل أحد الجلساء إلى عقل الوسيط . وتعليل الظواهر الوساطية بالتلبائي لا يصمد للنقد لاعتبارات كثيرة أوردنا بعضها في الفصل السابق على لسان عالم النفس إرنستو بوزانو، ونضيف إليها هنا ما يلي : -

أولاً : أن ظاهرة التلبائي، وهي من ظواهر الإدراك عن غير طريق الحواس ، إن كانت تشير إلى أمر له دلالة في نطاق البحث الروحي فهو إلى استقلال الإدراك عن الحواس المادية ، وهو ما يدحض بذاته النظرية المادية عن الإنسان ، ويشير بذاته إلى «احتمال» بقاء الإدراك بعد تحلل هذه الحواس المادية بالوفاة ، وهو ما يتفق مع النظرية الروحية دون غيرها^(١) . ثانياً : أنه إذا صح علمياً إمكان انتقال الأفكار من عقل إنسان حي إلى عقل إنسان حي آخر بدون أية وسيلة مادية ، وعبر المسافات الشاسعة أحياناً ، فليس ثمت مطلقاً ما يمنع من انتقالها بنفس الكيفية من عقل قد تجرد من جسده المادي إلى عقل إنسان آخر لم يتجرد منه بعد ، وهذا هو ما يفسر الكثير من التفوهات الصحيحة من بعض وسطاء الغيبوبة عن أحداث ماضية قد تشير إلى أشخاص منتقلين معينين بالذات . فالتلبائي - على هذا الوضع - يثبت صحة بعض صور الوساطة الروحية ولا ينفيها، كما قد يثبت إمكان بقاء الوعي بعد انفصاله عن الجسد المادي .

ثالثاً : أن التلبائي لا يصاح مطلقاً بتحليل عدد ضخم من الظواهر

(١) راجع رأي الأستاذ ج. ب. راين من نتائج بحوث جامعة ديوك بأمریکا التي سبقتنا الإشارة إليها في ص ١٧٨ .

الوساطة المادية ، مثل تجسد الأرواح ، الذى سجله علماء كثيرون : منهم كروكر فى إنجلترا وریشيه فى فرنسا وغيرهما (على ما وضعناه فى الفصلين الأول والثانى من الباب الحالى) - وظهور صورها وكتاباتنا على الألواح الحساسة ، وتحريك الأجسام الصلبة ، والصوت المباشر ، والعلاج الروحى ، والتنبؤات الصحيحة أحياناً عن المستقبل ، والمجلوبات والمآخوذات الروحية ، التى سجل حدوثها علماء كثيرون مثل إرنستوبوزانو فى إيطاليا (على ما وضعناه فى الفصل الثالث) - إلى غير ذلك من الظواهر الفيزيكية والعقلية التى تتساند وتتكامل فى إثبات النظرية الروحية بجانب ظاهرة التلبأى ، دون أن يصح القول بأن التلبأى بمفرده يصلح لدحضها كلها ، أو يصلح لتعليلها ، وبالتالى لنفى دلالتها المحتومة فى الإنباء عن بقاء الوعى بعد موت الجسد ، وهذه كلها سنعرض لها تفصيلاً فى باقى فصول هذا الباب ، بالإضافة إلى ما أوردناه منها عند الكلام فى بعض الوسطاء المعروفين^(١) .

رابعاً : أن هناك عدداً من العلماء والباحثين حصل عن طريق بعض وسطاء التلبأى على معلومات لم يكن يعلمها أحد من الأحياء مطلقاً ، بل كانت تشير إلى شخصيات معينة غادرت عالم المادة منذ زمن بعيد أو قريب وثبتت صحتها بطرق التحقيق المادى العادية . والأمثلة على ذلك كثيرة وحققتها الباحثون فى أكثر من ميدان من ميادين هذا البحث العلمى الشاق .

فى ميدان الأدب الروحى مثلاً لم تصمد نظرية التلبأى على النقد العلمى حين صمدت النظرية الروحية . ولخطورة هذا الميدان بالذات خصصنا له فصلين كاملين فى آخر الباب الحالى . وفى ميدان تحقيق اللغات القديمة والمعلومات التاريخية التى ترجع إلى الماضى السحيق لم تصمد أيضاً نظرية التلبأى حين صمدت النظرية الروحية على النقد^(٢) .

* * *

(١) راجع ما سبق فى ص ١٠٦ - ١٤٠ .

(٢) راجع فى هذا الشأن بوجه خاص مؤلف الدكتور فردريك وود الذى عنوانه « هذه المعجزة المصرية » This Egyptian Miracle (١٩٣٩) .

وراجع ما سبق فى ص ١١٣ ، ١١٤ عن الوسيط البرازىلى كارلو ميراميللى .

والمؤلفات التي تدور حول دراسة مدى إمكان تعليل بعض الظواهر الواسطية بالتلبائي كثيرة ، والبحوث شاقة ومتنوعة ، ومنها عدد عالج الموضوع بطريقة منظمة . ونشير على القارئ بنوع خاص ببحوث جون هتجر التي أجراها ، بالكلية الملكية بجامعة لندن ، والتي ضمنها مؤلفاته التي أشرنا إليها في مناسبة سابقة^(١) ، وخصوصاً أحدث مؤلفاته وهو « التلبائي والروحية » . كما نضيف هنا مؤلفين آخرين : أولها الأستاذ ر. ف. نيش W. F. Neech وعنوانه « لم يكن بمقدور إنسان حي أن يعرف »^(٢) وقد ظهر في سنة ١٩٥٥ ، ويتضمن وقائع متعددة وردت عن طريق الوساطة الروحية لم يكن يعرفها أحد من الأحياء — في أية رقعة من الأرض — وهو ما ينفي تماماً إمكان التعليل بالتلبائي .

ومن ضمن هذه الوقائع يبين للقارئ كيف أمكن لأرواح رهبان « موتى » منذ مئات السنين أن توجه توجيهاً صحيحاً صحیحاً حضريات تقوم بها إحدى الهيئات العلمية للبحث عن آثار الدير الذي كانوا يقيمون فيه ، بعد أن اندثرت معالمها تماماً . إلى غير ذلك من شتى البيانات التي أوردتها المؤلف بتفاصيلها . كما تنفي إمكان تعليل أمثال هذه الظواهر بالتلبائي .

والمؤلف الثاني الذي نشير به على القارئ — عنوانه « دينة ذات مغزى »^(٣) للأستاذ زويه ريتشموند Zoë Richmond ظهر في سنة ١٩٣٨ متضمناً عدة وقائع مأخوذة — من مضابط « جمعية البحث الروحي » ، بلندن وجريدتها ، ويتعذر تعليلها بالتلبائي ، حين يمكن بسهولة تعليلها ببقاء الوعي الإنساني . بعد موت الجسد المادي ، وباتصاله بعقل الوسيط أو الوسيطة بصورة ما .

وقيمة هذه المضابط ليس في أماتها لحسب ، بل أيضاً في قيمة الجمعية التي .

(١) راجع ما سبق ص ٢٢٥ ، ٢٢٦

(٢) 'No Living Person Could Have Known.

(٣) Evidence Of Purpose.

تصدرها، والتي تضم صفوة من علماء المادة والنفس في الجزر البريطانية تقوم
ببحث هذا الموضوع وتمحيص وقائمه منذ أكثر من ثمانين عاماً تمحيصاً
ناقداً جاداً، حتى أن أعمال هذه الجمعية تؤسس تدريجياً - وعلى أسس
وطيدة - علم النفس الحديث على ما وصفها عدد من العلماء المعاصرين .

وهذه الهيئة لا تبحث - لحسب - موضوع الصلات بين عالمي الروح
والمادة ، فهي ليست جمعية « تخضير أرواح » كما يتصورها البعض خطأ ،
بل إنها جمعية للبحث الروحي بوجه عام كما سبق أن بينا، أو بالأدق جمعية
للبحث في « الإنسان » في أضواء عملية جديدة بعيدة عن الارتباط مقدماً
بأية فلسفة تسلم بالخلود أو تنكره . وهذه الطريقة العلمية المحايدة تضمن على
أعمالها قيمة خاصة ، فإذا كانت أعمال هذه الهيئة العلمية الراقية قد انتهت
إلى أن تجعل من الخلود حقيقة علمية، ومن الروح حقيقة عملية ، كان ذلك
أقوى في الدلالة على ذلك من أي بحوث أخرى قد تجرى بطريقة متحيزة بعيدة
عن روح العلم الصحيح . وهذه البحوث الدقيقة الخطيرة مسجلة في مضابطها
وفي جريدتها^(١) .

والوقائع - في هذه وتلك معاً - زاخرة بالأدلة على دوام الحياة بعد موت
الجسد المادى نقدم منها عدداً محدوداً - لضيق المقام - ويجمع بينها أنه يتعذر
تعليها بنظرية التلبأى أى انتقال الأفكار بين الأحياء، حين يسمل تعاليلها ببقاء
الوعى بعد انفصاله عن الجسد المادى ، وبوجود صلات متعددة الصور بين
عالمين أحدهما منظور والآخر غير منظور . فإذا صح أن ثمت تلبأى في
الموضوع فهو بين عقليين : أحدهما عقل الوسيط أو الوسيطة وثانيهما عقل
كائن متجرد من جسده المنظور ، أى روح تواصل حياتها بصورة ما وفي
رقعة ما من هذا الكون الفسيح، وقد رتبنا هذه الوقائع بحسب تواريخها: -

(١) راجع ما سبق عن هذه الجمعية ق س ١٩٦ إلى ص ٢٠٧ .

الواقعة الأولى : شيخ يظهر تلقائياً Spontaneous Apparition
عن مضابط ، جمعية البحث الروحي ، S. P. R. Proceedings (المجلد
الثاني عشر ص ١١٦ بتاريخ ١٠ يونيو سنة ١٨٩٥) : فيما يلي تقرير عن
شيخ رآه السيد فنسنت إيدانويز Vincent Idanowicz بمدينة كريزيلوكا
بمقاطعة جاجزين بولندا : وفي العاشر من نوفمبر سنة ١٨٩٤
ذهب السيد إيدانويز إلى جاجزين Gajsin كيما يوصى بعمل معطف من
الفراء عند ترزي يدعى إزلوما سيوروتا I. Sierota فعرض عليه معطفاً يكاد
يكون جديداً ، واقعه بشرائه بمبلغ خمسة وأربعين روبل بعد أن عرفه بأنه
كان قد اشتراه من شخص يدعى لاسوتا Lassota

ولما نام السيد إيدانويز نوماً عميقاً في منزله أيقظه في الليل رجل ،
بملابس سوداء ، ولم يخف منه لكنه تعجب أن يرى شخصاً لا يعرفه ولم
يره من قبل بالإضافة إلى تأكده من أن الغرفة محكمة الإغلاق. فسأل القادم
الغريب : من أنت وماذا تريد ، فأجاب الشيخ : اسمي ويزنيكوسكي
Wisznieski وأنصحك أن تعبد بأسرع ما يمكن معطف الفراء الذي
إشتريته من سيوروتا بمبلغ خمسة وأربعين روبل لأنه ليس ملكاً له ، بل
هو ملك قاضٍ مات أخيراً بمرض السل الرئوي ، والمعطف ملوث بجراثيم
هذا المرض . ولما اختفى الشيخ قام السيد إيدانويز ليرى كيف خرج فوجد
الباب محكم الإغلاق فظن أن ما رآه مجرد حلم أو هلوسة ، ولا سيما أن
شقيقه الذي استيقظ فيما بعد لم يره ولم يسمع شيئاً قط ، بل سخر منه عندما
سمع قصته .

ثم عاد السيد إيدانويز إلى فراشه ، وفي اليوم الثاني ذهب إلى عمله كالمعتاد
ولم يخبر أحداً بما حدث في الليلة الماضية . وفي الليلة التالية ذهب الشقيقان
إلى فراشيهما ولكنهما لم يتمكنوا من النوم فبقيا يتحدثان عن أعمالهما ... وفجأة
سما معاً خطوات تقترب من غرفتهما ولاحظا أن الباب الذي كان محكم
الإغلاق ينفتح ، ولشدة دهشتهما رأيا رجلا في ثياب سوداء يدخل ويقول

لم) « إنكما مستيقظان كلاكما فلا داعي لأن تقول يا سيد فنسنت أن ظهوري بالأمس كان مجرد هلوسة إلى حضرت الليلة كما أكرر القول بأن نذهب غداً وتطلب من السيد كرونهيلم Kronhilm بأن يسمح لك بأن نذهب إلى جاجزين Gajsin وتعيد الفراء إلى السيد إيزلوما سيوروتا، الذي قرر لك أنه ملك شخص يدعى السيد لاسوتا، حين أؤكد لك أنه كان ملكاً لقاض توفى بمرض السل الرئوي وأنه ملوث بجراثيم ذلك المرض . أما عن شخصيتي فأني كنت موظفاً حكومياً بمدينة ليبوفيتش Lipowice بمقاطعة كييف Kirff ثم مت في سنة ١٨٩٢ ، ولكن بما أن رسالتني هي حراستك فأني أحذرك بما قد يحدث لو لم تتبع نصيحتي ، ثم اختفى الشبح .

ثم يقول صاحب هذا التقرير بعد أن سمع القصة من السيد فنسنت إيدانويز ومن شقيقه أنه رافقهما بنفسه إلى جاجزين كما يتحقق من صحة رسالة « الملاك الحارس » ، وهناك أصر السيد سيوروتا على أنه اشترى هذا المعطف من السيد لاسوتا كما سبق أن قال، فتوجه صاحب التقرير إلى قاضي المدينة فأخبره بأن سلفه كان قد مات فعلاً بمرض السل الرئوي ، ولكنه لا يعرف شيئاً عن ملابسه التي تسلمها أقاربه فيما يعتقد، ونصحه بأن يتصل بتاجر للملابس المستعملة يدعى بوراك فونكونوجي Boruch Fonkonogi فقال له إنه فعلاً اشترى جميع ملابس القاضي المتوفى فيما عدا المعطف (وكان من الفراء) فقد اشتراه السيد إيزلوما سيوروتا . وإذ عرضناه عليه أكد أنه هو بالذات المعطف الذي شاهده في مخلفات هذا القاضي ولم يتوصل إلى الحصول عليه ،

هذا ما ثبت في مضابط الجمعية ، وعلى ذلك تعليق الأستاذ زويه ريتشموند صاحب المؤلف المشار إليه آنفاً . « هذا الشبح يجابهنا بنقطة جديدة دقيقة، إذ أن الشخص الذي رآه لم تكن لديه أية فكرة عنه ، وكان من الممكن نسيان الحادث على أنه مجرد هلوسة لو لم يتكرر حدوثه ثانية أمام شاهد عيان آخر . لذلك فإنه من العسير جداً تفسيره على أساس من التلباثي Telepathic basis وأبسط تفسير هو قبوله على علاته ، إلا إذا قدرنا أن

الوقائع كانت معروفة لدى العقل الاسمي Super-Conscious mind للشخص صاحب الرؤية ، وأنه لم يكن بوسع الوصول إليها إلا على هذا النحو
وبما يؤسف له أن التاريخ لم يسجل ما إذا كان يوجد فعلاً موظف حكومي بذلك الاسم توفي في مدينة ليوفيتشي Lipowice في التاريخ الذي حدده أم لا ، وحتى إذا وضحت هذه النقطة فسيكون علينا أن نعلم لم أعطى مهمة حراسة السيد فنسنت

* * *

الرواثة الثانية : (عن مضابط « جمعية البحث الروحي » المجلد الواحد والثلاثين ص ٢٥٣) : نظمت السيدة بيدون Beadon جلستين روحيتين للسيدة للى تالبوت Lily Talbot مع الوسيطة السيدة ليونارد ، الأولى منهما في الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم السبت ١٧ مارس سنة ١٩١٧ والثانية في يوم الإثنين ١٩ منه . ولم تكن السيدة ليونارد تعرف اسم السيدة تالبوت ولا عنوانها ولم يسبق لها رؤيتها .
وفي يوم الإثنين أعطت الروح المهيمنة واسمها فدى Feda وصفاً صحيحاً للغاية لشكل زوجها المتوفى ، وكان زوجها يحاول - كما قالت - أن يثبت لها شخصيته وأن يؤكد لها أنه هو بعينه ، إلى حد أنها اقتنعت تماماً بذلك . وقد ذكر لها على لسان الروح « فدى » حوادث من الماضي لم تكن معروفة لأحد غيرهما وأشار إلى ممتلكات خاصة قليلة الأهمية ، ولكن كان لها إعراز خاص عنده

وبخانة بدأت فدى تصف كتاباً معيناً قائلة إنه مصنوع من الجلد غامق اللون يتراوح طوله بين ثمانى وعشر بوصات وعرضه بين أربع وخمس بوصات ، وأنه ليس مطبوعاً . فتذكرت الجليسة مفكرة جلدية حمراء اللون تخص زوجها المتوفى وكان يسميها « دفتر الأحوال » . فطلبت الروح المهيمنة منها أن تفتح صفحة ١٢ أو ١٣ منه ، إذ أن زوجها يسر جداً لو وجدت الفقرة المطلوبة هناك ، وأخذت تشدد عليها في الاهتمام بذلك .

ثم أضاف قائلة إن زوجها غير متأكد من اللون فإنه لا يذكره فهناك كتابان « ولكن ستعرفين الكتاب المطلوب برسم يائى للغات على غلافه ، وتلا ذلك ذكر سلسلة من الكلمات المتعاقبة من لغات الهندو - أوروبيين والآريين والساميين وغيرها وكررتها مراراً كثيرة ثم قالت « هناك أيضاً سطور غير مستقيمة تمتد من الوسط إلى الجانبين ، ثم قالت « إن هناك جداول للغات العربية والسامية ، ثم أكدت الروح المهيمنة على الوسيطة من جديد قائلة للجلسة « انظري الصفحة الثانية عشرة أو الثالثة عشرة بعد هذه المحادثة ، فهناك شيء يهمه جداً ويريد أن تعديه بتحقيق طلبه ، »

وتقول السيدة ليلي تالبوت إنها فى اليوم التالى بحثت فى منزلها فوجدت دفترأ لزوجها لم تتصفحه من قبل ، لون غلافه من الجلد الأسود الكالح يطابق حجمه الحجم الذى حددته الوسيطة ، فوجدت فيه ورقة عبارة عن جدول عام للغات الآرية والهندو - أوروبية ، ومطابق للوصف الذى أعطته الروح المهيمنة فدى ولم تكن تعرف عنه شيئاً .

كما وجدت فى الصفحة ١٣ ما يلى من مذكرات زوجها المتوفى : -
« اتضح لى من همسات معينة خيل لقائلها بأنى لا أسمعها ومن نظرات حب استطلاع غريبة تراءى لأصحابها بأنى لا أراها بأنى على وشك الموت . .
وفى الحال بدأ عقلى يشعر بسعادة ليست على وشك الوقوع بل هى حقيقة واقعة ، فقد رأيت أشباحا كنت قد نسيت أشكالها ، منها أصدقاء طفولة وزملاء مدرسة . وأصدقاء لى من أيام شبابى وشيخوختى رأيتهم جميعهم يتسمون لى ، ولم تكن ابتساماتهم ابتسامات شفقة لم أكن أشعر بالحاجة إليها ، بل كانت نظرات حنان متبادلة بين أشخاص ينعمون بنفس السعادة .
لقد رأيت والدتى ووالدى وشقيقتى الذين سبقونى فى الموت . لأنهم لم يكلمونى بل شملونى بعطفهم الذى لم يتغير ، وقرب الوقت الذى ظهروا فيه إلى بدأت أحدد حقيقة موضع جسدى ، أى جاهدت أن أربط بين روحى وجسدى الذى كان يرقد على السرير فى منزلى ، وفشلت المحاولة .

أما عن الرسم البياني فقد تبين أن به خطوطاً تمتد من الوسط إلى الخارج كما ذكرت الروح المهيمنة .

هذا ما ثبت بمضابط «جمعية البحث الروحي» بلندن، ويلاحظ أن جميع الوقائع التي ذكرتها الوسيطة للسيدة ليلي تالبوت، لم تكن معلومة منها، ولا من أحد من الحاضرين . وقد ثبتت صحتها فيما بعد، مما تعجز تماماً عن تعاليله نظرية انتقال الأفكار أو التلبأى .

والنظرية الروحية تعطل مثل هذه الوقائع الثابتة تعليلاً كافياً . فروح زوجها وحدها كانت تعلم هذه الوقائع وقد أرادت أن تثبت شخصيتها بأدلة لا تدحض، كما كان الزوج المنتقل حريصاً على أن تقرأ زوجته ما سطره لنفسه بنفسه عن الرؤيا التي رآها قبيل انتقاله بأيام، والتي كتبها في «دفتر أحواله» كمادته في كتابة مذكراته اليومية، ثم تذكرها بعد انتقاله إلى هناك، فأراد من زوجته أن تطلع عليها حتى تطمئن وتتعزى بعد افتراقهما بالافتئاع . بأن الموت مجرد انتقال للإنسان من حياة إلى حياة أخرى أكثر منها سعادة .

* * *

الوافة الثالثة (عن مضابط «جمعية البحث الروحي» المجلد السادس والثلاثين ص ٣٠٧) : أرسلت الوسيطة السيدة ليونارد إلى السيدة كاتي داوسن سميث Katie Dawson Smith خطاباً تقول لها فيه «أبلغتني فدى (روحها المهيمنة) أن زوجك (المتوفى) يقول لك هل معك مفتاحي الصغير؟ إنك كنت ممسكة به في المرة السابقة، وأنتك عندما كنت تتحركين هنا وهناك كنت تمسكين به . وكان هناك «كيس» قديم ولكن أرجو أن تجديه بأية حالة كان قديماً ممزقاً متسخاً، مندساً بين أشياء كثيرة . هو يعرف أنه في حوزتك ويرجو أن تجديه . إنه يدعو «كعب إيصال» ففتشى عنه، فإن ذلك يهيمه جداً ويعلم جيداً أنه معك وهو بجوار ورقة مغلقة طويلة . وقد لاحظت ذلك عفواً وهو يقول إنه مهم جداً .

وبعد إرسال نتيجة الجلسة إلى سير أوليفر لودج بتاريخ ١٥ يناير

سنة ١٩٢١ أكدت مسز داوسن سميث بأن المعلومات صحيحة . وبعد مضي أربع سنوات ظهرت أهمية الواقعة فضلاً عن صحتها، فحررت إلى سير أوليفر لودج خطاباً بتاريخ ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٤ ملخصه أنها تلقت خطاباً من مكتب تصفية ديون الأعداء يطالبها فيه بمبلغ مسنق على زوجها المتوفى لحساب مؤسسة هامبورج منذ يولية سنة ١٩١٤ قبل الحرب العالمية الأولى. وكانت تعلم جيداً أن زوجها سدد هذا المبلغ قبل وفاته، ولكن لم يكن لديها الدليل المادى على ذلك ، وعندئذ تذكرت رسالة روح زوجها إليها عن طريق الوسيطة ليونارد منذ أربع سنوات ، فلما بحثت عن الكعب القديم تبين لها أنه يحوى كعب الإيصال المطلوب والذي يفيد السداد، وفعلاً أقر محاسب المؤسسة بسبق حصول السداد وأرسل إليها اعتذاره لإزعاجها، وتأكده بأن الموضوع أصبح منتهاً .

رجلى أن المكان الذى كان الزوج المتوفى يضع فيه إيصال السداد لم يكن أحد يعرفه على الإطلاق من الأحياء ، فلا محل للقول بأن الوسيطة عرفت عن طريق التلبأى . هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنه وقت ورود الرسالة الأولى من روح الزوج فى سنة ١٩٢١ لم يكن أحد يتوقع هذه المطالبة غير المنتظرة من مكتب تصفية ديون الأعداء، ولم يطلب أحد من الوسيطة رلاً من الروح المهيمنة شيئاً فى هذا الصدد، بل وردت هذه الرسالة من تلقاء نفسها ، ثم ظهرت خطورة الموضوع بعد حوالى أربع سنوات من ورود هذه الرسالة ، ولذلك كله أهميته البالغة فى نفي إمكان تعليل مثل هذه الواقعة بالتلبأى .

* * *

الواقعة الرابعة رسائل نظرية التصميم بطرق وساطية معترف بها
(عن جريدة جمعية البحث الروحى، S. P. R. Journal المجلد السادس والعشرين ص ١) . كتبت السيدة نباوكر Nea Walker قائلة : فى شهر أغسطس من هذه السنة (١٩٢٩) وصلنى خطاب من الوسيطة السيدة ليونارد Leonard تخبرنى فيه عن كارثة صغيرة ألمت بها وتعزو حدوثها إلى أنها لم تعر التفاتاً إلى تحذير وصلها من فدى Feda (روحها المهيمنة) . والتحذير كما يحدث

ويستشهد الأستاذ زويه ريتشموند في مؤلفه الآنف الإشارة إليه بأمثلة متعددة جمعتها السيدة | و. فيرال A. W. Verrall في كتاب لها عنوانه «ظواهر الغيبة عند السيدة طومسون في مضابط جمعية البحث الروحي»^(١) . ومن هذا الاستشهاد يقدم ريتشموند خمسة أنواع من المعلومات، كتبت عنها السيدة فيرال Verrall تقول : «إن الحالات الخمس التالية متقاربة والمعلومات التي تحويها أمكن إيصالها إلى الخواص بواسطة قريب متوف للوسيط ، والمعلومات التي وصلت أولاً في إحدى الجلسات كانت متناثرة وغير متناسقة حتى صعب تفسيرها ، لذا أعيدت تلاوة جميع المعلومات التي جمعت في هذه الجلسة جملة جملة في جلسة ثانية ، وكانت نيللي Nelly (الروح المبهمة) تقرر بعد كل مقطع ما إذا كانت هذه الجملة صحيحة أم لا ، وصحا تشير إليه . وبذلك تمسكنا من الاستدلال على معاني الأفعال الصادرة من الوسيطة التي كانت في غيبة ، وبعضها كان معروفاً إلى السيدة ، ١ ، «الجلسة التي قررت أنه حقيقي وبعضها كان غير معروف لديها ، وكان عدد الوقائع ستاً ، واحدة منها بدت غير صحيحة من أصلها والخمس الأخريات نسردها فيما يلي : —

(١) ذكرت الوسيطة أن للسيد « ١ » قرية كبيرة السن وسيدة فادرة في مقدرة شغل «التريكو» ، وأن هذه السيدة اعتادت أن تحمل دائماً سلة مستديرة الشكل لشغل «التريكو» ، وكان يحتوى على ربطة لزينة رأسها يمكنك أن تسميها « طاقية » (top - knot) ولقد كانت السيدة « ١ » على صلة وثيقة بقرية لزوجها كبيرة السن اشتهرت بأشغال «التريكو» ، ولكن لم ترها قط تحمل شيئاً لشغل «التريكو» ، أو أى شيء آخر لغطاء الرأس حفظته في سلة ما . والسيد « ١ » لم يتمكن من أن يفسر لنا شيئاً أكثر بخصوص هذه الواقعة ، ولكن شقيقات السيد « ١ » عند سماعهن هذه الواقعة ذكرن أن تلك القرية كان شعرها خفيفاً عندما بلغت وسط العمر ، وأنها قبل أن تعرفها السيدة « ٢ » بغطاء الرأس المألوف عندها كانت تلبس شبكة شعر

The Trance Phenomena Of Mrs. Thompson In S. P. R. (١)
Proceedings.

سوداء على رأسها ، وكانت قريباتها الشابات يطلقن على هذا الغطاء اسم
« الطاقية » ، وكانت تحملها في سلة مستديرة الشكل « للتريكو » .

(٢) ذكرت الوسيطة أن والددة السيد « أ » ، المتوفية كانت على صلة
بزوجة ضابط بحرى متقاعد « ويمكنك التأكد من هذه الواقعة » . واقد
كان من المعروف للسيدة والسيد « أ » ، أن والددة السيد « أ » ، لم يكن لها إلا
أصدقاء قليلون مقربون لها ، ومن بينهم كانت السيدة « س » ، التي لم تعرف
السيدة « أ » ، شيئاً عن وظيفة زوجها ، إذ أن السيدة « س » ، كانت أرملة عند
ما تعرفت بها السيدة « أ » ، وأضاف السيد « أ » ، قائلاً بأن الزوج كان يدعى
القبطان « س » ، ولكنه كان يظن أنه ضابط في الجيش ، ولكن شقيقات
السيد « أ » ، عرفن بأنه كان قبطاناً في البحرية واستقال من عمله قبل أن
يتزوج ، وأضفن إلى ذلك بأن قلن بأن أرملة القبطان « س » ، كانت هي
السيدة الوحيدة خارج أفراد العائلة التي زارت أمهن أثناء مرضها الأخير .

(٣) ذكرت الوسيطة أن والددة السيد « أ » ، كانت ترتدى « شالا » ، من
الصوف الأبيض وبأن « الشال » ، لا يزال في منزل زوجها ، إنه هنا في بيتك
يا مسز « أ » ، وليس في المنزل الآخر . ومن الغريب أن السيد والسيدة « أ » ،
كليهما لم يتذكرا البتة أى شيء عن ذلك « الشال » ، بل أن السيدة « أ » ، أكدت
بأنها لم ترَ مطلقاً حاتماً تلبس « شالا » ، من الصوف الأبيض ، ولكن كريمتها
أكدن أن والدتهن كانت تلبس في المساء « شالا » ، من الصوف الأبيض
عند ما كن أطفالاً وقبل أن يتعرف شقيقهن بزوجه ، و« الشال » ، لا يزال في
منزل الزوج . وبما أن « الشال » ، كانت له ذكريات خاصة لكريمت
المتوفاة فقد احتفظن به . وربما تثار نقطة جدل بأن يقال بأن سيدة أخرى
في مثل عمر والددة السيدة « أ » ، كانت تلبس « شالا » ، من الصوف الأبيض
أيضاً ، ولكن بالطبع لا يمكن أن يقال إن « شالا » ، كهذا لا يزال في منزل
السيدة الأخيرة .

(٤) ذكرت الوسيطة أن هذه السيدة نفسها كانت تربط هذا «الشال» بدبوس «بروش» أعطى وصفه بالتفصيل ، فقليل بأن البروش كان يشبه في طوله «بروش» آخر كانت تلبسه السيدة طومسون في ذلك الوقت ، ولكنه لا يوازيه في الارتفاع ، إنه كان طويلاً ويحليه شغل ذهبي حوله وشفائر من الشعر خلفه ، وطلب من السيدة «١» بأن تسأل السيدة البدينة ، عن ذلك «البروش» ، ولكن السيدة «١» لم تعلم شيئاً عن هذا «البروش» حين كانت تعلم عن «روشين» آخرين لا ينطبق عليهما هذا الوصف .

ولكن كريمةاتها ذكرن أنه كان هناك «بروش» ينطبق عليه تماماً هذا الوصف، إلا أنه لم تكن به شفائر الشعر من الخلف، وكان «الفص» مصنوعاً من حجر الياقوت الأخضر وكانت تلبسه والدته عند ما كن أطفالاً ، كما أن شقيقتن الكبرى لبسته من ثلاثين سنة ، وسألت السيدة «١» ماذا سيتم بخصوص الاقتراح الخاص بسؤال «السيدة البدينة» عن «البروش» . وقد كانت تظن أنها تعنى بالسيدة «الأكثر بدانة» الشقيقة الصغرى التي كانت في الحقيقة أنحف من شقيقاتها ، وبدا أنه ليست لها أية علاقة «بالبروش» .

ولكن اتضح لها أخيراً أن «البروش» كان مع قطع ذهبية أخرى من المصوغات كانت محفوظة في درج غرقها منذ وفاة والدتها . وتحت هذه العوامل سألت السيدة «١» السيدة «الأكثر بدانة» عن «البروش» وبالحديث عثر عليه محفوظاً كما كان منذ أن وضع منذ ست أو سبع سنوات ، ووجد أنه محلي بصفيرتين مختلفتين من الشعر الأسود والرمادي، وكان حجر الياقوت الأخضر اللامع مركباً على قطعة من المعدن وكان يبدو براقاً .

(٥) قررت الوسيطة أن والددة السيدة «١» كانت سيدة مبالغة للتنسيق والنظام ولذا احتفظت بدفتر إيصالات لا يزال موجوداً بمنزل زوجها ، وكان به إيصالات خاص بجانب إيصالات المصروفات اليومية هو إيصالات دواء لدهان (م ٢٥ — الإنسان روح)

الشعر والبشرة ، وكانت السيدة « ١ » ، تعرف أن حماها تملك مثل هذا الدفتر ولكن لا تعلم شيئاً عن محتوياته ، وكان السيد « ١ » ، وشقيقاته يعلمون عنه كذلك ، وأكدوا أن والدتهم استعملت نفس الكلمة التي قالتها الوسيطة اسماً لدواء الشعر ، ولكنهم لم يعلموا شيئاً عن ذلك الإيصال .

وقد عثر على الدفتر وكان مكتوباً عليه من الجهتين ، وكان له كذلك فهرست ، ولكن لم توجد في الفهرست أية إشارة عن إيصال دهان الشعر ، ولكن لما لمست الشقيقات من صحة معلومات السيدة طومسون الخاصة « بالبروش » أعدن التفتيش بدقة في دفتر الإيصالات للعثور على إيصال دهان الشعر المذكور ، وأخيراً وجدن أن الإيصالات الخمسة الأخيرة لم تدون في الفهرست ، وكان من بينها إيصال من أحد الأطباء لدهان الشعر . وكان من المؤكد أن دفتر الإيصالات هذا لم يخرج من بيت صاحبه إطلاقاً ، كما أن السيدة طومسون لم تدخل عتبة هذا المنزل . وكان الإيصال في وسط الدفتر ، ولكن كان من الصعب لأي شخص تحليل السبب في عدم إدراج هذا الإيصال في الفهرست ، حتى أولئك الذين سمح لهم وقتهم بالبحث في هذا الشأن .

وفي هذه الوقائع يلاحظ الأستاذ ريتشموند أن ثمة نقاطاً متشابهة وأخرى مختلفة ، لجميع الحالات تتفق فيما يلي :

أولاً : أن المعلومات لم تكن معروفة على الإطلاق للجلسة السيدة « ١ » .
ثانياً : من المؤكد أيضاً أن هذه المعلومات لم تكن معروفة في العقل الواعي للجلس الثاني السيد « ١ » .

ثالثاً : من المؤكد أن المعلومات كانت معروفة لتلك السيدة المتوفاة ، ومنها حصلت نيللي (الروح المهيمنة على الوسيطة) على تلك المعلومات .
وفي الحالتين ١ و ٢ : من المرجح أن السيد « ١ » ، كان يعلم بطريقة ما شيئاً

عن غطاء الرأس ، وعن وظيفة القبطان د س ، ، كما بدا أنه كان قد رأى
« الشال » الأبيض من الصوف .

وفي الحالة الثالثة : لم يكن يعلم أن « الشال » لا يزال موجوداً للآن ،
وفي الحالة الرابعة : إذا كان قد رأى « البروش » وهو طفل فإنه لم يكن
يعلم حينذاك شيئاً عن صفات الشعر السوداء التي خلف « البروش » ، ومن
المؤكد أنه لم يكن يعلم أنه في حيازة شقيقته الصغرى .

وفي الحالة الخامسة : لم يكن السيد « ا » ، عالماً بوجود دفتر الإيصالات ،
أو يمكن التأكيد أنه لم يطلع عليها ، وأكثر المعلومات كانت معروفة
لأشخاص آخرين أحياء .

وإذا كان يمكن إيصال هذه المعلومات بطريقة ما من الأحياء إلى
الوسيلة كانت هذه الطريقة بحاجة إلى إثبات . وهؤلاء الأحياء لم يكونوا
معروفين للسيدة طومسون ، وهم شخصياً لم يكونوا عالمين أن هناك إشارة قد
صلت إلى أقاربهم أو أصدقائهم حتى تتجه خواطرم نحو ذكريات أقاربهم
المتوفين ، علاوة على أن المعلومات لم تكن معروفة بأكملها إلى هؤلاء
الأشخاص الأحياء البعدين ، والشخص الوحيد الذي كان على علم بها كلها
هو السيدة المتوفاة نفسها . وإذا كانت الاختبارات التي من هذا القبيل كثيرة
بهذا الشكل ، فإنه من الصعب ألا نستنتج بأن مصدر المعرفة هو بالأحرى في
وعى الشخص المتوفى الواحد الذي يعرف كل المعلومات بدلا من أن يكون
موزعا على وعى إناس كثيرين . . .

* * *

وفي باقى فصول هذا الباب — السابقة واللاحقة — ماينى تماماً إمكان
تعليل أى من الظواهر الوساطية الصحيحة بالتلباتى، خصوصاً منها الظواهر
الفيزيائية ، وأخطرها إطلاقاً ظاهرة تجسد الأرواح التي عرضنا لها في
الفصلين الأول والثانى ، وظاهرة الصوت المباشر وغيره من الظواهر التي
عرضنا لها في الفصل الثالث، ثم ظاهرة العلاج الروحي التي سنعرض لها في الفصل
المقبل، ثم باقى الظواهر العلية والأدوية الحاسمة التي ستتعاقب تباعاً فيما بعد .

الفصل الخامس مارشال الطيران لورد دودنج يصبح من أقطاب الروحية الحديثة

بعد مارشال الطيران لورد دودنج Lord Dowding من ألمع الأسماء في تاريخ بريطانيا الحربى ، فقد قاد بمهارة المعارك الجوية خلال الحرب العالمية الثانية ، ويسند إليه البريطانيون فضل إنقاذ بلادهم من الغارات الجوية ، ومن الغزو الذى كان يتهددها بشكل مباشر فى عامى ١٩٤٠ ، ١٩٤١ من جانب الأسطول الجوى الألمانى وهو فى عنفوان جبروته . وعندما يذكرون فضل قائدهم دريك Drake الذى أغرق أسطول الأرمادا ، وفضل نلسون الذى أغرق أسطول نابليون ، فإنهم يذكرون بنفس المقدار فضل المارشال لورد دودنج هذا .

فمن يصدق أن هذا القائد الكبير يجد من مشاغله وقتاً كافياً لبحث فيه موضوع الأرواح ، كما يواصل اتصالاته بها أثناء الحرب ، وتحت وابل من القنابل المتساقطة فى كل مكان ؟ . . نعم لقد حدث هذا بالفعل وأكدته بنفسه فى مؤلفاته التى ظهر أولها فى سبتمبر سنة ١٩٤٥ ، أى فى أعقاب الهدنة مباشرة تحت عنوان « بوابة الجحش »^(١) ، وظهر ثانياً بعده بفترة وجيزة تحت عنوان « منازل كثيرة »^(٢) ، ثم ظهر له مؤلف ثالث تحت عنوان « السكوكب المظلم »^(٣) ، ورابع تحت عنوان « سحر الآلهة »^(٤) .

وفى هذه المؤلفات يعرض دودنج خلاصة تجاربه التى واصلها لمدى سنين طويلة ، وعندما كان من أهدافه الرئيسية محاولة الاتصال بأرواح ضباطه وجنوده من قتلى الطيارين فى الحرب العالمية الماضية ، ويقول إنه قد اتصل

Lychgate.

(١)

Many Mansions.

(٢)

The Dark Star.

(٣)

Gods' Magic.

(٤)

بعدد منهم فعلا وحصل على معلومات قيمة كثيرة أفادته في توجيه دقة المعركة ، التي كانت بالنسبة لبلاده معركة بقاء أو فناء .

كما يقول في الفصل الأول من كتاب « بوابة الجثث » ، إنه قد حصل على يقين كامل لا يمكن أن يزعه شيء ، وإن من بين أسباب يقينه أنه على اتصال مستمر بروح زوجته وعدد من أقاربه وأصدقائه من انتقلوا إلى المرحلة التالية من الحياة ، وأنه بالإضافة إلى ذلك قد اكتسب أصدقاء جدداً من عالم الروح لم يشاهدهم من قبل على الأرض ويعتبرهم من أعز معارفه وأوثقهم صلة . . .

وكان اقتناعه من البيانات التي حصل عليها تماماً إلى حد دفعه لأن يكرس بقية حياته لهذا البحث ، فيصبح من أشهر أقطابه الأحياء ، وإلى حد أنه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وهو يحاضر في هذا الموضوع من حين إلى آخر في الإذاعة البريطانية . كما أخذ يعقد الجلسات العامة للاتصال بالآرواح في قاعة من أكبر قاعات لندن وهي كنجزواى هول ابتداء من يونيه سنة ١٩٤٦



لورد دودنج

وكان الوسيط الروحي فيها هو ارلى فلنت Leslie Flint وسيط الصوت المباشر ، وفي حضوره يسمع في كل جلسة عدد من الحاضرين أصوات طائفة من معارفهم عن سبقوهم إلى عالم الروح تخاطبهم بصوتها المباشر خلال الميكروفون ، وتتعاقب عليه في سرعة عجيبة ، فتتعاقب معها الأصوات واللغات واللهجات ، وتدل كل منها بمعلومات خاصة لا يعليها إلا بعض أقارب الروح من الموجدودين . وتدون محاضر دقيقة لهذه الجلسات

تنشر في المجلات الروحية المعروفة مثل «السايكك نيوز» و«السايكك أوبرفر»

وغيرها . . . فهل تفضل أحد من السادة المعارضين بالاطلاع عليها قبل التصدي بالمعارضة ؟ . . . وهل لأحد منهم تعليل مقبول يقدمه لدحض هذه الظواهر يضاهي في قيمته التعليل الروحي ؟ . . .

ومن ضمن الوساطات الروحية التي امتحنها لورد دودنج وتحقق منها بنفسه وساطة العلاج الروحي ، وقد تعرض لها في الفصل الثامن من مؤلفه « بوابة الجثث » مبيناً السبل المختلفة التي يتم بها هذا العلاج ، وذاكراً أن الأرواح تعالج المرضى بأساليب متعددة وهي :

أولاً : شفاء عن طريق صلاة المريض وابتهاله إلى الله تعالى ، وهو أسهل صور العلاج الروحي ، وقد شاهد ذور الجلاء البصري في جلساته وسائل غير منظورة تمتد لمعاونة جهود المصلين .

ثانياً : أرواح تتولى تشخيص المرض مستخدمة إشعاعات سينية (أشعة إكس X) تمكن الوسيط من رؤية موطن الإصابة أو الداء ووصفه للطبيب البشري المعالج .

ثالثاً : أرواح تشخص المرض مباشرة ثم ترك العلاج للطب البشري العادي .

رابعاً : أرواح تشخص المرض ثم يتولى الوسيط العلاج بلبسات بالأيدي أو بحركات أخرى منه .

خامساً : أرواح تشخص المرض ثم تعطى وصفة علاجية من الصيدلية .

سادساً : أرواح تشخص المرض ثم تتولى هي العلاج بالأضواء والألوان .

سابعاً : علاج غيابي يتم بعلم المريض والطبيب المعالج أو بدون عليهما .

ثامناً : علاج غيابي يزور الوسيط فيه المريض وهو في جسده الأثيري .

ثامناً : علاج عن طريق مياه محملة بـ *spiritually* روحيات

charged waters كما يحدث في قرية لورد (مزار فرنسي بجبهة جبال البرانس

حدثت فيه - ولا تزال تحدث - معجزات علاجية كثيرة سجلتها عدة لجان

من الأطباء الكبار في تقارير رسمية) .

عاشراً : علاج تتولاه أيد متجسدة لأرواح بأجهزة طبية بشرية
(وسنقدم نماذج منه في الفصل المقبل) .
هادى عشر : علاج مفناطيسى يحتفى فيه العنصر الروحى فى الظاهر فقط
لا فى الواقع .

ويعقب المؤلف على ذلك قائلاً : لو أنى كنت طبيباً بشرياً لأخذنى
الذعر عند قراءة هذا الكلام ، ولتذكرت حكاية طبيب معالج تلقى طلباً
بالتليفون وهو يتناول طعامه فقام مندفعاً يرتدى معطفه فسألته زوجته عن
الخبر فأجابها : إن السيدة جواز تطلبنى لأن ابنها الصى جرح إصبعه ، فلما
أرادت أن تستعمله حتى يتم طعامه بحجة أن الحالة ليست عاجلة أجابها وكلا
لا يمكننى الانتظار يا عزيزتى لأن السيدة جواز اشترت كتاباً فى الإسعافات
الأولية وأخشى أن تبادر إلى إسعاف الصبي قبل أن يكون لي فضل إسعافه ،
ثم يقول إن عدد المعالجين الروحانيين فى هذه البلاد يتزايد يوماً
وليسوا جميعاً فى مستوى واحد من ناحية إنكار الذات ومن ناحية الفائدة
التي يقدمونها للمرضى . وهى مسألة طالما شغلت مجمع الأساقفة لأنها فى الواقع
مسألة شائكة لأن الوسيط المعالج الذى يأخذ على عاتقه أن يتدخل بالنصيحة
أو بالعمل فى علاج يجريه طبيب قادر إنما يتحمل فى الواقع مسؤولية كبرى ،
وقد يوقع نفسه تحت طائلة العقاب ...

لكن من الجلى أن التشخيص والعلاج الروحانيين - متى أمكن الجمع
والتوفيق بينهما وبين العلاج الطبى العادى - لا محل لأن يكونا موضع
نقد من أحد . فكثير من أساليب العلاج الروحى التي سبقت الإشارة إليها
يمكن الجمع بينها وبين العلاج الطبى العادى ، متى لوحظ أن المريض الذى يعالج
روحياً لا يطلب منه الامتناع عن علاجه العادى أو تجاهل نصائح الأطباء .
فبتطبيق ذلك على الوسائل الأنفة الذكر نرى أن أحداً لا يمكن أن يعترض
اعتراضاً جدياً على أن يضع الوسيط يده على المريض ، وإن أسوأ ما يمكن
أن يعترض به الماديون على هذا العمل هو أنه عديم الجدوى .

والطريقتان الثانية والثالثة تتضمنان بذاتهما ضرورة مساهمة العلاج الطبي العادى فيهما .

أما الطرق الرابعة والخامسة والسادسة فإنها تتطلب من الوسيط أن يكون حذراً ، حتى لا يتعارض علاجه مع العلاج الطبي المستقر ، اللهم إلا حيث تكون الحالة ميثوساً منها وقد تخلى عنها الأطباء .
أما عن الطريقتين السابعة والثامنة فلا يمكن أن يدينهما أى نظام مشروع ، مالم يسلم كقاعدة أساسية باستحالة الاتصال بالأرواح .

أما عن الطريقة التاسعة فتبدو صحيحة دائماً ، ولم أسمع بعد من أى إنسان أنه اضطهد بسبب أنه ذهب إلى مزار قرية «لورد» Lourdes .
لكن يمكن بسهولة أن أتصور اعتراض البعض على استعمال أدوات جراحية بوساطة أيدي متجسدة لأرواح ، ولو أن الصعوبات التى تعوق نجاح علاج كهذا تبدو واضحة .

أما الطريقة الحادية عشرة ، وهى الخاصة بالعلاج المغناطيسى فهى خالية من طابع العدوى الروحية ، وهى لذلك قد تغرى بعض الماديين بفحص ظواهرها التى يمكن إخضاعها لأساليب الفحص العلى ، لأنه يمكن تكرارها عند الطلب فى ظروف معملية .

ثم يقول المؤلف عن دائرته العلاجية الخاصة . «لأننى أكتب بحرج كبير فى الموضوع لأننى لا أعلم إلا بصعوبة ما تقوم به فى هذه الدائرة العلاجية . فلسنا نحن المعالجين ، ولو أننا نساهم بحسب بنصيب من القوة فى اهتزازات الموجات الأرضية فتختلط بالاهتزازات العليا وتوجد بذلك خليطاً يستعمل فى أغراض العلاج .

والصيل كما أفهمه هو هذا : نعطى المعالجين الروحيين اسم شخص مريض فيتولون شخص هالته وجسمه الأثيرى^(١) . وكل اعتلال فى الصحة يقابله تغير فى لون أحد هذين الشيتين أو فى كليهما . ثم نستمع بعدئذ لما ينبغى علينا

(١) لنا عودة تفصيلية فى الفصل الثامن إلى الكلام فى الجسد الأثيرى والمالة .

أن نفعله . ثم تعلينا أن نبنى معاً وفي وقت واحد أقوى ما نقدر عليه من صور ما يسمى « باللون الفسكى » .

وقد يظهر في لحظة ما بريق ضوء خافت ، أو هالة من الضوء يقف المريض فيها ، أو يتساقط عليه مطر من الضوء كالألغام النارية ، أو غلاف من الضوء تغلف به الأعضاء العليلة . والأضواء المستعملة غالباً ما تكون ذهبية اللون أو فضية أو خضراء أو صفراء أو زرقاء فاتحة أو قاتمة أو وردية . ويعيد العلاج الروحي اللون المغيب في الجسد الأثيرى إلى حالته الطبيعية ، وهو ما يؤثر بدوره في الجسد الفيزيقي أى المادى — لاعلى الفور — بل بعد فترة قد تمتد إلى شهور .

وهذا العمل دفعنى إلى أن أحقق بجلاء معنى عبارة أن « الفكر حقيقة واقعة » التى يرى البعض أنها مجرد مثل جار بلا مغزى . بل إن الفكر على العكس من ذلك شىء ينبغى اعتباره وتقديره إلى حد يدعو إلى العجب والحيرة . فقد حدث ذات مرة أن طلب إلينا أن نتخيل فى أذهاننا ركبة لساق جريحة مربوطة فى أربطة بيضاء وهمية . وقالت لنا الروح . ل. ل. « إن أحدكم يفكر فى المادة التى نأخذ فى إحاطة الركبة بها ، إن الركبة المريضة لا تحتاج إلا لهذه المادة كيما تلف بها فى رفق قشقى » . وكان ذلك صحيحاً فقد كنت أتصور المادة التى كانت تحاط بها الركبة كما لو كانت أربطة تلف فيها .

وفى مناسبة أخرى كنا نشاهد كرة فضية مضيئة فقالت الروح وكلا يادىرى إنك تفكرين فى اللون الأخضر ، بل فكري فى لون فضى متألئى ، فأجابت ديزى بأنها كانت تفكر بالفعل فى لون حلية من حلى شجرة عيد الميلاد تمتاز بلون أخضر خاص بها إن ذلك يبدو مثيراً بعض الشئ ، ولو أن الفائدة ليست مضمونة دائماً بقدر ما يمكننا من الحكم ، إلا أنه يبدو أن أغلب الحالات قد استفادت من هذا الأسلوب فى العلاج وكان بعضها واضحاً فى نتيجته .

ثم يستطرد المؤلف « إنى لست فى مركز من يثبت أن ليس ثمت شىء مما حدث لا يمكن تعليله بالمصادفة ، لكنى واثق من أننا لم نلحق ضرراً بأحد ،

كما إنى أومن عن يقين ثابت أننا ربما نجحنا فى حوالى ٢٥ ٪ من الحالات فى الحصول على الشفاء الذى ما كان ليحدث لولا تدخلنا . وذلك رغم أنى أكتب بتحرج كبير كما قلت ، ورغم أنى لم أطرق الموضوع إلا لأنى شعرت أنه ليس من الإنصاف فى شىء أن أكتب فصلا عن العلاج الروحى وأنجاهل فيه كل وصف لتجاربنا الخاصة مما كانت هذه التجارب محدودة .

* * *

وهذا الذى كتبه دودنج ليس بجديد فى البحث الروحى ، إذ العلاج يعتبر من أهم موضوعاته ، وفيه مؤلفات كثيرة ، وشهد بصحته أطباء كبار شهادات مؤيدة بالوقائع والأسماء والصور والإحصاءات ، وذلك إلى الحد الذى دفع الجمعية الطبية البريطانية ، فى سنة ١٩٥٦ إلى الاعتراف بصحة العلاج الروحى ، كما فتحت مستشفيات متعددة أبوابها للوسطاء المعالجين .

وإلى الحد الذى دفع المعهد الدولى لما وراء الروح ، فى باريس أن يشكل لجنة خاصة دائمة — هى اللجنة السابعة من لجان المعهد — مهمتها متابعة أعمال الوسطاء المعالجين للتمييز بين الصادقين منهم وغير الصادقين^(١) . كما جرت فى العلاج الروحى تجارب ناجحة كثيرة فى بلادنا . ومع ذلك فإن من لا يروقه الموضوع يخجل لإيهم أنهم إذا نطقوا كلمة إيحاء أو استهواء أو أوهام فقد أرفوا الموضوع حقه وألزموا معارضتهم الحجة ، دون أن يتهموا أنفسهم بعدم الاطلاع أو بالتسرع فى الحكم . على أن من حق القارىء أن يؤجل حكمه على موضوع العلاج الروحى — بالأقل — إلى أن يتم قراءة الفصل المقبل ، فهو وثيق صلة بالفصل الحالى .

(١) راجع مجلة المعهد لسنة ١٩٦٢ ، وفى ص ٣ — ٥ منها تجد تفصيل لجانه الثلاث عدرة خلال

الفصل السادس

بيانات متنوعة علمية وعلاجية

تفيض المؤلفات الروحية بأدلة لا حصر لها على بقاء الشخصية بعد الموت، ولا يكاد يخلو مؤلف من عشرات منها تتفاوت في قيمتها التدليلية . والمستفاد منها في النهاية أن السكائنات العاقلة التي تتحدث أحياناً في جلسات الاتصال الروحي تختلف تماماً عن الوسيط أو الوسيطة من ناحية المستوى العقلي أو الثقافي . وتحدث الأرواح أحياناً على مستوى رفيع من ناحية المعرفة أو الأسلوب . وقد يكون ذلك في حضور وسيط أو وسيطة لا إلام لأيهما إطلافاً بالموضوع الذي يدور فيه الحديث . وربما يكون في غيبة تامة بحيث لا يعلم شيئاً حتى عن ماهية الموضوع أو الموضوعات التي دار فيها الحديث .

تحقيق شخصية الروح

وقد يضاف إلى ذلك أن الروح المتحدثة قد تكون لشخص مستقل حديثاً معروفاً جيداً لأحد الحاضرين أو بعضهم ، فيبدو التطابق واضحاً بين مستواه الثقافي هنا وهناك ، بل بين نفس اللمجتين وتبدو نفس المميزات اللفظية المعروفة واضحة ، ونفس طريقة إدارة دفة الحديث التي تختلف بين شخص وآخر بطبيعة الحال ، بل نبرة الصوت التي قد تظهر عن طريق وساطة الصوت المباشر .

فكما تظل المعرفة على حالها بعد الانتقال تظل كذلك الميول والعواطف والمعلومات والاتجاهات والهوايات، إلى أن يلحقها بعض التطور على المدى البعيد لا القريب ، وعلى ذلك أجمعت الدراسات الروحية . بل إن الآراء العلمية والأدبية والسياسية وغيرها ومن مجموعها يتكون طابع يميز

شخصية الإنسان المثقف عن غيره — تظل على حالها أيضاً إلى أن يلحقها مع الوقت مزبد من النضج والنمو .

ومن هذه الناحية يمكن تحقيق شخصية الروح . كما يمكن تحقيقها من ناحية الذكريات الأرضية التي قد تظل عالقة بالذاكرة — في جوهرها بالآفل — خصوصاً بالنسبة للأحداث التي كان لها في نفس الروح قبل الانتقال أثر عميق

* * *

ونحقيق شخصية الروح ليس دائماً أمراً هيناً ، وفي هذا الشأن يشير سير أوليفر لودج بالاعتماد على ثلاث وسائل وهي —

أولاً : تجميع عدد من البيانات التدريجية التي ينبغي تسجيلها بعناية ومثارة ، والتي قد تشير مجتمعة إلى شخصية روح معينة .

وثانياً : استخدام طريقة التراسل المتبادل التي تعنى تلقى عدة أجزاء غير مفهومة من رسالة واحدة مترابطة عن طريق أكثر من وسيط ، بعد تفاهم مع الروح المرشدة . وبعد ذلك توضع هذه الأجزاء في مواضعها المتفق عليها فتصبح الرسالة واضحة مفهومة . وذلك لتفادي احتمال الدفع بالتدليس من جانب ، واحتمال تداخل عقل الوسيط من جانب آخر ، سواء أكان من وسطاء اليقظة أم الغيوبة^(١) .

وثالثاً : الحصول على بيانات مميزة للروح المتصلة ، ويحسن أن تكون جديدة بصورة ما على الموجودين إذا أمكن ذلك . ومن ذلك مثلاً أن تدلى الروح ببيان معين عن موضوع معين إذا أمكن التحقق من صحة البيان بالوسائل العادية .

أما استجواب الروح في ذكريات ماضيها القريب أو البعيد ، ومهما كانت هذه الذكريات قوية — في تقديرنا — أو ضعيفة فقلها يأتي بنتائج حاسمة . وقد أجرى سير أوليفر لودج تجربة توضيحية في هذا الشأن ذكرها

(١) وطريقة التراسل المتبادل Cross Correspondences من ابتكار عالم النفس المروف فردريك مايرز قبل انتقاله ، وقد أثبت بها شخصيته الخاصة بعد انتقاله إلى عالم الروح . (راجع ماسبق في ص ٢٢١) .

دنيز برادلى Dennis Bradley فى مؤلفه عن « حكمة الآلهة »^(١) . وهى أن لودج كان يتناول الطعام يوماً مع اثنى عشر ولداً من أفراد أسرته فوجه إليهم الحديث قائلاً : « افرضوا أنى قدمت وأردتم أن تمتحنوا ذكرياتى لتعرفوا ما إذا كنت أنا هو الذى أحادثكم أم لا ، فاسألونى الآن جميع الأسئلة التى تظنون أن الإجابة عليها قد تثبت شخصيتى لكم . »

وظل الأولاد يستجوبونه لمدة ساعة كاملة عن أشياء عديدة مرت فى حياته وفى حيواتهم ، فعجز عن تذكر أى شىء من الأشياء التى كانت لا تزال عالقة بذاكرتهم ، ولذا قال لهم فى النهاية « إن ذلك يثبت أنى لست أنا . فانا لست أباكم إذا . . . »

ولذا فإن أحسن البينات المقنعة بحقيقة شخصية الروح هى تلك التى تسمى « مصادقة مشيرة إلى ذاكرة روح معينة بالذات ، ومثلها تلك التى تسمى عن طريق وساطة الصوت المباشر أو الكتابة المباشرة أو التلقائية ، أو التجسد ، أو الصور وما إلى ذلك . . »^(٢) أو تلك التى تشير إلى مقدرة عليّة أو أديّة خاصة كانت تميز الروح قبل انتقالها .

* * *

وكلما طال العهد بالروح فى عالم الروح كلما تعقدت أكثر فأكثر مشكلة محاولة إثبات شخصيتها عن طريق امتحانها فى ذكرياتها الأرضية ، التى تأخذ فى التلاشى تدريجياً بطبيعة الحال كما تحل محلها ذكريات أخرى أجدى للروح وأنفع إذ الذكريات الجديدة تطرد عادة القديمة ، ما لم يكن لبعض الذكريات القديمة أثر يصعب محوه من العقل الباطن أو الواعى بحسب الأحوال . وفى هذا الشأن تقول الروح جوليا لوسيطها سير وليام ت . ستيد « إن الميلاد فى عالمكم يمحو عادة الذاكرة عما حدث من قبل ، أما الميلاد فى هذا العالم (عالم الروح) فيه نذكر أشياء أكثر مما كان نفعل من قبل ،

The Wisdom of the Gods.

(١)

(٢) راجع « وسوسة العلم الروحى » . Encyclopaedia of Psychic Science .

تحت كلمة Identity .

ومعنى هذا أيضاً أننا نسمى أشياء كثيرة تدريجياً مثل تلك المتصلة بالماديات والعناوين والممثلات والأسماء بقدر ما نستغنى عنها ، ولكن تبقى ذاكرة الأشياء التي تحمل الثمار . فهذه نذكرها ، وتنمو قدرة الذاكرة بصورة عجيبة تكاد تكون إيجازاً .

ولكن بعد وقت ما ، وأحياناً بعد وقت قصير ، هناك تأثير جديد يضاف إلى التأثير الآخر الذي يساعدنا على أن نصبح أكثر تواضعاً ويحررنا من الرذائل التي كنا متمسك بها ... (١) .

يضاف إلى ذلك اعتبار قديكون له دوره في الخطأ في تعيين شخصية الأرواح خصوصاً منها الشخصيات التاريخية الكبيرة ، وهي أن الأرواح الغير الراقية تميل أحياناً إلى انتحال أسماء ضخمة كيما تسترعى انتباه الحاضرين وتسعد بخداعهم بل إن هناك أرواحاً مصابة بلوثة جنون العظمة - شأن بعض مجانين الأرض - فتعتقد اعتقاداً جازماً بأنها أرواح عظماء معينين عاشوا على الأرض وفي وقت ما تحت اسم شارلمان أو نابليون مثلاً ، ويمكنها الاتصال بالأرضيين والتأثير بصورة ما في وعى الوسيط أو الوسيطة ، وقد أكد هذه الحقيقة الغريبة الروح المرشد إمبراتور Emperor للأسقف ستانتون موزس (٢) .

وهناك اعتبار هام عكس سابقه ، وهو أن الأرواح الراقية العريقة كثيراً ما ترفض الإفصاح عن شخصيتها الحقيقية لاعتبارات واضحة بذاتها ، وإذا فقدت تستخدم أسماء تنكيرية شتى . ثم هناك اعتبار آخر وهو أن هناك أرواحاً كثيرة تغيرت أسماؤها في عالم الروح لاعتبارات لا تزال غير واضحة تماماً ، فالروح المتجسدة كآني كنج قررت لسير وليام كروكس أن اسمها السابق على

(١) « بعد الموت » طبعة ١٩٥٢ من ١٤٧ .

(٢) راجع مؤلفه عن « شخصية الروح » Spirit-Identity

الأرض هو أنى أوين مورجان .. وهكذا من شتى الاعتبارات التى ينبغى أن تراعى عند تحقيق شخصية الروح

ومن وسائل التثبت من حقيقة شخصية الروح أيضاً النظر إلى شكل الإنسان الذى كان يميزه فى أيامه الأخيرة قبل الانتقال ، فإنه يبدو لوسطاء الجلاء البصرى على حاله ، بل وفى نفس ملابسه أيضاً إلى أن يحدث تطور تدريجى فى الملامح وفى الملابس فيما بعد . ذلك أن ذاكرة الإنسان لها أثر مباشر فى الأثير المحيط بها . وعندما ترغب أى روح فى إظهار نفسها فى جلسة ما فإنها تعتمد إلى تذكر شكلها الأخير حتى يعرفها الحاضرون . وعليها أن تركز هذه الذاكرة بمقدرة كافية حتى تطبع جسدتها الأثيرى بالطابع المطلوب للتعرف عليها فى المستوى الأرضى .

وكذلك إذا أرادت التجسد متى توافرت وسائله ، أو إظهار نفسها فى صورة متى توافرت وساطة التصوير الروحى عند أحد من الموجودين ، ومتى توافرت قدرة الروح على إظهار نفسها عن طريق عملية شاقة للروح وتحتاج إلى مران كاف ، وقد تنجح فى النهاية أو لا تنجح .

وغالباً ما تحتاج الروح إلى معونة من أرواح أخرى خبيرة بهذه الأمور تساعدنا فى إظهار نفسها على النحو الذى يقنع الحاضرين من الأرضيين بحقيقة شخصيتها . لذا كانت صور الأرواح تمثلها عادة فى سنيها الأخيرة قبل الانتقال وفى ملامحها المعروفة ، وأحياناً فى زيها المألوف ، مع أنها تكون عادة قد اكتسبت هناك ملامح أكثر شباباً . والغالبية العظمى تكون قد غيرت أزياءها الضيقة المألوفة على المستوى الأرضى إلى أزياء أكثر احتشاماً واتساعاً .. لذا تقول الأرواح إنها تعرف القادمين الجدد إلى هناك من أمرين : من مظهر الشيخوخة أو الإعياء الذى قد يبدو على وجوه بعضهم ، وأيضاً من أزيائهم ، فإن عدداً كبيراً من المنتقلين يظل مصرأعلى وارتداءه ، نفس أزيائه الضيقة القديمة بحكم الذاكرة وحدها لمدد متفاوت بحسب مرونة كل منهم .

ذلك أنه لا إرغام هناك على إنسان فى أى أمر من أمور الحياة . إنما يحىء التطور بطبيئاً أو سريعاً من ناحية تفكير الإنسان وطبعه الخاص . فإذا تطور العقل فقد تطور فى الإنسان كل شىء ، وإذا جمد العقل فقد جمد فيه كل شىء . أليس ذلك هو ما يحدث أيضاً على المستوى الأرضى ؟

لذا كان العالم هنا عالماً هناك ، والجاهل هنا جاهلاً هناك ، إلى أن يتغلب على جهله ويحصل على المعرفة التى تلزمه تدريجياً ، وقد يطول به الأمد إذا كان على درجة من العناد أو الغباء ، وقد يسير فى طريق التقدم بشكل واضح إذا كان على استعداد طيب من ناحية المرونة والذكاء . وسبل المعرفة متوافرة هناك بما يتجاوز كثيراً سبلها على المستوى الأرضى من ناحية المدارس والمكتبات والمعاهد والمتاحف والمعامل وغيرها .

ذلك فضلاً عن أن بعض الأرواح قد يحصل على التقدم التدريجى عن طريق الملاحظة المستمرة لأحداث الحياة الأرضية ، وعن طريق الإقبال على العمل الذى قد يروق له والذى يتفق مع ملكاته ومع مستواه العقلى والخلقى ، بدون إرغام عليه ولا ضغط من أى إنسان . وعند هذه المعانى التقت الدراسات الروحية^(١) .

أرواح عالمة تفيد الأرضيين

فلا غرابة إذا وجدنا بعض المثقفين على المستوى الأرضى — أو بعض العلماء — يستفيد أحياناً من الاتصال بأرواح راقية فيتملى معلومات لم تكن تخطر بباله من قبل ، ولم يكن أحد منهم يتصور إمكان الحصول على مثلها عن طريق الوساطة الروحية . وكثير من العلماء الأرضيين المشهود لهم بالعمق وبالآزان أعلنوا صراحة هذه الحقيقة ، وهى أنهم استفادوا من معلومات بعض الأرواح ، وأنهم اضطروا أن يراجعوا بعض آرائهم فى الحياة ، أو بعض نظرياتهم العلمية فى ضوء معلومات صحيحة تلقوها عن طريق الوساطة الروحية .

(١) ولنا عودة تفصيلية إلى وصف « ظروف الحياة فى عالم الروح » فى الباب الثانى من الجزء الثانى .

وقد صرح بذلك سير أوليفر لودج عالم الطبيعة الذي كان مديراً للجامعة برمنجهام وعضواً في الجمعية الملكية في مؤلفه «ريموند أو الحياة والموت» . وفيه يراجع هذا العالم الكبير نظرياته القديمة في ضوء معلوماته الروحية عن المادة والطاقة والزمان والمكان والإنسان . كما يراجع فهمه القديم لجوانب فلسفية كثيرة للحياة ، وذلك إلى حد أن أكثر من نصف كتابه الضخم هذا يدور حول هذه المعاني الجديدة التي تخالف آراءه القديمة .

بينات لها ثبوتها من تمام

وهذه واقعة تشير إلى المستوى العلى الذى قد يبلغه بعض الأرواح المتحدثة في الجلسات الراقية نشرتها جريدة لومين Lumen التي تصدر في برشلونة ونقلتها عنها المجلة الروحية الفرنسية^(١) ، ومقتضاها أن الدكتور جوان ريكالده Juan Ricalde وهو جراح بارز بجمهورية باراجواى ورئيس سابق لهذه الجمهورية كان موجوداً في مدينة سان باولو بالبرازيل حيث تقيم الكونتيسة تانو Tano ، التي كانت تعقد في منزلها جلسات روحية تدعو إليها بعض الشخصيات . فدعت الدكتور ريكالده إلى حضور إحداها ، فحضر رغم أنه أكد لها مقدماً عدم إيمانه بوجود أرواح أو بحياة تلى الموت . لكنه قال إنه على استعداد للاقتناع إذا قدم له الوسيط الدليل المقنع . وبعد أن اتخذت جميع الاحتياطات اللازمة لمنع التدليس أعطت إحدى الأرواح رسالة تناولت فيها بالآلفاظ الفنية الدقيقة مسألة من مسائل الجراحات الشديدة التعقيد . وبعد انتهاء الجلسة كتب الدكتور ريكالده بياناً بيده جاء فيه : -

« نعم إن هذا يبدو غير قابل للتصديق لكنه صحيح . فالأرواح موجودة على سبيل اليقين ويمكنها أن ترشدنا . أتعلبون ماذا قالت لي هذه الروح ؟ لقد كنت أستمع إليها وأتبادل معها الحديث خلال ساعتين وعشرين دقيقة كما لو كنت أحادث زميلاً عظيماً بخصوص عملية جراحية ساجريها

(١) عدد فبراير ١٩٢٥ . La Revue Spirite .

(٢٦٢ - الإنسان روح)

غداً ، وأنى لمقتنع أن الأمر خاص بروح لا بإنسان حى . وكانت هذه الروح متخصصة فى الموضوع فأجابت بتدفق وبوضوح على جميع أسئلتى وعلى ما أثاره ذهنى من اعتراضات شتى .

وعلاوة على ذلك فقد أمكننى أن أتحقق من ظاهرة يعجز العلم عن تفسيرها ، فإنه أثناء الغيبوبة تغيرت درجة حرارة الوسيط فجأة ، وكانت تطفئ بئنة من خمس إلى ثمانى درجات نفخس عشرة فعشرين درجة حتى وصلت إلى ٣٧ درجة ، ثم إلى ٤٠ درجة سنتيجراد . وكان ذلك هو الشأن أيضاً فى النبض الذى نزلت سرعته إلى ست نبضات لحسب فى الدقيقة ، (١) .

* * *

وتشبه ذلك واقعة أخرى وردت بالمجلة الروحية الفرنسية أيضاً (٢) مقتضابها أن أحد العلماء الحاضرين ناقش الروح الراقية التى كانت تشير إلى نفسها بكلمة Symbol - أى الرمز - فى موضوع الإشعاعات الكونية المسماة ميليكان Millikan فأجابت الروح بتاريخ ٨ يناير سنة ١٩٣١ .

تأتى هذه الإشعاعات من الأرض ومن الفضاء فى نفس الوقت ، وبمجرد أن تتقاطع الأشعة الصادرة من الأرض مع تلك الصادرة من الكواكب تنخفض التدرجات الطبسية التى تصحب أكثر سيولة وأشد بطئاً فتسمح للطاقة الهدامة فيها أن تمر . وهذه الطاقة عبارة عن كربون وسائل هيدرات الكربون Carburess Hydratés الشديد العنف . ومن خصائصه أنه يسمح بتصحيح الأوزون (غاز ينجم عن تكثيف الأوكسجين) عن طريق الاحتراق . وبعضى السنين تخرج الغازات المخربة الداخلية ولا يمكن للأوزون أن يتغلب عليها لأنه ضئيل القدر إلى مدى يتعذر تقديره infinitésimale ، .

(١) سجل الباحثون فى كل مكان هذا التغيير الشديد المفاجئ فى النبض والتنفس عند بعض وسطاء الغيبوبة واستخدموا فى ذلك أجهزة دقيقة . ومنهم مير وارد كارنجتون الأمريكى (مجلة Fate عدد سبتمبر سنة ١٩٥٥) ومنهم هارى برايس فى إنجلترا فى مجونه على الوسيط روى شليبر والوسيلة مثلا . وراجع أيضاً مقالا للدستر دادلى E. E. Dudley عنوانه « تحول الطاقة فى الجلسات الروحية » فى عدد يوليه ١٩٢٦ من صحيفة « جمعية البحث الروحى الأمريكية » A. S. P. R. Journal.

(٢) عدد ديسمبر سنة ١٩٣٥ .

ويضيف الأستاذ ليون شين I. Leon Ghéno معلقاً على هذا البيان من الروح سيمبول أنه « منذ أوائل سنة ١٩٣١ وعلماء الطبيعة مقتنعون بأن إشعاعات ميليكان تلبعث من مصادر سحابة ومن أماكن فلكية . لكن في أغسطس سنة ١٩٣٢ أودعت العلامة إيرين كوري Irène Curie تقريراً في أكاديمية العلوم تزعم فيه هذا الفرض القديم عن إشعاعات ميليكان . ثم تمكن العالمان دوفيليه Dauvillier ورينيه Renner من ستوتجارت ، ثم العالم بيكار Picard من هدم هذا الفرض برمته تقريباً عما يؤيد تماماً أقوال الروح سيمبول هذه !!

• • •

وهذه واقعة أخرى يرويها جراح برازيلى كبير وأستاذ في كلية الطب بجامعة بايا Baya ، ونائب سابق في اتحاد المؤتمر التأسيسي البرازيلى ، وهو الدكتور متى براسيلار Matta Bracellar : —

« توجهت في ١٠ أكتوبر سنة ١٩٣٢ إلى أنريبيدس برادو Enripides Prado كما أشاهد عملية فتح خراج لطفل بواسطة طبيب من عالم الروح ، وكانت الوسيطة هي مدام آنا برادو Anna Prado . وتقدم إلى الطفل واسمه ج . اندراد Andrade . ولسنه ١١ عاماً ففحصته قبل العملية وتبينت أن به خراجاً تحت إبطه الأيسر . وكان يتعين على إذا ما شئت أن أتدخل بنفسى الانتظار لمدة ثلاثة أيام أو أربعة حتى لا أحمل المريض سوى اليسير من الألم بالنظر إلى التهاب موضع الخراج . وفي الساعة التاسعة مساء دخل الوسيط إلى الغرفة المظلمة ، وجلس الحاضرون متشابهى الأيدي ، وجلس الغلام بجوارهم بعد أن كشف عن ذراعه الأيسر .

« وبعد نصف ساعة تجسد وجهان ، أحدهما لروح تسمى جواو Joao قرئاد كثيراً جلسات برادو ، وثانيهما لروح مجهولة تقدمت نحو الكرسي الذى كان يجلس المريض عليه ، ثم صار جسم جواو أكثر وضوحاً فلمست أصابعه ، وأخيراً ظهر شبح كامل تقدم ناحية المريض وانحنى عليه بطريقة شخص

يجرى عملية . وانتهت العملية بعد ثلاثين دقيقة ، فانسحب الشبح واختفى وأخبرنا بقم الوسيط بأنه لم يفتح الخراج أكثر مما فتحه حتى يوفر على المريض ألماً أشد وطأة ، وأن العملية تعد على هذا النحو كافية كيما تؤدي إلى الشفاء العاجل . ثم قال : إن الصغير لن يشعر بأى ألم بعد الآن .

ثم أضيفت الفرقة وتقدمت ناحية المريض ، وفرط دهشتي العظمى تبينت أنه يمسك يده منديلاً ملوثاً بالدم والصدید ، وقد فتح الخراج وكان لا زال ينضح دماً وصدیداً . وقد أحس الفتى بحصول التدخل الجراحي أثناء حصوله ، لكنه كان ألماً محتملاً بحيث لم نسمع منه أنيناً خلال النصف الساعة^(١) . هذه شهادة أستاذ ياحدى كليات الطب ننقلها للقارىء بمجروفها ، فهل له مصلحة في الكذب أو المبالغة ؟ ...

وتشبه الواقعة السابقة أخرى رواها مراسل جريدة « ديار برديات » ، البرازيلية ملخصاً أن مريضاً إيطالياً يدعى أندريادى برناردى يعمل عاملاً في صناعة الصلب أجرت له الأرواح عملية إزالة الزائدة الدودية ، بعد تجسدها ، وكان ذلك في غرفة مغلقة ومختومة بالشمع ، وكان ينتظر إلى جوارها أحد عشر شخصاً منهم ثلاثة من الأطباء المنكرين للروحية الذين أصابهم الدهول مما تحقّقوا منه بأنفسهم قبل الجراحة وبعدها من استئصال الزائدة الدودية للمريض ووضعها في وعاء للكحول : وقد شهدوا بأنه لا يمكن لغير جراح ماهر جداً أن يقوم بمثل هذه الجراحة ، حتى لو كانت الغرفة مضاءة^(٢) .

(١) المجلة الروحية الفرنسية عدد مايو سنة ١٩٢٣ ص ٢٣٠ .

(٢) راجع تفصيل الواقعة بقلم الدكتور على راضى لـ « مجلة عالم الروح » سنة ١٣ العدد الأول

الطبراسجل ومجود إشعاعات غريبة في غرف الجلوسات
وهذه الظواهر الوساطية الفيزيائية التي قد تصل إلى حد تجسد طبيب
أو أكثر تجسداً تاماً أو جزئياً للقيام بجراحات تشبه في وسائلها الخارجية
الوسائل الأرضية نادرة مع ذلك . فلم تسجل الجلوسات إلا حالات قليلة من
هذا القبيل ، فلا يتصورن أحد أن هذه هي الطريقة المألوفة في العلاج الروحي .
بل إن العلاج الروحي كما ذكر لورد داودنج في الفصل السابق^(١) يتم عادة
بوسائل مختلفة تماماً عن التجسد السكلي أو الجزئي للروح ، وهو في ذاته
أمر قليل الحدوث . إذ يتم غالباً بواسطة أرواح غير منظورة (إلا من
وسطاء الاستشفاف) ، وبوسائل غير مادية هي عبارة — في أغلبها — عن
إشعاعات مختلفة من مصدر غير أرضي يشاهدها أحياناً الحاضرون جميعاً في
الجلوسات العلاجية .

وأمكن تسجيل إشعاعات مماثلة بالتصوير الفوتوغرافي بمناسبة تحقيق
وساطة ج . لويس من سووث ويلز داخل الكلية البريطانية للعلم الروحي ،
كما أمكن تصوير أجهزة — غير معروفة المصدر — وهي تعمل في الغرفة ،
وكان بعضها يدور بسرعة دوران المروحة الكهربائية ، والوسيط مقيد
الوثاق بالحبال في كرسيه وهو في غيبوبة عميقة ، فضلاً عن وجود جهاز
كهربائي متصل بهذه الحبال كما يتم عن أية حركة قد تصدر من الوسيط
كما هو مبين باللوحات الأربع الآتية .

فهل للكاميرا التي التقطت هذه الصور — وهي كثيرة تجدها في عدد
يناير سنة ١٩٢٩ من مجلة «العلم الروحي» التي تصدرها الكلية —^(٢) عقل باطن
صور لها أو هاماً خرافية ؟ أم هل تواطأ علماء كبار في معهد علمي راق
على خداع البيئات العلمية لغير حكمة مفهومة ولا سبب واضح ؟

(١) راجع ما سبق ص ٣٩٠ — ٣٩٤ .

(٢) ص ٣٣١ — وما بعدها . *Psychic Science* .

ظواهر غريبة تسجلها الكاميرا في «الكلية البريطانية للعلم الروحي»

(٢)

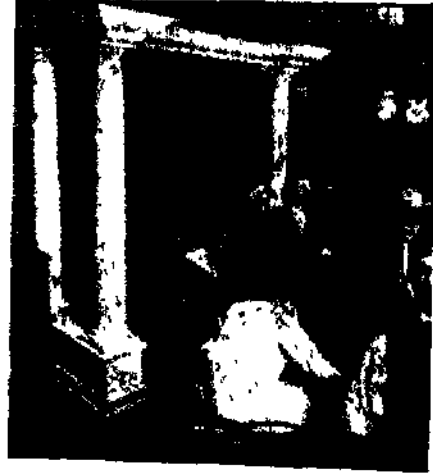


الوسيط في غيبوبته الثامنة مقيد الوثائق على كرسيه وقد ظهر في أعلا الصورة جهاز مضى مجهول المصدر يدور كالنحلة، كما أخذ مصباح التريا الأوسط يعطى إشعاعاً قوياً مخالفاً لطبيعته المألوفة في الصورة رقم (٤)



الوسيط مقيد الوثائق في غيبوبته ومحصلة به أجهزة كهربية ثم عن أية حركة قد يأتي بها . وعندما وضعت منضدة إلى جواره أخذت تدور من تلقاء نفسها بسرعة شديدة .

(١)



الوسيط في غيبوبته مقيد الوثائق وقد ظهر جهاز مضى مجهول المصدر يعمل بجواره ، كما ظهر قولة شبح مصباح بجوار مصباح حقيقي مضى .

(٣)



الوسيط في غيبوبته وبجانبه بطاقة معلقة في الهواء تدور بسرعة خيالية بدون وسيلة منظورة .

بحوث علمية في العلاج الروحي

والعلاج الروحي يتم عادة مجاناً في بيئات كثيرة وكتبت عنه مؤلفات تعد بالآلاف ، وتعرض له باحثون كثيرون من أطباء وغيرهم . وأثبتوا جدواه أحياناً في علاج بعض حالات من الأمراض الجسدية والعصبية بشرط أن تتوفر لنجاحه وساطة راقية وأرواح قادرة على مباشرة . ومن أهم المراجع فيه كتاب « ثلاثون سنة بين الموتى » ، وهو خلاصة تجارب دامت ثلاثين عاماً فيه للطبيب الأمريكي كارل ويكلاند Carl Wickland^(١) .

وقد جاءت نتائج تجاربه مؤيدة لتجارب الطبيب الأمريكي تيتوس بول Titus Bull وكيل جمعية البحث الروحي الأمريكية ، A. S. P. R. وعضو الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم ، التي واصلها لمدة عشرين عاماً ، ولخصها في مؤلف له ظهر في سنة ١٩٣٢ عنوانه « تجارب في علاج العقول المريضة »^(٢) . وكانت وسيطته في طرد الأرواح الماسية تدعى مسز ديوك Duke ومبين تلخيص لها في مجلة « الملكية البريطانية للعلم الروحي »^(٣) . وتدور كلها حول علاج بعض الأمراض المستعصية التي ثبت بعد بحث كاف أن مصدرها مس روحي Obsession أو استحواذ كامل Possession فتجرب في علاجها هذا الطريق ، بعد أن فشلت تماماً السبل المألوفة من تحليل نفسي وصدّات كهربائية وغيرها .

ومن يريد الاستزادة في هذا الموضوع يمكنه أن يرجع أيضاً إلى بعض مؤلفات هاري إدواردز Harry Edwards أشهر معالج روحي معاصر ورئيس الاتحاد الوطني للمعالجين الروحيين^(٤) ، ومنها « علم العلاج الروحي »^(٥) ،

(١) راجع عنه ما سبق في ص ١٧٢ — ١٧٤ .

(٢) Experiences in Healing Relative to Diseased Minds.

(٣) عدد أكتوبر ١٩٢٨ (مجلد ٧ عدد ٣) ص ١٩٧ — ٢١٤ .

والتلخيص بقلم سكرتيرة الخاصة هيلين س لامبرت Helen C. Lambert
(٤) National Federation Of Spiritual Healers.

(٥) The Science Of Spirit Healing.

(١٩٤٥) و «العلاج الروحي»^(١) (١٩٤٩) وغيرهما^(٢). وذلك بالإضافة إلى الكتب التي وضعت عن هذا المعالج من مؤلفين ثقة حققوا وساطته بأنفسهم مثل موديس باربانيل وبول ميللر وقد أشرنا إلى هذه المؤلفات فيما سبق^(٣). وقد أجرى هاري إدواردز جلسات علاجية علنية متعددة منها جلسة



هاري إدواردز

في ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٥٤ في قاعة ألبرت بلندن حضرها ستة آلاف شخص كان من بينهم لجنة من الأطباء أرسلتها الجمعية الطبية البريطانية، كما تحقق نفسها ما يتم في هذه الجلسات من معجزات علاجية محيرة للعقول. كما حضر الاجتماع أعضاء اللجنة التي كان قد شكلها أسقف كاتدرية لتحقيق الظواهر الروحية. وقد نجح هاري إدواردز في هذه الجلسة في رد حاسة السمع

لسيدة صماء منذ أربعين عاماً، وفي شفاء عمود فقري مشوه لطفلة، وحالة شلل أطفال لطفلة أخرى، وغدة متضخمة في الرقبة كانت تمنع صاحبها من

Spirit Healing.

(١)

(٢) راجع أيضاً للمستر هاري إدواردز .

A Guide To Spirit Healing.

Psychic Healing.

The Evidence For Spirit Healing.

The Truth About Spiritual Healing.

The Power Of Spiritual Healing.

The Mediumship Of Jack Webber.

The Mediumship Of Arnold Clare,

Godfrey وين أيضاً كتاب The Quest For Healing لمستر جودفري وين

Winn (١٩٥٦) ويدور حول وساطة فيفيان درانت وسيز شبرد وغيرهما .

وبالفرنسية راجع كتاب Les Guérissons Supranormales للباحث الروحي

رينيه ترينزيو René Trintzius ومبين به بعض حالات تمت لشفاء معجز على ثلاثة أطباء

من أعضاء أكاديمية الطب بباريس بمعرفة الوسيط شارل بارلانج Charles Parlange .

(٣) راجع ما سبق في ص ٢٥٠ ، ٢٥٤ .

النطق ، وحالات أخرى كثيرة ذكرتها موضحاً بالصور جرائد الأوبزرفر
ونيو أوف ذي وورلد وريبولد نيو وريبول وصنداي بكتوريال وصنداي
جرافيك وديلي سككش والتيمس وغيرها .

وتاريخ الحركة الروحية يعرف معالجين كبار آخرين غير هاري إدواردز
منهم الدكتور بومروي Pomeroy ومسز هيس وفيليسيا د . كروملي
ووليام باريش ولبلي .

ومنهم أيضاً مسز ريدت Wriedt وسيطة العلاج والصوت المباشر
الأمريكية ، ومسز نينا فرانسيس Nina Francis ، ومسز إيان جاريت
Eillen Garrett^(١) . وقد حقق وسيطة بعضهم الأستاذ ر . ه . سوندرز
R. H. Saunders في مؤلفين هامين له في العلاج الروحي : أولها ، العلاج
عن طريق سفارة الروح^(٢) ، وثانيهما ، الصحة : استردادها والمحافظة
عليها^(٣) .

وقد كان يهيم على هؤلاء الوسطاء الثلاثة الأخيرين روح معالج معروف
جيداً في الدوائر العلاجية في الغرب وهو الطبيب عبد اللطيف الفارسي الذي
يرأس إحدى الإرساليات العلاجية الهامة في الأجواء . كما كانت نفس
الروح تهيم أحياناً على المعالج الشهير باريش Parish وعلى وسيط التجسد
الأمريكي فرانك دكر Frank Decker . وقد قدم المؤلف الثاني سير آرثر
كونان دويل بمقدمة يسرد فيها بعض أنباء اتصالاته الخاصة بروح
الطبيب العالم عبد اللطيف الفارسي هذا .

علماء كبار بمقفره صوة الموج الرومي

وقد قام علماء ذوو سمعة عالمية في الطب والفسولوجيا بتحقيق عدد

(١) راجع ما سبق عنها ل ص ١٦٦ .

Healing Through Spirit Agency, (٢)

Health, its Recovery and Maintenance. (٣)

ضخم من حالات الشفاء المعجز في شتى صورته وأوضاعه . وانتهوا إلى التسليم به حقيقة علمية مقررة ، سواء منه ما يتم بمعرفة معالجين من الوسطاء الذين خضعوا لتجاربههم الصارمة ، أو ما يتم في مزارات معروفة قد يختفى فيها العنصر الأدنى كما يتبقى العنصر الروحى الخالص يعمل عن طريق مياه محملة بسيالات روحية بوسائل لا يزال يحلمها العلم المادى .

فثلا شهد لحالات من الشفاء المعجز التى تحقق منها بنفسه الطبيب العالمى الكسيس كارل Alexis Carrel مدير د معهد روكفلر ، بنيويورك^(١) والحائز على جائزة نوبل ، وأشهر إلبها إشارة صريحة فى مؤلفه « الإنسان ذلك المجهول L'homme Cet Inconnu وفيه يقول د ولقد حاول المؤلف أن يتعلم خصائص هذه الطريقة فى الشفاء مثلما تعلم طرقه العادية ، وبدأ دراساته لها عام فى ١٩٠٢ ، أى فى وقت كانت وثائق هذا العلم نادرة فيه ، وكان من الصعب جداً على طبيب شاب ومن الخطر على حياته المستقبلية أن يبدى أى اهتمام بمثل هذا الموضوع . . أما اليوم فى إمكان أى طبيب أن يلاحظ المرضى الذين يحضرون إلى لورد Lourdes (حيث يوجد مزار مشهور) ويفحص السجلات المحفوظة فى المكتب الطبى .

« ولورد مركز لاتحاد طبى دولى ويتكون من عدد كبير من الأطباء ، وقد أخذت الكتب والنشرات التى تبحت الشفاء المعجز تنمو وتكثر ببطء . ومن ثم بدأ الأطباء يصبحون أكثر اهتماماً بهذه الحقائق الخارقة ، ولقد أبلغت حالات كثيرة للجمعية الطبية بيوردو Bordeaux بواسطة

(١) ولد الدكتور الكسيس كارل فى سنة ١٨٧٣ بمدينة ليون بفرنسا ثم أصبح أستاذاً فى كلية الطب بها . ثم سافر إلى الولايات المتحدة فى عام ١٩٠٥ حيث عمل فى معهد روكفلر للأبحاث العلمية بنيويورك لمدة ثلاثين عاماً . وحصل على جائزة نوبل فى الطب فى سنة ١٩١٢ ، وأصبح مديراً لهذا المعهد إلى أن عاد إلى فرنسا سنة ١٩٣٩ حيث أشرف على عدد من المعاهد الطبية والمستشفيات . وعرف بأبحاثه العميقة فى القلب الميكائيكى وتوفى بباريس فى نوفمبر من عام ١٩٤٤ .

أساتذة مدرسة الطب والدين بأكاديمية نيويورك الطبية التي يرأسها الدكتور يترسون ، ...^(١).

كما شهد لحالات متعددة من الشفاء المعجز الدكتور جيميل Gemmel أستاذ الطب الباطني بجامعة جلاسجو، وزميله الدكتور كولفن Colvin أستاذ الجراحة بنفس الجامعة ، وسير وليم أويسلر W. Osler أستاذ الطب الباطني بجامعة أ كسفورد ، والدكتور كارميكل Carmichael أستاذ علم الصحة وأمراض المناطق الحارة بجامعة لندن وأحد المؤلفين لكتاب A Text Book Of Medicine الذي يدرس في كليات الطب ... ومثلهم كثيرون الآن .

وهذه الشهادات لم تلق على حواهنها ، لأن أمثال هؤلاء لم يتعودوا أن يلقوا هذا النوع من الشهادات جزافاً في أمور خطيرة تمس إلى أبعد الحدود سمعتهم الأدبية ومكانتهم العلمية لو كانت فيها كلمة واحدة قيلت ارتجالاً ، فالارتجال في تكوين الرأي لم يكن يوماً من شيمته هؤلاء العلماء ، ولا تغذية أوهام العوام أو الانقياد لها ..

بل ما على المتشكك إلا أن يراجع كتاباً واحداً مثل كتاب المسألة الكبرى والبيئة على حلها ،^(٢) للطبيب جورج لنديسون George Lindsay Johnson الحاصل على أكبر شهادات طبية في العالم منها شهادة F.R.C.S. من إنجلترا ، و F.R.S. من إيطاليا وغيرها . وفيه يتحدث بدوره عن حالات شفاء غارقة حدثت في مدينة Lourdes بجهال البرانس حيث يوجد المزار الذي تحدث عنه آنفاً الدكتور كاريل .
وتجد بياناً وافياً أيضاً في كتاب البراهين الطبية للعلاج المعجز ، مؤلفه الطبيب الفرنسي لي بك E. Le Bac جراح مستشفى سان جوزيف بباريس ، وقد نقله إلى الإنجليزية الدكتور إزارد H. E. Izard وقدمه للقراء

(١) راجع الترجمة العربية للأستاذ عادل شفيق ص ١١٨ ، ١٢٠ .

(٢) The Great Problem And The Evidence For Its Solution.

الدكتور إرنست وير Ernest E. Ware كبير جراحى مستشفى سان جون
وليزابث بلندن . كما تجد بياناً آخر عنها فى كتاب « عشرون حالة شفاء فى
لورد ، مؤلفه الدكتور دى جراند ميزون دى برينو De Grand Maison
De Bruno وقد نقل بدوره إلى اللغة الانجليزية .

ويقدم الدكتور لى بك بيانات إكلينيكية كاملة عن إحدى عشرة حالة
لشفاء معجز مع أسماء الأطباء الذين قاموا بفحصها . ومن الحالات التى شفيتم :

- ١ - حالة خطيرة للعروق الدوالى ٢ - كسر قائم فى ساق
 - ٣ - كسر غير قائم فى نخذ ٤ - انحناء فى الظهر بسبب مرض بوت
 - ٥ - قرحة شديدة فى الساق ٦ - ذئبة فى الفم
 - ٧ - اعوجاج فى القدم ٨ - درن بريتونى به ناصور
 - ٩ - ستة ثقوب فى الأمعاء فى وقت واحد
 - ١٠ - حالتان لسرطان بشرى مخاطى ١١ - سل رئوى ذو تجويف
- وهذه حالات بحثت بحثاً دقيقاً واتخذت فيها احتياطات كافية تحول دون
شبهة الخطأ فى الحكم أو التسرع فى التقدير .

ويقول الدكتور جورج لندسى جونسون فى شأنها « إننا لا نعرف إلا
النزول اليسير جداً من قوانين الطبيعة ، ومن ثم تبدو ظواهر كثيرة لأول
وهلة أنها مخالفة للطبيعة ، فإذا ازدادت معارفنا علمنا أن هذه الظواهر خاضعة
فى الواقع لقانون طبيعى ، ويختفى عندئذ مظهرها المعجز الخارق للطبيعة .

لكننا زيادة على تلك القوانين الطبيعية التى تحكم العالم المادى بدأنا
نعرف عالماً آخر مخالفاً كل المخالفة لعالمنا ، وهذا العالم هو الذى نسميه عالم
الروح . ولأمراء فى أننا نعرف الكثير من ظواهر الحياة ، ولكننا سنجد
أن هذه الظواهر الحيوية ترجع فى الأصل إلى شىء وراء الحياة . وهذا
الشىء هو الذى طالما قلت عنه إنه سبب الحياة التى ماهى فى الواقع إلا المظهر
المنظور للنفس . وكلما مضينا فى درس طبيعة الحياة ازدادنا اقتناعاً بأنها شىء

منفصل عن العالم الفيزيقي^(١) .

• • •

هذا وقد أذاعت الجمعية الطبية البريطانية تقريراً في سنة ١٩٥٦ جاء فيه أنه « ينبغي التسليم بأن كثيراً من طرق العلاج تخرج عن نطاق علمنا . غير أنه لم يعرف مطلقاً أى نوع من المرض عولج بالطرق الروحانية وحدها ولم يكن ممكناً أن يعالج بالطرق الطبية^(٢) » .

وليس مقتضى ذلك أن العلاج الروحي مضمون دائماً، أو أنه في أية صورة من صورته قد يغني عن العلاج الطبي العادي . فهو ليس أكثر من وسيلة من وسائل العلاج التي قد تنجح كما قد تفشل ، وربما تنجح أحياناً في أخطر الأمراض وتفشل في أهونها شأنها شأنها قليل هناك علاج روحي « مضمون » في أية حالة من الحالات .

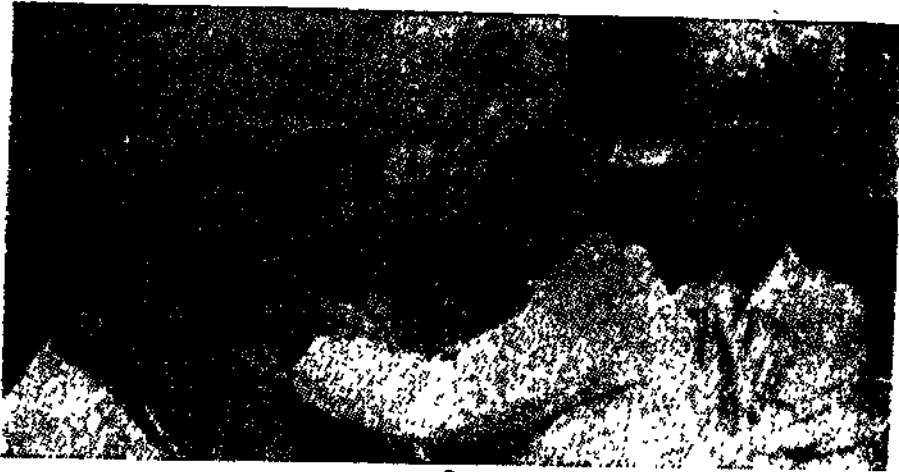
إذ لم يصل العلم بعد إلى معرفة نواحيس العلاج الروحي، ولا إلى أى تحديد لنطاقه ، ولا إلى إخضاعه إلى سبل تماثل بصورة أو بأخرى وسائل العلاج الطبي العادي . وكل ما لوحظ في هذا الشأن أن هناك أمراضاً معينة تعتبر أكثر استجابة للوسائل الروحية من غيرها . وأن هناك أمراضاً قد لا تستجيب لهذه الوسائل، وبخاصة تلك التي عرف لها مصدر من ميكروب أو فيروس معين . وكما ثبت أن أصل الداء اضطراب في وظائف الأعضاء مجهول المصدر، أو حالة مس أو استحواذ، كلما كان ذلك ادعى لاحتمال نجاح العلاج الروحي وتفوقه في هذا الشأن على السبل العادية المتبعة في طب الأمراض العقلية والنفسية، والتي لا يزال بعضها يتعثر في سدود ضخمة من العناد، هي التي تفسر عجز وسائله وقصورها الواضح حتى الآن .

(١) راجع بياناً تفصيلياً من هذه الحالات قلا عن كتاب « المسألة الكبرى » للمرحوم الأستاذ أحمد قلمي أبو الخير في مجلة « عالم الروح » عدد نوفمبر سنة ١٩٥٤ ص ٢ — ٢٦ . وراجع ما سبق في ص ١٥٩، ١٦٠ من رأى الفيلسوف وليام جيمس في صحة العلاج الروحي وص ٢٠٤ من رأى برجسون، وكلاماً أفضل فلاسفة بلاده في عصره وكلاماً ما تنبع من تجارب عملية حقق معجها بنفسه . (٢) راجع ما لفسر بجريدة أخبار اليوم بتاريخ ٢٢ مايو سنة ١٩٥٦ تحت عنوان « الجمعية الطبية البريطانية تعترف بالعلاج الروحي » .

العلاج الروحي بالصور



حالة تشنج عصبي مفصلي يماثلها هاري إدواردز إيتجنج في طفلة صغيرة (عن كتاب قوة
العلاج الروحي الصادر في سنة ١٩٦٣ من ٤٨)



حالة التهاب نخاع شوكي polio-myelitis شفيت في مصعة خاصة بالعلاج الروحي
(عن كتاب «العلاج الروحي» من ٤٨)



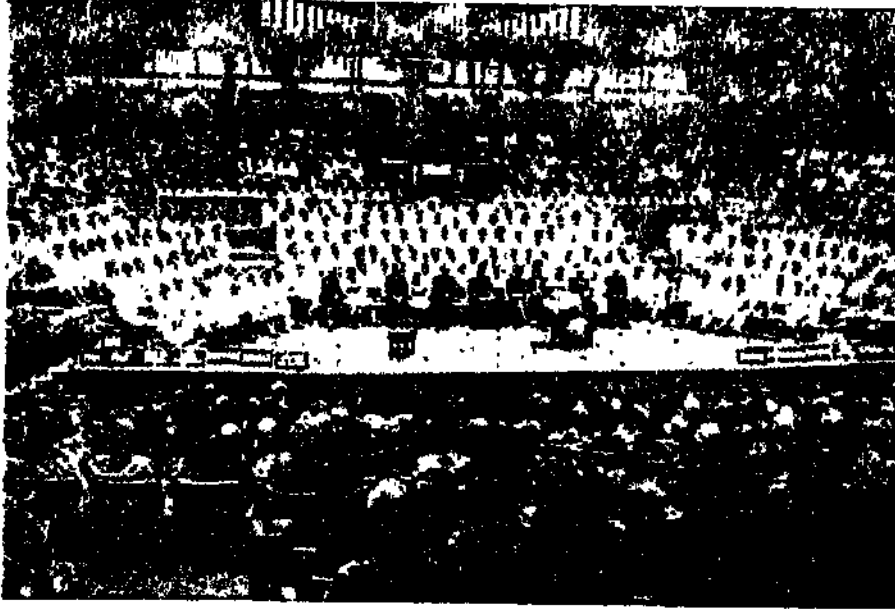
حالات روماتزم مفصل Rheumatoid Arthritis في اليدين يشفيها هاري إدواردز
بالعلاج الروحي الملقى في قاعة الحفلات الملكية بلندن
(الرجع السابق ص ٦٥)



قُس المريض بعد شفائه أمام الأطباء وقد
ألقى عصاه وعاد يسير منتصباً



مريض بروماتزم المفاصل
Rheumatoid Arthritis
يذهب إلى العلاج الروحي الملقى مستنداً إلى عصاه



المعالجون من أعضاء « الاتحاد الوطني للمعالجين الروحيين » يعالجون هنا في « الناعة الملوكية للحفلات » بلندن Royal Festival Hall تحت إشراف هيئة ضخمة من الأطباء والجراحين توقع الكشف الطبى على كل مريض قبل العلاج الروحى وبعده لتسجيل النتائج . وكل ذلك يحصل بصفة دورية منتظمة (عن كتاب قوة العلاج الروحى الصادر فى سنة ١٩٦٣ من ١١٣)



منظر من الجوامع مخصصة للعلاج الروحى عنوانها The Sanctuary Burrows Lea, Shere, Surrey, England يقامها سنوياً المرضى بأمراض مستعصية التماس العلاج الروحى بمعرفة « الاتحاد الوطني للمعالجين الروحيين » (من المرجع السابق ص ١٢٩)

الفصل السابع

تحقيق ظاهرة الشغب المجهول المصدر

من الالغاز أو الطلاسم التي يقف العلم المادى إزاءها صامتاً لا يحير جواباً ظاهرة الشغب المجهول المصدر ، ومنها ظاهرة « المنازل المسكونة » ، وما دام لا يعرف لها تعليلاً فلا توجد هذه الظاهرة ، ومن يعتقد بها فهو ساذج يردد خرافات العوام !! .

لكن ما العمل إذا كان بعض كبار العلماء الماديين قد حقق بنفسه هذه الظاهرة ، وتحقق من صحتها بكل الأساليب المادية الصارمة التي يملكها العلم المادى للفحص والتحقيق ؟ . . . ومنهم من خصص لها باباً أو أكثر في مؤلفاته ، ومنهم من خصص لها مؤلفاً برمته أو أكثر ، ولم يكن ذلك نقلاً عن الغير ، فهى فى هذه المؤلفات ليست روايات تروى للتسلية بل إنها تجارب علمية بحث .

وقد كان هؤلاء العلماء ينتقلون مجتمعين أحياناً ومنفردين أحياناً أخرى إلى هذه المنازل ، وقد يقيمون فيها أياماً طويلة ، مستعينين بكل وسائل الخبرة والتحقيق ، وبفنيين كثيرين فى أمور شتى بالقدر الذى قد يقتضيه نوع أو أنواع الشغب المجهول المصدر فشلا يقول القاضى الأمريكى إدموندز Edmonds الذى كان عضواً بالمحكمة العليا بنيويورك — والذى أصبح رئيساً لها ثم رئيساً لمجلس الشيوخ الأمريكى — يقول فى تقريره عن الشغب الذى حدث فى كوخ هيد سفيل بقرب روشيستر بولاية نيويورك فى سنة ١٨٤٦ — والذى بدأت به حركة البحث الروحى الحديث — إنه اضطر إلى التردد على الكوخ مرتين أسبوعياً وإلى الاستعانة بعشرة من العلماء وبخبير فى الكهرباء كما يساعده فى تحليل هذا الشغب بمصدر مادى معروف قبل أن يكتب (م ٢٧ — الإنسان روح)

تقريره الخطير هذا ، ويتحمل فيه أمام ضميره وأمام رأى العام الذى لا يرحم مسئولية التسليم بصحة هذا الشغب وبمصدره الروحى بعد أربعة شهور متوالية من البحث والتحقيق^(١) .

ومن يقرأ كتاب « ما وراء الروح »^(٢) لعالم النفسولوجيا شارل ريشيه Charles Richet يجد أنه حقق هذه الظاهرة وتحقق بنفسه من بعض حالات إيجابية لها فى فرنسا والجزائر . ولم ينسب هذه الظاهرة إلى أرواح الموتى — لأنه لم يكن بعد قد انحاز إلى النظرية الروحية — وهو ما يعطى لتحقيقه ولشهادته قيمة خاصة — بل سلم فقط بصحة هذه الظاهرة ، كما سلم بوجود الوسيط الذى يجعل نفسه فى المنزل ، ولكنه لم يخط الخطوة التالية مباشرة وهى نسبتها إلى الأرواح مبالغة منه فى التحفظ ، وحتى يصل إلى نظرية عامة تعلل هذه الظواهر المتدفقة من كل جانب فى مؤلفه هذا . ثم سلم بعد أكثر من ثلاثين عاماً من البحث بأن النظرية الروحية هى التى تعلل وحدها هذه الظواهر مجتمعة على ما سبق بيانه فى مناسبة أخرى^(٣) .

والفيلسوف كامى فلاماريون Camille Flammarion بدوره تحقيق فى هذه الظاهرة فى مؤلف عنوانه « المنازل المسكونة »^(٤) استعان فيه بكل وسائل الفحص والتحقيق الدقيقة بغية الوصول إلى الحقيقة العلمية ، وقد تبين له فعلاً أن ثمت حوادث من الشغب صحيحة .

وقد بحثنا بعناية أيضاً سير وليام باريت — عالم الميزياء المعروف^(٥) — ونشر عنها تقريرين : أحدهما فى مضابط « جمعية البحث الروحى » ، بلندن

(١) راجع تلخيصاً وافياً لتقرير القاضى إدموندز فى مؤلف سير آرثر كونان دويل Arthur Conan Doyle عن تاريخ الروحية The History Of Spiritualism الجزء الأول من ١٢٥ — ١٣٢ .

(٢) Traité De Métapsychique.

(٣) راجع ما سبق عنه فى ص ٣٤٠ — ٣٥٧ .

(٤) Les Maisons Hantées.

(٥) راجع ما سبق عنه فى ص ٢١٢ وما بعدها .

وثانيهما في مجلة جامعة دبلن (١) .

كما بحثها عالم النفس فرانك بودمور (٢) في مؤلف له عن «الروحانية الحديثة»، (٣) وفي آخر له عن «دراسات في البحث الروحي»، (٤) وفي تقرير له عن «الآرواح المشاغبة»، في مضابط جمعية البحث الروحي، أيضاً (٥) .

وبحثها أيضاً عالم النفس الإيطالي إرنستو بوزانو (٦) ، والعالم الجنائي الشهير لومبروزو . ومثلهم الأستاذ أندرو لانج Andrew Lang الذي كان رئيساً لجمعية البحث الروحي ، بلندن ، وكتب فيها عدة مؤلفات وبحوث في مضابط هذه الجمعية (٧) وفي دائرة المعارف البريطانية (٨) .

كما بحثها العالم المعروف هيروارد كارنجتون (٩) ونشر عنها تقريراً في نشرة «المعهد الدولي للبحث الروحي بلندن» في سنة ١٩٣٥ (١٠) كما سبق

(١) والتقرير الأول عنوانه Poltergeist Old and New منشور في محاضر جمعية البحث الروحي، مجلد رقم ٢٥ سنة ١٩١٢ والثاني عنوانه The Derrygonnelly Case منشور في The Dublin University Magazine عدد ديسمبر سنة ١٨٧٧ .

(٢) راجع ما سبق منه في ص ٢٢٢ .

(٣) Modern Spiritualism, London 1902.

(٤) Studies In Psychical Research, London 1897.

(٥) Poltergeists.

محاضر جمعية البحث الروحي بلندن مجلد رقم ١٢ سنة ١٨٩٦ — ١٨٩٧ .
وراجع له أيضاً :

The Naturalisation Of The Supernatural. New York And London 1908.

(٦) Dei Fenomeni d'Infestazione, Roma 1919.

(٧) ومنها The Poltergeist. Historically Considered لـ محاضر جمعية

البحث الروحي، سنة ١٩٠١ — ١٩٠٢ مجلد رقم ١٧ ص ٣٠٥ — ٣٢٦ .

(٨) ومنها Hauntings : Encyclopaedia Britannica, Cambridge, 1910, Vol. 13 p. 67.

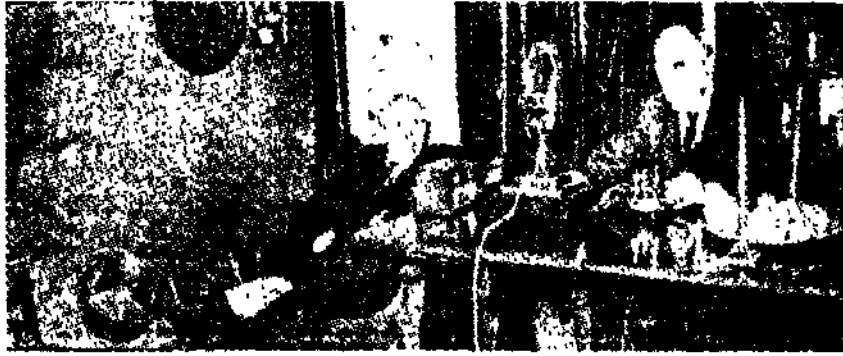
ومنها Poltergeist : Encyclopaedia Britannica, Cambridge 1911, Vol. 22 P.P. 14-17.

(٩) راجع ما سبق منه في ص ١٦٥ — ١٦٨ .

(١٠) Historic Poltergeist : Bulletin I. of International Institute For Psychical Research, London 1935.

له أن ألف فيها كتاباً منذ سنة ١٩١٥ عنوانه « قصص حقيقية للأشباح »^(١).
وعن اهتم بهذه الظاهرة اهتماماً خاصاً الأستاذ هارى برايس^(٢) السكرتير
الفخري لجامعة لندن ورئيس جمعية البحث الروحي ، S. P. R. وقد نشر
فيها عدة مؤلفات من أهمها « الأرواح المشاغبة فوق انجلترا »^(٣) ، (١٩٤٥)
وله مؤلف آخر عنوانه « أكثر منازل إنجلترا إيواء للأرواح »^(٤) .

وللدكتور ناندور فودور Nandor Fodor صاحب « موسوعة العلم



هارى برايس مدير « المعمل الوطنى للبحوث الروحية » بلندن وسكرتير جامعته الفخرى
ينضم بتاريخ ١٠/٣/١٩٣٦ بالاسكن من منزل مسكون ما يشاهده من ظواهر ومانسجله
الأجهزة الدقيقة من أصوات وتغيرات في درجات الحرارة بدون مصدر مادي

True Ghost Stories.

(١)

(٢) راجع ما سبق منه في ص ٢٢٧ .

Poltergeist Over England.

(٣)

ولى نهايته يجد القارىء أكثر من مائة مرجع في هذا الموضوع باللغات الانكليزية
والفرنسية والألمانية .

The Most Haunted House In England.

(٤)

وهو يتضمن نتائج تحقيق استمر عشر سنوات في شأن القنب الذى كان يحدث في هذا
المنزل وقد أعقبه مؤلف آخر عن نفس هذا المنزل ظهر في سنة ١٩٤٦ عنوانه « خاتمة
منزل بولى » .

The End of Borley Rectory : The Most Haunted House In
England.

ومن مؤلفاته عن الأرواح المشاغبة أيضاً : -

The Haunting Of Cashen's Gap.

الروحي^(١)، جولاته أيضاً التي نشرها في موسوعته وفي نشرة المعهد الدولي للبحث الروحي، بلندن^(٢). وفي سنة ١٩٤٠ نشر أيضاً في هذا الموضوع سير إرنست بينيت Ernest Bennett مؤلفاً عن «الاشباح والمنازل المسكونة»^(٣).

وللرحوم الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير جولاته في هذا الميدان التي كان ينشرها تباعاً في مجلته وعالم الروح، وفي مؤلفاته، ثم خصص له مؤلفاً برمته تحت عنوان «أرواح وأشباح» (١٩٥٤).

الأسلوب العلمى في بحث هذه الظواهر

ولم يقل أى واحد من هؤلاء إن كل ما يقال أو يذاع في هذا الشأن صحيح لا مطن عليه، بل سلخوا جميعاً بأن ثبت حوادث كثيرة للشغب المفتعل أو الموهوم. وذلك أمر طبيعى، لكن الأمر الهام أنهم تحقّقوا أيضاً من صحة بعض حوادث لشغب حقيقى مجهول المصدر يعجز العلم المادى عن تعالیه حين لا يعجز العلم الروحى . فالتحقيق السلبى فى نتیجته لحالة أو لبضعة حالات فى هذا الشأن لا ینقى إمكان صحة الظاهرة ، لكن التحقیق الإیجابى فى نتیجته — إذا ما أحیط بكل الضمانات العلمیة المطلوبة ، وإذا ما جرى بالأسلوب المتأنى الناقد — بل المنكر الذى جرى به — له قيمة كبرى فيه . فهل یازى من الأسلوب العلمى فى شىء أن نهدر قيمة بحوث عشرات من العلماء والباحثین الراغبین فى الوصول إلى الحقيقة لمجرد عجز النظریات المادیة عن التعلیل ؟ وإذا كان الأمر كذلك فلم لا تهدر كل قيمة للشهادة

Encyclopaedia of Psychic Science.

(١)

The Saragossa Ghost:

(٢)

Bulletin I. of International Institute for Psychical Research
London 1935.

Apparitions And Haunted Houses.

(٣)

وراجع تعليقاً عنه فى مجلة « المعهد الدولى لا وراء الروح »، بباريس عدد ٢ من سنة ١٩٤٠ .

أمام المحاكم ؟ بل ولثقة حتى في بحوث علمية دقيقة من علماء محايدين كبار ؟ ...
وما مصلحة كل هؤلاء في التدليس على الناس ؟ ...

بل لندع هذه البحوث الفردية جانباً ولننساءل من جديد ما مصلحة
مجلدات « جمعية البحث الروحي » ، S. P. R. — وهي تضم صفوة من علماء
السيكولوجيا والمادة في الجزر البريطانية^(١) — في تسجيل ظواهر الشغب
المجهول المصدر كحقيقة علمية ثابتة ؟ ...

وما مصلحتها بوجه خاص في أن تقم في يولييه سنة ١٩٥٥ مؤتمراً دولياً
داخل كلية نيوهام بجامعة كامبردج حضره ٢٩ خبيراً بوصفهم مندوبين عن
عشر دول، وهي بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والنرويج
وهولندا وسويسرا والدانمرك وهاييتي ، وقد ظلوا لمدة سبعة أيام يبحثون
موضوع « القواعد الدولية الواجب اتباعها عند تحقيق ظهور الأشباح التي
تحدث أصواتاً وتأني أفعالا غريبة في المنازل »^(٢) ،.. فهل تعودنا من المؤتمرات
الدولية أن تجتمع في الجامعات العريقة لتغذية الأوهام وخرافات العوام ؟
أو للمزل وإثارة روح الاستغراب والطرافة لديهم ؟

وما مصلحة الكلية البريطانية للعلم الروحي ، في تسجيل حوادث مماثلة
للشغب حققها أساتذة الكلية بأنفسهم وبكل وسائل التحقيق المادى الممكنة^(٣) ؟ ..

وما مصلحة المعهد الدولى لما وراء الروح بباريس في تسجيل مثل هذه
الحوادث في مجلته^(٤) ؟ وفي تشكيل لجنة دائمة من بين علماء المعهد لتتبع هذه
الحوادث هي حالياً اللجنة الخامسة من بين لجانه الثلاث عشر^(٥) ؟ ...

(١) راجع ما سبق عنها في ص ١٩٦ — ٢٠٧ .

(٢) وقد نشرت أخبار هذا المؤتمر الدولى جريدتنا الأهرام والأخبار في عدد ١٣ يولييه ١٩٥٥ .

(٣) راجع مثلاً المجلد السابع من مجلة العلم الروحي Psychio Science التي تصدرها
الكلية عدد أكتوبر ١٩٢٧ ص ٢١١ وعدد أكتوبر سنة ١٩٢٨ ص ٢٣٤ وما بعدها .

(٤) راجع مثلاً مقالا في مجلة المعهد (عدد ٢ من سنة ١٩٣٦) بقلم مديره الدكتور
أوجين أوسنى عنوانه « المنازل المسكونة » Maisons Hantées .

(٥) وهذه اللجنة مختصة أيضاً بفحص ظواهر تحريك الأجسام الصلبة بغير وسيلة مادية
Telekinesie ورفعها Lévitacion والأرواح الشريرة Poltergeist وللنازل المسكونة =

من أسباب الشغب

بل إن الأمر لم يقف عند مجرد تسجيل بعض حوادث الشغب غير معروف المصدر ، إذ تعداه إلى تقصى أسبابها في العالمين غير المادى والمادى معاً . ففي العالم غير المادى تنصل هذه الأحداث بذكربات معينة دقيقة في حقول الأرواح لا تريد أولاً تقدر أن تتخلى عنها ، وهى التى تعطل حدوث هذا الشغب فى ساعات معينة من الليل أو النهار أو فى شهر أو فى شهر معين من السنة ، كما قد تعطل اتخاذ هذا الشغب مظهراً معيناً دون غيره .

وفى العالم المادى اتضح أن سبب الشغب يرجع إما إلى وجود مخزن لطاقة غير مادية ولا معروفه فى بعض المنازل بسبب تداخل بعض الاهتزازات بين العوالم المختلفة وإما إلى وجود وسيط لنوع أو لآخر من الظواهر الفيزيائية يحمل نفسه فى المنزل ، هوى المعتاد صبي أو صبية فى سن المراهقة ، وإما يرجع الشغب إلى توافر العاملين معاً . وقد تبين أن لسن المراهقة صلة ما بنشاط الغدة الصنوبرية Pineal Gland التى تقع فى قاعدة المخ ، والتى ربما تكون لها صلة مباشرة بالوساطة الروحية من ناحية نشاطها أو خمولها . هذا وقد كان الفيلسوف ديكارت Descartes يقول إن الغدة الصنوبرية فى الدماغ هى الحلقة المتوسطة بين روح الإنسان وجسده . ويقول المرحوم الأستاذ العقاد فى مؤلفه عن « الله » ، إنه عدداً من العلماء المعاصرين يؤيدون هذا القول ويدعمونه بالمشاهدة والاستقراء^(١) ، فتأمل فى خطورة هذا القول وفى مغزاه! .

ويقول الأستاذ هارى برايس مدير « المعمل الوطنى للبحوث الروحية » التابع لجامعة لندن فى مؤلفه عن « الشغب فوق انجلترا » ، أو ثلاثة قرون من الأشباح الشريرة ، عن نتائج بحوثه الخاصة فى هذا الشأن إن الغالبية العظمى من وسطاء

== Maisons Hantées لأنها كلها من طبيعة واحدة ، فهى ظواهر روحية فيزيقية . راجع مجلة هذا العهد واسمها Revue Métapsychique من سنة ١٩٦٢ ، و من ٢ — ٥ منها تجد تشكيل لجان هذا العهد وتوزيع العمل بينها خلال عام ١٩٦٣ .

المراقة هؤلاء من الفتيات لامن الفتيان ، وأن النسبة تعادل حوالى ٩٥٪ للفتيات فى مقابل ٥٪ للفتيان ، وأن هذه النسبة وحدها تنفى إمكان تعليل هذه الحوادث بالافتعال و « بشقاوة الأولاد ، لأن الأولاد فى المعتاد أكثر « شقاوة ، من البنات .

كما يقول بأن الوساطة فى النساء عموماً أقوى منها فى الرجال لأسباب قد تكون سيكولوجية ، وقد تكون فسيولوجية متصلة بتكوين المرأة . وبأن تمت صلة ما بين المشاعر الجنسية وبعض الظواهر الوسايطية . كما لوحظ أن حوادث الشغب هذه تكون أسهل وقوعاً كلما كان الوسيط المراقة نائماً ، إذ يكون فى حالة أشبه ما تكون بحالة الخيوبة التى يقع فيها أغلب وسطاء الظواهر الروحية الأخرى ^(١) . وأن أغلب هذه الوساطات وقتية تزول بتمام نضج الوسيط أو الوسايطية . كما يرى أندرو روبرتسون Andrew. J. B. Robertson أحد بحاث هذه الأمور أن هذه الوساطة هى عبارة عن اتجاه الطاقة التى يحصل عليها المراهق بالبلوغ إلى غير وجهتها الداخلية الصحيحة ^(٢) .

كما أن التحقيقات العلمية لهذه الظواهر الغريبة تمكنت — فى أحوال كثيرة — عن طريق الاستعانة بوسطاء الاستشفاف البصرى والسمعى من تعيين شخصية الروح أو الأرواح الساكنة فى المكان ، ومن معرفة تاريخ حياتها وظروف انتقالها ، بعد مطابقة معلومات الوسطاء على المعلومات التى تقدمها وسائل التحرى والاستقصاء العادية عن الشخص المنتقل . ووصلت إلى نظرية مترابطة متضاهة أن الأرواح المشاغبة أرواح غير سعيدة أو غير راقية : —
— فهى إما متألمة من ذكريات أرضية قاسية تعرضت لها قبل انتقالها بسبب آلام جنسية أو نفسية عانت منها ، ولا تزال تلازمها رغم تخليها عن أجسادها .
— وهى إما تجهل أمر انتقالها لوفاتها بسبب جريمة ، أو حادثة فجائية ، وتتصرف على اعتبار أنها لا تزال تقيم فى هذا المكان .

(١) عن الفصل الثلاثين وعنوانه « هل يمكن تحليل الشف ؟ » .

(٢) المرجع السابق ص ٣٧٨ — ٣٨٢ .

— وإما تعلم أنها انتقلت — وبعضها أرواح قديمة — لكنها لا تزال هائمة على وجعها في الأرض لتخلفها عن المستوى الروحي المطلوب ، فهي تقتدر فرصة وجود الوسيط الذي يحمل نفسه في المنزل كيما تسلي نفسها حين تشاهد الناس في حالة من الذعر والاضطراب بسبب الخوف الناجم عن الشغب ، فهي تسخر منهم بسبب انحطاطها العقلي أو الخلقى .

وعن طريق الوسطاء الروحانيين أمكن في جميع الأحوال — تقريباً — إنهاء حالة الشغب هذه بعد جهود تراوحت في مداها ومدتها ، بمساعدة أرواح راقية كان هدفها ليس مجرد طرد الأرواح المشاغبة بقدر ترفيقها خلقياً والنهوض بها عن طريق التوعية والإقناع . كما كان هدف الأرواح الراقية تخفيف آلامها بوسائل شتى وإفهامها حقيقة حالتها الجديدة .

ومن يراجع البحوث والمؤلفات والمجلدات التي بينها أنفاً يجدها تدور حول هذه المعاني . أي أنها وصلت إلى حلول مترابطة ، وإلى نتائج إيجابية متماسكة لا ينكرها إلا من تعرد الحرب من حقائق الحياة — حلوها ومرها معاً — كيما لا يتنازل قيد إنملة عما تعود من طريقة معينة للتفكير . فهل يوصل العناد المتأصل إلى أية حقيقة عليية ، أم أن الحقيقة بنت البحث العلي المحايد والتجربة الطويلة؟.. هذا هو كل التساؤل من الناحية المنطقية بين أنصار البحث الروحي وأعدائه .

وسنعلم في مناسبة لاحقة كيف أن الروح الراقية — على عكس الأرواح غير الراقية — قد تعثر على الوسيط المناسب فتساعده بالإلهام الراقى وتجعل منه مع الوقت شاعراً أو فيلسوفاً أو عالماً عبقرياً ، بالقدر الذي يتفق مع استعدادة الفطري ومع مجهوداته الخاصة بالإضافة إلى مجهودها معه . فالإلهام الراقى قد يرجع إلى فضل مزدوج تنقسمه الروح المليئة مع الوسيط الملهم .

وكان موضوع الشغب المجهول المصدر — ومثله المس الروحي — يمثل الجانب المظلم من الوساطة غير الراقية للأرواح غير الراقية ، حين يمثل

موضوع الإلهام الراقى — ومثله الظواهر الوسائطية الراقية — وهى كثيرة — الجانب المضى من الوساطة الراقية للأرواح الراقية .

وكل ذلك لا يعبر عنه شيء قدر قول سويدنبرج الفيلسوف الوسيط إن من عاش فى العالم المادى داخلياً فى الخير ، يتصرف هناك بمنطق وبمحكمة ، بل بمحكمة أكثر مما كان يفعل فى العالم المادى لأنه تحرر من الرابطة التى كانت تربطه بالجسد وبالتالي بالاشياء الأرضية التى كانت تولد الظلام وتضع أمام ناظره نوعاً من الغيوم .

وبالعكس من عاش فى العالم فى الشر يتصرف هناك بحماقة وجنون ، وربما يحنون أكثر مما كان يفعل فى العالم المادى لأنه يشعر نفسه حراً غير مقيد الوثائق . وفى الواقع أنه عندما كان يحيا فى العالم المادى كان يتظاهر بالتعقل ، ويتصنع عن طريق جسده مظهر الإنسان العاقل ، أما إذا نزع عنه هذا الجسد فقد انكشف جنونه .

فالإنسان الشرير الذى يتظاهر بمظهر الإنسان الطيب يصح أن يشبه بوعاء نظيف ولامع من الخارج مغلق بغطاء محكم لكنه يخفى فى داخله قاذورات من كل نوع

كما يقول فى موضع آخر ، إن كل ما فى الإنسان من إرادة ومن ميول يبقى بعد الموت . فمن يريد الشر ويحبه فى الدنيا يريد به فى الآخرة ، ويزداد ألمه إذا ما منع عنه ولا يتمنى شيئاً إلا أن يكون حيث يوجد الشر ، ولذا فإن الإنسان هو الذى يندفع مختاراً بعد موته إلى العذاب لا يدفعه أحد إليه وإنه فى عالم الروح لا يمكن لإنسان أن يقاوم شهوته ، لأن الشهوة تنتمى إلى الميل والميل إلى الإرادة والإرادة إلى الطبيعة ، وكل يتصرف بحسب طبيعته^(١) .

(١) « الجنة والنار » Le Ciel et L'Enfer ترجمة فرنسية بقلم L. Jean Francais مقرة ٥٠٥ من ٣٧٥ ، وقرة ٥٤٧ من ٤١٨ ، وقرة ٥٧٤ من ٤٤١ .

الفصل الثامن

بيئات على وجود الجسد الأثيرى

أجمع بحاث العلم الروحى فى كل البيئات على أنه يوجد لكل كائن حى إنساناً كان أم حيواناً جسد غير مادى يطلق عليه وصف أثيرى أو كوكبى Etheral or Astral Body وهذا الجسد الآخر له كيان مادى إلا أنه بالنظر إلى ارتفاع اهتزازة إلى ما فوق اهتزاز الضوء بكثير لا يكون له على المستوى الأرضى وبالنسبة لحواسنا المادية هذا الكيان المادى الذى يكون له هناك. وهذا الجسد اللامادى يلزم الجنين فى بطن أمه ، ثم ينمو بنمو الجسد المادى ، فهو يشكله ويتشكل به عند كل كائن حى لا عند الإنسان فقط ، وهو يتخلله كما يتخلل الماء العود الرطب ، ويشغل معه نفس الحيز من الفراغ ، وهذا جائز علماً الآن ، بالنظر إلى تفاوت مرتبتى الاهتزاز فيما بينهما ، وبالتالى لتفاوت سرعة الاهتزاز وبالتالى «طول الموجة» بحسب التعبير الذى يستعمله علم اللاسلكى .

وهذا الجسد اللامادى هو صلة الوصل بين الروح الناطقة — بمعنى الشرارة القدسية التى تهبنا الحياة — وبين الجسد المادى . ويصل بين الجسدين المادى والأثيرى حبل من ضوء يسمى الحبل السرى الروحى psychic umbilical cord وقد وصفه الكتاب المقدس « بالحبل الفضى » ، وهو يعد مقابلاً للحبل السرى الذى يصل الجنين بالمشيمة ويلزم قطعه وربطه عند الولادة . أما هذا الحبل الفضى فينقطع من تلقاء نفسه عند الوفاة فتتوقف بانقطاعه الحياة فى الجسد المادى ، كما تبدأ الحياة من جديد فى المستوى الكوكبى — وهو أول مستوى تصل إليه النفس بعد الانفصال عن الجسد المادى بالوفاة — عن طريق هذا الجسد اللامادى الخاضع لناموس التطور بحسب مستوى الوجود الذى قد يحيا فيه صاحبه . فستواه الكوكبى فى العالم

الكوكبي Astral يتطور إلى روحى فى العالم الروحى Spiritual ثم إلى عقلى فى المستوى العقلى للوجود Intellectual . وقد تعددت النظريات والمدارس فى شأن هذا الجسد غير المادى المتطور بما يضيق المقام عن تفصيله ، لكنها تسلم كلها بوجوده .

وكان سقراط يؤمن أيضاً بوجود هذا الجسد اللامادى ويقول إن النفس لا تعدو أن تكون « صورة مماثلة للجسم المادى وأنها كمال أولى لجسم طبيعى آلى ذى حياة بالقوة » على حد تعريفه .

وعرفته أيضاً العقائد الهندية كلها . وقد وصفه أحد حكماء الهند القدماء بأنه « الذات الحقيقية للإنسان التى لا ترى لكنها ترى ولا تسمع لكنها تسمع ولا تدرك لكنها تدرك ولا تعرف لكنها تعرف » . هذه هى الذات الأمر الداخلى الذى لا يفنى ، .. فنحن نحيا حياتنا الحقيقية فى أعماق هذه الذات لا فى الجسد البالى الذى نكشفه للعالم لكن لانكشف به العالم ... كما تحدث عنه بواس الرسول قائلاً « بزرع (الإنسان) جسماً حيوانياً ويقام جسماً روحانياً . يوجد جسم حيوانى ويوجد جسم روحانى ، ... الإنسان الأول من الأرض ترابى ، والإنسان الثانى من السماء ... وكما لبسنا صورة الترابى سنلبس أيضاً صورة السماوى . فأقول هذا أيها الأخوة إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ، ولا يرث الفساد عدم فساد » (١) .

الجسد الأثيرى فى رأى أوليفر لودج

وقد وصف سير أوليفر لودج هذا الجسد الأثيرى بأنه وسيط الاتصال بالأثير وبالحياة الأخرى وبالله . وهو يكون واسطة يتعرض الجسد المادى عن طريقها للاهتزازات التى يسجلها العقل عن طريق الحواس الخمس (وهى النظر والسمع واللمس والذوق والشم) .

(١) فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس أصحاح ١٥ عدد ٤٤ — ٥٠ .

كما تحدث لودج عن هذا الجسد الأثيرى في مؤلفه «لم أؤمن بالخلود الشخصى ؟» (١٩٢٨) قائلاً «إنى أسلم بأن الاستخداى العمل للذكاء يحتاج إلى « مركبة جسدية ، ولكن لا يلزم فى الجسد أن يكون — لحسب — مكوناً من اجتماع شحنات متقابلة من الطاقة هى التى تعودنا أن نطاق عليها وصف «المادة» ، فإن هذا افتراض يقوم على غير أساس وألقى على عواهنه شأن الكثير من الافتراضات الأخرى التى دفعنا للكشوف العلمية الحديثة (مثل نظريات النسبية) إلى أن تتخلى عنها .

فيمكننى أن أتصور بنيانا مكرراً من الأثير وصلباً ومحسوساً كالمادة العادية ، ولكن مختلفاً عنها فى أنه لا يخضع لحواسنا الحيوانية الحاضرة ، كما لا يذعن لإشراف ذهنى مباشر منا فإن الجزئيات التى تكون أية كتلة عادية من المادة متماسكة فيما بينها عن طريق قوى للتماسك وللارتباط الكيماوى والجاذبية ، وهى قوى غير مادية يعترف بها العلم اعترافاً متزايداً كوظائف لأثير المكان . لجسم المادة الذى نشاهده ونمسك به ليس هو كل جسمها ، بل ينبغى أن يكون له مقابل أثيرى كيما يمسك بين أجزائه . وهذا المقابل الأثيرى هو المزوّد الحقيقى بالحياة عند الكائنات الحية فيما أعتقد .

ففى اعتقادى أن الحياة والعقل ليسا مرتبطين بالمادة ارتباطاً مباشراً ، بل إنهما لحسب يملكان العمل عن طريقها بشكل غير مباشر خلال اتصالهما الأوثق صلة بمركبة أثيرية تشكل الأداة الحقيقية لهما ، أى بجسداً أثيرى يعمل بالاشتراك معهما (أى مع الحياة والعقل) وبالتالي يتحكم فى المادة .

وبعد أن يبين لودج كيف أن المادة الصلبة ذات أوجه نقص متعددة يقرر أن الأثير لم يتكشف عن أية إشارة لأى نقص فيه أو قصور دهمو شفاف لآخر مدى ، ولا يضيع أية طاقة ، وأى بليان مكون من الأثير دائم فيما يبدو . ونحن نملك منذ الآن جسداً أثيرياً مستقلاً عن الحوادث التى قد تحدث للمادة المحسوسة المتصلة به والمشاركة معه وهذا الجسد الأثيرى سنظل نحوزه لفترة طويلة بعد انفصال المقابل المادى له ..

« وهذا التلخيص الموجز السريع هو النتيجة التي وصلت إليها تدريجياً والذي له أن يبين بطريقة عامة نوع أسس التجربة التي يستقر عليها ، وبعض ما يتضمنه من دلالات . ولا يمكنني الآن أن أواصل السير إلى الحجج الحديثة عن الأنير وضرورته الفلسفية لفهم جميع الظواهر وعرضها ، إلا إذا حولت بطريقة مجردة صرف من شأنها أن تدع المعادلات الرياضية بغير تفسير فيزيقي لها ، ولكنني سأحاول أن ألخص الوضع العام الذي قاذني إمعان النظر في الحقائق لأن اقتنع به ، وعندئذ سأبين قصة هذه الحقائق كما وصلت إلى نطاق بصرى ... »^(١)

ثم يبين لودج أسانيد هذا الاقتناع في مؤلفه هذا .

الجسد الأثيرى في رأى هيراث ما كنزى

وبحسب رأى الأستاذ هيراث ما كنزى J. H. Mckenzie مدير الكلية البريطانية للعلم الروحى ، في مؤلفه عن « الاتصال بالروح »^(٢) يتكون الجبل السرى الروحى الذى يصل بين الجسدين الروحى والفيزيقي من خيوط دقيقة تنبع من رأس الجسد الروحى ورثته وقلبه إلى الأجزاء المقابلة لها فى الجسد الفيزيقي . وعندما تغادر الروح جسد الإنسان عند الوفاة فإنها تفلت منه خلال عظام الجمجمة . ولكن فى النوم أو الغيبوبة تغادره من منطقة القفص الصدرى . وبذلك تظل مرتبطة بروابط حيوية بالأعضاء الجسدية .

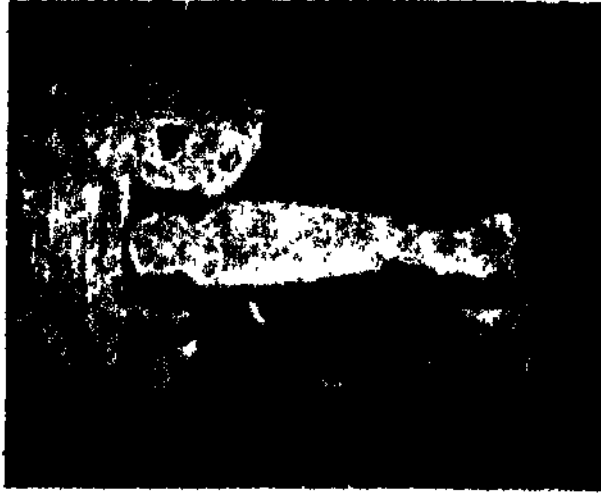
وقد تكون الروح Soul بعيدة عن الجسد المادى حال الحياة بألاف الأميال ، إذ أن الطبيعة المطاطة للجبل الذى يصل بينهما تسمح للروح بحرية تامة فى التنقل . وهذا ما يحدث فى حالات الطرح الروحى أو الكوكبى Projection of Astral body وطالما كانت الروح مهيمنة على الأعضاء

Why I Believe In Personal Immortality. (١)

طبعة رابعة : سبتمبر ١٩٢٨ من ٩ — ١١ .

Spirit Interchange. (٢)

الفيزيكية عن طريق الحبل الروحي (أو الاثيرى) فإن قوانين التحلل لا يمكن أن تنال من الجسد المادى ، ولكن عند انفصال الحبل الاثيرى يحدث الموت حتماً .



رسم من عمل الأستاذ هيوث ما كثرى يمثل الجسدين المادى واللامادى والحبل الاثيرى الذى يربط بينهما أثناء الاحتضار .

أما قبل هذا الانفصال فلا يحدث الموت حتى وإن راح الوعى أحياناً في غيبوبة عميقة بسبب الطرح الروحي قد تلتبس في بعض الأحيان مع غيبوبة الموت الحقيقى ، وقد تتوقف أثناءها جميع الأعضاء والأجهزة عن العمل فيبدو الجسد المادى ميتاً وما هو بميت . وقد تحدث نفس هذه الاعراض في وقت الاحتضار . ولذا فإن بعض حالات والغيبوبة العميقة نهت العلماء إلى حقيقة هامة وهى وجوب عدم التسرع في دفن الموتى بوجه عام عقب الاحتضار مباشرة . لأنه في بعض صور « الغيبوبة الحيوية » قد تتوقف كل أعراض الحياة ومنها دقات القلب والتنفس ودورة الدم بغير وفاة حقيقية . فإذا تنبه الميت ، إلى وعيه وهوى قبره قاسى أهوالاً جساماً تجل عن الوصف إلى أن يموت موتاً رهيباً بطيئاً أشد فظاعة من كل صور التعذيب التى عرفها البشر . فاحموا موتاكم وتأنوا في الجزم بالوفاة أيها الأطباء والأقرباء ولذا يشير العلم الحديث بوجوب التأني في دفن الموتى

بالأقل إلى ما بعد ظهور البقع الزرقاء على البشرة ، وتتطلب تشريعات كثيرة ألا يدفن الميت قبل مضي ٢٤ ساعة من تشخيص وفاته^(١) .

وقد أثبت علم الروح أيضا أن انسلاخ الجسد الأثيرى بالوفاة عن المادى لا يتم بغتة ، ولا انقطاع الحبل الأثيرى الذى يصل بينهما . كما أثبت أن الوفاة ، قد تكون فى حقيقتها غيبوبة كاملة عميقة قد تحدث بسبب الألم أو الإعياء ، ولذا فقد تعقبها أحيانا عودة الصلة بين الجسدين كما كانت من قبل .

أوصاف شتى للجسد الأثيرى

وهذا الجسد الأثيرى هو الرابطة بين الجهاز العصبى والمستودع الكونى للطاقة بحسب التعبير الثيوصوفى . وهو يقابل الجسد الذى يطلق عليه وصف الجسد المطابق The Double فى بحوث علم الروح ، ووصف النموذج أو المثال الأصيل The Archetypal فى بحوث الباراسيكولوجى .

فكل هذه أوصاف شتى للتعبير عن حقيقة واحدة وهى أن للإنسان جسداً آخر غير جسده المادى الخاضع للحواس . وهذا الجسد الآخر غير ماد على المستوى المادى ، ولكنه مادى على المستوى غير المادى (أى الكوكبى أو الروحى أو العقلى بحسب مرحلة التطور التى وصلت إليها النفس) .

وفى الفلسفة الثيوصوفية يطلقون وصف الجسد الأثيرى على هذا الجسد غير المادى حال الحياة الأرضية ويطلقون عليه وصف الجسد الكوكبى لحسب عند تحرره من الجسد المادى بالوفاة ، أما فى المؤلفات الروحية فيستعمل الوصفان كترادفين فيحل أيهما محل الآخر فى التعبير عن الجسد اللامادى للإنسان .

(١) تبين من بعض الإحصائيات أن حوالى ٢٪ من « موتى » مدينة نيويورك يدنون أحياء .
يجب الخطأ فى تشخيص الموت والسرعة فى الدفن .

وقد بينا في مناسبة سابقة كيف تتجسد الأرواح، بعد تحررها من رتبة أجسادها الترابية، عن طريق هذه الأجساد الأثيرية لتجسد أناماً أو جزئياً بحسب قدرة الروح المتجسدة — ومن ورائها الأرواح المرشدة — وإمكانات الطاقة الواسطية وظروفها، وكيف أمكن عمل نماذج من الشمع للأعضاء المتجسدة في عدة معاهد تحت أدق صور الرقابة^(١). كما سنبين في الفصل المقبل كيف أمكن عن طريق التأثير المباشر للعقل في المادة الحصول على صور كاملة أو جزئية لأجساد أثيرية لبعض المنتقلين غير متجسدة وبالتالي غير منظورة بالنظر العادي، بل قد يراها بحسب وسطاء الجلاء البصرى.

الدراسات من خواص الجسد الأثيرى

هذا وقد أثبتت بحوث متعددة أن للإنسان المعتقل في جسده المادى حاسة روحية، هى التى توصف بأنها حاسة سادسة، واحدة في جوهرها لكنها متعددة في قدرتها وفي أساليب عملها. وهذه القدرة الروحية على الإدراك قد تتم خلال أحوات الإحساس المادية والمنح في نشاطه العادى، أى قد تتم بطريقة بائولوجية صرف، كما تتم أحياناً نادرة جداً بطريقة مباشرة أى خارج أعضاء الحس الفيزيكية، فيرى صاحبها عن غير طريق العين كما قد يسمع عن غير طريق الأذن... وهكذا دواليك فتوصف بأنها تمثل الإدراك عن غير طريق الحواس Extra-Sensory Perception ويبدو أن هذه الملكات غير خاضعة حتى لقانون التطور البيولوجى. وقد أكد بعض العلماء مثل جيمس هايسلوب في أمريكا^(٢) وإرنستو

(١) راجع ما سبق فى ص ١٢٩ — ١٤٠ وراجع ماورد فى مجلة « السايك نيوز » (عدد ٢٢ مايو سنة ١٩٦٥) عن بحوث العالم الألمانى المعاصر الدكتور هانز جبرلوف Hans Gerloff على ١٧ وسيعاً شاهد عن طريقهم تجسيدات لشمس وشمسيزوجاً. وجبرلوف من أحسن علماء الباراسيكولوجى الأحياء ومن مؤلفاته فيها .

The Crisis In Parapsychology : Stagnation or Progress ?

(٢) راجع عنه ما سبق فى ص ١٦٣ .

بورانو في إيطاليا^(١) بعد بحوث شاقة أن هذه الملكات فوق العادية لا تنتمي إلى الجسد المادى ، بل إلى الروح بمعنى الجسد الأثيرى ، وأنها خاملة ومستترة في العقل الباطن لكل منا . فلا تعمل بطريقة منتظمة خلال حياتنا الأرضية ، ولا تظهر إلا بصورة استثنائية جداً رغم أن استخدامها بطريقة منتظمة كان سيزود الإنسان بأسلحة هامة في مرحلة كفاحه لأجل الحياة ، لأن الطبيعة قد رسمت لهذه الحاسة السادسة (التى تتضمن فى الواقع جميع الحواس المعروفة) ألا تعمل بكل قوتها إلا بعد الخلاص من ربة الجسد المادى ، أى لا تعمل إلا فى وسط روحى صرف .

هذا إلى أن المرحلة الحالية التى وصلت إليها معارف الإنسان المادية لا تفسر كيفية عمل الحواس الخمس العادية . فالعين المادية رغم دقتها المفرطة كجهاز لا تفسر مثلاً حاسة النظر حتى لو أضيف إليها المخ الذى هو بدوره آلة صماء لا تعمل بغير « كهربائية العقل » ، هذا العقل الذى هو من خصائص الروح لا الجسد المادى . أو هو بالأدق من خصائص الجسد الأثيرى الذى يحمل العقل كما يحمل الحواس الخمس وهى البصر والسمع والشم واللبس والذوق مجتمعة فى قدرة واحدة تعمل عن طريق العقل ، عندما يزودها العقل بالطاقة اللازمة للعمل ، كما تزود الكهرباء أى جهاز مادى بالطاقة التى بدونها لا يمكن أن يعمل شيئاً ، وبدونها يختزل أى جهاز كهربى إلى آلة صماء عاجزة ، كما يختزل المخ نفسه إلى آلة صماء بدون « كهربائية العقل » هذه .

وهذا القول يصدق على كل حاسة من حواسنا الخمس المعروفة . فواء كل حاسة منها تعمل « كهربائية العقل » هذه عملها محكومة بنواميس طبيعية مفرطة فى عمقها وفى خطورة دورها فى الحياة . وإنما ارتبطت فى أذهان الماديين حاسة البصر مثلاً بالعين لأنهم لا حظوا أن فقد العين لمرض أو لعامة أو لبتز يودى حتماً إلى العمى الكلى أو الجزئى ، وفاتهم أن هذه النتيجة حتمية أيضاً حتى لو اعتبرنا العين مجرد أداة للبصر لا مصدراً له ، أو حتى

(١) راجع عنه ما سبق فى ص ٣٥٨ وما بعدها .

لو اعتبرناها مجرد شرط واحد من بين شروط أخرى متعددة لازم توفرها كلها لإمكان البصر الواعي في المستوى المادى للحياة .

وفي المدارس الروحية يصدق ذلك أيضاً على وظائف الأعضاء اللازمة كلها للحياة على مستوى الوجود المادى لها . فما الذى يدعو القلب لأن ينبض بطريقة منتظمة حوالى ٧٢ مرة في الدقيقة ؟... إن الذى يدعو له لذلك هو مركز من مراكز الطاقة Chakra كائن في الجسد الأثيرى في موضع القلب يمدّه بالقوة المحركة . كما يعد الجهاز العصى في مراكزه الرئيسية بالطاقة التى تكفل له العمل المنتظم طالما كان الجسدان معاً متمتعين بأسباب الصحة التى قد تضطرب في الجسد الأثيرى لعوامل اعتدنا أن نسميها بالنفسية ، كما قد تضطرب في الجسد المادى لعوامل شتى بين فسيولوجية وبيولوجية يعرفها جيداً الطب المادى الذى لا يعرف بعد شيئاً يذكر عن مراكز الطاقة هذه وكيفية عملها ، مع أنها بمثابة الدينامو الحقيقى وراء وظائف الأعضاء الظاهرة والباطنة .

وعدد كبير من وسائل العلاج الروحى إنما يتجه راساً إلى مراكز الطاقة هذه في الجسد الأثيرى ، إذا ما لحقها اضطراب ما ، كما نحاول أن نعيدها إلى اهتزازها الطبيعى ، فتتولى بعدئذ بنفسها محاولة إصلاح ما أفسده الزمن في وظائف الأعضاء المادية ، وقد يحتاج ذلك إلى زمن قد يطول أو يقصر بحسب الأحوال .

ومراكز الطاقة في الجسد الأثيرى هذه تتأثر تأثراً مباشراً بانفعالات الإنسان، ومن هنا جاء تأثير الانفعالات في الصحة العامة عن طريق وظائف بعض الأعضاء . ولنا عودة فيما بعد للكلام في مراكز الطاقة في الجسد الأثيرى التى ابتدأ بعض العلماء في كشف غوامضها وتعرف بعض أسرارها ، الأمر الذى فتح آفاقاً جديدة بالغة أقصى درجات الخطورة لطب الجسد والروح معاً .

* * *

ومثل ذلك يصدق أيضاً على علاقة العقل بالمخ . فقد تقوضت تماماً

أركان النظرية المادية التي كانت تعتبر العقل نتاجاً للمخ . ووضح الآن لعدد كبير من أفضل علماء الفسيولوجيا والنفس والطب أنها نظرية زائفة وأن «الرأى القائل بأن المخ هو المحور للإنسان تدليس على لم يكن له أساس حقيقى ، على حد وصف الأستاذ ج . ب . راين بعد تجارب عشرات من السنين فى جامعة ديوك بالولايات المتحدة»^(١) .

وقد بينا أقوال عدد من الفلاسفة والعلماء فى هذا الشأن فى عدة مناسبات متفرقة^(٢) ، وأصبح الرأى السائد الآن هو تحليل المخ بالعقل ، لا تحليل العقل بالمخ ، مع الاتجاه إلى القول بأن العقل هو المهيمن على المخ وأن المخ هو جهاز مؤقت للعقل لا مصدره .

وإذا قلنا إن المخ هو جهاز العقل فهو جهازه المادى الذى يعبر به مؤقتاً عن نفسه ، ولكنه فى نفس الوقت يقيد نشاطه ويعوق الكثير من إمكانياته الفطرية إلى حين انطلاقه من أسر هذا الصندوق الضيق المحبوس فى عظام الجمجمة والمسمى المخ عن طريق «الوفاة» كما ينطلق الطائر الحبيس من قفصه . وهناك ، يعبر العقل عن نفسه تعبيراً أكثر انطلاقةً وتحرراً ، عندما تكون صورته الواعية الطبيعية هى كل إمكانياته فى مستوى آخر من مستويات الوجود .

ومن السائد الآن فى البحوث الروحية القول بأن المخ لا يمثل تجسد العقل كله ، بل هو تجسد مؤقت لجانب قليل من العقل لحسب لتحقيق هدف التطور والارتقاء فى هذا الجانب المتجسد منه عن طريق الأيام القصيرة من الإقامة فى المستوى المادى للوجود . ومن دواهي الاعتقاد بنظرية العودة للتجسد عند المعتقدين بها ، أنه فى كل تجسد جديد يتقدم جانب جديد من العقل للأمام إلى أن يستغنى العقل عن الحاجة إلى التواجد فى هذا المستوى المادى بتاتاً .

(١) راجع ما سبق ص ١٧٧ — ١٧٩ .

(٢) راجع رأى برجسون فى ص ١٨٣ ، ٣٥٣ ورشييه فى ص ٣٥١ وكلود برنارد

فى ص ٣٥٢ وعدد آخر من العلماء فى ص ٣٥٢ — ٣٥٥ .

وغنى عن البيان أنه إذا كان مقر المنح هو الجسد المادى للإنسان فإن مقر العقل هو الجسد الأثيرى (حتى على المستوى المادى) .

الجسد الأثيرى غير قابل للتبثر أو للتفاسد

ومن خصائص هذا الجسد الأثيرى أنه لا يهرم مهما هرم الجسد المادى ، وهو غير قابل للتبثر . فإذا ما بتر ذراع إنسان حتى فى حادث أو فى جراحة فإن الذى يبتز هو ذراعه المادى فقط ، أما الذراع الأثيرى فيظل فى مكانه يؤدي وظائفه كاملة فى حالى الطرح الروحى المؤقت أى الغيبوبة الوساطية أو النومية أحياناً ، والطرح الروحى النهائى أى الوفاة .

وقد بحث بعض الأطباء والعلماء أمر وجود أعضاء أثيرية فى موضع الأعضاء المادية المبتورة قد يشعر بها أصحابها ويتألمون أحياناً من موضعها ، وقد يتأثرون بما يلامسها من برودة أو حرارة ، وما قد تحركه فيهم من لذة أو ألم ومن راحة أو تعب فى أحوال كثيرة .

وقد أشار العالم الإيطالى إرنستو بوزانو Ernesto Bozzano فى بحث له عنوانه ، ظواهر ازدواج الأعضاء ،^(١) إلى ما ذكرته الدكتور بلليتيه Pelletier وإلى النتائج التى حصل عليها كل من برنشتين Bernestein وبيترز Pترز ووير ميتشيل Weir Mitchell فى باريس فى هذا الشأن .

وهو يحيل القارىء بوجه خاص إلى ما نشره فى هذا الموضوع الفيلسوف وليام جيمس فى مضابط ، الجمعية الأمريكية للبحث الروحى ،^(٢) عن نتيجة بحث قام به على ٢٨٥ شخصاً من ذوى الأطراف المبتورة ، وفيه يقول إن الإحساس بوجود عضو محل العضو المبتور يظل بعد عملية البتر لمدة تتراوح بين بضع ساعات وبضع سنوات وقد ظل شيخ فى السبعين من عمره يشعر بوجود نخذه المبتورة منذ كان فى الثالثة من عمره بنفس القوة والوضوح

Les phénomènes de la bilocation

(١)

Proceedings of the American Society For Psychical (٢)

Research 1885 — 1889p. 294

الذين يشعر بهما بوجود نغذه الآخر الذى لم يتناوله البتر . كما يقرر فى نتائج تحرياته هذه أن الإحساس بالحرارة وبالبرودة هو بوجه خاص أقوى أنواع الإحساسات التى قد تظل باقية لدى صاحب العضو المبتور .

ويرى الأستاذ — تاذوزانو أن العضو الشبح يشعر به البعض كاملاً فى شكله وحجمه ودرجة حرارته والوضع الذى قد يكون عليه والحركة التى قد يتحركها . لكن فى الغالب يكون الشعور به أقل وضوحاً من غيره ، فيشعر من بترت يده أو ساقه بأطراف الأصابع فقط ، ويكون لإحساسه بباقي العضو غامضاً مبهماً . كما قد يحدث أن يكون الإحساس واضحاً لكن يبدو العضو الشبح لصاحبه أكبر من حجمه الطبيعي أو أصغر حجماً . على أن ذلك لا ينفي أن المرضى الذين يحسون بأطرافهم المبتورة يشعرون أن إحساسهم هذا حقيقى . حتى لقد قال مريض إلى ويرميتشل « لى متيقن من وجود عضوى المبتور أكثر من العضو الذى أنا محتفظ به » .

ومن الغريب أن أحد العلماء الفرنسيين وهو ريزيه Riset بحث أمر هذه الظاهرة منذ أيام نابوليون بونابرت ، ولم يكن العلم الروحى الحديث قد ظهر بعد ، ولم تكن هناك أية فكرة عن الجسد الأثيرى فقال إنه سأل ٤٤٥ شخصاً من مشوهى الحروب والحوادث فقالوا له جميعهم — عدا ١٤ منهم — إنهم يشعرون بأعضائهم كما لو كانت موجودة فى مكانها لم تبتر بعد . وهذه النسبة تتفق — إلى حد ما — مع النسبة التى وصل إليها Piers الذي أشرنا إليه آنفاً . والذي يقول إنه فى حالة واحدة فقط من كل ثلاثين حالة ينعدم لدى المشوه الإحساس بوجود العضو المبتور أو بوجود شبح لهذا العضو . كما يضيف أن هذا الإحساس ينشأ عادة عقب البتر مباشرة كما قد يتأخر ظهوره إلى ثلاثة أيام ، وفى أحوال أخرى قد يتأخر ظهوره إلى ستة أسابيع .

* * *

فهذا الجسد الأثيرى هو الذى يحمل حواس الإنسان وشخصيته وعقله ، أما الجسد المادى فهو غلافه الخارجى . ومن ثم يظهر تماماً صواب ما سبق

أن قلناه من أن أعضاءنا المادية هي أدوات الإحساس لكنها ليست هي مصدر الإحساس .

ولذا فإن العلم الروحي يبين كيف أن سكان عالم الأثير يشعرون بالوجود عن طريق أجسادهم الأثيرية بصورة أكثر وضوحاً وانطلاقاً مما نشعر نحن عن طريق أجسادنا المادية، لأنهم لا يعتمدون على جهاز عصبي محدود القدرة كما يشعرون ببعض مظاهر الوجود التي من حولهم . فآثير الفضاء قد حل لديهم محل ذلك الجهاز العصبي البالي ولم يمددوا بحاجة لأن يترقبوا دخول أشعة الشمس إلى د نوافذ ، أجسادهم حتى يدركوا شيئاً قليلاً من هذه المظاهر ، لأنهم يحيون في آثير مضمئ ذى طبيعة خاصة على ما لاحظته سير وليام باريت . فهم هناك يحيون في بيئة الحياة التي بعثت المادة ولم تبعث بها ، وأوجدت وسائل الحس والإدراك ولم توجد عن طريقها . وبعبارة أخرى إنهم يحيون في بيئة هي أصل الحياة ويشعرون بها عن طريق أجساد أثيرية كانت مصدر أدوات الحس في الأجساد المادية التي تخلوا عنها د بالوفاة ، .

وهذه الحقائق الآن عقيدة فلسفية قبل أن تكون مجرد ، وجهة نظر ، روحية ، أو حتى مجرد نتيجة لعملية . ففي مؤلف الفيلسوف برجسون عن التطور الخالق ،^(١) نجده ينتهى إلى نتيجة ميتافيزيقية هامة للغاية . وهى أن الحياة تستخدم وسائل متباينة للوصول إلى أغراضها . ومعنى ذلك أن الحياة ليست هي المادة ، ولا هى تنشأ عن المادة ، بل الضد من ذلك هو الصحيح . ويبقى بعد ذلك أن العين ليست هي أصل النظر ، بل النظر هو أصل العين . وفى عبارة أخرى يقول إن العضو ليس أصل الوظيفة ، وإنما الوظيفة أصل العضو . ومن هنا يمكن القول بأن مسير الحياة نحو الإبصار إنما هو مشروط بحركة الحياة ذاتها ، وليس مرتبطاً بظروف خارجية أو بالصدفة على النحو الذى يتصوره التطوريون من أمثال لامارك وداروين ،^(٢) .

L'evolution Creatrice.

(١)

(٢) راجع د المذهب فى فلسفة برجسون « للدكتور صهاد وهبة ١٩٦٠ ص ٧٢ .

وهكذا الحال بالنسبة لباقي الحواس التي نعرفها ، فكلها عبارة عن ملكات في الجسد الأثيرى يستمدّها من الروح ، فمن يفقد إبصاره هنا ، أو من يولد أعمى لعلّة موروثّة في أداة الإبصار الأرضية وهي العين يسترد حاسة البصر بعد إنتقاله إلى هناك وتخلصه من الجهاز المعتل الذي كان يعوق البصر هنا ، وهكذا الحال بالنسبة لأيّ خلل قد يصيب أى جهاز أرضى من أجهزة الحواس المختلفة . بل إن من ينتقل أبتّر الذراع أو الساق سوف يسترد هناك عضوه المبتور ، لأن بتر جزء من الجسد المادى هنا لا يمس في شيء الجزء المقابل له في الجسد الأثيرى وهو من طبيعة الضوء وغير قابل للبتر .

« وحينما نخلع عنا ذلك الرداء البالى بعد التغير الموقى نقف في ما وانا الجديد بجسم أثيرى — يقول الأستاذ جيمس آرثر فندلاى مدير المعهد الدولى للبحث الروحى — وتصبح قوانا الذهنية أنقى ، وتصير تحركاتنا أسرع ... ولن نفقد بهذا التغير شيئاً ذا قيمة ، فسنبقى كما نحن شكلاً وملاح وفكراً وعملاً . وأولئك الذين فقدوا أذرعهم وأرجلهم يستردونها ، وكذلك يسترد كل نقص جسائى ، لأن العضو الذى فقد هو الفيزيقى فقط . فالفيزيقى ليس إلا غطاء ، وهو يتحلل ويتلاشى باستمرار لكنه يتجدد بالدم ، وهذا دليل آخر على وجود بناء دائم تعلق به المادة الفيزيكية ،^(١) ... كما يقول نفس المؤلف إن العقل يحصل في العالم الأثيرى بمضى الزمن على سيطرة كاملة على الجسم الأثيرى بحيث يمكن بالفسكر إزالة جميع العاهات الجسمانية أو إبرازها .

السرانة البشرية The Human Aura

الهالة البشرية عبارة عن إشعاعات ضوئية تصدر من جسم الإنسان وتحيط به من كل جانب ويراها وسطاء الاستشفاف يضاوية الشكل تعلو وتنخفض بنسب متفاوتة في أجزاء الجسم المختلفة وتختلف من إنسان إلى

(١) « على حالة العالم الأثيرى » الترجمة العربية ص ١٣١ .

آخر كما تختلف الأشكال والأجسام المادية ولكن على نطاق أوسع وهي ذات ألوان متداخلة مثل قوس قزح ، لكن هناك إنسان يغلب على حالته اللون الأخضر وآخر يغلب عليها اللون الأزرق أو البنى وهكذا .

وهذه الحالة هي السجل الطبيعي الذي يسجل على الإنسان ، غائبة العين وما تخفى الصدور ، فهي تسجل عليه رغباته وعواطفه ونزعاته وأفكاره ومدى نضجه العقلي والخلقي والروحي . بل تسجل عليه حالته الصحية لأنها تتأثر بآلام الجسد وبأمراضه من ناحية الألوان المنبعثة منها ، ومن ناحية تشكيلها العام وما قد يصيبها من انقسام أو انبعاج ، ويبدو هذا التأثير أوضح ما يكون عند المس الروحي ، ومن باب أولى عند الاستحواذ . والمس قد يحىء من ناحية كائن غير منظور فيسبب متاعب صحية أو نفسية أو عصبية لمن قد يكون ضحيته .

والحالة من الموضوعات الهامة التي عنى بها من عنوا ببحث موضوع الأرواح وبخاصة العلاج الروحي . ومن بحثوا الحالة ببراعة البعثة الروحي شارل لانسلان Charles Lancelin في مؤلفه ، الروح الإنسانية : دراسات تجريبية - روحية - فسيولوجية - بمعرفه روحى ،^(١) الذى يتضمن ثمرة بحوث فيها دامت من سنة ١٩١١ إلى سنة ١٩٢٠ موضحة باللوحات العديدة للحالة في مختلف أوضاعها وحالاتها .

كما عنى بدراسة الحالة الدكتور ولتر كيلنر Walter J. Kilner وقد اخترع لوحة الديسيانين لرؤية الحالة في الضوء العادى Dicyanin Screen . وقد نشر الدكتور كيلنر مؤلفاً تحت اسم Human Atmosphere منذ سنة ١٩١١ ثم أعيد نشره في سنة ١٩٢٠ تحت اسم Human Aura . كما أعيد

(١) L'Ame Humaine . وراجع ما سبق من المؤلفات ص ٢٨٨

نشره في سنة ١٩٦٥ تحت هذا الاسم الأخير . ولم يكن المؤلف باحثاً روحياً ، بل كان طبيباً للعلاج بالأشعة بمستشفى سان توماس بلندن، ويعتبر من أوائل الرواد في بحث موضوع الحالة بأسلوب معملي .

وقد أثبت كيلنر بدراسته وبجهازه أن إشعاعات الروح الإنسانية حقيقة واقعة ليس للخيال فيها أدنى نصيب. وأثبت ما استقر عليه الرأي السائد عند الروحيين من أن اللون الوردي مثلاً يمثل الحب العندي ، والأصفر يشير إلى النشاط العقلي الراقى ، والأزرق القائم يشير إلى التدين ، والأخضر الرصاصي يشير إلى الخديعة ، والأخضر القائم يدل على الغيرة، والزاهي على التسامح ، والأحمر الزاهي يرمز إلى الغضب والقوة ، أما الأحمر القائم فيشير إلى الشهوانية ، والبني يدل على حب المال والجشع . وهكذا ...

وقد واصل البحث في هذا الشأن الأستاذ هاري بودنجتون Harry Boddington الذي كان نائباً لرئيس « الاتحاد الروحي الأهل » ، بلندن S. N. U. ورئيساً لمجلس مقاطعة لندن في هذا الاتحاد، واخترع جهاز الـ Kilnascrene^(١) كما اخترع جهاز الـ Aurospec لتسمية موهبة الجلاء البصري . وله عدة مؤلفات هامة منها مؤلفه المعروف في « التجسّدات »^(٢) (١٩٣٨) ومنها مؤلف بعنوانه « جامعة الروحية »^(٣) وثالث عنوانه « أسرار الوساطة »^(٤) .

(١) وقد أسماء على اسم سلته الدكتور كيلنر تخليداً لذكراه بوصفه صاحب فكرة الكشف على الحالة بهذه الطريقة .

Materialisations.

(٢)

The University Of Spiritualism.

(٣)

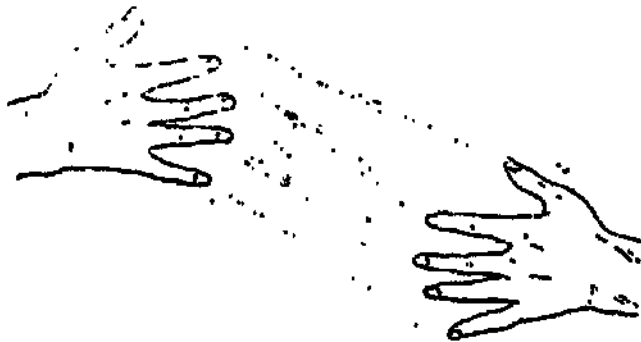
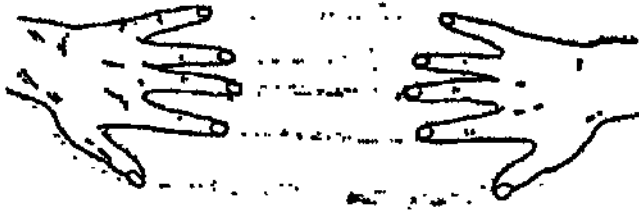
Secrets Of Mediumship.

(٤)



مارى بودجهتون

→
رسم يثل إشعاعات منبشة
من يدي الوسيط الروحي
يشاهدونها وسطاء الجلاء
البصري وتظهر واضحة
خلال جهاز كيتا سكرين
Kilnasorene



←
تس الإشعاعات
تتحرك في كل اتجاه
مع حركة يدي الوسيط
وهو ما ينفى خداع
الظن.



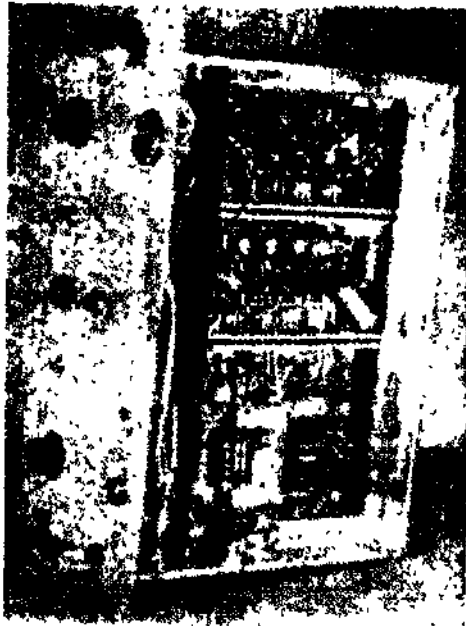
الإشعاعات المنبعثة من يدي الوسيطة ستانيسلافا كانت من القوة بحيث جعلت ، تماماً
يتنصب والفا بدون وسيلة مادية منظورة (صورة التقطت داخل المعهد الدول لما
وراء الروح بياريس ويرى إلى جوار الوسيطة الدكتور أوكورويز الأستاذ
بجامعة ليمبرج (Lemberg) .

ويروي الدكتور و . ج . ريتشاردز W. C. Richards أنه طلب من
وسيطين منفردين زيارة مريض لرؤية حالته ، وبعد أيام عاد كل منهما كما
يصف حالة المريض . وقد اتفق كلاهما على أن السكبد هو أسوأ المواضع
فقد كان لون الهالة بجانبه أسود تقريباً ، كما وصف الوسيطان انبعاثات
في مواضع معينة بعضها أسود وبعضها الآخر بني غامق ، ورأى كلاهما
سحابة خفيفة على الصدر . وفي اليوم التالي فحص الطبيب مريضه وتحقق من
صدق الوسيطين . كما وجد في الجلد بقعة معينة قرر المريض أنها من أثر حقنة
زرنبيخ أخذها منذ عام وكان تأثير البقعة واضحاً في لون الهالة .

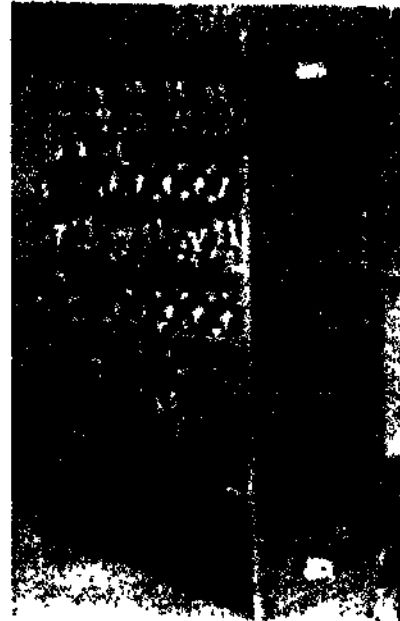
ويوجد جهاز يعرف باسم صندوق أبرامز Abram's Box نسبة إلى
مكتشفه الدكتور ألبرت أبرامز ، وهو يحوى عدداً من الريوستاتات Rheostats
متصلة على التوالي وتزداد مقاومتها بوساطة ملفات تشبه ما في جهاز الراديو
العادى . وتستخدم فيه ذبذبات الأوم Ohm كما تدل على الألوان غير
المنظورة . وقد راجع الدكتور ريتشاردز هذه الذبذبات اللونية للهالة مع

ذبذبات أفلام ملونة فوجدها متطابقة وحرر بياناً مفصلاً لقياس حلقات الحالة Aura rings في مختلف مراحل التطور^(١) .

وهذه الإشارات الموجية الصادرة من الحالة هي التي تنقل الأفكار عن طريق التلبائي عند وسطاء التلبائي ، ولولاها لما توافرت هذه الموهبة عند إنسان . وفي سنة ١٩٦١ صنع المعهد الدولي لما وراء الروح بياريس جهازاً إلكترونياً معقد التركيب لقياس استكشاف وسائل وظروف التواصل والأفكار بين الأفراد -Appareil électronique pour biotelecommunication experimentale وهو من تصميم الأستاذ رينيه هاردي René Hardy بعد تجارب سنين طويلة بالاشتراك مع المهندس رينيه فاركوليه R. Warcollier مدير المعهد^(٢) .



صورة أخرى لنفس الجهاز

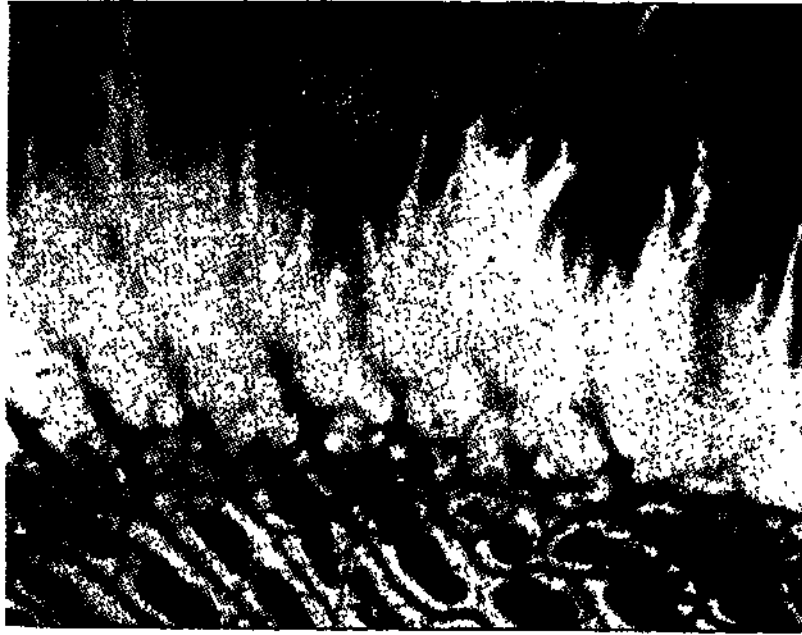


جهاز إلكتروني لاستكشاف وسائل وظروف التواصل بالأفكار بين الأفراد

(١) وراجع مقالاً للأستاذ حسن محمد الكري في مجلة « عالم الروح » البنية السادسة عدد مارس ١٩٥٣ ص ١٥ — ٢٠ .
(٢) راجع عدد ديسمبر سنة ١٩٦١ من مجلة المعهد وملحق هذا العدد وهو خاص بهذا الجهاز .

والهالة ليست جزءاً من الجسد المادى ، ولا من خصائصه ، بل هى جزء من الجسد الأثيرى . والإشارات الموجية من خصائص هذا الجسد الأثيرى ، الذى هو الإنسان والذى يحمل كل حواسه وصفاته وملبساته ، والذى يلزمه وحده فى رحلة الأبدية ويظل خاضعاً لناهوس التطور الروحى . وهذه الهالة ولئن كانت متصلة بهذا الجسد الأثيرى إلا أنها بدورها أعلى اهتزازاً منه بكثير . إلى حد أن الأرواح يرى بعضها البعض متجسداً هناك مع أن الهالة تظل غير منظورة منها فى الظروف العادية .

ومن الأنباء الحديثة فى هذا الشأن أن بعض العلماء السوفيت قد نجح فى الحصول على صور للهالة الأدمية تنبعث منها واضحة شعلات الحياة Flares of life عن طريق استخدام كاميرا متصلة بجهاز ذى سرعة تردد عالية high-frequency كما يظهر من الصورة الآتية (١) .



ويبدو أن هذه الهالة هى الوسيلة الوحيدة التى تصل الإنسان بعالم أرقى — على غير وعى منه — أثناء وجوده على المستوى الأرضى ، وتجعله يشعر أنه

(١) من جريدة الأنباء الروحية « الساينك ليوز » عدد ١٥ مايو سنة ١٩٦٥ .

ذات عليا تختلف عن ذاته السفلى أو الحيوانية، ويستمد منها الإلهام والأفكار الراقية . وبسبب ارتفاع اهتزازها فإن اقتحامها يكون أحياناً هدفاً سهلاً لبعض الأرواح غير الراقية ، خصوصاً إذا ما حدث فيها انقسام بسبب صدمة عاطفية أو انفعال عنيف كالخوف الشديد أو الحزن المفرط أو الغيظ المكتوم ، مما قد يسبب لصاحبها مرضاً عصبياً أو عضوياً عضالاً على ما بيناه في عدة مناسبات^(١) كما أن التأثير فيها هو الوسيلة الطبيعية للروح المرشدة عندما تريد وضع الوسيط في غيبوبته لتحقيق بعض الظواهر الوسائطية . هذه الغيبوبة التي هي بمثابة تخدير مؤقت له عن طريق تنويم هو أشبه ما يكون بالتنويم المغناطيسى العادى لكنه يقع بتأثير من عقل روح على عقل إنسان متجسد يصلح وسيطاً لإمكان التأثير في إرادته بصورة ما .

تصوير الجسد الأثيرى لدى نسانه

ودراسة الجسد غير المنظور - بهالته الخارجية - هي حجر الزاوية في العلم الروحى الحديث رأم باب فيه . والجسد الأثيرى هو الذى تعود الباحثون فى الروح أن يطلقوا عليه تجاوزاً - فى بلادنا - وصف الروح ، وقد بينا كيف جنى هذا التجاوز اللفظى على تقدم العلم الروحى فيها ، وكيف خلق له معارضين كبيرين من بين من قد يهملهم أحياناً اللفظ قبل المعنى وتغنيم القشور دون اللباب ١٠٠

وهذا الجسد غير المنظور إلا من وسطاء الاستشفاف يخرج من الجسد المادى عند حدوث ظاهرة الطرح الروحى ، خروجاً تاماً أو جزئياً ، بغير انفصام للجبل الأثيرى الذى يودى انفصامه حتماً إلى الوفاة كما سبق أن بينا^(٢) . لذا كانت دراسة ظواهر الطرح الروحى أو الكوكبى The Phenomena Of Astral Projection إحدى السبل التى أمكن عن طريقها التحقق من

(١) راجع ما سبق فى ص ١٦٠ من رأى ويليام جيس وس ١٦٧ من رأى هير ولودكار ونجوتون وس ١٧٢ من بحوث كارل ويكلاند وس ٤٠٧ من بحوث تيلوس بول .
(٢) راجع ما سبق فى ص ٤٣٠ .

وجود الجسد الأثيرى ومن كيانه المستقل عن كيان الجسد المادى .
وظواهر الطرح الروحى هذه خضعت للتحقيق الدقيق من علماء كبار
وهم بصدد بحوثهم فى التنويم المغناطيسى^(١)، كما خضعت لهم وهم بصدد بحوثهم
فى الظواهر الوساطية الصرف وتمت تجارب ناجحة عديدة للطرح الروحى
قضت نهائياً على نظرية مادية الإنسان ، وذلك فى عدد من المعاهد والهيئات
الروحانية ، فضلاً عن الجامعات العادية وهى بصدد إجراء بحوثها فى التنويم
المغناطيسى والباراسيكولوجى . بل قد نجحت تجارب جامعة كبريدج فى
تصوير الجسد الأثيرى للوسيط جاك وبر أثناء طرحه طرحاً جزئياً



جاك وبر وسيط جامعة كبريدج وقد انساب منه جسده الأثيرى وبدأ واضحاً
وجود جسدين . التقطت هذه الصورة بالأشعة دون الحراء

(١) مثل الدكتور الكسندر كانون فى مؤلفه The Shadow Of Destiny
و The Power Within ومثل الأستاذ هير وارد كلرنجتون فى مؤلفه
The Astral Projection و The Projection Of Astral Body
وراجع أيضاً كتاب « ظواهر الطرح الروحى » للمرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو بركة .

وبعد الاستعانة بجهاز للأشعة دون الحمراء كما يتضح من الصورة . كما لجمع
سير ويليام كروكس في تصويره باستعمال جهاز هيليومتر جرينوئش
. Heliometer of Greenwich

وجميع الصور التي سنوردها في الفصل المقبل عند الكلام في تأثير العقل
المباشر في المادة، إنما تمثل أجساداً أثيرية لسكان ذلك العالم الآخر بعد تخليهم
بطبيعة الحال عن طريق الوفاة عن أجسادهم المادية . وهي تبدو بمثابة تماماً
لأجسادهم الأرضية التي عادت إلى أمها الأرض بهذه الوفاة ، وقد أرجأنا
عرضها على القارئ إلى ما بعد الكلام في الفصل المقبل لأن هذه الصور
ثبتت هذا التأثير للعقل في المادة ، كما ثبت وجود الأجساد الأثيرية ، فهي
وثيقة صلة بالموضوعين معاً . والمراجع الروحية حافلة الآن بالمثلثات من
هذه الصور التي جاءت تحت أدق رقابة علمية ، وألفت عنها مؤلفات
من علماء لا صالح لهم إلا في تقرير الحقيقة العلمية مهما بلغت خطورتها ، على
ما سيلي تفصيلاً فيما بعد .

موقف علم النفس الحديث من الجسد الأثيري لدى ناسه

هذا وقد سلم عالم النفس المعروف مكندوجال بوجود الجسد اللامادي
في الإنسان ، إلى حد أنه قال إنه يفضل — بعد بحوثه في الباراسيكولوجي —
أن يستعمل تعبير الجسد الأثيري أو الروحي للإنسان بدلاً من الحديث
عن العقل الباطن^(١) .

وحمداً حذر مكندوجال العالم السويسري كارل جوستاف يونج
C.G. Jung وهو أبرز علماء النفس في العصر الحاضر بغير ريب . وقد اقتنع
بعد بحوث مضمينة في الباراسيكولوجي بوجود هذا الجسد أيضاً ، واستعمل
في التعبير عنه وصف The Archetypal أي النموذج أو المثال الأصلي

(١) راجع ما سبق عنه في ص ١٧٤ .

أسوة بعدد من العلماء الآخرين والباحثين^(١) . وقال يونج عنه إنه من طبيعة روحية The psychoid nature of the Archetype ، وإنه بالتسليم به لا يعارض آراءه السابقة في علم النفس، لكنه يدفع بها قدماً إلى الأمام للوصول إلى تعاريف عليية أكثر دقة بعد إذ وجد نفسه مضطراً إلى القيام بتحليل عام لطبيعة النفس ولإيضاح الخصائص الأولية المتعلقة بها، والصلات بين بعضها والبعض الآخر .

لذا يقول يونج إن النفس البيولوجية التي تحمل الغرائز — شأن الأشعة الروحية دون الحمراء The Psychic Infrared ، — تتخلل تدريجياً إلى فسيولوجية الأعضاء ومن هناك تنتشر بطورها الكيميائية والطبيعية ، وكذلك أيضاً هذا النموذج أى المثال الأصيل أو الإشعاع فوق البنفسجي The Psychic Ultraviolet أو النفس البيولوجية التي تحمل الغرائز



يونغ

يمثل حقلاً لا يبرز أياً من الخصائص الفسيولوجية . ومع ذلك لا ينبغي أن ينظر إليه في نهاية التحليل بوصفه محض أمر روحي ، رغم أنه يكشف عن نفسه بطريقة روحية ، ولكنه عبارة عن مجموعة وظائف فسيولوجية تتم بنفس طريقتها .

ثم يقول يونج إن هذه النماذج الأصلية The Archetypes لا نشعر بها، لكنها خضعت للاختبار كموامل تلقائية Spontaneous agencies ولا تملك

(١) راجع مجلدات Erano-Jahrbücher (بالألمانية ولها ترجمة كاملة بالإنجليزية) في الجزء الثاني عشر (سنة ١٩٤٥) وعنوانه «دراسات في مشكلة النموذج أو المثال الأصيل» Studies on The Problem of the Archetypal

اليوم إلا أن نصف طبيعتها بما يتفق مع آثارها الرئيسية بوصفها روحاً في المعنى الذى حدده في مقال له عن « علم ظواهر الروح في قصص الجنيات » . وإذا كان الأمر كذلك فينبغى تحديد مركز النموذج أى المثال الأصيل تحديداً مشابهاً لتحديد الغريزة الفسيولوجية من ناحية وجوب اعتبار هذا النموذج بطبيعته الروحية بمثابة القنطرة إلى المادة بوجه عام .

ثم يقول إنه في النظريات القائمة عن هذا النموذج أو المثال الأصيل (للجسد المادى) تواجه الروح والمادة كل منهما الأخرى على المستوى الروحى ، فالمادة أسوة بالروح تبدو في بملسكة النفس ذات صفات متميزة .

ويذهب يونج إلى أن هذا النظر يتطلب وجود نفس مرتبطة بالمادة في رقعة ما ، أو بعبارة أخرى مادة لها روح خامدة ، ولا تبعد طبيعتها كثيراً عن بعض الصيغ التى صاغها علماء الفيزياء المعاصرين عن المادة الصرفة من أمثال إدنجتون وجينز وغيرهما (أى أن لهذا النموذج كياناً لا يختلف في طبيعته عن الكيان المادى) . ثم يضيف بكل وضوح أنه بهذا الارتباط يجب أن يذكر القارىء بوجود ظواهر وراء روحية *parapsychic phenomena* لا يقدر قيمتها الحقيقية إلا أولئك الذين أتاحت لهم فرصة الاقتناع بها عن ملاحظة شخصية .. ، (١) .

هذا هو كلام يونج عالم النفس وأحد ثلاثة عمد قام عليها علم النفس في القرن العشرين بجانب فرويد وآدلر . وهذه هى ثمرة بحوثه لعشرات من السنين في الباراسيكولوجى . فهل اطلع أحد من المعارضين على هذه البحوث الخطيرة في الجسد غير المادى أو في المثال الأصيل ؟ . . .

(١) راجع البحث بأكمله وعنوانه روح السيكولوجيا *The Spirit Of Psychology* بقلم يونج في مجلد عنوانه « الروح والطبيعة *Spirit And Nature* » صدر في سنة ١٩٥٠ مترجماً عن المجموعة الألمانية الآتية الإشارة إليها ص ٣٧١ - ٤٤٤ وجوهه . يدور حول هذا الجسد الأثيرى أى النموذج أو المثال الأصيل *The Archetypal* .

ويلاحظ أن ما يذكره يونج من أن هذا النموذج أو المثال الأصلي لا يبعد في طبيعته كثيراً عن بعض الصيغ التي صاغها علماء الفيزياء المعاصرين عن المادة يتفق مع أقوال الأرواح من أن لأجسادهم كيانياً مادياً بالنسبة لحواسهم . وليس في ذلك غرابة إذا ما راعينا أن أجسادنا الترابية ليست في نهاية المطاف أكثر من أجساد أثيرية ذات رتبة اهتزاز منخفضة . فكان كل الفارق بين الجسدين هو في درجة الاهتزاز لا في طبيعته ، لأن كل مادة تصل في نهاية التحليل إلى أن تكون مجرد اهتزاز أثيري . ولنا عودة تفصيلية إلى كل ذلك في الباب الأول من الجزء الثاني معززة بأحدث حقائق الفيزياء .

مراكز الطاقة في الجسد الأثيري

وقد حاول علماء كثيرون استكشاف مراكز الطاقة في هذا النموذج أو الجسد الأثيري للإنسان ، ومنهم م . فويوم M. Voillaume مستخدماً طريقة التوافق البندولي المعروفة في علم الإشعاعات الحيوية غير المنظورة Radiesthésie ، ومنهم الدكتور لي برنس A. Le Prince مستخدماً جهاز الراديو بيوميتر Radiobiometer فاثبتا معاً وجود مناطق في الجسد الأثيري تطلق طاقة تؤثر بدورها في الجسد المادي وهي موزعة كالآتي :

المنطقة الأولى : تقع تحت الذقن مباشرة .

، الثانية : ، في مستوى الضفيرة الشمسية Solar Plexus

، الثالثة : ، في مستوى الضفيرة المساريقية Mesentric

. Plexus

، الرابعة : ، في مستوى الضفيرة العجزية Sacral Plexus

، الخامسة : ، في مستوى مفاصل الركبتين وتحتهما .

وقد اختبر فويوم عدة أشخاص من المعالجين الروحيين فبين له أن قوة الطاقة الخارجة من الجهاز العصبي السمبثاوي تزيد عن قوة الطاقة المائلة الخارجة من الشخص العادي بنسبة تتراوح بين ٣٠٠٪ إلى ١٠٠٠٪ ، أى من ثلاثة إلى عشرة أضعاف .

كما اكتشف لي برنس مناطق أخرى للطاقة تقع خلف الأذن وعند قاع
المخ وهي تصدر بدورها إشعاعات قوية .

وقد وضحت هذه الأبحاث بطريقة عملية كيف يتم العلاج الروحي .
ذلك لأن لكل خلية حية ذبذبة موجية معينة ، فإذا ما مرض أى عضو
فى الإنسان اضطربت ذبذبات خلاياه ومهمة المعالج الروحي هى أن يكون
بمثابة جهاز استقبال لإشعاعات معينة آتية من عالم الروح ثم جهاز عاكس
إلى العضو المريض ، فتحاول الروح المعالجة عن طريق هذا الجهاز الآدى
أن تؤثر فى اهتزازات الخلايا المريضة عن طريق إحداث نوع من التوافق
أو الرنين بين التردد الموجى الصادر من الوسيط المعالج وبين التردد المضطرب
للخلايا المريضة ، وذلك حتى ترجع هذه إلى ترددها الصحيح فى الجسد
الآثيرى الذى قد ينجح أولا ينجح فى التأثير بدوره تأثيراً طيباً فى العضو
المريض من الجسد المادى . وهذه هى إحدى وسائل العلاج الروحي والتي
تبين لماذا قد ينجح العلاج الروحي أحياناً ولا ينجح أحياناً أخرى .

وهذا الذى وصلت إليه بحوث العلم الروحي الحديث من نتائج ، يتفق
إلى حد كبير مع ما قرره حكماء الهند منذ القدم عن وجود مراكز للطاقة
أو دتشاكران ، Chakras بحسب اللغة السنسكريتية ، وهى دوامات تشبه
الأتباق شكلاً ، مقرها الجسد الآثيرى أو وراء المادى . وقد يراها أحياناً
ذوو الجلاء البصرى . وهذه المراكز يقولون إنها تتلقى الطاقة الكونية وتنتج
عنها حركة دائرية موجية ثانوية فى سطح الجسد الآثيرى أو ما وراء المادى ،
ولكل مركز منها ألوان معينة . وتنقسم هذه المراكز إلى ثلاث مجموعات
كالآتى : -

مجموعة ١ : تضم مركزين (١) المركز الجندرى Root Chakra ، وهو موجود

عند نهاية العمود الفقري ومقسم إلى أربعة أجزاء ألوانها أحمر وبرتقالى على التوالى ، وهذا المركز يمتص طاقة خاصة من عالم المادة .

(٢) المركز الطحالى Splenic Chakra ، وهو يقع فوق منطقة الطحال وبه ستة ألوان : أحمر وبرتقالى وأصفر وأخضر وأزرق وبنفسجى ، وهو يمتص القوة الحيوية من الشمس ويوزعها على باقى مراكز القوة بحسب ألوانها .

بمجموعة ب : وهى تضم ثلاثة مراكز تمتص القوة اللازمة لشخصية الإنسان .

(٣) المركز السرى Navel Chakra ، وهو يقع مقابل الضفيرة الشمسية ومقسم إلى عشرة أقسام دائرية أو إشعاعات خضراء وحمراء على التوالى . وهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالانفعالات والعواطف .

(٤) المركز القلبي Heart Chakra ، وله ١٢ إشعاعاً لوناً أصفر ذهبى متألّق .

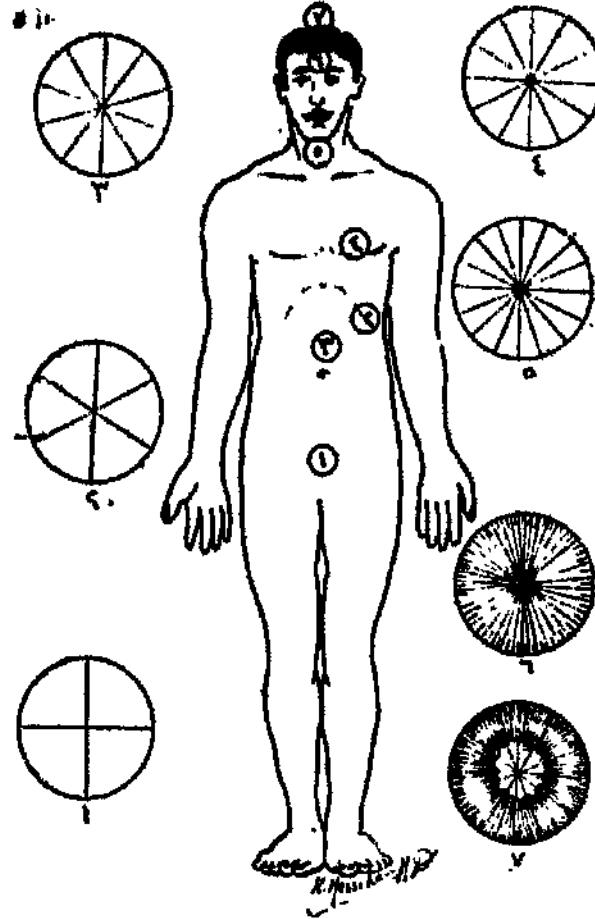
(٥) المركز الحنجرى Throat Chakra ، وهو يقع مقابل الحنجرة وله ١٦ إشعاعاً ويتألّق بألوان خضراء وزرقاء تشبه ضوء القمر .

بمجموعة ج : وهى مجموعة المراكز العليا ، وتضم مركزين : —

(٦) المركز الحاجبى Brow Chakra ، وهو موجود بين الحاجبين ويبدو كأنه منقسم إلى نصفين أحدهما وردى اللون يتخلله بعض الأصفر والثانى بنفسجى مائل إلى الزرقة . وله ٩٦ إشعاعاً وهو وثيق صلة بالغدة النخامية (التى تسيطر على الغدد الصماء بالجسم المادى) .

(٧) المركز الأكليلى أو التاجى Crown Chakra ، وهو موجود فى قمة الرأس ويتألّق بشدة حيث أنه يحتوى على ٩٦٠ إشعاعاً يغلب عليها اللون البنفسجى ، وفى مركزه ١٢ إشعاعاً تتألّق بلون ذهبى خاطف . وقد رسمه القدماء على شكل هالة ذهبية مشرقة تحيط برؤوس القديسين ، وهذا

المركز وثيق صلة بالغدة الصنوبرية Pineal gland وهي نقطة الاتصال بين الروح والجسد^(١).



مراكز الطاقة في الجسد الأثيري

عن الجسد غير المادى للعبارة

ولأن لكل كائن حي جسداً غير مادي يمدّه بالحياة عن طريق الروح ، فقد أجريت تجارب متعددة لتصوير الأجساد غير المادية للحيوانات وللحشرات لحظة وفاتها . وقد نجحت هذه التجارب في معهد برنارد جونسون

(١) هذا التلخيص لمراكز الطاقة تفضل بعمله مشكوراً صديقنا الدكتور خليل مسيعة — وكذلك الرسم المرافق — من مؤلف للأسقف الدكتور ليد بيت عنوانه « مراكز الطاقة أو القوة » . Dr. Rev. C. W. Leadbeater : The Chakras (1927) .
وراجع ما سبق في ص ٤٢٣ . عن الغدة الصنوبرية .

Institute Bernard Johnstone بالولايات المتحدة الأمريكية ، حيث قام الدكتور واترز R. A. Waters بعمليات تصوير دقيقة استخدم فيها مخدع ولسون للتعدد^(١) — وهو الجهاز المستخدم في دراسة إشعاعات نشاط الراديوم وفي تصوير الالكترونات أى كهارب الذرة — مطبقاً عملية تحطيم الذرة تطبيقاً ماهراً على مجموعة من الجراد التي قام بتخدير عدد منها تخديراً قوياً من شأنه أن يفضى تدريجياً إلى موتها . فتبين أن آلات التصوير قد سجلت انسلخ جسم رقيق من جسد الجراد لحظة موتها في شكل « شبح جراد » .

ثم استعمل واترز نفس الطريقة مع فريق آخر من الجراد قام بإعطائه كمية من المخدر لا تكفى لقتله ، فلم تسجل لوحات التصوير الظاهرة التي سجلتها مع الفريق الأول من الجراد .

وقد ذكر واترز أن هذه التجارب أثبتت « نوعاً من طاقة يفقدها الجسم الفيزيقي لحظة حدوث الموت الحقيقي ، ولم تدل البيانات الفيزيكية المستخلصة على أن ذلك الذى يفقده الجسم نوع من أنواع الطاقة فقط ، بل دلت على أنه جسم غير مادي خرج من الجسم المادي لحظة حدوث الموت ، وقد أمكن رؤيته باستخدام بخار الماء » .

وقد لوحظ أنه في كل الحالات التي مانت فيها الجراد ظهراً في الجهاز يطابق شكلها تقريباً ، أما لما أخذت صورتها وهي تحتضر ثم « أعيدت » إلى الحياة فلم تظهر الأشكال المتكشفة . وأجرى الدكتور واترز تجارب مماثلة على الضفادع والفران البيضاء ، ولكنه في ٣ حالات فقط من ٤٠ تجربة على الفران كانت النتائج إيجابية ، وهو يعلل ذلك بصعوبة أخذ الصورة في لحظة الموت تماماً .

وهكذا نجحت تجارب الدكتور واترز في النهاية في إثبات نظرية

جاسكل Gaskall من أن الروح البشرية « حالة » تقع في فراغ ما بين الذرات وخلايا الإنسان ، والنظرية موضحة تفصيلاً في كتاب عنوانه « ماهي الحياة ؟ » . وهذه التجارب شرحتها أيضاً جامعة رينو Reno بولاية نيفادا الأمريكية في رسالة ترجع إلى سنة ١٩٢٣ عنوانها « المقدار داخل الذرة » (١) .

وفي المعهد الدولي للبحث الروحي بلندن يستخدم منذ سنة ١٩٣٥ أيضاً مخدع ولسون للتمدد هذا ، وهو مصنوع في كبريدج ونجرب به بنجاح نفس التجارب التي جرت في أمريكا .

لآثبات مبهمة تظهر في جلسات البحث الروحي

فإذا كان لكل كائن حي جسد أثري أو لامادي يزوده بالحياة ، فلا غرابة إذا ما ظهر بعض هذه الأجساد في جلسات البحث الروحي متجسداً أحياناً وغير متجسد أحياناً أخرى أسوة بأجساد البشر . وقد حاولت أرواح مرشدة راقية في مناسبات عديدة وفي حضور وسطاء معينين إظهار هذه الكائنات الحية لإقناع الحاضرين بعدم انقطاع الحياة فيها ، ولاتوقفها في أية صورة من صورها رغم انفصالها عن أجسادها المادية ، بما اعتدنا أن نسميه « موتاً » ، وما هو إلا تحول طبيعي للحياة من حالة إلى حالة أخرى (٢) .

وقد سجل هذه الظاهرة الغريبة علماء متعددون في ظروف تنفي كل خداع وبعد اتخاذ احتياطات صارمة لدرء شبهة الخداع أو التدليس . فمثلاً حدثت هذه الظاهرة مراراً داخل « جمعية الدراسات الروحية بوارسو » (٣) في عامي ١٩١٩ ، ١٩٢٠ في حضور الوسيط البولندي جان جوزيك

The Intra Atomic Quantity

(١)

(٢) وقد تحدث بولس الرسول عن الأجساد غير المادية عند الحيوان (لا عند الإنسان حسب) « لا » وللهائم جسد آخر . ولسلك آخر . وللعالم آخر . وأجسام سموية وأجسام أرضية ، لسكن مجد السمويات شيء ومجد الأرضيات آخر . . . » (في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس

١٥ : ٣٨ — ٤٠)

La Société de l'Etude Psychique de Varsovie

(٣)

Jan Guzik . وقد سافر خصيصاً الدكتور جوستاف جيلى مدير « المعهد الدولى لما وراء الروح » ، بباريس إلى وارسو لمشاهدته وحضر معه حوالى خمسين جلسة ناجحة وتحقق من صحتها بعد اتخاذ كافة الضمانات ، ثم اصطحب الوسيط إلى باريس حيث أجرى تجاربه معه من جديد فى سنة ١٩٢٠ .

كما سجل الدكتور جيلى فى مؤلفه « الاكتوبلازم والجلاء البصرى : ملاحظات وتجارب شخصية » ^(١) فى حضور نفس الوسيط ظهور كائن حى غريب الشكل فى حجم الإنسان له رأس ضخمة وجبهة عريضة مستقيمة وذراعان طويلان قويان ، ومغطى بشعر كثيف خشن تنبعث منه رائحة حيوان متوحش أو كلب مبتل أخذ يلحق بلسانه الناعم الضخم يد أحد الحاضرين عندما ربت عليه . وقد أطلق جيلى على هذا الكائن العجيب اسم Le Bithécanthrope والتقط له عدة صور ^(٢) .

وقد أكد صحة هذه الوقائع ووصفها أيضاً رينيه سيدر René Sudre الأستاذ بمدرسة الدراسات الاجتماعية العليا بباريس ووكيل «المعمل الوطنى للبحث الروحى » التابع لجامعة لندن فى جريدة البحث الروحى ^(٣) بعد أن اشترك بنفسه فى تحقيق وساطة جوزيك .

كما قام « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس بدعوة أكثر من ثلاثين عالماً من أبرز علماء فرنسا وأعضاء الأكاديميات لتحقيق ظواهر هذا الوسيط البولندى المذهلة ، داخل المعهد وقد اتخذوا احتياطات شديدة ضد التباديل : منها تكليف الوسيط بأن يخلع ملابسه تماماً وأن يرتدى « ييجامة » معدة له خصيصاً بدون جيوب ، وتوقيع كشف طبي دقيق عليه ، واستخدام أجهزة

(١) L'Ectoplasmie et la Clairvoyance. Observations et
Experiences Personnelles. Alcan 1924.

راجع بوجه خاص ص ٢٨٨ ، ٢٩٦ وما بعدها

(٢) « ونخلنى ما لا نعلمون » .

(٣) Psychie Research سنة ١٩٢٨ ص ٦٠٥ وما بعدها .

كهرية متعددة ، ودهان الأرضية بطلاء لزوج كوسيلة للمراقبة ولضمان أن أحداً لا يغادر مكانه من الموجودين أثناء فترة إظلام الجلسات .

وبعد هذه الاحتياطات الصارمة في عدة جلسات متوالية وقعوا - كلهم - تقريراً إيجابياً يروى وقائع محددة عن تجسّدات وجوه ، وظهور أضواء مجهولة المصدر ، وتجسّدات كائنات حية مجهولة المصدر ، وسماع أصوات مختلفة لها ، وشم روائح غريبة وظهور بصمات لخالب حيوانات متعددة تركت آثارها على طلاء الأرضية . ومن الأصوات الغريبة صوت تنفس كلب كان يلهم تباً ، وصوت أيدي تربت عليه (كما لو كانت تحاول إقناعه بالبقاء واحتمال التجربة) والوسيط في غيبوبة عميقة لا يدري شيئاً عما كان يدور في جو الغرفة من ظواهر مثيرة لا يعرف العلم المادى لها تعليلاً .

وهذا التقرير الخطير نشر في مجلة هذا المعهد الدولي منذ سنة ١٩٢٣ وفي الجرائد السيارة (مثل الماتان) ، ومن الموقعين عليه بايل Bayle مدير إدارة تحقيق الشخصية ، وسينو Cuneo الأستاذ بكلية الطب بجامعة باريس ، والفيلسوف كاي فلاماريون مؤسس الجمعية الفلكية الفرنسية ورئيسها ، والدكتور جيلي مدير المعهد ، ودي جرامون A. De Gramont عضو الجمع العلمي Institut ، وبول جينستي Paul Giniety ، وهيك Huc مدير جريدة برقية تولوز ، ولاسابليير Lassablière مدير معمل كلية الطب ، والبروفسور ليكلنش Leclainche من الجمع العلمي أيضاً ، وميشو Michaut مفتش عام الطرق والكبارى ، ومارسيل بريفو Marcel Prevost عضو الأكاديمية ، والبروفسور شارل ريشيه ، والدكتور رهم Rehm المحرر العلمي لجريدة الماتان ، والبروفسور فاله Vallée مدير المعمل الوطنى للبحوث الصحية ، وسير أوليفر لودج العالم المعروف وعضو الجمعية الملكية بلندن وغيرهم ...

كما خضع نفس الوسيط جوزيك لتجارب «الكلية البريطانية للعلم الروحى» في سنة ١٩١٩ ، ثم خضع لها من جديد في شهر ديسمبر سنة ١٩٢٢ ، ثم جرت

معه سبع جلسات أخرى عقد آخرها في شهر يونيه من سنة ١٩٢٣ ، وأسفرت عن ثبوت صحة نفس هذه الظواهر الغريبة^(١) .

ومثل هذه الظواهر عن تجسد بعض الحيوانات والطيور في حضور بعض الوسطاء سجلها شارل ريشيه (جائزة نوبل في الفسيولوجيا) في حضور وسيط بولندي آخر وهو برجيك Burgik في مؤلفه « ثلاثون عاماً من البحث الروحي » ،^(٢) (١٩٢٣) وخلال عدد من الجلسات اتخذت فيها جميع الاحتياطات ضد احتمال الخداع أو الخيل .

— وسجلها أيضاً الكولونيل جونسون E.R.Johnson في حضور الوسيطة مسز ريدت Wriedt ونشرها في جريدة لايت Light الصادرة في ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٢ .

— وسجل الكولونيل أولكوت Olcott مثلها في حضور الوسيط دانييل دنجلاس هوم في مؤلفه « إناس من العالم الآخر » ،^(٣) .
— وسجل مثلها البروفسور بولوفسكي Pawlowski في « جريدة جمعية البحث الروحي الأمريكية » ، (عدد سبتمبر ١٩٢٥)^(٤) .

ظهور رأس كلب ميت غير متجسد

وهذه واقعة فريدة من ظهور صورة رأس كلب ميت التقطت مصادفة — كما التقطت مصادفة مئات من صور أجساد أثرية لأدميين — تنقلها عن مجلة العلم الروحي ، التي تصدرها « الكلية البريطانية للعلم الروحي » ، (عدد أبريل سنة ١٩٢٧ ص ٦٠ وما بعدها) . ومقتضاها أن اللادى هير Hahir كان عندها كلب من فصيلة وراف يسمى تارا Tara وفي يوم الأحد ٢٦ سبتمبر

(١) راجع « موسوعة العلم الروحي » تحت كلمة materialisations ص ٢٢٧ وفيها أيضاً وقائع أخرى عن ظهور حيوانات وطيور متجسدة في غرف البحث الروحي .

(٢) Trente Années de Recherches Psychiques

(٣) People from the Other World

(٤) Journal A. S.P. R.

سنة ١٩٢٦ كانت عندها صديقة تدعى مسز مايرز كايرن M. Cairn فالتقطت صورة لصديقتها اللادى هبير وبجوارها كلبها وتارا، هذا . وبعد تجميع الفيلم وطبعه ظهر في نفس الصورة رأس كلب آخر عند مؤخر تارا، يدعى كاتال Kathal كان مملوكاً لمسز مايرز كايرن وتوفى بين يديها في ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٦ .

وكان الكلبان تارا وكاتال (قبل موته) أليفين حميمين، والتقطت الصورة للكلب وتارا، في رقعة من حديقة المنزل كانا يلعبان فيها ، وكان من عادة الكلب الميت أن يسند رأسه على مؤخر الكلب تارا على نفس النحو الذى ظهر في هذه الصورة الفريدة (غاية ما هناك أن تارا كان واقفاً في الصورة لا راقداً) .

وتقول مجلة «الكلية البريطانية» ، إن اعتبارات أربعة ينبغي أن تراعى هنا بالإضافة إلى الثقة المستمدة من شخصية شاهدق الواقعة وهى : —

١ — أن الصورة التقطت على فيلم كاميرا عادى مما يستحيل معه تماماً عرض الفيلم للتصوير مرتين إذا ما قبل بأن هذه الصورة ثمرة خداع عن طريق والعرض المزدوج، double exposure، كما يعترض عادة المكابرون عند استعمال الألواح الزجاجية الحساسة . فهذا الاحتمال مستبعد هنا تماماً ، وقد فحص الميجورت ، ر. مورس T.R. Morse محرر المقال الفيلم وتحقق منه بنفسه .

٢ — أنه لا يوجد أى أثر لعرض مزدوج على هذه الصورة .

٣ — أنه لا يوجد فى أرضية الصورة أى شئ قد يقود إلى الاعتقاد بحدوث وهم أو خطأ .

٤ — أن الصورة التقطت فى ضوء الشمس الساطع كما يظهر من الظلال . فهذه الصورة تمثل حالة من تلك الحالات النادرة التى تستحق التحقيق الدقيق، والتى لا يسخر منها إلا من يرفض مقدماً مواجهة كل ظاهرة غير متوقعة أو تعصى على التفسير المادى .



الكلب « تارا » واقفاً وقد ظهر رأس الكلب الميت « كاتال » عند مؤخره . لاحظ كيف بدا ظهر الكلب « تارا » مستقيماً بشكل غير مألوف وكيف بدت على عينيه نظرة استسلام « وسرحان » ظاهرة شأن الوسطاء من بني البشر . . .



صورة عادية للكلب « تارا » بين ظهره المقوس المألوف



الكلب تارا (الكبير) والكلب كاتال (الصغير) قبل موته تمسك بهما لللادى ميم

وعلم الروح الحديث لا يعترف بفناء أى شيء فى الطبيعة ، ويسلم بأن جميع الكائنات الحية أجساداً أثرية تكفل لها البقاء بعد موت أجسادها المادية المماثلة لها كجما تجميا فى البيئة التى تناسبها من عوالم الغيب . بل حتى للحيوانات المنقرضة مكان ما فى هذا الوجود الهائل الاتساع الذى تعددت فيه مستويات الحياة تعدداً لا حدود له ولا نهاية ، على ما سنوضحه فى الجزء الثانى .

ووصول بعض أرواح الحيوانات إلى بعض المستويات الكوكبية أو الأثرية للوجود لا يعنى مطلقاً وصولها بالضرورة إلى المستويات الروحية أو العقلية التى يبدو أنها خاصة بالكائنات الأدمية وحدها . ذلك أن من الراجح الآن أنه إذا كانت الكائنات الحية كلها تشارك الإنسان فى أن لها مثله أجساداً لا مادية إلا أن فى الإنسان وحده عنصراً روحياً وعقلياً . فإذا كانت الحياة الكوكبية حقاً شائعاً لكل كائن حتى بعد حياته المادية فإن الحياة الروحية مقصورة على الإنسان ، ومن باب أولى مستويات الحياة العقلية التى تعلو المستوى الروحى .

وهكذا تتدرج مستويات الوجود من المادى إلى الكوكبى إلى الروحى إلى العقلى ، وكلها يجمعها وصف « أثيرى » ، فهو أكثر الأوصاف شمولاً واتساعاً . وكل مستوى غير مادى يتضمن مناطق متعددة تعدداً هائلاً بحيث يتعذر تحديدها أو حصرها فى الحالة الراهنة لعلم الروح ، خصوصاً وقد تعددت هنا المدارس والنظريات .

الفصل التاسع

في تأثير العقل المباشر في المادة

تأثير العقل المباشر في المادة عقيدة قديمة قال بها بعض فلاسفة الإغريق كأمر ملازم للاعتقاد بوجود الروح وبخلودها في عالم تخضع فيه المادة خضوعاً مباشراً للعقل ، وبعض المعجزات الواردة في الكتب السماوية لا يمكن تفسيره إلا بأنه يتضمن تطبيقات صريحة ومحددة لتأثير مباشر من عقل النبي أو الرسول في المادة .

بل إن هذا التأثير هو الذى يوضح كيف يمكن أن يكون خلق هذا الكون كله والمحافظة عليه بتأثير مباشر من العقل الأعظم ، هو الذى خلق المادة بمجرد الإرادة، وخلق معها ما هو أعظم منها بكثير وهو الحياة ذاتها ، وهو الذى يهيمن عليهما بالعقل وبالإرادة .

وهذا التأثير الذى كان فيما مضى عبارة عن عقيدة فلسفية أصبح الآن حقيقة علمية بفضل دراسات تمت في نطاق علم الروح الحديث ، وخارج نطاقه أى في نطاق المادة الصرف إذ تبين أن طبيعة المادة الصلبة في النهاية ليست سوى أثر في رتبة اهتزاز معينة ، وهذا الاهتزاز بحاجة إلى مصدر دائم له هو العقل ، لذا قال الشاعر فيرجيل منذ القدم إن العقل هو باعث المادة *Mens agit moles* ، أى أن العقل ينبغى أن يعد مصدراً للمادة ، ولا تعد المادة مصدراً للعقل .

ومن ذلك يبين صدق ما أثبتته سير أوليفر لودج Oliver Lodge ، وكذلك أعمال بير كورى Pierre Curie وجوليو كورى Jolio Curie — وقد كان الأخير مديراً للمركز الوطنى للبحوث العلمية في فرنسا — من أن المادة واحدة تستعملها الروح .

وهو ما كان قد ذهب إليه من قبل الفيلسوف الإيرلندي فيما وراء الطبيعة الأسقف جورج بيركلي Berkeley عندما قرر ، أن العالم المادى ليس سوى عالم مظهرى Phenomenal وليس لمادته صفة الدوام ، كما أنه ليس له طاقة خاصة به ، وأنه ليس من شئ حقيقى سوى الروح ، وأنه ليس للكائن الجسدى من مزية سوى أنه خاضع للحواس ، كما قرر أن كل ما يلحق بنا من تغييرات محسوسة لا يأتى منا ، بل ينبعث من الروح الأعظم . وأن ظواهر الطبيعة ليست سوى أسلوب يخاطبنا به الإله تعالى ويهيم به على إرادتنا . فالنتائج هى موضوع العلوم الطبيعية ، أما الأسباب فهى موضوع الثيوصوفية . وأن العالم المادى لن يكون له وجود بعيداً عن عقل يسجل وجوده .

ومراجع العلم الحديث متجهة إلى أن الكون مكون كله من مادة واحدة هى الأثير فى درجات اهتزاز مختلفة تعطى خصائص جميع المواد الصلبة والسائلة والغازية والمشعة ، أى جميع العناصر المعروفة ، وقد أربى عددها على المائة ، فضلاً عن العناصر غير المعروفة . وذلك يتفق تماماً مع ما تذهب إليه الفيزياء الحديثة أيضاً من نظريات - تلتقى كلها عند هذا المعنى وهو أن صلابة المادة قد تحطمت منذ اكتشاف نواة الذرة - ثم منذ تحطيم الذرة - وأصبحت عبارة عن أثير له درجة اهتزاز معينة ، وكان ذلك بفضل بحوث علماء كبار مثل أينشتاين وهو ايتيهيد وإدنجتون وجينز ورسل وكومبتون وغيرهم . لذا فلا غرابة أن نجد أفضل علماء المادة فى العصر الحالى هم أقوام اقتناعاً بوجود عالم الروح على ما أشرنا إليه فى أكثر من مناسبة سابقة . كما نجدهم لا يترددون فى إعلان إيمانهم الثابت بوجود عالم غير منظور تسكن فيه الأرواح .

ومنهم نجد سير آرثر ستانلى إدنجتون A. S. Eddington (١٨٨٣ - ١٩٤٤) الذى يؤكد فى مؤلفه عن « السبل الجديدة فى العلم »^(١) وجود

New Pathways in Science .
(م ٣٠ - الإنسالة روح)

(١)

عالم الروح ، وبأن الكون كله « محكوم بقوة روحية » . « وأن العالم الفيزيقي يصبح محض افتراض ما لم يتصل به وعي ، وأن العقل لن ينظر إليه بعد الآن باعتباره مجرد نتاج جانبي تطور عن طريق المادة » . كما قرر في محاضرة له عن « العلم والعالم غير المنظور » ، أنه « لا بد أن تعود روح الإنسان إلى العالم غير المنظور لأنها تخصه . وصور إدنجتون الكون كله في صورة فكرة منبعثة عن العقل الأعظم .

وقرر سير جيمس جينز James Jeans (١٨٨٧ - ١٩٤٦) في مؤلفه عن « الفيزياء والفلسفة »^(١) . بأن وراء الكون عقلاً مديراً حكيماً هو العقل الأعظم . وأن هذا العالم المادي بالنسبة لحواسنا هو عالم بالفكر المطلق . وفي مؤلفه عن « الكون الخفي »^(٢) يقرر أيضاً « أن كل هذه الأجسام التي تكون الإطار الرهيب للكون ليس لها أي كيان بغير العقل » . كما يقول الفيلسوف الرياضي المعاصر برتراند آرثر رسل B. A. W. Russell (ولد في سنة ١٨٧٢) إن « المادة ما هي إلا صيغة رياضية معقدة لحوادث تجري في الفضاء المطلق »^(٣) .

وكانت كشوف الفيزياء الحديثة هي التي دفعت عالماً في الروح مثل جيمس آرثر فندلاي James Arthur Findlay مدير المعهد الدولي للبحث الروحي ، بلندن إلى أن يربط في مؤلفاته الروحية بينها وبين معلومات الأرواح عن عالم الروح ، وإلى أن يقول في أحدها :

« وعلى ذلك يكون منطقياً قولك إنه لا مادة حيث لا عقل ، وإن الكون يمكن أن يختزل إلى شيء واحد هو الذي نسميه العقل . ولكن هل نستطيع أن نتصور العقل بدون شيء يؤثر فيه هذا العقل ؟ إنما نحن نقدر وجود العقل وهو يؤثر في المادة . فالعقل والمادة لا بد وأن يكونا متلازمين

Physics And Philosophy .

(١)

The Mysterious universe .

(٢)

(٣) ولنا عودة إلى آراء اينشتاين وكومبتون ورسل في الجزء الثاني لأنها وثيقة الصلة بموضوعنا.

على الرغم من تباينهما — إذ أن أحدهما إيجابي والآخر سلبي . وعلى ذلك فالاسم الذي أطلقناه على الشيء الذي يتكون منه الكون كله وهو المادة ، لابد وأن يتضمن هاتين الحالتين الإيجابية والسلبية ويجب أن يكون مزدوجاً في طبيعته ، إذ أن الواحد لا يمكن تصوّره بدون الآخر ،^(١) .

ولذا فإن من ضمن وجوه البحث الرئيسية التي تقوم بها الهيئات العلمية المعنية ببحث موضوع الروح بحث مدى تأثير العقل تأثيراً مباشراً في المادة تحت وصف Psycho-kinesis . وقد ثبت هذا التأثير بطرق شتى وتحت صور مختلفة موضحة بمجلدات هذه الهيئات ، والتي يضيق عنها موضوع المؤلف الحالي ، الذي خصصناه لعرض الجوانب العامة لحسب من علم الروح الحديث .

وتكفي الإشارة هنا إلى أن الأستاذ ج. ب راين J. B. Rhine عالم النفس المعاصر أثبت هو أيضاً في بحوثه بجامعة ديوك بالولايات المتحدة الأمريكية هذا التأثير وأجمل نتائجها في مؤلفه عن « الوصول إلى العقل The Reach Of The Mind » ، (أو امتداد أثره) . وقد ورد فيه ما معناه أن القوى العقلية يمكنها أن تؤثر في المادة تأثيراً عملياً ، وأن هذا التأثير العقلي في المادة لا ينشأ عن قوة فيزيقية .

كما بين راين كيف أن ظاهرة تأثير العقل في المادة متصلة وثيق الصلة بظاهرة الإدراك عن غير طريق الحواس Extra-Sensory Perception وأن الظاهرتين تتحدان عملياً ومنطقياً : فعند ما يحى تفاعل للعقل مع المادة عن طريق الحس العاды يوصف بأنه إدراك عن غير طريق الحواس . أما عند ما ينتج هذا التفاعل تفسيراً حركياً فيما حوله من مادة بغير واسطة فيزيقية ، فإنه يوصف بأنه حركة عقلية Psycho-Kinesis .

ومما قاله الأستاذ راين عن نتائج بحوثه في جامعة ديوك في هذا الشأن « وإذن فللعقل قوة تستطيع التأثير في المادة ، ومهما كانت الطاقة المحركة

(١) « على حافة العالم الأثيري » عن الترجمة العربية للأستاذ أحمد أبو الخير طبعة ٣ من ٤٨ .

وأيّاً كان نشاطها فإنها تعمل للبادة شيئاً يمكن قياسه إحصائياً . وهي تحدث نتائج في البيئة المادية لا يمكن تحليلها بأى عامل أو نوع من الطاقة معروف لعلم الطبيعة . وعلى أية حال فلا بد أن نفترض وجود الطاقة ... وإن سجلات الطاقة المحركة تظهر أن زهر النرد « الطاولة » وهو ينحدر كانت تعمل فيه قوة فوق تلك القوى التي كانت تقذف به . وإذن فلا بد من وجود طاقة يمكن تحويلها إلى نشاط مادي ، وهذه الطاقة هي الطاقة العقلية ، وهذه هي المرحلة الخامسة الكبرى في طريقنا إلى الهدف ، وهو حل مشكلة العلاقة بين الإنسان والعالم المادي (إذ كانت أعمال قسم الباراسيكولوجي في الجامعة مقسمة إلى عدة مراحل شاقة قبل الوصول إلى هذه النتيجة الخطيرة) .

ثم يقول عن تسلسل هذه المراحل : -

« كانت الأولى في هذه الخطوات هي النتيجة التي وصلنا إليها من أن العقول يمكن أن تتفاعل مع بعضها بدون تدخل أو وساطة مادية وكانت الثانية هي الإدراك خارج الحواس للأشياء . ومنها ظهر أن العقل يمكن أن يدخل في علاقة إدراكية عاملة بدون تدخل ما يعرف بالوسائل الحسية الحركية المعروفة . وكانت ثالثة الخطى هو ما وجد من أن هذه القدرة تستطيع أن تتخطى حواجز المكان ، وكذلك حواجز الزمان ، وهذه هي الخطوة الرابعة . وفي هذه الخطوة الخامسة يقوم الجهاز العقلي الخارج عن نطاق المادة بالرجوع إلى الأشياء المادية محدثاً فيها أثراً صغيراً ، ولكنه شاذ وله مغزى في تأثيره في الزهر المتدحرج بقوة كافية لتغير من وجهته بدرجة لا يمكن اكتشافها إلا بالطريقة الإحصائية الدقيقة ، ولكن يمكن الوثوق فيها لأنها تسمح بتجميع الأدلة القاطعة عن طريق باحثين مستقلين ... » (١) .

(١) عن الترجمة العربية تحت عنوان « العقل وسعواته » للدكتور محمد الخلوji م ١٢٠ ، ١٢١ . وقد عبر المترجم عن تأثير العقل في المادة الذي يرمز إليه المؤلف بحرف P. K. (وهما اختزال Psycho-Kinesis) بصير الطاقة النفسية المحركة . وأدق منه تعبير الطاقة الروحية المحركة ، لأن Psycho تشير في هذا الميدان إلى الروح لا إلى النفس كما بينا في مناسبة سابقة (م ٩٣) .

ثم يقرر بعدئذ « ولم يعد هناك شك في أن الطاقة المحركة P. K. ليست مادية . فليست هناك تجربة واحدة تعزز الرأى المادى، بل هناك أدلة كثيرة تدحضه . والأدلة التى تثبت أن هذه الطاقة المحركة لا تخضع للقوانين الآلية متنوعة الشكل مختلفة التناسق ، وأن خروج هذه الطاقة على هذه القوانين المادية الآلية ليس هو خروجاً سطحياً ، بل هو بمس الصميم لأن العلاقات المادية التى امتحنت فى هذه التجارب هى الأسس لعلم الميكانيكا ، فاكتشاف الحقيقة وهى أنه لا الكتلة ولا العدد ولا الشكل لها فاعلية فى اختبارات هذه الطاقة يجعلها تأخذ مكانها بجانب اكتشاف أنه لا الزمان ولا المكان لها فاعلية على الإدراك خارج الحواس E. S. P. ... » (١).

ثم يقول « ونستطيع القول بأن اكتشاف الطاقة المحركة P. K. كشيء غير مادية يمثل الخطوة السادسة فى طريقنا إلى فهم طبيعة الإنسان الحقيقية فى الوجود ، وهذا الاكتشاف يتواءم بشكل لطيف مع الخطوات السابقة، فإن هذه الطاقة تكمل الإدراك بالجللاء البصرى .. » (٢).

ويقول أيضاً « وليست الطاقة الروحية التى لا بد من استنتاج وجودها لتفسير نتائج أبحاث الإدراك خارج الحواس والطاقة المحركة هى اختصاص غريب شاذ منعزل ، بل يجب الاعتراف بأنها جزء حقيقى واقعى من الكيان الإنسانى المتكامل ... » (٣).

ثم يقول عن تأثير هذا الموضوع فى مشكلة بقاء الإنسان بعد موت الجسد « وهناك صلة أخرى هامة بين الإدراك خارج الحواس E. S. P. والطاقة المحركة P. K. والحياة بعد الموت . فإن لم تكن هذه القدرات فى بنى البشر لكان من الصعب تصور إمكان البقاء بعد الموت ، وبالتأكيد كان يستحيل اكتشافه ، فهو على علته ظهور للنشاط غير مادية للعقل .

(١) المرجع السابق من ١٣١ ، ١٣٤ .

(٢) المرجع السابق من ١٣٥ .

(٣) المرجع السابق من ١٧٥ .

والإدراك الوحيد الممكن في حالة فناء الجسد هو الخارج عن الحواس، كما أن الطاقة المحركة ستكون هي الطريقة الوحيدة للتأثير في أى جزء من العالم المادى . وحتى لكي يتصل عقل الإنسان بعقل حى فلا بد من احتمال تدخل هذه الطاقة المحركة . والتلبأى أو انتقال الأفكار تبدو أنها الطريقة الوحيدة للاتصال بين الأموات والأحياء أو بين بعضهم بعضاً .. (١) .

ثم يقول عن البحث الروحى الصرف لتحقيق مشكلة إثبات البقاء بعد موت الجسد المادى، إن فى إمكاننا أن نعمل الكثير لتبسيط وضبط الدراسات التجريبية للوساطة الروحية، وهذه الدراسة المبدئية للطرق يمكن أن تبدأ دون إبطاء فى التخطيط القادم لرقعة الإدراك خارج الحواس والطاقة المحركة . وأحسن خطة لمشكلة البقاء تتطلب الحملة عليها من عدة نواح . والمستكشفون لهذا الميدان يجب أن تكون لديهم الحرية فى العثور على أية ظاهرة تتصل بالبحث فى أى مكان كانت ... وعلينا بالطبع أن نجتمع التقارير من كل نوع عن هذه التجارب، وأن نكون متيقظين لكل قذ عديم النظير منها، خصوصاً تلك التى توحى بصفة خاصة إلى أعمال شخصيات فنيت أجسادها ... (٢) .

وهذا الكلام كتبه راين حوالى سنة ١٩٤٠، ويلاحظ فيه مدى التحفظ والاحتياط، وهو مما يضعف قيمة شهادته فيما بعد فى سنة ١٩٥٠ لثبوت الحياة بعد فناء الأجساد المادية والاتصال بأرواح من نسميهم خطأ بالموتى بناء على تجارب جامعة ديوك حتى هذا التاريخ الأخير، عندما أخذ يحاضر فى الجامعات الأمريكية والبريطانية وفى الإذاعة البريطانية عن ثبوت هذا الاتصال بأرواح « الموتى »، تجريبياً على ما بيناه فى مناسبة سابقة (٣) .

(١) المرجع السابق ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٥٠ .

(٣) راجع ما سبق فى ص ١٧٥ — ١٨٢ .

وأقوى مظاهر تأثير العقل في المادة — في المستوى الأرضي — هو في تأثير العقل إلى حد ما في شكل الإنسان وملائمته العامة التي قد تدل على اتجاهاته وملكانه وأخلاقه، وهو ما يعترف به تماماً علم الإنسان، ومن ذلك أيضاً تأثير العقل في وظائف الأعضاء إلى الحد الذي قد يكون له تأثير ملبوس في الصحة أو المرض . وقد درس علماء متعددون هذا التأثير المباشر للعقل في وظائف الأعضاء . منهم العالم الإيطالي سيزار لومبروزو Cesar Lombroso عندما اكتشف التغيرات الفسيولوجية التي قد يحدثها العقل في تجاربه على الوسيطة الأسبانية أسابيا بلادينو Eusepia Paladino .

كما أثبت العالم الألماني أنطون مسمر Anton Mesmer — مؤسس علم التنويم المغناطيسي في شكلة الحديث — تأثير التنويم المغناطيسي في شفاء بعض الأمراض العضوية منذ سنة ١٧٧٥ . وهو ما سلم به أيضاً الطبيب الفرنسي الكبير شاركو Charcot الأمر الذي دعاه إلى تأسيس مدرسة سالبتريير Salpêtrière بباريس في سنة ١٨٧٨ للعلاج الإيحائي مقتفياً خطوات مدرسة نانسي Nancy الأولى في التنويم المغناطيسي . وعن طريق الاستماع إلى شاركو ومشاهدة تجاربه في التنويم والإيحاء عرف سيجموند فرويد التنويم وخطورته، فلما عاد إلى فيينا بدأ يستخدمه في علاج مرضاه .

ومن مجموع البحوث التي جرت في هذا الميدان ظهر طب العلاج النفسي للأمراض العضوية Psycho therapeutics ، وهو علم معترف بجدواه وأقرت الجمعية البريطانية صحته بإجماع الآراء في تقرير يرجع إلى عام ١٨٩٢ ، وهو الأمر الذي تكفلت ببحثه وإثباته جهات البحث العلمي في الروح بالإضافة إلى جهات البحث العلمي في التنويم المغناطيسي . وأجمعت عليه بغير نعتاء هذه المدارس وتلك معاً حتى لقد أصبح من المعروف الآن أن العقل الباطن للإنسان هو الذي يهيمن على وظائف الجسم الحيوية كالدورة الدموية والتنفس ودقات القلب ونمو الخلايا وإفرازات الغدد والمضم ...

والظواهر الوساطية تكاد تكون كلها غير مفهومة ولا يمكنه بغير التسليم

ابتداء بإمكان استقلال الوعي عن الجسد المادى ، وهو الأمر الذى ثبت منذ عرف التنويم المغناطيسى فى العصر الحديث ، ثم بالتسليم بوجود تأثير مباشر للعقل فى المادة يشير بذاته إلى قوة العقل وإلى تفوقه على المادة ، لذا كان العقل هو الذى يوجه المخ ويهيمن عليه لا العكس (١) .

وظاهرة تجسد الأرواح من مادة تنتزعها بأسلوب عقلى من جسم الوسيط أو الوسيطة ، ثم ظاهرة الملابس تصنعها لنفسها بهذا الأسلوب الذى يسبب ذهول الحاضرين ، ثم ظاهرة الشكل الذى قد تتخذه لنفسها وهو غالباً شكلها القديم قبل انتقالها إلى عالم الروح مباشرة ... كل ذلك يتم بتأثير مباشر من عقل الروح فى مادة الا كتوبلازم أو فى طاقة معينة قد تنتزعها من جسم الوسيط أو الوسيطة بنفس الأسلوب . ومع مراعاة أن ذاكرة الروح فى شأن شكلها الأخير جزء من عقلها بطبيعة الحال .

وتحرك الأرواح للأجسام الصلبة فى غرف البحث الروحى يكون بعقولها لا بأيديها . ومثل ذلك تحويل المادة إلى طاقة ، ثم إعادة الطاقة إلى مادة كما تم ظاهرة كظاهرة المجلوبات والمأخوذات الروحية ، فإن كل ذلك يتم بأساليب عقلية خالصة تنبئ بذاتها عن وجود مستوى عقلى للحياة يختلف تماماً عن مستواها المادى الذى نحيافه الآن .

بل إن ظهور صورة الروح غير المتجسدة على اللوح الحساس — الذى بدأ منذ سنة ١٨٦١ فى حضور الوسيط د. ه. ماملر بوسطن (٢) D.H. Mumler ثم أخذ يتكرر على نفس الوتيرة فى حضور وسطاء متعددين فى بلاد مختلفة وفى بيئات عليبة متنوعة بغير انقطاع حتى الآن — يكون بتأثير عقلى مباشر فى هذا الزجاج الحساس مع استعانة عقل الروح بطاقة منبعثة من جسم الوسيط

(١) راجع ما سبق عن رأى راينز فى ص ١٧٧ ، وبرجسون فى ص ١٨٣ ، ورأى كلود برنار فى ص ٣٥٢ وويشيه وغيره فى ص ٣٥٣ — ٣٥٥ .

(٢) وقد تولى ماملر فى سنة ١٨٨٤ وله أول مؤلف فى الصور الروحية وعنوانه .

«Personal Experiences Of William H. Mumler in Spirit Photography» .

وقد ظهر هذا الكتاب فى سنة ١٨٧٥ وحالياً توجد نسخة منه فى المتحف البريطانى .

تتخذ أحياناً شكل الضباب أو الغيم الأبيض وتظهر على اللوح الحساس محيطية بوجهها من كل جانب، لأن الروح تنتزع أولاً هذه الطاقة من أحد الوسطاء، وعندما يتجمع منها القدر الكافي تحاول أن تتذكر شكلها القديم قبل مغادرتها عالمها الأرضي. فإذا ما فعلت ذلك فإنه قد يمكنها مع الإصرار والمران أن تظهر نفسها وسط هذا الضباب في هذا اللوح بشكل ما كوسيلة لإثبات شخصيتها.

فظاهرة التصوير الفوتوغرافي لأرواح غير منظورة تختلف تماماً عن ظاهرة تصوير روح متجسدة تجسداً تاماً أو جزئياً، وهي الظاهرة التي حققها كروكس وآخرون غيره في بلاد عديدة على ما وضعناه في مناسبة سابقة بالصورة (١). أما إظهار روح غير متجسدة لنفسها على اللوح الحساس فهي ظاهرة تختلف عنها من ناحية أن الروح لا يرأى غير وسطاء الجلاء البصري قبل ظهورها على اللوح الحساس.

بعض المراجع في الصور الروحية Skotographs & Psychographs

وقد قامت هيئات عليية لها مكاتبتها ببحوث متواصلة لتحقيق هذه الظاهرة الأخيرة، وهي ظهور صـسـور ورسومات وأشكال ورموز ومخطوطات متنوعة على الألواح الحساسة في حضور بعض الوسطاء منها ما تم عن طريق تحقيق وساطة الوسيط روبرت بورسنيل Robert Boursnell في داخل الكلية البريطانية للعلم الروحي، واستخدم في هذا التحقيق جهاز للأشعة فوق البنفسجية فظهرت عشرات من الصور الواضحة تماماً وبالنظر لاستخدام هذا الجهاز لم يظهر في هذه الصور الضباب الأبيض الذي يظهر عادة عند عدم استخدامه (٢).

(١) راجع ما سبق في ص ٣١٦ — ٣٣٩، ٣٤٥ — ٣٤٩.

(٢) راجع مجلة العلم الروحي التي تصدرها الكلية منذ يولي ١٩٢٧ ص ١٠٠ وما بعدها.

وراجع مقالا عن التصوير الروحي لـ ر. في. إي. سبنسر R. F. E. Spencer في عدد أبريل سنة ١٩٢٢ من نفس المجلة (ص ٨٠ — ١٠٣) وهو موضح بالصور الروحية، =

وحصل على صور عديدة لأرواح غير متجسدة في منزله الأسقف شارل تويديل Charles Tweedale رئيس أساقفة يوركشير عن طريق وساطة زوجته وكريمته . كما حصل على رسائل على اللوح الحساس ونشرها في مؤلفه « أنباء من العالم الآخر »^(١) . وبدون الاستعانة بأى جهاز للأشعة غير المنظورة .

وحقق ظاهرة الصور الروحية أيضاً سير ألفريد راسل والاس A. R. Wallace في مؤلفه عن المعجزات والروحية الحديثة^(٢) . كما خصص لها فصلاً العالم والوزير ألكزاكوف Aksakoff في مؤلفه عن الحيوانية والروحية^(٣) ، وسير آرثر كونان دويل A.C Doyle في مؤلفه عن « حالة التصوير الروحي »^(٤) .

— وسير أوليفر لودج O. Lodge بعد تجاربه مع الوسيطة آدا إيمادين . A. E. Deanne .

— وسير وليام باريت W. Barrett بعد تجاربه مع الوسيط هوب W. Hope .
— وستانلي دى برات Stanley De Brath بعد تجاربه مع نفس الوسيط .
— وسير وليام كروكس W. Crookes بعد تجاربه مع وسطاء عديدين .
— وهيروارد كارنجتون H. Carrington بعد تجاربه مع الوسيط هوب والوسيطة مسز دين Deanne .

— ودكتور جورج لندسى جونسون George Lindsay Johnson .

— ودكتور جلين هاملتون Glen Hamilton .

— ودكتور جيمس كوتس James Coates بعد تجاربه مع وسطاء

== ومقالاً آخر لرئيس تحرير هذه المجلة . بلاى بوند F. Bligh Bond في عدد يوليو سنة ١٩٢٢ وفيه يقترح أسلوباً معيناً لبحث ظاهرة التصوير الروحي مؤيداً بجاربه الخاصة في هذا الشأن (س ١٣٤ — ١٤٤) .

News From The Next World.

(١)

Miracles And Modern Spirituailism.

(٢)

Animismus Und Spiritismus.

(٣) بالألمانية وله ترجمة فرنسية .

The Case For Spirit Photography.

(٤)

عديدين ، وقد شرحها الأخير في مؤلفه عن « تصور غير المنظور »^(١) .
— والمعمل الوطنى للبحث الروحى التابع لجامعة لندن عدة تجارب
مع الوسطاء وليام هوب وجورج موس ومسز إيرفينج وغيرهم^(٢) .
وحصل على عدد ضخم من الصور الروحية الأستاذ ف . و . واريك
E. W. Warrick . عن طريق وساطة السيدتين دين Deanne ومادج
دونوهو Madge Donohoe وغيرهما . ونشرها في مؤلفه «بحوث في
الروحيات»^(٣) (١٩٣٨) وهو ثمرة بحوث مثابة دامت لسنين كثيرة في
ظواهر الكتابة المباشرة والصور الروحية بأسلوب على دقيق .

كما حصل المؤلف على صور لمناظر طبيعية ولآلات موسيقية ، ولوحات
لتوضيح قصتين واردتين من عالم الروح إحداهما فرعونية والأخرى
إغريقية ، وعلى صور أخرى لطيور ولنباتات ومخطوطات وأردة من عالم
الروح تتضمن القصتين ، وكل ذلك بدون الاستعانة بكاميرا .

وكان بعض الصور والمخطوطات يرد بمساعدة من روح سير أرثوكونان
دويل بالاشتراك مع روح مارتن دونوهو زوج الوسيطة الراحل ، وعن
طريق هيمنة الروح المرشدة جولدن كلود Golden Cloud الذى يقول إنه
فرعون قديم . وقد بلغ مجموع هذه اللوحات كلها حوالى أربعة آلاف
وخمسةائة لوحة . وقد قدم هذا المؤلف الثمين للقراء سير أوليفر لودج بمقدمة
يشهد فيها بما يعلمه شخصياً عن مؤلف هذا الكتاب من أمانة ومثابة ودقة .

وجميع اللوحات الحساسة أحضرها الأستاذ واريك بنفسه وقام بعمليات
التحميض والطباعة بعيداً عن الوسطاء ، واتخذ جميع الاحتياطات لدرء
كل شك أو شبهة في شأنها . وتبدو المناظر التاريخية فيها واضحة تماماً

Photographing The Invisible.

(١)

(٢) راجع ما سبق عن المؤلف فى ص ٢٦٠ ، ٢٥٩ .

(٣) تجارب فى الروحيات Experiments In Psychics ص ٣٤١ ، ٣٧٤ ،

٣٨٦ ، ٣٩٠ .

ومتفقة مع وقائع القصتين الفرعونية والاعريقية الواردتين بدورهما من
عالم الروح عن طريق هذه اللوحات الحساسة .

Page 386

SUPPLEMENT



Fig. D/769



Fig. D/783



Fig. D/797



Fig. D/803



Fig. D/813



Fig. D/817

Further Mrs. Donohoe's photographs illustrating the Egyptian story told to G.D. (Gordon Doyle) and M.D. (Martin Donohoe) by Golden Cloud, who was once a pharaoh - sent by them jointly (according to the scripts). These particulars apply to illustrations on the next three pages and to the set on page 341.

سنة نماذج لتوضيح قصة فرعونية ذكرت روح سيد آرثر كونان دويل ومارتن دونوهو
(زوج الوسيطة الراحل) أن جولدن كلود (الروح الميمون) قد رواها لها . وقد بلغت
مخطوطات القصة التي كانت تظهر على الألواح الحساسة ٤٧٥ مخطوطاً كما بلغت اللوحات
الرائدة نفس العدد تقريباً .



Fig. D/720



Fig. D/721



Fig. D/728



Fig. D/731



Fig. D/747



Fig. D/757

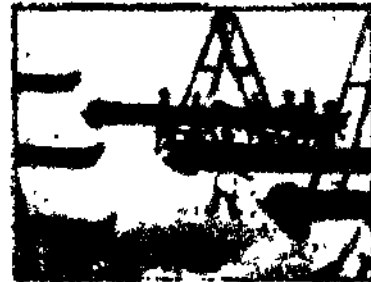


Fig. D/761



Fig. D/781

Further Mrs. Donohoe photographs illustrating the Egyptian story

ثمانية نماذج أخرى وردت عن طريق نفس الوسيطة لتوضيح قص القصة الفرعونية
(عن كتاب « تجارب في الروحانيات Experiments in Psychics » للأستاذ واريك
Warrick من ٣٨٦ ، ٣٨٧) .

كما شهد بصحة ظاهرة التصوير الروحي الأديب الإيرلندي الكبير شوزموند Shaw Desmond بعد تجارب متعددة مع بعض الوسطاء وبخاصة مع مس كاثلين هولم Miss Kathleen Holme . ويقول إنها أول وسيطة يمكن في حضورها الحصول على صور روحية ملونة على ألواح من الزجاج الحساس المختومة والتي لم يمسه إنسان^(١) .

فمن ذا يا ترى هو الذى لفق هذه الآلاف من الصور الروحية التى تزخر بها الآن المراجع الروحية^(٢) . وكيف وأين ومتى تم التلقيق ؟ وما أدلتة

(١) فى مؤلفه « كيف نحيى عندما نموت » ص ٤٦ .

How you Live When You Die

(٢) ومن أراد الاستزادة فى هذا الموضوع فليرجع إلى المراجع الآف ذكرها هنا ، أو إلى المراجع التى بينها فيما سبق فى باب « بعض الأسماء والمراجع » حيث قد أشرنا فيه إلى بعض من تلك المتصلة بالصور الروحية . وبالإضافة إلى هذه وتلك يمكنه أن يرجع إلى بعض المجلات والعروضات الدورية التى تبحث فى أمور الروحية ومنها مثلا :

— مضابط جمعية البحث الروحي البريطانية S. P. R. Proceedings حيث يجد فى المجلد السابع الصادر فى سنة ١٨٩١ — ١٨٩٧ مقالا لمسز سيد جويك مبين به فائدة للسكرتير والمجلات الدورية التى نشرت بيانات عن الصور الروحية حتى ذلك التاريخ .

— ومنها جريدة الإنسان الروحي The Spiritualist حيث يجد فى عددي يولييه ١٨٧٢ وفى أعداد متعددة من سنة ١٨٧٥ مجلة صور .

— وفى الجريدة الروحية The Spiritual Magazine يجد القارىء فى عددي سبتمبر ١٨٧٢ ونوفمبر ١٨٧٣ صورا أخرى .

— وفى مجلة « العلم الروحي » Psychic Science التى تصدرها « الكلية البريطانية

للعلم الروحي » راجع الأعداد الآتية : —

يناير وأبريل وأكتوبر ١٩٢٣ . ويناير وأبريل ١٩٢٤ . وأكتوبر ١٩٢٥ . ويناير وأكتوبر ١٩٢٦ . ويناير وأبريل ويولييه ١٩٢٧ . ويناير وأبريل وأكتوبر ١٩٢٩ . ويناير ويولييه ١٩٣٠ . ويناير وأكتوبر ١٩٣٢ . ويناير وأبريل ويولييه ١٩٣٣ . ويناير وأكتوبر ١٩٣٤ .

— وراجع فى جريدة لايت Light عن الصور الروحية المجلدات الآتية :

سنة ١٩٠٢ من ٨ ، ٩ ، ٣٤٧

» ١٩٠٣ من ٤٧ ، ٧٧ ، ١٢٣ .

» ١٩٠٨ من ٢٨٣ .

» ١٩٠٩ من ١٤٣ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢١٣ ، ٥٣٧ .

» ١٩١٥ من ٤٣ ، ٥٥ ، ٩٣ ، ٢٥٧ ، ٥٥٤ .

» ١٩١٦ من ٢٤ ، ٢٥ ، ٦٦ ، ١٠٥ ، ١٥١ ، ٢٩٣ .

مع كل الاحتياطات الضخمة التي يراعيها العلماء والباحثون الجادون في كل مكان،

== د ١٩١٧ من ٩٥٠ ٦٤.

د ١٩١٨ من ٨٠٠ ٩٥٠ ٩٤٦ ١٥٨ ١٧١ ١٧٥ ١٩١ ٣٥٧.
د ١٩١٩ من ١١ ٢٧ ٤٦ ٨٤ ٢٦١ ٢٦٧ ٢٧٩ ٣٣٤ ٣٣٩.
٣٤٣ ٣٥٢ ٣٧٦ ٣٩ ٣٩٩ ٤٠٠.

د ١٩٢٠ من ١٠٧ ١٣١ ١٣٣ ١٥١ ١٥٩ ١٨١ ١٩٠ ١٩٦.
٢٩٠ ٣٤٦ ٣٥٦ ٣٦٢ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٩٦ ٤٢٠.
٤٣٤ ٤٤٠ ٤٥٠ ٤٥٢ ٤٦٦ ٤٨٢.

د ١٩٢١ من ١٠ ٢٦ ٤٢ ٥٨ ٦٠ ٧٤ ٩٠ ٩٢ ٩١ ١٠٦.
١٠٧ ١٠٩ ١٢٢ ١٢٣ ١٤٠ ١٤١ ١٥٥ ١٥٨.
١٧٢ ١٨٨ ٢٠٦ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٥٤.
٢٥٥ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٨٦ ٢٨٧ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٣٤.
٣٣٨ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٦٩ ٣٧٤ ٣٧٥.
٣٨٨ ٣٩٢ ٣٩٦ ٣٩٨ ٤٥٢ ٤٦٦ ٤٧٧ ٤٤٣.
٥٥٧ ٥٦٠ ٥٧٤ ٥٧٥ ٦٠٤ ٦١٩ ٦٢٨ ٦٦٨.
٦٦٩ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٤ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٥٠ ٨١٤.
٨١٥ ٨٢٠ ٨٣١.

سنة ١٩٢٢ من ١٢ ٦٥ ١٣٤ ١٥٤ ٢٦٦ ٢٩٨ إلى ٣٠٢ ٣٢٣.
٤١٠ ٤٢٢ ٤٣٥ ٤٤٥ ٥١٧ ٥٢٢ ٥٦٤ ٥٦٥.
٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٦ ٦١٤ ٦٣٩ ٦٥٣ ٦٦٥ ٦٨٢.
٧٠٨ ٧٠٩ ٧٢٠ ٧٧٦ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٨١١.
د ١٩٢٣ من ٤ ٨ ٣٨ ٥٧ ٦٠ ٧١ ١٢٢ ١٢٩ ١٣٦.
٢٥٢ ٢٧٧ ٢٩٢ ٥٥٧ ٦١٩ ٦٢٣ ٦٥١ ٧٢٧.
٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٧.

د ١٩٢٤ من ٢٢ ٢٣ ٣١ ٣٤ ٣٥ ٤٧٤ ٥٣٥ ٥٩٤ ٦٢٣.
٦٨٧ ٧١٥ ٧٢١ ٧٢٨ ٧٣١ ٧٣٣ ٧٣٦ ٧٤٣.
٧٤٦ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٧٠ ٧٧١.

د ١٩٢٥ من ٥ ٩ ١٦ ٢٨ ١٢٥ ٢٦٩ ٣٣٢ ٤٢٧ ٤٨١.
٥٨٠ ٥٨٣ ٥٨٩.

د ١٩٢٦ من ٨٩ ١٠١ ٣٥٦ ٥٠٧ ٥٨١.

د ١٩٢٧ من ١٣٦ ٣٥٣ ٤٦٤.

د ١٩٢٨ من ١٢٢ ٢٢١ ٥٢١ ٥٦٦ ٥٨٠.

د ١٩٢٩ من ٢٠٦ ٢٩٨ ٣١٠ ٤٤٤.

==

والألا يمكن اكتشاف التلغيق إن وجد ؟ ولماذا ينزل علماء من طراز ألفرد راسل والاس وأوليفر لودج ووليام باريت وكروكس ، وتويديل رئيس أساقفة يوركشير إلى هذا المستوى ؟ .. ولماذا ينزل معهم علماء الجمعية الأمريكية للبحث الروحي ، وأيضاً « الجمعية البريطانية للبحث الروحي » ، S.P.R. و « الكلية البريطانية للعلم الروحي » ، و « المعمل الوطني للبحث الروحي » التابع لجامعة لندن ، و « المعهد الدولي لما وراء الروح بباريس » ، ومن بعدهم عشرات من أفضل العلماء إلى هذا المستوى ؟ وما مصلحتهم ؟ ...

هذه أسئلة على المكابر أن يعطينا عنها جواباً شافياً قبل أن يعارض لمجرد أنه غير قادر أن يتصور إمكان ذلك ... بل على طالب البحث عن الحقيقة أن يرجع إلى بعض هذه الأبحاث كيما يدرك مدى الاحتياطات الدقيقة التي اتخذت لمنع شبهة التدليس أو التسرع ولندره الاعتراض به . كما يمكنه أن يلاحظ النتائج المتشابهة التي حصل عليها الباحثون الكبار في كل مكان كيما يجزم أن هذه الآن حقائق عالمية ثابتة وإن كانت لا تخضع للأساليب المادية المألوفة .

فالتصوير الروحي لأرواح أو لمناظر أو لمخطوطات غير منظورة من الحاضرين لا يتم بالأساليب العادية ، بل كما - قلنا - بتأثير مباشر من عقل روح

== د ١٩٣٠ ص ٦٤

د ١٩٣١ ص ٥٢ ، ٧٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٦١ ، ٢٨٦ ، ٤٢٥ ، ٤٣٠ ،

٤٧٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٨ ، ٥٢٥

د ١٩٣٢ ص ١٠٩ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ٥٧١ ، ٥٨٣ ، ٥٩٥ ، ٦٥٢ ، ٦٦٥

د ١٩٣٣ ص ٣٣ ، ٥٥ ، ٧٠ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٥١ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ،

١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢١٢ ،

٢١٣ ، ٢٣٠ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٣٠٥ -

٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣٢٥ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ،

٣٧٤ ، ٤١٨ ، ٤٧٣ ، ٥٨٥ ، ٦١٣

د ١٩٣٤ ص ٢٠ ، ٢١٢ ، ٣٠٠ ، ٣٦٠ ، ٤٦٧ ، ٥١١ ، ٥١٧ ، ٧٦٩

د ١٩٣٥ ص ٥٥ ، ٤٢١ ، ٤٣٩ ، ٤٥٩ ، ٤٧٤ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٨١٩

د ١٩٣٦ ص ١٥٦ ، ١٩٣ ، ٢٩٥ ، ٣٠٩ ، ٧٤٤

د ١٩٣٧ ص ١٩٥ ، ٢٦٢ ، ٣٤٢ .

متمرنة في اللوح الحساس تستخدم فيه طاقة خاصة ينبغي أن تنبعث من جسم الوسيط أو الوسيطة . وينبغي أن يكون الموضوع كله تحت إشراف روح أو أرواح مرشدة متمرنة بدورها جيداً على كيفية استخدام هذه الطاقة . وقد يحتاج الأمر أحياناً إلى استخدام كاميرا وقد لا يحتاج ، كما قد يحتاج إلى جهاز للأشعة فوق البنفسجية أو دون الحمراء وقد لا يحتاج لا لهذا ولا لذلك ، بحسب نوع الطاقة وخبرة الأرواح المرشدة وإمكانياتها ، ووسائل العمل التي لديها في جسيم الوسيط .

وليس مقتضى تعذر الحصول على صورة روحية عند الطلب وطبقاً للأساليب المادية إنكار صحتها ، لأن كل ظاهرة روحية كما سبق أن بينا إن هي إلا ظاهرة طبيعية تحدث فحسب عندما تتوافر لها شروطها ، كظاهرة سقوط المطر أو تجمع السحاب أو ظهور قوس قزح ، أو كظاهرة نمر زهرة . ومهمة العلم الروحي هي تسجيل الظاهرة عندما تحدث دون أن يزعم أن له عليها أى سلطان من طبيعة سلطانه على المادة الصلبة .

وهذا التأثير المباشر للعقل في المادة يبلغ أوجه في عالم الروح حيث يكون العقل في أوج ازدهاره وحريته ، وحيث تكون المادة الصلبة أسرع اهتزازاً بكثير من الضوء البنفسجي ، وهو أسرع الألوان اهتزازاً على المستوى الأرضي . وهذا التأثير يتحكم في كل مظاهر الحياة هناك . وعلى ذلك أجمعت رسائل الأرواح ، كما أجمعت على أن هذا التأثير هو الذى يمكنها من أن تزاوّل نشاطها في الصناعة وفي البناء وفي الفنون الجميلة وفي غيرها . وهو الذى يمكنها من أن تستخرج من التأثير مائتاً من المواد السائلة والصلبة والغازية وتشكلها على الشكل الذى يلزمها .

ولذا كانت الكيمياء العقلية ، متقدمة جداً في المناطق العليا من عالم الروح ، وتقوم بدور أخطر بكثير من دوره الكيمياء العضوية مثلاً على المستوى

(١) ولنا إلى ذلك عودة تفصيلية في الجزء الثانى .

الأرضي ، كما كانت الظواهر الفيزيائية تحتاج — بالإضافة إلى الوسطة القوية — إلى كيميائيين بارعين من عالم الروح ، يحسنون استخراج مادة الإكتوبلازم من جسم الوسيط بوسائل عقلية ويحسنون خلطها بمادة من عندهم فتصبح لفائف من التبللازم ، متعدد الألوان والأشكال ويتفاوت في كثافته أو في رفته بحسب نوع الظواهر المراد إحداثها . كما يحسنون سحب الطاقة المطلوبة بقدر الحاجة إليها وبحسب نوع الظواهر وظروف الوسيط أو الوسطاء ، كما يحسنون إعادة كل شيء إلى حالته السابقة عند نهاية الجلسة بدون إضرار بالوسيط أو بالوسطاء .

وكتب البحث الروحي حافلة بالتجارب وبالمعلومات في هذا المعنى . فولا وجود أجساد أثيرية للأرواح على ما يبناه في الفصل السابق ، ولولا إمكان التأثير المباشر للعقل في المادة على ما يبناه في الفصل الحالي ، لما كانت تصبح مفهومة هذه الظواهر ، ولارسائل الأرواح في شأن طبيعة الحياة هناك وفيما يلي نقدم عدة نماذج من صور روحية — تثبت الأمرين معاً — التقطت بواسطة علماء ثقة ، وهم بصدد تحقيق وسطة بعض وسطاء التصوير الروحي المعروفين في تاريخ الروحية . والوسطاء من الندرة بمكان ، ولكن ندرة الشيء لا تنفي وجوده ، فالوسيط القوي كما وصفه سير آرثر كونان دويل بمثابة زهرة نادرة في صحراء جرداء . ومن هؤلاء الوسطاء روبرت بورسينيل وهوب وويلي ودوروتى تويديل ودين ودونوهو وجون مايرز وغيرهم ... من أحيط بتحقيق وساطتهم بضمانات جمة وخضع التحقيق لبحوث عدد وافر من أحسن العلماء والباحثين ، الذين لا يعنيه في الأمر شيء سوى رغبة الوصول إلى الحقيقة العلمية وتسجيلها بأمانة مهما كانت في خطورتها واتساع نطاقها تملو عن أن تعيها — الآن — بعض المدارك والأفهام .

صور لأرواح غير متجسدة
تحقيق وساطة روبرت بورسينيل بالتقاط صور للأرواح في وجوده
مع الاستعانة بالأشعة فوق البنفسجية



(عن مجلة السكايه
البريطانية لأمم الروحي
عدد يوليو من سنة
١٩٢٧) .
تكوين تدريجي
لمصورة الرأس خلف
الوسيط .



روح غير متجسدة
أشار الوسيط إليها فلما
صوبت عدسة الكاميرا
في اتجاهها أثبتت صحة
ما قرره الوسيط ، فلم
للكاميرا عقل باطن ؟
(المرجع السابق)



عن مجلة «الكلية البريطانية للعلم الروحي»

عدد يوليو ١٩٢٧



عن نفس المراجع وفي حضور نفس الوسيط



عن نفس المرجع وفي حضور نفس الوسيط



صورة تمثل رسماً أحدثته يد غير متفورة على اللوح الحساس في حضور الوسيط



مسورة روحية للسيد واين
Wain المتولى في ٥ أبريل سنة
١٩٢٨ (عن مجلة السكاي البريطانية
للعلم الروحي عدد يناير سنة
١٩٢٩).



صورة روحية للسيدة ماري لويديل
تلقاها زوجها شارل لويديل رئيس
أساقفة يوركشير في منزله عن طريق
وساطة صكريته دوروثي الجالسة
إلى اليمين (عن مؤلفه أنباء من العالم
الآخر).

لاحظ التعاقب الواضح بين
أسلوب هذه الصورة وسبقها
ومظهرهما العام، وذلك بالإضافة
إلى الثقة المستمدة من الأشخاص
الذين قاموا بالتقاطها، ومن أن كل
فريق كان يعمل على أفراد بغير أية
رابطة تربط بينهم.





صورة روحية لسير وليم
دروكس تلقاها في منزله
الأسقف تويديل (ولى الزاوية
البنى صورة أرضية له للمقارنة)
عن كتاب تويديل « أنباء
من العالم التالى » (وراجع
ماسبق عن المؤلف فى ص ٢٦٥)



صورة روحية لسير آرثر
كونان دويل ولى الزاوية البنى
من أعلى صورة أرضية له
للمقارنة (عن المرجع السابق)

تحقيق وساطة ويللي



عدة وجوه غير منظورة ظهرت على لوح
حساس واحد في جلسة واحدة في ظروف
مؤامجة في حضور الوسيطين الأمريكي الرى
ريشوللز Elsie Reynolds والبريطاني
إدوارد ويللي Ed. Wyllie . وقد تحدى
الدكتور جيمس كوتس James Coates
بهذه الصورة خبراء التصوير في العالم أجمع
(عن مؤلفه « تصوير غير المنظور »
Photographing The Invisible
ص ٣٤٣)

الدكتور جيمس كوتس وقد التقطت له
هذه الصورة في حضور الوسيط إدوارد
ويللي فظهرت معه صورة روحية للسيد جون
آدامسون التولى (عن المراجع السابق ص ١٦٧)

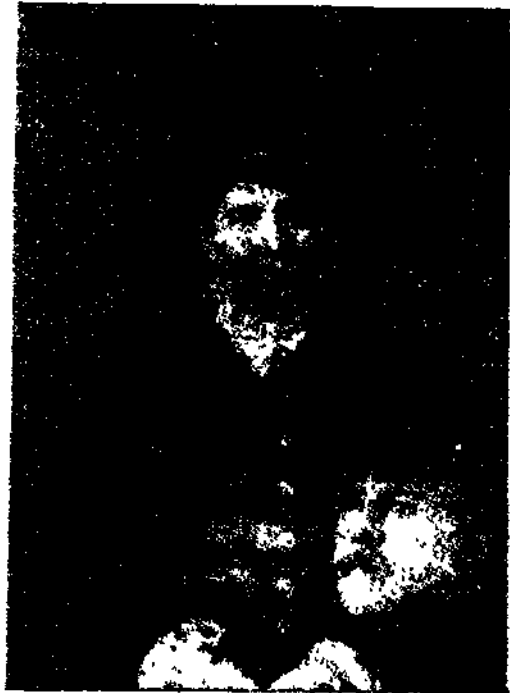




سيدة تدعى كلارا آشورث وقد ظهرت
معه صورة لسيدة تدعى أليس هوايكيكر
توفيت منذ ١٨ أبريل سنة ١٩١٠
وذلك في حضور نفس الوسيط (عن المرجع
السابق ص ١٩٩) .



إدوارد و. و. وسيط التصوير الروحي
وقد ظهرت معه صورة لوالدته المتوفاة
(المرجع السابق ص ١٢٥)



→
سيدة تدعى م.س مكالوم وقد ظهرت
معه صورة روحية لوجهين أمكن التعرف
على صاحب أحدهما فقط وهو مستر نيكولسون
(عن المرجع السابق ص ١٨٩)



صورة التقطت في حضور الوسيط ويل ،
ظهرت فيها صورة روحية للعائلة المتوفاة أجفست
تويديل سمسون ابنة زوجة الدكتور جيمس
كوتس ، ويقرر الأخير أن صورة العنقة
لا تتطابق أية صورة أخرى التقطت لها أثناء
حياتها الأرضية ، اسكنها تشبه العملة المتوفاة
تماماً في ملامحها وجلساتها وقد أحضرت هذه
الصورة المؤلف سيدة غريبة عنه تدمى
منزله عندما ظهرت هذه الصورة الواضحة
غير المتولدة .

(عن المرجع السابق ص ١٩٠)



صورة التقطت في حضور نفس
الوسيط السيدة شارلوت جرات
تظهر فيها واضحاً وجه ابنها المتوفى
اليكساندر جرات .
(عن المرجع السابق ص ١٩٢)

امتحان وساطة ويل في أمريكا



صورة لرجل صيني يدعى شارلي التقطت
في حضور الوسيط ويل بناء على طلب
أعضاء جمعية البحث الروحي في باسادينا
The Pasadena Psychical
Research Society
بكاليفورنيا بأمريكا في شهر نوفمبر
سنة ١٩٠٩ . وقد قصدت الجمعية
أن يكون الشخص الجالس للتصوير
أجنبياً لا صلة له بالأمور الروحية
فظهرت صورة لوجه ابنه الذي لم يكن
رآه منذ ثلاث سنين وكان نبأ وفاته
بالمين قد أخفى عنه ، ولما استفسر
شارلي من أسرته عن حقيقة الموضوع

جاء الرد بأن ابنه قد انتقل حقيقة إلى عالم الروح (عن المرجع السابق ص ١٢١ إلى ١٢٣)

وساطة مارتن



صورة التقطت في الضوء الأبيض
لشيخ متجسد في جاسة علنية بقاعة
لنكولان بمدينة دنفر بولاية
كولورادو Denver, Colorado
في ٥ أبريل سنة ١٩٠٣ بمعرفة
المصور الوسيط ألكسندر مارتن
A. Martin فظهر الشيخ ومعه
عدد من وجوه أرواح غير
متجسدة (إلى اليمين) ووجه غير
منظور وصدر (إلى اليسار)
(عن المرجع السابق ص ١٣٥) .

وساطة هوب W. Hope



صورة تمثل الدكتور جيمس كوتس
وفريقته نشرت في لندن ماجازين
The London Magazine
(عدد مايو سنة ١٩٢٠)، وقد التقطت
في حضور الوسيط وليام هوب بمدينة
روترى **Rothsay** فظهرت بينهما
سيدة بين فها بعد أنها تدعى إيدياهاى
توفيت في روترى في ١٣ سبتمبر
١٩٠٦ (الرجع السابق ص ٢٣٠)



صورة للسيد والسيدة هوبز
Hobbs التقطت بدائرة هوب في
سنة ١٩١٩ فظهرت بينهما صورة
وجه ابنها المتولى
(الرجع السابق ص ٢٢٤)



صورة تمثل الدكتور جيمس
كوتس التقطت له في دائرة كرو
الروحانية، وكان الوسيطان هما
وليام هوب ومسر باكتون
Mrs Baxton فظهرت إلى
اليمين صورة زوجة كوتس المنتقلة
إلى عالم الروح.
(الرجع السابق ص ٢٤١) .

صور روحية متنوعة التقطت في حضور علماء كبار



صورة لسيدة مجهولة ظهرت على اللوح
الحساس بدون كاميرا ولا إضاءة خاصة في
حضور الوسيط دجويد D. Duguid
(المرجع السابق ص ٢٨٨) .



صورة التقطها جيمس كولس في برمنجهام
أثناء تجاربه على الوسيطة السيدة « د »
وزوجها وهو وسيط أيضاً . فظهرت
صورة روحية لوجه أمكن التعرف على
صاحبه (المرجع السابق ص ٢٥٥) .



صورة لسير ألفرد راسل والاس التقطت
في ١٤ مارس ١٨٧٤ فظهرت معه روح
والدته المتوفاة التي لا يعرفها الوسيط مستر
هندسون . وحصل والاس على صور أخرى
روحية تحت الرقعة العلمية (عن مؤلفه
المعجزات والروحية الحديثة) Miracles
And Modern Spiritualism)



صورة للوسيط برمنون موراي وخلفه
صورة روحية لدام بونير Bonner (عن
كتاب العالم اللغوي والوزير الروسي
أكزا كوف « الحيوانية والروحية »
(Animisme et Spirtisme)

وساطة السيدة ديني



ثلاث صور واسعة فيها ملامح الوجه التقطت عن طريق وساطة السيدة آدا إرنا ديني
(عن تجارب في الروحانيات Erperiments In Psychics. 1938 للأستاذ واريكس ٢٢)

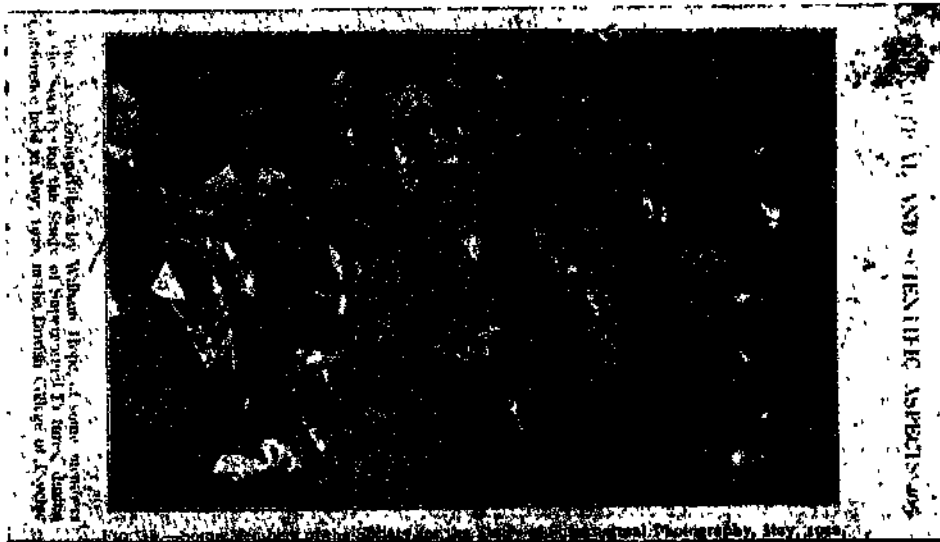
وساطة السيدة دونوهو



صور روحية كمنادج من ٦٥٠ صورة أواكثر ظهرت بدون كاميرا على الألواح الحساسة
بعد وضعها على جبين السيدة دونوهو لأرواح غير متجسدة. وأمكن التعرف على عدد محدود من أصحابها
(عن مؤلف تجارب في الروحانيات للأستاذ ف . و . واريكس ٣٣٧)



إلى اليمين صورة حديثة لروح الفيلسوف الفرنسي المعروف كامي فلاماريون كما ظهرت على اللوح
المحسّاس أثناء اجتماع حافل بقاعة ألبرت بلندن، وكان وسيط التصوير هو الدكتور جون مايرز
John Myers طبيب الأسنان وذلك تحت رقابة علمية . وإلى اليسار صورة أرضية
لنفس الفيلسوف للمقارنة (عن جريدة الأبناء الروحية *Psychic News* عدد رقم
١٧١١ الصادر في ٢٠ مارس سنة ١٩٦٥)



بعض أعضاء جمعية دراسة الصور غير المألوفة *The Society For The Study Of Supernormal Photography* أثناء اجتماعها في شهر مايو ١٩٢٠ في « الكلية
البريطانية للعلم » الروحي . وقد التقطت هذه الصورة في حضور وسيط التصوير وإيام هوب
W. Hope فظهرت فيها صورة وجه غير منظور (أدر الصورة إلى اليسار) ويرى بين
أعضاء الجمعية هيوات ماكنزي مدير الكلية وفريته وسير آرثر كورنان دويل وفريته .

الدكتور كرو福德 بثبت حياته بعد الموت

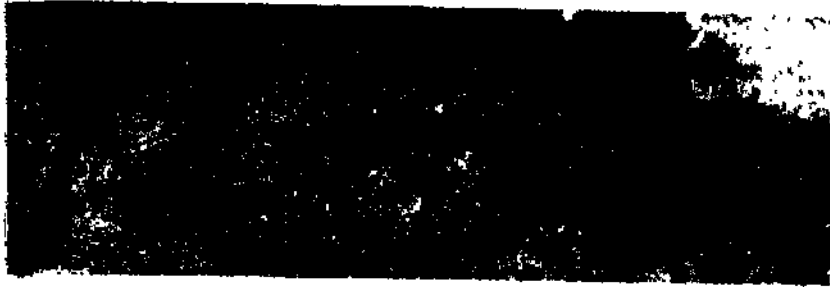


صورة التقطت بدائرة هوب بذاكتون في أغسطس سنة ١٩٢٨ لروح الدكتور و. ج. كرو福德 W. G. Crawford غير متجسد ، وقد حاول إظهار نفسه مرتين على نفس الموجهة قبل أن يظهر بالوضوح المطلوب . وحتى في المرة الثانية عجز عن إظهار أذنيه (عن كتاب تجارب في الروحيات Experiments In Psychics الأستاذ واريك Warrick ص ٦٥ ، ٩٥ وراجع ما سبق عن الدكتور كرو福德 في ص ٢٢٤) .



صورة أرضية للمرحوم الدكتور كرو福德 للمقارنة
(م ٣٢ — الإنسان روح)

مضاهاة الخطوط بعد مضاهاة الصور

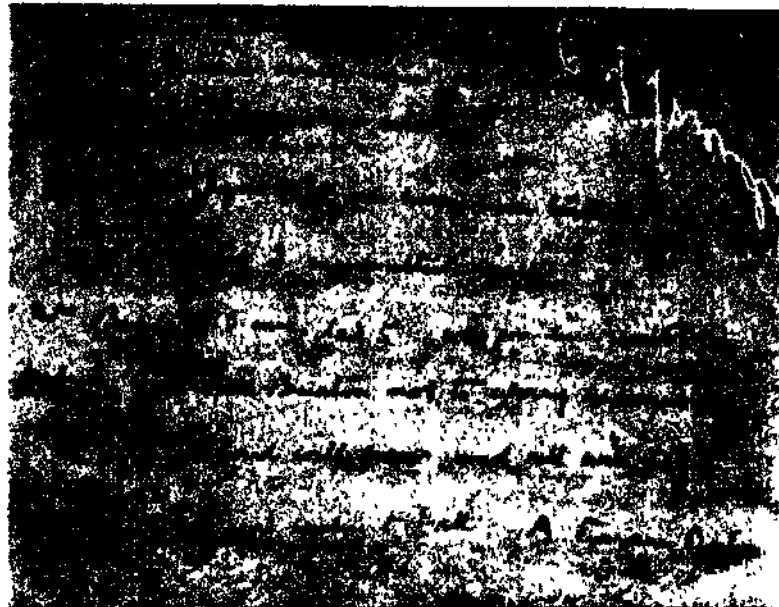


رسالة من روح الدكتور و. ج. كروفورد بخطه وتوقيعه على اللوح الحساس
(الرجم السابق من ٩٣ - ٩٥).

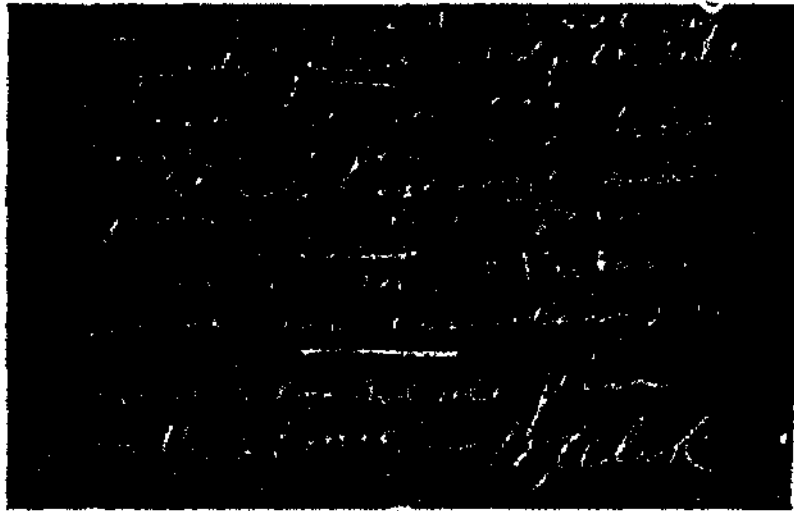
أفودج مصغر لخط الدكتور و. ج.
كروفورد أثناء حياته الأرضية
للمضاهاة.

خطه من اللوح الحساس

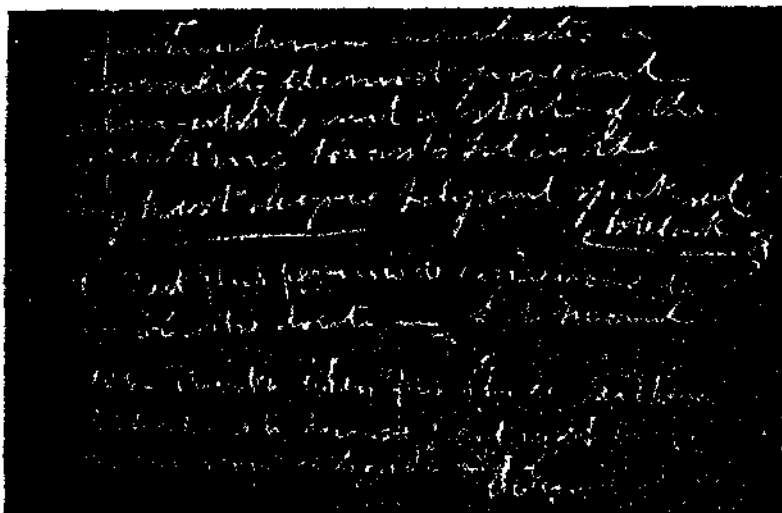
خطه من اللوح الحساس



رسالة روحية بخط المرحوم سير آرثر كونان دويل وتوقيعه ثلاثاها الأسقف شارل تويديل
على لوح حساس في جلساته الخاصة في منزله (عن مؤلفه : ألباء من العالم الآخر
طبعة ١٩٧٤) . كما تلقى عدة صور روحية له بنفس الطريقة .



صورة خطوط وتوقيعات بأيد غير منظورة في حضور الوسيط الدكتور هنري سلاڤ H. Slade
على ألواح « أردواز » مفاة ومغشوة بداية عن كتاب الدكتور بول جيبير Gibier
(مساعد باسبر) عنوانه « الروحانية : دراسة تاريخية وانتقادية ونحريية »
Lo Spiritisme : Étude Historique, Critique Et Experimentale
طبعة ١٨٨٦ من ٢٩٤ . (راجع ما سبق عن المؤلف في ص ٢٧٠) .



من المرحوم السابق أيضاً ص ٢٩٨

We will then answer all your questions
 specially about the relation
 to the explanation of all your queries —
 Make this will please
 Good night
 L. M. M.

ENGLISH & AMERICAN

نموذج من خط وتوقيع روح الفيلسوف سويد نبرج عن طريق وسيط الكتابة الخفية
 الدكتور جورج ت. دكستر G. T. Dexter (من كتاب «الروحانية Spiritualism»
 من تأليف الأدي إدموندز J. W. Edmonds رئيس المحكمة الاتحادية العليا ثم رئيس
 السناتور الأمريكي «لاشتر» مع الدكتور دكستر و«تاليد» ب. تاليدج N. P. Tallmadge
 الساتور السابق ومحافظ ولاية ويسكونسن Wisconsin . طبعة ماثرة . نيويورك ١٨٦٦
 الجزء الأول من ٣٨٨ .

As we are ready to
 undertake as long as you can
 live we will not neglect
 your health. We have
 arranged to go through
 it in the future.
 L. M. M.

ENGLISH & AMERICAN

بنفس الطريقة نموذج من خط وتوقيع روح الشاعر لورد باكون Bacon (من المرجع
 السابق ج ١ من ٣٨٩) .

الفصل العاشر

في الأدب الروحي والإلهام

ذكرنا في مناسبة سابقة أن الانتقال إلى عالم الروح عن طريق الموت ، لا يحدث تغيراً سريعاً ولا مباشراً في شخصية الإنسان ، كما لا يمس ذاكرته إلا مساً خفيفاً من ناحية بعض الذكريات التي لم تحدث في العقل الباطن أو أذكر مذكوراً . بل قد يبدو الذهن بعد الانتقال - بفترة تتفاوت في مداها - أكثر صفاء وتبدد الأخلاق أكثر اكتمالا . لأن طبيعة الحياة الأرضية - بما تستتبعه من التصاق دائم بجسد مادي ثقيل الوطأة على نفس صاحبه دون ما وعى منه - قد تعوق الذكاء من أن يعبر عن نفسه التعبير المطلوب ، وقد تعوق الأخلاق - مهما كانت نobile - من أن تظهر على نبلها الحقيقي إزاء كثرة مطالب الجسد وتطاحن الشهوات والرغبات على المستوى الأرضي .

ومن المتفق عليه أن المستوى الثقافي والخالق والفني الذي تنتهي به الحياة الأرضية هو نفس المستوى الذي تبدأ به الحياة في الأثير ، فانفصال الجسد الأثيري عن الجسد المادي يمثل مجرد حادثة للانتقال أو بالأدق وسيلة لليلاد هناك ، كما أن انفصال الجنين من بطن أمه وسيلة للميلاد هنا . وميول الإنسان العلمية والفنية والعاطفية تلازمه هناك ملازمة تامة ، وهو يجد أمامه فرصاً لتنميتها وصقلها لا تخطر له على بال وهو على المستوى الأرضي . ومن ثم كانت الحياة الأدبية والفنية متقدمة في عالم الروح إلى حد لا يمكن أن ندركه عندما نكون محكومين بقيود الجسد المادي . أو بعبارة أخرى أن حضارتنا الأرضية تعد تافهة جداً إلى جانب حضارة المناطق الراقية من عالم الروح . وهذا المستوى الرفيع تشير إليه مئات من كتب واردة من هناك عن طريق وسطاء كبار للإلهام والتلباث ، والكتابة المباشرة أو التلقائية (١) .

(١) راجع ما سبق في ص ٩٩ عن سويندبيرج وفي ص ١٠٢ عن أندروجاكسون دايز وفي ص ١٠٤ عن هندسون تافل .

بل ورد بعضها عن طريق وسطاء للظواهر الفيزيائية، إذا كان من شأن هذه الوساطة أن تحرك جهازاً للكتابة أو للاستقبال مثل الكوميو نيغراف أو الرفلكتوجراف أو جهاز مورس للاستقبال أو غيرها^(١).

وقد لاحظ هذا المستوى أدباء كبار في الخارج، ممن أشرنا إلى بعض أسمائهم وأسماء مؤلفاتهم في الباب السابق، وكلها تتضمن الإشادة بهذا المستوى الرفيع لبعض الكتب الواردة من أرواح راقية تأتي أحياناً أن تذكر أسماءها صراحة وتكتفي باستعمال أسماء رمزية، لأنها تقول إن الأسماء لا قيمة لها في نظرها، وإنما تفضل أن يطلع القراء على آرائها بصرف النظر عن أسمائها الحقيقية التي كانت تسمى بها عندما كانت على المستوى الأرضي.

ومن هذه الأسماء المستعارة مثلاً سيلفر بيرش (الشجرة الفضية) وهوايت إيجل (النسر الأبيض) وهوايت هوك (العصفور الأبيض) ومون تريل (طريق القمر) وأجاشا وزودياك وباشينس وورث وغيرها. وفي باب من الجزء الثاني سنورد طائفة من أقوال بعض هذه الأرواح التي أصبحت تملأ الآن مجلدات كاملة، وأصبح لروح راقية واحدة مثل سيلفر بيرش ما يملأ حتى الآن بالآقل ثمانية كتب تنبض بالفلسفة الحية وتنسم بسعة الأفق وعمق الحكمة مع وضوحها وبساطتها.

وقد تحمل علماء وأدباء وصحفيون كبار مسئولية نشر هذه المؤلفات، ووضع أسمائهم عليها، والتقديم لها بمقدمات والتعليق عليها وشرحها لإبراز قيمتها الأدبية أو الفنية، فضلاً عن قيمتها في الإقناع بصحة الموضوع برمته، والامر الذي يهمنا و الفصلين الحالي والمقبل، ونحن بصدد تقديم بعض البيانات الأدبية، أن نقرر أن بعضاً من الأدباء والكتاب والشعراء المعروفين قاموا بعد انتقالهم - بفترات تنراوح في مداها - باملاء رسائل أو كتب كاملة تحمل الطابع المميز لأرائهم ولشخصياتهم بما يكفل دفع كل شبهة في هذا الصدد. ومن هذا البعض مثلاً لورد نورثكيلف Northcliffe^(٢)، وجيروم

(١) راجع ما سبق في ص ١١٥ - ١١٨.

(٢) راجع ما سبق في ص ٢٤٥.

Gerome ، وكوزاد Conrad و Jack London لندن^(١)، وإدجار والاس Edgar Wallace ، وآرثر كونان دويل Arthur Conan Doyle^(٢) ، وليام ستيد William T. Stead^(٣) ، وآشارلس ديكنز Charles Dickens وغيرهم .

بل إن الأخير منهم وقد وافته منيته في ٨ يولييه سنة ١٨٧٠ قبل نتمه روايته الأخيرة ولغز إدوين درود^(٤) أتمها بعد انتقاله عن طريق الوسيط الأمريكى ت. ب. جيمس T. P. James في مدينة بوسطن خلال سبعة أشهر من الكتابة التلقائية بين عامى ١٨٧٢، ١٨٧٣ ، وبلغت صفحات التكملة وحدها ألفاً ومائتى صفحة ونشرت في سنة ١٨٧٤. وقد شهد لفيف من أبرز رجال الأدب والصحافة أنه يتعذر تماماً على أى قارئ أن يميز بين ما كتبه ديكنز قبل وفاته وما كتبه بعدها ، سواء في الأسلوب أو في العبارة ، أو في تسلسل الحوادث، بل حتى الأغلاط الإملائية التى كانت تميز كتابات ديكنز أثناء حياته ظلت على حالها ، والوسيط ليس أكثر من غلام يشتغل في الصناعة الآلية ولا صلة له بالأدب ولا بقصص تشارلس ديكنز .

كما أن أوسكار وايلد Oscar Wilde بعث من هناك كتاباً عنوانه « رسائل جديدة من أوسكار وايلد » عن طريق وساطة الكتابة التلقائية بمعرفة السيدة ترافرز سميث Travers Smith قدم له عالم الطبيعة المعروف سير وليام باريت الذى أشرنا إلى مكانته العلمية وإلى صلته بالبحث الروحى عندما تكلمنا عن « بعض الأسماء والمراجع في بريطانيا »^(٥) . كما أملى عدة رسائل

(١) راجع وهذا الشأن كتاب إدوارد بيرون باين Edward Biron Payne وعنوانه روح جاك لندن The Soul Of Jack London الذى ظهر في سنة ١٩٢٧ .

(٢) راجع كتاب عبر الرزخ Across The Gulf الأستاذ وريس باربانيل Maurice Barbanell ص ٣٥ - ٤٨ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٩ - ٦٢ .

(٤) The Mystery Of Edwin Drood .

(٥) راجع ما سبق ص ٢١٢ . وراجع في هذا الشأن مجلة العالم النفس المعروف لارستو بوزانو عنوانه « عودة أوسكار وايلد » في « المجلة الروحانية » La Revue Spirite عددا مارس وأبريل سنة ١٩٢٦ .

على الدكتور س. ج. سول S. G. Soal أستاذ العلوم بجامعة لندن، وهو في نفس الوقت عالم في الباراسيكولوجي ووسيط للكتابة التلقائية، وقد جلس يوماً ممسكاً بالقلم يفكر في مشكله رياضية فإذا به يكتب رسالة من أوسكار وايلد متميزة بكل خصائص أسلوبه في التغزل في محاسن الطبيعة وألوانها الزاهية .

وإذا كانت العقول قد تملك ملكة التأثير المباشر في المادة الصلبة أحياناً — على ما بيناه في الفصل السابق بأسانيد العلميه — أفلا يملك العقل المتحرر من ربة الجسد المادى قدرة التأثير في عقل إنسان آخر لم يتحرر منه بعد عن طريق التلباثي (أو التخاطر) أو ما يشبهه من وسائل...؟ وبالاطلاع في الكتب الروحية أكاد لا أجد أدبياً ولا صحفياً مرموقاً ممن كانوا مهتمين بالحركة الروحية وهم على المستوى الأرضي لم يرسل من هناك رسائل أو كتباً تحمل نفس الطابع المميز من أسلوبه في التفكير والكتابة، ونفس المستوى الأدبي الذي يمكن لأي ناقد عادي أن يعرفه عنهم. ومن أمثال هؤلاء سير آرثر كونان دويل، وقد أوردنا فقرات مما أملاه في الباب السابق، وسير وليام ستيد وسنقدم له صفحات كاملة مما أملاه من هناك في باب من أبواب الجزء الثاني .

بل إن من الأدباء من كانوا ينكرون صحة هذا الموضوع برمته وهم على المستوى الأرضي — وربما بدافع من الإلحاد أحياناً أو من الشك في وجود حياة أخرى — مثل جورج برنارد شو الأديب الإيرلندي المعروف ثم وضعوا نصب أعينهم بعد انتقالمهم أن يحاولوا الاتصال بالأرضيين كما يثبتوا صحة الموضوع ويعتذروا عن خطئهم السابق. وقد حافظ شو على نفس طريقته التهكمية الفريدة التي تعصى على التقليد^(٢) .

(١) راجع ما سبق في ص ٢٤١ — ٢٤٣

(٢) راجع مجلة « عالم الروح » عدد أبريل سنة ١٩٥٢ ص ١٦ — ١٩ ، من مجلة رينولدز نيوز Reynolds News . وكانت الوسيطة هي مرسز جيرالدين كامبتر Geraldine Cummins وكان الاتصال من طريق الكتابة التلقائية Automatic Writing (راجع ما سبق عن الوسيطة في ص ٢٥٢) .

ألفاء بحسبها علم الروح

وهكذا يلقى العلم الروحى بتسليمه بالأدب الذى قد نجى من الجانب الآخر ، - شعراً أو نثراً - أضواء جديدة على لفز بعض العباقره ، بما يعجز عنه تماماً المذهب المادى ، والسيكولوجيا التى تنكر إمكان وجود هذا الاستحواذ الخارجى .

ومن ذلك مثلاً أن شكسبير أبرز شعراء التاريخ ، لم يؤت أى حظ من الثقافة أو الاطلاع مع أن رواياته تتضمن تحليلاً عميقاً فى بلاغة شعرية يضرب بها المثل لأدق العواطف والانفعالات الإنسانية ، بما يعجز عنه أحسن علماء النفس . كما تتضمن سرداً دقيقاً لتواريخ ملوك سابقين وشعوب متعددة لا يمكن أن يقوم به إلا من أحاط إحاطة تامة بسير الملوك والشعوب التى تناولتها رواياته وأشعاره ، فأين ومتى أتبع لشكسبير كل هذا القدر الهائل من الثقافة ، وقد كان عاملاً متواضعاً قبل أن يصبح شاعراً ومؤلفاً مسرحياً ؟ .

فى جلسة روحية تمت داخل الكلية البريطانية للعلم الروحى ، صرحت روح الشاعر الإغريقى القديم يوريبيديز Euripidés أنها كانت تلهم شكسبير الشعر حين كان السائد فى ذهن بعض الموجودين أنها ربما تكون روح الشاعر اللورد يكون Lord Bacon . وظلت هذه الواقعة محفوظة لم تعلن لإنسان لستين أو أكثر ، ولم يعلق عليها أحد من الباحثين أهمية إلى أن نشر الأديب الإيرلندى المعروف برناردشو B. Shaw بحثاً أدبياً مفصلاً عن شعر شكسبير اتهمه فيه بأنه كان ناقلاً عن شاعر الإغريق القديم يوريبيديز ، وأنه كان متأثراً بشعره إلى حد صارخ . وساق برناردشو شواهد جمّة من الشعرين لتأييد نظريته ولإبراز التشابه بين التراكيب والمعانى عند كل منهما ، مع أن برناردشو لم يكن روحياً ولا صلة له بما جرى فى الكلية ولا أية معرفة به ، بل كان ينسك موضوع الأرواح أصلاً ويتهكم عليه أحياناً .

لذا وقف مدير الكلية وأحد مؤسسيها وهو الأستاذ جيمس هيوام ماكنزى J. H. Mc. Kenzie (١٨٧٠ - ١٩٢٩) فى حفل عشاء تعقده الكلية

سنوياً، وكان ذلك بتاريخ أول مارس سنة ١٩٢٨، وكان الأديب الكبير برنارد شو مدعواً فيه. فألقى ماكنزي خطاباً في مواجهته روى فيه هذه الواقعة الطريفة، وكيف تأيدت بالبحث الأدبي الذي قام شو بنشره عن أوجه الشبه الصارخ الذي لاحظته بين شعري شكسبير وبوريدينز، ثم سأل برنارد شو مداعباً ألا تذكر لنا اسم الروح التي تلهمك الكتابة^(١)؟

ولست أريد أن أجزم بأن شكسبير كان وسيطاً روحياً ملهماً من شاعر الإغريق القديم بوريدينز أو من غيره. لكن أريد أن أعطي مثالا سريعاً لواحد من عشرات من الأمثلة التي بحثت في شأن الوساطة الروحية الراقية بأساليب علمية وداخل معاهد جادة لا يعنىها شيء إلا الوصول إلى الحقيقة العلمية.

الإلهام مقيفة علمية وفلسفية

كما أريد أن أبين كيف أن موضوع الإلهام من عالم خارجي، وهو عقيدة قديمة قال بها فلاسفة الإغريق والمسيحية والإسلام — ولم تخل منه فلسفة من فلسفات التصوريين من أمثال ليبنتز ومالبرانش وباركلي — قد انتقل من نطاق الفلسفة النظرية إلى نطاق البحث التجريبي في العصر الحاضر. وذلك إلى حد أننا نجد أن دائرة المعارف البريطانية Encyclopaedia Britannica تقرر في طبعتها الرابعة والعشرين الصادرة في سنة ١٩٥٦ في مجلد رقم ٢٢ في ص ٣٩٨ تحت عنوان Trance أى الغيبوبة مايلي، بعد إذ شُبهت الغيبوبة الوساطية بالتنويم المغناطيسي، وإن من الظواهر الملفتة للنظر في الغيبوبة الوساطية حدوث الحديث التلقائي والكتابة التلقائية Automatic speech and writing... وهما يصدران أحياناً من عدد كبير من الناس الذين يبدون في صحة عقلية تامة وهم في حالة اليقظة. وهم لا تظهر عليهم أية ظاهرة أخرى لهذا... وقد ازداد الاهتمام بدراسة موضوع الغيبوبة الوساطية عقب البحوث الدقيقة التي تمت فيها، وغالبيتها كانت بواسطة أعضاء من جمعية

(١) راجع مجلة «العلم الروحي» عدد أبريل سنة ١٩٢٨ ص ٦٢.

البحث الروحي ، Society For Psychical Research ^(١) من لهم كفاية جدرة بالاحترام . وهذه البحوث تتجه نحو إعادة نظرية الاستحواذ القديمة من الخارج external possession (أى سيطرة روح على الوسيط) في الوقت الذى كان ينظر فيه إليها على أنها من غرائب علم الإنسان (الأتروبولوجى) . .

ثم تشير دائرة المعارف هذه - وهى معروفة بشديد تحفظها وبطريقتها المحايدة - إلى أعمال العلماء فرانك بودمور ^(٢) ، وف . ه . مايرز ^(٣) ، والتر ف . برنس ^(٤) Walter F. Prince (١٩٦٣ - ١٩٣٤) في مؤلفه عن « حالة الوسيطة دوريس فيشر » ^(٥) ومورتون برنس Morton Prince (١٨٥٥ - ١٩٢٩) في مؤلفه عن « انفصال الشخصية » ^(٦) (١٩٠٦) وفى « جريدة السيكولوجيا الشاذة » ^(٧) التى تصدر بمدينة بوسطن ، ومضابط جمعيتي البحث الروحي البريطانى والأمريكى ، وغيرها من المراجع بلغات مختلفة .

وقد سلم علماء كبار بهذا الإلهام الخارجى ولو أنهم هم أنفسهم لم يكونوا ملهمين . فنجد مثلاً سير أوليفر لودج عالم الطبيعة المعروف يتحدث عنه فى محاضرة له ترجع إلى سنة ١٩١٥ قائلاً :-
« ولندكر فى هذا المقام أننا لسنا أجساماً فقط بل كل منا مركب من عقل ووجدان وروح فضلاً عن الجسم ، ويتصل الإنسان بهذه الكائنات العليا المدركة ويناجيها بغير حواسه البدنية ، ويرتاح إلى الاتصال بها أكثر

(١) راجع ما سبق منها فى ص ١٩٦ - ٢٠٧ .

(٢) راجع ما سبق عنه فى ص ٢٢١ . (٣) راجع ما سبق عنه فى ص ٢٢١ .

(٤) وهو عالم سيكولوجى معروف وعضو فى جمعية بوسطن للبحوث الروحية وقد حقق وسائل كثيرة للإلهام وبخاصة وساطة مسز بول لينور كارن Paul Leonore Curren وسيطة الروح باشينش وورث Patience Worth واشترك معه فى التحقيق وليام ساخت W.E. Saght أستاذ علم النفس بجامعة كورنيل Cornell .

The Doris Fischer Case. (٥)

The Dissociation Of Personallity. (٦)

Journal Of Abnormal Psychology. (٧)

بما يرتاح إلى اتصاله بهذا العالم المادى الذى قضى عليه أن يعيش فيه إلى حين. وإن كل الرجال العظام الذين ماتوا كانوا يرتاحون إلى مناجاة المدركات العليا أكثر مما يرتاحون إلى الأمور الدنيوية. وإذا عملنا على تقوية مداركنا وقوانا اطلعنا على أكثر من ذلك. وممكننا الإلهام من معرفة أمور لا نقدر أن ندركها بغيره. إن طرق البحث المادية ليست كل طرق البحث ولم يزل الرجال العظام منذ قديم الزمان يرون رؤى ويطلعون على حقائق وتظهر منهم بدائنه يحاولون تدوينها كما ينتفع بها غيرهم .. ولا أقول إنى سرت أنا على ذلك فى بحثى ، إذ يظهر أنى محروم من ذلك ... ولستكنى قد وصلت إلى نتائج من طرق العلمية المألوفة لا تختلف عن تلك التى وصلوا إليها^(١).

وفى هذا الاتجاه أيضاً يقول كارل ياسبرز Karl Jaspers الفيلسوف الألمانى المعاصر وعالم النفس ، إن ما ندركه فى التأمل الميتافيزيقي والخلوة الروحية ، تلك التى ترفعنا فوق أنفسنا فى معيشتنا اليومية ، لا ينبغي أن يتهافت أو يتضامل ، كما أنه لا ينبغي أن يأخذ أهمية المعرفة التجريبية حين يضطرنا العقل إلى امتحان قيمته ، وينبغي أن يظل مطلبنا الأساسى أن نتبين هل أضأنا فى أنفسنا منائر الحرية أو أطفأناها ، وهل أركينا فى حياتنا كنوز الداخل أو بددناها^(٢) . كما يقول أيضاً ، إن الوجود المشهود لا يمكن أن يستوعب كل الوجود ، فمن الموجودات ما لا تبلغه المعرفة العلمية . ثم إن العلم لا يفسر لنا القيم ولا يفسر معنى العلم ...^(٣)

كما نجد الدكتور شارل ريخيت Ch. Recht (جائزة نوبل فى الفسيولوجيا) يعلن قائلاً ولقد استطعت فى أدبرة أن أؤكد أمام ما نتمنى علماء الجسم أن حواسنا الخمس ليست هى الوسائل الوحيدة للمعرفة ، بل إن ثمت شذرات من الحقيقة ترد أحياناً للإدراك بطرق أخرى .. والحقيقة النادرة الحدوث ليس معناها

(١) راجع شذرات أخرى من هذه المحاضرة التى تدور كلها على الاتصال بالأرواح فى الملتقط عدد فبراير سنة ١٩١٥ ص ١٦٤ وما بعدها .

(٢) «كارل ياسبرز : مستقبل الإنسانية» ترجمة وتقديم الدكتور عثمان أمين ١٩٦٣ ص ١٥ .

(٣) المرجع السابق ص ١٨ .

أنها غير موجودة ، وهل تهض صعوبة الدراسة سيباً في عدم فهمها ... إن الذين سخرُوا من علم ما وراء الطبيعة ودفعوه بالغموض سوف ينجطون من ذواتهم . . . فسلام إذن على العلم الجديد الذى سوف يغير اتجاه العقل البشرى . . .

وفي نفس هذا الاتجاه نحو الاعتراف بالإلهام الذى لا تعرفه المدارس المادية في تحليل المعرفة ولا تعترف به ، لأنه يعترف بقوى وراء المادة والحياة معاً أسمى منها نجلد بول برينتون Paul Brunton ، وهو دكتور في الفلسفة وبحاجة معروف في الروحية الحديثة^(١) يقرر ، أن ثمة شيئاً ضمن عقل الإنسان والحيوان لا هو بالعقل ولا بالشعور ، بل أعمق من كليهما يمكن أن يكون وصف الإلهام ملائماً له . وعندما يتمكن العلم أن يفسر حقيقة كيف يمكن للحصان أن يتعرف طريقه حاملاً فارسه مخوراً لمسافة أميال خلال الظلام حتى يصل به إلى المنزل وكيف يتأقن الجرذان الحقول أن تحفر خنادقها قبل مجيء الطقس البارد ، وكيف تتجه الخراف للاحتباء بجانب الجبال قبل قدوم العاصفة ، وما الذى ينذر السلحفاة بنزول المطر قبل نزوله حتى تتسحب للاحتباء في مخبئها ، وما الذى يقود النور لأميال عديدة حيث توجد جثة حيوان ميت ... قالى أن يتمكن العلم من تفسير ذلك علينا أن نتعلم أن الإلهام قد يكون أحياناً مرشداً أفضل من الذكاء . إن العلم أمكه أن يتزع من مغالب الطبيعة بعض الأسرار المذهلة لكنه لم يكتشف بعد مصدر الإلهام .

فالذكاء الذى أمكه أن يعرض ألغازاً كثيرة متعلقة بالإنسان وبقدرة وبموته عاجز عن أن يجد لها حلاً . وعندما ينجح العلم في غزو العالم ، وفي كشف القناع عن آخر لغز فيه ، فإنه سيواجه مع ذلك أعظم المشكلات قاطبة وهي دهل توصل الإنسان إلى معرفة نفسه ، ؟ . . .^(٢)

* * *

(١) راجع ما سبق منه في ص ٢٦٠ .

(٢) الطريق الخفى The Secret Path الطهبة المصريون ص ٤٦ ، ٤٧ .

وقد وصلت الفلسفة الهندية إلى التسليم بالإلهام أيضاً ، فالقوة المفكرة في تقديرها باردة ، أما العقل الروحي Spiritual mind فحار تموج حياته بالكثير من المشاعر السامية ومنه تفيض الإلهامات . فالشعراء والرسميون والمثاليون والكتاب والخطباء وغيرهم من الموهوبين تلقوا عنه هذه الإلهامات منذ القدم كما يتلقونها اليوم وغداً . ومن هذا المعين تلقى الحكيم حكمته .

ويستطيع الإنسان بأنماء وعيه الروحي أن يرتفع بنفسه حتى يتصل بهذه المراكز الرفيعة من طبيعته العليا حيث تضي عليه من العلم ما لم تجرؤ على أن تحمل به قوته العاقلة وذكاؤه المعتاد ، إذا عرفنا كيف نكون واثقين مؤمنين بقوة الروح ، فإنها تقابل ثقتنا بأن تبعث في عقولنا الومضة من الإلهام بعد الومضة حتى تستنير العقول .

وكما تقدم الوعي الروحي إزاء اعتماد الإنسان على صوت الروح كلما أمكنه أن يميز بين ذلك الصوت العلوي وبين مواقف الغرائز الدنيا من كيانه وعقله ، ويتعلم أن يسلم للروح قياد نفسه حتى تعتمد على تلك اليد العليا التي تأخذ يدها وتقودها إلى سبيل الرشاد . ليس هذا خيالاً ولا مجازاً ، إنما هو واقع وحقيقة من حقائق الحياة عرفها كل من وصل إلى مرحلة معينة من مراحل الطريق ، إذ يجد نفسه وقد أمسكت بزمامها يد الروح تسير بها في الطريق القويم ،^(١) .

وتقول نفس الفلسفة أيضاً « امضوا في الحياة صعوداً نحو الروح ، وافتحوا قلوبكم لامتقبال نورها وكونوا دائماً مستعدين لسماع صوت الصمت مستعدين للانقياد لليد التي ترشد في الخفاء واثقين غير هيايين ، لأن فيكم شرارة من النار الإلهية ، تلك هي الروح ، ذلك النجم المشرق ، ذلك القبس من نور الله ، إنه كالسراج في المشكاة يضيء نوره مواطئ أقدامكم حتى لا تضلوا الطريق ، وحتى تنقوا العثرات ،^(٢) .

(١) « فلسفة البوجا » ترجمة الأستاذ هريان يوسف سعد ص ٧٣ ، ٧٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١١٢ .

بين العبقريّة والإلهام

بعض صور العبقريّة عبارة إذاً عن إلهام من عالم الروح إلى وسيط قديجمل نفسه في عالم المادة . وكلما بعدت الشقة في درجة الاهتزاز بين الجسد الأثيري للروح الملهم والجسد الأثيري الوسيط كلما كان ذلك أدعى لغيوبة الوسيط أثناء تلقى إلهامه ، غيبوبة تامة أوجزئية . وكلما اقتربت هذه الشقة كلما تيسر للوسيط أن ينلقى الإلهام بلا غيبوبة . فالإلهام لذلك قد لا يكون واعياً *inconscient* وهذه هي الوساطة الراقية الصريحة ، وقد يكون واعياً *conscient* وهذه هي العبقريّة بمعناها المألوف^(١).

وعن طريق العباقرة ووسطاء الإلهام تباشر المناطق الراقية من عالم الروح تأثيرها الحميد في عالم المادة ، فتأخذ بيده في طريقه الوعر المسالك وهو يقتحم الصعاب صاعداً إلى قم الجبال ، وبغير ما قضاء على إرادة الإنسان ولا تحكم في اختيار الطريق الذي يروقه ، لأن للإنسان قدراً معيناً من حرية الاختيار يسلم به تماماً العلم الروحي .

وقد لوحظ أن الظواهر الوسايطية الراقية ومنها الإلهام تكثر في العصور وفي المجتمعات التي يكثر فيها العباقرة . حيثما ازدهرت حضارات الروح فقد ازدهرت أيضاً ظواهر العبقريّة والإلهام ، وغير الإلهام أيضاً من الظواهر الوسايطية الراقية . وحيثما بعدت الحضارات عن القيم الروحية الراقية فقد بعدت بنفس المقدار عن العبقريّة وعن الإلهام معاً: عن العبقريّة لأن اكتمال الوعي لا يتأتى إلا باكتمال الأخلاق ، وعن الإلهام لأن انحدار الروح يبعد بها عن مواطن الإلهام الراقى في هذا الكون الهائل الاتساع .

(١) يقول الأستاذ محمد زكي عبد القادر في مقال له في جريدة الأخبار بتاريخ ١٩٦٤/١/٢٤ إن « العبقري أكثر اتصالاً بقوة الكون العليا مما هو بتطلعات الجماعة وآمالها . وهو تاج هذه القوى . كل ما يصله بالجماعة هو الجسم المادى والمولد والنشأة ، أما العقل والوجدان والقلب والروح فأكثر ما تكون انفصالاً عن المجتمع واتصالاً بالقوى الكونية العليا » وهذه هي نفس نظرة العلم الروحي الحديث إلى العباقرة .

وهذا الإلهام الراق أحس به بعض الملهمين الكبار وصرح بإحساسه به . فكان سقراط أبو الفلاسفة لا ينفك عن ترديد أن روحاً كانت تملى عليه آراءه . وقد صرخ في وجه قضائه قائلاً : يسألونني لماذا أشغل نفسي بالمسائل العامة ؟ ... إنما يدفعني إلى ذلك صوت من الأبدية كائن في وقد سمعته لأول مرة منذ كنت طفلاً صغيراً . وقد حلم سقراط بأنه سيموت في اليوم التالي مباشرة لوصل مركب معينة إلى ديლოს Delos وهو ما تحقق بالفعل .

كما يقول الفيلسوف الفرنسي فنيلون Fénelon في « حياة الفلاسفة الأقدمين » ، عن فيلسوف الإغريق أبيمينيد الذي كان معاصراً للشرع سولون إن الأرواح كانت ترشده وتوحى إليه بآرائه كما جاء في تاريخه ، ويضيف أن هذا الفيلسوف كان معتقداً في تناسخ الأرواح وأنه كان يعتقد أنه كان يحيا فيما سبق تحت اسم « أوكوس » .

وكان تينيسون Tennyson يصرح بأنه يتلقى شعره عن طريق الإلهام من عالم خارجي^(١) . وكان يلاحظ معارفه أنه يتحول إلى حالة غير طبيعية وقت نظم شعره الرائع ، وكان يوجه حديثه إلى الروح أحياناً ، ومن ذلك قوله لها « من المكان العميق السحيق يا غلامى ، ومن ذلك المكان البعيد الغور قبل أن يوجد هذا العالم ... ومن ذلك العالم الحق المختبئ وراء ما نحس به من عوالم ، حيث لا تكون هذه العوالم إلا ساحلاً له أو من تلك الروح البعيدة العميقة ومع الشهر التاسع ، وإلى ذلك البحر الكثيف المظلم تأتي أنت غلاماً سوياً لأنه قد قيل هناك في ذلك العالم البعيد دعنا نوجد إنساناً ، ثم قذف بذلك الذى صار إنساناً من الضياء اللامع الذى لا يقدر أن يبصر فيه إنسان إلى ذلك الساحل المضاء بضياء الشمس ونور القمر والمضيء بالظلال .

أيتها الروح العزيزة المغطى نصفها بغيثها وظلالها وبتلك المادة الجسدية .

(١) ولد بين صحة ذلك موريس ماجر Maurice Magre في مؤلفه عن « الحقائق الرائعة »

إنك دائماً أنت تنوحين عند الولادة ثم تختفين في عالم السر... وبالإجمال أنت تحمين وتختارين من الحبوب والأعشاب... ثم تفارقين من موت إلى موت عن طريق حياة وحياة، وتقترين شيئاً فشيئاً نحو ذلك العالم الذي لم يصنع من مادة ولم يكن فانياً. لكن المعجزة الكبرى أن تكوني أنت تلك القدرة على الفعل وعلى إدراك العالم،^(١)...

وكان الشاعر الفرنسي ألفريد دي موسيه Alfred De Musset (١٨٥٧ - ١٨١٠) يقول أيضاً: «أنا لا أفعل شيئاً، لكني أسمع ما يلقى إلى فأقله وكان إنساناً مجبولاً يناجيني في أذني،».

ونسب إديسون أعظم مخترع في التاريخ جزءاً من الفضل في كشوفه إلى الإلهام أيضاً...

كما قرر جوته Goethe بمناسبة كتابة روايته عن فرتر Werther ولقد كتبت هذه الرواية غير واع تقريباً كما لو كنت غائباً غيبوبة مغناطيسية حركية à la manière d'un somnambule، حتى لتأخذني الدهشة عند ما أقرأها،.

ويقول تيوفيل جوتيه Theophile Gautier عن خطة الفيلسوف بلزاك وقت خضوعه للإلهام إنه «كان يشبه إنساناً في نشوة دينية، أو إنساناً في غيبوبة مغناطيسية حركية Somnambule ينام مفتوح العينين غارقاً في حلم عميق، إنه لم يكن يسمع ما يقال له،».

وقرر أيضاً شوبنهاور Schopenhauer الفيلسوف «إن آرائى الفلسفية جاءت إلى بدون تدخل منى في اللحظات التي كانت فيها إرادتى شبه نائمة وروحى موجهة في اتجاه مرسوم لها مقدماً، بحيث أن شخصي كان يبدو لي غريباً عن هذا الإنتاج،».

(١) ترجمة الدكتور محمود حب الله في كتاب «القل والعين» وهو السفر الثاني من «إرادة الاعتقاد» من تأليف الفيلسوف وليام جيمس (١٩٤٩) ص ١١٠.
(م ٣٣ - الإنسان وروح)

وقال الأديب كامى موكلير Camille Maucclair إن حياته فى اليقظة كانت بمثابة حلم دائم ، بحيث أنه لم يكن يميز بين الحلم واليقظة ، وأن جميع خططه وتفاسيل كتبه كانت تملى عليه بهذه الطريقة ، وأنه لم يكن يفكر فيما قد يكتبه مسرعاً وبدون توقف .

كما قال الأديب بيير ميل Pierre Mille بمناسبة تحقيق أجره الأستاذ جاستون بيكار Gaston Bicaud عن طريقة العمل لدى الكتاب إنه ألف كتبه الأولى فى نوع من الحالة الثانوية état second ، إذ كان — كما يقول — لدى الشعور أنها قد أمليت إلى من لا أعرف وبما لا أعرف ، بل كنت لحسب أمسك القلم . وهذه الطريقة أنجزت كتابة سلسلة Barnavaux ، وأحدث من ذلك أنجزت كتاب La Détresse des Harpagnons فى ثمانى عشر يوماً من العمل خمس عشرة ساعة يومياً وبدون توقف ... ،

العقل الباطن مبراز اللاشعور

هكذا النشاط الروحى غير الواعى قد يحدث فى نطاق الفن والأدب والشعر والفلسفة والعلم ، وقد سجله باحثون علميون أمثال ونجيل القارىء بوجه خاص إلى رسالة دكتوراه للدكتور شابانيه Chabanix عنوانها « العقل الباطن عند الفنانين والعلماء والكتاب »^(١) .

وتعليل هذه الظواهر الغريبة بالعقل الباطن لا ينفى مطلقاً حقيقة الإلهام عن طريق الاتصال بعالم خارجى ، لأن هذا الإلهام يكون عن طريق العقل الباطن فى غالب الصور ، وعن طريق العقل الواعى فى ألقاها . وهو يتطلب درجة من الغيبوبة التامة أو الناقصة حتى يتم تعطيل العقل الواعى —

Lo Subconscient Chez Les Artistes, Les Savants, Et Les (١)
Ecrivains.

وراجع مؤلف الأستاذ أندريه ديماس André Dumas الذى عنوانه « علم الروح »
La Science De l'âme طبعة ١٩٤٧ ص ٥٣ — ٥٨ .

ولو جزئياً — لأنه يطنى مؤقتاً على العقل الباطن ، فينشط العقل الباطن لتلقى ما يراد إرساله إليه من علم أو من معرفة من كائنات ذلك المستوى العالى من مستويات الوجود .

وهذا كله يفسر ما كان يؤمن به ديكارت Descartes الفيلسوف لعظيم من أن إلهام الشعراء منبع لحكمة تفوق تفكير الفلاسفة .

وهكذا من يمعن النظر في سير الأشخاص الذين غيروا وجه التاريخ الإنسانى يلبس دور الإلهام جلياً عند الكثيرين . فأغلب عباقرة التاريخ وفلاسفته وشعرائه لم يكونوا من المثقفين ثقافة خاصة ولا من كانوا طلاباً ممتازين في دروسهم ، بل كان جلهم من أصحاب النفوس المتواضعة البسيطة الخالية من العقد النفسية ، ومن أدعاء العظمة ، فالغرور هو العدو اللدود للإلهام الراقى . كما كانوا من تألموا كثيراً في طفولتهم وشبابهم من ذل المرض والحرمان والهوان . . . لأن الألم من عوامل صفاء الروح الإنسانية وشفافيتها ، وتطورها السريع للأمام .

والعبرى — أو وسيط الإلهام الواعى — إن هو إذا سوى جهاز صغير للاستقبال من صنع الطبيعة . وكلما كان الجهاز مرتفعاً في اهتزازه كلما كان أقدر على تلقى الإرسال من أمكنة مرتفعة بدورها ، وكلما جاء استقباله نقياً وخالياً من شوائب الأجمرة الضعيفة . وهذه الوساطة يعدها علم الروح من صور الإدراك عن غير طريق الحس extra sensory perception التى وصل إليها بحاث الباراسيكولوجى في البلاد الانجلوسكسونية وفي ألمانيا، وبحاث ماوراء الروح في البلاد اللاتينية . وهذا الإدراك عن غير طريق الحواس هو من صور الوساطات العقلية التى تعتبر فى الجملة أرقى فى مستواها من مستوى الوساطات الفيزيائية ، وأرقى الوساطات العقلية إطلاقاً هى وساطة الإلهام .

ومن يصلح وسيطاً للإلهام من روح معينة قد لا يصلح لغيرها بالنظر إلى قدرة الروح — أو الأرواح المرشدة — على السيطرة على حواسه وإيقاعه

في الغيبوبة ، أو تعطيل عقله الواعي لمدة لحظة أو لحظات وذلك للتمكن من الاتصال بعقله الباطن . فالعقل الإنساني كما لاحظ سير أوليفر لودج بحق تجبل من الثلج أقله ظاهر فوق سطح الماء وأغلبه مخبوء تحته .

ولأن الروح الملهمة تفعل كما يفعل بالضبط المنوَّم في التنويم المغناطيسى فليس كل إنسان يصلح وسيطاً، بل هناك قوانين روحية كثيرة لا تزال مجهولة من العلم ، وبخاصة قوانين الروابط العاطفية التي يصعب تعليلها وتحديدتها حتى الآن إلا بالقول بوجود نوع من التوافق في الاهتزازات هو الذى قد يكون مصدر المحبة بين بعض الأشخاص وبعضهم الآخر حتى على المستوى الأرضى . وهو الذى قد يكون مصدر العشق العذرى وغير العذرى . كما قد يكون عدم توافق الاهتزازات مصدراً لكرهية قد يتعذر على أصحابها تعليلها وكل ذلك يبحث في ضوء علم الروح الحديث على نحو يعجز عنه تماماً أى أسلوب مادى في تفسير ظواهر الحياة وعصى مشكلاتها .

وبسبب وساطة الإلهام هذه قد يتحدث الوسيط أو الوسيطة أو يكتب بلغة لم يتعلم منها حرفاً بمقدرة تامة على ما أشرنا إليه في أكثر من موضع^(١)، أو يتحدث في مواضيع علمية وفلسفية عريضة^(٢)، أو قد ينظم شعراً راقياً وهو عديم صلة بالقوافي والعروض على ما سنبينه في الفصل المقبل . والمراجع الروحية زاخرة الآن بالعديد من الأمثلة في هذا الشأن، ونقصد الأمثلة التي خضعت لتجريب معمل و امتحان صارم في معاهد وهيئات لامصلحة لها إلا في الوصول إلى الحقائق وتسجيلها بأمانة .

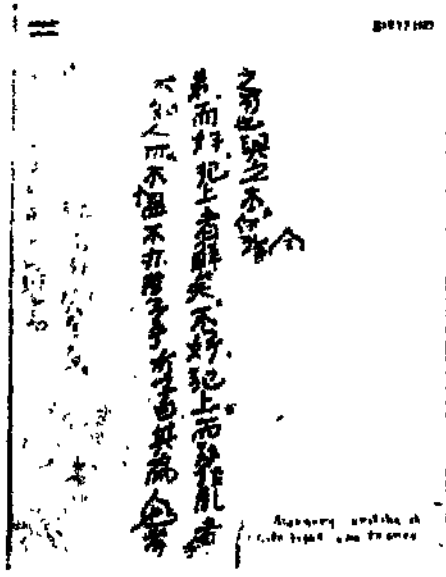
(١) راجع ما سبق لى ص ١١٣ عن كلرلو ميلايلى .

(٢) راجع ما سبق لى ص ١٠٢ عن أندرو جاكسون دايفز لى ص ١٠٤ - ١٠٦ عن

هدسون تاللى .

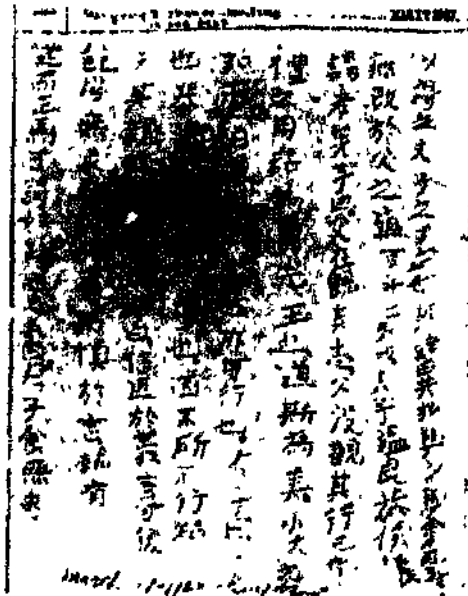
من حالات الكتابة بلغة لا يعرفها الوسيط

بعض ما أسفر عنه تحقيق وساطة مارجرى عقيلة الدكتور كرايغتون
أستاذ الجراحة بجامعة هارفارد



كتابة صينية للوسيلة مارجرى
في الضوء الأبيض بدون غيرة وهي
لا تعرف من الصينية حرفاً واحداً ←

كتابة صينية للوسيلة مارجرى في
الضوء الأحمر →



وقد تم هذا التطبيق بمعرفة عدة هيئات علمية تحت أدق رقابة ولمدة سنين طويلة
راجع مجلة « الملكية البريطانية للعلم الروحي » عدد يولييه ١٩٢٨ من ٨٧ - ١٦٠
وراجع ما سبق عن الوسيلة في من ١٢٩ - ١٣٤ .

وفي وساطة الإلهام الواعي وغير الواعي معاً قد يتداخل عقل الوسيط بدور ما مع عقل الروح الملهمة لكن أمكن في حالات معينة استبعاد هذا التداخل ، والعثور على حالات واضحة لإلهام صريح مستقل تماماً عن عقل الوسيط الواعي والباطن وقد حصل ذلك في نطاق البحث المباشر في علم الروح، كما حصل في نطاق البحث في الباراسيكولوجي^(١) وفيما وراء الروح^(٢).

وأظهر حالات هذا الاستقلال التام بين عقل الروح الملهمة وعقل الوسيط، تحقق بوجه خاص في حالات الصوت المباشر . وحالات استعمال أجهزة كاتبة تعمل آلياً عن طريق الروح رأساً مثل الكوميونيجراف والفلكنوجراف والمؤشر المتحرك والكتابة المباشرة وظهور الصور والمخطوطات وغيرها على الألواح الحساسة وعلى ألواح ،الأردواز، المختومة المغلفة بعناية^(٣) . ففي الوساطات التي من هذا القبيل يتعذر القول بحصول تداخل من عقل الوسيط في الرسائل . ولذا يعلق عليها الباحثون الروحيون أهمية تفوق أهمية تفوهات الغيبوبة التي قد يحصل فيها هذا التداخل المحتمل بين العقليين، والذي ثبت إمكان حصوله في أحوال خاصة .

ويعرف وسيط الظواهر العقلية الراقية بخصائص معينة: منها بساطة الخلق ووضوحه والميل إلى الصدق والصراحة، ومنها الإحساس المرهف مع صفاء السريرة وخلو القلب من الإحن والأحقاد ، ومنها نظرة وديعة حاملة واضح فيها معنى رغبة الإذعان لقوة غير منظورة تبدو أوضح ما تكون عندما يكون مشغولاً بتلقي إلهامه . كما يعرف بغزارة إنتاجه وسرعته الواضحة فيه . ثم بعد الصلة أو انقطاعها بين ثقافته الخاصة أو فاحية تخصصه وبين الناحية التي يعالجها بالإلهام أو بالجلاء السمعي . وأحياناً يروح في غيبوبة وساطية

(١) راجع ما سبق في ص ١٨٢ - ١٨٥ عن الباراسيكولوجي .

(٢) راجع ما سبق في ص ٢٧٧ - ٢٧٩ من علم ما وراء الروح .

(٣) راجع ما سبق في ص ١١٦ عن بعض الأجهزة الكاتبة و ص ٤٧٣ - ٥٠٠ عن الألواح الحساسة والألواح الأردواز .

تامة أو جزئية ، وقد لا يروح في أية غيبوبة والغيبوبة أدعى لاستقلال وعيه، ولسهولة اتصاله بوعي الروح المرشدة أو الملممة .

ولا يشترط في الوسيط الروحي ضعف الإرادة كما قد يتصور البعض خطأ ، فقد ثبت أن وسيط الإلهام كوسيط التنويم المغناطيسى يفضل فيه توافر قدر من قوة الإرادة حتى يمكنه حصر انتباهه وتركيز عقله نحو الإيحاءات الموجهة إليه من الخارج . وكل ما يلزمه هو الاتوافر عنده رغبة العناد والمقاومة لأي تأثير خارجي ، وذلك أمر مختلف تماماً عن ضعف الإرادة . وقد وصلت الدراسات في كل ذلك إلى حلول إيجابية لا يعوزها ترابط بين المقدمات و بين النتائج .

وكثيراً ما يكون الوسيط الملمم طفلاً أو حدثاً صغيراً ، لأن نفوس الأطفال تتميز بالإحساس المرحف مع صفاء السريرة والخلو من الأحقاد، وذلك يلقي أضواء جديدة أيضاً على لغز بعض الأطفال الموهوبين .

لغز الأطفال الموهوبين

فهذا الإلهام الراقى من عالم غير مادي الذي قد يتخذ أحياناً صورة استحواد خارجي External possession قد يفسر أيضاً لغز بعض الأطفال الموهوبين الذين أمكنهم في سن مبكرة جداً أن يتفوقوا على الكبار في الموسيقى وفي اللغات وفي الرياضيات وفي غيرها . إن العلم الروحي يقول إنهم عادة من الملممين أو الوسطاء في سن مبكرة ، والمذهب المادي لا يحير جواباً .

فمثلاً كان موزار Mozart يعزف البيان في السادسة من عمره على نحو أذهل كبار الموسيقيين في عصره . كما ألف دوبرتين، صغيرتين ولحناً كنسياً مشهوراً وقام بقيادة فرقة أوركسترا كبرى وهو في الحادية عشرة من عمره . ومثل ذلك أيضاً قبل عن عباقرة الموسيقى من أمثال بيتهوفن Beethoven وباجانيني Paganini وهيندل Haendel ولست Lizet وبيز Bizet فقد ظهرت عبقريتهم الموسيقية واضحة ولم يبلغوا بعد العاشرة من عمرهم .

وابتدأ رمبرانت Rembrandt يرسم بمهارة واضحة قبل أن يتعلم القراءة . . .

وكان باسكال Pascal رياضياً فذاً منذ طفولته ومرافقته، ونشر وهو في السادسة عشرة من عمره مؤلفه العظيم « مفصل الأشكال المخروطية »، ومثله جوت دي برونزويك Gout De Brunswick الذي كان يحل المسائل الحسابية المعقدة وهو في الثالثة من عمره ١١

وحصل فيسكتور هيجو V. Hugo وهو في الثالثة عشرة من عمره على جائزة الأكاديمية الأدبية في تولوز .

وتعلم يونج Young القراءة وهو في الثالثة من عمره ، وكان يعرف وهو في الثامنة ست لغات .

وغير هؤلاء كثيرون ممن يضيق المقام عن ذكرهم ، ويعمل بعض الروحانيين مثل هذه المواهب الخارقة للعادة بنظرية العودة للتجسد Re-incarnation ، ويعلمها البعض الآخر بتأثير راق من العالم الخارجي . وليس هنا مجال المفاضلة بين حجج كل فريق منهما ، لكن يكفي أن نلاحظ أنه ليس هناك من تعارض محتوم بين النظريتين .

مثال من الرهام نرى راق

ومن حالات الإلهام الراق نقدم هذا المثال من النثر الجميل — اخترناه لقيمته الأدبية والخلقية عن محاضرة للباحثة الفرنسية جان ديمونصو Jeanne Dumonceau ألقته على جمهور من الباريسيين في ١٤ نوفمبر سنة ١٩٤٥ وموضوعها « الأرواح الملعنة والحارسة » ، وهي المحاضرة الثانية لها من سلسلة محاضرات في الإلهام . وفيها تروى أن وسيطاً من وسطاء الإلهام الروحي حرر لروحه المرشدة رسالة في لحظة من لحظات اليأس والقنوط . فلم تخيب هذه رجاءه بل ردت عليه على الفور بأحسن منها ، والرسالتان قطعتان من الأدب الرفيع ، لذا نقدمهما هنا كاملتين : —

نداء الوسيط

«أين أنت أيها المعلم المحبوب ، فمنذ مدة طويلة أبحث عبثاً عنك حتى لقد
يتست من العثور عليك . لقد عرفت متع الطفولة العابثة ومع ذلك فلطالما
أذهلتني روائع الإله ، وما كنت أعلم إلى من أتوجه كيما يكشف لي عن سرها .
ثم دخل الإثم إلى قلبي مع متاعب الحياة وبدأت منذ ذلك اليوم أشك
في إله النور ، وأيقظ البناء الخفي الذي شيده الإنسان الجديد مخاوفي ، إذ أن
سلطان هذه الدنيا المادية غرر بي وبدأ لي شديد الإغراء .

فكذب على من جديد زاعماً مزهواً أنه مبدع الجمال وما هو إلا متناول
عليه بالهدم حيثما وجده . كما أخذه الصلف فزعم أنه وهبني السعادة حين
طحننتي الشهوة . وانتحل لنفسه تاج العدالة حين خدع البشر وقادهم إلى
حتفهم . ثم حمل قناع الحكمة بفضل منطقته الذي لا يمت إلى الحقيقة إلا
مظهراً حين أنه في مخبره جنون وحماسة . ووعدني المفلس بكنوز هذه الدنيا .
وغامر اللعين بالشعلة القدسية التي في بأن استنار كبريائي ضد الناموس ،
وأراد أن يتخذ مني مطية يستعيد بها مكانه الضائع منذ القدم ، وهو الساقط
الذي يوحى إلى النفس محبة المجانين والإخلاص للالتواء ، كما يوحى إليها
الطقوس الزائفة وتحقير خيرة الأخيار وبر الحكماء .

ولطالما سقطت في نطه ، ولئن كنت قد نجوت منه أحياناً فذلك بفضل
الآلم الذي فتح بصيرتي ، واعتقد أن بمقدوري أن أميز الآن بين الحبة الجيدة
وبين الحشائش الضارة .

ولكني وحيد، وحيد بصورة مخيفة وسط دنيا أحترقها لخازيها. فأية صلة
مشتركة تربط بيني وبينها ؟ ومن ينقذني من أعدائي الكثيرين ؟ ومن يحول
بينني وبين التردى في شركها التي تتعقبن بشراة وبغير توقف ؟ إن سلطانها
يريد أن يسحقني كفرسة تحاول أن تتخلص من يده ويستثيره أن أرفض

تسليم روحى إليه . ويفسر منتشياً فى كأس الحسرة الذى يحتفظ لى به ويود لو أضاف إليه أيضاً آلام أحقاده الخاصة . وهو يعرفنى جيداً منذ بدأنا نتصارع متلاصقين جنباً إلى جنب ، وإذا ما قنع نظراته صرت لأدرى أين هو الشر وأين هو الخير . وإنه ليندج فى بهارة فى لحظة استسلامى فيستحوذ الشك على وأصير حينذاك على استعداد لإنكار إيمانى فى مبدع الكون .

إنى لأشعر أنى مهجور فاين أنت أيها المعلم العزيز ؟ ... وكيف سأعرف عليك وسط الجمع الحاشد ؟ وهل على سمائك مهابة الحكمة أو جلال السيد الذى تمنحنى له الحياة ؟ وهل يعلو وجهك هدره الحزم وإشراقة النعيم وجمال المحبة ؟ وبأى طريق تعزم المجيء حتى أذهب إلى لقياك ؟ ، فالكون هائل ولست سوى ذرة ضائعة فى هول اتساعه . ولعلنى لا أكون حينئذ مستعداً لاستقبالك فاعطى إشارة أو كلمة وحينئذ فسأقتلع جميع الحشائش الضارة من حقل ، وسأفتح نوافذ منزلى على مصراعها حتى تتطير منه أدران الإثم فتندفق إليه أمواج الهواء والضياء . وسأجعل منه مكاناً نقياً تدخله دخول ظافر منتصر ، وحينئذ سأكون لك بكليتى لأنى الآن مجرد من البغض والحب معاً .

إن مثلى الأعلى ليستبد بى ويأبى أن يتخذ له شريكاً ، وإنى أريد أن أرقى خطوة خطوة حتى أصل إلى القمة العليا حيث ترنم روحى فى تمجيد الإله الواحد ، ولكن أين أنت أيها المعلم العزيز ؟ ،

إمارة الروح المرشدة

ههناذا أيها الابن . إنك تنادينى ، ولكنى إذا ما هرولت نحوك لا تلهى ومع ذلك فكثيراً ما مررت بالقرب منك عبثاً فتعلم أن تميز بين المكائنات والأشياء وستعرف أن تميزنى بعلامة أحملها على جبينى .

إنى أعلم — منذ ولادتك — أن طريقنا سيلتقيان لأن وثاقاً روحياً يربط بهارة بيننا . ولقد حضرت أثناء نومك لاتبادل وإياك حديث روح إلى روح . وكنت تستمع إلى عندما كنت طفلاً إلى أن فرقت بيننا الحياة

فعمشت وأحببت وتألمت . وعادت إليك ذات يوم رغبة تذوق الحياة الأبدية فأردت أن تعرف وأن تزداد معرفتك أكثر فأكثر .

وأردت أن تغزو دون ما تلكؤ القمة المقدسة بن القمم التي يتأمل منها الإنسان ذاك الجمال وهو في طريقه نحو المعرفة فأصابتك العثرات . وإذا كان اليأس قد نال منك منالاً في وقت من الأوقات فإليك لم تتوان في البحث عن الطريق .

ولقد احتقرت الحياة حيناً من الوقت ولكن عليك على العكس من ذلك أن تنظر إليها ملياً وتتعقب معالمها في رجوه الناس وفي الطبيعة وفي السموات . فلقد حضرت إلى الأرض لهذا الغرض لا لشيء سواه . وهل نسيت روحك — على غير وعي منها — مارسمته من قرار وما تقيدت به من قول ؟ ... ألم تغادر مقرها السماوي للبحنة الحرجة التي تحررها من الظلمات ، وكما تهيم لنفسها مكاناً في كنف الإله الواحد ؟ ...

وما عزلتك إلا ثمرة جهلك ، فتعقب الحياة وستعلم حينذاك أي تدرج رائع يوجد بين ما هو أمامك من الكائنات ، وستتعرف من بينها على ذورك ومن يمت إليك بصلة القربى ولن تشعر أنك وحدك بعد الآن .

وهل بمقدورك أن تقول إنك بلا بغض ولا حب كما لو كنت خليطاً مضطرباً ؟ فلم لا تحب أيها الإنسان المخلوق على صورة الإله ، وكل شيء في الوجود يجب حتى إياه تعالى ؟ فلا تغلقن دون الحب قلبك ولتعمره بحب عظيم . حب الخليقة المتناسقة ، حب كل ما هو نقي وعادل وجميل ، بل حب الجملة والأشياء أيضاً حتى وإن كان جبههم سيكون أكثر مشقة لك ولكنه أعظم جزاء ، واذكر أن القديسة تريزا كانت تصلي لأجل الشيطان . فأحب كل شيء ولا تتعلق بشيء . وقدراً أيضاً أنك في منفي يمكن أن تستدعي منه بين حين وآخر ، فقيم تنفعك كنوز هذا العالم ؟ كن بسيطاً مخلصاً فيمكنك أن تكشف بطريق اليقين النقاب عن الخطأ وعن البهتان حبشاً وجداً . ولا يضيرك أن يغضب التافهون من فضائلك فإنها لتأنيب لهم ، فيحاولون

استدراجك إلى محيطهم الجهنمي الذي يطلقون عليه لفظ العالم . وتعلم كيف تقاومهم بالتمييز الحسن . واحمل روحك على وجهك فيعرفك ذورك ، وأما هؤلاء الآخرون فلن يروا شيئاً لأن النور الحق يعنى بصيرة الجهلاء وينير سبيل العقلاء .

وفي ذلك الوقت ستدرك وجودى وسترى أنى أشبه من الناحية الإنسانية كائنات أخرى . على أن شيئاً ما سيميزنى أمام ناظريك ، ولن يخدعك إلهام نفسك — بعد إذ تنظروا وتنظرون — فسترانى فى صور عديدة ولكنى سأكون مع ذلك كما أنا دائماً حتى أتمم شعار آمون .

ولن يكون عمالك وانتظارك عبثاً ضائعاً ، فالمعلم على استعداد لاستقبال تلميذه فى أية لحظة ، لكن ليس بمقدور التلميذ أن يعرف معلمه على الدوام . وستعلم يا دانتي Dante الجديد كم هو مبهج أن يقودك حينئذ فيرجيل Virgile فتفتح أمامك الأبواب المقدسة، ويغمرك نعيم عظيم لأنك ستجد الملكوت .

واحذر من أن يضع منك بدداً شطر الحقيقة الموكول إليك ، وانت فى انتظار ذلك اليوم المزدوج البركات الذى سترانى فيه ظاهراً أمامك . لأنك ستحل يوماً محلياً بالقرب من إنسان آخر غيرك ، ثم ستناولوه المشعل عندما تكون قد أحسنت الإمساك به بيد ثابتة مستقرة ، وبشجاعة ولباقة^(١) .

وفى الفصل المقبل سنقدم أمثلة عديدة من الإلهام الشعري الذى يرد متدفقاً من روح شاعرينا العظميين المرحومين أحمد شوقي وحفنى ناصف وفيه كل القوة الإقناعية اللازمة لمن يريد من الأدباء أن يبحث عن الاقتناع الموضوعى المحايد من أقرب سبله وأيسرها .

الفصل الحادي عشر

أشعار للمرحومين أحمد شوقي وحفنى ناصف

تتحدى المكابرين

بينت في الفصل السابق كيف أن الإلهام من عالم خارجي أصبح حقيقة علمية بفضل بحوث علم الروح بعد إذ كان في الماضي مجرد عقيدة فلسفية ، وسقت على ذلك شواهد جمّة من التجارب العلمية المدققة المتحفظة ، ومن أقوال لفيف من أفضل الفلاسفة والعلماء في عدة بلاد .

ولعل أوضح مثال لهذا الإلهام الراقى في بلانا هو القصائد الرائعة التي ترد في تدفق من روح شاعر العروبة العظيم أمير الشعراء أحمد شوقي (١٨٧٠ - ١٩٣٢) والتي يملئها بغير ما توقف منذ أكثر من خمس عشرة سنة على وسيطة مصرية فاضلة قرينة نطاسى بارع وهى السيدة حرم الدكتور سلامة روفائيل سعد .

وهذه السيدة الفاضلة ليست أديبة ولا شاعرة ، ولم تنظم في حياتها بيتاً واحداً من الشعر (في غير حالتها الوساطية) ولم يخطر ببالها يوماً أنها ستكتب شعراً ولم تتح لها ظروفها سوى الحصول على الشهادة الابتدائية في سنة ١٩١٤ (نظام انجليزى) ولا صلة لها بالبلاغة العربية ، ولا اطلاع لها في البحور والعروض ، ولا إلمام لها بقواعد النحو والصرف ولذا يعصى عليها بطبيعة الحال كما قد يعصى على الكثيرين فهم معانى ألفاظ العربية الفصحى التي تعودت روح أمير الشعراء أن تستعملها بغزارة وهى تملأ أشعارها عليها . وكأنها تعتمد ذلك أحياناً حتى تفهم المكابرين ، وذلك إلى الحد الذى كثيراً ما يقتضى - من نفس الروح الملهمه - توضيح معانى أغلب هذه الألفاظ من اللغة الفصحى التي لا أظن أن أحداً يحسن فهمها سوى بعض أعضاء المجمع اللغوى .

وقد بدأت الوسيطة حياتها الوساطية كمعالجة روحية حوالى سنة ١٩٤٥ وبعد ذلك ببضع سنوات أخذت تظهر عليها موهبة الكتابة عن طريق الجلاء السمعى Clairaudience من روح شوقى الذى أخذ يملئ عليها قصائده



السيدة فرينة الدكتور
سلامة سعد

الفياضة كلما عن له ذلك . وهو وحده الذى يختار الظروف والمناسبات ، فهو ليس آلة فى يدها . بل هى عبارة عن جهاز آدمى راقى فى يد مجموعة من الأرواح المرشدة الراقية تحرس الجلسة عندما يكون شوقى واقفاً بالقرب منها ومنهم يملئ الشعر كلمة فكلمة . وهذه القصائد ترد فى تدفق وغزارة حتى أن القصيدة الواحدة تتجاوز أحياناً مائة بيت ، وبلغ مجموعها الآن ما يملأ ديواناً كاملاً .

وهى تعالج فنوناً من الشعر هى نفس الفنون التى ألفناها من شوقى خلال حياته الأرضية ، ولها نفس الطابع والأسلوب واللغة والبناء الفنى ، ونفس الشعائرية والطريقة ، بحيث يكاد القارئ يتمثل شوقى واقفاً يلقي الشعر ، ويلتزم أحياناً نفس البحر والقافية إذا ما أراد معارضة نفسه بنفسه ، كما فعل فى قصيدته « إلى المتشككين » التى عارض بها موقفه القديم من التهمك على القائلين بالاتصال بالأرواح .

ثم أقوى من كل ذلك دلالة المناسبات التى وردت فيها هذه القصائد التى قد لا تعرف الوسيطة عنها شيئاً فى بعض الأحيان :

— فهذه قصيدة يرسلها إلى شاب يعانى من محنة عاطفية كما يقوى فيها عزيمته بسبب فشله فى مشروع خطبة آنسة معينة مما أثبط عزيمته ودفعه إلى إهمال رسالة كان يعدّها للحصول على الدكتوراه ، فأملى هذه القصيدة التى أحدثت أثرها وأعادت إلى هذا الشاب ثقته بنفسه وأمله المشرق فى الحياة . — وهذه قصيدة يرسلها شوقى إلى حفيدته بمناسبة زفافها ، ويعتمد فيها ذكر اسم العروس والعريس اللذين لا تعرفهما الوسيطة .

— وهذه قصيدة فياضة متدفقة يرسلها شوقي لتلقى في مهرجان ذكراء .

— وهذه قصيدة أخرى لا تقل عنها روعة يرسلها كيما يعتب بها على ما حدث في مهرجان ذكراء من نقد لشعره بمعرفة المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد وآخرين ، مما لا تعلم الوسيطة عنه شيئاً لأنها لا تنابع الحركة الأدبية في مصر .

— وهذه قصيدة بليغة يرسلها كيما يستقبل بها الشاعر الفقيد الدكتور إبراهيم ناجي بمناسبة انتقاله إلى عالم الروح ، والسيدة الوسيطة لا تعرف المرحوم الدكتور ناجي ولا يعنيه أن تراه .

— وهذه قصائد سياسية كثيرة عن مصر والعروبة وملوك العرب والسيدة الوسيطة لا صلة لها بالسياسة ، كما لا صلة لها بالشعر فيما خلا موهبتها الوساطية الراقية .

— وهذه قصيدة تطلبها جمعية الشعراء فإذا روح شوقي تمائها قبل انقضاء ثلاثين ساعة مكونة من ثمانين بيتاً من ثلث الشعر وهي تفيض روعة وتزخر بتشبيهات تمثل مستوى من الإعجاز الفني واللغوي الذي كان يميز شعر شوقي ، فضلاً عن العتب على أعداء العلم الروحي ومطالبتهم بأن يذلوا أمامه عقباته الجسام بدلاً من المكابرة في الحق .

— وهذه رباعيات عميقة جميلة يعالج بها أمير الشعراء الحكمة البليغة والفلسفة المنظومة التي لا يرقى إلى مثلها أحد من الشعراء ، وكأنني به يطرق هذا الباب الصعب من الشعر محاولاً أن يحاكي بها رباعيات عمر الخيام وهي ربما تبرزها من بعض الوجوه .

وغير ذلك كثير من عشرات القصائد العصماء التي ظلت تنشرها جريدة « عالم الروح » ثم توقف النشر باحتجاب صاحب الجريدة المرحوم الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير في عالم الروح . أما ورود القصائد فلم يتوقف حتى الآن .

ولما كان المقام يضيق عن إيراد كل قصائد روح شوقي ، لذا نورد بعض مقتطفات من عدد كاف منها ، كما تكون تحت بصر القارىء ، كهيئة من مستوى هذا الشعر ، ولا نتطلب منه حكماً سريعاً الآن ، بل إن من حقه — وواجبه أيضاً — قبل إبداء أى حكم عليها أن يرجع إلى هذه القصائد . وهى منشورة فى أعداد مختلفة من مجلة « عالم الروح » ، سنشير إليها فى ذيل هذه الصفحات ، فسيلحظ على الفور مدى جمال مطالع القصائد — وهى صفة كانت تميز شعر شوقي — فضلاً عن مدى غزارة المعانى والتشبيهات ، وعن مدى الإمساك التام بعنان اللغة والمنسك منها لفظاً ومعنى إلى المدى الذى لا يضارعه فيه إنسان .

فهل للوسيلة الفاضلة أية مصلحة فى أن تنصل من كتابة هذا الشعر الراقى لو كان هذا الشعر لها ولم يكن من إملأه أحمد شوقي ؟ .. ولو فرضنا جدلاً أنها تخلت عن الأمانة والشرف وهما صفتان لازمتان لكل وساطة راقية أما كان اسمها يصبح الآن على كل لسان كشاعرة مبدعة من شعراء هذا الزمان ؟ ...

ففى قصيدة عنوانها « إلى المتشككين » (وهى مكونة من ٨٧ بيتاً)^(١) تقول روح شوقي :

فُضِّت رموز الغيب من أحقادها ^(٢)	والفتح أزهر من عنان قبابه ^(٣)
وانساب فى العلياء ومضى بالنهى ^(٤)	يستخلص المطموس ^(٥) من حجابه
ونقاد نبع الروح صوب منادم	فك الروابض فى قصي ^(٦) شعابه
والشائق المرموق ^(٧) فى أوج الندى	أذكى حنين الكون فى أعجابه ^(٨)

(١) مجلة « عالم الروح » عدد أبريل سنة ١٩٥٥ م ١٦ — ٢١ .

(٢) الأحقاب : الدهور .

(٣) عنان قبابه : يقصد بها السماء .

(٤) النهى : البقول .

(٥) المطموس : الذى أعمى .

(٦) القصي : المكان البعيد .

(٨) عثابة .

(٧) الشائق المرموق : هو عالم الروح .

والروح من روض الخلود سلافه
وغداً يهز العالمين يقينه
والفقه^(١) أحرز ما البيان أولته
إن يقبع الجهال فالعلم استوى
والنيل واتى الباحثين هداية
والعلم إن يلق الصدور مشوقة
طود الخلود منبحة أطلاله
ليشيد أركان المحجة في الورى

أقطاب علم الروح فيض بحوثكم
والروح كم أعياء الحكيم كينه
كم رعدة هزت كيانه مباحث
والطرق^(٨) درماً للبحوث دعامة
موج الأثير ، أخى ، بلوت محيطه
تشجيك من عذب الروائع متعة
أوقظت من عهد التكهّن معلناً
كيف ارتضيت الكشف معطار النداء

هذا التدفق والأثير وسيلة
كم من غيوب الخلد روح هففت
وتعد ، أفهام الورى لطلّائع
تملى بشوق في الصدور مؤجج

يطوى المضلل في فلور عبابه
حتى بدا كغائب^(٧) بعذابه
ورمته بالإعياء في تجوابه
تحي رميم العمق من إجدابه
وألفت ما أهداك في أهقابه^(٩)
من عازف أو سارد لخطابه
ما برّ وحى النى في إطنابه
مستعذباً للنهج في إرطابه^(١٠)

يحكى سمو الروح في إنجابه
تفضى سرائر ما وراء سماه
في حاكيات من وثيق لبابه
ما ثم تحظى في الدنا بمشابه

(١) الفقه : الفهم .
(٢) الطلح : طلع النخلة .
(٣) وصل النأى : جملة قريباً .
(٤) الشفيف : الرقيق الذى يرى ما تحته .
(٥) العون : المعين .
(٦) المحجة : جادة الطريق .
(٧) المقلب : المقلوبه مراً .
(٨) الطرق : التكهّن .
(٩) الإوطاب : رطب البلح .
(١٠) (م ٢٤ — الإنسان روح)

من هائم يسرى الهوينا هامساً بالأوب في روض الصفى الآبه (١)
والروح هاد إن رعيت هداية وشجاك منه العذب ضمن عتابه
فانشد حبيباً أو قريباً في العلا وارشف حنان الحب من أكوابه
والروح إن هو العقول يخصصها وحباً مشوقاً من صفاء شبابه
يسمو وراء الأفق في رقاقة دقافة تنصب في أخصابه (٢)

* * *

من جد سعيّاً في الوطيد بنهية بيد الرفيع الجلم من آدابه (٣)
تلقاه في البطحاء يلغظ مفلحاً يزهى مرمى العمر في إعرابه (٤)
وضاعة في العاديات فعالة تغنيه عن جاه . وعن أنسابه
معطارة في العائشين كأنها عبقّ يغار المسك من أطياه
لو بالقنوع حباه شك بحجف يصلية غماً من جرى لإسبابه (٥)
إن التواجد للحصاد مطافه والروح يقطع بالنوى لخرابه
ما طاق صبراً في المشيد من وعى أن التجاهد للثرى ويبابه (٦)

* * *

صاح : بحق المرسلين وصحبة حلوا الرحاب بعجبه ومهابه (٧)
ما قام نص بالقرائن في الردى يطوى شهاب الروح في أسراه (٨)
فالجسم يهراً في الغداة برقده والروح يمرح ناعماً بشبابه
والمرء إن يوماً تغيب في الثرى ما عدت الأرواح من غيبابه (٩)

(١) الأوب : الدودة . الآبه : المهم .

(٢) أخصابه : الغير المحببة (٣) النهية : واحدة العقل .

(٤) يلغظ : يحدث صوتاً . مفلحاً : ناجحاً . إعرابه : يقصد بها تنفيذ مراده .

(٥) القنوع : الرضا . محجف : يقصد به هنا معنى مضلل . يصلية : يدخله النار . الجوى : الحرقه .

(٦) المشيد : الطول . التجاهد : بذل الوسع والمناصود ما طاق صبراً في خلد يطول إذا كان منتهى الإنسان بالموث والبقاء في التراب وأرضه الحربة . ومفزاء أن الروح جى سار .

(٧) مهابه : مكان يهابه الناس .

(٨) أسراه : هم سرب وهو ما تحت الأرض من بناء .

(٩) غيباه : الغياب : جمع غائب .

يوم انطلاق الروح من أسر البلي يغدو طليعة من صنى بوابه
تالله ما يرضى الخلود بصفده بعد التملص من عرى أوصابه^(١)
بل يأنعات في النعيم جنانه يرتاد سهلا من سعى بصوابه
في مرتع الأحياء دقاق المدى والروح يمرح في محيط حبابه^(٢)
بالشم يأنف أن يغفل كأنه جسم ثوى في غامر وزابه^(٣)

* * *

يا سائلي هل بالتخاطب قنية^(٤) من هاديات الروح في خطابه^(٥)
إن حط في حصن المهيمن^(٦) نبنى كيف التوصل للوفى يؤتى به؟
الفلك أفصح عن مكان حسه^(٧) والعلم جمع من شتات رغبه^(٨)
والروح يهرع للأليف إذا دعا مستهدفاً من دون ما إرهابه^(٩)
طلق الغدو أو الرواح وإنه إن شاء غرتم مطرباً لصحابه^(١٠)
أو شاء أظهر في بهاء قوامه ركأنه في الحى من أربابه^(١١)
سار كما يسرى النسيم بغير ما عاد يرد عن المزار وبابه

* * *

يا سارباً ما الروح في ريعانه ينسل في قرع العلا وضبابه^(١٢)
إلا ليكشف ما تباج هائماً في الخلد ينعم بالجنى وعذابه^(١٣)

(١) يعنى لو يقيد المرء بعد الموت لن يرضى الخلود بغيره بعد التملص من عرى أوصابه .

(٢) حبابه : حبه .

(٣) ثوى بالمكان : أقام به . غامر : الغامر من الأرض ضد الغامر .

(٤) قنية ما يقتنى . (٥) خطابه : أى الذين يخطبون ود الروح .

(٦) المهيمن : الإله .

(٧) حسه : أى حس الروح .

(٨) رغبه أى رغبته . (٩) أى حضور الروح لا يخيف من يطلبه .

(١٠) يتحدث عن ظاهرة الصوت المباشر .

(١١) يتحدث عن ظاهرة تجسد الأرواح (راجع ما سبق لى ص ٣١٧ - ٣٣٩) .

(١٢) السارب : القاهب على وجهه فى الأرض ، ريعانه : أوله . القرع : السحاب الخفيف . الضباب : السحاب الكثيف .

(١٣) الجنى : الثمر . عذابه : كل ما هو عذب .

نعماء كأس مسترع بجبابه ^(١)	فتراه شمع في ظلال المرتجى
تبقى المدى في عليه أخرى به ^(٢)	تشجيه من سنن التحول غدوة
هيات تسمى في سناء ركابه	والليل والظباء يمحى عدها
أن المضمّن مُهله لحسابه ^(٣)	يلقى شهاد الخلد حيا من وعى
حازت ثناء الحر واستجبابه ^(٤)	تهديه في رجب الملى سماحة

ثم ها هو يعارض نفسه في نهاية القصيدة ويعتذر عن نهكه على القائلين
بمناجاة الأرواح عندما كان في حياته الأرضية :

تطنى على فتح العلا وعجابه	إن كنت في أمس غذوت جهالة
يوم ارتنت العلم في محرابه	وأبحت في دنيا الشكوك وثيقة
ومسخت بالتقريع غض إهابه	وأقت سداً دون عذب فراته
أوهام بطل قد جرححت بنا به	مالي وأمس والغباء وثورتى
فأحاط علماً ارتوى برضابه	ما كان أخرى أن أميط لثامه
ليجيد عن لدع القويم بصلابه	يا ليت كف عن اليراع مداده

* * *

أقسمت بالرحمن لست بنسابة	يا قاذف الصور أن عمداً بالثرى
في الروح أو من شاد في ترحابه	من رام صداً لاتصال مباحث
فيقيم وعداً في الورى بسبابه	في العلم يلقي كالكفيف عصية ^(٥)
ليجرد العرفان من أثوابه	ويزيد سخطاً في فلاة بحوثهم

(١) شمع : مزج .

(٢) سنن : طرق . الغدوة : ما بين صلاة الظهر وطلوع الشمس . أى عليه من القوم
(الذين آمنوا قبله) .

(٣) شهاد : مشهد . المضمّن من القوم نصفه أى أن الدنيا ومى خطر من حياة الإنسان
هى فترة تؤدي به للحساب .

(٤) الملى : الزمان الطويل . سماحة : جوداً .

(٥) ما استعصى عليه فهمه .

أنى لأعشى^(١) أن يحص في الدجى غمض الطلاس في الفلا وسرا به
هيهات نجدى بالتعاسر حجة فالروح حوتم في حمى أصحابه
يُرمى بسقم الرأى أو إسفاهه من ضج والإعياء في إضرابه
إذ يعتصم بالواهيات مفرقاً شمل الرصين مسوغاً لكذابه

* * *

مدُّ التشكك في الحقائق نزوة من علا متن اللغاء^(٢) فكبا به
من حاك بالتهويل سداً قائماً يخفى سمات العلم عن طلابه
باللغو يلهمج والهرام مصانعا يستنزف الإعجاب من أذنا به
إن يستبح بالزيف تضليلاً فما تخفى الحقائق في صنيع خضابه^(٣)
كالطمر^(٤) زين بموشيات مزيف شأن المداهن والطلا^(٥) بخطابه
يا ويح روح من حفاظ نسيجه إذ يستبين الحق على حجاب به

وهكذا تولت روح شوق معارضة شعر شوقى - حال حياته الأرضية
في قصيدته التى يقول فيها :

لا تسمعن لعصبة الأرواح ما قالوا بباطل علمهم وكذابه
غلبوا على أعصابهم فتوهموا أوهام مغلوب على أعصابه
الروح للرحمن جل جلاله هى من ضنائن علمه وغيا به

مستخدمة نفس البحر والقافية في بلاغة وقدرة شعرية فائقة لا يدانى
شوقى فيهما أحد من شعراء العربية ، فما بالك بوسيلة روحية بعيدة تماماً عن
الشعر وفنونه . وكم شاعر يملك مثل هذه القدرة التى لا تبارى في الدفاع عن
الحركة الروحية وإعلاء قدرها والرد على معارضيها؟... ثم انظره وهو يؤنب
نفسه تأنيباً لا رحمة فيه ولا هوادة كما تدرك قوة هذا الشعر في دلالاته وعمق
أهدافه . فهل للسادة المعارضين تحليل مقنع يزيل التحليل الروحى؟...

(٢) اللغاء : الخبيس من المعنى .

(٤) الطمر : الثوب الخلقى .

(١) القى يرى نهراً ولا يرى ليلاً .

(٣) الخضاب : الحناء .

(٥) الطلا : الهوى .

وفي قصيدة عنوانها «عالم الروح» بحث بها كيف تتلى في احتفال مجلة «عالم الروح» بدخولها في عامها السابع في ١٢ نوفمبر سنة ١٩٥٣ تقول
روح أحمد شوقي :

بالروح أفدى من هواه مسهدي	والطرف ساء في ملاذ المعبد
إلف تدله مستهيماً بالعللا	حيث المسأل إلى الإله الأوحد
يستطلع الأسرار مضمي مجتلي	شامت مخائل نخبه أن يهتدي
محرابه القدسي فكر صائب	يعلى اليقين على التراث الأجد
ليصوغ درأ بالخيال ولؤلؤاً	همساً بنجوى في خشوع العابد
كالزهر ينسج للربيع حنينه	والروض يهفو للآليف العائد
هيات يصرع بالشكوك وحنسها	كالليث يزأر إن رَمته ويزبد
يسعى إلى خلد يروم ضياءه	ليطوق الأعناق حر قلائد
والعذر زن بطليسان جهاده	يشدو بحزم للعللا والسودد
تطواف روحى في الرحاب أهاجها	بيض الصحائف من صنيع غلد
بالرونق الأخاذ يترى سحرها	خطت مشوبة ملهم ومزود
منذ العهود الخاليات لأبد	كنز النفائس للرحيم المهتدي

* * *

الله در المتقين ومن وعى	ككنه الصراط يقو من ويمهد
فالنفس تهوى السلسيل بعذبه	ظماى لتطفئ من غليل الشارد
والحرص فى إثر الخلود تنافس	والنعمة الشفاء رهن مجاهد
خص المكافح بالإشادة فى الذرى	يعلو الثريا بانتهاج مشيد
كم ضنت الأفلاك عن أسرارها	تخفى المعالم عن عيون الحسد
بناء ملك فوق ملك يعتلى	خط السيل لطارق ومعبّد
فاذا الرغائب بالاضنين وبالمهى	بانت تخلق فى سجايا المنجد
ما تثنى فالعزم بات موطداً	يعلو الرواسى فى ظلال المرشد

كالطيف يغزو الحصن غزواً في الضحى لا يابن لحاق ومهدد

* * *

يا لائماً خل الملامة وان
وانظر صفوف الركب يمضى مرغماً
رغم التشاخ والز هو بأرضها
هذا تراها بالغرائب مطبق
طى الحفائر بعد عز تنطوى
كل تساوى فى الأديم مدثراً
وارباً بنفسك من سعي أبداً
فرسانه أحنوا الرءوس الحاصد
تاوى الخلائق للسحيق البائد
يطوى الرقاب كسائف بمهند
صفحاتهم من عابث أو زاهد
ثوب البلى يلتق انحلال الفاسد

* * *

يا صاح مهلاً ، ما الديار لعالم
يصلى النوائج والشكالى حرقة
إذ تصمر الأكباد صهراً فى الحشا
أرضى إذا هن الحنين نزيلها
فهى الصحارى السافيات رمالها
هوجاء تزدى من أعاصير الردى
أفمى يشع من البريق سراها
لفظ الأحبة من كرام المحتد
كاللهب تسرى من فضول الناقد
من شمة تبدو بعين الحاقد
يكويه شق من ضلال الحائد
تطوى الجحافل والثقة وتعتدى
حملاً تذيب غريمها بمسد
تردى الميم شطرها بمكمد

* * *

ويج المدله فى هواها ، ويجه
يطوى حينئذ بالخطى ووئيدها
يحتال سيراً فى الوهاد مخاطراً
ولو أن أذهاناً تنامت فى الحجى
لارتاحت الأفهام من إعيائها
وبنت قلوب النعيم محافلاً
ورنت لترياق النفوس وهزها
ترضى خلود الروح حقاً مفعماً
إن قال يا نفس انشديها واسعدى
عرضاً وطولاً فى حصافة صامد
ويروم رياً فى الحى ليزود
تهوى التصلع فى البيان الشاهد
وتبخرت أوهام كل مكابد
وسعت لخلد ضمن شوق زائد
فى بلمسم تلقاه ضمن عقائد
فالخلد ماوى صابر ومكابد

من يزرع التقوى بذوراً في الدنا
والويل كل الويل يغشى نا كراً
إن ضج بعد الموت من إذلاله
إلى أن يقول :-

يا قوم هبوا من سبات إنما
فالسعى في إثر الخلود رغبة
يا عالم الروح، ارتقيت الخالق
دم للهداية منبراً ومعلماً

* * *

ومن قصيدة روح أحمد شوقي التي برهن فيها مفيدة بنفائرها :-

الحب في عرض الزمان وطوله
لو أن عشق الروح ربك فأنعمي
والقلب يخفق إن ترفق ومؤنس،
فابقي على روض الحنان عذوبة
يا ذات قد بالطلالاة مائس
هيفاء تخطر بالثبات لرائد
بأبي وأمي والصحابة والآلى
وانتك طبيعة المثل سعادة
إلف تدله بالجمال مرصعاً
إن كان مؤنسك، الوفي سلاله
دله، الرفيع الفذ كعبة من بني
العلم طوق والمعارف بابيه

* * *

(١) راجع القصيدة برمتها وهي مكونة من ٦٨ بيتاً في عدد شهر ديسمبر سنة ١٩٥٣ من مجلة عالم الروح ص ٩ - ١٢ .
(٢) فهو نجل الأستاذ الدكتور طه حسين .

وفي قصيدته التي عنوانها « رسائي إلى ردى على » مخاطبه قائلاً :

يا ابن الأمير^(١) فذاك حسي ما أنا
ما كنت يوماً للزوال فريسة
لا تحسن بحق حبك أنى
كلا على أنت أدري من أنا
ما كان رأي أن أطأني هامتي
يارب دهر للكارم عشته
أنت المقدر لا سواك شجاهتي
الليل عندي والنهار رهينة
أقضى اللبانة^(٢) من مأرب حجتي
ما كنت أرضى بالمديح تملقاً
والليث يزأر من صلابه خصمه

في المتأني أو في التراب فقدته
« شوقي » سما للخلد مذ ودعته
فرد طفيف قد مضى وسلوته
أيقنت حزمي في الضنا وبلوته
فانصاع دهرى صاغراً وشهدته
فعببت مما كنته ونظرته
ما كان مني في الحى أكبرته
كم هان سهدى إذ أراك عرفته
نصر اليراع . وما جنيت حفظه
سهما رميت بمن أراك خشيته
نخر الميكانة إن هوى وصرعته

* * *

سابرت خلى بالمرانة^(٣) فقتله
عيناك من عيني توامة الوفا
فاهناً على بالحياة وطيبها
واعدد لنفسك ما عدت وأرضها
وارع اليقين إذا الأمور تعقدت
واحذر شراكاً من حبائل صائد
وارض الحياة بحلوها وصديدها
ما غير أذك في الرواة مصداقاً

ففساك مثلي بالسباحة^(٤) سددته
والعين عنوان^(٥) لما أخفيت
أم^(٦) العلاء بالسهم إن صوبته
من مكرمات الخلق ما عسودته
واشدد بحق الله إن أقسمته
تذويه غمماً لو بملك ذذته^(٧)
فالكرب يجمع إن رآك جفوته
فاقتضم لسان الم إن أخرسته

* * *

(١) يشير إلى لقبه « أمير الفراء » .

(٢) الحاجة . (٣) بالين . (٤) الجود . (٥) مرآة .

(٦) أفسد . (٧) طرده .

هذى غوالى النصح خذها نفحة
إن قلت آه من ضنى أو كربة
أراك دوماً فى الشدائد من على
يرعاك روحى فى الأصيل وفى الضحى
أتحن روحى إذ يحيطك قائماً ؟
والنصح مجد لو أراك عقلته (١)
إنى المسرى مثلاً عودته
فانفض غبار الشك إن صورته
حى كىانى . مائل . ولمسته
صوب لحاظك اهل زاك عرفته

* * *

للروح مقبرة القدوم بخلوة
فى همسة (٢) الكلم المنق (٣) سره
حق اللبابة واللبابة أن تعى
هذى القطوف (٤) بصرفها (٥) من دكرمى ،
فارشف كؤوس الوحى (٦) طى رسالة
وأنه اسأل أن يزيدك بقطة
تخويه بالوجدان إن أرهفته
من منبت العرفان ما طالعت
أن الرورى نظير ما استمرأته
كم رافك العنقود يوم قطفتها
ساغت (٧) بما حليتها (٨) وألفتها
كى تقبل الصوت الذى قد سته (٩)

* * *

ومن قصيدته إلى « شاب » وعنوانها « نسيب » ، وقد أشرنا إلى ظروف
إرسالها فيما سبق ، وهى مكونة من ٧٢ بيتاً نقتطف منها بضعة أجزاء
يقول فيها (١٠) : —

ابنى اسطرت مسيل (١١) الحزن والالم
يبيدى الأسى ويان الحال بالكلم
تقسو على شطط (١٢) الأقدار فى لطف
سوّممت (١٣) حظك سوء النكل بالقلم (١٤)

(١) غلبته بالعقل . (٢) الهمس : الصوت الخفى . (٣) اللزير من الكتابة .

(٤) المناقيد . (٥) الصرف : الضراب البحت غير المزوج .

(٦) الوحى : الإلهام والكلام الخفى . (٧) ساغ : سهل مدخله فى الخلق .

(٨) جعلتها حلوة .

(٩) راجع القصيدة برمتها فى عدد مارس سنة ١٩٥٣ من مجلة « عالم الروح » وهى من ٧٨ بيتاً .

(١٠) راجع القصيدة برمتها فى مجلة « عالم الروح » عدد يولييه سنة ١٩٥٧ من ١٥ — ٢٣ .

(١١) مجرى . (١٢) فباعده عن الحق . (١٣) كانت . (١٤) سوء الطبع .

مالى أراك سُلبت الصبر فى جزع؟
 كيف ارتضيت بسأمِ جال فى القيم^(١)
 يا من صراعك فى الأيام منتشراً
 يتلو انتصارك فى الآفاق والقمم
 ماذا وحقك جاء الأمس من أفك^(٢)
 وخز الشائل والآمال بالظلم^(٣)
 قيم تقول إن اليأس مهلكة
 والعيش أقفر بالخذلان كالصم^(٤)
 ما وحدة سكنت بالنفس موحشة
 كيف احتواك ملال قاتل الهمم؟
 أفشت يراعك أن النفس حائرة
 تشكو التنافر فى الأوضاع والقسم
 أضحت تليت على هم يلازمها
 قض المضاجع بين السهد والنسدم
 هانت أمورك باستهداف شائقها
 للعى بئس مثار العى فى القدم^(٥)
 أخلفت ظنك فى إشراقة الظفر
 ورميت ذرعك فى أحبولة العدم
 حتى خشيت عداة الدهر يا لهفى
 ما الجبن صبغة مغوار ومعتصم
 إلى أن يقول له:

ماذا انتويت؟ أتعصى الله فى عنيت
 يا لآئماً وسم الأقدار بالتهنم^(٦)

(١) قيم التواجد الإنسانى . (٢) زور وبهتان أو كذب . (٣) جم ظلمة .
 (٤) أى أصبح العيش لاهية فيه . (٥) مضى قدما أى لم يرج ولم يثن فى المضى بلا توقف .
 (٦) تناقض الروح تصبم هذا القاب فى وقت ما على التخلص من الحياة عندما فعل فى
 خطبة آلسة كان يرواها .

قف دون لومك والشكوى وكربتها
 فرج همومك . ناقشني فألقم
 إن كنت تبني على الآمال ما نفعت
 شيدت صرحك بالإيناع^(١) والعظم
 أسست سعيك للعرفان مرتضياً
 معداداً تشاد على الإيقاع والنغم
 عرف بجري لجلال العلم مرجعه
 صرف المغنم من علم المغنم
 ليس التذله في علم بمربط
 بالعشق أو بغواني البید والعجم^(٢)
 من مارس العلم للإعزاز في رهط^(٣)
 يدلي بشرطه لمساحاً^(٤) ، وذا قدم^(٥)
 فالعلم معجزة قدسية أبدأ
 سائل معالمها في الوادي^(٦) والهرم
 قل لي بحقك . هل ستخترت مرتضياً
 في موكب هواك العلم كالخدم ؟
 أو رحت تنذر من علم لترصده
 وفقاً على صلة بالحد والنجم ؟^(٧)

إلى أن يقول له : —

ماذا يضيرك أن تنسى بلا ملل
 فيم التوغل في آهات مضطرم ؟
 إن أنت شئت ملال العيش مرتضياً
 أين الرجولة واستقرار محتشم ؟

(١) الازدحام .

(٢) غير العرب .

(٣) أثوام .

(٤) لامعاً مضيقاً .

(٥) شجاع .

(٦) وادي الملوك والمساكن بالأقصر .

(٧) هل نذرت العلم ورصده وفقاً على صلة مينة بحد وقيدته بالجمع كما تاجم الخيل ؟

ابن الإباء وسيف اليأس ذو لهب
 إن جال أرعد في الوديان والأجم^(١) ؟
 مرحى بنى وفق من غفوة عبرت
 فالصحو يعصم في هيجاء مصطلم^(٢)
 جاوزت حدك في الشكوى وما وسعت
 والذرع ضاق بعيش الدور والخيم
 أعلم مبنى بأن الله ذو أرب
 فالحق دونك إن تعصاه بالنهم
 خذ بالتعلة^(٣) فالهيب^(٤) مرتذل^(٥)
 وارهب مناواة الرحمن في القسم
 هون عليك فما في الأمر من جلال
 كم شدة بذلت للناس من يخدم
 أخشى عليك إذا استرسلت في سأم
 يترى ملاك للعذال كالوشم
 وثب العزيمة سحر صانع عجبا
 والحزم يخلق إزهاراً من الرطم^(٦)
 إن الحياة لأسمى من هوى جسد
 فالروض يفخر بالأزهار لا العتم^(٧)
 والطير يطعم من أرض . فيا عجبى
 حب السرفع للعلياء في اليم^(٨)
 تدلى الخلائق بالنجوى لمتعظ
 يهوى التفاؤل بالحسنى وبالفهم^(٩)

(١) التجر المثلث . (٢) أى المصطلم بمناواة الحياة .
 (٣) ما يمثل به . (٤) الذى يخاف . (٥) محتقر .
 (٦) الأرض الغير المسوية ذات القلال . (٧) شجر الزيتون البرى .
 (٨) اليمام أو الحمام البرى . (٩) الفهم والمرقة .

فارضِ التطيب بالترياق في شغف
 وأرحم جراحك من نزع الضنا كدم.
 فخر الشباب طموحٌ ليس يقعه
 خوف الترفع فوق النوق^(١) من سنم^(٢).
 فارفع بحملك قدر النفس منتصراً
 حتى تتوج هـام العيش بالفخيم
 وارقب نصيبك في الأقدار في ورع
 إن التورع يؤتي السعد للفهم^(٣)

وهذه — كاملة — أبياته التي يستقبل فيها الشاعر الفقيد الدكتور إبراهيم ناجي أملاها بمناسبة ذكره : —

يا ناشراً بلغ الأفلاك في سحر
 نفس الأريب إلى العلياء مطلعها
 كالأزهريين بأوج الفلك مكنها
 إن وسدوك في الجنات سدتها
 أو خيروك فلن ترضى برجعتها
 روح الخليل تسامت صوب مبدعها
 صف الملائك للترحاب تلشدّها
 ماض ذكرك بالأحداث والحفر
 بالتيه تخطر كالعذراء في خفر
 توحى بمأثرة العرفان والفكر
 والنهج أفصح عن صيرورة البشر
 فاهناً برفعتك السماء والقدر
 كالدوحة ازدهرت تحتال بالثر
 لحن المظفر بالأعمال والسير

هوّن عليك نزيل الخلد من فرق
 نلت المراحم من وهاب مغفرة
 أذكت لطفة من للشعر في ظمأ
 إن ضن أمسك بالأيجاد ناصعة
 ماعشت دهرك وسناناً ولا ثملاً
 أكبرت من سنن الرحمن في شغف
 أيقنت أن رميم الناس قاطبة
 جئت الهدى كأريج المسك منتشر
 تجزى الروائع من تصنيك العطر
 حين التقاك حليف النظم والدر
 فاليوم تظفر بالمرغوب والوطر
 حصنت نفسك للجنات والظفر
 مستلهاً وزن التسديد بالعبر
 تحت الثرى فوطأت السهل في حذر

(١) النافذة أتى الجدل وجمعها نوق . (٢) سنم الجدل . (٣) الفهم : السمع الفهم .

أعليت شأوك كالوهان مرتقباً
 يا روح « ناجي » في إحياء روعته
 زوّد بسائغة للصبر ترشدهم
 قل للألى فقدوا الأحباب لانهنوا
 كفوا المدامع فالأيام مارقنة
 كأس الحمام نديم الناس مذدرجوا
 فارعوا اليقين فما للشك قائمة
 من يستبين فبالتيبان حجته
 « أم الكتاب » رهين البعث فارتقبوا
 وبعد أليست هذه هي طريقة شوق وروعته بعينها؟ (١) ...

وهاهي أبيات حزينة بعث بها كياً يواسي المرحوم الأستاذ أحمد فهمي
 أبا الخير في انتقال ولده نبيل الذي انتقل إلى عالم الروح في ربيع السابغ عشر (٢)؛
 للروح شأو في العزاء مقتنع
 آسى على البعد السحيق بحسه
 صبراً « أبا الخير » العزيز بحق من
 ماجئت في دنيا العزاء جديدة (٣)
 إني عهدتك للعزب مضمناً
 والله حر في انتقاء زهوره
 والصلمت في جلال أعز وأوقع
 كم شاء لو يجلو المصاب ويقشع
 في روضة الخلد الرفيع يتمتع
 فالخطب يعصى ما يقال ويسمع
 عوداً ، نبيلاً ، لعللا يستودع
 والحكم في دنيا المنون موزع

يالوعتى من ذا العزاء وصنوه
 فالموت يشقى في العباد مقوضاً
 يمشى الهوينى في البرية داعياً
 والأذن إذ تهفو أسيرة هاتف
 صبراً فكم في الخلق شاك موجد
 والعالم الملتاع منه مردع
 من يستضيف ملبياً أو يسمع
 هيات تفلت . لا ، ولا تتمنع

(١) القصيدة منشورة في مجلة عالم الروح عدد يونية سنة ١٩٥٢ من ٢١ - ٢٢ .

(٢) منشورة في عدد شهر سبتمبر سنة ١٩٥٥ من مجلة «عالم الروح» من ٢٦ .

(٣) فهو يذكر والد القيد بإيمانه بالروح وبالخلود .

فالمرة إذ يعنى بدعوة أمر يستقطع الامال ثم يودع
إن شاء رب العالمين قطوفه كملأ ، شباباً يافعاً أورثهم
من فى نطاق الحاصدين توافدوا الكل طوعاً يستكين ويخضع
فالموت حق ، والعباد رهينة والعدل لم يستثن إلهاً يجرع
والخى إن ثوى العزيز لمنتأى فالقلب يذوى والنياط تقطع
يا ليت كل العائشين توصلوا للصبر إذ يمتد حكم أرفع

* * *

وهاهى قصيدة بعث بها كيما تلقى فى مساء السبت ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٧
فى الحفل الذى أقامته جمعية الشبان المسلمين ، بالقاهرة تكريماً لذكراه ،
وقد وجهت الجمعية الدعوة إلى المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبى الخير كيما
يتحدث فى الحفل عن « شوقى فى عالم الروح » بتاريخ الأربعاء ٢٣ أكتوبر
سنة ١٩٥٧ فاقبل بالتليفون ببلدة ميت أبى غالب حيث تقيم عادة أسرة الدكتور
سلامة فى ضيعة لها هناك وطلب عرض الأمر على روح شوقى .

وفى اليوم السابق على الاحتفال مباشرة جاء روح أحمد شوقى إلى إحدى
الجلسات العلاجية بمنزل الأستاذ أبى الخير بالروضة ورآه وسطاء الجلاء
البصرى وأخبرهم أنه أملى بالفعل القصيدة المطلوبة على قرينة الدكتور سلامة
ببلدة ميت أبى غالب وعنوانها « فى المهرجانه » .

ثم يقول الأستاذ أبو الخير فى مجلة «عالم الروح»^(١) « إنه خرج ظهر يوم
الاحتفال من داره لقضاء أمراً ، وقبيل الثانية بعد الظهر وجد الدكتور
سلامة والسيدة حرمه يسيران فى الشارع المؤدى إلى منزله فلما أدركهما
قالا له إنهما تلقيا القصيدة بالفعل ، ولم يكن أمامهما إلا الحضور شخصياً
لتقديم القصيدة قبيل موعد الحفل ، ثم العودة ثانياً إلى ميت أبى غالب ،
وفعلاً تسلبها منهما وذهب معهما إلى منزل الأستاذ الدكتور أحمد الشايب
لمراجعتها . ولما تم ذلك بلغت الساعة الثالثة بعد الظهر تقريباً ، وحضر
الحفل فى الميعاد المحدد وتلا على الحاضرين القصيدة ، وهاهى كاملة : —

أشرى^(١) الوفاء يناغى الشاعر الحانى^(٢) وأنساب ينشد فى العلياء عنوائى
أوحى بنافلة^(٣) فى الحى مغنمها مستملح بشذا التكميم^(٤) يرعائى
روحى ونفح ثقة الشعر مفخرتى ترضى النوال وهذا الحفل أهدائى
أحرزت مكرومة الخلان من وهب كالغيث بل أوار الظامى^(٥) الرائى^(٦)
الحق أشهد والأيمان صادقة آيل الشكور على الإيثار^(٧) يعصائى
أوفت على سنن الذكرى مخالفة مهج تفتدى أحيى آى وجدائى
تسمو وتغنى بالمنظوم مزدهراً زف الجليل بما أدلاه أقرائى

يا ناشر اللبق المعطار مرتبطاً بالعطف إن منال العطف أحيائى
عهد المغيب إن تركيه بادرة فى المهرجان بنجوى العاطف الدائى^(٨)
يطرى بنائلة^(٩) الإملاء معتمداً عد المصنف من لبنات بنيائى^(١٠)
يامنية عرضت للروح فاقترنت فض المغلف من إسطاع أزمانى^(١١)
ما جوائى كهياه الحـ لم أخيلة بل فى العداد أنا حى بتيائى
والروح خال ليان العيش عارده يدنى القطف جنى من كرمه الهائى
فاختار راسية^(١٢) النظار^(١٣) مغتبطاً يرنو لحاضر ما يعزى لأوزائى
تشجيه ماوسعت أنعام ملحمى من متعة كنت فى صوغ الحائى

يالأمى وحنين الأمس روّعنى والضم بعد شكاة^(١٤) الحى أصدائى^(١٥)

(١) أشرى البرق : لمع .

(٢) ذو الحنان .

(٣) أعطاه نافلة من المعروف .

(٤) المتطلع .

(٥) آثر إثارة : أكرم .

(٦) يقصد روحه القربة فى المهرجان . (٧) النائلة : العطية .

(٨) أى تعداد أنواع ما أقام من شعره .

(٩) أى سنوح فرصة المهرجان مكنه من كشف ما خفى من عهده الزاهر .

(١٠) رسى راسية : رسخ وثبت . (١١) النظار : الشديد النظر .

(١٢) الشكاة : ما يهتسكى منه . (١٣) تركبى فى عطش .

(١٤) (م ٣٥ — الإنسان روح)

كم همت مرتقبا أهفو لظاهرة
واليوم أمثل بالأوزان خافقة
تى البيان مصان الحق حرمة
على على منن الآلاء منتهج
إن ترتضوا فأريج الشكر مستندى
أتلو على حقب الأيام منطقته

تقصى الطوى^(١) وتداوى كيد حرمانى
بالشاعرية من صرفى وإمكانى
طبق المضمّن من أنداد عرفانى^(٢)
رد الجليل على إسعاد إنسانى
يعلى مكانة من بالود حيانى
بالمستساغ فيدوى نص إعلانى

* * *

يانخبذة ضمنت للروح عزته
جاشت سوانح روى اليوم داعية
أكبرت شيمة سباق يطوّقنى
يارب شائقة بالزهر ترمقنى
تقوى الروابط إن دامت أواصرها
فابقوا المنتهج التكريم ملتصاً

بعد التباعد عن آل وأوطان
فى حكم بمشوق الرأى والشان
باليانعات وفيأ ليس ينسانى
عبر النطاق^(٣) لتزهى دوح أفنانى
تهدى المناصر من صحبى وأعوانى
يبقى على حقب المأمول ديوانى

ولنفترض جدلاً كما قد يذهب المعترض الذكى بأن الواقعة التى حدثت فى
الجلسة العلاجية هى من خيال وسطاء الجلاء البصرى، وأن وصول القصيدة
فى الميعاد المطلوب كان من قبيل الصدفة، فيماذا يعلل المعترض هذا المستوى
الراقى من الشعر واتفاقه التام مع شوقى العظيم فى مستواه وطريقته وإعجازه
اللفنى؟ وهل فى الناطقين بالضاد من يكتب الآن مثل هذا الشعر الذى
لا يحد الزمان بمن ينظمة إلا مرة كل بضعة أجيال أو بضعة قرون؟

* * *

ثم ها هي — كاملة — قصيدته التى أملاها بمناسبة «الاحتفال بذكره
السادس والعشرين» الذى أقامه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم
الاجتماعية. وفيها يعتب على بعض الأدباء الذين نقدوا شعره فى هذا
الاحتفال.

(١) الجوع. (٢) أى أنه يقول الشعر مثلاً قاله لعرفته به قديماً. (٣) أى عالم الروح.

نحية لوفود المتفطين

كبرتُ باسم الخالق المعبود
أم موكب الأزمان في يمن سعى
أم مهرجان الذكريات مشيداً
يضفي على رمز البطولة شيئاً
يحدوه أقطاب ثلاثاً نورهم
في قاعة طال الزمان ركم وعى
يادار حشدك قد أثار بمكنى
حتى استظلت في الربوع دعامتى

الحج جمع أم طواف العيد ؟
يوفي النذور بساحة الموعود ؟
بالخالدين معالم التمجيد ؟
من عاطر الإحياء والتخليد
من قادة وأئمة ووفود
من عهداً بروائع التريد
بعثاً يدب بمهجنى ووريدى
واستروحت^(١) في روضة التغيريد

قسماً بمصر وبالوفاء لعهدها
فالروح يختصم البعاد مغالياً
من صدق عني واستبد بيا به
أفضى بمكنون الحنين مروحاً
يا صاحب أتم عبقرية أمة
والشرق صفق والعروبة هلت
واستهدف الأختيار كل كريمة
إذ عطروا بالذكريات وطيبها

لست القصي^(٢) بمحفوة وصدود
كيف البعاد وما أنا ببعيد ؟
« شوقى » يطوف بيا به المسدود
عنى العناء وقسوة التسديد
نسجت لروحي برودة^(٣) التأيد
واستطربت آفاق كل صعيد
من منطق المأثور والمقصود
معنى الكفاح وصولاً^(٤) المجهود

وصف طامست

صوره توالى في المطاف بخاطرى
ولذ الفوارس والجهاذة الألى
نادوا أشوقى هل لسمعك مغنم

واستوقفتنى حائراً بشرودى
عدتوا المناقب واحتفوا بوجدى
في المستهام بفنرك المنشود ؟

(١) وجدت الراحة . (٢) البعيد .

(٣) نوب .

(٤) سطورة .

الشعر أقبل يستقي^(١) بدوحة
فالعبقريّة في رحابك تنجلي
ناشدت شوقي بالتضامن وحدة
قومت خير رسالة فكانما
إن أينعت فبغرسك الممدود
تتلو البيان بنهجك الممدود
عربية شرقية التوكيد
كنت الإمام لدعوة التوحيد^(٢)

* * *

يارائد الأقلام أشهدنا الورى
كنت المعبر عن مشاعر أمة
توحى بتوجيه وترسم نهضة
لا شك أنك للبلاغة موئل^(٣)
أسست في دنيا القريض دعامة
وسقيتنا من راحتك مصنفًا
شوقي سلام للبطولة لائق
حررت نهجك من ضنى وقيود
بالعرف^(٤) تشهد ليس بالتنفيذ^(٥)
حملت فيها شقة^(٦) التعيد^(٧)
علم المآثر شعلة التجديد
تهدى على الأجيال كل مجيد
من سلسل رواقته لورود
ياخير لحن دائم للخلود

فبرل النقد الزير والعنب على المفاصل

يا نأقدى والنقد من شظف^(٨) الدفا
أترك مكتمل العريكة^(٩) نابغاً
يا لائى عسر الكمال على الورى
فالمره يحتضن الحياة مغلباً
إنى بنيت وكل بان يعتلى
قدت الطلائع فى هواة راشد
أيقال فى الأهرام صنعة كافر ؟
لولا المناوىء ما استقام لى العلا
ومعيرى هبر الربى والبيد
متخطياً فى الشوط كل سدود ؟
وعرى الكمال لمن إليه بيجودى
والنقص مركب جاهل وبليد
قم الخلود إذا اهتدى لسديد
ورعيتها بـمآثر المنضود
أم منه جاءت منة لجدود ؟
كالبدر يسخر من هوا ورعود

(١) يستظل .

(٣) ضد الفكر .

(٦) تذليل الطريق .

(٨) الضيق والشدة .

(٢) توحيد العرب فى أمة .

(٤) الكذب . (٥) مشقة .

(٧) ملجأ .

(٩) الطبيعة . الخلق

والنقد للتوجيه أقدس ناصح
ما بين مبضع جارج ومطاب
ياليت من قذف السهام معادياً
لوفى نزيه الرأي . لا التقيد
بين البسلاء بصحة التضديد
راعى الذمام وما رعى بسديد

ههنا تجمع الشعراء في وحدة وطيدة

حقاً أخى لستُ الأخير زمانه
والعصر ليس بشاعر متفرد
ماضى لو نحى القريض من الطوى^(١)
ونبت في الأوزان ريعان الصبا
ونصوغ من در الصياغة لائقاً
فالشعر إلهام^(٢) ونبع سجية^(٣)
والملمون منسالم لا يكثرى
كم من فطاحل لم تزل بمهود^(٤)
فعلى الدهور مكانة^(٥) لآسود
في وحدة محبوكة التوطيد
ونرى القديم معانقاً لجديد
يحدو القوى لكفاحها المعهود
والشعر منحة خالق لسعيد
فالشعر وقف^(٦) للسراة^(٧) الصيد^(٨)

عودة الروح والخبز إلى الشعر

بالأمس رددت الفواجع لوعتى
وتحطمت عبر النوى قيثارتى
وتطاول النسيان يعلن غيبتى
فأنا الطموح وما عيت مقيداً
لأعيد أغنية القريض لأوجها
نخلدوا يمينى ما حننت بعهدا
عشتم وعاشت والسلام يظلمكم
ونعى الزمان منينى وهمودى^(٩)
واللحن عاد مهائراً بالسود
ويروم طمر^(١٠) معالى وبنودى
فأعنت روحى من ضنى المصفود^(١١)
وهوى العروبة رائدى ومعيدى
مصر الربوع^(١٢) ومرتع المسعود
وأنا الشكور بوقفتى وقصيدى

- | | |
|--------------------------|---------------------------------|
| (١) الموضع . | (٢) السجية : العليمة والخلق . |
| (٣) أصحاب الصرف والروء . | (٤) هم أسيد وهو العزيز الجانب . |
| (٥) موى . | (٦) دفن . |
| (٧) للقيء . | (٨) البزار وما حولها . |

وهذه - كاملة - قصيدة عنوانها دهم ٠٠ شوقي ليس مباناً، ظروفاً أنه بتاريخ ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٥ نشرت جريدة الجمهورية كلمة بتوقيع حلمي عبد الجواد السباعي ورد فيها ، قال الدكتور طه حسين في حديث له إن شوقي كان يخشى غضب الخديوي فكان يتحفظ في شعره ٠٠٠ ، ثار الأستاذ حلمي عبد الجواد السباعي عندما سمعه يقول ذلك ، فأرسل إلى الدكتور طه مدافعاً عن شوقي ... والأمر الذي يهمنا هنا أن روح شوقي علت بنقد الأستاذ الدكتور طه ، فأملت قصيدة عتاب رائعة كالآتي : -

ضج الإباء وهاج النقد من عجبى	خدن يهاجم ند الفكر والأدب
والروح أجفل من مدعاة من زعموا	أنى حيت أسير الدر والذهب
والله أشهد بالمحمود آزرني	خلقاً وديناً وصنت العهد في لقي
ألتقت نجمي بالممدوح أرفعه	فوق السحاب بالأحساب والنسب
ما الجبن صبغة ما استرضاه لي خلقي	بل هاديات العلا الخالي من الأرب

* * *

قل التحفظ للنجاة من شطط	يؤذى النزاهة بالتجريح والعطب
وايم الميمن في الأفلاك والشهب	شدت الرواسخ كالبناء في الصلب ^(١)
حر بربك من أصفاد مرتزق	شأن السباع ضمنت العز في سغب ^(٢)
صغت النظيم من الأضواء لحنته	كالتاج رأراً ^(٣) في علياء منتسب
طلق السجية كالعداء في سبّ	أبغى التفوق فالإقدام في عصبي
ليث أحوت في ميدان مكرمتي	أقضى على غير ^(٤) يرمين بالنسب
جبت العباب ^(٥) على المغوار ^(٦) من وهج	

بللت وقدة^(٧) من يصبو إلى وهي^(٨)

* * *

(٢) السغب : الجوع . (٣) لمع .

(٦) المغوار : الكثير الثغرات .

(٨) وهي . عطيتي .

(١) ما صلب من الأرض .

(٤) غير الدهر : أجدانه .

(٥) العباب : السيل .

(٧) شدة الحر

لم يبق ما فاض للسكود من نصب^(١) فانساب يزخر بالأجساد للعرب
يا صاح مهلاً ، فقيم اليوم لائمة والامس طوح دون العبد والعتب
صداح بالامس تستهويه طائلة^(٢) ؟ مذهل شعري للتكريم كالنصب^(٣)
والشرق في لهف التواق أخطرني أنى المظفر في المضمار بالقصب^(٤)
واليوم أقذف من أخذان^(٥) ملحمة^(٦) ولت فأذوا ريب الضاد بالقشب^(٧)

مهلاً أخا عرب علامة الأدب دغ عنك نقداً سليب الحق والسبب
والهج بربك للعلياء في جلد فاخل يكرم لا يحتاج بالحصب^(٨)
خلدت شعري كالأعلام في قم يعلو أيساً ولا يحتاج بالصنب
ما ضر لو نشر النقاد في كنفى إذ كنت حياً ، وبالمشكوك في أدنى

يا لائم الند كالمنمور^(٩) تحسبه ولي ، لعمر ك ما روى بمحتجب
روحي يساجل في أعنوبة نظمت تأنيك من عمق المكنون بالعجب
حقاً وإن كنت كالخبوء في جدث أوبت^(١٠) كماً كالطهور^(١١) والجذب^(١٢)
خلدت ذكرى في الأوزان ماوسعت معطار طيبه في الأجيال والحقب
لحنٌ يرغم في الآفاق تسمعه يغنيك عن كاذب المداح بالطرب
أسبغت عقدي بالمنظوم دافقه^(١٣) همسى ونجوى للإطفاء في اللهب
فيه العزاء إذا التواق^(١٤) رجعه^(١٥) عند الحنين كما يحلو لغرب^(١٦)
وهو المذهب^(١٧) من تغزوه نازلة^(١٨) وهو الحساسة والدفاع للرتب

(١) نصب . عناء أو تعب . (٢) طائلة . القدرة والفضل .
(٣) التصب . العلم المرفوع . (٤) نصب السبق . (٥) أصحاب وأحباب .
(٦) معركة . (٧) السم . (٨) الحمى . (٩) اللدنون . (١٠) السك . اللدنون .
(١١) الحفرة . (١٢) ييس الأرض . (١٣) سبغ . اتسم . (١٤) الفتاق .
(١٥) كرره أو رده . (١٦) غريب الدار . (١٧) أهب . أعد العدة .
(١٨) كارثة .

وهو الخلاصة داوى الخلق من علل فالييت أفصح للتدليل من خطب
عقب على قن الأيام مطلعته كالزهر رصع في جنات منتخب
فيه المفاخر باستسداد صائغته « طه » بربك لا تتعته بالذائب
واذكر محاسن من في الخلد مرتعهم حزت الرغبة^(١) ملء العمر والطلب^(٢)

وهذه القصيدة ليست قيمتها في جمالها فحسب . بل في أنها تظهر الحقيقة
التي أجمع عليها بحاث الروح في كل مكان وهي أن الأرواح على صلة أو ثق
بنا بما قد يبدو لنا، وأنها تتابع ما يجري في عالمنا باهتمام شديد، خصوصاً في كل
ما يتصل بذكرياتها الأرضية وبحكم الناس لها أو عليها . ولذا ورد في القول
المأثور « اذكروا محاسن موتاكم » ، الذي أشار إليه شوقي عندما قال
« واذكر محاسن من في الخلد مرتعهم » ... في آخر بيت من قصيدته .

وهذه قصيدة له في عيد الأوم، تبلغ أبياتها ٩١ بيتاً كل بيت منها إيجاز في
قائم بذاته يقول في مطلعها : —

العبد عسيرة المجد

أقدم فتيتك في الزمان مخلد^(٣) وسناء فجرك رائدة يتوقد^(٤)
ما زادك الرغد^(٥) الوليد تشبهاً^(٥) فعريق مجدك بالمديح منضد^(٦)
قلدت من قدم جليل مهابة^(٧) وبفطرة^(٧) الرضوان^(٨) سمحاً تلبد^(٨)
عاصرت جرداء^(٩) الهبولى^(٩) أينعت^(٩) فيك الأوممة والقرائن شهيد^(٩)
بالخصب جادت راحتك تلاحقاً^(١٣) كالدائبين^(١٠) على المدى تتطود^(١٥)

(١) الأمر المرغوب فيه .

(٢) راجع القصيدة في عدد نوفمبر سنة ١٩٥٥ من مجلة « عالم الروح » وفيها بيانات أخرى
عن ظروف إرسال هذه القصيدة من عالم الروح . (٣) يتلأأ . (٤) طيب العيش .
(٥) النسيب والمدح . (٦) منسق بعضه إلى بعض . (٧) الطبع الأول الذي يولد به الإنسان
(٨) عكس السخط . (٩) أى تلصق في الأرض . (١٠) الأرض الفاحلة لا نبات فيها
(١١) المادة الأولى (١٢) شهود (١٣) تتابعاً (١٤) الليل والنهار (١٥) تطوف على الأرض .

يا داهراً^(١) حواء فيك تغزلت
لولاك ما خلق سعى مستهدفاً
صاحبت عصر الغابرين بغفوة
مستروحاً جبت المجرة والذرى
إلى أن يقول : -

في تكريم العيد تألف للعقائد

يا عيد ألفت العقائد سائداً
أسميت وعى الحاذقين كأنما
بالبشر ضمنت العناصر وحدة
فقت الأئمة في استخارة نهجها
نصبت في عرش القلوب دعامة
تسد الكرامة للكرامة^(٢) في الدنا
مصداقة^(٣) نسج الملاحم^(٤) بردها^(٥)
تتعاقب الأيام في أطوارها

أنعم يوم بالقشيب تدثرت
يوم تسامت في ضحاه ذريعة
فبدا كهرس بالتفاخر مطلق
دارت كؤوس بالرحيق كزنة^(٦)
أكبرت صفواً من شفيف نميرها^(٧)
فيه الأمم لائقاً لا ينفد
مقضيها بمنزله يتجدد
أو مهرجان بالميامن مفرد
مدارها^(٨) يطفي اللهب وينجد
يهدى الأمم ما يرام ويورد

(١) الداهر . الطويل الأجل .
(٢) يقصد أن عيد الأم ألف الأديان بقرابة الأم الأولى التي ينسب إليها الجميع .
(٣) نعيم في الشمال يهتدى به . (٤) أي الأم (٥) أي كرامة صادقة .
(٦) الشديد القتل المتعاقب . (٧) الثوب المخطط . (٨) سحابة مطيرة .
(٩) غزيرها . (١٠) الماء العذب .

نكريم الأم أمر الرى

يا يوم سحرك بالصباحة^(١) يزدهى جم الشمايل شائقاً يتولد
أصبحت عيداً للوفاء . وطيه نفع الأمومة ما يشوق ويسعد
رفعوك فوق المشرقين مسكاة وبنوا عليك ذرى الجليل وشيدوا

* * *

يا باعثاً سنن المديح على المدى ينساب عذباً بالغناء يردد
عيد الأمومة والحنين سكبة توق المكرم باليقين يسد^(٢)
ويقسم للأم الرؤوم موالياً للدعوة العليا . الوفا وينضد
فأحق من فى الأرض منجبة الورى^(٣) أم يطوف بها الرضى والسودد
تهدى على منن المراحم أبداً عرش القلوب إذا استقام المقصد
فهو الغدير^(٤) على الجداول^(٥) فيضها

تهب الحياة رضية^(٦) لا تزهد من دونها لا الشائقات تدرجت
للقمة العليا . ولا من أيدوا والأصل لو يذوى تنقد^(٧) فروعه
ويبيت قحلا^(٨) دون ما يتورد والآم لولاها انقضى أس الدنيا^(٩)
فإذا اختفت طوق التواجد يقعد

* * *

ما الأم إلا منحة قدسية فهم المؤيد بالهنا والمساعد
كالشمس وهب للخلقة وهجها ليست تروم له الجزاء وتنشد
تحيا بروعتها النفوس قريرة فكلهما ذخريشاه ومورد
دولاتها أبد الزمان وطيدة ودم البنين لوحيا يتعبد

منه الأم وقرة اعتمالها

تبقى على مر السنين وفيه منها القطاف^(١٠) المرتجى يتواجد

(١) الإشراف والنور .

(٢) للسكب من الحنين هو شوق المكرم الذى يسده بالصدق .

(٣) الناس . (٤) النهر . (٥) الأنهار الصغيرة . (٦) راضية .

(٧) تقطع وتتأصل . (٨) يابساً . (٩) أساس العالم . (١٠) الثمر .

والخلق ما بين المروءة والتقى
من نبتها نبل المشاعر موق
تحنانها قد لا يكال مديحه
ما بين بادرة الجنين بطالع
أو بين حانية تضم وليدها
ترضى بزهد كالضنين بصومه
والقلب بين الحاليتين رهينة^(١)

* * *

ما الالم إلا الطيب يحرق عوده
تشقى شقاء الفاتحين بغزوة
رمز البطولة في جليل صراعها
لا تستبيح تنصلا لو تفتدى

الجنة تحت أقدام الأمهات

للأم ما بين الضلوع مرابط^(٢)
حاييتها اللهم حتى استحوذت
أوحيت للجنات في أبائها
أو ليس يخضع للخطى ووثيدها
سبحان من جعل الرياض يروعها
يا روض مالك للظباء مطأطأ^(٣)

* * *

هذا النضار وذا الصفاء ودره
كل بلثم العقب^(٤) راح يزود

(١) يقصد متاعب الحمل . (٢) بعد الوضع وخم الوليد .
(٣) الرائحة الطيبة . (٤) تنأى . (٥) موعده الوضع .
(٦) أى أنها تفضل أن تموت وتفتدى الجنين حيا .
(٧) الأولاد والدر . (٨) الذهب .
(٩) العقب . مؤخرة القدم .

عقب د^(١) إذا وطىء استهانت جنة تطرى جلالاً لا ثقاً لا ينقد^٢
فكأنما خطرت دليلاً كاعباً والسندى رهين من تسأود^(٣)
يرنو بسحر من سدبل خمارها^(٤) يبدى اعتزازاً بالوقار يؤكد
إن المهابة من خمار دليلاً عجب لطائفة الرجال مسدد
عجبوا لما لكة الرياض بسطوة تعصى عليهم بالإباء وتبعد
هيفاء تنعم بالمطامع بينما شمشون من هذا المنال يجرّد

* * *

قف سائل الأيك^(٥) الرصين^(٦) عن الآلى

تعنو^(٧) الرقاب لبطشهم وتبدّد
وعن الفوارس جُنّ من أحيائها^(٨) عند التسايف غاشم^(٩) يتمرد^(١٠)
وعن المطوّح بالرؤوس رخيصة يوم التكالب^(١١) والعداء مجرد^(١٢)
هل بالشموخ^(١٣) وبالمهابة روضوا طبع الرياض فها لها المستأسد ؟
آه لمن رقت أحواشها ارتضت نعماء يحدوها المقام الأرعذ^(١٤)
نالت على حقب الزمان منالها ما قدم الأزيان^(١٥) فيه مهتد
بل منحة الرحمن في عليائه قولا كريماً للأؤومة يسند

* * *

فأعجب لرائدة الرجال عتاها ليس القنا ، بل صبرها والمولد
تأسوا الجراح وتفتدى ومراسها إن أنجبت فنجيبة^(١٥) تتجلد

- (١) المقب . مؤخر القدم أيضاً .
(٢) قباب شفاف يغطي الوجه .
(٣) المستعجم الثابت .
(٤) التضارب بالسيف .
(٥) ظالم .
(٦) الجاهرة بالدوان .
(٧) مكشوف .
(٨) الاعتزاز والتكبر .
(٩) السماء .
(١٠) الأزيان : الحسن . أى أن الأم نالت مقاماً رفيعاً دون احتياج إلى سيف .
(١١) ذكية عاقلة .
(١٢) تنابل .
(١٣) الفجر الكثير الملقف .
(١٤) قواها .
(١٥) تذلل .

واليوم يوم الراشدين فسدوا دين الأمومة والجراحة ضمدوا (١)
فاستكروا (٢) الإسداء وفق مروءة فلن وهبتم فالأمومة أجود
صيغوا بوحى القلب شيمة (٣) منطق عذب الطلى (٤) مستخلص يستفرد (٥)
واهدوا البيان بمستحب رآينه نجوى لأم بالسباح تجود
واقضوا على شوك الجوى من وردها واستاصلوا شجراً يهين ويكد
واعلوا يقيناً عنبرياً حبها واستمطروا طيب الرضاء وعيدوا (٦)

* * *

ثم ها هي قصيدة رائعة له عن « بقعة الزمن » تقتطف منها الأجزاء
الآتية : -

الدهر من فن الروائع ينجب يوماً . والأوضاع يوماً يقلب
صلداً إذا طبع الرواسخ أو دعا سجد الرواة لما يسوق وأعجبوا
يهجو النقيصة لا يرد بلومة كالسوط إن نقت يداه يؤدب
ويحل لإخراج الخوارج في الحى ليعيد من شطط يضم ويعطب
والدهر بالمرصاد هب ملاحقاً غراً يؤرقه الملام ويرعب (٧)
كم حطم الرعديد في نزواته وانساب في المتلاف سهماً ينشب
يلقيه للأقدار دون ذرمة تقضى على هجو يفض ويغضب
فالدهر عند الظن مرآة الخطى والدهر مصداق الصدى لا يكذب

* * *

هيات يختلق الثناء مصانعاً فالمجد عنده للزهل مارب
يطرى البواسل بالفخار وبالعلا ويتنزه الانساب وهو يلقب

(١) أى أن عيد الأم يسدد فيه كل عاقل دين الأمومة ويؤاسى متاعبها .

(٢) اخفروا السكرائم . (٣) الشيمة : الطبع .

(٤) مالد . (٥) استفرد : أى طلب منه الفناء .

(٦) راجع القصيدة بأكملها فى مجلة عالم الروح عدد مايو سنة ١٩٥٧ ص ٨ - ٢٠ .

(٧) يحدث من ملك سابق لبلد شقيق .

وله الأيادي الناصعات موالياً ليشيد ذروة ماجد إذ يحذب
إن جاد ستمحاً بامتداح بطولة يسمو بمؤتلق يرام ويرغب
يأبى على ملق الموارد نفحة تعي نطاق الحق . أو قد تسلب
فالدهر يحتضن الحقوق بصائب يقضى ليقظة آبه . لا ينصب

* * *

يا دهر طورك في العروبة حرمة للراشدين هي الهدى والمذهب
روجت مفخرة العروبة مذ غدت مهذا لمن وهب الكريم الطيب
موسى وعيسى والنبي محمد نادوا بمكرمة الإخاء وأوجبوا
شادوا التعايش بالسلام ووحدة لا الحقد تشمل لا ولا ما يرهب
رسموا الوفاء . وفي وروف ظلاله بالحب يمرح جائل يتطلب
شرع تنسمه الشعوب فأينعت ممثل التآلف مذ تسامى الأصوب
ما غاض في حقب جلال يقينه فهو الحياة ونبعها لا ينضب

فما العروبة تغريب لمؤدبانه

واليوم تزدهر الربوع بنفحة قدسية التقويم لا تنهيب
أرست على سنن الإخاء عقيدة تدعو التضامن بالطموح ينصب
تسمو بفحواها الحصانة للآلى شدوا السواعد للجهاد ورحبوا
شم الشمال يفتدون عروبة بالروح أو فائصر منهم أقرب
خلوا المذاهب للرحيم وشأنه فالحب للأوطان دين ينسب
دين تحالفه الميامن شائدأ طود العروبة شائخاً لا ينقب
دك الفوارق في معاقل حنبا ليقم للأوطان شادأ يحسب

ثم انظره وهو يحبي — في نفس القصيدة — البطلة الجزائرية جميلة
بوحريد في روعة لا يدانيه فيها أحد :
كيف استبدك الوفاء وما انطوى بين الجوانح للقيود يحب ؟
يا ذات قد بالدلال ترعرعت ماذا وحقك في المشاق يرغب ؟

قدستِ قافلة تسير إلى العلا
قدستِ أرجاء حللت ربوعها
يا شمس أضفت من شعاع ضيائها
ما أنت فرد بل قوام عروبة
نصبت هيمنة الحياصة كريمة
طبعوا جلالك بالقيود مهابة
إن شيعوك إلى السجون فقد هفا

صبراً جميلة لا تلين قناتك
والموت كأس في الوري إن آجلا
فاستعذبي كأس الجهاد وهوتي
يا غرب قف وارهب بطولة ظبية
« إنى وراء عشيرة تتحرر
« إن عذوبتي ما على من الضنى
« ما نالوا إلا الذل في أعماقهم
« والجسم يذبل للكرامة فدية
إلى أن يقول في ختام قصيدته :—

الشرق والغرب في الميزان

يا شرق أنت منار هدى في الوري
شمس المعارف في حماك بزوغها
يا غرب حسب الشمس أن يريقها
والغرب يرقب من هزيل ذبولها
يا غرب قف وارع الفروق موازناً
يا شرق آزر في مساندة العلا
دم ولتعاق بالبشائر ناعماً

وها هي — كاملة — قصيدة يخاطب بها جمعية الشعراء ، طلبت منه بمناسبة الاجتماع الأول للجمعية في ٢٠ من يونيه سنة ١٩٥٨ من لجنة مؤلفة من صديقنا الدكتور علي راضي الأستاذ بكلية العلوم ، وأستاذ من الجامعة الأزهرية ورئيس تحرير إحدى المجلات .

مؤازرة الجمعية والشعراء

لواء الشعر في قمم تسمى	وفي أوج ترفع واستقاما
يعضده السباح ^(١) بمكرمات	تقود ركابهم أبدأ أماما
موالاة النظم لهم شعار	ليدخر الخلود له المقاما
فقل نصر القريض على العوادي ^(٢)	وأهدى الطالع الأسمى الدواما
وتاج النظم والأدب المعلنى	بذى حجج تلالا واستهاما
وزهر الوافدين على صفاء	أهاجوا الروح في لهج فهاما
وعاودنى الحنين لدوح فن	هو المحراب إن شئت اعتصاما
أهل الروح مغتبطاً نضيراً	بروض العائشين هوى المقاما
تلسم في الربوع شميم ضوع ^(٣)	فرفرف فيه مؤنساً رحاما

* * *

وفي إمداد ملحمة القوافي	غدا السباق بمتدحاً وحامى
وفي دعوى القريض سليل قربى	يؤازر في تضامنه الكراما
وما يدنى الشبيه سوى شبيه	بعطف الروح يأتلف انسجاماً
فإن أدنو فلي فيكم عزيز ^(٤)	ندبم الشعر أنصره التزاماً
أحى والغيب زودكم يقيناً	يفيض الشهد في كأس الندامى ^(٥)
لئن شئتم مباحثة القوافي	فللتبيان اعتزل الملا
ولى وعى يوازن كل نقد	والإنصاف يرتقب اهتما

(١) السباح : أهل الجود . (٢) العوادي ضامقات الدهر .

(٣) الرائحة الطيبة .

(٤) الأستاذ المحترم محمد عزيز أباطة رئيس جمعية الشعراء وصديقه الولى .

(٥) الندامى هم ندمان وهو نديم الشراب .

إذا النقاد صال لهم يران
فسيف النقد إذ يغتال سهواً
وما عبر اليمالى على تجنبى
وفى عبق النزاهة لى شهيداً^(١)
وما دعواى دون الحق تنبى
وما استجديت لإطراء يوالى
فإن تقضوا بصائبة لروحي
نحية الشعراء

حماة الشعر فى قيم تجلت
لئن مدت تصالحكم أيادٍ
سلاماً مجمعاً سند القوافى
لا تم كالشروع غدت ضياء
حللتم بالجلال على يقين
ونوهم لدوتكم بنجوى
وللإبقاء روجتم حيناً
وصنتم ما تشف به الخايا
وفى شمل المسكارم ما يوالى

مناصرة الشعر القديم

بنيتم للقريض صروح مجد
فإن وتلى الزمان فإن يولى
وإن باد العريق فقل عفاء
فأوزان العريق على وقار
كالوية تدثرت المعالى

(٢) المقام : داء لا يبرأ منه .

(١) شهيد : شاهد .

(٤) أمر جسيم : أمر عظيم .

(٣) المقام : الأمور العظيمة .

(م ٣٦ - الإنسان روح)

ككل كريمة خطرت بشمل تسطر في غلالاتها احتشاما
وأقدار الحرائر كيف تخفى وفي الهفاهف ما يدعو احتراماً ؟
فسل ذات اليسار بيردين^(١) ومن تهوى الملاعة واللشاما
أمن وشم الخليع لها الدثارا كن صقل السكال لها الوساما ؟

* * *

فصفو الشعر إذ يسمو اتلاقا كوهج النور يكتسح الظلاما
هو الدر المثنى بالغوالى يشع كرامة عاماً فعاما
ففي أوج الصدارة توجوه ليأتم الثقات به اتئاما
فن نظم المنق بالتروى يعول أن يدانى له الغماما
ليعصر الشهى بكل قطر ويأبى في المنافسة اقتساما
وذو هدف على حكم يعلى فظيم العقد لا يخشى انفصاما
التنويه عن الشعر المنفر

ومحتضن القريض على اغتراب ففي الأوهام يرتطم ارتطاما
كحترف الغناء بغير لحن يسجل في غوايته الخطاما
ومن ينج التشاعر للتلمى فهذى الطامة الكبرى إلاما
فللهووب أنوار تناهت ويحتضن الفراش بها الزواما
وبالآحبال^(٢) واهاً من دحاة على الشعراء قد شاءوا انقساما

* * *

سلوهم كيف يجذبهم جديد ولم يبلغ برقيته التماما ؟
سلوهم أين مفخرة القوافى ليعتمد الدليل لها القياما ؟
هرى الأوزان صيغت من رواء ففي أحرازها نبغى الضماما^(٣)
ومن يتل الجزاف بلا رنين على المنظوم قد ألقى السماما^(٤)
ومن أوحى الجديد بغير أس علام استن مبتدعاً علاما ؟
فواها للآلى سئمو القوافى وللأوزان قد حفروا الرجاما^(٥)

(١) حرر .

(٢) جمع أحيال وهو الأكثر احتيالا

(٣) الضمام : ما ضمت شيئاً إلى شيء آخر . (٤) السمام : السموم .

(٥) الرجام : الببور .

الشعر والفناء

فما نظم القريض سوى غذاء ومن يهد فاحماً لا عظاما
وتحتسب الكياسة فيه ملحاً ودون الملح قد نابى الطعاما
وللذواق ما يسع احتمالاً وإلا يرتضى عنه الهياما
لعمري ما بصاب الشعر إلا عيون نستقى منها المداما
تهادن شجوى صادق من لبان إذا بل الأوار نبي الضراما^(١)
فيرتشف الرحيق بلا ملام ويأنس في عذوبته المراما

ومن كرم ابن هانيء لى سلاف يؤيد ظامناً يأبى الفطاما
نهلت من طلاه كؤوس راح وأشجاكم فما قلم حراما
هو المنظوم للكوم سلوى إذا أعلا على القدر اتهاما
هو الترياق طب من عضال وتلتئم الجراح به النثاما
هو الأدواء فى كبد المعنى يداعب فى هوائته المناما
هو السحر الحلال يشيع روعا على الأحياء يشجيم هياما
على الأيام حالف كل مجد هو الأنوار بددت القتاما
هو الآفاق تزخر بالأمانى لمن سكنوا القصور أو الخياما
وعند الخطب يصلى الخصم نقماً يدك قوى الفيالق والدعاما^(٢)
وفى ركب الحضارة حيث دوى بنى الأجداد أو وضع الصهاما^(٣)
هو المنظوم فى الأيام سيف يوالى ، أو أذى يودى انتقاما

فويح الروح إن يصدأ حسامى فما عودت أن أرضى انهزاما
سأنظم للخلود كريم در بيدك الهدى أو يدوى الكلاما^(٤)
تعالى الله فى وهب جبانى فبالكتمان لن ألقى الختاما
ولولا الشعر فى نغم تغنى يشنف كل واع كيف راما
لأجدهت الحياة بلا ربيع وآه لو ربيع العمر ناما

(٢) الدعام : العماد .

(١) أضرام : حرقه العطش .

(٤) الكلام : الجروح .

(٣) الصام للقاورة : ما يجعل فى فمها سدأدا .

حكمة وفلسفة في رباعيات رائعة

بعض نماذج من رباعياته الغزيرة التي بعث بها

١ - تحت عنوانه «ذكريات»

يا حبيبَ الروح ما روحى بطياتِ الظلامِ
صفوُّها الرقراقُ يغزو مستحشاتِ السلامِ
وهى فى الأفلاك تسرى أو بأسراب الغمامِ
ماغفاه الأرض مثلى إن روحى لا تنام

بعثها أضحى ضميناً تلوها لغفاه الحشيمِ
واستقت شهداً عجائباً حال إتيانِ قويمِ
غصة ترناد نداء الحور أعراس النعيمِ
وارتضى الوجدان عهداً صبيغ من ضوئِ كرمِ

كلما طير تغنى فى أفانين الورودِ
أو بدت تحتال شمس فى مجالات الوجودِ
أو شدا الشادى بحق فى صلاية أو سجودِ
إنى فى الحى أغدو ضامناً حفظ العهدِ

ماسجا طيفي بدئيُجور يُظنى بالأوام^(١)
إنما كالنيرين استعلت الروح المقام
واحتواني العهد حراً مستجيراً لأضام
حيث أحيانا في نعيم صحة القوم الكرام

ثم يقول:

قد كُفونا في حياة مثل أعمار الزهور
وانطواء الدهر يُخفي ما بطيات الصدور
فاصطفينا الدهر خلا وهو صل^(٢) في قشور
كان يخفي الموت عنا بين بساتين الثغور

وارتضينا العيش زغداً بين أحضان الزمان
عاطراً يغزو حمانا مثل أحلام الحسان
إن خطرنا في رياض رُصعت بالأقمار
راقصات ضاحكات في سباح من أمان

يا لها من ذكريات لم يزل منها الجود
رغم شع الدهر تبقّى عبر ومنض أو رعود

(١) حر العطش

(٢) الصل : الحية التي لا تنفم منها الرقبة .

لم تعد تُقصي جَنَاهَا راييات أو سدود
فهي دوماً في ركابي في محفّات الخلود

يا حبيبي كان صحوّاً ضافياً حلو المنال
ظللننا في حماه حانياتٍ من دلال
فاتفت عنا همومٌ واتفى قيلٌ وقال
والتمنا المجد نسعى في ربوعٍ أو ظلال

يارعَى اللهُ ربوعاً في حياقي باسماتٍ
كما استعرضتُ فيها من ضُحىٍ أو أمسياتٍ
خطّت الروح المعلى من نظم العاطرات
عبقها كالمسك يسمو للسهي والساريات^(١)

٢ - وفي رباعيات أخرى يقول في «منابع النيل»

إيه سقيّاً للندى يا منهل الأم الرؤوم
دافق الأغداق صيرفاً كم وددنا أن يدوم
عشتَ فينا خير ساقٍ من عصارات الكروم
ما سلوتُ العهد أشهدتُ الثريا والنجوم

(١) راجع عدد مارس ١٩٥٦ من مجلة «عالم الروح» .

لا على « شوقى » فشوق الروح آى المعجـزات
شعلةُ الأشواق إن تغـزرو الحنايا الخافقات
فَرَدَها والله « شوقى » فى حياة أومـات
لا يدانينى شَغُوفٌ يُرَتِّجُنِى فى الكائنات

وقفنى يا نبيل أشدو الحسق نوراً للغيـور
منةً من فَتَحَ مَنْ أهدى السموات البدور
جُمْتُها من فى البرايا حجة العلم الوقور^(١)
ليس بالآلـفاظ تهـدى بل بمضـون السطور

فأتركوا الأقلام تهـمى^(٢) رب غيثٍ للجفاف
ربَّ أمدادٍ^(٣) على الأيام تجتاز الشغاف^(٤)
والجنى يحلو لساعٍ ساجٍ نحو الضيف
يقطف الأوطاب من بعد التناؤ والطواف

٣ - وفى ذكريات أخرى يقول فى « منامه مصر »

أنصت مصر لنجوى من قصى فى الشتات
علّ من نسج القوافى تستعيد الخاليات

(١) العلم الروحى . (٢) تسيل والمخاطب المناوئين فى هذا البيت .
(٣) امتداد البصر . (٤) جمع شغف وهو غلاف القلب أى حجابيه .

فالقريض اليوم^(١) دين^٢ لاحق^٣ الأوليات^(٤)
واغفرى سهواً وتقصيراً كغفر الأمهات

مصر كالزهراء في أوج تهادت بالبهاء
سنة الافضال أوفت من أزهير الضياء
يوم كان الوحي يترى مثل صفو الاتقياء
ماهما قلبي ليزكى من تغاريد الرجاء

نجدما والنيل والصحراء والوادي الظليل
عربت في الشرق لحن العز والعيش النجيل
في مبان شامخات نوبت من لا يعيل
ظلة^(١) الهيمن^(٢) فيها حلت^(٣) كما يطيل^(٤)

إلى أن يقول :

فاذكري مثلياً آليت أن أرى الوداد
انصني بالله شوقي ، واقصرى شق البعاد
وارتضيني في عداد الحسى لَمَّاح العتاد
مادعا يوماً لدرء الخطب داعٍ للجهاد

(١) الذي على من عالم الروح . (٢) يشير إلى الهويات . (٣) اجتماع .
(٤) الخائف . (٥) صارت حلالاً . (٦) يمد إقامته .

إلى أن يقول :

عصرك الزاهى استحث اليوم زَهْوَ الغابرين
فانشري الأعلام وابقى قبلةً للناظرين
كلما استعلت ترينَ الخضم مطواعاً يلين
مثلاً الأهرامُ قامت غصّةً للعاسدين

مصر ما أنت الفردى من ندأى^(١) للذهب
أنت أطرادُ الرواسى والملا^(٢) عودٌ وغاب
لستِ شهراً لستِ عاماً لستِ أرقام الحساب
شاخت الأيام واستبقيت إزهار الشباب

إيه مصرُ أنت مهدٌ أنت لحدُ المستقيم
طوَّف الرواد فى وادى حِمَاك المستديم
دولةٌ دالت وأخرى قد توارت فى الأديم
واعتليتِ المجد - والأجيالُ تعلو - من قديم

فانمى فى وارف الأبحاد بين العالمين

إنما استمطرتِ حقاً من سماء الخالدين
سوّغ المعلاة والإطراء بين العابدین
لحنه الأخاذ شدوّ ساحرٌ عذبُ الرّفين^(١)

٤ - وفي رباعيات أخرى عنوانها « استعراضه الماضي » تقول روح

أمير الشعراء

مصر يا مصباح فجرٍ هزّني بالذكريات
برّذها آتٍ لروحي منذ أفاقت من سبات
دثرّ الوجدان إشراق الصبا واليانعات
فاتنني شجوى وإجذاب الليالى الخافقات

صفحة الماضي ورئي ليس لي عنها عزوف
تغرّها يفسرُ عن دو ح لتواقي شغوف
يمتلي الوضاح سمعاً يُشهى داي القطوف
وهي إستارٌ شجيّ تحتوي في وروف

كيف أسلو ما يوازي مله حمري باعتداز ؟
من سجايا فافت المقدور في نهج السداد

(١) راجع مجلة « عالم الروح » عدد يونيه سنة ١٩٥٦ .

عنبري^١ وردها تالله وثأب^٢ الرشاد
سلسل^٣ للروح صفو^٤ حيثما الذكرى عماد^٥

إني في الخلد أحيأ ذاكرأ عهدي الجليل^٦
عهد^٧ سئى^٨ قد حلال^٩ بين أهرام^{١٠} ونيل^{١١}
في حتى^{١٢} الأسلاف أتلو^{١٣} صفحة العيش الجليل^{١٤}
يوهما استوحيت^{١٥} أنى مثلهم أنوى الرحيل^{١٦}

بالحجى ناجيت^{١٧} نفسى أين سكان القصور^{١٨} ؟
أين أخنائن^{١٩} وخوفو^{٢٠} ؟ أين رمسيس المصور^{٢١} ؟
خلفوا الوادى وباتوا بين أطلال الصخور^{٢٢} ؟
هل كَفَسَى^{٢٣} قد تواروا^{٢٤} بين أقران^{٢٥} القبور^{٢٦} ؟

أين أحمر^{٢٧} ؟ أين مينا^{٢٨} ؟ والثقة المالكين^{٢٩} ؟
أين أبطال كرقش^{٣٠} الدر^{٣١} ؟ فى تاج^{٣٢} الجبين^{٣٣} ؟
أين حشيشوت^{٣٤} تزهو^{٣٥} فى رواق^{٣٦} المعجبين^{٣٧} ؟
أين نيفرتي^{٣٨} تـُـتـَـاجـِى^{٣٩} مَنْ شـَـجـَـاها بالخنين^{٤٠} ؟

أين من شادوا عُجَابًا في حضاراتِ العصور ؟
 باقِـداتِ المَعْلَى حَطَمُوا قَيْدَ الثُّبُورِ^(١)
 وارتضوا عيشًا أَيْيًا فاق أعياد الجُور
 يا لأبهاءِ توارتْ بين أطياف الدهور !

أين أوزيرس وإيزس واستجاباتُ الحياه ؟
 أين توتنخو وخفرع بين إعزاز وجاه ؟
 أين تيجان تهاوت بأعنائات الجباه ؟
 أين كهان بأسرا رِـيـوـالـون الإله ؟

هالتي صَمَتْ تَفْشَى في فلاةٍ من دمارٍ
 قلت ويح الدوح والاسبُد استكنوا في القرار
 بينما الأهرام قامت شامخات في وقار
 ترقب الأجيال تفي وهي دومًا في ازدهار !

روعتني في المنايا نازلاتٌ بي تطوفُ
 فهي كالقاعِ^(٢) يصيب من قِيسِ^(٣) صوبَ فوفِ^(٤)
 يفظم الإنبات والإزهار بالحدِّ الخُوفِ^(٥)
 إنه الهزّاع^(٦) ! ويح من تَمَادَى في القُصُوفِ^(٧)

(١) الثُّبُور = الحسرة والهلاك .

(٢) القُصْبَان المزبد . (٣) أقواس بها سهام .

(٤) القهرة التي تكون على الحبة . والمعنى أن تصويب النازلات كان دقيقًا عكسًا .

(٥) الأجل المحتوم . (٦) الأسد الكثير الافتراس . (٧) في الأكل والمهراب واللهو

بِالْهُدَى مَرَحْتُ وَعِيًّا فَاحْصًا عُفُقَ الشَّيْثِ
مَا مَدَى ذِكْرَائِي إِثْرَ الْمَوْجِبِ^(١) الْبَاضِي الْمَقْبِيتُ ؟
هَلْ صَدَى لُحْوَى وَجُودِي طَى كَتَمَاتِ بَيْتِ ؟
وَاحْتِضَانِ الْمَجْدِ وَقْفٌ مُسْتَغْلٌ مَا حَيْثُ ؟

حَارَ فِي الْأَقْدَارِ عَقْلِي مُضْهِمًا فِي الْوَجِيبِ
فَاسْتَعَاذَ الْقَلْبُ مِنْ أَشْجَانِي السَّلَاقِ تَذِيبِ
خَلَنِي الْأَسْلَافِ أَدْعُو أُرْتَبِي طَيْفَ الْهَجِيبِ
عَلَيَّ أَجَلُو رَمُوزًا إِنَّ أَطَابَ^(٢) الْمُسْتَجِيبِ

هَامَ فِكْرِي بَيْنَ أَرْجَاءِ مِنْ دَوِيلَاتِ الْخِيَالِ
فَاهَلًا مِنْ نَبْعِهَا وَهَوَاً مَعِيذًا مِنْ مَلَالِ
فَارْتَأَى الْوَجْدَانِ أَطْيَافًا يَحَادِيهَا الْجَلَالِ
يَوْمَهَا اسْتَلْغَيْتُ^(٣) مَصْدَا قَا^(٤) أَوَاتِيهِ السُّؤَالِ

قُلْتُ يَا صَاحِبَ الْمُفَدَّى كَيْفَ حَالُ الرَّاقِدِينَ ؟
هَلْ بَدْنِيَّاهُمْ بَكَاءٌ هَلْ يَدَانِهِمْ أَنْيْنُ ؟
هَلْ يُرَى فِيهِمْ حَيَارَى أَوْ ذَرُوهُ قَلْبَ حَزِينِ ؟

(١) الموجب : الموت (٢) أجاب إجابة جيدة . (٣) لاغى بالحديث . (٤) صادقاً .

هل أضيروا بهـد عزٍّ أم تُراهم آمـنين ؟

هل من التغربب^(١) يَغشى النفسَ هـدً أو ضمور ؟
هل سكونَ الرمسِ مِثلاً فـ لـرَجْفَانِ^(٢) يـشور
مُضِرّاً سُرَّ الجوى بين المَعَانِ والضَّجْبِوز ؟
أم تُرى يَلْقَى لِياناً فيه مطواعٌ صـبور ؟

هل فراق الأرض يُضني عندما يدعى الأـمين ؟
أم بلا رهبٍ يَلبَى دء وة الحق المـين ؟
هاتِ بالتبيان فتحةً صاح^(٣) من نَهْل اليقين
يهتدى قلبي إذا ما آى صدقٍ يستبين

يا مجبرى حطّم الأسـدال^(٤) عن غمض القصيد
فنى أكـبرتُ ما استكـرمتُ^(٥) من ذخر الرشيد
وارتضِ نَجْواً لسؤلى زاخراً علماً يفيد
علّ بالإيضاح يعلو المـرتقى الخافى الطريد^(٦)

(١) التزوح عن الوطن أو الموت . (٢) خائف .
(٣) يا صاحبي . (٤) الستور . (٥) اختار المكرام .
(٦) الطويل الأمد .

وراجع الرناعات في مجلة « عالم الروح » عدد يولييه ١٩٥٦ .

مؤازرة كريمة من روح أمير الشعراء

ليس لكاتب هذه السطور أى ميل نحو نظم القريض ، ولكنه كان فى وقت ما يستظمر بعض أجزاء من قصائد لشوقى وغيره من الشعراء المعروفين ، ويجب حتى الآن قراءة الشعر الجيد ويرتاح إليه . وكان يتابع بطبيعة الحال قصائد روحى أحمد شوقى وحفى ناصف فى مجلة عالم الروح ، ويجد فيها نفس الطابع والمميزات المألوفة التى تعدها مهما ، ولم يلبس أى فارق فى المستوى يدعوه للظن فى أمرها ، خصوصاً وهو يجد فى اطلاعه فى المراجع الروحية الأجنبية التى وضعها علماء ثقافة تجارب كثيرة مماثلة ، عن قطع أدبية وأشعار رائعة واردة عن طريق الوساطة الروحية من أدياء معروفين وشعراء كبار محدثين وقدماء ، ممن انتقلوا إلى الجانب الآخر ، من الحياة على ما ذكر بعضه فى الفصل السابق .

ولم يكن يعرف السيدة الوسيطة ، كالم يجمعه بها أى مجلس مشترك من قبل ، بل كان أول لقاء معها فى أواخر شهر أبريل ١٩٦٥ بمصر الجديدة بمنزل أحد أنجالها وهو يعمل طبيباً مثل والده ، فالوسيطة أم لأربعة أنجال ناجحين منهم طبيبان ومهندسان . ومن أول لقاء لمس ما حباها الله به من كريم السمائل ، وما أغدق عليها من بساطة النفوس الطيبة الوديدة التى تبعث من الثقة فى نفس المستمع أكثر مما يبعثه أحياناً الاستماع إلى بعض العلماء والمتعلمين ، أو الأديباء والمتأدبين

وبما هو جدير بالذكر أن السيدة الوسيطة لم تقرأ شعراً منذ مغادرتها مدرستها الابتدائية فى سنة ١٩١٤ ولم يكن لها أى اطلاع فى الشوقيات ، أو فى أى ديوان آخر ولا أية نزعة معينة نحو الشعر أو النثر . ولكن بعد أن أخذت موهبتها الوسايطية فى النثر لاحظت أنها تستمع إلى روح تناجيها بشعر منظوم وتطلب منها أن تحاول أن تكتبه ، وعرفت أن هذه هى روح شاعرنا الخالد أحمد شوقى . وبعد أن أملاها عدة قصائد طلب منها أن

اقرأ أحياناً في الشوقيات ، حتى تحسن الإنصات إليه وتتحاشى بعض أخطاء الإملاء .

فقرأت في الشوقيات قليلاً استجابة لطلبه ، ولو أنها لا تزال حتى الآن عرضة للوقوع في أغلاط قليلة إملائية أو استماعية يفتان القارئ بسهولة إلى حقيقة مصدرها ، وهو عدم الإلمام الكافي من الوسيطة باللغة الفصحى الصعبة التي تستخدمها الروح أحياناً على النحو الذي يتضح من قراءة بعض هذه القصائد التي أوردناها آنفاً .

ومن جهة ثانية فإن الوسيطة لا تستمع بأذنيها الماديتين إلى ما قد يلقي إليها عبر الأثير ، بل تسمع عن طريق حاسة التلثبات أو التخاطر ، أى ما يملئ عليها عن طريق حاسة السمع الروحية وموضعها الجسد الأثيرى كما أجمع بحاث علم الروح على ما بيناه في مناسبة سابقة^(١) .

ومن جهة ثالثة فإن من أسباب هذه الأغلاط المحتملة أن الروح أحياناً ترتجل الشعر ارتجالاً ، وذلك ما يؤكد وسطاء الجلاء البصرى الذين يرون روح شوق واقفاً بجوار الوسيطة يملئ عليها ما قد يرتجل من شعر فيما يبدو لهم . وكثيراً ما يلجأ إلى التخيير والتبديل في العبارات والتراكيب على نفس النحو الذى عرف عن شوقي منذ حياته الأرضية ، إلى حد أنه كان أحياناً عند إعادة طبع أجزاء الشوقيات التي طبعت في حياته يغير في بعض التراكيب والعبارات ، ولو بعد نشرها .. فما بالك به قبل هذا النشر وما يتطلبه بطبيعة الحال من تصويب ومن مراجعة دقيقة !؟

وكان المؤلف عند هذه الزيارة الأولى لأسرة السيدة الوسيطة يعمل في إعداد هذه الطبعة الثانية من كتاب « الإنسان روح لا جسد » فعن له أن يطلب منها أن تعرض على روح أمير الشعراء أن يبعث بتصدير شعري لهذه الطبعة . وانتهت الزيارة على وعد منها بأن تعرض على الروح الكريمة هذه الرغبة إن شامت استجابت إليها مشكورة ، وعلى وعد بزيارة ثانية .

(١) راجع ما سبق في ص ٤٣٣ - ٤٣٧ .

وفي اليوم التالي مباشرة تمت زيارة أخرى، وقد اصطحب فيها صديقاً عزيزاً يشغل منصباً كبيراً بوزارة الاقتصاد ، وقد حياه الله بموهبتي الجلامين البصرى والسبعى معاً ولا تربطه أية صلة بأسرة الدكتور سلامة ، ولم يكن يعلم شيئاً البتة عن موضوع قصيدة التصدير المأمولة هذه .

وكانت الزيارة ليلاً، وبعد التعارف والحديث لفترة من الوقت ، طلب الصديق الزائر أن يخفف نوعاً ضوء غرفة الاستقبال وعقدت جلسة روحية حضرت فيها عدة أرواح ، ثم قال بعد برهة إنه يشاهد روح أمير الشعراء وهويدعو قرينة الدكتور لأن تمسك قلباً وورقة ، وبوجه إليك حديثاً قافلاً : إذا كان قصد المرء صادقاً صدقت نبوءته وأحلامه ، ومن كان ذافهم وعى ، فذلك علم وإعلامه . . وكان الوسيط يلقي الكلمات ببطء وبصعوبة . ولم يفهم الصديق الوسيط في ذلك الوقت معنى هذه العبارة الغامضة المقتضبة ، ولكنني فهمتها كما فهمتها السيدة قرينة الدكتور سلامة على أنها ربما تتضمن وعداً لبقاً بإرسال التصدير المطلوب بدون ارتباط صريح ولا تحديد لموعدها ، ثم انصرفنا وحاد الدكتور وأسرت به بعد بضعة أيام إلى قرية ميت أبي غالب حيث إقامتهم الدائمة في ضيعة لهم هناك .

وبعد بضعة أسابيع من هذا اللقاء تلقى المؤلف من الدكتور الفاضل عن طريق البريد القصيدة الأولى التي وضعها في تصدير هذا الجزء ، كما بعث شوقي بقصيدة ثانية للوزارة والتشجيع . وبعد حوالي شهرين آخرين ، وكان الرأى قد استقر على إصدار الطبعة الثانية في جزئين بعد جزء واحد بالنظر إلى الزيادات العديدة فيها ، تفضل شوقي فبعث بقصيدة أخرى طويلة أعطاها عنوان « تحية وتأييد لكتاب الإنسان روح لاجسد ، سيجدها القارىء في تصدير الجزء الثانى .

وقد حدث في القاهرة أن كنت بتاريخ ١٢ أغسطس ١٩٦٥ في زيارة لهذا الصديق الموظف الكبير بوزارة الاقتصاد بمنزله بمصر الجديدة ، (٣٧ م - الإنسان روح)

وفي أثناء الزيارة رأى عقد جلسة روحية فحضرت فيها عدة أرواح من بينها روح أمير الشعراء ، وبعد أن تحدثنا برهة في شأن قصائده التي أملاها بقرية ميت أبي غالب على السيدة قرينة الدكتور سلامة ، انتهى الحديث بوعده منه أنه ربما يرسل قصيدة جديدة من نفس البحر الذي استخدمه في القصيدة السابقة (وهو البحر الكامل) بل لقد اتفقنا على موضوعها وهو فلسفة الخلود وبعض الحكم والمبادئ الخلقية بوجه عام . وفي أول أكتوبر ١٩٦٥ تلقيت هذه القصيدة وعنوانها : إني أمدن الخلود لكم يدي ، في خطاب من الدكتور سلامة ، ببلدة ميت أبي غالب من نفس البحر ، ومتضمنة الإشارة إلى الوعد السابق وإلى لزوم الوفاء بالعهد كما تضمنت نفس الاتجاهات التي جرى الحديث حولها في القاهرة في شهر أغسطس .

وفي هذه القصائد الأربع يشجع أمير الشعراء كاتب هذه السطور كثيراً ويؤازره مؤازرة كريمة في جهده المتواضع لخدمة المعرفة الروحية ، وقد غمره في بعض أياتها ببناء جم لا يعتقده أنه يستحق منه شيئاً بالمرّة ، وإن كان يعبر عن أمر فعن مشاعره الفياضة ، وعن العواطف المتدفقة النديلة التي كانت تميز أمير الشعراء منذ حياته بين ظهرانيه . وقد عرضها على عدد من أفضل أدباء العصر ، وعلى أستاذ في الجامعة الأزهرية من كبار العروضيين لمراجعها ، فأقروا بأن فيها جليلة خصائص شعر شوقي على ما سيلي بيانه فيما بعد .

عن القصيدة الأولى

وقد نشرت أولى هذه القصائد في تصدير هذا الجزء ، وما يسترعى الانتباه في شأنها أن صديقاً كريماً من العروضيين قال لي ، إنه مع تسليمه بأن هذه القصيدة تحوى جليلة نفس خصائص شاعرية شوقي وعذوبته وطريقته وتتابع أفكاره ، قد لاحظ أنه استخدم في صدر أربعة أبيات منها جوازا شعرياً قد لا يقره البعض من العروضيين المتشددين ، وهو ذلك الجواز الذي يعبر عنه بالقبض ، أي حذف الخامس الساكن في الكلمة مثل فعول عندما تصبح فعول . وهذا ما يستغربه من شوقي بالذات لما عرف عنه من البعد عن أي تجديد والنسك بالعروض الأصلية على حالها .

وبرغم ما قد يقال من أن تطور الآراء والأساليب جائز - بل محتوم - في عالم الروح كما هو جائز محتوم هنا في عالم المادة ، خصوصاً على المدى البعيد ، فقد عرضت وجهة النظر هذه على صديق آخر من العرويين فقال إن هذا الجواز الشعري صحيح مقبول سواء في أحد شطري البيت أم فيهما معاً وفي جميع البحور، وأن شوقي نفسه أقر هذا الجواز الشعري محل النقاش حتى في قصائده التي كتبها حال حياته الأرضية ، ومنها قصائد له من نفس البحر الوافر الذي استخدمه في قصيدة التصدير هذه . ومن ذلك قوله في قصيدة « سلوا قلبي » : —

ولا ينديك عن خلق الليالي كن قصيد الأجابة والمصاحبا

وفي هذا البيت يستخدم الجواز الشعري في العجز دون الصدر . وكذلك في قصيدة له من نفس البحر عنوانها « بعد المنفى » وضعها عقب رجوعه إلى أرض الوطن بعد الحرب العظمى الأولى ، إذ يقول في مطلعها : —

أنادى الرسم لو ملك الجوابا وأجزيه بدمي لو أنابا^(١)
وفي هذا البيت الأخير استعمل أمير الشعراء الجواز الشعري محل النقاش في كل من الصدر والعجز .

وفي قصيدة أخرى له عنوانها « تحية للترك »^(٢) استعمل نفس الجواز في الصدر دون العجز في بعض الأيات . ومن ذلك قوله : —

ويا غليوم أين لك الفرار
إذا د جرجى ، وعسكره أثاروا؟
فضاقت عن سفينهم البحار
وضاق البر عنهم واجفينا

(١) « الشوقيات » الجزء الأول ص ٥٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٥٢ .

ومن ذلك قوله أيضاً في نفس القصيدة : —
ويوم وملون،^(١) إذا صحنا وصاحوا

ذكرنا الله من فرح وناحوا
ودارت بينهم بالراح راح
ودارت راحة الإيمان فينا

فهذه ثلاثة أبيات من نفس البحر الوافر كان القبض فيها في الصدر دون العجز . وهو نفس الجواز الذي استخدمته روح شوقي في أربعة أبيات من قصيدة التصدير هذه وفي الصدر دون العجز أيضاً . ولعل من ينقب في قصائد شوقي المنشورة في الشوقيات يجد مواقف أخرى مماثلة .

وهذه الأمور الدقيقة للغاية إن دلت على أمر فعلي قوة البيئة المستقاة من شعر روح شوقي . وكيف أن هذا الشعر لا يحتوى على خصائصه لحسب من ناحية تراكيبه اللغوية وصوره الشعرية ، وعاطفته المتدفقة التي كانت وحى شعره ، الذي يضرب على أوتار القلوب لما فيه من عبقرية نابضة بالقوة وبالحياة ، بل أيضاً من ناحية الجوازات الشعرية المختلف على بعضها ، والتي لا يعرف موقف شوقي منها بالاضبط إلا ندرة من المتضلعين جداً في علم العروض ، فما بالك بوسيطه غريبة تماماً عن اللغة الفصحى ، وعن الشعر يبحوره وجوازاته ، كما هي غريبة بداهة عما كان يقره شوقي منها وما كان لا يقره بحسب سليقته الشعرية الفذة .

القصيدة الثانية

أما القصيدة الثانية فهي بضعة أبيات زاخرة بالمعاني وبالصور بحث بها كما قلت بعد فترة وجيزة من قصيدته السابقة — وكنا قد أصبحنا في أوائل يونيو ١٩٦٥ — من تلقاء نفسه وبوحى من شعوره الفياض ، ورغبته الأكيدة في تشجيع خدمة المعرفة الروحية وإقناع الناس بحقيقة الصلة بين أحياء الأرض وأحياء الأثير، ويرى أنه قد دنا سبها عنوان «هاديات الرجا» وفيها يقول مشجعاً ومؤازراً ببلاغته الماثورة : —

(١) اسم موقمة هي الأتراك واليونانيون .

نشرت اليقين بطيب الوثوق جلى لذي الفهم نور « الحقوق »
 وأترعت كأس العريق الروى^(١) كذوب الرحيق وشهد يفوق
 فروى السراة^(٢) من الباحثين ومن الرواء تدانى يفوق
 وسقت البيان بصك اليقين فضمنت للروح عهد الصدوق
 دعوت لعلم^(٣) حباه الثقة بأسطع ضوء وأسمى شروق

تواثق^(٤) جهدك والراسخون^(٥) لدحض الشكوك ومحق^(٦) العقوق^(٧)
 تعالى بكم يرق^(٨) الخالدين كما الحق ذاع لهذي المشوق
 فككت من الصفد^(٩) كنه^(١٠) الحياة وأقدمت تغذر به من يتوق
 فللجسم حقاً بروء^(١١) القدير ويحيا دوماً بروح الشفوق^(١٢)
 بربك جئت تلاد^(١٣) النفيس من الغيب يفهم^(١٤) كل زهوق^(١٥)
 فما الصفحات كنوز الضنين تلاقى الضمور^(١٦) بشجر يعوق
 وما هي نخل^(١٧) يَبُوسُ القرار ولا بالقحول^(١٨) تعاني الشقوق^(١٩)

ولكن « كتابك » روض نصير^(٢٠) بورذ ندى وزهر ضيق^(٢١)

-
- | | | |
|---------------------------------|-----------------------------|----------------------------------|
| (١) الروى المشيع . | (٢) سراة القوم : سادتهم . | (٣) أى علم الروح . |
| (٤) مهاد . | (٥) الراسخون فى علم الروح . | (٦) محق النفس : أطله . |
| (٧) المصيان . | (٨) علم . | (٩) كنه الحياة : جوهرها وأصلها . |
| (١٠) براء بروء : خلق من العدم . | (١١) القيد . | (١٢) الإله سبحانه . |
| (١٣) غريق . | (١٤) يسكت بالحجة . | (١٥) باطل . |
| (١٦) الخزال . | (١٧) المجذب . | (١٨) يَبُوسُ : يابس . |
| | | (١٩) تفوح منه رائحة الطيب . |

تلقيتَ منحةً وعى الحكيم تخيرَ أقدس وزيد^(١) يروق
ليقضى على غلة^(٢) التامنين بوادى الشكوك ودرب المروق^(٣)
وبعلى المشاعلَ للبهتدين بشمس المعارف . لا بالبروق
وخواهى بجوئك ذخراً مكين^(٤) لاسمى المشارف حيث يسوق
منائر تسطع كالنيرين ضياها يناعى نفوساً تتوق
لتكشف أن وراء الضباب منابت وعى حباها السموق^(٥)

فبالوعى تخلد روح الأمين إذا الدم غاض ودك العروق
وبالوعى يعلن للوائقين سمو الخلود وتبدو الفروق^(٦)
لتفصح عن هاديات الرجاء لنشر السلام بدنيا الفروق^(٧)

القصيدة الثالثة

أما القصيدة الآتية فقد بحث بها فى أواخر سبتمبر من سنة ١٩٦٥، ومن الطريف أنه - كما سبق أن قلت - وعد بإرسالها عن طريق صديق عزيز لا تربطه صلة ما بأسرة الدكتور سلامة سعد، وكان ذلك بالقاهرة فى شهر أغسطس سنة ١٩٦٥ إذ رأيت أن أطلبها عن غير طريق وبسيطة شوقى المألوفة وهى قرينة الدكتور سلامة مطبقاً - إلى حد ما - طريقة « التراسل المتبادل » التى ابتكرها بعض علماء

(١) الماء الذى يورد . (٢) العطش الشديد . (٣) الخروج من الدين .

(٤) سبق النبات سموماً : هلا ومال .

(٥) الفروق : جوع الأرواح .

(٦) الفروق : الشديد الجزع .

أى أن هاديات الرجاء من عالم الروح تذهب السلام فى دنيا الجوعين عند ما نطمئنهم على مصيرهم .

« جمعية البحث الروحي ، بلندن . وبعد مداولة مع الروح حول ما يحتمل أن تتضمنه القصيدة من معانٍ وافق على مبدأ الإرسال ، وعلى أن تدور حول فلسفة الخلود وبعض الحكم الروحية وأن تكون من البحر الكامل . ثم برّ شوقي بوعدده وبعث بها بقرية ميت أبي غالب عن طريق نفس الوسيطة كالمعتاد وأشار فيها إلى وعده السابق بالإرسال ، وإلى وفاته بهذا العهد ، وقد أعطاها بنفسه عنوان :

« إلى أئمة من الطلوع لكم يرى ، ، وفيها يقول : -

رعى العهود

أمدّ للآكباد يوم المولد^(١) ومعلّ الطفل الوليد بسودد^(٢)
ما بين إشراق الحياة وفضها نعم يعبر عن قرار المنشد
والمرء يكبر في التواجد لا نذا بمقومات تستقيم لأنجد
يبدى المشاعر رقة ومروءة بين العباد كشمعة للبهدي
يخشى التحيز كالغريز بحكمه ويرى الزاغة دعوة المقتدى
ينفى السواء^(٣) على صراطٍ يعتلى كالطود حصناً للطريد وهنجد
آيان يخطر كالحكيم سبيله عفّ التبصر في سديد المقصد

إن يلتزم رعى العهود فإنه قَمُّ الوفاء ، يصونها أو يفتدى
والعيش عنده أن ينزه نهجه في زحمة الأيام دون تردد
ويقيم المضمون غير ممّوه فينصع الفحوى ويُرَى بالردى

(١) معناه يامن تدلّل الخلق في يوم مولده .

(٢) ويامن تعلل الطفل الوليد برفعة شأنه .

(٣) السواء : العدل .

ويطوف بالأرجاء يَصْلُحُ داعياً إن المكارم من كريم المختار^(١)
ويجبر مالهوفاً ويصفع ظالماً ويرى العدالة أن يصدّ المعتدى

شخصيةً رسمت مناهج من سعى في نيراتٍ من سناء الموجد^(٢)
أوصافها فرضت لزماً في الورى تبدى قرائن من يُقرُّ ويهتدى
ما كان من حق النفوس تلكؤً في رغبها شرعاً لكل مؤيدٍ
فأله مذ جهل الرعية قد نها عما يعوقُ سهلها بمُعقّدٍ
قد شاد في الأخلاق كلَّ مجملٍ وأحقّ بالتأييد كلَّ مشيدٍ
وأبان عَقبي العابثين بغيثهم وأنى المناوىء نعمةً بتوعدٍ
مذ قال للقوم اتقوني وابدوا بالنور والعرفان حتى الموعد
بعث الهداية في العباد لينصفوا أرواحهم كي يستعينوا من غدٍ
فالعمر يومٌ مارقٌ كسحابةٍ والويل إن عبت بشجرٍ مرعدٍ

وذرو المدارك قد وعوا ما أيقنوا من ناصع التبيان للسترشد
فاسقيةظت شُعبُ الرغائب ترتضى رَقشَ الروائع في هدىً وتودد^(٣)
وبدت ميولٌ تستهيمُ وتعتلى بالمستحبِّ وبالمشوق الأرعذ

(١) الأسفل .

(٢) اقه جل جلاله .

(٣) التودد لله .

فأقت صفاء واستنارة فطنة عصمت هواها من بثار مغرٍ يد
وسمّت بوعى العارفين بحقهم كما تال النفس كل مجدّد
تلك التى بنرى السكال^(١) تحصنت واستعذبت نهلا صفى المورد
خفت معار ما يكدر صفوها وأنت قويم الرشد كل مسند^(٢)

كم لا نرى بالظلم برقب بابه ؟

أنعم بمن يرضى التفوق عادة يعلى الجدارة فى تقى وتجلّد^(٣)
سيقيم وزناً للحياة بنصها^(٤) يحدر السكينة فى حمى المتعود
فيوجه التقدير صوب محقق من مكرمات العيش للتزود
ويلوح فى الافاق ضوء كفاحه متألقاً كالكوكب المتوقّد
ومنى ترفعت الميول عن السدى لهج الفؤاد بلهفة المتعبّد
متجاهلاً دنيا الزوال بما حوت حسماً لنزوة طيشه المتعرد
فيناصر الروح الأصليل إذا دنا يرجو الدليل إلى حياة مخلّد

يارب كم ذا فى العباد من ارتضى شق الطريق كباحث ومعبّد^(٥)
يغريه ما تدلى الغيوب بحكمة تبيانها أنشودة لمنسرد

(٢) مستقيم .

(٥) أى مهتد لهذا الطريق الرومى .

(١) ذرى السكال : أطلى درجاته .

(٤) برقتها .

(٣) صبر .

فيهم كالطير الطليق بأوجها^(١) يشجيه قرب بعد تيه^(٢) المبعد^(٣)
 يصنى لفعوى ما يردد في العلا يرقبها يرتاح كل مسدد
 كما يزول الكرب عن مهج الوري في روعة المأمول غير مبدد

يارب عفوك إن وقفتُ مسائلًا بين الأحبة في حنين المرشد
 كم لا تذر بالخلد يرقب بابه في بسة التواق رغم المرقد^(٤)
 يشجيه ركب الواصلين لروضة في عالم الروح الأمين فيقتدى
 فينخف في فرح الموثق للعلا في الصفحة البيضاء كل منضد
 هيئات ضيغ في القفار معالما تهدي خطاه إلى السوى الأجد
 فيحط من بعد الجهاد رحاله في دوحه الأبرار غير مهدد

يا صبح هبوا للفرح بالهدى

يارب كم تهفو النفوس لوقفه بين الأماجد في حى المتفردا
 كم في الضمائر من تيقظ وغيبها لتقى المصائر من أتون موقدا
 وترى البسالة في الوفاء لعالم صافي المناهل في عذوبة موزد^(٥)
 يارب كم تبدى البرية نزعته تحدد الميول إلى الرصين الجيد

(١) أوج الثيوب أى العالم الخالى .

(٢) ضلال .

(٣) المبعد عن عالم الروح وعلمه .

(٤) المرقد الأخير أى القبر .

(٥) الإشارة إلى عالم الروح .

كَيْمَا يَلَاقِيهَا السَّعُودُ إِذَا ارْتَجَّتْ فِي عُدَّةِ الْأَخْيَارِ كُلِّ مَجْسَدٍ
عَقِبَ اسْتِقَامَةِ مَسْلُكِ وَبَرَاءَةِ بِمَا يَضِيرُ مَا رَبَّ الْمُسْرَدِ

يَا صَاحِبَ هُبَا لِلتَّحَصُّنِ بِالْعِلَالِ مِنْ قَبْلِ مَا تَعْنُو النُّفُوسَ لِنُخَيْدٍ^(١)
فَالْعَيْشُ فِي أَوْجِ الْخُلُودِ مَرَاتِبٌ رَوَّادَهَا مِنْ كُلِّ بُرْدٍ تَرْدَى^(٢)
أَمِ لِحَسْرَةٍ مِنْ تَيْقِنٍ وَارْتَأَى عَقْبِي الشُّكُوكِ وَرَيْبَةِ الْمُرُودِ
لَاقَى النَّدَامَةَ فِي تَوَاجُدِ رُوحِهِ فِي زُمْرَةٍ قَسَدٍ لَا تَلِيقُ بِأَرْشَدِ
فَدَعَا خِيُوطَ الذِّكْرِيَّاتِ لِنَسْجِهَا كَغَلَالَةٍ^(٣) تَنْسَاقُ لِلتَّجْرَدِ^(٤)
هَيْهَاتَ مِنْ صَبَغِ التَّهَاقُوتِ سَعِيَهُ عَبْرَ الطَّرِيقِ لِيَلْتَقِيَ بِمَعْتَدِ
مِنْ بَعْدِ مَضِيعَةِ التَّجَمُّلِ بِالْحُجَى مَذْعَاقٍ فِي الْإِصْلَاحِ كُلِّ مَعْتَدِ^(٥)
كَمْ مِنْ رَثَاءٍ يَسْتَحِقُّ لِرُوحِهِ مَنْ عَاشَ فِي دُنْيَا الْغُرُورِ كَمُفْرَدِ^(٦)

رَحِمَاكَ رَبِّي ! وَالْعِيَاذُ مِنَ الَّذِي
فِي زَيْغِ^(٧) جَوَابِ^(٨) سَرَى^(٩) كَمُصَفَّدِ^(١٠)
أَيْنَ الْمَقَارِنِ فِي الْوُجُودِ بُوْعِيهِ بَيْنَ الْمُسْرَحِ فِي الْعِلَالِ وَمَقِيدِ؟

-
- (١) تحضن الذي يكتن الأنفاس أي للنفوس
(٢) رواد الخلود من جميع الأجناس .
(٣) الغلالة : خرقة ساترة .
(٤) التجرد من الثياب .
(٥) معنى البيت كله : هيهات يلتقي عبر الطريق بأرض مستوية من صبغ التهوان - به
(٦) كأنه وحيد زمانه .
(٧) الزينغ : الليل من الحق .
(٨) الجواب : التي يقطع البلاد .
(٩) سار ليلا .
(١٠) كدب .

يَكْبِيهَا يَنْفِيهِ إِلَى الظَّلَالِ مِنْ ارْعَوِي عَنْ رِغْبِهِ وَسَعَى لِنَهْجِ السُّجْدِ^(١)

يَا صَاحِبَ لَا تَهَبِ الصَّعَابَ فَمَا الدُّنَا
فَهْنُ اسْتَبَدَّ بِهِ الشُّرُودُ سَيَنْطَوِي
فَانْهَضْ وَجَاهِدْ لِلنَّجَاةِ مَعَانِقًا
فَدْعُوا الْمَكَانَةَ فِي الْقُلُوبِ تَقِيَّةً
وَتَجَمَّعُوا حَوْلَ الْحَقِيقَةِ وَاهْتَدُوا
وَتَأَهَّبُوا قَبْلَ الرَّحِيلِ لِسَاعَةٍ
وَتَحَمَّلُوا بِالصَّبْرِ مَعْرَكَةَ الْوَفَا
وَارْعُوا الْأَمَانَةَ أَنْ تُقَدَّرَ دَعْوَتِي
إِلَى أَمْسَدُ مِنَ الْخُلُودِ لِيَكُنْ يَدِي

عن القصيدة الرابعة

أما القصيدة الرابعة فقد أملاها شوقي في شهر يولييه من سنة ١٩٦٥ في مائة وستين بيتاً ، وهي ملحمة شعرية رائعة ، عامزة بأنفاسه ، نابضة بالحياة وبعبقريته النادرة . وقد أعطاها عنواناً دتحية وتأيد لكتاب الإنسان روح لا جسد ، وقد أجهدت بطولها الوسيطة الفاضلة وهدت قواها تماماً ، لأنها تبذل الكثير من العناء عند استخدام موهبتها الفريدة في الجلاء السمعي .

وقد عاجل شوقي في هذه القصيدة عدة موضوعات في التصوف ، ووصف الظواهر الواسطية ، وبعث برسالة إلى القراء ، وبين بعض أوصاف لعالم الروح ، وفند د أراجيف الغباء ، عند منكري الخلود ، ودخل معهم في مساجلة شعرية سبغ فيها في الفضاء مع رواد الفضاء ، وحلق في آفاق عالية من فن البلاغة المنظومة والخيال الواسع ، وسيجدها القارئ في تصدير الجزء الثاني .

(١) الساجدون لله العابدون . (٢) الوبال : الشدة .
(٣) الأربد ما كان فيه عبرة . (٤) السيد : الله جل جلاله .

الحق أحق أن يتبع

ولزيادة الاطمئنان إلى مستوى هذا الشعر ، وإلى مميزاته ، رأيت أن أعرض هذه القصائد كلها - ومنها القصائد التي تتضمن موارد كريمة من روح أمير الشعراء لنا - على شاعر الشعراء الأستاذ الكبير محمد عزيز أباطة - عضو المجمع اللغوي وعضو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية - لأخذ رأيه فيها . فأقر بأن فيها شاعرية شوق من ناحية تراكيبها وأفكارها ومستواها في اللغة والشعر ، وأن بعضها يعادل في عمقه الجيد في « الشوقيات » ، وبعضها الآخر يعادل المتوسط في هذه « الشوقيات » . ولاحظ الأستاذ العلامة بحق أن هذا المستوى لا يملك أي شاعر معاصر أن يرقى إليه أو أن يحاول تقليد شوقي فيه ، لأن عبقرية شوقي تعصى على التقليد ، حتى إن صح نظرياً إمكان تقليد غيره من شعراء الصف الثاني أو الثالث . وقد أذن سيادته مشكوراً بنشر رأيه هذا .



وقيمة هذه الشهادة الضخمة من عالم عظيم ومن شاعر العصر لا يقدرها حق قدرها إلا من يعرف قوة الأواصر التي جمعتها بشوقي عندما كان لا يزال بين ظهرانيها ، والتي لا تقل عن صلة الابن الوفي بالآب العطوف ، والتي وصلت بينه وبين شعره وثره وفلسفته بعروة وثقى لا تفصم .

شاعر العصر الأستاذ عزيز أباطة

ولا يقدر قيمة هذه الشهادة الضخمة أيضاً إلا من خبر الأستاذ الكبير محمد عزيز أباطة عن قرب ، وعرف كيف أنه لا يمكن أن يقدم مثل هذه الشهادة في سر ولا في سهولة لما عرف عنه من تأنٍ شديد عند البت في أية قضية ، فما بالك بأخطار قضية عليية في مقامها الأول والأخير ، هذا إلى ما عرف عنه من وفاء شديد لذكرى أبيه في الروح شوقي الخالد الذي يعتبره قد بزم المنهني في الجيد من شوقياته .

وقد شهد أيضاً بأن هذا الشعر يحوى واضحة خصائص شعر شوقي
الأستاذ الدكتور أحمد الشايب عميد دار العلوم سابقاً ، ووكيل كلية الآداب
وأستاذ الأدب العربى (١) .

* * *

وقد قدم رأياً صريحاً حاسماً أيضاً فى شأن هذا الشعر عالم معروف فى
الأدب العربى، وفى الأوزان والقوافى، وهو الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى
أستاذ الأدب والنقد ، بكلية الدراسات العربيه ، بالجامعة الأزهرية . وقد
تفضل فبعث إلينا خطاباً مؤرخاً فى ٧ أغسطس سنة ١٩٦٥ — يقول فيه «قرأت
يامعان القصائد التى وردت منسوبة إلى روح شوقى العظيم فى كتاب الإنسان
روح لاجسد . ولاحظت أن فى هذه القصائد العديدة روح شوقى وشاعريته
وموسيقاه وأوزانه ومعانيه وتفكيره وقوافيه كذلك والعجيب
أن القاموس اللغوى لهذه القصائد هو قاموس شوقى والحقيقة أن
كل الظروف والعوامل تنفى شبهة التقليد ، فضلاً عن فقدان الشاعر الذى
يستطيع تقليد شوقى فى كل بنائه الفنى لقصيدته فى الوقت الراهن . إن ذلك
كله موضع عجب كبير»

كما يقول أيضاً فى نفس الخطاب عن أشعار روح المرحوم الأستاذ
حفى ناصف (ومنها ستجد قصيدتين فيما بعد) «وكذلك الأمر فى القصيدتين
اللتين وردتا فى الكتاب من روح حفى ناصف ، فشاعرية حفى ناصف
وملكاته اللغوية والأدبية والفنية متمثلة فيهما تمام التمثيل . . . ، ثم يضيف
العالم الفاضل قائلاً «ومن البدهى أن الإيمان بالروح ركن أصيل من الإيمان
الدينى ، وأن أرواح الأموات موجودة لا تنفى»

هذه هى شهادة شاعر مبدع — إذ هو صاحب ديوان «أحلام الشباب»
— وفى نفس الوقت عالم وأستاذ جامعى فى الأدب العربى ، وصاحب عدة

مؤلفات عميقة في العروض والأوزان والأدب منها : « فن الشعر » (في جزئين) و « شعر : أوزانه وقوافيه » و « ميزان الشاعر » و « العروض والقوافي » و « البناء الفني للقصيدة العربية » و « مع الشعراء المعاصرين » و « قصة الأدب في مصر » (في خمسة أجزاء) ، وقد عالج في الجزء الخامس منه — في تحليل عميق ودراسة مستفيضة — شاعرية شوقي .

* * *

ونظن أنه بجانب هذه الشهادات الصريحة من ثقافة وعلماء مدققين ، باحثين عن الحقيقة وحدها — ومقدرين قيمة أقوالهم وخطورة المقام الذي فيه يتحدثون — ينبغي أن تعتبر زائدة كل شهادة في أى اتجاه آخر قد تصدر من متشاعر أو من متأدب ، من تعود بعضهم أن يلقى القول جزافاً قبل أن يحسن حتى مجرد قراءة هذه الأشعار أو يتفهم ما فيها من آيات البيان العميق والإيجاز الفني واللغوي ، التي تميز أشعار شاعر التاريخ أحمد شوقي .

وأعتقد مخلصاً أن أى إنسان محايد — يبنى الوصول إلى وجه الحق — يمكنه أن يلبس دون كبير عناء ما في هذه الشهادات من دقة وأمانة ، لأن التشابه بين الشعرين صارخ لا يحتاج إلى كبير جهد في التعرف عليه ، ويظهر جلياً كلما ازداد القارئ اطلاعاً على القصائد العصماء من الشعر المتدفق التي لم يتسع المقام لنشرها في هذا المؤلف ، وإنما نكتفي بأن نبين مكان نشرها ليرجع إليها من يشاء لزيادة الاطمئنان^(١) . وذلك بالإضافة إلى البيئة المستمدة من

(١) راجع من قصائد روح شوقي الأخرى المنشورة في مجلة « عالم الروح » :
— في عدد يناير سنة ١٩٥٦ قصيدة جميلة يتقدم فيها بالشكر للإملاق اسمه على قربة عذرية التحرير في ٢٠ بيتاً .
— وفي عدد أغسطس سنة ١٩٥٦ قصيدة عصماء عنوانها « عيد الجلاء » من سبعين بيتاً .
— وفي عدد أكتوبر سنة ١٩٥٦ قصيدة عنوانها « انقذات الصدور » من ٢٢ بيتاً .
— وفي عدد نوفمبر سنة ١٩٥٦ قصيدة عنوانها « استعراش الماضي » (خمسة) من ٢٨ بيتاً في صورة رباعيات .
— وفي عدد ديسمبر سنة ١٩٥٦ من نفس المجلة قصيدة عنوانها « صوت من الغيب » في ٧٥ بيتاً في صورة رباعيات .

شهادة وسطاء الجلاء البصري الذين يرون روح أحمد شوقي واقفاً بجوار الوسيطة على عليها الشعر .

كلمة هادئة

أما المكابر فيأبى تماماً أن يسلم — وله عنده — بأن هذا شعر شوقي أو بالأقل يحوى نفس خصائصه أو يرقى إلى نفس مستواه وطابعه ، لأن التسليم بذلك معناه التسليم بصحة الدعوى الروحية في طولها وعرضها معاً ، على خطورة هذه الدعوى إلى المدى الذى يتنافر حتماً مع إمكان التسليم بها في يسر وبساطة تأباهما النفس الإنسانية ، وما طبعت عليه من مقاومة تامة لكل معرفة جديدة على ما يبناه بأسانيد في مقدمة هذا المؤلف .

وهذا المكابر هيهات أن يقتنع بهذه الحقيقة البسيطة الواضحة ، وهى أن روح شوقي تملئ على الوسيطة الفاضلة هذا الشعر الرائع لأسباب قد لا يعرفها هو نفسه ! وإن كان يعرفها فلن يصرح بها ، لأنها لن تخرج في النهاية عن التمسك بشهادة الخواس ، أو بالأقل عن التمسك بما درج عليه من آراء ثابتة في أمور شتى يتصور فيها العصمة التى تعلو على مستوى المناقشة المنطقية الهادئة

إن صاحبنا هذا أيسر له أن يتخيل عدة أمور كثيرة من أن يسلم مقتنعاً بصحة هذه الحقيقة الروحية الواضحة البسيطة : —

— فن المتصور عنده مثلاً أن تكون الوسيطة — لحكمة غير مفهومة — قد اتجهت إلى تقليد شعر شوقي تقليداً محكماً . . .

== — وفى عددى فبراير ومارس سنة ١٩٥٧ من نفس المجلة يحمده القارىء قصيدة أخرى عنوانها « ملك الموت ورسائله السامية » فى ٧٥ بيتاً فى صورة رباعيات أيضاً .

— وفى عدد أبريل سنة ١٩٥٧ رباعيات أخرى .

— وفى عدد فبراير سنة ١٩٥٨ قصيدة عنوانها « مأساة الفرقة المنصرية » فى ٤٠ بيتاً .
— وكل ذلك بخلاف القصائد العديدة التى تنتظر من يتكرم بغمورها إن لم يكن خدمة للحقيقة الروحية ، فبالأقل خدمة لقضية الشعر العربى ، التى لا يمكن أن ينازع أى إنسان محايد فى أن هذا الشعر من أجوده .

- وبصورة خفية - لم تسلكشف بعد - قد ألت بالعروض والأوزان العربية رغم صعوبتها البالغة ، وبصورة ما قد انتقمتا انتقانا عجيباً .

- وبصورة ما قد أحاطت بطريقة شوقى وبشاعريته ، واستظهرت قاموسه اللغوى - الزاخر بالكلمات الصعبة ، الغنى غناء مفرداً بالألفاظ الفصحى ، العامر بالمجاهل التى يتوه فيها اللغويون الكبار

- وبصورة ما قد حازت - وهى حائزة الابتدائية - القدرة على الحكمة الرائعة والفلسفة العميقة والبلاغة النادرة

- وبصورة ما قد اكتسبت خيالا خصباً متديقاً ، فلم يعد لها - فحسب - خيال الشاعرة المقتدرة ، بل أيضاً خيال الشاعرة التى يلزمها أن تتخيل ما كان يمكن أن يتخيله أمير الشعراء فى مثل هذا الموقف أو ذاك ! وما كان يمكن أن تجود به قريحته الوقادة من خواطر ومن أفكار ! وما يتصور أن يصدر عنه من انفعالات وأشعار ، بعد أن انتقل إلى عالم الغيب واطلع على ما فى عالم الغيب من خفايا ومن أسرار ...

- وبصورة ما - بمجولة أيضاً - قد تتبع أخبار هذا الشاعر المتنقل ، كىما تحيى هذا الابن ، أو هذه الحفيدة ، أو هذا الصديق - كل فى مناسبه وباسمه الخاص - بنفس أفكاره ومشاعره وعواطفه المتدفقة المفرطة فى رقنهما وعذوبتهما . وكىما ترد على هذا الناقد أو ذلك بالأسلوب الذى يناسب كلا منهما ، إذ لكل مقام مقال ...

- وبصورة ما - خفية أيضاً - قد تغفلت فى ميوله وذكرياته ومواجيده وانفعالاته نحو كرمه ابن هانىء ، ونحو ماضيه ، ونحو فنون الشعر التى كان يحبها ويمجدها ، وقوافيه وجواراته التى كان يقرأها والتى كان لا يقرأها .. !

- وبصورة ما تشربت بنفس عواطفه المتدفقة نحو بلاده وبلده ، وعروبه وعقيدته ... ونحو الفراعنة الذين كان يحب أن يناجيهم كثيراً (٣٨ م - الإنسان روح)

في أشعاره ويحيا معهم روايات كاملة مثل قبيز ومصرع كليوباترا وغيرهما، وهو ما يزال يفعله حتى الآن...

— وفعلت كل ذلك الخداع الهائل سعيدة هائلة، وفي ثبات وإصرار عجيبين فلم يعصمها عاصم من خلق ولا من فضيلة ولا من إيمان راسخ عندها بالخلود، وبأن كل أعمالنا مسطورة في سجل أمين ومعلنة يوماً للعالمين... إن كل ذلك في نظر صاحبنا المكابر الذكي متصور ومعقول... أما أن تكون وسيطة لروح شوقي فأمر في نظره — غير متصور ولا معقول، حتى ولو كانت أمثال هذه الوساطة قد حققت في الخارج، وصمدت على أعتى صور التحقيق والبحث العلمي الصارم لمدى قرن وربيع من الزمان في جامعات ومعاهد وأكاديميات عليية جادة تماماً.

أى أن صاحبنا الذكي هذا يهرب من الاقتناع بأمر واحد غير متصور — في نظره — ولا معقول، عن طريق محاولة إقناع نفسه — وغيره — بعشرات من أمور — كلها — عبارة عن استحالات تامة، بحسب أى فهم لحقائق الأمور. فهو غير مقتنع بصحة أمر واحد يحتمل — حتى قبل البحث — الصحة والبطلان عن طريق محاولة إقناع نفسه وغيره بصحة عشرات من صور البطلان المحققة في التخريج والاستنتاج، والاستحالات المؤكدة بحسب حقائق الحياة وإمكانات النفس الإنسانية ونوازعها المسلم بها بعد البحث والتحقيق.

فلم يسجل تاريخ البشر حالة واحدة من قبل أمكن فيها لأى إنسان أن يستحوذ على كل هذه العبقريات مجتمعة، وأن يصبح مقلداً موهوباً فيما لا يقبل التقليد من مشاعر وانفعالات، ومن سكنات وخطجات، ومن عواطف وذكريات ومن مواهب وملكات... وما أكثر ما يحتاجه تقليد شوقي من مواهب ومن ملكات....

فتقليد سطور قليلة لكاتب معين مشكلة كبرى... فما بالك إذا كان التقليد شعراً لانترا ١٩... وما بالك إذا كان التقليد يصل إلى قصائد كاملة يبلغ عدد أبيات بعضها أكثر من مائة بيت تفيض روعة وإبداعاً، ووصل

في إحداها إلى مائة وستين بيتاً متدفقة فناً وإعجازاً ١٢... وما بالك إذا كان التقليد لشاعر العروبة الذي يعتبره البعض أعظم شعرائها على الإطلاق . فهو إن لم يكن قد بز المتنبى فهو معه على قدم المساواة ١٣ . وكل ذلك من سيدة لم يتجاوز حظها من الثقافة الشهادة الابتدائية منذ نصف قرن ١٤

بل فلندع جانباً حقائق الحياة وطبائع الأمور ، ولنتجاهل مؤقتاً ما يمكن للنفس أن تقدر عليه من أمور وما لا تقدر ، ولتساءل في هدوء ... هذه سيدة فاضلة لا تبغى مالا ، فقد أعطاه الله منه الشيء الكثير ، ولا تبغى شهرة لأنها تهرب بطبيعتها من مجتمعات الأدعياء والفضوليين وما أكثرهم ، كما تعيش هادئة في ضيعتها بقرية ميت أبي غالب تعالج المعدم والفقير وتحنو على الكبير والصغير... إذاً ما الذي يدعوها لكل هذا العناء؟ هل هذا التحامل المفرض الذي تتعرض له أحياناً من تافه وجمول؟ أو من متطفل دعى على مائدة العلم والأدب؟ إنها لو نسبت كذباً هذا الشعر لنفسها لما فتع أحد في بكامة نقد ولا لوم ، ولكان لها بين فطاحل الشعراء شأن ومكان .

لكنها ترفض ذلك ياباً لأنها ذات ضمير يقظ ، ولأنها تشعر أنها بما تتحمله من عناء الوساطة العقلية الراقية — وما أشده من عناء — تخدم حقيقة عليية خطيرة خدمة جليلة ثوابها عند الله تعالى وحده ، لا عند أحد من هؤلاء الأدعياء من الناقدين الجملاء ، وكأن لسان حالها يقول : حسبي الله ونعم الوكيل ، أما هؤلاء فلا اعتبار لموقفهم مني ولا تقدير ، في مقام رسالة الروح وطهارة القلب والضمير ...

ومع كل هذه الحقائق الناصعة الناطقة بذاتها فإن صاحبنا الذكي هذا عنيد صعب المراس ، لم وان يقتنع رغم وضوح الحجة وتدقيق البرهان ... لماذا؟

لأن الأدلة والشواهد مهما تدفقت على صحة أي أمر من أمور الحياة

(١) من كلية البنات الأمريكية بشارع رمسيس بالقاهرة .

وكانت حاسمة فإن الاقتناع تلزمه أيضاً شجاعة الاقتناع وهي صفة نادرة ،
وأندر منها شجاعة الاعتراف بالاقتناع . فليس المطلوب هو لحسب توافر
البيئات - وهي في هذا الميدان بالذات أكثر من أن يحيط بها حصر الآن -
بل المطلوب أولاً وقبل كل شيء شجاعة الاقتناع هذه ، وهي نادرة في بني
الإنسان حتى إذا تعلق الأمر بجزئية صغيرة من الجزئيات ، فما بالك إذا تعلق
بدعوى هي أصل الحياة كلها . ويستوى في ذلك العالم مع الجاهل والمثقف
مع غير المثقف ، إذ كل الفارق بينهما هو في أساسيد الاقتناع وأسلوبه قبل
أن يكون في طبيعة الاعتداد بالرأى القديم التي فطر عليها الإنسان من قدم...

بين أمانة الكتابة وأمانة القراءة ١١

وإذا أعوزت أي قارئ شجاعة الاقتناع هذه فقد أعوزته أيضاً أمانة
القراءة فكما أنه قد يوجد الكاتب غير الأمين في الكتابة قد يوجد أيضاً
القارئ غير الأمين في القراءة ، وكلاهما شر ، ولكن ثانيهما شر من الأول .
لأن الكاتب غير الأمين ليس أكثر من دخیل يحاول أن يسطو على اقتناعك
بغير رضائك ، وهو عرضة لأن تضبطه متلبساً أو غير متلبس قبل أن يلحق
بك ضرراً يذكر .

أما القارئ غير الأمين في القراءة فهو محتال على نفسه يريد أن يصل
بالمراوغة إلى اقتناع مزيف سيصل إليه حتماً ، لأنه لا توجد قوة قادرة أن
توقفه أو تتصدى له باعتراض ، مادام قد اختار لنفسه بنفسه طريق المراوغة
والخدعة الذاتية ، كيما لا يتزحزح قيد إنملة عما استقر في ذهنه من قرائن
خاطئة ومن خواطر فجئة ، لها عنده كل المجد والسلطان ، إلى أن يقضى الله
أمراً كان مفعولاً ..!

وهذا القارئ غير الأمين نحو نفسه هيهات أن يكتشف مراوغته لنفسه ،
فهو يظلمها هاتئناً سعيداً ويظلم معها كل حقيقة وكل عدالة . وقد يكون في
نظر نفسه أو في نظر الناس أديباً أو شاعراً مرموقاً ، لكن ملكة الأدب
أو الشعر شيء وملكة الحكم النزيه العادل شيء آخر . وليس لهذا الحكم النزيه

العادل وجود مع الارتباط مقدماً بفكرة ثابتة ، ليس في هذا المجال لحسب
— مجال الأدب والشعر — بل في كل مجال من مجالات العلم أو القانون أو
غيرهما. وكم قاسى شوقي أثناء حياته الأرضية من أهواء عمالقة الأدب والشعر
وكم يقاسى حتى الآن من صور النقد المفروض من أدباء ومن أدعياء... وكم تصدى
لهم ، ولا يزال يفعل ، ببلاغته المعهودة كما سنرى في قصيدة التصدير للجزء
الثاني، وفي بعض أبياتها يقول :

وأنا أحذر من عنيد مدّح يبدى الظنون إزاء ما أتكلم
وأقول بالإشفاق لست موارباً عبث الأثير لمن عسى يتفهم
إن الخلود تكشفت أسرارُه تهب الشفاء أو العزاء لمن رُموا^(١)
إلى أن يقول :

يا لوعة الأحياء ممن أرجفوا بجهالة ضد الخلود وأقسموا
هيئات فيهم من يفيق ومن يعي ما السدة^(٢) العليا ، أو ما تنعم
فاذا رأيت الصابئين^(٣) بضلة^(٤) وعداءهم للخلد أو من أسهموا^(٥)
قل أزم من الجهل المسيطر في النسي ليطلق رقدة شارده لا يفهم
وهكذا يسترسل في ملحمة الشعرية معهم التي سننشرها كاملة في تصدير
الجزء الثاني، وبمجموع أبياتها كما قلنا مائة وستين بيتاً من لحول الشوقيات ،.

* * *

ويلزم أيضاً لحل أمانة القراءة الآمنة القدرة على الإحاطة بالموضوعات
العميقة ، وفهمها على نحوها الصحيح . وموضوع الروح بما يرتبط به من
أمر ، وما يتفرع عنه من مباحث شتى ، وما تكشف عنه من حقائق
فلسفية ورياضية ضخمة يعد وحدة مترابطة ، أكثر عمقاً — بل أكثر ارتفاعاً
واتساعاً — من قدرة بعض العقول على الفهم والاستيعاب ، وعلى هضم الحقائق
 وتمثيلها . وهذا الاعتبار وحده كثيراً ما يخلق من أصحاب هذه العقول أعداء
ألداء للروحانية ، لأن الناس كما قلت في التمهيد لهذا المؤلف أعداء لما جهلوا .

(١) من رماهم الدهر بالمرض أو بالهزن . (٢) باب السماء .
(٣) الخارجين من الدين . (٤) صفة من ضل . (٥) جعلوا لهم أسهما فيه .

وهؤلاء لا تعرفهم لحسب من عدم قدرتهم على الاقتناع، بل أيضاً من عدم الرغبة فيه. ولخشيتهم من الاقتناع فإنهم يرفضون أى اطلاع كاف أو استماع متأن ويهربون من أى بحث أو تحقيق محايد، ويحاربون بشدة كل من يدعوهم لشيء من ذلك، مهما كان في دعوته من إخلاص، وفيها من رغبة خالصة في الإقناع الأمين. وبصبح في نظرهم عدواً لدوداً بل شيطاناً رجيماً، وكأن من ذنبه أن يكون موضوع الروح أكثر عمقاً — وارتفاعاً واتساعاً — من قدرة بعض العقول على الفهم وعلى الاستيعاب... وعلى ذلك فمثل هذا الشعور عندهم ليس من مستوى شعر شوقي ولا من فصيلته، ومن يقول بذلك يكابر في الحقائق، ويفترى على الروح الكريمة وعلى ذكرى شوقي العظيم، رحمه الله. ورحمنا جميعنا...

وهؤلاء قد لا يكبد الواحد منهم نفسه مشقة الاطلاع على كل قصائد روح شوقي، ولا على بعضها، كما يبدي رأيه في روية، بل تكفيه بضعة أبيات يقرأها في عجلة — وفي انفعال مغرض — كما يلقي الورقة ويستغفر الله أسفاً على هذا اللغو الذي ينسب زوراً لروح شوقي. وقد لا تكون لصاحبنا هذا أية دراية مع ذلك بشاعرية شوقي ولا بطريقته في الأداء، ولا أى اطلاع خاص في الشوقيات أو في غيرها. ولا أية قدرة خاصة على الحكم الصحيح المحايد في القضايا الأدبية الخطيرة كهذه القضية المتصلة وثيق صلة بأخطر قضية عليية يبحثها بدون توقف — منذ قرن وربع — لفيف من أفضل العلماء والفلاسفة والمفكرين.

وإذا أسعفت الظروف السعيدة أحد هؤلاء المتأدين بخطأ مطبعي أفقد البيت معناه أو وزنه — أو بخطأ استماعي أو إملائي — فقد وضح تماماً في نظرهم خطورة الافتراء الخطير على روح شوقي. وهؤلاء يتجاهلون أن احتمالات الخطأ متوافرة في هذا الشأن كما هي متوافرة في غيره، لأن السيدة الوسيطة لا تملك كما قلنا باللغة الفصحى سوى إلمام محدود جداً شأن كل حاصل على شهادة الابتدائية وحدها. ولأنها تستمع من مستوى في الوجود

أعلى بكثير من مستوانا المادى ، ولذا تتحمل عناء بالغاً وهى تحاول بفضل موهبة الجلاء السمعى التى حبها الله بها الاستماع إلى الروح المهيمنة وهى تملى عليها الشعر كلمة فكلمة . وأثناء ذلك يبرز واضحاً احتمال الخطأ فى المتابعة أو فى الاستماع . وكل هذه أمور قد حققها الباحثون الجادون وأجمعوا على توافرها ، وهى لا تنفى صحة الموضوع بل بالعكس تثبت صحته ، لأن من يكتب هذا الشعر العالى فى تدفق وارتجال لا يمكن أن يقع فى بعض اغلاط الهجاء أو الإملاء الواضحة التى يكتشفها الإنسان لأول وهلة .

* * *

وهؤلاء تعرفهم أيضاً من انفعالهم الشديد من الحجاج القوية ، فكما قويت الحجة كلما اشتدت مقاومتهم للاقتناع وبدلوا أكثر غضباً وانفعالا ولذا فإن البيئة المستمدة من قصائد روح أمير الشعراء - لفرط قوتها - من أكثر البيانات عندهم استثارة للاعتراض ، وأدعائها للهجوم على الروحية والروحانيين .. وهم يفعلون ذلك كما قلت غير متصنعين ولا متكلفين ، بل بدافع من غريزة الدفاع عن النفس عندما تغلق النفس على نفسها أبواب المعرفة وتقاوم كل جديد لا تقدر على فهمه واستيعابه ، هائلة سعيدة بما حصلت عليه من علم محدود ومن عرفان ضئيل .

وإذا كان هذا القول صادقا على كل معرفة جديدة يعجز العقل عن استيعابها لفرط صمغها أو اتساعها فهو يصدق من باب أولى فى هذا الميدان بالذات ، ميدان علم الروح لفرط اتصاله بجوانب عزيزة على نفس كل إنسان ، ومن حقه أن يشعر بجلاها وأن يحرص على عدم الاستهانة بها أو التهوين من شأنها فى رسم خطوط قدره ومصيره . وسيعلم القارىء عندما نعالج موضوع الروح بين العلم والاعتقاد، فى الجزء الثانى أن علم الروح يضع هذه الجوانب العزيرة فى أعلى مكان ، ويحيطها بكل أسباب الجلال والاحترام ، ولكن بعد تنقيتها من شوائب كثيرة علق بها على مر العصور والأجيال فى أذهان نفر من الجامدين والمتزمتين ، وما أكثرهم فى كل ملة ودين !

الزمن وأثره في الاقتناع

ثم هناك عنصر الزمن، وما أدراك مادوره في الإقناع بالأمور العويصة وإعداد الذهن لفتح مغاليقها... فالإقتناع لا يجيء بغتة، خصوصاً عند ما يراد لهذا الاقتناع أن يكون علياً مؤسساً على أسانيد منطقية - تجريدية وفلسفية ورياضية - واضحة تنتهي إليه انتهاء محتوماً . وأقصى صور الاقتناع وأكثرها بطلاً ما يجيء على خلاف ما تعودناه من أمور ، وما ألفناه من أسلوب معين في التفكير .

فسلطان العادة على توجيه التفكير أقوى من أى سلطان آخر . والناس أنكروا صحة هذه الظواهر الروحية لمدة طويلة وقاوموها طويلاً - ولا يزال عدد كبير في بلادنا ينسكرها وعلى أتم استعداد لأن يقاومها بعنف وبلا بحث ولا دراسة - مجرد أنها تخالف ما تعودته من تفكير . وما استقرت عليه سرائره من أن الموتى لا يتكلمون ، فإياك عند ما يقال لهم بل هم على اتصال بنا أو ثقی مما نظن بكثير ، وهم يريدون أن يشعرونا بوجودهم ويعطونا أنباءهم ، ويملوا علينا من عالمهم آراءهم وأشعارهم رائعة ، متدفقة ، ناطقة ، معبرة عن نفس شخصياتهم واتجاهاتهم التي ألفناها منهم عندما كانوا يعيشون بين ظهرانينا سادة مرموقين ، أو نسكرات مغمورين ... إن كل ذلك لا يمكن أن يتقبله الفكر العادي بسهولة ولا بسرعة ، بل يحتاج إلى زمن كاف حتى يحدث البرهان أثره في النفس كما يحتاج الدواء إلى زمن كاف حتى يحدث أثره في صحة المريض . ولهذا الاعتبار أنكر الناس كل كشف جديد وقاوموه بشدة لجرد أنه يخالف ما ألفوه من أسلوب معين في التفكير . أما عند ما يستقر الأمر الجديد في عاداتهم وتقاليدهم فلا يعود محتاجاً بعد لآية حجة أو برهان .

كذلك كان الشأن دائماً مع الإنسان في كل عصور تاريخه ، وفي كل فئاته وطبقاته . فعند ما كان الاتصال بالآرواح أمراً مألوفاً عند الفراعنة وعند الإغريق في أزهى أيام حضارتهم ، كان موقف الأذهان من هذا

الموضوع كوقوفها اليوم من الراديو أو التليفزيون أو الرادار لا يشير اعتراضاً ولا استغراباً، ولا يحتاج لمن يدافع عنه باستمرار أو يثبت صحته ولا يقتضى أخذاً ورداً لا يكاد ينتهى أمره حتى يبدأ من جديد .

ولذا نجد فيما دون فلاسفة الإغريق الكبار الذين أضاءوا للإنسانية مشعل العرفان كلاماً كثيراً عن الخلود بوصفه حقيقة فلسفية ، كما نجد أقوالاً كثيرة منهم عن الاتصال بالأرواح كما لو كان أمراً ثابتاً مقررأ في أذهانهم ، وعن الأرواح المرشدة والملهمة ، وعن استشارة الأرواح في معبدى دلفى ، و دودونا ، عن طريق كاهنات المعبدين .. على ما وضحناه عند ما تكلمنا عن الروح عند الإغريق ،^(١) .

وهكذا الحال حتى في أيامنا هذه في الكثير من البلاد ، حيث أصبح الاتصال بالأرواح أمراً مألوفاً من أمور الحياة العادية عند الكثيرين يجرى علناً في كل مكان وعلى كل صورة ، بدون أن يشير أدنى ضجة ولا أى اعتراض من أحد . وسيجىء هذا اليوم قريباً في بلادنا ، بل أقرب مما يتصور الكثيرون سواء أرضى المتزمتون أم لم يرضوا . لأن السليقة الشرقية أقرب من غيرها إلى الاعتقاد بالروح ، وأرغب في الاتصال بالروح . وعندئذ سيكثر في بلادنا الوسطاء الأقوياء والعلماء الجادون الباحثون ، وستتعدد المعاهد المتخصصة في تحقيق الظواهر الوسائطية للتثبت منها والخروج من ثبوتها بأخطر الدلالات التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بأعماق كل إنسان في حاضره وفي مستقبله القريب والبعيد . بل ترتبط في الصميم بمعارف الإنسان الأخرى — وبديهياتها — من فيزياء وفلك وفسولوجيا وفلسفة واعتقاد ، على ما سنعرض له تفصيلاً وتباعاً في الجزء الثانى من هذا المؤلف .

* * *

ولو كان يوجد في بلادنا منذ الآن معهد مهم يبحث الظواهر الوسائطية — غير المألوفة أو غير العادية — لأمكنه أن يتبين إلى أى مدى تبدو

(١) راجع ما سبق في ص ٥٩ — ٦٤ .

وساطة هذه الوسيطة الراقية جديدة بالبحث العلى الجاد . فمن أين جاءها هذا التمكن التام من العروض والقوافي ؟ ومن أين جاءتها هذه الذخيرة الضخمة من ألفاظ الفصحى ومن أساليب البلاغة وفنون البيان ، وهى لا تكاد تدرك معنى ما تكتبه وهى فى حالتها الوساطية ...

ولماذا يحمل شعرها كل خصائص شعر شوقى ومميزاته وتراكيبه وقاموسه اللغوى ، ولماذا يحىء الشعر متدفقاً وغزيراً فى ظروف متصلة بأحمد شوقى بالذات - وبحفيدة وابنه وبمهرجانه وبذكرياته وبنقاده - دون غيرها من ظروف ؟ وكيف أنها تكتب أحياناً - كما كان يفعل شوقى - قصائد سهلة سلسلة لا تعقيد فيها ، نابضة بالحياة وبالعدوبة حين تكتب أحياناً أخرى قصائد عالية المستوى فكراً ولغة وأسلوباً فلا يفهمها إلا الراسخون فى البيان وفى اللغة الفصحى ، وفى الحالين معا تبرز وراء السطور طريقة شوقى وتراكيبه وخصائصه صارخة نابضة بالقوة وبالحياة ..

أما القول بأنها تكتب هذا الشعر من عند ياتها فأقل ما يقال فيه إنه لا يصمد للنقد . فلماذا يتنصل الإنسان من كتابة شعر راق كهذا لو كان هو كاتبه الفعلى ؟ ... ألا يكفل مثل هذا الشعر لصاحبه مجداً دونه كل مجد آخر ، وخلود ذكر لا يطمع إليه عن أى طريق غيره ؟ ... ولماذا لا يطاوعها بنائها على نظم الشعر إلا فيما يتعلق بشوقى بصورة دائمة أو بحفى ناصف (فى حالات قليلة جداً) ؟ وكيف تكتب هذا الشعر الراقى بمثل هذه الإفاضة والتدفق وبغير أن تحتاج إلى التفكير فيه ؟ وكيف واثتها القدرة على تحدى جمعية الشعراء ، بل عدة هيئات وفى جملة مناسبات ، وإخامها بمثل هذه البلاغة المعدومة النظير ؟ ... إلى آخر هذه الأسئلة التى يحار الفكر فيها .

ألا أن هذه البيئة المستمدة من وساطة الوسيطة الفاضلة قرينة الدكتور سلامة روفائيل سعد ، من أحسن البيئات الأدبية التى اطلعت عليها فى المراجع الروحية بوجه عام ، لذا اقتضت وقفة كافية عندها .

من أشعار روح حنفى ناصف

الدكتور سلامة روفائيل سعد طبيب فاضل بارع وقد كان مفتشاً للصحة
بعدة بلاد، واستقال من سنة ١٩٣٧ كيما يعمل طبيباً



الدكتور سلامة سعد

حرّاً بمدينة شربين، وهو في نفس الوقت معالج وحي
ممتاز وقد تفرغ تماماً للعلاج الروحي المجاني زهداً
منه في أعراض الدنيا الزائلة بعد أن أعطاه الله منها
الشيء الكثير، وهو يباشر أيضاً - وفي عزلة
تامة في ضيعته بقرية ميت أبي غالب - مهمة
الوساطة العقلية الراقية. وقد تلقى هو أيضاً بضع
قصائد من المرحوم حنفى ناصف شاعرنا الفريد،

نشرت بدورها في مجلة «عالم الروح»، وهي كانت تستحق عناية كافية في عرضها
وبحسبنا كنا نحب أن يتسع لها هذا المقام لولا ضيقه، إنما نسكتفي هنا بأن نسجل
للسيدين الكريمين - الدكتور سلامة والسيدة قرينته - هذه الخدمة
الجليلة التي أدياها - في هدوء تام وتواضع عرف عنهما - لقضية
الروحية، بطريقة من لا يبتغي من أحد جزاء ولا شكوراً.

كما نسكتفي بقصيدتين كنموذج من شعر روح المرحوم الأستاذ حنفى
ناصر الأولي عنوانها «أكرم روح أمي الخالدة»^(١) كتبها - بمناسبة عيد
الأم - استجابة لطلب الدكتور سلامة وأملأها عليه شخصياً تحية منه إلى
روح والدته :-

أُمي سألت ملاك الشعر يسعفني	نظماً يليق لعل النظم ينصفني
حتى أسجل آي المدح في كلبي	على أسدد بعض الدين والمن
قال الملاك ^(٢) لمدح الأم يا ولدي	سحر البيان على الأيام ينقصني

(١) وقد انتقلت أمه إلى دار الخلد في سنة ١٩٠٥. راجع القصيدة في مجلة «عالم الروح»
عدد أبريل ١٩٥٩ ص ٣٣، ٣٤.
(٢) الكلام على لسان الملاك.

إذ لو أتيت عظيم القول أنظمه
استلهم الملكوت الخلد اكتبه
تكريم أمك والآفاق تكرمها
من لي بتسبيحة ترضى رسالتها *
الشعر يعجز والأفكار والقلم
هات الأريج وهات المسك نسكه
هات المديح نظم الدر ننشره
هات الوفاء بلحن الحب ننشده
هات القمارى وهات الطير نرقصها
ماذا المديح بمجد في مكانتها *
ما كنت أحلم والأيام غادرة *
طيف الأمم عدت اليوم أنظره
يا فرحتى وبهاء الأم يظهر لي
عادت لتثبت أن الروح خالدة
أقوى القوى . وبهاء الله ينشره *
قالت وقد بدأت تملى خواطرها (١)
حب الأمومة كان اليوم معتمدى
روحي ترفرف حول البنت والولد
أمنية عرضت والله حققها
منذ انتقلت وروحي لا تفارقكم
والموت يهدم ما الإنسان شائده
ما أن خطرت بدار الخلد راضية
إذ من هنا برضى الرحمن يمكنني

لا أرتضى بسوى الرحمن يلهمنى
إذ أن أمك في العلياء ترمقنى
عقب شذاه على الأيام ينعشنى *
تبيانها برنين الحق مقترن *
حتى الطيور إذا غنت لتنشدنى
عبر الطريق وبين الأرض والسكن
فوق السحاب وحول الدار والوطن
فوق الأرائك والأقنان والفن
بين الغصون وفوق الأيك والفن
فالله كرمها في الأي والسكن *
أن الزمان بروح الأم يجمعنى *
والروح تظهر بين الصحو والوسن
يا فرحتى وحنان الأم محتضنى
بالحب أجذبها . . بالحب تجذبني
هذا الوجود بغير الحب لم يكن *
حب الأمومة قواني ليظهرني *
حب الأمومة يهدينى ويرشدنى
حيث اتصال بمن أهوى يعاودنى
عين العناية في الآفاق تكوّننى
فالحب يلزمنى والحب يربطنى
إلا الأمومة قد تحيا . دى الزمن
حتى وجدت مكانى فيسه يسعدنى
دوما أرافقكم فالشوق هيجنى

في الفرح أخطر إذ ألقاك ذا فرح
إن أنت كنت لأمر الله ممثلاً
والعكس لو بدرت منكم مخالفة
والله يسمح للأرواح تسعفكم
واستبشرت خلجات الأم في لهف
إذ أمكن الوسطاء السير في حذر
ما أن سألت رئيس الحفل يسعدني^(١)
أما النصائح قد سطرتها زجلاً
لما انتقلت لدار الخلد في صغرى^(٢)
وازداد بي ألم في القلب مسكنه
ثم امتثلت لحكم الله في جلد
إن اتصالي بالأولاد مفخرة
والناس في رحبات الخلد هاتجة
صوت الأمومة مسموع لخالقها
لما دعوت أجاب الله مسألتى
إن الأمومة عند الله مسألة
وأما الثانية — فهي رسالة إلى ولده محمد الدين مفضي ناصف — وقد أملاها
على السيدة قرينة الدكتور سلامة ، وها هي كاملة (٥) : —

هل السعود وبات الفرح معتمدى
واستطربت^(٦) خلجات^(٧) الروح يا ولدى
ناجيتَ روحى فاستشرت^(٨) صبايتها
صوت الأحية هاج الشوق في كبدي

(١) السيد «س» وهو أول مرشد روحى اتصل بدائرة الدكتور الوسيط .
(٢) يقصد الكتابة التلقائية . (٣) للمرشد المهيمن على الجلبه .
(٤) إذ انتقلت في سن العشرين .
(٥) راجع القصيدة في مجلة « عالم الروح » عدد أبريل سنة ١٩٥٧ ص ١٨ - ٢١ .
(٦) اشتد طربها . (٧) امتزازات . (٨) سارت سرماً وعظمت .

قوى زهور الربى واستبشرى طرباً
ضئى الصفوف وهنى الروح واحتشدى
نادى البلبال والورقاء تنشدنى
لحن الطروب على النماء والرغد (١)

* * *

كنت الشجى ولى بالروح مسغبة (٢)
أن أهدى لمطاف الآل بالرشد
واليوم دان منال كنت أرقبه
فيه اعتصمت فصحت أى معتقدى
لانى أهيم - رعاك الله - فى شغف
والروح أقرب فى نجواك من جسدى
آبت ترفرف فى هفهاف حلتها
صنو الملائك فى أنوارها الجدد
هذى - فديتك - بشرى الصادق ارتجعت
إن طالعك فى روع وفى نضد (٣)

* * *

بالقية عرضاً (٤) بعد النوى وضحت
وضح الضحى بسماح الواحد الصمد
ماكان يدرك أن الروح إن وهبت
ترتاد حى أليف من خبى الأبد
كالشمس ترسل بالإشعاع من وهج
ليست تروم دليلاً قائم العمد
فأعجب بنى لأطياف العلا مثلت
فى حيكم ورفات الخلق فى الشهود (٥)

(١) رغد عيشه : طاب وائسم (٢) جوع شديد (٣) عز وشرف .

(٤) من دون روبة أو قفد . (٥) وعد : وعدة فى الأرض جمعها وعده .

إني وحقك في الإعجاب مثلكم^(١)
أصبحت مبهجاً كالطائر الفرد

* * *

لا غرو من وثبات الروح طافرة^(٢)
هذي حدود^(٣) إلهي القادر الأحد
سنّ التواجد للأرواح خالدة
ما بين متصرٍ أو خاسر نكد
هذا يحلق للجنات في مرج
يأتي الرحاب إلى الرحمن والسند
يبدى المفاخر بعد الآه والالم
وهو المظفر بالإقدام والعند
أما المروّع بالخسران يا لطفي
يلقى السعير بذل السام الحشيد^(٤)
إن يرتج مدد الرحمن يسعفه
عز النصير وما يؤتى من المدد^(٥)
حال الوبال وبئس الحال إن وقعت
ليست نجير جريح الروح بالضمد^(٦)

* * *

تلك الحقائق للأحياء موجهاً
كم في الحقائق هذي الطائف المردي^(٧)
والدر من غرر اللآلئ في كلبي
صفو نجمانه من إحراز مقتصد^(٨)

(١) الإعجاب . جمع عجب (٢) طفر : وثب في ارتفاع . (٣) حدود : أحكام
(٤) من لا يدع عند نفسه شيئاً من الجهد والمال والإعانة . (٥) المؤمن والتموت .
(٦) أربطة الجروح . (٧) الطائف : الخيال الزائل كماتف النوم . المردي : الماني المتمرد .
(٨) أي كلام من مصير الخلائق لم يرد ولا يؤلف صاف ، أحرزته روح المقتصد في الإيضاح .

صاغ الوفاء نظيماً في تألقه
 كم في الوفاء دواء الشارد السهد^(١)
 أنصت بربك وارع الله مغتبطاً
 لست المهاتر للتغدير بالوكد
 جاد التوافق في الأحياء^(٢) فأنفردت
 روى تكرم لقياً الشبل للأسد^(٣)
 يا منة^(٤) برضا الرحمن ضوءتها
 أخشى عليك من العذال والحسد
 صوني الوداد وإنى العهد أمره
 صوناً لرفعة مصداق على الأمد^(٥)
 أن استجيب لداعى الروح مرتضياً
 تلك الرغبة كالأرطاب والشهد^(٦)
 فالروح يمرح في العليا مرتقباً
 صفو التواجد لو في ألف محشد^(٧)

موضوعات الجزء الثاني

وبذلك ينتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثانى بمشيئة الله تعالى متضمناً :
 الباب الأول : فى موقع عالم الروح . الباب الثانى : فى أسلوب الحياة فيه .
 الباب الثالث : فى الثواب والعقاب .
 الباب الرابع : فى بعض المشكلات الفلسفية الأخرى .
 الباب الخامس : فى الروح بين العلم والاعتقاد .
 الباب السادس : فى علم الروح بين حاضره ومستقبله .

(١) من قل نومه . (٢) جاد النجاس أو الأسقام الروحى بين أحياء الأرض وأحياء الأثير .
 (٣) يشير إلى اتصاله بآبئه . (٤) يامنة : يقصد بها فرصة الاتصال بآبئه .
 (٥) يامنة الألفى صونى الوداد على هذا الاتصال ، وإن أختم على العهد أن أصون رفعة
 روحى الصادقة إلى المنتهى . (٦) الشهد أصلها الشهد وهو عمل النحل وتحرك الماء للشعر .
 (٧) فروح الشاعر يمرح فى العليا منتظراً صفو الاتصال الروحى ولو فى ألف واحد
 مجتمعين فى الجلسة .

الإنسان رُوح لا جسد

بمَحْثٍ فِي الْعِلْمِ الرُّوحِيِّ الْحَدِيثِ

طبعة ثانية

الجزء الأول

فهرس

الصفحة

٣	تحية من روح أمير الشعراء للؤلأف
٩	مقدمة الطبعة الثانية

باب تمهيدى

فى علم الروح بين أنصاره ومناوئيه

١٣	— الناس أعداء ما جهلوا
١٥	— عصر البحث العلوى فى الروح
٢١	— مع أساطين الإنكار
٢٥	— عقبات فى الطريق كانت متوقعة
٢٦	— خلود الروح يصبح حقيقة عليية
٢٨	— لعلم الروح رسالة جليلة من نواحى العزاء والمعرفة
٣٢	— والإيمان بالله تعالى وبناموسه الخلقى
٣٤	— والاطلاع على الحركة الفكرية والعلية
٣٥	— وتقدير الإنسان حق قدره
٣٨	— لم أتردد إذا ؟

(م ٣٩ — الإنسان - روح)

الصفحة	موضوع المؤلف الحالى
٤٤	— تمهيد
٤٦	— تبويب

الباب الأول

٤٧	عجالة عن الروح عند الأقدمين
٤٧	— تمهيد
٥٢	الفصل الأول: الروح عند الفراعنة
٥٥	الفصل الثانى : الروح عند الهندوس
٥٩	الفصل الثالث : الروح عند الإغريق والرومان
	— عند سقراط ٥٩ . عند أفلاطون ٦١ . عند أرسطو ٦٢ .
٦٣	عند إسكندر الأفروديسى ٦٣ . عند تمستويس
٦٥	الفصل الرابع : الروح عند فلاسفة المسيحية
٦٩	— تعاليم واضحة وصريحة لبولس فيلسوف المسيحية الأول
٧٣	— تعليق شو دز موند على موقف بعض الجامدين من رجال الدين
٧٦	— تعاليم أوريجانوس وسان كليمان السكندرى
٧٨	الفصل الخامس : الروح عند فلاسفة الإسلام
٨٠	— الروح عند الفارابى ٧٨ . عند ابن سينا ٧٩ . عند الغزالى
	— عند ابن رشد ٨٣ . عند ابن باجة وابن طفيل ٨٤ .
٨٤	— عند ابن القيم الجوزية
٨٧	الفصل السادس : الروح فى عصور أحدث عما تقدم
٨٧	— الروح عند أحسن شعراء التاريخ
٨٧	— عند طاغور شاعر الهند وفيلسوفها
٨٩	— تطور معرفة الروح من الفلسفة إلى التجريب

الباب الثاني

- ٩١ في نشأة العلم الروحي الحديث
- ٩١ — تمهيد
- ٩٣ الفصل الأول : في موضوع العلم الروحي الحديث
- ٩٧ الفصل الثاني : في الظواهر الوسائطية بوجه عام
- ٩٨ — ما قد يؤثر في حدوث الظواهر الوسائطية أو عدم حدوثها
- بعض وسطاء الإلهام البارزين : سويدنبرج ٩٩ . أندرو
- ١٠٢ جاكسون دافيز
- ١٠٦ — من وسطاء الظواهر الفيزيائية والعقلية : فلورنس كوك .
- أسايا بلادينو ١٠٧ . مدام دسبرانس ١١١ . وليام
- إجلنتون ١١٢ . ليونور بيير ١١٢ . جاك وبر ١١٣ .
- كارلو ميرابلي ١١٣ . استيل روبرتس ١١٤ . باريش
- ١١٥ ولبلي وهاري إدواردز
- ١١٥ — إثبات الظواهر الوسائطية
- ١١٩ — الاكتوبلازم
- ١٢٣ — الرد على الاعتراض بالتدليس
- ١٢٦ — رد غلادستون
- ١٢٦ — رد فلاماريون
- ١٢٧ — رد وليام كروكس
- ١٢٨ — أدلة أخرى تدحض التدليس
- ١٢٩ — نموذج من تحقيق وساطة مارجري
- ١٣٥ — تجارب مارجري تنجح في معايشة
- ١٤٠ — احتياطات أخرى

الصفحة

- ١٤١ - الروح تصبح علماً جامعياً
١٤٤ - هذا ما وصلت إليه الروحية التجريبية في الخارج (بالصور)

الباب الثالث

في بعض الأسماء والمراجع

- ١٤٥ في العلم الروحي الحديث
١٤٥ تمهيد
١٤٦ . الفصل الأول . بعض الأسماء والمراجع في أمريكا الشمالية
- جون إدموندز ١٥٠ . جيمس مابس ١٥٠ . روبرت
هير ١٥١ . روبرت ديل أوين ١٥٢ . إديسون ١٥٣
١٥٦ جمعية البحث الروحي الأمريكية ١٥٣ . وليام جيمس
جيمس هايسلوب ١٦٣ . فرديناند شيلر ١٦٤ . إدوارد
راندال ١٦٥ . هيروارد كارنيجتون ١٦٥ . والتر فرانكلين
برنس ١٦٩ . إدوين فردريك باورز ١٦٩ . كارل ويكلاند
١٧٢ وليام مكندوجال ١٧٤ . ج. ب. راين
١٧٥ - في الباراميكولوجي بوجه عام
١٨٢ - اتساع نطاق الحركة الروحية في أمريكا
١٨٥ - بعض المنظمات والمعاهد
١٨٦ - الحركة في البلاد الأمريكية الأخرى
١٨٧ - في بلاد أمريكا اللاتينية
١٨٨ الفصل الثاني : بعض الأسماء والمراجع في إنجلترا
١٨٩ - الجمعية الجدلية تبحث الموضوع
١٨٩ - تلخيص لتقريرها
١٩٠ - تعليق سير آرثر كونان دويل عليه
١٩٣

المصحة	
١٩٥	— تعليق الأستاذ محمد فريد وجدى
١٩٦	— جمعية البحث الروحى S. P. R.
١٩٧	— أسماء رؤسائها
١٩٨	— تصريحات خطيرة لبعضهم
٢٠٠	— هنرى برجسون يرأس هذه الجمعية
	— د . د . يشيد فلسفة متفقة مع نتائج التجارب الروحية.
٢٠٤	
٢٠٦	— الجمعية تواصل نشاطها حتى الآن
	— رأى وليام براون ٢٠٦ . فلوجل ٢٠٧ . دى مورجان ٢٠٨
	سير وليام كروكس ٢٠٩ . سير ألفرد راسل والاس ٢١١
	سير وليام باريت ٢١٢ . لورد رايلي ٢١٤ . سير أوليفر
	لودج ٢١٥ . فردريك و . ه . مايرز ٢٢٠ . إدموند
	جيرفى ٢٢٢ . و . ج . كروفورد ٢٢٤ . ج . و . ديون
٢٢٧	٢٢٥ . هتنجر ٢٢٥ . اليكساندر كانون ٢٢٦ . هارى برايس
٢٢٨	— نبذة عن العمل الوطنى للبحث الروحى
	— دور المفكرين والأدباء ٢٣١ . سير وليام ستيد ٢٣٢ .
	سير آرثر كونان دويل ٢٣٨ . إرنست أوتن ٢٤٣ . ألفرد
	كيتسون ٢٤٣ . هانن سوافر ٢٤٥ . جيمس آرثر فندلاى
	٢٤٧ . شو دزموند ٢٤٨ . موريس باربانيل ٢٤٩ .
	واليس ٢٥٠ . إرنست تومسون ٢٥١ . جيرالدين كامينز
	٢٥٢ . بول ميللر ٢٥٤ . و . ه . إيفانز ٢٥٨ . فردريك
٢٦٠	وود ٢٥٨ . جيمس كوتس ٢٥٩ . بول رنتون
	— بعض رجال العقيدة : ستانتون موزس ٢٦٣ . شارل
	تويديل ٢٦٥ . جون لاموند ٢٦٦ . جورج فيل أوين ٢٦٦
٢٦٧	موريس إليوت ٢٦٧ . درايتون توماس

الصفحة

٢٦٩ الفصل الثالث : بعض الأسماء والمراجع في فرنسا والبلاد الأخرى

— بول جيبييه ٢٧٠ . جان ماير ٢٧١ . دي روشا ٢٧١ . كامى
فلاماريون ٢٧٢ . شارل هنرى ٢٧٤ . الكسندرا دافيدنيل

٢٧٥ . ٢٧٤ . جان ليرميت

٢٧٦ — دور المعهد الدولى لما وراء الروح بباريس

— دور جوستاف جيللى ٢٧٩ . أوجين أوستى ٢٨١ . رينيه

٢٨٣ . ٢٨٢ . ل . شفروى

— طائفة من الفلاسفة وحملات الأقلام : آلان كاردك ٢٨٣ .

ليون دنيز ٢٨٤ . جابريل ديبلان ٢٨٦ . بحاث آخرون :

مدام بيسون ٢٨٦ . شازاران ٢٨٧ . ميشيل ساج ٢٨٧ .

ألفريد بنزيك ٢٨٧ . شارل بينزيك ٢٨٨ . شارل لانسلان

٢٨٨ . بيير ليكور ٢٨٨ . رينيه سيدر ٢٨٩ . جه سيمون

٢٨٩ . سيزار دى فيزم ٢٩٠ . لا باديه ٢٩٠ . أندريه

ديماس ٢٩٠ . موريس ماجر ٢٩٠ . جورج فيتو ٢٩٠ .

٢٩١ إدوار سابى ٢٩١ . جورج بارباران

— بعض الأسماء فى بلجيكا ٢٩٢ . فى ألمانيا ٢٩٣ . فى سويسرا

٢٩٤ . فى إيطاليا ٢٩٤ . فى روسيا ٢٩٦ . فى أسبانيا ٢٩٧

٢٩٧ . فى تركيا

٢٩٩ الفصل الرابع : بعض الأسماء والمراجع باللغة العربية

٢٩٩ — المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى

٣٠١ — العلامة محمد فريد وجدى

٣٠٣ — الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير

٣٠٥ — الدكتور على عبد الجليل راضى

المقدمة

الباب الرابع

في بعض البيئات والوقائع

- تمهيد ٣٠٩
- الفصل الأول : من تجارب وليام كروكس في موضوع الأرواح ٣١٣
- نبذة عن تجاربه مع دانييل دنجلاس هوم ٣١٥
- فلورنس كوك والروح كاتي كنج . ٣١٦
- وصف تجسد الروح كاتي كنج ٣١٧
- تعليل لظاهرة التجسد ٣٢٤
- نقاط للتأمل ٣٢٤
- ٤ صور للروح كاتي كنج متجسدة ٣٣١
- صور أرواح متجسدة في عدة بلاد للبقارنة ٣٣١
- تجسد روحين في وقت واحد في حضور إيجانتون . . ٣٣٢
- حالة تجسد تام للوجه في « المعهد الدولي لما وراء الروح »
- بياريس ٣٣٣
- من حالات التجسد التام في حضور مدام ديسيرانس . ٣٣٥
- من حالات التجسد التام في الدائمرك ٣٣٥
- أيضاً ٣٣٦
- حالة تجسد جزئي واضحة في إيطاليا ٣٣٦
- حالة تجسد تام في أمريكا ٣٣٧
- لحظة فقدان التجسد ٣٣٧
- تجسد الروح المرشدة للوسيلة إيتيل بوسست باريش . ٣٣٨
- حالة تجسد حديثة في البرازيل ٣٣٨
- شعر روح متجسد في المعهد الدولي للبحث الروحي بلندن ٣٣٩
- عينة من رداء روح متجسد ٣٣٩

- الفصل الثاني : شارل ريشيه ينحاز نهائياً إلى النظرية الروحية . ٣٤٠
- نبذة عن مؤلفه « ما وراء الروح » ٣٤٠
- تجاربه مع أسايا بلادينو ٣٤٢
- رأيه في المنازل المسكونة ٣٤٢
- « حاستنا السادسة » ٣٤٢
- رأيه في التنبؤ ٣٤٣
- أرواح تتجسد في حضوره ٣٤٥
- بعض آراء حاسمة له بعد ثلاثين عاماً من البحث . . ٣٤٨
- من رأيه لجريدة عليية ٣٤٩
- من مقدمته لكتاب الدكتور ما كسفل ٣٥٠
- رأيه في عدم ارتباط العقل بالمش ٣٥٢
- نفس الرأى عند كلود برنار ٣٥٢
- نفس الرأى عند الدكتور محمد كامل حسين . . . ٣٥٣
- نفس الرأى عند برجسون ٣٥٣
- نفس الرأى يصل إليه مكندوجال وبروض وتشارلس فوكس ٣٥٤
- الفصل الثالث : من تجارب إرنستو بوزانو وبحوثه . ٣٥٨
- رأيه في هذا الشأن ٣٥٨
- تلخيص مقال له عن ظواهر الروحية والعقل الباطن . ٣٦٠
- نوع الظواهر التي سجلها ٣٦١
- تعذر تحليلها بأي تحليل مادي ٣٦٢
- الفصل الرابع : وقائع لها دلالتها عن مضابط « جمعية البحث
الروحي » بلندن وجريدتها ٣٧٢
- الاعتراض على بعض الظواهر بالتباني ٣٧٢
- الرد عليه ٣٧٢
- مراجع في هذا الشأن ٣٧٤

الصفحة

٣٧٥	- وقائع تدحض إمكان التعليل بالتأبأى
٣٧٦	الواقعة الأولى :
٣٧٨	الواقعة الثانية :
٣٨٠	الواقعة الثالثة :
٣٨١	الواقعة الرابعة :
٣٨٢	سلسلة من وقائع أخرى :
	الفصل الخامس : مارشال الطيران لورد دودنج يصبح من أقطاب
٣٨٨	الروحية الحديثة
٣٨٨	- مكانته
٣٨٨	- أهم مؤلفاته
٣٩٠	- من تجاربه في العلاج الروحي
٣٩٥	الفصل السادس : بينات متنوعة عليية وعلاجية
٣٩٥	- بقاء الشخصية بعد الموت
٣٩٥	- تحقيق شخصية الروح
٣٩٦	- رأى سير أوليفر لودج
٣٩٧	- أقوال لبعض الأرواح
٤٠٠	- أرواح طامة تفيد الأرضيين
٤٠١	- أقوال الدكتور جوان ريكالد
٤٠٢	- بيئة عليية في شأن أشعة ميليكان
٤٠٣	- شهادة الدكتور متى براسيلار
٤٠٥	- الكاميرا تسجل إشعاعات غريبة في غرف الجلسات
٤٠٧	- بحوث عليية في العلاج الروحي
٤٠٩	- علماء كبار يحققون صحة العلاج الروحي
٤١٤	- العلاج الروحي بالصور

الصفحة

- ٤١٧ . . . الفصل السابع : تحقيق ظاهرة الشغب المجهول المصدر . . .
- تحقيق القاضي إدموندز ٤١٧ . شارل ريشيه ٤١٨ .
- كامي فلاماريون ٤١٨ . سير وليام باريت ٤١٨ .
- فرانك بودمور ٤١٩ . إرنستو بوزانو ٤١٩ .
- أندرو لانج ٤١٩ . هيروارد كارنيجتون ٤١٩ . هاري
- برايس ٤٢٠ . ناندور فودور ٤٢٠
- تحقيق الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير ٤٢٠
- جمعية البحث الروحي بلندن ٤٢٢
- السكينة البريطانية للعلم الروحي ٤٢٢
- المعهد الدولي لما وراء الروح بباريس ٤٢٢
- من أسباب الشغب ٤٢٣
- ٤٢٧ الفصل الثامن : بينات على وجود الجسد الأثيري . . .
- الجسد الأثيري في رأي أوليفر لودج ٤٢٨
- هيووات ما كنزي ٤٣٠
- أوصاف شتى للجسد الأثيري ٤٣٢
- الإحساس من خواص الجسد الأثيري ٤٣٣
- الجسد الأثيري غير قابل للبتر أو للفساد ٤٣٧
- الحالة البشرية ٤٤٠
- دراسات علمية فيها ٤٤١
- تصوير الحالة في سنة ١٩٦٥ بواسطة العلماء السوفييت . . . ٤٤٦
- تصوير الجسد الأثيري للإنسان في كامبريدج ٤٤٧
- موقف علم النفس الحديث من الجسد الأثيري للإنسان ٤٤٩
- رأي ماكدوجال ٤٤٩
- د يوج ٤٥٠

الصفحة

- مرا كز الطاقة في الجسد الاثيرى ٤٥٢
- ماذا عن الجسد غير المادى للحيوان ؟ . . . ٤٥٥
- تجارب وانرز في تصوير الاجساد الاثيرية للجراد
والضفادع والفئران ٤٥٦
- كائنات حية تظهر في جلسات البحث الروحى . . ٤٥٧
- ظهور رأس كلب ميت غير متجسد (بالصور عن مجلة
العلم الروحى) ٤٦٠
- الفصل التاسع : في تأثير العقل المباشر في المادة . . ٤٦٤
- رأى سير أوليفر لودج ويير وجوليو كورى . ٤٦٤
- رأى الاسقف بيركلى ٤٦٥، سير آرثر إدنجتون . ٤٦٥
- سير جيمس جينز ٤٦٦ . ارثر فدللى ٤٦٦
- بحوث ج . ب . راين في جامعة ديوك ٤٦٧
- تأثير العقل في وظائف الاعضاء ٤٧١
- آراء لومبروزو ومسر وشاكو ٤٧١
- صور لأرواح غير متجسدة ٤٨٣
- تحقيق وساطة بورسينيل في الكلية البريطانية للعلم
الروحى ٤٨٣
- صورة روحية للسيد واين ٤٨٧
- للسيدة مارى تويديل ٤٨٧
- لسير وليام كروكس ٤٨٨
- آرثر كونان دويل ٤٨٨
- تحقيق وساطة ويللى في انجلترا ٤٨٩
- أمريكا ٤٩٢
- مارتين ٤٩٢

الصفحة

٤٩٣	— وساطة هوب
٤٩٤	— د دجود
٤٩٤	— د برمسون
٤٩٤	— د هدمسون
٤٩٥	— د السيدة دين
٤٩٥	— د دونوهو
٤٩٦	— د الدكتور جون مايرز
٤٩٦	— جمعية دراسة الصور غير المألوفة
٤٩٧	— الدكتور كروفورد يثبت حياته بعد الموت بالصور
٤٩٨	— مضاهاة الخطوط بعد مضاهاة الصور
٤٩٩	— بعض خطوط الأرواح في بحوث الدكتور جيبييه
٥٠٠	— د د د د القاضي جون إدموندز

الفصل العاشر : في الأدب الروحي والإلهام ٥٠١

٥٠٢	— أدب بعض الأرواح الراقية
٥٠٣	— عودة عدد كبير من الكتاب والأدباء
٥٠٥	— ألتاز يحلها علم الروح (لغز شكسبير)
٥٠٦	— الإلهام حقيقة عليية وفلسفية
٥٠٦	— رأى دائرة المعارف البريطانية
٥٠٦	— د سير أوليفر لودج
٥٠٨	— د كارل ياسبرز
٥٠٨	— د شارل رينجت
٥٠٩	— د بول برينتون
٥١٠	— عن الفلسفة الهندية
٥١١	— بين العبقرية والإلهام

المنحة

- قول لسقراط ٥١٢
- د لا بيمينيد ٥١٢
- د لتيسون ٥١٢
- د لافريد دى موسيه ٥١٣
- د لاديسون ٥١٣
- د لجوته ٥١٣
- د لتيوفيل جوتيه ٥١٣
- د لشوبنهور ٥١٣
- د لكاي موكلير ٥١٣
- د لبيير ميل ٥١٤
- العقل الباطن جهاز الإلهام ٥١٤
- لغز الأطفال الموهوبين ٥١٩
- مثال من إلهام ثرى راق ٥٢٠
- الفصل الحادى عشر : أشعار للرحومين أحمد شوقى وحفنى ناصف
- تتحدى المكابرين ٥٢٥
- نبذة عن السيدة الوسيطة ٥٢٥
- بعض أشعار روح أحمد شوقى : — ٥٢٦
- قصيدة عنوانها « إلى المتشككين » (كاملة) . . . ٥٢٨
- من قصيدة « عالم الروح » ٥٣٤
- من قصيدته التى يهنى فيها حفيدته برفافها . . . ٥٣٦
- قصيدته « عنوانها « إلى ولدى على » (كاملة) . . ٥٣٧
- من قصيدته إلى شاب بعنوان « نصيحة » ٥٣٨
- قصيدته التى يستقبل فيها الدكتور إبراهيم ناجى (كاملة) ٥٤٢
- « يعزى فيها الأستاذ أبو الخير فى انتقال نجله ٥٤٣
- نبيل (كاملة)

تصويب الأخطاء المطبعية

رقم الصفحة	رقم السطر	خطأ	محواب
٢٤	١	يحوى منها	يحوى
٢٤	١٩	المنكرين من	المنكر
٥١	٨	صواتها	أصواتها
٦٢	هامش (١)	عند لفلاسة	لفلاسة
١٠١	١٧	لروحية	الروحية
١٣٥	هامش (١)	الطبعة	المجلة
٢٠٨	رقم الصفحة	٢٨٠	٢٠٨
٢٤٨	٢٠	اسكندهاون	اسكندهاونه
٤٢٨	٦	أول	أول
٤٧٢	هامش (١)	ووشيه	وريشيه
٤٨١	٢٣	دوره	دور
٥٢٨	١٩	نقاد	انقاد
٥٤٦	٣	تى	آتى
٥٥٨	٤	لغة	يرقطة
٦٠٣	٣	أعطاه	أعطاه

الإنسان رُوح لا جسد

بَحْثٌ فِي الْعِلْمِ الرُّوحِيِّ الْجَدِيدِ

تأليف

الدكتور رُؤف حميد

أستاذ بكلية الحقوق

جامعة عين شمس

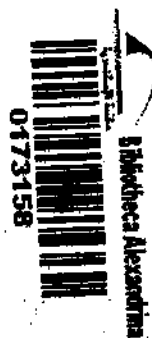
طبعة ثانية

مزيدة زيادات كبرى

تقديم رُوح أمير الشعراء أحمد شوقي

المجلد الثاني

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي



اهداءات ٢٠٠١

أ.د. محمد حبيب
جراح بالمستشفى الملكي المصري

صورة الغلاف

جنة عدن من خيال رسام

- فهل هي حقيقة أم خيال ؟
- وهل هي في الأرض أم في الأثير ؟
- وهل يعود إليها أحفاد آدم أم لا يعودون ؟
- وإلى أين الركب يسير ؟

رسمة نرسنة برسمها بالبرقالة

الإنسان رُوح لا جسد

بَحْثٌ فِي الْعِلْمِ الرُّوحِيِّ الْحَدِيثِ

تأليف

الدكتور رُوح جبير

أستاذ بكلية الحقوق

جامعة عين شمس

طبعة ثانية

مزيدة زيادات كبرى

تقديم روح أمير الشعراء أحمد شوقي

المجلد الثاني

ملف الطبع والنشر
دار الفكر العربي

القاهرة

١٩٦٦

طبعة نهضة مصر بالجماعة



أحمد شوقي

(١٨٧٠ - ١٩٣٢)

من روح أمير الشعراء : درة جديدة

دعوى وتأيد لكتاب الإنشاء روح لا مبدع (١)

الدنيا الخؤون

قل للآلى ينربحون (٢) لينعموا ويقومون (٣) رياشهم (٤) ليكرّموا
مهلاً فما المنع الجموح (٥) بمقتى إن أفلتت فومامها لا يحكم
ودنا الرغبة قلب تعصى الهوى وبطبعها الإعراض حين تقيم
فعلام وسعة (٦) ما يرام بحبها (٧) وهى الخؤون وبالتنكر توسم (٨)

(١) العنوان والدمروح كلها من عند الروح فيما خلا شروح قليلة جداً أضيفت من القاموس .

(٢) يطلبون الأرباح . (٣) يعملون لثيابهم الفاخرة قيمة . (٤) المستعمية .

(٦) السام . (٧) بأرضها . (٨) تميز .

والسائم^(١) المنساق^(٢) في أذيالها
يا بشراً ما يُرعى على أطرافها
فالرغدُ ظلٌّ في تواجدٍ من سعى
وذرى المطاميع والنراء فضالة^(٣)
من يستهيم بغضها^(٤) متدهراً
فعلّ المشوق^(٥) تدور دائرة النوى^(٦)
ومن ارتضى حرماً^(٧) يشاد بأرضه
فاسمع ووازن في هوادة^(٨) من وعى

يمشى كما يمشى العبي^(٩) المرغم^(١٠)
من شاهقات الآمبات ويربم^(١١)
وغداة رخل^(١٢) يستحيل^(١٣) ويحسم^(١٤)
مهما ترنم بالمديح متيم^(١٥)
ببريقها ويظنه لا يُحجم^(١٦)
ليرى الروائع بائداً يتهدم^(١٧)
فقدأ يشط^(١٨) به المزار ويندم^(١٩)
نصح الأمين وما عساه يقدم^(٢٠)

«المرء روح لا جسد»

واقرا كتاباً نصّدته^(١) مكاة^(٢)
صرح^(٣) ترصع بالبيان وما حوى
وهو افتراضة باحث متصلع

لنفض^(٤) ماغز^(٥) خافيات معظم^(٦)
إلا الحقيقة من رصين^(٧) يفتح^(٨)
تخذ الوثائق للجلد ترقيم^(٩)

- (١) تغير لونه من الخزال . (٢) المتب . (٣) الرجيل . (٤) بصير محالاً .
(٥) ينقطع : معنى البيت أن الرغدوم حيّاة من سعى إليه وغداة الرجيل يصير الوم محالاً وينقطع أمره .
(٦) نهاية . (٧) بناغرها . (٨) يكف . (٩) العاشق .
(١٠) التباعد بالرجيل . (١١) شيئاً يحميه ويدافع عنه . (١٢) يبعده .
(١٣) معنى البيت : من يقضى شيئاً في العالم فقدأ يبعد عن الدنيا الزائلة ويندم .
(١٤) رفق ولين . (١٥) جمته . (١٦) منزلة سامية .
(١٧) لينهى . (١٨) للتبس من الكلام . (١٩) مئز .
(٢٠) يسكت بالحجة والبرهان . (٢١) تضع النقط والحروف على الكلمات .

وَصَدَّ الْيَقِينَ عَنِ الْحَيَاةِ وَكَذِبَهَا^(١) وَلِنِعْمَ مِنْ أَسْمَى الْوُجُودِ مُقَدِّمٌ
تَبَيَّانُهُ فِي الرُّوحِ عِلْمٌ مُصْنَقٌ^(٢) مِمَّا أَحَقَّ^(٣) الْخَالِدُونَ وَأَعْطُوا
بِحَثِّ اتِّصَالِ الْخُلْدِ وَهُوَ مَغْلَفٌ^(٤) بَابِنِ الدِّقَاتِ^(٥) بِحُدُودِهِ عَهْدٌ مُبَرَّمٌ
أَهْدَى الْعُلُومِ نَفِيسٌ مَا يَسْمُو بِهَا مِنْ رَوْعٍ مَا نَشَرُ الْبَيَانَ الْمَفْعَمُ^(٦)
هِيَ شَعْلَةٌ مِنْ تَضَعِيَّاتٍ جَاهِدِ نَذَرَ الْعَزِيمَةِ لِلْحَقِيقَةِ تُنْظِمُ
نَمَّى^(٧) الرَّقِيمِ^(٨) لِنَسْتَنِيرِ بِصَائِرِهِ وَتَزُولُ غَاشِيَةٌ تُصِيرُ وَتَسْقُمُ

« فَالْمَرْءُ رُوحٌ شَفَّ لِاجْسَدِهِ يُرَى مِنْذَ اسْتَقَرَّ بَيْطُنُ أَمْرِ يُدْعَمُ^(٩)
وَالرُّوحُ يَلْقَى فِي الْجَنِينِ مَشِيئَةً مِنْ خَالِقِ الْأَكْوَانِ وَهُوَ يَنْظُمُ
وَالرُّوحُ أَصْلٌ لِلتَّوَاجِدِ خَالِدٌ مَسْرَاهُ^(١٠) عِلْمٌ شَامِلٌ . لَا ظَلَمَ^(١١)
مِنْ نَاجِزٍ^(١٢) أَوْ مُقْبِلٍ فِي عَمَقِهِ عِلْمُ الْعُلُومِ بِجِدَّةٍ لَا تَهْرَمُ^(١٣)
وَالْمُسْتَنِيرُ بِحِكْمَةٍ وَثِقَافَةٍ يَرْضَى التَّعَارُفَ بِالْخُلُودِ وَيُكْرِمُ
وَيَرَى السَّعَادَةَ أَنْ يَزُودَ مِنْ عَمَلٍ فَهْمِ الْحَقَائِقِ . وَالسَّمَاءِ تَعَلَّمَ
وَالرَّغَائِبِ يَسْتَجِيبُ ذَوُو النِّهْيِ فَالْعِلْمُ فِي دُنْيَا الْخُلُودِ مُتَمِّمٌ

(١) جوهرها . (٢) هل الحق . (٣) مستور عن الأعين . (٤) الإنسان في العالم .
(٥) الذي يطيب الجو بالمسك . (٦) لأنه جل . وأنه من جزئين بعد جزء واحد .
(٧) الكتاب . (٨) يسند لثلاث . (٩) حاضر . (١٠) الطالب : السهر .
(١١) صوره المستتر . (١٢) أي أن علم الروح هو علم العلوم وهو متجدد لا يهرم بمحنة .
(١٣) حاضر .

ولذلك قامت في الخلود منابرٌ تدلى بأقدس ما ينير ويفهم
وغدت دوافع الاتصال^(١) تآلفاً جذب المشاعر والصحاب ليُقدِّموا
من شاء يلجأ للخلود مسامراً أو مستزيداً فهم مالا يفهم
وتنادت الأجيال بالعلم الذي من « عالم الروح » استقام بكرم
وتخاطب الرواد من أقصى الدنا مع روح من في الخالدين وسلوا
وغداة التجسد^(٢) ، و« الظواهر »^(٣) غاية وأقيمت « الجلسات »^(٤) تحت رقابة
إذ أجمع النقاد ألا خدعة بين الظواهر . والمؤيد مُحكم

رسالتى

ورسالتى ديباجةٌ حَمَلَتْها « شوقاً » أطوف به الحى وأسلم
سجلتها متطوعاً ومهيماً بالروح أمل ، والوسيلة تُلهِم
ضممتها^(٥) بين الأحبة منطلقاً بالوحي والإلهام لا تلحم
وأرى سوانح^(٦) ذكرياتٍ قد مضت آبت لأسعدَ بالفتوح^(٧) وأنظِم
أحيا بها بين السُراة^(٨) منادماً من يحقن بالروح أو يترحم^(٩)

(١) الاتصال الروحي .

(٢، ٣) تجسد الأرواح والظواهر الوصلية .

(٤) الجلسات الروحية .

(٥) أى رسالتى .

(٨) عليه القوم .

(٦) القوس اللوائية .

(٩) يترحم على روحى .

(٧) جمع فتح وهو النصر

فأنا المتيّم بالنظيم مُنمّقاً واللّهة اشتعلت سعيّاً يُضرم^(١)
فهو العزاء إلى الحزين إذا نأى عنه التأسى . حين لا يتبسّم
وهو الحنان إذا الشجون تكاثفت وهو الصدوق إذا الأمور تُوزم
يا صحبُ إنا في الخلود منائر تجلو الطريق بصدق ماتتكم
نحيا بملكه التسامح ديننا حبّ طليق للعباد يُقسّم
أهواؤنا طيب السلام . أريجها من عبقها أرواحنا تنشم
فلنا الوداعة والسماحة مِنّة ما عاد فينا للطفنة مُخيم^(٢)
فيها الكرامة جوهر متألّى ومُكمل الأخلاق فينا ينعم
ويحوظنا إشعاع كل فضيلة ترضى العلى . حيث الوجوه تكرم

وهنا نعيش بلا خريف مُنفر بل إلى ربيع يانع تنعم
والكل في أوج الصبا متألّق حرّ . مع الإنصاف لا تنظّم
حزنا التضامن والوفاق سجيّة هيات يُخشى من شقاق يفقم^(٣)
وتألف الأرواح نعمة من هدى مادام ألف الروح لا يبرّم
إنا تخطينا المشارف^(٤) للعلّا حيث المدارك وعيها لا يفظم

(١) أى قد هاجى حبّ نظام الشعر المنسق .
(٢) مكان إقامة . (٣) يهتد . (٤) أعاليها .

لنعب^(١) من نبيع المعارف حكمة ففى المناسال لعالم يستكرم^(٢)
فالخلد أرتاب^(٣) بساحة مؤمن ماعاش فيها سغب أو صوم
كل الرغائب تستجاب لفرها فالروح فى العلياء شىء قيم

من شاء حباً كالملائك طاهراً يرتاد وزداً دون باغ ينقم^(٤)
وبفيض حى قد بعثت خواطرى ترضى الأريب^(٥) ومن يتوق ويعلم
فالحب بين الخالدين رسالة تهدى الرفاق لكى يفىق النوم
وأنا أحذر من عنيد مدع يبدى الظنون إزاء ما أنكم
وأقول بالإشفاق لست موارباً^(٦) عبر الأثر لمن عصى يفهم
إن الخلود تكشفت أسرارها تهب الشفاء أو العزاء لمن رموا^(٧)
وتناشد الأحياء أن يتبصروا فى يقظة الأفهام كى لا يندموا
يرضون بالإعلام بمن أيقنوا أن الرجاء يغيب عن يعلم
فالأم يختال المكابر لاهفاً ليرد من يهوى الخلود ويصدم؟

أرأيت الفياض

يا لوعة الأحياء عن أرجفوا^(٨) بجهالة ضد الخلود وأقسموا

(١) للهرب . (٢) يختار الكرام . (٣) تمر ناسج . (٤) يحقد .
(٥) الماهر . (٦) عظاما . (٧) لمن رماهم الدهر بالحزن والمرض . (٨) كذبوا .

فاحذر مشار العي^(١) فيمن نددوا بالخالدين وبالشكوك تزعموا^(٢)
 وارهب مآل^(٣) المارقين إذا اقروا واسترخصوا الروح الكريم وحطموا
 هيئات فيهم من يفيق^(٤) ومن يعي ما السدة العليا^(٥) . أو ما تنعم
 فإذا رأيت الصابنين^(٦) بضلة^(٧) وعداءهم للخلد . أو من أسهموا^(٨)
 قل أزم^(٩) الجهل المسيطر في النهى^(١٠) ليظيل رقة شارد لا يفهم
 والنساب في الأقوام ينفت فرية إن الحياة هي الأواخر فانعموا^(١١)
 فتناثر الرواد في غنم^(١٢) الهوى واستسلم المنساق وهو يغنم^(١٣)

ظنوا الحياة بحرفها^(١٤) ومتاعها حد التواجد والغياب^(١٥) يعقم^(١٦)
 فتناجزوا^(١٧) كل يراد غية^(١٨) ويفض^(١٩) غالى العمر فيه ويظلم
 والناسق كل كالسليب^(٢٠) مهترأ^(٢١) فبدت أراجيف الغباء تترجم
 وأغار داعية^(٢٢) الشكوك بحسرة ينعي الرغائب، فاستشاط المفحم^(٢٣)
 وبفرية الآفاك^(٢٤) قامت غصة^(٢٥) تذرى بحبات القلوب وترجم

- (١) منح الضلال . (٢) شهروا بالقيء وأذاعوه بين الناس كذباً . (٣) معبر .
 (٤) باب السماء . (٥) أى الخارجين عن الدين . (٦) صفة من ضل .
 (٧) ج. لوا لهم أسهما فيه . (٨) طال عليه الزمن . (٩) القول .
 (١٠) معنى البيت أن الجهل المنساب في الناس يقول إن الدنيا هي آخر الحياة ولا شيء بعدها .
 (١١) ظلمة . (١٢) يتم قول مبهم . (١٣) السال من فنة وورق وفيرهما .
 (١٤) القبر . (١٥) يسكت . (١٦) تقائلوا . (١٧) ضلاله . (١٨) يهدم .
 (١٩) المستلب العقل . (٢٠) يسب بالقول الباطل . (٢١) سبب .
 (٢٢) الذى أسكت بالحجة في خصومة . (٢٣) الكنوب . (٢٤) ثم وجرن .

والجهل يعطبُ مَنْ يَصِيبُ باغوه^(١) من نُخْزِيَّاتٍ قد تعوق وتُحْطِمُ
ويُهَيِّجُ مَنْ نَزَقَ^(٢) الملوِّع في الدُّنَا^(٣) يَرْجَى المحبَّبَ للهِبَاءِ^(٤) يُهَشِّمُ
أَوْ من الشَّظَفِ^(٥) الملاحق للوَرَى مِنْ لَغَا^(٦) : أَلَا خُلُودًا يُدْعَمُ^(٧)
رَجْمٌ عَمَّا لَا يَعْلَمُونَ . وما وَعَوَا مَا يَسْتَبِينَ إِذَا الْوَجْوه تَأَنَّمُ^(٨)

*** الروح أَسَى للتواجد

يا صابرين على الشكوك وضيرها^(٩) خُسْرٌ^(١٠) أَعْمَرِي مَا يُضِيرُ وَيَهْدِمُ
خطوا الدعاة الراسمين على سَدَى^(١١) واصغروا لدعوة راسخ يتكلم
المرء يقتحم الحياة بروحه ولها امتدادٌ في الخلود منظمٌ
والخالد إرثٌ للضنين بنصها^(١٢) وهي التي يشقى بها أَوْ يُرَحِّمُ
والمرء روحٌ لا مناص لجمدها^(١٣) فخذوا الحقيقة منهجاً يتقوّم^(١٤)
والروح أَسَى للتواجد أصلها من عُنُقٍ ما قال الإله تنسموا^(١٥)
هيبات تفتى . . بل تهيم لأبدٍ فإلى جحيم أو نعيم يُقَسَّمُ
والمرء لا يلقى ازدهاراً دونها فهي الصبا تحي الرميم^(١٦) فيعظم
وهي التي يرجو النعيم لسعدها فإذا المنال لها تَأْتَى تَسَامُ

(١) الكلام بدون تفكير . (٢) طيش . (٣) الذي أعياء حب الدنيا . (٤) القدم . (٥) الضيق والعدة . (٦) قال لنوا . (٧) يستند بالآخرة وبالبرهان . (٨) ساعة الموت تلم الوجوه . (٩) ما يضير منها . (١٠) خسارة . (١١) على هباء . (١٢) برلفتها . (١٣) لنكراتها . (١٤) يستدل . (١٥) أي أن الروح هي أصل الوجود ، ومن النسبة من الإله تعالى . (١٦) البالي .

وتجوبُ في الآفاق إذ يصفو لها ما أحرزت من سلسلٍ^(١) لا يُفصمُ
فإذا نأى عنها النعيم تدهورت وعلى مسالكها الذميمة تنقمُ

يا غافلين عن الخلود ومُلْكِهِ ما العيش في الدنيا مآلٌ يَحْتَمُ
فابغوا الرجاء على امتدادِ نوالكم في الخلد إذ يبقى الفِعالُ القيمُ^(٢)
فهنالك في أوج العلاء رغبةٌ هي كلُّ ما وهب الإله الأكرم
ونوالها وقفٌ على من أيقنوا كُتَّة الخلود فأيدوا واسترحوا
وتعلقوا في حكمةٍ برقيهم إن هم سَعَوْا لرحابها وتقدموا
هي روضة الأنوار في أهبائها يرتادها من للرضى^(٣) يتدوم^(٤)
فن استقام على الرشاد مقدراً للجوهر الخلاب فهو الضيغمُ^(٥)

إلى مساجد

يا قائمين على المدارك والحجى من يستبين الحق لا يبرمُ
فإلى مساجدٍ لتقنعَ باحثاً عن مهربٍ مما يثير ويُصمُ^(٦)
هذا الذي يهوى الحياة . يحبها ! فيمَ التواجد ؟ ثم فيمَ نُسدُّمُ^(٧)

(١) الماء العذب . (٢) معنى البيت : ابغوا أن تنالوا الرجاء في الخلد حيث تبقى الأفعال الطيبة .

(٣) رضاء الإله . (٤) يلتفت . (٥) الشجاع ، القوى .

(٦) تصبغ وانحنا كريمة بالموت .

(٧) وهو الاعتقاد بأن الموت نناء .

فِيمَ الْحَيَاةِ بَرُوضُهَا وَوَرُودُهَا ؟ وَالْحُبُّ يَحُلُو لِلْعِبَادِ فَيَنْعَمُوا
ثُمَّ التَّائُرُ فِي الْحَفَائِرِ وَالثَّرَى لِيَحْدَثَ مِنْ أَصْلِ الْحَيَاةِ وَيَقْضُمَ ^(١) ؟
أَهْدَى الْجَمَالَ إِلَى الْخَلِيقَةِ فَاشْرَأَ حُلَّ السَّنَا اللَّالَاءِ . ثُمَّ يَحْرَمُ ؟

فِيمَ سَعَى الْمُعْتَدِ ^(٢) فِي خِيَلَانِهِ ^(٣) وَجَلَالُهُ بَعْدَ الرُّوَاهِ يُحْطَمُ ؟
فِيمَ التَّنَافُسِ فِي الْحَيَاةِ بَرُوتِي وَكَأَنَّمَا رَقَشَ ^(٤) الْجَلَالُ مَعْلَمُ ؟
وَرَوَائِعُ الْمَمْشُوقِ مِنْ أَقْدَادِنَا تَمْشِي الْهَوِينَا . لِلْفَنَاءِ تَلَقُّمُ ^(٥) ؟
هَذَا رِييحَ الْعَمْرِ يَمْثُلُ فَيَنْتَه ^(٦) يَحْدُو شَبَابَ النَّاسِ بَعْدَ لِيهِرْمُوا ؟
وَيَعُودُ طَبْعَ الْمَوْتِ وَهُوَ مَجَازِفٌ يَلْقَى بِقَارَعَةٍ ^(٧) تُضْمِمْ ^(٨) وَتَهْدِمْ ؟
فِيمَ انْتِشَارِ النُّورِ لِلْعَيْنِ الَّتِي بَعْدَ اجْتِلَاءٍ فِي الْغِيَابِ ^(٩) تُظَلِّمْ ؟

فِيمَ الْمَعَارِفِ تَسْتَقِيمُ لَذَى هُدًى وَالْعَقْلُ يَأْتِي الْمَعْجَزَاتِ وَيَنْظُمُ ؟
وَيَنَاطِحُ الْعَلِيَاءِ يَكْشِفُ غُمْضَهَا ^(١٠) بِالْعِلْمِ وَالتَّمْهِيصِ وَهُوَ يَمِمْ ؟
وَيَلَا حَقَّ الْجُوزَاءِ فِي أَطْوَارِهَا فِي لَهْفَةِ السَّبَّاقِ لَا يَتَجَمِّمُ ؟
فَكَأَنَّمَا مَلَكُ الزَّمَانِ إِذَا اعْتَلَى مَتْنُ الْفَضَاءِ يَجُولُ فِيهِ وَيَزُغَمُ ^(١١) ؟

(٣) محبه وتكبره .

(٦) حيناً وبساعة .

(٩) ظلمات القبر .

(٢) المتأنق .

(٥) تدفع إلى قيم الفناء .

(٨) فظلم .

(١١) يسود .

(١) يقصف العمر .

(٤) زين .

(٧) داهية .

(١٠) خاليها .

وَيَنَالُ أَطْيَافَ السَّمَاءِ كَوَاعِباً^(١) يَنسَقْنَ لِلْأَحْضَانِ وَهُوَ يَحُومُ^(٢)
 فِيغَافِلُ الرُّقَبَاءَ فِي أَهْوَاءِهِ يُبْدِي الْغَرَامَ لَتَسْتَجِيبَ الْأَنْجَمُ
 وَيُودَ لَوْ يُلْقَى الرِّحَالَ بِقَرَبِهَا فِي مَرْتَعِ الْأَفَارِ وَهِيَ تَسْلُمُ^(٣) ا
 حِلْمٌ يَشَاءُ لَوْ اسْتَحَالَ^(٤) حَقِيقَةً فَهُوَ الْمَتَّيْمُ بِالْفَضَاءِ الْمَغْرَمُ
 وَيَفِيقُ مِنْ أَحْلَامِهِ مَرْنَحاً وَيَغِيبُ مَا لَقَاهُ وَهُوَ يَهُومُ^(٥)
 لِيَعُودَ بِالنَّصْرِ الْحَقِّ شَافِئاً بِالرِّى غُلَّةً^(٦) سَائِلٍ يَسْتَعْلِمُ

هَذَا الَّذِي جَاءَ الْخَوَارِقُ^(٧) عِلْمُهُ لِيَزُودَ الْأَجْيَالُ مِنْهُ وَيُطْعِمُ
 قَدَرٌ تَوَافِيهِ الْمَنُونُ^(٨) بِمَنْجِلٍ يَأْتِي عَلَى لَحْوَى الْوُجُودِ وَيَكْلُمُ^(٩)
 وَيُفْوِصُ ضَوْءَ الْعِلْمِ فِي عُمُقِ الدَّجَى بَعْدَ اسْتَفَاضَةِ نِيرَاتِهِ تُنْظِمُ ؟
 يَا قَاتِلَ اللَّهِ الشُّكُوكِ وَوَهْمِهَا فَالْتِيهِ فِي رَيْبٍ^(١٠) مَرَادٌ عِلْمُ ا
 يُبْدِي هَوَاجِسَ بَائِسٍ وَطَيَّءِ الثَّرَى وَهُوَ الْحَقُودُ الْخَاسِرُ الْمُسْتَشْتِمُ
 يَنْعِيهِ الْوُجُودُ بِمَا حَوَى مِنْ زَائِفٍ يُذَرِّى الْخَلَائِقَ لِلْحَفِيرِ وَيُرْدِمُ

(١) حسناً

(٢) يحوم

(٣) تسلم

(٤) استحال

(٥) يحوم حولها

(٦) يعيل رأسه من النوم

(٧) ما فوق العادي

(٨) يجرخ

(٩) ظنون

فتراه يرتقب المجير يُعيذه من حيرة المتاع وهو مُسَمِّمٌ
لينير بالإعلام كل بصيرة ويهدي الروح المُتَّارَ ويُفهِم
ويقدم البرهان أن بعد النوى^(١) عيش يطمئن نازحاً يتألم
عيش عجاب في الخلود كأنه أسطورة تحتاج^(٢) ما يتوسم

يا نادب الدنيا

يا نادب الدنيا وسنح بهاها لست الملوّم بما عسى تبرّم
فإذا عددت جمالها مُستَحْسِنًا طول الإقامة . دون فضي^(٣) يُعَدِّمُ
وإذا شجاك الحسن في أوصافها ولناظريك ريعها يترسم
ورأيت نهجك^(٤) يستظل بدوحها تجنى الورود وتستهم وتنعّم
وإذا رأيت الشمس في إشراقه تهديك دفناً للحياة يقوم^(٥)
وعشقت طيب الأمسيات بروحها إن أقر الليل البهيم المقيم^(٦)
ولو أن موفور الجمال بسحره مزّ لمشاعر ثم راح يُنغم
والروض أزهر والطيور تراقت والصفو أذق ما يُرام ويُغنم
ورأيت سيال المباحج دافقاً والبال بالعيش المحب ينعم
ومنايع الإسعاد باتت مرتعاً تفرى المدلّة والمشوق وتنعّم

(١) التباعد .

(٢) مسك .

(٣) تمحو .

(٤) يميل للحياة لينة .

(٥) موث .

(٦) الشدهد السواد .

وودتَ عيشاً سرمداً برحابها يرسي الأمان بما يحق وينقسم^(١)
هذى لعمري متعة وقادة^(٢) لمن اتقى ومن المآثم ينقسم^(٣)
وهي المنال إذا البصائر نُورَتْ في روضة الأبرار يوم تُقدم^(٤)

فإنه إذ خلق الجمال لعالم^(٥) يَبْقَى لِجَدِّ حَيْثُ طَابَ الْمَغْنَمُ
مترقفاً يُبْقَى نَصِيحاً فَائِقاً في العالم الأسى لروح تُرْحَمُ
فتراه مدّاً للصميم المرتجى وهو النعيم الخالد . والبَلَسُ
ليرى الجمال وقد تسرَّدَ دُرَّةً^(٦) فوق المدارك حيث قام العَلَمُ^(٧)
حقاً لمن يرقى الخلود إذا سمعت كل الميول وقد شجاء الأفرام^(٨)
فإذا توصل واستراح لما ارتأى وجد الجمال حقيقة لا تُفصَمُ^(٩)
فوحق من نشر الخلود لأبدٍ سيفيق في مَسْرَاهِ لا يَتَوَهَّمُ
ويلوذ بالفضفاض^(١٠) من أزيائه^(١١) حيث الرغيد من الهناء مَعَمَمُ^(١٢)

أما إذا استخزى^(١٣) الزنيم^(١٤) بفعله وانحط للرتب الدنيئة يلطم^(١٥)

-
- (١) أى أن طلب النعمة المغيثة حق لمن عصم نفسه من المآثم .
(٢) وهي العطية التي تمنح له في عالم الروح .
(٣) تنافس لؤلؤه بانتظام .
(٤) ما يستدل به على الطريق .
(٥) الأفضل من الأمور .
(٦) لا يكسر ولا تصدع .
(٧) الواسم من العيش .
(٨) عام ومنقهر .
(٩) عام ومنقهر .
(١٠) صار عنده خزي .
(١١) التميم .
(١٢) الواسم من العيش .
(١٣) استخزى .
(١٤) الزنيم .
(١٥) يلطم .

ميهات يلبح في الخلود ملاحه^(١) قصيره حيث الفللام المعتم
 في غبشة^(٢) الليل البهيم سينطوى حيث السعير بلاذعات يدهم^(٣)
 وإذا استغاث فلا مراحم ترتجى بل رادعات تستفز وتلجم^(٤)
 ويحوطه الإعياء وهو مقلب^(٥) في لجة^(٦) الدخان^(٧) حيث جهنم ..
 أحمد شوقي

راجع في الجزء الاول عدداً وفيراً من أشعار روح أمير الشعراء مع رأى العلم
 والأدب فيها (ص ٥٢٥ إلى ٦٠٢) .

(١) ظلة .

(٢) يسود .

(٣) تصده وتمنعه من الاستغاثه .

(٤) عظيم الماء .

(٥) في جلسة روحية بالقاهرة جاريخ ١٢ أغسطس سنة ١٩٦٥ سألنا أمير الشعراء في شأن معنى هذا البيت عما إذا كان يوجد سعير ودخان حقيقيان في بعض الناطق القير السعيدة من عوالم ما وراء المادة فأجاب قائلاً إن الأرواح لا تعرف بعد كل شيء وأنها لم تبعث من مستوى معلوماتنا كثيراً ، وأنه استعمل لفظي السعير والدخان بنفس دلالتيهما في الكتب السماوية لا أكثر ولا أقل . كما أشار بإضافة هذا التصرح دفماً لأي لبس .

الإنسان روح لا جسد

بَحْثٌ فِي الْعِلْمِ الرُّوحِيِّ الْحَدِيثِ

مقدمة الجزء الثاني

تضمن الجزء الأول من المؤلف الحالى عدة موضوعات متنوعة وردت موزعة على خمسة أبواب منه على الوجه الآتى : -

- باب تمهيدى : فى علم الروح بين أنصاره ومناوئيه .
- الباب الأول : بحالة عن الروح عند الأقدمين .
- الباب الثانى : فى نشأة العلم الروحى الحديث .
- الباب الثالث : فى بعض الأسماء والمراجع فيه .
- الباب الرابع : فى بعض البينات والوقائع .

أما هذا الجزء الثانى فيتضمن معالجة موضوعات أخرى يغلب عليها الجانبان النظرى والفلسفى فى البحث ، لأنها موضوعات تروغ فى جوهرها من الحس المادى ، فلا تخضع له إلا من زاوية ثبوت أجزاء كثيرة منها عن طريق تحقيق الظواهر الوسطية التى عرضنا لها فى الجزء الأول ، كما عرضنا لعدد وافر من أفضل ، الأسماء والمراجع ، الخاصة بالعلماء وبالمبنيات التى قامت بتحقيقها ، وبالاقتناع بدلائلها فى الإنهاء عن دوام حياة الإنسان بعد موت جسده المادى .

ولا يمكن بداهة الفصل التام بين النواحي الفلسفية والنظرية لعلم الروح الحديث من جانب ونواحيه العملية من جانب آخر ، لأن طبيعة هذا النوع من البحث أنه عبارة عن مزيج من تجارب عملية ومن نظريات رياضية (٢٠ - الإنسان روح : ج ٢)

وفلسفية متماسكة معاً ، بحيث يتعذر فصل كل ناحية منها عن الأخرى ، كما يتعذر فصل زوايا المبنى الواحد بعضها عن البعض الآخر وإلا انهار البناء ، أو بالأقل ظهر ناقصاً مبتوراً .

ومن ثم كان هذا الجزء الثانى مكمل للجزء الأول ومتضامناً معه تضامناً وثيقاً ، لأن هذا الأخير هو بمثابة المقدمة العلمية والعملية التى تقود إلى نتائج فلسفية معينة تكفل بعرضها وبشرحها هذا الجزء الثانى . وارتباط المقدمات بنتائجها المحتومة ارتباطاً منطقياً ليس لحسب قانوناً من القوانين العامة للطبيعة ، بل إنه أيضاً أمر لازم للحكم على مدى صحة أية نظرية علمية أو أية حقيقة فلسفية ، مهما كان مداها فى وضوح مقدماتها ونتائجها .

* * *

- وفى هذا الجزء الثانى نجد لزوماً علينا أن نعالج ابتداء موضوع «موقع ، عالم الروح ، فهذا «الموقع ، هو السند العلى لعلم الروح كله ، وخلاصة ما أسفرت عنه بحوثه عندما أريد الربط بينها وبين حقائق الفيزياء الحديثة .

- كما ينبغي أن نعرض لموضوع أسلوب الحياة فى عالم ما بعد المادة ، وستعطى عناية خاصة لعالم «المستوى الثالث ، الذى اصطلاح الباحثون على أنه مقر الأرواح الطيبة من سكان المستوى الأرضى ، وذلك لأن أسلوب الحياة هناك يهم إلى أقصى مدى كل إنسان يبحث من الآن عن معرفة شئ عن وطنه المستقبل ، أو أرض المهجر المحتوم لمن يعد نفسه لها منذ الآن .

- وهذا الموضوع الأخير يتطرق بنا حتماً إلى الكلام فى مشكلة الثواب والعقاب فى ضوء النظرية الوضعية التى أسفرت عنها البحوث العلمية فى الروح ، وستكون محور هذا البحث تجارب الفيلسوف الفرنسى آلان كاردك ، إذ هو فى تقديرنا أفضل من عالج هذا الموضوع بطريقة موضوعية منظمة واضحة بين كل بجائه فى البلاد ذات الثقافة اللاتينية .

- ثم نجد أنفسنا مدفوعين بعد ذلك بالضرورة إلى الكلام فى بعض

المشكلات الفلسفية الوثيقة الصلة بالتكوين النفسى والروحى للإنسان .
ومنها بوجه خاص مشكلات « الإيمان بالله وبالخلود ، و « الخلق والضمير ،
و « الموت والالم ، . ولن يكون الكلام فيها من زاوية علم الروح وحده ،
بل من بعض زواياها الفلسفية العامة ، بقدر اتصالها بالفلسفة الروحية
وبآراء بعض الباحثين الروحيين الذين قد تعينهم بوجه خاص هذه الزوايا
الفلسفية - وما أكثرها - وما أكثر تشعب أرجائها ... وما أوثقها
صلة بالإنسان فى عوامل سعادته وشقائه فى الدارين معاً .

- ومن الموضوعات الفلسفية التى يثيرها البحث الحديث فى الروح
موضوع هام من حقه أن يشغل بال الكثيرين ، وهو مدى صلة هذا البحث
بالاعتقاد الدينى بوجه عام ، ومدى إمكان التوفيق بينه وبين الأديان المختلفة
من ناحية التعاليم الخلقية السامية التى تتأدى بها والنتائج التى وصل هذا
البحث إليها . فهذا جانب نظرى ينبغى أن ينال أيضاً نصيبه من العناية
كما يلبس القارىء بنفسه كيف نجمع هذا البحث فى التوفيق بين العلم والدين ،
إلى المدى الذى عجزت عنه معارف الإنسان عندما كانت فى مهدها ، وقبل أن
تعرف طريقها إلى هذا النوع الحديث من البحث بأساليب علمية مستنيرة .
- كما نرى أن نخصص باباً ختامياً للكلام فى علم الروح بين حاضره
ومستقبله ، نبين فيه بوجه عام أهم ما قد يكتنف طريقه من عقبات ، ومن
عوامل الأمل والرجاء فى مستقبل أكثر ازدهاراً سواء فى بلادنا أم فى
الخارج .

وعلى ذلك نرى أن نعالج فى هذا الجزء الثانى ستة موضوعات أساسية
موزعة على ستة أبواب على النحو الآتى :-

- الباب الأول : فى موقع عالم الروح .
- الباب الثانى : فى أسلوب الحياة فيه .
- الباب الثالث : فى الثواب والعقاب .

الباب الرابع : في بعض المشكلات الفلسفية الأخرى التي يعالجها هذا العلم .

الباب الخامس : في الروح بين العلم والاعتقاد .

باب ختامي : في علم الروح بين حاضره ومستقبله .

وبذلك نرجو بعد الفراغ من قراءة الجزئين معاً أن يكون القارئ العزيز قد كون اقتناعاً مترابطاً لصالح هذا البحث في مقدماته ونتائجه معاً ، اقتناعاً كفيلاً بأن يبعث في نفسه الكثير من الطمأنينة والعزاء ، وكفيلاً بأن يدفعه إلى مواصلة الاطلاع فيه إذا انس في نفسه الرغبة في المزيد من الاطلاع ، واثقاً أنه إنما يطلع في أخطر موضوع يشغل بال أفئدة الفلاسفة والعلماء في العالم أجمع منذ قرن وربع لأنه أوثق الموضوعات صلةً بمشكلة الإنسان وبمشكلاته ، وبصحيح رسالته في الحياة ، وعرضه منها من جانب ، ولأنه من جانب آخر أصبح أوثق العلوم صلةً بعدد كبير من العلوم الأخرى كالفلك والفيزياء والرياضة والنفس والأخلاق والفسولوجيا والبيولوجيا وغيرها .

ولا يسعني إلا أن أكرر شكرى لروح أحمد شوقي شاعر العروبة الخالد — ذكرى وشعراً — والذي تفضل فبعث إلى جهدى المتواضع عدة رسائل شعرية غنية بأسباب المؤازرة والتشجيع .

— وقد نشرت الأولى في تصدير الجزء الأول من هذا المؤلف .

— ونشرت الثانية والثالثة في الفصل الخامس بعرض الهيئة المستعمدة من قصائده العديدة التي بعث بها من هناك (الفصل الحادى عشر من الباب الرابع منه) .

— ونشرت الرابعة في تصدير هذا الجزء الثانى .

كأنى يشوق العظيم ، شاعر ، تماماً بما فى قصائده المعصاه — التى تعمى على أية مجازاة أو محاولة تقليد — من قيمة إقناعية لمن يريد أن يقتنع بطريقة موضوعية محايدة ، خصوصاً متى جاءت عن طريق وسيطة كريمة هى عقيلة طبيب فاضل لا صلة لها بالعروض والقوافى ، ولا بمجاهل اللغة الفصحى وأسرارها . وذلك بجانب قيمتها الأدبية فى تأييد الحركة الروحية وإعلاء شأنها ، إلى جانب إبداء شوقى مشاعره النبيلة التى كان يحيش بها قلبه الكبير عندما كان يعيش بين ظهرانينا ، علماً فى البلاغة لا يبارى . وهيات لصاحب هذا الينبوع الطاهر ، المتدفق شعراً عذباً وشعوراً نبيلاً ، أن يتوقف أو أن ينضب معينه بعد إذ انتقل إلى عالم هو فى حقيقته عالم للشعر الراقى وللشعور الكريم ...

كما أكرر شكرى إلى الدكتور الفاضل سلامة سعد ، الذى وهب حياته لخدمة الحركة الروحية فى هدوء تام وإنكار الذات ، وللوسيلة المحترمة السيدة فريضة التى أدت — مضحية متطوعة — أجل خدمة للبحث الروحي . وهما يجاهدان غير مهتئين من أحد جزاء ولا شكوراً عما يتحملانه معاً من مشقة ومن عناء بالغين فى سبيل القيام برسالتيهما النبيلة فى الحياة ، وإلى لا يقدر قيمتها الحقيقية سوى الراسخين فى المعرفة ، والباحثين الجادين عن الحقائق العلية .

والآن فلنتقل إلى معالجة موضوعات هذا الجزء الثانى مستلهمين الله تعالى العون والتوفيق .

موفق سعيد

الباب الأول

في موقع عالم الروح

نمريه

إذا كان الإيمان بالروح - ويامكان الاتصال بها - قديماً قدم الحياة الإنسانية - فإن العلم الروحي الحديث هو الذي تكفل وحده بتحديد موقع عالم الروح ، هذا العالم الذي كان يجهل الإنسان موضعه وكان البعض يظن أنه فوق بعض الكواكب ، فبين العلم الحديث أنه يقع في الفضاء الكوني غير المحدود الذي يشغل نفس الحيز الذي تشغله جميع الكواكب والنجوم ، بما في ذلك هذا الكوكب التافه الذي نعيش فوقه . فاكسب عالم الروح اتساعاً رهيباً ، وأصبح من المسلم به أن رتب الوجود المختلفة قد تتداخل فيما بينها فتشغل نفس الحيز من الفراغ ، بعد إذ فقد الفراغ معناه القديم وأصبح يشير إلى مجرد عجز منا عن الإحساس بجانب ضخم من مظاهر الوجود الكوني ، حين أصبح عالم المادة يشير إلى القدرة على الإحساس بجانب ضئيل منها لحسب .

وفيما يلي سنعرض للكلام في موقع عالم الروح مبينين كيف نجح العلم الروحي الحديث في تحديد هذا الموقع ، وبالتالي في إثبات دوام الحياة بعد النخل عن الأجساد الترابية ، مما أزال إلى حد كبير رهبة الموت عند الباحثين في الروح ، إذ أعطاه معنى من الانتقال إلى عالم أفضل بدلاً من معنى الرقاد في القبر أو التلاشي هباء منثوراً .

ولاريب أن أول سؤال يخطر على بال الباحث في الروح هو أين يقع عالم الروح ، هذا ؟ ... وعندما كانت معارف الإنسان محدودة لاتعرف كيف تجيب على هذا السؤال كان من حق الإنسان الذي يريد إيماناً مؤسساً على

اليقين العلى أن يتشكك في وجود عالم للروح ، وأن ينكر بالتالى الخلود ويتصور أن الموت - بمعنى التلاشى - هو النهاية المحتومة لكل كائن حى . وما تمكنت المدارس المادية من أفقده الناس إلا عندما كانت عقولهم لا تعرف لعالم الروح هذا مكاناً . إذ كان من المفهوم عندهم أن هذا المكان ينبغى أن يكون عبارة عن موقع جغرافى بحت أشبه ما يكون بموقع أية قارة من القارات بالنسبة لزميلاتها .

والسبب فى ذلك هو أن فهم فكرة المكان - ومثلها الزمان - ظل محدوداً جداً - أو بالأدق معدوماً - قبل أن تظهر المادة الصلبة على حقيقتها فى كشوف الفيزياء الحديثة بوصفها تمثل مجرد رتبة معينة فى اهتزاز الأثير لا أكثر ولا أقل . وقبل أن تظهر معادلات علماء الرياضة الكبار - وبخاصة أينشتاين - فيما تضىء السبيل أمام فهم أصح لفكرتى المكان والزمان معاً .

وقد كان هذا الفهم الجديد المؤسس على حقائق رياضية صرف هو الأمر الذى يسر - علباً - اكتشاف عالم الروح من ناحية موقعه بوصفه هو الآخر رتبة معينة من رتب اهتزاز الأثير ، تتجاوز فى ارتفاعها رتبة اهتزاز الكون المادى . ومع مراعاة أن اقوى صور الاقتناع هو الاقتناع الرياضى ، أى المؤسس على حقائق رياضية غير حسية لأن الحواس البشرية كما سبق أن قلنا مراراً قاصرة قصوراً رهيباً ، ولا تكاد تدرك شيئاً يذكر من حقائق الكون ، فهى تخون الإنسان وتخدعه خداعاً مروعاً فى كل كبيرة وصغيرة من هذه الحقائق .

وهكذا كان الفهم الخاطى لحقيقة المادة الصلبة فى الماضى عقبة كئوداً تقف فى طريق التسليم بوجود عالم للروح ، لأن المادة كانت هى البدأة وهى النهاية فى نظر علوم المادة . أما عندما فهمت حقيقة المادة الصلبة فهماً صحيحاً بوصفها مجرد كمارب فى رتبة اهتزاز معينة ، فقد أصبح هذا

الفهم الصحيح هو بذاته مصدراً للاقتناع بوجود عالم للروح يتولى تنظيم عملية اهتزاز المادة هذه ، كما يتولى الرطب بين كهاريها التي لا تربطها أية قوة من عالم المادة. وبالتالي لم تعد المادة الصلبة تصلح بداءة ولا نهاية، بل أصبحت لحسب مظهر أختارجياً لعالم آخر هو أصل هذه المادة ومبدعها . وأصبح معروفاً أن لكل جسم صلب جسم آخر أثيرى يربط بين كهاريه ويحافظ على تماسكها على ما سيل . وفي الجملة أصبح فهم المادة الصلبة على حقيقتها هو السبيل لاكتشاف موقع عالم الروح على حقيقته .

ولنستعمل في التعبير عن بعض هذه المعاني عبارات وليام ديورانت Will. Durant المفكر المعاصر (ولد في سنة ١٨٨٥) وهو يقول في الجزء الأول من « مباهج الفلسفة » ^(١) إن « عناصر الذرات التي تتحل تقنى تماماً وتفقد كل صفة للمادة، بما في ذلك الثقل وهو أكثر صفاتها الرئيسية ، ذلك أن الميزان يعجز عن وزنها ، ولا يستطيع شيء أن يعيدها إلى حالة المادة فقد اختفت في عظمة الأثير ... والحرارة والكهرباء والضوء إلى غير ذلك تمثل آخر مراحل المادة قبل اختفائها في الأثير . والمادة التي تتحل تخرج عن ماديتها بمرورها في حالات متتابعة تنتزع منها تدريجياً صفاتها المادية حتى تعود في النهاية إلى الأثير الذي لا يمكن وزنه ، ذلك الأثير الذي يبدو أنها نشأت عنه ... » .

أولاً فلنستعمل في التعبير عن بعض هذه المعاني عبارات الأستاذ عباس العقاد وهو يقول « إن المادة اليوم لا تصد المفكرين عن عالم الحقائق المجردة ولا هم يتخذون من صلابتها وجسامتها شرطاً للحقيقة الثابتة ، فإن الحقيقة المادية نفسها لا تثبت اليوم بمجرد الصلابة والجسامة ، ولا تزال ترتد إلى أصولها حتى تقول إلى عدد من الهزات في ميدان مجهول هو ميدان الأثير وميدان الفضاء . فالمادة في القرن العشرين قد اقتربت من عالم الفكر المجرد

بل دخلته واصبحت في تقدير الثقات عملية رياضية أو نسبة من النسب
التي تقاس بمعادلات الحساب، (١).

* * *

وكان هذا الفهم الرياضى الحديث — وهو الآن بديهية عليية — هو الذى
يسر لعلماء كبار فى الفيزياء والرياضة أن يصبحوا روجيين مطمئنين تماماً
إلى أن عالم الروح حقيقة رياضية قبل أن يكون كشفاً وساطياً، وإلى المدى
الذى حول بعضهم من ماديّين إلى روجيين دون ما حاجة لإجراء بحوث
خاصة فى تحقيق الظواهر الوسطية . ومنهم بوجه خاص أينشتين ورسل
وكومبتون وإدنجتون وغيرهم على ما سنوضحه فيما بعد .

ثم جاء دور علماء الروح وقد أمكنهم أن يربطوا ربطاً تاماً بين نتائج
اتصالاتهم بالأرواح ونتائج بحوث الفيزياء والرياضة الحديثتين هذه، بما تلقى
معه كل شبهة فى أنهم يحرون وراء سراب، أو يتعلقون بأوهام . ومن
ورائهم مجموعة من أرواح راقية — لأشخاص كانوا من علماء المادة الأرضيين —
فأخذوا يقيمون دعائم هذا الارتباط الوثيق بين الفيزياء والرياضة الحديثتين
من جانب، وبين ما يعلمونه هم من جانب آخر عن عالم الروح من ناحية موقعه،
وما يلمسونه بأنفسهم من ناحية أسلوب الحياة فيه .

وعن طريق هذه الجهود المشتركة من الجانبين معاً أمكن للعلم المادى أن يستسلم
ويسلم بعد لآى وطول عناء بوجود عالم للروح، وأن يثبت أنه هو العالم
الحقيقى الوحيد، وأن ما عداه عبارة عن عالم خارجى مظهرى Phenomenal
لأنه من صنع حواس مادية هى التى تشعر به وتسجل وجوده وتثقل هذا
التسجيل إلى عقولنا، أو بالأدق إلى أرواحنا عن طريق أجسادنا المادية الموقوفة
بطبيعتها، وبحكم نوايس حيوانية تحكمها كما تحكم أجساد الحيوان الأجم من

(١) « عقائد المسكرين فى القرن العشرين » ص ٥٢ .

بيولوجية وفسيولوجية ، بما فيها من قوانين للوراثة والانتخاب الطبيعي وبالتالي للتطور .

فلا عجب والأمر كذلك أن نجد أن أفضل علماء الفيزياء والمادة بوجه عام يتحولون الواحد بعد الآخر إلى روحيين . ولم تكن البينات الواسطية رغم تدققها الشديد لتنتج وحدها في ذلك إذا كانت مشكلة موقع عالم الروح قد ظلت قائمة بغير حل حتى الآن .

كما أمكن للعلم المادى أن يسلم بجواز تداخل المستويين المادى والروحى للوجود فيما يبدو حالياً موقفاً مشتركاً بينهما بالنظر إلى تفاوت رتبتى اهتزازهما ، لا فى طبيعتهما ، إذ أن كليهما يمثلان — فى نهاية المطاف — أثيراً يتذبذب فى رتبته المرسومة التى أرادتها له إرادة سامية من عند عزيز مقتدر . فأصبح بذلك تداخل المستويين المادى والروحى للوجود فى موقع واحد مشترك هو أشبه ما يكون بتداخل الجسدين المادى والروحى للإنسان بعد أن تبين أنهما يشغلان نفس الحيز من الفراغ ، ولكن تفاوت رتبتى اهتزازهما تفاوتاً شاسعاً جعل من أحدهما كائناً محسوساً منظوراً ، ومن ثانيهما كائناً غير محسوس ولا منظور ، وإن كان هو بذاته مصدراً للحس والنظر على ما يناه فى الجزء الأول (١) .

وإذا كان التخلّى عن الجسد المادى بالوفاة يكشف للحياة الجديدة عن وجود الجسد الروحى ويعطيه مظهره المادى فإنه يكشف فى نفس اللحظة عن المستوى الروحى للحياة الطبيعية ، ويعطيها نفس هذا المظهر الخاضع للنظر والإحساس .

وسنعالج ذلك فيما يلى — بإيجاز شديد — فى فصلين: نخصص أولهما لبيان كيف أن أوليات الفيزياء الحديثة حلت مشكلة «موقع عالم الروح» ، ونخصص ثانيهما لبيان كيف أن عالم الروح هذا متداخل مع عالم المادة ، وكيف أن هذا التداخل جائز بحسب هذه الأوليات نفسها .

الفصل الأول

أوليات الفيزياء الحديثة تحل مشكلة موقع عالم الروح

ما هو جدير بالذكر ابتداءً أنه على تعدد المؤلفات الروحية وتشعب نواحي البحث فيها - وظهور مدارس فلسفية واتجاهات نظرية متنوعة - شأن الروحية في ذلك شأن أى علم أو فن آخر - إلا أنها كلها ، وبغير استثناء أية واحدة منها ، قد التقت عند تحديد موقع عالم الروح بأنه مجرد رتبة من رتب الاهتزاز الكونى ، تحيط بنا من كل جانب دون أن نشعر بها لأن للدركات الحسية رتبة معينة فى المستوى الأرضى لا تتعدها ، وللدركات الروحية رتبة أخرى لا تتعدها ، فليس إذاً لعالم الروح من موقع جغرافى معين بل إن موقعه « اهتزازى » ، لحسب .

وفى هذا المعنى المؤلفات كثيرة والتفاصيل لا يتسع لعرضها باب من مؤلف خصصناه بحسب الأصل للاطلاع العام فى الموضوع برمته أكثر مما هو للإحاطة التفصيلية بأى جانب من جوانبه المتشعبة . لذا سنكتفى بالقدر الذى يمكن القارئ أن يعرف إجمالاً الإجابة على هذا التساؤل الهام وهو أين عالم الروح ؟ ، وذلك حتى يكمل بهذه الإجابة اقتناعه الذى نرجو أن تكون قد بنت بوادره بعد قراءة أبواب الجزء الأول التى لا نظن أنها شحيحة بالبيّنات .

فى طبيعة المادة الصلبة

من أوليات الفيزياء الحديثة أن جميع المواد الصلبة - أو بالأدق تلك التى تبدو لحواسنا صلبة - فى هذا الكون تتكون من مجموعة عناصر elements

يبلغ عددها تقريباً مائة عنصر وواحد^(١) . وتشكيل المواد يتواف على عدد العناصر الداخلة في تركيبها ، فهناك مواد مكونة من عنصر واحد وهناك مواد مكونة من عدة عناصر . والجزء هو وحدة المادة ، وهو ينقسم ويتفتت إلى ذرات متناهية في صغرها إلى أقصى مدى . والمادة التي تتكون من ذرة واحدة تسمى عنصراً ، أما تلك التي تتكون من أكثر من ذرة فتسمى مركباً . فمثلاً الأكسجين عنصر والهيدروجين عنصر آخر ، حين أن الماء يتكون من اتحاد هذين العنصرين ، فهو مركب ، وعدد وأنواع الذرات بسيط جداً لكنها تتكرر بأوضاع مختلفة .

فللمادة مهما اتخذت من أشكال خارجية هي في حقيقتها عبارة عن أحجار متماثلة . والأرض ، بأكلها وموادها التي لا تحصى ، تبدو لعلماء الطبيعة الحديثة عبارة عن بناء مقام بواسطة أحجار متشابهة . وبين العناصر المختلفة يوجد ١٤ عنصراً فقط تتكرر بكثرة في هذا البناء ، أما ما عداها فلا يظهر إلا نادراً . لذا يقول سير جينز إن اتحاد العناصر في الطبيعة أشبه ما يكون باتحاد ثلاثة ألوان في الطباعة لإنتاج جميع الألوان الموجودة في الطبيعة تقريباً ، علاوة على درجات متفاوتة غريبة لتلك الألوان لا توجد في الأرض ولا في السماء^(٢) . وجميع المواد الصلبة مكونة في نهاية المطاف من ذرات ، والذرات مكونة من الكتلونات وبروتونات . والذرة محيطة وفي قلبها نواة nucleus ويسمى في محيطها في مدارات محددة أجسام خفيفة جداً ذات شحنة كهربائية سالبة تسمى بالالكترونات أما نواتها فتتكون من بروتونات وهي أجسام

(١) كانت العناصر فيما مضى ٩٢ عنصراً ، ولكن تمكن العلماء في العشرين سنة الماضية من اكتشاف عناصر أخرى جديدة مثل البلوتونيوم والبروتونيوم والأمريسيوم وغيرها . والعناصر الثمانية لا تتجاوز ١٤ عنصراً ، أما ما عداها فهي عناصر نادرة جداً ولا يحتاج إليها الحياة على ما يقرره سير جيمس جينز James Jeans في مؤلفه « الكون من حولنا » The Universe Around Us . (طبعة ١ سنة ١٩٤٤ ص ١١٠) . وهذه العناصر المألوفة هي الهيدروجين والكربون والنيتروجين والأكسجين والصوديوم والمغنيزيوم والليثيوم والفوسفور والكبريت والكلورين والبوتاسيوم والكالسيوم والحديد .

(٢) المرجع السابق ص ٢١٠ .

ثقله نسبياً ذات شحنة كهربية موجبة . كما تتكون من نيوترونات neutrons . وهي متعادلة من الوجهة الكهربائية .

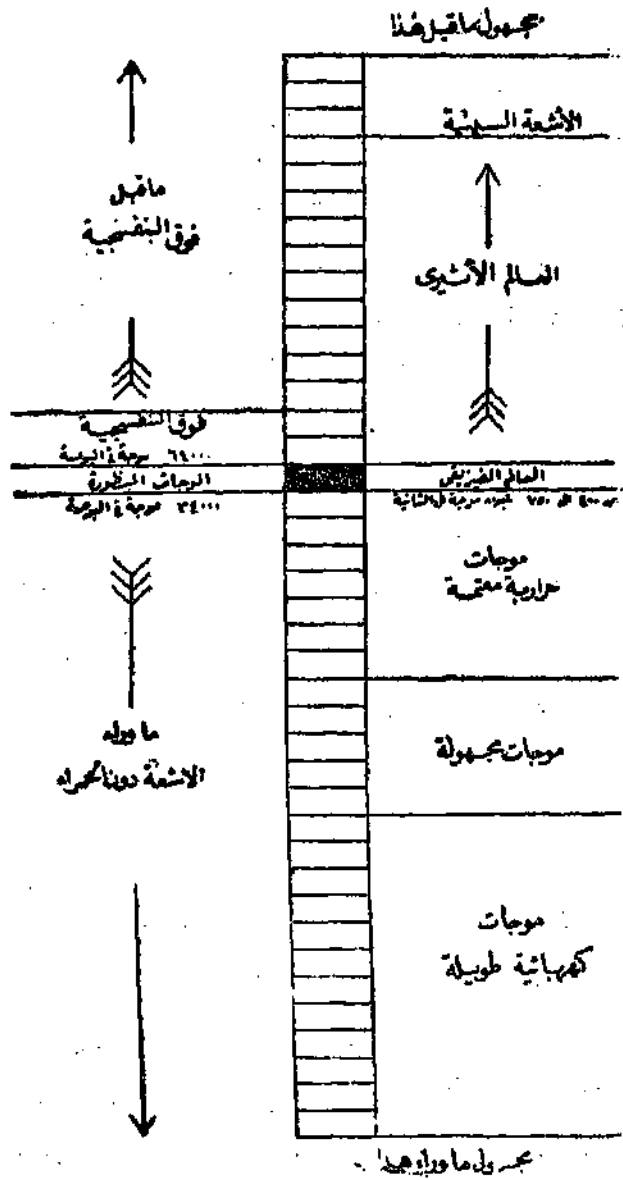
والبروتون يعادل وزن الالكترون ١٨٤٠ مرة ، ووزن الذرة يتوقف على وزن البروتونات التي تكونها . وقد عرف أن ذرة غاز الأيدروجين مثلاً تحتوى على الكترون واحد ، حين تحتوى ذرة غاز الهليوم على اثنين ، والأكسجين على ثمانية ، واليورانيوم على ٩٢ الكترونات ، وهي أثقل ذرة موجودة في الطبيعة . وخصائص الذرة تتوقف على الالكترونات . ويتساوى عددا الالكترونات التي تدور في محيط كل ذرة مع عدد البروتونات السكاملة في نواتها .

ويكون إحساسنا بالمادة عن طريق تأثير الالكترونات والبروتونات في حواسنا . فالإحساس بالمادة وصف للتعبير عن هذا التأثير فيها ، لأن البروتون والالكترون في النهايه جسمان كهربائيان متضادان في الشحنة ، فالبروتون موجب الشحنة حين أن الالكترون سالب الشحنة كما قلنا ، وهذا التأثير يحدث عن طريق الاهتزازات التي تثيرها في الأثير الالكترونات الأجسام الصلبة وبروتوناتها ، فتحدث بدورها تأثيرها في الالكترونات جسمونا وبروتوناتها .

في الاهتزاز أو التردد

والمادة الفيزيقية عبارة عن اهتزازات بين حدين ثابتين أمكن للعلم المادى تعيينهما . وهذه الاهتزازات التي تؤلف العالم الفيزيقي كله يتراوح مداها بين ٣٤٠٠٠ إلى ٦٤٠٠٠ موجة في البوصة الواحدة تمثل اهتزازات الطيف المنظور الذي يقع ما بين اهتزازات الأشعة دون الحمراء انخفاضاً والأشعة فوق البنفسجية ارتفاعاً . أما إذا أردنا القياس بسرعة الاهتزاز في الثانية — لا بطول الموجة في البوصة — فإن العالم الفيزيقي يتراوح بين ٧٥٠ بليون ذبذبة في الثانية و ٤٠٠ بليون ذبذبة فيها .

والاهتزاز خاصية عامة لكل درجة من درجات الوجود في الكون ، والفارق الوحيد بينها هو في رتبة الاهتزاز التي يهتزها أى شيء في هذا الكون .



سلم الامتزازات السكونية عن كتاب « على حافة العالم الأثيري »
 للأستاذ جيمس آرثر فندلای
 مدير « المعهد الدولي للبحث الروحي » بلندن

لذا يقول سير أوليفر لودج « إننى سأحدد المادة بأنها هذا الشيء الذى يستطيع التحرك . إن فكرة السكون هى فكرة خيالية إذ لا توجد قطعة من المادة فى حالة سكون . كل المادة متحركة ، والآثير هو صلة الوصل بين العقل والمادة . يوجد جسم مادى وآخر آثيرى ، والاثنان غير منفصلين . وعندما استعمل كلمة « آثير » فإنما أعنى هذا الشيء الذى كان موضوع بحثى طيلة حياتى العلمية . وكل صفات الآثير التى وصلنا إليها تدل على أنه مادة كاملة ، وهذا هو السبب الذى يمنع من القيام بتجارب عليه ...

إلى أن يقول « والآثير مادة روائية لا يستطيع الوصول إليها، ولذلك فإن البعض ينسكرو وجودها . إنما الصحيح هو أن هذه المادة تروغ من الحس المادى ... أما نحن فنقر وجود هذه المادة ، بل إننا نعلم أيضاً أنه يرجع إليها أمر الكهرباء والمغناطيسية والضوء والجاذبية . وقد علمنا هذا من بحوث أينشتاين . وإلى هذا الآثير أيضاً يعود الفضل فى تماسك المادة ... ثم يقول إن هذا الآثير يقوم بعمل أجل شأنًا مما يعلمه الناس من أمره وينبئنا علينا أن نفكر فيه إذا أردنا أن نحصل على علم كامل ... » .

فإذا تركنا علماء الأرض إلى علماء الآثير وجدنا روح جاليليو تقول ، فى جمعية باريس الروحية منذ سنة ١٨٦٢ ، نفس هذا القول ضمن رسالة مطولة تقتطف منها هنا السطور الآتية : « من المسائل ما نعجز نحن الأرواح المغرمة بالعلوم عن التعمق فيها فلا نأتى لحلها إلا بأراء شخصية مبنى أكثرها على أقيسة افتراضية ، أما مسألة وحدة المادة فلا شبهة فيها ولا تخمين ... » . ثم تقول الروح « إن سيالاً هاماً يملأ الفضاء الذى ليس بمحدود ينفذ فى الأجرام بأسرها يدعى الآثير أو المادة الأصلية ، وفيه تتولد كافة العوالم والكائنات . فهذا السيل تلازمه أبداً القوى أو النواميس الطبيعية المتولية تقلبات المادة ومسرى العوالم . وهذه النواميس المختلفة على اختلاف تركيبات المادة والمتفتنة فى أنواع فعلها على مقتضى الظروف

والمراكز تعرف في أرضكم بالثقل والتلاصق والمناسبة والتجاذب والمغناطيسية والكهربائية . ثم حركات هذا العامل الاهتزازية التي تدهى عنكم صوتاً وحرارة وضوءاً ... الخ

وكما أنه لا وجود في الأصل إلا المادة واحدة بسيطة تتولد منها كافة الأجرام والتراكيبات الهيولية هكذا كل القوى الطبيعية صادرة عن ناموس أصلي واحد متفنن في مفاعيله، بما لا انتهاء له فرضه الخالق منذ الأزل ليقوم به نظام الخليقة وبهاء الكائنات . إن الطبيعة لا تضاد ذاتها وشعار الكون هو ذو الوحدة في التفنن . فإن صعدت في سلم العوالم وجدت وحدة النظام والخلقة مع تفنن لا يعرف حده في تلك الأجرام الفلكية ، وإن أجلت نظرك في مراتب الحياة من أحقر الكائنات إلى أعلاها وجدت وحدة التناسب والتسلسل . كذلك القوى الطبيعية كلها صادرة بالتسلسل عن قوة أصلية واحدة تدعى الناموس العام .

ويتعذر عليكم في الحاضر استيعاب هذا الناموس في شمول اتساعه لأن القوى الصادرة عنه والداخلية في دائرة أبحاثكم محدودة مقيدة . إنما قوتا التجاذب والكهربائية تفصحان لكم نوعاً عن الناموس العام الأصلي الشامل للسماوات والكائنات ... فكل هذه القوى الثانوية أزلية كالخليقة ، وبملازمتها للسبيل العام تعمل بالضرورة في كل شيء وفي كل مكان . ويتنوع عملها بالمقارنة والتعاقب وتتغلب في مكان وتمحى من آخر فيظهر فملها . فهي عاملة أبداً في تجهيز العوالم وإدارتها وحفظها وملاشاتها متولية أعمال الطبيعة ومعجزاتها حيثما قامت ضامنة على هذه الصورة بهاء الخليقة الأزلية ونظامها الأبدى . (١)

* * *

(١) واهم ترجمة هذه الرسالة برمتها في « كتاب الأرواح » للمرحوم الشيخ طنطاوى جوعرى ص ١٥٩ - ١٦٩ .

وعالم الروح لا يرى ولا يسمع ولا يلمس - مع وجوده الحقيقي -
لأنه أثير يهتز أى يتردد - بسرعة تتجاوز سرعة الضوء . فالأثير وسط
غير مادي يتغلغل في كل شيء . وهو صلب جداً ومرن جداً في نفس الوقت .
وتسبح جميع الأجرام المكونة للكون في بحر من الأثير . وعلى ذلك
فدراسة الظواهر الضوئية والكهرومغناطيسية بصفة عامة تتضمن حتماً
دراسة للحركة بالنسبة للأثير^(١) . . . وهو يقع في منطقة اهتزاز تتجاوز حتماً
منطقة اهتزاز الأشعة السينية . لذا فهو يتخلل عالمنا ويحيط به من جميع
الجهات ، ولا نشعر به لوقوعه في هذه المنطقة العالية من الاهتزاز .

وهناك إشعاعات كثيرة مجهولة من حواسنا بسبب ارتفاع اهتزازها لكنها
موجودة ، مثل الأشعة الكونية ، والأشعة الطويلة والسينية والحرارية ، إلى
الحده الذي دفع كلارك مكسويل عالم الفيزياء (١٨٣١ - ١٨٧٩) - الذي
ابتكر نظرية أوضحت المفهوم العلى للكهرية والمغناطيسية وربطت بينهما
وبين الضوء - أن يقرر أننا نحن الآن تلك المناطق الواسعة الكائنة بين
السكواكب وبين النجوم أما كن خاوية في الكون . . . إنها فعلاً مليئة بهذا
الوسط العجيب ، وهى من الامتلاء به بحيث لا تستطيع قوة بشرية أن تقصيه
عن أصغر جزء في الفضاء أو أن تحدث أدنى نقص في اتصاله غير المتناهي . .

في الأمواج

ولأن كل شيء في الكون المنظور وغير المنظور يهتز أى يتردد فإن
له طول موجة . ويتوقف خضوعه لحواسنا على درجة اهتزازه ، وبالتالي
على طول موجته كما سبق أن بينا ، وتتنوع في ذلك الأجسام الصلبة مع السائلة
مع الغازية . وقد استقرت الفيزياء الآن على أن للجسم الصلب رتبة اهتزاز
وبالتالى طول موجة ، ومثله اللون والرائحة والكهرباء والموسيقى . وكلما
ازداد اهتزاز الشيء كلما اكتسب رقة وشفافية . فاهتزاز الغازات أسرع

(١) راجع كتاب « الكون ذرة وحركة » [لقد كتب سيد رمضان مدارة ١٩٦٤ م من
١٣٨ وما بعدها .

من اهتزاز السوائل ، واهتزاز السوائل أسرع من اهتزاز المواد الصلبة ، واهتزاز المادة الرخوة أسرع من اهتزاز المادة غير الرخوة وهكذا .

وبالتالى فإن المادة الصلبة فى النهاية حركة والضوء حركة ، ويتكون أى منهما من تأثير مهتز . وقد يظهر الضوء فى بعض الظواهر على هيئة موجات وفى أخرى على هيئة جسيمات تسمى « فوتونات » ، مما دفع سير أرثريستون إلى إدنجتون Eddington إلى أن يقرر أن الحقيقة الفيزيائية التى تفسر الضوء لا بد وأن تكون تركيباً يجمع ما بين المظهرين . وأن التأثير ليس نوعاً من المادة فهو لا مادى ، ومعنى ذلك أن هذا الشئ غير المادى يحيل نفسه إلى مادة بواسطة بعض الالتواءات الغامضة ، ويصبح ذلك الذى لم يكن له بعد أو ثقل ، بإضافة أجزاء منه بعضها إلى بعض مادة متميزة يمكن أن توزن (١) .

كما يذهب إدنجتون فى كتابه عن « طبيعة العالم المادى » ، إلى أن الذرة ليست نشاطاً غير مادى لحسب ، بل إنها مادة عقلية ... « وإجمالاً فإن مادة العالم هى مادة عقلية ... والمادة الواقعية ومجالات القوة للنظرية السابقة لا تلتئم إطلاقاً إلا فى الحالة التى تنسج فيها المادة الفكرية ذاتها تلك التصورات . فالعالم الخارجى قد أصبح الآن عالماً من الظلال . وفى إزالة الخداع فإننا نزيل المادة ، إذ رأينا حقاً أن المادة من أخطر ضروب الخداع ... »

ويذهب أيضاً إلى أن أية منضدة نشاهدها هى منضدتان ، إحداهما تلك القطع الخشبية بما عليها من طلاء وبما لها من شكل وضعها فيه الفن وتعارف عليه الناس منذ القدم ، أما الأخرى فليست هذه القطع الخشبية ولا ما اتخذ لها من رسم أو من اسم ، وإنما هى هذا الفضاء أو التأثير ، أو بعبارة أخرى هذه الذرات الهائلة العدد التى تشغل نفس حين المنضدة التى نعرفها ، وقد أسكرنا

(١) معنى هذا القول هو التسليم الصريح بالقوة الخائفة وراء التأثير التى تجعله يصعد مظهر جسيم الأشياء التى تقع تحت حواسنا ، بل جسيم الطاقات بما فيها الكهرباء والمغناطيسية . ولقد يتساءل الفكر العميق ول دورانت فى مؤلفه « مباهج الفلسفة » (الجزء الأول) معقياً على هذا الكشف الدامى الخطير ... أهو اللاهوت قد أعيد ؟ ...

المنضدة الثانية لأن تفكيرنا لم يتجه إليها من قبل ، هذا مع ان هذه المنضدة المجهولة منا هي في الواقع المنضدة الحقيقية ...

فالمنضدة المادية التي نعرفها سرعة اهتزاز معروفة ، هي التي تجعلها خاضعة لحواسنا بما في ذلك حاسة اللمس ، أما إذا ارتفع اهتزازها - بطريقة ما - فتجاوز ما تقدر حواسنا على التقاطه منها اختفت من نطاق هذه الحواس دون أن تختفي من الطبيعة . ويكون ذلك إذا ارتفع اهتزاز المنضدة التي نعرفها فتجاوز سرعة الضوء وهي ١٨٦,٠٠٠ ميل تقريباً في الثانية وهو ما يعادل ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتراً في الثانية ، أو حوالي ٣٨٨ ياردة في كل مليون جزء من الثانية . وإذا أردنا القياس بالبوصة لا بالسرعة لقلنا إن المنضدة ينبغي أن يرتفع اهتزازها إلى ما يتجاوز ٦٤٠٠٠ موجة في البوصة أو أن ينخفض اهتزازها إلى ما يقل عن ٣٤٠٠٠ موجة في البوصة - وهي المنطقة الخاضعة لحواسنا المادية - حتى تختفي عنها فلا نعود نشعر بوجودها ، مع أن هذا الوجود يظل حتماً حقيقة واقعة في سلم الاهتزازات الكونية الذي لا يعرف العلم حدوده .

وهذا الذي قرره إدنجتون في شأن « طبيعة العالم المادي » ، يؤيد ما قرره أيضاً جيفونس Jevons في مؤلفه عن « مبادئ العلم » ، من أنه قد يوجد هنا الآن كوكب غير منظور منا يخترق بمحيطاته وبحاره وأنهاره وجباله ومدنه وسكانه طامنا هذا ، بما فيه من أجسام وكائنات تتجاوز في اهتزازها اهتزاز ما تقدر حواسنا على إدراكه . وما قرره كذلك توماس يوجنج Thomas Young من أن العلم لا ينبغي احتمال وجود عوالم شتى يخترق بعضها البعض الآخر دون أن يشعر أيها بوجود الآخر .

ومن رحمة الله تعالى بالإنسان أنه جعل حواسه المادية محدودة القدرة . إذ أنه لو لم تكن الحال كذلك لأمكنه أن يرى جميع الإشعاعات من السينية إلى الأشعة الكونية ، ويشم جميع الروائح المنبعثة فيه ، ولاستمع إلى أمواج اللاسلكي المنبعثة من جميع محطات الإرسال . ولا يمكن للإنسان أن يتحمل

هذه القوى العنيفة القاتلة ، إذ أن من إشعاعات الكون ما يقتل الكائنات الحية ، ومنها ما يهترق الأجسام الصلبة .

واهتزاز الكون كله أو تذبذبه على هذا النحو حقيقة وصل إليها عقل الإنسان من قديم ، وقد اكتشفها فيثاغورس منذ ألفي سنة عند ما قال إن كل ما في هذا الكون يتذبذب سواء أ كان منظوراً أم غير منظور . ومدارس الفيزياء الحديثة تميل إلى القول إن الذرة والخلية والنبات كله يتأثر بالذبذبات المختلفة .. وإن للحيوان الأعم أجهرة تستقبل هذه الذبذبات .. ولا غرابة في ذلك إذا لاحظنا كيف يوجه الإلهام بذبذباته الحياة في كل مستوياتها . هذا الإلهام الذي يعبر عنه عالم الطبيعة أو الرياضة بأنه الإشعاع الطبيعي ، أو الإذاعة الكونية الدائمة ذات الذبذبة الخاصة التي يلتقط منها كل كائن ما يلزمه ، وما يناسب جهاز الاستقبال فيه ، على ما أشرنا إليه في الجزء السابق ^(١) .

بين العقل والمادة

لما كانت المادة عبارة عن ذرات ، والذرة عبارة عن كهارب دقيقة أبسطها البروتون وهو موجب التكهرب والالكترون وهو سالب التكهرب ، فهي عبارة عن شحنة كهربية أي طاقة محبوسة لا عن كتلة صلبة . فالكتلة الصلبة لا يعرفها العلم الحديث ولا يعترف بإمكان وجودها كما قلنا . ومعنى ذلك أن كل هذا الكون الذي تعودنا أن نصفه بأنه « مادي » عبارة في النهاية عن قوة أو طاقة كهربية إيجابية — سلبية في وقت واحد ، لكنه يبدو لحواسنا صلباً من باب خداع الحواس التي تضللنا في كل جزئية صغيرة من جزئيات هذه الحياة المادية ، ولذا لا تصلح الحواس أساساً سليماً لأية حقيقة عليية . ولولا الظواهر الواسطية لظلت حواسنا تنسك تماماً عالم الروح لأنها تجهل وجوده لحسب لا لأنه غير موجود .

والذرة ليست سوى « هالة تحيط بفضوة » بحسب تعريف إروين شرودنجر E.Schrödinger^(١). وهذا العالم المادى كما يقول إدجرتون Eddington ليس أكثر من « شىء شخصى لا يوجد إلا فى الخراس » . أى أن معاملته تتوقف على نشاط العقل الذى يكتشفها « فالظاهرة المادية إن هى سوى نتيجة اختبار عقولنا وتركيبها لبعض الأشياء من الوحدة الروحية التى تختفى وراءها » .

كما يقول سير جيمس جينز James Jeans فى كتابه عن « الكون الخفى »^(٢) . « لم يعد العقل بعد دخيلاً فجائياً فى دولة المادة ، ولقد بدأنا نتردد فى الظن بأن علينا من باب أولى أن ننادى به خالقاً لدولة المادة وبارئاً لها فى كل مكان وزمان » .

فالعقل أصبح فى الفيزياء الحديثة هو القوة والحركة التى تؤثر فى المادة ، فهما وحدتان متلازمتان فى كل شىء . والمادة تدل دائماً على عقل وتبادل التأثير معه لأن المادة تؤثر فى العقل كما أن العقل يؤثر فى المادة^(٣) . وكل شىء نلمسه أو نسمعه أو نراه أو نشمه أو نتذوقه عبارة عن أثر فى درجة معينة من الاهتزاز . وكل اهتزاز يولد موجة ذات طول معين يتوقف على سرعة الاهتزاز كما قلنا . وحواسنا تترك — عن طريق العقل — قدراً ضئيلاً جداً من تموجات الكون ويفلت منها ما عداها ، بما فى ذلك حاسة اللمس التى قد نتصور أحياناً أنها لا تتخذ عنا فى اكتشاف « الماديات الصلبة » مع أن من الماديات ما قد يتجاوز فى اهتزازة مستوى معين هو مستوى ٦٤٠٠٠ موجة فى البوصة فلا نعود نشعر به ، بل ننكر وجوده إنكاراً تاماً مع أن وجوده الآن حقيقة علمية كوجود المادة الصلبة التى لا يتجاوز اهتزازها مدى ما قد

(١) فى « أوليه دن ميكانيكا الأمواج Wave Mechanics.

وفى مؤلفه ما مى الحياة What is life الذى صدر فى سنة ١٩٤٤ .

(٢) The Mysterious Universe.

(٣) للزبد راجع ما كتبناه فى شأن « تأثير العقل المباشر فى المادة » فى الجزء الأول

(الفصل التاسع من الباب الرابع ويوجه خاص ص ٤٦٤ — ٤٦٦) .

تدركه حاسة اللمس عندنا ، والتي نسميها صلبة استناداً إلى حكم حواسنا وبالتالي إلى حكم عقولنا لحسب ، أما العلم الحديث فلا يعترف بصلاية المادة ولا ينفي إمكان وجود مادة صلبة خارج نطاق حاسة اللمس أو النظر .

وبالتالي يمكن تلخيص الفهم الحديث للكون المادى بأن : العالم يهوج بأنواع عديدة من الذبذبات من ضوء إلى مغناطيسية إلى حرارة إلى كهرباء إلى ألفا إلى بيتا ... تصدر من الأجرام السماوية تنعكس وتتكرر وتتقاطع وتتقابل بانتظام أو بغير انتظام . ولو تجمع بعض من هذه لحدثت منها نقطة مادية صغيرة أو نواة لعالم جديد وعلى هذا يمكننا أن نقول إن جميع الأجسام التي نراها من أرض وكائنات كلها صور متجسدة أو متبلورة على مرآة الحياة لأشياء غير محسوسة أو لأمواج أثرية عابرة تملأ فضاء الكون ولا يمكننا الشعور بها ، كما لا يمكننا الشعور ببخار الماء في الجو قبل تكثيفه على لوح الزجاج ،^(١)

ونعزب مثلاً لذلك بالعين التي هي مرآة عقولنا وأداة أهم حواسنا وهو البصر . فالعين تتأثر ببعض الإشعاعات دون غيرها . فما تأثرت به اعتبرته عقولنا ضوءاً ومالم يخضع لتأثيرها اعتبرناه ظلاماً ، وهي لا تتأثر من أشعة الطيف الشمسي إلا بما يقع بين اللونين الأحمر والبنفسجي . فما نقص عن الأول في طول موجته ومازاد عن الثاني في هذا الطول لا تتأثر به ، فتصوره ظلاماً مع أنه من عناصر الضوء . ولا يختلف عن المرئيات التي نراها إلا من ناحية طول الموجة لحسب . ولما كانت أمواج الكون غير محدودة وتفاوتت تفاوتاً شامعاً بين أمواج متناهية في القصر وأخرى متناهية في الطول فإن ما تدركه أبصارنا — وبالتالي عقولنا — من موجات لا يعد شيئاً في هذا المجال الشاسع^(٢) .

وهذا الذي يعد الآن حقيقة علمية مقررة بالنسبة للبصر مثله يعد حقيقة

(١) من الدكتور على عبد الجليل راضي الأستاذ بكلية العلوم في مؤلفه « العالم غير المنظور » ص ٣٥ .

(٢) من « العين والشمس » تأليف س . فابيلوف ترجمة الدكتور غطية هبة السلام عاشور .

علية مقررة بالنسبة للسمع والشم واللس واللذوق . فشكل شيء في السكون طول موجة ، ولكن حواسنا لها قدرة محدودة جداً على التقاط الأمواج التي تمر بها ، أما ما عداها فيفلت منها إفلاناً كلياً مع أن وجوده حقيقة واقعة لا ينزع فيها الآن .

ولنتكلم في السمع أيضاً فنجد أن آذاننا لا يمكن أن تلتقط أى صوت — ولو كان يخترقها — إلا إذا كانت ذبذبته تتراوح بين ٢٠ و ٢٠,٠٠٠ ذبذبة في الثانية . أما ما نقص عن ذلك فلا نسمعه ، ومثله ما زاد عن هذه السرعة في التذبذب .

* * *

والذبذبات المعروفة في الطبيعة أصبحت تقدر مبدئياً بحوالى ٣٠٠ بليون سلم تحيط بنا من كل جانب . فكأننا — منذ الآن — نحيا وسط محيط عرم لا يعرف العلم له حدوداً من سلام الذبذبات التي تتدافع من حولنا دون أن نشعر إلا بقدر منها لا يكاد يذكر . فكل واحد منا معتقل بالتالى في كهف مظلم به خمس ثقب دقيقة لا يبلغ أيها في اتساعه ثقب الدبوس تمثل حواسنا الخمس ، وهى كل المنافذ التي تصلنا بعالم الظلام الدامس الذي يحتوي بنا من كل جانب ، وكأننا في كهف يتمثل في جسدنا المادى المنخفض الذبذبة والذي يحجبنا عن إدراك حقيقة العالم الخارجى الذي يحيط بنا دون أن ندرك منه شيئاً يذكر .
فمثلاً ندرك آذاننا أحد عشر سلباً ونصف لحسب من السلام الصوتية ، أما بلايين السلام الأخرى فلا ندرك منها شيئاً (١) ، وندرك أعيننا سلباً واحداً من الموجات الضوئية التي تمر بها ، أما بلايين السلام الضوئية الأخرى فهي لا تراها .

وقد أمكن تقدير سرعة اهتزاز الألوان المختلفة على النحو الآتى :
اللون البنفسجى (وهو أكثرها ارتفاعاً) سرعته ٧٥٠ بليون في الثانية .

(١) للمزيد في هذا الموضوع راجع كتاب « أصوات لا نسمع » تأليف قدرافستف وترجمة الدكتور سيد رمضان هدارة وهو دراسة علمية في موضوع « فوق السمعات » .

٦٣٤ بليون في الثانية	اللون الأزرق سرعته
٥٧٠	الاحمر
٥٢٠	الاصفر
٥٠٠	البرتقالى
٤٣٤	الاحمر (وهو أقلها اهتزازاً) سرعته

وتمت منطقة تلى اللون الاحمر في بطء اهتزازها وتصل إلى ٣٠٠ بليون ذبذبة في الثانية بصفها العلم المادى بأنها منطقة «ضوئية مظلمة» ، وأمكن عن طريق جهاز البولومتر اكتشاف ١٣ سلباً فقط من سلالها .

كما أن تمت منطقة أخرى مجهولة من العلم المادى ، لكنه مع جهله طبيعتها يسلم بوجودها ، ويرتفع اهتزازها من ٧٥٠ إلى ١٥٠٠ بليون ذبذبة في الثانية . وتلبها ارتفاعاً منطقة اهتزاز أشعة اكس التى تتراوح بين حوالى ٣٠٠٠ بليون و ٣٠٠٠٠ بليون ذبذبة في الثانية .

وتحتوى الاهتزازات من أدناها فى الصوت إلى أعلاها فى أشعة اكس على ٥٧ سلباً ، لا تستطيع حواسنا أن تدرك منها سوى ١٣ سلباً أو أقل من ذلك عن طريق جهازنا الحسى المادى .

وتبعث الشمس ضوءها فى شكل ذبذبات أثرية يبلغ معدل سرعتها أربعائة بليون فى الثانية ، وهذا الضوء نستقبله بحواسنا بحسب الظاهر لكن نستقبله بحسب الواقع بعقولنا ، لأن السمع والنظر والشم والذوق واللمس عمليات عقلية قبل كل شئ ، وهذه الآن حقيقة يسلم بها تماماً العلم المادى . وذلك لأن الذبذبات المختلفة تمر بحواسنا — كلها وبغير استثناء أية ذبذبة منها ، فلا نشعر منها إلا بما نستطيع عقولنا أن تتحمل تسجيله ، أما ما عداه فتتمتع هذه الحواس أو بالأدق تعجز عن تسجيله ، بقدر عجز العقل الذى يحكمها عن هذا التسجيل .

وعندما يزيد عدد الذبذبات يتغير الضوء إلى لون ، وكل تغيير تلتأ عنه

ذبذبات أقل من سابقتها في سرعتها أو أكثر. فإذا تكلمنا عن العشب باعتباره أخضر وعن السماء باعتبارها زرقاء وعن الورد باعتباره أحمر فإننا نعلم أن هذا لا يصدق إلا في عقولنا فقط ، لأن الإحساسات التي نحس بها نتيجة ذبذبات الأمواج الضوئية إنما تحدث الآثار اللونية ، وعندما تنخفض هذه الذبذبات إلى ما دون الأربعمائة بليون في الثانية فإننا نحس بها كحرارة ومن هنا نرى أيضاً أن الحرارة إنما هي في عقولنا ،^(١).

وكما أن رسالة العقل هي أن يستقبل قدرأ ضئيلاً من تموجات الطبيعة عن طريق المخ (طالما كان مرتبطاً به بسبب الحياة التي نعيشها الآن) فإن كل فكرة يفكر فيها العقل ، إنما هي بدورها عبارة عن تذبذب وتموج مشحون بطاقة كهربية مغناطيسية تنبعث منها ، ولا سيول إلى رفع معدل ذبذباتنا العقلية إلا إذا كان مدار تفكيرنا أفكاراً نقية راقية ، حتى تكون عقولنا محطات إرسال واستقبال في نفس الوقت للأفكار النقية التي تحدث الصحة والمرح والسعادة والسلام لصاحبها ، ولئن تربطه به صلة من هذه الصلات العقلية التي بدأت بحوث الباراسيكولوجي تسلم بها وتنتج إليها اتجاهاً صريحاً في القرن الحالي .

وبما تنبئ الإشارة إليه أيضاً أن من المسلم به أن خلايا المخ تعمل كمرآة كهربية يبعث الكهرباء إلى الأعصاب التي تبعث بها إلى الخارج في صورة أمواج أثرية تشبه تلك التي تبعث بها محطات الإرسال المختلفة ، وهذه الكهرباء النسيجية ذات نشاط فعال لأنها من النوع الديناميكي ، وتتفاوت درجات اهتزازها تفاوتاً ضخماً ، وتثبت صحة ما كانت تقرره

(١) عن كتاب « الموجات العقلية » للأستاذ وليم سرجيوس الهامى ص ١٦ ، وراجع أيضاً ومؤلفات الباحثة أيرما ستانلى آلدرد Vera Stanley Alder ومي: —

The Initiation Of The World.

استهلال العالم

The Finding Of The Third Eye.

العثور على العين الثالثة

The Fifth Dimension.

البعد الخامس

الأرواح منذ القرن الماضي من أنها تستفيد من هذه الطاقة التي تليث من
جسوم الوسطاء ، وأحياناً من جنوم بعض الجلساء في إحداث الظواهر التي
تقدر على إحداثها ، وأنها أحياناً تجد في الفرقة بطارية آدمية صالحة لإحداث
هذه الظواهر وأحياناً أخرى لا تجد لها فتشغل الجلسة ، فيذهب المعارضون
في أزيل هذا الفشل مذاهب شتى ليست في صالح صحة هذه الظواهر .

الفرض هو الحقيقة الثابتة الوحيدة

وإذا كانت المادة الصلبة تمثل واحدة لحساب من ملايين الأسرار الكونية ،
فإن الضوء هو أغرب هذه الأسرار ، لأن أمواج الضوء تنفذ في الفراغ
الذي يملأ الفضاء ويتخلل كل شيء حتى المادة الصلبة . وحتى الأثير ، الذي
يعتبر بمثابة ناقل للضوء في نظرية الاهتزاز ، يرى أينشتاين أنه غير لازم وأنه
يمكن طرحه جانباً ومع ذلك يظل فهم الفيزياء الحديثة لطبيعة الكون على حاله
دون تغيير ، من ناحية لزوم وجود مستوى للوجود يلي في سرعة اهتزازه عالم
المادة ، ومن ناحية التداخل المحتمل بين العالمين ، ومن ناحية كافة ما تؤدي
إليه نظرية النسبية من نتائج تسبب الدهول والحيرة .

وقد بين أينشتاين بمعادلاته الرياضية كيف أن سرعة الضوء هي الأمر
الثابت الوحيد في الكون ، وكيف أن الزمن والفضاء عاملان نسيان يستمدان
قياسهما من علاقتهما بسرعة الضوء . وهكذا أبعد أينشتاين بمعادلاته من
الكون كل حقيقة ثابتة فيما خلا الضوء أليس الله نور السموات
والارض ؟ . . . فهو الحقيقة الثابتة الأبدية الوحيدة وما عداه إلى زوال . . .
كما ورد في سفر التكوين (١ : ٣١) « وقال الله ليسكن نور » فالأمر الإلهي
الأول جاء إلى حين الوجود بالحقيقة الذرية الوحيدة وهي النور .

وفي معادلته المشهورة التي تبسط التساوي بين المادة والنشاط أثبت
أينشتاين أن النشاط في أية ذرة من ذرات المادة معادل لكتلتها أو وزنها
مضروباً في مربع سرعة الضوء . ويتم إطلاق القوى الذرية عن طريق إقناء
الذرات المادية ، وهذا كان موت المادة يمثل ولادة العصر الذري .

إن سرعة الضوء قانون حسابي أو مقدار ثابت ، لا لأن هناك حقيقة مطلقة في ال ١٨٦٣٠٠ ميل في الثانية (وهو سرعة الضوء) بل لأنه لا يوجد جسم مادي تزيد كتلته تبعاً لسرعته يمكن أن يبلغ أبداً سرعة الضوء . وتعبير آخر فإن الجسم المادي المتناهي الكتلة هو الذي يمكن أن يعادل سرعة الضوء .

وتأسيساً على هذه الحقائق العلمية يقول الحكميم برهنسا يوجاندا : فالمعلون الذين يستطيعون أن يتجسدوا وأن ينفضوا عنهم أجسادهم أو أية مادة أخرى ، وأن ينطلقوا بسرعة الضوء ويستخطموا أشعة النور الخالقة في إحداث أى مظهر مادي قد وفوا بالشرط الضروري الذي قال به أينشتين بأن كانت كتلتهم غير متناهية . . . والجاذبية سواء كانت القوة التي قال بها بون أو القصور الذاتي الذي قال به أينشتين عديمة الحول في إرغام الروح المتجسدة لإظهار خاصية النقل الذي هو الشرط المميز للجذب في الأشياء المادية . فالشخص الذي يعرف أنه الروح الموجودة في كل مكان لا يعود يخضع لتأثير الجسم بمقاييس الزمن والفضاء . . .

والإنسان الذي يمزج وعيه بالخالق يحس بالجواهر الكوني كنور . ولا فرق لديه بين الأشعة الضوئية المكونة للباء والأشعة الضوئية المكونة لليابس . فإذا تحرر من الإحساس بالمادة ومن أبعاد الفضاء الثلاثة (الطول والعرض والارتفاع) ومن البعد الرابع وهو الزمن نقل جسمه النوراني بسهولة فوق الأشعة الضوئية للتراب والماء والنور والهواء . . . ومن ذلك الحين ينظر إلى المادة ككتلة غير متميزة عن الضوء ،^(١)

في تبادل التحول بين المادة والطاقة

وإذا كان من المسلم به في الفيزياء العصرية أن كل مافي الكون عبارة عن مادة (بحسب حواسنا) وطاقة فإن من المسلم به كذلك أن كلا منهما يقبل

(١) عن كتاب « فلسفة الهند في سيرة يوجي » للحكيم برهنسا يوجاندا ترجمة الأستاذ زكي عوض الهادي ١٩٥٥ م ٣٠٢ — ٣٠٤ .

التحول إلى الآخر ، بل إنه يتحول إليه بشكل لا يتوقف وإن كان يتفاوت في سرعته وفي أسلوبه ولذا كان قانون الكتلة والطاقة في نظرية النسبية لا يشتمل قانون واحد ، فالمادة والطاقة تتحولان إحداهما إلى الأخرى تحت الظروف الملائمة .

والمجموع الكلي للمادة والطاقة في الكون ثابت لا يتغير يحكمه قانون واحد مشترك ، وهو أن الكمية الكلية للطاقة في الكون ثابتة ولو أن نسبة كبيرة منها تظهر على شكل مادة . فالمادة أو الطاقة يمكن أن تتخذ صورة أخرى جديدة عند توافر ظروف معينة قد تختلف بحسب طبيعة كل منها ، ولكن في ظل قانون عام ينظم هذا التحول ويسيطر عليه وهو أن الطاقة والمادة معاً لا تقبلان الفناء ، أى لا تضيعان هباء مهما حدث من تحول في صورتها بسبب أى تغير في ذبذبتهم ارتفاعاً أو انخفاضاً . وهذا التغير هو الذى يخضع أيهما لحكم حراسنا ، أو يخرجهم من نطاق هذه الحواس^(١) .

وفي هذا الشأن يقول سير جيمس جينز James Jeans العالم الرياضى والطبيعى فى مؤلفه عن « الكون من حولنا » ،^(٢) . « من الأعمال العظيمة التى حققها علم الطبيعة فى القرن التاسع عشر تقريره المبدأ العام المعروف بمبدأ حفظ الطاقة ، فالطاقة يمكن أن توجد فى أشكال متنوعة كثيرة ، ويمكن أن تتغير من شكل إلى شكل إلى ما لا نهاية ، ولكن يستحيل أن تفنى تماماً . فطاقة الجسم المتحرك لا تفقد حينما يتوقف هذا الجسم عن الحركة ، بل تتغير فقط إلى شكل آخر . فمثلاً عندما تتوقف رصاصة عن الحركة لإصابتها الهدف ، يتحول بعض طاقتها إلى حرارة تسخن الهدف ، وبعض طاقتها

(١) بل أن الحركة والصوت أيضاً لا يقبلان الفناء فى الفيزياء الحديثة . ولذا ذهب بعض العلماء إلى القول بأننا فى كل مرة نحرك فيها يداً نحدث أمواجاً فى الأثير الكونى تنطلق إلى فضاء الله . كما ذهب بعضهم إلى أنه يمكن نظرياً التقاط أصوات الناس فى مختلف العصور لو وقفنا إلى اختراع جهاز مناسب ، لأن أصواتهم لا زالت تجوب الأثير فى رحلات لا تنقطع .

(٢) The Universe Around Us طبعة ٤ ص ١٠٣ .

إلى حرارة تسخن الرصاصة نفسها ، أو ربما تذيبها . وفي هذا الشكل الجديد — شكل الحرارة — توجد طاقة مساوية للطاقة الأصلية للرصاصة .

وتبعاً لهذه النظرية ، يقرر المؤلف أن الطاقة لا يمكن خلقها وكل طاقة حالية لا بد وأن تكون قد وجدت منذ وقت ما ، وإن كان من الجائز أن وجودها فيما سبق كان في شكل مختلف عن وجودها حالياً . فالطاقة في النهاية لا يمكن خلقها من العدم ، وهذا قانون طبيعي من أهم القوانين التي تتحكم في سير حركة الحياة في الكون^(١).

دلائل النسبية

كشفت نظرية النسبية عن حقائق كثيرة مذهلة أهمها أنها انكسرت تماماً وجود المكان المطلق والزمان المطلق ، وبيّنت أن أيهما يختلف باختلاف الظروف . بل حتى الأطوال والكتل فقدت معناها القديم فأصبح من المسلم به أن كل مافي الكون نسبي ، بمعنى أن حكم حواسنا يتفاوت أحياناً من النقيض إلى النقيض في شأنه تبعاً لتفاوت ظروفنا ، فالأرض التي نسكنها ونظن أنها ثابتة لا تتحرك تدور حول نفسها بسرعة ١٨ ميلاً في الدقيقة ولا نشعر بذلك إلا إذا وقفنا بعيداً عنها على سطح نجم مثلاً وأخذنا في مراقبتها . لو قلنا إن الأرض تدور حول الشمس فالشمس كذلك ليست ثابتة ويمكننا أن نقول إنها تدور حول مركز آخر مافي الكون . بل إن الفكر يتجه الآن لاعتبار كل نجم وكل كوكب متحركاً في الفضاء لا في فلك دائري بالضبط كما نظن ، بل في فلك حلزوني بدأ من نقطة ما وسينتهي في نقطة أخرى لا يعلمها إلا الله ...

وليسست النسبية قاصرة على السكون والحركة ، بل على مقدار السرعة والعجلة والكتلة والحجم إلى غير ذلك من الصفات الطبيعية . فمن مبادئ

(١) راجع أيضاً في هذا الشأن كتاب « الكون ذرة وحركة » تأليف الدكتور سيد رمضان هدارة الأستاذ بكلية العلوم ، القاهرة ١٩٦٤ ص ٢١ ، ١٢٢ ، ١٥٨ .

نظرية النسبية أن كتلة الجسم تزداد في حين أن حجمه ينكمش إذا ازدادت سرعته . وعلى هذا لو تغيرت سرعة الجسم وأصبحت هائلة كسرعة الضوء التي تبلغ ٣٠٠,٠٠٠ كيلو متراً في الثانية مثلاً فإن التغير في كل صفاته الطبيعية يكون محسوساً جداً ، بل إن الجسم بمعنى آخر يصبح جسماً جديداً ...

والزمن نفسه يتغير لو تغيرت ظروفنا . إننا إذا تخلصنا من هذه الأرض المادية واحتللتنا مكاناً مستقلاً لا يربطنا بجاذبيتها ولا بقوانينها سوف لا نشعر بالزمن الذي تعودنا عليه ولا يصبح للعمر أو للفناء لدينا أى معنى . إننا عندئذ لا نعرف سوى اللازم — أى الخلود — لا ماضى ولا مستقبل ولكن الحاضر وحده هو الذى نعيش فيه ،^(١).

معنى الزمن في الفيزياء والرياضة الحديثة

لذا يقول أينشتاين ، وهو واضع نظرية النسبية ، إنه ليس للزمن من حقيقة قائمة بذاتها ، وأنه من خواص المادة وإن المستقبل قد يتصل بالحاضر وقد يلحق بالماضى ، ففي كل لحظة نحن نقتطع من المستقبل جزءاً نضمه إلى الماضى فلا ينقص هذا ولا يزيد ذلك لأن كلا منهما لانهائى . وإن المستقبل يلتف على شكل دائرة وبذا يدخل فى الماضى إذ الدائرة علامة الأبدية .

وبحسب نظرية النسبية تكون الظواهر التي تمر بنا بسرعة الضوء هي تلك التي اعتدنا أن نسميها إشعاعاً ، أما الأحداث المجسمة التي تسير ببطء شديد فقد اعتدنا أن نسميها مادة . أو بحسب تعبير أينشتاين أن المادة هي عقل أو فراغ أو فضاء نقصت سرعته عن السرعة الطبيعية للضوء وهي ١٨٦ ألف

(١) عن الدكتور على عبد الجليل راضى فى المرجع السابق ص ٢٨ . وراجع أيضاً كتاب Challenge Of The Universe الذى ظهر فى سنة ١٩٦٢ للمالين آلن هاينيك Allen Hynek ونورمان د . أندرسون Norman D. Anderson والذى نقله إلى العربية الدكتور سيد رمضان هداية باسم « أسرار الكون » ص ١٦٦ - ١٦٥ .

ميل في الثانية . ولو أن هذه المادة عادت تتذبذب بسرعة الضوء لاختفت .
ولم تعد تدركها حواسنا .

فنحن إذا ما أمسكنا في يدينا بقطعة من الحديد شعرنا بصلابتها ولكنها
في الواقع ليست صلبة ، وكل ما حدث هو أن حاسة اللمس قد تأثرت
باهتزاز الالكترونات فشعرنا بصلابتها كما نشعر بنفس الكيفية بحرارتها
أو برودتها ، فننقل حواسنا أو عقولنا صورة الحديد وحرارته أو برودته .
ونفس القول يصدق على جميع عناصر العالم الذي نعيش فيه والذي يبدو لنا
صلباً وما هو بصلب ولا يمدى .

ولذا يتساءل المرحوم الدكتور مصطفى مشرفة - وهو بصدد شرح
نظرية النسبية - كيف تبدو الأشياء لراصد يسير بسرعة الضوء ؟ ...
ويجب بأن الأشعاع الذي يصاحب هذا الراصد جنباً إلى جنب يبدو له
مادة صلبة ، أما الأشياء المادية التي تمر به بسرعة الضوء فتكون إشعاعاً .

وفي ضوء هذه المعلومات الأولية في الفيزياء الحديثة ، بشأن طبيعة المادة
الصلبة والطاقة والضوء وبشأن نظرية النسبية ، أمكن لعلماء المادة قبل غيرهم
أن يفهموا البيانات الروحية ويضموها - عن موقع عالم الروح ، وعن حقيقة
الخلود - بوصفها حقائق كونية عامة قبل أن يكون هذا الفهم في ضوء
الكشوف الواسطية . وفي ضوءها أيضاً أمكن لعلماء الروح أن يوضحوا
المعلومات التي تلقوها من عالم الروح عن موقعه وعن أسلوب الحياة فيه .
على أسس واضحة تقبلتها بسهولة أفهام العلماء ، وكانت بمثابة الإطار الخارجي
الذي جعل الكشف الروحية جزءاً لا يتجزأ من الكشف العلمية هذه ،
من ناحية أنها أضحت تكملها وتكامل بها في نفس الوقت .

اتساع الفضاء الكوني

صور أغلب الباحثين الفضاء الكوني على أنه غير محدود ، أي لا نهائي .
يسمح فيه في حركات منتظمة لا تتوقف عدد غير محدود من المجرات التي

تحتوى على ألوف الملايين من النجوم . ومن المتفق عليه الآن أن الأرض ليست سوى فرد من أفراد المجموعة الشمسية ، وأن هذه الأخيرة ليست سوى فرد من أفراد المجموعة المجرية ، وأن هذه الأخيرة ليست سوى فرد من أفراد مجموعة المدن النجمية التى فى الفضاء . . . (١)

يمكن وصف المجرة بأنها عجلة مرصعة بالنجوم تدور فى الفضاء وتستغرق مجموعتنا الشمسية التى لا تعدو أن تكون شمسنا إحدى نجومها مليونين من القرون كىما تم دورة كاملة واحدة وهى منطلقة بسرعة مائتى ميل فى الثانية فما أطولها من رحلة ؟ . . .

كما تبين أن سديماً واحداً هو سديم الحلقة الذى يعرف باسم الكعكة السماوية يتسع وحده لحوالى ثلاثين ألفاً من أمثال مجموعتنا الشمسية بكواكبها ، وبأبعاد هذه الكواكب عن الشمس . فتأمل فى عظمة الكون وقدره الخالق تعالى فى جانب ضئيل منها . . .

ويقول الأستاذان آلن هاينك Allen Hynck ونورمان د . أندرسون Norman D. Anderson إنه « من المستحيل افتراضياً طبقاً للأسس الإحصائية أن يكون نجمنا بالذات هو الوحيد الذى له كواكب تتوافر فيها الظروف الكيميائية والطبيعية لاستمرار الحياة . إن هذا القول شبيه بقولك إن قطتك هى الوحيدة التى أنجبت قطيطات من بين بلايين البلايين من القطط . ثم إن المجموعة المجرية بأكملها تضم البلايين الفاتكة العدد من النجوم . ولو أن نجماً واحداً فى كل ثلاثة بلايين نجم كانت له مجموعة كوكبية لكان عدد المجموعات الشمسية يقدر بالملايين . وحيث أن كيمياء النجوم متشابهة ، فالنتيجة إذن أنه من المحتمل أن الحياة (من النوع الأرضى) ظاهرة واسعة الانتشار » (٢).

(١) من كتاب «النجوم فى مسالكها» من تأليف سيرجيس جيتز James Jeans ترجمة الدكتور أحمد عبد السلام الكردافى . طبعة ٣ س ١٤٤ ، ١٤٥ .
(٢) من مؤلفهما Challenge of the Universe . الترجمة العربية بعنوان «أسرار الكون» ، للدكتور سيد رمضان هدارة س ٨٨ .

هذا وقد صوراً ينشئين الفضاء كروياً محدوداً لا يمكن التحقق منه بالمعاينة،
لأنه ينتهي على نفسه وفي النهاية يتقفل كما هو الشأن في سطح الأرض .
وبحسب معادلته في المجال أمكن لعالم الفلك أدوين هابل Edwin Hubble
في مرصد ويلسون أن يقدر نصف قطر الكون بأنه يساوي ٣٥ بليون سنة
ضوئية ، وذلك بعد أن قدر هندسة الكون أو انحناءه لتقدير قطره
بالأجرام المادية الموجودة فيه ، وبعد الحصول على متوسط كثافة المادة
في الكون ودراسة عينات من مساحات السماء لمدة عدة سنوات .

فإذا انطلق شعاع ضوئي في الفضاء بسرعه العادية وهي ١٨٦,٠٠٠
ميل في الثانية تقريباً فإنه يسير في دائرة كونية ويعود إلى مكانه الأصلي بعد
زمن يزيد قليلاً عن مائتي بليون سنة ضوئية (١) .

والسنة الضوئية هي إحدى الوحدات التي يستعملها علماء الفلك في قياس
المسافات الكوكبية وهي تمثل المسافة التي يقطعها الضوء في سنة كاملة وهي
تساوي ٥,٧٧ × ١٢١٠ ميلاً أو ٩,٤٦ × ١٢١٠ كيلومتراً تقريباً . فهي
تعادل ٥,٧٧ × ١٢١٠,٦٠٠,٠٠٠ ميل .

ويقول الدكتور بوين لقد كان إدوين هابل أول من طبق الطرق
الفلسفية لقياس أبعاد السدم التي تبعد كثيراً عن تجربتنا وتحقق من أن
سديم المرأة المسلسلة، وغيره من السدم الحلزونية عبارة عن مجموعات تبعد
ملايين السنين الضوئية . وفي عام ١٩٥٣ مات هابل في الوقت الذي كان
يخلق فيه بأفكاره فوق حدود الكون . كما يقول عنه أيضاً إنه أول من حدد
بعد سديم المرأة المسلسلة ، وقد نجح في هذا العمل بعد أن فشل فيه
الكثيرون ، كما اكتشف في سنة ١٨٩٥ في هذا السديم أول مجموعة

(١) وانجم كتاب « العالم والفضاء » تأليف إسكولن باريت ترجمة الأستاذ محمد طاطب
البرقوقي ص ١٠٢، ١٠٣ .

خارجية من النجوم الجديدة (١) .

كما يرى سير جيمس جينز أن الراجح هو أن محيط الكون يقع بين ٨٠٠٠ مليون و ٥٠٠,٠٠٠ مليون سنة ضوئية ، ثم يضيف قائلاً ، ومع كل فإن الرقم الحقيقي لا يهمنا من وجه إلا قليلاً إذ أن أصغر الأرقام المحتملة واقع وراء أقصى حدود تصورنا ، فإن أبعد مسافة في الفضاء أمكن لمراصدنا أن تتغذى إليها حتى الآن هي ١٤٠ مليون سنة ضوئية ، وهي ليست سوى كسر صغير جداً من الطريق حول الكون كله (٢) .

فإذا كان الضوء يقطع في الثانية الواحدة ١٨٦,٠٠٠ ميل تقريباً أو ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر فكم يقطع في الدقيقة ، ثم في الساعة ثم في اليوم ثم في الأسبوع ثم في الشهر ثم في السنة ، ثم في بلايين هذه السنين الضوئية التي يتحدث عنها علماء الرياضة والفلك ١٤ . . هذا هو اتساع الكون كما نكشفت عنه العلوم الحديثة .

* * *

وهكذا يظهر الكون أعظم وأعقد بكثير مما ظنه أى إنسان حتى وقت ليس بعيد ، على ما يعبر عنه العالمان ألن هاينك ونورمان د . أندرسون « وأحياناً يؤدي هذا العظم المفزع بالناس إلى الشعور بأنه يحيط من قدر الإنسان والأرض إلى حد التفاهة . على أننا يجب أن نتذكر أنه بقلب التلسكوب رأساً على عقب ونحس العالم الميكروسكوبى المحيط بنا نستطيع أن نصل بأبصارنا في عالم الأشياء الأصغر من الأرض إلى مدى مساو تقريباً للذى يمكن أن تصل إليه أبصارنا في عالم الأشياء الأكبر منها . ويجب أن نتذكر أيضاً أن الحجم في حياتنا شيء نسى كالشئ من

(١) راجع كتاب « إلى عوالم أخرى » To Other Worlds تأليف فرنز بودلز

ترجمة الدكتور عبد الحميد أمين القاهرة ١٩٥٦ م ٩٠ — ٩٢ .

(٢) « النجوم في مناسكها » المرجع السابق م ١٥٩ — ١٦١ .

الاشياء الاخرى . وحقاً إن الحجم في ذاته لا يعنى كثيراً ، وأن العقل البشرى الذى تفتح إلى الحد الذى أمكنه عنده التساؤل عن الكون ليتسامى على حدود الحجم . وفى التحليل الأخير نجد أن العقل الذى يحيط بالكون لا يجب من الكون الذى يحيط بالعقل ، وخاصة عندما يستخدم كأداة دقيقة لدراسة الكون والتصدى لتحديه ، (١) .

بل إن عظمة الكون لا تقف عند حد اتساعه الهائل الذى يتجاوز بمراحل كثيرة ما تقدر عقولنا على إدراكه أو تصوره . فإن هناك خاصية أخرى للكون أظهرتها معادلات أينشتاين وهى أن الكون له خواص كخواص فقاعة الصابون لأنه غير ثابت فى الاتزان ، وغير قابل لأن يقف ساكناً ، إذ أن الكون كما يقول سير جيمس جيز ، بمجرد خروجه إلى حيز الوجود يأخذ حجمه فى الازدياد ولا مناص له من أن يستمر فى التمدد إلى غير حد ، فهو لا يشبه فقاعة الصابون التى نفخناها وفصلناها عن الغليون بقدر ما يشبه الفقاعة التى لا تزال تنفخ فيها ولما تقارب بعد الغليون . لحجمه يزداد على الدوام ولا مناص من أن يظل يزداد حتى آخر الزمن .

وكما أن فقاعة الصابون كلما ازدادت حجماً رقت شيئاً فشيئاً باستمرار وظلت أجزاؤها المختلفة تتباعد بعضها عن بعض ، فكذلك كلما ازداد حجم الكون ازداد بعد ما بين الأجرام المختلفة فى الفضاء وتحركت السدائم ، تلك المدن النجومية العظيمة الواقعة فى الغشاء الصابونى ، وظل تباعد بعضها عن بعض فى ازدياد . إن أغلبها حتى فى الوقت الحاضر هو من البعد عنا بحيث نحتاج فى رؤيته إلى مقرّب قوى حقاً ، وعلى مر الزمن سيأتى وقت يكون بعدها عنا أكبر من بعدها الآن ...

وفى الحق إن علينا أن نقدر حالة أسوأ حتى من هذه ، فإن العالم الذى

يتمدد لايزداد حجمه باستمرار فحسب ، بل تزداد سرعة تمدده على الدوام. وإذن فلا بد أن يأتى عليه وقت يتعدد فيه بسرعة هي من العظم بحيث لا يمكن شعاعاً من الضوء قط أن يتم الدورة حول العالم أبداً ، فإن الضوء حين يكون قد قطع مليون ميل يكون يحيط الكون قد تمدد مليوني ميل ... وينبغي أن أضيف أنه إذا كان لنا أن نثق بحسابات الرياضيين فهذا الوقت قد حل بالفعل ، أى أننا قد ولجنا الكون بعد أن ولى زمن اكتنافه بالإبصار ... (١) .

بين اتساع الفضاء الكونى وعجز العقل

وفي هذا الشأن — شأن عجز العقل عن إدراك حقائق الكون غير المحدودة — يتسامل الأديب الكبير موريس مترلنك (جائزة نوبل فى الأدب فى سنة ١٩١١) «كيف يتأتى لأفكارنا ولنظراتنا أن تخترق غير المحدود وغير المنظور؟ نحن الذين لانحى ولا نرى حتى الشيء الذى نرى عن طريقه والذى هو مصدر لكل أفكارنا؟ فى الواقع أن الإنسان لا يرى الضوء نفسه على ما لوحظ بحق ، فهو لا يرى إلا المسادة ، أو بالأدق الجزء الأصغر من العوالم الكبرى التى يعرفها تحت وصف المادة ، عندما يلبسها الضوء . لكنه لا يدرك الإشعاعات الهائلة التى تخترق السماوات ، إلى اللحظة التى يعترضها شيء مطابق للأشياء التى ألقت عينه أن تراها على هذه الأرض ، فما بالك بالفضاء العامر بشمس لا عداد لها وبطاقات لا حدود لها ١٩ .

وحق إذا كنا لانرى الضوء فنحن حقنا بالآقل أن نعتقد أننا نعرف بعض خصائصه أو بعض انعكاساته ، ولكننا نجعل كلية كل ما يتعلق بالقانون الوحيد الهام للكون بلا ريب ، وهو قانون الجاذبية . فما هى هذه القوة التى هى أكثر القوى قدرة وأقلها خضوعاً للحواس ؟ فهى لا تدرك

(١) « التجموع فى مسالكها » المرجع السابق ص ١٥٥ — ١٥٦ .

وراجع للزيد مؤلفاً أسير ادنجهتون Eddington منبوانه « الكون المتبدد »
The Expanding Universe

ولا شكل لها ولا لون ، ولا درجة حرارة ، ولا قوام ولا طعم ولا صوت ، ولكنها عظيمة إلى حد أنها تعلق وتحرك في الفضاء جميع العوالم التي نراها وتلك التي لن نراها أبداً ... وهي أسرع من الفكر وأكثر كثرة منه وأكثر روحانية ، وتسود على كل ما يوجد من أشياء بين عظيمها إلى حد غير محدود وضئيلها إلى حد غير محدود . فلا توجد حبة رمال على أرضنا ، ولا نقطة دم في عروقنا إلا وتتخللها وتعمل فيها هذه القوة ، وتبعث فيها الحياة . وكذلك الشأن أيضاً في كل لحظة وبالنسبة لأكثر الكواكب بعداً عن آخر مجموعة شمسية نحاول أن نتخيلها خارج حدود تصوراتنا ، حتى لتبدو قاصرة تماماً جملة شكسبير المشهورة : « توجد أشياء في الأرض وفي السموات لا يمكن أن تحلم بها فلسفتنا » .

فلا يوجد أكثر من الأشياء التي تعجز فلسفتنا عن أن تحلم بها أو نتخيلها ، ولا توجد سوى أشياء تعجز الفلسفة عن أن تحلم بها أو لا يمكن أن نتصورها ، وإذا كنا لا نشاهد حتى الضوء ، وهو الشيء الوحيد الذي نعتقد أننا نراه ، فيمكن القول بأنه لا يوجد من حولنا سوى غير المنظور .

وإننا نتحرك بخدوعين بأننا نرى ونعى كل ما لا يمكن الاستغناء عنه في حياتنا الصغيرة ، وكل ما عدا ذلك ، وهو تقريباً كل شيء ، فإن حواسنا لا تحول غيب بيننا وبين الوصول إليه ، أو رؤيته أو إدراكه ، بل تنفي عنا أيضاً قدرة افتراض ما هيته ، وتمنعنا من أن نفهم منه شيئاً ، حتى لو حاول أي ذكاء من مستوى آخر أن يكشف لنا عنه أو يفسره لنا ، فعدد الألفاظ وحجمها غير محدود بقدر اتساع الكون نفسه . فلو اقتربت الإنسانية يوماً من حلول الألفاظ التي تبدو لها أعظمها وأعصاها على الحل ، مثل مصدر الحياة وهدفها التي تقف اليوم كجبال أزيلية ، فإن الإنسانية سترى من وراء هذه الجبال قد برزت جبال أخرى ستكون مثلها في ضخامتها وتعذر ارتقاها ، وهكذا الحال إلى ما لا نهاية له .

وبالنسبة لما ينبغي معرفته للإمساك بمفتاح لهذا العالم ، سيوجد دائماً في نفس المكان جمل مركزي وستكون الحال على نفس المنوال ، حتى لو كان هناك ذكاء أكثر اتساعاً ونفاذاً بملايين المرات من ذكائنا . فكل ما سيكشفه هذا الذكاء المتزايد في قدرته بشكل عجيب سيبتعثر بمحدود ليس اجتيازها أيسر من اجتياز الحدود الحاضرة . فكل شيء لحدود له في كل ما لا حدود له ، وهكذا سنظل السجناء الخالدين لما لانهاية له .

وبالتالى فإنه من المحال علينا أن نقدر بأية درجة كانت — ولو كانت أصغر الدرجات المتصورة — الحالة الحاضرة للكون ، وأن نقرر طالما كنا آدميين — ما إذا كان الكون يتبع في مساره خطاً مستقيماً أو يرسم دائرة لا قياس لها ، وما إذا كان يسير نحو حكمة متزايدة أو نحو اضطراب متزايد ، وما إذا كان يزحف نحو الأبدية التى لانهاية لها ، أو يعود قافلاً نحو ماضيه الذى لم تكن له بداية . فكل ما سمح لنا بمعرفته في مقرنا الضئيل هذا هو أن نبذل قصارى وسعنا نحو ما يبدو لنا أفضل من غيره ، وأن نقيم في هذا المقر كأبطال مقتنعين أنه لا يمكن أن يضعيع هدراً شيء مما نعمله فيه ، (١) .

ثم يستطرد ما ترلنك قائلاً عن رأيه في علاقة ذلك كله بالموت : إن هذا هو تقريباً ما يجوز تأكيده الآن للروح القلقة إزاء الفضاء الذى لا يمكن سبر غوره ، والذى سيلقيها الموت فيه قريباً . فإنها يمكنها أن تؤمل أن تجد فيه كل ما كانت تحلم به ، ولعلها ستخاف منه بقدر أقل مما كان يرهبها فيه . وإذا كانت تفضل أن تبقى في الانتظار رافضة جميع الاقتراضات التى بذلت وسعى في عرضها بغير تحيز لواحدة منها ، فإنه مع ذلك يبدو عسيراً للروح أن ترفض بالأقل قبول هذا التأكيده العظيم الذى يعثر عليه القارىء في صميم أى من هذه الاقتراضات وهو أن الفضاء اللانهاى لا يمكن أن يريد بنا شراً ،

(١) عن مؤلفه في « الموت » La Mort ، طبعة ١٩١٣ من ٢٣٩ — ٢٤٤ .

وراجع ما سبق من المؤلف في الجزء الأول من ٢٩٢ .

بالنظر إلى أنه إذا ما عمد إلى تعذيب أقلنا شأنًا تعذيباً أزلياً ، فإنه سيعذب
« شيئاً » لن يمكنه أن ينزعه من نفسه ، وبالتالي سيعذب نفسه بنفسه .

ولم أضف شيئاً إلى ما كان المرء يعرفه من قبل ، ولكنى حاولت بكل
بساطة أن أفصل ما يمكن أن يكون صحيحاً عما لا يمكن بالتأكيد أن يكون
كذلك ، لأنه إذا ما جهل المرء أين توجد الحقيقة فإنه مع ذلك يتعلم أن
يعرف أين لا توجد هذه الحقيقة . ولعلنا بالبحث عن هذه الحقيقة التي
تأتي أن نعثر عليها نكون قد عودنا أعيننا أن نخترق غمّة الساعة الأخيرة
بالتطلع إليها في ثبات . وبغير أدنى ريب توجد أشياء كثيرة يمكن قولها
وسيقولها آخرون بطريقة أكثر قوة وبريقاً .

ولا تدعونا نؤمل أن أي إنسان على هذه الأرض يقول الكلمة التي تحسم
شكوكنا ، فإنه من الراجح جداً أن أي إنسان في هذا العالم ، وربما في العالم
الآخر ، لن يكتشف لغز الكون الأعظم . وإذا ما فكرنا ملياً في ذلك
وجدنا أن السعادة المفرطة هي في أن يكون الأمر كذلك . فإنه علينا ليس
فحسب أن نتنازل عن الحياة فيما لا يمكن إدراكه من أمور ، بل علينا أيضاً
أن ننعم بالعجز عن الخروج من هذه الأمور .

وإذا لم تعد بعد أية أسئلة لا تلقى جواباً وأية ألغاز لا يمكن كشفها ،
فاللأنهائي لن يصبح بعد لا نهائياً ، وعندئذ يكون علينا أن نلن — وللأبد —
المصير الذي ألقى بنا في عالم محدود محدود ذكائنا . وسيصبح كل شيء بعدئذ
عبارة عن سجن بغير منافذ ، وشر وخطأ لا يمكن إصلاحه . فما لا نفهمه ،
وما يعصى على فهمنا لازم لسعادتنا ، وربما سيبقى الأمر كذلك دائماً . وعلى
كل حال فإنني لا أتمنى لأموأ أعدائي — حتى ولو كان تفكيره أسمى مائة مرة
من تفكيري وأقوى — أن يقضى عليه بأن يحيا للأزل في عالم يكون قد باغت
فيه سرّاً رئيسياً ، وبوصفه إنساناً يكون قد بدأ أن يفهم فيه شيئاً^(١) . . .

الفصل الثاني عالم الروح متداخل في عالم المادة

بحسب المعلومات الأولية — التي أسلفناها — في الفيزياء قد يمكننا أن نذكر كيف أن المواد الصلبة إن هي سوى شبكة مفتوحة من الالكترونات والبروتونات ، وأن المسافة بين الالكترونات والبروتونات في داخل الذرة الواحدة شاسعة جداً بالنسبة لحجمها ، إلى حد أن المسافات بين بعض الالكترونات وبعضها الآخر وبينها وبين البروتونات تعادل المسافات بين بعض الكواكب أو بينها وبين الشمس من الناحية النسبية . وحتى هذه الشبكة المفتوحة من الطاقة الكهربائية المحبوسة ليس لها من وجود حقيقى إلا فى نطاق ما تقدر خواصنا على تسجيله منها على ما يبينه آنفأ .

وذلك كله يوضح لأفهامنا بطريقة محدودة جداً كيف أن عالم الروح جزء من هذا العالم وأنه مادى وإن تكن مادته من الرقة والल्प بحيث لا نستطيع خواصنا إدراكها ، وءأنا نحن فى هذه الدنيا الآن أرواح تغلفنا أجسام فيزيقية ، وأن الموت ماهر إلا انفصال الجسم الأثيرى أو الروحى عن الغطاء الفيزيقي . والجسم الأثيرى هو الجسم الحقيقى الباقي ، وهو فى شكله نسخة طبق الأصل من مقابله الفيزيقي ، وعلى هذا الاعتبار يسهل علينا أن نفهم كيف أنه بتوافر شروط خاصة لانعرفها يستطيع هذا الجسم أن يغلف نفسه بمادة فيزيقية ثم يعمل تحت رقابة العقل كما نعمل نحن أنفسنا .، على ما يذكره الأستاذ جيمس آرثر فندلاى^(١) مدير المعهد الدولى للبحث الروحى ، بلندن^(٢) .

وهو يضيف أيضاً أن « تغيير الموضع أو الإقامة بالمعنى الذى نفهمه فى هذا العالم لا يعنى شيئاً بالنسبة للعقل فى مقره الجديد ، وإنما يتغير وضع العقل بالاهتزازات التى يستجيب لها ، فإذا لم يكن العقل على الأرض قد ارتقى

(١) « على حافة العالم الأثيرى طبعه » ثلاثة سنة ١٩٥٤ ص ٢٢ .

(٢) The International Institute For Psychical Research.

فإنه يستجيب هناك لاهتزازات من رتبة أدنى . أما إذا كان العقل أكثر ارتقاء فإنه يستجيب لرتبة أرقى . وهكذا يستطيع العقل أن يتابع تكشفه وارتقاءه مستجيباً دائماً إلى اهتزازات أعلى درجة دون تغيير في الوضع أو الإقامة ، ولكنه لا يحرص بالاهتزازات الدنيا أو العليا التي لا يكون مترتماً معها . أنا لا أقصد أن العقل حين يتحرر من الجسم الفيزيقي لا يغير مقامه بناتاً ، وأنه يدرك وسطاً جديداً بالاستجابة فقط لاهتزازات أرقى أو أدنى ، كلا ما أردت هذا .

فالحركة في كل مستوى يصعد إليه العقل بعد الموت ممكنة كما هي ممكنة هنا فوق الأرض ، بل إنها في الواقع تكون أسرع . أما ما لا يستطيعه العقل فهو الصعود إلى مستوى أعلى درجة اهتزاز من المستوى الذي يلائمه من حيث الاستجابة ، ولكنه يستطيع بالفكر أن يستجيب إلى اهتزازات أدنى متدرجاً في الانخفاض إلى اهتزازات العالم الفيزيقي ،^(١).

وهذا يفسر لنا ما نقوله الأرواح كافة من أن الأرواح الراقية يمكنها أن تنزل إلى المستويات غير الراقية إذا ما أرادت ذلك بدافع الخدمة أو المساعدة ، أما الأرواح غير الراقية فلا يمكنها أن ترتفع إلى المستويات الراقية . إن أحداً لا يمنعها ، لكن يمنعها قانون طبيعي للتوافق الروحي ، لا يملك أحد منه فكاً ، وعلى ذلك أجمعت الكتب الروحية .

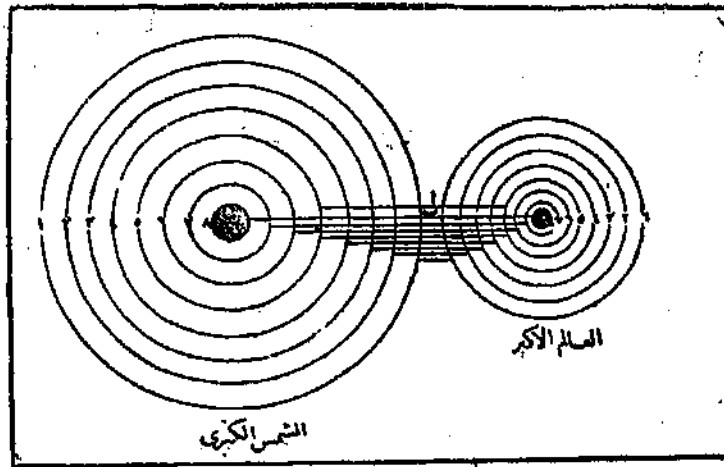
كما يضيف فندلاي قائلاً : « ولقد حصلت على معلومات أخرى تدل على أن العالم الحقيقي يشتمل على سبع كرات عدا الأرض متداخلة بعضها في بعض ، ولكل منها مستوى أو سطح ، ولكل منها جو يبدو كأنه سماء لساكنيها . وإذا نحن صوبنا النظر إلى أعلى ونحن فوق الأرض فإننا إنما نطلق أنظارنا خلالها ، وعلى هذا النمط يطلق القاطنون في أي مستوى أبصارهم إلى ما فوقهم . وسطح كل كرة صاب بالنسبة لسكانه ، ولكنهم بالفكر يصلون إلى خفض

(١) المرجع السابق ص ٧١ .

درجة اهتزازاتهم فيهبطون من مستوى إلى آخر حتى يصلوا إلى الأرض .
وقليلون منا يدركون أننا ونحن ننظر إلى السماء إنما نطلق النظر خلال
مستويات مختلفة الكثافة ستكون يوماً ما مأوى لنا . وفيها يقيم الآن أولئك
الذين كانوا يوماً ما يعيشون فوق هذه الأرض . وهم هناك يمارسون نوعاً
من الوجود أنشط وأفع ^(١) .

وفدلاى هنا يشير إلى حقيقة أخرى أجمعت عليها كتب البحث الروحي
وهو أن جميع الأكوان الروحية متداخلة تشغل نفس الحيز من الفراغ ،
وهذا متصور علياً الآن ما دام أن لكل كون منها رتبة اهتزاز تخالف
رتبة اهتزاز الكون الآخر .

وبين كل كون منها وآخر يوجد فاصل من الاهتزازات يعد بمثابة
حاجز يفصل بينهما . ولتفاوت رتب الاهتزاز تفاوتاً ضخماً بين الأكوان
لا يشعر كل كون منها بالآخر مع تداخلها معاً .



[قُلا من كتاب « الكون المنشور »]

تداخل العوالم والشموس بعضها في البعض الآخر في صورة سبع كرات غير الأرض

ونفس هذا الكون المادى الذى نعيش فيه ، يعد بالنسبة للأرواح كوناً روحياً ، بدلالة أنها تتحرقة دون أن تشعر بجوازه المادية من منازل وجبال ، فهو لا وجود مادى بالنسبة لها ، كما أنه ليس للأكون الروحية السبعة من وجود مادى بالنسبة لنا مع أنها كلها تشغل نفس الحيز من الفراغ كما قلنا .

اتساع عالم الروح

إذا كان اتساع الكون المادى هائلاً إلى المدى الذى يبناه إجمالاً فى الفصل السابق استناداً إلى أحدث الكشوف الرياضية والفلكية بما يحويه من شمس وكواكب ونجوم ، فما بالك بالكون الروحى الذى يقع وراء اهتزاز المادة الصلبة فلا تتعثر بحالاته بأية عقبات تعوق الحياة ، أو بأية مناطق يصح أن يقال عنها إنها غير صالحة للحياة ؟ لعل هذا البيان السريع يرد على أولئك الماديين الذين يقولون ، وهل فى الكون متسع لخلود هذه المواكب التى لا تنقطع من بنى الإنسان منذ بدء الخليقة حتى نهاية الحياة المادية ؟ ولعل فيه ما يحمل العقل الواهن على أن يتأمل جانباً واحداً من عظمة الله وقدرته غير المحدودة .

والكون الروحى الذى يقع وراء الكون المادى غير محدود ولا توجد حواجز مادية تفصل بين مستوياته . فهذه المستويات فيه عبارة عن مجرد حالات تصل الروح إلى الحالة التى تتفق مع مدى نضجها وتطورها . وهذه المستويات أو المراحل التى تتطور إليها النفس ، وهى فى طريقها إلى الأبدية ، متعددة يختلف الباحثون فى كيفية تقسيمها والتعبير عنها بعبارات لغتنا الأرضية المحدودة المعانى والألفاظ ، والتى لا يمكن أن تحيط بها عقولنا الأرضية المحكومة بجهازها الأرضى الضعيف وهو المخ .

ويقول الأستاذ هيو وات ماكنزى Hewart Mackenzie مدير الكلية البريطانية

العلم الروحي ، في مؤلف له عنوانه «الاتصال بالروح : النظر والعمل» (١)
(١٩١٦) إنه تلقى من روح الفيلسوف وليام جيمس الذي كان قد انتقل
إلى عالم الروح منذ سنة ١٩١٠ بعض بيانات هامة عن أوصاف عالم الروح
وأبعاده بالنسبة لعالم المادة .

ومن ضمن هذه البيانات أن المستوى الثالث (أو السمرلاند) يبعد بما
يوازي ١٣٥٠ ميلا من الأرض ، وأن المستوى الرابع يصل إلى ٢٨٥٠ ميلا
والخامس إلى ٥٠٥٠ ميلا والسادس إلى ٩٤٥٠ ميلا والسابع إلى ١٨٢٥٠ ميلا .
كما تقول روح وليام جيمس إن ما يحفظ للجسم الحياة هناك في المستويات
الفوق الفيزيكية تتمصه الروح من الجوع عن طريق التنفس العادي ، وأنه توجد
مشاركة للجنسين في رباط وثيق من العاطفة . وأن الحيوانات التي تحيا هناك
سبق أن عاشت على الأرض ، وأن العوالم الروحية للكواكب المختلفة تتلاقى
في المستوى السابع ، وأن بناء الأكوان يحدث من انبعاثات تنبعث من المواد
الصلبة ، ثم تتكشف إلى مادة تبدو لم صلبة في صورة قارات فضائية شاسعة
بسبب تجاذب هذه الانبعاثات بعضها إلى بعض . وأن الانتقال من مستوى
إلى آخر أرقى منه يحدث بسبب الترقى التدريجي للجسد الروحي تحت تأثير
الروح .

وبحسب بعض رسائل الأرواح الراقية التي لا يوجد سبيل مادي
للتحقق من صحتها يتكون عالم الروح من سبع كرات متحدة المركز مع
الأرض كما أسلفنا ، وتبدأ الكرة الأولى من بعد حوالى ثلاثة أثمان قطر
الأرض عن المركز وتنتهى إلى حوالى ١٤ ضعفاً ، والثانية تصل إلى ثلاثين
ضعفاً والثالثة إلى ٤٥ ضعفاً والرابعة إلى ٨٠ ضعفاً وهكذا

* * *

ومن بين ما أمله الأرواح عن حالات الإنسان ، وتطوره بعد الموت من

مستوى إلى آخر من مستويات الوجود في هذا الكون الهائل ، ما أمله روح عالم النفس المعروف فردريك و. ه. مايرز^(١) على الوسيطة المعروفة جيرالدين كامينز^(٢) في مؤلفها « الطريق إلى الخلود »^(٣) وفيه يقول مايرز في فصل عنوانه « وثيقة الوجود »^(٤) إن رحلة النفس تتطور خلال سبعة مراحل ، أطلق على كل مرحلة منها اسماً اصطلاحياً كالآتي : —

فالمرحلة الأولى يصفها بأنها « مستوى المادة » Plane of Matter

والمرحلة الثانية يسميها حالة انتقالية Hades or Intermediate State

والمرحلة الثالثة يسميها « مستوى الخداع » The Plane of Illusion

والرابعة يسميها « مستوى اللون » The Plane of Colour

والخامسة يسميها « مستوى الشعلة » The Plane of Flame

والسادسة يسميها « مستوى الضوء » The Plane of Light

والسابعة يسميها « حالة انعدام الوقت » Out Yonder, Timelessness

ويقول إن بين كل مستوى وآخر ، أو بين كل فصل وآخر من فصول التجربة التي قضاها النفس ، توجد حالة انتقالية فيها تستعيد الروح تجاربها الماضية وتعين اختيارها مقرررة المسير إلى أعلى أو إلى أسفل سلم الوعي .

١ — « مستوى المادة » يتكون من مجموع التجارب التي تمت للنفس في شكل فيزيقي ، أى في الشكل المادى الذى يعرفه الإنسان . وهذه التجارب الفيزيقية ليست محصورة في الحياة على الأرض ، لأن هناك تجارب من هذا النوع تم في مناطق كوكبية متعددة . فأحياناً يهتز الجسد فيها أسرع أو أبطأ

(١) راجع ما سبق هذه في الجزء الأول من ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٢) راجع ما سبق عنها في الجزء الأول من ٢٠٢ — ٢٠٤ .

(٣) The Road To Immortality.

(٤) The Chart Of Existence.

من جسد الإنسان في أى مكان كوكبي آخر ، واسكن تعبير فيزيقي يعبر عن خصائص هذا المستوى وطبيعته .

٢ - أما «مستوى الحالة الانتقالية» فهو عبارة عن حياة برزخية تفصل بين كل مستوى وآخر من مستويات الوجود السبعة .

٣ - أما «مستوى الخداع أو الوهم» فتشير إليه فترة الأحلام المرتبطة بالحياة على مستوى المادة .

٤ - أما «مستوى اللون» فهو المستوى الذى لا يكون الوجود فيه محكوماً بالحواس ، بل بالعقل رأساً ، ومع ذلك يظل الوجود محتفظاً بشكله وبمادته بعد إذ تصبح المادة أرق كثيراً من ذى قبل ، حتى ليصح وصفها بأنها عبارة عن «هواء أو بخار المادة» . «مستوى اللون» هذا يقع ضمن نطاق الإقليم الأرضي ، أو الأقاليم التي تقابله على الكواكب الأخرى حيث قد تكون الروح قد أمضت تجارب سابقة لها من الوجود الفيزيقي .

٥ - أما مستوى «الشعلة الخالصة» ففيه تصبح الروح متنبهة إلى حقيقة الدور المشرق الذى تقوم به في تناسق الأبدية ، وشاعرة بكل الحياة الشعورية التي تحياها الأرواح التي تغذيها نفس المشاعر .

٦ - أما مستوى «الضوء الخالص» فهو المستوى الذى فيه تحصل الروح على الإدراك الواعي لكل وجود سابق لها بين مجموعتها الروحية الخاصة ، إلى أن تحصل فيها بعد على الإحساس بكل مشاعر الحياة داخل «كيان العالم الأرضي أو روحه» .

٧ - وأخيراً في المستوى السابع تندمج الروح بكل عناصرها المتعددة وتمتدح بالعقل الأعظم ، أو «بالتخيل الإلهي» حيث الإدراك العام الذى يطوى الأكوام المتعددة الواحد بعد الآخر ، ومزائب الوجود المختلفة والماضي والحاضر والمستقبل ، وكل ما كان وما سيكون ، هناك كل شيء خالداً ، وكل وعي كامل ، هناك الحقيقة الكاملة .

هذا تلخيص سريع لتقسيم مستويات الوجود من ناحية تطور الحياة الداخلية للروح ، بصرف النظر عن اتصالها بالجسد المادى أو انفصالها عنه ، كما بحث به من هناك عالم النفس فردريك مايرز . وهو لا يمثل التمييز بين « أمكنة معينة » بل يحاول التمييز بين مراحل معينة للروح ، وهى فى طريقها إلى الأبدية متنقلة من مستوى إلى مستوى آخر من مستويات الوجود .

* * *

وهناك تقسيم آخر لمستويات الوجود السبعة بالمعنى المكافئ وفى نفس الوقت بالمعنى الخلقى - الروحى قالت به أيضاً طائفة من الأرواح . وهى تميل إلى القول بأن هذه المستويات كالآتى : ١ - « مستوى الجحيم أو الحياة البائسة » ٢ - « مستوى الرغبات » ٣ - « السميرلاندى » (أو الأرض السعيدة) وهو المستوى الثالث الذى يتحدث عنه كثيراً الروحانيون والذى تذهب إليه الأرواح الراقية من سكان الكوكب الأرضى ، ويتسكون من اجتماع حالة معينة للروح بمكان معين تشعر بوجودها فيه ٤ - « مستوى العقل » ٥ - « مستوى التجريد ، Abstract ٦ - « مستوى تقابل الجنسين » Meeting of the Sexes ٧ - « مستوى الاتحاد فيها بينها ، Union of the Sexes وفيه تختفى الخصائص المميزة لكل من الجنسين . ويقول بعض الأرواح أيضاً إنه بعد هذه المستويات توجد السهارات العليا غير المحدودة التى تمثل ذروة المجد والنعيم^(١) .

* * *

والآن لنبين جانباً من أسلوب الحياة وظروفها فى المستوى الروحى ، خصوصاً منه ذلك الذى يهتم الأرضيين ، من مستويات عالم الروح وهو المستوى الثالث أو السميرلاندى الذى تذهب إليه عادة الأرواح الراقية منهم ، كما يرونها سكان هذا المستوى أنفسهم ، وكما اقتنع بها فريق من أجمن العلماء والباحثين .

(١) راجع ذلك « موسوعة العلم الروحى » Encyclopædia of Psychic Science تحت كلمة Spheres أى أجواء .

ولاريب أن محاولة تفهم أسلوب الحياة في أى عالم من عوالم «ماوراء المادة» تتميز في النفس عدداً لا نهاية له من الأسئلة الهامة ، وقد تكفلت بحوث علم الروح والكتب والرسائل الواردة من هناك ، بالإجابة على عدد وفير منها ، وبمحاولة توضيحها على قدر الإمكان ، وتقريب بعضها إلى أذهاننا بالعبارات التي نفهمها ، حين تعذر ذلك بالنسبة للبعض الآخر لأسباب متعددة :

— منها أن الأرواح لا تعرف بعد كل شيء ، وأنها مهما بلغت من الرقي والنضج فلم تطلع على شيء يذكر بعد من خفايا الكون وأسراره وما أكثرها ، خصوصاً وأنه كلما ازداد رقي الروح كلما ارتفع «مكانها» في مستويات الوجود ، وصار الاتصال بها أصعب مثلاً ، فضلاً عن أن بعضها يفضل ألا يفصح عن كل ما يعرفه من بيانات .

— ومنها أن أسلوب الحياة في عوالم ما بعد المادة يختلف في كلياته اختلافاً ينفذ عن أسلوب الحياة في عوالم المادة . وذلك ما يجعل مهمة الأرواح عسيرة وهي تحاول أن تعطينا صورة واضحة ولو نوعاً عن أسلوب حياتهم بألفاظنا المحدودة المستعارة من أسلوب حياتنا المادية وهي تجد في ذلك عناء ضخماً كما تقول .

— ومنها أن أساليب الحياة هناك متنوعة تنوعاً كبيراً بالنظر إلى تعدد مستويات الوجود تعدداً لا نظير له في المستويات المادية ولا مقابل له فيها ، فالعوالم المادية محدودة في اتساعها وفي طبيعتها حين أن عوالمهم غير محدودة في اتساعها ولا في طبيعتها .

وهي أية حال فإن المعلومات التي يملكها حتى الآن علم الروح الحديث عن أسلوب الحياة هناك تنكفي — حتى في حالتها الراهنة — كيما تعطينا فكرة تقريبية عن تنوعها في مدى وجوها وعموميتها بحسب المصادر الآتية منها .
وبهنا منها بوجه خاص ما يتعلق بعالم المستوى الثالث Third Plane الذي اصطلح الباحثون — كما قلنا — على أنه يمثل أرض المهجر المحتوم للأرواح العلية من سكان الكرة الأرضية .

الباب الثاني في أسلوب الحياة في بعض مناطق عالم الروح

تناولت وصف أساليب الحياة في بعض مناطق من عوالم الروح مراجع تعد الآن بالآلاف إن لم يكن أكثر، كتب أغلبها وسطاء مختلفون الإلهام أو للكتابة التلقائية أو المباشرة أو للجلاء السعوى، كما جاء بعضها عن طريق مناقشات مستفيضة في صيغة أسئلة والرد عليها تبادلها بعض الباحثين مع بعض الأرواح الراقية عن طريق وسطاء للغيوبة أو للصوت المباشر، أو غير ذلك من طرق الاتصال بعالم الروح.

وأول ما يلفت النظر في الأوصاف التي قيلت عن أسلوب الحياة هناك هو هذا التماثل الواضح بين أهم أجزائها رغم تعدد مصادرها، وتعدد البيئات التي تولت بحث هذا الجانب الوصفي بالعناية التي يستحقها. وهو تماثل ملبوس إلى مدى كان من المتعذر تماماً أن يتحقق - ولو جزئياً - لو أن الموضوع كان كله محض وهم أو خيال كما قد يذهب المعارض المتسرع.

وما بنى الادعاء بالوهم أو بالخيال في هذا الشأن أن نجى هذه الأوصاف - بالإضافة إلى تماثلها فيما بينها - متطابقة مع حقائق العلوم الأخرى، ليس في شأن طبيعة المادة الصلبة لحسب، بل أيضاً في شأن فكرة الزمان والمكان ودور الحواس في الإحساس بشئ مظاهر الوجود، ودور النفس المتطورة، ودور شتى عواطفها وانفعالاتها في دفعها إلى التطور، على النحو الذي سوف يبين للقارىء بعد الفراغ من قراءة هذا الباب. وفيما يلي نعالج هذه الناحية الوصفية في فصول ثلاثة: نخصص أولها لبيان بعض المراجع الرئيسية في هذا الجانب والتي تستحق أن تكون محلاً لثقة خاصة فيها، وثانيها لبيان طائفة من الأوصاف العامة لعالم الروح، ثم نخصص ثالثاً لبيان أهم الأمور المجمع عليها في كافة المراجع التي سمحت لنا طرؤنا بالاطلاع فيها.

الفصل الأول

بعض المراجع الهامة في وصف عالم الروح

هناك مؤلفات لبعض أعلام الحركة الروحية تناولت وصف عالم الروح في باب أو أكثر من أبوابها ، كما أن هناك مؤلفات خصصها أصحابها برمتها لهذا الجانب الوصفى . وبعض المؤلفين من العلماء ، وبعضهم الآخر من الوسطاء ، وبعضهم الثالث جمع إلى تضلعه في العلم أو الأدب موهبة الوساطة الروحية . والمراجع في هذا الجانب الوصفى تعد الآن بالآلاف ، لذا يلزم هنا ابتداء الإشارة إلى جانب من الهام منها حتى يرجع إليه من يشاء المزيد من الاطلاع في هذا الجانب من جوانب البحث .

ومن أقدم الوسطاء الباحثين في هذا الجانب الوصفى الفيلسوف السويدي عمانوئيل سويدنبرج^(١) ، وله في هذا الشأن كتاب « الجنة والنار »^(٢) الذي يرجع إلى منتصف القرن الثامن عشر . وقد ظل سويدنبرج على صلة وثيقة بعالم الروح لمدة سبعة وعشرين عاماً بدأت في سنة ١٧٤٤ . كما عالج هذا الجانب الوصفى أيضاً في مؤلف آخر معروف له وهو « الأسرار »^(٣) .

ومنهم الوسيط الأمريكي أندرو جاكسون دافيز^(٤) الذي تعرض بدوره لوصف عالم الروح في بعض أبواب من مؤلفه « مبادئ الطبيعة » : وحيها

(١) راجع ما سبق عنه في الجزء الأول من ٩٩ - ١٠٢ .

(٢) وقد كتبه باللاتينية وله ترجمة فرنسية عنوانها Le Ciel Et L'Enfer بمرقة Le Boys De Guays أعيدت طباعتها حديثاً مع الفرح والتعاليق بمرقة Jean Francois.

The Arcana. (٣)

(٤) راجع ما سبق عنه في الجزء الأول من ١٠٢ - ١٠٤ .

المقدس،^(١) ويقع في ثمانية أجزاء .

ومثله الوسيط هــسون تاتل الذى وضع موقع عالم الروح وأبعادها بالنسبة للأرض وأوصافه العامة، وكيفية نشوئه من انبعاثات ذرية من عوالم المادة في مؤلفه المعروف « أسرار الروحية »،^(٢) وله أيضاً في هذا الجانب الوصفى مؤلف آخر عنوانه « الحياة في أجواء كرتين أو مشاهد في السمـرلاند »^(٣) .

وفي كتاب القاضى إدموندز — الذى كان رئيساً للسـناتو الأمريكى للمحكمة العليا بنيويورك ويعد من رواد العلم الروحى هناك — عن « الروحية »^(٤) يمدد القارىء أيضاً باباً في هذا الموضوع .

ومن أقدم المؤلفات مؤلف للبحاثـة الأمريكى الدكتور جـ . مـ . بينلز J. M. Peebles وهو طبيب ودكتور فى الفلسفة ومن رواد العلم الروحى أيضاً وعنوانه « الخـسـلـود وأوطاننا المستقبلـة »،^(٥) وفيه يسرد اتصالاته الخاصة بحوالى مائة روح مختلفة مبيناً كيف يعيشون، وماذا يعملون، وماذا يأكلون، وما هى مشكلاتهم وميولهم وآراؤهم وعاداتهم والمؤلف حاصل على عدد وافـر من المؤهلات العلمية العالية^(٦)، فهل من مبرر لاتهامه بالغش والكذب لغير أية مصلحة يرجو تحقيقها ؟



الدكتور بينلز

The Principles Of Nature.

(١)

Arcana of Spiritualism ١٠٦ — ١٠٤ وراجع ما سبق منه فى الجزء الأول ص ١٠٤

Life In Two Spheres or Scenes in the Summerland (٢)

Spiritualism , With George T. Dexter دكتور مع جورج دكـسـتر (٣)

Immortality And Our Future Homes. (٤)

M. D., M. A., F. A. S., Ph. D. (٥)

(٦) فن مؤهلاته :

ومن المراجع التقليدية الهامة « خطابات من جوليا ، الذى تلقاه ونشره
المرحوم سير . ت . ستيد اقيب الصحافيين البريطانيين فى سنة ١٩٠٨
وأعيد نشره فى سنة ١٩٥٢ تحت عنوان « بعد الموت » ،^(١) وفيه يقول ستيد
إنه ظل يستجوب روحه المرشدة جوليا طيلة سنتين عن ظروف حياتها
هناك . وإنه ظل على صلة وثيقة بها لمدة حوالى خمس عشرة سنة .

ومن المراجع الهامة أيضاً مؤلف « الحياة وراء الحجاب » ،^(٢) فى خمسة
أجزاء للأسقف البريطانى جورج فيل أوين Rev. George Vale Owen
(١٨٦٩ — ١٩٣١) الذى كتبه بإشراف بعض الأرواح ، لأنه كان وسيطاً
للكتابة التلقائية Automatic or spirit-controlled writing . وله أيضاً
كتاب « الحقائق وحياة المستقبل » ،^(٣) .

وفى كتاب سير آرثر كونان دويل عن « تاريخ الروحية » ،^(٤) يجد القارىء
فضلاً ممتعاً فى الجزء الثانى منه عنوانه « الحياة الأخرى كما يراها الروحانيون » .

كما يجد القارىء فصولاً عمالة فى كتاب السيدة ليليان والبروك
Lilian Walbrook عنوانه « حالة ليستر كولمان » ،^(٥) وأخرى فى كتاب السيدة
بلاتس Platts عنوانه « الشهادة » ،^(٦) .

وفى كتاب عنوانه « صاغت شيئاً » ،^(٧) الأستاذ جون سكوت John Scott
يجد القارىء أيضاً بعض أوصاف للعالم الآخر ، وكذلك فى كتاب « توسيع

(١) After Death. A personal Narrative .

(٢) Life Beyond The Veil.

(٣) The Facts And The Future Life. ١٩٦٦ وراجع ما سبق فى الجزء الأول من ١٩٦٦ .

(٤) The History Of Spiritualism.

(٥) The Case Of Lester Colfman.

(٦) The Witness.

(٧) I Lent A Hand To A Ghost.

وله مؤلف آخر عنوانه As One Ghost To Another.

الطرق، (١) للباحثة ليندا ميتكالف Linda L. Metcalf الذى ظهر في سنة ١٩٥٣ وأعيدت طباعته في سنة ١٩٥٤ بمعرفة « نادى الكتاب الروحي »، (٢) بلندن .

والفصل الأخير (الرابع عشر) من كتاب « أنباء من العالم الآخر »، (٣) للباحثة شارل تويديل رئيس أساقفة يوركشير مخصص لوصف « حياة ما بعد الموت والأجواء » بطريقة عالم محايد متحفظ ينقل إلى القارىء بعض رسائل من الأرواح ومناقشات له معها ، وبخاصة مع أرواح سير آرثر كونان دويل والموسيقى الشهير شوبان وستراديوريوس Straduarius (راهب وصانع كان معروف) ومستز برونك وسير روبرت بول R. Ball وبعض أقارب له من سبقوه إلى عالم الروح ، وكل ذلك مع صور روحية واضحة وخطوط وتوقعات لعدد منهم (٤) .

ومن المؤلفات أيضاً واحدمعروف للأسقف ليديتز G. W. Leadbeater وهو من أتباع المدرسة الثيوصوفية عنوانه « المستوى الكوكبي »، (٥) ، وآخر لزميلة له في نفس المدرسة وفي التأليف وهي السيدة أنى بيزانت Annie Besant وعنوانه « الموت وما بعده »، (٦) . ومنها كتاب للأستاذ ا. ب . سينيت A. P. Sinnett وهو من أتباع نفس المدرسة عنوانه « في العالم التالى »، (٧) (١٩١٤) يتضمن أو صافاً عديدة عن الحياة في عالم الروح تلقاها المؤلف من عدد من أصدقائه ومعارفه الذين انتقلوا إلى هناك .

Widening Trails.

(١)

Psychic Book Club.

(٢)

News From The Next World.

(٣)

(٤) راجع نماذج من هذه الصور والتوقعات في الجزء الأول س ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٩٨ .

The Astral Plane.

(٥)

Death And After.

(٦)

In The Next World.

(٧)

ومن المؤلفات القيمة في وصف حياة ما بعد الموت اثنان للأسقف داريتون توماس Drayton Thomas وهما « في الفجر بعد الموت » (١) و « بعد أفول شمس الحياة » (٢) . ومؤلفان للأديب الإيرلندي الذائع الصيت شو دزموند Shaw Desmond وهما « كيف نحيا عندما نموت » أو الدليل للعالم الآخر (٣) و « الحب بعد الموت » (٤) والآخر منهما يعني بوجه خاص بالجانب العاطفي والعائلي للحياة هناك وسنعرض بعض صفحاته — على نطاق واسع فيما بعد ، لأنه ثمرة بحوث شاقة ومشوقة وأيضا لفرط فائدته لكل إنسان ومنها كتاب « سماء جديدة : دراسة للحياة الأخرى » (٥) للكاتب والوسيط الروحي القدير و . ه . إيفانز W. H. Evans رئيس تحرير جريدة « العالم التالي » Beyond ، وكتاب « الحياة في العالم غير المنظور » (٦) للباحث المعروف أنتوني بوجيا Anthony Borgia الذي ظهر في سنة ١٩٥٤ وقدمه للقراء العلامة سير جون أندرسون Sir John Anderson . ثم أعقبه بمؤلف آخر عنوانه « المزيد عن الحياة في العالم غير المنظور » (٧) ظهر في سنة ١٩٥٦ . كما ينبغي أن نشير أيضا إلى كتاب « منازل كثيرة » (٨) لما رشال الطيران لورد دودنج Dowding ، وكتاب « الإقليم التالي » (٩) لوسيلة الإلهام المعروفة جين شيرود Jane Sherwood ، وكتاب « فيليب في الأجواء » (١٠) لوسيلة

-
- | | |
|--|-----|
| In The Dawn Beyond Death. | (١) |
| Beyond Life's Sunset. | (٢) |
| How You Live When You Die (A guide to the Next World). | (٣) |
| Love After Death. | (٤) |
| A New Heaven, A Study Of The Life Beyond. | (٥) |
| Life In The World Unseen. | (٦) |
| More About Life In The World Unseen. | (٧) |
| Many Mansions. ٣٨٨ — ٣٩٤ | (٨) |
| The Country Beyond. | (٩) |
| Philip In The Spheres. | |
- (٨) وراجع ما سبق عن المؤلف في الجزء الأول ص ٣٨٨ — ٣٩٤

أخرى وهي أليس جيلبرت Alice Gilbert الذى تلقته من روح شقيقها المتوفى فيليب. ولا يقل عنه شأنًا مؤلف آخر عنوانه والحياة فى الفردوس، (١) (١٩٠٥) (أو فى الأليزيه، وهى كناية عن الجنة مأخوذة من أشعار هوميروس) وهو يحوى بيانات تلقاها الوسيط الروحى روبرت جيمس ليز Robert James Lees والذى له أيضاً فى وصف عالم الروح كتاب «بوابة الجنة»، (٢). ومن أهم المؤلفات الحديثة التى تعالج وصف الحياة فى عالم الروح بطريقة علمية منظمة، مؤلفات الأستاذ جيمس آرثر فندلاى J. A. Findlay الذى كان مديراً للمعهد الدولى للبحث الروحى، بلندن إلى حين انتقاله إلى عالم الروح فى سنة ١٩٦٤. وقد تعرض لبعض أوصاف الحياة هناك فى مؤلفه «على حافة العالم الأثيرى»، (٣) فى الفصل الرابع عشر منه، ثم عالجها علاجاً تفصيلياً فى مؤلفه «الكون المنشور»، (٤). والمؤلف يمتاز عن سبقوه بتعليل ما تلقاه من أوصاف تعملياً علمياً فى ضوء مبادئ الفيزياء الحديثة على ما سبلى فيما بعد.

وباللغة الفرنسية يمكن للقارىء أن يرجع إلى بضعة كتب تقليدية هامة منها: الجنة والنار، (٥) لفيلسوف الحركة الروحية الفرنسية ورائدها آلان كاردك Allan Kardec. ومنها كتاب «بعد الموت»، (٦) للفيلسوف والباحث الكبير ليون دينيز Leon Denis، و«الحياة بعد الموت»، للباحث شارل لانسلان Charles Lancelin (٧). ومنها كتاب «مشكلة الموت»، حلولها الخيالية والعلم التطبيقى، للمؤلف لوى بوردو Louis Bourdeau (٨).

The Life Elysian.	(١)
The Gate Of Heaven.	(٢)
On The Edge Of The Etheric.	(٣)
وله ترجمة عربية بقلم المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير.	
The Unfolding Universe.	(٤)
Le Giel Et L'nfer.	(٥)
Après La Mort.	(٦)
La Vie Posthume.	(٧)
Le Problème De La Mort. Ses Solutions Imaginaires	(٨)
Et La Science Positive.	

ومن المراجع الفرنسية أيضاً كتاب «العالم الآخر وإمكاناته غير المحدودة» (١) وقد بحث به من هناك الأستاذ ألبير بوشار Albert Pauchard الذى كان فى حياته الأرضية رئيساً لجمعية الدراسات الروحية، فى جنيف، وبعد انتقاله أُملى هذا الكتاب على السيدة أنتوانيت بوشار Antoinette Pauchard خلال أعوام ١٩٣٥ إلى ١٩٣٧ بالفرنسية ثم ترجم إلى الإنجليزية (٢).

ومنها كتابان لوسيط يدعى برنتيس توكر Prentis Tucker عنوان أولهما «الحياة مستمرة بعد الموت» (٣) وعنوان ثانيهما «كيف تستمر الحياة بعد الموت» (٤).

وباللغة العربية يمكن للقارئ أن يرجع إلى كتاب «ميت يتكلم» الذى هو عبارة عن ترجمة عربية كاملة بقلم الأستاذ عبد الحميد فهمى مظهر لمؤلف أملتة روح المرحوم سير و. ت. ستيد W. T. Stead تحت عنوان «الجزيرة الزرقاء» (٥) وأغلبه يدور حول وصف الحياة فى بعض المناطق هناك، وسنحتاج إلى الرجوع إليه فيما بعد فى عدة مواضع.

كما يمكنه أن يرجع إلى كتيب عنوانه «رسائل الجندي دودنج» (٦) التى تلقاها من العالم الآخر الميجور و. تيودور بول W. T. Paul وترجمها إلى العربية الأستاذ مصطفى العلوى فى سنة ١٩٣٥.

(١) L'autre Monde Et Ses Possibilités Infinies, Gèenve Jeheber, editeur.

(٢) وذلك تحت عنوان The Other World, Its Infinite Possibilities, Its Spheres of Beauty and Joy, Rider, London.

(٣) La Vie Continue Après La Mort.

(٤) Comment La Vie Continue Après La Mort?

(٥) The Blue Island.

(٦) Letters of Private Dowding.

الفصل الثاني

طائفة من الأوصاف العامة

عالج علم الروح الحديث الأوصاف العامة لحياة ما وراء المادة بصورة تفصيلية ، فلم يترك سؤالاً رئيسياً يمكن أن يخطر على بال إنسان بغير جواب شاف له . وهذا جانب من أقوى جوانبه : أنه عرف كيف يسد ثغرات كثيرة كانت موجودة من قبل ويحجب على أسئلة لا تحصى ما كان يمكن الإجابة عنها - ولا عن بعضها - إلا عن طريق دراسة الظواهر الواسطية بطريقة معملية صرف ، وعلى أيدي علماء تعودوا التساؤل المستمر عن أدق المعلومات بطريقة علمية منظمة ، وتعودوا قبل كل شيء آخر أن يبحثوا عن العلة فيما قد يلقي إليهم من معلومات . وبما يلفت النظر إلى حد مثير أن الإجابات كانت - في جملتها - متوافقة من نواحيها العامة ، وفي كلياتها بغير تطابق تام في كل الجزئيات .

ولذا يقول الأديب الإيرلندي شو دزموند Shaw Desmond - وهو أستاذ في المعهد الدولي للبحث الروحي ، بلندن وصاحب خبرة عشرات من السنين في هذا الموضوع - ، لكننا في الواقع نعرف الكثير عن هذه الأشياء إذ لدينا تفصيلات دقيقة نتلقاها عن العادات والسجيا في العالم الثاني ، وعما يأكلون ويشربون ، وعما إذا كانوا يعشقون وعن مائة من الأمور الأخرى . ولو كانت الأنبياء التي نتلقاها يومياً من العالم الثاني تختلف اختلافاً جوهرياً بعضها عن بعض لكان يضح لنا أن نشك في صحتها . ولكن التفصيلات التي تلقيناها خلال حقبة طويلة من السنين متطابقة ما دامت ترد إلينا من ذلك العالم نفسه ، ولذا فنحن - فيما أرى - مضطرون كقوم منصفين معقولين إلى الاعتقاد بأنه لا بد وأن يكون في الأمر شيء ، وبخاصة حينما يكون ذلك متعلقاً بتفصيلات بعيدة عن مخيلتنا كمسألة البناء والتكوين بالفكر .

والعالم الذى نتلقى عنه من الجانب الآخر تسعة أعشار ما نتلقى هو ذلك العالم الذى يسميه بعض الباحثين فى العلوم الغامضة عالم المستوى الثالث Third Plane . والسر فى تلقينا تفصيلات عن هذا العالم دون غيره من العوالم هو أنه العالم الذى يذهب إليه الناس عادة بعد الموت . ومن ثم يتحتم علينا أن نعرف شيئاً عن بلدنا المقبل كما يتحتم على أى مهاجر إلى كندا أو أمريكا أن يعرف شيئاً عن البلد الذى سينرح إليه ، أليس ذلك معقولاً ؟^(١) ،

* * *

كما يقول سير آرثر كونان دويل^(٢) Arthur Conan Doyle — وقد كان مديراً للسلطة البريطانية للعلم الروحى فى وقت ما — « إذا كان علينا أن نواجه الصعوبة الناشئة من التفاوت فى التفاصيل المتعلقة بمختلف الأوصاف عن العالم الآخر ، التى وصلتنا فى رسائل متعددة ، فإنه يجب ألا يغرب عن البال أن التشابه فيما بينها يفوق التفاوت بكثير . وينبغى علينا أن نتذكر أن الحياة الأخرى متعددة النواحي ومتشعبة تشعباً لا نهاية له ، ولو قال قائل فى هذه الدنيا الصغيرة إن منزل أبيه يحتوى على عدة مساكن ، أو حجرات ، لقلنا له إن التفاصيل التى يذكرها شاهدا عيان لا يمكن أن تكون واحدة ، ولو أن أحد علماء أ كسفورد وأحد فلاحي الهند طلب من كل منهما وصف لهذه الحياة لكان التفاوت بينهما أعظم بكثير من التفاوت فيما قرأناه عن أوصاف الحياة الأخرى .

« ولقد تخصصت فى دراسة هذه الناحية (أى الناحية الوصفية) دون أن أهتم كثيراً بالظواهر الطبيعية . ولا أظن أن أحداً قرأ أكثر مما قرأت من التفاصيل المطبوعة أو المكتوبة فى هذا الموضوع من وسطاء لا علم لهم بشيء عن الخطط الروحية . وفى بعض الأحيان كان الوسيط طفلاً ، ولكن كانت دائماً تبرز الفكرة نفسها عن حياة كحياتنا هذه . حياة تطلق

(١) أحاديث فى الروحية « مجلة عالم الروح » سنة ٩ عدد نوفمبر ١٩٥٥ ص ٣ .

(٢) فى تقديمه الكتاب « الجزيرة الزرقاء » .

فيها الحرية بدون عقبات لقوانا الكامنة وآمالنا . وفوق ذلك فإننا نرى في الأوصاف جميعها حديثاً متشابهاً عن أرض صلبة ذات أزهار وحيوان ، وعن مساكن مريحة ، وعن متع إنسانية . وعن مهن محبوبة ...

إلى أن يقول « وإنى أعتقد أن التفاصيل المادية كالنوم والغذاء ... الخ تتوقف على مكانة الروح في تطورها ، فكلمة المحطت الروح كانت شئونها مادية . ومن المهم جداً أن يعلم البشر ذلك ، لأن هذا العلم لا يقضى فقط على المخاوف من الموت ، ولكنه فوق ذلك يكون أكبر عون للإنسان إذا ما دعى بجأة للحياة الأخرى لأنه يجد نفسه في محيط مألوف ، كما يجد نفسه ملوئاً ثقة بمستقبله ، عوضاً عن أن تفتاب الروح فترة جديدة من الحيرة والتردد تحتاج في أثنائها إلى أن تنخلص من الأفكار التي أخذتها عن معلبيها لتعود فتتشكل بما يناسب الحقائق التي كانت تجهلها » .

ثم يقول دويل عن كتاب « الجزيرة الزرقاء » موجهاً الحديث إلى كريمة ستيد وتسمى استيل Estelle « إنى كنا قد من رجال القلم أستطيع أن أقرر

أن التعبيرات الواضحة والتشبيهات البهيجة التي وردت في هذه الرسائل هي حقاً من مميزات والدك . وقد أملت روح ستيد هذا الكتاب على الوسيط بارودى ودمان ونشرت استيل الكتاب مصدراً بصورة لوالدها تلقتها عن طريق وساطة كرو Crewe الروحية في سنة ١٩١٥



صورة روحية لسيد وليام ت . ستيد وبجواره كريمة استيل التقطت في دائرة كرو Crewe في سنة ١٩١٥ بعد ثلاث سنوات من انتقاله

وفي وصف عالم الروح تقول روح ستيد : لقد وجدت نفسى فى صحبة اثنين من أصدقائى القدامى أحدهما والدى الذى جاء إلى ليصحبني ويطوف بي . وكنت أشعر أننى فى حالة شبيهة بحالة شخص غريب هبط إلى ملكة أجنبية ، ومعه صديق عزيز يطوف به أنحاءها . كان هذا شعورى العام بالحالة بعد أن لست كل ما وقع ، إذ بعد أن رضينا بحالة الانتقال إلى الموت ذهب عنا كل الروح الذى كنا نخشاه ، وكان هذا الشعور يبدو أحياناً بعيداً كأنه وقع منذ خمسين سنة ، وأحياناً قريباً كأنه بالأمس فقط .

أما لذتنا بالحياة الجديدة فلم يشوهدا أى أسف لفراقنا لأحبائنا الدنيويين . ولست أقصد بذلك أنه لم يكن بيننا



بأنسون ، فبالعكس كان عدد البائسين كبيراً ، وما ذلك إلا لأنهم لم يفهموا التقارب بين الحيأتين الأولى والأخيرة ، ولم تكن لديهم فكرة واضحة عن العالم الآخر ، أما الذين عرفوا شيئاً عن ذلك فقد حصروا شعورهم فى الفكرة الآتية : فلننعم بهذه الحياة الجديدة ، قبل أن يصل خبرنا إلى أهلنا (إذ انتقلوا كلهم فى حادثة غرق الباخرة تيتانيك اكبر بواخر العالم فى ذلك الوقت) فكنا بذلك قليل الأسف عند وصولنا

صورة أخرى التقطت لمس استيل ستيد فى دائرة كرو الروحية فى أكتوبر سنة ١٩١١ وقد ظهرت بها صورة روح وليام ستيد فى الوسط (عن تصوير غير المنظور للأستاذ جيمس كوتس ص ٢١٤)

ثم يقول بعدئذ : سرنا على الفور

أنا ووالدى وصديقى ولكن شيئاً غريباً وقع لفت نظرى ، ذلك أنى شعرت بأننى أرتدى ملابس كتلك التى كنت أرتديها فى الدنيا ، فكان غريباً أن أفكر

أني ابتعت تلك الملابس وأحضرتها معي ، وهذه أول نقطة يتسلى بها المرتابون، كذلك وجدت والدي مرتدياً ملابسها كما كنت أراه في الدنيا^(١). وقد ظهر كل شيء أمامي عادياً كما كنا فوق سطح الأرض . ثم أتنا سرناً (هو والده) فأخذنا شيئاً من المنعشات ، وتلا ذلك حديث وبحث طويل عن أصدقائنا في كلا الناحيتين فأخبرتهم بكثير من الأخبار كما أخبروني هم كذلك عن الأصدقاء وعن القوانين التي تسير بمقتضاها الحياة الأخرى .

وبما لفت نظري كذلك اللون المنتشر في تلك الأرجاء فإذا كان من الصعب أن يصف الإنسان شعوره بحالة اللون العامة في بلاد مثل إنجلترا فيقول على وجه العموم بأنها حالة بين اللون الرمادي والأخضر ، الرمادي الضارب إلى الخضرة ، فمن المؤكد هنا أن الشعور باللون العام تغلب عليه الزرقة الخفيفة (ولذا أطلق على المكان الذي كان فيه عقب انتقاله مباشرة وصف الجزيرة الزرقاء) .

ولست أقصد بذلك أن الناس والأشجار والبيوت ... الخ كانت كلها زرقاء ، ولكن الشعور يوحى إلى الإنسان أنه يعيش في أرض زرقاء . وقد تسكمت في ذلك مع والدي الذي كان على العموم أنشط بكثير ، بل أعظم فتوة منه في أيام وفاته حتى كنا كأننا أخوان ...

ثم تقول الروح : « ووجدنا خليطاً غريباً في هذه الديار ، فقد وجدنا أشخاصاً مختلفي الأحوال والألوان والأجناس والأحجام ، وجميعهم يروحون ويغدون أحراراً بعضهم ، مع بعض غير أن كل إنسان كان معنياً بنفسه لا يفكر إلا في نفسه^(٢) . وهذا الأمر وإن كان لا يستحسنه أهل الدنيا إلا أنه أمر ضروري هنا في سبيل الخير العام والخير الفردي ، إذ لولا

(١) لنا عودة إلى موضوع الملابس ومن أين تأتي هناك ولماذا تهابه الملابس الأرضية .

(٢) يشير المترجم إلى الآية السكرية : لكل امرئ ما عند ربه يغيبه .

لما وجد في هذه الحياة تقدم وانتعاش ، والنتيجة المباشرة لهذا الانغماس في النفس هي انتشار السلام في هذه الربوع بين جميع الناس المختلفي المشارب...

، وقد رأيت البحر كما كنت آراه فسرت مع صاحبي على شاطئه لمسافة طويلة . ولكنه كان مخالفاً لما تزونه على شواطئكم وما فيها من متنزعات وموسيقى إلا أنه كان مملوئاً بالهدوء والجمال . وكان البحر عن شمالنا والمباني الضخمة عن يميننا ، وكان الضوء براقاً...

« ولو أمكن أن تتخلوا كيف يكون الحال في عالمكم لو أنه منضبط جميعه في بقعة واحدة فصار بها أجناس مختلفة من الناس وأنواع مختلفة من المناخات والمناظر ، ومن المباني والحيوان ، فربما تستطيعون عندئذ أن تكونوا فكرة عن هذه الدار التي كنت فيها (بمجرد وصولي) وسيظن البعض عدم صحة ذلك ، وربما يظنه نوعاً من الأحلام ولكن صدقوني أن الأمر لم يتعد شيئاً واحداً هو كافي انتقلت في الدنيا إلى ملكة أجنبية ولا أكثر من ذلك اللهم إلا ما وجدت من تشويق ولذة ومتعة .

ولاني أرغب الآن أن أصور لكم فكرة عن هذا العالم الجديد دون أن أتعلم في التفاصيل الدقيقة . فقد وصلنا أخيراً إلى بناء ضخيم مستدير له قبة عظيمة فكان مظهره العام كأنه قبة لا غير تقف على أرجل ، أو بقول آخر قبة عظيمة ترتفع فوق عدة عمد ضخمة مستديرة ... ولم يكن البناء مزوقاً ، بل كان فقط بناء جميلاً كالمباني التي على الأرض فلا تظنوا به الظنون ولا تذهبوا به في الخيال كل مذهب .

ومن عجب أن الغذاء لم يكن ضرورياً ، ولكنه كان موجوداً ، فأخذنا جميعنا شيئاً منه حسب العادة لا لأننا في حاجة إليه إذ كنت اكتسب معظم نشاطي من الجو نفسه ... ، (١) .

(١) المرجع السابق ، الفصل الثاني س . ٥٧ .

وهكذا يسترسل في وصف حياته هناك بطريقة مشوقة هي نفس طريقته عندما كان في حياته الأرضية صحيفياً قديراً ، إلى أن يقول في مكان آخر :

« أما حياة الفرد اليومية فتشبه حياته اليومية التي اعتادها في الدنيا ، ولكنه في بادئ الأمر ينال قسطاً وافراً من الراحة متمشياً مع عادة النوم الدنيوية ، إذ أنه هنا أيضاً يحتاج كعادته إلى النوم في أول الأمر بصفة خاصة ، فنحن وإن كان لا نلعب عندنا كما عندكم ، إلا أنه لا بد لنا من الراحة . ثم إن الشخص منا يشغف فوق ذلك بزيارة بعض الأرجاء ، كما أنه يهتم باكتشاف جهات ومبان أخرى ، وبدراسة الحياة الحيوانية والنباتية . كذلك يكون له أصدقاء عليه أن يبحث عنهم ويوزورهم . وعليه فوق ذلك إشباع ميوله الخاصة بانغماسه فيها ، وعليه كذلك أن ينفذ الرغبة التي ولدت فيه حديثاً وهي رغبة العلم والمعرفة .

أما نظام العمل اليومي هنا فيشبه كثيراً النظام الدنيوي والفرق الوحيد بينهما هو أن النظام الدنيوي يقوم عادة على الظروف المحيطة بالإنسان ، حين يقوم هنا على الرغبة في العلم والمعرفة بهذا الموضوع أو ذاك .

أما عن الملابس فتجدنا نلبس هنا كما كنا نقرئها في الدنيا ، ونظراً لوجود خليط من أجناس البشر المختلفة يجد المنظر العام غير مألوف ، فهو علاوة على كونه غريباً ومشوقاً ومسلياً تجده أيضاً مثيراً للتفكير . وأظن أنني سبق أن ذكرت أننا في مظهرنا العام نجد حالتنا هنا كما كانت من قبل . فلننا نبعد عن الأرض إلا قليلاً ، ونتيجة ذلك أننا إلى الآن لم نتخلص من الأفكار الدنيوية . ورغم أننا اكتسبنا بعض أفكار جديدة إلا أننا طردنا من الأفكار الدنيوية ليس سوى شيء قليل جسدياً يكاد يكون معدوماً . أما حركة التخلص من تلك الأفكار فهي تدريجية . فكلما تقدمت بنا الحياة هنا ازدادت معرفتنا بكثير من الأمور واكتشفنا أيضاً أن كثيراً من الأشياء

التي كنا نظنها ضرورة صارت علاوة على عدم أهميتها عبثاً ثقيلاً ، وبذلك تميل إلى التخلص من عادات الدنيا ومتعلقاتها . . .

« ونحن في بادئ الأمر نشعر بالحرية في الفكر والعمل ولا نكون مقيدين إلا ببعض القيود المفروضة لا عن طريق القانون بل عن طريق الظروف ، أما فيما عدا ذلك فلنا الحرية المطلقة (١) . . . إلى أن يقول :

« وإني أميل إلى التمسك في أي عشت أبداً في هذه الديار ، فإذا قيل لي إنه مضي على هنا أيام قلائل فإني أكون أميل إلى عدم التصديق . على أي لم أنس أسرقى ولا أصدقائي ، ولكنني أشعر بسعادة عجيبة إذا ذكرتهم دون أن أعرف السبب . ثم أني لما وجدت أن معلوماتي الدينية كانت صحيحة جمعت كل قوتي للاتصال بهم موقناً أنهم كذلك يعتقدون أنني في حالة طيبة رضية ، وأن تأخرى عنهم في الكتابة كان طبيعياً لظروف انتقالي إلى حياة جديدة . . .

« وقد أصبح المنزل الذي خصص لهذا العمل في الجزيرة الزرقاء (وهو عمل الاتصال بالأرضيين) مأوى لي أتردد عليه بانتظام منذ أخطرني به والدي ، كما أتردد على غيره من الأبنية الأخرى . فقد ذهبت إليه كثيراً جداً وحصلت من مختلف المهتمين عليه على مساعدات كثيرة ، وكانوا جميعاً يحسنون إلى ويعطفون علي ولكن بصفة جدية ، فلم يكن ذلك البنيان بليان دموع وأحزان . وهو منظم تنظيمًا مذهشاً ومملوء بالنشاط والحركة . . . وكنت أنتظر أن أجد فيه كثيراً من الأجهزة والآلات والعدد والقوى الكهربائية ولكنني لم أجد به شيئاً من هذا ، ولم يكن به مطلقاً غير العنصر الإنساني . . .

« وقد تحدثت طويلاً مع رجل هنالك من ذوي التفرد والكلمة . . .

(١) المرجع السابق ، الفصل الرابع أس ٧١ - ٧٣ .

فسرت معه طويلاً وسمعت منه أن مجهوداً كبيراً قد بذل في هذا الصدد هنا، كما ذكر لي أن لديهم عدداً وافراً من الرواد الذين يتصل عملهم بالحياة الدنياء، ويمكنهم أن يتعرفوا على أولئك الأحياء من أهل الدنيا الذين يمكن استخدامهم في هذا السبيل فيرتبون أسماءهم وينظمونها في قوائم تبين فيها مقبرة كل منهم، وعندما تأتي الروح التي وصلت حديثاً طالبة المعونة يستخدم أولئك الوسطاء من أهل الدنيا كل حسب قدرته . وهذه خلاصة بسيطة عن العمل الذي يجري في هذا البناء .

ثم إنني حضرت مراراً إلى هنا وحارلت أن أرسل رسائل إليكم بوسائل شتى فنجحت في بعضها وأخفقت في البعض الآخر ، ويرجع النجاح والإخفاق في كثير إلى الروح نفسها ، إذ يتوقف عليها الشيء الكثير . وكل مرة نجحت فيها ساعدت غيري على ذلك، وكل مرة أخفقت فيها استجذبت غيري فأجذبتني ، ونظراً لأنني صرفت وقتاً طويلاً في دراسة الروحانيات في حياتي الدنيا فإني قد أمددت في هذا الموضوع بمعونة كبرى هنا بالقدر الذي احتجت إليه وفي الاتجاه الذي رغبته (١)

إلى أن يقول ... تجد جميع أجناس البشر أحراراً هنا في رسم الخطط لحياتهم حسب ميولهم الفردية في حدود بعض القواعد التي لا يصح الخروج عنها . فالحياة كلها بطبيعتها حرة ولكن بعض أهل الدنيا يظنون أنهم مجبورون غير أحرار في تصرفاتهم نتيجة لسوء فهمهم . والحقيقة أن الجميع أحرار غير مقيدون . . ولكن عندما نجد أنفسنا قادرين على المعونة فإننا نعمل جهدنا في مساعدة أجبائنا من أهل الدنيا بالتأثير في إرادتهم ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً . وقوة الحب الدافعة هي التي نحملها على ذلك . . . (٢)

ثم تقول روح ستيد : فإذا ما نظرت إلى الوراء منذ حللت بالجسدية

(١) المرجع السابق ، الفصل السابع من ٩٣ - ٩٥ .

(٢) المرجع السابق ، الفصل الثامن من ١٢٥ .

الورقاء ارتحت إلى التقدم الذى أحرزته ، فقد كان انتقالى إلى الحياة الأخرى مفاجأة لى ، لآنى لم أكن أفكر مطلقاً فى أن انتقالى قريب وحادث فى بدء تلك السنة التى وقع فيها . ولا شك أنه لم تكن لى أية رغبة فى استعجاله نظراً لما كان عندى من المشاغل الهامة ، ولكنى استطعت أن أنهى بعضها منه ذلك الحين . كما تبعت تقدم الكثير منها ، وسرعان ما تأقلمت بمجرد وصولى إلى هنا بحسب الأحوال والمظاهر الجديدة ، وبحسب حركة الاتصال وطرق الانتقال الجديدة

ولاريب أنه يوجد كثير من الفروق العظيمة بين عالمى وطالمكم . وعنذى أن أعظم تلك الفروق وأكثرها بركة ورحمة هى الحالة التى تجعل الأمور المعنوية غير متأثرة بالأمور المادية . فأنتم فى الحياة الدنيا ذوو آمال وأطماع مختلفة الأنواع بخصوص المال والنجاح فى الأعمال والسرور والصحة والعلم . . . الخ ولكن تلك الأمانى مقيدة ودونها عوائق كثيراً ما تجعل تحقيقها مستحيلاً بالنظر إلى ظروفكم المادية .

أما هنا فما دامت الروح المعنوية حسنة فالجمال واسع لاحد له ، وكل أمانة معنوية تتعلق بالحقيقة أو بالمعرفة مهما عظمت تتحقق فى هذا العالم بطريقة مدهشة . ومهما كانت الرغبة خيرة أو شريرة فلا بد أن تأتى بنتائجها ، فإن كانت شريرة فإنها تقوى ولا بد أن نجازى عليها . وكذلك تقوى أيضاً إذا كانت خيرة وتحل بسببها القوة والسعادة .

ولا أستطيع أن أؤكد لكم أكثر بما قلت بأن الواحد منكم حسبما يكون فى الدنيا سيكون فى الحياة الأخرى ، وأنكم تعدون أنفسكم فى حياتكم الدنيا لحياتكم الأخرى ، فلا ريب فى أنها ستكون بحسب حياتكم الحالية وطريقة تفكيركم

ولانى إذا أرجعت البصيرة إلى حياتى هنا فإنى كما ذكرت لكم سابقاً ملتفت وراض بكل ما وقع من الناحية الشخصية والفردية بل والعامة أيضاً ،

فلقد تقدم بنا الحال كثيراً في عالم الأرواح في سبيل اتصالنا بالأرض ،
ولقد ساعدتنا في ذلك مساعدة كبيرة قوة أرواح الشباب من النساء والرجال
الذين جاءوا إلينا أثناء الحرب الماضية من كل جهة من جهات الدنيا . . .
فقد جاءوا إلينا بقوة طبيعية عظيمة وتصميم عظيم فاستطعنا بتأثير تلك القوة
أن نتغلب على كثير من الموانع والحوائل التي قد تقف حجر عثرة في سبيل
اتصال العالمين

ثم يقول : هكذا نحن في عالم الأرواح . نحس بكل من تركناهم من
ورائنا . بعضهم راغب في البقاء والبعض الآخر يقاتل ويجهاد ليسمع صوته ،
والبعد بيننا وبين الأرض قليل ، أما البعد بيننا وبين روح الله العظمى فهو
كالبعد بينك واقفاً على قمة الجبل وبين أبعد نجوم السماء ، فنحن إزاء ذلك
لم نقطع من سياحتنا إلا القليل ، كما أننا لم نفهم شيئاً من ماضينا ، إلا أن
الحب لا يزال رائدنا ، (١)

* * *

هذا وقد وضع الأستاذ جيمس آرثر فندلاي James Arthur Findlay
بعض ظروف الحياة في عالم الروح استناداً إلى ما تلقاه من الأرواح خلال
خبرة عشرات من سنين البحث المستنير في مؤلف له عنوانه : الكون
المنشور ، (٢) قال فيه : « إن لكل من هذه الـ «والم سطحا وجوا وضوءاً ،
فما يذكر عن أحدها ينطبق على الجميع . ولا داعي للقول بأن الأما كن التي
توجد بها جبال وبحور على الأرض يوجد في مقابلها هناك جبال وبحور ،
فالقوى التي أوجدت الجبل والبحر والبحر على الأرض هي التي أوجدتها في
أثيريا (أي عالم الأثير) ولكن ليس من الضروري أن تكون في نفس
الجهات التي على الأرض .
« وفي هذه المستويات أرض وماء وشجر ودور وحقول وطرق

(١) المرجع السابق ، لفصل الثالث عشر من ١٤٥ وما بعدها .

The Unfolding Universe

(٢)

وراجع ما ورد عن المؤلف في الجزء الأول من ٢٤٧-٢٤٨ .

ومزروعات من جميع الأنواع وأنهار وجبال ووديان. ولكل ما نشاهده على
سطحنا يوجد مثل على المستويات الأخرى . وإنما كلما ارتفعنا أو بعدنا
عن سطح الأرض زاد الجمال وبهاء المنظر . . .

« وعلى هذه المستويات يوجد رجال ونساء وحيوانات تعيش كما نعيش
نحن على الأرض . ولما كان الطعام اللازم للتغذية أيسر منالاً ، وكان الجوهر
هو الذى يستهلك بدل اللحم والخضر اللذين نستهلكهما نحن ، فإن الحياة
تكون ميسرة هناك بل إنها تكون أيسر منها على الأرض . أما العواطف
التي تجيش بها الصدور فوق الأرض والتي يثيرها في الصدور الكفاح في
سبيل الوجود ، والخوف من الخطر فعدومة في أثرياً . ولا يلحق الجسم
ضرر أو إيذاء ، والموت المفاجيء الشديد غير معروف . . .

ذلك لأن المعروف هناك هو الانتقال من مستوى منخفض إلى مستوى
مرتفع عن طريق فقد التجسد لافقد الجسد . وفقد التجسد هذا يحى عن
طريق ارتفاع تدريجي في درجة امتزاز الجسد الأثيري الخاضع لتأثير العقل
بسبب نموه في المعرفة والخلق . فلا يترك الإنسان وراءه جسداً تريباً مثل
ذلك الذى يتركه هنا ، لأن التراب هناك لا وجود له في أية صورة كانت
على ما أجمعت عليه كتب البحث الروحي .

ثم يضيف فندلاى : « يوجد في « أثرياً ، جو يحيط بكل مستوى ،
كما يوجد بها سحج وسما ، وتصعد الرطوبة وتهبط هناك كما تصعد وتهبط هناك
وأحوال المناخ هناك تنتشر كما تنتشر هنا ، ولكنها أكثر اعتدالاً . وهناك
تتغير الفصول أيضاً . وينطبق هذا كما أنبثت على المستويات الثلاثة الأولى
التي تعلو الأرض ، وابتداء من المستوى الرابع فما فوق تختفى التغيرات
المناخية تماماً .

« ولا يوجد ليل فوق أى مستوى من مستويات أثرياً كالليل الذى نعرفه
هنا . وبدلاً من الليل فوق المستويات الثلاثة الأولى يوجد شفق ، وذلك

بسبب استضاءة جوم . وتوجد سماء في أثيريا كما هي الحال في الأرض ...
والألوان في أثيريا أجمل كثيراً منها في عالمنا ، وأكثر تنوعاً وتلألؤاً ،
ولذا فالمناظر أجمل منها لدينا ، وذلك لأن جوم المضيء يكسب كل شيء
مظهراً قوحيّاً .

وكل هذه معلومات أجمعت عليها الكتب الروحية ، فلم أقابل في أي
منها ما يناقضها في قلوب أو في كثير . وإنما اخترت آراء فندلاي بالذات ،
لأنها تلخص في عبارات سريعة ما أجمعت عليه بحوث الروحيين في
مراجع طويلة . فهو قد أغنانا بهذا التلخيص عن تكرار نفس المجهود . ثم
إنه صاحب خبرة عشرات السنين في هذا الموضوع ومدير معهد روحي دولي
له مكانته ، بما يسمح له أن يتحدث فيه حديث الخبرة الشخصية والاتصال
المتواصل بعالم الروح عن طريق وسطاء من الطراز الأول مثل سلون
وسيط الصوت المباشر وغيره .

ثم إن فندلاي مزينة واضحة في كتاباته وهي أنه يربط عادة بين حقائق
الفيزياء وبين ما تعطيه الأرواح الراقية من أوصاف لعالم الروح ، فلم
يحصل على التعليل العلوي شافياً ، فلا يعتبر الوصف حقيقة يمكن الاقتناع بها .
والأمثلة على ذلك كثيرة نقتطف منها هنا المثال الآتي :-

فالأرواح قالت له إنه لا يوجد في أثيريا ليل كليلاً وإنما يوجد - حسب -
شفق ، أو بعبارة أخرى أن الحياة هناك نهار واحد طويل تقل استضاءته
في فترات منتظمة عندما يخفت الضوء . وهذا الشفق هو الذي يقابل الليل
عندنا . وكما أن سماءنا المضيئة تحجب عنا النجوم نهاراً ولا ترينا إلا قُبُوراً
مضيئاً كذلك تعمل سماؤهم فتبدو لهم قُبُوراً مضيئاً أيضاً ، ولكن في تلالؤ يجعل
للشمس الأثيرية نفسها غير منظورة بسبب الاستضاءة التي تحدثها .

وهو يملل ذلك قائلاً في كتابه « السكون المنشور » : « إن جونا يعمل
كالمرآة إزاء أشعة الشمس الشارفة والغاربة ، وهذا يطيل يومنا ، وإلا فإن

يومنا يكون أقصر إذا اعتمدنا فقط على الأشعة المباشرة للشمس . فالمسألة كلها مسألة مدى ارتفاع هذه المرآة الجوية فوق سطحنا . وإذا امتد جونا إلى ارتفاع أعلى مما يمتد إليه فإن المرآة تعكس أشعة الضوء زمناً أطول ، ويطول نهارنا ويقصر ليلنا . أما في أثرياً فقد أثبتت أن مرآتهم الجوية أعلى كثيراً فوق سطحهم من علو مرآتنا فوق سطحنا ، وعلى ذلك تنعكس أشعة الشمس الاثيرية زمناً أطول فيمكن السطح الذي استدار بعيداً عن الشمس الاثيرية أن يحصل على الضوء ويظل كذلك حتى يحصل ثانية على أشعة الشمس المباشرة .

ولدينا على الأرض مثل لذلك في موجاتنا اللاسلكية . فهذه الموجات في طبيعتها من الوجهة العامة تشبه موجات الضوء ، إلا أنها أطول منها ملايين المرات . وما دامت تشبه الموجات الضوئية في طبيعتها فهي تشترك معها في كثير من الخواص . ولقد حار المجربون الأوائل المبكرون حيرة عظيمة حينما وجدوا أنهم يلتقطون الرسائل من محطات لاسلكية في الجزء المقابل من الأرض دون صعوبة . وسبب هذا أنه بمجرد أن تبلغ موجات الراديو ارتفاعاً خاصاً ترتد ثانية عائدة إلى الأرض . فما يعمل الجو لنا على الأرض بعكسه أشعة الشمس وإحداث الفجر والشفق تعمله لموجات الراديو هذه الطبقة من الغاز المتأين .

وتعرف إحدى هذه الطبقات بطبقة كنيلى - هيفيسايد Kennelly-Heaviside

وتوجد عادة على بعد من ٦٥ إلى ٧٠ ميلاً فوق سطح الأرض . وتوجد طبقة أخرى تعرف باسم طبقة أبلتون Appleton على بعد من ٥٠ إلى ٢٥٠ ميلاً فوق سطح الأرض . كما توجد طبقات عاكسة على أبعاد من الأرض تصل إلى نحو ثلاثة ملايين من الأميال . وعلى ذلك لا تتحرق الأرض موجات الراديو المرسلة من لندن ولكنها ترتفع إلى أعلى ، فإذا اصطدمت بإحدى هذه الطبقات عادت إلى الأرض ، وبذلك تلتقطها الموصلات الهوائية إلى استراليا .

وحيثما يكون الوقت في لندن نهارا يكون في استراليا ليلا ، ولكن إذا كانت أشعة الضوء تنعكس مثل أشعة الراديو بالجو عند ارتفاع أكبر بكثير من الارتفاع الذي تنعكس عنده من سطح الأرض ، فإنه عندما يوجد ضوء هنا يوجد ضوء في استراليا لأن بعضاً من أشعة الشمس يقع علينا مباشرة ، حين أن البعض الآخر من تلك التي تمر بالأرض يمكن أن تصطادها المرأة المحيطة بالأرض وتنعكسها إلى استراليا . وعلى الرغم من أن أشعة الشمس المباشرة لا تكون قد سقطت على استراليا ، أى على الرغم من أنه لا يكون إذ ذاك نهار هناك ، فإنها تكون في ضوء منعكس يصح أن نسميه شفقا ...

ويؤكد هؤلاء الأثيريون دائماً أن جوهم أكثر ضياء من جونا ، وأنه يمتد في الفضاء إلى ارتفاع أكبر . ولهذا لم يتعذر علينا أن نتصور أثيريا وفيها ضوء وشفق بدلا من ضوء وظلام كما هي الحال على الأرض . وتشبه أثيريا هذه الأرض كل الشبه إلا في أنها أكثر منها زهاء ، ولطالما جهد الأثيريون في توكيد ذلك ، وأحال أن على الأشياء هناك ضوءاً قزحياً لا يوجد عندنا ، وهذا الضوء ينشأ بسبب استضاءة جوهم ...

وهكذا يسترسل فندلاى في تحليل ما أجمعت عليه الأرواح من أنه لا يوجد هناك ظلام ، بل مجرد شفق ، بما يضيق المقام عن إبراده بالسكامل هنا ، كما يسترسل على نفس النقط في تحليل ما تقوله الأرواح من ناحية موقع عالمهم وطبيعتهم وأوصافه بأسانيد مستمدة من مبادئ الفيزياء الحديثة ، لا يخرج عنها . وقد ساعده على ذلك اطلاع واسع فيها بما يمكنه أن يصح رائداً حقيقياً في هذا الجانب من البحث الروحي ، وهو جانب التحليل العالى للأوصاف التي يتأقماها بأسانيد ثبتت صحتها . حتى أن من يقرأ كتابه هذا وهو السكون المنشور ، برمه يخرج باقتناع على مسبب بصحة ما تقوله الأرواح ، وما أجمع عليه البحوث الروحانيون من أوصاف متماثلة في كليتها

لعالم الروح من ناحية ظروف الحياة فيه من مناظر طبيعية وضوء وطافس وغيرها .

* * *

وها هي بيانات أخرى عن وصف الحياة هناك ننقلها عن مؤلف للأستاذ شارل بينزيك Charles Bénézech المستشار الفخري بمحاكم الاستئناف الفرنسية تلقاها بطريق الوساطة من أرواح أشخاص سبقوه إلى هناك . وبوجه خاص من روح والده ألفريد بينزيك Alfred Benezech الذى كان قبل انتقاله مؤلفاً وباحثاً معروفاً فى الأمور الروحية ، وقد أشرنا إلى أهم مؤلفاته فى الفصل الخاص عن بعض الأسماء والمراجع فى فرنسا ،^(١) .

وقد نشر المستشار بينزيك هذه البيانات فى مؤلف له عنوانه « الحياة الأرضية وحياة ما بعد القبر »^(٢) ، وفيه يتساءل ماذا يمكن أن تزول إليه الإحساسات الأولى للروح بعد أن تتحرر من ردايتها الجسدى البالى ؟ ثم يجيب قائلاً : تتوقف تلك الإحساسات على ما تكون الروح قد بذاته من جهد خلال وجودها الأرضى . على أنه يمكن القول بوجه عام بأنها إن لم تكن فى غشاوة من أمرها بسبب حياتها الرديئة ، وكذلك إن لم تكن قد وهبت نفسها للموت طواعية واختياراً فإنها ترى - وقد تحررت من جسدها - شريط حياتها الأرضية ماثلاً أمام عينها . وتحضر إلى لقيائها الكائنات العزيزة عليها التى سبقتها إلى موت الجسد كى تساعدها على أن تدرك حالتها الجديدة ، وعلى أن تتحرر من الخوف من المجهول الذى ربما يكون قد بدأ لديها أحياناً وهى فى دور الاحتضار .

إنه ميلاد ثان للإنسان . ولعله مما يدعشه أن يرى أن البشر يعيشون هناك

(١) راجع ما سبق فى الجزء الأول من ٢٨٧ .

La Vie Terrienne Et La Vie D'outre Tombe.

(٢)

في جماعات معينة وأن لهم مشاغلهم الخاصة التي تحددها لهم ملكاتهم . وأنهم يقيمون في مساكن مشيدة من مواد تبدو لهم صلبة ، وأنهم يرتدون ملابسهم ولهم أجسام أثيرية جليلة واضحة ، وإن حالتى الحقيقة تجعلنى أشعر أنى حقيق فى هذه الحياة بقدر ما كنته على الأرض بالنسبة لكم ، على حد قول السكايتن هينشليف Hainchleff .

وتبين الروح أنه قد صارت لها القدرة بعد تحررها من الجسد على أن تلتقل من مكان الى آخر فى الفضاء بسرعة الفكر . وقد تشمر الأرواح بالتعب والحاجة إلى الراحة فتستعيد قواما فى أسبابها وتتفاوت فى أنواعها بحسب ميولها . وتتفاوت معادتها طبقاً لما تستحقه من جزاء عما قدم أصحابها من خير على الأرض ، أو عما ينبغى عليها من إصلاح لثانيتها وعيوبها الشخصية .

كما تبين الروح أن الجسد الأثيرى يتطور هناك فينمو الطفل ويتعلم ويصير بالغا . ولذلك فإن الضيف الجديد قد يجد فى ذلك العالم بعض صعوبة فى التعرف على الأشخاص الذين عرفهم أثناء حياته الأرضية .

وتظهر فى الأرواح مقدرة جديدة على الاتصال مع الآخرين بطريق الفكر ، وتصوير المعانى ، بغير الاستعانة بترجم عند اختلاف اللغة ، وما هذه الملكة فى النهاية سوى نفس الملكة التى يحوزها بعض الأشخاص وهم فى الجسد (ملكة التلباتى) ولكنها تصبح عامة شائعة هناك (١) .

ويصبح التفكير مبدعاً خالفاً ، وقد أجمعت على ذلك كل الرسائل ... ثم يقول عن الانتقال : « ولا يدرك المنتقل حالته الجديدة على الفور ، بل إنه ليظل فى حيرة من أمره ويحتاج إلى وقت يتفاوت طولا وقصراً

(١) يعبر المؤلف إلى كتاب « الحالات العميقة لتنويم المناطيسى » للكولونيل دى روشا De Rochas : Les Etats Profonds de L'hypnose.

ليتعرف فيه على نفسه ، وهو أمر يتوقف على درجة إعداده الذهني . وقد يذهله أن يرى نفسه واقعاً بالقرب من جسده يتأمله خامداً لا حراك فيه . كما أنه لا يمي شيئاً عن علة آلام ذويه ، بل قد يميل إلى الضحك منها ، فلما أعظم المفارقة بين ما يشعر به من سعادة وما يشيره من فجعة ، فيرغب في الكلام إليهم ... ولكن هيهات .

وبمجرد ما يسترد الإحساس بذاته يرى أن واحداً من سكان العالم غير المنظور قد حضر لاستقباله وإرشاده يرافقه أهواؤه الذين سبقوه إلى ذلك العالم الآخر . إنهم يفيضون هناك شباباً وجمالاً ولكن يسهل التعرف عليهم رغم ما انتابهم من تغيير ، إذ أن لهم المقدرة بحكم تفكيرهم المبدع على أن يتخذوا الشكل الذي كانوا يعرفون به على الأرض وذلك إثباتاً لشخصيتهم^(١) .

ويحتفظ المرء بعقليته ويأرادته بوجه الاستمرار ، ولكم يتغير حكمه على الأشياء بعد تحرره من الجسد . فإن الروح أصبحت تبدو في الجماعة التي صارت عضواً فيها على ما هي عليه من حال مجردة من كل قناع يغطيها . ويصبح الحكم على قيمة الأشخاص طبقاً لنواياهم . وقد يكون المتهم الذي تدبته محاكنا بمقربات ماسة بالاعتبار في وضع أحسن حالا — بالنظر إلى فضائله — من المنافقين الذين لم تكن فضائلهم إلا مظهرأ خداعاً ... فيتحقق قول المسيح ، ولكن كثيرون أولون يكونون آخرين والآخرين أولين ، (مر ١٠ : ٣١) .

ومن هذه الوجهة تبدو أيجاد الأرض إذلالاً قد يجعل أسى ما فينا مبعث سخرية ، ويصبح ما نفخر به من مزايا المال والرتب الاجتماعية والألقاب غير ذي معنى ، فإن أفضل ما لدينا على الأرض لا يصل إلى أقل الأشياء قيمة هناك ، بحيث أن من الأثرياء المرموقين من عباد المال ، ومن

(١) راجع ما سبق في الجزء الأول من ٣٩٩ ، ٤٧٢ ، ٤٩٧ .

أحاطهم حب المادة إلى أرقاء مستضعفين ، من سيصبحون هناك بؤساء مجردين من المال والاعتبار .

هناك تصبح السيادة لفضيلة المحبة التي تتطلب منا أن ننسى ذواتنا وأن نحب الآخرين ما نحب لأنفسنا من عوامل السعادة فالمحبة تقربنا من الإله تعالى حين تبعدنا عنه الأحقاد التي تفسد حياتنا وتصنع منها سعيراً حقيقياً . ولا يستشعر المرء في الجملة أية رغبة في العودة إلى عالمنا هذا ، إذ أن معنى ذلك هو التنازل عن متع جمّة ، إنما قد يرغب في الذهاب بالقرب من الأشخاص الأعزاء لديه .

هناك تظهر جليلة الصفة العابرة للأمور الأرضية ، فتستبين الروح أن للفقر وللآلم فائدة معنوية تجعل منهما نعمة ورحمة من الرحمن . وهناك تكون الرغبة في التعلم قوية .

هناك لا يكون للزمان والمكان نفس المعنى فتتحرك بسرعة كبيرة ، إلى حد أننا نصير في أي مكان بمجرد تفكيرنا فيه . كما يصبح لدينا إحساس بحير بالمقدرة وبالحرية في جو عذب مشبع بالسلام والمحبة وبالنعم وببنيان آلام الحياة الماضية في كنف ذلك السكون غير المحدود الاتساع ، والذي يبق مع ذلك لغزاً لا يحل . إنها لآفاق تتراجع كاشفة عن روائع متجددة على الدوام .

ولن يصبح الإنسان ملاكاً أو قديساً ، بل سيدرك كل واحد مبدى نقائصه ، كما سيدور له لما ما عليه أن يدركه من ارتفاع في أحماق المحبة الغير المحدودة ، ويبدو كما لو كان مريضاً في مصح يعالج فيه من رذائله الشخصية وتحدد قيمة الشخص بنوع ما قد يغذيه من المشاعر ، ولا تكون للمشكلات اللاهوتية أي اعتبار ، بل يكون الخلاص عن طريق الإيمان الذي تسيطر عليه الآخرة بين البشر أجمعين ، والرغبة في التعاون مع جميع المخلصين من بني الإنسان ، أيا كان جنسهم أو جنسيتهم أو أديانهم .

• وليس للأرواح أن تجيب على جميع الأسئلة التي قد توجه إليها في الجلسات ، على أن معلوماتها محدودة جداً في الواقع ، ولو أنها أكثر من معلوماتنا ويوجد بينها كما يوجد بيننا خليط متباين في المدارك الأمر الذي ينجم عنه تباين آرائها . وهي تنظر إلى المادة كما لو كانت وهماً من صنع العقل يخبر مع الموت ، إذ أن الروح هي التي لها وجود حقيقي .

ولا يحبون في ذلك العالم الآخر حياة تأمل لحسب ، بل إن لكل إنسان منهم مشاغله الخاصة ، ولذا فإنه كثيراً ما يحدث أثناء الجلسات أن تغادرنا الأرواح فجأة قائلة إنها مطلوبة في مكان آخر ... (١) .

وهكذا تلخص هذا المستشار في عبارات سريعة بعض البيانات العامة عن وصف الحياة هناك كما خلص إليها بعد سنين كثيرة من التجريب في منزله ، فهل له مصلحة في السكذب — وهو قبل كل اعتبار قاض — وهل نسي لغير حكمة مفهومة ما ينبغي أن تنسم به أقوال القاضى من دقة ومن صدق ؟ ... ثم هل نهدر البينة المستمدة من التماثل الواضح بين النتائج التي وصل إليها هو وتلك التي وصل إليها الباحثون الآخرون في شتى أمصار الأرض ؟ وهل نكون عندئذ رجالاً عليين منطقيين ؟

وهذا التماثل الواضح لا يظهر تماماً إلا بعد اطلاع القارئ على الفصل المقبل الذي خصصناه للكلام في « أسلوب الحياة في عالم المستوى الثالث ، — الذى يمثل مستوى واحد من مستويات عوالم ما بعد المادة — بشيء من التفصيل والعناية ، لأنه مستوى وثيق الصلة بمستوى الحياة المادية على الكوكب الأرضى ، فهى بمثابة الإعداد له والتجهيد ، كطفولة الطفل عندما تعد لمستقبله وتجهده له سبل السعادة فيه أو الشقاء .

الفصل الثالث

أمور تجمع عليها عن أسلوب الحياة في عالم المستوى الثالث ،

هكذا تلاقت المعلومات الواردة من مصادر متعددة من عالم الروح عند إعطاء صورة تقريبية للحياة هناك لم يعرفها الإنسان من قبل ، ولم تختلف هذه المصادر في تحديد خطوطها الرئيسية ، وإن اختلفت في بعض التفاصيل اختلافاً طبيعياً بحسب المناطق والبيئات التي تقطعها هذه الأرواح — وهي متعددة تعدداً لا آخر له — وبحسب الثبائن المتوقع من أوصاف صادرة من أشخاص عديدين حتى إذا ما وجدوا في نفس البيئة بحسب اختلاف طرائق تفكيرهم ، وتفاوت نظراتهم إلى شتى الأمور ، والزوايا التي قد تعنيهم منها ، خصوصاً في عالم تلعب قدرة العقل على الخلق والتشغل الدور الأول في توجيه أسلوب الحياة فيه .

ويمكن كما نأخذ فكرة أكثر وضوحاً عما تقدم عن طبيعة الحياة في المستوى العادى الذى يذهب إليه البشر — الذين وصلوا إلى مستوى معين من الثقافة والنضج — وهو المستوى الثالث ، (أو مستوى السميرلاندى Summerland بحسب الوصف الاصطلاحي^(١)) أن نعرض بطريقة أكثر تفصيلاً عما تقدم لأسلوب الحياة في هذا المستوى ، كما سجلتها البحوث الموثوقة في قيمة أحيائها ، وفي دقتهم في النقل والرواية ، وفي نفس الوقت في قيمة أرواحهم المرشدة من ناحية مدى نضجها وثقافتها وإطلاعها على قدر كافٍ من حقائق الحياة هناك .

ولا ريب أنه من الأهمية بمكان أن يعرف كل إنسان هذه الأوصاف العامة للحياة المستقبلية ، فإن هذه المعرفة تشبع في نفسه حاجة طبيعية مشروعة

(١) من «سميرلاندى» أرض المصيف ومن كتابته تين يوكه المزج والجو المجلد

إلى تعرف طبيعة حياته المستقبلية التي ينبغي على كل عاقل أن يعد نفسه لها منذ الآن إذا شاء لنفسه حسن المصير ، وهو الهدف السامى لكل تعليم خلقى وصل إليه بنو البشر سواء تحت راية الاعتقاد الدينى أم خارجها .

وفما يلى منعرض لبيان أهم الأمور المجمع عليها فى كافة المراجع الروحية فى شأن أوصاف العيش فى هذا المستوى الثالث Third Plane مستقاة من عدد من المراجع الموثوق فيها ، والتي تلاقت كلها عند التسليم بصحة هذه الأوصاف ، وذلك فى ستة مباحث متتابعة على النحو الآتى : -

المبحث الأول : فى شخصية الإنسان هناك .

المبحث الثانى : فى الصورة العامة للطبيعة هناك .

المبحث الثالث : فى بعض المميزات العامة للحياة هناك .

المبحث الرابع : فى معنى الزمان والمكان هناك .

المبحث الخامس : فى الحياة الاجتماعية هناك .

المبحث السادس : فى الحياة العاطفية هناك .

المبحث الأول

فى شخصية الإنسان هناك

أول ما قد يلفت نظر الإنسان القادم حديثاً إلى عالم الروح أن يرى أن للأجسام البشرية نفس أشكالها وملاعها المعروفة هنا تماماً . فنحن كما يقول جيمس آرثر فندلاى - مدير المعهد الدولى للبحث الروحى بلندن حتى وفاته فى سنة ١٩٦٤ - نعيش هناك رجالاً ونساءً كما نعيش هنا . وما كلمة روح ، إلا تسمية أرضية ، وليست جنسونا الأثيرية^(١) مشابهة لحسب لجسومنا

(١) واجمع ما سبق عنها فى الجزء الأول من ٤٢٧ - ٤٦٣ .

الآرضية في تفصيلاتها كلها ، بل هي أيضاً حقيقة محسوسة لأصحابها كجسومنا بالنسبة لنا لنذكر أننا حين نخلع عنا جسمنا الفيزيقي فإن كل فيزيقي يصبح غير حقيقي ويصبح كل أثري حقيقياً إزاء وعينا .

ولقد عرفنا الكثير بخصوص المادة فهي لا تنعدم حين لا تراها عيوننا الفيزيكية . وقد يتضح هذا على أنه لو أننا أخذنا قليلاً من الماء وسخنه ثم لاحظنا تأثير ذلك . فأولاً نجد بخاراً منظوراً بعضه ، ثم فوقه بخار غير منظور ، وإذا عكسنا العملية (بالتبريد) استطعنا أن نستعيد هذا البخار غير المنظور إلى ماء كما كان . « فوق البخار » هذا لا يزال مادة على الرغم من اختفائه عن الأنظار ، وكل ما حدث هو أننا زدنا اهتزازاته ثم خفضناها حتى صار ماء مرة أخرى ، فجسومنا الأثرية تهتز بسرعة تقصر عن إدراكها عيوننا الفيزيكية (١) .

ولا يبدو على الوجه — هناك — تأثير العمر جلياً ، فليس للروح أو بالأدق للجسد الأثري من عمر يهد من قواه ، أو من تأثير منى في جمال الوجه أو البشرة ، وذلك في الوضع العادي للإنسان ، وما لم يقصده هو إظهار شخصيته السابقة قبل انتقاله إلى هناك لمجرد إمكان التعرف عليه .

ومن ينتقل في شبابه الأرضي يظل على هذا الشباب ، ومن ينتقل في سن الطفولة ينمو كما لو كان قد ظل على الأرض ويجد هناك رعاية كافية وقلوباً رحيمة كثيرة من أقاربه الذين سبقوه إلى عالم الروح وغيرهم (٢) أما من ينتقل في شيخوخته فإنه يرجع إلى شبابه تدريجياً بحكم وجوده في أجواء الأثير التي لا تعرف الشيخوخة ولا تعترف بها ، إذ أن الشيخوخة صفة تلازم الجسد المادي ولا تلازم الروح ، أو بالأدق لا تلازم العقل

(١) « على حافة العالم الأثري » ترجمة للروحوم الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير طبعة ثالثة من ١٣٣ و ١٣٤ .
(٢) للزبد في هذا الموضوع راجع كتاب سيلفيا باربانيل Sylvia Barbanelli « عند موت طفل » When A Child Dies .

الذى ينمو على مر السنين ولا يضعف بها ، حتى أن الشيخوخة ، هناك هي في حقيقتها مزيد من الشباب .

وهذا هو الفهم الذى فهمه للروح كل من كتب فيها منذ عهد الإغريق حتى الآن ، وهو أنها تقوى بمرور الزمن ولا تضعف به ، لأن معنى الزمن للروح غير معناه للجسد المادى ، وهو نفس الفهم المستفاد من كتابات الفلاسفة المحدثين . وكل ما فعله علم الروح الحديث هو أنه أقام عليه الأدلة من واقع كلام الأرواح الراقية نفسها في أية رقعة في الأرض سئلت فيها عن هذه النقطة .

وعلى هذا المعنى أجمعت رسائل الأرواح . وفيه يتحدث أمير الشعراء شوقي في رسالة التصدير قائلا من هناك : -

وهنا نعيش بلا خريف منفر بل فى ربيع يانع نلتهم
والكل فى أوج الصبا متألق حر . مع الإنصاف لا ننظم
إلى أن يقول :

إنا نخطينا المشارف للعلماء حيث المدارك وعيها لا يفطم
لنعب من نبع المعارف حكمة ففى المنال لعالم يستكرم

وعندما نتحدث فى المبحث الرابع من الفصل الحالى عن الزمان والمكان هناك ، نبين كيف أن الشباب الدائم ينبغى أن يعتبر حقيقة علمية ، لعالم الروح فى ظل أحدث حقائق الرياضة الزمنية والمكانية .

فى الرعى

وإذا كان العقل يبقى ملازماً للجسد الأثيرى فإن مقتضى ذلك بالضرورة بقاء الذاكرة أيضاً وتطورها مع تطور العقل ونموه بغير توقف . وقد علل سوبنبرج الفيلسوف الوسيط منذ منتصف القرن الثامن عشر حدوث هذا التطور بأن للإنسان ذاكرتين لا ذاكرة واحدة : ذاكرة خارجية تنتمى إلى الإنسان الطبيعى ، وذاكرة داخلية تنتمى إلى الإنسان الروحى (أى الجسد الأثيرى) .

فكل ما فكر فيه الإنسان وأراده ونطق به وعمله ، وما سمعه ونظره ، قد تم تسجيله في ذاكرته الداخلية أو الروحية (التي يعرفها علم النفس الحديث تحت وصف العقل الباطن) .

ومع ذلك ينبغي أن نعرف — على حد قول سويدنبرج — أن الإنسان لا يحصل على أية معرفة ومعها الذكاء إلا إلى مدى تعلقه بالخير ، وبالحقيقة التي عاش فيها عندما كان في العالم المادى بدون أن يقدر على تجاوز هذا المدى . وفي الحقيقة إن كل إنسان يحتفظ هناك بالعاطفة التي كانت لديه عندما كان في هذا العالم بنفس المقدار والنوع . ثم تتقدم هذه العاطفة تدريجياً وهو ما يحدث في الأبدية ، لأنه لا يوجد شيء يعجز عن أن يتكامل إلى ما لا نهاية . فكل شيء يمكن أن يتشكل إلى ما لا نهاية وينمو بالتالى عن طريق معرفة أمور مختلفة ، بل يتضاعف ويثمر ، فلا توجد نهاية لشيء طيب لأن الطيب يستمد وجوده من اللانهاية . ولذا تتقدم الأرواح والملائكة باضطراد في الذكاء والحكمة عن طريق معرفة الحق والخير ^(١) .

لكن هذا التطور في شكل الإنسان وثقافته وأخلاقه تدريجى محكوم بميول العقل واتجاهاته ، ويتفاوت في سرعته من إنسان إلى آخر . فالإنسان الذكى الطموح يمكن أن يتطور أسرع من البليد القانع بحالته . وذلك هو ما يحدث أيضاً على المستوى الأرضى لأن قوانين الحياة التي تسيطر على طبائع البشر لا تختلف كثيراً هنا عنها هناك ، مهما اختلفت مظاهر الطبيعة وإمكانات البيئة الجديدة للعقل .

وفي هذا الصدد تتحدث روح سير آرثر كونان دويل إلى الأسقف شارل تويديل قائلة — بعد إعطاء صورته وتوقيعه ^(٢) — « إن هدفى في هذه

(١) عن « الجنة والنار » Le Ciel Et L'Enfer ترجمة فرنسية بمعرفة جان ل. فرانسيه Jean L. Francais طبع ١٩٣٦ م ، ٣٣٦ ، ٤٦٩ ، ٣٤٣ .

ويقول بعض علماء الروح إن ما يترقى إلى العقل الباطن قد يبقى فترة طويلة بعد موت الجسد ، أما ما يبقى في حدود العقل الراعى وحده فهو عرضة للنسيان السريع بعد الاقترال .

(٢) راجع ما سبق في الجزء الأول من ٢٦٥ ، ٤٨٨ ، ٤٩٨ .

(م ٧ — الإنسان روح : ج ٢)

الحياة هو أن أحب كل إنسان ، وأن أفعل كما كنت أفعل عندما كنت في الجسد الفاني . إنك تعلم يا تويديل أنه بدون طموح لا يمكن أن توجد سعادة حقيقية ، ولذا فنحن نظل طموحين في اتجاه أو في آخر . ولكن بما أنه لا يوجد هنا طموح من طبيعة طموح الأرضيين ، مثل طموحهم إلى المال ، فلا حاجة بنا إلى أن نغرق القوانين ، والأمر الهام هو تقدمنا الروحي .

وإذا كانت ذاكرتنا تحيا بعد الموت ، وإذا كنا نتطلع خلفنا إلى حياتنا الأرضية متأملين فيما أخطأنا فيه ، وإذا كنا مستعدين وقابلين لإصلاحها ، فإننا نشعر على الفور في بذل أقصى جهدنا في هذا السبيل ، ولكن العقل ينبغي ابتداءً أن يكون مستعداً ، غير عنيد كما يفعل الكثيرون عند مرورهم إلى هنا ، ويمكنني أن أحرر لك صفحات كاملة عن هذا الموضوع . . .

وقد روى مثل ذلك روح شوبان Chopin الموسيقار العظيم ، الذي كان يحضر جلسات أسقف يوركشير مدفوعاً برغبة الهيمنة على الوسيطة ، وهي كريمة الأسقف وتدعى دوروثي Dorothy ، وكانت لاعبة بيان ماهرة ومغرمة بوجه غاص بموسيقى شوبان .

ويلق الأسقف تويديل على عبارة روح دويل ، « بأنه » ما لم يكن هناك طموح للإنسان فلا توجد سعادة حقيقية ، « قائلاً مامعناه إننا نجد أن أولئك الذين يعيشون بعد موت الجسد الفاني يظلون آدميين على حالهم ، وهذا هو ما ينبغي توقعه من طبائع الأمور مع الاغتراب له . فإن أصحاب الشخصيات « العالية » التي تحتقر الأرض — هذا العالم المملوء بالخطيئة كما يقولون — ينسون أن هذا العالم أيضاً من صنع الله الذي أعده مقاماً لخليقته .

ويبدو عليهم أنهم يظنون أن الإنسان يحصل لجأة بعد الموت على الحكمة وعلى طبيعة « رئيس الملائكة » ، فما أشد دهشتهم عندما يحل دورهم في الانتقال ، لأن جميع المعلومات التي ترد من هناك تفيد أن مثل هذه الأفكار خاطئة تماماً وغير متفقة مع المنطق ولا مع الذوق السليم ، بالإضافة إلى أقوال المشتغلين أنفسهم .

فالإنسان عندما يستيقظ من رقدة «الموت» هو نفس الإنسان بعواطفه وآماله ومعرفته وميوله التي كانت عنده قبل الموت مباشرة، وإنما يستوعب ببطء معرفته الجديدة وتجربته بعد تغير حالته ومكانه . وحتى بعد مرور مدة طويلة وحصوله على تقدم وافر فهو يظل كائناً آدمياً مهما أصبح له من شمائل الإنسان المتكامل بعد التقدم الكثير الذي أحرزه .

فلنشكر الله على ذلك ، ولننعم بأن من نجبهم من أصدقاء وأقارب يستمرون بشراً ومخلّطينا ، ولم يتحولوا إلى مخلوقات لا يمكن التعرف عليها مجردة من صفات الإنسانية ومشاعرهما ، فكيف كان يمكننا التعرف عليهم لو حدث مثل هذا التحول (١) .

في تطور الوعي

وهن تطور وعي الإنسان بعد «الموت» يقول الدكتور جوستاف جيلي G.Geley مدير «المعهد الدولي لما وراء الروح» ، ياريس إن الموت للإنسان المتطور تطوراً كافياً يؤدي إلى انفجار الدائرة المحدودة التي كانت الحياة المادية تقتل فيها الوعي الذي يتجاوزها، وهي دائرة المهنة والأسرة والوطن فيجد الكائن نفسه محمولا خارج الأفكار والذكريات المألوفة ، وخارج حبه وأحقادته وعواطفه وعاداته .

وبالقدر الذي يسمح له به تطوره الحالي يتذكر ماضيه كما يصبح لديه نوع من الإحساس السابق بالمستقبل ، فيمكنه أن يحكم على الطريق الذي سلكه ويقدر نتائج سلوكه وجهوده وهناك أشياء كثيرة كانت تبدو لها أهمية قصوى في مجرى حياته تظهر له عندئذ تافهة وضيئلة القيمة عند النظر إليها من عل . كما أن فرحانه الكبرى وآلامه وانفعالاته التي لا تتناسب مع النتائج ، ومشاعره التي اجتاحت حياته ، ومطامحه التي اقترستها ، كل ذلك يتضاءل

(١) عن «أنباء من العالم الآخر» News From The Next World طبعة ثالثة
ص ٣٢٢ - ٣٢٤ .

عندئذ إلى مقداره الحقيقي ، فلا يشغل بعد إلا مكاناً ضئيلاً في تسلسل ذكرياته الواعية .

وبين روابطه القديمة ، يتلاشى الواهى منها كما يتلاشى الضباب الخفيف مع طلوع الفجر ، أما الروابط القوية فهي تكون جزءاً لا يتجزأ من سلسلة مصيره ، ولا يمكنه التخلص من حلقاتها إلا تدريجياً .

فهذه الفترة التي يقضيها الإنسان خارج الأعضاء extra-organique ليست بحسب مرحلة استجمام وتركيب عام وحكم تلقائي على النفس، بل إنها بوجه خاص مرحلة نشيطة جداً للاندماج النفسى، إذ فيها يتم في هدوء اندماج التجارب الجديدة في التجارب القديمة ، كما تتميز في الكائن حالات الوعى التي تم تسجيلها خلال الحياة .

وهذا الاندماج لا غنى عنه لتوحيد الشخصية وللتناسق الروحى . فيبدو أن اضطرابات الشخصية — كما سبق أن بينا — لا ترجع مهما كانت غريبة فائضة — إلا إلى عدم الاندماج النفسى بمعرفة الكائن قبل حياته الحاضرة، وإلى ميل العناصر العقلية التي لم تمثلها الذات نحو المروق عن سلطة العقل ومناهضتها .

وفي الجملة يبدو أن المراحل المتتالية للحياة العضوية وخارج الأعضاء لها دور في التطور متميز هنا عنه هناك ، ولكن مكمل له . وفي سلسلة الحيات المتعاقبة لا يبدو للحياة الأرضية من قيمة تذكر إلا كقيمة يوم واحد في مجرى هذه الحياة . فللحياة الأرضية برمتها واليوم الواحد نفس القيمة ، وبينهما تماثل حقيقى . فهناك أيام سعيدة وأخرى سيئة ، كما توجد حيوات سعيدة وأخرى سيئة ، كما توجد أيام وحيوات مفيدة وأخرى ضائعة .

وفي الفترة بين وجودين أرضيين (إذ المؤلف من أنصار تعدد الحيات الأرضية والآثيرية) يعد الكائن المتطور تطوراً كافياً برنامجاً للمستقبل

وتفصل بين الحيات، كما تفصل بين الأيام، فترات للراحة الظاهرة، ولكنها في نفس الوقت لحظات للجهد المستمر، ولعظم ما مضى وللاستعداد لما هو آت. وكما تبدو مشكلات كثيرة وقد حلها التوفيق عند البقطة من النوم فكذلك يبدو الكائن في مستهل حياته الأرضية مقوداً في خطواته الأولى فيسير في اطمئنان كما لو كانت تمسك يمامه يد ما في الطريق الذي رسمه لنفسه، والذي يحمله بمجرد ولادته ومع ذلك يسير فيه مغض العينين.

هكذا الحال من وجود إلى وجود. وعن طريق فيض التجارب الكثيرة المسجلة المهضومة يصل الكائن شيئاً فشيئاً إلى الأوجه السامية من الحياة التي لا يكفلها إلا التطور الكامل للوعى، أى عند تحقق السيطرة عليه.

والسيطرة على الوعى ينبغي أن تمتد - كغاية مثلى - على الحاضر والماضى والمستقبل، بمعنى أن تحقق نوعاً من الإحساس الغامض بالمستقبل الذى لا يبدو مفهوماً الآن. ولكن ما يمكننا بالأقل أن نصل إليه عن طريق المنطق هو حالة من معرفة الذات والكون متسقة بالقدر الذى يمكنها من إلغاء نسيان الماضى، ومن السماح بالاستخدام المنظم والطبيعى للملكات السماوية، وما وراء الروحية، وبالتالي من رؤية معجزات التطور المتحرر السعيد، المنبثق فى النهاية من ظلمات الجهل، ومن قيود الحاجة ومن الآلام الرهيبة^(١).

* * *

وعن تطور الوعى هناك يقول أيضاً أديب بلجيكا الكبير موريس ماترلنك Maurice Maeterlinek (جائزة نوبل فى الأدب ١٩١١) إنه إذا كان الوسط الجديد الذى ندخل إليه عند الخروج من بطون أمهاتنا يحولنا إلى مدى يجعل كل صلة مقطوعة بين الجنين الذى كناه، وبين الإنسان الذى

(١) من مؤلفه د من العقل غير الواعى إلى العقل الواعى De L'inconscient ٧

Au Conscient. طبعة ١٩١٩ من ٣٢١ - ٣٢٣.

أصبحناه ، إذاً ألا يدعونا ذلك للاعتقاد بأن الوسط الذي نذهب إليه عند خروجنا من الحياة الأرضية ، وهو أكثر جدة ، ومجهرية ورحابة وخصوبة ، يطورنا أكثر فأكثر؟ إنه يمكن للإنسان أن يرى فيما يحدث لنا هنا صورة مما ينتظرنا هناك ، ويتقبل تماماً أن كائننا الروحي ، بعد التخلص من جسده إذا كان لا يختلط باللانهاية ، فهو ينمو شيئاً فشيئاً ، ويتخير جوهره ، ولا يتوقف عن النمو ما دام لا يعوقه عائق من مكان ولا من زمان^(١) . ومن الجائز جداً أن أكثر رغباتنا سمواً الآن تصبح قانون نمونا المستقبل ، وأن أرق أفكارنا تستقبلنا على الشاطئ الآخر للحياة ، وأن نوع ذكائنا يحدد نوع الذكاء غير المحدود الذي ينبور من حوله .

إن جميع الافتراضات جائزة ، وكذلك أيضاً جميع الأسئلة ، بشرط أن تتصل بالسعادة . لأن التعاسة لا يمكنها أن تهيئنا عن شيء ، ولا محل لها في التصور الإنساني عندما يستكشف المستقبل بطريقة منظمة . وأية كانت القوة التي نصيبها بعد الموت ، والتي تهيمن على وجودنا في العالم الآخر ، فإن هذا الوجود ، مهما افترضنا فيه السوء لا يمكن أن يكون أقل عظمة ولا سعادة من وجودنا الحالي . فهو لا يقود إلا إلى اللانهاية ، وليست اللانهاية شيئاً إن لم تكن هي السعادة . وعلى أية حال يبدو مؤكداً أننا نقضي هنا اللحظة الوحيدة في أقدارنا التي تتصف بالضيق وبالشح وبالظلام وبالآلم .

ولقد قلنا إن الآلم الخاص بالروح هو ذلك الناجم عن عدم المعرفة أو عن عدم الفهم ، والذي يتضمن ألم العجز ، لأن من يعرف الأسباب العليا لا تعوقه المادة بعد ، بل يتصل بهذه الأسباب ويتصرف طبقاً لها . ومن يفهم ينتهي بالموافقة ، وإلا يصبح الكون كله عبارة عن خطأ ، وهو أمر ليس ممكناً لأنه من غير المتصور وجود خطأ لانهاى . ولذا لا أعتقد أنه

(١) سنعالج معنى المكان والزمان هناك في المبحث الرابع .

يمكن للإنسان ما أن يتصور وجود ألم آخر يصيب الفكر الخالص. إن الألم الوحيد الذى يظهر مقبولا — بدون تفكير فيه — وهو مع ذلك ألم زائل — إنما يتولد عن مشاهدة صور الألم والتعاسة فى الأرض بعد مغادرتها . ومع ذلك فهذا الألم لن يكون فى واقعه سوى مجرد مظهر ولحظة لا تذكر بجانب الألم الذى يحىء بسبب عدم القدرة أو العجز عن الفهم^(١)....

فى تفاعل الشكل مع الرعى

وقد أقام علم الروح الحديث الأدلة موفورة على تأثير العقل المباشر فى المادة^(٢). وما دام هذا التأثير أصبح حقيقة مقررة فإنه يبلغ مداه فى عالم الروح فيؤثر العقل تأثيراً مباشراً فى مادة الجسد الأثيرى — وهى بالغة الرقة بالقياس إلى مادة أجسادنا الترابية — فيعطىها العقل مظهرها الخارجى الذى به يتعارفون هناك كما تتعارف بالجسد الأرضى على المستوى الأرضى . وبالتالي فإن شباب العقل يضنى على الجسد الأثيرى شبابه الذى يلزمه فى رحلة الأبدية فى الفضاء .

ولأن شكل الإنسان الخارجى هناك يمكن أن يتشكل بحسب الذاكرة — التى تعمل عن طريق العقل كما يعمل العقل عن طريق الذاكرة — فإن أغلب الأرواح عندما « تنزل » إلى المستوى الأرضى تفضل — بتأثير الذاكرة فى الجسد الأثيرى — أن تتخذ نفس مظهرها القديم فى أخريات أيامها الأرضية حتى يمكن أن يتعرف عليها الحاضرون . أما عندما تعود إلى هناك فإنها تترك نفسها على سجيتها ، لأن ذلك لا يكبدها أى مجهود ذهنى كذلك الذى تبذله عندما تريد أن تظهر نفسها هنا على اللوح الحساس ، أو عندما تريد أن تتجسد للحاضرين ، وهذه أمور من البديهيات الآن فى

(١) من مؤلفه عن « الموت » La Mort طبعة ١٩١٣ من ١٩٧ — ٢٠٠ .

وراجع ما سبق من المؤلف فى الجزء الأول من ٢٩٢ .

(٢) راجع ما سبق من بحوث جامعة ديوك التى دامت لعشرات من السنين قبل التسليم بذلك فى الجزء الأول من ٤٦٧ وما بعدها، ومثلها بحوث عدة هيئات علمية .

علم الروح ، فلم يختلف فيها باحثان أو مؤلفان ، فهل كان ذلك أمراً ممكناً
لو أن الموضوع كله كان محض خيال ؟ (١) ..

ولذلك أيضاً فإن جمال الأخلاق — وموطنها الحقيقي العقل — يضئ
على صاحبه هناك جمال الجسد الأثيري فيتفاعل العقل معه بصفة مستمرة
في حياة الأثير ، لا يعوقه حائق إلا قوة الذاكرة وحدها . وبالتالي فإن ملامح
الإنسان هناك تعبر تماماً عن حقيقة عواطفه ومشاعره ، فإذا حدث فيها
تطور مع الوقت فإن ذلك يجيء — لحسب — عن طريق تطور هذه
الآخيرة . فلا يمكن لإنسان هناك أن يتصنع مشاعر لا يملكها أو عواطف
لا تلتصق إليه .

ولذا يقول سوبنبرج إن الشكل يبدو جميلاً بقدر ما يكون صاحبه
قد أحب داخلياً الحقائق المقدسة وعاش فيها ، لأن داخلات الإنسان تصبح
هناك مكشوفة وتتشكل بحسب المحبة والحياة . وبقدر ما يكون الحب داخلياً
بقدر ما يكون مطابقاً للسماء وبقدر ما يكون الوجه أكثر جمالاً بالتالي ...

كما يقول ، لقد رأيت وجوهاً ملائكية من السماء الثالثة لا يمكن لأي
رسام مهما أوتي أن يعطي لألوانه بريقاً من الضوء يعادل جزءاً من ألف
من البريق والحياة اللذين يلمعان على وجوه هذه الملائكة . أما وجوه
ملائكة السماء القريبة فيمكن للرسامين أن يقلدوها إلى حد ما ، (٢) .

أما على المستوى الأرضي فإن قوانين الوراثة البيولوجية تلعب الدور
الأول في تشكيل الجسد الذي يتجاوز كثيراً دور الروح أيّاً كان مستواها
في نضج الخلق والعقل ، بدون إنكار لتأثير الذاكرة في الشكل ، فإن شكل
الإنسان هو في النهاية نتاج ذاكرته أي نتاج عقله في حدود قوانين الوراثة
هذه ، أما هناك فشكل الإنسان خاضع خضوعاً مباشراً لذاكرته .

(١) أنظر صور الأرواح المتجسدة في الجزء الأول من ٣٣١ — ٣٣٨ ، ٣٤٧ . وفي

المتجسدة في من ٤٨٣ — ٤٩٧ .

(٢) عن المرجع السابق فقرة ٤٥٩ من ٣٣٠ .

الحراس

والجسد الأثيرى هو الذى يحمل حواس الإنسان الحقيقية حتى على المستوى الأرضى على ما يبناه فى مناسبة سابقة^(١). وهو يستخدمها هناك استخداماً مباشراً حتى مع وجود المظهر الخارجى لما يقابل الأعضاء الأرضية. وهذا الاستخدام المباشر يظهر هناك تدريجياً وبعد الانتقال بوقت كاف. ومن مظاهر هذا الاستخدام المباشر لحواس الجسد الأثيرى أن التخاطب وإن كان يبدأ بالغم بحكم العادة، والسمع بالأذن، إلا أنه مع الوقت يصبح التخاطب بالتبائى — أى الاتصال بالفسكر — هو الطريقة الطبيعية للتفاهم^(٢). وبذا نزول أكبر عقبة تحول على الأرض دون تفاهم البشر على نطاق واسع، وهى اختلاف اللغات واللهجات. ولكن هناك رغم ذلك أرواح كثيرة تتعلم اللغات الأجنبية التى ترومها لأغراض مختلفة مثل الاتصال بالأرضيين من أصحاب هذه اللغات، ومثل الاطلاع الكافى فى آداب هذه اللغات وحقائق شعوبها.

المبحث الثانى

فى الصورة العامة للطبيعة هناك

إجماع الرأى على أن لعالم الروح وجوداً حقيقياً وصلباً بالنسبة للأرواح يماثل وجود العالم المادى بالنسبة للماديين، فهو ليس عالم للرؤى والأحلام كما كان بعض الناس يتصوره فيما مضى. إن الأرواح لا تحلم بل تحيا حياة حقيقة أكثر نشاطاً من حياتنا الأرضية. فإذا ما تواجدت بضعة أرواح فى مكان واحد فهى ترى نفس المناظر الطبيعية المشتركة التى تميز ذلك المكان.

وتوجد هناك نفس المناظر الطبيعية التى نشاهدها هنا من سهول

(١) راجع ما سبق فى الجزء الأول من ٤٢٧ — ٤٥٥ عن الجسد الأثيرى للإنسان.

(٢) وملكية التبائى الآن مسلم بها فى علم النفس، كما أنه مسلم باستقلالها عن السمع بالأذن والتمطق بالغم.

ووديان وجبال وهضاب وصحارى وأنهار وشلالات وبحيرات ومحيطات
وحياة طبيعية فى أرجاء ازدهارها .

فلا يوجد أى مظهر من مظاهر جمال الطبيعة على المستوى الأرضى
إلا ويوجد له مقابل هناك أكثر جمالا . كما توجد هناك مناظر طبيعية
لا مقابل لها هنا بالنظر إلى تنوع الألوان وتدرجها على نطاق غير معروف
على المستوى المادى ، إذ ليس لدينا هنا إلا ظلال باهتة لبعض الأشياء
الموجودة هناك . أما الأشياء ذاتها فهى تستريح آمنة هناك حيث ولدت فى
الأصل ، كما أنه ليس لدينا إلا ظلال باهتة من أنفسنا بالمقارنة مع ذواتنا
الحقيقية المخفية وراء أجسادنا الترابية .

والمرج والأزهار متوافرة هناك بكثرة غير معروفة هنا ، ومنتشرة
فى كل مكان . وزهورهم تنبض بالحياة حتى تبدو لهم - كما قال بعضهم -
كما لو كانت كائنات حية أكثر منها جمادات صلبة . وتنبعث منها روائح ذكية
تعقب الجو إلى حد غير معروف هنا ، بل ينبعث من بعضها رنين جميل عندما
يداعبها نسيم الصباح .

فالأرواح الرافية التى تهب إلى المستوى الأرضى لا تهب مطلقا للتمتع
بمظاهر الطبيعة الأرضية مهما كانت مفرطة فى جمالها أحيانا ، لأن ما عندهم
من روائع الطبيعة يتجاوز كثيرا ما عندنا . وفى هذا الشأن تتحدث روح
شوبان Chopin الموسيقار الشهير إلى شارل توبديل أسقف يوركشير قائلة
(بتاريخ ٣ سبتمبر سنة ١٩٣٦) « إن الروح حرة تذهب كيفما شاءت ، ولكنى
من جانبى أفضل الآن مناظر عالم الروح ، كما أن لدى هنا عملى المناسب ، فعند
ما أزور الآن الأرض فإن مناظرها لا تعود تخلىنى كما كانت تفعل من قبل ،
فسأله توبديل « وهل كان الأمر كذلك من قبل ؟ ، فرد شوبان قائلا « ليس
بعد أن حضر أصدقائى إلى هنا ، فأنا أحضر إلى الأرض الآن كما أساعد
الآخرين ، ويختار بعض الأرواح أعمالا أخرى لتقدمه (١) . »

هذا وقد وردت عشرات من الصور لمناظر طبيعية من عالم الروح تلقنتها على الألواح الحساسة بدون كاميرا الوسيطة السيدة دونوهو Mrs. Donohoe تحت الرقابة العلمية الدقيقة ، وقد أشرف على إرسالها من هناك روح سير آرثر كونان دويل ومارتن دونوهو زوج الوسيطة الراحل تحت إشراف الروح المرشدة رد كلاود Red Cloud .

وفي مؤلف الأستاذ . ف . و . واريك F. W. Warrick وعنوانه « تجارب في الروحيات ، Experiments In Psychics نجد عشرات من الصور الأخرى واردة بنفس الطريقة (١) ، فضلاً عن مئات من الصور لإثبات شتى الظواهر الوساطية التي التقطت تحت رقابة علمية . وقدم هذا المؤلف الثمين للقراء سير أوليفر لودج عالم الفيزياء الراحل ومدير جامعة برمنجهام شاهداً بعوامل الثقة في المؤلف — عن صلة شخصية به — وفي تجاربه الشاقة (٢) .

ولا توجد هناك زلازل ولا براكين ولا أعاصير ، وإن كانت توجد رياح خفيفة هادئة أحياناً . ولا توجد أمطار وإن كانت توجد أحياناً غيوم أثرية والمياه كثيرة عذبة ، ولكنها لا تحدث البلب بلامستها ولا تحتاج إلى وقت للجفاف ، وعلى ذلك أجمعت البحوث الروحية على تعدد مصادرها وبيئاتها مع أن الأمر لو كان محض خيال — كما يعترض الماديون — لكان من المحتوم أن يختلف العلماء الروحيون في هذه النقطة الصغيرة . فيقول بعضهم مثلاً إنه توجد مياه كياهنا الأرضية تماماً ، ما دامت توجد هناك كل مظاهر الحياة الأرضية ، ويتخيل البعض الآخر أوصافاً أخرى لهذه المياه . وهذه المياه الأثرية ينزلون أحياناً فيها مجرد اللهب أو الرياضة لا للاغتسال ، لأن طبيعة الحياة نفسها ضوئية — أثرية لا تعرف القذارة إليها سيلاً .

(١) راجع موجه خامس ص ٣٣٩ — ٣٤٥ ، ٣٩١ .

(٢) راجع أيضاً ما سبق عن الوسيطة والمؤلف في الجزء الأول ص ٤٧٥ — ٤٧٧ .

نماذج من صور وساطية
لبعض مناظر طبيعية آتية من عالم الروح

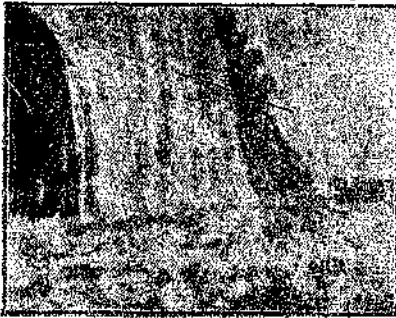
(٢)



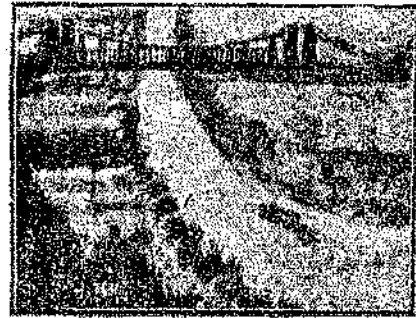
(١)



(٤)



(٣)



(٦)



(٥)



عن كتاب «تجارب في الروحانيات»
للأستاذ ف. و. واريك طبعة ١٩٣٨ ص ٣٤٤، ٣٩١.

(٨)



(٧)



(١٠)



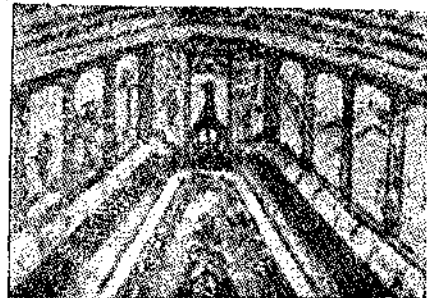
(٩)



(١٢)



(١١)



ولا يوجد هناك ليل ، ولذا فإن مشكلات الإضاءة لا وجود لها ، وقد بينا كيف علل جيمس آرثر فندلاي مدير المعهد الدولي للبحث الروحي ، بلندن هذه الظاهرة تعليلاً علمياً . فكل ما يعرفونه هناك هو حالة من الشفق أى النور المادى^(١) . ومدة الشفق هذه قصيرة تهيج أغلب الأرواح فيها للراحة فى منازلها ، فهم تغفول لفترات قصيرة لكنها لا تنام على طريقتنا لساعات طوال كما تسترد قواها الضائعة فى كفاح النهار .

فى الحياة الميرانية والنبانية

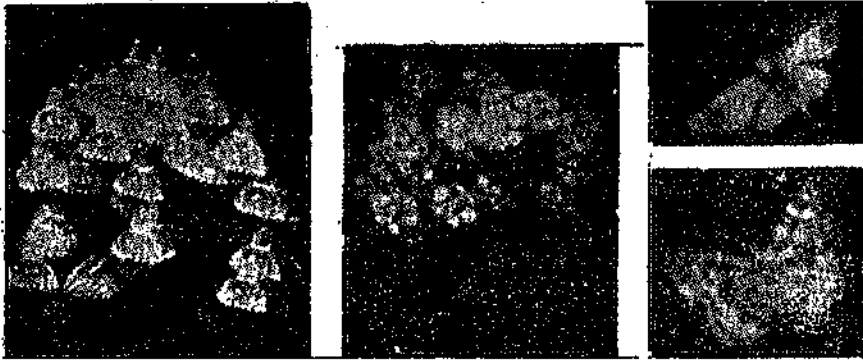
من المتفق عليه أن للحيوانات أجساداً أثرية تبقى بعد موت أجسادها المادية وتواصل حياتها فى مناطق مختلفة من العوالم الكوكبية والأثرية . وإن كان من الراجح أنها لا تصل إلى المستويات الروحية والعقلية التى تعلو هذه وتلك ، إذ يعتقد بعض الباحثين أنه إذا كان للإنسان جسد مادى وآخر كوكبي قابل للتطور للوصول إلى المستويات الروحية والعقلية ، فإن للكائنات الحية الأخرى أجساداً مادية وأخرى كوكبية ولكن غير قابلة للوصول إلى المستوى الروحى أو العقلى للحياة . ولا يريد أن ندخل فى تفاصيل هذا البحث ، لأننا قد راعينا أن نتحاشى على قدر الإمكان المسائل الخلافية مكتفين بمرض المبادئ العامة للعلم الروحى التى لم تعد بعد محل خلاف .

ومن هذه المبادئ أن لجميع الكائنات — على أية حال — حياة أخرى بعد موت أجسادها المادية ، بصورة ما وفى مكان ما من مستويات الوجود كما تؤدي وظيفة ما من وظائف الحياة . ويصدق ذلك على الحيوانات الأليفة وغير الأليفة كما يصدق أيضاً على الأسماك والحشرات والفرشات . والحيوانات المفترسة تحتفظ بمظهرها الخارجى ، لكنها تفقد رغبتها فى الاقتراس بفقدانها حاجتها إلى الطعام . والحيوانات الأليفة لها وظائف هناك تختلف عن وظائفها على الأرض إذ لا يأتى كونهم ، ولا يحتاجون

إلى امتطاء ظهورها للانتقال ، ولها دورها في بعض المناطق في الزينة وفي التعليم وفي إشباع نزعة بعض الأشخاص لاقتناء الحيوانات الأليفة في المنزل إذا كان يرغب في ذلك .

والطيور والفراشات الزاهية توجد بوفرة في المنازل والحدايق والطرق العامة ، وهي لا تخاف الإنسان ولا تهرب منه على عكس الحال هنا .

وفي هذا الشأن يقول الروح سيلفر بيرش عن طريق وساطة الكاتب المعروف موريس باربانيل في دائرة هانن سوافر نقيب الصحافة البريطانية الراحل لدينا ملكة حيوانية كبيرة يسكنها الجميع سوياً في سلام . فيها كل الحيوانات وكل الطيور وقد انعدمت بينها البغضاء . هنا يرقد الأسد مع الحمل فلا يتنازعان أو يفترس أحدهما الآخر . لدينا حدائق جميلة كثيرة فيها أزهار من كل لون ومن كل صنف مقسقة في شكل جمالها الذاق . لدينا ألوان لم تروها قط ، لدينا بحيرات جميلة وجبال وترع وأنهار ، وطيور عجيبية لها ريش فاخر وألوان جذابة . لدينا أنواع كثيرة جميلة من الحشرات ليست كتلك التي عندكم ، وإنما هي قد تطورت لأنها انتقلت من طور الشرائق وبرزت في كل برقيها



صور أزهار هريفة وفراشتين تلتقيا الوسيطة السيدة دونوهو Mrs. Donohoe من عالم الأثير تحت الزاوية العلمية الدقيقة بدون استخدام كاميرا (تجارب في الروحيات للأستاذ واريك ص ٣٣٧) .



Fig. D/274

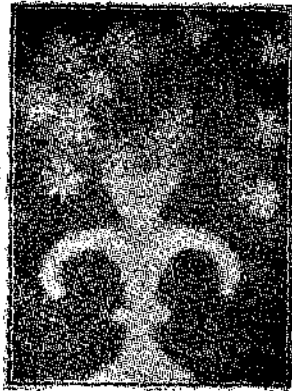


Fig. D/260

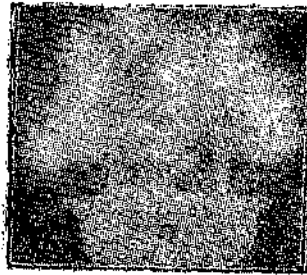


Fig. D/283

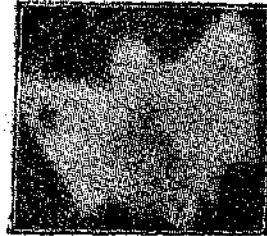


Fig. D/235

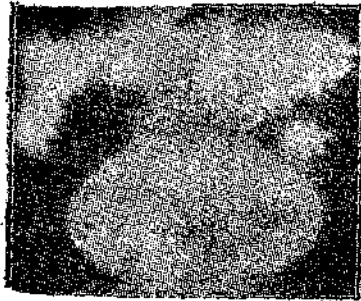


Fig. D/315



Fig. D/201

D/274, 260, 283, 315, 264 are skotographs of vases with flowers which M.D. sends.
D/235 was one of three plates held the same evening. On the first was given by 19 flowers and one single one the date of my husband's passing, viz., 19th January. On the second plate was a chrysalis cocoon. The third plate showed the escaped butterfly in full flight.

صور أزهار أخرى موضوعة في أوان شتى وقراشة طائرة وردت بنفس الطريقة (عن المرجع السابق ص ٣٤٢) وبعضها يشير إلى ذكريات أو أحداث معينة في حياة الوسيطة الروحية وزوجها الراحل مارتن دونومو (M. D.).

والبيانات الواردة عن النباتات وعن دور مملكة الحيوان في عالم ما بعد المادة بجمع عليها في كافة الكتب الواردة من هذا العالم ، أوتلك التي كتبت عنه بمعرفة بحاث لهم مكاتبتهم ، فهل كان ذلك ، كناً لو كان الأمر كله محض خرافة كما قد يذهب المعترض الذي تعود أن يلقى الاعتراض جزافاً ؟ . . .
هذا وقد حدث في جلسات غير قليلة - وفي داخل هيئات عليية صرف - أن تجسدت في معامل البحث الروحي حيوانات وطيور . وأمكن تصوير أرواح بعض الحيوانات متجسدة وغير متجسدة كما هي الحال بالنسبة للادميين^(١) .

المبحث الثالث

في بعض المميزات العامة للحياة هناك

تحدثنا في مناسبة سابقة عن ثبوت تأثير العقل المباشر في المادة كما انتهت إليه بحوث عدد وفير من العلماء على رأسهم الأستاذ ج . ب راين رئيس قسم الباراسيكولوجي في جامعة ديوك بالولايات المتحدة ومدير معاملها ، وذلك كهيئة على تفوق العقل على المادة وإمكان سيطرته عليها بصورة ما ، وعلى إمكان استقلاله عنها بالتالي وإحتمال خلوده رغم تحليل المادة وانفصالها عنه .

والآن بقي أن نتحدث عن تأثير العقل المباشر في المادة بوصفه من أهم مميزات الحياة - ووسائلها - في عالم ما بعد المادة ، حتى نعطي القارئ النظرية العامة عن مميزات الحياة هناك في أهم جوانبها ، لأن هذا التأثير يتحكم في الواقع في كل مظاهر الحياة هناك بغير استثناء ، إذ الحياة هناك عقلية بكل معنى الكلمة ، بالأقل ابتداء من المستوى الثالث حيث أن طريقة الخلق بالفسكر ، هي الأسلوب اليومي المألوف لهذه الحياة .

وفي هذا الشأن يتحدث شو دزموند Shaw Desmond أحد مؤسسي

(١) راجع ما سبق في الجزء الأول في ص ٤٥٥ - ٤٦٣ .
(م ٨ - الإنسان روح : ٢٦)

« المعهد الدولي للبحث الروحي » قائلاً : « إنني متحفظ كثيراً في آرائى التى أبدتها هنا . فأما أن الفكر حقيقة فيعتبر ذلك الآن أمراً محتملاً نادت به بعض مدارس السيكولوجيا . وكبرهان ماضى على صحة ذلك استطاع العلامة فيوكوراى Fukurai منذ بضع سنين أن يصور الفكر بكاميرا شديدة الحساسية . وليس هذا مكان شرح البصريات الروحية والفيزيكا الروحية ، وإنما أحيل بحجى الاطلاع إلى بعض كتب العلماء الحداثيين فى السيكولوجيا والفيزياء والفلكية .

« . . . وليس للناس أن يقولوا إن ذلك مستحيل الوقوع لأنهم قالوا ذلك نفسه عن الكلام والرؤية عن بعد عبر الأرض عن طريق التليفون والراديو والتليفزيون وسيقبلون يوماً ما مسألة « الخلق بالفكر » ، وقد يستكشفون طريقة استخدام ذلك وهم فى أجسامهم الأرضية » (١) .

والعلامة فيوكوراى الذى يتحدث عنه شو دزموند أستاذ فى جامعة كوهيناسان Kohyassan باليابان ورئيس « المعهد الروحي اليابانى » ، ومعروف بتجاربه الغذة فى تصوير الأفكار على اللوح الحساس وهو الآن علم قائم بذاته يطلق عليه Idéographie . وقد تمت تجارب ناجحة فيه أيضاً فى داخل « المعهد الدولى لما وراء الروح » ، فى بروكسل فى عامى ١٩٢٠ و ١٩٢١ تحت إشراف مديره الأستاذ داردن Dardenne .

وهذا التأثير المباشر للعقل فى المادة هو هناك كل شىء . فمثلاً بالموت الفيزيقي يولد الجسد الاثيرى للإنسان فى عالم ما بعد المادة عارياً ، وعندما يدرك المولود الجديد ذلك يفتابه الخجل الغريزى ويستشعر الحاجة إلى رداء يستتر به بدنه ، وعندما يبحث العقل عن هذا الرداء إذا به يصنع من الاثير بطريقة لا شعورية الرداء الذى يرضيه ، أو بالأدق ذلك الذى ألفه وتعود

(١) أحاديث فى الروحية مجلة « عالم الروح » سنة ٩ عدد نوفمبر ١٩٥٥ ص ٨ .

عليه خلال حياته الأرضية . وهذا هو أول درس تتلقاه الروح من الطبيعة عن أسلوب حياتها الجديدة^(١) .

ولا توجد هناك بالتالى مناجم ولا محاجر لأن كل ما يحتاجون إليه من مادة صلبة أو رخوة يصنعونه بتأثير مباشر من العقل فى الأثير أو بالأدق فى الضوء ، الأثير . وقد يبدو ذلك فوق تصور عقولنا فى حالتها الراهنة ، ولكن علينا أن نقدر أن المواد الأرضية كلها تقع بين اهتزاز لونين من الضوء هما اللون البنفسجى ارتفاعاً والأحمر انخفاضاً يطويان بينهما اهتزازات المواد الصلبة والسائلة والغازية . والضوء الأبيض يمكن تحليله إلى سبعة ألوان هى ألوان الطيف الشمسى التى تبدأ بالبنفسجى وتنتهى بالأحمر ، ويقع بينهما باقى الاهتزازات الأرضية الأخرى التى تمثل جميع المواد الصلبة والسائلة . فلم يكون الوضع غير ذلك فى عالم الأثير ؟

ولنما الفارق الحقيقى ليس من هذه الناحية ، بل من ناحية أن المادة الصلبة هناك - أى تلك التى تبدو لحواسهم صلبة - محكومة بالعقل مباشرة ، أما هنا فهى غير محكومة به بطريقة مباشرة . ولذا كان عالمهم عقلياً بمعنى الكلمة وكان عالمنا مادياً . فنواميس الحياة هناك أرقى منها بكثير على المستوى الأرضى ، وهى حقيقة سواء أقدرنا على فهمها وتصورها ، أم مجزت عقولنا الواهنة عن ذلك فى وضعها الراهن .

فلا غرابة إذا وجدنا الأرواح الراقية تجمع على القول بأنها تصنع كافة حاجياتها باستخدام عقولها ، لا باستخدام أيديها كما نفعل نحن على المستوى المادى ، فثلاثهم يقولون إنهم يصنعون بعقولهم أزهارهم ونباتاتهم وأشجارهم فلا يحتاجون إلى الأساليب الأرضية فى الزراعة وما تتطلبه من حرث وبذر ورى وغيره وأن الغابات التى تنمو هنا بفعل الطبيعة لها أصلها هناك ومقابلها الأثيرى الذى يبدو لحواسهم صلباً محسوساً كما تبدو لحواسنا

(١) راجع رسائل الروح جوليا لوسيطها سير وليام ت . ستيد هيب الصحفيين البريطانيين .

كل الأجسام صلبة وما هي في حقيقتها صلبة ، لأن لكل جسم صلب جسمين أحدهما مادي محسوس والآخر أثري غير محسوس على المستوى الأرضي ، وذوال المادي لا يمحو الأثري بالتالي لأنه غير قابل للزوال (١) .

وعن طريق هذا التأثير المباشر للعقل في المادة يشيدون مبانيهم ويزيلونها ويوسعونها ، وتبدو لهم صلبة بقدر ما تبدو مبانيها صلبة لحواسنا ، فكل شيء في الوجود نسبي فما يبدو لنا هنا صلباً لا يبدو لهم كذلك هناك والعكس بالعكس .

وهذا التأثير المباشر للعقل في المادة ينمو مع الوقت ويعلو كلما علا مستوى الحياة وينخفض كلما انخفض هذا المستوى . وكلما كان الشيء المراد خلقه بالفكر هاماً ودقيقاً كلما احتاج الأمر إلى ذوق فني وخبرة خاصة وممران من خبير متخصص يقوم في شأن المباني بدور المهندس على المستوى المادي . فلا يحدث بناء المسكن المطلوب بمجرد التخيل من أي إنسان . ويتم البناء تدريجياً ويبطئ ويحتاج إلى مشقة . وفي هذه النقطة وهي : كيف يبنون مبانيهم ، وكيف يوفرون احتياجاتهم ، ؟ توجد تفاصيل كثيرة في المراجع الروحية يضيق عنها هذا المقام .

وعن طريق هذا التأثير المباشر للعقل في الأثير يصنعون طعامهم الذي يأكله أغلبهم بحكم التعود فقط لا بحكم الحاجة الحقيقية إليه ، وذلك إلى أن يزول تدريجياً هذا التعود . أما الوضع الطبيعي للروح فهو أنها تستمد غذاءها من الأثير رأساً بقدر حاجتها إليه ، وبدون مجهود خاص . أما عندما تريد الروح أن تتذوق طعاماً مادياً فهو يذوب في فيها وتشعر بطعمه كما نشعر نحن ، ولا ينزل في أحشائها لأنه ليس للروح من دورة دموية ولا من جهاز هضمي .

(١) راجع ما سبق في الجزء الأول في ص ٤٢٧ وما بعدها من الجسد الأثري ، وفي هذا الجزء ص ٢٤ - ٣٨ عن رأي بعض علماء الفيزياء والرياضة المعاصرين في حقيقة المادة الصلبة ووجود مقابل أثري لكل جسم يبدو لنا صلباً .

والأرواح تنفّس كما تنفّس نحن . وقد حدث في هذا الشأن أن سأل الأسقف تويديل روح شوبان Chopin الموسيقار المعروفة فلا هل أنتم مضطرون للأكل أو للشرب؟ فأجاب شوبان قائلاً: لا بالمرة لأن التنفس الذى تنفّسه كاف لأن يحفظ لنا أجسادنا الاثيرية التى لا يلزمها أى شيء آخر ، فرد عليه إذا فأنتم تنفّسون؟ فأجاب بالإيجاب .

وقد رد بما يماثل ذلك أيضاً روح سير آرثر كونان دويل عندما قال له : « لا حاجة بنا للطعام أو للشراب ، ولكن الذين يشعرون بإحاجتهم إليهما يجدونهما . وبقدر ما يتقدمون هنا بقدر ما يكفون عن الاحتياجات الأرضية ويبشون عما هو أسمى منها »^(١) . وعلى ذلك أجمعت البحوث الروحية فى كل مكان ...

فى المباني

وتوجد مباني اشقى أغرض الحياة التى يحيونها ، منها ما هو عام كالمعاهد والمتاحف والمعارض والمعامل والمكتبات ، ومنها ما هو مخصص لسكنائهم . وفى صدد المنازل يقول سيلفر بيرش Silver Birch الروح المرشدة لدائرة هانن سوافر نقيب الصحفيين : « إن منزلى جميل جداً لدرجة أن الخيال يعجز عن وصفه . لا يمكن للنقاشين إيجاد ألوان تصور كل ظلاله ، ولا يستطيع الموسيقيون العثور فى مجال آلاتهم على نغمات تعبر عن كل قته وبهائه ... وهو أجمل من أجمل أى حلم شاهدتموه . اسألوا عمكم مارسيل (يقصد مارسيل بونسكين وهو فنان روحى كان حاضراً) إنه فنان ، وسوف يخبركم أنه ليس عنده صبغات يلون بها روائع العالم الروحى التى تتكشف له فى لحظات الإلهام الخاطفة^(٢) ... » .

(١) عن « أبناء من العالم الآخر » طبعة ٣ من ٣٢١ وما بعدها .

(٢) الوسيط هو الكاتب المعاصر موريس باربانيل Maurice Barbanell رئيس

تحرير جريدة الأنباء الروحية Psycho News .

(راجع ما سبق فى الجزء الأول من ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠) .

وهذه المنازل صغيرة ، غير مرتفعة ، مقسمة إلى غرف وليس بها دورات مياه ، إذ لا حاجة بها لأن طبيعة الحياة هناك متحررة من المادة الأرضية ، وبالتالي نقيّة ليست بحاجة إلى ما يقابل دورات المياه في منازل الأرضيين . وليس بها أيضاً ما يقابل المطابخ أو غرف الطعام ، إذ صلة الأرواح بالطعام تختلف تماماً عن طبيعة صلتنا به ، فهو — كما قلنا آنفاً — لا يمثل عندها ضرورة أولية للحياة بقدر ما يمثل مجرد رغبة قد تكون قوية في تذوق ما تحبه من طعام ، وهي رغبة تزول تدريجياً مع الوقت ، عندما تنمو الروح في الوعى والإدراك ، وتحرر من حاجيات قديمة كثيرة تكون مازالت متعاقبة بها بحكم سلطان الذاكرة والتعود القديم ، أكثر مما هو بحكم نظام الحياة وأسلوبها المرسوم .

إنما الأمر الشائع في منازل المستويات الراقية من عالم الروح وجود غرف لاستقبال الضيوف ، وأخرى كما تهجع فيها الأرواح أو تغفو للحظات قصيرة ، وهي تفضل استخدام هذا التعبير — تعبير الغفوة أو الهجوع — على استخدام تعبير النوم ، لأن النوم العميق لمدى ساعات طويلة غير معروف هناك إلا بالنسبة للأرواح الوافدة حديثاً وذلك بحكم التعود القديم أيضاً ، والذي ينبغى التحرر منه مع الوقت ، خصوصاً لأن التحرر من الجسد الزاقي الشديد الوطأة على النفس يحرر الروح من أثقل أحمالها التي كانت تربطها بمستوى منخفض من مستويات الوجود ، وتدعوها إلى النوم العميق لمدى ساعات طويلة لما كان يكبدها حمل هذا الجسد الثقيل من نصب طيلة ساعات اليقظة ، وهذه الغرف في مساكن عالم الروح تقابل غرف النوم في مساكننا .

وقد توجد أيضاً في بعض هذه المنازل غرف مخصصة للعبادة إذ تلعب العبادة هناك دوراً يتجاوز بكثير دورها على المستوى الأرضي ، لأن الإحساس بالقدرة الخالقة هناك أقوى بكثير مما نعرفه هنا ، بعد إذ تصبح العقول أكثر استجابة للاهتزازات الكونية العالية ، وترتأماً معها بعد تحررها من رتبة

الغلاف الكثيف الذى كان يغلفها وهو المخ ، والذى كان يقيد أجزاء كثيرة من الرعى أصبحت بعد الانتقال حرة طليقة ، مندبج بعضها فى البعض الآخر اندماجاً كافياً .

والمساكن مفروشة بما يقابل بعض أصناف الرياش التى نعرفها ، ولكن بالقدر الذى تحتاج إليه الأرواح الراقية فى مستواها الجديد ، وكل بحسب ذوقه وميوله ويشتته . وهذه الرياش فى جعلتها أرقى بكثير فى ذوقها من جميع ما نعرف من ريش أو سجاد أو لوحات أو تحف ، بالنظر إلى العقول الراقية التى قامت بصنعها ، وإلى وسائل العمل العقلية التى عندهم ، والتى تتجاوز بكثير وسائلنا اليدوية المقيدة .

ولا تتلاصق المنازل هناك ، بل لسكل منزل حديقته المزهرة التى تحيط به من كل جانب ، وعلى ذلك أجمعت رسائل أرواح هذا المستوى الثالث .

وتوجد بالمنازل نوافذ وأبواب قابلة للغلق والفتح ، كما قد يوجد درج (سلم) لإضفاء شكل معين على المسكان قد يريده له صاحبه ، لا الوصول إلى الطابق العلوى مثلاً لأن الانتقال فى عالم الروح ، بما فى ذلك الصعود والنزول فى المباني ، يكون بقدرة الفكر وحدها .

ووجود الجدران والأبواب المغلقة لا يمنع الأرواح الزائرة من ولوج المكان إذا شامت ، ولكن تقاليدهم وآدابهم — وهى كثيرة وتأثيرها شديد فى تنظيم حياتهم — تدعوهم لأن يدخلوا البيوت من أبوابها المفتوحة ، وبعد إشعار صاحب المنزل برغبة الدخول واستئذانه أولاً فيه .

ولا توجد أية إضاءة صناعية فى عالم الروح ، لا فى داخل المباني ولا فى خارجها ، لأنهم يعيشون هناك فى بيئة الضوء الكونى ، الذى يقوى نهاراً ويضعف ليلاً^(١) . فلا يحل الظلام التام ، إلا فى بيئات الظلمة الخارجية ،

(١) راجع ما سبق فى ص ٨٥ - ٨٧ .

التي لا تمت بصلة إلى بيئة « السمرلاند » ، أو أرض المصيف الجميلة .

أما عن طراز المباني ، فالإجماع على وجود أصناف كثيرة من كل طراز ونسق عرفها البشر ، بحسب اتجاهات قاطنيتها وأذواقهم ورغباتهم ، لا يقيد في ذلك إلا قيد رغبة التنسيق العام والمحافظة على وحدة الطراز في المكان الواحد ، على النحو الذي قد نشاهده - حتى على المستوى الأرضي - في المدن الجميلة الحديثة . فالمدن مرآة لعقول أصحابها وقاطنيتها تبدو منسقة مرتبة ، بقدر ما يكون في عقولهم من تنسيق وترتيب ، والعكس بالعكس في كل زمان ومكان ، خصوصاً عندما يكون المستوى عقلياً أكثر مما هو مادي .

في المدن

وتوجد هناك بالتالي مدن تتراوح في مدى جمالها سكنها على أية حال أجمل بكثير من المدن الأرضية ، إلى حد أن سكان المستوى الثالث يتحدثون عن المدن الكبرى مثل لندن وباريس ونيويورك كما لو كانت مدناً خائفة قدرة . وتتميز مدن عالم الروح بجدائقها وبجيراتنا المترامية الأطراف ، وبأن مساكنها كلها عبارة عن فيلات لا يتجاوز ارتفاعها طابقاً واحداً أو طابقين فلا توجد عمارات ضخمة للسكنى المشتركة ، لأن مشكلة ضيق المكان لا وجود لها هناك ، وكذلك مشكلة وسائل الانتقال . وليس جمال المساكن في رونقها أو ألوانها أو أضوائها لحسب ، بل إن جمالها يكمن أولاً في مشاعر الخير التي تغذي أصحابها ونوع المبادئ السامية التي توجه أفكارهم .

ولا توجد في هذه المدن حركة مواصلات ذات صخب وضجيج لأن الانتقال فيها وفي غيرها يكون عن طريق الفكر . وهذه الآن حقيقة روحية أجمعت عليها الآراء .

وقد يصنعون بعض وسائل الانتقال بفرض المتعة وبحكم التعود ، مثل باخرة أو عوامة لمن ألفوا حياة البحار وأصبحوا لا يطيقون البعد عنها . وقد يستعملونها في الإقامة الدائمة فيها بدلا من المنازل ويمكن أن تنتقل بهم للنزهة أو لأى غرض آخر مثل تغيير الموقع الطبيعى . وتسير فى اليم بوسائل عقلية لا يفهمها إلا الإنسان الذى يفهم كيف يكون التأثير المباشر للعقل فى المادة الصلبة .

وتوجد فى مدن المستوى الثالث هذا كل مظاهر الحضارة التى نعرفها على أرقى مستوى ، بما فى ذلك المعاهد العلمية وقاعات الاطلاع والبحث والموسيقى والمناحف والمعارض والفنون الجميلة ودور اللهو الراقى ... ومع مراعاة أن الفنون الجميلة هناك فى مستوى عالٍ وتتجاوز كثيراً أحسن ما وصل إليه البشر حتى الآن . وعلى ذلك أجمعت الرسائل الواردة إلى بيئات مختلفة .

فللموسيقى هناك مستوى يجعل أرقى موسيقانا الكلاسيكية ظلًا باهتًا له . وهى مصحوبة عادة بمناظر وأشكال تحدثها الأصوات فى الأثير . وتقام حفلات هامة رائعة وصفها الأستاذ شو دز موند فى كتابه ، كيف تحيا عندما تموت ؟ ، حتى أن من الوصف الشائع لهذه المناطق أن الموسيقى فيها هى الحياة . ولا غرابة فى ذلك إذا روعى أن روائع الموسيقى التى نعرفها ذات مصدر روحى — فى جملتها — فهى إلهام راق من عالم الروح إلى عالم المادة عن طريق عباقرة الموسيقى شأنهم فى ذلك شأن عباقرة الشعر والأدب والكشوف العلمية^(١) .

وللنحت وللرسم هناك مستوى رفيع لا يقل عن مستوى الموسيقى . وقد التقطت داخل الكلية البريطانية للعلم الروحى ، صور وساطية بالاشعة

(١) راجع ما سبق فى الجزء الأول ص ٥٠٦ — ٥١٦ .

فوق البنفسجية ultra-violet للوحات ورسوم آتية من عالم الروح عن طريق وسطاء متعددين ، مثلها يجده القارئ أيضاً في كتاب الأستاذ واريك Warrie عن تجارب وردت عن طريق وساطة السيدة دونوهر بدون استعمال كاميرا^(١) بل بمجرد وضع الألواح الحساسة على جبينها .



صور آلات موسيقية مرسله من عالم الروح بدون كاميرا (مؤلف واريك سن ١٩٤٣)
لاحظ أن الآلة اليمنى ليس ما يقابلها على المستوى الأرضي

في العمل

ويخطيء من يظن أن الحياة في عالم ما بعد المادة حياة خمول وكسل أو أنها - بحسب - حياة تأمل وتعم . إن الحياة في المستويات الراقية من عالم ما بعد المادة على العكس من ذلك حافلة بكل صرور النشاط الإنساني الرفيع والخدمات الراقية وتقدم المعرفة والأخلاق . ولكل روح هناك عملها في المناطق الراقية ، فلا توجد بطالة ولا كسل . والدافع للعمل هناك ليس هو البحث عن لقمة العيش المتوافرة للجميع ، بل هو حب العمل وحده . وكل إنسان يختار العمل الذي يحبه ، أو بالأدق العمل الذي يناسب ملكاته الفنية والعقلية ، ويتفق مع مداركه وميوله . وقد ورد في الحديث الشريف « الأرواح بعد الموت تلج مكاناً ألفته وتلزم عملاً عرفته » .

(١) راجع مجلة « العلم الروحي » التي تصدرها الكلية عدد يولية سنة ١٩٢٧ وما سبق من ١٠٧ — ١١٢ ، نقلاً عن مؤلف الأستاذ واريك .

والأعمال كثيرة ، لجميع الأعمال الذهنية والفنية هنا لها ما يقابلها هناك من فلسفة وأدب ولغات وعلوم طبيعية إلى علوم ما وراء الطبيعة ، إلى علم نفس وما وراء النفس ، ومن علوم اجتماعية وهندسية إلى كيمياء إلى طب إلى فلك . . .

وهناك بالإضافة إلى ذلك أعمال كثيرة ليس لها ما يقابلها على المستوى الأرضي . مثل الحراسة والإرشاد والإلهام لسكان المستويات المادية للوجود من أرضيين وغيرهم ، ومثل محاولة الاتصال بهم وتنظيم الجلسات الروحية لإقناع المنسكرين من الماديين والمكابرين .

وهناك أيضاً صور عديدة من النشاط التي لها ما يقابلها هنا ، ولكن تزاوجها الأرواح بطرائق مختلفة تماماً عن طرائقنا . ومن ذلك نشاطها في الزراعة والعمارة والصناعة بسبل عقلية لا يدوية على ما ذكرناه آنفاً .

وهناك صور من الكفاح الذي لا يتوقف لنصرة المبادئ السامية وتحقيق الأهداف النبيلة التي تتطلع إليها النفوس المجاهدة لأجل تحقيق العدالة والمساواة والوصول بالتطور نحو أجمل أهدافه وأروعها ، وفي حدود ما تملكه الأرواح من وسائل في ضمائر البشر وأذهانهم ، متخطية ما قد يصادفها من عقبات ، متغلبة على ما قد يوضع في طريقها من عراقيل الجهالة أو الغباء أو الأنانية وما أكثرها .

والأرواح في جهادها هذا مقيدة بنواميس طبيعية تحد من إمكانياتها الفطرية تماثل إلى حد كبير تلك النواميس الطبيعية التي تحد من إمكانيات البشر وتقيدهم من حدود نشاطهم ، والتي وضعت لتحقيق غاية سامية هي تحقيق التضامن في التطور بين أبناء المجتمع الواحد ، بل البيئة الواحدة ، بل المستوى الواحد من مستويات الوجود . فالرابطة بين الجميع — على اختلاف ألوانهم وأديانهم وأجناسهم — أقوى مما يمكن أن نقدر أو نتصور سواء أكنّا هنا أم هناك .

وهناك أعمال للمساعدة والإنقاذ وتخفيف الآلام والعلاج ، ولنفقد الأرامل والأيتام ، ولمواساة المحزونين والمضطهدين في كل مستوى من مستويات الحياة .

وتوجد دراسة للقانون وللشرائع لمجرد المعرفة وللمقارنة وللإلهام ، لكن لا توجد هناك محاكم بالمعنى الأرضي ، لأن التشريع السماوي يعرف كيف يطبق نفسه بنفسه ، وكيف يعاقب بذاته ويثيب بغير حاجة إلى فاض من البشر . وتبدو للقوانين الطبيعية هناك كل صرامتها وقوتها على ما سنبينه في الباب المقبل الذي خصصناه للشواب والعقاب .

وفي الجملة إن أنواعاً عديدة من المهن الأرضية لها ما يقابلها هناك كما قلنا وإن اختلفت الوسائل في كثير من الأحيان . والمهن الذهنية لا تختلف فيها الوسائل اختلافاً كثيراً عن ذي قبل ، أما المهن اليدوية فتختلف تماماً ، فمثلاً يباشرون الطب بدون جراحة . ويكاد طب الجسم الأثيري يختلط هناك بعلم النفس . والتحليل النفسي يلعب مع العلاج بالإشعاع دوراً كبيراً في الشفاء لأن أمراض الجسد الأثيري غير معروفة هناك إلا عن طريق أمراض النفس ، وهي تسكر عادة عند المنتقلين حديثاً بحكم ذكرياتهم الاليمية الباقية من السياط التي تكون قد ألهمت ظهورهم أثناء الكفاح في خضم الحياة الأرضية من المهد إلى اللحد .

والإنسان هو الذي ينظم أوقات عمله وراحته هناك ، فلا إرغام عليه أية كانت صورته . وتجرى مزاولة الأعمال على نمط يختلف في الجملة عن أنماطها على المستوى الأرضي ، لأن الفسك متحرر من قيود كثيرة تحد من قدرته على المستوى الأرضي . فضلاً عن أن مطالب الحياة الأرضية — وهي بطبيعتها تمثل أغللاً حقيقية — تعوق نشاط العقل هنا ولا تعوقه هناك .

فالحياة هناك متحررة وعقلية بكل معنى الكلمة ، وبقدرة ما ينمو الإدراك بقدر ما يتيح لصاحبه فرصاً متزايدة للسعادة النفسية .. أليس هذا هو ما نلاحظه حتى على المستوى الأرضي ؟ ... وهو نفس ما لاحظته كبار الفلاسفة على مر العصور من سقراط إلى أرسطو إلى أفلاطون إلى الفارابي إلى ابن رشد إلى ابن سينا إلى غيرهم .

في التمديم والتربية

وفي شأن التعليم في العالم الآخر يتحدث الأديب الإيرلندي المعروف شوزموند قائلاً إنه في العالم السكوكبي تندمج السياسة مع التعليم مع الجنس مع العقيدة فيصبح كل واحد منها جزءاً من الآخر ، وهذا هو ما ينبغي أن يكون في تقديري ، فالتعليم على أرضنا سواء أكان في المدارس الخاصة أم العامة أم في الجامعة يبدو فقيراً جداً في نظر المربين الموجودين في العالم السكوكبي ، فهو يبدو لهم خاطئاً من أساسه في محوره وفي آفاقه .

ورأى السكوكبيين يمكن تمييزه في أنهم يقولون إنهم عندما يدخلون إلى محافلنا العلمية بما قد يلقى فيها من فروض مرتجلة ، ومن أسماء على غير مسمى ، ومن مناقشات فارغة لا تنتهي عن الاختفاء المتوقع للإنسان من على الأرض تحت ضغط الحياة العصرية والآلات ، وكل ما يصوره كما لو كان جسداً لحسب ، يتصورون أنفسهم كما لو كانوا قد دخلوا إلى مصحة للأمراض العقلية ، بل مصحة خاضعة لتنظيم دقيق لا يجعل فاطنيها يشعرون أنهم مرضى بعقولهم كما هي الحال عند كل مريض بعقله . . .

فهم يقولون إن جزءاً كبيراً من علومكم علوم حقيقية ، ولكن جزءاً كبيراً آخر مما تتصورونه علماً ليس إلا — بكل بساطة — عبارة عن معان جوفاء اصطفتها عبقرية عالية . وإلى أن يسلم علماؤكم بأن الإنسان محض روح ، وأن الجسد ليس إلا رداء مؤقت لهذه الروح ، فإن علومكم ستظل حبيسة قفصها الحديدي تدور حول نفسها بغير نهاية كحلقه مفرغة .

ثم يقول دزموند : وعند ما كنت أحاضر منذ وقت قريب في جمعية العلاقات الخارجية ، بجامعة كبريدج بدالى قدر كبير من الحقيقة في هذا القول ، فقد وجدت هناك شباباً متشوقاً للمعرفة ، ومع ذلك جعل منهم التعليم الأكاديمي الخاضعين له مجرد آلات أو نماذج صماء . وكانت تبدو عليهم اللبقة إلى أن يصبحوا أشياء أخرى ، كما لاحظت ذلك من إقبالهم الشديد على الحضور ، ومن الأسئلة التي أغرقوني بها ، ومن خطاباتهم التي كانت تصل إلى حتى بعد أن عدت إلى موطنى في «ليسترهاوس» .

فهم يشعرون بأن تعاليمهم خال من الحياة أى من الاعتقاد ، وأنه حتى من الزاوية المادية الصرف فإن صلة هذا التعليم ضعيفة بالعالم الذى يحيا فيه الرجال والنساء . والطفل في العالم الكوكبي لن يكون عليه أن يصارع ضد هذا التعليم الأكاديمي ، ولن يطلب منه أن يجتاز امتحانات ينظرون إليها هناك — كما بدأنا ننظر إليها هنا — بوصفها ليست اختبارات للمعرفة ، ولا لشيء آخر أهم من المعرفة وهو الحكمة .

فإن الحقائق نفسها لا قيمة لها ما لم ترتبط بالحياة وتتلاءم مع «عالم كل يوم» ، وهذه هي القاعدة في العالم الكوكبي . وجامعاتنا تعلم «الوقائع» ، أما الحكمة فكلها ، لأن الحكمة ربما لا يمكن تعليمها ، أما موضوع التعليم الكوكبي برمته فهو تنمية الابتكار والحكمة معاً .

وإذا كانت الحكمة لا نكتسبها بالتعليم فلا أقل من أن نحياها ، وعندئذ فيمكن تمييزها واستثمارها ، لأنه لا يمكنك أن تعلم رجلاً أو امرأة شيئاً إلا إذا وصل أيهما إلى نقطة في التطور تجعله مستعداً إما لتذكر القديم (فالمؤلف من القائلين بتعدد حيوات الإنسان وعودته إلى التجسد) (١) ، وإما الخطو نحو معرفة أخرى جديدة ، وكل تعليم حقيق عبارة عن فن استثمار حب المعرفة .

(١) لنا إليها عودة في الباب المقبل .

وعند ما يحىء اليوم - لكم أولى - الذى فيه ندخل مدرسة كوكبية
أو إلى قاعة من قاعات الحكمة فسيفاجئنا بعض مفاجآت . أولها أننا سنجد
أماننا مباني ضخمة تعادل أبعادها المباني الضخمة أو المعابد الفرعونية التى
كانت فى أيامها الخالية عبارة عن « مدارس للحكمة » .

وسنجد أماننا طلبة من جميع الأعمار كأولئك الذين « كنت » أشاهدهم
عند ما كنت أحاضر فى مدرج جامعة واشنطن بأمریکا وكانت بينهم سيدة
تبلغ من العمر السبعين ربيعاً بغير أن تثير استغراب أحد . وغارج القاعة
الرئيسية فى مدارس العالم الكوكبي توجد قاعات للمطالعة وتذوق الثقافة
الخاصة ، فيها يعلم الإنسان نفسه أكثر مما يعلمه إياه الآخرون ، ولا يتعلمون
فيها ما تعلمناه فى مدارسنا فى حياتنا الأرضية الخاصة ، بل ما تعلمناه فيما بعد
عندما اتصلنا بالحياة ، فن الخرافة الاعتقاد بأن الطفل - أو حتى الإنسان
البالغ - يمكن أن يتعلم شيئاً ذا قيمة من الطريقة الأكاديمية .

وسنجد أماننا لوحات كبيرة (أو شاشات فضية) ، يتجسد عليها
الناس والأحداث كما تتجسد فى دور السينما فى مستوانا الأرضى . إلا أن
الصور هناك حية والأحداث تبدو كما لو كانت تجرى حقيقة فى هذه اللحظة
(يتحدث عن شريط الكون الأثيرى الذى يعرفه الروحانيون) .

وبمجرد النظر إلى الشاشة الأثيرية يشاهدون شروق الحياة فى أرضنا
بما فيها من كائنات عصور ما قبل التاريخ ، ويشاهدون فيها الإنسان البدائى
فى عمله ولهوه وحربه وعشقه ، كما يسمعون كلامه ، وصراخ الديناصور
وغيره من حيوانات العصور السحيقة . . .

فهم يتعلمون من « شاشة الزمن » هذه أصولهم الخاصة . وتبدو لهم -
كما لو كانت من خلال زجاج يطل على الأرض - قصة الحياة على الأرض التى
تحتهم فيفهمون ما لعجز عن فهمه ، وهو كيف أن الرجال والنساء على الأرض
التي ينظرون إليها ويستمعون يمكن أن يصبحوا وحوشاً فى حروبهم الأرضية ،

وفي علاقاتهم الإنسانية ، ولكن ، أن نعرف كل شيء . معناه أن نغفر كل شيء .
كما يقول المثل الفرنسي ، ولذا فهم يتعلمون التسامح والاعتدال مع الآخرين .
ويشاهد المتفرجون أمامهم مواطني قارة الأتلنيس Atlantis (١) يشنون
ويتحدثون ، وإذا كان هذا الأمر الأخير عبارة عن مجرد انعكاس للفكر
فإن على أن أذكر القارئ أن السينما المجسمة في أيامنا الحالية قد تتضمن نفس
الفكرة . . وهكذا فإن النظارة بهذه الطريقة لا يشاهدون لحسب أسلافهم
في الزمان بل معاصريهم ويستمعون إلى محاضراتهم ورسائلهم .

وكل ذلك يشبه إلى حد ما لوحة التلفزيون بالنسبة لأحداث الأرض
الجارية ، ولكن الطفل هناك يمكنه أن يشاهد كل ما يجري في أية لحظة
سواء في عالم الكوكبي الخاص أم على أرضنا ، بل إنى اعتقد أنه في
المستويات العليا يمكنهم أن يراقبوا أحداث كوكب الزهرة أو المريخ كما
سيمكثنا يوما أن نراقبها على شاشة التلفزيون الأرضي الذي لا يزال آلة بدائية .

وفي نفس الوقت يقرر دزموند أن الأرواح يمكنها أن تقرأ الكتب
الأرضية ، لأن لكل كتاب اهتزازاً معيناً وبالتالي طول موجة ، ولأن الفكر
هو الذي يعطى لكل كتاب سرعته الخاصة في الاهتزاز أو طول موجته ،
بل لكل عبارة ولكل كلمة اهتزازها الخاص ، وعن هذا الطريق قد تصل
الأرواح إلى قراءة مؤلفاتنا الأرضية إذا شامت ، أو بالأدق إلى قراءة
الأفكار التي وراء العبارات والألفاظ (٢) .

وقد بحث موضوع هذه الظاهرة الغريبة عدد من البحوث الآخرين منهم
الأسقف ستانتون موزس الأستاذ بجامعة لندن ونشر عنها مقالا في جريدة
الإنسان الروحي Spiritualist (عدد ١٥ ديسمبر سنة ١٨٧٣) وفيه يقول

(١) اسم قارة روى بعض فلاسفة الإغريق نقلا عن القرائنة أن المحيط الأطلسي قد اجتمعها
في العصور الماضية ، وكانت قد بلغت من الحضارة أزمى درجاتها .

(٢) How You Live When You Die .

طبعة خامسة الفصل الرابع والعشرين وهو عن التعليم في العالم الآخر .

عن قراءة الكتب بواسطة الأرواح إنه سأل روحاً معينة هل تستطيعين القراءة؟ فأجابت قائلة ، أنا لا يمكنني ذلك ، ولكن روح زكريا جراي Zachary Gray وركتور Retor يمكنهما القراءة .

وبعد ذلك حضر ركتور وقرر أنه يمكنه قراءة الكتب الأرضية ولكن بصعوبة فطلب منه موزس أن يكتب له السطر الأخير من الجزء الأول من كتاب Aeneid فكتبه له كتابة صحيحة ، ثم طلب منه أن يكتب له الفقرة الأخيرة من ص ٤٩ من الكتاب الذي قبل الأخير من د الراف ، الثاني من دولاب كتبه . (وكان نفس موزس لا يعرف هذا الكتاب) فأتضح فيما بعد أنه كتاب عنوانه Roger's Antipopopriestian ، فنجحت الروح في إملاء الفقرة التي لم يكن أحد من الحاضرين يعرفها ولا يعرف عنها شيئاً (وأخطأت في كلمة واحدة حيث وضعت بدلها لفظاً آخر يؤدي نفس المعنى) .

وأعيدت نفس التجربة عندما قرأت الروح ص ١٤٥ من كتاب ثالث عينه لها موزس ولا يعلم محتوياته . . . وهكذا . وقررت الروح أنه يمكنها القراءة بمجهود خاص تبذله عندما تكون الظروف مؤاتية جداً . ويقول موزس إن هذه الطريقة من أحسن الطرق لتحقيق شخصية الروح ، لأن الفقرات التي قرأتها كانت غريبة تماماً عن أذهان الحاضرين ولا يعلمون عنها شيئاً . . . (١)

في التسليّة والرياضة والسرور

بالإضافة إلى الفنون الجميلة التي تمثل مزجاً من العمل ومن اللهو ، فإن الأرواح تعرف جميع وسائل اللهو والتسلية الأخرى التي نعرفها هنا ، والتي تتفق مع ميولها وملكانها . فلا توجد وسيلة لهو أو تسلية أو رياضة بريئة على المستوى الأرضي إلا ولها ما يقابلها على المستوى الأثيري .

(١) عن مؤلفه في « شخصية الروح » Spirit Identity طبعة ١٩٥٤

وغالبية الأرواح تظل محافظة على هواياتها القديمة لفترة من الوقت قد تطول أو تقصر إلى أن تتخلى عنها تدريجياً إذا شاءت التخلي أو تستبدلها بغيرها إذا شاءت التغيير ، وبغير أن يصرفها حب التسلية أو الرياضة عن واجباتها العائلية والاجتماعية ، فإن حب الخدمة النبيلة هو طابع الأرواح الراقية ولكنه لا يطفى عند عدد كبير منها على حب اللهو أو الرياضة سواء على المستوى المادى أم الأثيرى .

ولتوضيح ذلك بالصور وردت عدة لوحات عن طريق وساطة السيدة دونو هو على الأرواح الحساسة بدون الاستعانة بكاميرا ، وكانت الوسيطة تحت هيئة روحها المرشد رد كلاود Red Cloud ، وهى تمثل مناظر لما يقابل ألعابنا المألوفة من تفتش وكركيت ويلياردو وجولف وشطرنج ... كما يتضح من اللوحات الست الآتية مأخوذة عن مؤلف " تجارب فى الروحيات ، للاستاذ واريك (ص ٣٤٣) .

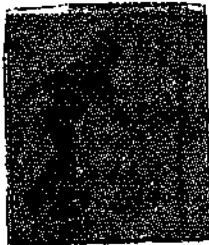


Fig. D/536

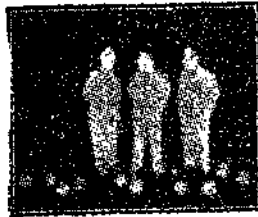


Fig. D/539



Fig. D/543



وبالإضافة إلى هذه الصور وردت كتابات بدون كاميرا على ألواح حساسة متعلقة بهذه الصور يانها كالآتي : -

- فمن لوحة لاعب الجولف وردت العبارة الآتية : « لقد طلب مني أن أظهر بعض ألعابنا (والكلام على لسان الروح المرشدر كلاود) : إن آرثر كونان دويل ومارتن دونو هو يتفاخران كلاهما مازحين ببطولتهما . - وعن لوحة لاعبي الشطرنج وردت العبارة الآتية : « أنا يمكنني أن أغلب مارتن دونو هو ودكتور ج في الشطرنج . كونان دويل . »

- وعن لوحة لاعبي الكريكت وردت العبارة الآتية : « كونان دويل بارع في الكريكت . مارتن دونو هو . »

- وعن لوحة لاعبي لعبة ال Bowls (وهي لعبة قديمة) وردت العبارة الآتية : « بعد الموسيقى إننا نلعبها جميعنا . »

- وعن لوحة لاعب التنس وردت العبارة الآتية : « إن صديقنا القديم سميث يلعب التنس (وسميث كما يلاحظ واريك رمز للبحرية البريطانية كما يدل على ذلك ساقا البنطلون الواسعان من أسفل) .

- وعن لوحة لاعبي البلياردو وردت العبارة الآتية : « مارتن دونو هو يمكنه أن يغلبني في البلياردو لسوء حظي . آرثر كونان دويل . »

وقد روت روح سيرو . ت . ستيد أيضاً ما يوافق ذلك قائلة : « فهنا منازل خصصت للمطالعة في الكتب وأخرى للموسيقى ، وغيرها لأنواع الألعاب الرياضية المختلفة ، فيمكن التمرين على كل أنواع الألعاب الرياضية كركوب الخيل والسباحة ، كما يمكن لكل شخص أن يلعب كل أنواع الألعاب » غير أنه بعد حين يجد أن رغبته في ذلك تناقصت وأن ميله اتجه اتجاهاً طبعياً إلى وجهات أخرى ولو تدريجياً ، وهو ربما لا يهجر ألعابه كلية ، ولكن رغبته فيها تقل ، ويصير أقل انغمساً فيها .

وعلى العكس من ذلك الرجل الذي صرف حياته مثلاً في الموسيقى فإنه يجد ميله ولذته وقدرته جميعها تتزايد ، لأن الموسيقى منسوبة إلى هذه الديار ،

وهو كلما صرف وقتاً أكثر في أحد بيوت الموسيقى هنا ، وهو الأمر الذى لا بد فاعله مادام قد عاش معيشة موسيقية ، وجد أن معرفته وقدرته تموان نمواً مذهشاً . كذلك الحال مع المولع بالمطالعة فإنه يشبع هنا كل رغباته فيما يجده من التسهيلات ، إذ العلم هنا غير محدود وجميع الأعمال القيمة التى لم تلقِ أثرها في الحياة الدنيا موجودة بسهولة . . .

إلى أن تقول نفس الروح : « وهكذا نرى في نظام الخليقة أن الخالق الأعظم قد دبر هذه الخطط العجيبة التى تدعو كل إنسان أن يستأنف في حياته الأخرى ما شغف به في الحياة الدنيا ، وأن يتصل اتصالاً فعلياً بعمله الدنيوى المحبب إليه ، وأن تتاح له الفرصة للانغماس فيه حتى يضمن النجاح والتقدم . أما جميع الأشياء المتعلقة بالدنيا فقط فإن الاهتمام بها يتضاءل في قليل من الوقت ، وكل شيء يجرى تدريجياً ، فيتحول ميل الشخص من حالته المادية إلى ما يوصف في الحياة الدنيا بأنه أمور معنوية ، والأشخاص الذين كان عملهم في الحياة الأولى محصوراً في المعنويات تجددهم يستأنفونه في الحياة الثانية ، ويتسع لهم مجال العمل فيه فيضطرون لتقديمهم ، أما الآخرون فيتحولون إليه ...

خذ مثلاً لذلك الرجل الرياضى فإنه يحب ألعابه : من جرى إلى ألعاب قوى إلى تمرينات عضلية ويستمر محباً لها هنا ، بل يزيد حبه لها لأنه يجد لذة مضاعفة وسروراً عظيماً في عدم إحساسه بالتعب ، ولكنه يجد بعد مدة أن استحسانه لها يتغير وأن ميله إليها يضعف ، ولنا نقول إنه ينتهى بيفضه لهذا النوع من الرياضة ، ولكننا نقول إنه يتطور وينتقل إلى نوع جديد مملوء بالحركة والغبطة ، وهذا النوع غير ماضى بالمرّة ، ولذا يقنّب عقله كثيراً ويجد ارتياحاً معنوياً عظيماً في المباحث التى تعرض عليه كتلك المتعلقة بوسائل السياحة وطرقها هنا ، إذ طرق الحركة جميعها هنا تختلف اختلافاً كبيراً عنها فوق سطح الأرض .

ثم إن هذا الرياضى الدنيوى الذى تحدثناعنه سيندج فيما يلائم البيئة الجديدة المحيطة به وسيحقق له سريعاً أن الحياة هنا تختلف عنها هناك ،

لأنها بالرغم من سيرها على نفس الوتيرة ، فإنها تحوى شيئاً كثيراً من الغبطة المعنوية ، فهل هذا واضح ؟ إذا وضع هذا فطبقوه بنفس الطريقة على كل شخص آخر من بنى الإنسان ،^(١) .

وعن فن التمثيل يتحدث من هناك الممثل المعروف ليونيل باريمور عن طريق وسيط الصوت المباشر لولى فلنت Leslie Flint^(٢) قائلاً : «مازلت ميالاً للتمثيل . لدينا دلو ، على حد تعبيركم وكل شيء نعمله هنا له دافع وهدف . كل تمثيلياتنا هادفة ولها مغزى ... فنلنا لدينا تمثيليات قد تسمونها خلقية ، ولا أقصد بذلك أنها ثقيلة أو عملة ، بل إنها لذيذة ومسلية ... كل شيء نفعله هنا ينبغي أن يصدر عن القلب وأن يتم بإخلاص ، فالتمثيلية التي تؤديها نحاول أن نساعد بها شخصاً على أن ينمض . وأن نفسر له لم قد وضع في ذلك الموقف ...

وقد تخلصنا تماماً من جميع الأشياء القديمة التي كانت تقيد أفكارنا أو تحد من أفتقنا . وكل الناس يجدون هنا عملاً مسلياً . فبعضهم يصنع الملابس الجميلة وبعضهم يصمم المناظر لتمثيلياتنا . . ومنهم من يلحن الموسيقى الرائعة . لقد سمعت موسيقى هنا لم تسمعوها على الأرض . فريق الأوركسترا مكون من عدة مئات من الناس كل منهم فنان بمعنى الكلمة . وهنا ألحان جديدة رائعة جداً يتعذر على وصف روعتها لكم ... وعند ما تعزف الموسيقى هنا يصبح الجو مملوئاً بالأنوار الملونة . . ما أبدعه من منظر . .

ولو أن مسرحنا يشبه مسرحكم من ناحية السقف والأرضية والستائر المزينة إلا أن لدينا أيضاً مسارح في الهواء الطلق تمثل فيها الروايات الضخمة ، وأيضاً تلك المسرحيات القديمة ، ويساهم فيها الفنانون من الرجال والنساء في الكتابة والإخراج والتمثيل . . .

(١) «ميت يتكلم» المرحم السابق من ٦٢ - ٦٦ .

(٢) لولى فلنت وسيط معروف للصوت المباشر كان يعقد جلساته غاناً في كنجر واي هول منذ سنة ١٩٤٦ أمام عدة آلاف مستمع تحت إشراف مارشال الطيران لورد جودنج (راجع ما سبق عنه في الجزء الأول من ٣٨٩) .

المبحث الرابع

في الزمان والمكان هناك

لا تختلف نظرية الزمان والمكان هناك شيئاً عنها هنا ، لأن الكون كله رغم فرط اتساعه وحدة لا تتجزأ ، لكن الإحساس بهما هناك يختلف تماماً عن الإحساس بهما هنا .

هذا هو البحث بنظرية النسبية

وينبغي أن نعلم - ابتداءً - أن الرياضيات الحديثة توصلت إلى معرفة أن الزمان والمكان لا يعتبران شيئين منفصلين . إذ تتوقف قيم الطول والزمن والكتلة على السرعة النسبية للأشياء طبقاً لنظرية النسبية كما وصل إليها أينشتاين Einstein أبو الرياضة الحديثة ، وفيها تختلف بديهيات هندسة الزمان والمكان في الطبيعة اختلافاً بيناً عن البديهيات العتيقة كما افترضها إقليدس وغيره من الرياضيين القدامى .

ونحن في المستوى المادى نشعر بالزمان منفصلاً عن المكان لمجرد أن المستوى المادى مكون من ثلاثة أبعاد تحسب وهى الطول والعرض والارتفاع ، وللمجرد ارتباط حدود هذه الأبعاد الثلاثة بقدرة الحواس المادية ذات الأبعاد الثلاثة بدورها ، أو بالأدق بقدرة المقيده بالإحساس بهذه الأبعاد الثلاثة منفصل كل منها عن الآخر من جانب ، وعن فكرة الزمن من جانب آخر .

أما العالم وراء المادى فهو مكون من أبعاد أربعة وهى الطول والعرض والارتفاع والزمن مجتمعة معاً ومتداخلة بحيث يتلاشى الإحساس بالزمان في الإحساس بالمكان ، ويتلاشى المكان في الزمان كما يتلاشى اللون الأسود في اللون الأبيض فينشأ عن امتزاجهما معاً ظهور لون آخر جديد هو اللون الرمادى . وكذلك ينشأ عن امتزاج الزمان والمكان معاً ظهور لون آخر جديد من الإحساس بالحياة يمكن أن نسميه لون ، الحالة ، .

والنفس توجد هناك في حالة معينة من الإحساس بالسعادة أو بالشقاء ،

أو بالأدق في حالة مركبة من الإحساس بالسعادة وبالشفاء معاً ، كما توجد في حالة مركبة من الإحساس بالزمان والمكان مندجين معاً ، ناجمة من تحول حواس الإنسان بعد تحررها من اعتقال الجسد المادى من القدرة على الإحساس بالأبعاد الثلاثة إلى القدرة على الإحساس بالأبعاد الأربعة الآتفة المذكور مندجة معاً ، وهى الطول والعرض والارتفاع والزمن .

وبالتالى يظهر لهم عالمهم « زمكانيا » بحسب تعبير نظرية النسبية أى مكوناً من زمان ومكان مجتمعين معاً ، فيبدو لحواسهم عالماً غير زمانى Timeless وفى نفس الوقت غير مكانى Spaceless . وكلما ارتقت الروح كلما نما فيها هذا الإحساس بالحالة الزمكانية ، وكلما اقتربت من المستويات المادية للوجود كلما ضعف فيها هذا الإحساس حتى ليبدو لها إحساسها بالزمان والمكان غير مختلف كثيراً عن إحساس الأرضيين بهما . بل إن بعض فروض علم الروح الحديث قد يميل إلى اقتراض هوالم أخرى مرتفعة قد تكون خماسية أو سداسية الأبعاد لا يندج فيها لحسب المكان مع الزمان ، بل قد يندج فيها أيضاً الماضى مع الحاضر مع المستقبل .

ونظرية النسبية هى التى قربت إلى الأفهام المعاصرة حتى عند أعلام الرياضيين ذوى السمعة العالمية من أمثال ج . و . ديون Dunno حقائق عالم الروح وربطتها بما نعلمه عن حقائق عالم المادة^(١) ، وهى تلاقى الآن قبولاً ضخماً فى الرياضة المعاصرة ، وقد قال فى وصفها الرياضى المعروف سير جيمس جينز James Jeans إنه « ما من تجربة أجريت حتى الآن بقصد اختبار نظرية النسبية إلا وكانت النتيجة فى صالحها ، لهذا لا يتردد العلماء اليوم فى قبول كل من النظرية ونتائجها... »^(٢)

كما قال فيها أيضاً الأستاذان ألن هاينك Allen Hynek ونورمان أندرسون Norman D. Anderson ، كما تكون النظرية العملية ذات

(١) وبخاصة فى مؤلفه An Experience With Time

(٢) فى مؤلفه « من النجوم إلى مسالكها » ترجمة الدكتور أحمد عبد السلام السكرتارى .

القاهرة ١٩٦٢ م ١٥٢

قيمة ، ينبغي أولاً أن نأخذ في الاعتبار الحقائق المشاهدة . ثم تتبنا النظرية بشيء ما كنتيجة مترتبة عليها ، ويجب أن يتحقق هذا التنبؤ . ولقد أثبتت نظرية النسبية وجودها بالتنبؤ بأشياء أثبتت التجارب فيما بعد صحتها . وعلى الرغم من أن بعض الأمور التي نقرأ عنها في نظرية النسبية قد يكون له وقع الرأي غير المؤلف للغاية إلا أنه يجب أن نتذكر أننا بصدد شيء أعظم . وإن ذلك كله يبدو غريباً ولكن لقد تحققت جميع تنبؤات نظرية النسبية في العمل ، وتقع أهمية تلك التنبؤات بالنسبة لعلم الفلك في أنها أعطت كلاماً محدداً عن كيفية سلوك الزمان والمسافة في رحبات الكون العظيمة . . . (١) .

وعن طريق الحقائق الرياضية الضخمة التي تكشف عنها نظرية النسبية أمكن فهم الكثير من بيانات الأرواح عن وصف عالمهم غير المادي والتي أخذت تندفق في غزارة منذ منتصف القرن الماضي ، كما أمكن الربط العلمي بين هذه البيانات وبين حقائق النسبية هذه . بل عن طريق نظرية النسبية أمكن اكتشاف عالم الروح رياضياً بعد إذ تم اكتشافه معملياً عن طريق بحوث الظواهر الوساطية .

بعض الإنجازات في الزمن والروح

وفي هذا الشأن نجد الدكتور الكسيس كاريل العالم الفسيولوجي الحاصل على جائزة نوبل في سنة ١٩١٢ يقول : لقد وجد الزمن متحداً مع الفراغ في الطبيعة . . . إنه جانب ضروري للكائنات المادية ، إذ ليس هناك شيء صلب له ثلاثة أبعاد اتساعية فقط . . . ومع أننا قادرون على أن ننشئ في عقولنا كائنات تامة الوصف بداخل الأبعاد الثلاثة (الطول والعرض والارتفاع) إلا أن بلجيع الأشياء الصلبة أربعة أبعاد . . . والإنسان يمتد في الزمن والفراغ معاً . أما التفكير فلا يدخل في الزمن والفراغ . ولا يأوى النشاط الأدبي والشعور بالجمال في الدرام المادي بنوع خاص .

(١) على مؤلفها : Challenge Of The Universe الذي ظهر في سنة ١٩٦٢ .
ترجمة : الدكتور سيد رمضان هداية تحت عنوان : أسرار الكون .

وعلاوة على ذلك ، فإننا نعلم أن البصر المغناطيسى قد يكتشف أشياء مخبأة على مسافات بعيدة ، فبعض الأشخاص يرون حوادث وقعت فعلاً في الماضي ، أو ستقع في المستقبل ، ويجب أن نلاحظ أنهم يدركون المستقبل بالطريقة التي يدركون بها الماضي ، ولكنهم يعجزون أحياناً عن تمييز المستقبل من الماضي ، مثال ذلك أنهم قد يتحدثون في حقيقتين مختلفتين عن حقيقة واحدة من غير أن يرتابوا في أن الرؤية الأولى تتعلق بالمستقبل والآخرى بالماضي ، إذ يبدو أن وجوداً معيناً من نشاط الشعور تسافر فوق الفراغ والزمن . وتختلف طبيعة الزمن تبعاً للأشياء التي يفكر فيها عقلنا . فالوقت الذي تلاحظه في الطبيعة ليس له كيان منفصل ، إنه فقط طريقة لإيجاد الأشياء الصلبة . فنحن أنفسنا نبتدع الزمن الحسابي ، إنه تكوين عقلي . . خلاصة لازمة لإنشاء العلم . ونحن نقارنه بسهولة بنقط مستقيم تمثل كل لحظة متعاقبة فيه بنقطة . ولقد استبدلت بهذا المستخلص منذ أيام جاليليو معلومات قاطعة جاءت نتيجة للملاحظة الأشياء ملاحظة مباشرة .

لقد كان فلاسفة القرون الوسطى يعتبرون الزمن عاملاً يكسب الجوهر صلابته ، وهذا الرأي مماثل إلى حد بعيد رأى منكوفسكى أكثر مما يماثل رأى جاليليو ، إذ كانوا مثل منكوفسكى وأينشتين وعلماء الطبيعة العصريين يعتبرون أن الزمن غير قابل للفصل عن الفراغ . . (١)

ثم يقول كاريل « يوجد في أفراد معينين عنصر روحى قادر على السفر في الزمن ، فقد ذكرنا فيما قبل أن البصر المغناطيسى يرى ليس في الحوادث السحيقة الاتساع فقط ، ولكن أيضاً أحداث الماضي والمستقبل فيبدو كأنهم يحولون بسهولة في الزمن والاتساع ، أو يهربون من العالم المادى ليتأملوا الماضي والمستقبل كما تستطيع ذبابة أن تتأمل صورة إذا لم تسر على سطحها ، وإنما عند ما تطير على بعد قليل فوقها .

ويقودنا الحديث عن حقائق التكهن إلى عتبة عالم مجهول . . ويبدو أنها تشير إلى وجود مبدأ روحى قادر على الانتشار خارج حدود أجسامنا .

(١) « الإنسان ذلك المجهول » الترجمة العربية للأستاذ عادل شفيق ص ١٢٨ - ١٣٢ .

ويتبرهن اختصاص علم الأرواح ظواهر معينة بأنها دليل على حياة الشعور بعد الموت . . فالوسيط يعتقد أنه مسكون بروح الميت ، وقد يكشف للقائمين بالتجارب عن بعض تفاصيل لا يعرفها إلا الميت فقط ولا تلبث دقتها أن تثبت فيما بعد . ويقول بروض (فيلسوف معاصر وأستاذ بجامعة كبريدج) إن في الامكان ترجمة هذه الحقائق على أنها دليل على بقاء عامل روحى لا العقل ، قادر على تزريع نفسه مؤقتاً في جسم الوسيط . . ثم يقول كاريل إن النتائج التى حصلنا عليها من تجارب علم « تحضير الأرواح » على جانب عظيم من الأهمية ، ولكن معناها ليس دقيقاً (كتب هذا الكلام حوالى سنة ١٩٣٥) . . (١)

كما يلاحظ برجون الفيلسوف أن الحياة أقرب إلى عنصر الزمان منها إلى عنصر المكان لأنها عبارة عن حركة دائبة لا تعرف الاستقرار، ولأن أقوى ملكات الحياة وهى ذاكرة الإنسان عبارة عن زمن مخزون، وكذلك الفرائز الحيوانية فى بعض صورها وأحوالها ، كما لاحظ أيضاً أن عقل الإنسان أدرى بحقائق المكان لكنه لا ينفذ إلى صميم الحركة الزمانية إنما يصل إليها بالحدس intuition أو بالبداهة وحدها لأنها أرق صور الوعي والإدراك عنده .

الزمن حالة ذهنية

فليس للزمان إذا من كيان خاص به بعد أن أصبح من خصائص المادة لأنه البعد الرابع فيها، فهو حالة ذهنية قبل أن يكون حقيقة قائمة بذاتها . والمستقبل قد يتصل بالحاضر وقد يلحق بالماضى ، ولذا فإننا فى كل لحظة نقتطع جزءاً من المستقبل ونضمه إلى الماضى فلا ينقص هذا ولا يزيد ذاك لأن كلا منهما لانهائى ، ولكن الحقيقة الكونية - فى النهاية - هى أن الزمان عبارة عن حالات متنوعة فى المكان ، وخيوط داخلة فى تكوين المادة الصلبة كما هى داخلة فى تكوين مشاعرنا التى تشعربها أرواحنا . فهو من داخلنا، أو هو بالأدق هو حالتنا النفسية وحدها . . . وإذا كانت الأبدية فى كل مكان ، فهى من حولنا ،

(١) المرجع السابق ص ٢٠٤ .

بل هي فينا هنا ومنذ الآن ، تتبع من نفوسنا وتنبع منها نفوسنا تبعاً صحيحاً
حياً قوياً ، وليست مجرد سراب يظهر من وراء الفضاء ...

ولذا تقوى الروح وتنمو مع مرور الزمن ، أما الجسد — وهو ذو أبعاد
ثلاثة لحسب — فهو يضعف ويضمحل بعد بلوغ النضج الكامل بتأثير الزمن
وحده . وبالتالي فإن الدوام صفة تمثل للجسد المادى معنى مغايراً تماماً
لمعناها بالنسبة للروح . فدوام الجسد ضعف واضمحلال ، أما دوام الروح
فنضج في العقل وفي الفضيلة ، ونمو في الوعي وفي الملكات . ومصدر هذا كله
أن طبيعة الزمن بالنسبة للجسد المادى المتحلل غير طبيعة الزمن بالنسبة للجسد
الآثيرى الذى يحمل الروح ويستمد منها الشعور بهذا الزمن ، وبالتالي الشعور
بالحياة أزلية متجددة غير قابلة للضعف ولا للفناء ، بل حرة صاعدة على
نقيض المادة الهابطة المقيدة كما لاحظ برجسون في « التطور الخلاق » .

ومن عجب أن هذا الذى وصل إليه أينشتاين عن طريق الرياضة ووصل
إليه برجسون عن طريق الفلسفة في القرن العشرين وصل إليه سوينبرج عن
طريق الإلهام منذ منتصف القرن الثامن عشر وكتب فيه في مؤلفه « الجنة
والنار » (١٧٥٨) ، وفيه يقرر ما ملخصه أنه « في السماء لا توجد سنون ولا أيام
بل تغيرات في الحالة ، وحيث توجد سنون وأيام يوجد زمن ، وحيث توجد
تغيرات في الحالة توجد حالات » . كما يقول في مكان آخر « رغم أنه توجد
في السماء مسافات كما توجد على الأرض ، لكنهم لا يقدرونها بوسائل القياس
التي نعرفها ، بل كل شيء يقدرونه بحسب الحالات الداخلية لأصحابها^(١) » .
فلا غرابة إذا وجدنا الأرواح الراقية تعلن أنها تحيا في عالم زمكانى ، أى
ذى أبعاد أربعة وهي الطول والعرض والارتفاع والزمن ، وأنها لذلك تشعر
بالأكثر أنها في الحاضر ، دون أن ينشأ ذلك تماماً لإحساسها بمرور الزمن ،
فهي في حالات معينة بحسب تعبير بعضها أكثر منها في مكان معين أو في

(١) « الفردوس والجحيم » ترجمة فرنسية بمعرفة L. J. François ، طبع ١٩٣٠ م ١٢١
وقدرة ١٩٨ م ١٣٨ . وراجع ما سبق من هذا الوسيط الفيلسوف في الجزء الأول
م ٩٩ — ١٠٢ .

وقت معين، لأنها — كما قلنا — في عالم غير زمانى Timeless وفي نفس الوقت غير مكاني Spaceless بحسب تعبيرها .

ومن ثم كان الفارق بين عالم المادة وعالم الروح — في طبيعتهما — فارقاً في الحالة ، أكثر منه فارقاً في المكان أو الزمان . أو بالأدق هو فارق في قدرة الحواس على الإحساس أكثر منه فارق في مكان الطبيعة غير المحدود أو في زمانها اللانهائي . وفي هذا الصدد يتحدث إمبراطور Imperator وهو من الأرواح المرشدة للأسقف ستاتون موزس الأستاذ بجامعة لندن قائلاً : إن التغير من عالمكم إلى عالمنا تغير في الحالة Condition . إذا ولد إنسان أعشى فلا يمكنه أن يفهم ما هو الضوء ، ولكنه إذا حصل على قدرة الإبصار فتكون قد تغيرت حالته State لا مكانه ، وكذلك عندما نقول عنكم جسديكم المادى ، فلن نكونوا قد غيرتم مكانكم بل حالكم ،^(١) .

هل الأرواح تعرف المستقبل ؟

ففيهم معنى المكان والزمان هناك — وهما مرتبطان معاً ارتباطاً لا يقبل انفصاماً كما قلنا — يحتاج إلى قدرة خاصة على تصور الأمور التي تغاير تماماً أمور حياتنا الراهنة ، وتغاير تماماً ما ألفته حواسنا في حالتها الحاضرة . وإذا كان قياس الزمان أو المكان هنا لا يثير صعوبة تذكر خصوصاً بعد استخدام وسائل القياس المادية للوقت والمسافة ، فإن الأمر هناك جد مختلف لانعدام الإحساس بالزمان والمكان منفصلين ، وظهور الإحساس بالحالة بدلاً منهما . فإذا طلبت من أى روح أن تحدد لك مثلاً موقع مدينة أو منزل هناك فقد طلبت منها أمراً محالاً^(٢) ، وكذلك إذا طلبت منها أن تحدد لك زمن واقعة معينة من وقائع عالم الروح أو المادة مالم ترتبط هذه الواقعة « المادية » بأقيسة المكان أو الزمان المعروفة عندنا .

فهو في قياس الزمان والمكان معاً صعوبة كبرى لأنه ليست لديها مثل

(١) من مؤلفه « تعاليم أخرى لروح » وراجع ما سبق عن موزس في الجزء الأول ص ٢٦٣ و ٢٦٤ .

(٢) راجع ما سبق في الباب الأول من هذا الجزء عن « موقع عالم الروح » من الناحية الامتزاجية وهو يصدق على موقع أى مكان فيه ، فهو موقع امتزاجى .

وسائل القياس المادية التي لدينا . وهي في غير حاجة إلى قياسهما باستمرار كما نفعل نحن في عالمنا المادى ذى الأبعاد الثلاثة . وقد تلجأ إلى محاولة قياس الزمن فى الماضى أو المستقبل بحسب أقيستنا إذا طلب منها ذلك أحد من سكان الأرض لتحقيق موضوع معين ، أو لتعرف تاريخ واقعة معينة بحسب تقاويمنا الأرضية وهي قد تصيب فى ذلك وغالباً تخطئ ، وقد يكون خطؤها جسيماً أو يسيراً . وهذه الحقيقة تعلل الكثير من أخطاء الأرواح وتنبئ عنها قدرة معرفة المستقبل على وجه مطلق ودقيق ، كما قد يتصور البعض خطأ . فالمستقبل بالذنب لها مجهول تماماً والتنبؤ بأحداثه ليس أكثر من توقع أمر له مقدماته التي تؤدي إلى نتائج المحتملة والتي قد تتحقق أولاً تتحقق بحسب الأحوال ، كما نفعل نحن بالضبط . غاية ما هنالك إن بعضها قديمك من عناصر التوقع الصحيح أكثر مما نملك منها فى المألوف من الأمور ، ولاطلاعاً أحياناً على حقائق عن الحاضر قد نجملها ، ولا تنفاه قيود كثير تعوق صحة تقديرنا خصوصاً عندما تكون الروح على درجة كافية من نضج العقل وكثيراً ما تفضل الروح الناضجة العقل عدم القيام بأية محاولة للتنبؤ أو لتوقع أحداث معينة مستقبلية رعاية لاعتبارات معينة تفهمها هي تماماً حتى وإن عجزنا عن فهمها ، وترى أن فى ذلك مصلحتنا الحقيقية .

وذلك لا ينبئ فى نفس الوقت قدرة بعض الأرواح الراقية على التنبؤ أحياناً بنبوءات صحيحة عن المستقبل ، قد تبدو لها أحياناً كما لو كانت أحداثاً ماضية أو حاضرة ، لأن الزمن كما قلنا غير موجود هناك بحسب المعنى الأرضى . كما لا ينبئ ذلك أن هناك أرواحاً قد تعتمد أحياناً إلى إخبارنا عن هذه الأحداث قبل وقوعها - بغير استبعاد احتمال الخطأ . وقد عرف التاريخ نبوءات معينة عن أحداث مستقبلية سجلها ثقة ، صدق بعضها ولم يصدق البعض الآخر (١) ، ولذا كان من ضمن موضوعات البحث الهامة فى نطاق على

(١) راجع فى هذا الموضوع ، وثلاً للأستاذ أحمد الشلتناوى عن « التنبؤ بالنبي قديماً وحديثاً » مجموعة « اقرأ » عدد سبتمبر ١٩٥٩ . و « علم النيب فى العالم القديم » من وضع شيمرون ، ترجمة ومعلق الدكتور موفيق الطويل الأستاذ بجامعة القاهرة .

الروح وما وراء الروح موضوع مدى إمكان التنبؤ بأحداث المستقبل .
وفي هذا الصدد يذكر الأديب البلجيكي موريس مازرنك Maurice Maeterlinck في مؤلفه عن « الموت »^(١) أنه في جلسة روحية تلقى سير وليام ستيد W. T. Stead نقيب الصحفيين البريطانيين (١٨٤٩ - ١٩١٢) نبوءة محددة عن مصرع الملك اسكندر ملك الصرب وزوجته الملكة دراجا بكل تفاصيلها ، وقد ثبت ذلك في محضر هذه الجلسة وعليه توقيع حوالى ثلاثين شخصاً من الحاضرين . وفي اليوم التالى مباشرة توجه سير ستيد لمقابلة سفير الصرب بلندن راجياً منه أن ينبيه الملك إلى الخطر الذى كان يتهدهده ، فلم يأبه السفير التحذير ولم يعره اهتماماً ، وبعد بضعة شهور تحققت النبوءة بحذافيرها . وهذه واحدة من نبوءات عديدة أمكن إثبات تحققها في نطاق علم الروح الحديث ، بغیر أن تنفى أن احتمال الخطأ هنا أكثر من احتمال الصواب وأن الأرواح غير الراقية قد تعتمد في أحوال كثيرة إلى إلقاء نبوءات مكنوبة من باب التخمين أو السخرية من بعض الحاضرين ، بعد أن تقرأ ما قد يحول بأفكارهم إمعاناً منها في السخرية وفي التضليل .
وكل هذا الموضوع - موضوع مدى إمكان التنبؤ بالمستقبل ، أو بالأحداث البعيدة - جزء لا يتجزأ من موضوع فهم معنى الزمان والمكان بالنسبة لحقيقتيهما في الطبيعة ، وبالنسبة لهما في عقل الإنسان وحواسه .

روح جاليليو تحدث عن الزمان والمكان

هذا وقد حاولت روح جاليليو العالم الفلكي المعروف (١٥٦٤ - ١٦٤٢) أن تشرح معنى الزمان والمكان لأعضاء الجمعية الروحية بياريس ، في سنتي ١٨٦٢ - ١٨٦٣ فأملت محاضرة عميقة تقع في حوالى عشرين صفحة قام بترجمتها بالكامل المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى في مؤلفه « كتاب الأرواح » . وفيها تقول الروح :

« الفضاء لا حد له . . وإن شئنا أن نمثل في ذهننا المحدود عدم تنامي الفضاء فليتصور انفسنا طائرین من الأرض نحو إحدى جهات الكون

(١) La Mort مائة ١٩١٣ ص ١٣٦ .

بسرعة الشرارة الكهربائية . . فبعد طيراننا بثوان قليلة لا تعود الأرض تتراعى لنا إلا ككوكب حقير ضعيف النور جداً ، وبعد قليل تتوارى عن نظرنا بالكلية . على أنه لا يمضى على سفرنا إلا دقائق قليلة إلا ونكون قد تأينا عن الأرض ملايين في ملايين من الفراسخ ورأينا ألوفاً في ألوف من العوالم ، ولكن لدى التحقيق نكون لم نخطُ بعد ولا خطوة واحدة في السكون . وإذا استقام سفرنا أجيالاً وألوفاً وملايين في ملايين من العصور والدهور فإننا لا نكون مع ذلك قد خطونا خطوة في طريقنا . وذلك إلى أي صوب اتجهنا وإلى أية نقطة انتجينا من تلك النرة الحقيمة التي بارحناها وأنتم تدعونها أرضاً ، هذا ما عندي من تعريف للفضاء .

وأما الزمان فهو كالفضاء لفظه معبرة بنفسها غنية عن التحديد . وقد يسوغ أن ندعوه تعاقب الأشياء باللانهاية . فلنتصورن أنفسنا في بدء عالمنا أي في عصر بدأت فيه الأرض تنبخر تحت النفحة الإلهية وبرز الزمان من مهد الطبيعة السرى . فقبلها كانت الأبدية سائدة ساكنة والزمان يجري مجراه في عوالم أخرى . ولما برزت الأرض إلى حيز الوجود استبدلت فيها الأبدية وأخذت السنين والقرون تتعاقب على سطحها حتى اليوم الأخير . أي ساعة أن تبلى الأرض وتمحى من سفر الحياة . ففي ذلك اليوم تتعاقب الأشياء وتزول الحركات الأرضية التي كانت مقياساً للزمان أيضاً .

فينتج من هذا أن الزمان يتولد من تولد الأشياء وينقضى بانقضائها ، وهو بقياس الأبدية كنقطة سقطت من عباب الجوفى البحر . فتختلف الأزمنة على اختلاف العوالم . وغارج هذه التعاقبات الفانية تسود الأبدية وحدها وتملأ بضياؤها فلو ات الفضاء التي هي غير محدودة . ففضاء لا حده وأبدية لا قرار لها هما الخاصيتان العظيمتان للطبيعة العامة . وإذا كان الزمان يمثل تعاقب الأشياء الزائلة ومقياسها فإننا إذا جمعنا ألوفاً في ألوف من القرون والآحقاب لا يكون هذا العدد إلا نقطة زهيدة في الأبدية ، كما أن الألوف في الألوف من الفراسخ تعد نقطة حقيرة في الفضاء .

وإذا مضى على حياتنا الروحية عدد من القرون يوازي قدر ما يكتب على طول خط الاستواء فإنه ينقضى هذا العدد الجسيم والنفس كأنها ولدت اليوم . وإذا أضفنا إلى العدد المذكور سلسلة أخرى للأعداد . ممتدة من الأرض إلى الشمس وأكثر ، فإنه ينقضى هذا العدد الذى لا يدرك قياسه من القرون والنفس لا تتقدم (فى الزمن) يوماً واحداً إلى الأبدية ، ذلك لأن الأبدية لا حدها ولا قياس ، ولا يعرف لها بداية ولا نهاية ، فإذا كانت القرون كلها لا تعد ثانية بقياس الأبدية فما أهمية عمر الإنسان على الأرض ؟ (١)

المبحث الخامس

فى الحياة الالهية هناك

يعيش الناس فى عوالم ما وراء المادة فى شكل أمم متشابهة إلى حد ما فى ميولها واتجاهاتها وأخلاق بنيتها على نفس النحو المعروف على المستوى الأرضى ، وإن كان التشابه هناك أكثر منه هنا ، وفى هذا الشأن يقول سويد نيرج « إن كل أمة تحمل فى وجوه أبنائها وفى أهيئهم نوعاً من الشبه المشترك به تتميز كل أمة عن الأخرى وكل أسرة عن الأخرى . وذلك ما يتوافر بالأكثر فى السماوات حيث تظهر على الوجه وتلمع جميع العواطف الداخلية ، إذ الوجه هو الشكل الخارجى المعبر عن العواطف ، وليس من الممكن فى السماء أن يحمل الإنسان وجهاً يغير عواطفه ومن ثم فالوجوه تختلف هناك بحسب نوع مشاعر الخير والجمال التى قد تغذى أصحابها (٢) » .

وما يصدق فى ذلك على البشر يصدق على الملائكة أيضاً ، إذ يقول نفس الوسيط الفيلسوف فى مكان آخر « بحسب التجربة التى أعطيتها منذ سنين

(١) راجع الرسالة برمتها فى « كتاب الأرواح » ص ١٥٩ - ١٧٩ .

(٢) للرجع السابق فقرة ٤٧ ص ٥٢ .

عديدة يمكننى أن أقول وأن أؤكد أن الملائكة من ناحية شكلهم كالادميين تماماً من حيث الوجه والعينين والأذنين والصدر والذراعين واليدين والقدمين، وأن بعضهم يشاهد البعض الآخر كما أنهم يتبادلون الاستماع والحديث، وبالتالي لا ينقصهم شيء على الإطلاق مما يشكل بنى البشر إلا أن أجسادهم ليست مادية . . . (١).

والإجماع في العلم الروحي هو على أن الأمر الذى يجمع بين الأمم والشعوب في منطقة مشتركة أو في «قارة روحية»، واحدة هو قانون التوافق أو التشابه في الأخلاق والميول والاتجاهات وبالتالي في الأشكال، دون أن يكون لوحدة العقيدة أو المذهب من تأثير في هذا الشأن، إلا بقدر ما قد يؤدي أو لا يؤدي إلى تشابه في العواطف والمشاعر بين أبناء البيئة الواحدة، أو تفاوت فيما بينهم على نحو قريب عما نشاهده على المستوى الأرضي.

وفي هذا الشأن سأل الأسقف تويديل (بجلسة ١٢ نوفمبر سنة ١٩٣٧) روح الموسيقار شوبان قائلاً: «هل يمكن للأجناس الملونة أن تختلط بالجنس الأبيض في عالم الروح؟»، فأجاب شوبان «نعم يمكنهم أن يندمج بعضهم في البعض الآخر بحسب أذواقهم كما اندمج الشرق مع الغرب في عالمكم»، فأردف تويديل متسائلاً: «لكن مع جواز اختلاط بعض الشعوب ببعضها الآخر هل يحتفظ كل شعب بكيانه في إقليم خاص به؟»، فرد شوبان «نعم لكل جنس إقليمه الخاص»، ثم أضاف متهمكاً: «فهي ليست إنجلترا الصغيرة»، ويعلق تويديل على هذه العبارة الساخرة قائلاً إن شوبان يشير إلى الفكرة السائدة عند بعض الانجليز المنزمتين من ذوى العقول الضيقة من أن السماء عبارة عن امتياز خاص للانجلوسكسونيين (٢).

ولكن مع وجود أمم وشعوب متعددة تعدداً لا نهاية له هناك فإن

(١) المرجع السابققرة ٧٥ من ٦٩.

(٢) «أبناء من العالم الآخر» المرجع السابق ص ٢٣٩.

(م ١٠ - الإنسان روح: ج ٢).

الصلات على ما يرام بين شعوب المستوى الواحد أو المستويات الراقية المتقاربة ، كما أن السياحة فيما بينها طليقة من كل قيد عند اتحاد المستوى الاهتزازي ، أو تقاربه . والأرواح التي في مناطق عالية يمكنها أن تنزل إلى مناطق أدنى للدراسة وللخدمة وللزيارة ، حين أن الأرواح التي في مناطق دنيا لا يمكنها الارتقاء إلى المناطق العليا ، إذ تمنعها قوانين طبيعية للاهتزاز أو للترنم مع البيئة التي تناسبها لا تشبه في شيء الحواجز التي اصطفتها السياسة وتاريخ الدول على المستوى الأرضي .

والحروب الدموية غير معروفة هناك إلا أن الصراع بين الشر والخير ، وبين التخلف والتقدم ، وبين الجحود والتطور ، له مكانه هناك متخذاً أساليب عقلية وروحية تنتهي أبداً بانتصار الخير على الشر مهما طال أمد الصراع^(١).

عن أنظمة الحكم

أما عن أنظمة الحكم فإن مشكلات السياسة المعروفة على المستوى الأرضي لا وجود لها هناك على نفس الصورة التي نعرفها ، لأن أنظمة الحكم محكومة في المناطق الراقية بقوانين طبيعية نفاذة تعطي لكل إنسان مكانه الجدير به بحسب مدى نضجه الخلقى والعقلى . فلا دخل في ذلك لما قد يبدو لنا أنه حكم المصادفة^(٢) ، ولا لانتعالات الجماهير .

لذا تقول روج ج . د . توماس J . D Thomas في مؤلف للحيانة

ميشيل ساج M. Sage عن «الصعود الكوني» L'Ascension Cosmique ويحتل سلطان الغواص لديكم مكاناً كبيراً بكل ما قد يتصل به من أسباب القوة كالسياسة والحرب . فعالمكم عالم مضطرب تتلاطم فيه أمواج الشر والخير معاً . ولكن الشر يتفصل عن الخير منذ صبيحة اليوم التالي للموت وتتجه

(١) وردت في الكتاب المقدس هذه الآية : « لأن محاربنا ليست مع لحم ودم بل مع جنود الفكر الروحية التي في السماوات » .

(٢) إذ لا يعترف علم الروح بأن في الوجود شيئاً اسمه «المصادفة» ، بل إن كل حادثة عبارة عن نتيجة مبلية على مقدمات معينة انتهت إليها بحكم الارتباط المحتوم بين المقدمات والنتائج .

كل روح إلى المكان الذي تحدده لها قيمتها الأدبية، ثم ترتقي كل منها تدريجياً بعدئذ ويحتقن الإكراه شيئاً فشيئاً، ويدرك كل إنسان الناموس بغير زنة ويخضع له . .

وفي وصف ساسة بعض المناطق الراقية من ذلك العالم الآخر وحكامه يقول سويدنبرج « إن الحاكين هناك هم أكثر الناس اتصافاً بالحبّة وبالحكمة، فهم يريدون الخير للناس بحسب محبتهم، ويعرفون كيف يؤدونه بحسب حكمتهم. فهم لا يسودون ولا يأمرّون، ولكنهم يدرون ويخدمون، لأن أداء الخير للآخرين بحسب المحبة هذه هي الخدمة، وأما اتخاذ اللازم نحو أداء الخير فهذه هي الإدارة .

وهم بذلك لا يصطنعون العظمة لأنفسهم بل التواضع، ويضعون نصب أعينهم خير المجتمع وخير القريب، أما خيرهم ففي المرتبة الأخيرة . . . ومع ذلك فهم يستحقون أبدأ المجد والكرامة . . . ولا يتقبلون هذا وذاك لأنفسهم بل للطاعة . . . »^(١)

ثم يقارن سويدنبرج بين حكومات الفردوس وحكومات الجحيم، قائلاً إنه « في الجحيم توجد حكومات على عكس حكومات النعم، فكل شيء فيها ينتمى إلى حب الذات . وكل هناك يريد أن يفرض إرادته على الآخرين ويسودهم، وتمتلىء نفسه حقداً على من لا يجاريه، فينتقم منه ويعامله بوحشية، لأن هذا هو قانون حب الذات . ومن ثم يختارون تابعيهم من الرؤساء من أكثر الناس شراً حتى يكفل الخوف منهم الطاعة لهم »^(٢) . .

العمومية أساس الحياة الاجتماعية

وأساس الحياة الاجتماعية في المناطق الراقية من عالم الروح هو العلانية التامة، فهي الأسلوب العادي للحياة اليومية ودستورها، إذ لا يمكن لأي

(١) المرجع السابق فقرة ٢١٨ من ١٥٠ .

(٢) المرجع السابق فقرة ٢٢٠ من ١٥١ .

إنسان أن يخفي تصرفاته أو يستترها بستر من الخديعة أو الرياء ، لأن ملكة قراءة الفكر أو التلبّاتى — وهى الوسيلة الطبيعية للتخاطب بعد فترة معينة — تكشف لكل إنسان عن نوايا أخيه وعن أفكاره الخاصة . وهى تمثل عقاب المنافقين وهى فى نفس الوقت ثواب المخلصين ، وهى قانون طبيعى ليس للإنسان منه فكاك لأنها تشمل علانية التصرفات كما تشمل علانية الشعور والضمير ، بل علانية الحاضر والماضى أيضاً .

وهذه العلانية قانون من قوانين الحياة هناك ، وهنا أيضاً ، فإن إخفاء الأحاسيس والمشاعر الحقيقية حتى هنا يكاد يكون ضرباً من المحال . وإن نجح فى أمر لفترة قصيرة ، فهو ليس أسلوباً ناجحاً من أساليب الحياة الراقية . وقد تبين أن أنجح السياسيين ورجال الأعمال هم أكثرهم صدقاً فى إبداء مشاعرهم وإخلاصاً لها ، لأنها مشاعر إنسانية مشروعة لا ضغينة فيها ولا عدوان على حقوق الآخرين ... فلا يحتاج إلى تكبد عناء الإخفاء إلا من قد يضرر العداء للآخرين . وهو فى النهاية يحجب نفسه عن الحقائق ، كما يحجب الحقائق عن بصيرته ، بينما تظهر نفسه طارية مشكوفة للآخرين ومشاعره ملبوسة منهم . وفى هذا المعنى قال الشاعر بحق :

ثوب الرياء يشف عما تحته فإذا اكتسيت به فإنك عار
وفيه أيضاً قال زهير بن أبى سلمى :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم
وهذه العلانية ليست مقصورة هناك على الآخرين ، بل تشمل الذات الداخلية أيضاً . فلا يعود الإنسان يرى عيوب الآخرين معلنة واضحة ويرى عيوبه الخاصة كما لو كانت فضائل واضحة مهما كانت جسامتها بسبب غشاوة الكبرياء . وهذه العلانية من مزاياها أنها تعاقب وتثيب ، كما أنها تعلم الناس قدراً من النساج مع الآخرين ، لأن من يكشف عيوبه الخاصة يتعذر عليه أن يكون قاسياً فى حكمه على غيره ، ومن يعرف الناس على حقيقتهم قد يتلس لهم الأعذار ويتقبلهم على علائهم .

وفي وصف علانية الحياة هناك تقول الروح جوليا Julia في إحدى رسائلها إلى وسيطها سير وليام ت . ستيد « إننا لا يمكننا أن نلبس أقنعة هنا كما نخفي بها أفكارنا ونوايانا التي في الصدور . فهذه كلها مكشوفة لكل من كانوا في نفس المستوى من المحبة ، وهذا أمر مقرر للتقدم . فابتداءً يوجد إحساس بالعرى بسبب فقد كل الماديات . وثانياً يوجد إحساس بالعرى بسبب فقد كل قناع وكل رداء يخفي الأخلاق الحقيقية .

نعم إن هذا الجانب من الحياة يشبه جنة عدن قبل السقوط في الخطيئة حتى بالنسبة لأولئك الموجودين في الظلمة الخارجية ، ولكنهم لأنهم ليسوا في النور فإنهم لا يشاهدون عريهم واضحاً تماماً . فنحن بالعرى نشبه آدم وجواء عندما أصابهما الخجل لما أدركا الحالة التي كانوا عليها .

وإذا كانت محبة الله لا تسترنا برداء — يبدو كرداء العروس في يوم زفافها — لكان علينا أن نتمنى أن نظير بعيداً متوسلين إلى الصخور أن تسقط علينا كما تحجبنا عن عين الله وأعين رفقاتنا ، لأننا كلنا — كما تعلم — لنا مثلنا العليا التي كان ينبغي أن نصل إليها . وعندما نستبين مدى المفارقة بين الحقيقة وبين الرؤية التي أعطاها الله لنا كما نرى ذواتنا الحقيقية فإننا نقف مدانين أذلاء إزاءها ، ولكن المذلة هي بوابة المحبة ،^(١)

وفي شأن علانية الحياة هناك يتحدث أيضاً سيلفر بيرش Silver Birch الروح المرشد لدائرة هان سوافر (نقيب الصحافة البريطانية) قائلاً : « لا يوجد كذب في عالمي لأنه لا يمكنك أن تخدع القانون ، فالقانون كالمرآة يعكس الواقع . إنه يهتك كل حيلة وخديعة ويتركك عارياً بموجباً لكل واحد كما يراك . الأناييون فقط هم الذين يخشونه ... »^(٢)

(١) « بعد الموت » أو خطابات جوليا التي نشرها « نادي الكتاب الروحي » من ١٤٧-١٤٨ ، وراجع ما سبق من هذه الروح ووسيطها في الجزء الأول من ٢٣٢-٢٣٦ .
(٢) راجع ما سبق من هذه الروح ووسيطها في الجزء الأول من ٢٤٦ .

في التوافق الروحي

لذلك كله كان التوافق أو الانسجام الروحي هو — كما قلنا — الرابطة الحقيقية التي تجمع بين الناس هناك ، وكان انتفاؤه هو الأمر الذي يباعد بينهم . فهناك كما يقول سويدنبرج لا توجد صلة قرابة ولا مودة ولا صداقة إلا أن تكون صلة روحية تنبع من الحب ومن الضمير^(١) .

وفي هذا الصدد يتحدث الروح أفرار Aphraar المرشد للباحث المعروف الوسيط روبرت جيمس لين Robert James Lees قائلاً : هناك مرحلة أسمی من غيرها وجديرة بالاعتبار ، تلك هي العلاقة الروحية بين روح وأخرى فإنها أسمی بكثير من أية علاقة يمكن أن يصل إليها اللحم والدم . فنحن لا نظل بعد في منطقة القيود متى وصلنا إلى الأبدية ، ففيها يكون الله هو الأب للجميع ، وكل الأمم البشرية أبناء وبنات متساوين أمام الواحد ، وهكذا تكون كل الأرض والسماء أسرة واحدة . وليست هناك أبوة على الأرض تداني هذه الأبوة السماوية ، إذ ليس للأبوة الزائلة أن تضاهي القوانين الأزلية ، ولا للسلطة المتنازع عليها أن تقارن بولاء الروح للروح الإلهية والتفاني في خدمتها .

فها كما قلت أسرة واحدة في السماء تجمع بين البشر من جميع الاجواء والألوان واللغات والشعوب في مرتبة واحدة هي مرتبة الأخوة تحت لواء أب واحد هو الله . أما روابط الدم ، مع كل ما يتعلق بها من فواصل وفروق فتترك عند منطقة الحدود ، أي عند القبر ، بينما تبقى كل علاقة روحية ، بل كل ذكرى عن علاقة روحية ارتبطنا بها في الأرض . وهي ليست علاقة من نوع علاقة الأم بوليدها ، بل قائمة على اتحاد بين روحين ، اتحاد يباركه الله الذي يبارك كل حب حقيقي ولا يسمح له بالانقصاص .

وإذا ما حاولنا بالمقاييس الأرضية أن نعى معنى هذه الرابطة الروحية التى تربط بيننا كأسرة واحدة نجد أن ذلك غير ممكن ولا مفهوم ...

فللحب الأبوى وظيفة رئيسية يؤديها على الأرض ، وهى وظيفة حيوية جداً فى مبدئها ، ثم تضعف شيئاً فشيئاً بقدر نمو الطفل وتعلمه الاعتماد على نفسه ، بل تضعف عندما يثور الشباب على الآبوة الأرضية ويتحداهما ، ويتحمل بدوره دور الآبوة لطفل جديد . أما عندما يولد طفل جديد فى المملوكوت الروحية^(١) فهو يكون ابناً لله ، وتظل الآبوة أزلية وتتجمع فى نطاقها الأسرة الإنسانية برمتها التى تزداد تجمعا . وتقوى أواصرها حتى تشمل البشرية جمعاء فتصبح واحداً فيه .

ونحن لانفقد شيئاً فى عملية الانتقال سوى قيد صناعى كثيراً ما كان مزعجاً مثيراً لنا ، حين أننا نكسب الكثير . فمثلاً إن الرباط الذى يربط حالياً بينى وبين فاوون Vaone أوثق بكثير من رابطة الأم بولدها ، ولن ننسى مطلقاً ما كان بيننا من روابط متبادلة ، كل ما هناك أن الحاجز المادى قد تلاشى . وبما أن الحب الذى نعرفه أعظم وأجمل وأقوى من كل حب تخيلته حتى الآن ، فإن نصيبى الآن من الحب أكثر اتساعاً وإشباعاً من كل ما تخيلت أن حب الأمومة يمكن أن يؤول إليه . وإذا كان الفردوس قد أخذ منا شيئاً ، فهو قد أزال غشاوة كانت على عيوننا ، وقد عوضت باكتشاف أن أقصى ما كنت أقصوه لم يكن شيئاً بالنسبة لما أعده الله للذين يحبونه . ولقد تعلمت هذين الدرسين وفهمتهما فى نعيم القرب منها من جديد ، هذه التى طالما شقيت بسببها وكابدت^(٢) .

* * *

فليس من إلزام هناك على أى إنسان أن يعامل من يكره أو يعاشر من

(١) تقصد الروح ولادة الناس هناك بالوفاة هنا ، أى الميلاد الثانى للإنسان فى عالم الروح .

(٢) من كتاب « الحياة الفردوسية » The Life Elysian من ٢٤ ، ٢٥ .

لا يجب أو من لا يقدر . ولأن كل إنسان يدرك هناك قيمته الخاصة على حقيقتها فإنه لا يظل يندع نفسه كما كان يفعل على المستوى الأرضي ويضفي عليها فضائل زائفة من الخلق والذكاء قد يكون على النقيض منها ، ولا يظل يحاول أن يرض على الغير الإيمان بتوافر هذه الفضائل الموهومة فيه .

أما الروح المكابرة العنيدة التي تظل على نفس حالها من الغرور ومن الخديعة فليس لها مكان في تلك المناطق العالية من عالم الروح . فالإنسان المتواضع القلب أقرب إلى الفضيلة وأسرع إلى الارتقاء من الغر العنيد ، حين يظل الأخير حتماً مصدر تعاسة لنفسه لسنين كثيرة ربما تطول إلى قرون ، فلا يبدأ في الشعور بأية سعادة حقيقية إلا إذا بدأ يشعر أولاً بعوبه الخاصة ، وعندئذ يبدأ في الارتقاء التدريجي ، ومن هنا كان فداء سقراط الخالد للإنسان أن يعرف نفسه حتى يكون سعيداً .

ولذلك يصف علماء الروح الجنة والنار بأنهما بمثابة حالتين يعدهما الإنسان لنفسه في عالم الروح بسبب سلوكه في العالم الأرضي ، فإما ارتقاء إلى الطبقات العليا ، وإما انحطاط إلى الطبقات السفلى حيث يلتقي بمن هم على شاكلته فيغمرهم الجمل والظلمة ، وهناك يقاسون من عيوبهم الخلقية كالحسد والغضب والأنانية والكبرياء وحب إبداء الغير — وذلك طبقاً لقانون التوافق هذا الذي نعر عنه بأن الطيور على أشكالها تقع ، حتى تظهر الروح تدريجياً من هذه العلل الخلقية والنفسية .

في المحبة

وإذا كانت العلالية تمثل قانوناً أساسياً في الحياة الاجتماعية هناك ، والتوافق الروحي يمثل قانوناً ثانياً ، فإن المحبة تمثل قانوناً ثالثاً ، بل هي أعظم القوانين كلها وأسماءها . والمحبة التي تتحدث عنها الأرواح الراقية هي المحبة النامية الإيجابية ، التي تنبعث من القلب لا من اللسان ، والتي يشعر بها الوجدان متدفقة تشع أضواءها كالشمس المشرقة إلى كل إنسان وفي كل مكان ، نابضة بالبر والمطف والحنان .

هذه هي المحبة التي تصنع الإنسان ، وتجعل للحياة مغزى وهدف وتمنح للوجود قيمة وكرامة . لأن المحبة الإيجابية النامية أصل لكل سعادة واطمئنان ، ولكل تواضع ووداعة، ولكل حكمة وعدالة، ولكل تهذيب وإيثار، بل لكل اجتهاد وابتكار فهي أصل بالتالي لكل حضارة وتقدم وبغيرها يحل القلق محل السعادة، والآثرة محل الإيثار، والحقارة محل الحكمة، والنزوة محل العدالة، والشهوة محل العاطفة والوسواس محل الإلهام والمحبة لا تنجي من الأرض بل هي هبة السماء التي لا تنبئ من جمود العقل بل من تحرر العاطفة ، ولا تنبع من ظلام الجسد بل من إشراق الروح ، إذ إشراق الروح هو مصدر كل فضيحة نبيلة ولذا كان الحب أقرب إلى قلب الناسك منه إلى عقل الفيلسوف ، وأقرب إلى قلب الأم منها معاً وكانت الجنة تحت أقدام الأمهات ، لا تحت أقدام الفلاسفة ولا النساك ولا تقف في طريق نمو المحبة عقبة كعقبة الأحقاد والضغائن، ومن ثم كانت أعلى مراتب القدرة في الإنسان هي القدرة على الغفران ، وكان سحق الكراهية أفضل من سحق الأعداء ، وكان نسيان العدوان أقصر طريق إلى السماء على أن يكون النسيان حقيقياً صادراً من القلب لا محض تصنع وادعاء فمن يلقن ابنه أى مبدأ من مبادئ الكراهية إنما يدمر فيه المصباح الوحيد الذي يضيء له طريق الحياة ، وكم في الطريق من ظلام ومن مخاوف ، وكم فيه من وحوش ضارية يروضها الحب والحنان ، حين تغريها بالعدوان نظرات الخوف والكراهية . ولذا نجد الأرواح الراقية تدعو لغرس المحبة في قلوب الناس في حرارة وفي إلحاح لا يتوقف بوصفها حزام النجاة ووسيلة الخلاص في كل مكان وزمان . وهي في هذا الشأن لا تعرف أية تفرقة بين شتى الشعوب والأديان والألوان .

كما نجد أن فلسفة الروح تدعو بكل حرارة إلى الحب الإيجابي الطاهر الذي ينبغي أن يشعر به الإنسان نحو أخيه الإنسان ، ونحو الكون بأسره ونحو المهيمن على الكون قبل كل شيء آخر .

ولأن الحب الطاهر هناك هو كل شيء فلا تعرف هذه المناطق العليا شيئاً اسمه التجارة أو النقود أو المصارف ، إذ أن الوسيلة الوحيدة للتعامل هي المحبة، وبوجه عام هي العاطفة الكريمة. فهي التي تنظم وحدها علاقات الناس ومعاملاتهم في الأخذ والعطاء ولا يعرفون عملة صالحة غيرها ، وعلى ذلك أجمعت الرسائل ، فلو كان الأمر كله محض خيال أما كان من الجائز أن يتخيل أحدهم وجود نقود وتجارة في هذه المناطق ؟...

إن الصناعة العقلية، موجودة، ولكن قانون الاستحقاق عن طريق محبة الأقربين هو القانون العادل الذي ينظم وصول كل من يستحق عطية ما إلى مبتغاه . وليس هناك أعدل من قانون الاستحقاق الطبيعي الذي لا يعرف تحيزاً ولا محاباة . وهو يلعب دوره هنا ولكن على صورة قد تعوقها كثيراً إرادة الأرضيين عندما يسيثون استعمالها . وأيضاً عوامل الشر التي تلعب هنا دوراً مختلفاً عن دورها هناك .

جوليا تحدث في المحبة

واللاهية القصوى لدور المحبة الإيجابية في تنظيم أسلوب الحياة الاجتماعية واستقرار أوضاعها ينبغي أن نفسح مجالاً كافياً لرسائل بعض الأرواح الراقية في شأنها . فتجد مثلاً الروح جوليا Julia المرشدة لسير وليم . ت . ستيد تقول : « هنا يوجد السلام والحياة والجمال ، وفوق كل شيء توجد المحبة . الجمال في كل مكان والمرح والمحبة . المحبة ... المحبة هي السماء ، فالله محبة، وعندما تفقد نفسك في المحبة تجد نفسك في الله ... إننا نرى الإثم والألم في عالمكم ونحاول أن نزيحهما جانباً ، ولكنهما لا يضايقاننا كما كانا يفعلان من قبل لأننا نرى الجانب الآخر . فلا يمكننا أن نشك في محبة الله لأننا نحيا فيها ، فهي أعظم شيء ، بل الشيء الحقيقي الوحيد في الوجود .

وما الآثام والآلام في الحياة الأرضية سوى ظلال زائلة حتماً ، لكنها ليست خاصة بعالمكم ، ففي هذا الجانب أيضاً توجد آثام وتوجد آلام ،

والجحيم يوجد على هذا الجانب كما يوجد النعيم ، ولكن سعادة أهل النعيم هي في إخلاء الجحيم من سكانه ، فنحن نتعلم دائماً كيف نتقذ الآخرين بالمحبة ونخلصهم بالتضحية ، فبغير التضحية لا يوجد خلاص ...

كما تقول أيضاً : « لو أمكننى العودة إليكم ثانية كيما أتحدث في آذان بنى البشر فلا أتمنى إلا أن أقول لهم أحبوا . المحبة هي اكتمال الناموس . المحبة هي رؤية وجه الله . المحبة هي الله والله محبة . إذا كنتم تريدون أن تكونوا مع الله أحبوا . إذا كنتم تريدون أن تكونوا في السماء أحبوا ، لأن السماء تختلف عن الأرض وعن الجحيم اختلافاً بيناً في أن الجميع في السماء يحبون بعضهم بعضاً إلى آخر حدود كيانهم ، وكل نمو في النعمة نمو في المحبة .
أحبوا ... أحبوا ... أحبوا ... هذه هي الكلمة الأولى والأخيرة ولا يوجد شيء بجانبها لأن الله الذى هو محبة هو الكل في الكل ، الألف والياء ، البداية والنهاية ، الكون غير المحدود ... هذه هي كلمة الحق ، الكلمة التى يحتاج إليها العالم ... كلمة الله التى تجسدت وأقامت بين البشر :
... أحبوا . أحبوا . أحبوا ... »^(١)

وفي مكان آخر تقول نفس الروح : « توجد الآن ملايين من الأرواح الطيبة هنا تحتفظ بحب غامر وعميق لمن خلقهم على الأرض . فهنا أمهات انتزعن من أطفالهن ، وزوجات من أزواجهن ، ورجال لا حصر لهم صنع الموت برزخاً بينهم وبين أحبائهم ... ومع ذلك فافائدة القول بأن عليهم أن يحدوا العزاء في محبة الله ؟ فكيف ظهر الله لهم ؟ لقد ظهر لهم فحسب عندما أحبوا ، فلا يوجد الله حيث لا توجد محبة .

هل تظنون أننا على هذا الجانب - لأننا نحيا أقرب إلى محبة الله منهم ، ولأننا أكثر إحساساً بأنوار هذه المحبة - فإننا نحب من تركناهم على الأرض أقل مما كنا نفعل ؟ كلا إن العكس تماماً هو الصحيح . فإننا نحبهم أكثر

(١) من كتاب « بعد الموت » After Death لسير وليام ستيد . طبعة ١٩٥٢

فأكثر ، وبصفة أكثر دواماً عندما ننمو في نعمة الله ومحبه . فكيف نجد أنفسنا إذا معزولين بحجاب عن نجيبهم ؟!... إن ذلك كان بخطأ منا ، ولكن أيضاً بخطئكم أتم .

« إن لديكم معلوماتكم عن شركة القديسين ، وتقولون وترددون بكل الطرق اعتقادكم بأن القديسين من فوق ومن تحت هم هسك الرحمن ، فإذا حاول أحد منا من هذا الجانب الآخر أن يبذل جهده حتى تشعروا به ، وبأنكم محاطون بعدد ضخم من الشهود فهذا الصراخ والعويل بأن ذلك ضد إرادة الله وأن هذه هي الشياطين ، وأن هذا هو الاتصال بالأرواح الشريرة... فهل أنا شيطانة ، ألسنت روحاً عادية ؟ هل أفعل الآن أمراً مخالفاً لإرادة الله عندما أوحى إليكم على الدوام بإيمان متزايد فيه ، وبمحبة متزايدة له وبجميع خليقته ، وبالتالي أحاول أن أذنو بكم من الله أكثر فأكثر . إنكم تعلمون أنني أفعل ذلك ، وأن في ذلك متعة ودستور حياتي... » (١)

كما تقول جوليا في مكان آخر : « إن «أوزون» حياتنا هنا هو المحبة . وإذا كان لديك قدر كافٍ من المحبة فإن السماء معك حيثما تكون . فصدقني عندما أقول لك إنه لا توجد حقيقة أعظم من هذه وهي أن «الله محبة» . وأكثر ما تختلف السماء عن الأرض تختلف في ذلك إذ يوجد بها محبة أكثر منها ، وكل حب ينبض به قلب إنسان يجعل الأرض أقرب إلى السماء... »

إن الحب الذي ينتزعك من نفسك ويجعل سعادة الآخرين تهمة إلى المدى الذي يصبح معه الألم والاضطراب مصدراً لسعادة تبحث عنها أكثر مما تبحث عن أعظم المتع — ماداماً لازمين لسعادة المحبوب — هو الحب الذي ينبغي أن يسود في العالم... »

إن الخطيئة هي — فحسب — انتفاء المحبة . ويمكن للأسى أن ينقلب

إلى متعة بمجرد أن تحب ... ولكن الأسمى الذى يحىء من حب إنسان أكثر مما ينبغي سببه أنك لا تستطيع أبداً أن تحب إنساناً أكثر مما ينبغي . إنك عادة تحب الآخرين أقل مما ينبغي ، والبؤس الذى تشعر به - كما تقول - لأنك تحب إنساناً معيناً أكثر مما ينبغي سببه الحقيقى أنك تحب إنساناً آخر أقل مما ينبغي ...

إن الحياة لا يمكن أبداً أن تصبح عقيمة ، ولا الوجود هيناً ثقيلاً ، كلا يا أعز أصدقائى صدقنى عندما أقول لك إنى مهما علتك من أشياء ، فلا شيء يصح أن يقارن فى أهميته بأن تعلم أن المنفذ السرى إلى السماء هو المحبة . فمن يحيا فى محبة كاملة يحيا فى السماء ، والكراهية هى الجحيم ، والله مع كل من يحب بقدر ما يحب ، لأن الله محبة أما من لا يحبون فلا إله لهم

ثم تقول فى مكان آخر : « إن الله هو الكل فى الكل ، وكل ما فيه من كل هو المحبة ، ولا يمكن أن تخدم أغراضه بالكراهية والجفاء . آه لو أمكننى أن أجملك ترى كما نرى نحن هنا كيف لا يحيا حياة حقيقية إلا من يحبون ، وكل ما ليس من الحب هو بمثابة الموت ، وأن الروح التى لا تحب تحيا فى الظلمة الخارجية بغير إله لها ، وأن السبيل الوحيد لإنقاذ العالم هو إغراقه فى المحبة ... إذ ليس بكراهية الناس - حتى لخطاياهم - تنقذهم من خطاياهم ... » (١)

ثم تقول أيضاً : « نور الحياة هو الحب ... وأولئك الذين لا يحبون إنما يعيشون فى الظلمة الخارجية وفى وادى ظل الموت . الخطيئة تتركز فى الحياة بغير إله أى بغير محبة . وبقدر ما تفكر بقدر ما ترى أن الحب الأنانى ليس هو بالحب ، وأن الحب الذى يؤذى المحبوب ليس حباً بل وحشية . والحب الذى يضحى السعادة الدائمة للمحبوب على مذبذب إشباع شهوة الساعة ليس حباً حقيقياً ، فكل حب يتطلب درجة من ضبط النفس ، وهذا يصدق

على الحب الاسمى كما يصدق على حب الرجال والنساء . فنبط النفس ينبع
من الوعى الذى يستبق الحوادث ، والحب الصحيح هو البصيرة النفاذة لكل
الأمور، (١) .

أبيات فى المحبة لروح شوقي

ثم استمع إلى روح شوقي وهو يبحث من الخلد ببعض هذه المعانى
بلاغته الماثورة فى قصيدة التصدير قائلا :

نحيا بمملكة التسامح ديننا حب طليق للعباد يقسم
أهواؤنا طيب السلام أريجها من عبقها أرواحنا تتشمم
لنا الوداعة والسباحة منة ما غاد فينا للطفاة نخيم
ثم قائلا :

من شاء حبا كالملائك طاهراً يرتاد ورداً دون باغ ينقم
وبفيض حي قد بعثت خواطرى ترضى الأريب ومن يتوق ويعلم
فالحب بين الخالدين رسالة تهدي الرفاق لكى يفيق النائم

ومراجع الفلسفة الروحية تفيض بهذه المعانى التى أجمع عليها البحات
الجادون ، كما أجمعت عليها الأرواح الراقية فى كل مقام منذ بدء الخليقة
وإلى الآن .

فى العبادة

وإذا كانت المحبة الإيجابية النامية هى كل شىء هناك ، وكانت تلعب الدور
الأول فى تنظيم الحياة الاجتماعية فى المستويات الراقية ، فإن التسامح الدينى
يلعب ذروته فى هذه المناطق فتجرى عبادة الله على كل أسلوب ونمط ، وكلما
ازدادت الأرواح نضجاً ورقياً كلما خفت حدة الفروق بينها إلى أن تزول
تماماً فى المناطق العليا ، فلا تجد إلا النفوس الطيبة من جميع الأجناس والأديان

وقد جمع الحب والفهم المتبادل شملها وربط بين أقتدتها بأرتق رابطة من عبادة الله في تقوى وورع حقيقيين بعيدين عن ادعاء تملك الحقيقة المطلقة والفهم الوحيد لناмосه ، كما يفعل بعض السطحيين من المتعبدین على هذا المستوى من الحياة الدنيا .

وذلك إلى المدى الذى وصفه سويدنبرج قائلاً : إن العقيدة المقدسة حتى في السماوات ليست في ارتياد دور العبادة وسماع المواعظ ، ولكنها في العيش في محبة وفي بر وفي إيمان ، ولذا فإن المباني الدينية لا تسمى في ملكة السماء معايد بل بيوت الله^(١) .

كما أجمعت الأرواح الراقية على تأكيد هذه البديهة الواضحة - حتى على المستوى الأرضي - عند أصحاب العقول النيرة ، وهي أن الآراء والأفكار الموروثة - مهما كانت نابعة من الاعتقاد ، أو مهما وصلت إلينا تحت داية الاعتقاد - قيمتها الحقيقية هي في أن تعبر عنها فضائل حقيقية تغذيها العاطفة النبيلة والعقل الحكيم وخارج هذا النطاق يكون ، التدوين ، تقريراً والصالح غشاً وتضليلاً أليس ، عدل ساعة في حكومة خير من عبادة ألف سنة ؟ ، ولما كان هذا الموضوع برمتة وثيق صلة بالمشكلات الفلسفية التي يعالجها علم الروح الحديث ويتصدى لها بحلول واضحة صريحة فلذا لنا عودة تفصيلية إليه في الباب الخامس .

المبحث السادس

في الحياة العائلية هناك

لا ريب أن من الأسئلة الهامة التي يثيرها الذهن التساؤل عن نوع الحياة العائلية هناك ، وقد تناول عدد من بحاث علم الروح الحديث هذا الجانب بالعناية التي يستحقها ، وتصدى لمعالجته عدد منهم بقدر كاف من الصراحة والوضوح ، لا اعتقادهم أن في الصراحة علاجاً للمشكلات وفي الغموض هروباً منها . ومنهم من خصص لهذا الجانب مؤلفات كاملة ، ومنهم من خصص له باباً أو أكثر في مؤلفاته .

(١) المرجع السابق فقرة ٢٢٢ ، ٢٢٣ من ١٥١ ، ١٥٢ .

ومن الأمور المتفق عليها أنه كلما كان التألف موجوداً ومرغوباً فيه كلما أمكن أن يلتزم هناك شمل الأسرة من جديد . وكلما رغب اثنان من الجنسيتين في العيش تحت سقف واحد في حرية وثق من المحبة والولاء ، وعلى أساس من انسجام وتقدير متبادلين بينهما ، كلما كان لهما ذلك . وهذه الصلة الراقية يمكن أن نسميها « شركة روحية » ، أو « معيشة مشتركة » ، أو « صلة عائلية » ، أو « ما شئتما من الأسماء » ، ولكن مقابلها الأرضي الذي نعرفه هو « رابطة الزوجية » ، وإن كانت تجرى هناك على صورة أرق منها وأرقى ، لأن مستوى الوجود وكل مظاهره هناك أرق من مستوانا وأرقى ، برقي المشاعر والانفعالات ، بل برقي العقول والملكات ، فضلا عن رقي الملامح والأشكال .

وسنعالج في هذا المبحث السادس هذا الموضوع الهام وهو موضوع « الحياة العائلية » ، في عالم ما وراء المادة ، وبخاصة المستوى الثالث أو « السرلاند » ، معتمدين على عدة مصادر من بلاد شتى ومستمدين كتابتنا من بحوث علمية لا خيال فيها جرت - ولا تزال تجرى - في نطاق هذا العلم الروحي الناشئ الذي جاوز دور المهد ، وأخذ الآن يقفز قفزات سريعة للأمام تثير الاستغراب وتحير الألباب... من ناحية مكانة الهيئات العلمية القائمة عليه وانتشارها في كل مكان والأسماء الضخمة التي تساهم فيه ، والنتائج البعيدة المدى التي وصل إليها ، والتي جاوزت في تقدير الثقة كل ما كان يمكن توقعه منذ عهد ليس بعيد .

وسنخصص لهذه « الحياة العائلية » أربعة مطالب على النحو الآتي :

المطلب الأول : من أقوال سوينبيرج (فيلسوف السويد والوسيط الشبير) في شأن هذه الحياة هناك .

المطلب الثاني : من أقوال بعض الأرواح في هذا الشأن .

المطلب الثالث : من تجارب الباحثة مارجرى لورنس في هذا الشأن .

المطلب الرابع : تلخيص لنتائج الباحثة الأيرلندية الكبير شوزموند .

المطلب الأول

من أقوال سريدنبرج
في شأن الحياة العائلية هناك

في شأن الصلات العائلية يتحدث الفيلسوف الوسيط سويدنبرج قائلاً :
« لأن سكان السماء من النوع الإنساني ، وهم من الجنسين معاً ، ولأن المرأة
للرجل منذ بدء الخليقة كما أن الرجل للمرأة ، ولأن هذا الحب فطري فيهما ،
من هذا يتضح أن الزواج موجود هناك كما هو موجود على الأرض ، لكنه
يختلف كثيراً هناك عنه هنا . فإن الزواج في السماء عبارة عن اتحاد جزئين
في عقل واحد يسمى أحدهما الذكاء والآخر الإرادة ، فالزوج يقوم بوظيفة
العقل حين تقوم الزوجة بوظيفة الإرادة .

فإذا ما حدث هذا الاتحاد بين العقل والإرادة شعر به كل منهما حباً هو
الحب الزوجي ، والذي يسمونه هناك المعيشة المشتركة ، والتي يقال في وصفها
إنهما لا يعتبران هناك اثنين ، بل شخصاً واحداً .

وهذا الاتحاد أمر لازم بحسب الطبع والميل الفطري في كل منهما ،
بل أيضاً بحسب الشكل الخارجي . فبحسب الطبع نجد أن الرجل يتصرف
بوحى من العقل ، أما المرأة فبوحى من العاطفة . وبحسب الشكل نجد وجه
الرجل أكثر خشونة وأقل جمالاً وعنده القول أكثر خطورة والجسد
أقوى بنياناً ، حين أن المرأة تملك وجهاً أكثر رقة وجمالاً ، وعندها اللفظ
أكثر نعومة والجسد أكثر مرونة . ويوجد فارق عائل بين الذكاء من
جانب الإرادة من جانب آخر وبين الفكرة والعاطفة . كما يوجد فارق عائل
بين الحق والخير وبين الإيمان والمحبة ، لأن الحق والإيمان ينتميان إلى
الذكاء حين ينتمى الخير والحب إلى الإرادة .

وإذا كان الذكاء والإرادة متوافرين عند الرجل والمرأة معاً ، إلا أنه

عند الرجل يسود الذكاء وعند المرأة تسود الإرادة . فالكائن الإنسانى ينتمى إلى أحد النوعين بحسب ما يسود لديه من أحدهما .

أما فى السمات فلا توجد سيادة لأحد الطرفين على الآخر ، لأن إرادة الزوجة من إرادة زوجها ، كما أن عقل الزوج من عقل زوجته لأن أحدهما يجب أن يريد وأن يفكر كالآخر ، ومن هنا جاء اتحادهما فى واحد ... فإذا كان بينهما اتحاد فى العقول ، وهو الذى يصنع الزواج ويولد الحب الزوجى فى السموات ، فإن كلا من الزوجين يرغب فى أن يعطى زوجته ما يملكه من عقل أو من إرادة ...

وبقدر ما يوجد اتحاد فى العقل وفى الإرادة فإنه يوجد أيضاً اتحاد فى الحق وفى الخير ، لأن العقل يتلقى من الخالق الحق المقدس كما تتلقى الإرادة الخير المقدس ... فإذا أراد الإنسان أمراً كانت الإرادة له خيراً ، وإذا تعقل أمراً كان التعقل له حقاً . ومن هنا ينتج القول بأن اتحاد العقل مع الإرادة هو فى نفس الوقت اتحاد الحق مع الخير . وهذا الاتحاد هو الذى يصنع من الإنسان ملاكاً ، كما يصنع الذكاء والحكمة ونعيم الملاك . لأن الملاك ملاك بقدر ما يغذيه من خير متحد مع الحق ومن حق متحد مع الخير . أو هو ملاك بقدر ما يغذيه من حب متحد بالإيمان ومن إيمان متحد بالحب .

وعند ما يريد الإنسان ما يريده الآخر ويحبه كان كل منهما حراً ، لأن الحرية تنتمى إلى الحب . فلا توجد حرية لأى منهما عند ما توجد سيادة ، فالمسود يصبح عبداً لسيده كما أن السيد يصبح أيضاً عبداً لشهوة السيادة . ولكن ذلك لن يفهمه أبداً من لا يفهم كيف تكون حرية الحب السماوى . فإذا ما تدخلت السيادة حدث الانقسام . لأن السيادة تنفى الإرادة وتعارض معها ، ومن لا يملك الإرادة لا يملك الحب ، وإذا ما تعارضت السيادة مع الإرادة حلت الكراهية محل المحبة .

فاؤلئك الذين يعيشون في زواج كهذا هم في تصادم وصراع متبادل ،
كصراع النقيضين ، حتى ولو حافظا على المظهر الخارجى هادئين في خدمة
السلام ، ولكن صراعهما الداخلى يظهر بعد الموت ، فإذا اجتمعا معاً فبحكم
الاعتقاد فقط ولكهما يتصارطان كعدوين ، ويتصرف كل منهما بحسب
شعوره الحقيقى . . . أما فى الحياة الأخرى فتترك لكل إنسان حريته
الداخلية ، أما المظاهر الخارجية التى كان يحافظ عليها الزوجان على الأرض
لأسباب شتى ، فلا يعود أحد منهما يتمسك بها . وقد يوجد عند البعض
نوع من التظاهر بالحب الزوجى ، ولكنهما ما لم يتحدا فى حب الخير والحق
فلن يكون ذلك أبداً حباً زوجياً .

كما يقول سويدنبرج أيضاً إن الزواج فى السماء يختلف عن الزواج على
الأرض فى أن وظيفة هذا الأخير هى بالأكثر إنجاب الأولاد ، أما وظيفة
الزواج فى السماوات فهى إنجاب الخير والحق ، لأن الزواج هناك اتحاد للخير
والحق كما بينا ، إذ فيه يجب كل إنسان فوق كل شئ آخر الخير والحق
 واتحاد الخير مع الحق . .

ومن ذلك يبين واضحاً أن الزواج فى السماء لا يماثل الزواج على الأرض .
ففى السماء توجد أفراح روحية لا ينبغى أن نسميها أفراحاً بقدر ما نسميها
اتحاداً للعقول بزفاف الخير للحق ، أما هنا فنسميها أفراحاً لأنها متعلقة
بالأجساد لا بالأرواح لحسب . والروحان المتحدان هناك لا يطلق
عليهما وصف زوج وزوجته بل كل منهما يسمى شريكاً ، أى المقابل
للطرف الآخر . وعلى هذا النحو ينبغى أن نفسر أقوال السيد المسيح
عن الزواج . . .

والأرواح عندما تسمع كلمة زنا ، تهراربة . فالإنسان عندما
يرتكب الزنا للبتة يغلط فى وجه أبواب السماء ، وإذا أغلقت أبواب
السماء أغلق فى وجه الاتصال بالله والإيمان به . . .

ومن ثم كان الميل للزنا ميلا لتحطيم اتحاد الخير بالحق الذى تصنعه السماء، وكان هذا الميل هو الميل الجهنمى الذى يقع على النقيض من نعيم الزواج الذى هو نعيم السماء .

ومن ثم يقرر أن انتهاك حرمة رابطة الزوجية يفضى القوانين الالهية، كما يعد انتهاكاً للقوانين المدنية فى جميع الممالك ، فهو مضاد للضوء الحقيقى المنبعث من العقل لأنه ليس فقط ضد النظام الذى وضعه الله بل هو أيضاً ضد النظام الذى وضعه الإنسان ، كما يقرر بأنه لما كانت كل حرية إنما تجيء من ناحية الحب فإن أعظم الحريات قاطبة تجيء من ناحية الحب الزوجى الذى هو الحب السماوى نفسه^(١)

* * *

وفى هذا الشأن يتحدث أيضاً الأستاذ موريس ماجر *Maurico Magre* قائلاً مقتضاه إن العفة لاغنى عنها لمن يريد أن يرى أبعد مما يسمح به النظر العادى للعينين الفيزيقيتين ، ولمن يريد أن يحوز ظواهر آتية من ناحية قدرة مرتفعة نوعاً . فإن الشهوانية تخلق عوامل اضطراب الحياة التى تصيب من أوجدها ، وتصنع جواً كئيباً يملأ حياته ويعزله عن الأرواح الراقية .

وضبط النفس عبارة عن عملية مبادلة مع الطبيعة لا خسارة فيها على صاحبها ، إذ ينبغى التنازل بمقتضاها عن بعض المتع حتى يمكن الحصول على متع أخرى أسنى وأغزر . والتجربة تثبت أنه لا يمكن لأى إنسان أن يتذوق جميع المتع فى وقت واحد ، بل تلغى المبادرة بنضحية المتع السفلى للحصول على المتع العليا .

وهذه النضحية سهلة من ناحية المبدأ . ولكن تحقيقها من الصعوبة بمكان . وإذا ما وضعنا ذكاءنا فى مواجهة هذا الصراع فإنه بمقدورنا أن

(١) من « القردوس والجهنم » : الترجمة السابق : فقرة ٣٦٦ من ٢٦١ إلى فقرة ٣٨٦ من ٢٧٥ .

فسيطر على أفكارنا ، حتى وإن تعذر تغيير جسد الشهوة السكامن فينا والذي
تقلت منا طبيعته .

إلى أن يقول أيضاً إن أكبر خطر يتهدد الإنسان هو الاندماج التام
بين الروح وبين جسد الشهوة . لأن هؤلاء المندمجين ، سيعانون من عملية
انزاعهم من شهواتهم آلاماً لا يمكننا أن نقدر مداها . ومن يدري فقد
تكون العاطفة أو الحب الرقيق مجرد فخ يدفع إلى هذا الاندماج الخطر
بين الشهوة وبين الروح ، وما أسعد الإنسان الذي — بدلا من تقديس
الجسد — لا ينظر إليه إلا باعتباره مصدراً لمتعة عابرة تعرف الروح كيف
تظل بمنأى عنها ، فلا تسمح لنفسها بأن تصبح أسيرة هذا الجسد^(١) .

المطلب الثاني

من أقوال بعض الأرواح

في شأن الحياة العائنية هناك

تقول في شأن الحب والزواج السماوي جوليا Julia الروح المرشدة لسير
وليام ستيد : إنهم هنا لا يزوجون ولا يتزوجون ولكننا كلاكنا في
السما في مقدورنا أن نختلط وأن نتحد بأي كائن تتوافق اهتزازاتنا مع
اهتزازاته بقدر ما يطول هذا التوافق . إن نشوة هذا الاتحاد تتجاوز
نشوة الحب الجسدي على الأرض لأن نطاق الجسد الإنساني يتجاوز ذلك
الجزء منه المعد للإنجاب .

فلا توجد قيود هنا على حرية الحب ، وإذا كان أي شخص يصل إلى
هنا يجد أنه غير قادر على التزعم في النسجام إلا مع من كان زوجاً له على
الأرض فيمكنهما أن يكرس كل واحد منهما نفسه للآخر كما كان يفعل كلاهما
على الأرض ، ولكننا لا تنظر إلى هذه الأناية من الاثنين بوصفها تمثل
أعلى مراحل التطور . نعم إن الجنس يستمر هنا . ولكن الجنس شيء أعرق

(١) عن مؤلفه (1939) Les Interventions Surnaturelles ص ١٠٧-١٠٩

من الأعضاء التي يعبر بها عن نفسه مؤقتاً على الأرض، (١).

* * *

وفي نفس هذا الموضوع نتحدث الروح نعوى المرشدة للوسيلة راتيجان قائلة : « إن الزواج اتحاد يقوم على الحب . . . وهناك قوة علوية تبارك حقاً اتحاد المحبة ، ولا يمكن أن ينكر هذا إنسان ذاق حياة من هذا النوع . أما إذا كان الاتحاد غالياً من الحب فإنه يكون مسألة قد تساعد أو لا تساعد كلا من الاثنين .

إلى أن تقول : إن الرجال والنساء معاً توأمان من خلق الله جل وعلا ، جاء إلى الأرض وسوف يذهبان إلى عالم الروح ليتحدتا في هيئة فرد واحد لا اثنين . إنها حالة جديدة للخلق وسوف تكون هامة بالنسبة لكم عندما تأتون إلى هنا .

قد يظن بعض الناس أننا الناس القدماء قد نسينا الأرض (إذ ولدت هذه الروح في الكرة الأرضية سنة ١٠٠٩ قبل الميلاد كما قالت) . آه لا . لقد كانت الأرض مهدنا ولن ننسى أبداً من حياتنا الأرضية تلك الحوادث الثمانية التي كانت في الواقع علامات ساطعة في طرق تقديرنا للحياة . « إن الطهارة لازمة لكل امرأة تريد خدمة إلهها ، وأود أن أقول : -

١ - إنكن تردن أن تحبين والله يقول ويخلص الرجل في دنياكم بواسطة حب إمرأه تكون شريكاً للرجل أو توأماً له ، بالنفس والروح .

٢ - لا يمكن لإمرأة استمعت للصوت الداخلي الخافت أن تخطئ . لأن الله يمنحها السكال .

إلى أن تقول : الحب بركة إلهية . والنساء اللاتي كن طاهرات محفوظات في الأرض سوف يكافئن العمل على بقائهن وحيدات محرومات من العلاقة

(١) وهذه آخر رسالة بثت بها جوليا وهي مؤرخة يوم الأحد ١١ أكتوبر سنة ١٩٠٨ السابعة ٢٥ و١٠ دقيقة ليلاً ، فقد كان ستيد دقيقاً في تحديد تواريخ الرسائل وساعات وصولها .

الجنسية وسوف يصبح في مكان على في ملكة الله . . . وقد يدهش بعض المتزوجات إذا قلت لمن إن النساء اللاتي عرفن الحب والصدق ليس هن من حاجة إلى العودة إلى الأرض كيما يبحثن عنه ثانية ، وسوف يستمررن في التقدم في عالم الروح ، أما اللاتي لم يجدن الحب في الأرض فسوف يسألن عنه كيما يمنحنه في عالم الروح .

وعلى هذا بمعرفتكن لقوانين الله والإنسان حاولن أيتها النساء أن تساهمن مع أنفسكن الحقيقية ومع الخالق ، فإن الأرض هي بداءة الرحلة الأبدية للبحث عن الله .

ولينزل السلام على قلوبكن ، فالنظرة العقلية والروحية الجديدة سوف تمهيك من شروق الإنسان في الأرض . الحب سماوى وقد أعطيته المرأة التي ترجمته للرجل كيما تتقذه من الهاوية (١) .

المطلب الثالث

من تجارب مارجرى لورنس

في شأن الحياة العائلية هناك

تتحدث الباحثة الروحية السيدة مارجرى لورنس Margery Laurence عن نتائج بعض تجاربها الخاصة في شأن الحياة العائلية هناك (٢) قائلة إن زيجات كثيرة تتم على المستوى الأرضى بدافع غير دافع الحب الصحيح لكنها مع ذلك لا تخلو من فائدة لكل من الزوجين وهى الدراسة المتبادلة لدروس الحياة والتعاون، وتبادل مجرد الصداقة بينهما وإيجاب أولاد ، قد يفيدهم هذا النوع من الصلة بين الوالدين . ولكن عند الانتقال إلى الجانب

(١) ترجمة الدكتور على عبد الجليل راغى في كتاب «أرواح مرسله» من ١٠٠-١٠٣

(٢) في كتابها عنوانه «ماهى هذه الروحية؟» What Is This Spiritualism?

ص ٤٤ وما بعدها .

الأخر من الحياة يتقابل هذان الزوجان لا كزوج وزوجة ولكن كصديقين
وفين فحسب تقاسما معا تجربة مفيدة لها ، كما يتقاسم مثلها أى صديقين
على الأرض .

ولكن هذان الصديقان سيدركان على الجانب الآخر أن رابطة الزوجية
التي جمعتهم في وقت ما على الأرض - رغم أنها كانت جميلة ومرضية إلى
حين - لكنها ليست من النوع الخالد ، وكل واحد منهما عليه أن يجد إن
عاجلاً أو آجلاً توأم الروح على ذلك الجانب الآخر من الحياة . ولأن
المزيد من النضج يعطى الإنسان مزيداً من الفهم فإنه لا يمكن لشخصين على
الجانب الآخر أن يحبا نفس الشخص بنفس الكيفية . أما على هذا الجانب
المادى من الحياة فقد تعودنا أن نخطئ الآخرين ونخلط في نفس الوقت
بين الحب الصحيح وبين سائر الانفعالات الأخرى .

كما نتحدث المؤلفة عن تجربة واقعية لها تبين كيف أن فهم الحب يصبح
أوسع أفقاً وأكثر تسامحاً عند بعض الأرواح عندما يصل إلى الجانب
الأخر ، وكيف أن الإنسان أنه قد يتخلى عن غيرته الأرضية وشهوته كما
يهمه فحسب أن يرى أن محبوبه القديم يعيش في أمن وفي رعاية ، فنقول إن
ضابطاً بحرياً (ولنسمة لايتون Layton رغم أن هذا ليس اسمه الحقيقي)
تزوج منذ عام أو عامين سابقين على انتقاله إلى عالم الروح ، ثم غرق أثناء
الحرب العالمية الثانية . وبعد وفاته بعام واحد تزوجت أرملته من رجل كان
منافساً من قبل لزوجها السابق في طلب الزواج منها ، وكان زوجها السابق
بالتالى شديد الغيرة منه . فأغضب هذا الزواج بطبيعة الحال حماتها السابقة
(أم لايتون) واعتبرته إساءة كبرى لذكرى فجلها العزيز الراحل .

وهنا تقول المؤلفة إنها أثناء جلسة مع وسيطة معينة لأمور بعيدة عن
هذا الموضوع الذى لم يكن أحد من الحاضرين يعلم عنه شيئاً ، قالت المرشدة
للسيطة إن ضابطاً بحرياً غريباً عن الموجودين يدعى الكولونيل لايتون
شديد الرغبة في الاتصال بالذاتة كما يبلغها رسالة معينة بخصوص هذا الزواج

الذى سبب لها غضباً وألمناً شديدين ، وطلب منها أن تبلغ والدته أنه موافق على هذا الزواج ، رغم أنه لا يزال مغرماً بزوجته التى تركها على الأرض ، ولكنه تحقق الآن بأنها كان ينبغى أن تتزوج من منافسه السابق لأنه كان مناسباً لها أكثر منه ، وأنه عندما تغلب عليه فى الزواج منها قد أساء إليهما ، وأنه الآن يريد أن يرى الأمور توضع فى نصابها الصحيح ، وأنه يرى أن زوجته الآن تجد السعادة والرعاية فى ظل هذا الحب الجديد .

ثم أضاف لايتون فى رسالته « وبالطبع لم يحدث هذا التحول عندى بغتة فقد تعودت أن أكره بيل Bill (اسم منافسه) كالسم ، ولعلنى كنت أقتله لو حاول الاقتراب من زوجتى ، ولكنى عندما فهمت الأمور أكثر بما كنت أفعل أدركت أنه فى طيب القلب ، ولم تعدى غيرة نحوه ، بل أريد لحسب أن أراها سعيدة . كما أضاف لايتون أنه عندما تحول هذا التحول أخذ يرجو الأرواح المرشدة التى قابلها هناك كما تحاول أن تؤثر فى منافسه هذا ليكتب إلى أرملة خطاباً مقترحاً أن تقابله ، وبذلك استيقظت العاطفة القديمة فى قلوبهما ، وتم الزواج برغبته .

وتقول لورنس إن عدة حوادث من هذا القبيل قد مرت بها أثناء بحوثها الروحية ، وأنها صادفت أزواجاً كثيرين منتقلين كانوا يرجون من أراملمهم على الأرض أن يتزوجن ثانية ، ومن عشاق كانوا يحاولون التأثير فى عشاقهم بأن يشغلوا الفراغ الشاغر فى قلوبهم ، أو يحاولون إقناعهم بالالتعلقوا بإحساس خاطئ . باحترام ذكراهم ، أو بالالتصويرا خطأ بأنهم سيعتبرون ذلك من صور عدم الوفاء لهم .

وليس معنى ذلك مطلقاً أن كل الأرواح عندما تنتقل إلى هناك تتخلى عن أمانيتها أو غيرها فوراً ، بل قد يظل عدد منها متمسكاً بنفس إيماءهه القديمة فيتألم منها آلام الإنسان المريض العقل والنفس إلى أن يصل إلى مرحلة من التطور تسمح له بأن يفهم الآخرين ويحسن معاملتهم ، وقد يحتاج ذلك

إلى عدة سنين ولا يوجد له إلا الصبر في الصبر ، وقهم قانون المحبة ، الحل
الشاق لكثير من المشكلات ... (١) .

المطلب الرابع

شودزمووند العالم الأديب

يعالج موضوع الحياة العائلية هناك

تحدثنا في الجزء الأول عن الأديب الإيرلندي الكبير شودزمووند
Shaw Desmond ، وعن بحوثه الروحية ، بما يغني عن التكرار هنا (٢) ،
ويكفي هنا أن نقرر أنه من كبار مؤسسي « المعهد الدولي للبحث الروحي »
بلندن ، وأنه طالما حاضر في هذه الموضوعات في جامعتي كامبريدج و أكسفورد
وفي عدة جامعات خارج بريطانيا في أمريكا واسكتلندا وغيرهما ، وقد انتقل
إلى عالم الروح منذ سنوات قلائل بعد أن بلغ من العمر عتياً ، وله في معالجة
موضوع الحياة العائلية هناك عدة جولات . ورد بعضها في مؤلفه
« كيف تحيا عندما تموت » ، وورد أغلبها في مؤلفه عن « الحب بعد الموت » .
وبالنظر إلى قيمة الكاتب وقيمة كتبه من الناحيتين العلمية والأدبية ،
وصدق تحليله للحياة العاطفية بين الرجل والمرأة هنا وهناك ، إلى المدى
الذي لا يضارعه — في نطاق البحث الروحي — أي باحث آخر ، لذلك نسمح
لأنفسنا أن نمر في كثير من الأناة على نتائج بحوثه التي دامت لعشرات من
السنين — كما يقول — في « معمله الروحي » ، وغارجه في شأن هذا الموضوع
الحام ، وهو محاولة رسم صورة تقريبية لأسلوب العلاقة بين الجنسين وطبيعتها
في عالم ما بعد المادة .

وفي عرضنا لأرائه سنتوخى الدقة في المحافظة على المعاني قبل التقيد

(١) المرجع السابق ص ٤٨ .

(٢) في ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

بحرفية الألفاظ ، فستكون طريقتنا في هذا الشأن أقرب — أحياناً — إلى طريقة العرض والتلخيص منها إلى طريقة الترجمة الحرفية ، وذلك حتى نصل إلى إعطاء القارئ صورة واضحة وشاملة عن اتصالاته بالآرواح مضافة إلى آرائه الخاصة في الحياة العاطفية وفي الزواج ، غير مرتبطين من جانبنا بشيء منها ، ولكن بغير أن نغفل الإشارة إلى أن في آرائه كثيراً من النظرة الفاحصة لحقائق النوازع الإنسانية .

وفيها أيضاً كثير من الفهم الصحيح لطبيعة العلاقات بين الجنسين ولخطورة أثرها في إسماع أيهما أر في اشقائه . ولذلك وخذفه فهو يضع العاطفة العميقة الثقية في المقام الأول ، ويصل بذلك إلى نتائج هامة كثيرة لا يسع المنصف إلا تقديرها . والقارئ سواء اقتنع بها أم لم يقتنع سيجد أنه قد خرج بحصيلة وافرة من المعرفة المعروضة بطريقة مفرطة في تشويقها وفي اجتذاب انتباهه كما سيلحظ بنفسه .

وسنعرض ابتداءً بعض بيانات محدودة عن مؤلفه " كيف تحيا عندما تموت ؟ " (١) ، ثم نعرض بياناً لعدد كاف من صفحات مؤلفه عن " الحب بعد الموت " (٢) .

عن مؤلفه " كيف تحيا عندما تموت ؟ "

يقول الأستاذ دزموند في بعض صفحات مؤلفه هذا — وهو بحث عام يتناول عدة جوانب من حياة ما بعد المادة يصلح بحسب رأيه ليكون مرشداً يزود به الإنسان قبل الانتقال ، كالمسافر إلى مدينة كبرى عندما غشى أن يتوه في شوارعها وفي غمرة حياتها الزاخرة بأسباب الحياة —

إن كل روح مرشدة عظيمة «تحدثت» إليها — وبغير استثناء —
على اتفاق في شأن الحياة الجنسية على النقاط الآتية : —

أورو : أن الحب باق حتى في معناه الإنساني إلى ذلك المستوى الثالث
من مستوانا الأرضي .

ثانياً : أن العاشقين على مستوانا الأرضي قد يكونون أحياناً — ولكن
ليس دائماً — هم نفس العاشقين هناك ، وأن العشاق الحقيقيين عندما
يغادرون الأرض يرتبطون معاً في المستوى الثالث فيخلقون بطريقة
ضرورية — إذا صح هذا التعبير — على نفس «المستوى الاهتزازي»
المتبادل بينهما .

ثالثاً : أنهم هناك «لا يزوجون ولا يتزوجون»، كما قال السيد المسيح لأنه
لا توجد طقوس الزواج بالمعنى الأرضي الذي يقتضي أنه «حيث لا طقوس
فلا زواج» . ولأن العشق الجنسي بين الرجال والنساء لا ينبغي أن ينظر
إليه كشئ حميد وجميل إلا إذا باركه الحب المتبادل بينهما . فالحياة المشتركة
على أسلوب جنسي منفصل عن صلة العلاقة العذرية بين المتزوجين بعد ذهاب
الحب ينبغي أن تعتبر بمثابة «دعارة زوجية» كما ذكرت ، مرة في محاضرة لي
في كوين هول (قاعة الملكة) . وفي كلمة إن الزواج الحقيقي الوحيد كما تقول
الأرواح هو توافق الاهتزاز الزوجي الذي هو عبارة عن تقاطع وتعاطف
اهتزازي متبادل ، ليس لحسب على مستوى الأجساد بل على المستويين العقلي
والروحي أيضاً .

رابعاً — أن هناك اختلاطاً معيناً لاهتزازات العشاق على المستوى
السكراني تقابل الاختلاط الجنسي هنا ، لكنه اختلاط أسمى وأرفع بكثير
من كل اختلاط نعرفه على الأرض

خامساً — أن اختلاط الرجل والمرأة على المستوى الأرضي أو

الآثيرى الذى هو اتصال غامض بينهما *a mystical communion* يستهدف ابتداءً أهدافاً روحية وأثيرية ، أما مجيء الأولاد فهو أمر عارض .

سادساً : وأخيراً - أن الأولاد ينمون على المستوى السكوكبى كما ينمون هنا ، وأن لكل واحد وواحدة منا أحياء الذين سيخدمهم بعد العبور إلى هناك ، وأن القول بأن " زيجات الأرض من صنع السماء " يمثل حقيقة حرفية . بمعنى أنها ليست الطقوس هى التى تصنع الزيجات الحقيقية ، بل هى العاطفة الروحية ، إذ أن الحب والحب وحده هو الذى يصنع الزواج على ما قال لى مراراً سكان العالم السكوكبى .

فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٣٣ وفى حضور الدكتور طمسون Thompson وطبيب له خبرة روحية خاصة ووسيط روحى وأحد الاقتصاديين ورئيس هيئة دينية وجهت عدة أسئلة عن الجنس إلى شخص منتقل كان صديقاً لجميعنا وأظهر نفسه فى هذا اليوم فقال : " كل شئيه منجذب إلى شبيهه فى العالم السكوكبى كما فى كل عالم آخر . . . وأن هذا هو كل ما عناه السيد المسيح عندما تحدث قائلاً إنهم " لا يزوجون ولا يتزوجون فى السماء ، لأنه الحب والحب وحده بين الرجل والمرأة هو الذى يمكنه أن يصنع الزواج الصحيح

ثم قالت الروح " إن شجار الزوجين على الأرض لا يعنى بالضرورة أن أحدهما لا يصلح للآخر ، فقد يعزى الشجار إلى تصادم شخصيتين قويتين . ومثل هذه المشاحنات ليست شراً بذاتها وإن كانت تحول دون إحساس الطرفين بهذه السعادة الغامرة التى قد تمنع بدورها كل تقدم مستقبل فى العقل والروح . إن السعادة إذا كانت من النوع الخاطئ قد تكون أشد خطراً على الروح من التعاسة التى كثيراً ما تكون عبارة عن الإنقاذ الديوى لها ...

ثم أضافت الروح قائلة " إن الخلافات الزوجية عندما تكون جديفة حقيقة تعزى غالباً إلى اختلاف فى مدى التطور عند الطرفين . . . إن الرجال

والنساء يتزوجون عادة على الأرض بسبب إحساسهم بتجاذب الأجساد ،
فبعد إشباع الجسد لا يتبقى تجاذب عقلي ولا روحي للإبقاء على رابطة
الزوجية . ومع ذلك فلا ينبغي إضعاف قيمة تجاذب الأجساد (أو التوافق
الجنسي) فإن له أهمية قصوى ، ولكن لحسب عندما يقترن بتعاطف العقل
والروح

ثم يقول دزموند ما معناه إنهم هناك يتعاقنون ويقبل بعضهم البعض ،
وأن الاتصال الجنسي لا يثير ليس خيالاً بل حقيقة واقعة ، غاية ما هناك
أنه يصبح اتصال أرواح بعد أن كان اتصال أجساد ، وأن الأرواح تعرف
طريقها أفضل من الأجساد ، واختلاط الأرواح هو مقدمة السمو القدسي
للحب على الأرض ، وأن هذا الاتصال إن هو سوى اندماج كلي في مجرى
كوني للحياة يبدو أنه موجود خارج الأرض .

كما يقول إنه يدعو كل رجل أو امرأة فشل في حبه على الأرض ألا يياس
فقد يقابل في العالم الآخر من أحبه ويتصل به ، لكن بشرط ألا يكون هذا
الحب عبارة عن نزوة طارئة للجسد ، بل ينبغي أن يكون حباً روحياً من
هذا النوع الذي يعني أن صاحبه إنما يبحث عن توأم النفس ، فمثل هذا
الماشوق لينا كدن تماماً أنه سيقابل يوماً من أحب كما يرتبطاً برابط
وثيق ...

ويقول أيضاً إن الاقتران في العالم الكوكبي يقوم على أسس مختلفة تماماً
عن أسس الزواج على الأرض . فهناك اقتران يحدث على أساس من تقارب
المستوى الاهتزازي ، أي مستوى الذوق والحياة والفكر ، ولكن
ماذا نعني بالزواج الاهتزازي Vibrational marriage ؟ . إننا نعني أن
الإنسان يعرف من اهتزازات هالته التي تبين مستوى صاحبها على سلم الحياة
فهم يعلمون أن لكل إنسان طول موجة ، أي سرعة اهتزاز توضحها الحالة
والتشابه في طول الموجة هو الذي يجعل - حتى هنا على المستوى
الأرضي - شخصاً من جنس معين يبدو في نظر شخص من الجنس الآخر

جبيلا وجذاباً . وذلك سواء فيما يتعلق بالمستوى الجسدى أم العقلى أم الروحى (١).

« ولست أعنى مطلقاً أن الزواج الناضج يحىء من التطابق التام والرضى المستمر أو الخضوع ، بل إنه فى الزواج كما فى كل رابطة ناجحة أخرى لا بد من وجود فروق . فإن الرجال والنساء مخلوقات مختلفة تماماً ، ولكل من الفريقين اتجاهات مختلفة فى التفكير وفى التصرف . ومن احتكاك هذه الاتجاهات على مستوى عال وبين أعداد يشتمعون بشخصيات متحررة يولد التطور كما يولد الأطفال من فراش الزوجية . وإذا سلم الرجال والنساء بهذه الفروق الجوهرية بينهم قلت أخطاؤهم وقلت فرص الزواج غير السعيد بينهم » (٢).

من « الحب بعد الموت »

وفى مؤلفه عن « الحب بعد الموت » يطالب شو دزموند قارئه أن يقرأه قراءة نقد لا قراءة تصديق ، لأنه يعترف بصالة ما نعرفه عن العوالم الرباعية الأبعاد التى تلى الموت ، وإنما تكون المعرفة عن طريق الإقرار المتواضع بالجهل ، كما يكون عن نفس الطريق الارتفاع عن هذا الكوكب الأرضى الضئيل الضائع هو نفسه وسط الأبدية . ومع ذلك يقرر أنه مقتنع بأن الصورة التى رسمها فى مؤلفه عن الحب والزواج فى العالم الكوكبى صحيحة فى أساسها ، ولكن للحق أوجه متعددة ، ويقدر ما يواصل علماء الروح دراساتهم فى الجامعات فإن الحقائق الباهرة — بقدر نموها — ستلقى أضواءها مبددة جوارب البهتان .

كما يقول إنه لا يعنيه إثبات وجود حياة كوكبية ولا حياة تلى موت الجسد ، لأنه يعتبر أن ذلك قد ثبت نهائياً وإلى الأبد ، ولكن تعنيه وجهة

(١) راجع ما سبق من الجسد الأثيرى والمالة فى الجزء الأول من ٤٢٧ — ٤٥٥ .

(٢) طبعة خامسة من ١١٨ — ١٤٢ .

النظر الكوكبية عن الحب في كل صورته ونشاطه ، سواء أكان جنسياً أم عبارة عن مجرد هذه ، الرقعة العظمى ، التي يعبر عنها قولنا إن « الله محبة » ، والتي سيعرض خلالها للصلة الإنسانية بين العشاق ، وبين الأب وولده والفرد والأسرة .

ويقول إن هذه المعلومات ثمرة عدة مراحل من الدراسة والتأمل في « العمل الروحي » ، وفي غيره . وبمضئ خلاصة مجهودات شاقة قام بها بعض رجال العلم من ذوى الخبرة والمعرفة . وعندما يكتب من محض الخيال أو من محض الرغبة في الربط بين المعلومات فإنه يقرر ذلك صراحة . أما عندما يكتب عن اتصالاته المباشرة وغير المباشرة بذلك العالم الذي ستذهب إليه الأغلبية من يبتنا فإنه يقرر ذلك أيضاً . ومع ذلك فقد لاحظ مراراً أن ما اعتقده مجرد خيال لازم للربط بين بعض المعلومات كان تأثيراً يحمي أحياناً عن طريق مرشديه وأصدقائه في العالم الكوكبي ، إلى حد أنه وصل إلى الاعتقاد بأن حتى الرجال والنساء العليين قد يجدون أن ثمة سيلاً للوصول إلى الحقيقة غير العقل والمنطق ، فقد يأخذ الإلهام بيدنا أحياناً إلى الحقائق المقدسة .

ولأنه لا يعنيه كثيراً الوقوف عند انتقادات الماديين غير المطلعين على الموضوع سواء أكانوا من رجال العلم أم من غيرهم ، فقد وصل بعد سنين طويلة إلى الاقتناع بأنها ليست الكلمات وحدها ، بل الوقائع أيضاً قد تعني أشياء مختلفة عند أناس مختلفين ، وأنه ما لم يصل الكائن الإنساني إلى مستوى معين من سلم التطور الروحي فإن نظراته إلى هذه الأمور التي يعالجها في صفحات مؤلفه هذا لا ينبغي أن يحسب لها كبير حساب . لأنه إن كان من أمر قد برز خلال قرن كامل من البحث الروحي فهو أنه ما لم تصل نفس الإنسان إلى مرحلة معينة من التطور يصح وصفها بأنها « مرحلة الاشتعال ، ignition » فإن البيانات — مهما كانت قوية — لن تكون في متناول العقل ولن تعنى

شيئاً بالنسبة له ، بل سيكون عرضها عليه كمرض مشكلة رياضية عويصة على طالب في المرحلة الابتدائية لأخذ رأيه فيها .

وفي فصول الكتاب الأولى يعالج المؤلف مشكلات الحب والزواج قبل الموت كما يجعل منها تمهيداً ملائماً لتناول نفس المشكلات من زاوية عالم ما بعد الموت ، أو بالأدق هذا الوصف الخاطيء « للموت » ، لأن الحب لا يموت بالموت بل يحصل على حياة جديدة ، فهو يحيا بالموت ، لأنه لا يقبل الموت .

وسيين بصدد ذلك البيانات الحاسمة لنوام الحياة بعد الموت والتي لا تقل في حسمها عن حقائق العلوم الأخرى . فلم تؤسس فحسب كراس للأستاذية في البحث الروحي في عدة جامعات في العالم ، بل إن عدداً متزايداً من الرجال والسيدات العلميين أخذ أيضاً في تحويل أقطاره نحو هذا التساؤل الذي ينبغي أن يشغل بالفعل بال كل كائن إنساني عاقل ، وهو التساؤل عما إذا كان الحب يحيا بدوره أم لا بعد الموت ، لأنه ما لم يوجد حب على الجانب الآخر من القبر فلا يمكن أن توجد حياة ، لأن الحب هو الحياة .

الحب والزواج عندنا

في الفصل الثالث يعالج دزموند موضوع « الحب والزواج عندنا » ، قائلاً إن الحب هو القنطرة بين العالمين ، هذين العالمين الذين لا يفصلهما الموت بل يصل بينهما ، لأن الموت جزء من الحب . فالحب بصورة العديدة كائن وراء كل حياة أرضية ، كما هو كائن وراء حياة السماء ، حين فصلنا نحن — في تدهورنا الغير الواعي — الحب المقدس وخططنا بينه وبين أحط العواطف الجسدية ، فعزلناه بالتالي عن أهدافه السماوية ، ومع ذلك فهذا لا ينال من تلك الحقيقة الغريبة وهي أن وراء كل حياة توجد أخيلة للحب Romance .

وهذه الكلمة المحبوبة التي جعلتها الشاشة والمسرح والقصة ، شائعة غير محجلة توقع في شبابها من الأفراد أكثر مما تفعل عاطفة الجسد التي ليست

بدورها سوى ظل للحب الخيالى الذى أبعدها عن حياتنا . وأخيلة الحياة بدأنا نشك فى أنها الباعث الأصيل لسكل وجود ، حتى أن الحياة وهى ذاتها مغامرة مجيدة تجتد نفسها داخل الزمان والفضاء أحياناً ، وأحياناً أخرى بدونها . وهى مغامرة تكمن فى نهايتها السلامة ، ولا تكمن فى مبدئها ، هذه السلامة الجبانة التى تكره كل قلب يكرهها ، فى بحشها العسير عن سعادة موهومة لا وجود لها اتخذها الجبن شعاراً له ...

لقد كنا نتصوره أن الزواج ليس من صنع السماء بل من صنع الأرض عن طريق الموثق أو الكاهن ، مع أنه من غير الجائز أن يكون هناك زواج أو ارتباط بدون الحب ... وربما كان الشيء المحير فى كل ذلك هو ندرة الرجل أو المرأة الذى كان يبحث عن الزيجة غير المقدسة (وهى زيجة الحب) وبعبارة أخرى هذه الزيجة التى تباركها الملائكة من على الجانب الآخر من الحجاب ... وكان رعاتنا وأساتذتنا يقولون لنا إن أى ارتباط بين الرجل والمرأة ما دام يتم بمعرفة الكاهن أو الموثق يكون سعيداً عندما يجب الزوجان السعيدان أحدهما الآخر ، كما لو كان الحب أمراً مفروضاً عليهما . فإذا كان هذا الارتباط غير سعيد فهذه تكون غلظة الطرفين المتعاقدين .

ولكن أرقام الطلاق أصبحت فى صعود مستمر ... ولم تصمد على الاختبار لمدة خمس سنوات أو أكثر سوى نسبة قليلة .. وكما رأينا من حولنا رجالاً ونساء قد جمعهم وثاق هذه « الزيجة المقدسة » يتبادلون الكراهية والظنون وعدم الاكتراث من الجانبين . وكل ذلك لم يكن ليعنى شيئاً بالنسبة لنا . ويبدو أن السماء قد ألقت جانباً قانون الزواج بوصفه قانوناً للحياة ، من شأنه إنجاب الأطفال الذين عليهم استمرار الجنس الإنسانى على طريقة « كن فيكون » .

ولكن لحسن الحظ أو لسوءه لم يستمر ذلك ، ولأول مرة بدأ الشباب

رجالاً ونساء يتحدثون — ليس الأصول نجس — بل أيضاً أهداف هذه الأنظمة ونتائجها القائمة على الزواج بغير حب ، لأنها لم تعد تبدو لهم سماوية بل من مصدر آخر .

مراحل الزواج المتدرج

وفي الفصل الخامس يتعرض المؤلف لمراحل الزواج قائلاً إنها في المعتاد قد تتبع التسلسل الآتي :-

فالمرحلة الأولى هي مرحلة « الوقوع في الحب » وفيها يجد الفتى والفتاة ، أو الرجل والمرأة نفسيهما في « سماء زرقاء » أو في جنة يحاول كل طرف أن يصبح فيها جزءاً من الطرف المحبوب ولا يتصور أن أى خطأ ممكن الوقوع . وهذه المرحلة تمتد عادة حتى تبلغ الرابطة غايتها في حفلة الخطوبة وفي هذه المرحلة « الجنس » يعنى البصائر .

وبعد ذلك تسمى مرحلة العيش المشترك أو الزوجية ، وكثيراً ما تكون لأحد الزوجين أو لكليهما عبارة عن خيبة أمل مرة ، حتى أن شهر العسل بالنسبة للملايين يمثل بداية لنهاية السعادة . ومن المؤكد تقريباً أن الشهر التالي ، أو الثلاثة أو الستة الأشهر التالية تمثل فترة اختبار لغالية الزوجيات ، يتقرر فيها ما إذا كان مصير الزواج هو السعادة أو عدم الاكتراث ، أو للتعاسة . وكمن زيجات تحطمت في الأسبوع الأول وربما في الليلة الأولى .

أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة « التأمل المتبادل » ، mutual adjustment بافتراض أن الارتباط بين الزوجين قد قاوم المرحلة الثانية . وهذه المرحلة الثالثة هي مرحلة تعود كل من الزوجين على الآخر ، وفيها تستبعد عادة أحلام الحب romance . وهنا يأخذ الزواج مجرى من ثلاثة ، وهي مجرى الكراهية ، أو عدم الاكتراث ، أو في حالات نادرة جداً مجرى الحب الزوجي .

وبرغم أنه من الصحيح أن الكراهية والحب ليسا سوى وجهين لشيء

واحد كما يبدو ذلك من تأمل الحب المشبوب عندما ينقلب إلى كراهية مشبوبة في الصلات الزوجية، وهي ظاهرة قد لاحظها الكثيرون، وإن كان عدد قليل فحسب حاول تفسيرها. وهذه هي الظاهرة الزوجية التي سنفحصها هنا بوجه خاص، لأن فحصها، وتفسيرها إن أمكن، قد يلقي ضوءاً على مشكلة الزواج برمتها، لأن الزواج مشكلة بقدر ما هو حالة .

وبالنسبة للرحلة الأولى في الكراهية فإن المرأة والرجل بحكم حبهما للحياة وللأوهام يفضلان أن يفعلوا أى شئ. إلا التسليم بأن كلا منهما يكره الآخر... وكبت الكراهية هذا قد يقود أحياناً إلى الأمراض النفسية الشائعة المتصلة بعصاب الحب، وربما إلى الاضطراب العقلي .

وبعد أن حمل المؤلف حملة عنيفة على فرويد قال إنه اعتبر نبياً لعلم النفس في بعض البيئات والجامعات، ليس لحسب لأنه حمل دعوة الإباحية والمتع المحرمة، بل لأنه أيضاً بسّط الأمور أكثر مما ينبغي، ثم أضاف أن تلميذه العظيم يونج Jung وغيره قد تخلّوا الآن لحسن الحظ عن أساذم فرويد الذي تجاهل دور أخيلة الحب التي تمثل قلب الزواج، والذي لم يكبد نفسه حتى أن يعرف ما تعرفه اليوجا الهندية عن العقل^(١)، وإن كان رغم ذلك قد وصل إلى كشف سيكولوجية لها أهميتها، وبخاصة العقد النفسية أو المركبات Complexes التي أصبحت حقائق .

ثم يستطرد دزموند قائلاً إن كبت الكراهية بمعرفة الأزواج يؤدي إن عاجلاً أو آجلاً إما إلى استخدام العنف وإما إلى « الحب الحرام » .

(١) يقصد دزموند بهذه الإشارة التنويه بما تعرفه فلسفة المذهب اليوجي من أسرار العقل المذهلة مثل أثره المباشر في المادة وفي الصحة والمرض وقدرته في السيطرة على الجسد، وفي الإدراك عن بعد، ودوره في الإلهام وعدم ارتباطه المحتوم بالخيال... وهو ما مرضنا له في عدة مناسبات في الجزئين الأول والثاني، وهو ما أعطى لفلسفة اليوجية قيمة خاصة في الممارس القائمة على البحوث الروحية .

كما يطلق عليه عادة . وما يجعل هذا الحب حراماً بالمقابلة ، للحب الحلال ، أصبح أمراً تحديده من الصعوبة بمكان . إذ بالنسبة لأحلام الحب التي نكتب هذا لأجلها ، أصبح هذا التحديد للأسف العظيم لا معنى له للملايين من الأشخاص الذين يتصورون أنفسهم عشاقاً .

أما المجرى الذي تجري فيه الكثرة العظمى من الروابط الزوجية فهو مجرى عدم الاكتراث ، الذي هو في ذاته أسوأ من الكراهية ، لأنه مع الإنسان غير المكثرت حتى الآلهة نفسها تجاهد هبناً . فعدم الاكتراث هو الخطيئة الوحيدة ، وإذا كنا على قدر من الأمانة مع أنفسنا فسيكون علينا أن نقرأ أن عدداً من الزيجات - وربما غالبيتها - تنتهي إلى فضيلة عدم الاكتراث ، وعدم الاكتراث المجرد من أحلام الحب ، المثقل ، بالتمود ، فللرجل ناضج أو مقاهيه ، وللزوجة صديقاتها .

وعدم الاكتراث يولد الملل ، والملل يولد عدم الارتياح ، ثم هذه البلية في العقول التي كثيراً ما تقود الزوج إلى ذراعى امرأة أخرى ، والزوجة - وهي في المعتاد آخر من يغادر منزل الزوجية - إلى ذراعى رجل آخر ، وإذا لم تعد بها جاذبية ما فإلى مائدة البريدج أو الشاي أو السينما . إن عالمنا عالم مجهد : مجهد من العمل ومن اللعب معاً ، مجهد من محاولة تفادى الإجهاد .

وعندما نعالج موضوع الحياة العظمى للروح في العالم الذي ستذهب إليه الغالبية من يبتأ في نهاية مرحلتنا الأرضية ، التي ليست سوى نسمة منها ، سنتبين أنه لا مكان هناك لزواج الكراهية ولا لزواج عدم الاكتراث . وماذا عن الحالات النادرة جداً التي يدوم فيها الحب بين الأزواج والتي سبق أن دأرت ، إليها ؟

قد يحدث في فترات متباعدة أن نواجه بدهشة كبرى حالة زوجين يعيشان في أحلام الحب ، لا في مجرد هذا الشيء الكريه وهو تعود كل من الزوجين على الآخر ، بل أقصد الارتباط الذي لم تزل لديه ذخيرة لا تنفذ من أحلام الحب ، التي بدونها ينبغي أن يجاهد الإنسان حتى لا يقوم زواج ولا حب .

والريجات التي يقابلها الإنسان في تجربته الأرضية والتي لا تزال بعد سنوات قليلة تستمد إلهامها من المصدر المخبوء لأحلام الحب ، يمكن أن تعد على أصابع اليدين . وبالنسبة « لتجربتي الخاصة » وبعد إحصاء حذر لقد عرفت لحسب أربع أو خمس حالات من هذا النوع ، « أنا » الذي عشت في بلاد متعددة ، وبين أجناس متعددة ، وكانت لي فرص متعددة للملاحظة فوق مساحات متعددة من أرضنا . . . ومن هنا يحىء هذا التساؤل وهو هل من مخرج من هذا المأزق ، وهل من أى سبيل يمكن عن طريقه أن يجد النساء والرجال السعادة معاً . . . ولو في ظل رابطة الزوجية ؟

إنى أو من بكل إخلاص أن هذا السبيل موجود ، وأن « الخالدين » قد اكتشفوا هذا السبيل ، هؤلاء الخالدون الذين لا يختلفون عن « الفانيين » شيئاً إلا في أنهم قد نفضوا عنهم هذه الكومة من اللحم . وينبغي أن نعلم أن المشكلة ليست في اكتشاف هذا السبيل أو الوصول إليه ، بل هي فيما إذا كان من الممكن أن تكون لدينا الشجاعة — والإلهام — لاتباع هذا السبيل ونحن بعد ما زلنا في رداثنا الجسدى ؟

ومع ذلك فإن « على » أن أوجه كلمة تحذير إلى الأشخاص المتزوجين وهي : أن احذروا الطلاق إذا كنتم تجدون بينكم أى تعاطف عقلى أو روحى مهما بدا ضئيلاً ، واذكروا أنه في تسع حالات من عشر تطليق الزوجة أو الزوج يكون إما للحصول على الحرية وإما للزواج من آخر ، ومعناه في أحسن الفروض الإساءة إلى الشخص الآخر ، وفي أسوأها معناه اكتشاف

أن الشريك الجديد لم يخلق لك، وأن الشريك القديم الذى تخلّيت عنه لا يزال محتفظاً لك بذكرىات طيبة .

واذكروا أيضاً أن فى الزواج لغواً لم يفهمه كائن إنسانى بعد، وهو لغز روحين آدميين قد تبادلا الوجود فيما بينهما ، فأصبح كل منهما جزءاً من الآخر، حتى ولو لم تجمعهما سوى الكراهية . فاحذروا من أن تحطموا هذه المشاركة إلا إذا وثقتم تماماً أنكم قد وجدتم خارجها «توأمكم فى الروح» وحتى فى هذه الحالة لا تنسوا أن الشريك الذى تتركه سيصبح جزءاً منكم فنحن الأدميون لا نتزوج للأشياء ، بل هناك سبب .

أهموم الحب والخمرة

وفى الفصل التاسع يتحدث عن «أحلام الحب، Romance والخمرة، قائلاً إن التعرف إلى أوليات الحياة الكوكبية ووجهة نظرهم عن الحب والجنس يتضمن التعرف على أوليات الفلسفة المتعلقة «بأحلام الحب» . فقل من أهم ما يسترعى أنظارنا أن نكشف أن كثيراً من إلهاماتنا ، خصوصاً ما يتعلق منها بأخيلة الحب وبأحلامه كما وصلت إلينا أثناء حياتنا الأرضية كان مؤسساً على حقائق .

فليست الأحلام الجميلة محصورة هناك فى أفق الجنس الضيق الذى نعرفه على الأرض بل تمتد إلى كل مجال آخر . ولكن هذه الأحلام الكوكبية عبارة عن إبراز لهذه الحقيقة وهى أن الحياة فى كل مكان عبارة عن مغامرة رائعة ، وأنها تستحق أن نحيها لذاتها ، وأن الحب فى هذه المغامرة هو القلب النابض ، وخصوصاً الحب بين المرأة والرجل الذى هو انعكاس مادي للحب المقدس الذى تحمله روح الله للإنسان . فهو الجنب والدفع للحياة ، والمد والجزر فيها، وبدونه ربما ما كانت توجد حياة ، فهو الانتصار على الموت .

ولا تدع أى إنسان يجرؤ على التهوين من شأن حب الرجل للمرأة

والمرأة للرجل ، حتى في صورته الأرضية الدنيا . فهو الذى يبرز الشخصية وهو الذى يعلم الحياة فى الجسد ، وهو بسبب ما قد يحدثه من غصة أحياناً — لا رغباً عن هذه الغصة — قد يكون المعلم الأعظم لما فى ولادة الحب من جديد من معنى ميلاد الروح المتجدد على الدوام .

وقد ذكر « لى » مراسل من عالم الروح ما معناه « نحن مانحن عليه بسبب ما كنا عليه من قبل ، فأفكارنا لا تتوقف فهى تجذب على الدوام قوى الحياة التى تحيط بنا وتدفعها وهى تملؤنا بحاسة المغامرة وبقوة السيطرة على ما يحيط بنا ، وهو ما يقود إلى دوام الغبطة بالانتصار على الموت » . وبقدر ما خبرت بنفسى — وأنا لا زلت بعد مقيد الوثاق فى الجسد — هذه الغبطة لمدى أسابيع بل لمدى شهور فى وقت ما ، ومعها التحرر الكامل من المشاغل ومن الخوف ، فإن بمقدورى أن أقرر أن ذلك صحيح .

فلا يوجد أى خوف على المرأة أو الرجل الذى وصل إلى تحقيق سيطرة عقله على المادة ، سواء فى العالم الأرضى بسيطرته على جسده اللحمى أم فى العالم الكوكبى بسيطرته أيضاً على مادة الجسد الأثيرى ذى الذبذبة المرتفعة ، فلسنا بحاجة لأن نؤكد كثيراً أن الجسد الأثيرى سيظل عبارة عن جسد مادى فهناك فى « ملكة الحب » الكامل ليس من مكان للبوت ولا للخوف ، والخوف والموت صنوان .

ونشوة الحب بين اثنين هناك تختلط بنشوة الخدمة ، لأنهما صنوان أيضاً . فلا يوجد حب حقيقى بدون خدمة حقيقية كما يعلم كل طفل كوكبى . والحب بدون خدمة حب أنانى بل كراهية مقنّعة . وهذه الكلمات الأخيرة تفسر للآلاف هلة تحول حبهم الخاص إلى كراهية — لانحو الشخص الذى كانوا يعتبرونه حبيباً لحسب — بل انحو كل العالم المحيط بهم . ومع الكراهية فقد انهم لتقتهم بقدرتهم الخاصة على الحب .

وجهة النظر الكوكبية عن الزواج

وفي الفصل الرابع عشر ينتقل المؤلف إلى بيان « وجهة النظر الكوكبية عن الزواج » ، قائلاً إن ثمة مكيدة أنجلوسكسونية على أرضنا تميل إلى الهروب من مواجهة كل مشكلة « غير لائقة » ، عن الجنس ، إما عن طريق الزعم بأنها غير موجودة وإما عن طريق تفادى الإشارة إليها . أما الكوكبيون على الجانب الآخر فيواجهون بصراحة مشكلات العشق وبالتالي يحاولون حلها .

فتحن نرسم لأنفسنا أن كل إنسان محترم ينبغي أن يقتصر على زوج واحد ، وأنه ينبغي احترام رابطة الزوجية عند الخيانة والوفاء معاً ، وأنه لا ينبغي حدوث صلات جنسية بين الفتیان والفتيات قبل حفلة الزواج ما لم يكونوا على درجة كبيرة من الحب والشناعة ، وأن الرجل أو المرأة يجب مرة واحدة في حياته حباً حقيقياً .

والكوكبيون يقرون من جانبيهم ، كما أخبروني بأنفسهم ، جميع هذه المبادئ هنا وهناك . وفي حل هذه المشكلات العاجلة والقديمة لا يستشيرون فقط الشيوخ بل أيضاً الشباب في مملكة هي « مملكة الشباب » ، لأنه لا أحد يعلم أفضل من الكوكبيين أن هناك شيئاً اسمه « الشباب الكمل » ، و« عمر الشباب » .

فالعمر ليس عامضاً لعدد السنين بل لنوع المشاعر كما يقولون . فثمة شابة في الخمسين وثمة كهل في التاسعة عشرة . والرجال والنساء « يقعون في الحب » ، لماثمة سبب وسبب ، ومن ثم كان نادراً « الحب الواحد الأبدى الذي لا يموت » ، الذي يعرفه الشعراء إلى حد يمكن معه القول بأنه غير موجود .

وفي الحب الروحي ليس للعمر أى دور ، فانا أعرف سيدة في الثانية والستين تتبادل الحب مع رجل دون الأربعين . وكاتب هذه السطور (دزموند) « غرق لشوشته » ، في حب روحى لسيدة في الخامسة والستين عندما جاوز السبعين « بالكاد » ، وظل هذا الحب موجوداً حتى بعد انتقالها ، فلا توجد قاعدة للحب .

وسواء أكانوا على صواب أم على خطأ ، فإن الكوكبيين لا يعتقدون أن من الإثم أو من الأمر غير الطبيعي أن يقع الرجل أو المرأة في الحب أكثر من مرة في الحياة الواحدة هنا أو هناك ، بل على العكس من ذلك يرون أن مثل هذا « الوقوع المتكرر في الحب » ، حق وطبيعي . وخصوصا كإعداد وتمارين على الحب الأعرق ، لتوأم الروح ، . فإذا تحدثهم إنسان في هذه النقطة ، أو لو صدمته كل هذه الصراحة في التفكير ، فإن ردهم سيكون كما أتوقع كالآتي : « إن تسع زيجات من عشر على أرضكم سبقتها تجارب حب منفرد أو متبادل إما من نوع « الوقوع المؤقت في الحب » ، بغير عمق في الشعور وإما — كما يحدث كثيراً — لمجرد الزواج والارتباط الجنسي .

فبالنسبة للكوكبيين كل حياة كوكبية أو غيرها نوع من اختبار للزواج . فالأمر يمكن الحياة إعداداً لهذا الجانب الحيوي من الحياة الذي تسمونه الزواج والعشق فلم إذا هذا الإعداد ؟ ، إن رجلاً وامرأة قد يتقابلان — يقول الكوكبيون — فيجد كل منهما في الآخر نعيم العقل والجسد ، وعندئذ يتوافقان على تبادل العاطفة تاركين لنتيجة التجربة أن تقرر ما إذا كانا يظلان شريكين مدى الحياة أم لا . وبعد فترة طويلة أو قصيرة يقرران فيها إذا كانا قد استفدنا ما يصح وصفه بأنه تجربة روحية شائقة كما تستفد جميع الأشياء الأخرى أغراضها في كل مستوى .

إن من الأفضل لهذين الروحين الشابين اللذين ارتبطا تحت إحساس خاطئ ، بالولاء أن يقررا فصر هذه الرابطة الوثيقة كشخصين روحيين لبقين كما تحل محلها صلة من الصداقة العذرية . أليس هذا بالضبط ما تفعلونه أتم يا سكان الأرض في زواجكم العصري الذي يعطيكم الحق في الطلاق متى ظهر لكم أنكم أخطأتم ؟ ولا أعتقد أن أي رجل أو امرأة أمين مع نفسه أو مع نفسها سيجد صعوبة كبيرة في الإجابة على هذا السؤال . . .

ثم يقول دزموند إنه في المستويات العليا من العالم السكوكي عندما يجد العشاق أنهم لم تعد لهم مزايا روحية من العروة الوثقى التي تجمعهم فإنهم يتفقون على إنهاء هذه الصلة ، وإن كانوا يظنون مع ذلك كرفقاء وكأصدقاء بغير تبادل لوم ولا تقريع ، بل بالأكثر مع تبادل عرفان الجليل للنعيم ولقيم الحياة ، والحب ، الذي كان لكل منهم فضل منحه للآخر . وأنه شخصياً عرف هنا عشاقاً كثيرين سابقين أصبحوا الآن أصدقاء وأنهم يشعرون بالتالي أنهم أكثر سعادة بكثير عن ذي قبل ، بل وأنهم أصبحوا إناساً أفضل بفضل التجربة التي قدمها كل منهم للآخر في الأيام الخالية ، فلا تصدقوا أبداً أن أية تجربة ضائعة ، لأن الاعتقاد بذلك مهانة نحو الله ونحو الحياة .

ومراسيم الزواج ، وحفلة القران لها نفس الأهمية عندهم ، وإن كانوا يجتمعون فيها تمجيداً للعاطفة لا للصخب وحسب الظهور ، أو لإرغام من يتبادلون السكراهية على العيش معاً . إن ذوى الآراء الحرفية سيشتعرون بصدمة من هول هذا القول الذي سيحتدونه دعاية للتححرر ، ولانتفاء الأخلاق . ولكن إلى هؤلاء وجه هذا السؤال : ما هي الآن الحقائق الخالية للروابط الأرضية ؟ ألا تنهار منها عشرات الآلاف بعد فترة قد تطول وقد تقصر سواء أكانت هذه الروابط باسم الزواج أم الحب . . . إن الزواج في عصرنا الحاضر أصبح في كثير من الأحيان مرادفاً للبلل وللتعاسة ، أما الحب بكل نشوته وحرته فأندر ما يوجد . فلم لا نواجه الحقائق ؟ ... إن السكوكيين يواجهونها .

والسكوكيون وأنا ، لا نشجع مع ذلك ، على الانفصال بين الأزواج ولكن نؤمن بكل جوارحنا أن الروابط الزوجية لا ينبغي أن تقام إلا بحذر وتدقيق ، وينبغي على الرجل والمرأة أن يعتبر كل واحد منهما الآخر نفسياً وعقلياً قبل المغامرة بإنشاء رابطة ينبغي أن تتطوى

أيضاً على صلة روحية . حتى المباشرة الجنسية ينبغي أن تكون متكافئة جسدياً وروحياً ، بل لعلها أكثر الأفعال إشباعاً للروح في الأرض ، ذلك الإشباع الروحي الذي ما أندر تحققه مع ذلك ...

أما الكوكبيون فإنهم — بقدر ما — تمكنت ، من الحصول عليه من معلومات عن طريق اتصالاتي بهم — يواجهون بصراحة الحقيقة القائلة بأنه عندما يجد الرجل والمرأة أنه أصبح لديهما الانسجام العقلي والروحي بجانب الانسجام الجسدي ، فإنه ينبغي أن تجمعهما رابطة على مستوى النفس والجسد ، وأيضاً على مستوى العقل والروح وإلا كانا غير روحيين . .

ثم يقول إن عدداً من الأمور التي تبدو لنا خلقية تبدو لهم غير خلقية على الإطلاق . وإن كل حياة جنسية ، سواء أسبقها زواج أم لم يسبقها ، غير خلقية ما دامت بغير حب ولا تختلف في نظارهم عن الشهوة وما هو أسوأ من الشهوة من أمور . فالزواج ينبغي أن يكون « ارتباط الحب » ، ولا شيء يصنع هذا الارتباط سوى الحب .

هذه هي في سطور وجهة النظر الكوكبية عن الحب والزواج . فبقارن ذلك بآرائنا الفجة المفتونة عن الزواج والمباشرة الجنسية وسائل بعدئذ نفسك : أى وجهتي النظر هاتين الأرضية أم الكوكبية أصح وأجمل ؟ فإن هذا التساؤل سيمنح آلافاً ممن يقرأون هذه الكلمات فرصة البحث لا في موقفهم من الحب والزواج لحسب بل في موقف ضمائرهم منهما أيضاً . ولاني أعتقد أنه من الملائم لنا أن نتزود من آن لآخر لا بالحياة بل بالحب أيضاً .

ال عاطفة

وفي الفصل السابع عشر يتحدث المؤلف عن العاطفة قائلاً إنها هي

القوة المحركة للحب ، وذلك لا يتضمن لحسب التفاصيل الفسيولوجية لأدوات التعبير عن العاطفة وهي « أجسادنا » بل أيضاً التفاصيل النفسية ، ولن ننظر لحسب إلى عملية الحب بل إلى العقل السكام وراء هذه العملية عند الاتصالات المختلفة بين العقل والجسد ، ومعها مشكلة « الضبط المتبادل ، وستؤمل أيضاً أن نجد جواباً لهذا السؤال وهو « لماذا تفشل الزيجات الأرضية ؟ »

ويمكننا أن نجد الجواب لحسب عندما ندين الفارق العجيب بين الأسلوب الأرضى فى النظر إلى الحب والعاطفة ، والأسلوب السماوى ، إذا كنا مصرين على تسمية العالم التالى بأنه « عالم السماء » ، رغم أنها ليست تسمية صحيحة من أى وجه ، لأنه حتى فى الجانب الآخر من « الموت » لا تزال للحب مشكلاته ، ولم يتقدم الخالدون أنفسهم سوى خطوة واحدة أكثر منا فى حل مشكلاتهم ، حتى وإن كانت هذه الخطوة حاسمة .

فعلينا أن نفهم معنى العاطفة قبل أن نبدأ فى العثور على أجوبة لاستئنا ، هذه الكلمة التى هى وراء الكثير من أمور حياتنا حتى فى عالمنا ، وسواء أكانت عاطفة للحب أم للكراهية إتنا نتحدث دراماً فى عالمنا الأرضى عن « عاطفة الساعات » ، و « عاطفة العمر » ، و « عاطفة الموت » ، محتفظين للتعبير الأخير بنوع من الجوانب الأكثر من غيرها عمقاً وغموضاً فى معتقداتنا الدينية ، ومقرين بالتالى أنه يكمن وراء كل حياة وكل موت هذا الشيء ذو القوة المراوغة الذى نسميه العاطفة .

وبعد مضى سنوات كثيرة من الاتصال بالعالم الذى يلى الموت « وصلت » إلى نتيجة ، وهى أن الكوكبيين أو « الخالدين » يؤمنون بما ذكرته آنفاً . ولا يمكن أن يجرؤ إنسان على القول بأنه يعرف أو أن بمقدوره أن يعرف كل وجه من وجوه أفسارهم أو عواطفهم ، لأن المحدود لا يمكنه أن

يسرغور غير المحدود ، حتى ولو كان هذا الغير المحدود مسوراً بدوره بأسوار منيعة بحسب معادلة أينشتاين عن الفضاء ، لأن العالم الغير المحدود الذى يعرفه الكوكبيون ما هو سوى امتداد ضئيل لفكرة المكان والزمان التى تسود أرضنا ذات الأبعاد الثلاثة .

والعالم الكوكبي يقسم العاطفة تقسيماً أساسياً إلى ثلاثة أقسام : عاطفة الجسد ، وعاطفة العقل ، وعاطفة الروح ، أو بعبارة أخرى يعرف العاطفة الجسدية ، والعقلية والروحية . وهم إذ يفعلون ذلك — يرفض قادة الرأى فيهم أن يضعوا أى حد فاصل بين الممالك الثلاثة وهى مملكة الجسد والعقل والروح ، لأنهم يعلون أن كل واحدة منها تشكل جزءاً من الاثنين الآخرين .

ونحن سكان الأرض ما زلنا نتعثر فى آراء خاطئة وأساطير عن الكبت تجعلنا نخجل من الجانب الجسدى فى العاطفة . ومنذ جيلين كنا نخفى رؤوسنا عندما نتحدث عن العاطفة الجنسية ، وكنا نأبى أن نعرف أولادنا شيئاً عن « حقائق الحياة » ، كما كنا نسلك سلوكاً غيباً فى شأن أمور الحياة والموت هذه . . .

أما الكوكبيون ، الذين يعالجون الأمور على أساس روحى يجهله الإنسان فى رداءه اللحمى ، فهم ينظرون دوماً إلى الجانب الجسدى فى الجنس والعاطفة بهدوء مقترن بهذا الإحساس العقلى الذى بدونه لا يوجد شيء ذو قيمة . ودعونا نلقى نظرة إلى رأى العالم الآخر فى العاطفة ، وهو نفس الرأى الذى سيكون يوماً ما رأينا عندما نصل إلى ذلك العالم ، والذى بدأنا نعرفه لأول مرة فى التطور ، حتى فى هذا العالم الأرضى الذى عرفنا أخيراً أنه ليس أكثر من مدرسة تعدنا لعالم الروح .

دعونا ابتداءً ننظر إلى الحقائق النفسية عن الجسد الإنسانى ، ونفس الحقائق عن العقل الإنسانى كما يراها الكوكبيون ، هؤلاء الكوكبيون

الذى يطلق عالمنا عليهم بجمالة وصف أشباح . وكما أفضل ذلك ساقم مقتطفات من محاضرة شفوية عامة ألقاها مفكر من العالم الكوكبي من على منصة قاعة كاستون Caxton Hall ضمن سلسلة من محاضرات عن « الحياة بعد الموت » ، عالجت فكرة الحب بعد الموت بطريقة ضمنية .

فأنا أذكر أنه بدأ محاضراته بأن قال المستمعين المذهولين هذه العبارة التي سمعتها يوماً من أحد اليوجيين وهي : لماذا لا تعلمون أنكم تحيون ؟ إنكم لا تعرفون حتى كيف تصلون إلى اهتزازات العوالم الثلاثة التي تحيون فيها في وقت واحد . ثم استطرد إلى شرح كيف أن كل واحد منا يحوز بداخله ابتداء اهتزاز المادة منبعثاً من الجسد اللحمي الذي يغلف الروح ، وثانياً اهتزاز العالم الكوكبي منبعثاً من الجسد الأثيري ، أو إذا شئت من الشبح الذي يغادر الجسد اللحمي عند الوفاة كيما يحصل على مقره في المستوى الكوكبي ، وأخير نحن نحوز الاهتزاز الروحي الذي هو أعلاها كلها والذي نحوزه لأننا خالدون ، أو بعبارة أخرى لأننا قانون ذوو أرواح Souls .

« إنكم تعلمون إمكانيات الأمواج الضوئية واللاسلكية ولكن ماذا تعرفون عن الأمواج الأثيرية ذات التردد العالي ؟ إنكم تعرفون الأشعة دون الحمراء وفوق البنفسجية ، ولكن ماذا تعرفون عن إشعاعات الاهتزاز المتداخل بعضها في البعض الآخر ، ؟

وكان العالم الشبح يعني بهذه العبارات التساؤل عما نعرفه عن إمكانيات أجسادنا الخاصة التي هي عبارة عن بطاريات كهربية ، أو إذا شئت محطات لاسلكية تنبعث منها على الدوام إشعاعات غير منظورة متعددة الصيغ والأشكال ؟ أو هي عبارة عن هالات قطبية تتقاطع فيما بينها وتتمدد ، هالات يمكن أن يشاهدها ذوو الجلاء البصري وتسجلها جريماً أجهزتنا الكهربية المادية (١) .

(١) راجع ما سبق في الجزء الأول ص ٤٤٠ - ٤٤٧ من المقالة وتصويرها بأجهزة مادية .

ولا تبدى هذه الحالة أبداً مثل هذا التقاطع والتعدد ولا مثل هذا لإشراق الذى ينبعث منها عندما يقع صاحبها فى الحب . و « عملية الحب » تستثير أكثر ما فيها من إشراق ، وذلك يبين بوضوح تام أهمية هذه العملية فى كل صورها ... والمقابل لذلك هو ما يشاهد من إشراق ذكور الطيور فى موسم التزاوج .

وفى لحظات الحب العميق عندما يرتفع الرجل أو المرأة فوق نفسه أو فوق نفسها خارج هذا العالم الأرضى ويلبس العوالم السماوية ، وهى كثيرة ، فإن الصلة أو القنطرة تنشأ عن طريق الإشعاعات أو الأمواج الاهتزازية ذات التردد العالى ، وليس فى ذلك أى تخمين ، بل هذه هى المعلومات العامة فى العلوم ، كما وضعها « المرشد الشبح » فى محاضراته عندما قال : « إنه من الممكن لمحنة الجسد اللاسلكية أن تضبط نفسها مع أطوال الموجات ذات التردد العالى المنبعثة من اهتزازات العالم الكوكبى ، والتى تتخلل هذا العالم كما يرتفع بنفسه فى العالم الروحى الأسفى ، وبالتالى يلبس الاهتزازات السكاملة المنبعثة من مركز النواة الموجودة داخل الثمرة ، والتى لا تخرج من الخارج ... »

وبعد أن استعرض دزموند فقرات أخرى من محاضرة هذا المحاضر الكوكبى ، فى الاهتزازات المنبعثة منا ، وأثرها فى تكييف الصلات بين الناس ، يقول إن هذا المحاضر استطرد قائلاً : عندما تقترب من إنسان تقول أحياناً « إنى لا أحب هذا الشخص » ، ولا أعلم لماذا برغم أنه يبدو على مايرام ، ولكنى شعرت بعدم الميل إليه ، ، فبحسب الظاهر لا يوجد أى سبب منطقى لعدم الميل هذا ، ولكن يوجد سبب مخبوء .

كذلك الشأن عندما يكون الاهتزاز المنبعث من رجل ما أو من امرأة أعلى فى طول موجته أو أدنى من الاهتزاز الصادر من الشخص الآخر ، فيحصل تصادم بين طول الموجتين المنبعثتين عن الهاتين ، وبالتالى عدم انسجام بين اهتزازاتهما ... ونفس القانون يحكم الميل المبالغت للآخرين ،

عندما تكون الاهتزازات على نفس طول الموجة ، أى على نفس مستوى السرعة ، وعندما يجد الشبيه شبيهه يشعر بالتعاطف نحوه سواء أكان رجلاً أم امرأة ، وفي الحالات المتطرفة يحدث « الوقوع في الحب » ، فالعاطفة ليست سوى ضبط للاهتزازات ، وعندما تكون الاهتزازات ذات تردد عال تصبح العاطفة أشد اشتعالاً .

وبالتالى فإن قانون الحب يمكن أن يعرف بوصفه قانون التجاذب بين جسمين لهما نفس مستوى التردد أو سرعة الاهتزاز ، التى تنصهر أو تتلاشى خلال حرارة طول الموجة الأخرى وسرعتها ، وخصوصاً تماثلها . فيجد كل منهما فى الآخر متعة الوحيدة ورضاءه . وهو ما يمكن للحب المشتعل وحده أن يعطيه للأدميين طالما كانوا لايزالون مقيدين بوثاق الجسد .

وإذا كان هذا هو الأساس الفيزيقي ، والفيزيقي - الروحى للعاطفة ، فإذا نحن قائلون عن الأساسين الآخرين للعاطفة وهما العقل والروح ، لأن الكوكبيين يقولون لنا إن كل عاطفة سعيدة تقوم على أسس مثلثة من الجسد والعقل والروح ، وهذه هى العاطفة المجدية التى تقع على النقيض من العاطفة الغير السعيدة وغير المجدية التى غالباً ما تمثل على الأرض تجربتنا الوحيدة فى الحياة .

العقل والروح فى العاطفة

وفى الفصل التالى يعالج المؤلف موضوع « العقل والروح فى العاطفة » ، قائلاً إن العاطفة فى جملتها عبارة عن « بطارية كهربية ، مركبة من ثلاثة أشياء : وهى الجسد والعقل والروح . فالجسد من السهل أن نراه وأن نعرفه ، فلدينا كلنا أجساد مادية ، وعلة إجذاب الحب وخداعه واختفائه فى الأرض هى أننا غالباً ما ننظر إلى الجسد الفيزيقي بوصفه أداة الحب الوحيدة مع أن هذه النظرة تمثل مصرع الحب .

فبعض الأحيان يبدو لنا أن الجسد يمثل للحب مطيته ، ولكن ينبغي

أن تكون هناك قوة محرك وراء الجسد تدفعه للعمل المستمر بدونها يصبح
الاجدوى منه، شأنه شأن السيارة عندما تصبح عديمة الجدوى ما لم يكن فيها
الوقود الذى يمكنها من أن تؤدي وظيفتها . فالآلة لا يمكنها وحدها أن تحرك
العربة ما لم يغذيها الوقود .

وهذا الوقود تقابله هنا قوة العقل ، فبدون العقل لا يوجد شيء ...
فما هو العقل ؟ هو في عبارة مبسطة التخيل الذى يمكن الرجل وشريكته
المرأة من أن يتوسلا أو ينضرا خارجاً إلى العالم اللانهائى ، ولا ينبغي
أن يختلط العقل بالمخ الذى هو جزء من الجسد ، والذى ليس أكثر
من آلة (١) .

فالتخيل أو العقل هو الذى يعطى للفن الحب قوته المحركة ، وكل رجل
وامرأة منا جميعنا قد ألف الحقيقة التى لا تقبل التحدى ، وهى أنه ما لم تكن
هقولنا قادرة على أن تناشد صورة المحبوب وتتوسل إليها أن تمنحها المباح
التي تخفيها عنها فإن عملية الحب تصبح عبارة عن زاب ورماد في فم الشهوة .
وكم من الرجال والنساء المتزوجين غير السعداء لم يرغب عنهم ذلك الإحساس ،
فراحوا يحاولون عبثاً أن يتخيلوا في عملية الحب أن بين ذراعيهم شخصاً
آخر يحبونه جيداً غير الشخص الموجود فعلاً !

والحب هو الذى يحقق مناهج كهنه روحية وعقلية وجسدية بقدر
ما يمكنه من أن يتوسل خلال التخيل الخالق ، فالأفكار أشياء ...

إن الرجل والمرأة عندما يندفعان نحو انتقال الحب ، الذى نصفه
بالعاطفة ، ويبحثان غير واعيين عن الاندماج الأكمل للروح قد ينجعان
مماً في اندماج الجسد والعقل عن طريق قوة المتعة الخالقة التى قد يحققها هذا
الاندماج ، ومع ذلك يظلان باحثين غير واعيين عن اندماج للروح أتم

(١) راجع في هذا الشأن الجزء الأول من ١٧٧ — ١٧٩ ، ١٨٣ و ٣٥١ — ٣٥٥ .

وأعمق فلا يعثران عليه ، ولسنا نتفرع في ذلك بنظرية ما ، بل نستند إلى حقيقة لمستها في عملية الحب الكائنات الإنسانية المتطورة الراقية ، فلسنا نتحدث هنا عن أروئك الذين تجمعهم رقة الحيوانات ، فما الذي يعوزهما ؟

يعوزهما تاج الحب والعاطفة ، وهو ذلك الشيء الذي لا يلبس والذي نسميه الروح . فبدون العنصر الروحي ، تصبح عملية الحب في أية صورة لها طبعاً أجوف وصنفاً يرن ، أو أوركسترا قبيحة للعواطف لا قائم لها ، فما هي هذه الروح ؟ إنها لا تقبل التعريف كالرجح التي تهب حينما تشاء ، ولا يمكن العثور عليها عن طريق الإرادة ولا عن طريق البحث ، بل يمكنها لحسب أن تجيء إلينا رجالاً ونساء عندما لا نفكر فيها ولا نتوقعها ، حتى وإن كنا نريدها ... فهي تهب حينما تشاء ، وتلفح العادل وغير العادل ، والفقير ، بل ربما الغني أيضاً ، ويصح أن يعد الإنسان نفسه لها ، ولكن لا يمكن أن يخطط لها مقدماً .

وكل ما نعرفه عن روح الحب هذه هو أننا عندما نحوزها نشعر بها . وإذا كان الرجل والمرأة الراقيان يشتركان في عملية الحب بدون ذلك الشيء الذي يسرى خلالها ، والذي لا يمكن تعريفه ، فإنما هما يفعلان ما يستحق الحجل والأسى ... فالروح هي الشعلة التي يمكنها أن تؤدي وحدها إلى اندماج العقل والجسد بين المحبين .

بل إن الصلاة نفسها يتوقف نجاحها على الطريقة التي بها نحسن استخدام قوس الصلاة بالروح ، وبشقيق الروح الوفي وهو الإيمان ، هذا الإيمان الذي هو جوهر كل عاطفة سعيدة ، لأنني لست أتحدث عن العاطفة غير السعيدة ، فلا الصلاة ولا العاطفة يمكن أن يبنى تخطيطهما مقدماً . بل يمكن لحسب أن يتمنهما الإنسان ، وفي الأمانة تكون الصلاة ١ .

وفي الواقع سواء في الحياة العادية غير العاطفية ، أم في حياة الحب العاطفية ، فإن الإنسان الحكيم لا يخطط مقدماً ، لأن التخطيط من عمل

الأطفال ، وبدلاً من التخطيط يحتفظ الرجل الحكيم والمرأة الحكيمة بالتخيل حراً ومبتدعاً ، فيحقق أيهما في لحظة أكثر مما تقدر على تحقيقه سنوات من التخطيط الحذر غير المتحرر ...

وهكذا نجد أنه ما لم يحمل الحب إلى فراش الزوجية وإلى الحياة الزوجية سعادة الجسد والعقل والروح فلا يمكن أن يحقق ثماره ، وتصبح ثمار الحب مرة في الفم دائماً . ودائماً يبحث ارتباط الجسد والعقل — بلا جدوى — عن الارتباط المثلث ، وهو ارتباط الجسد والعقل والروح ، وعندما يتحقق ذلك تفتح البهجة أبوابها ...

وإني أعتقد أن كل ذلك يعرفه الكوكبيون ، أولئك القانون الذين لا مسوا الخلود . كما قد يشعر الطفل الراقص في غرفته المظلمة بملامسة جناح ملاك يطوف به . وهكذا نحن القانون نرقص في غرفتنا الأرضية المظلمة ، ولكن هالاتنا ترتفع إلى الكواكب ، وقد نسمع من آن لآخر صدى أصوات الملائكة وهي ترفرف بأجنحتها ، ونعرف في هذه اللحظة السعيدة أن حبنا يصنع منا نسيج الخلود ، وأتينا في تلك الحياة الأخرى سنفهم الآخرين بقدر ما يفهموننا ، كيفما كانت هذه الحياة وأينما كانت .

الفكر والجمال والموت

وفي الفصل العشرين يعالج المؤلف موضوع « الفكر والجمال والموت » ، قائلاً إن الموت نفسه سواء بالنسبة للأجساد المادية أو الأثيرية مجرد تغير في الاهتزاز . فعندما يتحرر الجسد الأثيري من محارته الفيزيائية فذلك سببه أن اهتزازاته — بسبب اقترابها مما اعتدنا أن نصفه خطأ بالموت — وصلت إلى سرعة عالية إلى حد أن المحارة الفيزيائية للجسد لم تعد قادرة على احتوائه ، ويتعين عليها أن تطلق سراحه .

وهذا الانطلاق لا يحدث عند توقف نبضات القلب ، بل بعد بضعة أيام لاحقة يسافر بعدها الجسد الأثيري بسرعة الضوء إلى مسكنه الأثيري

يجذبه إليه قانون طبيعي مقتضاه أن كل شيء منجذب إلى شبيهه ، سواء في دنيا الاهتزاز أم في دنيا الحب ، وكل حب صلة اهتزازية ...

إن الجسد دائماً — لا أحياناً — انعكاس صادق لعقل صاحبه ولروحه فالأفكار الجميلة تصنع وجوهاً جميلة ، بل وأجساداً جميلة كما بدأنا نجد في « رياضة العلاج الروحي »^(١) . وتغيرات الجسد والروح يمكن أن تستمر من الولادة إلى الوفاة ، وبمقدورنا إذا شئنا أن نصير أكثر جمالاً حتى الموت ، لأن العمر خرافة ... فليذكر كل واحد منا أن كل فكرة تمر خلال شبكية المخ تغير تعبيرات الجسد إلى ما هو أكثر رقة أو نظافة . وأصحاب العقول الفظة من الرجال والنساء سيحصلون مع الوقت على وجوه فظة ، وبعد وقت قصير على أجسام فظة أيضاً .

ولو أن هؤلاء النساء التعيسات المضطربات اللائي يمضين الساعات من كل يوم في وضع الأصباغ والمساحيق على أجسادهن التعيسة بذان عشر هذا الوقت في الأفكار الرفيعة وفي شرب الماء النقي ، وفي الرياضة التي جعلت من نساء أثينا أجمل نساء العالم ، لآخذن العجب ، ولآخذن العجب من حولهن عندما يصبحن نساء جديديات بكل معنى الكلمة . .

وفما يتعلق بالجسد الأثيري ، فإننا نعلم من الملاحظة المباشرة في المعمل الروحي ، وفي غيره أن « الأثيريين » (أى الأرواح) لديهم القدرة حتى على أن يتشكلوا في العمر الذي يريدونه ، وأن يرتدوا أية ملابس أثيرية يرغبون فيها ، وبوجه عام يمكنهم بالفسكر أن يضيفوا ذراعاً إلى قامتهم إذا شاءوا . ومنذ ساعات قليلة من كتابة هذه الكلمات ظهر صديق لي توفي بالسرطان بعد بضع ساعات فقط من وفاته ، وعلى بعد مئات فقط من الياقات من منزله ، مرتدياً كما عهدناه زيه الخاص القديم وتحدث إلى صديقي له بكلمات واضحة كأي صوت أَرْضَى قائلاً كل شيء على مايرام بالنسبة لي ، كل شيء

على مايرام ، عندما ظهر بنفس العمر والمظهر والملابس التي عرفناه بها في الحياة .

وفي المعتاد يظهر الإنسان الأثيرى — أو كما نسميه الشبح — في مظهر العمر والملابس التي يمكننا أن نتعرف عليه بها . كما أخبرت أنه في الجانب الآخر من الموت ، يظهر الأثيريون عادة بظهر من لم يتجاوز الثلاثين من العمر ؛ مهما كان العمر الذي كانوا عليه عندما تخلوا عن أجسادهم المادية ، وسواء أتخلوا عنها عندما كانوا أطفالاً أم شبوفاً .

كما ينبغي أن نقرر استناداً إلى البيانات التي حصلنا عليها عن طريق وسطاء كبار خلال نصف قرن بالآقل ، أن الأطفال يكبرون في المستوى الكوكبي ، وأنه في الأجواء المنخفضة « للمستوى الكوكبي الثالث ، يولد الأطفال ، ولكن بغير الطريقة التي يولدون بها هنا ، وأنه بمقدور النساء والرجال أن يحملوا معهم مظهر العمر عندما يتقدمون نحو الموت الكوكبي الذي يحرزهم بدورهم إلى مستويات أعلى ، كما يفعل الموت الفيزيقي عندما يحررنا إلى المستوى الكوكبي . لأن الموت من خصائص الحياة والحب سواء هنا أم هناك . ولكن على المستوى الكوكبي يقابلونه بالمرح كأسمع تحرر إلى حالات أسنى من الوعي .

ولا يفقد الكوكبيون القدرة على النظر إلى أعزائهم الذين انتقلوا عن طريق الموت الكوكبي إلى الممالك العليا من العالم الكوكبي ، بل تبقى الأبواب مفتوحة دائماً ، هذه الأبواب التي بدأنا الآن فقط في فتحها على هذه الأرض المتشككة . وفي العالم الكوكبي يحيا الحب بعد الانتقال كما يحيا هنا . والعاشق الذي تقدم إلى مستوى أعلى من الوجود يظل يترقب وصول المعشوق الذي تركه — أو تركها — خلفه على المستوى الكوكبي المنخفض .

ولا يوجد فارق آخر بين حياة الحب على المستوى الكوكبي عن مثيلتها على الأرض ، ولا بين الموت الكوكبي عن مثيله على الأرض ، وهو أن

الحجب بين العوالم السكونية الدنيا والعليا مرفوعة دائماً ، أو بالافل شفاقة مهلمة ، وهى الآن فى عصر برج الدلو هذا آخذة فى الارتفاع بين الأرض والحياة السكونية على كوكبنا . فالاتصال الحر ، وفى أى وقت ، موجود بين المستويات السكونية ، رغم أنه توجد قنرات — فيما أعتقد — يكون فيها على الكائنات الأعلى اهتزازاً أن تزدوى للراحة والتأمل ، حتى عن أحبائها ممن يقيمون فى المستوى الأثقل اهتزازاً ...

الموت نوم ونسيان . فهوم نوم مؤقت حتى يتأقلم الجسد الأثيرى الذى تحرر حديثاً من الأرض عن طريق نوع من الميلاد السماوى ، وهو نسيان بمعنى أن الروح المتقدمة تواجه عن طريق مذهبولا من مشاعر جديدة ، وحيرة إزاء إمكانيات جديدة ، وبقينا بأن ما قابلته الروح على الأرض من صور الفشل وخيبة الأمل ستصبح الآن — فى انطلاقة الزمن — الطريق إلى السماء ، وبذلك ينسى القادم الجديد مع مرور الوقت تعاسات الأرض وتقاهاتها .

أما الشيء الوحيد الذى لن ينساه أبداً الرجل أو المرأة القادمان إلى هناك فهو الشخص المحبوب الذى تركه أيهما خلفه . فهذه هى نشوة الموت بغير أن نخشى الخطأ . وهذه هى الذكرى السعيدة للوجود السكونى الجديد التى تظل أبداً بين توأهم الروح عندما يرجع خط الحياة إلى الوراء فى الأيام الخاليات . وهذا هو نجم المشرق الذى يقود الحب فى المستقبل بغير حدود — هذا المستقبل غير المهدد بخوف ولا ياذلال .

فن العشق

وفى الفصل الواحد والعشرين يعالج المؤلف « فن العشق » ، قائلاً : « نحن نعددهن نشوة الموت إلى نشوة الحب ، فإن فن العشق يقدره السكونيون ، ويقدرون فيه أسنى الفنون كلها ، لأنه الفن الذى به نحيا لسبيين : أولهما طارىء بالنسبة لتكوينهم « الفيزيقي » ، والعقلي ، وتانيهما لأنه بسبب هذا الفن يتحملون الآلام غير المحدودة التى تربط بينها وبين العبقريّة . وعندما أتحدث عن العشق

في الفصل الحالى فإنما أتحدث، عن العشق الروحى، وأيضاً عن العشق
فى المعنى الجسدى الخالص .

و لا أحدث، عن الأخير أولاً ، فأقول إن الكوكبيين — الذين سنلحق
بصفوفهم يوماً ما بعد موت الجسد الارضى — يحيون خلال حياتهم برمتها
على المستوى الروحى بالحب وبالحب وحده . ولست أقول إنه لا توجد
كراهية فى ذلك « المستوى الثالث » — وهو عالم واحد من عوالم أخرى
لا تخصى — تذهب إليه الغالبية منا نحن الأرضيين عند الانفصال عن المحارة
الأرضية، إذ أننا تنقل معنا إلى هناك كل عواطفنا من حب وكراهية. ولكن
الحب على المستوى السماوى شريعة الحياة، شريعة علينا أن نطبقها تطبيقاً
ضمنياً أو صريحاً، بينما نخرج عليها فى عالمنا الارضى كما نحب فى الكراهية
على نطاق واسع جداً .

ولكن الإنسان الكوكبى يدرك دائماً ضرر الكراهية وعجزها، وهو
ما ندركه نحن أيضاً — مغلفين بالجسد — من آن لآخر . ونحن نربط بين
الجنس والمتعة، كما نربط بين المتعة والخطيئة . وفى الحقيقة نحن نتحدث فى
قانون الطبيعة الاسمى الخاص ببقاء الأنواع عندما نبرر الجنس، وهكذا نبرر
على أسس نفعية صرف، كما لو كان موضوع العشق ليس موضوعاً للحب بل
للأطفال، وليس موضوعاً للخلق بل للتكاثر، وهكذا نبرىء غائق الحب
والجنس كما نبرىء أنفسنا أيضاً .

أما حياة الإنسان الكوكبى فهى حياة الحب مستخدمين هذا التعبير
بمعنى أوسع بكثير من الجنس . ومع ذلك فإن الحب الجسدى يلعب هناك كما
يلعب هنا دوراً أساسياً بل جديراً . فالإنسان الكوكبى بالأقل لا يسخر
من الجنس، ولا ينظر إليه كشئ غير حميد تماماً — يطوى جملة معان للخطايا
واللخطة، كما نفعل نحن كثيراً على الأرض .

والسبب الثانى الذى يدعو الكوكبيين أو « السماريين »، لأن يقدرُوا فن

العشق هو أنهم يحبون في الجسد الأثيرى — لافى المحارة الغليظة الفيزيقية — وذلك يجعلهم أكثر إحساساً منا بكثير بالحب وبما يقتضيه . ولأدأخطىء . إذ أقول إن انفعال العشاق على المستوى الكوكبى أعمق وأرق من محاولتنا فى أقدم الفنون الأرضية ، بمقدار المسافة بين محاولتنا الأرضية فى عمقها وورقتها وبين محاولات الحيوانات السفلى .

وكل طفل كوكبى يعلم منذ ولادته أن الحب فى شتى صورته هو سيد الحياة ، ويعلم كل شيء عن الحب ، وأن العشاق جميل ، وأن الجسد الأثيرى له جماله الخاص شأنه فى ذلك شأن العقل والروح اللذين يحملهما ، وأن الله وراء كل شيء وقد أعطانا هذه الأشياء كيما نستخدمها فى سبيل صحتنا ورضائنا وفى سبيل مجده . . . وفى هذا الشأن وحده يوجد فارق حيرى بين تعاليم الحب التى تعطى لأطفال الأرض وتلك التى تعطى لأطفال السماء .

وحياة الحب على الأرض نحيها بحكومة بسلسلة من الطقوس ، أما حياة الحب فى السماء فهى الحرية الكاملة التى تحدث عنها المسيح وعاش بنفسه فيها فالمسيح لم يكن داعية تبثل ، ولم يهمس حرفاً عن التبتل فى كل أقواله المدونة بوصفه طريقاً مرغوباً فيه . وما نادى به فهو ضبط النفس وهو ذلك التحكم فى الحب وفى الحياة الذى يمكنه وحده أن يظهر جمال كليهما . وهو لم يتزوج ولم يعشق فى المعنى الجنسى لهذه الكلمة لأن سادة الحياة والحب يجدون رضاهم الكامل فى اعتراجات للعقل وللروح أرفع من هذا الجسد الفج .

وكان يعلم قبل كل شيء أن الشهوانية والتبتل — الأمران المتناقضان بحسب الظاهر — هما العدوان للروح ، ومع ذلك فهما — كما يعلم كل فسيولوجى معاصر — وجهان لشيء واحد . فهناك شهوانية للتبتل تقود إلى انحلالات للروح تقابل انحلالات الجسد . وهناك أيضاً جمال روحى ، للاستخدام ، بغير إساءة لجميع ملكاتنا يقارن بما فى التحقيق والتنفيذ من جمال روحى . وعندما تتعلم أرضنا ذلك تكون قد قطعت نصف الطريق إلى السماء .

فأبفض منظرين على أرضنا : هما منظر الناسك الذى يعذب نفسه من جانب ، المشغول الآخر مدى بروحه الصغيرة المعذبة ، والذى يؤدب جسده ويمسح عقله فى محاولته لأن يقتطع نفسه من الدنيا ومن تلك الحياة التى يدونها ما كانت لتوجد حياة ، ومن جانب آخر هو منظر الإباحى الذى يفترس جسده وروحه معاً فى سعيه لأن يجد متعته فى الإشباع والاختلاط المائج ...

وقد قال السكوكيون لنا خلال الخمسين السنة الأخيرة من الاتصال بالأرواح مراراً وتكراراً ، نحن الأرضيين ما نرفض الإصغاء إليه وهو أنه ليس بالإشباع السريع للجسد النهم ندخل إلى ملكة الحب ، بل بالاعتدال وضبط النفس . وأن التودد الاثيرى ينبغى أن يسبق التودد إلى الجسد ، وأن سعادة الجسد ليست إلا مقابل يدعو للأسمى لسعادة الروح التى لا تتم إلا باختيار الجنس الإنسانى ..

وإذا كان لديهم شئ آخر يقولونه لنا فهو أننا ما لم نتحقق من أن الرجال والنساء أرواح عائدة معتقلة مؤقتاً فى أجسادها فلن نفهم أبداً فى العشق وهدفه حتى العشق الجسدى . وأن أول سعادة عابرة للقاء هؤلاء العشاق لا ينبغى أن يعوقها عائق حسابى ، ومع ذلك فهناك كما يقول السكوكيون فن للحب كما يوجد فن لكل شئ رفيع فى الحياة . وأن الطريقة التى يتبادل بها اثنان عواطفهما ذات أهمية حيوية ، ففى جنون الحب ينبغى أن يتوافر أيضاً طريقة للحب

نعمه بـ اثيرة

وفى الفصل الثانى والعشرين يقرر المؤلف أن الحب بين الرجل والمرأة مشكلة مركبة لانهاية لها ، ونحن نعرف عنها أقل مما نعرف عن المشكلات الأخرى للحياة . وهى غالباً مشكلة للبوت أكثر منها مشكلة للحياة . وكيف

كان الأمر فإن الحب هو القنطرة بين الحياة والموت ، قنطرة لا يقدر على عبورها إلا أولئك الذين عرفوا الطريق إلى الحب . وهو القنطرة الوحيدة بين البرزخ الذى يفصل ذلك الجزء من كل واحد منا الذى يتجسد على الأرض عن نفسه الآخر ، الذى قد يكون على الجانب الآخر من حجاب الموت . . . أى من توأم الروح الذى هو أنت وأنا ، أو النصف الذكر أو الأنثى بحسب الأحوال ، وفى ذلك يكمن لغز .

فعشاق الأرض يجتازون عدة قناطر من حياة إلى حياة ، لأنهم يعودون ثانية وثانية إلى الأرض كيما يتعلمون دروسهم (إذ المؤلف من المعتقدين الجازمين بالعودة المتكررة إلى التجسد الأرضى) إما فرادى وإما مجتمعين . فإذا ما عثر الإنسان فى مرة من مرات تجسده المتعددة على توأم الروح كان ذلك مفاجأة غير متوقعة شأنها شأن كل الهبات الحلوة التى يهبها الله لنا ، وذلك قد يحدث عندما يتجسد كلاهما على الأرض فى وقت واحد . ويحاول العالم الكوكبي الآن أن يحقق هذا التجسد للعشاق فى وقت واحد .

والمأساة فى الزواج تحدث فى عالمنا - أساساً - بسبب أننا قلنا نعود إلى الأرض فى نفس الوقت مع توأمنا فى الروح ، لأن لكل واحد منا توأم للروح ينتظره إما على هذا الجانب من القبر وإما على الجانب الآخر ، وفى النهاية يعثر كل منا على الآخر دائماً .

وما ، الوقوع فى الحب ، الذى هو الأنشودة الرئيسية منذ أبعد الأزمنة للشاعر والفيلسوف وللقصصى ؟ إننا يمكننا أن ننظر إليه خلال العيون الكوكبية ، وبالتالي لعلمنا تتعلم لماذا يبدو غير مرض للأغلبية العظمى من الأرضيين . فمن منا ينكر أنه فى الحب الأرضى يكمن عادة من الآيين أكثر مما يكمن من النعيم ؟

وإحدى قصص الحب الكوكبية قصة المؤلف صلة شخصية يطلبها

وهي ليست مجرد حلم أو أحذوثة ، بل حقيقة واقعة . فنذ حوالى ثلاثة آلاف سنة كانت تعيش في مصر بجمار النيل أجمل الأميرات المصريات ، وكانت حلوة لأن عقلها كان حلواً كجسمها ، وكان هذا الجسم مشهوراً حتى في عصر أمنتب الثالث لفرط جماله ورقته .

وقد أحببت هذه الأميرة اقوى المصريين في أيامه ، ذلك الذى طالما نظرت أنا إلى تمثاله في المتحف البريطانى — وطالما اجتمعت به للذكرى — حيث يجلس هناك فى الحجر الأصم متمكناً قوة على نفس النحو الذى كان يعرف به فى مصر القديمة التى كانت جزءاً من رمال الصحراء . . .

وهذا المخلوق القوى المتلف على الانتصار على الحياة ، وأحياناً المتلف على الانتصار الأبل على الخطيئة والموت ، كما هو ربما الشأن بالنسبة لنا جميعنا ، وقع فى حب أجنبية عن الصحراء ، ولكن حبه لها كان حباً أرضياً كحب أغلب الذكور ، أى كان حباً وصورياً لإرضاء الجسد ، أكثر منه حباً للحب نفسه ، فكان شركة للجسد لا للروح .

وكانت هى تمثل جزءاً من خطته فى البحث عن القوة . أى كانت بالنسبة له شيئاً يكسبه الإنسان كما كان يريد هو أن يكسب معاركه ضد الشعوب والقبائل التى كان يخف إلى غزوها . . . وقد نسى هذا السياسى المحارب العظيم حبه لزوجته فى غمار حبه للقوة . وحب الرجل للمرأة ظل باهت لمحبة الله ، أما حب الرجل للقوة فهو أخط صور الحب الذى سرعان ما يحطمه الفساد ، كما يحطم الفساد حب الإنسان للثروة ، ولا يمكن أن يكون أسلوب الرجل مع جارية هو نفس أسلوبه مع الله

وهكذا فقد أميرته فى ذلك التجسد ، ولكن أثناء حياة بعد حياة . . . ظلت « أميرته » فى انتظاره على الجانب الآخر من الموت مترقبة أوبته كما يعد نفسه للعودة من نعيم السماء إلى جحيم الأرض . وأخيراً جاء اليوم الذى اجتمع فيه هناك . وهما الآن مجتمعان للأبد فى المستوى

الكوكبي الرابع ، ولكنهما على صلة بنا كما يساعدنا بمعلوماتهم الكوكبية الرفيعة .

وقد قام هذا الزوج من الأرواح -- الذى تكلم فى الحب وتزوج فى الخدمة -- بتقديم الدليل على دوام الحياة بعد الموت ومعها دوام الحب من حياة إلى حياة . وهو ما يمكن أن يشهد به علماء الآثار المصرية Egyptologists بالنظر إلى اللغة المصرية القديمة التى اتصلوا بنا عن طريقها كما يشهد بذلك رجال الأدب هنا . وقد ذكرت شطراً من قصة الحب الكوكبية هذه فى روايتى المصرية عن العودة للتجسد التى عنوانها « إيزيس المتجسدة » (١) فى صورة خيالية .

ولكن هناك أكثر من ذلك ، وهو أن هذه الأميرة نفسها سجلت -- خلال وساطة صديق من الأرضيين -- على أسطوانة جراموفون عبارة بعد أخرى باللغة المصرية القديمة وبلهجة الأسرة المالكة التى عاشت فى ظلها منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، وكان هذا التسجيل فى مقر جمعية راقية للبحث الروحى وتحت رقابة قاسية ، وقام بالترجمة عالم الآثار المصرية هوارد هيولم Howard Hulme ونشرت هذه الوقائع على العالم عدة مرات (٢) .

وإذا ذكر وصفاً شخصياً بمعرفة هذه السيدة العظيمة لمنزلها فى العالم الكوكبي وللحدائق وللزهور ، فقد قالت عن منزلها إنه من مادة أرق كثيراً من الطوب والملاط لأنها مادة أثيرية ، وأن بناءه قد تم بالعقل لا باليد . وأن أحد هذه المباني قد تم تشييده عن طريق أفكار المحبة المنبعثة من مجموعة عظمى من الأرواح كان عملها الخاص هو إراحة المريض وتعزيزه بالبأس على أرضنا . وأنه كان من ضمن هذه المجموعة اسم لا يمكن أن تنساه الأرض ولا السماء

وهو اسم الممرضة كافل Cavell التي قالت الاميرة إنها شاهدها أثناء العمل ...

وبما أننا لدينا الآن مواكب لا تنقطع من نساء ومن رجال من العلماء وغيرهم يشهدون لهذه الأمور بعضهم من سكان الجانب الآخر للقبر وبعضهم الآخر لا يزالون على الأرض فإنه من حقنا أن نضيق ذرعاً بأولئك المغالطين المتشككين «العلميين» الذين هم غالباً ليسوا علميين ، لأنهم ينكرون شهادة حواسهم الخاصة ...

بل إن العقول العلمية في نطاق البحث الروحي بدأت ترفض أن تضيّع وقتها بهباء عاماً بعد عام في مناقشات لجة فيما إذا كانت الحياة تبقى بعد الموت أم لا ، وفيما إذا كان يوجد حقيقة «عالم آخر» أم لا . وإن طلاب دراسة الحياة والحب يتجهون نفس الاتجاه ويرغبون في أن يحرروا أنفسهم من المناقشة التي لا تنتهي عن وقائع يمكن أن تخضع للاختبار ولتناول اليد شأنها في ذلك شأن حقائق العلوم الأخرى حتى المادية منها . وقصتنا في الحب الكوكبي ليست مجرد أحداث ، بل هي عبارة عن تسجيل كامل لحقيقة عاطفية ، وهي واحدة من مئات القصص .

وبما يستحق الذكر هنا أن وصول حقائق كهذه من العالم الأثيري أو من المستوى الثالث يتم إما عن طريق وساطة «الصوت المباشر» الذي قد يتم أحياناً في ضوء النهار ، وإما يتم أحياناً أخرى خلال حنجرة الوسيط الذي أصبح مساعداً للعالم الروحي .

الاتصال الكوكبي والمزود

وفي الفصل السادس والعشرين يعالج دزموند موضوع «الاتصال الكوكبي والميلاد» ، قائلاً إنه يعلم من مراسلين متعددين من العالم الكوكبي أن تجاربهم عن «رفقة الجسد والعقل» لا تتوقف وأنهم يعالجون استخدام الجسد الأثيري استخداماً حكيماً ، وأن أساس هذه المعالجة هو رابطة الذبذبة

الاهتزازية (أى اهتزاز الحالة وما قد ينبعث عنها من أضواء مختلفة^(١)) ،
وأنا عندما نعرف كيف نستخدمها فإن الصلات الزوجية ستقدم روحياً
والعكس بالعكس .

وقد أظهرت «أحاديثي» مع مرشدى المصرى (روحه المرشد رد كلاود ،
وهو فرعون قديم) أن الكوكبيين أكثر رقة منافى أحاسيسهم ، ولذا يشعرون
بالممتعة وبالآلام شعوراً أعمق بكثير منا . . . وإلى بين أولئك الذين يعتقدون
أننا حتى هنا فى الأرض بصدد بناء فردوس جديد - منذ الآن - وأرض جديدة
للروابط الزوجية و « لشركات المحبة » بين الأرواح المتطورة الراقية .

والآن ماذا يعنى ذلك الاتصال الكوكبى الفيزيقي المباشر ؟ إنه فيما أعتقد
تطويق وعناق متبادل للأجساد الأثيرية للعشاق ، فهو المقابل الفيزيقي
لعناق العقول والشخصيات فيه يجد كل عاشق فى رفيقه المكمل والنصف الآخر
له إذا كانت الطبيعة قد اختارت حقيقة كلا منهما للآخر . ولكن الاتصال
الفيزيقي هناك - كما فهمت من مراسلى الكوكبيين - ليس هو نفسه اتصال
الأجساد اللحمية على الأرض ، لأنه اتصال أثيرى لحسب . وهذا الاتصال
الأثيرى الكوكبى له مقابله على الأرض عندما تعرف الأجساد الأثيرية
للعشاق كيف تتلامس قبل أن تتلامس أجسادهم المادية . أما تلامس الأجساد
المادية قبل الأجساد الأثيرية - أى قبل أن يحدث الغزل الأثيرى أثره ،
فإنه يغلق الدائرة الكهربائية للحب كما تكون النتيجة هى الفصل وخيبة
الآمل !

وأعتقد أنه فى هذا الاتصال المتبادل للأجساد الأثيرية لعشاق
الكواكب تعمل بعض مراكو معينة منها كوصلات لقوى ليست فيزيقية
لحسب بل عقلية وروحية أيضاً . وهذه الموصلات هى المفاتيح التى تفتح
أبواب الروح وغيرها كما تكشف لمن يحملها عن كنوز لا يتوقعها ...
بل يقرر دزموند بأن «شركة الأرواح» هذه قد تنجب أطفالا كوكبيين

(١) راجع ما سبق فى الجزء الأول عن الحالة والجسد الأثيرى لى ص ٤٤٠ - ٤٥٥ .

ولا يمكنه بعد أن يعطى إجابة محددة عما إذا كان هذا الإنجاب يتم عن طريق الولادة كما هي الحال في أطفال الأرض ، بل كل ما يعمله على وجه التحديد هو أن الولادة هناك غير مؤلمة . وأنه لا يحدث أى تغيير فى شكل الأم فى فترة الحمل ، بل إن الحمل هناك روى أكثر منه مادي ، وأن فترة الحمل فى الراجح أطول كثيراً منها على الأرض لأنها متعلقة بحياة أكثر تطوراً من الحياة الأرضية^(١) .

كما يقرر أن جمال مواليد السماء يفوق كثيراً جمال مواليد الأرض خصوصاً بالنسبة لأولئك الذين لم يولدوا من قبل على الأرض ، وأنهم يأتون لأبائهم وأمهاتهم لأنهم من نفس مستوى اهتزازهم أو ترددهم ، ولذا فلا يوجد فى المستويات العليا هذا المنظر المألوف عندنا لأطفال يتشاجرون مع والديهم بمرارة أو لأسر متصدعة ، وفى الجملة لسكافة مظاهر التعاسة التى نعرفها أسرنا الأرضية .

ثم يتوجه باللوم إلى أولئك الرجال والنساء ذوى الخيال المحدود العاجزين عن تصور أى شئ خارج حدود تجاربهم الأرضية ، وكيف سيسخرون مما تقدم بغير أن يقوموا ببذل أية جهود لدراسة مشكلة مفرطة فى تعقدها ، بل هى عدة مشكلات فى الحقيقة . ولكن أولئك « الواقعيون الأرضيون » ، سيستيقظون يوماً فى العالم الكوكبي وسيعلمون أن أحلامنا اليومية عن الحب والزواج والأولاد هى حقائق أرضية لكن مقرها فى السماء . فنحن الأرضيون قد بدأنا منذ عهد قريب نحسب نعرف عن طريق « التخيل الخالق » الله الذى هو فى تحليله الأخير محبة .

نومس الألف

وفى الفصل الثامن والعشرين يعالج المؤلف موضوع « تلامس الأفكار »

(١) هذا رأى محل نقاش كبير بين الروحانيين . ولا ينبغي أن يفوتنا أن الأرواح تنهى من مناطق شتى من مستويات هذا الوجود غير المحدود بين كوكبية روحية وعقلية ، مما يضاعف مهنة البت فى رأى حاسم فى هذه النقطة وغيرها .

قائلاً ، بعد أن بين صور التلامس بين عشاق العالم الكوكبي ، إن هناك ابتداءً
صوراً أربع للتلامس وهي : —

أولاً : تلامس التردد غير الواعي لنداء الحب^(١) ، أو العثور على
التردد Vibration

ثانياً : الاختلاط الواعي لهاتين العاشقين العقليتين^(٢) ، يتبادلان خلاله
الترددات لا الأفكار .

ثالثاً : الاختلاط المتعمد العقول واللاهات^(٣) الذي يتضمن عنصراً
فيزيقياً بداخله .

رابعاً : العثور الواعي على تلامس الأجساد^(٤) في المرة الأولى ، إذ أن
هذه الأجساد أثيرية سواء هنا أم هناك . فالعاشق الأرضي له أيضاً جسده
الأثيري الذي يستخدمه في العشق كما يستخدم جسده المادي .

وبعد إتمام التلامس المبدئي العقلي الذي يتم عن طريق الحالة ، والذي
تصح تسميته بتلامس « الموجة القصيرة » أو المسافة البعيدة ، وأخيراً تلامس
« الموجة الطويلة » ، أو « تلامس الأجساد الأثيرية عن قرب » ، يحى دور
التلامس العقلي الثاني الذي مهد له تلامس الحالات ، وهذا هو تلامس
الأفكار . لأن اقتراب الحالات واختلاطها هو الذي يفتح الأبواب المغلقة
بين العقول الواعية للعشاق ، ويجعل تبادل الأفكار ممكناً فيما بينهم للمرة
الأولى .

والتلامس العقلي المباشر ، أو تلامس الأفكار ، هو أحد أساسين
هامين للحب الكامل ، وثانيهما هو تلامس الأرواح . بل إن الاتصال

Unconscious vibrational love - call. (١)

Conscious mixing of the mental auras. (٢)

Deliberate blending of the minds and auras. (٣)

Conscious finding of the contact of bodies. (٤)

الجشائي بدون اتصال عقلي عبارة عن سراب بدون ماء . فالعشاق من الرجال والنساء يحاولون دائماً أن يشيدوا مسكن الحب بغير رباط من مادة العقل . وعندما يتحدث عاشق عن حبيبة الفؤاد فهو يبدأ الحديث دائماً عن مظهرها الخارجي ، وقلبا يتحدث عن عقلها ، مع أن الجسم بلا عقل محض طيف بائس عاجز ، أو منزل بلا ساكن ، أو جمال بلا رخ .

وليس من الأمور الجوهرية أن يتفق المرأة والرجل العاشقان أحدهما مع الآخر في اتجاهاتهما العقلية والذهنية ، فقد تكون بينهما فروق قوية في نظراتهما لجميع الأمور السياسية وغيرها ... ولكن الأمر الجوهرى هو أن يتوافر لهما نفس المستوى الروحي أو نفس المستوى الترددى . . .

وتقارب العقل للعقل ينبغي أن يتم بركة . ومع مراعاة مشاعر الشخص الآخر . واذكروا أن الآراء العقلية والدينية لآى إنسان مقدسة ولا ينبغي أبداً تحديها ولا انتقادها . وإن كان انتقاد ما يحبه قلب الإنسان بمعرفة آخر من شأنه أن يساعد أحياناً - لا أن يجرح - ولكن بشرط أن يكون انتقاداً بناءً يهدف إلى الإعانة وإلى الراحة ، أما متى جاوز النقد هذا الهدف إلى المناقشات الغثة في السياسة أو في الدين التي نشاهد أمثالها كل يوم على المنصات ، فقد تعين طرحه جانباً ، لأن هذا النقد يجلب الشياطين لا الملائكة ، والفكر هو الذى يهم لا الكلمات . . .

وبين العشاق ينبغي أن تتوافر الصراحة حتى عندما تبدو الصراحة مستحيلة ، فعلى الصراحة تؤسس كل محبة ، بل كل زوجية ، فى العالم الكوكبي . فبغير صراحة لا توجد ثقة ، وبغير ثقة لا ينشأ حب . بل ولأذهب ، أبعد من ذلك فأقول إنه بالأقل بغير بعض التراسل العقلى لا يمكن أن يوجد حب جدير بهذا الاسم . إن ملايين من العشاق من يوم لقاءهم إلى يوم فراقهم المحتوم ، لا يقيمون أبداً تلامساً عقلياً ، يحاولون عبثاً العثور على عش الغرام بغير توجيه العقل ، كما لو كانوا غزاليين يغزلون بغير خيط على منازل المصادفة . . .

إن ذلك لا يحدث على المستوى الكوكبي ، حيث يتم التحرر من الجسد المادى بالموت ومعه تحرر العقل من اللحم . وحيث يقابل أو تلك العشاق الممتازون لغة الحب بكلمات عقلية وروحية أكثر مما يتبادلونها بالقول ، ويعامل الرجل المرأة وتعامل المرأة الرجل ككائن إنسانى أكثر منهما كذكر وكأنثى ، إلى الحد الذى يعدنا للقول بأن معاملة أحدهما للآخر مختلفة تماماً عن المعاملة كما تعرفها قصص الحب والحياة الإنسانية عندنا .

التأقلم المتبادل هناك

وفى الفصل الحادى والثلاثين يعالج دزموند موضوع التأقلم المتبادل هناك قائلاً إنه تلقى من مراسلين فى عالم الروح مثل فردريك مايرز (عالم النفس الشهير الذى انتقل إلى عالم الروح منذ سنة ١٩٠١) كما تلقى من غيره ما يفيد - ولو أن ذلك قد يبدو غريباً - أننا بعد وصولنا إلى العالم الكوكبي بفترة قد تطول وقد تقصر نشعر بالجوع وبالعطش وبالحنين إلى الأكل وإلى الشرب ، بل أيضاً بالحنين إلى التبغ وإلى الخمر كما ذكر ديموند لوالده سير أوليفر لودج . ولكن الحنين الأول للقادم حديثاً هو الرغبة الجارحة فى أن يلتصق جسمياً وعقلياً بمن يحبهم . والأطباء الكوكبيون ينظرون بعين التسامح الحذر لدوام الشهوات الأرضية ويحاولون التماسى بها تدريجياً ، وبذلك يجنبون أصحابها وقع الصدمة .

وفى . التأقلم التدريجى ، يتعلم القادم حديثاً الذى قابل هناك من يعشق أن هناك أحاسيس أرق من التلامس ، وأن هناك تبادلاً لمشاعر روحية لا نعرفه بعد أثناء تجربتنا الأرضية . فالعنور على الذات فى داخل الشخص الآخر ، كما يصفونه ، كشف جديد بمعنى الكلمة يتجاوز فى أهميته كثيراً التلامس الأثيرى للأجساد الأثيرية بين أولئك الذين يجد كل منهم فى الآخر الإحساس بكيانه الروحى ، فضلاً عن الميل إلى

(١) راجع ما سبق فى الجزء الأول من ٢٢١ ، ٢٢٢ عنه قبل انتقاله ، وما ورد فى الجزء الثانى فى من ٦١ - ٦٣ عنه بعد انتقاله .

إشباع حواسه . ومع ذلك فن الجائز القول بأن شركة الأجساد والأرواح معاً ، التي تتم أحياناً حتى على المستوى الأرضي ، عبارة عن استباق ضعيف لما سيجرى في المستوى الكوكبي .

فأول اكتشاف للرجل وللرأة العائدين ثانية إلى وطنهما هناك ، بعد غربتهما في الكوكب الأرضي الحزين ، هو أن فتح نافذة الحب الأثيري يفتح أيضاً طريق الوصول إلى العوالم الأخرى ، هذه العوالم التي قد يشاهدها الإنسان أحياناً في أحلامه ، العالم بعد الآخر ، والتي تتلاشى في الأبعاد الكونية ولكنها حقيقة أكثر من هذا العالم الذي اكتب فيه هذه الكلمات .

وهذا الاكتشاف المبدئي هو الذي يقود فوراً إلى أن نعي كيف أن أحلام الحب وأخيلته Romance تمثل وحدها في صورها العديدة خط الحياة الذي يجرى خلال العوالم المختلفة ويربط بعضها ببعض الآخر كإربط سلك رفيع من الفضة حبات المسبحة . ويمكنني أن أقرر - مثل كثيرين غيري - أن كل رسالة تلقيناها من الجانب الكوكبي للبوت تؤكد ما ذكرته في جملة وتفصيله . فكل هذا ليس من ابتكارات الخيال ، بل هو حقيقة راقية .

ويمكنني ، عن اقتناع تام أن أقرر هنا أنه تقريباً على الدوام تقابل الأم ولدها بعد الانتقال والاب ابنته والصديق صديقه بمجرد الخروج من محارة الجسد الأرضي . وإذا كان حب الأم لولدها هو أكثر صور الحب إنكاراً للذات ، فإنه ليس أكثر ما ذكاه لأن الحب يعنى . وتعلم القادم الجديد قد يقتضى شهوراً أو سنين عديدة بحسب تقويمنا الأرضي ، لأن الزمن هناك لا وجود له . ولكن بقدر ما تستنير العين تدريجياً ويسقط عنها الحجاب فإن هذا القادم الجديد سوف يأخذ الذهول من الإمكانيات غير المحدودة لعالمه ولوجوده الجديد . . .

الحب والموسيقى في العالم السكوكي

وفي الفصل الثاني والثلاثين عن ، الحب والموسيقى في العالم السكوكي ،
يقرر دزمويد إن روح فردريك مايرز وأرواح أخرى حدثته كثيراً عن
« موسيقى الأجواء » ، التي يتصور أنها تبدأ من الكون الرابع ، هذا الكون
ذي الجمال الرائع حيث الرغبة معناها الحياة ، وحيث يكون على الأرواح
أن تراعى الاعتدال وضبط النفس أكثر مما زاعبهما على الأرض... (١)

والموسيقى السكوكية غنية ومرحة ، قائمة بصفة أصالية على فكرة الحب
بين جميع الشعوب ، وليست محصورة كوسيقانا في « الحب الجنسي » . وهي
تتخذ هناك إلى كل ركن من أركان الحياة السكوكية . . . فهناك قسام
بالاحاسيس... ونحن نعرف حتى هنا كيف أن الموسيقى الجميلة يمكنها أن
ترتفع بنا فوق المادة التي تربطنا فتجعلنا مشوقين إلى أن نكون إنساناً أرق
وأفضل مما نحن ، وتساعدنا في حيننا كما تساعدنا في موتنا ، لأن الحب والموت
على الأرض لا يبعدان كثيراً عن بعضهما .

كما يقرر أن هناك « أحلاماً » في العالم السكوكي تنقل العشاق — عادة
مجموعين معاً — إلى مستوى الاستماع إلى موسيقى الأجواء وعندما تتقابل

(١) السائد في الوثائق الروحية هو القول بأن موسيقى الأجواء التي تحدث عنها أرواح
المستوى الرابع فما فوق لا ينفذها أحد ، بل تعزفها الطبيعة نفسها ، وهي تحدث من تحركات
النجوم والكواكب ، كما تحدث من احتراز أثير الفضاء الذي تتكون منه الأجرام السكونية ،
والذي يهتز في نغم رائم متناسق .

ومن الطريف أنه ورد في عدد السبت ٢٩ مايو سنة ١٩٦٥ من جريدة « أخبار اليوم »
الخبر الآتي نقله بحروفه بدون ارتباط به : —

« استمع علماء الاتحاد السوفيتي إلى تغريد البلايل ساعتين أمس . كانوا ينصتون في
أكاديمية العلوم إلى أصوات صادرة من الشمس سجلوها بأجهزة التسجيل . سبب الأصوات
ذبذبات الكترو — مغناطيسية تحدث في حالة الشمس ولا يمكن تفريقها عن تغريد البلايل » .
وهذه طبيعة الحال عبر الموسيقى التي ينفذها سكان المستويات الأثرية المختلفة بالآلات منها
ما يشبه آلات الموسيقى الشائعة ، ومنها ما قد يختلف عنها ، على ما يبينه فيما سبق (راجع
من ١٢٢ ، ١٢١) .

« هالاتهم » يجدون أنفسهم وقد انتقلوا إلى ممالك لا يمكن الوصول إليها
بغير ذلك . وحتى في أشجار الحب الأرضية نجد أحياناً مثل هذه التعابير
عن العشاق وهي « حملتهما أجنحة الحب » أو « العشاق الذين أخرجوا من
أنفسهم » أو « يفقد الإنسان نفسه في اللانهاية » .

فالشاعر ليس هو فحسب العالم الحقيقي بل هو عادة — عن غير وعي
منه — رائد السماء . كما توجد هناك أيضاً « أشعار عليية » ، كذلك التي نجدناها
في أعمال ديون أو ادنيجتون أو جينز أو بوس Bhose ...

بل « يمكنني » أن أقول لعشاق الأرض إنهم لو عرفوا كيف يصلون إلى
اتحاد الروح والعقل والجسد الذي يصل بهم إلى نشوة الحب ، فلن يكونوا
بعد نفس الأشخاص . ولا تدعوا أي إنسان يحتقر رباط الحواس التي تقود
الروح ، كما أن الروح هي مصدر إلهامها وعلة وجودها... وفي العالم الكوكبي
لا توجد أنصاف حلول في الحب ، فمن نعبث بالحب ، أما هم فيحيون فيه .

في تعليم الحب

ثم يقتفل دزموند في الفصل السابع والثلاثين إلى الكلام في « تعليم الحب » ،
متساءلاً متى سنعلم الحب ؟ متى سنعلم أولادنا في المدارس والجامعات كيف
يتحاشون عثرات العاطفة ويفهمون عقولهم الخاصة وأجسامهم للوصول
إلى هذه السعادة التي لا تحصى عن طريق التبتل ولا عن طريق الإباحية ، بل
عن خير الأمور وهو « الوسط بينهما » ، مراعيّاً أن المسيح لم ينصح مرة
واحدة بتبتل الجسد ولا العقل للرجل ولا للمرأة ، لأن إشباع الجنس
إشباع للروح ومعه إشباع الغريزة الخالقة . بل إن بولس الرسول هو الذي
نصح بالتبتل وليس المسيح . وبمقارنة أعمال الرسل بالإنجيل الأربعة بين
بدون أدنى ريب أن تعاليم المسيح وبولس تمثل وجهتي نظر مختلفتين
تماماً لحياة الجسد والروح .

وقد ذكر له روح ف . و . ه . مايرز من المستوى الرابع للعالم السكوكي ما يلي : « إن الغريزة الخالقة جزء هام من طبيعة الإنسان ، واستخدامها بحكمة يجوز أن يكون أحد مشاغله الرئيسية . وهي تنبع جزئياً من الرغبة الجنسية العاجلة ، ولكنها تقدم أعظم سعادة في أوجه نشاطه المنعزلة تماماً عن الجنس . وكيفما كانت الحياة الجنسية للرجل أو للمرأة فإن أيهما يكون حكيماً إذا ما وجد بطريقة أو بأخرى متنفساً للبدأ الخالق . وإذا لم يكن للرجل (أو للمرأة) عقل مبتكر أو قدرة على الذيل فيمكنه التعبير عن هذه الغريزة في التمتع بالجمال على وجه أو على آخر بالتسامح المقيد الحكيم ، مع ضبط الحواس ولكن ما أسعد الإنسان الذي يملك القدرة على ضبط النفس ، كما يملك القدرة على الابتكار الحقيقي مهما كانت متواضعة عنده وسائل التعبير عنها . »

وبعد ذلك خلق روح مايرز منتقداً موقف داعية التبتل الذي قد ينسكرك إلهه عندما ينسكرك الاستخدام السليم للحواس ، لأن الإيمان والأمل والبر بدون حكمة يجعلها أيضاً بدون ضوء . والأشياء التي نحبب عنها الضوء تمنعها من أن تصل إلى نموها الصحيح . فبنا لأولئك العلماء الذين يرفضون تعليم الشباب الغافل كل شيء في هذه الأمور الحيوية ... ١

إن لغز الحب بين الرجل والمرأة سيظل دائماً مجرد لغز رغم إمكانياته وتعدد صلاته . ولكن عندما تدخل المشكلات إلى منزل الزوجية فتباً للعاشق الذي لا يعرف معرفة أكيدة من أين جاء إلى هذا العالم ، وإلى أين سيذهب بعد الموت . لأنه بدون الوعي ، والراحة ، والائتزان الذي تضفيه هذه المعرفة على النفس ، فإن سفينة الحب قادرة على أن تتجح إلى الشاطئ الذي ينتظر دوماً كل عاشق غافل . فليست « مشاحنات الحب » ، كما نسميها هي وحدها التي تسبب جنوح سفينته إلى الشاطئ . إنه دائماً شيء أعظم من ذلك ، شيء يدخل في حيوط النسيج نفسه كمين قد يبدو تافهاً ، ولكن إذا حمل أفسد نسيج الحب برمته ...

إن الحب المعكزين الزوج وزوجته له أوجه عديدة ، ولكن ، الانسحاب من الحياة ، ، للتأمل في الأماكن النائية والخلوية كما كان يفعل النساك في سالف الأيام علاج شبه مضمون للنعاسة الشديدة التي يسببها تعكير الحب . . وإذا تأملنا الأمور تأملاً صحيحاً لتبين لنا أنه لا توجد مشكلة إنسانية من النوع العميق إلا وارتبطت ارتباطاً مباشراً أو غير مباشر بالحب . فشكلة الحب هي مشكلة الحياة ، واقصد مشكلات الحب ، لامشكلات الجنس كما ذهب فرويد في نظرياته البالية .

وكل ذلك يعمله الكوكبيون . وقد ذكرت دلياً ، هذه الرابطة من الأرواح التي طالما راقت وساعدت عشاق الأرض في منحهم وآلامهم ، أننا نفعل ذلك لخدمة فحسب لسكان أرضكم ، بل نخدم أنفسنا لأننا على عكس أطباكم نؤمن أن الوقاية أفضل من العلاج . ولذا فتحن نحاول أن نعالج الاضطراب في مصدره الأرضي قبل أن ينمو مع الوقت ، ويصل صاحبه إلى هنا في حالة متأخرة من المرض فتنى نعى نحن الأرضيين ذلك ؟ . ومتى نكبد أنفسنا مشقة تعليم مراهقين ، علم الحب ، كما نعلمهم غيره من العلوم ، لأن الحب علم شأنه شأن أقوى الفرائز قاطبة .

ولقد علمت من الأثريين أو الكوكبيين أن لديهم طريقة في مدارسهم لتعليم ما يصح وصفه بأنه فن أو قلب الحب ، تدخل فيها الموسيقى بصفة أساسية ، وكذلك فيما اعتقد التلبائي أو انتقال الأفكار . والأمر الحقيقي هو أن الشاب والفتاة الكوكبيين يتعلمان الحب من سنينهما الأولى ، لا من كتاب مدرسى بل من نفس كتاب الحياة والحب . وميأتى اليوم الذي سنفعل نحن فيه نفس الشيء في مدارسنا الأرضية ، لأن الكوكبيين يؤكدون لنا أن الحب الكامل أمر مستطاع سواء على الأرض أم في السماء .

الطفل والأسرة بعد الموت

وفي الفصل الثامن والثلاثين يعالج المؤلف موضوع الطفولة والأسرة

هناك، وهو الموضوع الذى طالما شغل عدداً كبيراً من الباحثين الروحيين،
قائلاً : «إنا نعلم الآن شيئين وهما : أن لديهم أطفالاً هناك كما سبق أن «بيننا»
وبدون نزاع لديهم «حياة الأسرة» ، وأنا عندما نغادر المستوى الكوكبي
الثالث الذى تذهب إليه الغالبية منا بعد الموت ونهثر على بدء اهتزازات
المستوى الرابع سنشاهد تغيراً فى الشكل وفى الشخصية يمس مساً عميقاً
الأسرة والطفل على المستوى الرابع للوجود .

وقبل أن «تناقش» موضوع الطفل والمسكن اللذين هما نتاج التكاثر
ينبغى أن نطرق ونأمل موضوع الحب الكوكبي الجنسي وأثره من زوايا
لا تزال مجهولة فى هذه الصفحات ، بما فى ذلك الميلاد ، والعودة للميلاد ،
واختيار الآباء بمرقة الأبناء ، والأمومة ، ووجهة النظر الأثيرية عن رغبتنا
الجسدية .

وحسبما قادتني إليه «بحوثي الخاصة» ، أظن أن على أن أقرر أن الجنس
موجود على كل مستوى من مستويات العالم الكوكبي إلى المستوى الرابع .
«فالوجوب» و«السالب» وبمعنى أوسع الذكر والأنثى موجودان وبأفان
بلا نزاع إلى المستوى الرابع . ومع ذلك فالصلات بين الجنسين تتخذ هناك
شكلاً ونوعاً مختلفين عن «الجنس» فى المستويات المنخفضة لأرضنا ، حتى
ليبدو تعبير «الجنس» غير ملائم ولا يصلح للاستخدام .

و«بمعنى» فى الابتداء أن أوضح أسراً ، وهو أن لاشئ ضائع البتة عند
تقدم الرجل وشريكته المرأة من مستوى إلى آخر . فالحب ليس بضائع ،
والحب ينمو بشدة فى قدرته وحساسيته ، ولا تضيق الشخصية عندما تتشرب
المعاني والمفاهيم الأكثر اتساعاً للحب . فبقدر ما تتشرب بهذه المعاني
وترتوى ترج الشخصية ربما يتجاوز القياس ، وتصبح هى «الذات
العظمى» ، للإنسان . وكما أن الأمة على أرضنا هى الذات العظمى بالمقابلة

للأفراد الذين يكونونها ، فكذلك الذات الجماعية للمستوى الكوكبي الأعلى .
تمثل الذات العظمى للعالم الكوكبية .

وما أشد جبننا أهل الأرض عندما نخشى دائماً أن نغامر في مياه
أشد عمقاً حتى لا نفقد مواطناً أقدامنا . ومع ذلك فإننا نحسب عن طريق
المغامرة والجرأة على التهام كل صعوبة نرجح ، ونحصل على متع التحقيق
والوصول .

وكثيراً ما يتم الاتصال على الأرض بطريقة لا عاطفة فيها ، وحتى عندما
يتم على الوجه المطلوب فلا يشابه إلا نادراً ظل الاتحاد الكوكبي . فهو بالنسبة
للملايين مجرد متعة للجسد خالية من أية متعة للعقل ، فهو عمل حيواني . .
إن الحفاقة الأرضية تفترض أن الحب لا يحتاج إلى دراسة ولا إلى عناية ،
كما تفترض أن « أمان الطبيعة » التي لا نعرف عنها في المعتاد شيئاً البتة ، ستعلمنا
كيف نحب . . .

ثم يتساءل دزموند عن الفارق الجوهرى بين الاتصال عند الأرضيين
وعند الكوكبيين قائلاً إن هذا الفارق هو — فيما يعتقد — أن الأعضاء
على الأرض لا تنقل أعضاء بقدر ما تصبح مصادر طاقة موصلة Conductors
بسبب ارتفاع تردد الجسد الأثيرى ، وهذا موضوع لا يمكن أن يعالج
علاجاً صريحاً إلا فى مؤلف خاص عن « وظائف الأعضاء الكوكبية » .
وهو ما كان المؤلف مشغولاً به وقت كتابة هذه الكلمات .

ثم يضيف أنه حتى العاشق الأرضى يعرف متعة الاقتراب الأول من
المعشوق ، وقبل أن يتم أى تلامس بينهما . فهذا الاقتراب بالنسبة للملايين
العشاق يكاد يكون هو العمل الوحيد الذى لم يصددهم بحجة الأمل . وهذا
سبب واحد من أسباب عديدة تدهو لأن يتم الاتصال فى روية على قدر
الإمكان ، ولأن يتم ارتياد معبد الحب فى خشوع كالوكان الارتياذ إلى مكان

مقدس . ولأن يتم في رقة وفي فهم للأمور حتى نهاية الحب ، إن كان للحب نهاية . وهذه هي الأسباب التي تجعل لغة الاقتراب الأول وطريقته حاسمتين في مصير ما قد يتبعه من صلوات جسدية وعقلية وروحية .

بناء المسكن في العالم الأثيري

وفي الفصل الأربعين يلاحظ دزموند أن « الطفل ، معناه ، المسكن ، لأنه لا يمكن أن يوجد مسكن (بمعناه الجليل) بدون أطفال ولا أطفال بدون مسكن . وسنعرف الآن كيف يبنى الكوكبيون مساكنهم . وكلمة « مسكن ، تتردد أثناء كل محادثة كوكبية كما تتردد أثناء المحادثات الأرضية ، لأن المسكن هو نواة الحياة الكوكبية والأرضية ، ولذا كانت الذكريات ، وذكريات الحنين إلى الوطن ، هي المنظم الإنساني للحياة على هذا الكوكب . وأغلبها يجد مصدره في « المسكن » ، ولم نجد أية أغنية في عالمنا صدى عالمياً مثل أغنية « مسكني أيها المسكن الجليل ، Home Sweet Home التي ظلت الألسنة تغنيها خلال أجيال كثيرة على كوكبنا ...

وعندما ننقل إلى مسكننا الكوكبي ستصدم الحقائق تصوراتنا وتقديراتنا السابقة . إذ سنجد هناك أسلوباً للحياة العائلية والمسكن يتجاوز إلى مدى غير محدود كل ما تعرفه أساليبنا الأرضية الخائفة . .

فن الشائع الزعم بأن المسكن المتوسط للحياة في أرضنا هو المثل الأعلى ، ولكن الكوكبيين يعرفون أفضل منا ، بما لديهم من قدرة النظر إلى أرضنا وقلوبنا ، ويرون أن كل شيء ليس على ما يرام في الأسرة الأرضية ، وأن الأمرة السعيدة التي يتحدث عنها القصص الرخيصة نادرة فسيماً . وحتى الأمرة السعيدة يمكن أن تصبح بسرعة غير سعيدة في غمرة التطور وضعفه لأن المسكن — شأنه شأن الفرد الذي يشيده — يمكن أن يتقدم لحسب عن طريق حركة البندول عندما يهتز بين السعادة والشقاء . .

وفي أرضنا الحديثة نحن نبني مساكننا بالآلات ، فنحن نحيا حياتنا على أوسع مدى عن طريق الآلة وتنصرف كالو كنا بعيداً لها ، ولكن عندما يسيطر الإنسان على الآلة نكون قد دخلنا حقيقة في عصر «برج الدلو» الذي يتقدم فاتحاً ذراعيه للإنسانية المتعبة الشقية . وعصر برج الدلو هذا سيصبح في مرحلة الأخيرة العصر السعيد الذي سيصير هذا الكوكب البائس فيه كوكباً سعيداً ، أو بالأقل مسكناً معدوداً بين الكواكب التي تقدم إمكانيات للسعادة أعظم بكثير من السعادة التي نجدها في هذه الأيام .

فنحن نبني مساكننا بالآلات ، أما الكوكبيون فيبنونها بالفكر ، وهذا فارق من أهم الفروق الضخمة بين العالمين الأرضي والكوكبي ، وقد «عالجت» في عدة كتب أسلوب هذا «الخلق بالفكر» الذي يبدو لأول وهلة للإنسان العادي كالو كان من قصص الجنيات ، فإذا تأملته عن قرب لم يبد لك بعيداً عن التصديق إلى هذا المدى ، ولا تنس في كل ذلك «أني» ما زلت أكتب — بوجه عام — عن المستوى الثالث .

وهاهو مستخرج من حديث شفهي جرى مع مهندس كوكبي عن الطريقة الغربية التي بها يشيدون مساكنهم في العالم الأثيري . وقد كان ذلك في محاضرة ألقاها هذا الكوكبي إلى مجموعة كانت تجتمع خصيصاً كيما تتلقى هذه المعلومات . وقد تبيننا مراراً أن هذه البيانات قد دعمتها الحقائق التي تنتمي إلى عالمنا حتى ولو كان تصديقها من الصعوبة بمكان . وعن طريق الاختبار المتبادل Cross Checking^(١) مع كوكبيين آخرين أمكن للبعض منا أن يصلوا إلى

(١) يشير إلى طريقة التراسل المتبادل Cross Correspondence (راجع ما ورد عنها في الجزء الأول ص ٢٢١ ، ٣٩٦) .

الاقتناع بأن البيانات الواردة من العالم الكوكبي — عن طريقتهم في تشييد مساكنهم — بيانات صادقة .

وقد بدأ (هذا المهندس الكوكبي) حديثه بالقول بأن هدف كل تطور إنساني هو الوصول إلى الإدراك الواعي ، ومعه تأثير العقل في المادة^(١) . وقال بأن أرضنا هي الثانية من أسفل في ترتيب تطورها وتقدمها بين جميع الكواكب . وعندئذ أدرك بعضنا إلى أي مدى تبدو متخلفين بالمقارنة مع الكائنات الكوكبية ، بل بالمقارنة مع ذواتنا العظمى Greater Solves على المستوى الكوكبي . ولحسب عن طريق الاتصال به يمكننا أن نقدر ضآلتنا وقلة أهميتنا ، ومعها حماقة فلسفاتنا — المشيدة بعنائة — ومعها ادعائنا بأننا قد حزننا كل المعرفة وكل الحكمة فنحن بعد لا نزال أطفالاً نلهو على حبة رمال واحدة تمثل الكون الذي نحيا فيه ، ونقط من طريق التسليم بذلك يمكننا أن نتعلم فعلاً شيئاً ذا قيمة على حد قول الكوكبيين لنا مراً .

وقال هذا المهندس الكوكبي : إنكم تشيدون مساكنكم بالفكر كما نفعل نحن ، وكل الفارق هو أنكم عندما تكون لديكم فكرة أولية عن تخطيط مساكنكم تستدعون مهندساً هو الذي يصنع لكم رسماً متزجاً من الفكر ، ثم يجيء دور البنائين وغيره . أما هنا فنحن لا نحتاج لأي رسم أو لاستدعاء بناء أو سباك أو نقاش ، بل نحسب تخيل مساكننا وحدائقنا وعندئذ نجيء إلى الوجود شيئاً فشيئاً ، كما يعتمد الفنان المبدع إلى رسم مشروع أولى بالقلم الرصاص ، وبعد ذلك يملأ أجزائه ثم يجعله أكثر وضوحاً إلى أن تكامل الصورة أمامه .

وبعد ذلك يسرد المؤلف مناقشاته مع هذه الروح بالتفصيل . وهي

(١) واجم ما ورد في هذا الشأن في الجزء الأول من ٤٦٤ — ٤٧٢ .

لا تخرج عما سبق أن ذكرناه عن أسلوب الحياة هناك وبخاصة عن سلطان التفكير في صياغة جميع مظاهر هذه الحياة من الأثير وحده حتى يصبح كل شيء مادياً بالنسبة لحواسهم بما في ذلك مساكنهم^(١).

ثم يقول المؤلف إننا نعرف أن هذه الأرواح المرشدة ، التي هي مخلوقات أرضية وأهنة يمكنها أن تبعث - كما تبعث محطات الإرسال - بعواطفها وأفكارها المحبة إلى آلاف من «القائمين» في وقت واحد . . . فلماذا يكون من المحال على مخلوقات الله الصغيرة أن تظهر بالإرادة وحدها في صورة أى عمر قد تراه وأن تشكل رغبتها إلى المدى الذى يمكننا من أن نتذكرهم ، وإذا شاءوا أن يكونوا موجودين على الأرض أو في السماء .

إن ابن محبتنا يختلف عن ابن كراهيتنا في أنه لا يفسانا ولا يتركنا أبداً . إن هناك آلافاً عديدة من الأمهات ذوات القلوب الكسيرة اللاتي عندما يقرأن هذه الكلمات يشعرن تماماً بمدى النعمة والراحة اللتين يجيئان من التجارب الحالية التي يقوم بها وسطاء الجلاء البصرى وغيرهم . ويجيئان عندما أقول لمن «حتى الآن وأنتم تقرأ أن تقف طفلتكن المنتقلة أو طفلكن بجانبكن ، يتطلع إليكن بعين مشرقة بالحب ، متلهفاً إلى الحديث معكن لإخباركن بكل شيء عن مسكنه الكوكبي الجديد ، وبأنه لا يوجد أى حاجز بين العالمين . وبأنه لاموت ،

الحب المؤتمل طوى

وعن الحب الأفلاطونى يتحدث المؤلف في الفصل الخامس والأربعين متسائلاً هل هذا الحب يمكن أن يوجد ؟ وجميعاً أنه قد بين من الصفحات السابقة أن وجهة النظر الأثيرية عن الحب تتضمن ليس لحسب الحب

(١) راجع ما سبق في ص ١١٢ - ١٢٥ .

الشخصي الصرف purely personal بل أيضا الحب غير الشخصي impersonal ، إن أمكن للحب أن يكون أبداً كذلك . ومع ذلك ففي هذا المعنى الذي يتضمنه ، الحب الأفلاطوني ، يوجد مثال واحد من الحب الإنساني الذي يقع بين الحب الشخصي الصرف الذي ينفي ما عداه ، وبين الحب غير الشخصي الأعظم منه الذي يعرف ، بالعفة ، التي تحدث عنها بولس الرسول . وصلات عفيفة كهذه قد تعزى عادة إلى روابط كارمية (نسبة إلى قانون السكارما أو ارتباط العلة بالمعلول في نطاق حياة الروح) ترجع إلى تجسيدات سابقة مشتركة ، تعدن بين أئمن اختباراتنا الأرضية .

والحب الأفلاطوني عبارة عن حب بين رجل وامرأة لا يرغبان في معيشة جنسية مشتركة ، ولا حاجة بهما لإشباع الجسد ، أو يقاومان هذه الرغبة بعزم إذا كانت موجودة ، وهو أمر لا يمكن لأحد من أتباع فرويد Freud أن يفهمه أو أن يصل إلى فهمه ...

لقد عرفت ، عدداً وفيراً من صداقات كهذه تقوم على الجمال والاتزان بين رجال ونساء كانوا أصدقاء أفلاطونيين . ومن هذه الأمثلة سأذكر مثالا واحداً كما أوضح به معاني ، السهوية ، فالآن تجد أن مستوى المادة والروح مترابطان ومتداخلان ، وليس بمقدورك أن تفصل أحدهما عن الآخر . وإن أعلم عن اثنين راقين ، عرف أحدهما الآخر عن طريق لقاء من لقاءات الصدقة كما نسميها ، ووجد كل منهما في أخيه توأم الروح . فلا العمر ولا المظهر ولا الارتفاع ولا العمق يمكنه أن يحول بين توأم الروح وبين العشور على توأمه في النهاية ، ومن ثم اندفع كلاهما إلى هذه الشراكة بين الأرواح التي نتحدث عنها بطلاقة وعن غير فهم .

وأحد هذين ، التوأمين ، عبارة عن سيدة غير متزوجة في الستين من عمرها الأرضي ، أما الرجل فهو شاب متزوج له عدة أولاد لا يشقى أحد منهم بميله إليه كما قد يغير هو نفسه . وهذا الشاب مهذب ومتفان في أداء

الواجب تقانياً نادراً ، وبالتالي متفان نحو زوجته ومنزله وأولاده الذين يمثلون مجتمعه الذي هو تعذيبه اليومي ، كما هي الحال بالنسبة لآلاف من الرجال من أمثاله . . .

وذلك يوم شاهد هذا الرجل مصادفة تلك السيدة ذات السنين عاماً بهذا أن أفلتت السنين كاملها دون أن تثقل عقلها ، وكانت إلى هذه اللحظة صلبة الرأي مرضعية في تفكيرها ، وأدرك الرجل على الفور أنها تشبه له توأم الروح ، إذ شعر لأول مرة في حياته - كما قال - بأنه سعيد تماماً بالقرب من كائن إنساني من الجنس الآخر ، رغم أنه لم توجد أبداً أية صلة مادية بينهما ، وشرع على الفور في التودد إليها .

وذلت السيدة العجوز ، بل فرحت من هذا التدخل في حياتها الرتيبة في المعزوية ونظرت بعين الريبة إلى الرجل ، وكما قالت لم يمكنها أن تفهمه بل ظنته مجرد مجنون عندما صارحها بأنها بالنسبة له كل شيء ، وبأنه لا يريد منها شيئاً إلا صداقتها وحبيها . إذ ليس دائماً يكشف أحد التوأمين شقيقه من أول نظرة ، رغم أنه قد يحدث هذا « الوقوع في الحب » من النظرة الأولى التي هي عادة « تمعة » الحب عند توأم الروح .

وظلت السيدة لمدة شهر أو شهرين تسخر أسفة من عاشقها ومن متابعاته الفجة . وفي عدة مرات طلبت منه أن ينصرف إلى أعماله وأن يعود إلى زوجته ، ولكنها ذات يوم جاءها الإلهام يرفع عنها الحجاب ، وتعرفت في هذا الرجل الذي كان في نصف عمرها الأرضي العاشق القديم الذي فقدته في تجسد بعد آخر . وهي - التي كانت من المتعصبين لمذهب اللا أدريّة Agnostic ومادية في نفس الوقت - أحست في تلك اللحظة من التحقيق شيئاً يشبه الإيمان في الحياة ، وفي حب هجرته منذ زمن بعيد . وأصبحت كما لو كانت طفلاً صغيراً ، على ما لاحظته معارفها ، وهي الآن سعيدة تماماً مع صديقها الذي أنشأت معه علاقة أفلاطونية نقية ، وأصبحت تحيا مع زوجته وأولاده دون أن تخفى عنهم قرابتها الأخرى له ، فالصراحة مضاعفة الحرية .

لماذا تكون صداقة عذرية كهذه شيئاً حراماً في مجتمعنا المتحضر ذى العقل المتشكك الذى لا يمكن أن يتصورها ؟ إنه - لحسب - عن طريق الحرية الكاملة فى الاجتماع وفى الصداقة بين الرجل والمرأة ، سواء أكانا عاشقين أم لا ، يمكننا أن نحصل على نصف بديل لسلطان عشق الجنس ، ومع هذا البديل قيم خلقية صحيحة.

ولا توجد قاعدة للحب ، ولا للعمر . فالحب ليس له عمر وهو كائن خارج الزمن . فقد كانت جاذبية الكاردينال ريشيليو Richelieu لا تقاوم وهو فى الثمانين من عمره ، وفى وقت لم يكن بمقدوره أن يقف على قدميه . وغرق جوته Goethe فى الحب وهو فى السبعين من عمره وكان بدوره لا يقاوم . ولقد سمعت شخصياً عن فتاة رائعة صغيرة فى الثامنة عشرة من عمرها وقمت فى غرام عفيف مع رجل يكبرها بمقدار ثلاثة أضعاف عمرها ، وظلت وفية لحبها على مر السنين رغم بمائة الرجل فى إصرار المذهول السعيد ، فلا توجد قاعدة فى الحب .

محبم الحب وممناته

وفى الفصل السابع والأربعين يتحدث دزموند عن دجيم الحب وجناته فى ضوء معلومات تلقاها أيضاً من روح عالم النفس الشهير ف . و . ه . مايرز ، وهى تمثل وجهات نظر وثيقة صلة بالتجارب الأرضية والسكوكية التى جمعتهما أنا ، وآخرين خلال أكثر من ربع قرن . وبين جميع المتشككين أعتقد ، أنى ، أصعبهم مراساً لأن التجربة الطويلة علمتني أن أكون حذراً حتى مع الأمر الواضح ، وألا أقبل أمراً إلا بعد تجارب وتأكيدات متكررة ، ولذا ، على ، أن أقول إن ما سأدونه هنا ينبغى قبوله بالأقل فى أسسه . . .

فعندما «تساءلت» ، «هل يخفق الجوع الجلسى أيضاً بالانفصال عن

الجسد المادى؟ أجابت روح مايرز كما فعل علماء آخرون من العالم الكوكبي .
« إنه لا يختفى ولكنه يتغير ، . وعن هذا التغير أحاول أن « أعطى ، الآن .
أفكارى وتجاربي الروحية واضحة بقدر الإمكان .

إن ما « أسميه ، « جسيم الحب ، ليس مكاناً وهمياً ، فهو جسيم الرغبة التى
تقتصر على الإشباع . هو جسيم الشخص الإباحى الذى شيده لنفسه على الأرض .
خلال الاندماج وراء رغبته غير الآمنة ، وعقابه هو أنه بعد إذ فقد جسده
الفيزيقي ، ومع ذلك فإن أفكاره لا تزال متكررة فى إشباع شهوته السفلى ،
فإنه يقع على اكتشافه الرهيب أنه لن يمكنه بعد الآن إشباعها فى المعنى اللحمي
الذنى ، لأن نشوة الجسد الأثيرى مختلفة عنها تماماً إن الرغبة الضالة تدعو
للأسى ، ولكن الهاوية التى يسقط فيها أمثال هذا الشخص تجل عن التصوير .
كما أضاف روح مايرز قائلاً : « إن المسيح عندما تحدث عن الظلمة الخارجية
بوصفها مقرأ للخطاة كان يقصد ظلمة الروح ورأسى العقل ، وضلال الرغبات
التي لن تجد لها إشباعاً ، .

وبحسب ما « سمعته ، من روح مايرز وما « تعليته ، من أرواحى المرشدة إن
أولئك الإباحيين يحاولون عن طريق بائولوجية التخيل أن يقيموا لأنفسهم
« جنات للجنس ، تصبح مع الوقت « جحيماً للجنس ، . وفى هذه الجنات
يحاولون عن طريق الفكر التخلي عن شهوة الجنس عن طريق إشباعها .
ومع الوقت ينجحون لحسب فى الوصول إلى إنهاك قوة العقل الفارق فى
الخطيئة ، المجرد حتى من القدرة على إشباع الرغبة الجسدية البائسة ، وبالتالي
يتكون فى « الظلمة الخارجية ، التى تحدث عنها المسيح ، أو المطهر الذى
يعرفه بعض العقائد .

ولا محل لأن أؤكد أن تجارب أى اثنين من الإباحيين قد لا تتشابه
كما لا تتشابه تجارب أى اثنين من الأرضيين الذين وصلوا إلى العالم الأثيرى
أو الكوكبي ولو كانا عالين علويين .

بل « إنى » مبال حتى للاعتقاد أنه بتركيز بائولوجى شديد للعقل قد يكون الإنسان الشهوانى القادم حديثاً إلى العالم الكوكبى قادراً على صنع جسد فيزيقى بديل مزود بأعضاء جنسية وكفيل بإشباع المتعة المطلوبة ولكن إلى حين لحسب ، فكما تقضى الخطيئة على نفسها بنفسها ، فكذلك جسد الرغبة المنحطة سرعان ما يتلاشى تاركاً النفس الشقية بشهوتها عارية أمام عالم التجربة . أو ليست هذه تجربة لإباحين كثيرين حتى فى عالمنا الأرضى ، وهى أنهم بقدر ما ينجرون وراء شهوة الجسد بقدر ما تقلت هذه منهم ؟ . .

ولكن فى يوم من الأيام ، وربما بعد قرون من التعاسة فى الظلمة الخارجية ، قد تجد هذه الروح البائسة المحطمة مهرباً من أسرها ، وقبل كل شئ من رفاقها الكريهين الذين اجتذبتهم نحوها باهتزازتها المظلمة . لأنه حتى فى ملكة الجحيم التى تقع فى المستوى الكوكبى المنخفض ، والتى وصفها الإنجيل وغيره ، فإن الحب هو الحاكم والأمر الناهى ، ولكن شتان بين حب الشهوات السفلى ، وبين حب الروح الذى وصفه والتر سكوت W. Scott قائلاً : الحب هو الفردوس والفردوس هو الحب . .

لا شئ أبداً فى لغز هذا الحب قابل للزوال ، إنه حقيقى كالبارود أو كنفسيج العسكبوت ، وهو قوى وجبار شأن كل قوى الحياة العظمى الجبارة سواء أعشنا فى الأرض أم فى السماء . فانصت إلى روح مايرز وهى تقول : وراء الطموح ، ووراء كل صور الأناية فى الإنسان وراء الصراع ، ووراء الرغبات التى ينبغى أن نسوى حسابها فى حذر ، توجد العاطفة ، يوجد الحب : القوة المحسوسة التى تربط بين الأرواح المتآلفة . فهو أقوى من الموت ، وهو يغزو اليأس ، ويمكن أن يغزو كل مستويات الوجود المتناهية ، فينبغى أن يعتبر مبدءاً كونياً ، ويعرف بوصفه القوة الكائنة الموجودة وراء الرداء الذى يحاك لكم ، على مدى الزمن . .

« إن الموت يبدو رهيباً للإنسان العادى بسبب الانفراد الظاهرى . فلو

علم الحقيقة لذهبت مخاوفه أدراج الرياح ، لأن خطر انتزاع رذاته ، أى انتزاعه من أولئك الذين يحبههم لا أساس له ، ولا جوهر صحيح فيه ، فحينما ذهب الإنسان بعد الموت فسيجد دائماً أرواحاً آدمية قد ارتبطت بحياته الأرضية وأحبها بعمق — وربما حباً أعشى أو شريراً — فى تلك الأيام الخوالى وذلك مهما كانت غفلته الوقتية الآن ، أو مهما تنوعت تجاربه ، .

وهذا القول الأخير (من روح مايرز) صحيح بقدر صحة دوران الأرض حول الشمس . فقد كررته مراراً إلى ولآخرين خلال سنين كثيرة ، وبكل الوسائل وفى كل الظروف ، هذه الكائنات غير المتجسدة من الملائكة ومن الأرضيين المنتقلين . وهو يعطى أملاً و يقيناً إلى أولئك الذين لم يموتوا روحياً أنه فى مكان ما وفى وقت ما سيعثرون هناك على أحبائهم ، ومعهم التحقيق الكامل لحياة الروح ...

إن كل شىء يتوقف على مستوى الوجود The Plane . فمشاق الأرض يذهبون إلى المستوى الذى أهدوا أنفسهم له خلال حياتهم الأرضية ، كما نفعل كلنا . فإذا ما عشنا حياة لبقة وجميلة على قدر إمكاننا فسنجد أنفسنا فى ذلك المستوى من الحياة الكوكبية الذى يمكن تشبيهه بسهولة بعالم الفردوس . أما لو عشنا معيشة الوحوش فسنجد أنفسنا إلى حين فى واحد من جحيم الكواكب ولكن لحسب إلى حين ، لأنه حتى الأبالسة يمكنها أن تخلص نفسها من نفسها ، بل إن رئيس الأبالسة نفسه ستدركه يوماً رحمة الله .

المواجز تتداعى

ويختتم دزموند مؤلفه الرائع هذا عن الحب بعد الموت ، بالفصل الرابع والخمسين وموضوعه « الحواجز تتداعى » ، قائلاً فيه : إن العصر الذى ولدنا فيه عصر مجيد ، فينبغى أن نشكر الله على ذلك ، فهذا العصر الذى نمر به هو عصر برج الدلو Aquarian Age للحب وللحكمة .

إن الحواجز تتداعى ، وقبل مضي سنين كثيرة من الآن سيكون عندنا زائرون من السماء واقفين على المنصات العامة من يوم إلى يوم للحديث إلينا بأصواتهم الخاصة^(١) ، في وقت لا يجرؤ عالم يستحق هذا الاسم على إنكار حياة الإنسان بعد موت الجسد ، ولا إنكار أن أدلة دوام الحياة وخطوطها هي أخطر موضوع على الأرض ... بل الموضوع الحقيقي الوحيد الذى يقبض أن يعطينا جدياً ..

إن الحواجز تتداعى وكراسى الأستاذية ، وجمعيات البحث الروحي ، لم تؤسس لحسب فى اكسفورد وكامبردج بل أيضاً فى الولايات المتحدة ، وفى أمريكا الجنوبية ، وفى كل مكان آخر على هذا الكوكب ، وكلها تعلن انهيار الحواجز ، وإن يمكن أبداً بعد الآن ، وفى أى ظرف لآى إنسان ماضى أن يغاق النوافذ .

« ويرى شبابكم رؤى ويحمل شيوخكم أحلاماً ، فى حالة الانتقال هذه من المنظور إلى غير المنظور ، تظهر رؤى وأحلام لم يحملها أحد من قبل ... إن الدين نفسه هنا وهناك - وبالتدرج - ينسئ نظرياته اللاهوتية كما يعثر على « حبه » لأن الدين هو الحب والحب هو الدين ، وبسقوط الحواجز عن الاعتقاد المصنوع نجد الحواجز تسقط أيضاً عن الخرافات وعن الأوهام حول الحب والزواج .

فالحب ينبع من الروح ، والزواج ينبع من الحب لا من مجرد التراضى أو الادعاء ، ونيل المرام يكون فى هذا الحب الذى هو الحرية الكاملة ، . وإن يمكن بعد الآن لآى كاهن أو سياسى أو لاعب بالألفاظ أن يقيّد وثاقه برياه الماضى .

(١) تحققت فعلاً هذه النبوءة فأصبحت القاعات العامة فى الخارج مقعد الجلسات العلمية للاستماع إلى الأرواح وهى تخطب بأصواتها المباشرة ، وتعالج الأمراض السمعية وسط جمهور غفير من الخاصة والعامة (راجع ماسبق فى الجزء الأول من ١٤٤ ، ٣٨٩ ، ٤١٦) .

إن الحواجز تتداعى . . . وإن عالمنا الصغير ينتقل الآن من مراعاة الكراهية إلى النضج الكامل للحب . وعندما نتحقق أن الرجل وشريكه المرأة خالدين غير قابلين للفناء وأن « القتل ، مستحيل فإن حروبنا ستبطل تدريجياً من أرضنا الدامية ، وسندخل إلى العصر الذهبي للحب الذى تحدث عنه كل شاعر .

ولكن الحواجز ستتداعى لحسب بقدر ما نقدر على تحمل الكشف الكامل والضوء الباهر . فالانحسار المباغت للحجب التى تحجب الروح عن مادتنا العاجزة قد يقود إلى العمى المباغت ، وإلى التقهقر للوراء ، لأن البشر كلقطة الصغيرة تتحمل الضوء بصعوبة .

إن أرضنا تتطور ، وإننا نتعلم كيف نتحمل تدريجياً هذا الضوء الذى فرض نفسه علينا خلال السنين الأخيرة . إن الضوء يلقى شعاعه على شواطئنا الحزينة . لقد طلع الفجر ، وولد الحب من الموت ، . .

خاتمة

هذه هى بعض الجوانب الهامة فى النظرية العامة التى وصل إليها علم الروح الحديث بعد بحوث قرن ونيف من الزمان عن أسلوب الحياة فى بعض عوالم ما بعد المادة استعرضناها فى هذا الباب من أهم زواياها — إجمالاً — ومستندين إلى أعمال لفيف من أبرز العلماء والباحثين ومستبعدين تماماً ما عداها ، لأننا لم أن هذه الناحية بالذات من نواحي البحث هى أشدها دقة وأكثرها وعورة . فينبغى أن يكون الإنسان فيها أكثر تحفظاً من غيرها ، ولو أن التحفظ فى كل مقام صفة محمودة .

وقد كان اهتمامنا موجهاً بوجه خاص إلى بعض جوانب أسلوب الحياة فى ذلك المستوى من عوالم ما بعد المادة الذى اصطاحه الباحثون على وصفه بالمستوى الثالث « أو بالسمرلاند » لأنهم اتفقوا أيضاً على أنه هو المستوى المخصص للغالبية العظمى من الأرواح الأرضية السعيدة . فهو « مكان »

أو بالأدق مستوى من حالة نفسية بهم أمره كل إنسان من ساكني هذا الكوكب الضائع في اتساع الأبدية ، كما تضيع ذرة من الرمال في الصحراء الكبرى .

والمستوى الثالث هذا مستوى راق تماماً كما ظهر للقارىء بغير ريب خلال الأوصاف التي أسلفناها ، ومن باب أولى المستويات التي تليه ارتقاها بكل ما تحتوى عليه من مناطق لا تنتهى في تنوعها عند حد ، وبالتالي في تنوع أساليب الحياة فيها . وإذا كانت الحياة متنوعة جداً هنا في هذا الكوكب الضئيل الحجم فما بالك بالحياة الكوكبية في اتساعها غير المحدود .

فهناك مستويات كوكبية للحياة غير راقية ولا سعيدة يشير إليها الباحثون أحياناً بوصف اصطلاحى هو : الظلمة الخارجية ، ومثله وصف « وادى ظل الموت » وغير ذلك من الأوصاف الاصطلاحية المتعددة .

ففي هذه المناطق غير الراقية يقاسى الإنسان حتماً من مظاهر « فاقة الروح » التي قد يتصف بها . كما قد يقاسى أحياناً من الانفراد والعزلة ، وأحياناً أخرى من الضوء النفاذ الذى يؤلمه ويكشف عيوبه للناس ، أو من الظلام ، أو من عشرة الأرواح الجاهلة أو الشريرة التي تعكس له في الواقع رذائله الخاصة ، وأنانيته التي قد يتصورها دفينه بين جنبيه ، وهي ظاهرة في كل تصرفاته وأفكاره .

وهذه العشرة المؤلمة تكون للإنسان بمثابة المرآة التي تعكس له أخلاقه الخاصة فيقاسى منها بنفس المقدار الذى قد يفرضه على الآخرين في حالته الجديدة ، والذى سبق أن فرضه عليهم في حياته الأرضية . فقانون التوافق أو التعاضد يمثل حكمة الله تعالى في عدله وفي رحمته معاً ، أو هو بالأدق يمثل الإنسان عدل الله إلى أن تدركه رحمته التي لن تتخلى عنه — في النهاية — أو تنساه ، مهما تخلى هو عن نفسه واستسلم لمصيره التعميس الذى جلبه على نفسه ، وعلى ذلك أجمع الباحث في كل مكان .

وفي وصف هذه المناطق غير الراقية يقول سويديزبرج الوسيط الفيلسوف : لا ينقطع النقاش بين النفوس الراقية ، ولا الصراع فيما بينها لأنها تحيا في زيف الحياة ، فلا ينقطع أيضاً الاحتار المتبادل فيما بينها والبغضاء والكبرياء والإلحاد . وكل يدافع عن زيفه قائلاً إن هذه هي الحقيقة بعينها^(١).

وذلك يكشف عن وجود قوانين طبيعية للكون تحكم التطور الخلقى للحياة بنفس الصرامة التي تحكم بها تطورها المادى . قوانين أخذ العلم الروحى في الكشف عنها تدريجياً ، ولكن بمشقة بالغة ، لأنها تحكم مستوى آخر للوجود مختلفاً تماماً عن مستواه المادى ، الذى لم يستكشف الإنسان بعد سوى قدر لا يكاد يذكر من قوانينه ، رغم خضوعه لحواسه ولوسائل اختبار المألوفة .

فإذا كانت حقائق علم الروح قد تطمئن الإنسان على قدره ومصيره ، فإنها قد كشفت أيضاً عن قوانين كانت مجهولة للألم والحرمان لا تفرط فيها ، من شأنها تعزيز ثقة الناس في قيمة الفضيلة والإيمان بالله ، وتنبيه الغافلين ، المستسلمين لسلطان النفس الأمارة بالسوء ، أو لدعوى التشكك والإلحاد ، والتي لم تقف في وجهها قوة في هذا العصر العلمى أقوى من قوة هذا البحث الجديد ، الذى يمثل في نفس الوقت بعثاً لأقدم معارف الإنسان .

وذلك كله يتطرق بنا إلى الباب الثالث الذى خصصناه للكلام في موضوع : الثواب والعقاب ، بوصفه أخطر مشكلة فلسفية يقدم فيها علم الروح الحديث نظرية وضعية جديدة — مستمدة من محض تجارب وأقعية — مأسايب علمية لم تكن معروفة من قبل ، ومؤيدة تماماً لما نادى به جميع العقائد منذ أقدم الأزمنة عن وجود نواميس طبيعية ثابتة أزلية للثواب والعقاب .

(١) « الفردوس والجحيم » من الفرنسية فقرة ٧٥ ص ٤٤٢ .

الباب الثالث في الثواب والعقاب

مترجم

يعد الثواب والعقاب من أهم الموضوعات الفلسفية التي هني بها الباحثون في الروح ، الأقدمون منهم والمحدثون . ومن أفضل من كتب فيها بالعربية من الأقدمين الإمام الغزالي في كتاب « الأربعين في أصول الدين » الذي يقرر فيه أن الروح لا تفنى البتة ولا تموت ، بل تبدل بالموت حالها فقط ، ويتبدل منزلها فترقى من منزل إلى منزل ، كما يقول « فأما الحقيقة التي أنت بها أنت فلا تفنى بالموت أصلاً بل يتغير حالك فقط ، فيبقى معك جميع معارفك وإدراكاتك الباطنة وشهواتك » ويقول أيضاً « المشهور عند أهل العلم أن الإنسان يعدم بالموت ثم يعاد . . . فاعلم أن من قال إن الموت معناه العدم فهو محجوب عن حضيض التقليد ورفاع الاستبصار جميعاً » .

ثم يذكر الأسباب الرئيسية للعذاب بعد الموت فيقول إنها على ثلاثة أصناف : الأول — العذاب الناجم عن حرقة فراق الماشتهيات الدنيوية . الثاني — العذاب الناجم عن انكشاف فضائح الميت بعد موته . الثالث — العذاب الناجم عن الحسرة على ما فاتته من الدرجات العالية عندما يرى أن غيره قد نال تلك الدرجات .

وهو يقرر أن هذه الأنواع الثلاثة من العذاب تصيب الميت بالتدريج ، وعلى الترتيب المذكور . كما يقرر أن عذاب فراق الشهوات الدنيوية وعذاب الخزي والفضيحة ربما يخفان عنه بمضي الزمن وبعد العهد عن الدنيا ثم تبقى حسرة الفوت آخرأ ، ويشبه أن يكون ذلك لا آخر له .

كما يبين أن تحريم اللذات على أهل العذاب « ليس من جنس تحریم

الرجل نعمة على عبده يغضب ... فلا تظن أن الله يغضب عليك فيما قبلك انتقاماً ، ثم تخدع نفسك برجاء العفو فتقول : لم يعذبني ولم يضره معصيتي ، بل يلزم العذاب من المعصية كما يلزم الموت من السم ، . فالعذاب بعد الموت عند الإمام الغزالي إنما هو نتيجة طبيعية لمقدمات معينة . أى أن قانون السببية يحدث أثره في عذاب الروح وهناتها من تلقاء نفسه ، كما أشرنا إلى ذلك في جملة مناسبات ، وكما سنبين ذلك مؤيداً بأسانيد فيما بعد .

وقد بدأنا باب الثواب والعقاب بهذه الفقرات نضعها تحت بصر القارىء ، كيما يدرك كيف أن العلم الروحي الحديث يوضح هذه المعاني العامة ويحدها ويعطى أمثلة عملية لها مأخوذة من واقع التجربة العملية لا الاجتهاد النظري ، أما المبادئ فلا زالت على حالها دون أى تغيير ، وفى ذلك وحده ما يدل على أن الإمام الغزالي كان ملهماً عظيماً من الأثير ولم يكن لحسب من أصحاب التفاسير . وكل من قرأ للغزالي وتعمق فيه يقدر تماماً روحه الشفافة ، هذه الشفافية التي هي العلامة المميزة لكل عمل جليل على مر الدهور .

وفى شأن الثواب والعقاب بعد الموت مباشرة كتب الأستاذ رابع لطفى جمعة - القاضى حالياً - يقول إن هذا ما يؤيده القرآن الكريم حيث يقول وهو الظالمون فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون . ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق إلا له الحكم وهو أسرع الحاسبين ، فإن هاتين الآيتين تؤيدان حصول الحساب بعد الموت مباشرة كما هو واضح من معنيهما .

ثم يضيف قائلاً ، وعلى ذلك قال إخوان الصفاء : إن النفس إذا فارقت هذا الهيكل فليس يبقى معها ولا يصحبها من آثار هذا الجسد إلا ما استفادت من المعارف الربانية والأخلاق الجميلة . فإذا رأت تلك الصورة فرحت بها وذلك ثوابها ونعيمها ، (ص ٦٥ عن فلاسفة الإسلام) . وخلاصة القول إن ثواب الإنسان وعقابه بعد الموت مباشرة أمر محقق ولا سبيل إلى

إنكاره ، لا سيما وأن الروحية الحديثة أيدت هذا الأمر كل التأييد^(١)
ثم يستشهد في موضع آخر بآيات كريمة كثيرة منها : -
- « إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وكن كل شيء أحصيناه في إمام
مبين ، » (٣٦/٢١) .

- « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا . قل : بلى وربى لتبعثن ثم
تنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ، » (٦٤/٧) .
- « يوم يبعثهم جميعاً فينبئهم بما عملوا . أحصاه الله ونسوه . والله على
كل شيء شهيد ، » (٥٨/٦) .
- « وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً
يلقاه منشوراً . اقرأ كتابك . كنى بنفسك اليوم عليك حسيباً ،
(١٧ ، ١٤ ، ١٧) (٢) .

وإذا كنا نعتمد هنا بوجه خاص على نتيجة أبحاث العالم الروحي
آلان كاردك Allan Kardec ، فلأن محور بحثنا في المؤلف الحالي هو العلم
الروحي الحديث ، وقد اخترنا آلان كاردك بالذات لأن إنتاجه لا يزال
يمثل حتى الآن مستوى من أرفع مستويات الإنتاج الفلسفي في نطاق علم
الروح ، إلى حد أن غالبية من خلفوه في فلسفة الحركة الروحية الفرنسية
لم يضيفوا إليه شيئاً يذكر ، فلا زال معتبراً زعيماً للفلسفة الروحية الفرنسية ،
بل اللاتينية بوجه عام . ولا تزال بحوثه معتبرة المراجع التقليدية لمن يريد
أن يحيط من علم الروح بجوانبه الفلسفية إلى أواخرها عناية خاصة .
وقد استند فلسفته إلى أرواح راقية كثيرة ، مثل أفلاطون فيلسوف
الإغريق ولا منيه Lamneais الفيلسوف الفرنسي وفيلون Fénélon ، وإلى
عدد من القديسين مثل القديس بولس St. Paul والقديس لويس St. Louis

(١) مجلة « عالم الروح » عدد مارس سنة ١٩٤٨ (عدد ٥ سنة ١) من ٢٥ ، ٢٤ .

(٢) مجلة « عالم الروح » عدد أغسطس سنة ١٩٤٩ (عدد ١٠ سنة ٢) من ٣٢ ، ٣١ .

والقديس أوغسطين St. Augustin . وكان في إسناده دقيقاً فكان يستدل

فقرة أو لإيضاح أو لإجابة على سؤال معين إلى
مصدره الروحي معيناً باسمه . وقد ذكر
في كتاب الأرواح ، أن هذه الأرواح
الراقية أنبأه أنها جاءت خصيصاً كيما تؤدي
هذه الرسالة الهامة . وأن هذه التعاليم
تقصد بها خدمة الإنسانية ودفعها إلى الأمام
في طريق تفهم مستقبلها ومصيرها لأن
العناية الإلهية تريد لها النجاة ولا تريد التخلي
عن مساعدتها .



٧٧٢ كاردك

وقد ولد هذا الباحث الفيلسوف — وكان اسمه الأصلي هيبوليت ليون
دنيزار ريفاي Hippolyte-Leon-Denizart Rivail — بمدينة ليون في ٣
أكتوبر سنة ١٨٠٤ من أسرة عريقة أنجبت كثيراً من القضاة والمحامين .
واتجه إلى دراسة العلوم والطب والفلسفة . وقضى جزءاً من شبابه في سويسرا
لإتمام تعليمه ، ثم عاد إلى بلاده واشتغل في التعليم رداً من الوقت وترجم
إلى اللغة الألمانية بعض مؤلفات فرنسية في التعليم وفي الأخلاق ، بالإضافة
إلى أعمال الفيلسوف فنيون Fénelon .

ثم اختير عضواً في بعض هيئات علمية راقية من بينها الأكاديمية الملكية
بمدينة أراس Arras التي منحتة جائزة أدبية عن أحسن بحث يوضع للإجابة
عن السؤال الآتي : وما هو أحسن نظام للتعليم وأكثرها تنشأماً مع حاجيات
العصر ، ؟ ، كما وضع عدة كتب في مادة التربية Pedagogie لاتزال مراجع
هامة حتى الآن في الجامعات الفرنسية .

وقد نظم دروساً بمعاونة زوجته — وكانت مثقفة مثله — في الفيزياء
والفلك والتشريح . ثم بدأ بحوثه في موضوع العلم الروحي الحديث
منذ أوائل العهد به في سنة ١٨٥٤ عن طريق أحد أصدقائه الذي كان والده

لوسيطتين قويتين ، وفي إحدى الجلسات الأولى طلبت منه روح مرشدة كانت ترمز إلى نفسها «روح الحقيقة» أن يستعير اسم آلان كاردك الذى كان اسمه السابق عند تجسده الأرضى أيام الدرويد Druides كما أخبرته ، طالبة منه أيضاً أن يواظب على جلساته الروحية . ومنذ هذا التاريخ اهتم بموضوع الأرواح هذا .

وقد ظهر أول مؤلف له وهو «كتاب الأرواح»^(١) فى أبريل سنة ١٨٥٧ ثم ظهر له «كتاب الوسطاء»^(٢) فى يناير سنة ١٨٦١ . ثم كتاب «الانجيل طبقاً للروحية»^(٣) فى أغسطس سنة ١٨٦٤ . ثم كتاب «التكوين والمعجزات والنبوءات طبقاً للروحية»^(٤) فى يناير سنة ١٨٦٨ . كما أسس «المجلة الروحية» فى نفس التاريخ وكان يطلق عليها أيضاً «جريدة الدراسات النفسية» .

تم أسس فى أبريل سنة ١٨٦٨ «الجمعية الباريسية للدراسات الروحية»^(٥) تحت رئاسته وقد كان لها عدة فروع فى الأقاليم . وانتقل إلى عالم الروح بباريس فى ٣١ مارس سنة ١٨٦٩ عن خمسة وستين عاماً .

وكانت حياته فى ذروة النقاء والفضيلة منسمة بطابع التفانى فى أداء الواجب والخدمة المجانية ، فلم يجد أعداؤه — وكانوا كثيرين — أية شائبة فيها أو أى مأخذ يأخذونه عليها ، كما كانت كتاباته مع ما فيها من تجديد — بل من ثورة فى الفكر الروحى الفرنسى — تتميز بالانزان التام والهدوء فى عرض آراء الأرواح ومناقشة معارضيه .

فلم ينزلق لسانه بأية كلمة من العنف أو الاندفاع ، رغم أن كتبه

Le Livre Des Esprits. (١)

Le Livre Des Mediums. (٢)

L'Evangile Selon Le Spiritisme. (٣)

La Gènesè, Les Miracles, Et Les Prédications Selon Le (٤)

Spiritisme.

La Société Parisienne d'Etudes Spirites. (٥)

حرقت ذات مرة في مدينة برشلونة علناً بحجة منافاتها للعقيدة ، وكان آلان كاردك قد أرسل منها أربعمئة نسخة هدية مجانية منه إلى مكتبة المدينة ، فقابل ذلك بهدوء ولم يخرج عن طريقته العلمية في الحاجة المنطقية المنزلة حتى النهاية ، وفي الدفاع عن عقيدته الروحية ومضى أنه « بغير البر لا يوجد خلاص ، فهل في ذلك ما يدعو إلى غضب إنسان ؟ ... » وباعتداله هذا أمكنه أن يكسب المعركة ويضم للحركة الروحية أنصاراً جديداً من بين المتدينين ، ومنهم صفوة من المفكرين والأدباء والعلماء .

وقد وصفه العلامة شارل ريشيه Ch. Richet - عضواً أكاديمياً في الطب والعلوم - في مخطوطة له « فيما وراء الروح » (ص ٣٤) بأنه « بلا منازع أقوى من أحدث تأثيراً نفاذاً » ، وقد رسم أعظم الخطوط في علم ما وراء الروح منذ تجارب وليام كروكس الشهيرة التي ترجع إلى سنة ١٨٧١ . كما وصفه الأستاذ أندريه ديماس André Dumas بأنه تناول دراسة جميع الأنواع الكبرى للظواهر فوق العادية . وأحسن تقسيمها وشيد عليها خطر المبادئ العلمية الحديثة . وهذا الجانب العلمي في إنتاج آلان كاردك هو الذي تولى تسميته وإبرازه فيما بعد جابريل دي لان وكامى فلا ماريون بين آخرين ، مسارين التيار العظيم الذي بدأه الإنتاج القوى لفردريك مايرز ووليام كروكس ، وعمداً بذلك الطريق أمام علم ما وراء الروح بمعناه الحديث... (١)

وقد نقل المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى في « كتاب الأرواح » (٢) طرفاً من بحوث آلان كاردك مبيناً كيف أن ما بها من تعاليم خلقية سامية ، ومن تفاصيل دقيقة عن الثواب والعقاب ، تتفق مع التعاليم الدينية ، ومدللاً على ذلك بقدرة الفقيه المنبهر ، والعالم صاحب التفاسير القيمة التي ينظر إليها في العالم الإسلامى كله بعين التقدير التام .

ونحن نقدم هنا طرفاً من كتابات هذا الرائد الروحى الكبير عن مؤلفه

« لجنة والنار، (١) موجهين النظر إلى أنها ليست آراء شخصية له ، بل هي خلاصة أبحاث طويلة مع أشخاص انتقلوا إلى عالم الروح في درجات متفاوتة من العلم والإدراك ، وقد عاشوا حياتهم الأرضية خلال عصور مختلفة من التاريخ ، وكان بعضهم معروفاً من المؤلف معرفة شخصية والبعض الآخر مجهولاً منه . وكان يحضر من تلقاء نفسه أو بتأثير من الأرواح المرشدة للجلسات بهدف إنارة الموضوع في أذهان الحاضرين في مقر الجمعية الباريسية للدراسات الروحية، التي كانت تنشر محاضرها أحياناً في « المجلة الروحية » مع أسماء هؤلاء الحاضرين .

وقد نشر المؤلف في القسم الأول من مؤلفه هذا — في الفصل السابع منه — ما أسماه « قانون العقوبات في الحياة المستقبلية » في ثلاث وثلاثين قاعدة لخص فيها في عبارات سريعة القواعد العامة للثواب والعقاب ، وذلك بعد أن استعرض في الفصول السابقة لذلك الفصل النظرية الروحية بالمقارنة مع النظريات الأخرى في شأن « الجنة والنار » بما يضيق عنه المقام .

ولنما نكتفي بأن نعرض هذه القواعد العامة — وعددها ٣٣ كما قلنا — في فصل أول . ثم نقدم بعض نماذج من الاتصالات التي تمت مع الأرواح ، وسنختارها من فئات مختلفة منها تفاوت بين السعادة والشقاء في فصل ثان ، وذلك كله لإعطاء فكرة عامة عن النظرية الروحية في شأن الثواب والعقاب أما من يريد المزيد فعليه بالرجوع إلى المؤلفات التي تناولت شرح هذا الموضوع . والفقه الروحي في شأن الثواب والعقاب لا يستمد قوته — كما لاحظ المؤلف — من سلطان الروحية الخاص في إنشاء قانون كيفما اتفق بل من أن قانونها فيما يتعلق بمستقبل الروح مستقى من مشاهدات مبينة على وقائع ، إذ أن ذلك هو ما يميز في الواقع جوهر البيان الروحي في شتى جوانبه ، هو أنه مستمد من تجارب عملية ومشيد على وقائع محددة ، وهو ما كفيل له القدر المطلوب من الترابط في كل بحث على يستحق هذا الاسم .

الفصل الأول

في مبادئ الثواب والعقاب بوجه عام

قبل أن نبين المبادئ التي تحكم الثواب والعقاب كما استخلصها العلامة آلان كاردك من بحوثه نبادر إلى القول بأن المؤلف قد أشار في أكثر من موضع منها إلى فكرة عودة الروح إلى التجسد الأرضي بعد الخروج منه بمدة طويلة أو قصيرة . ونظرية العودة إلى التجسد الأرضي Reincarnation, Métémpsychose سائدة جداً في الفقه الروحي ، ويؤمن بها أغلب الباحثين في الروح إلا أنه لا يمكن القول مع ذلك بأنها تلاقى قبولاً عند إجماعهم .

ورقة عند نظرية العودة للتجسد

فنظرية العودة للتجسد هذه نظرية قوية لها أنصارها الكثيرون . كما قلنا - دون أن يمكن القول بأنها حقيقة علمية قد ثبتت بمقدار ثبوت الحياة بعد موت الجسد في تقدير هؤلاء الباحثين أنفسهم . وذلك لسبب هام يجعل إثباتها بالبراهين العملية أمراً شاقاً ، وهو أن العودة إلى التجسد الأرضي تؤدي إلى فقدان ذاكرة العائد الواعية تماماً فيما يتعلق بحياته الأرضية السابقة .

ومن الأمور محل النقاش في هذا الميدان بحث عدد مرات العودة ، والفواصل الزمنية بين كل حياة أرضية وأخرى ، وما إذا كانت العودة اختيارية أم مفروضة على كل إنسان كقاعدة عامة ، وبواعثها وظروفها ... وغيرها من أوجه النقاش بين المدارس الروحية المختلفة على النحو الموجود في كل ميدان من ميادين العلوم النظرية والعملية معاً .

وتنادى غالبية الأرواح المعلقة أيضاً بإمكان العودة للتجسد على المستوى الأرضي ، وذلك كوسيلة تتخذها روح راقية - أحياناً - لأداء رسالة مأمون الخدمة الراقية على هذا المستوى قد لا تؤدي إلا عن طريق العيش بين البشر

والاختلاط بهم. وتكون الروح في هذا الشأن كإنسان راق يقبل السفر إلى بلاد نائية متخلفة حضارياً ، ويقاسى أهوالاً من سوء المعاملة ومن الظروف الطبيعية القاسية في سبيل أداء رسالة علاجية نبيلة ، أو رسالة لتخفيف ويلات مجتمعه الجديد ، أو تعريفه ببعض أسباب التقدم والعرفان اللازمة له .

كما يقولون إن العودة للتجسد قد تكون - أحياناً أخرى - وسيلة لتكفير الروح المتجسدة عن أخطائها السابقة ، أى لسداد ديون الماضي بصورة ما ، أو كإيا تحصل هي نفسها على مزيد من التطور والارتقاء تحت تأثير قسوة ظروف الحياة في هذا الكوكب الحزين المليء بصنوف الشقاء ، وبدواعي الكفاح المرير . وبعد عندئذ يوم ميلاد الروح على هذا المستوى الأرضي من أنعس أيام حياتها ، كما يعد يوم انطلاقها من أسر هذا المستوى السكيب هو يوم الإفراج المرتقب بعد طول الاعتقال في المنفى السحيق .

ويجد عدد ضخم من الروحيين في نظرية العودة للتجسد هذه تفسيراً لأمور كثيرة يتعذر تفسيرها تفسيراً مقبولاً بغيرها : ومنها ولادة بعض الأطفال عمياناً أو مشوهين أو عاجزين ، مع أن الله تعالى عادل ورحيم ولا يتصور أن يكون قد فرض على هؤلاء الأبرياء آلاماً رهيبية لغير ذنب جنوه ، أو لذنب اقترفه أحد آبائهم أو أجدادهم . أما مذهب العودة للتجسد فيقول إنهم قد اقترفوا في حياة سابقة لهم ما اقتضى ولادتهم على هذا النحو للتكفير عن طريق الألم عما اقترفوه .

وكذلك الشأن في تعليل كل تعاسة قد تصيب إنساناً ما . وقد لا تبدو مسئوليته عنها واضحة في سلوك حياته الحاضرة ، فهم يقولون إن سبب تعاسته كامن في حياته أو في إحدى حيواته السابقة ، وإن هذه التعاسة تعد نتيجة محتومة لقانون الكارما Karma أو ارتباط النتائج ارتباطاً محتوماً بأسبابها ، بقدر اتصال هذا الارتباط بحياة الروح التي لا تتوقف . فهذا القانون يعمل التعاسة ، كما يعمل السعادة الراهنة على نفس النحو .

ويجد أنصار هذا المذهب - من الأرواح ومن الروحانيين - تعليلاً لما يبدو في البشر من تفاوت ضخم في المواهب وفي الملكات العقلية والخلقية والروحية . وهو تفاوت لا يتناسب في مداه مطلقاً مع سنى الحياة الأرضية القصيرة وما يحدث أثناءها من تطور ضيق النطاق محدود المدى . بل إن هذا التفاوت قد يظهر منذ سنى الحياة الأولى على الأرض ، فنذ الطفولة المبكرة قد تظهر على طفل معين مخايل الذكاء والنجابة ، وجمال الأخلاق أيضاً ، حين قد تظهر على طفل آخر - وقد يكون شقيقاً له - مخايل البلاهة أو الغباوة أو شراسة الطباع .

ويجدون فيه أيضاً تعليلاً لما قد يبدو على بعض الذكور من عراقة في الذكورة ، وعلى بعض الإناث من عراقة في الأنوثة ، وعلى البعض الثالث من حالة مشتركة قد تجمع إلى صلابة الرجولة واعتدادها برأيها قدراً واضحاً من رقة الأنوثة ولين عريكتها ، وعلى البعض الرابع من انحراف نحو نفس الجنس . فيقولون إن ذلك كله راجع إلى التجسد المتكرر في أحد النوعين دون الآخر ، أو فيهما معاً مرة بعد مرة ، بل يحاول بعض الروحانيين تفسير بعض صور الشذوذ بأنها قد تتضمن نوعاً من الحنين غير الواعي للماضي السحيق في صورة أو في أخرى .

ويقولون أيضاً إنه إذا كان التجسد على المستوى الأرضي مفيداً في نضج الروح ونمو ملكاتها ومواهبها عن طريق الألم فإن التجسد لمرة واحدة قد لا يكون كافياً ، خصوصاً إذا كانت فترة التجسد الأرضي قصيرة بسبب حلول الأجل المحتوم في طور الطفولة أو حتى في الشباب . وإن تعدد مرات التجسد على هذا المستوى يفسح للروح مجالاً أكبر للحصول على مزيد من المعرفة والاختبار ، وبالتالي على مكانة أسمى في العالم الذي تستحقه الروح - بحسب مرحلة تطورها - من عوالم ما وراء المادة .

فثلاً تجسد الروح في الرجولة يعطيها فرصة أو أكثر للتقدم في صفات

الرجولة الطيبة ، مثل الشجاعة والعزيمة والإقدام والحكمة والتواضع والصدق والتسامح . وتجسدها في الأنوثة يعطيها فرصة أو أكثر للتقدم في الصفات الطيبة للأنوثة مثل قوة الاحتمال ورقة الشعور وعمق العاطفة والتضحية والحنان والحياء ، كما قد تكون الأنوثة ترويضاً للروح على العفة وضبط النفس ... وهكذا حتى تتكامل الفضائل المطلوبة في الروح فلا تعود بحاجة للتجسد بعد على المستوى الأرضي ومعاناة دروسه وآلامه ، بل قد تستحق عندئذ مكاناً أرقى في مستوى آخر من المستويات الراقية في عوالم الأثير .

بعض تجارب معمّية في جانب هذه النظرية

هذا عن بعض النواحي النظرية ، أما عن النواحي العملية فيستند أنصار العودة للتجسد Reincarnationistes إلى بعض تجارب معمّية منها :

أورو : بعض حالات نادرة من عودة الذاكرة القديمة فجأة ، التي حققها علماء ثقة عند أشخاص أمكنهم أن يتذكروا أحياناً قليلة ماضياً معيناً لهم سابقاً على حياتهم الحالية ، وقيموا بعض الأدلة عليه مثل الإرشاد الصحيح عن بعض الوقائع ، أو بعض الأماكن ، أو بعض الذكريات الدفينة . وهذه الحالات خضعت للبحث في نطاق علمي السيكولوجي والباراسيكولوجي .

وهذه الظاهرة يطلق عليها ظاهرة «رؤى من قبل» Déjà vu . أو «سمع من قبل» Déjà entendu ، ومنها صور ثبتت صحتها ، وصور أخرى تنتمي إلى تخيل موهوم للرؤية أو السماع من قبل ويطلق عليها وصف Paramnesia .

ثانياً : كما أمكن أحياناً عن طريق بعض الحالات العميقة للتنويم المغناطيسي إرجاع ذاكرة المنوم مغناطيسياً إلى ما قبل ولادته ، فروى بعضهم ذكريات عن وقائع معينة وبأسماء محددة في الذكورة وفي الأنوثة معاً ، وقد أخضعت بعض هذه الحالات للتحقيق العلمي . وقد بدأ هذه التجارب منذ مطلع القرن الحالي الكونت كولونيل ألبير دي روشا

Albert De Rochas مدير مدرسة الهندسة العسكرية L'Ecole Polytechnique
بباريس وشرحها في مؤلفاته المعروفة في التنويم المغناطيسى^(١)، ثم واصلها
غيره في عدة بلاد .

ثانياً : وأمكن لعدد من الأرواح بعد تحررها من أجسادها الأرضية
« بالوفاة » أن تتذكر شطراً من حياة سابقة لها أو أكثر. ذلك أنه بحسب
الأصل تفقد الروح ذاكرة حياتها السابقة بمجرد الالتصاق بجسد الجنين
في بطن أمه فلا يتبقى لها من هذه الذاكرة سوى درجة التطور التي وصلت
إليها النفس ، والتي تنزلق إلى عقلها الباطن كيما تمهد لها طريقها في حياتها
المستقبلية . ولذا كان العقل الباطن مخزناً لدروس الماضي وخبراته ، مخزناً
مليئاً بصنوف التجربة التي أصبحت — بحسب الظاهر — في طي النسيان
من العقل الواعي .

وهذا النسيان يحصل لحكمة إلهية سامية ، وهي دفع عجلة التطور للأمام
وحتى لا يكون ماضي الروح السحيق عائقاً يعوقها في تقدمها ، بما قد يكون فيه
من أخطاء ووصمات وآلام وأهوال . فهو رد اعتبار من الطبيعة للروح
يسلبها مخازنها السابقة ، ولا يسلب النفس حقها في الاحتفاظ بالمرحلة التي
وصلت إليها في التطور عن طريق الألم والاختبار المتكرر .

وسنقابل في المبحث الأخير من الفصل المقبل اتصالات وساطية بعدد
من الأرواح التي أمكنها أن تتذكر — استثناء من ذلك — شطراً ولو غامضاً
من ذكريات حياة سابقة لها أو أكثر طفت إلى السطح — بعد الموت —
من عقلها الباطن إلى عقلها الواعي ، وأن تربط بين ذكرى هذه الحياة
السابقة وصنوف التجارب القاسية التي تعرضت لها في حياتها الأخيرة
للتكفير — في صورتى — عن ذنوب اقترفتها في حياتها السابقة على الأرض .

(١) راجع بيانها في الجزء الأول من ٢٧٦ ، ٢٧٢ .

ربما : وهناك أيضاً حقيقة علمية سائدة الآن حتى في علم النفس ، وهي أن العقل الباطن أعمق وأعم من العقل الواعي . فهذا الأخير ليس سوى جزء ضئيل من العقل يطفو على سطح الماء حين يحتقن الجزء الأكبر منه وهو العقل الباطن تحت السطح ، بالأقل طيلة الحياة الأرضية .

ويقول عدد كبير من الروحيين إن علة ذلك هي أن الوعي الإنساني لا يتجسد كله في المرة الواحدة ، فلا يتجسد منه في المرة الواحدة سوى جانب يسير عن طريق المخ الذي يتحكم بدوره في الجهاز العصبي للإنسان ، ومقتضى ذلك بالضرورة هو تعدد عدد المرات التي ينبغي أن يتجسد فيها الوعي للحصول على النمو المطلوب ، وعلى التناسق الكافي بين شتى أجزائه ، وهذا التناسق هو الذي يحقق للإنسان قدراً أوفر من السعادة^(١) .

وقد أيدت أرواح متعددة صحة هذا النظر . بل منها من علل بعض الأمراض العقلية بعدم حدوث التجسد الأرضي على النحو الطبيعي . فإذا لم يكن الجانب المتجسد من الوعي كافياً كيما يحقق السيطرة المطلوبة للمخ — ومن ورائه العقل — فقد المخ سيطرته على وظائف الأعضاء ، وبدا صاحبه ناقص الإدراك عديم الاتزان في حركاته وسكناته ، ومثل هذا المرض العقلي — الذي تعودنا أن نصفه بالبله أو بالعمه أو غير ذلك من أوصاف — سرعان ما يحتقن بالوفاة عندما يندمج الجزء الضئيل الذي كان متجسداً في باقي أجزاء الوعي فيبدو الإنسان « المعتمه سابقاً » ، إنساناً طبيعياً في ذكائه ، وأحياناً إنساناً على درجة ممتازة من الذكاء أو الالمية مؤدياً على أتم وجه وظائف حياته الجديدة .

وقد فتح علم الروح بذلك آفاقاً جديدة في دراسة أسباب الأمراض العقلية لم تكن معروفة من قبل ، بجانب الآفاق التي فتحتها من ناحية التسليم

(١) راجع ما سبق في ص ٩٩ — ١٠١ على لسان الدكتور جيل Geley مدير المعهد الدولي لما وراء الروح « ياريس » .

بإمكانية ظاهرة المس والاستحواذ الروحي obsession and possession التي تصدى لبشرها الفيلسوف المعروف ويليام جيمس William James (١)، وأخضعها أيضاً للبحث الدقيق لمدة عشرات من السنين الدكتور تيتوس بول (٢) Titus Bull ثم كارل ويكلاند (٣) Carl Wickland ووصلوا في بحوثهم إلى نتائج إيجابية محددة واضحة في دلالتها .

موقف بعضه الآراء من العودة للتجسد
وهذا الاعتقاد في تناسخ الأرواح Métémpsychose يغير تماماً الاعتقاد في إمكان تقمص بعض أرواح الأدميين لأجساد الحيوانات ، فهذا الاعتقاد الأخير ينكره علم الروح ولم يقم عليه أى دليل ، ولم يرد له ذكر على لسان أية روح راقية . أما تناسخ الأرواح أو العودة للتجسد فعناه مجرد إمكان عودة الروح إلى الحياة الأرضية في صورة آدمية تشبه إلى حد ما صورتها السابقة .

وهو ليس عقيدة جديدة جاء بها علم الروح الحديث ، بل هو اعتقاد قديم قدم الفلسفة ، وجد سبيله إلى أذهان عدد ملحوظ من فلاسفة الإغريق (٤)، كما عرف سبيله من بعدهم إلى عدد أقل منهم من فلاسفة المسيحية ، ثم الإسلام . وأيده بعض هؤلاء ، وأولئك ببعض الشواهد والأدلة الدينية .

ولكن هناك منهم من أنكره وقاومه تأسيساً على اقتناعه بأن الحياة التالية للوثة هي الخلود رأساً في النعيم أو في الجحيم ، فلا محل فيها لعودة ثانية إلى الأرض . وفاتهم أن تلك الحياة التالية قد تكون أيضاً حياة برزخية ، أو انتقالية ، على النحو الذي فهمه الكثيرون من شراح الآيات الدينية ، وقد تفتح هذه الحياة البرزخية بالتالي الباب واسماً لجميع الاحتمالات ، بما في ذلك « احتمال » العودة إلى التجسد من جديد في صورة آدمية .

(١) راجع ما سبق في الجزء الأول ص ١٦٠ .

(٢) راجع ما سبق في الجزء الأول ص ١٧٢ .

(٣) راجع ما سبق في الجزء الأول ص ٤٠٧ .

(٤) بل كان فيثاغورس عالم الطبيعة المعروف يؤمن به ويقول إنه كان في تجسده السابق

يدعى أوفوربوس Fuphorbus .

والحياة ذاتها، وفي كل مكان وزمان، ليست أكثر من تطور بطل الروح المحدودة داخل الروح غير المحدودة، وانتقال من حالة سابقة إلى حالة لاحقة أتم منها وأفضل. وهذه هي بعينها سنة النشوء والارتقاء التدريجي البطلاني الذي لا يعرف الطفرة، كما لا يعرف التطرف إزاء ارتباط النتائج بمقدماتها ارتباطاً محتوماً .

هذا وقد كان من أنصار العودة للتجسد في فرنسا قبل آلان كارديسان سيمون Saint Simon وسان مارتين Saint Martin وهما من وسطاء الإلهام. وفورييه Fourier وبيرليرو Pierre Leroux وجان رينو Jean Reynaud وهم من الفلاسفة .

وبعد كاردك دافع عن مذهب العودة للتجسد من الباحثين الروحيين ليون دينيز Léon Denis ثم جابريل ديلان Gabriel Delanne ثم الدكتور جيلي G. Geley مدير المعهد الدولي لما وراء الروح بباريس، ثم خلفه الأستاذ رينيه فاركوليه René Warcollier، حتى لقد أصبح الاعتقاد بمذهب العودة للتجسد هذا من خصائص المدارس الروحية بوجه عام، والمدارس الفرنسية بوجه خاص، ومحوراً رئيسياً من محاور الحركة الثيوصوفية، حين أنكره عدد لا يستهان به من الباحثين الروحيين .

وعلى أية حال فإنه حتى مع التسليم بتوافر عدد من الشواهد العلمية على احتمال صحة نظرية إمكان عودة الإنسان للتجسد على المستوى الأرضي، فلا محل للجزم بأنها قد ثبتت علمياً بقدر ثبوت دوام حياة الإنسان بعد الموت. هذا وقد قال في شأنها الفيلسوف والأديب الكبير موريس مترلنك Maurice Maeterlinck إنه حتى مع علم اقتناعه بثبوتها علمياً يأسف جداً لأن يجد حجاج الثيوصوفيين والروحيين الجدد غير حاسمة بشأنها، يأسف لأنه لم يوجد قط من قبل اعتقاد أكثر جمالاً وعدالة وثقاء، وخلقاً، وغنى في نتائجه، وتمزية، وقرباً إلى التصور من هذا الاعتقاد .

فهو بما يقيمه من فقه عن التكفير والتطهير المتتابع مرة بعد الأخرى . يفسر التفاوت بين إنسان وآخر في الجسد وفي العقل ، كما يفسر المفارقات الاجتماعية ، وما يبدو من مظالم صارخة في المصائر . ولكن مزايا أى اعتقاد ليست دليلاً على صحته . وبالرغم من أن هذا الاعتقاد يمثل عقيدة ستمائة مليون من البشر ^(١) فهو أقربها إلى تفسير الأصول الخفية ، ولعله التفسير الوحيد الذى لا يثير الامتناع ، ولا يبدو بعيداً عن التصور ، وينبغى أن يلقى من العناية فى دراسته أكثر مما يلقاه غيره ، وأن يقدم لنا الباحثون فيه أدلة لاتحصى ، أما ما قدموه لنا حتى الآن (قبل سنة ١٩١٣) فهو ليس أكثر من ظلال أولية لأدلة لاتزال فى مبدئها ، ^(٢)

كما يقول أيضاً : « إنه حتى لو ثبتت نظرية العودة إلى التجسد علمياً ، ومعها حياة الإنسان بعد الموت ، فإن ذلك لا يكفى لحل مشكلة التساؤل الهام عن الأصل وعن المصير ، وهما المشكلتان الأساسيتان للإنسان ، بل إن ثبوت ذلك يؤدى لحسب إلى تراجع المشكلتين اللوراء لعدة قرون ، أو لعدة آلاف من السنين بأمل أن نفقد المشكلتين أو ننسأهما فى الصمت أو فى الفضاء ... » ^(٣) .

* * *

ثم إن لعقيدة العودة إلى التجسد — إن ثبتت علمياً — مزية أخرى فى تقديرنا . وهى تخفيف حدة الفواصل الصناعية التى قد تفصل بين شتى الأجناس والأديان والألوان . فبحسب هذه النظرية قد يتعاقب الشخص الواحد على التجسد فى أجناس مختلفة ، وفى أديان متنوعة ، وذلك وحده يدعو حتماً إلى أن ينظر بعين الوداعة والتسامح إلى باقى الأجناس والأديان الأخرى ، إذ من الجائز أنه كان بين أتباعها يوماً ما ، أو سيكون يوماً ما من هؤلاء الاتباع ، فى تجسد لاحق عندما تشاء ذلك مشيئة الله . فعلام هذا الاعتداد المفرط بالانتماء إلى جنس دون آخر أو إلى دين دون غيره فى مرحلة التجسد الحالى ؟ ...

(١) يشير إلى ذبوع هذا الاعتقاد فى بلاد الشرق الأقصى بوجه خاص .

(٢) La Mort من ١٦٨ — ١٧١ .

وفي كل تجسد جديد من المفروض أن يكتسب الإنسان خبرة جديدة وخلقاً متزايداً ، ولعل ذلك يعطى تفسيراً مقبولا لحكمة باريء هذا الكون التي سمحت بتعدد الأجناس والألوان والأكوان والأديان على النحو المعروف لزيادة فرص التعلم والاختبار، ولتحقيق رسالة التطور، ومعها رسالة المحبة والتسامح التي لنا إليها عودة تفصيلية فيما بعد .

بل إنه قد يكون من آثار الاعتقاد بالعودة إلى التجسد تخفيف حدة التعصب حتى بين الذكور والإناث : فهي بما قد تسمح به من احتساب التجسد مرة في الذكورة وأخرى في الأنوثة ، تحمل الإنسان خصوصاً الرجل على ألا يحتقر الجنس الضعيف لمجرد ضعفه .. إن الفروق بين الجنسين — إذا استبعدنا ما يستند منها إلى طبيعة الجنس Sex الذى ينتمى إليه الإنسان — ليست قوية ، بل ضئيلة عند من تعودوا أن يتعمقوا في بحث انفعالات الروح ودوافعها وغرائزها بعيداً عن الارتباط بتجسد من نوع معين .

فبين الشقيق وشقيقته أو الأم وابنها أحياناً من وجوه التشابه في الشكل وفي الوعي ما قد يسترعى الأنظار ويحير الألباب، وما قد لا تجدده بين شقيقين كليهما من الذكور أتم إن للجنسين معاً ميلاً للتقارب أشار إليه فيكتور هيجو عندما لاحظ أن أول أعراض الحب الصادق في الرجل هو الخجل ، وفي الفتاة الجرأة ... فللجنسين ميل غريزي للتقارب وكل منهما قد يتخذ صفات الآخر .

* * *

ولنسكتف الآن بهذا القدر عن موضوع العودة للتجسد ، فهو موضوع عويص ، وحتى لا نخرج عن موضوعنا الأصلي وهو الثواب والعقاب ، وإنما يتعين أن نبين للقارىء بعض المراجع ، إذا كان يرغب في المزيد من الاطلاع فيه (١) .

Shaw Desmond: Reincarnation For Everyman.

(١)

E. D. Walker : Reincarnation : A. Study Of Forgotten Truth (1919).

Annie Besant & C. W. Leadbeater : The Lives Of Aleyone : 2 Volumes (1924).

والاعتقاد بإمكان العودة إلى التجسد الأرضي أو بعدمها ليس من شأنه البتة أن يؤثر شيئاً في قيمة مبادئ الثواب والعقاب كما استخلصها آلان كاردك . لأن من مبادئ العلم الروحي أن حياة الإنسان — على أية حال — عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات من الوجود في عوالم مختلفة بين أرضية وأثيرية، وأن هذه الحيوانات متضامنة معاً في إيساعده أو إشقائه بحسب التهج الذي قد ينتهجه من خير أو من شر .

أساس الثواب والعقاب ارتباط النتائج بمصرعاتها
كما تدبغ الإشارة هنا إلى أن مبادئ الثواب والعقاب التي أشار إليها

= Annie Besant : Reincarnation.
H. P. Blavatsky : Isis Unveiled.

وله ترجمة فرنسية بعنوان :

Isis Devoilée.

William Walker Atkinson : Reincarnation And The Law Of Karma (1908).

F. Bligh Bond : 1— Gate of Remembrance.

2— The Company of Avalon.

وراجع بحثاً للأستاذ ج. آرثر هيل G. Arthur Hill في مضابط « جمعية البحث الروحي » بلندن (المجلد الثامن والثلاثين) عنوانه :

Some Reincarnationist Automatic Scripts.

وقد أملت روح عالم النفس المعروف فرديريك مايرز يافاً من هناك عن صحة العودة للتجسد في مؤلفه الوسيطة جبر الدين كامينز عن « الطريق إلى الخلود » The Road to Immortality
L. Stanley Jast : What It All Means, 1941.

وبالفرنسية راجع :

Papus (Dr. G. Encausse) : La Réincarnation.

G. Delaune : Documents Pour Servir à l'Etude de la Réincarnation (J. Meyer, Paris 1924).

Ch. Lancelin 1— La Vie Posthume,

2— La Réincarnation.

A. De Rochas 1— Les Cas Profonds De L'hypnose.

2— Les Vies Successives.

Gustave Geley : De L'inconscient Au Conscient.

ويلاحظ أن من بحثوا موضوع تطور الروح الإنسانية تعرضوا حتماً لموضوع احتمال العودة للتجسد الأرضي . ويحوى عدد كبير من المراجع والمجلدات للبيئة في الباب الثالث من الجزء الأول لمصوّل أو مقالات عن موضوع العودة للتجسد هذا .

كل علماء الروح هي نتائج محتومة لمقدمات طبيعية ، تحدث طبقاً لرابطة العلة بالمعلول ، وهي الرابطة الفلسفية التي تربط كل نتيجة بأسبابها *Lien de Causalité* ou de cause à effet. وذلك من تلقاء نفسها ، وبغير ما حاجة إلى إرادة إنسان معين كيما يتولى تطبيقها بأساليب مادية ، وهذه الرابطة في نطاق ثواب الروح وعقابها يطلق عليها عادة وصف قانون السكارما *Law of Karma* ، وهو تعبير هندي الأصل وشائع الاستعمال في هذا الصدد ، ويشير إلى قانون عادل طبيعي هو قانون « ما تزرع إياه تحصد ، أو » الجزاء من جنس العمل » .

فدراسة مبادئ ثواب الروح وعقابها تكون على هذا الوضع جزءاً لا يتجزأ من دراسة قوانين الطبيعة ، وهي بحث فلسفي بحسب أصله . ولو أن هذه الدراسة تكون قد انتقلت بنا إلى ما وراء الطبيعة *La Métaphysique* مع فارق هام ، وهو أنها في نطاق البحث في الروح دراسة مستمدة من بحوث معملية لا من نظريات لاهوتية على طريقة أرسطو ، وهو مؤسس علم ما وراء الطبيعة على أسس فلسفية جعلت منه نوعاً من اللاهوت . وهذا هو الاعتبار الذي دفع العالم الأيرلندي شارل هنري *Ch. Henry* أن يقرر أنه إذا كانت دراسة الروح قد اعتبرت فيما مضى جزءاً مما وراء الطبيعة فإنها ستعتبر في المستقبل جزءاً من علم الأحياء .

وأساس الناموس الخلقى عند ألان كاردك هو أن جميع الأرواح خلقت في البدء متساوية وعلى درجة واحدة من الجهل والبساطة ، وأنها أعطيت حرية الاختيار ، كما فرض عليها منذ البدء أن تتطور كلها طبقاً لقانون التطور والارتقاء ، خلال حيوات عدة متصلة ومتعاقبة هنا وهناك ، حتى تستكمل سعادتها باستكمال أسباب رقيها العقلي والخلقى . وبقدر نموها في المعرفة وفي الفضيلة بقدر ما تنمو إرادتها وبالتالي حريتها في الاختيار ، وهو ما عني أيضاً بشرحه في مؤلفه الآخر وهو « كتاب الأرواح » ، على ضوء ما تلقاه من بيانات في هذا المعنى من أرواح راقية .

والفضائل التي تتطلبها الفلسفة الروحية في الإنسان ، حتى يستكمل أسباب سعادته ، تكاد تنحصر إجمالاً في فضيلة المحبة وشقيقتها التواضع ، حين تنبع الرذائل عن الأنانية وشقيقتها الغرور ، لذا كانا مجتمعين العدو الأول للإنسان والمستول الأوحى عن تعاسته حيثما وجد .

وقد اتفق الباحثون في الأرواح على أن المحبة ليست مجرد عاطفة موقوتة بظروفها ، بل هي طاقة حقيقية من شأنها أن تؤثر في اهتزاز الجسد الأثيري وترفع منه وتحافظ على تناسقه ، وتعطي الإشعاعات التي تنبعث منه جمالاً خاصاً . وتجعله بالتالي جذيراً بعوالم أرقى طبقاً لقانون التوافق ، وهو القانون الطبيعي الذي يحدد للجسد الأثيري مكانه بعد تخلصه من مقابله المادي^(١) . وهذا الرأي أصبح شائعاً ، بل مجمعاً عليه في الفقه الروحي... أليس الله محبة ؟

مبادئ الثواب والعقاب عند فاردك

أما المبادئ التي لخص بها آلان كاردك قواعد الثواب والعقاب — والتي أساسها جميعها حياة الروح لقدر كاف من الإرادة وحرية الاختيار — فهي : —

١ — أن الروح تتحمل في حياتها الروحية نتائج كل مالم تتخلص منه من رذائل أثناء حياة الجسد . فخالها من ناحية السعادة أو الشقاء يتوقف على درجة نقائها أو عدمه .

٢ — أن السعادة المطلقة متصلة بكال الروح أى بنقاها المطلق . فكل رذيلة هي بذاتها مصدر للعذاب وللحرمان من النعيم ، كما أن كل فضيلة اكتسبت هي بذاتها مصدر للنعيم ولتخفيف هذا العذاب .

٣ — أنه لا توجد في الروح رذيلة واحدة لا تحمل بذاتها نتائجها الآلية التي لا مفر منها ، كما أنه لا توجد فيها فضيلة واحدة ليست بذاتها مصدراً للنعيم . فعلى قدر الرذائل يكون القصاص وعلى قدر الفضائل يكون التمتع .

(١) راجع ما سبق في الجزء الأول ص ٤٢٧ - ٤٥٥ وفي الجزء الثاني ص ١٥٠ - ١٥٢ .

فالروح التي لها عشر رذائل مثلاً تتألم أكثر من تلك التي ليس لها سوى ثلاث أو أربع منها. وحينما تتخلص الروح من ربيع هذه الرذائل أو نصفها يصبح ألمها أخف وطأة، ويذول هذا الألم وتصبح الروح سعيدة تماماً عندما تتخلص منها كلها، فثلثها مثل من لديه أمراض متعددة، فهو يتألم أكثر من لديه مرض واحد أو من ليس مريضاً على الإطلاق. ولنفس السبب أن للروح التي لديها عشر فضائل قدرة على التمتع أكثر من تلك التي لديها أقل من ذلك.

٤ — أن كل روح تملك طبقاً لقانون التطور والارتقاء المقدرة على استكمال ما ينقصها من خير، وعلى التخلص مما يشوبها من شر طبقاً لجهودها الخاصة ولقوة إرادتها، الأمر الذي ينتج منه أن يكون باب المستقبل غير مغلق في وجه أي مخلوق، فإله تعالى لا يطرد أحداً من رحمته، بل يفتح لعباده أبوابها بقدر ما يحصلون عليه من تطور نحو الكمال، تاركاً بذلك لكل منهم فضل أعماله.

٥ — طالما أن الألم مرتبط بالنقص، كما أن التمتع مرتبط بالرقى الخلقى والعقلى، فكل روح تطوى بين جنبيها جزاءها الخاص حيثما وجدت دون ما حاجة لوضعها في مكان خاص. فالجحيم يوجد في كل مكان توجد فيه أرواح متألمة، كما أن الجنة توجد كذلك في كل مكان توجد فيه أرواح سعيدة.

٦ — أن ما تقدمه من حسنات أو من سيئات إن هو إلا ثمار ما نحوزه من صفات حسنة أو رديئة، وحتى مجرد الامتناع عن فعل الخير الذي يمكننا فعله إن هو إلا نتيجة نقص فينا. ومن ثم فالروح تشقى بما أقدمت على ارتكابها من سيئات، وأيضاً بما أحجمت عنه من حسنات كان في مقدورها إتمامها أثناء حياتها الأرضية.

٧ — أن الروح تتألم من نفس الإثم الذي أقدمت على ارتكابه، فيصير التفاتها موجهاً إلى عواقب هذا الإثم مدركة بذلك أكثر من غيرها سوء هذه العواقب ومدفوعة بالتالي إلى إصلاحها.

٨ — لأن عداله الله غير محدودة فكل ما فينا من خير أو من شر موضع حساب دقيق . فما من عمل سيء واحد ، بل ما من فكرة سيئة واحدة إلا ولها عواقبها المحتومة . كما أنه ليس من عمل صالح بل ما من حركة طيبة من الروح ، بل ما من فضل مهما كان شأنه ضئيلاً يضيع على صاحبه ، حتى ولو صدر عن أشد الناس انحرافاً عن الصواب ، لأنه يشير إلى بدء التقدم عنده .

٩ — أن كل معصية ارتكبت هي دين علينا مستحق الوفاء إن لم يكن في حياتنا الأرضية ففي حياتنا الأخرى لأنها كلها متضامنة معاً . وحين يوفي الدين مرة لا يوفي ثانية .

١٠ — أن الروح تتحمل قصاص سيئاتها سواء في عالم الروح أم في عالم المادة . فكل ما نقاسيه من عناء ومن تقلبات في حياتنا الأرضية إن هو إلا نتائج نقائصنا الخلقية ، أو تكفير عما ارتكبناه من أخطاء سابقة في حياتنا الحالية أو السابقة . ومن طبيعة هذه الآلام وتقلبات الحياة التي نقاسيها في حياتنا المادية يمكننا أن نحكم على الأخطاء التي ارتكبناها فيما مضى ، وعلى نقائصنا التي دفعتنا إليها .

١١ — أن التكفير عن الخطأ يخفف طبقاً لطبيعة هذا الخطأ ويسدى خطورته . وبالتالي إن نفس الخطأ قد يولد طرقاً مختلفة للتكفير عنه طبقاً لما أحاط بارتكابه من ظروف مخففة أو مشددة .

١٢ — أنه لا توجد فيما يتعلق بطبيعة القصاص ومدته قاعدة عامة وموحدة ، إنما الناموس العام الوحيد هو أن كل خطأ يلاق قصاصه ، كما أن كل عمل صالح يلاق جزاءه بحسب أهميته .

١٣ — أن مدة العقاب متوقفة على تقدم الروح الآثمة . فليس هناك من حكم بالإدانة لأجل محدّد يصدر ضدها . بل إن كل ما يتطلبه الله تعالى كيما يضع حداً لآلامها هو تقدم وارتقاء جادان وحقيقيان ، وعودة مغلظة إلى طريق البر .

ومن ثم فالروح هي صانعة مصيرها الخاص ، فيمكنها أن تطيل آلامها بإصرارها في طريق المعصية ، كما يمكنها أن تخففها أو تختصر أمدها بمجرد عمل الخير . فكل حكم بالإدانة لوقت محدد أيأ كان ، يكون عيبه مزدوجاً : فهو إما أن يؤدي إلى استمرار تعذيب روح تكون قد تهذبت ، أو إيقاف تعذيب روح ما زالت في طريق الإثم . فإله العادل يعاقب الشر طالما كان موجوداً ويوقف العقاب عندما يقف الإثم . أو بعبارة أخرى أنه طالما كان الشر الخلق هو مصدر تعذيب النفس ، فلا يطول هذا التعذيب إلا بقدر ما يطول الشر . وتضعف حدته بقدر ما تضعف حدة هذا الأخير .

١٤ - أنه ما دام أن مدة القصاص متوقفة على تقدم الروح الآئمة ، فإن توقف الروح عن التقدم يؤلمها ، ويبدو لها قصاصها أدياً (بمعنى أنه يصبح خير محدد الأجل ، ولا يمكن للروح أن ترى نهايته ، حين أنه ليس سرمدية إذ ما من عقاب سرمدى على ما وضحه المؤلف في مكان آخر) .

١٥ - أن من نتائج حطة الروح أنها لا ترى نهاية لآلامها وتعتقد أنها ستئالم دائماً ، ومن ثم يبدو لها عذابها أدياً .

١٦ - أن التوبة هي الخطوة الأولى نحو التقدم ، لكنها لا تكفي وحدها ، بل يتعين دائماً التكفير عن الخطأ وإصلاح نتائجه . فالتوبة والتكفير والإصلاح هي الشروط الثلاثة الضرورية لنحو بقايا الخطأ ونتائجه المحتومة .

فالتوبة تخفف آلام التكفير من ناحية أنها تمنح صاحبها الأمل وتمهد السبيل لرد اعتباره ، لكن إصلاح الخطأ وحده يمكنه أن يبطل هذه الآلام بإزالة دواعيها . فالمغفرة تصبح بالتالي عفواً عن الخطأ وليست محواً لعواقبه ،

١٧ - أن التوبة ممكنة دائماً في كل مكان وزمان ، فإذا ما تأخرت تألمت الروح لمدة أطول . والتكفير يكون بالآلام الحسية والمعنوية التي هي نتائج أى خطأ يرتكب سواء في الحياة الحاضرة أم بعد الموت ، وسواء في أى وجود جسدى جديد ، وذلك إلى أن تزول آثار هذا الخطأ . وأما

الإصلاح فيكون بالعمل الصالح لمن نكون قد أسأنا إليهم ، ومن لا يصلح أغلاطه في حياته الحاضرة بسبب مجزئه أو سوء نيته سيجد نفسه في حياته الأخرى على صلة بمن يكون قد آلامهم . وذلك إلى أن يثبت تقاينه نحوم ، وإلى أن يقدم إليهم خيراً على قدر ما قدم إليهم من شر .

جميع الأخطاء لا تنتج ضرراً فعلياً ومباشراً . ولذلك فإن الإصلاح يتم بفعل ما كان ينبغي أن نفعله وأغفلناه ، وبإلقيام بالواجبات التي أهملنا القيام بها أو تجاهلناها ، وبإداء الرسالة التي قصرنا في أدائها ، وبفعل الخير المضاد لما فعلناه من شر ، بمعنى أن يصبح متراضعاً منا من كان متكبراً ، ورحيماً من كان قاسى القلب ، وباراً من كان أنانياً ، وطيب الطوية من كان خبيثاً ، ونشطاً من كان خاملاً ، ومفيداً من كان عديم الجدوى ، ومعتدلاً من كان متطرفاً ، وقدوة حسنة من كان قدوة سيئة ، وعلى هذا النحو تتقدم الروح في ترقيا متخذة العبرة من ماضيها .

وضرورة إصلاح الضرر مبدأ مبني على العدالة المطلقة ، ويمكن اعتباره القانون الحقيقي لإمكان استرداد الروح لاعتبارها ومكائنها ، وهو من هذه الوجهة ضرورة لم يعلنها أحد من قبل لإمكان التوبة ، ومع ذلك يرفض بعض الأشخاص هذا المبدأ واجدين أن من الأيسر لهم أن يعتقدوا أن بمقدورهم محو آثار ذائلهم بعبارة نلهم بسيطة لا تكبدهم شيئاً ، تكفي كما يحسبوا أنفسهم بعد تلاوتها أنهم قد سدّدوا دينهم بالسكامل .

هؤلاء سيزون فيما بعد إن كان ذلك يجديهم قليلاً . ألا ينبغي أن نسألهم لماذا فرض قانون البشر مبدأ إصلاح الضرر ، وهل القانون الإلهي أقل من قانون البشر ؟ وهل الندم مهما بلغ مدهاء يكفي لتعويض إنسان لحقه خراب من جراء أى عمل من أعمال الخيانة ، ولماذا نترجع أمام التزام يعتبره كل إنسان حقاً مقضياً ، عليه أن يؤديه في حدود طاقته ؟

وعندما يصبح هذا الإيمان بضرورة إصلاح كل ضرر نسيبه للآخرين

جزءاً من عقيدة الجماهير ، فإن ذلك سيصبح حائلاً دون الخطأ أقوى من الاعتقاد في نار الجحيم والعذاب السرمدي لأنه مستمد من صميم حياتنا الحاضرة ، ولأن الإنسان سيدرك حينئذ أسباب ما قد يصيبه من ظروف أليمة .

١٨ — أن الأرواح البعيدة عن الكمال تظل بعيدة عن المناطق العالية حتى لا تفسد تناسقها ، بل تبقى في مناطقها الدنيا إلى أن تجعلها صروف الدهر تكف عن أخطائها وتتخلص من نقائصها فتستحق الانتقال إلى عوالم أرق معنوياً ومادياً . ولو كان لنا أن نتصور مكاناً معيناً للقصاص فلن يكون هذا المكان إلا في مناطق التكفير عن الأخطاء ، لأنه في هذه المناطق تهيم الأرواح السفلى في انتظار وجود جديد يمكنها من إصلاح أخطائها ويساعدها بالتالي في تقدمها .

١٩ — نظراً لأن الروح تملك دائماً حرية الاختيار فقد يحدث أن يكون تقدمها بطيئاً وعنادها في الشر شديداً ، بل يمكنها أن توغل فيه سنوات وقرناً . لكن يحل دائماً وقت ينهار فيه إصرارها على تحدى العدالة الإلهية ، وذلك تحت وطأة شدة الألم فترغم رغم مكابرتها إلى التسليم بالقوة العظمى التي تحكمها . وبمجرد ما تبدو عليها أولى دلائل التوبة ، فإن الله يلهمها أن تلتج بصيصاً من الأمل . فما من روح في حالة تمنعها من التقدم أبداً ، وإلا لأصبحت موهوبة إلى انحطاط أبدي ، ولشدت عن قانون الارتقاء الذي يسود — لحكمة إلهية — جميع السكائنات .

٢٠ — أنه مهما بلغ من مقدار انحطاط بعض الأرواح وانحرافها عن الصواب فإن الله تعالى لا يتخلى عنها أبداً ، بل يهيئ لها دائماً أرواحاً تحميها وترشدها وتسهر عليها مترصدة خلجات نفسها ، ومحاولة أن تثير فيها نزعة الخير والرغبة في التقدم ، كيما تصلح في وجودها اللاحق ما اجترحته من آثام في وجودها السابق . ومع ذلك فالروح المرشدة تعمل بطريقة غير منظورة دون ما ضغط ، لأن كل نفس ينبغي أن تتقدم بمحض إرادتها ودون أي

لإكراه عليها . فهي تتصرف تصرفاً حسناً أو قبيحاً طبقاً لحريرتها في الاختيار ،
ودون أن يدفعها القدر في اتجاه أو في آخر ، فإذا اقترفت إثمًا تحملت نتائجها
طالما ظلت في طريق الاعوجاج . أما إذا خطت نحو الخير خطوة واحدة
أحسنت على الفور بطيب النتائج .

معلمة

من الخطأ الاعتقاد بأنه طبقاً لقانون الارتقاء يصبح يقين المرء من
الوصول إلى الكمال فالسعادة عاجلاً أو آجلاً سبباً لتشجيعه على التماس في
غيه ، أو إرجاء وقت التوبة إلى ما بعد . وذلك أولاً لأن الروح الدنيا
لا ترى نهاية لعذابها ، وثانياً لأن الروح — وهي صانعة شقاءها بيديها —
تنتهي بأن تفهم بأنه يتوقف عليها هي أن تضع حداً لهذا الشقاء ، وأنه بقدر
ما يطول إصرارها على الشر بقدر ما يطول شقاؤها ، وأن آلامها ستطول
إلى ما لا نهاية إذا لم تحددها أجل انتهائها ، وبالتالي يكون ذلك من جانبها
حساباً خاطئاً هي ضحيته الأولى .

وعلى العكس من ذلك إذا كان كل أمل في المستقبل مغلقاً في وجهها ،
كما تقول بذلك نظرية الخلود في العذاب فإن تكون للروح فائدة من العودة
إلى طريق الخير ولا سبيل لها إلى ذلك .

وأمام هذا القانون — قانون الارتقاء — ينهار الاعتراض المؤسس
على فكرة القدر الإلهي *prescience divine* فإن الله بخلقه روحاً يعلم مقدماً
أن هذه الروح لها كما تشاء — طبقاً لحريرتها في الاختيار — أن تسلك
سبيل الخير أو الشر . فإذا ما تنسكت الطريق ستلاق عقاباً مؤقناً ، وهذا
العقاب مجرد وسيلة كيما تدرك خطأها وتعود بذلك إلى الطريق السوي حيث
تصل إلى الكمال إن عاجلاً أو آجلاً . أما طبقاً لنظرية الخلود في العذاب
فإن الله يعلم أنها ستخطئ . وأنه يحكم عليها مقدماً بسعي لا آخر له .

٢١ — كل امرئ مسئول عن أخطائه الخاصة ، فلا تحمل نفس وزر
أخرى إلا إذا كانت هي السبب في خطيئتها بأن دفعتها إليها عن طريق القدوة

السينة ، أو لأنها لم تمنعها عنها إذا كان في مقدورها ذلك . فلا تتحار معاقب عليه ، فإذا دفع لإنسان بقسوته إنساناً آخر إلى اليأس من الحياة فإهلاك نفسه ، فإنه يتحمل وزراً أشد منه .

٢٢ — رغم تباین صور العقاب إلى مدى غير محدود ، فإن هناك طريقاً ينجم عن انحطاط الروح وتنشأ به نتائج بوجه عام : ذلك أن العقاب العاجل لأولئك الذين يتعلقون بالحياة المادية مهملين تقدمهم الروحي هو في بطله انفصال أرواحهم من أجسادهم أثناء الاحتضار ، وفي بطله استيقاظ حواسهم في الحياة الأخرى ، وهي لديهم فترة قد تطول أشهراً أو أعواماً . وعلى العكس من ذلك يكون الانفصال سريعاً وبدون أى قلق ، كما تكون البقطة مطمئنة والاضطراب لا أثر له تقريباً لمن كان نقي الضمير قد أعد نفسه لحياته الروحية أثناء حياته الأرضية متحرراً من اغلال المادة وقيودها .

٢٣ — كثيراً ما يتوهم بعض الأرواح الدنيا أنه لا يزال هلى قيد الحياة الأرضية ، وقد يمتد وهمه إلى سنين يعاني أثناءها كل احتياجات الحياة الأرضية وآلامها ومتاعبها .

٢٤ — تكون صور الضحايا ، وكذلك ظروف ارتكاب الجريمة ، ماثلة بغير انقطاع في ذهن المجرم . وفي ذلك له عذاب أليم .

٢٥ — تغمر بعض الأرواح ظلمة كثيفة ، حين يشعر بعضها بعزلة تامة في الأفق يعذبها جهلها التام بحالها ومصيرها . وأشدّها إثمّاً يشعر بالآلام يضاعف من قسوتها أنه لا يرى نهاية لها . كما أن البعض منها محروم من أعزائه والأرواح تقاسى من الآلام على قدر ما سيئته لغيرها إلى أن تخفف منها في النهاية توبتها ورغبتها في الإصلاح ، فترى أن نهاية آلامها تتوقف عليها هي نفسها .

٢٦ — من تعذيب المتكبر أن يرى أن من كان يحترمه على سطح الأرض أصبحوا أعلى منه مكانة تحوطهم أسباب المجد والنعم ، حين يرى أن مكانه في المؤخرة . ومن تعذيب المنافق أن يرى الضوء يكشف للناس أجمعين عن خبيثة صدره ، وبذلك يقرأون أفكاره دون ما قدرة منه على

إخفائها أو على إخفاء نفسه . ومن تعذيب الشهواني ألا يستطيع إشباعاً لشهواته ، ومن تعذيب البخيل أن يرى ذهبه ينتزع منه ولا يستطيع له إمساكاً . ومن تعذيب الأناني أن يجد نفسه مهجوراً من الناس وحيداً ، وأن يقاسى ما قاساه الآخرون منه . فكما أنه لم يفكر إلا في نفسه أثناء حياته الأرضية فإن أحدًا لا يفكر فيه ولا يرثي لحاله بعد مماته .

٢٧ - الطريقة المثلى لتفادي آثار نقائصنا في الحياة المستقبلية أو تخفيفها هي في التخلص منها على قدر الإمكان في الحياة الحاضرة . هي في إصلاح أخطائنا حتى لا يكون علينا بعدئذ أن نصلحها بطريقة أشد قسوة علينا ، لأننا بقدر ما نتأخر في إصلاح عيوبنا بقدر ما تكون العواقب أكثر سوءاً ، وبقدر ما تكون الجهود لإصلاحها أشد عناء .

٢٨ - مركز الروح عند دخولها إلى عالم الروح يتوقف على ما أعدته لنفسها في حياتها الجسدية . وقد تعطى الروح فيها بعد حياة أخرى للتكفير وإصلاح أخطائها عن طريق محن جديدة ، وتستفيد الروح من ذلك بدرجة تتفاوت طبقاً للمكثا في التمييز ، فإن لم تستفد من ذلك ، فعليها أن تبدأ العمل من جديد في ظروف أشد قسوة ، بحيث أن من يتألم أكثر من غيره على سطح الأرض يمكنه أن يقول لنفسه إنه كان عليه أن يكفر عن الكثير . أما أولئك الذين يتمتعون بنعيم زائف رغم مساوئهم وانعدام الجدوى منهم ، فليكونوا على يقين من أنهم سيدفعون ثمن ذلك غالياً في حياتهم اللاحقة ، وهذا هو المعنى الذي قصده المسيح بقوله « طوبى للحزائي لأنهم يتعزون » .

٢٩ - أن رحمة الله - ولو أنها غير محدودة - إلا أنها ليست عمياء . فالجرم لا يغفر له ما لم يمح آثار جرمه ، وإلا فليتحمل نتائجها ، لأن رحمة الله غير المنتهية ينبغي أن يفهم منها أن الله غفور رحيم ، وأنه يفتح بابه دائماً لمن يريد العودة إلى الصراط المستقيم .

٣٠ - العقوبات مؤقتة ومتوقفة على التوبة والإصلاح ، والتوبة رهينة بحرية الاختيار لدى الإنسان . وهي في نفس الوقت قصاص وبهلم شاف

يساعد على التثام جروح المريض . فالأرواح التي تحت العقاب ليست كمنحكوم عليهم بالسجن لأمد محدود ، إنما تعامل كمرضى يعانون في مستشفى مرضاً نجماً في الأغلب عن خطئهم ، كما يعانون من سبل العلاج العاجلة المؤلمة ، لكن لديهم الأمل في الشفاء وسيحصلون عليه سرعاً كلما كانوا أكثر اتباعاً لتعليمات الطبيب الذي يسهر على راحتهم . أما إذا أطلوا آلامهم بأخطائهم فليس للطبيب من حيلة لإزائهم .

٣١ - يضاف إلى الآلام التي قد تقاسيها الروح في حياتها الروحية آلام حياتها الأرضية التي هي نتائج نقصها وانقيادها لشهواتها ، وسوء استخدامها للمساكنات للتكفير عن أخطائها الحاضرة والماضية . ففي الحياة الأرضية تصلح الروح شرور حيواتها السابقة . وتنفذ ما كانت قد اعتزمت عمله في حياتها الروحية . وعلى هذا النحو يفسر البؤس وصروف الدهر التي تبدو لأول وهله بلا سبب مفهوم ، مع أن مصدرها عادل كل العدالة مادام هو سداد ديون ماضينا ، ومادام أنها تخدمنا في ترقينا .

٣٢ - ربما سأل سائل ألم يكن بمقدور الإله تعالى أن يظهر محبة أعظم لمخلوقاته بخلقها معصومة من الخطأ منذ البداية ، وبالتالي معفاة عما تجلبه عليها نقائصها من تقلبات الحياة ؟ ... إنه كان ينبغي تحقيقاً لهذا الغرض خلق كائنات ليست بحاجة لأن تكتسب شيئاً من المعرفة أو الفضيلة ... وبلا ريب كان في مقدوره تعالى ذلك ، فإذا كان لم يفعل فلأنه بسامى حكمته أراد أن يجعل من التطور والارتقاء قانوناً عاماً . فالإنسان ناقص وهو هدف بالتالي لتقلبات في حياته تتفاوت قوة وضعفاً . هذه حقيقة ينبغي أن نتقبلها لأنها موجودة فعلاً ، وأما القول بأن الله غير رحيم ولا عادل فهو ينطوي على الثورة عليه . وإنما كان يتحقق الظلم لو أنه خلق كائنات مختلفة ، ويميز بعضها على البعض الآخر ، فأعطى بعضها - دون أي عمل - النعيم الذي قد يحصل عليه البعض الآخر بعد الكد والعناء ، أو الذي لا يمكن أن يحصل عليه البعض الثالث مطلقاً . لكن عدالته تبدو واضحة للعيان في المساواة المطلقة التي سادت خلق

جميع الأرواح ، فكلها تبدأ من نفس نقطة البدء دون أن يكون لإحداها عند خلقها ملكات أكثر من غيرها ، ودون أن ييسر لبعضها سبل الارتقاء بطريق الاستثناء ولا ييسر ذلك للبعض الآخر . كلا وإنما يصل منها إلى الهدف من يجوز الطريق الوعر بنجاح متخطياً عثرات المحن ، ومتحدياً دواعي الانحطاط .

فإذا قبلنا ذلك فإذا يكون هناك أعدل من حرية الاختيار التي تركت لكل منا ؟ إن طريق السعادة مفتوح أمام الجميع ، والهدف واحد للجميع ، والغرف للوصول إلى هذا الهدف واحدة لهم ، والقانون المنقوش في ضمير البشر أعطى للجميع . فآله تعالى جعل من السعادة ثمناً للعمل لا للخطوة لديه كيما يكون لكل منا فضل اكتساب هذه السعادة . فكل منا حر في أن يعمل أو لا يعمل شيئاً في سبيل ترقيه . لكن من يعمل كثيراً وبسرعة يلاقى جزاء أوفى وأسرع . أما من يفضل الطريق ويضيع وقته عبثاً فهو يعوق نفسه ولا يلو من إلا إياها . فالخير والشر إراديان واختياريان ، لأن الإنسان حر لا يدفعه قدر محتوم إلى جانب أو إلى آخر .

٢٣ - يمكن تلخيص قانون العقاب للحياة المستقبلية - رغم تعدد أنواع العقاب ودرجاته - في هذه المبادئ الثلاثة : -

(أ) أن الألم مرتبط بالنقص .

(ب) أن كل نقص وما يستتبعه من خطيئة ينطوي بنتائج الطبيعية المحتومة على عقابه الخاص به ، كالمريض نتيجة الإفراط ، أو كالمثل نتيجة الكسل ، دون ما حاجة لحكم يصدر بالإدانة ضد أي عمل أو ضد أي شخص كان .

(ج) أن كل إنسان يمكنه أن يتخلص - عن طريق إرادته - من نقائصه موفراً على نفسه المتاعب وتحقيقاً بذلك سعادته المستقبلية ، إذ أن هذا هو في كلمة ناموس العدل الإلهي : أن لكل بحسب أعماله ، كما في السماء كذلك على الأرض .

الفصل الثاني

اتصالات بأرواح شتى

لتوضيح مبادئ الثواب والعقاب

أتينا فيما تقدم على ملخص سريع للمبادئ العامة التي تحكم الثواب والعقاب - كما استخلصها بعد بحوث طويلة في الروحانية الفيلسوف آلان كاردك Allan Kardec - نقلاً عن القسم الأول من مؤلفه « الجنة والنار ، Le Ciel Et L'Enfer » . أما في الفصل الحالي فسنقدم نماذج عملية من اتصالات تمت في « الجمعية الروحانية ، بياريس وفروعها بالاقاليم مع أرواح في درجات متفاوتة من السعادة والشقاء ، وقد وردت في القسم الثاني من الكتاب المذكور ، مراعين اختيار نماذج متنوعة من رسائل كل نوع من أنواع هذه الأرواح . وسنراهي هنا أيضاً الإيجاز على قدر الإمكان ، وهو الأمر الذي يفرضه علينا - إلى حد ما - ضيق المقام : -

وهذه النماذج العملية من الاتصالات بأرواح في درجات متفاوتة من السعادة والشقاء سنقدمها في سبعة مباحث متتابعة على النحو الآتي : -

المبحث الأول : اتصالات بأرواح سعيدة .

المبحث الثاني : في حالة وسط بين السعادة والشقاء .

المبحث الثالث : اتصالات بأرواح تشكو آلاماً شتى .

المبحث الرابع : بمنتهجرين .

المبحث الخامس : بأرواح قتلة .

المبحث السادس : عنيدة .

المبحث السابع : بأرواح كفرت عن سيئاتها على الأرض .

ونرجو أن يكون في هذه النماذج بيانات جديدة على صحة موضوع الأرواح ، فقد تمت هذه الاتصالات في جمعية روحية كانت تضم صفوة من العلماء

والأدباء والمفكرين ، وكانت تدون في محاضر دقيقة ، منظمة ، مؤرخة ، موقع عليها من الحاضرين ، ولم يكن لأى إنسان مصلحة في تخيل وقائع لم تحصل ، ويعجز عنها خيال المتخيلين ، الذين لا وجود لهم إلا في صفوف الجبهة من المكابرين . وهذه البيانات يمكن بسهولة أن تضاف إلى البيانات الكثيرة التي تضمنتها الأبواب السابقة ، والتي تقف كلها متساندة كما تثبت أن الحياة العلمية تواجه الآن فقهاً جديداً متكاملًا في الموضوع الأول للإنسان — الذى يتوقف عليه هناؤه أو شقاؤه في الدارين معاً — وهو موضوع الروح .

المبحث الأول

اتصالات بأرواح سعيدة

(١) مع السيد سانشون Sanson

كان عضواً قديماً في « الجمعية الروحية » ، بباريس وتوفي في ٢١ أبريل سنة ١٨٦٢ بعد عام من آلام سرطانية قاسية . وقيل انتقاله حرر خطاباً للوئلف (كاردك) كما يحاول الاتصال بروحه بعد « وفاته » مباشرة . وفعلاً تم الاتصال معه في ٢٣ أبريل في نفس الغرفة التي كان جسده لا يزال مسجى فيها لم يدفن بعد ، وجرى الاتصال على النحو الآتى : —

— لقد استجبت لندائكم حتى أفى بوعدى .

س : إننا أيها السيد العزيز سانشون نؤدى واجباً ، ونحقق متعة بمناجاةك في أقرب وقت ممكن بعد موتك استجابة لطلبك .

ج : إنه فضل خاص من الله أن يسمح لروحي أن تقدر على الاتصال بكم فاشكركم على طيب سريرتكم ...

س : لقد تأملت كثيراً إلى الحد الذى يدفعنا إلى أن نسألك عن حالك الآن ، فهل ما زلت تشعر بآلامك ؟ ، وما هو شعورك الآن بالمقارنة مع شعورك منذ يومين ؟

ج : إن حالتي الآن سعيدة جداً لأنى لا أشعر بعد بأى قدر من آلامى

القديمة ، لقد رجعت معافى ، ووجدتكم . كما تعبرون عنكم . لقد جعل الانتقال من الحياة الأرضية إلى حياة الأرواح كل شيء في مبدأ الأمر غير مفهوم لي إذ أننا قد نظل حيناً بدون أن نسترد التمييز الواضح lucidité ، ولكني قبل أن أموت توجهت إلى الله بالصلاة كيما يمكنني من القدرة على الحديث إلى أولئك الذين أحبهم ، وقد استجاب لي .

س : بعدكم من الوقت استرجعت التمييز الواضح لأفكارك ؟

ج : بعد ثمانى ساعات ، إذ أعطاني الله علامة من علامات عطفه التي قدر أنى استحقتها ، ولا أعرف كيف أشكره .

س : هل أنت متحقق أنك لم تعد بعد من سكان عالمنا ، وما حكمك على ذلك ؟

ج : بالتأكيـد لم أعد من سكان عالمكم ، ولكني سأظل دائماً قريباً منكم كيما أحميكم وأؤيدكم في رسالة الدعوى إلى البر والتسامي التي أرشدتني في حياتي ، كما سأعلم الإيمان الصحيح ، الإيمان الروحي الذي ينبغي أن تنبع منه عقيدة الإنسان العادل الطيب . لقد أصبحت قوى البنية ، بل قوياً جداً ، أى في كلمة تغيرت ، فلن تتعرفوا في على الكهل القعيد الذي كان عليه أن ينسى كل شيء ، وأن يدع بعيداً عنه كل متعة ومرح . فأنا الآن روح وطني هو الفضاء ، ومستقبلي هو الله الذي يشرق في الفضاء الشاسع . إنني في لفحة لأن أتحدث إلى أولادي كيما أعلمهم هذه الأمور (الروحية) التي رفضوا بعناد الاقتناع بها .

س : ما هو الأثر الذي يحدثه فيك منظر جسدك بجانبنا هنا ؟

ج : أى جسد البائس التافه . . . ينبغي أن تعود إلى التراب كيما أحتفظ بالذكرى الطيبة التي أحملها لكل من كانوا يقدروني ، أما هذا اللحم المشوه الذي كان موطناً لروحي فقد كان محنة طالت لسنين كثيرة . شكراً لك يا جسد البائس لأنك ظهرت روحي ، وقد أعطاني الألم المقدس للغاية مكاناً استحقته بمقدارة ، إذ أجد على الفور المقدرة على الحديث إليكم .

س : هل احتفظت بأفكارك حتى آخر لحظة ؟

ج : نعم احتفظت بروحي بمكانها . لقد فقدت القدرة على النظر ولكن كان عندي إحساس بما سيقع ، وجرى حوادث حياتي أمام ذاكرتي ، وكان آخر أفكاري ورجائي هو التمكن من الحديث إليكم ، وهذا هو ما أفعله الآن ، وبعد ذلك طلبت من الله أن يحميكم حتى يتحقق حلم حياتي .
س : هل كنت مدركاً في اللحظة التي لفظ فيها جسدك آخر أنفاسه ؟ وما هو الإحساس الذي أحسست به ؟

ج : كانت الحياة تنطفئ ، والنظر — أو بالأدق نظر الروح — كان ينطفئ ، وبعد العثور على الفراغ والمجهول يجد الإنسان نفسه محمولا على رغبة لا أعرف ماهيتها إلى عالم كل ما فيه يمثل النعيم والعظمة . لقد فقدت الإحساس والإنفات ، ومع ذلك فقد امتلأت نشوة لا توصف ، ولم أهد أشعر بعد بسطوة الألم .

س : هل تعلم بما أنويته ؟ (من العزم على إلقاء كلمة رثاء على قبرك^(١)) .
ج : نعم يا صديقي إنني أعلم ذلك ، لأنني رأيتك بالأمس وأراك اليوم ، وسروري عظيم فشكراً وشكراً ، وقلها حتى يفهمني الناس وحتى يتذكروك ولا تخش شيئاً ، لأن الناس يحترمون الموتى ، فقلها إذاً حتى يؤمن غير المصدقين ، فوداعاً وقلها ، وشجاعة وثقة ، ولعل أولادى يتحولون إلى الإيمان الذي لا يزعزع .

ج . سانسون

وأثناء مراسيم دفن الجثة أملت الروح الكلمات الآتية على لسان الوسيط :
« أرجو ألا يكون الموت محنة لكم يا أصدقائي . إنه خطوة لكم ، وإذا عرقتم

(١) بمجرد النطق بالكلمات الأولى لسؤال أجابت الروح فوراً ، وفي محاولة هنا بدون توجيه سؤال لها عن مناقشة أثبتت بين الحاضرين حول مدى ملائمة إلقاء نبأ هذا الاتصال الروحي في المقبرة (عند القيام بمراسيم الدفن) لاحتمال وجود أشخاص قد لا يشاركون الحاضرين هذه الآراء التي كانت حينذاك جديدة على العالم .

كيف تقضون حياتكم على صورة حسنة فالموت سعادة متى استحققتم ذلك
بجدارة ، وأحسنتم اجتياز تجاربكم . وأكرر لكم القول : لتسكن لديكم جماعة
ونية طيبة ، ولا تعطوا إلا قيمة تافهة لمناخ الأرض وستعوضون عنه ،
ولا يمكن للإنسان أن يتمتع أكثر مما ينبغي إلا على حساب هناءة
الآخرين ، وإلا بأن يحدث بنفسه ضرراً أدياً جسيماً ، فلتتفرق الأرض
بجسدي .

وبعد ذلك يومين أعيد طلب الروح داخل الجمعية الروحية بباريس ،
أى بتاريخ ٢٥ أبريل سنة ١٨٦٢ .
فقلت : أيها الأصدقاء إني بهواركم .

س : نحن سعداء جداً للحديث الذى جرى معك فى يوم الدفن ،
ويسعدنا أن نتم الحديث - إذا سمحت - لتعلمنا .
ج : إني مستعد وسعيد لأنكم فكرتم فى .

س : إن كل ما يثيرنا حول حالة العالم غير المنظور ويفهمنا إياها ذوقية
تعليمية عظمى ، لأن الفكرة الزائفة عن هذا العالم هى التى قادت الناس
غالباً إلى عدم الإيمان ، فلا تتعجب إذاً من الأسئلة التى قد نوجهها
إليك .

ج : إني لن أعجب منها ، وفى انتظار أسئلتكم ... (١)

س : هل تفضل بأن تذكر لنا ماذا شاهدت فى اللحظة التى تفتحت فيها
عيناك من جديد على الضوء ؟ وهل تفضل بأن ترسم لنا صورة الأشياء
كما بدت لك إذا كان ذلك فى المقدور ؟

ج : عندما تمكنت من أن أسترجع نفسى وأشاهد ما هو أمام ناظرى

(١) استبعدنا محاورات كثيرة مع الروح ، لأنه ليس فيها معان جديدة غير ما تقدم فى بعض
منفجات هذا المؤلف .

أصبحت كالو كنت مذهولاً ، ولم أكن مدركاً تماماً ما جرى لأن التمييز الواضح لا يسترد بفترة ، ولكن الله الذى منحنى علامة عميقة عن رأفته قد سمح لى بأن استرد ملكائى وأشاهد نفسى محوطاً بأصدقاء مخلصين كثيرين ، فجميع الأرواح التى تحمينا وتساعدنا كانت محيطة بى باسمته تغذيها سعادة لانظير لها ، بل لى نفسى تمكنت بعد أن أصبحت قوياً معافى من الانتقال بغير جهد خلال الفضاء ، وما شاهدته لا يمكن التعبير عنه بلغات الأدميين .

وبالإضافة إلى ما تقدم سأجىء كما أحدثكم حديثاً أكثر استغاضة عن مواطن سعادتى بغير أن أتجاوز مع ذلك الحد الذى يتطلبه الإله . فلتعلموا أن السعادة كما تفهمونها عندكم مجرد خرافة . فعيشوا فى حكمة وفضيلة وفى روح البر والمحبة وعندئذ تعدون لأنفسكم مشاعر يعجز عن وصفها أحسن شعرائكم

هذا وقد أملت إحدى الأرواح المرشدة وتدعى جورج Georges السكلىة الآتية بمناسبة الاتصال بروح السيد سانسون هذا : -

« إن موت الشخص الذى يشغلكم الآن هو موت العادل ، أى الموت المقترن بالسلام وبالأمل . فكما يعقب النهار قدوم الفجر ، كذلك أعقبته حياته الروحية حياته الأرضية بدون صدمة ولا أسى ، ولفظ أنفاسه الأخيرة فى نغم من الإحساس بالوفاء والمحبة ، وما أقل من يجتازون على هذا النحو هذا الممر الوعر ، فما أقل من يدركون أنغام الأجواء المتناسقة بعد ما فى الحياة الدنيا من ترغ ومن خيبة . فكما أن الإنسان الذى تصيبه قنبلة يتألم من موضع الأعضاء التى نزعته عنه حتى بعد أن يشفى منها ، فكذلك روح الإنسان الذى يموت خلواً من الإيمان ومن الرجاء ، يمزقها الألم والتخبط عندما تغلق من الجسد منطلقة فى الفضاء غير واعية لنفسها .

فصلوا لأجل هذه الأرواح المضطربة ، وصلوا لكل من يتألم ، فليس السر محصوراً فى الإنسانية التى ترونها ، بل إنه يعين الكائنات التى تعمر الفضاء

ويريحها . وقد كان لديكم الدليل المقنع عندما آمنت بغتة روح السيد برنارد Bernard^(١) الذى أثرت فيه الصلوات الروحية التى قتم بها على قبر هذا الإنسان الخير الذى كنتم تستجوبونه الآن (السيد سانسون) والذى يرغب فى أن يراكم تتقدمون فى الطريق المقدس . فليس الحب من حدود ، وهو يملأ رحبات الفضاء ، معطياً أسباب الطمأنينة والعزاء ومتقبلاً إياها .

فنحن نشاهد البحر فى منظر لا ينتهى ، ويدو فى نهايته الأخيرة متصلاً بالسماء ، فيصيب هذا المنظر الرهيب اعظمة البحر والسماء بالذهول الروح التى تأمله . وكذلك الحب فهو أعمق من الأمواج ، وأرحب من الفضاء وينبغى أن يجمع شملكم جميعاً ، إن كنتم بشراً أم أرواحاً فى شركة برّ واحدة فيتحقق به الاندماج الرائع بين ما انتهى أسره وبين ما هو خالد لا ينتهى .

جورج

(ب) من السيد جوبار Jobard .

كان مديراً للتحف الزراعى فى بروكسل وتوفى فى ٢٧ من أكتوبر سنة ١٨٦١ عن تسعة وستين عاماً ، وكان فى حياته رئيساً فخرياً للجمعية الروحية فى باريس ، وقد حضرت روحه من تلقاء نفسها فى جلسة ٨ نوفمبر سنة ١٨٦١ فى مقر نفس الجمعية وأملت الرسالة الآتية : —

« هأنذا الذى كنتم تريدون حضوره وقد أردت إظهار نفسى أولاً لهذا الوسيط الذى كنت أبحث عنه عبثاً حتى الآن . أريد أولاً أن أقص عليكم إحساسى ساعة انفصال روحى . لقد أحسست حينذاك اهتزازاً عنيفاً ثم تذكرت بغتة ولادتي وسنى شبابى ، فسنى لنضوجى ، وعادت جليلة إلى ذهنى ذكريات حياتى . وأحسست رغبة فى أن أجد نفسى فى المناطق التى تكشف

(١) كانت روحه قد حضرت من تلقاء نفسها فى يوم جائزة سانسون . (راجع المجلة الروحية عدد مايو سنة ١٨٢ ص ١٣٢) .

لنا عنها عقائدنا العزيزة علينا . لقد صرت طليقاً ورقد جسدى خاملاً .

« ليه أيها الأصدقاء الأحرار ، كم هو مبهج أن نعاثق الفضاء ، لكن لا تحسبوا مع ذلك أنى قد صرت لجأة مختاراً عند الله . كلا بل أنا من الموال بالقليل لكن ينقصهم الكثير كيما يتعلموه . لم يلزمى وقت طويل لى أنذكركم أيها الإخوة الذين فى المنفى ، ولانى أؤكد لكم أن محبتى وجميع أمانى كانت محبطة بكم .

« إنكم تريدون أن تعرفوا أرواح من هى التى استقبلتنى ، وماذا كان شعورى إزاءها ؟ لقد كان أصدقائى من بينهم هم الذين كنا نتصل بهم ، وكذلك الأخوة الذين كانوا يشاركوننا فى أعمالنا .

« لقد رأيت روعة لكن هيبات أن أقدر على وصفها ، فانصرفت إلى تمييز ما كان صحيحاً فى الرسائل استعداداً لى أحصح لكم كل بيان عاطىء منها ، حتى أكون عادماً للحقيقة فى العالم الآخر كما كنت فى عالمكم ، جوبار . وبلى ذلك حوار طويل بين الروح وبين الجالسين من أعضاء الجمعية الروحية عن بعض حقائق عالم الروح التى أصبح الكثير معروفاً منها الآن ، والتى عرضنا لأهمها فى الباب السابق .

(ح) من السيد فان در وشت Van Druet

كان موظفاً وتوفى فى أنفرس Anvers (بلجيكا) فى عام ١٨٦٣ عن ثمانين عاماً ، وأملى الرسالة الآتية بعد أربعة أيام فقط من انتقاله : « أيها الصديق ، لقد كانت حياتى ثقلاً ثاقباً فى ميزان الأبدية ، ومع ذلك فليست الآن شقياً ، بل لى فى مركز متواضع كإنسان عمل قليلاً من الشر دون أن يرقى مع ذلك إلى السكالم ، وإذا كان هناك سعاداء فى محيط ضيق فأنا أكون منهم . لست نادماً إلا على شىء واحد فقط ، وهو أنى لم أعرف ماتعرفونه أتم الآن ، وإلا لأصبح اضطرأى أقصر أمداً ، وألمى أخف وطأة ، لقد كان هذا الاضطراب فى الواقع عظيماً . . . أن نحيا وألا نحيا ، أن نرى أجسادنا

وأن تظل صلتنا وثيقة بها ، ومع ذلك نعجز عن استخدامها ، أن نرى من كنا نحبههم وأن نحس مع ذلك بانطفاء شعلة الفكر التي تربطنا وإياهم .

لكم هذا مؤلم ولكم قاسية هذه اللحظة . . . هذه اللحظة التي يستولى علينا فيها العوار كما يصرعنا وبعد فترة نرى ظلاماً دامساً ، أن نحس ثم نفنى ثم نريد أن يكون لنا الإحساس بالذات فلا نقدر على استرداده . لم نعد كما كنا ، ومع ذلك نشعر بأننا لازلنا كما كنا . كلا بل إنه اضطراب عميق ، وبعد وقت لا يمكن تقديره ، وقت مضايقات ممتدة لأنه لم تعد لنا القدرة على الإحساس به ، بعد هذا الوقت الذي يبدو غير متناه نولد ثانية في الوجود مخلقين في عالم جديد ليس فيه جسد مادي ولا حياة أرضية بل حياة خالدة . . . لم تعد الأجسام من لحم ودم بل صارت أشكالاً لطيفة ، أرواحاً تناسب من كل جانب تحيط بنا ، ولا يستطيع النظر أن يحيط بها كلها لأنها تخلق في اللانهاية . . . أن نرى الفضاء وأن نستطيع اجتيازه بالإرادة وحدها ، وأن نتصل بالفكر بكل من يحيط بنا أية حياة جديدة ومشرقة هذه يا صديقي ، بل أي نعيم وأي سلام هذا أيتها الأبدية التي احتويتني في أحضانك .

وداعاً أيتها الأرض التي احتجوتني وقتاً طويلاً بعيداً عن العنصر الطبيعي لروحي . ما كنت أريد منك أكثر من ذلك . كلا لأنك أرض منفي وأكبر ما فيك من سعادة لا يعد شيئاً مذكوراً .

لكن لو كنت أعلم ما تعلبونه أنتم الآن لكان وصولي إلى الحياة الأخرى سهلاً ولذيذاً ، إذاً لعلمت قبل أن أموت ما تعين علي أن أعليه بعد ذلك وقت الانفصال ، ولتخلصت روحي من جسدي بسهولة عما جرى . إنكم على الطريق لكن لن تذهبوا إلى أبعد من ذلك أبداً . قولوا ذلك لو لودي حتى يؤمن به ويتعلمه ، وحتى لا ينفصل أحدنا عن الآخر عند حضوره إلى هنا . وداعاً أيها الأصدقاء جميعاً وداعاً ، وإني أثناء الوقت الذي مستكنونه على الأرض سأحضر إليكم كما أعلم بالقرب منكم ، لأنني لا أعرف بعد قدر

ما يعرفه الكثيرون منكم ، إنما سأتعلم سريعاً هنا حيث لا يعوقني عائق وحيث ليس من صهيده من قواي . هنا نحبنا ونتقدم بخطوات واسعة لأننا نرى أمامنا آفاقاً تبلغ من جلالها أننا لا نصبر على رغبة ارتيادها . ولإني أغادركم فوداعاً ثم وداعاً .

(و) من الدكتور ديمير Demeure .

كان طبيباً بمدينة آلي Albi وتوفي بها في ٢٥ من يناير سنة ١٨٥٦ ، وقد كفلت له معلوماته وأخلاقه احترام مواطنيه وتبجيلهم ، كما كان معين بره وطيبته لا ينضب . علم المؤلف بوفاته يوم ٣٠ يناير فاتجه تفكيره على الفور إلى الاتصال به فقال : « ها أنذا وقد وعدتكم منذ حياتي أن أحضر ، بمجرد وفاتي لأصافح يد أستاذي العزيز آلان كاردك . لقد سبب الموت لروحي هذه الإخفاة العميقة التي نسميها بالغيوبة ولكن كان عقلي متيقظاً ، فنفضت عن نفسي هذا الغيان السكريه الذي يطيل ما يعقب الموت من اضطراب وسرعان ما استيقظت وقت برحلي إليكم .

كم أنا سعيد لأنني لم أعد كهلاً عطيماً ، إذ لم يكن جسدي سوى قيد مفروض علي . لقد صرت صغيراً ووسيماً وسامة الشباب الذي هو للروح صفة لازول ، هذا الشباب الذي لا تملو وجهه التجاعيد ولا يبيض شعره تحت وطأة الزمن . لاني أشعر بخفة الطير الذي يحترق السماء بقفزة سريعة وأتعجب ، وأنا ككرة في الوجود ، كما أتأمل وأبارك وأحب وأنحني احتراماً أمام عظمة فن الخالق وحكمته ، وأمام ما يحوطني من إبداع .

لاني في سعادة ومجد . أواه من يقدر يوماً أن يصف ما في أرض المختارين من روائع زاهية ، وأن يصف العوالم والشموس ودورها في مضمار هذا التوافق العام . حسناً لاني سأحاول يا أستاذي أن أدرس ذلك وسأحضر كما أضع تحت تصرفك أعمالاً في الروح — كعلامة ولاء — وأهديها لك مقدماً وإلى اللقاء . . . ديمير . . .

وقد أعطت الروح بعد ذلك رسالتين بتاريخ ٢٠١ فبراير وكانت بخصوص
مرض المؤلف وقد تضمنتا عدة نصائح في شأن علاجه

وأما الرسالة الآتية فقد أملت نفس للروح بتاريخ ٢٦ يناير أى غداة يوم
وفاة صاحبها في دائرة روحية انعقدت من بعض أصدقائه بمدينة منتوبان
Montouban وقالت فيها : « أنا أنطوان ديمير Antoine Demeure لم أمت
بالنسبة لكم يا أصدقائي الطيبين ، وإنما مت بالنسبة لأولئك الذين لا يعرفون
مثلكم هذا الفقه الكريم الذى يجمع من تحابوا على الأرض ، ومن كانت
لديهم نفس الأفكار ونفس عواطف المحبة والبر .

إني سعيد ، بل اسعد بما كنت أنصرو لآنى أشاهد بوضوح ، وهو أمر
نادر الحصول لدى الأرواح التى تخلصت من المادة منذ وقت قليل كهذا .
فتشجعوا أيها الأصدقاء الطيبون ، وسأكون قريباً منكم ولن أتوانى عن
إرشادكم إلى أشياء كثيرة نجعلها عندما نكون متصلين بمادتنا البائسة التى تخفى
عنا روائع ومتعاً كثيرة ، فصلوا لأجل المحرومين من هذه السعادة لأنهم
لا يعرفون ما يستطيعونه لأنفسهم من أحزان .

إن أسترسل اليوم كثيراً ، وإنما أكتفى بأن أذكر لكم أنى لا أجسد
نفسى قريباً على الإطلاق فى هذا العالم غير المنظور منكم ، ويبدولى أنى
كنت دائماً مقيماً به ، وإنى به جد سعيد وأشاهد هنا أصدقائى ويمكننى
الاتصال بهم كلما أردت ذلك . لا تحزنوا أيها الأصدقاء لثلاث تجعلونى أسفا
على معرفتكم ، وإنما دعوا الومئ يفعل فعله ، والله سيقودكم إلى هذا المقر حيث
يتبغى أن نلتقى جميعاً ، أسعدتم مساءً ، والله يعزيكم وإنى قريب منكم .

ثم ذكر المؤلف بعد ذلك قصة طريفة عن روح هذا الطبيب المشيع
بالإنسانية فقال إن وسيطة كان يعرفها وقت حياته الأرضية مرضت بساقها
وكانت تجهل وفاته ، لحضر وعالجها من مرضها أثناء جلسة روحية بالتدليك
دون أن يسمح لها برؤية وجهه ، لكنها تعرفت عليه فصرخت مذعورة
(م ١٨ - الإسكان روح : ٢٦)

لهول المفاجأة، اذ كانت تعتقد أنه لا يزال على قيد الحياة الأرمنية، فهدأ من روعها. ولما استعادت غيوبتها الوساطية تصلحاً بحرارة وشفيت الوسيطة.

المبحث الثاني

الاتصال بأرواح في حارة وسط بين السعادة والشقاء

(١) من السيد جوزيف برية Joseph Bré .

توفي في سنة ١٨٤٠ وطلبت حفيدة له الاتصال به بحاسة بمدينة بوردو Bordeaux في سنة ١٨٦٢ فقال لها : إنى أتألم بصورة لا يمكنك أن تفهميها ندماً على أنى لم احسن استخدام وقى على الأرض . هناك هوة بين الإنسان الشريف أمام الناس والإنسان الشريف أمام الله . إنك تريد أن تتعلّى يا ابنتى العريزة وسأحاول أن أجعلك تحسّين بالفارق العظيم بين الاثنين .

بعد الإنسان شريفاً ينسكّم إذا احترم قوانين بلاده احتراماً قد يكون مرناً للكثيرين ، وذلك بالأى يلحق أذى بجاره فلا يسرق ماله ، لكن كثيراً ما يقتال الإنسان بلا وازع شرف هذا الجار وهناك فلا يتمكن القانون أو الرأى العام من الوصول إليه لأنه جمع إلى الإثم الرياء .

إنما الإنسان الشريف أمام الله هو الذى يخصّ حياته بكل محبة وإخلاص لعمل الخير ولتقديم أمثاله ، هو الذى يقضى حياته مستعداً لأن يؤدى واجبه المادى المفروض عليه فى حماسة ونشاط ، لأنه ينبغي أن يعلم إخوته حب العمل . هو النشط فى الأعمال الصالحة لأنه لا ينبغي أن ينسى أنه تابع مطالب يوماً بتقديم حساب لمتبوعه عن استخدامهم وقته ، نشيط حتى الغاية ، لأن عليه أن يكون القدوة الصالحة فى محبة الله والقريب معاً .

الإنسان الشريف أمام الله يجب أن يصم أذنيه عن أى نداء للكبرياء أو للحسد أو للطموح ، ويجب عليه أن يكون صبوراً وليناً مع من يهاجمه ، وأن يغتفر من أعماق قلبه — بلامكابدة ولا عناء — إساءات الغير . وعليه

كذلك أن يحب خالقه في كل خليقته، وأن يطبق بالفعل هذا المختصر الصغير الكبير لواجبات الإنسان ؛ أن تحب ربك قبل كل شيء . وأن تحب قريبك كنفسك .

هذا هو يا طفلى الميزة ما ينبغي أن يكونه بوجه التقريب الإنسان الشريف أمام الله . فهل حققت أنا كل ذلك ؟ . . . كلا لقد قصرت في الكثير من هذه الواجبات وهو ما أبوح به بلا خجل ، فلم يكن لدى النشاط الذى ينبغي أن يكون عليه الإنسان . ولطالما قادنى نسيان الإله إلى نسيان واجبات أخرى ، وإن كانت غير معاقب عليها في شريعة البشر ، فإنها لا تقلت من العقاب في ناموس الله ، ولقد تأملت كثيراً عند ما أحسست بذلك . ولذا أقول الآن أملاً هو عزائى في رحمة الله الذى يرى توبتى .

قولى ذلك يا طفلى وكرريه لكل من أرفقتهم ضمائرهم : أن يشتروا أخطائهم بالأعمال الصالحة . لأن الرعاية الإلهية ستتوقف عند السطح ، لكن نظراته الأبوية ستحصى كل ما يفعلونه للتكفير عن أخطائهم فتتمحو يده القادرة هذه الأخطاء . .

(ب) من السيدة هيلين ميشيل Hélène Miché

هى سيدة صغيرة السن توفيت فجأة في الخامسة والعشرين من عمرها . كانت غنية ، فائزة الإحساس نوعاً ، كما كان اهتمامها بالأمور التافهة أكثر من اهتمامها بالجاد منها . ورغم ذلك فقد كانت طيبة القلب رفيقة سليمة الطوية ومحسنة ، قالت بعد ثلاثة أيام من وفاتها : لا أعرف أين أنا ، ولا ما هذا الاضطراب الذى يحيط بى : لقد طلبتمونى فحضرت ولا أعرف لماذا لست بمنزلى الآن . يسكوننى لأننى غائبة مع أنى هنا ولا أقدر أن أشعرهم جميعاً بوجودى . إن جسدى أصبح لا ينتمى ، إلى ومع ذلك أشعر به بارداً مثلاً . إلى أن أريد أن أغادره . . . وقد حضرت إلى هنا . إلى شخصان . . . أواه

متى أقوم ماذا حل بي... ينبغي أن أذهب إلى هناك حيث ذاتي الغائبة . لماذا
سيعمل بهذه الذات الغائبة... وداعاً .

وعند استعدادها بعد بضعة أيام أخرى قالت : « أشكركم لأنكم صليتم
لأجلي ، وإني أومن برحمة الله التي وفرت على الآلام ، وكذلك الإحساس
باللحظة التي انفصل فيها جسدي عن روحي . إن والدتي ستتحمل ضائماً كبيراً
حتى تستسلم لإرادة الله . لكن هناك من سيساعدها . وما يبدو لها الآن
مضيقاً كبيراً (هي وفاتي) كان أمراً لا مفر منه حتى تكون إرادة الله
بالنسبة لها ما ينبغي أن تكونه . سأكون بجانبها حتى نهاية محتتها الأرضية
وسأساعدها على تحملها . لست شقية لكن على أن أفعل الكثير حتى أقدم
نحو المقر السعيد . وسأصلي إلى الله حتى يأذن لي بأن أعود إلى هذه الأرض
لأن على أن أعوض ما فقدت من وقت في هذا الوجود . ليقوم الإيمان
أيها الأصدقاء . ولتكن لديكم ثقة في قوة الصلاة إذا صدرت من القلب ،
فإنه كريم ، هيلين ميشل .

(ح) من الدكتور كاردون Cardon .

« إن الله قدر لي صلواتي وإيماني التام به . إنني في طريق التقدم وسأصل
إلى الهدف الذي سمح لي برؤيته . صلوا أيها الأصدقاء لهذا العالم الغير المنظور
الذي يتحكم في مصائركم ، فإن هذا التعاون بين الإخوة هو من عمل البر . إنه
وسيلة قوية لتواصل الأرواح من جميع الأكوان .

إنني أرجو جميع معارفي أن يؤمنوا بالله القوى العادل الصمد . وأن
يؤمنوا بالصلاة التي تقوى وتعزى ، وبالبر الذي هو أنقى ما تعمله الروح في
تجسدها ، وليندكروا أن ما يمكن أن يعطيه الإنسان قليل . لكن صدقة الفقير
هي الأكثر استحقاقاً عند الله . فإدام أن الفقير يعطى كثيراً إذا أعطى
قليلاً فلي الغنى أن يعطى كثيراً حتى يستحق مثله .

إنما المستقبل هو في البر والنية الخاصة في جميع الأعمال . هو في الإيمان بأن جميع الأرواح إخوة ، هو في الإنكار الدائم لجميع الصيانيات التي نزهو بها . يا أسرى المحبوبة متلاقين عننا كثيرة ، لكن تعلّوا أن تقابلوها بشجاعة وبقين أن الله معكم وصلى دائماً هكذا : —

يا إله المحبة والبر الذي يهبنا دائماً كل شيء ، امنحنا هذه القوة التي لا تنقهر أمام أي ألم . امنحنا أن نكون طيبين ورحماء وأبراراً ، قليلة أموالنا وكبيرة قلوبنا ، وأن نكون روجين على الأرض حتى نكون أكثر تلك فهماً ومحبة . وليكن اسمك أيها الإله شعاراً للحرية ، وغاية معزية لجميع الحزائي ، وأيضاً لمن يعوزهم المحبة والمخبرة والإيمان . . . كاردون

المبحث الثالث

انصافات بأرواح نشكو آلاماً شتى

(١) من أوغست ميشيل Auguste Michel .

كان شاباً غنياً مقبلاً على الحياة ، نعم بحياة المسادة وحدها ، وكان عدم الاكتراث بالأمور الجديدة من صميم أخلاقه وذلك رغم ذكائه . كما كان محبوباً من رفاقه المتعة ومعروفاً في الأوساط الراقية كإنسان اجتماعي . لم يكن شريراً ، بل كان أقرب إلى الطيبة ولو أنه لم يفعل خيراً على الإطلاق . مات من سقوط سيارته أثناء النزهة . حضرت روحه عن طريق وسيط كان يعرفه معرفة غير مباشرة ، وذلك بعد بضعة أيام من وفاته فأعطت الرسائل الآتية :

١ — رسالة بتاريخ ٨/٢/١٨٦٣ بمدينة الهافر Le Havre .

لقد تخلصت منذ برهة وجيزة من جسدي ، ولهذا فإن بمقدوري مخاطبتكم لكن بصعوبة . إن السقطة الشنيعة التي أودت بحياتي سببت لروحي اضطراباً عظيماً . إنني قلق قلقاً شديداً من ناحية ما سأكونه . وإن الألم الخفيف

الذى تحمله جسدى لا يعد شيئاً مذكوراً بجانب القلق الذى أنا فيه . صلوا
كَمَا يَغْفِرُ اللهُ لى . أواه من الألم . الرحمة يا إلهى . أواه من الألم وداعاً . .

٢ — رسالة بتاريخ ١٨/٣/١٨٦٣ :

« لقد حضرت عندكم مرة قبل الآن ، ولكنى لم أتمكن من محادثكم إلا
بصعوبة . والآن أيضاً أحادثكم بصعوبة . أنت الوسيط الوحيد الذى يمكن
أن اطلب منه أن يصلى حتى تنتشلى رحمة الله من الاضطراب الذى أعانيه .
لماذا أتألم أيضاً مع أن جسدى لم يعد يتألم ؟ لم هذا الألم الشديد ؟ هل سيستمر
أبداً هذا الضيق العظيم ؟ صلى وصلى دائماً كَمَا يَهْنِى اللهُ الراحة . أواه
ما هذا الشك الرهيب الذى ما زلت متصلاً بجسدى ولا يمكن أن أرى إلا
بصعوبة ، أين يمكن أن أكون ؟ إن جسدى هنا ، ولماذا أنا هنا دائماً ؟
تعالوا وصلوا بجواره حتى أنخلص من هذا القيد الفظيع . إني أرجو أن
يغفر الله لى ، أرى الأرواح القريبة منكم ويمكن أن أحادثكم عن طريقها .
صلوا لأجلى . .

٣ — رسالة بتاريخ ٦ أبريل :

« ها قد حضرت كَمَا أطلب منكم أن تصلوا لأجلى . إن عليكم أن تأتوا
حيث يوجد جسدى لتصلوا إلى الله القادر أن يخفف من آلامى . كم أتألم
فأذهبوا إلى هذا المكان واطلبوا من الله أن يمتحنى المغفرة . إني أرى أنه
من المحتمل أن أصبح أكثر اطمئناناً ، ولكنى أعود بغير انقطاع إلى المكان
الذى وضع فيه هذا الذى كنته (يقصد جسده) .

٤ — ورسالة رابعة بتاريخ ١١ مايو :

« لقد انتظرتكم وكنت أؤمل فى الساعة التى تحضرون فيها إلى حيث
يبدو أن روعى لا تزال ملتصقة فعلاً كَمَا تبتهلوا إلى إله الرحمة أن يخفف
من آلامى . إن صلاتكم يمكن أن تفيدنى فأرجو ألا تتوانوا عن أدائها .

أرى الآن كم كانت حياتي على تقيض ما كان ينبغي أن تكون عليه .
كما أرى الأخطاء التي ارتكبتها . لقد كنت مخلوقاً عديم الجدوى في العالم
فلم أستخدم مواهبى ولم أتنفع من أموالى إلا في إرضاء شهواتى ونزوات
الترف والغرور . لم أكن أفكر إلا في متعة الجسد دون الروح .. فيا أيها
الروح البائسة التي تتألمين من أخطائك الأرضية ، هل ستشملك رحمة
الإله ؟ ... فصلوا كيما يغفر الله لى وأتحرر من الآلام التي مازلت أعانيها ،
ولئى أشكركم لأنكم فرغتم من الصلاة لأجلى ..

٥ - رسالة خامسة في ٨ يونية :

« إن بمقدورى محادثتكم وشكراً لله الذي سمح لى بذلك . ولقد رايت
أخطائى وأرجو أن يغفرها لى الله . سيروا في حياتكم دائماً طبقاً للحقيقة
التي تملأكم لأنها ستحقق لكم في المستقبل راحة لم أحصل عليها بعد . شكراً
لصلاتكم وإلى اللقاء .. »

وهنا يقول آلان كاردك تعليقا على رسائل هذه الروح : إن إلحاح الروح
في الصلاة على قبرها خاصة جديرة بالذكر ، وإن كان سببها راضحاً وهو الصلة
الشديدة التي كانت تقيده الروح بالجسد ، إذ كان الانفصال بطيئاً وصعباً بسبب
مادية المعيشة التي عاشها صاحبها . ومن ذلك يمكن أن نعرف أن الاقتراب
من جثة الميت يهيء للصلاة أن تحدث نوعاً من تأثير مغناطيسى قوى لمساعدة
الروح على التخلص من الجسد . أليس العرف المألوف من الصلاة بالقرب
من أجساد الموتى مصدره نوع من الإلهام غير الواعى عن هذا التأثير ؟ ...
إن قوة الصلاة في هذه الحالة يكون لها أثران : أثر مادى وأثر معنوى
في وقت واحد ، (١) .

(١) الأمر الطبيعي ، هو أن الجبل الأثيرى الذي يربط الجسد الأثيرى بالجسد المادى يتفهم
تدريجياً أثناء الانحسار ويتقلب انقباضه التام فوق النبض والتنفس ، وبالتالي حدوث الوفاة
وانطلاق الجسد الأثيرى إلى عالم الروح . إلا أنه لوحظ أنه في بعض حالات قليلة من الموت =

(ب) من باسكال لافيك Pascal Latic .

هذه روح حضرت من تلقاء نفسها وأملت ما يلي :

« إني أومن بعدالة الله الذي سيضمحل برحمته روحى البائسة . لقد تأملت وتأملت كثيراً . كما هلك جسدى فى البحر وظل لمدة طويلة طافياً على الأمواج ، ولكن الله ... (ثم توقفت الروح فجأة ، وفى اليوم التالى أتت رسالتها قائلة) « قد شامت إرادته أن تجعل من صلاة من تركتهم على الأرض سبباً لانهزامى من حالة القلق والشك التى كانت تغمرنى . لقد انتظرونى طويلاً وتمكنوا من العثور على جسدى وهو برقد الآن . وحالما تخلصت روحى رأيت الأخطاء التى ارتكبتها والمحنة التى تحملتها . إن الله يحكم بعدالة وبمحبة تمتد إلى التائبين . وإذا كانت روحى قد ظلمت تهيم أمدأ طويلاً على جسدى فذلك لأنه كان على أن أكرر عن أخطائى . اتبعوا الطريق المستقيم إذا كنتم تريدون من الله أن يحرر أرواحكم من غلافها . وعيشوا فى محبة لأن الموت الذى يبدو رهيباً للبعض يصبح هيناً لكم إذا عرفتم الحياة التى تنتظركم . إني تائب وأرجو أن يغفر الله لى ... لقد عثروا على جسدى يوم ٦ أغسطس ، وكنت بحاراً بائساً ثم هلكت منذ مدة طويلة . »

باسكال لافيك

من : وأين عثروا عليك .

ج : قريباً منكم .

وهنا يقول المؤلف أنه قرأ فى جريدته المأفر فى عدد ١١ أغسطس سنة

١٨٦٣ النبأ التالى الذى لم يكن بمقدور الوسيط أن يعرف عنه شيئاً : —

البلغت — كما كانت الحال هنا — لا يفهم الجبل الأثيرى نوراً ، بل قد توقف الحياة فى الجسد الذى بسبب الصدمة المفاجئة التى تلقاها من الحادثة أو من العدوى أو من الانتحار أو ما أشبه وظل الجبل الأثيرى على حاله ، فلا ينقطع إلا بعد فترة قد تطول وقد تقصر . ويكون ذلك سبباً لآلام الروح ومن ثم شاهد جسدها أثناء تحله ، وقد يساعد على ذلك جعل الروح بصيرها وحقيقة الحياة الأخرى (وقد وضع ذلك الأديب الكبير شوا دزبوند Shaw Desmond فى مؤلفه « كيف نحيا عند ما نموت » وراجع ما سبق فى الجزء الأول من (٤٣١ ، ٤٣٢) .

« سبق أن نشرنا أنه قد عثر في يوم ٦ الجارى على بقايا جثة القاهاء
اليم بين بلليفل Belleville ولاهيف La Hève وقد فقد منها الرأس والصدر
والذراعان ، ومع ذلك فقد أمكن التعرف على شخصية صاحبها من الخذاء
الذى كان لا يزال عالقا بالقدمين ، وقد تبين أنها للبحار لافيك Lavie
الذى غرق في يوم ١١ ديسمبر على الباخرة لا ليرت L'Alerte التى انزعها
هياج البحر أمام تروفييل Trouville ، وكان عمر لافيك تسعة وأربعين عاماً
وهو من مواليد كاليه Calais وقد تعرفت عليه أرملته ، .

ثم عادت روحه مرة أخرى في يوم ١٢ أغسطس أثناء الحديث في
موضوعها في الدائرة الروحية التى ظهرت فيها لأول مرة وأكدت شخصيتها
من جديد للحاضرين ، كما أعادت وصف محتنها بما لا يخرج عما تقدم ذكره .

(ح) السيدة كلير Claire : دراسة يشترك فيها الأحياء والأموات .

هى سيدة عرّفها الوسيط أثناء حياتها الأرضية ، وكان خلقها وسلوكها
يبران كل التبرير ما احتملته من آلام . فقد كانت من صفاتها الانانية
المفرطة وكانت شخصيتها تنعكس في رسالتها الثالثة التى طلبت فيها من
الوسيط ألا يشغل نفسه بأحدهما . وقد وردت رسائلها في أوقات مختلفة ،
وكانت الثلاث الأخيرة منها تشير إلى تقدم محسوس لديها في صفاتها كروح
بفضل اهتمام الوسيط الذى أخذ على عاتقه عناية بها : —

١ - وهانذا كلير الشقية فاذا زبدون أن تتعلموا منى ؟... (١) إن القناعة
والأمل لفظان أجوفان لمن يعلم أن آلامه ستطول على مر القرون ،
ولانهاية لها . وتقول مع ذلك إنه يمكن أن أخفف منها ، فأى لفظ ضامض

(١) كان بعض الأرواح يحضر طالا بالعرض من حضوره ، وهو تحقيق رغبة الموجدون في
التعلم والدراسة . ويبدو أن الأرواح المرشدة كانت تشترك في اختيار الأرواح التى تحضر وكانت
تبين لها مقدما العرض من الحضور لإمتاعها به ، ولتساعدتها على التخلص من آلامها إن كانت بحاجة
إلى المساعدة من روح كبير هذه .

هذا، وابن أبجد الشجاعة والامل ١٤ فلتحاول أيها العقل المحدود ان تفهم ما معنى يوم لانهاية له ، أهو يوم أم عام أم قرن ؟ انى لا أعلم شيئاً عن ذلك لأن الساعات لا تجوز ، والفصول لا تغير منه ، بل هو أبدي وبطل كالمساء الذى يخرج من الصخر ... انى أتألم ولا أرى شيئاً حولى سوى ظلال صامتة وغير مكرثة بي . انى أتألم ... ولكنى أعلم مع ذلك أنه فوق كل هذا الشقاء يحكم الله الأب الذى يتجه إليه كل شيء . انى أريد أن أفكر فيه وأن أتأمل إليه . .

٢ - . ان شقائى يزداد يوماً فيوماً بقدر ما تزداد معرفتى عن الابدية . تبا لك أيها الشقاء اكم ألعتك أيتها الساعات الأتمة ، ساعات الانانية والنسيان التى تجاهلت فيها كل بر وكل إخلاص ، ولم أفكر إلا فى هوائى الشخصى . كم أنت جديرة بالاحتقار أيتها التدايب البشرية وأيتها المشاغل المادية التافهة . عليكم اللعنة أنتم الذين غررتم بي وأعميتمنى ، لكم يحزن فى نفسى ندم لا ينقطع كلما تذكرت الزمن الذى أمضيته ... ماذا أقول لك يا من تصغى إلى ؟ أسهر على نفسك بنفسك بلا انقطاع وأحجب الآخرين أكثر من نفسك ، ولا تتسكك فى طريق الخير ، ولا تغدر جسديك على حساب روحك . اسهر كما قال السيد لنلاميذه . لا تشكرنى على هذه النصائح فإن روحى تدركها ولكن قلبي لم يصنع إليها أبداً . .

٣ - . ها قد حضرت أبحت عنك فى هذا المكان لأنك نسيته . أعتقد أن صلوات متقطعة ينطق فيها باسمى تكفى لتخفيف ألمى ، كلا وألف كلا . انى أذوب هماً ، وأهيم بلا راحة ولا مأوى ولا أمل ، شاعرة بسيف العقاب الأبدى مصلاً على روحى النائرة . انى أضحك عندما أسمع شكواكم وعندما أراكم مغلوبين على أمركم ، ماذا تعد أحزانكم الباهتة ودموعكم . وماذا تعد متاعبكم التى تتقطع أثناء النوم ، وأنا هل أنام ؟ انى أريد - هل تسمعن ؟ أريد أن تتركوا بحوثكم الفلسفية وأن تهتموا بى وأن تجعلوا التغيير

يتم في أيضاً . إنى لا أجد ألفاظاً أعبر بها عن ضيق هذا الزمن الذى انقضى دون أن تحده الساعات ، لكنى أرى بصيصاً من أمل أعطيتنى إياه فلا تهجرني إذن .

٤ - وهنا أملت روح القديس لويس Saint Louis البيان التالى عن روح هذه البائسة : « هذا تصوير صادق لازيادة فيه ، ولعل المرء يتساءل عما فعلت هذه المرأة حتى تصبح بائسة إلى هذا الحد ، فهل ارتكبت جريمة نكراه من سرقة أو اغتيال ؟ كلا لأنها لم تأت ما يستحق عدالة البشر بل كانت تتمتع على العكس من ذلك بما تسمونه السعادة الدنيوية : جمال وثروة ومباهج واستمتار . لم يكن ينقصها شيء . بل كان الكل يرمقها ويحسدها على حالها ، قائلاً كم هى سعيدة هذه المرأة ، فإذا أتت ؟

لقد كانت أنانية ، كان لديها كل شيء عدا القلب الطيب ، فإذا كانت لم تفتك قانوناً بشرياً فإنها انتهكت ناموس الله بأن أنكرت أولى الفضائل وأقصدها البر . لم تحب سوى نفسها فلا يحبها الآن أحد . لم تعط شيئاً فلا تعطى الآن شيئاً . إنها منفردة ووحيدة ومهجورة يغمرها القضاء ، لا يفكر فيها أحد ولا يشغل نفسه بها وهذا هو عذابها .

ولأنها لم تبحث إلا عن المتع الدنياه ، وهى لا توجد الآن ، فإنها تشعر من حولها بفراغ ، ولا تشاهد سوى العدم والعدم يبدو لها كأنه الأبدية . فهم لا تحس تعذيباً أبدياً يقوم به الأبالسة ، كلا لأن ذلك لا ضرورة له ، بل هى تعذب نفسها بنفسها فتتألم أكثر فأكثر ، لأن هذه الأبالسة كانت ستكون كائنات وكانت ستفكر فيها . كانت الأنانية نعيمها على الأرض ، لكنها تطاردها الآن وأصبحت لها بمثابة الدود الذى يأكل قلبها ولا يبلى منها الحقيقى .

٥ - سأحدثكم عن الفارق الكبير بين الخلق الإلهى والخلق الإنسانى . الأول يساعد المرأة الساقطة فى عولتها ويقول للخطاة : توبوا فتنصركم

حسبوت السموات . الخلق الإلهي يتقبل كل توبة ويعتذر كل خطيئة يعترف صاحبها حين ترفض ذلك أخلاق البشر التي تتقبل رغم ذلك الخطايا المستورة وتغضى عنها نصف إغضائة . الأول بمنح المغفرة أما الثاني فيشجع الرياء . فاختارى أيتها الأرواح المتلطفة على معرفة الحقيقة بين السهوات المفتوحة للتوبة وبين تسامح البشر الذى يقبل الشر طالما كان لا يكشف عن كبرياتنا وتدبيراتنا الخائفة ، لكنه تسامح يستسخر مع ذلك العاطفة وزرات الأخطام إذا اعترفنا بها في وضع النهار . فتوبوا يا جميع الخطاة وأرجعوا عن الشر . لكن أرجعوا بوجه خاص عن الرياء الذى يغطى قبح نفوسكم وانبذوا هذا القناع الضاحك الخداع الذى تواضعتم عليه . . . كبير

٦ - داني الآن هادئة وقد استسلمت للتكفير عن الخطايا التي ارتكبتها . البشر في ولبس فيما يحوطني . فانا التي ينبغي أن أتغير لا الأشياء الخارجية ، وإنما نحمل في نفوسنا جنتنا ونارنا ، كما أن أخطاءنا المسجلة في ضمائرنا نقرؤها عادة في يوم بعثنا ، ونصبح قضاة أنفسنا . وحالة روحنا هي التي ترفعنا أو تهوي بنا . ولأفسر ذلك أقول إن الروح غير النقية تغفلنا أخطاؤها فلا يمكننا أن نتصور ارتفاعاً لا تقدر على تحمله ، ولا ترغب فيه .

اعلموا هذا جيداً فكما أن الأنواع المختلفة من الكائنات يعيش كل منها في محيط خاص به ، فكذلك كل نوع من الأرواح يتحرك بحسب مدى تقدمه ، وفي الجو الذى تعد له ملكاته ، ولا يمكن أن يتصور غيره إلا إذا انتزع الارتفاع - وهو الوسيلة البطيئة للتحويل - هذه الأرواح من ميولها الرديئة وجردها من مصدر الخطيئة فيها ، فتتمكن من الانطلاق محاطة بسرعة نحو الله الذى يصح هدفها الوحيد الذى ترغب فيه . أما أنا فما زلت للأسف أجبو . لكن لم أعد أحقد على إنسان ، متصورة السعادة التي قد تمنحني إياها حبة الإله ، فسلوا لأجل دائماً فاني أرجو وأنتظر .

٧ - « لقد أتيت إليك يا من تركتني على النسيان منذ زمن طويل ،
لكنني تعلت الصبر ولم أعد يائسة ، أنك تريد أن تعرف مركز فليكس
البائس (زوجها وكانت قد تأملت منه كثيراً أثناء حياتها الأرضية) إنه يهيم
في الظلة فريسة لتدهور روحه العميق وذاته السطحية المستخفة التي
لوثها الإقبال على الجسد . كان يجهل معنى الحب والصداقة ، ولم تلق العاطفة
عليه شيئاً من ضوئها الساطع . إنني أشبه حالته بحالة طفل أحمق إزاء حوادث
الأيام وهو محروم من معونة من يعاونه . إن فليكس يهيم مذعوراً في
هذا العالم الأجني حيث يسبح كل شيء بنور الله الذي كان ينكر هو
وجوده . »

ثم توقفت الروح بغتة وتدخلت الروح المرشدة للوسيط واسمها جورج
Georges على النحو الآتي : « لقد كان فليكس سطوحيّاً في آرائه وإحساساته ،
عنيفاً لأنه كان ضعيفاً ، شهوانياً لأنه كان قاتراً العاطفة ، فدخل إلى عالم الروح
حارٍ النفس كما كان في عالم المادة الذي لم يستفد منه شيئاً ، فعليه أن يستأنف
كل شيء من جديد . وكإنسان يستيقظ من حلم طويل كيما يرى كم كان
مضطرب الأعصاب ، فإن هذا البائس سيعرف - عند خروجه من -
اضطرابه - أنه عاش في الأوهام التي ضلّت حياته ، فيلعبن المادية التي جعلته
يتمسك بالأجوف من الأمور معتقداً أنه على حق كما يلعبن الواقعية التي كانت
تجعله يسمى الحياة المستقبلية حلياً ، والتطلع إليها جنوناً ، والإيمان بالله
ضعفاً . . . سيرى المسكين عند يقظته أن هذه الأسماء التي استبعدتها كانت
أسماء الحقيقة ، وأن صيد الفريسة كان أقل نفعاً له من صيد الظلال ، على
عكس ما هو وارد في الأسطورة . »

• • •

وقد خلق آلان كاردك على هذه الرسائل ذات القيمة التعليمية
الكبرى في موضوع الثواب والعقاب قائلاً إنها تكشف لنا عن جانب من

أكثر الجواب شيوعاً في الحياة ، وهو جانب الانانية . فهنا لا توجد هذه الجرائم التي تشتمل منها أشد النفوس انحرافاً عن الصواب ، وإنما هي حالة غريق من الناس يحيا في العالم مجداً مرموقاً ، لأن له بريقاً خاصاً ... ففي عالم الروح لا يقاسى هؤلاء عقاباً استثنائياً تقشعر منه الأبدان . وإنما هم في وضع بسيط وطبيعي بسبب أسلوبهم في الحياة .

فكثير كما رأينا كانت روحاً ذكية جداً ، لكن قلبها كان غاوياً . وكان مركزها الاجتماعي و ثروتها ومزاياها الجسدية سبباً في منحها الإعزاز الذي ارضى غرورها ، وكان فيه كفايتها . لكنها لا تقابل هناك سوى عدم الاكتراث ، يحوطها الفراغ وهو عقاب آلم لها من أى ألم . بل إنه قاتل لأن الألم يستثير العطف والإشفاق ، كما أنه وسيلة للفت الأنظار إليها وشغل الآخرين بها وجعلهم يهتمون بمصيرها .

أما عن الرسالة السادسة فهي تحوى فكرة سليمة تماماً في أنها تشرح هناك بعض الأرواح في الشر ... فهذه الأرواح تعيش هناك إلى حد ما في يشتمل لا تصور المتع النقية ، وتفضل أريدتها الملوثة على الملابس النظيفة الأنيقة ، كما تفضل أعيادها المماجنة على متعة المصاحبة الحسنة . لقد عود أصحابها أنفسهم على هذا النوع من الحياة فصار لهم طبيعة ثانية . بل لقد صاروا يعتقدون أنهم عاجزون عن السمو فوق محيطهم ، ولذا يظنون فيه ، حتى يفتح التغير أذهانهم ، وينمو فيهم الإحساس الخلقى فيصبحوا أكثر قابلية لمشاعر أجدى لهم .

فهذه الأرواح لا تحصل فور تخليها عن أجسادها على رقة الإحساس . ويتعين عليها أن تبقى وقتاً قد يطول وقد يقصر في المناطق السفلى من عالم الروح ، كما شغل أصحابها هذه المناطق في عالم المادة . وستلبث بها طالما ظلت نائرة على التقدم . لكن سيأتي عليها وقت تتطلع فيه إلى ما هو أسهى وتبدأ

في إدراك ما ينقصها ، مع طول الزمن والتجربة وتقلبات الحياة والشقاء الذي تعانيه . وعندئذ تبدأ في بذل جهدها للحصول على ما يسمونها ، ومتى حطرت هذا الطريق فإنها تسير فيه بسرعة لأنها تكون قد تدوقت إحساساً يظهر لها امتيازها ، وتعد حقيرة بجانبه كل المتع الأخرى التي لا تلبث أن تستذكرها .

المبحث الرابع

اتصالات بمفكرين

أجمع البحوث في الروحية على أن الانتحار لا يعد وسيلة للخلاص من الآلام الأرضية بالغاً ما بلغ مداها . وأن الوسيطين الوحيدتين للخلاص منها هما الصبر والصلاة ، وقد أملت روح راقية كتباً عنوانه « دروس مختصرة في الروحية »^(١) على وسيط يدعى ج . ف . J.F. جاء فيه عن الانتحار . « إنه في جميع الأحوال — إلا فيما ندر — يكون المنتحر بأية طريقة كانت ولائى سبب كان ، قد اخنزل لمدة تتفاوت في مداها أمد وجوده الأرضي ، فيبقى في حالة اضطراب ، وغالباً يظل بالقرب من جثته طيلة الوقت الذي كان عليه أن يحيا على الأرض . وعند انتهاء هذه الحالة — التي تتراوح من ناحية الطول ومن ناحية الألم تبعاً للأحوال والظروف ولعدد السنين التي كانت متبقية للمنتحر على الأرض — يجد المنتحر نفسه وقد عاد إلى بيئته الروحية . »

وقد أعطت روح البحثة دينز برادلي Dennis Bradley جواباً في شأن الانتحار عن طريق الوسيطة مسن بيركل Berkel جاء فيه^(٢) .

Cours Abrégés de Spiritisme.

(١)

(٢) جريدة الصنادى اكسبريس عدد ٦ يناير سنة ١٩٣٥ والمجلة الروحية الفرنسية عدد

مارس ١٩٣٥ .

فإن الانتحار جريمة . وإنك انتقدم خدمة جليلة إلى كل من تصدمه نفسه بالانتحار إذا ما أقنعته بأن ذلك لن يسبب أى تخفيف للإلامه . هناك حالة aura مظلمة حول الرقعة من الأرض التي تكون روح المنتحر مضطرة أن تبقى فيها ريثما تقضى ما كان سيكون نصيبها العادى من الحياة على الأرض (لولا منتحر) ، وذلك قبل أن تتمكن من الدخول إلى عالم الأرواح . وبلاحظ إلى أى مدى بلغ التطابق بين الرسالتين مع تباين مصدرهما . وقد أثبتت اتصالات آلان كاردك في الجمعية الروحية ، بباريس صحة مضمون هاتين الرسالتين ، كما يتضح ذلك من المحاورات الآتية :

(١) حديث مع منظر الساماريين

في حوالي الساعة السابعة من مساء يوم ١٨٥٨/٤/٧ توجه رجل حسن المظهر في الخمسين من عمره إلى حمامات الساماريين Samaritaine بباريس وطلب إعداد حمام له ، ثم وجد منتحراً بأن ذبح نفسه بشفرة حلالة وظلت شخصيته مجهولة . وقد أحضرت روحه في جمعية بباريس الروحية بعد ستة أيام من الحادث ودار معها الحوار الآتي :

س : أين أنت الآن ؟

ج : إني لا أعلم فقل لي أنت أين أنا ؟

س : إنك في جمعية مكونة من أشخاص مهتمين بالدراسات الروحية ويريدون العناية بك .

ج : قولوا لي ما إذا كنت لا أزال حياً لأنني أكاد أخنق في الصندوق .

• من المؤلف : إن روحه رغم انفصالها عن الجسد ما زالت غارقة فيما يصح تسميته بدوار المادة الجسدية . كما أن أفكاره الأرضية ما زالت على حالها ، فهو لا يتصور نفسه ميتاً ،^(١) .

(١) راجع ما سبق في هامش ص ٢٧٩ و ٢٨٠ .

- س : من الذى كلفك بالحضور إلى هنا ؟
ج : لقد أحسست بشيء من التخفيف .
س : ما الذى حملك على الانتحار ؟
ج : وهل أنا ميت ؟ كلا ما زلت أظن جسدى ولا تعرفون كم أنا لم وأخنتق ، فلتحاول يد رحمة القضاء على .
س : لماذا لم تترك أى أثر يمكن به التعرف عليك ؟
ج : إني مهجور وهربت من الألم لأقابل العذاب .
س : هل لديك الآن نفس الأسباب كما تظل مهجوراً ؟
ج : نعم ولا تضعوا حديداً ساخناً على جرحى الدامى .
س : هل ترغب فى ذكر اسمك وسنك وعملك وعنوانك ؟
ج : كلا .
س : هل كانت لديك زوجة وأولاد ؟
ج : كنت مهجوراً ولم يحبني إنسان .
س : وماذا فعلت حتى لا يحبك أحد ؟
ج : كثيرون مثلى ، إن الإنسان يمكن أن يكون مهجوراً وهو وسط حائلته إذا لم يجد قلباً يحبه .
س : هل أحسست بأى تردد عند تنفيذ عزمك ؟
ج : كنت متعطشاً إلى الموت وباحثاً عن الراحة .
س : ألم يجعلك خوف المستقبل تراجع عما شرعت فيه ؟
ج : لم أكن أو من بالمستقبل . كما كنت بلا أمل والمستقبل هو الأمل .
س : فبم كنت تفكر فى اللحظة التى شعرت فيها بانطفاء شعلة الحياة ؟
ج : لم أفكر بل شعرت ، ولكن حياتي لم تنطفئ ، لأن روحى متصلة بجسدى وأشعر بالود يقرضنى .
س : وماذا كان إحساسك عندما مت تماماً ؟
ج : وهل الأمر كذلك ؟

س : هل كانت لحظة انطفاء الحياة البتة ؟

ج : كانت أقل ألماً من اللحظة التي تلتها . لقد تألم الجسد وحده .

س : إلى القديس لويس ، ماذا يعنى بقوله إن لحظة الموت كانت أقل

ألماً من تلك التي تلتها ؟

ج : لقد تخلصت الروح من حمل كان يثقل كاهلها بعد أن كانت تشد

بشهوة الألم .

س : هل يحدث ذلك دائماً في حالة الانتحار ؟

ج : نعم ، فروح المنتحر تظل متصلة بجسده حتى نهاية حياته (الأرضية)

لأن الموت الطبيعي هو التحرر من هذه الحياة ، أما الانتحار فتحطيم لها برمتها .

س : هل هذه هي الحال بالنسبة لكل موت عارض إذا أدى إلى تقصير

الأمم العادى للحياة ؟

ج : كلا وإلا فإذا تمنون بالانتحار ؟ إن الروح لاتدان إلا بأعمالها .

• • •

تم علق الآن كاردك على هذا الحوار بالآتى :

الشك في حدوث الموت أمر مألوف لدى من ماتوا حديثاً ، خصوصاً لدى

من لم يرتفع منهم بروحه فوق مستوى المسادة خلال حياته الأرضية ، وهي

ظاهرة تبدو غريبة لأول وهلة ولو أن تفسيرها يسير . فلو سألتنا شخصاً

منوماً تنوباً مغناطيسياً أثناء يقظة نومية حركية Somsambulisme عما إذا

كان نائماً لأجاب في جميع الأحوال تقريباً بالنفى . وجوابه منطوق فالخطأ يقع

على عاتق السائل الذى يستعمل في سؤاله لفظاً غير مناسب ، لأن النوم في لغتنا

الدارجة مرتبط بتوقف جميع ملكات الحس ، أما من يكون في حالة يقظة

نومية حركية ، فهو يفكر ويرى ويشعر ويدرك حريته المعنوية ، ومن ثم

لا يعتقد أنه نائم لأنه بالفعل ليس نائماً طبقاً للدلول الشائع لهذه الكلمة .

وهذا هو نفس الوضع بالنسبة للبيت حديثاً . فالموت كان عنده بمثابة القضاء على ذاته ، وما شأنه إلا كشفان المنيوم مغناطيسياً ، فهو أيضاً يرى ويشعر ويتحدث ويكون في نظر نفسه كأنه لم يموت ، ويأخذ في القول بذلك حتى يلهم إدراك حالته الجديدة ...

(ب) رسالة من لوفيه فرانسوا سيمون Louvet Francois Simon

في اجتماع روهي عقد بمدينة الهافر Le Havre في يوم ١٢ فبراير سنة ١٨٦٣ تقدمت روح من تلقاء نفسها وأملت الرسالة الآتية :

دلتكن لديكم شفقة على بائس مسكين يعاني منذ مدة طويلة آلاماً مرة ، أواه من الفراغ ... من الفضاء ... إني أهوى ... إني أهوى (من عل) فهل من مغيث ...؟ يا إلهي لقد كانت حياتي تعيسة وكنت شيطاناً بائساً ... تأملت طويلاً من الجوع في شيوختي ولذا أدمنت الشراب فبجعت نفسي كل شيء ، إلى أن رغبت في الموت فألقيت بنفسي ... إيه يا إلهي أية لحظة هذه ، ولماذا أردت أن أنهى حياتي ما دام الأجل كان دانياً إلى هذا الحد ؟ فصلوا لأجلي حتى لا أرى بعد الآن هذا الفراغ دائماً من تحتي . أ كاد انحطم على هذه الأحجار واستحلفكم يا من تعرفون آلام من لم يعودوا بينكم ... وأتوجه إليكم رغم أنكم لا تعرفونني لأنني أتألم كثيراً ... ولماذا تريدون أدلة ؟ إني أتألم أليس في ذلك الكفاية ؟ . لو كنت جائعاً بدلاً من الألم الرهيب الذي أقاسيه والذي لا تشاهدونه - أ كنتم تترددون في التخفيف عني بكسرة من الخبز ؟ فأطلب منكم أن تصلوا لأجلي ... لا يمكنني المسكوث هنا طويلاً ، واسألوا أحد هؤلاء السعداء الموجودين هنا تعلبوا من أكون . وصلوا لأجلي . .

فرانسوا سيمون لوفيه

الروح المرشد للربيط

هذا الذي فرغ من الاتصال بكم بائس مسكين قاسي محنة الفاقة على الأرض وتمسكه السخط كما غائته شجاعته ، وبدلاً من أن ينظر إلى فوق كما كان

ينبغي وهب نفسه للمسكر فنزل إلى أشد حالات اليأس ، ووضع حداً
لمحتته القاسية بأن ألقي بنفسه من برج فرانسوا الأول في ٢٢ يولييه سنة ١٨٥٧
فلتعطفوا على أروحه البائسة التي لم تتقدم ، وإن كان لديها من المعرفة بالحياة
المستقبلية ما يكفي مع ذلك لكي تتعذب وتطلب تجربة جديدة . فصلوا إلى
الله حتى يهبها المغفرة وتدور لها عملاً طيباً .

* * *

ويقول آلان كاردك إنه بالبحث في الصحف اليومية وجد بالعدد
الصادر بتاريخ ٢٣ يولييه سنة ١٨٥٧ من جريده الهافر النبأ التالي :

« أمس في الساعة الرابعة مساءً روع المتنزهون بحادث فظيع . ذلك أن
رجلاً ألقي بنفسه من فتحة البرج وتحطم على الأحجار ... وقد تبين أن اسمه
فرانسوا فيكتور سيمون لوفيه ، ثم نقلت الجثة إلى منزل إحدى بناته
بشارع الكوردري Corderie ، وهو يبلغ من العمر سبعاً وستين سنة . »

ويعلق مشيراً إلى مرور ستة أعوام على وفاة هذا الرجل وكيف أنه
لا يزال يرى نفسه مع ذلك كما لو كان يهوى من البرج ويتحطم على الصخور
ومن ثم يفرغ من الفراغ الذي تحته .. وكـم سيستمر ذلك ؟ إنه لا يعلم ،
وهو شك يضاعف من آلامه . ألا يسأري هذا العقاب الجحيم ولهيبة ؟
ومن الذي كشف لنا هذه العقوبات ؟ هل اخترعناها ؟ أم نفس الذين
يقاسونها يأتون ويصفونها ، كما يصف آخرون سعادتهم ؟ .. ولطالما قاموا
بذلك من تلقاء أنفسهم ، وهو ما ينفي تماماً الزعم القائل بأننا ضحايا
لأوهامنا الخاصة .

(ج) مع منظر ملحد

كان السيد ج.ب.د. رجلاً ملحداً ، كما كان متشعباً بالأراء المادية إلى
أقصى مدى وغير مؤمن بالله ولا بالروح . وقد طلب بعض أقاربه حضوره
بعد عامين من وفاته :

الروح : إني أتألم والكل ينكرني .

س : طلب أقاربك استدعاءك لأنهم يرغبون في معرفة مصيرك ، فهل هذا الاستدعاء يرضيك أم يضايقك .

ج : يضايقني .

س : وهل مت يارادتك ؟

ج : نعم (وهنا بدا عليه الاضطراب والغضب حتى حطم القلم ومزق الورقة) .

س : فلتكن أ كثر هدوءاً وسنصل جميعاً إلى الله لأجلك .

ج : إني مضطر إلى الايمان بالله .

س : وما الباعث الذي حملك على إهلاك نفسك ؟

ج : سأم من حياة بلا أمل .

س : هل تفضل بكتابة حالتك على قدر ما يمكنك ؟

ج : ما يؤلمني هو الاضطراب إلى الايمان بكل ما كنت أنكره ،

فتتعذب روحي عذاباً رهيباً كما لو كنت على جمر من النار ...

س : ماذا كنت تعتقد عن مصيرك عندما أغرقت نفسك ؟

ج : لم تكن لدى أية فكرة عنه ، إذ كان ذلك بمثابة العدم في رأيي ،

لكني تبينت بعدئذ أن على أن أتألم كثيراً وأني أستنفد عقوبيتني بأكملها .

س : لكن هل أنت مقتنع تماماً الآن بوجود الله والروح والحياة

الآخري ؟

ج : نعم للأسف وذلك يعذبني كثيراً .

س : هل شاهدك أخوك .

ج : لا .

س : ولماذا .

ج: ولماذا نجمع بين آلامنا؟ إن الشقاء يفرق للأسف أما السعادة فتجتمع .

س: وهل يسرك أن ترى أخاك بجوارك ، إذ يمكننا استدعاه ؟

ج: كلا ، لأنني في حالة دنيا .

س: ولم لا تريد أن تستدعيه ؟

ج: لأنه هو أيضاً غير سعيد .

س: هل تخشى مشاهدته ؟ إن مشاهدته لا يمكن إلا أن تفيدك .

ج: ليس الآن ، بل فيما بعد .

وبعد ذلك حضرت روح شقيقه الذي كان يشاركه آراءه ، لكنه لم يمت منتحراً ، وكانت روحه أكثر منه هدوءاً وخطئه أكثر وضوحاً .

الروح : لعل صورة آلامنا تكون درساً مفيداً لكم وتقنعكم بوجود حياة أخرى يكفر فيها الإنسان عن خطاياہ وعن عدم إيمانه .

س: هل تبادل النظر مع شقيقك الذي كان هنا ؟

ج: بل يهرب مني .

س: بما أنك أكثر هدوءاً فهل تقدر أن تصف لنا آلامك بصورة أكثر دقة ؟

ج: ألا يتألم الواحد منكم في كرامته وكبريائه عندما يضطر إلى التسليم بأخطائه وهو على الأرض ، وألا تتور روحكم خشية المهانة أمام من يكشف لكم عن أغلاطكم ؟ حسناً فإذا تعتقدون يمكن أن تكون آلام الروح التي تأثرت خلال وجودها بأكمله على إقناع نفسها بعدم بقاء شيء بعدها ، وبأن الحق في جانبها وإن كره الجميع ؟ ثم ألا يلحقها بعدئذ الحزى والتلاشي عندما تجرد نفسها وجهاً لوجه إزاء الحقيقة الصارخة ؟

فإذا أضيف إلى ذلك وخز الضمير لأنها تمسكت أثناء وقت طويل إلى هذا المدى من إنكار وجود إله لطيف ورحيم كهذا ، فإن حالتها تصبح لا تطاق ، كما يعز عليها الهدوء والراحة، بل أنها لن تعثر على بعض الطمأنينة

إلا عندما يلحقها الغفران الإلهي ، أو ما نعبر عنه بمحبة الله تعالى . وما سبب ذلك إلا استيلاء الكبرياء على روحنا البائسة ، فإنها تحبطها برداء يكاد يهلكها ، فيلزمنا وقت كاف للخلاص من هذا الرداء بمساعدة من يصلي لأجلنا من إخواننا .

س : هل ترغب في الحديث عن إخوانك الأحياء أو الأموات ؟

ج : عن هؤلاء وهؤلاء .

س : عندما كننا نتحدث مع شقيقتك قام أحد الموجودين هنا بالصلاة لأجله فهل أفادته الصلاة ؟

ج : ليست ضائعة . وحتى لو رفض المغفرة الآن فإنها ستفيده عندما يكون في حالة تسمح له بالاستفادة من هذا الدواء panacée المقدس (وهنا يقول المؤلف ما ملخصه أن اللفظ الذي استعملته الروح للتعبير عن الدواء وهو panacée كان بمثابة لازمة لفظية عرفت عن المتوفى خلال حياته الأرضية ، وقد لاحظ ذلك أحد أقاربه ، وأرسل إلى المؤلف خطاباً بهذا المعنى . وهذا اللفظ نادر وغير مألوف الاستعمال في التعبير عن معنى الدواء ، وهو حرقياً يشير إلى ما يصلح من الدواء في علاج جميع الأمراض^(١) .

(٥) انتماء مزدوج بدافع الحب والروابط

بتاريخ ١٣ يونية سنة ١٨٦٢ نشرت إحدى الصحف القصة الآتية الآتية :
« كانت الأنسة بالمير Palmyre تشتغل عاملة للأزياء وتقيم مع والديها ، وكانت تمتاز بمظهر جذاب فضلاً عن خلقها المحبوب ، ولذا طلب يدها الكثيرون وقد فضلت من بينهم السيد د ب ، الذي كانت تشعر نحوه بعاطفة قوية ، ولكنها تزولا على إرادة والديها اللذين كانت تحبهما قبلت الزواج من

(١) ولعله يقابل ما نعبر عنه باللغة العربية بالبلم .

من السيد «د»، لما بدا لهما من تفوق مركزه الاجتماعي على مركز منافسيه .

وكان «ب» و«د» مع ذلك صديقين حميمين يجتمعان كثيراً ، ولم يضعف الحب المتبادل بين «ب» والأنسة بالمير التي أصبحت زوجة لصديقة «د»، بل ازداد الحب بينهما على مر الأيام بسبب العنف الذي حاول الحبيبان أن يقاوماه به . وقد تزوج «ب» من جانبه بسيدة صغيرة على صفات رقيقة كثيرة محالاً بذلك إطفاء نار حبه وبإذلا جهده كيما يحب زوجته ، إلى أن تبين له أن هذه الطريقة قصرت أيضاً عن شفائه من هواه ، ومع ذلك ظل الحبيبان خلال أربعة أعوام دون أن يخونا واجباتهما مؤثرين على ذلك تحمل آلام يحمل عنها الوصف ، خصوصاً وأن «د» الذي كان يحب صديقه حباً جماً كان يدعو كثيراً إلى منزله ويرغمه على البقاء معه .

وذات يوم وقد جمعت المصادفة البحتة بين الحبيبين تطارحا الوجدوا استقرار رأيهما على أن الخلاص من الحياة قد يكون هو العلاج الوحيد لما يقاسيانه من آلام الهوى ، واتفقا على الانتحار معاً ومجتمعين في اليوم التالي ، حيث كان «د» سيتغيب جزءاً كبيراً من النهار . وبعد أن تما إهداء العدة حرراً خطاباً طويلاً ومؤثراً يبرران فيه السبب الذي جعلهما يؤثران الانتحار وهو رغبتهما في عدم التفريط في واجباتهما الزوجية ، وتوسلا في نهايته المغفرة ، وطلباً أن يدفنا في قبر واحد .

وعندما عاد السيد «د» إلى منزله وجد الحبيبين محتنقين بالغاز ، فاحترم رغبتهما وطلب ألا يفرق بينهما في القبر ، ... هذا ما ورد بالصحيفة .

وقد اقترح بعضهم أن تكون هذه الحادثة موضوعاً للدراسة في جمعية باريس الروحية ، فأجابت الروح المرشدة بما يلي : « العاشقان المنتحران لا يمكنهما بعد الإجابة ، فإن أراهما وقد تملكهما الاضطراب والخوف من جو الأبدية . وستعقبهما النتائج الأدبية لما أقدموا عليه خلال حيوات متعاقبة

حيث ستبحث روحاهما المنعزلتان إحداهما عن الأخرى . وسيعاقبان عقاباً مزدوجاً من القلق ومن الرغبة إلى أن يتم التكفير ، فيجمع بينهما لقاء دائم في ظل حب خالد .

وبعد ثمانية أيام ، أى في جلستكم المقبلة يمكنكم طلبهما ، وسيحضران . ولكن لن يشاهد أحدهما الآخر ، بل سيفصل بينهما ليل بيم وذلك لأمد طويل . . . ، وقد تحقق فعلاً الاتصال بروح السيدة ودار نقاش بينهما وبين بعض الحاضرين كالآتى : -

س : هل ترين حبيبك الذى انتحرت معه ؟

ج : لا أرى شيئاً ، ولا أرى حتى الأرواح التى تقيم معى فى المقر الذى أنا فيه ، فأى ليل هذا ! أى ليل ! وأى حجاب كثيف على وجهى !

س : أى إحساس شعرت به عندما استيقظت بعد موتك ؟

ج : إحساس غريب ، كنت أشعر ببرودة وبحرارة شديدة . فالبرودة تهرى فى عروقي ، والحرارة تشتعل فى جيبى ، شئ عجيب وخليط لا يطاق . فالثلج والنار معاً يبدران قابضين على ، وخيل إلى أنى سأموت مرة ثانية .

س : هل تشعرين بألم جثمانى ؟

ج : كل ألمى هنا وهنا .

س : ماذا تقصدين بذلك ؟

ج : هنا فى رأسى وهنا فى قلبى .

س : هل تعتقدين أنك ستكونين دائماً فى هذه الحالة ؟

ج : نعم دائماً دائماً ! وإلى أسمع أحياناً ضحكات جهنمية ، وأصواتاً كريهة تزجر بهذه الكلمات : هكذا دائماً ! ،

س : حسناً ولكن يمكننا أن نقرر لك بكل تأكيد بأن الحال لن تكون كذلك دائماً ، وأنت عند التوبة ستحصلين على المغفرة .

ج : ماذا قلتم ؟ فى أى لا أسمع .

س : أكرر لك أن آلامك تنتهى عندما يمكنك أن تتعجل التوبة ،
وسنساعدك بالصلاة .

ج : إنى لم أسمع سوى كلمة واحدة وأصوات غامضة وهذه الكلمة هى
العفو ، فهل كنتم تتحدثون عن العفو ؟ لا ريب أنكم كنتم تتحدثون عن
العفو إلى الروح التى يجوارى وهى لطفل بائس ينوح ويؤمل .

(هنا قالت سيدة من الجمعية إنها كانت تصلى لأجل هذه التعيسة ،
ولا ريب أن هذه الصلاة هى التى شعرت بها لأنها كانت تطلب لها العفو
من الله) .

س : إنك تقولين إنك فى ظلام ، أفلا تريننا ؟

ج : بمقدورى أن أستمع إلى بعض الكلمات التى تنطقون بها ، ولكنى
لا أرى إلا نقاباً أسود ترسم عليه أحياناً صورة رأس تبكى .

س : إذا كنت لا ترين حبيبك ، أفلا تشعرين به حاضراً بالقرب منك
لأنه هنا .

ج : اه لا تتحدثونى عنه ، إذ ينبغى أن أنساه الآن ، إذا كنت أريد
أن تمحى من هذا النقاب الصورة التى أراها مرسومة عليه .

س : ما هى هذه الصورة ؟

ج : صورة رجل متألم ، قضيت على كيانه الأدبى على الأرض لأمد
طويل (تقصد زوجها) .

ثم يعلق آلان كاردك على هذه القصة قائلاً :-

« بقراءة هذه القصة قد يميل الإنسان بآدى ذى بدء إلى أن يجدفى هذا
الانتحار ظروفاً مخففة ، بل قد ينظر إليه كعمل بطولى إذ كان الدافع إليه
هو الإحساس بالواجب . ولكن يرى القارئ كيف أن الحكم كان غير
ذلك ، وكيف أن عقاب المذنبين طویل ومخيف لأنهما لاذا بالموت هرباً
من الصراع . وفكرة عدم خيانة واجباتهما الزوجية كانت فكرة مشرقة

بغير ريب ، وستوضع موضع الاعتبار فيما بعد ، ولكن كان فضلها
الحقيقى سيكون فى مقاومة الغواية ، حين آثرا أن يتصرفا كالجندي المهرب
من الميدان فى لحظة الخطر ...

ومدة عقابهما ليست مطلقة ، وستتوقف على الطريقة التى بها يتحملان
تجاربهما المستقبلية ، وهو ما يمكن مساعدتهما فيه بالصلاة ، وسيكونان —
ككل الأرواح المذنبة الأخرى — هما الحسبان فى مصيرهما الخاص .
والأفضل ذلك الاعتقاد باللعنة الأبدية بغير أمل ولا نهاية للمتحررين ؟

المبحث الخامس

التصاوت بأرواح فنند

هذه طائفة خامسة من الأرواح التى تم الاتصال بها فى نفس الجمعية .
وهى أرواح شقية لأنها أرواح قتلة ممن ماتوا على المقصلة . وفى الواقع لقد
تبينت آراء الأرواح الراقية حول عقوبة الإعدام . فلهذه العقوبة أنصارها
كما أن لها أعداءها حتى فى عالم الروح . ويضيف أعداؤها حجة جديدة
لمعارضتها تضاف إلى الحجج القديمة التى يثيرها المعارضون لها ، وهى أن
الإعدام كثيراً ما يحرر أرواحاً شريرة مرتبطة بالأرض بصورة ما
earthbound ويلقى بها إلى خارج عالم المادة قبل تطورها المطلوب حيث
تكون أكثر حرية ومقدرة على الإساءة ، ولو فى صورة مسروحي ، كما قد
يحدث أحياناً . وهذا الاعتراض يصدق بطبيعة الحال على من أعدموا عن
جدارة واستحقاق ، ولا يصدق على الأبرياء الذين قد يروحون ضحية خطأ
القضاء ، أو على المجاهدين وأصحاب الرسائل الراقية الذين راحوا ضحايا
الجهل والاستبداد من أمثال سقراط وجاليليو وجان دارك .

أما بالنسبة للأشقياء والأئمة الكبار فلا يزال لعقوبة الإعدام أنصارها
وأعداؤها . ففي رسالة نشرتها جريدة الفيجارو الفرنسية فى ١٥ من يناير سنة
١٩١٩ سئل روح الشاعر والأديب العظيم فيكتور هيغو V. Hugo عن العقوبة

التي ترى توقيعها على المسئول عن نشوب الحرب العالمية الأولى بحيث تكون
أشد إيلاماً وردعاً من عقوبة الموت ، فأجابت الروح : بل عقوبة الحياة ،
وفيا إلى بعض هذه الاتصالات . : —

١ — ليمير Lemaire

حكم عليه بالإعدام من محكمة جنابات الإين L'Aisne ونفذ فيه في
١٨٥٧/١٢/٣١ وحضر في ١٨٥٨/١/٢٩ ثم قال : إني هنا .

س : ما شعورك لدى رؤيتنا ؟

ج : الخجل .

س : هل حافظت على إدراكك حتى اللحظة الأخيرة ؟

ج : نعم .

س : وهل أدركت وجودك الجديد عقب تنفيذ الحكم مباشرة ؟

ج : غمرني اضطراب كشف لم أخرج منه بعد ، كما شعرت بألم هائل
وخيل إلى أن قلبي تألم منه ثم رأيت شيئاً لا أعرفه يتدحرج تحت قدم المقصلة
ودما يسيل . وأصبح ألمي أشد قوة .

س : وهل كان هذا الألم جثامياً مثل الألم الناجم من جرح كبير ، كبت
عضو مثلاً ؟

ج : كلا بل تخيلوا تأنيب الضمير لأنه ألم معنوي عظيم .

س : متى بدأت في الإحساس بهذا الألم ؟

ج : بمجرد أن تحررت .

س : هل الروح أم الجسد هو الذي أحس بالألم المسمى الناجم
عن التنفيذ ؟

ج : كان الألم المعنوي في روحي ، وأما الجسد فقد أحس بالألم الجسدي ،
مع أن الروح رغم انفصالها أحست به أيضاً .

س : هل شاهدت جسدك وهو مبتور الرأس ؟

ج : شاهدت شيئاً ليس له شكل محدد بدالى كأنه لم يغادرني ، ومع ذلك أحسست بذاتي كاملة وأني أنا نفسي .

س : وما هو الأثر الذي تركه فيك هذا المنظر ؟

ج : أحسست بالمى رهيباً واستغرقت فيه .

س : هل من الصحيح أن الجسد يحيا لبضع لحظات بعد فصل الرأس وأن من يقتل يحتفظ يادراكه ؟

ج : الروح تنسحب تدريجياً ، وبقدر ما تقيدها أو اصرر المادة بقدر ما تطول لحظة الانفصال .

س : قيل إنه لوحظ أنه بدت على وجوه بعض من نفذ فيهم الإعدام تعابير الخلق وحركات معينة كما لو كانوا يريدون أن يتكلموا ، فهل ذلك نتيجة تقلص عصبي أم هو عمل إرادى ؟

ج : إرادى لأن الروح لا تكون قد انسلخت بعد .

س : ماذا كان إحساسك الأول عند ما دخلت في وجودك الجديد ؟

ج : ألم لا يطاق ونوع من وخز الضمير كنت أجعل سببه .

س : هل اجتمعت بشركائك الذين أعدموا معك في نفس الوقت ؟

ج : كان اجتماعنا للأسف تعذيباً مستمراً لنا ، فكل منا كان يسند إلى الآخر جريمته

س : هل ترى ضحاياك ؟

ج : أراهم وإنهم سعداء وتطاردني نظراتهم كما أحس بها تنفذ في أعماق نفسي وأحاول عبثاً الهرب منها .

س : وبماذا تشعر عند مرآهم ؟

ج : خزيّاً وتأنيباً في الضمير ، فقد قتلت بريتهم يدي ، ومع ذلك فما زلت أمقتهم .

س : وبماذا يشعرون عند مرآك ؟

ج : بالإشفاق .

س : هل بهم حقداً ورغبة في الانتقام ؟
ج : كلا بل هم يطلبون لي المغفرة ، إنه ليس بمقدورك أن تتصوروا
مطلقاً أى تعذيب رهيب ينبغي أن يؤديه المرء نحو من يكرهه .

س : هل تأسف على حياتك الأرضية ؟
ج : لست آسفاً إلا على جرائمى ، ولو عاد الأمر بيدي من جديد لما
سقطت بعد الآن .

س : هل كان الميل إلى الشر طبيعة فيك أم دفعك إليه الوسط الذى
عشت فيه ؟

ج : كان الميل إلى الجريمة فى طبيعتى إذ كنت روحاً سفلية وأردت أن
أرتفع بغتة فتطلعت إلى أكثر مما تتحمل طاقتى ، حسبت نفسى قوياً
فاخترت محنة قاسية واستسلمت إلى غواية الشر .

س : هل كنت تترك حياة الإجرام لو أنك تلقيت مبادئ تعليمية
طيبة ؟

ج : نعم ولكنى اخترت الوضع الذى ولدت فيه .

س : هل كان بمقدورك أن تكون إنساناً صالحاً ؟

ج : بل إنساناً ضعيفاً وعاجزاً عن الخير والشر معاً . ولئن كان بمقدورى
إصلاح طبيعتى الشريرة أثناء وجودى ، فإنه لم يكن بمقدورى السمو إلى حد
فعل الخير .

س : هل كنت تؤمن بالله أثناء حياتك ؟

ج : كلا .

س : ومع ذلك يقال إنك ندمت ساعة التنفيذ ؟

ج : بل أمنت ياله منتقم وخشيت عدالته . .

وهكذا يسترسل الحوار حتى نهايته .

(ب) روح كانت ترتاد بلدة كاستلنودارى Castelnau-dary .

فى منزل صغير بالقرب من قرية كاستلنودارى كانت تحدث ضوضاء

غريبة وظواهر جعلت الناس يعتقدون أن روحاً شريرة تسكن هذا المنزل . وكان السيد د د ، يريد أن يسكنه ولكنه توفي فجأة بعد بضع سنوات . ولما أراد ابنه أن يسكنه تلقى أثناء دخوله فيه صدمة قوية من يد مجهولة ، ولما كان حينئذ وحيداً فلم يساوره شك في مصدرها الخفى وصمم نهائياً على مغادرة المنزل . وقد طلبت هذه الروح في جمعية باريس في سنة ١٨٥٩ فأحضرت وأظهرت نفسها بحركات عنيفة بحيث عجز عن تهدئتها جميع ما بذل معها من جهود . وعندئذ طلب بعض أعضاء الجمعية بياناً من القديس لويس Saint Louis عن موضوعها فأجاب :

« إنها روح من أردأ نوع ، بل روح مارد حقيقي جعلناه يحضر لكتنا لم نقدر على إكراهه على الكتابة رغم كل ما قلناه له .. إن للسكين حرته في الاختيار وهو يسىء استعمالها . »

س : وهل هذه الروح قابلة للتقدم ؟

ج : ولم لا ؟ أليس هو والآخرين جميعاً قابلين للتقدم ؟ لكن علينا أن نتوقع أن تلاقى صعباً . ومهما كانت درجه التوائه فإن مقابلة الشر بالخير ستنتهى بالتأثير فيه . فلنرجه أولاً ، ثم فلنطلبوه في بحر شهر حتى يمكنكم أن تحكموا على التغير الذى سيطرأ عليه .

وقد أعيد طلب الروح في نفس الدائرة الروحية فبدت أسلس قياداً ثم استسلمت وابتدأت في التوبة ، واتضح من البيانات التى تلقتها الدائرة أنها لشخص كان في سنة ١٦٠٨ يقطن نفس هذا المنزل ، وفيه اغتال شقيقه بأن طعنه بسكين أثناء نومه بدافع من الشك والغيرة اللذين سيبتهما المنافسة بينهما في الحب ، كما اغتال فيه أيضاً السيدة التى تزوجها بعد بضع سنوات من اغتيال شقيقه . وأخيراً توفي في سنة ١٦٥٩ عن ثمانين عاماً دون أن يعاقب على جرائمه التى كانت تثير قليلاً من الانتباه في أوقات الفوضى هذه . ومنذ وفاته لم ينقطع عن عمل الشر ، وتسبب في ارتكاب كثير من الحوادث التى وقعت

في هذا المنزل . وقد شاهده وسيط الجلاء البصرى في الجلسة الأولى لحضوره وهو يمز بعنف ذراع الوسيط في اللحظة التي أريد فيها دفعه إلى السكتابه، وكان شكله نحيفاً ، كما كان يلبس قميصاً ملوثاً بالدماء ويحمل في يده خنجرأ .

س : إلى القديس لويس : هل تتكرم بوصف نوع العذاب الذى تعانيه روح هذا الشخص ؟

ج : إنه عذاب قاس له فقد قضى عليه بالإقامة في هذا المسكن الذى اقترف فيه جرائمه دون أن يتمكن من توجيه فكره إلى شيء آخر سوى هذه الجرائم ، فهو أمام ناظريه دائماً . ويعتقد أنه محكوم عليه بهذا العذاب الأبدى ، كما يشعر بنفسه كما لو كان يعيش على الدوام في اللحظة التى ارتكب فيها جريمتيه ، وقد سلبت منه كل ذكرى غيرهما ، كما منع من الاتصال بأية روح أخرى . فظالما هو في الأرض لا يغادر هذا المنزل ، أما إذا كان في الفضاء فإنه يعيش منفرداً في ظلام .

س : وهل من وسيلة لإخراجه من هذا المنزل ؟ وما هى ؟

ج : إذا أردتم التخلص من مضايقات الأرواح التى تمثلها فإن ذلك متيسر بالصلاة لأجلها ، وهو ما يهمله الإنسان عادة مفضلاً إرهابها بعبارات للطرده تلهو هى كثيراً بالاستماع إليها .

س : ما قد معنى عليها قرنان من الزمان وهى على هذه الحالة ، فهل يبدو لها هذا الوقت طويلاً كما لو كانت تعيش على الأرض ؟

ج : إنه يبدو لها أكثر طولاً فليس للنوم وجود بالنسبة لها .

س : قيل لنا إنه لا يوجد زمن بالنسبة للأرواح وإن قرناً بالنسبة لها هو عبارة عن نقطة في الأبدية ، أفليس هذا هو الوضع بالنسبة للجميع ؟

ج : كلا لأن هذا هو الوضع بالنسبة للأرواح التى وصلت إلى درجة

مرتفعة جداً من الرقي ، لكن الوقت يكون أحياناً للأرواح السفلى طويلاً جداً خصوصاً عندما تكون متألماً .

س : ومن أين أتت هذه الروح قبل تجسدها ؟

ج : كان لها وجود بين أشد الشعوب همجية وتوحشاً ، وقبل ذلك حضرت من كوكب دون الأرض .

س : هذه الروح تعاقب بقسوة عن الجريمة التي ارتكبتها ، فلو كانت قد عاشت بين الشعوب الهمجية ، وعمدت حينئذ بالضرورة إلى ارتكاب أفعال لا تقل قسوة عن هذه الأخيرة، فهل كانت ستعاقب بنفس الطريقة ؟
ج : كان عقابها سيكون أخف لأنها بحكم جهلها كان فهمها سيكون أقل قدراً لمدى أفعالها .

وبعد اتصالات متعددة مع هذا الشخص لاحظ المؤلف تقدماً محسوساً في حالته ، وها هي بعض أجوبته : —

س : لماذا لم تتمكن من الكتابة عندما استدعيناك لأول مرة ؟

ج : لم أكن أرغب في ذلك .

س : ولماذا ؟

ج : جهل وتوحش .

س : هل يمكنك أن تغادر منزل كاستلنو داري عندما تريد ؟

ج : نعم يمكنني ذلك لأنني استفدت من نصائحكم الطيبة .

س : هل أشعر بخفيف ؟

ج : بدا لي الأمل .

س : في أي مظهر كنا سنراك لو أمكننا ذلك ؟

ج : كنتم سترونني بقميص وبلا خنجر .

س : وأين ذهب خنجرك ؟

- ج : إني ألعنه ، وقد أعفاني الله من منظره .
- س : هل إذا عاد السيد د د ، إلى المنزل تلحق به سوءاً ؟
- ج : كلا لاني نائب .
- س : ولو أراد تحديك مرة ثانية ؟
- ج : لا تطلبوا مني هذا فقد لا أتمكن من السيطرة على نفسي ، لأن ذلك فوق مقدوري . . . فانا لست سوى بائس .
- س : هل ترى نهاية لآلامك ؟
- ج : كلا وإن هذا أكثر بكثير مما استحق أن أهرقه ، ويكفييني أني علست بفصل تدخلكم أنها لن تستمر هكذا .
- س : هل تفضل بوصف حالتك قبل أن نستديك للمرة الأولى ؟
- وأنت تعلم أننا لا نفعل ذلك بدافع من حب الاستطلاع ، بل لعله يكون في مقدورنا أن نتفعلك .
- ج : ذكرت لكم أنه لم يكن لدى إدراك أي شيء في العالم سوى جريمتي ، ولم يكن بمقدوري مغادرة المنزل الذي ارتكبتها فيه إلا للتخليق في فضاء ليس فيه من حولى غير الوحدة والظلام . ولست بقادر أن أعطيكم فكرة عن ذلك ، ولم أكن أعلم عنه شيئاً ، بل عندما كنت أرتفع في الهواء كان من حولى السواد والفراغ ، ولا أعلم ماذا كان هذا . واليوم أشعر بتأنيب أكثر بكثير ولست مكراً على أن أأزم حتماً هذا المنزل . بل لقد صار لي أن أهتم على الأرض وأن أستشير عن طريق الملاحظة . ولكني أعرف مع ذلك جسامتي أخطائي بصورة أشد عنفاً . فإذا كانت آلامي قد نقصت من ناحية فإنها قد زادت من ناحية أخرى بفعل تأنيب الضمير ، لكن لدى الأمل بالأقل .

- س : وهل كنت تشعر أثناء عزلتك بأى تأنيب للضمير ؟
- ج : كلا على الإطلاق ولذا تعذبت كثيراً ، وإنما عندما بدأت في

الشعور به تهيأت على غير علم منى الظروف التي أدت إلى حضوري ، وهي التي أنا مدين لها بيده خلاصى فشكراً لكم يامن عطفتم على ونورتموني .

ومما قاله المؤلف تعليقا على هذه الحالة :

« إنه نظراً لأن الغرض من حضور هذا الشقي كان إفادته ، فلم يكن حضوره مصادفة ، بل إن الأرواح الساهرة عليه ، عندما رأت أنه بدأ في إدراك جسامة جرائمه قدرت أن اللحظة قد حانت لتقديم مساعدة فعالة له ، ومن ثم هيأت له الظروف المؤاتية للحضور ، وهو ما شهدنا حدوثه عدة مرات .

وقد استفسرنا عما كان سيؤول إليه مصير هذه الروح لو أنها لم تحضر ، وكذلك مصير الأرواح الأخرى المتألمة التي لا يمكن حضورها أو تلك التي لا يفكر فيها أحد فأجيب على استفسارنا بأن الوسائل الإلهية لنجدة مخلوقاته لا تحصى . وما مناجاة الأرواح سوى وسيلة منها ، وهي — ييقين — ليست الوسيلة الوحيدة لذلك ، فإن الله تعالى لا يترك روحاً منها طي النسيان ، كما أن صلاة الجماعة لا بد وأن تؤثر في الأرواح القابلة للتوبة .

وقد أراد الله أيضاً بهذه الطريقة إظهار التضامن الموجود بين جميع كائنات الدنيا وإعطائها قانوناً طبيعياً كأساس لمبدأ الإخاء فيما بينها ، فضلاً عن أنها فتحت سبيلاً جديداً لعمل البر تظهر منه الناحية النافعة بحق والجديّة من عملية الاتصال بالأرواح التي حولها الجهل والخرافات عن المهدف الذي رسمته لها العناية الإلهية . . فالأرواح المعذبة لم يكن ينقصها سوى المساعدة في أى عصر من العصور ، وإن كان الاتصال بها قد فتح لها باباً جديداً من أبواب المعونة ، ولعل الأحياء أكثر استفادة من هذا الباب ، لأنه أتاح لهم فرصاً جديدة لفعل الخير ، في نفس الوقت الذي يدرسون فيه الحياة المستقبلية على حقيقتها .

المبحث السادس

اتصالات بأرواح عبدة

هذه طائفة سادسة من الأرواح تميزها صفة خاصة وهي درجة واضحة من العناد الذى كان هو سبب شقاها هنا وهناك ، والعناد ابن الكبرياء التى هى مصدر رذائل كثيرة فى الإنسان . وقد اخترنا من الاتصالات التى تمت معها الناذج الآتية :

(١) لوبوميراي La Pommeray (العقاب بالضوء) : أثناء جلسة فى جمعية باريس - وقد كان الأعضاء يتناقشون فى حالة الاضطراب التى تعقب الموت عادة - حضرت روح من تلقاء نفسها وبغير أن يرد ذكرها على لسان أحد ، وأعطت الرسالة الآتية التى لم تضع توقيعها عليها ، لكن عرف الحاضرون بغير عناء أنها من روح مجرم خطير كانت العدالة البشرية قد اقتضت منه حديثاً :

« ماذا تقولون عن الاضطراب ؟ وما هذا الكلام الباطل ؟ إنكم حاملون خيالون وتجهلون تماماً الأمور التى تدعون أنها تشغلكم ! كلا ياسادة إن الاضطراب ربما لا وجود له إلا فى أذهانكم . فقد مت بقدر ما يكون الموت جليلاً ، وأشاهد كل شيء واضحاً فى رحولى وفى كل مكان .. ما الحياة سوى مهزلة كئيبة . ومن ينسحب من فوق خشبة المسرح قبل نزول الستار هو عديم التوفيق . والموت يكون فرحاً كما قد يكون عقاباً أو رغبة طبعاً لضعف أو لقوة من يهابونه أو يتحدثونه أو يتلصقونه - ولكنه للجميع سخريه مرة - فالضوء يبهى عيني ويحترق ذاتى الشفافة كسهم حاد . إنهم عاقبونى بظلمة السجن ، كما اعتقدوا أنهم سيعاقبونى بظلمة القبر ، أو بنار جهنم ، ولكن ها أنتم أيها السادة تتحملون الظلام ، أما أنا فريد المجتمع فأحوم

من فوقكم . أريد أن أبقى ، ولأن ذهني قوى فإنني أحترق ما يدوي حولي من تحذيرات . إنني أرى بوضوح ، وما هي الجريمة إلا أنها كلمة . . الجريمة توجد في كل مكان وعندما يرتكبها جماعة من الناس تكون عملاً مجيداً ، أما إذا كان الفاعل لها فرداً فيها من أجلها ، فأية سخافة هذه . لا أريد من أحد أن يشكرني ولا أطلب شيئاً من أحد ، بل إنني أكتفي نفسي بنفسى ، وسأعرف كيف أقاوم هذا الضوء الكريه .

الإمضاء . هذا الذي كان بالأمس رجلاً

١ — وقد كتب آلان كاردك تعليقاً على هذه الرسالة الفريدة يقول فيه :

« في الجلسة التالية عندما حللنا هذه الرسالة علينا من نفاق أسلوبها صورة جديدة من صور العقاب التي تنتظر الأشرار . نحن يفرق البعض في الظلمة أو العزلة التامة ، إذ بالبعض الآخر يتحمل لمدة سنين طويلة آلام ساعته الأخيرة ، أو يعتقد أنه ما يزال في هذا العالم . وأما هذا الشخص فإن روحه تتمتع بكامل ملسكانها فيعلم جيداً أنه مات ، ولا يشكو شيئاً ولا يطلب مساعدة من أحد ، بل لا يزال يتحدى القوانين الإلهية والبشرية ، فهل معنى ذلك أنه بنى عن العقاب ١٢... كلا إنما هي العدالة الإلهية تتخذ طريقها في صورتي ، فإني قد يكون متعة للبعض قد يصير عذاباً للبعض الآخر . والضوء هو عذاب هذا الشخص الذي يكابد منه ويجعله يقول رغم كبريائه : « إنني أكتفي نفسي بنفسى وسأعرف كيف أقاوم هذا الضوء الكريه ، كما يقول والضوء يهرع عيني ويحترق ذاتي الشفافة كسهم حاد » .

٢ — كما أعطت روح لامنيه Lamonaie^(١) تعليقاً تقتطف منه ما يلي :

« لديكم أنموذج رهيب من رسالة هذا الشقي العنيد وهو يتخبط ضد عدالة الله التي تطارده بعد عدالة البشر ، نحن كان بالأحرى أن يدفعه

(١) مفكر ديني فرنسي (١٧٨٢ — ١٨٥٤) ومن مؤلفاته « بحث في عدم الاكتراث الديني » و « أوائل مؤمن » .

التكفير — أو بالأدق الألم المحتوم الذى يحقق به — إلى الإفادة منه والإحساس بالمعنى العميق لآلامه ، إذ به يدفعه إلى التردد وبعث ذلك الآنين الذى سماه الإنجيل فى بلاغة شعرية « بصيرير الأسنان » ، وما هو سوى صورة نموذجية تبين التعذيب ينزل على الروح دون أن ترضخ له ، وتبين الألم وهى بفضل فى يدياته ، ولكنها تتمرد عليه تمرداً عنيفاً إلى المدى الذى يحملها على رفض التسليم بحقيقة العقاب والثواب معاً .

« إن الإخطاء الجسدية والنفوس البالغة الإجرام تبقى عادة — وفى كل الأحوال تقريباً — حتى فى عالم الروح . لكن هل نكون كما كنا رغم كل شيء ونبقى هكذا منتقلين أمام اللانهاية ؟ .. كلا إنما يشبه ذلك غشاوة الشخص الذى يتأمل النجوم على حساب أنها نقوش فى السقف ، كما كان يحسبها أهل الغال فى أيام الاسكندر .

« إن هناك خلقاً متطوراً ، ومن لا يرى فى العالم الآخر إلا ما يراه لديهم يكون بائساً وتافهاً وراغباً فى مواصلة صراعه الدنيوى والجبرى وراء حبه الصغير ، وأقل ما يستحقه مثله هو الغشاوة واحتقار الآخرين ودوام شخصيته الانانية الدليلة ، بل ووقوف التقدم لديه كم من صلة خفية تربط — أيها الإنسان — بين خلود الذكر النقى الذى تخلفه على الأرض وبين الخلود الذى تحافظ عليه الأرواح بالفعل فى تجاريتها المتتابعة . »

٣ — وكذلك أملت روح إراسم^(١) Eraste البيان الآتى :
« سيان أن يلقي الإنسان فى الظلمة أم فى أمواج من الضوء ، أليست النتيجة واحدة ، ففي هذه الحالة أو تلك لا يرى الشخص شيئاً مما يحيط به ، وقد يعتاد على الظلمة أسرع مما يعتاد على الضوء الكشيف الذى يغمره . فالروح التى اتصلت بكم فى الجلسة الأخيرة أجادت التعبير عن حقيقة حالها عندما

(١) هو توماس ليبير إراسم Thomas Liebere Eraste وكان من مفكرى القرن السادس عشر .

قالت : أواه إني سأتخلص تماماً من هذا الضوء السكريه ، إذ أنه في الواقع ضوء مخيف و رهيب على قدر ما يخترق الروح تماماً جاعلاً أدق خبائياً أفكارها مرئية ومكشوفة . وعندما تجد الروح أنها أضحت سجينه منزل زجاجي كذلك الذى كان يطلبه سقراط ، فإن ذلك يكون من أقى صور عقابها الروحي ، كما يكون أيضاً بمثابة درس لها ، لأن النور - والمفروض أن يكون جزاء العاقل وعزاه - يصير قصاصاً مشيناً للشرير وللشقي ولقاتل والده الذى يصبح ذعراً من شخصيته الخاصة .

فلفهموا هذا يا أولادى . إن الألم والخوف ينبغى أن يأخذا برقاب من كان يحلوه أثناء حياته المشؤومة أن يتواطأ وأن يدبر أسوأ أنواع الشرور في أعماق نفسه حين كان يختبئ كما يختبئ حيوان مفترس في كهفه . وعندما يجد نفسه الآن مطروداً من ذلك الكهف الأمين ، فأين يختبئ من نظرات مواطنيه وتعقبهم له ؟ بعد إذ نزع عنه حجاب الكهف وصارت تنعكس على جبينه كل فكرة من أفكاره المتتابعة .

نعم فنذا الآن ليس لهذا المجرم الآثيم من راحة ولا ملجأ ، لأن كل فكرة شريرة لديه - والله يعلم ما يخفى صدره منها - تخونه من الخارج والداخل كصدمة تيار كهربى قوى . إنه يريد الانسلاخ عن الناس ، لكن ضوء النهار السكريه يخترقه على الدوام ، إنه يريد الهرب بل يهرب بسرعة جنونية يائسة خلال فضاء لا يمكن قياسه ... ومع ذلك فالضوء في كل مكان ... ودائماً تخترقه النظرات فيندفع من جديد سعيّاً وراء الظلام ويبحث عن الليل . ولكن لم يعد الظلام والليل له شيئاً . إنه يستجير بالموت لمعرفته ، لكن الموت أصبح لفظاً بلا معنى ، فيهرب المسكين باستمرار سائراً نحو الجنون الروحى حيث يصارع نفسه كيما يتخلص منها ، فهذا هو القانون الاسمى لما بعد الأرض : أن يصبح المجرم جلاد نفسه الذى لا يرحم !

وإلى متى تدوم هذه الحال ؟ إلى الساعة التى تنهار فيها إرادته في النهاية

حيث تتحنى تحت وطأة وخز الضمير ، وحينما تخر جبهته الشاحنة أمام ضحاياه بعد صفحهم عنه ، وكذلك أمام أرواح العدالة ، فلا حظوا المنطق الاسمي للقوانين الأبدية . وفي هذا النطاق أيضاً ستتم هذه الروح ما كتبت في رسالتها المتكبرة الواضحة القوية والمليئة للأسف بذاتها ، والتي أعطتها لكم يوم الجمعة مساء عند ما تخلصت بعمل من أعمال إرادتها الخاصة .

٦ - وبعدئذ قامت روح جان رينو Jean Reynaud ^(١) بكتابة ما يلي :

« إن العدالة البشرية لا تراعى فردية العقوبات التي تطبقها بل تقيس الجريمة على نفسها ، وتضرب بغير تفریق بين من ارتكبوها . فذات العقوبة تنال الفاعل بغير ما يميز من ناحية الجنس أو درجة الثقافة ، أما العدالة الإلهية فتنتهج سبيلاً آخر ، لأن عقوباتها تتناسب مع درجة تقدم الأرواح التي تؤخذ بها بغير أن تترتب على المساواة بين الأفعال المساواة بين الفاعلين . فقد يميز بين اثنين ارتكبا نفس الفعل مدى تجارب كل منهما . فأحدهما قد يكون ضارفاً في بلاد ذهنية كبلادة الجماعات البدائية الأولى ، حين يكون الآخر قد تجاوز هذه المرحلة وصار لديه من التمييز ما يعنى روحه من التخطي ، فيثبذ يكون عقابه بواسطة حدة نور الروح الذي يخترق ذكاه الأرضي ، ويجعله يشع بمضايقة كمضايقة الجرح إذا ما ثلم .

إن الكائنات غير المتجسدة - التي يطاردها التصوير المادى لجرائمها - تتحمل صدمة بدنية كصدمة الكهرباء كما تتألم بحواسها . أما من تحررت روحهم من المادة فيعانون ألماً أقسى من ذلك بكثير ، حتى يمحو هذا الألم بلفحاته المرة ذكرى الحوادث غير تارك للنفس سوى الإلمام بأسبابها . فالإنسان رغم أفعاله الإجرامية يمكن أن يكون حائزاً لرق داخل بحيث أنه - وإن كانت تدفعه عواطفه إلى التصرف بجماعة ، إلا أن ملكاته الرقيقة قد

(١) سياسي فرنسي عاش من سنة ١٨٠٦ - ١٨٦٣ وبعد من مفكرى مصر ، ومن كتبه « الأرض والسماء » La Terre Et Le Ciel .

ترفعه إلى ما فوق المستوى الكثيف لأجواء الطبقات السفلى . لذا كانت
المفارقات كثيرة في عصور المادية وفي فترات الانتقال نتيجة لانعدام التعادل
أو التوازن بين التقدم الخلق والتقدم العقلي .

فالنضوء الذى يعذب الروح الأئمة هو إذا بمثابة الشعاع الذى يضر
تراجع كبرياتها خلصة ، كاشفاً لها عن تهامة ذاتها العديمة التناسق . وهذه
هى أولى أعراض الاحتضار الروحى التى تبشر بانحلال العناصر العقلية
والمادية المكونة للازدواج النفسى الأول، وذوبانها ، ثم باندماج هذه العناصر
التي ينبغي أن تتلاشى بعدئذ في الوحدة العظمى للسكان بعد تمامه .

هـ - وبعدئذ عاد آلان كاردك يقول : هذه هى الرسائل التى حصلنا
عليها في وقت واحد ، وهى يكمل بعضها البعض الآخر ، وتوضح العقاب في
مظهر فلسفى ومنطقي إلى أبعد الحدود . ومن المحتمل أن هذه الأرواح
- وقد أرادت معالجة الموضوع بناء على نموذج - هى التى هيات لهذا
الغرض الاتصال الذى حدث تلقائياً من روح ذلك المجرم .

وللمقارنة فقط أعطى صورة لجهنم كما يراها واعظ في بلدة مونتري
سير مير Montreuil Sur Mer في موعظة له نشرت في « المجلة الروحية »
في هدد يولييه سنة ١٨٩٤ : إن نار جهنم أقوى ملايين المرات من نار الأرض
ولو تمكن أحد الأجساد التى تحترق فيها من الإفلات قبل تمام احتراقه ،
والهرب إلى كوكبنا فإنه يحمله خراباً من أقصاه إلى أقصاه ! إن جهنم عبارة
عن كهف واسع ومظلم مزود بمسامير رفيعة وخناجر مسنونة وأمواس حادة
حيث تهوى فيها أرواح من تحل عليهم اللعنة ! .

(ب) أنجيل Angéle - حياة لغو وبطلان . تقدمت روح من تلقاء
نفسها إلى الوسيط تحت اسم أنجيل .

س : هل تقدمين على أخطائك ؟

ج : كلا .

س : ولم تتقدمين نحوى ؟

ج : كيما أحاول .

س : أأنت سعيدة إذا ؟

ج : كلا .

س : وهل تتألمين ؟

ج : كلا .

س : وماذا ينقصك إذا ؟

ج : السلام (بعض الأرواح لا تعتبر ألاماً إلا ما يذكرونها بآلامها الجسدية ، وذلك رغم تسليمها بأن حالتها المعنوية ليست على ما يرام) .

س : وكيف ينقصك السلام فى الحياة الروحية ؟

ج : من الندم على الماضى .

س : لكن الندم على الماضى تأنيب فهل تشعرين بالتوبة ؟

ج : كلا بل بدافع الخوف من المستقبل .

س : ومم تخافين ؟

ج : من المجهول .

س : هل بمقدورك أن تصنى لى حياتك الأخيرة ؟ فلعل ذلك يساعدنى على تنويرك .

ج : لم تكن شيئاً .

س : فى أية حالة اجتماعية كنت ؟

ج : فى حالة متوسطة .

س : هل تزوجت ؟

ج : كنت زوجة وأما ؟

س : فهل أتممت بنشاط واجبات هذا المركز المزدوج ؟

ج : كلا بل أضجر فى زوجى وأولادى .

س : وكيف أمضيت أيامك ؟

ج : في اللهو عندما كنت آنسة ، وفي الضجر عندما كنت سيدة شابة .

س : وماذا كانت مشاغلك ؟

ج : لا شيء .

س : ومن كان يعني بمنزلك ؟

ج : الخادمة .

س : أليس انعدام الجدوى منك على الأرض يجيب عن سبب أسفك
ومخاوفك ؟

ج : نعم لك بحق .

س : لا يكتفى التسليم بذلك ، بل ينبغي لتصحيح حياتك غير المنتجة أن
تساعدى الأرواح الأئمة التى تتألم من حولنا .

ج : وكيف ذلك ؟

س : بأن تساعدى على التقدم بإرشادك وصلاتك .

ج : كلا .

س : ولماذا ؟

ج : من التعب .

تم أملت الروح المرشدة للوسيط وكانت تحمل اسم مونو Monod شرحاً
لحالتها جاء فيه : وكانت أنجيل Angéle عاجزة عن الابتكار وحياتها بلا جدوى
لها أولغيرها . فكانت لا تحب سوى اللهو ، ولا يجد فى الدرس أو فى إتمام
واجباتها العائلية أو الاجتماعية إشباعاً لمطالب قلبها ، وذلك مع أن هذه المطالب
هى التى يمكنها دون سواها أن تمنحها بهجة الحياة لأنها عامة على كل العمر .
أما هى فلم تستخدم سنى حياتها إلا فى متع رخيصة ، وعندما حان وقت
الواجبات الجدية أحسّت بفراغ الدنيا من حولها لأنها هى التى وضعت هذا

الفراغ في قلبها . وكما كانت بلا رذائل خطيرة كانت كذلك بلا فضائل . فسببت تعاسة لزوجها ، وأضاعبت مستقبـل أولادها وهدمت سعادتهم بـخـمـولها وبعدم اكتراثها ، بل ذيفت قلوبهم وحكمهم على الأمور . أولاً بأن كانت لهم القدوة ، وثانياً بأن تركتهم لعناية الخدم الذين لم تسكف نفسها حتى عناء حسن اختيارهم .

كانت حياتها عديمة الجدوى للخير ، وفي ذلك إثمها لأن إهمال الخير يولد الشر ، فلتفهموا ذلك جميعاً : أنه لا يمكن مجرد الامتناع عن الأخطاء ، بل ينبغي أيضاً عمل الفضائل .. فالشر مقابل للخير ومن يريد تفاديه عليه أن يسلك السبيل المضاد وإلا أضحت حياته عبثاً وأعماله ميتة ، وإلـهنا الآب ليس إله اموات بل إله أحياء ...

واعملوا واعملوا بلا توقف وأتمموا واجباتكم بغير استثناء ، أتموها بحماسة وشجاعة وإصرار لأن إيمانكم سيقويكم . ومن يؤد بضمير ينظر أكثر الأعمال جحوداً لأسمى مائة مرة في عين العلي عن يفرض ذلك على الآخرين ولا يقوم به . فكل هذه درجات سلم للوصول إلى السماء فلا تحطموها تحت أقدامكم ، وقدرُوا أنكم محوطون بأصدقاء يمدون إليكم أيديهم ويساعدون من يستمدون قوتهم من الله ..

(ج) ملكة أور La Reine Oude

(ملكة هندية سابقة توفيت في فرنسا في سنة ١٨٥٨ ودفنت بها) .

س : بماذا شعرت عندما غادرت حياتك الأرضية ؟

ج : لا أعلم وإن كنت أشعر باضطراب .

س : هل انت سعيدة ؟

ج : إنى أسفة على الحياة ... لا أعلم ... لكنى أشعر ألماً قوياً كأنني ستعفىني منه الحياة (الأرضية) . . كم كنت أريد أن ينهض جسدى من قبره .

س : هل تأسفين لأنك لم تدفني في بلادك ؟

ج : نعم فأرض الهند كانت ستكون أكثر رقاً بجسدى .

س : ماذا كان شعورك نحو مراسم التكريم الجنائزية التي عملت لجثمانك ؟
ج : كانت غير كافية ، فقد كنت ملكة ولم يركع الجميع أمامي ، ولا أريد أن تعلموا ما أنا عليه وإنما اعلوا جيداً أنني كنت ملكة .

س : إنا مع احترامنا لمقامك نرجوك التفضل بالإجابة وذلك لتعليمنا ، فهل تعتقد أن ابنك سيسترد يوماً ملك والده ؟

ج : نعم إن دمي هو الذي سيسود وهو أهل لذلك .

س : وهل تعلقين على عودة ابنك للملك نفس الأهمية التي كنت تعلقينها على ذلك أثناء حياتك (الأرضية) ؟

ج : إن دمي لا يمكن أن يختلط بدم الغوغاء .

س : لم يمكن قيد اسم المكان الذي ولدت فيه في شهادة وفاتك فهل يمكنك ذكره لنا الآن ؟

ج : إني ولدت من أعرق دم في الهند وقد ولدت في دلهي .

س : يا من عشت في مظاهر الترف وكانت تحوطك أسباب التكريم ماذا ترين في ذلك الآن ؟

ج : ذلك ما كان ينبغي نحوي .

س : هل يعطيك المقام الذي كنت تحتلينه على الأرض الحق في مقام أعلى في العالم الذي أنت فيه الآن ؟

ج : إني ملكة دائماً فلترسلوا عبيداً لخدمتي ... إني لا أعلم لماذا يبدو عليهم الآن عدم الاكتراث بي ، ومع ذلك فأنا دائماً أنا ...

وهكذا دار الحوار بين الموجودين وبين هذه الروح التي ما تزال تتصور أنها من طبيعة أخرى غير طبيعة البشر إلى أن قالت لهم : لو تمكنت من عدم الحضور لما حضرت لأنكم تعاملوني بما هو دون القدر الواجب من الاحترام . فقال القديس لويس لهم : اتركوا هذه الهائمة المسكينة مترفين بها في غشاوتها ، ولتكن نموذجاً تدركون منه كم تقاسى الروح من كبرياتها .

ثم كتب آلان كاردك تعليقاً على هذا الحوار : « باستدعاء هذه العظيمة

المنهارة لم تكن تتوقع أجوبة ذات عمق بالنظر إلى نوع تعليم سيدات هذه البلاد . لكننا كنا نتوقع أن نقابل لديها بالأقل شعوراً أصديق عن الواقع وفكرة أصح عن ثقافة مطامع وجاه عالمنا هذا . لكنها بعيدة عن ذلك ، وما تزال جميع الأفكار الأرضية محتفظة لديها بكل قوتها ، إنه شعور الكبرياء لم يفقد شيئاً من تضليله لها وهو يجعلها تقاوم ضعفها ، كما يفرض عليها أن تعاني كثيراً من عجزها . .

(و) اكزيمين Xuméne . بورديو سنة ١٨٦٢ .

تقدمت روح بهذا الاسم إلى الوسيطة التي كانت قد اعتادت هذا الصنف من الظواهر ، لأن مهمتها كانت فيما يبدو مساعدة الأرواح السفلى التي قد يأتي بها إليها مرشدها الروحي لتحقيق غرض مزدوج هو تعليم الوسيطة ، وفي نفس الوقت تقدم هذه الأرواح .

س : من أنت وهل هذا الاسم لرجل أم لسيدة ؟

ج : رجل باتس على قدر ما يكون البؤس ...

س : ألا تدخل الأنانية في عداد ما قد يؤمك من أسباب ؟

ج : ربما .

س : إذا كنت ترغب في المعونة فابدأ بنبد ميولك الرديئة .

ج : لا تشغل نفسك بذلك فإنه لا يخصك وابدأ بالصلاة لأجل كما للآخرين وسنرى فيما بعد .

س : لكن الصلاة ضعيفة الأثر ما لم تساعدني بالتوبة .

ج : إذا كنت ستعتمد إلى الكلام بدلا من الصلاة فلن تفيدني في تقديمي .

س : وهل تريد إذاً أن تتقدم ؟

ج : ربما ... لا أعلم ... لكن لنر ما إذا كانت الصلاة تخفف من الآلام ، وهذا هو الأمر الهام .

س : فلنتعاون بعزم ثابت للحصول على إراحة بعضها ؟

ج : هيا دائماً .

س : (بعد صلاة من الوسيطة) هل أنت راض ؟

ج : ليس كما كنت أريد .

س : إن الدواء لا يمكن أن يشفي مرضاً عضالاً عند تعاطيه

لأول مرة !

ج : من الممكن ذلك .

س : هل ترغب في العودة إلينا ؟

ج : نعم إذا ناديتني ...

الروح المرشدة للوسيط : « ستعانين يا ابنتي من هذه الروح العنيدة .
لكن ما من فضل هناك في إنقاذ أولئك الذين لم يقودوا أنفسهم إلى التهلكة
فشجاعة وجلداً ، وستصلين إلى هدفك . لا يوجد أثمة — حتى إلى هذا
المدى — إلا ويمكن هدايتهم بالإقناع وبالقدوة الحسنة ، لأن أشد الأرواح
التواء تنتهي مع طول الوقت بإصلاح نفسها بنفسها . وحتى إذا لم نفلح في أن
نصل بها بفترة إلى طيب الأحاسيس ، وهو ما يكون في المعتاد أمراً مستحيلاً ،
فإن ما نبذله من جهد ليس ضائعاً . كما أن ما نلقى به إليها من أفكار لا يبد
وأن يهزها ويجعلها تفكر رغم أنها ، لأن هذه الأفكار تكون بمثابة بذور
طيبة ستعطى ثمرها إن أجلاً أو عاجلاً ، ولا يحطم المرء صخرة بأول
ضربة من معوله .

« وهذا الذي أقوم لك يا ابنتي يصدق على المتجسدين أيضاً . ولذا يمكنك
أن تفهمي لماذا لا تخلق الروحية حتى لدى أشد الناس اقتناعاً بها أشخاصاً
كاملين على الفور . بل إن الاقتناع بها هو مجرد خطوة أولى يعقبها الإيمان
ثم يأتي دور التحول . ومع ذلك فإن الكثيرين يلزمهم أن يأتوا كيما يندمجوا
في عالم الروح أولاً . »

وقال المؤلف تعليقاً : « لا يوجد بين العنيدين سوى أرواح ملتوية
وشريرة . ومع ذلك فإن هناك أرواحاً أخرى كثيرة العدد تبقى متأخرة
رغم أنها لا تعمل شراً بدافع من كبريائها أو هدم اكتراثها أو بلادتها . وهي

ليست أقل شقاء من سابقتها ، بل يزيد في هذا الشقاء لديها أنها لا تجد تعويضاً لها عن خولها في ملذات كلذات هذه الدنيا ، كما أن احتمالات المستقبل غير المحدودة تجعل حالتها لا تطاق . وذلك بغير أن تكون لديها القدرة والإرادة على الخروج من هذه الحالة . ومن هذا الصنف الأرواح التي تنتهج أثناء تجسدها على الأرض حياة غاملة بلا جدوى لها أو لغيرها ، وقد يعتمد أصحابها إلى الانتحار بدون أسباب جدية . وتكون إعادة هذه الأرواح إلى طريق الخير أكثر مشقة في المعتاد من إعادة الأرواح الصريحة في الشر ، لأن هذه الأخيرة لا يعوزها النشاط فإذا ما أضىء أمامها السبيل اندفعت في طريق الخير بنفس النشاط الذي كان يدفعها في طريق الشر

المبحث السابع

انصلاحيات بأرواح كسفت عن سيئاتها في الأرض

(١) م. مارسيل Marcel (الطفل رقم ٤)

في ملجأ من ملاجئ الأرياف كان يوجد صبي بين الثامنة والعاشرة من عمره تقريباً ، في حالة يصعب وصفها ، ولم يكن يعرف فيه إلا بأنه « رقم ٤ » ، إذ كان مشوهاً تشوهاً تاماً إما بطبيعته وإما بسبب أمراضه . وكانت ساقاه ملتويتين حتى كادت أن تلامسا رقبته ، وكان من النحافة على درجة يبدو معها جلده تحت رحمة عظامه ، فكانت آلامه رهيبة . . . وظل على هذه الحال لمدة أربع سنوات .

ومع ذلك كان ذكاؤه ملحوظاً بالنسبة لسنة ، وكان على درجة رائعة من الحنان والصبر والاستسلام للقادر ، وكانت روحه نيرة ، فما أكثر ما عبر عن عدم رغبته في الأين ، حتى لا يخلق راحة باقى المرضى الذين كانوا إلى جواره . . . فن أين استمد مشاعره النيرة هذه ؟ إن ذلك لا يمكن أن يكون في الوسط الذي تربى فيه ، ولا في السن التي بدأ ين فيها ، كما لم يكن بمقدوره أن يعي أى أمر ، فكانت هذه الصفات النيرة إذاً فطرية فيه ، ولكن لماذا

قضى الله عليه بأن يحيا حياة تعيسة وألمية إلى هذا المدى ، إذا ما افترضنا أنه تعالى قد خلق هذه الروح في نفس الوقت مع هذا الجسد ، الذي كان أداة لآلام رهيبة كهذه ؟

لما ينبغي أن ننكر رحمة الله ، ولما ينبغي أن نفترض وجود سبب قديم لذلك وهو الوجود السابق للروح على الجسد ، وتعدد حيوات الإنسان . وأخيراً مات الصبي وكانت أفكاره الأخيرة متجهة إلى الله وإلى الطيب البار الذي كان يعطف عليه . وبعد مضي وقت على وفاته طلبناه في جمعية باريس الروحية ، حيث أعطى في سنة ١٨٦٣ الرسالة الآتية :

« لقد استدعيتني ، ولقد جئت كما أسمعكم صوقي في هذا المكان لعله يمس كل القلوب ، ولعل صداه يصل إلى كل متألم في وحدته كما يذكره بأن احتضار الأرض يمهّد الطريق لمنح السماء ، وأن الألم ليس إلا القشرة المرة لفاكهة حلوة تمنح أكلها الشجاعة والرفع . إن صوتي سيقول لهم إنه على الحصيرة التي تستلق عليها التعاسة يوجد مبعوثون من الله رسالتهم أن يعلموا الإنسانية أنه ليس هناك ألم يسجز الإنسان عن تحمله بمعونة الله القادر على كل شيء ، وكذلك بمعونة الأرواح الراقية . وسيقول لهم أيضاً أن يستمعوا إلى الأنات عند ما تختلط بالصلاة ، وأن يفهموا ما فيها من تناسق متعبد ، مختلف تماماً عن عبارات الآتين الأئمة المختلطة بالتجديف على الله .

« لقد تفضلت روح من أرواحكم الراقية — وهي روح مبعوث عظيم للروحانية — أن تترك لي مكانها هنا هذه الليلة ^(١) . ولذا فمن واجبي بدوري أن أقول لكم كلمات قليلة عن تقدم فهمكم الروحي . فإنه ينبغي أن يساعد في أداء رسالتهم أولئك الذين يتجسدون بينكم كي يتعلموا كيف يتألمون .

(١) يقول المؤلف إنها روح سانت أوغستين St. Augustin وهي الروح المرفقة التي كانتهم الأصل أحياناً من تلوّنها بالأرواح الأخرى .
(م ٢١ — الإنسان روح: ج ٢)

فالروحية ستصبح بمثابة علامة الطريق للتألمين الذين سيجدون فيها المثال .
وسيسمعون منها الصوت ، وعندئذ ستتحول أنات الألم إلى صرخات للبهجة
وإلى دموع للفرح . .

س : إنه يبدو مما ذكرته الآن أن آلامك لم تكن بالمرّة تكفيراً عن
أخطاء سابقة ؟

ج : لم تكن تكفيراً مباشراً ، ولكن كونوا متأكدين من أن لكل ألم
سببه العادل . إن ذلك الذي عرفتموه تغيّساً إلى هذا المدى كان فيما مضى
جميلاً وعظيماً وغنياً ، وكان له من يتملقه ويتودد إليه ويثني عليه ، وكنت
أغر لذلك وأتكبر . كنت فيما مضى آنماً تماماً ، حتى لقد أنكرت الله
وأست إلى القريب ، ولكني كفرت عن كل ذلك بقسوة ، أولاً في عالم
الآرواح ، ثم على الأرض . وما تحمّلت من آلام أثناء سنين قليلة لحسب
في هذا الوجود القصير الأخير تحمّلت مثله خلال حياة كاملة سابقة حتى
بلغت من العمر أرذله . وعن طريق الندم عرفت سبيل مغفرة الله الذي
تفضل فعهد إلى مهمات كثيرة تعرفن الأخيرة منها . ولقد توسلت إليه
كما أتم تطهيري .

فوداعاً أيها الأصدقاء ، وسأعود إليكم أحياناً ، ومهمتي هي أن أهرى
لا أن أعلم ، ولكن يوجد هنا كثيرون من ذوي الجراح الدفينة يسرهم
حضورى .

مارسيل

بيان من الروح المرشدة للربيط

دأبها الكائن الصغير المتألم الرقيق الجريح المشوه : كما من أنات سمعت
منه في ماجأ التعاسة ذلك والدموع ! ورغم عمره الصغير كم كان مستسلماً ،
وكم كانت روحه واعية للهدف من آلامه منذ ذلك الحين ! فكان شاهراً
تماماً أنه كان ينتظره بعد القبر الثواب عن هذه الأناث المكبوتة ! وكم صلى

أيضاً لأولئك الذين لم تكن لديهم الشجاعة مثله كي يتحملوا آلامهم ،
وخصوصاً لأولئك الذين كانوا يحدفون على السماء ، بدلاً من أن يتوجهوا
إليها بصلاتهم .

وإن كان الاحتضار طويلاً فإن ساعة الموت لم تكن مخيفة على الإطلاق ،
ولاريب أن الأعضاء المتشنجة كانت تتلوى ، وكان يبدو للحاضرين كما لو كان
الجسد نائراً ضد الموت ، وضد قانون اللحم الذي يرغب في البقاء رغم كل
اعتبار . ولكن ملاكاً كان يطوف عندهم فوق فراش المحتضر ، فأخذ
يشق قلبه ، ثم حمل على جناحيه الأبيضين هذه الروح الجميلة التي أفلتت من
إسار الجسد المشوه قائلة هذه الكلمات : ليكن لك المجد يا إلهي ! وعندما
صعدت هذه الروح نحو بارئها القدير صرخت هائلة : هأنذا أيها السيد ، لقد
كلفتني بمهمة تعليم الأمم للآخرين ، فهل تحملت التجربة بجدارة ؟^(١)

والآن لقد استردت روح الفتى اليأس إمكانياتها ، وهي تحلق في الفضاء ،
متنقلة بين الضعيف والصغير قائلة للجميع : آملا وشجاعة . وبعد أن تخلصت
من كل مادة ومن كل دنس هاهي بالقرب منكم تتحدث إليكم ، لا بصوتها
المتألم الباكي ، بل بعباراتها القوية قائلة لكم : إن أولئك الذين نظروا إلى
قد شاهدوا في الطفل الذي لم يكن يتن ، فاستمدوا منه الهدوء والآلامهم
والسكينة لقلوبهم في ثقة عذبة بأقده ، وهذا هو هدف معبري القصير على
الأرض . . .

سانت أوغسطين

(ب) مع السيدة الفقيرة جوليين ماري Julieanne-Marie

في مركيزدي فيلات Villate بمديرية اللوار الأدنى Loire-Inferieure

(١) جعل أن الصورة الرائعة التي رسمتها الروح المرشيدة لحظة انتقال هذا الفتى صورة
رمزية برمتها للابانة والتوضيح لحسب ، فلا محل لإعطائها معنى حرفياً كما يحاول الكثيرون . عند
تفسير بعض النصوص .

كانت توجد سيدة عجوز عاجزة تدعى جوليين مارى تعيش على الإحسان العام . وفى يوم سقطت فى مستنقع ماء فأخرجها منه أحد الأشخاص ويدعى م. ا. ، وكان معتاداً على الإحسان إليها . وبعد نقلها إلى منزلها بفترة قصيرة قبل إنها توفيت من جراء الحادثة ، وكان الاعتقاد السائد أنها قد تعمدت الانتحار ، وفى يوم وفاتها شعر الشخص الذى أنقذها - وقد كان روحياً ووسيطاً - بوجود شبح بالقرب منه يحاول أن يشعره بوجوده ، ولم يكن قد علم بعد بأنها قد أسلمت الروح ، فلما علم بذلك اعتقد أنها ربما تكون قد جاءت لزيارته .

وبناء على رغبة هذا الصديق ، وقد كان عضواً فى الجمعية الروحية ، بباريس قام بطلبها بهدف مساعدتها ، لكنه ابتداء طلب مشورة أرواحه المرشدة التى تلقى منها الجواب الآتى :

« يمكنك استدعاؤها ، وذلك سيسرّها رغم أن الخدمة التى تفكر فى إسدائها إليها لن تفيدها ، لأنها سعيدة ووفية تماماً لمن عطفوا عليها ، وأنت واحد من أصدقائها الطيبين وهى لا تغادرك أبداً وتحاول الحديث إليك على غير علم منك ، فكل خدمة يودى عنها ثوابها إن عاجلاً أو آجلاً إن لم يكن بواسطة المدين بهذه الخدمة فبواسطة من قد يهمهم أمره ، سواء قبل موته أم بعد الموت . فإذا لم يكن لدى الروح وقت كاف لتعرف أمرها ، فإن أرواحاً أخرى تدبر نيابة عنها عن كل امتنانها ، وهذا هو ما يفسر ما شعرت أنت به فى يوم وفاتها . والآن هى التى تساعدك فى الخير الذى تريد إسداءه »

ثم تلقى من الروح رسالة مطوالة كان من ضمن ما ورد فيها : « إنك أحسبت صنفاً إذ لم تحتقر المساكين ، فإن صوت المتألم الذى تحمل راضياً بؤس هذه الدنيا مسموع دائماً ، وكل خدمة تؤدي تلقى ثوابها دائماً كما ترى . والآن فلا ذكر لك كلمة عنى تؤيد لك ماسبق أن ذكره . »

« إن الروحية تفسر لك لهجتي كروح ، ولست بحاجة للدحول في تفاصيل ما في هذا الشأن ، كما أعتقد أنه من غير المجدي أن أشركك في وجودي السابق ، فإن الوجود الذي عرفتني فيه على هذه الأرض لا بد أن يجعلك تعرف وتقدر حالات وجودي الأخرى التي لم تكن دائماً فوق المآخذ ، والتي وهبتني (في هذه المرة) الحياة البؤس والمهانة والعجز عن العمل ، والتسول طيلة حياتي . ولم أذكر شيئاً لآيام شيوختي لأن مدخراتي كانت مقصورة على مائة فرنك احتفظت بها لليوم الذي تعجز فيه ساقاي عن حمل . وعندما قدر الله أن تجربني وتكفيرى كانا كافيين وضع حداً لهما وانتزعتني بغير آلام من الحياة الأرضية ، فأنا لم أنتشر البتة كما اعتقدتم في مبدأ الأمر ، بل مت بالسكينة على شاطئ المستنقع عندما كنت أتجه بصلاتي الأخيرة نحو الله فأعذر جسدي إلى الماء بسبب المجدار الأرض ، ولذا عثرتم على في الماء .

لم أنالم ، وإني سعيدة لأنني تمكنت من إيجاز مهمتي راضية وبغير عقبات ، فكنت مفيدة في حدود قدرتي ووسائلتي ، وتحاشيت أن ألحق ضرراً بإنسان ، والآن أتاب على ذلك وأشكر الله السيد السماوي الذي يخفف عنا مرارة التجارب عندما يجعلنا ننسى أثناء الحياة حالات وجودنا السابقة ، واهتمنا على الطريق نفوساً خيرة كما تساعدنا في تحمل أثقال أخطائنا .

فأذكر ذلك أنت أيضاً ، وستتاب مثلي ، وأشكر لصلواتك الطيبة وللخدمة التي أدتها لي ، فلن أنساها أبداً ، وسنلتقي يوماً ، وستشرح لك أشياء كثيرة ، لا لزوم لها الآن واعلم لحسب أن وفاة لك جداً وأنا سأكون قريبة منك عندما تحتاج إلى التخفيف عن بنالم .

السيدة الفقيرة المسكينة جوليين ماري

تم طلبت الروح من جديد في جمعية باريس بتاريخ ١٠ يونيو سنة ١٨٦٤
فأملت الرسالة الآتية : -

« شكرًا لأنكم قبلتموني في اجتماعكم أيها الرئيس العزيز ، لقد شعرتم
تماماً أن حالات وجودي السابقة كانت أكثر ارتفاعاً فيما يتعلق ببركري
الاجتماعي ، وإذا كنت قد عدت للأرض كما أقاسى من محنة الفاقة فذلك
كان لعقابي عن كبريائي الزائفة التي كانت تدفعني فيما مضى لأن أتسخر
لكل مسكين وبائس ، ولذا تحملت هذا القانون العادل وهو قانون الجزاء
من جنس العمل ، الذي جعل مني أكثر الناس فاقة في هذه المنطقة . ومع
ذلك فكان رحمة الله أرادت أن تكشف لي عن وجودها فلم يتسخر لي
الجميع ، وقد كان كل خوفي من ذلك ، وهكذا تحملت محنتي بغير تضرع في
توقع الوصول إلى حياة أفضل لا ينبغي أن أرجع منها إلى أرض المنفى
والتعاسة هذه .

آية سعادة هي سعادة اليوم الذي يمكن لأرواحنا التي لا تزال شابة أن
تدخل فيه إلى الحياة الروحية كما ترى من جديد الكائنات المحبوبة . فأنا
أيضاً أحببت ، وأشعر بنفسى سعيدة لأنني عثرت على من سبقوني . وشكرًا
لهذا السيد م. ا. الذي فتح لي باب التعبير عن العرفان بالجميل ، فبدون
وساطته ما كنت لأقدر على شكره أو إثبات أن روحي لن تنسى التأثيرات
السعيدة لقلبه الطيب ، ولا على أن أوصيه بنشر رأيه المقدس (في الروحية)
الذي يهدف إلى هداية الأرواح الضالة ، فليثق تماماً من تعصيدي . نعم
يمكنني أن أقدم له مائة ضعف أكثر مما فعل لأجلي عندما أزوده بالمعرفة
في الطريق الذي تتبعونه .

فاشكروا الله لأنه سمح للأرواح أن تقدر على أن تزودكم بالمعرفة التي
تشجع الفقير في آلامه وتمنع الغنى من التماذي في كبريائه . حاولوا أن تفهموا
مدى الخزي في التسخر لإنسان بائس ، وذلك حتى تتفادوا أن تعودوا مثلي
إلى الأرض كما تسكفروا عن أخطائكم ، بل هذه المراكب الاجتماعية الأليمة
الوضيعة التي تجعل منكم نفاية في المجتمع .
وتلي ذلك رسالة ثالثة من نفس الروح لا تخرج في جملتها عن هذه المعاني »

(ح) قصة خادم

في أسرة من طبقة عالية كان يعمل خادم شاب ذو ملامح ذكية رقيقة وفي تقان يسترعى الانتباه ، ولم يكن في أساليبه الذكية ما يحمل على الاعتقاد بأنه ينتمى إلى طائفة الخدم . وبعد عام ذهب لقضاء بضعة أيام في بلدته حيث توفي هناك . وقد جاءنا خاطر بأن نطلب روحه ، وها هو ما ذكره لنا :

« في تجسدي قبل الأخير كنت من أسرة كريمة جداً ، بحسب التعبير الأرضي ، ولكنها أفلست بسبب تبذير الأب . ثم تيممت صغيراً فأصبحت بغير موارد ، وقد تبناى صديق لوالدي فكفاني كما لو كنت ولده وهياً لي تعليمياً طيباً أعدني للدرجة من الغرور أكثر مما ينبغي . وهذا الصديق هو الآن السيد « ج » ، الذي شاهدتموني أعمل خادماً عنده .

ولقد أردت في تجسدي الأخير أن أ كفر عن غروري بأن أولد في ظروف تقتضي العمل كخادم ، وقد وجدت فيها المناسبة التي أخرج بها عن وفائي نحو الشخص الذي أحسن إلي ، بل لقد أنقذت حياته بغير أن يرتاب في ذلك بالمرة . وكانت تلك في نفس الوقت تجربة خرجت منها رابحاً ، إذ مكنتني العمل من عدم الفساد عن طريق الاختلاط بوسط يكاد يكون غارقاً في مبادئه دائماً . ورغم الأمثلة السيئة التي مرت بي فقد ظلت نقياً ، والشكر لله الذي أنابني بالسعادة التي أنعم بها الآن علي .

س : في أي ظروف أنقذت حياة السيد « ج » ؟

ج : في أثناء نزوة على ظهور الجياد ، حيث كنت أتبعه بمفردي عندما شاهدت شجرة ضخمة على وشك السقوط دون أن يشاهدها فتأديت عليه صارخاً مذعوراً فارتد بغتة ، وعندئذ سقطت الشجرة عند قدميه ، ولولا الحركة التي أحدثتها لكانت الشجرة قد هشمت .

(وقد تذكر السيد « ج » هذه الواقعة المتعلقة به تذكراً تاماً) .

س : ولما ذا متت صغيراً إلى هذا الحد ؟

ج : لقد قدر الله أن تجريتي كانت كافية .

س : وكيف أمكنتك أن تستفيد من هذه التجربة ما دمت كنت لا تذكر

السبب الذي دعا إليها ؟

ج : في مركزي المتواضع كانت متبقية لدى غريزة الكبرياء التي كنت سعيداً بالقدره على السيطرة عليها ، وهو الأمر الذي جعل التجربة مفيدة لي ، وإلا لتعين على أن أبدأها من جديد . وكانت روحي تذكرها في لحظات تحررها ، وكانت متبقية لدى في يقظتي حاجة فطرية لمقاومة اتجاهاتي التي كنت أشعر بردائها . وكان فضلي في المقاومة على هذا النحو أكثر مما لو كنت متذكراً ماضى بوضوح ، فإن تذكر ماضى السحق كان سيستثير كبريائي ويثير اضطرابي ، حين لم يكن على إلا أن أ كافح مقتضيات مركزي الجديد (كعادتي) .

س : لقد تلقيت تعليماً لامعاً ، فقيم أفاذك التعليم في وجودك الأخير

مادمت كنت لا تذكر المعلومات التي حصلت عليها ؟

ج : هذه المعلومات كانت ستكون غير مجدية - بل لعلها ضارة - في مركزي الجديد ولكنها ظلت خاملة ، والآن عثرت عليها ، ومع ذلك فلم تكن عديمة الجدوى (حتى في الحياة الأرضية) لأنها أدت إلى نمو عقلي ، وكنت أتذوق المعاني السامية بطريقة غريبة ، وهي المعاني التي كانت تلهمني كراهية الأمور المبتذلة غير الكريمة التي كنت أراها تحت عيني ، فبدون التعلم كنت سأصبح مجرد عادم عادي .

س : هل للخدمة الوفية للخدم ، التي قد تصل إلى حد التفاني ، من أسباب

سابقة (أي ترجع إلى حيوات سابقة) ؟

ج : بلا ريب أن هذه بالأقل هي الحالة الاعتيادية ، وهؤلاء الخدم هم أحياناً أعضاء في نفس الأسرة ، أو - مثلى - هم مدينون بمعروف سابق يسددون دينهم ويساعدونهم تفانيهم على التقدم . إنكم لا تعرفون جميعكم آثار الحب أو الكراهية التي تحدثها هذه الصلات القديمة في العالم . فالمرت لا ينضم هذه الصلات التي تخلد عادة من قرن إلى قرن .

س : ولماذا تبدو هذه الأمثلة من إخلاص الخدم نادرة الآن ؟

ج : يلغى تحميل روح الأمانة المسئولية ، وكذلك الكبرياء المتفشية في عصركم والتي غذاها عدم التمديق ، والأفكار المادية . فالإيمان الصحيح يبدد الجشع وورقة الكسب ، ويبدد معها صور الإخلاص المتفاني . والروحانية عندما تعيد الناس إلى الإحساس بالحقيقة تحبى من جديد الفضائل المنسية .

ويعلق المؤلف على هذا الاتصال الروحي قائلاً إنه لا شيء مثله يوضح موايا نسيان حالات الوجود السابقة ، فلو أن الخدم ، ج ، كان يذكر ماذا كان عليه عاجه في وجوده السابق لوجد حرجاً كبيراً في علاقته معه ، ولما قبل أن يستبقه في هذه الحالة ، ولعاق بالتالى نجاح هذه التجربة التي كانت مفيدة للآتين معاً .

(و) قصة عالم لمروح

لم تقاس مدام ب ... من مدينة بورديو Bordeaux من الضيق أو الفاقة . لكنها كانت طيلة حياتها ضحية آلام جثمانية من جراء أمراضها الخطيرة التي لا تحصى - والتي أصابتها منذ كان عمرها خمسة شهور إلى أن توفيت في الخامسة والستين من عمرها - وكانت أبنتها وسيطة روحية ، ومما أكثر ما تضرعت إلى الله أن يخفف من آلام أمها ، ولكن كانت روحها المرشدة

تطلب منها لحسب أن تطلب لأمها أن تعطى القدرة على أن تتحمل آلامها
بصبر واستسلام . وأملت عليها البيانات الآتية :

لكل شيء علته في الوجود الإنساني ، فما من ألم تسديون في إحداة
إلا وله صدهاء في ألم تقاسونه ، وما من شغل تركبونه إلا وله مقابله في
حرمان تعانونه ، وما من دمة تنسكب من عيونكم إلا كىما تمحو خطأ
صدر عنكم ، بل ربما جريمة أحياناً .

فتحملوا إذا بصبر واستسلام آلامكم الجسدية والنفسية ، مهما بدت لكم
قاسية ، وتأملوا فى الزارع الذى يحطم الإجهاد أعضاءه ، ولكنه يواصل
عمله بغير توقف ، لأنه يتربق أمامه السنايل الذهبية التى ستكون من ثمار
عزيمته . فهذا هو شأن البائس الذى يقاسى على أرضكم ، فإنه يتربق النعيم
الذى ينبغى أن يكون ثمرة صبره ، والذى يقويه فى وجه الآلام العابرة لبني
الإنسان .

هكذا كان الشأن مع أمك ، فكل ألم تتقبله ككفارة هو عبارة عن وصية
تمحى من ماضيها . وبقدر ما تمحى الوصيات سرعاً بقدر ما تسرع نحوها
السعادة ، وعدم الاستسلام يجعل الألم مجدياً ، إذ يمتين عندئذ البدء من جديد
فى تحمل التجارب ، فأنفع شيء لها هو الشجاعة والخضوع ، وهذا هو ما ينبغى
أن نسال الله أن يمنحها إياه ، بمعونة الأرواح الطيبة .

لقد كانت أمك فيما مضى طبيباً ناجحاً معروفاً لدى الطبقات الغنية التى
أغدقت عليه الكثير من المطايا ومن صور التكريم . وكان الطبيب طموحاً
إلى المجد والمال راغباً فى الوصول إلى ذروة العلم ، لا كىما يخفف من آلام
إخوته ، لأنه لم يكن عطوفاً ، بل كىما تزداد شهرته ، وبالتالي زبائنه . فلم يدخر
وسعاً فى الوصول بعلمه إلى غايته . وكان يتعبد مثلاً لإحداث تشنجات فى
أم قد تقاسى الأحوال من التشنج العصبي على فراش الألم كىما يدرس هذه التشنجات ،
وكان يرضع طفلاً لتجارب مؤلمة عساها أن تعطيه مفتاحاً لدراسة بعض

الظواهر ، وكان الإنسان القوى البنية قد يرى نفسه وقد هزل بسبب بعض تجارب هذا الطبيب عند ما كان يرغب في مراقبة أثر بعض العقاقير والمشروبات في الأجسام ، وهكذا كان يجرى تجاربه بنير حذر على البائسين من مرضاه .

وكان الهدف من سلوكه هذا هو إرضاء جشعه وكبرائه وتعطشه للبال وللشهرة وقد اقتضى ترويض هذه الروح المتكبرة الطموحة انقضاء عدة قرون ، ومرورها بتجارب مريرة . وبعدئذ بدأت التوبة تلعب دورها في التجديد ، وأوشك الإصلاح على التمام ، لأن تجارب هذا الوجود الأخير هيئة بجانب التجارب التي تحملتها فيما مضى . فشجاعة إذا ، ولئن كان الألم طويلاً وقاسياً ، فإن الثواب سيكون عظيماً بعد الصبر والاستسلام وذل الألم .

فشجاعة يا جميع من تعاون ، وفكروا في الوقت القصير الذي يبقاه وجودكم المادي ، وفكروا في متع الأبدية ، متوسلين بالأمل ، هذا الصديق الوفي لكل قلب يتالم . ومتوسلين أيضاً بالإيمان شقيق الأمل ، الإيمان الذي يقدم لكم السماء التي يدفعكم الأمل إلى دخولها قبل الأوان . وتوسلوا أيضاً بهؤلاء الأصدقاء الذين منحكم الله إياهم كي يحيطوا بكم ويؤازروكم ويحبوكم ، وعن طريق التوسل إليهم ترجعون إلى الله الذي تعدىتم عليه بخرق قوانينه .

وبعد موتها أعطت مدام دى ، إلى كريمتها في الجمعية الروحية بهاريس ، رسائل تنعكس فيها أرفع الصفات ، ومؤيدة فيها ما سبق ذكره آنفاً عن ماضيها .

(هـ) مع أديلايد مارجريت جوسه Adélaide Marguerite Gosse

كانت أديلايد خادمة متواضعة فقيرة من مقاطعة نورماندى Normandie بالقرب من هارفليور Harfleur ، وعند ما بلغت الحادية العشرة

من عمرها دخلت في خدمة أسرة غنية تقوم بتربية الأغنام ، وبعد سنوات قليلة حدث فيضان في نهر السين أغرق جميع أغنامها ، ثم حدثت نكبات أخرى أقمرت أولئك المخدومين ، ولكن أدبلايد ربطت مصيرها بمصيرهم ، وأخفت نداء الأناية ، فلم تعد تستمع إلا إلى صوت قلبها الوفي ، وجعلتهم يتقبلون منها خمسيناة فرنك كانت قد ادخرتها لنفسها ، وظلت في خدمتهم بلا راتب ، وبعد وفاة مخدومها ظلت مرتبطة بابلتهما التي أصبحت أرملة وبغير موارد ، فكانت أدبلايد تعمل في الحقول ، وتعرض ما تكسبه إلى المنزل . ثم تزوجت ، وصار الزوجان معاً يعاونان السيدة الفقيرة ، ودامت هذه التضحيات النبيلة لمدى نصف قرن .

ولم تتجاهل ، جمعية المباراة على البر ، بمدينة روان Rouen هذه السيدة النبيلة والجديرة بكل احترام وتقدير فنحتما بدالية شرفية ومكافأة نقدية .

وفي لحظة واحدة انتزعت نوبة شلل هذه المخلوقة البارة بدون ألم من حل الأرض (وفي الجلسة الروحية جرى الحديث معها كالآتي) : —
س : إننا نسال الله للقادر على كل شيء أن يسمح لروح مارجریت جورمن أن تحصل بنا .

ج : نعم إن الله قد أنعم على بذلك .

س : يسعدنا أن نعرفك من إعجابنا بسلوكك الذي حافظت عليه أثناء وجودك الأرضي ، ونرجو أن يكون الله قد أثابك من بذلك .

ج : نعم لقد كان الله مقدراً حبه ورحمته على خادمته ، وما صنعتها بما تجدره مرضياً ، كان أمراً طبيعياً جداً .

س : هل يمكنك — لإفارتنا — أن تذكرى لنا علة المركز المتواضع الذي كنت تشغليه على الأرض ؟

ج : لقد شغلت خلال وجودين سابقين مركزاً غالباً ، فكان المال موفوراً ،

وقضيتهما بلا تضحيات لأنى كنت غنية ، وتبينت أنى كنت أتقدم تقدماً بطيئاً
فطلبت أن تكون هودق إلى الأرض فى مركز أكثر تواضعاً حيث يكون
على فيه أن أكافح بنفسى ضد الحرمان . وأعددت نفسى لذلك خلال زمن
طويل . وقد أيد الله شجاعتى وأمكننى أن أصل إلى الهدف الذى تخيرته ،
بفضل ما منحنى الله من معونات روحية .

س : هل شاهدت ساداتك السابقين ؟ اذكرى لنا . إذا تفضلت .
ما مركزك إزادهم ، وهل مازلت تعتبر نفسك تابعة لهم ؟
ج : نعم لقد شاهدتهم ، ولقد كانوا فى استقبال عند حورى إلى هذا
العالم . وبكل تواضع يمكننى أن أقول إنهم أصبحوا يعتبرونى كالو كنت
أعلى منهم .

س : وهل كان لديك سبب خاص للارتباط بهم دون غيرهم ؟
ج : لم يكن هناك أى سبب ملزم ، وكان من الممكن أن أحقق هدفى
فى أى مكان آخر ، ولقد تخيرتهم كيما أبرى ذمتى نحوهم من دين الإقرار
بالمعروف ، إذ كانوا فيما مضى كرماء نحوى ، وسبق أن قدموا لى خدمة .
س : وما هو المستقبل الذى تؤملين فيه ؟

ج : أومل أن انجسد فى عالم بلا ألم . ولعلكم تجدوننى بذلك أومل فى
الحال ، ولكننى أجيئكم بما فى قلبى ، وفى النهاية إلى مستسلة لإرادة الله .
س : نشكرك لحضورك بناء على طلبنا ، والله قادر أن يصدق عليك نعمه .
ج : شكراً ، والله قادر أن يبارككم وأن يتعمكم جميعكم فى لحظة الموت
بنفس مشاعر السعادة النقية التى كانت من نصيبى .

(و) مع كلارا ريفيه Clara Rivier

كانت هذه الفتاة ذات العشرة الأهوام تنسب إلى أسرة من العمال فى
قرية من قرى جنوب فرنسا ، وأصبحت عاجزة تماماً منذ الرابعة من عمرها

ولم يسمع منها أى ضجر، ولم تصدر منها أية علامة على ضيق أو تهرم ورغم أنها كانت محرومة من التعليم فكانت هى التى تعزى أسرتها الجريحة، وتمنيتها بالحياة المستقبلية وما يوجد فيها من نعم .

وتوفيت فى شهر سبتمبر سنة ١٨٦٢ بعد أربعة أيام من آلام قاسية ومن تشنجات لم تتوقف أثناءها عن الابتهاال لله ، وكانت تقول فيها : إني لا أخشى الموت لأن حياة السعادة محفوظة لى بعده . كما كانت تقول لآبيها الباكي : تعز لآنى سأعود لزيارتكم ، إني أشعر بأن ساعتى قريبة ، ولكنها عندما تأزف سأعلم بذلك وسأخطرك مقدماً . وعندما كانت اللحظة الحاسمة على وشك الحلول دعت جميع ذويها قائلة لهم : لم يتبق لى فى الحياة سوى خمس دقائق فأعطونى أيديكم ، ثم أسلمت الروح كما قدرت من قبل .

ومنذ ذلك الحين حضرت روح مشاغبة لزيارة منزل أسرتها ، حيث صعدت إلى أن تقلب كل شئ ، وإلى أن تحدث طرقات على المائدة كما لو كانت تحمل هراوة ، وإلى أن تحرك الأغطية والستائر والآنية ، وظهرت هذه الروح فى صورة كلارا لشقيقتها الصغيرة التى كانت فى الخامسة من عمرها ، والتى كانت تقول إن شقيقتها تتحدث إليها كثيراً ، وكان ظهورها لها مبعث صيحات فرح ، فكانت تقول : انظروا كيف أن كلارا جميلة .

حضور روحها : انى بالقرب منكم مستعدة للإجابة .

س : من أين جاءت هذه الأفكار العالية التى كانت تصدر منك عن الحياة المستقبلية قبل موتك ، رغم أنك كنت صغيرة إلى هذا المدى وغير متعلمة ؟

ج : من الوقت القصير الذى أمضيته على كوكبكم ومن تجسدى السابق فقد كنت وسيطة عندما غادرت الأرض ، وكنت وسيطة عندما عدت إليكم ولقد كان هذا هو قدرى ، وقد كنت أشعر بما كنت أقوله وأراه .

س : كيف يتأتى لطفلة من عمرك ألا تصدر منها أية شكوى خلال أربعة أعوام من الألم ؟

ج : لأن الألم الجثامي كان خاضعاً لسيطرة قدرة أقوى منه هي قدرة ملاكي الحارس الذي كنت أراه دوماً بالقرب مني . وكان يعرف كيف يخفف عني كل ما كنت أشعر به ، وبفضله أصبحت إرادتي أقوى من الألم .

س : كيف أخطرت بلحظة وفاتك ؟

ج : أخطرتني بها ملاكي الحارس الذي لم يندعني أبداً .

س : لقد ذكرت لوالدك ، تعز ، فسأحضر لزيارتكم ، فكيف - مع المشاعر الطيبة التي كانت تغذيك نحو والدك - حضرت بعد موتك لإقلاقم عن طريق الشغب في المنزل ؟

ج : لقد مررت بتجربة بلا ريب ، أو بالأدق أنه كان لدى مهمة على أن أؤديها . لقد حضرت لمشاهدة والدي فهل تعتقد أن ذلك ينبغي أن يمر عبثاً ؟ فهذه الضوضاء ، وهذا الشغب ، وهذا النضال الذي كان يجري بسبب وجودي ، كل ذلك كان بمثابة تنبيه لهم ، وكانت تساعدني أرواح أخرى كان لها هدفها من وراء هذا الشغب ، كما كان لي أنا أيضاً هدف من الظهور لشقيقتي ، بفضلنا كم من أشخاص سيقتنعون ! ولقد كان على ذوي تجربة ينبغي عليهم أن يقاسوما ، وهي ستتوقف قريباً ، ولكن بعد أن تكون التجربة قد حملت الافتناع إلى الكثيرين .

س : إذا فليست وحدك مصدراً للشغب .

ج : لقد ساعدتني أرواح أخرى اشتركت في المحنة المدخرة لوالدي العزيزين .

س : وكيف تأتي لاختك أن تتعرف عليك ، إذا لم تكوني مصدر هذه الظواهر .

ج : أختي لم تر أحداً غيري ، إن لديها قدرة ثانية على النظر ، وليست هذه آخر مرة كان حضوري فيها سبباً في تعزيزها وتشجيعها .

س : لماذا امتحنتك القدر بعاهات كثيرة مع صغر سنك .

ج : لقد كنت عملة بأخطاء سابقة وكان على أن أكفر عنها . لقد أسأت استخدام صحتي ومركزى للامع الذى كنت أنعم به في تجسدى السابق . وكان الله كان يقول لى ، لقد نعمت إلى مدى عظيم وغير محدود ، فستألمين بنفس المقدار ، لقد كنت متكبرة فستصبحين وضيعة ، لقد كنت غفورة بجمالك فستصبحين محطمة ، وبدلاً من التفاهة ستحاولين أن تحصل على البر والطيبة ، فتصرفت بحسب مشيئة الله وساعدنى ملاكى الحارس .

س : هل ترغبين فى أن أقول شيئاً لذريتك ؟

ج : بناء على طلب أحد الوسطاء ، لقد قدم ذوى كثير من البر ، وكان ظم ما يدهوهم لعدم الصلاة من الشفاء لحسب ، إذ تنبئ الصلاة من اليد والقلب ، فإن الصلاة هى العطاء الذى يعطى للتألمين ، وهى التى تعمل الإنسان روحياً .

لقد أعطى الله إلى جميع الأرواح حرية الاختيار، أى القدرة على التقدم كما أعطاهما كلها نفس الطموح ولذلك فإن الفستان الرخيص أقرب إلى الفستان الموشى بالذهب مما قد يظن الإنسان عادة (مثل فرنسى) . فقرىروا المسافات عن طريق البر ، وافتحوا أبوابكم للسكين وشجعوه وارفعوه ولا تهنئوه . ولو عرف الإنسان كيف يطبق فى كل مكان هذا القانون العظيم من قوانين الوعى ، لاختفت هذه التماسات التى تشين فى أوقات معينة الشعوب المتحضرة ، والتى يبعث بها الله كيما تعاقب ، وكيما تفتح الأعين المغلقة .

يا أقرابى الأحرار ، أحيوا بعضكم بعضاً وطقوا قانون المسيح وهو أن كل ما ترهبون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم بهم أيضاً .

وابتهلوا إلى الله عندما يمتحن إيمانكم بأن تظهروا أن إرادته مقدسة وعظمى مثله . وتعلموا أن تتسلحوا بالشجاعة والعزيمة في ترقب المستقبل ، لأن عليكم أن تتألموا أيضاً . وينبغي أن تتعلموا كيف تستحقون مركزاً طيباً في عالم أفضل ، يتحقق فيه تفهم العدالة الإلهية في عقاب الأرواح الشريرة .

يا أقربائي الأعزاء سأكون دائماً قريبة منكم فوداعاً وإلى اللقاء ، ولكن عندكم الاستسلام والبر ، وحب الآخرين ، وستكونون سعداء يوماً ، كلاراً .

ويعلق المؤلف على هذه الرسالة قائلاً إن الإشارة إلى أن «الفيستان الرخيص أقرب إلى الفيستان الموشى بالذهب مما قد يظن الإنسان عادة ، تتضمن الإشارة إلى الأرواح التي تتحول بين وجود وآخر من مركز لامع إلى مركز وضعيع أو بائس ، لأنها تسكفر عادة في وسط وضعيع عن سوء استخدامها للنعم التي سبق أن أنعم الله عليها بها ، وهي عدالة يفهمها كل البشر .

وهناك فكرة أخرى لا تقل عمقاً وهي التي تعزو مآسى الشعوب إلى خرق القانون الإلهي ، لأن الله يعاقب الشعوب كما يعاقب الأفراد ، فمن المحقق أنه لو كانت الشعوب تطبق قانون البر لامتنت الحروب والنكبات العظمى . وتطبيق هذا القانون هو ما تؤدي إليه الروحانية ، فهل لهذا الاعتبار تلاقى الروحانية أعداء ألداء إلى هذا المدى ؟ وهل أقوال هذه الفتاة لذريها أقوال شيطان ؟

(ز) مع آنابتر Anna Bitter

إن فقدان طفل حبيب أمر أليم ، فما بالك بالأب عندما يرى بعينه ابنته الوحيدة - التي عقد عليها كل الآمال والتي ركز عليها عواطفه التي لا يملك غيرها - وقد سقطت مريضة منهارة أمام عينيه ، بغير آلام ولسبب مجهول من تلك الأسباب الخفية الشاذة التي تقف حكمة العلماء حيرى إزاءها ؟ ..

وقد استنفد الأب بغير جدوى جميع إمكانيات العلم ، وأصبح متيقناً بأنه لا يوجد أى رجاء فى الشفاء ، وظل على هذا العذاب الرهيب لمدة سنين طويلة لم يكن يرى لها نهاية ، وقد كان هذا تعذيباً رهيباً بالنسبة له ، تعذيباً ضاعف منه أن ثروته كانت فى ازدياد متواصل ، ولم يخفف منه الأمل بأن ثروته سيتمتع بها مخلوق عزيز عليه .

كان هذا هو مركز والد الطفلة آنايتر الذى استولى يأس مقبض على نفسه وأخذ طبعه يتحول شيئاً فشيئاً إلى الحدة عندما كان يقع بصره على هذا المشهد الأليم ، الذى لا ينتهى إلا بنهاية ابنته بعد أجل لا يعلمه إلا الله . وقد كان للأسرة صديق عرف الطريق إلى الروحية وقد ارتأى أن يستجوب روجه الحارم فى هذا الشأن ، فجاءه الجواب الآتى : -

«إني أرغب جيداً فى أعطيك تفسيراً لهذه الظاهرة الغريبة التى تقع الآن تحت بصرك ، لأنى أعلم أنك عندما تطلب منى تفسيراً لها لا تطلبه على الإطلاق مدفوعاً بحب استطلاع فى غير موضعه ، بل للفائدة التى ستخرج بها من هذا التفسير ، بالنظر إلى ما تعتقده فى عدالة الله ، هذه الفائدة التى تقتضى من يشاء الله أن يجربهم أن يحزنوا له الجباه بدلاً من السخط والتذمر ، لأن الله لا يجرب أبداً بغير ما داع .

إن الطفلة الصغيرة البائسة التى شامت إرادة الله القدير أن تؤجل تنفيذ حكم الموت عليها ينبغى أن تعود قريباً بيتنا ، لأن الله قد عطف عليها ، أما والدها - هذا البائس بين الرجال - فقد كان ينبغى أن يجرب فى موضع عاطفته الوحيدة فى الحياة ، لأنه عبث بقلوب أولئك الذين يحيطون به وبثقتهم . وذات لحظة وصلت توبته إلى سماع العلى ، فرفع الموت سيفه من على هذه الرأس العزيزة عليه ، ولكن التذمر عاوده ثانية ، والعقاب يلحق التذمر دائماً ، فطوبى لمن يعاقبون على هذه الأرض ، وصلوا يا أصدقائى لهذه الطفلة البائسة ، فطفولتها تجعل لحظاتها الأخيرة قاسية ، وماء الحياة يجري غزيراً

في عروقها رغم إعيائها ، إلى حد أن انفصال روحها لن يكون أمراً سهلاً .
فصلوا لأجلها ، وستساعدكم فيما بعد ، وستعزيكم بنفسها لأن روحها أسمى
من روح أولئك الأشخاص المحيطين بها .

وبسماح من الله أمكنني أن أجيب على سؤالك ، لأنه ينبغي لهذه الروح
أن تتلقى المساعدة حتى يكون انطلاق روحها أكثر يسراً لها .
ثم توفيت الطفلة ، وتوفي والدها ، بعد أن قاسى من الفراغ ومن الوحدة
بعد فقد ابنته ، وها هي رسائل تلقيناها من الابنة ، ثم من الأب بعد انتقاله :

من الابنة (١)

شكراً يا صديق لأنه اهتممت بالطفلة البائسة ، ولأنك أصغيت إلى
نصائح مرشدك الطيب . نعم فبفضل صلواتكم أمكنني أن أغادر خلافي
الأرضي بطريقة أكثر سهولة لأن أبي بدلا من الصلاة ، كان ساخطاً ، ومع
ذلك فأنا لا أومه لأنه فعل ذلك بدافع من حبه العظيم لي ، فأسال الله أن
ينعم عليه بنعمة النور قبل أن يموت ، وإني أنبهه وأشجعه ، ورسالتى هي
أن أخفف وقع لحظاته الأخيرة . ويبدو أحياناً أن بصيصاً من الضوء المقدس
قد وصل إليه . ولكن هذا بصيص عابر ، إذ لا يلبث أن يسقط من جديد في
وهدة أفكاره الأولى . ولا توجد بداخله إلا نواة من ضمير خنقته مصالح
الدنيا ، ولن تنمو إلا في ظل محن جديدة أشد مرارة ، وذلك هو ما أخشاه
كثيراً من جانبي .

أما بالنسبة لي فلم تكن أمانى سوى بقية من تكفير كان على أن أحملها ،
فلم تكن محتى مؤلمة جداً ولا صعبة جداً . وفي مرضى العجيب لم أكن أتألم
وكنيت بالأكثر أداة تجربة لوالدى ، لأنه كان يتألم من رؤيتي على هذه الحالة
أكثر مما كنت أتألم أنا نفسي ، فقد كنت مستسلمة ولم يكن هو كذلك . والآن
تلقيت الثواب ، وقد ألهم الله على باختزال مدة إقامتي في الأرض وأشكره

على ذلك ، فإن سعادة بين الأرواح الطيبة التي تحيط بي ، ونقوم بمشاكلنا
فرحين ، فالجنول تعذيب قاسٍ .

مسيب مع الرب

س : (بعد شهر تقريباً من موته) إننا نرى من وراء دعوتك إلى أن
نستفهم عن مركوك في عالم الأرواح عما نأنا أن نكون مفيدين لك ، إذا كان
ذلك بمقدورنا .

ج : عالم الأرواح إلى لا أراه ، ولا أرى سوى الأشخاص الذين
عرفتهم ، والذين لا يفكر واحد منهم في ولا يأسف على . وبالعكس يبدو
عليهم السرور لأنهم تخلصوا مني .

س : ألا تذكر مركوك جيداً ؟

ج : تماماً . اعتقدت في وقت ما أني لا أزال في عالمكم ، ولكنني
أعلم الآن جيداً أني لم أعد فيه بعد .

س : كيف يتأتى إذا أنك لا ترى أرواحاً أخرى من حولك ؟

ج : إنني أجهل الإجابة رغم أن كل شيء واضح من حولي .

س : ألم تشاهد بعد ابنتك ؟

ج : كلا ، لقد توفيت ، وإنني أبحث عنها وأناديها بغير جدوى ، فأني
فراغ رهيب سببته لي وفاتها على الأرض ، وعندما كنت أحتضر كنت أقول
لنفسي إنني سألقاها من جديد بغير ريب ، ولكن لا شيء ، ودائماً الوحدة
من حولي ، ولا أحد يوجه إلى عبارة عزاء ولا رجاء ، فوداعاً لأنني ذاهب
للبحث عن ابنتي .

بيان من الروح المرشدة للوسيط

هذا الرجل لم يكن ملحداً ، ولا مادياً ، ولكنه من أولئك الذين
يؤمنون إيماناً خامساً ، بغير أن يشغلوا أنفسهم بالله ولا بالمستقبل ،

ويحيون غارقين في المصالح الدنيوية . وكان أناانياً عميقاً ، وما كان ليتأخر
بغير شك عن تضحية كل شيء في سبيل إنقاذ ابنته ، ولكنه ما كان ليتأخر
أيضاً عن تضحية كل مصالح الآخرين - بغير تأنيب - في سبيل تحقيق
مصلحته الذاتية .

فبعيداً عن ابنته ، لم يكن لديه ولا لآي إنسان . وقد عافبه الله كما تعلمون
بان انتزع منه عزاءه الوحيد على الأرض ، ولما لم يرتدع انتزع منه هذا
العزاء حتى في عالم الأرواح . ولم يكن يعني بأى إنسان على الأرض فلذلك
لا يعني به أى إنسان هنا ، فهو وحيد مهجور ، وذلك هو عقابه . ومع ذلك
فإن ابنته موجودة بالقرب منه ولكنه لا يراها ، لأنه لو كان يراها ، لأفلت
من العقاب . وماذا يصنع هو ؟ هل يتوجه إلى الله ؟ هل يتوب ؟ كلا إنه يتم
دائماً بل يهدف ، وفي كلمة يفعل نفس ما كان يفعله على الأرض . فسأعده
بالصلاة وبالإرشاد على الخروج من عمقه .

(ج) مع جوزيف ميسر Joseph Maitre

كان جوزيف ميسر ينتمى إلى الطبقة المتوسطة في المجتمع وكان على
درجة متواضعة من اليسر ، وقد منحه والده تعليمًا طيباً ، وكانا يعدانه لحياة
الصناعة ، ولكنه فقد الإبصار تماماً في العشرين من عمره ، ثم أصيب
بعمالة أخرى إذ فقد السمع تماماً أيضاً منذ عشر سنوات تقريباً قبل وفاته ،
إلى حد أن صلاته بالآخرين لم تكن لتجرى إلا عن طريق الملامسة .
وكان فقد البصر ، ولما له ، أما فقد السمع فقد كان تعذيباً رهيباً . وفي باريس
طلبنا روحه بناء على اقتراح من شخص كان يعرفه ، وكان يعتقد أن الحديث
مع روحه قد يعطينا بعض إرشادات مفيدة ، وهذه هي رسالته التي ترجع
إلى سنة ١٨٦٣ : -

« إني أشكركم يا أصدقائي لأنكم تذكرتموني ، ورغم أنكم ربما اعتقدتم
أن انصالي بكم سيفيدكم بوجه ما ، إلا أني أعلم أن هناك دافعاً أهم من ذلك

يدفعكم إليه ، ولذا استجبت مسروراً لندائكم ، طالما أن هناك من يريد السماح لي بذلك ، وسعيداً لأن أتمكن من أن أخدمكم في تثقيفكم . ولعل حياتي تعطىكم دليلاً يضاف إلى الأدلة العديدة التي تعطىكم إياها الأرواح عن عدالة الله .

لقد عرفتوني كفيفاً أصم ، وتساءلت ما الذي فعلته كيما أستحق مصيراً مؤلماً كهذا؟ وسأذكر لكم السبب . وأعلموا ابتداءً أن هذه هي ثاني مرة حرمت فيها من نعمة البصر . ففي وجودي الأرضي السابق الذي حدث في مبدأ القرن الماضي ، كنت قد أصبحت كفيفاً في الثلاثين من عمري بسبب الانهماك في الملذات - بكل صورها - الذي دمر صحتي وأضعف أعضائي ، وكان ذلك عقاباً لي لأنني أسأت استخدام النعم التي تلقيتها من العناية الإلهية التي وهبني الكثير منها .

ولكنني بدلاً من أن أقر بأن كنت السبب الأول لعاهتي ، لقد حملت تبعثاً على العناية الإلهية التي لم أكن أو من بها في النهاية إلا قليلاً . أي جددت نحو الله الذي كنت أنكره ، وكنت أقول لو أن الله كان موجوداً لكان ظالماً شريراً لأنه يؤلم خليفته على هذا النحو، حين كان ينبغي أن أشعر بأنني سعيد - على العكس من ذلك - لأنه لم يكن على أن أتسول مثل الكثيرين من البؤساء البعيان المضطرين لأن يستجدوا خبرهم . ولكنني لم أكن أفكر إلا في نفسي ، وفيما فرض على من حرمان من متع .

وتحت سلطان هذه الأفكار وعدم إيماني أصبحت شرساً ، كثير المطالب ، وفي كلمة ، لا أعاق بالنسبة للحيطين بي . وأصبحت حياتي منذ ذلك الحين بلا هدف ، ولم أعد أفكر في المستقبل الذي بدأت في التطلع إليه كسراب . وبعد أن استنفدت كل السبل العلمية لعلاجي ووجدت أن شفاي أمر مستحيل ، عزمت على التخلص من الحياة سريعاً فانتحرت .

وعندما استيقظت وجدت نفسي غريقاً للأسف في نفس الظلمات التي عرقها في حياتي . ومع ذلك فما لبثت أن أدركت أنني لم أعد أتنحى إلى العالم

المادى ، ولكنى كنت روحاً عمياء . فالحياة بعد القبر أصبحت إذا حقيقة ، وكانت محاولتى للتخلص من الحياة والذهاب إلى العدم محاولة يائسة وتعثرت فى الفراغ ، وإذا كانت هذه الحياة الروحية غائبة ، طبقاً لما كان يقال فقد كان على إذا أن أظل للأبد على هذه الحالة . وكانت هذه الفكرة رهبة ، ومن المحال أن أصف لكم ما كنت فيه من عذاب ومن ضيق ، وكم طال ذلك ؟ لا أدري ، ولكن بدا لى هذا الوقت طويلاً .

وبعد أن أنهكت وأجهدت رجعت إلى نفسى فأدركت أن هناك قوة عليا تنقل كاهلى ، وقلت لنفسى إذا كان بمقدور هذه القوة ذلك فإن بمقدورها أيضاً أن تخفف عني فتوسلت إلى عطفها . وبقدر ما كنت أصلى بحرارة من زيادة بقدر ما كان هناك هاتف ما يقول لى إن هذا المركز التعيس ستكون له نهاية ، وأخيراً حل النور وكانت سعادتي القصوى عندما أبصرت أضواء السماء ، وبدأت أميز الأرواح التى كانت تحيط بى باسمه بجنان ، والتى كانت تخلق مشرقة فى الفضاء ، وكنت أريد أن أقنئ خطاياها ، ولكن قوة غير منظورة كانت تمنعنى .

وعندئذ قالت لى إحداها : إن الله الذى كنت تشكره قد رجوعك إليه وسمح لنا أن نعيد النور إليك ، ولكنك لم تتراجع إلا بطريق الإرغام والإجهاد . وإذا كنت تريد فى المستقبل أن تشارك فى السعادة التى يتمتعون بها هنا ، فينبغى أن تثبت إخلاصك فى توبتك ، وطيبة مشاعرك بأن تبدأ من جديد محنتك الأرضية فى ظروف ستكون معرضاً فيها للوقوع فى نفس الأخطاء السابقة لأن هذه المحنة الجديدة ستكون أفسى عليك من الأولى ، وقد قبلت على الفور وارتبطت مع نفسى بالأفضل فى هذه المرة . وهكذا عدت إلى الأرض فى الوجود الذى تعرفونه .

ولم أجد مشقة فى أن أكون طيباً ، لأنى لم أكن شريراً بطبيعتى ، لقد ثرت على الله وقد عاقبنى ، وعدت إلى الأرض مزوداً بالإيمان الفطرى . ولذلك لم أعد أتم بالشكوى ضده ، وقبلت عاقبى مستسلماً ، بوصفهما

تكفيراً يستمد مصدره من عدالة السماء . والوحدة التي كنت فيها في سنواتي الأخيرة لم يكن فيها ما يدعوني للياس إذ كنت واثقاً في المستقبل وفي رحمة الله . بل كانت الوحدة مفيدة لي ، لأنني في ذلك الليل الطويل ، حيث كان كل شيء ساكناً ، كانت روحي - بعد أن أصبحت أكثر تحرراً - تتجه صوب الخلود وترى عن طريق البصيرة العالم اللانهائي . وعندما أزفت نهاية منغاي على الأرض قدم إلى عالم الأرواح روائع ومتعاً لا تملح .

والمقارنة بالماضي تجعلني أرى مركزي سعيداً جداً نفسياً ، والشكر لله ، ولكنني عندما أتطلع إلى الأمام ، أرى كم لا أزال بعيداً عن النعيم الكامل . لقد كثرت عن أخطائي ، ولكن يلزمني الآن أن أصلح نفسي . ولم يكن وجودي الأخير مفيداً إلا لي أنا وحدي ، وأرجو قريباً أن أبدأ وجوداً جديداً أكون فيه مفيداً للآخرين ، وسيكون في ذلك إصلاح عدم جدواي فيما مضى ، وعندئذ فقط سأقدم في الطريق المبارك المفتوح لجميع الأرواح ذات النوايا الطيبة .

ها هي قصتي ، أيها الأصدقاء ، وإذا كان بمقدورها أن تثير السيليل أمام بعض إخواني الذين في الجسد وتجنبهم الوحل الذي سقطت فيه ، فساكون بذلك قد بدأت في سداد ديني .

خاتمة

هذه بعض نماذج اخترناها لتوضيح المبادئ العامة في الثواب والعقاب . وأقل ما قد يقال في هذه المبادئ ، وفي النماذج التي شرحتها ، أنه ليس فيها شيء يعجز العقل عن تصوره أو عن إدراك احتماله . بل بالعكس إنها تحمل الإنسان حتماً على أن يتعقل الثواب والعقاب على أسس جديدة منطقية كتلك الأسس التي يعرفها المحلل النفسي عندما يتقصى الأسباب - الواعية وغير الواعية - لآلام مريضه النفسية . أو كتلك الأسس التي يؤمن بها علم الأخلاق Ethics عندما يقدر أن لكل فضيلة ثوابها المحتوم ، وكذلك

لكل رذيلة عقابها طبقاً لناموس ارتباط العلة بالمعلول دون ما حاجة إلى حكم ينطق به قاض من البشر أياً كان مستواه ، فالقوانين الطبيعية تعرف كيف تطبق نفسها بنفسها سواء أكانت قوانين للروح أم للمادة ، وسواء أعرفنا هذه القوانين أم جهلناها كلها أو بعضها ، وسواء أرضيننا بها ، أم لم نرض وبدأ لنا أن من الجائز التنكر لها ومقاومتها .

والمنطق التماسك الذى يبرز فى هذه الدراسات ما كان يكنى بمفرده لإقناع المتشكك أو المنكر ، حتى إذا أضيف إليه نوع الأشخاص الذين قاموا بها ، والظروف التى تمت فيها ، وانتفاء كل مصلحة لهم فيها ، بل وتعارضها مع جميع آرائهم السابقة فى هذا الشأن .

ولكن إذا روعى أيضاً أن الدراسات التى تمت عن نفس الموضوع فى بلدان علمية أخرى فى شتى البلاد أدت إلى نفس النتائج وإلى نفس القواعد التى انتهى إليها آلان كاردك وصحبه فى فرنسا ، لتبين إلى أى مدى تتعذر الآن المسكبة فى صحة هذه النتائج ورفضها بجملة باعتبار أنها وهم أو خرافة ، أو نحو ذلك من الألفاظ التى قد يلقيها الجاهل بهذه الأمور جرافاً بغير ما بحث ولا تجريب ، ولا أية حجة مقبولة تسند هذا الإنكار بالجملة لوقائع محددة ، مبينة بأمكنتها وبتواريخها وأشخاصها وتفاصيلها وشهودها وأداتها ودلائلها ، وموضحة بمقدماتها ونتائجها الفلسفية التى لا يعوزها التساند ولا الترابط المطلوبان .

ثم إذا روعى كذلك أن هذه النتائج ليست مترابطة فيما بينها بحسب ، بل مترابطة بنفس القوة مع نتائج فلسفية أخرى عديدة وصلت إليها الروحية التجريبية فى موضوعات مكملة لموضوع الثواب والعقاب ، لتبين تماماً أننا لا يمكن أن نكون إزاء خيال أو وهم ، بل إزاء بتيان على مرصوص يشد بعضه بعضاً . فالمنطق السليم يأبى إباء تاماً أن يكون الأمر - على هذا الوضع - غير ذلك .

وهذه النتائج مترابطة أيضاً مع الشعور الأصيل فى نفس الإنسان بوجود قوانين عادلة موضوعية للأخلاق تحكم السكون جنباً إلى جنب مع

قوانين المادة . فلماذا التلازم محتوماً بين العقل والمادة في هذا الكون -
على ما بيناه في مناسبة سابقة - فهو محتوم بالتالى بين قوانين العقل فيه -
أر إن شئت الروح - وبين قوانين المادة .

وهذه القوانين الطبيعية تثيب الناس - تلقائياً - وتعاقبهم على
أخلاقهم - لا على مجرد أفعالهم - بغير خشية إفراط ولا تفريط ، لأنها
تعرف خلجات النفس وسكناتها ، كما تعرف ماضيها وحاضرها ومستقبلها ،
فهي لا تحبى نفساً ولا تظلم أخرى .

وهي تلهم النفوس الرشاد وترشد البصائر إلى الصواب ، وتدفع عجلة
التطور التدريجى للأمام فى عقول الناس وأخلاقهم ، وتأخذ بيدهم فى
طريق صلاح أمرهم ، ولو عن طريق الألم الحكيم ينزل بهم لغسل ذنوبهم ،
وهداية قلوبهم إلى سواء السبيل ، عند يتنكرون لها أو يحيدون عنها بدافع
من نقص أخلاقهم وقصور مداركهم .

والإيمان بوجود هذه القوانين الطبيعية العادلة مكمل محتوم للإيمان بالله
تعالى مصدر كل عدالة ، كما هو مكمل محتوم للإيمان بقيمة الضمير فى تعرف
سبيله إلى نواويس الأخلاق الطبيعية هذه التى أجمعت عليها العقائد
والفلسفات الراقية . والى أصبح من رسالة علم الروح الحديث أن يحاول
إزاحة النقاب عن بعضها تدريجياً ، وأن يلقى عليها أضواءه لتنير جوانب
أخرى لهذه المشكلات العميقة ، إلى جانب الأضواء السابقة التى جانبتها من
شتى مصادر الاعتقاد والفلسفة .

وسيزداد هذا الأمر وضوحاً عندما نعالج فى الباب المقبل بعض هذه
المشكلات العويصة التى ألقى عليها علم الروح الحديث هذه الأضواء الجديدة ،
وبخاصة تلك المتعلقة بتعزيز الإيمان بالله تعالى وبالخلود ، وبالناموس الخلقى
وتعزيز دور الضمير ، وذلك بالإضافة إلى توضيح رسالة الموت والألم ،
كما يقدم نظريات واقعية فى هذه الأمور تساند نظريته فى الثواب والعقاب
وتستند إليها .

الباب الرابع

بعض المشكلات الفلسفية

في ضوء علم الروح الحديث

مترجم

عالجنا في الباب السابق موضوع « الثواب والعقاب ، الذى يمثل أخطر مشكلة فلسفية قدم فيها علم الروح الحديث نظرية واقعية جديدة جاءت مؤيدة تماماً لما وصل إليه الإنسان بفطرته منذ القدم من أن لكل فضيلة - فى ناموس الطبيعة - ثوابها ، ولكل رذيلة عقابها .

وفى الباب الحالى نبين كيف أن هذا العلم قد ألقى أضواء جديدة على مشكلات فلسفية أخرى ووصل فيها إلى حلول وضعية - متفقة فى جملتها - مع ما تسعى إليه العقائد كافة من تدعيم الإيمان المستنير بالله تعالى ، وبناموسه الخلقى الحكيم ، ومن تعزيز دور الضمير فى توجيه تصرفات النفس إلى ما فيه خيرها وصلاح أمرها . وذلك بالإضافة إلى مساهمته فى تبيان رسالة الموت الذى تدركه حواسنا فناء حين يدركه ناموس الطبيعة بقاء ، ومعها رسالة الآلم الذى تدركه حواسنا عناء حين يدركه ناموس الطبيعة ارتقاء

وهذه الأضواء الجديدة على الموضوعات التى بيناها قد تتطلب فى شرحها مؤلفات برمتها تعد جزءاً من فلسفة الروحانية لا من بحوثها العملية . ولما كنا نهدف إلى أن نقدم إلى القارئ فى المؤلف الحالى عرضاً شاملاً لكافة الجوانب العامة لهذا العلم الروحى ، بما فى ذلك أهم جوانبه الفلسفية ، لذا نرى أن نتعرض بشيء من الأناة لهذه المشكلات هنا فى فصول ثلاثة كالآتى : -

الفصل الأول : عنوانه « فى الإيمان بالله وبالخلود » .

والفصل الثانى : عنوانه « فى الخلق والضمير » .

والفصل الثالث : عنوانه « فى الموت والآلم » .

الفصل الأول في الإيمان بالله وبالخلود

كان الإيمان الوطيد بالخالق وبالخلود هو طابع الفلسفة العريقة في العالم بالأهل منذ عهد الإغريق إلى عهد الثورة الفرنسية، وقد ساد هذا الطابع فلسفة الصور الأولى والوسطى في أوروبا كما ساد في غيرها، لأن الله كما يقول ديكارت Descartes الفيلسوف العظيم (١٥٩٦ - ١٦٥٠) في رسالته إلى صديقه شانو في أول فبراير سنة ١٦٤٧ .. «هو خيرنا الأسمى لو عرفنا قدرته اللامتناهية التي تتمثل في خلقنا وخلق العالم، وتأملنا كمال معرفته التي يرى بها الأحداث الحاضرة والماضية والمستقبلية، ثم ضرورة أحكامه، ثم ضعفنا وصغر شأننا بالنسبة إلى دظلمة العالم المخلوق».

وبملا هذا التأمل صاحبه بفرح عظيم لا يريد بعده الإنسان إلا الامتثال لأمر الله، فلا يخشى مرضاً أو ألماً أو وضعة أو الموت ذاته، ما دام واحد من هذه الأشياء لا يتم إلا بأمر الله. والإنسان العارف يحل ذلك الأمر الإلهي ويحبه إلى أحداً حتى لو أتبع له تغيير الأمر لرفض ذلك. ولا شك في أن هذا الفرح الذي يملأ نفس المتأمل قد لا يشبه فرح الانفعالات شهاً كبيراً، فهو فرح غالص يملأ النفس حباً صافياً عقلياً لله تعالى.

ولكن هذا الفرح لقيامه في الحياة الإنسانية قد يصحب أيضاً الفرح الانفعالي ذاته، وذلك عندما يعرف الإنسان أنه جزء من العالم العظيم الذي خلقه الله ورعاه بعنايته. وأنه رغم صغر مقامه وقلة شأنه متحد بذلك العالم الهائل، إنه يشعر عندئذ بفرح عظيم. هذا هو الخير الأسمى الذي تتحقق لنا فيه الفضيلة والسعادة. هذا هو الخير الأسمى الذي تؤدي إليه سيادة

النفس على رغباتها ومعرفتها للأحداث في ضرورتها ، وفي توقفها على العناية الإلهية . . . (١).

وقد أرجع ديكرت إلى الله المادة ، كما أرجع إليه القوانين الطبيعية .
يميز بين المادة والروح وموزعاً الطبيعة إلى ملكتين : ملكة للمادة وأخرى للروح . وكان ديكرت في ذلك يمثل أسلوب تصره في النظر إلى الأمور ، فلم يكن الإيمان الراسخ بالله وبالروح المتميزة عن المادة من صنعه ، لكنه صنع لنفسه الإيمان عن طريق لم يسبقه إليه أحد ، وهو طريق التساؤل المستمر ، أو بالأدق طريق الإنكار المبدئي ، والمنطق الناقد لكل ما يخضع لحكم الحواس ، ولكل ما يصل إلى العقل من معلومات سابقة .

فالإنكار عند ديكرت هو طريق الإيمان ، والشك هو طريق المعرفة . وهذا هو ما يميز إيمان ديكرت بالله وبالروح وبالخلود عن إيمان غيره .
فإيمانه إيمان العقل الناقد ، وإيمان المنطق المدعم بأسانيده ، والذي يختلف تماماً عن إيمان الشعور الصرف ، أو التسليم الأعمى ، أو الانقياد السهل لإيمان الآخرين ، والذي لو تأملناه لما وجدنا فيه من فضل يذكر ، ولا من فضيلة خاصة . وكان ديكرت بذلك لا يمجّد لحسب الإيمان عن طريق العقل ، بل يمجّد أيضاً العقل الذي ينبغي أن يصل إلى الإيمان عن طريق التفكير المتأمل ، والمتحرر تماماً من ترهات الزمان والمكان .

وهذه هي نفس الطريقة التي استحوذت على ألباب فلاسفة كثيرين غيره من أمثال بوسويه Bouasuet وفيلون Fénelon وما لبرانث Malebranche وسبينوزا Spinoza ، وغيرهم ممن قدموا فاسفات باقية على الزمن تقوم في جوهرها على نفس أسس الشك التحليلي الناقد الذي ابتدعه ديكرت ، والذي بلغت به الروح الفرنسية ما لم تبلغه من قبل من موايا

(١) عن « ديكرت » لدكتور نجيب بلدي سنة ١٩٥٩ ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

الوضوح مع الشك ، والربط المنطقي بين المقدمات ونتائجها ، ورفض الاقتناع بما لا يستقيم من نتائج مع مقدمات واضحة محددة .

بل إن فلسفة ديكارت استحوذت في الواقع على تيار التفكير العلى في الغرب استحوذاً لم تصل إليه من قبل إلا فلسفة أرسطو ، ومن بعده إلا فلسفة برجسون ، فكان لها أحسن الأثر في توجيه الأساليب العلمية نحو فتوحاتها الضخمة عن طريق الشك الناقد للأمور ، حتى كادت هذه الأساليب أن تصبح كما أراد لها ديكارت محض تحليل ناقد ، وشك قد ينتهي إلى الإيمان ، وإنكار قد يؤدي إلى المعرفة .

وهذه الأساليب هي التي وجهت علوم المادة كما وجهت علوم الحياة فوجهت بالتالي - إلى آخر مدى - بحوث علم الروح الحديث ، فإن جميع بحوثه التي تستحق الذكر ، والتي يصح أن يطلق عليها « بحوث علمية » بدأت بالإنكار التام ، ثم مرت بمرحلة الشك ، ثم انتهت إلى مرحلة الاقتناع . وإذا كانت بحوث المادة الخاضعة للحواس بدأت بالإنكار فما بالك ببحوث تطوى ما لا يخضع للحواس إلا في ظروف معينة وبقدرة معلوم ؟

وإذا كان الإنكار حقاً مشروعاً عند ديكارت لكل عقل يفكر ، فما بالك به عند فلاسفة كبار وعابرة مرموقين قدموا لقضايا العلم أجل الخدمات ؟ وما بالك به في عصر كانت قد استقرت فيه في أذهان العلماء عقيدة ثابتة عن آلية الكون ، ومادية الإنسان ، وفناء الحياة بالموت ، وكان ذلك بسبب انتشار المدارس المادية في تعليل الحياة والتي كانت الطابع المميز للحركة العلمية ، منذ الثورة الفرنسية (سنة ١٧٨٩) إلى منتصف القرن التاسع عشر ، بل إلى أواخره . يستوى في ذلك الفلك مع الفيزياء مع السيكلوجيا مع البيولوجيا مع غيرها ، حتى طغت هذه المدارس العلمية على فلسفة الفلاسفة السابقين فحجبتها تماماً أو كادت بغيوم صناعية كثيفة .

فنظريات الفلك كانت تسند حركة الكواكب والنجوم إلى طبيعتها

الآلية لا غير ، ونظريات الفيزياء كانت تفترض أن الذرة لا تقبل التجزئة وأنها نهاية المادة ، كما أن المادة هي بداءة الحياة لأنها قادرة بذاتها على خلق الحياة . وكانت نظريات علم النفس لا تعترف بقوة أخرى خارج قوة الميخ والحواس الفيزيقية للإنسان . وأقامت البيولوجيا على أيدي فلاسفة وعلماء كبار مثل لامارك وسبنسر ومن بعدهما داروين نظريات للتطور على أسس مادية لا محل فيها لآلية قوة روحية . بل لقد ساد الاعتقاد في وقت من الأوقات أن هذه النظرية قضت نهائياً على « خرافة » العقل الخالق ودوام الحياة بعد الموت .

في عهد مدارس المادة

إلا أن عهد هذه النظريات المادية في تحليل الحياة قد تداعت تدريجياً تحت وطأة الضربات الشديدة التي وجهتها إليها معاول شكوك هذا الإنسان الجديد ، بفضل تقدم العلوم في شتى مناحيها وكان ذلك بوجه خاص في نطاق الرياضة ، والفيزياء ، والبيولوجيا والبحوث الروحية التي جرت في عدد من البلاد تحت أسماء شتى : منها العلم الروحي ، وما وراء الروحي ، والباراسيكولوجي ، وذلك على الإجمال الآتي : -

أورو : فبالنسبة لتقدم الرياضة ، فإن الاعتقاد الذي كان سائداً في تحليل الحياة هو تحليلها بالمصادفة ، أو بالأدق تحليلها بأن انفجاراً خامساً قد حدث منذ ملايين السنين في مكان ما من الكون ، فولدت هذه المصادفة غير العاقلة قوانين عاقلة للحياة واللوعي . أما الآن فقد أثبتت الرياضة الحديثة أن المصادفة تخضع بدورها لقوانين رياضية تنفي تماماً قدرتها على خلق هذا العدد الهائل من النواميس المتكاملة المترابطة ، ومن الحقائق التي تلزم مجتمعة لنشوء الحياة وللحفاظ عليها ، سواء في صورتها الحية أم النباتية أم الجمادية . فالمصادفة - التي هي من معدن الفوضى - أصبحت في حقائق الرياضة الحديثة لا تصلح لتفسير نشوء الحياة ولا للحفاظ عليها . خصوصاً بعد أن ظهر كتاب الطبيعة أكثر عنقاً وإحكاماً بمراحل كثيرة من أي كتاب خطته

يدأ علم العلماء وأعظم الرياضيين ، يستوى فى ذلك كتاب الفلك مع كتاب الكائنات الحية مع كتاب الحياة النباتية . بل حتى مع كتاب المادة الصلبة التى تبين أنها تمثل فى تكوين بروتوناتها وإلكتروناتها إحكاماً فلكياً ورياضياً يذهل الألباب ، حتى إن الذرة الواحدة أصبحت - على ضآلتها المتناهية - تمثل مجموعة شمسية كاملة ، فيها كل الإعجاز الذى تمثله أية مجموعة شمسية ، مهما تقارنت النسب والأبعاد بين المجموعتين . فنشوء الحياة من انفجار قد حدث فى مكان ما من الكون أصبح أبعد احتمالاً الآن من نشوء كتاب بالغ الروعة والإحكام من انفجار قد يحدث فى مطبعة ما ، على ما عبر بعض المعبرين .

ثانياً . وبالنسبة لتقدم الفيزياء فقد كانت النظرية القديمة عن المادة الصلبة أنها تحوى كل خصائص الحياة وأنها قادرة بذاتها على خلق الحياة ، وكانت قدرة المادة تمثل فى مدارس القرن الماضى إيماناً يصل عندها إلى حد البدهة التى لا تحتاج إلى إثبات . وقد ظلت مدارس الإنكار تنذى هذا الإيمان بقدرة المادة وتتغذى به حتى أصبح الأمر بمثابة حلقة مفرغة بين مدارس العلم المادى ومدارس الإنكار ، سرعان ما وجهت «مبادئ» العلم حتى استحوذت عليه الاستحواذ الذى لا يعال بشئ قدر طفولة المعرفة ، وإيمان الإنسان المطلق بذكائه ، فضلاً عن ثقته التامة فى كفاية حواسه للإنباء عن جميع حقائق الحياة .

إلا أن الكشف الحديث عن طبيعة المادة الصلبة بوصفها مجرد أثير فى رتبة اهتزاز معينة نفى عنها نهائياً قدرتها على خلق الحياة والمحافظة عليها . فبعد أن كانت المادة تصالح لتعليل الحياة أصبحت هى نفسها بحاجة إلى التعليل وأصبح أقرب تعليل على للمادة هو تعليلها بالحياة ، وهكذا انقلبت قضية التعليل رأساً على عقب وأصبح السبب نتيجة والنتيجة سبباً ...

أو بعبارة أخرى لقد تبين أن المادة لا تصالح لتعليل أى قانون من قوانين الحياة لأنها ليست أكثر من طاقة محبوسة . ولأن كل ذرة من ذرات

المادة تمثل رغم ضآلتها المفردة في مجموع إلكتروناتها وبروتوناتها مجموعة شمسية كاملة متحركة لا يعوزها شيء ولا تختلف عن أية مجموعة شمسية يعرفها علم الفلك ، إلا من ناحيتي الأحجام والأبعاد ، فمن هو ياترى ذلك الذى حبس ذرات المادة طبقاً لهذا النظام البديع الذى يحير العقول ؟ ومنى وكيف جرى ذلك ... هذا هو الوضع العلى الآن لسؤال تعليل المادة . وإذا كان ثمت جواب ، فلن يكون إلا أن الحياة تعلل المادة ، أما المادة فلا تعلل الحياة ، بعد أن ثبت عجزها وقصورها حتى عن أن تعلل نفسها .

وإذا قلنا إن الحياة تعلل المادة ، فإنما نقصد الروح لأنها علة كل حياة فهى بالتالى علة كل مادة . ونقصد بالروح فى — النهاية — العقل الذى يتفاعل دوماً مع الإلكترونات المادة وبروتوناتها ، والتى تمثل — ابتداء — فى الجسم المادى على المستوى المادى وفى الجسم الأثيرى على المستوى الأثيرى . بل لقد تبين أن كل ذرة من ذرات هذا الكون تملك درجة من الذكاء الفطرى تمكنها من أن تعمل ما يعجز العقل البشرى أن يفهم أسلوبه ووسائله وغاياته فى الحيوان والنبات والجماد على حد سواء ، حتى لقد أصبح الجسم الأثيرى فيما يبدو من خصائص كل جسم مادى بحسب رأى بعض العلماء مثل إدنجتون A. Eddington على ما بيناه آنفاً ، لأنه هو الذى يمسك ذرات المادة أى بروتوناتها وإلكتروناتها^(١) ، أما العقل فهو خاصية قد ميز الله بها الإنسان دون غيره من الكائنات الحية والجمادة . فهو مصدر ذاته الناطقة الواعية ، وهو جزء من الشعلة القدسية التى تصله بجوهر الحياة الكونية .

ناتجاً : أما من ناحية تقدم البيولوجيا (علم الأحياء) ، فقد كانت مبادئ البيولوجيا تعرف الخلية الحية وتعترف بها ، أما سر الحياة الكائن وراءها فقد ظلت لا تكبد نفسها عناء تعليله إلا بلفظة « الحياة » ، أى ظلت تعلل الشيء

(١) راجع ما سبق لى ص ٣٤ - ٣٨ .

بالشيء نفسه ، وهو ليس تعليلًا ، بل هروبًا من التعليل ، يشبه في الكثير محاولة الهروب من البحث فيما وراء المادة عند الماديين ، والهروب من التقدم عند الجامدين !

ولكننا نرى غصن شجرة ، ونلسه ، ونعرف أنه يؤدي للشجرة وظائف هامة عاقلة ، خطتها مقدما طبيعة عاقلة ، ومثله جذع الشجرة ، وجنودها ، وتربتها التي تستمد منها بعض أسباب الحياة ، وما يحيط بالشجرة من هواء ومن ضياء ومن ماء ، فكل هذه الأشياء وظائف عاقلة محددة مقدما ، لازمة للحياة في وجودها وفي نموها وفي ازدهارها وفي ذبولها وفي تطورها . ولكن قوانين المادة عاجزة تماما عن أن تهيئنا عن تساؤلنا الهامة عن سر الحياة ... وهي كيف ؟ ولماذا ؟ وإلام ؟ وعلام ؟ ... وكيف جاءت الشجرة كلها — بغصنها وجذعها وجنودها — من بذرة ضئيلة الحجم والقيمة كانت تبدو بحسب مظهرها جسيما مينا لا حياة فيه ولا أمل يرجى في حياة ؟ بل كيف تتحول البذرة الواحدة عن طريق الإنبات إلى بذور كثيرة ؟

ونحن نأكل بيضة دجاجة مكونة من مادة هلامية رخوة ، ولكننا نعلم جيدا أنها لو تعرضت لدفع معين لمدة معينة لتتحول ما فيها من مادة رخوة إلى كائن مزوّد بالحياة ، قابل للنماء ، متكامل الأعضاء ، يختلف تماما عن المادة الرخوة ، لأنه يبصر ويسمع ، ويصيح ويحري ، ويتنفس ويشعر ، فيحب ويكره ، ويطمئن ويخاف ، ويرضى وينضب ، ويجوع ويشبع ، حين لا تفعل ذلك البيضة قبل وضعها في هذا الدفء العجيب الذي يخرج الحي من الميت والميت من الحي !

بل نحن نسير على التراب في احتقار تام له ، لفرط كثرته ، لكن هل يقدر العلم الحديث — بكل وسائله ومعداته — أن يصنع ذرة تراب واحدة من العدم ؟ وهل يقدر أن يهب ذرة التراب هذه الطاقة التي تمكنها من أن تؤدي وظائفها في إنبات النبات ، وبناء جسم الإنسان والحيوان ، ومن أن

تموج بكل أسباب الحياة التي تجعلها تصنع الحياة النامية المتطورة ، بل تصنع الوعى والأخلاق ، حسبما يذهب إليه نفس المذهب المادى فى تعليل الحياة ؟ ومثله إلى حد كبير المذهب الوضعى ؟

وإذا تأملت فى الإنسان وجدت عجباً يفوق ذلك بكثير . فبحسب المذهب المادى مصدر الإنسان د شىء ، ضئيل الشأن لا يختلف كثيراً عن ديدان الأرض الصغيرة ، بل هو أضالها إطلاقاً لأنه لا يرى بالعين المجردة . ثم عملية تلقىح ، فانقسام سريع ، للخلية الحية . ولكن هل يعطى هذا القول أى تفسير لما يتمتع به الإنسان من عقل ومن إحساس ، وللبركز الممتاز الذى وضعته فيه الطبيعة ؟ إن هذا القول قد يعطى تعليلاً للنمو وللشكائر ، ولكنه لا يعطى تعليلاً للعقل المخلوق ، الذى يمكن وراه بالضرورة عقل خالق .

أما علم الروح فلا يجد فى هذا القول — قول تلقىح البويضة ثم انقسام الخلايا — سوى تعليل مبدئى لصنع الرداء الخارجى الذى يرتديه الإنسان ، وهو جسده المادى . أما صاحب الرداء ، فلا يزال بعد — بغير تعليل . لأنه الروح الخالدة السابقة فى الوجود على الرداء ، لأن صاحب الرداء ينبغى أن يوجد أولاً ، ثم يبحث عن ردائه فيما بعد .

ولذا اتجهت كافة العقائد كما اتجهت الفلسفة العريقة — من قبل الأديان ومن بعدها — على أن خلق الروح سابق لخلق الجسد ، أو بالأحق أن الله يخلق الروح ثم تصنع الروح رداءها هنا ، وهناك . وهى تصنعه أبداً من مادة ، قد تكون ترابية وقد تكون أثيرية ، ولكنها فى النهاية خاضعة للإحساس ولازمة للروح : لاعتقالها بهدف الارتقاء ، وللتعرف عليها فى المستويين المادى والروحى . ولكنها فى النهاية لا غنى عنها ، لأن العقل لازم للمادة ، كما أن المادة لازمة للعقل . وإذا كانت المادة الترابية لا تناسب الروح ، حاملة العقل — عند ما تعود من المستوى الروحى الذى منه جاءت وإليه تعود — فينبغى أن تتخلى عن ردائها الذى جاء بدوره من

التراب وإليه يعود ، لأن هذا الفاسد (جسد الإنسان) لا بد أن يلبس عدم فساد ، وهذا المات عدم موت . ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد وليس هذا المات عدم موت حينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى غلبة ، (١) .

وهكذا كانت الخلية الحية معتبرة في الماضي مصدراً للحياة ، أما الآن فإن الاتجاه الصريح في البيولوجيا هو أن الحياة هي مصدر الخلية الحية لا العكس . لأن الحياة هي وحدها التي تمل قدرة الخلية على أن توجد أولاً ، ثم قدرتها ثانياً على أن تنمو وتتكاثر وتعرف سيلها إلى اقتراع غذائها من الأرض ومن الماء ومن الهواء - فتصنع لنفسها الرداء - وعلى أن تدافع عن نفسها ضد عوامل الفناء ، وعلى أن تتصرف بحكمة العقل الغريزي في كل شئونها ، أما لو قيل إنها هي مصدر الحياة لظلت هذه الأمور مسائل معلقة بلا جواب ولا ارتواء .

فالخلية الحية هي مجرد مظهر خارجي للحياة إذأ - وهي ملازمة للروح - وليست مصدراً لها ، كما أن الجسد المادى مظهر للروح ، وليس مصدراً لها ، حتى يقال إن الروح تفنى بفناءه وتبقى ببقائه .

* * *

هذا عن البيولوجيا من زاوية البحث في الخلية الحية ، وعنهما من زاوية البحث في قانون التطور عن طريق الانتخاب الطبيعي فقد كانت نظرية التطور - بوجه خاص - مؤسسة على أسس مادية صرف . وكان يخيل للعلماء في وقت من الأوقات أنه لا قيام لها إلا على هذه الأسس . أما الآن فقد أمكن تأسيسها على أسس تعترف بوجود عالم آخر لامادى وراء المظهر المادى للوجود ، وبقوى روحانية وراء التطور تدفعه للأمام ، وتأخذ بيده طبقاً لسنن محكمة لا تمت للصادقة العمياء بصلة ما ، فظهر التطور بذلك أقوى سنداً

(١) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (١٥ : ٥٤ ، ٥٣) .

وأسمى حكمة، وأشد وضوحاً، وأخطر رسالة في الحياة مما كان في تصور بعض علماء التطور في القرن الماضي^(١).

وفي الباب المقبل سنبين كيف أمكن لسير ألفرد رسل والاس A. R. Wallace - وهو الذي أعلن نظرية التطور مع تشارلس داروين في سنة ١٨٥٨ - ويعتبر نداءً له في البيولوجيا - أن يتحول - بعد بحوثه في الروحية التجريبية واقتناعه بها - إلى مؤمن بهذا التطور الخاص لنواميس روحانية. كما سنبين كيف أقام الفيلسوف العظيم برجسون نظرية «التطور الخاطئ» evolution creatrice على أسس روحية صرف. وهكذا انتهى عصر «التطور المادي» كما يبدأ في القرن الحالي عصر آخر للتطور الروحي الذي لا يبنى خضوع الإنسان لقوانين آلية، لكنه يبنى أن يعد بالآقل «آلة روحية» Automate Spirituel بحسب تعبير وللم، وبالتالي يبنى أن يعد روحاً مسيطرة فيه على عنصره الآلي اللازم لوجوده في المستوى الحالي للوجود.

رابعاً : تم جاءت بحوث في شتى أنحاء العالم، تحت وصف البحث الروحي Psychical Resesroh وما وراء الروحي La Métapsychyique والباراسيكولوجي، ونجحت ابتداء في تحطيم قيمة المنح بوصفه مصدراً للعقل وفي تحطيم الخرافة القديمة التي كانت تتصور أنه لا قيام للعقل بدون المنح، بعد أن تبين أن العقل يصلح مصدراً للمنح، كما تصلح الروح مصدراً للمادة،

(١) راجع في للذهاب الروحية للتطور :

H. Bergson : L'Evolution Créatrice.

G. Geley : De l'Inconscient au Conscient 1919.

Henry Roger : Religion et Rationalisme 1937.

Viggo Cavling : The Collective Spirit 1925.

وله ترجمة إنكليزية عمرة W. Worster

ومؤلف سير أوليفر لودج من «التطور والخلق» (١٩٢٦).

Evolution And Creation.

ولا يصلح المنح مصدراً للعقل كما لا تصلح المادة مصدراً للروح . وقد
أشرنا إلى آراء عدد من أحسن الفلاسفة والعلماء في هذا المعنى وبخاصة
كلود برنار^(١) وبرجسون^(٢) وریشيه^(٣) في فرنسا ، وهانز دريش في النمسا
ورايين في أمريكا^(٤) ، ويوجد غيرهم الآن علماء كثيرون من أرفعهم مستوى
وأعمقهم تفكيراً .

وقد نجحت هذه البحوث في إثبات ما يترتب على ذلك ، وهو إمكان
الإدراك عن غير طريق الأعضاء المادية extra-sensory perception ،
أى أن حواس الإنسان غير مرتبطة حتماً بأعضائه المادية ، وأنها أعظم
مدى بكثير مما كانت تصوره آراء فرويد وغيره من أقطاب المدارس
المادية في السيكلوجيا . وبالتالي نجحت هذه التجارب في إثبات عدم الارتباط
المحتوم بين الوعى والجسد المادى ، وهذا هو كل المطلوب لجعل الحياة بعد
الموت حقيقة يقع فيها عبء الإثبات على من ينفيها لا على من يثبتها ، على
ما لاحظته برجسون أعظم فلاسفة هذا القرن .

ثم نجحت هذه البحوث فيما هو أكثر من ذلك كله — وأشد خطورة
— وهو إمكان إنشاء صلات بين وعى الذين غادروا أجسامهم المادية
ووعى الذين لم يقادروها بعد ، وهذه هى رسالة الاسبرتزم الصرفة التى
احتضنها أخيراً العلم الروحى الحديث ، وتولت شئونها هيئات علمية جادة
أعلنت بكل وضوح وإصرار ، بعد بحوث طويلة شاقة ، مفرطة في مشقتها
ودقتها ، أن الحياة بعد الموت قد ثبتت علمياً عن هذا الطريق . فأصبحت هذه
البحوث الآن جزءاً من مناهج الدراسة ، ومن النشاط العلمى فى عدد من
أرقى جامعات العالم وأعرقها ، فضلاً عن الهيئات العلمية المنتشرة فى كل مكان
منذ نصف قرن بالآقل .

(١-٣) راجع ما سبق فى الجزء الأول من ٣٥٢-٣٥٧ و٤٣٣-٤٣٧ وما سيجىء .

عن برجسون فى الباب القبل .

(٤) راجع ما سبق فى الجزء الأول من ١٧٧ - ١٨٠ .

العلم الحديث بنجم نور الإيمان بالله وبالفرد

فلا غرابة إذا كان العلم الحديث — في شتى فروعه — قد أخذ بدوره يتجه اتجاهها واضحا وصرىحا منذ أوائل القرن الحالى نحو الإيمان بالله تعالى وبالخلود كحقيقة مقررة يشعر بها القلب قبل العقل ، على ما لاحظته الفيلسوف الرياضى بسكال (Pascal (Blaise) (١٦٢٣ — ١٦٦٢) .

وأصبح أحسن علماء المادة في العصر الحالى هم أكثر الناس حديثاً عن الله تعالى وأعمقهم بياناً لحكم آثاره في الكون ، إلى الحد الذى يصدق عليه قول الأستاذ كريسي موريسون Cressy Morrison — الذى كان رئيساً للجمع العلمى بنيويورك — بأنه « كلما ازداد ضياء العلم سطوعاً جلا لنا شيئاً فشيئاً عظمة الخالق ، وبذلك صار الإيمان القائم على العلم يدنو بنا رويداً رويداً من معرفة الله » (١) .

* * *

وفي هذا الشأن يقول أينشتاين Einstein — أبو الرياضنة الحديثة — إنه توصل إلى إثبات وجود الله تعالى بالمعادلات الرياضية ، وهو يحسب أن

(١) في كتابه « الإنسان لا يقف وحده » Man Does Not Stand Alone وقد نقله إلى العربية الدكتور محمود صالح الفاكى وكيل وزارة المالية والاقتصاد سابقاً تحت عنوان « العلم يدعو للإيمان » .

ومن أفضل الكتب العربية في تعريف القارىء بموقف العلوم الحديثة من الإيمان المستنير كتاب « البينة على الله في كون آخذ في الاتساع » The Evidence Of God In An Expanding Universe الذى ظهر في سنة ١٩٥٨ ، وهو يتضمن آراء حوالى ثلاثين من أبرز العلماء الأمريكيين المعاصرين في أسباب إيمانهم بالله تعالى ، وقد جمعها القس جون كلوفر مونسما John Clover Monsma ، وترجمها إلى العربية الدكتور الدمرداش عبد الحميد سرحان تحت عنوان « الله يتجلى في عصر العلم » وراجعها وعلق عليها الدكتور محمد جمال الدين الفندى . وفيما بعد سنقدم مقتطفات سرية من بعض هذه الآراء . ومن الكتب الطيبة أيضاً في هذا التعريف ، ولئان للأستاذ عباس محمود العقاد وحما « الله » و« عقائد المفكرين في القرن العشرين » . وكتاب « إرادة الاعتقاد » للفيلسوف وليام جيمس وقد نقله إلى العربية في جزئين الدكتور محمود حب الله . ومنها كتاب « مع الله في السماء » للدكتور أحمد تركى مدير جامعة القاهرة سابقاً .

الإيمان به على أنه « ذات » ، بقية من تشبيهات الأدبان الأولى . كما يؤمن أينشتين بعالم آخر غير عالم الشهادة ، ويقول إن الإنسان الذي لم يختبر وقته من وقات الصوفية حيال ذلك العالم الآخر ولم يشعر نحوه بالروعة هو حتى حكمه حكم الميت . ولب الديانة عنده أن نعلم أن الذي لا تنفذ إليه بمداركنا هو موجود حقاً ، متجلى حقاً ، يطالعنا بالحكمة العليا والجمال الرائع ولا تحيط عقولنا الكلية منه إلا بأشكال بدائية كالظلال ،^(١) .

كما يقول أيضاً عن الدين : « إن ديني يتألف من إعجاب متواضع بالروح الأعلى غير المحدود الذي يكشف عن نفسه في تفصيلات بسيطة تستطيع عقولنا الواهنة الضعيفة أن تدركها ، فهذا الاقتناع العاطفي العميق بوجود قوة عاقلة عظمى تكشف في ذلك الكون غير المفهوم — يكون عندي رأيي في الله » .

ويقول : « إن أجمل عاطفة وأعقبا يمكن أن نمارسها إنما هي شعورنا بالحقى الغامض . هذه العاطفة هي التي تبذر العلم الصحيح كله . وذلك الذي لا يحس بهذه العاطفة ، والذي لا يستطيع بعد ذلك أن يدهش ويحنى هامته احتراماً فإتاما هو شخص ميت . ولأن نعرف أن مالا يمكن أن يستقصى منا موجود فعلا ، مظهر نفسه بأنه الحكمة العليا والجمال البالغ التائق — وهما ما تستطيع قرائننا البليدة أن تدركهما حتى في أقصى صيغهما البدائية ، هذه المعرفة أو هذا الشعور هو مركز الدين الحق » . كما يقول أيضاً : « إن الإيمان هو أقوى نتائج البحوث العلمية وأنبأها »^(٢) .

(١) عن الأستاذ العقاد في مؤلفه « عقائد المفكرين في القرن العشرين » ص ٩٨ وهو يعيد القاريء إلى كتابين لأينشتين أولهما « الدنيا كما أراها » The World As I see . وثانيهما كتاب « من سنواتي الأخيرة » Out Of My Later Years .
(٢) راجع كتاب « الكون والدكتور أينشتين » لمؤلفه الدكتور لانسكون بارنيت Lincoln Barnett وقد قرطه لأينشتين مقدمة وضعها له . ونقله إلى العربية الأستاذ محمد عاطف البرلق في تحت اسم « العالم وأينشتين » في مجموعة الترا رقم ١٦٤ عدد أكتوبر سنة ١٩٥٥ . وبالفرنسية راجع كتاب « أينشتين والكون » Einstein Et L'Univers تأليف شارل نوردمان Charles Nordmann يترصد باريس .

ويقول سير آرثر تومسون Arthur Thompson عالم الطبيعة المعروف « ليس للعقل المتدين أن يأسف اليوم لأن العلم الطبيعي لا يخلص من الطبيعة إلى ما فوق الطبيعة ، إلا أننا خلقناه أن نعتبط لأن العلماء الطبيعيين قد يسروا للنزعة الدينية أن تنفخ في جو العلم حيث لم يكن ذلك يسيراً في أيام آبائنا وأجدادنا . . . فنحن نقرر عن روية أن أعظم خدمة قام بها العلم أنه قاد الإنسان إلى فكرة عن الله أنبل وأسمى . ولا نجاوِز المعنى الحرفي حين نقول إن العلم أنشأ للإنسان سماء جديدة وأرضاً جديدة ، وحفره من ثم إلى غاية جهده العقلي ، فإذا به في كثير من الأحيان لا يجد السلام إلا حيث يتخطى مدى الفهم ، وذلك في اليقين والاطمئنان إلى الله . . . »

ثم تساءل تومسون « ألا يمكن أن يستعين العلم بالدين ؟ » فقال إنه يشك أن يسمع جواب هذا السؤال من زملائه بالنفي القاطع ، ولكننا ينبغي أن نفهم أن العلم للحياة وليست الحياة للعلم ، وإذا كان عمل العلم المباشر أن يفهم فعله غير المباشر أن يزيل الشرور ويزيد الطيبات . ومن الشعور الديني يستمد العالم ثروة حيوية نعم الممدد للبصيرة في الكشف عن المجهول ، ثم اختتم كلمته قائلاً مامعناه إن الإنسان يحبل حاجته إذا وضع الدين أمام العلم موضع المناجزة وقال لنفسه إما هذا وإما ذاك . فالعلم الذي نحن على يقين منه أننا بحاجة إلى مزيد من العلم ومزيد من الدين ، (١) .

ويرى سير آرثر إدنجتون Arthur Eddington العالم الرياضي المعروف « أن تفسير الكون بالحركة الآلية أمر لا يسيغه العلم الحديث ، وأن الكون أخرى أن يفسر بالنسب الرياضية في عقل عاقل ، ولكن الإنسان هو سر الكون الأكبر ، وهو الذي يدرك هذه النسب ويدرك ما بين عقله وعقل الكون من علاقة وثيقة ، وأنه إذا جاز للحركة الآلية أن تخلق في المستقبل إنساناً آلياً فليس مما يجوز في العقول أن نتخيل ذلك

(١) عن « عقائد المفكرين في القرن العشرين » ص ٩٣ ، ٩٤ .

الإنسان سائلاً عن الحقيقة أو مبالغاً بأسباب الحق والباطل . ولكن هذا الشوق إلى الحقيقة هو لب لباب الحياة ، وهو هو محور الوجود الإنساني منذ نجم من صلب هذه الطبيعة : هذا هو الذى يجعل الإنسان شيئاً مغايراً كل المغايرة لما حوله من الظواهر الطبيعية ويجعله قوة روحانية . . . ومتى ارتفعت الصيحة من قلب الإنسان : فيم كل هذا ؟ لم يكن جواباً صالحاً لتلك الصيحة أن ننظر إلى هذه التجارب التى نتلقاها من حسنا ونقول : كل هذا هو ذرات وفوضى ، وهو كرات نارية تحوم وتحوم إلى الفضاء المحتوم . . . كلا . بل الأحرى أن نفهم أن كل هذا وراءه روح يستوى الحق فى عرابها وتكمن فيها قوا بل لتنمية الذات ، بمقدار ما فيها من النزوع إلى تلبية عناصر الخير والجمال . . . (١).

ويقول أيضاً العالم الفيلسوف الطبيعى سير جيمس جينز James Jeans إن الكون كان فيما مضى بمثابة آلة كبرى فأصبح الآن فكرة كبرى بعد أن عرفت حقيقة المادة . كما يستدل بالنسب الرياضية على وجود الله ، لأننا لم نستخرج هذه النسب من الكون بل استخرجناها من عقولنا ، فلما عرفناها وطبقناها على ما حولنا عرفنا أنها كانت موجودة عاملة قبل أن نهتدى إليها وتترقى إلى مراقبة عملها فى نوااميس الكون والحياة . فحق لنا أن نفهم أن هذه الحقائق الرياضية هى حقائق عقل إلهى أودعها أفكارنا ، كما أودعها هذه العوالم من حولنا

* * *

وعندما مثل فرانك ألن Frank Allen عالم الطبيعة البيولوجية والأستاذ بجامعة مانيتوبا Manitoba بكندا عما إذا كانت نشأة العالم مصادفة أم قصداً أجاب بما تلخيصه « إن نظرية المصادفة والاحتمال تقدمت كثيراً من الوجهة الرياضية حتى أصبحنا قادرين على التنبؤ بحدوث الظواهر التى نقول إنها

(١) عن كتاب « الله » الطبعة الثانية ص ٢٨٨ .

تحدث بالمصادفة ولا نستطيع أن نفسر ظهورها بطريقة أخرى (مثل قذف الزهر في لعبة النرد) . وقد صرنا بفضل تقدم هذه الدراسات قادرين على التمييز بين ما يمكن أن يحدث بطريق المصادفة وما يستحيل حدوثه بهذه الطريقة ، وأن نحسب احتمال حدوث ظاهرة من الظواهر في مدى معين من الزمان ...

إن البروتينات من المركبات الأساسية في جميع الخلايا الحية . وهي تتكون من خمسة عناصر هي : الكربون والأيدروجين والنيقروجين والأكسجين والكبريت . ويبلغ عدد الذرات في الجزيء البروتيني الواحد ٤٠٠٠ ذرة . ولما كان عدد العناصر الكيميائية في الطبيعة ٩٢ عنصراً موزعة كلها توزيعاً عشوائياً فإن احتمال اجتماع هذه العناصر الخمسة لكي تكون جزيئاً من جزيئات البروتين يمكن حسابه لمعرفة كمية المادة التي ينبغي أن تخطط خطأ مستمراً لكي تؤلف هذا الجزيء ، ثم لمعرفة طول الفترة الزمنية اللازمة لكي يحدث هذا الاجتماع بين ذرات الجزيء الواحد .

وقد قام العالم الرياضى السويسرى تشارلز يوجين جاى بحساب هذه العوامل جميعاً فوجد أن الفرصة لا تنهياً عن طريق المصادفة لتكوين جزيء بروتيني واحد إلا بنسبة ١ إلى رقم عشرة مضروباً في نفسه ١٦٠ مرة وهو رقم لا يمكن النطق به أو التعبير عنه بكلمات . وينبغي أن تكون كمية المادة التي تلزم لحدوث هذا التفاعل بالمصادفة بحيث ينتج جزيء واحد أكثر مما يتسع له كل هذا الكون بملايين المرات .

ويتطلب تكوين هذا الجزيء على سطح الأرض وحدها عن طريق المصادفة بلايين لا تحصى من السنوات قدرها العالم السويسرى بأنها عشرة مضروبة في نفسها ٢٤٣ مرة من السنين ... وعلى ذلك فإنه من المحال عقلاً أن تتألف كل هذه المصادفات لكي تبني جزيئاً بروتينياً واحداً .

ولكن البروتينات ليست إلا مواد كيميائية عديمة الحياة ، ولا تدب فيها

الحياة إلا عندما يحل فيها ذلك السر العجيب الذى لا ندرك من كنهه شيئاً .
إنه العقل اللانهاى ، وهو الله وحده الذى استطاع أن يدرك ببالغ حكمته
أن مثل ذلك الجزء البروتينى يصلح لأن يكون مستقراً للحياة فبناه وصوره
وأغدق عليه سر الحياة ، (١) .

كما قرر روبرت موريس بيج Robert Morris Page عالم الطبيعة
« لا بد لنا أن نسلم بما يسلم به الكثيرون من أن قدرتنا على الملاحظة
لا تستطيع أن تمتد لغير جزئ ضئيل نسبياً من الحقيقة الكلية . فالإله الذى
نسلم بوجوده لا ينتمى إلى عالم الماديات ولا تستطيع حراسنا المحدودة أن
تدركه . وعلى ذلك فمن العبث أن نحاول إثبات وجوده باستخدام العلوم
الطبيعية لأنه يشغل دائرة غير دائرتها المحدودة . فإذا لم يكن للإله وجود
مادى فلا بد أن يكون ذلك الإله روحانياً . أو هو يوجد فى عالم من الحقيقة
غير ذلك العالم الفيزيقي على أية حال ، وبذلك فإنه لا يمكن أن تحده تلك
الأبعاد الثلاثة ، أو أن يكون خاضعاً لقيود الزمان التى نعرفها . ولا بد أن
نسلم أن هذا الكون المادى الذى يخضع لقيود الزمان والمكان ليس
إلا جزء يسير من الحقيقة الكبرى التى ينطوى عليها هذا الوجود ، (٢) .

وقرر جون كليفلاند كوثران John Cleveland Cothran أستاذ العلوم
الطبيعية بجامعة كورنيل Cornell ودالوث Duluth ومينيسوتا Minnesota
وغيرها « قال لورد كيلفن — وهو من علماء الطبيعة البارزين — هذه العبارة
القيمة « إذا فكرت تفكيراً عميقاً فإن العلوم سوف تضطرك إلى الاعتقاد
فى وجود الله » ثم أضاف كوثران « ولا بد أن أعلن عن موافقتى كل
الموافقة على هذه العبارة . إن ملاحظة هذا الكون ملاحظة تقوم على الخبرة
والذكاء وتدبر ما نعرفه عنه من جميع النواحي سوف تقودنا إلى التسليم

(١) من « الله يحل فى مصر العلم » ص ١١ ، ١٢ .

(٢) للرجع السابق ص ١٥ .

وجود ثلاثة عوالم من الحقائق هي : العالم المادى (المادة) والعالم الفكرى (العقل) والعالم الروحى (الروح) (١) .

وقال إدوارد لوثر كسيل Edward Luther Kessel أستاذ علم الأحياء بجامعة سان فرانسيسكو ، لما كانت الحياة لاتزال قائمة ، ولاتزال العمليات الكيماوية والطبيعية تسير فى طريقها ، فإننا نستطيع أن نستنتج أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً ، وإلا لاستهلك طاقته منذ زمن بعيد وتوقف كل نشاط فى الوجود . وهكذا توصلت العلوم — دون قصد — إلى أن لهذا الكون بداية . وهى تثبت بذلك وجود الله ، لأن ماله بداية لا يمكن أن يكون قد بدأ نفسه ولا بد له من مبدىء أو من محرك أول ، أو من خالق هو الإله ، (٢) .

وذهب ولتر أوسكار لاندبرج Walter Oscar Lundberg عالم الفسيولوجيا والكيمياء الحيوية وعيد معهد هورمل Hormel Institute إلى أن إيمان الإنسان بالله ينبغى أن يقوم على ما تدل عليه الظواهر الطبيعية والسنن الكونية ، لكن ينبغى أن يقوم إيمان الإنسان بالله فوق ذلك وبالإضافة إليه على أساس روحانى وأساس من العقيدة والتسليم . فالإيمان بالله مصدر لسعادة لا تنضب فى حياة كثير من البشر . أما المشتغلون بالعلوم الذين يرجون الله فلهيهم متعة كبرى يحصلون عليها كلما وصلوا إلى كشف جديد فى ميدان من الميادين ، إذ أن كل كشف جديد يدعم إيمانهم بالله ، ويزيد من إدراكهم وإبصارهم لآيدى الله فى هذا الكون (٣) .

وقال بول كلارنس إيرسولد Paul Clarence Aehersold عالم الطبيعة الحيوية ، قال الفيلسوف الانجليزى فرانسيس بيكون منذ أكثر من ثلاثة قرون : إن قليلا من الفلسفة يقرب الإنسان من الإلحاد ، أما التعمق فيها فيرده

(١) المرجع السابق ص ٢٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٦ .

إلى الإيمان ، . ولقد كان يكون على صواب فيما ذهب إليه ... إلى أن يقول
أبرسولد : إننا نصل إلى الإيمان الكامل بالله عندما نمزج بين الأدلة العلمية
والأدلة الروحية . أى عندما ندمج معلوماتنا عن هذا الكون المتسع إلى
أقصى حدود الاتساع ، المعتقد إلى أقصى حدود التعقيد ، مع إحساسنا الداخلي
والاستجابة إلى نداء العاطفة والروح الذى ينبعث من أعماق نفوسنا ، (١) .

ويرى جورج إيرل دافيز George Earl Davis رئيس قسم البحوث
الذرية بالبحرية الأمريكية ببروكلين : أن التطور الذى تكشفته عنه العلوم
فى هذا الكون هو ذاته شاهد على وجود الله ، فمن جزيئات بسيطة ليس
لها صور معينة ، وليس بينها فراغ ، نشأت ملايين من الكواكب والنجوم
والعوالم المختلفة التى لها صور معينة وأعمار محددة تخضع لقوانين ثابتة يعجز
العقل البشرى عن إدراك مدى إبداعها . وقد حملت ذلك كل ذرة من ذرات
هذا الكون ، بل كل ما دون الذرة مما لا يدركه حس ولا يتصور صغره
عقل ... ولكن هناك ما هو أشد إعجازاً وأكثر دلالة على وجود الله .
فمن تلك الجزيئات البسيطة لم تنشأ النجوم والكواكب لحسب ، بل نشأت
كذلك أنواع متطورة من الأحياء ، بل كائنات تستطيع أن تفكر وتبتكر
وتخلق أشياء جميلة ، بل هى تبحث عن أسرار الحياة والوجود . إن كل ذرة
من ذرات هذا الكون تشهد بوجود الله ، وتدل على وجوده حتى دون
حاجة إلى الاستدلال بأن الأشياء المادية تعجز عن خلق نفسها بنفسها (٢) .

وقال إرفنج وليام كنوبلوك Irving William Knobloch أستاذ العلوم
الطبيعية فى جامعة ميتشيجان : إننى أعتقد فى وجوده سبحانه لآتى لاستطيع
أن أتصور أن المصادفة وحدها تستطيع أن تفسر لنا ظهور الإلكترونات
والبروتونات الأولى ، أو الذرات الأولى ، أو الأحماض الأمينية الأولى ،

(١) المرجع السابق ص ٣٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٣ .

أو البروتوبلازم الأول ، أو البذرة الأولى ، أو العقل الأول . إننى أعتقد فى وجود الله لأن وجوده القدسى هو التفسير المنطقى الوحيد لكل ما يحيط بنا من ظواهر هذا الكون التى نشاهدها (١) .

وقال كلود م . هاتاواى Claude M. Hathaway العالم فى الآلات الكهربائية والطبيعية للقياس ومصمم أحد العقول الإلكترونية ، إننى أسلم بوجود اللاماديات لأننى أشعر بالحاجة إلى وجود سبب أول غير مادم . إن فلسفتى تسمح بوجود غير المادى لأنه بحكم تعريفه لا يمكن إدراكه بالحواس الطبيعية . فمن الحماقة إذن أن أنكر وجوده بسبب عجز العلوم عن الوصول إليه ، وفوق ذلك فإن الفيزياء الحديثة قد علمت أن الطبيعة أعجز من أن تنظم نفسها أو تسيطر على نفسها .

وقد أدرك سير إسحاق نيوتن أن نظام هذا الكون يتجه نحو الانحلال وأنه يقترب من مرحلة تتساوى فيها درجة حرارة سائر مكوناته ، ووصل من ذلك إلى أنه لا بد أن يكون لهذا الكون بداية ، كما أنه لا بد أن يكون قد وضع تبعاً لتصميم معين ونظام مرسوم ، وأيدت دراسة الحرارة هذه الآراء وساعدتنا على التمييز بين الطاقة الميسورة والطاقة غير الميسورة ، وقد وجد أنه عند حدوث أى تغيرات حرارية فإن جزءاً معيناً من الطاقة الميسورة يتحول إلى الطاقة غير الميسورة ، وأنه لا سبيل إلى أن يسير هذا التحول فى الطبيعة بطريقة عكسية ، وهذا هو القانون الثانى من قوانين الديناميكا الحرارية

ومعنى ذلك بطريقة أخرى أن الطبيعة لا تستطيع أن تصمم أو تبدع نفسها ، لأن كل تحول طبيعى لا بد أن يودى إلى نوع من أنواع ضياع النظام أو تصدع البناء العام . وفى بعض الحالات قد يسير النظام من البسيط

إلى المركب ، ولكن ذلك لا يتم إلا على حساب تصدع أكبر للتنظيم والترتيب في مكان آخر .

إن هذا الكون ليس إلا كتلة هائلة تخضع لنظام معين ، ولا بد له إذن من سبب أول لا يخضع للقانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية ولا بد أن يكون هذا السبب الأول غير مادي في طبيعته (١) .

وقال واين أولت Wayne U. Ault أحد علماء الجيولوجيا وعضو الجمعية الجيولوجية الأمريكية : كما أن الإيمان بمعناه الواسع يعتبر أمراً ضرورياً وجزءاً طبيعياً بالنسبة لوجود الإنسان فإن الإيمان بالله يعد كذلك لازماً لا اكتمال وجود الإنسان وتتمام فلسفته في الحياة . ورغم أن بعض ميادين الخبرة الإنسانية غير مادي ، فإنها ميادين حقيقية لا شك في أمرها ، وتترتب عليها نتائج هامة في حياة الإنسان . وقد لمس مئات الآلاف من الرجال الأذكياء ذوى الشخصيات السليمة المتزنة نتائج الاتصال بالله والإخلاص في عبادته ، لمسوا هذه النتائج في أنفسهم ، وكان إيمانهم بالله سبباً في قضاء حاجاتهم النفسية والانفعالية والروحية بطرق لا تستطيع أن تحيط بكنها عقولنا ، بل عقول البشر جميعاً

لقد ذكرنا أن اعتقاد وجود الله لا بد أن يقوم على الإيمان ... وتؤكد هنا أن الإيمان الذي نقصده هو الإيمان البصير وليس الإيمان الأعمى ، أى الإيمان الذى يقوم على العقل والتدبر . وقد آمن كثير من الناس بالله فذاقوا حلاوة الإيمان في أنفسهم وفي قلوبهم ، بل في العالم المادى الذى تهتم العلوم بدراسته (٢) .

وأما بول إرنست أدولف Paul Ernest Adolph عضو جمعية الجراحين الأمريكية ومؤلف عدة كتب في رسالة الطب فقد قرر : لقد أيقنت أن

(١) للرجع السابق ص ٩٢، ٩٣ .

(٢) للرجع السابق ص ١٣٣ ، ١٣٥ .

علاج الحقيقى لابد أن يشمل الروح والجسم معاً وفي وقت واحد... ولقد وجدت بعد تدبر عميق أن معلوماتى الطبية وعقيدتى في الله هما الأساس الذى ينبغى أن تقوم عليه الفلسفة الطبية الحديثة... لقد وجدت أثناء ممارستى الطب أن تسلىحى بالنواحي الروحية إلى جانب المسمى بالمادة العلمية يمكناننى من معالجة جميع الأمراض علاجاً يتسم بالبركة الحقيقية... أما إذا أبعد الإنسان ربه عن هذا المحيط، فإن محاولاته لانكون إلا نصف علاج، بل قد لا تبلغ هذا القدر (١)».

أما أندرو كونواى أبنى Andrew Conway أستاذ الطب، ورئيس قسم الفسيولوجيا بجامعة نورث وسترن والأستاذ بكلية الطب، فقد ذهب إلى أن «الاعتقاد بوجود الله هو الوسيلة الفكرية السكاملة الوحيدة التى تجعل لهذا الوجود معنى». وهذا الاعتقاد هو الذى يجعل لوجود الإنسان معنى أكثر من أنه مجرد كتلة من المادة أو الطاقة. والاعتقاد بوجود الله هو المنبع لاسمى فكرة إنسانية حول المحبة، والقاعدة التى تقوم عليها الأخوة بين البشر بسبب اجتماعهم على محبة الله وطاعته، وهو مصدر إحساسنا بالحقوق والواجبات، لأننا لا نتساوى إلا في نظر الحب والعدالة والرحمة المطلقة. والاعتقاد بوجود الله هو الحصن الذى يعصمنا من الشرور، وهو بعد ذلك الأساس المتين الذى يقوم عليه الإيمان وتقدم بسببه القيم الروحية التى يعتبر وجودها رهيناً بوجوده تعالى...

إن أحداً لا يستطيع أن يثبت خطأ الفكرة التى تقول إن الله موجود، كما أن أحداً لا يستطيع أن يثبت صحة الفكرة التى تقول إن الله غير موجود، وقد ينكر منكر وجود الله، ولكنه لا يستطيع أن يؤيد إنكاره بدليل. وأحياناً يشك الإنسان في وجود شيء من الأشياء ولا بد في هذه

(١) المرجع السابق ص ١٣٨، ١٤٠.

الحالة أن يستند شكك إلى أساس فكري . ولكنني لم أقرأ ولم اسمع في حياتي دليلاً عقلياً واحداً على عدم وجوده ، تعالى . وقد قرأت وسمعت في الوقت ذاته أدلة كثيرة على وجوده ، كما لمست بنفسى بعض ما يتركه الإيمان من حلاوة في نفوس المؤمنين ، وما يخلفه الإلحاد من مرارة في نفوس الملحدن . . .

إن اعتقادى بوجود الله الذى خلق كل شيء والذى يوجد داخل الكون وخارجه ، والذى يرعاني ويرعاك ، يقوم أولاً على استخدام العقل ، ثم يقوم بعد ذلك على الإيمان والأمل والمحبة . فأنا لا أستطيع أن أمنك الإيمان والأمل والمحبة إلا إذا كانت كلها قائمة على أساس العقل . ولا يجوز للإنسان أن يتخلى عن عقله ، بل لابد من استخدامه استخداماً دقيقاً قوياً . والإيمان الذى لا يسبغه العقل يعتبر إيماناً ضعيفاً هزئياً ، ويكون عرضة للهجمات الفضاظة والفرجة الساخقة .

والإيمان الدينى الذى لا يقوم على العقل يودى إلى الأخلاق السيئة والسلوك الشائن ، ولذلك ينبغى ألا يتخلى الإنسان عن عقله أبداً ، ولا عن المبادئ الفكرية التى تقوم عليها الأعمال والأفكار التى يستخدمها الناس في حياتهم اليومية ، والتى يقوم عليها جميع ما أحرزه هداؤنا من انتصارات في الميادين العلمية . . . فإذا كان التفكير هو وسيلة التقدم المادى فلماذا لا يكون كذلك وسيلة للتقدم الروحى والحقاقى ؟ . . .

لقد درست صفات الله دراسة مطولة على أساس من التحليل المنطقى الذى قام به الفلاسفة . وأمكن باستخدام المنطق الوصول إلى أن لله صفات معينة ، وفيما يلى مجموعة كاملة منها : الله أبدي - خالد - لطيف (ليس مادياً) - ليس حادثاً - قدوس - طيب - يعلم الشر ولكنه ليس شريراً ولا يريد الشر - لا يكره الأشياء - حق - عليم - محب - مريد - منزّه عن الشهوات والنزوات - أصل الفضائل جميعاً . . .

ثم يقول أيضاً : وقد اقتضى التفكير والتاريخ أن أهمية القيم الروحية والخلقية بالنسبة للإنسان ترجع إلى اعتقاده أو عدم اعتقاده في شخصية مقدسة تمثل السكال المقدس وتوجه سلوك الإنسان . إن عقولنا تكشف عن وحدة الكون ونظامه وعن مبدأ السلبية . ولكن هذه الأشياء وحدها لا تكون الدين ، أولاً تكون ديناً ثابتاً إلا عندما يسمح لها بأن تؤثر في حياتنا اليومية على أساس من الحرية في اتخاذ القرارات ، وصدق العبادة لله ، والأخوة بين البشر .

فإذا كنا نريد أن تبقى الحياة على سطح الأرض محافظة على ما عرف عنها في الماضي من معوماتنا نحتاج إلى توجيه مقدس ، فالأحزان والأمراض والكوارث التاريخية تثبت لنا أن الأخلاق والحق والعدالة والرحمة والحرية قد تفقد معنايتها وتؤدي إلى حياة ذليلة خسيسة ما لم تكن متصلة بإيمان عملي ، أو قائمة على أساس . . .

وأعود فأقول هل الأخوة بين الناس اتفاق مادي يقوم على أساس أن القوة وحدها هي التي تحدد سلوك الأفراد والجماعات ، أم أن هذه الأخوة ترجع إلى اشتراكنا في عبادة الله ؟ وأي المصدين يهيئ لها بقاء أطول ودواماً أدام ؟ وهل ترجع حريتنا إلى حرية الروح ، حرية اتخاذ القرارات وحرية العقل ، أم هي مجرد اتفاق مادي له صبغة اجتماعية ؟ (١) ...

* * *

وفي هذا الصدد يتحدث أيضاً إدمونند. و. سينوت Edmund W. Sinnott وهو عالم في النباتات وأستاذ بجامعة هارفارد وبعدد من الجامعات الأمريكية الأخرى ، ورئيس مجلس إدارة الجمعية الأمريكية ، لتقدم العلوم ، في مؤلفه

عن « حياة الروح » ، قائلا : « إن المادية تقضى بأن البدن هو صاحب السيادة المطلقة وأن الجزء اللامادى فى الإنسان يتخذ منه مطية . . . غير أن البدن والعقل إذا كانا نابعين من أصل واحد فكيف نستطيع أن نقضى بأيهما يسيطر على صاحبه؟ وبمقتضى هذا رأى يكون منطقياً أن ننظر إلى العقل - أو النفس - بأنه الأقوم الأعلى منهما . وربما كان الجزء المادى حاصلًا من الروح . لقد كان شارلس كننجلسى أول من تصور أن النفس تفرز البدن كما يفرز الحليزون صدفته . وصور إدمند سبنسر هذا المعنى بطريقة شاعرية .

« من النفس يصدر البدن ، لأن النفس صورة وبها البدن يتصور . »

أقل ما فى الواحدة التى تدافع عنها من نتيجة أن المادة ليست سيادة الموقف . فإذا كان فى تضاعيف التكون مبدأ منظم فقد لا يبعد أن يحل فى كل منا جزء منه هو النفس ، لا مجرد شكل طائر موقوت يتناول الذرات والجزيئات والكميات ، بل جزء من روح أزل كوفى . إن النفس هى أرفع مستويات تلك المقومة الهادقة التكاملية التى هى الحياة . إن هذا افتراض جليل ككل افتراض آخر من شأنه أن يعلل لنا سقائى كثيرة تظل بغيره فائدة المعنى ، وحتى فصل إلى مزيد من المعرفة لطبيعة المشكلات التى لم نفرغ من حلها ، تلك المشكلات التى تزدحم من حول كل شئ تجرى فيه نسمة الحياة ، فلا ينبغي أن تتعجل إلى إنكار احتمال صحتها ورسوخها . . .

ثم يقول سينوت : نسلم بأن للإنسان روحاً هو أسمى وأرفع ما يدور به عن تلك الممكنات المتضمنة فى تضاعيف المادة الموات . . . ونسلم بأن هذا الروح فى مقدوره أن يولد حساسية فائقة نحو ما هو جميل وحق وخير ، ونسلم بأنه جدير منا بالحب والاحترام ، وأن من حوله ، على ما تحاول حركة التجديد الحديثة ، يمكن استحداث جو من الإيمان بالإنسان ، وتقديس لما يمكن أن يكون منقلبه من بعد ، حتى لا يبعد أن يتشكل ذلك فى صورة دين يعتنقه الكثيرون . إذا سلينا بجميع ذلك إذن لنسأل :

آية علاقة قد تقوم بين هذا الروح وآخر أعظم وأشمل منه يغمر الكون الخارجي؟

لقد تكفل الدين بأن يقفر هذه الففرة الواسعة من روح الإنسان إلى الروح الأعظم : إلى الله . إن سلطان الدين وما يضفي علينا من تأكيد وسلوى إنما يقوم جميعاً على الاعتقاد بأن الحقيقة الجوهرية في الطبيعة هي الروح (١)

كما سئل المهندس الكهربائي شارل ب . شيفتس ما لون البحث الذي سوف يعاصر أكبر تقدم في الخمسين السنة القادمة ؟ فأجاب قائلاً : « أظن أن أجل اكتشاف سيكون في الأمور الروحية التي يخبرنا التاريخ بجملاء أنها كانت أكبر قوة في تنشئة البشر ، مع أننا كنا فقط نلعب بها ولم ندرسها بكيفية جدية كما فعلنا بالقوى الطبيعية . ولكن سيأتي اليوم الذي يعلم فيه الناس أن الأشياء المادية لن تهيم بالسعادة ، وأنها عاجزة عن الوصول بالإنسان إلى الإبداع والقوة . وحينذاك سوف يوجه العلماء تجاربهم نحو دراسة الله والصلاة والقوى الروحية التي لا يعرفون عنها إلا النذر اليسير ، وحينما يأتي ذلك اليوم سوف يشهد العالم تقدماً في جيل واحد يبر ما رآه في الأجيال الأربعة السابقة ، . . . »

* * *

ولا نريد أن نستمر في سرد هذه الآراء الصريحة وإنما يكفي أن نجيل القارئ إلى هذا الكتاب الرائع وهو « الله يتجلى في عصر العلم » ، فهو حافل بعشرات من الأقوال العلمية المدروسة التي تعبر عن أسانيد الإيمان العلمي المستنير بالله تعالى وبالروح من لفيف آخر من أفضل العلماء المعاصرين .

(١) عن The Biology Of The Spirit . ترجمة مربية للأستاذ اسماعيل مظهر عنوانها « حياة الروح في ضوء العلم » ص ١٨٥ - ١٨٧ .

وإنه لما يدعو الأسمي أنه في العصر الذي يعود فيه جل علماء المادة إلى تفسير الكون - بكل ظواهر الحياة فيه - بقوانين روحية ، إذ يقول البعض تبدو أميل إلى التعالق بالتفسير السطحي الذي كان يبدو في وقت ما مستنداً إلى أوليات علوم المادة عندما كانت في مهدها ، بل لعلها كانت لم تصل إلى المهد بعد .

والإيمان بالحياة بعد موت الجسد المادى متمم للإيمان بالله وبالروح ، ولقد تبين على مر العصور وجود تلازم تام بين هذين النوعين من الإيمان . فمتى ازدهرت مدارس إنكار القدرة الخالقة في وقت من الأوقات ازدهرت معها مدارس إنكار حياة الإنسان بعد الموت والإصرار على القول بفنائه بسبب فناء الجسد .

ولما ازدهر الإيمان بالخلود ازدهر معه الإيمان بالقررة الكونية العظمى التي هي وراء كل خلود ، لأنها تمثل بذاتها هذا الخلود ، كما تمثل تحقيق العدالة المطلقة عن طريقه ؛ وقد عجز عن هذا المعنى الأستاذ مالكولم جران Malcolm Grant في مؤلف له عنوانه «حجة جديدة لإببات الله والخلود»^(١) ، عندما لاحظ أنه ، إن لم تكن للإنسان حياة أخرى فقد يتعذر الإيمان بالله بمعنى بسعادة خلائقه ، وما أكثر الذين يعفون من الشقاء المرق ، ولكنهم يقصرون في الذكاء أو الخلق أو الحلقة أو الأغراض التي كانوا يحرصون على تحصيلها لو كانت حياتهم مقصورة على أمدّها القصير في الدنيا .

وهكذا ازدهر الإيمان بالخلود في عصرنا الحالى ، كما ازدهر به ومعه الإيمان بالله ، وكان ازدهارهما على أسس علمية مستتيرة بالنظر إلى تقدم العقل في المعرفة ، هذا التقدم الذي لا يتكره إلا من قد يتصور الجود علماً والغبوة هرماناً .

وقد يوضح ذلك أن نذكر أيضاً أنه عندما سئل روبرت بروم Robert Broom عضو الجمعية الملكية البريطانية عن عقيدته بوصفه رجلاً

علمياً ، أجاب بأنه منذ نحو عشرين سنة (وكان ذلك حوالى سنة ١٩٣١) اهتم بعضهم بأن يبحث عن الآراء المادية التى شاعت فى الدوائر العلمية.. هل لا تزال على نفس شيوعها القديم؟ فنتبين أن نسبة ضخمة من أعضاء الجمعية الملكية أجابت بصيغة جازمة بأنها تؤمن بمملسكة الروح ، وبالعباية الإلهية المهيمنة ، وبقاء الشخصية بعد الموت . وظهر أن عدداً آخر من الأعضاء لم يفصح عن رأيه ، أى لم ينسكرك ، مما يشير إلى توافر الشك عندهم أو التردد الذى قد يكون أول خطوة فى طريق الإيمان^(١).

دور الروح فى هذا الاتجاه العلمى

فإذا كانت بعض المعرفة بعالم الحياة قد شيدت دعائم هذا الإيمان المستنير بالعباية الإلهية ، وبالم الروح ، وبقاء الشخصية بعد الموت ، فما بالك ببعض المعرفة بالروح وبعض الفهم لحقيقة عالم الروح ؟

فلا غرابة أننا إذا ما انتقلنا إلى علماء المادة الذين أتيح لهم الاتصال بالظواهر الروحية لبحثها وتحقيق صحتها ، والذين أمكنهم أن يربطوا بينها وبين علمهم المادى ، وجدنا لهم بدورهم حديثاً عميقاً عن الإله تعالى فى جليل قدرته وعظمته ، وعن وجوب الإيمان به ، وتعزيز الصلة به عن طريق العمل الصالح ونقاء الضمير والصلاة المخلصة .

وكذلك الشأن أيضاً فى الفلاسفة الذين اتصلوا عملياً ببحث الظواهر الروحية وتحقيق صحتها ، فإنهم انتهوا إلى فلسفة رائعة سداها الإيمان الوطيد بالله وبالخلود ولجتها توطيد الصلة به عن طريق الضمير اليقظ وإرادة التسامى بالروح . ونقصدهم هؤلاء أمثال وليام جيمس فى أمريكا وهنري برجسون فى فرنسا . وذلك بالإضافة إلى فلاسفة الروحية الصرفة ومفكرها

(١) راجع ص ٢٩ من مجموعة

Modern Spirit Towards Philosophy Of Faith, 1951.

التي جمعتها السيدة برbara وايلين Barbara Waylen وهي باحثة فى الأمور الروحية .

من أمثال فلاماريون وكاردك وليون دنيوز وجابريل ديلان في فرنسا ،
ودويل وستيد وهانن سوافر وإيفانز وباربائل وبول برنتون وغيرهم في
إنجلترا ، وإلى الوسطاء الكبار الذين مهدوا الطريق أمام البحوث العلمية
فيها من أمثال سويد فريج في السويد ، وأندرو جاكسون دافيز وهندسون تاتل
في أمريكا وغيرهم كثيرين .

وغير هؤلاء هؤلاء هناك كثيرون يعدون الآن بالملئات ، وهم موزعون
على جميع أنحاء العالم ، نحمد لهم بدورهم حديثاً عميقاً عن الإله تعالى في هظيم
حكيمته ورحمته وقدرته ، وتقام فيه الأدلة متماسكة مدروسة على وجوده على
نحو كفييل بأن يعيد إلى حظيرة الإيمان المستنير من خيل إليهم أن بمقدورهم
الخروج عليها والتمرد على سننها باسم العلم والمعرفة ، حتى لكان الروحية
الحديثة ليست سوى حقائق تعد الإنسان - كما يقول ديكرت - إلى الرجوع
إلى نفسه ، وإلى تعرف مرتبته في الوجود بين إله القسرة السامية وبين
موضوعات العلم وحقائقه . فعندما يعرف الإنسان مركزه هذا يستطيع
أن يصبح فيلسوفاً ، لأن الفلسفة ليست إلا معرفة الإنسان لذاته وقته . . .

من أقوال الأرواح عن الله تعالى

فإذا تركنا أقوال هؤلاء وأولئك إلى ما تقوله الأرواح الراقية بدورها
عن هذه القوة الكونية العظمى التي تمسك مقاليد الحياة والخلود لوجدنا
فاسفة بسيطة شديدة الوضوح والترابط في فهمها والتعبير عن آثارها ،
فلا يعرف الإلحاد إليها سيلاً ، وليس لمدارس الإنكار أو الشك فيها متسع
بعد ، حتى كأنها تقول كما قال رسكن : إن ذلك الذي يقدمه الله المكان الثاني
لا يقدم له مكاناً ماءً . فهي تريد بتعاليمها أن تضع الله في المكان الأول من قلوبنا
وتجعل من صلتنا به جزءاً من صلتنا بالحياة التي لا تعرف الموت ، ولا تعرف
بإمكان حصوله ، لأن الله بدوره حي لا يموت .

وتستوى في ذلك رسائل الروح جوليا Julia (١) مع حكمة سيلفر بيرش Silver Birch (٢) مع فلسفة أجاشا Agasha (٣) مع تعاليم زودياك Zodiac (٤) وأفراز Aphraar مع آراء هوايت هوك White Hawk (٥) مع إرشادات قياس Pheneas (٦) مع مخطوطات كليوفاس Cleophas (٧) مع نظريات إمبراتور Emperor (٨) مع أفكار هوايت إيجل White Eagle (٩) مع أشعار باشينس وورث Patience Worth (١٠)، مع غير هامن الأرواح الراقية التي أصبح الحديث عن جمال فلسفاتها ومبادئها على ألسنة الناس في كل مكان .

وهي عندما تتحدث عن الإله تعالى في صفاته غير المحدودة إنما تتحدث في ثقة تامة وفي بلاغة رائعة . د فائقه ظاهر في كل شيء — يقول أجاشا — بعليه . . بقدرته . . يارادته . . بصفاته . . بحياته . . وما ظهر الله في شيء كظهوره في الإنسان . فالإنسان يمتاز حتى عن الشمس في تأدية رسالة الخير لأنه محب للخير مفكر في فعله ، فعال له يارادته الخيرة . كما يقول د اعلم أن روح الله الكلية تملأ الوجود ، وأن روحك قدس منها . . . كما يتحدث عن

-
- (١) الوسيط هو سير وليم ستيد .
 (٢) الوسيط هو الكاتب المعروف موريس باربايل (راجع ما سبق في الجزء الأول من ٢٤٩) .
 (٣) الوسيط هو القس ريتشارد زينور (راجع ما سبق في الجزء الأول من ١٢٨) .
 (٤) الوسيطة هي السيدة وينفريد موز Winifred Moyes .
 (٥) الوسيطة هي السيدة كاثلين باركل Kathleen Barkel .
 (٦) كانت هذه الروح تتولى الإرشاد في جلسات سير آرثر كوان دويل (راجع ما سبق منه في الجزء الأول من ٢٣٨ — ٢٤٣) .
 (٧) الوسيطة هي السيدة جيرالدين كاميتز (راجع ما سبق عنها في الجزء الأول من ٢٥٢ — ٢٥٤) .
 (٨) الوسيط هو الأسقف ستانليون موزس (راجع ما سبق عنه في الجزء الأول من ٢٦٣ — ٢٦٥) .
 (٩) الوسيطة هي السيدة نان برنارست Bertha Hurst وجريس كوك Grace Cooke .
 (١٠) الوسيطة هي السيدة كارن Mrs. Carren .

الله تعالى بوصفه المذيع الأكبر ، فكل ما تلقته المخلوقات العاملة من علوم وأداب وقنون وفلسفات صدر أولا من هذا المذيع الأكبر الذى علم الإنسان ما لم يعلم ... وكل ما أسماه علماء النفس والروح من أفكار راقية وخواطر ليس إلا إذاعات الخالق تسجلها عقولنا كأجهزة ضئيلة للاستقبال فلا تدع إلا الأفكار الخيرة التى تعود على المجتمع بالمنفعة . لو فعلت ذلك لكافأتك الأرواح بموجات نورانية مباركة (١).

من أقوال هيريا

كما تقول الروح جوليا Julia فى إحدى رسائلها الجميلة لوسيطها سير وليام ستيد: « لا يوجد شيء فى الوجود أكثر صدقا وحياة وانتشاراً من القول بأن الله والمحبة مترادفان ، وأنت عندما تكره لآى سبب — أولا تحب — فإنك تطرد الله من حياتك . فإذا كانت لدى رسالة واحدة أبحث بها إليك فهي رسالة المحبة .

إذا كنت تريد أن تتشبه بالله فاحبب ، وكل شيء تحبه إنما يقر بك خطوة نحو السماء ، وكل شيء تكرهه إلى الحد الذى يمنحك من حب أى إنسان يبعد بك خطوة عن الله .

ولكن حتى إذا غضبت وسخطت فإنك لست مع الله إذا جعلت الغضب والسخط ينسيانك وأجب الله بالمعتدى ، قد تعاقب المعتدى لكن عاقبه فى محبة ، فإذا كنت تريد أن تعاقب ، وكان الألم الذى تحدثه بخصمك يسعدك فاحذر فإنك خارج نطاق المحبة ، ومعنى ذلك أنك بعيد عن جوهر الله .

وليس معنى ذلك إفساد الناس ، فكن عادلا ، وعادلا إلى آخر مدى ،

(١) راجع ما سبق من هذه الروح ووسيطها فى الجزء الأول من ١٢٨ وما بعدها ، وما سبق فى هذا الجزء من ٣٦ - ٤٣ من بعض الآراء الحديثة لعلماء المادة فى هذا المعنى ، وهو معنى وجود العقل الكونى العام الذى يذم كل علم ومعرفة وإلهام .

علا تهمل معاقبة ابنك لأنك تحبه ، مع أن الألم الذى تنزله به تشعر به أنت أولاً ، وهكذا فإنك لا يمكن أن تعاقب إنساناً عقاباً عادلاً إلا إذا أصاب الألم قلبك أنت أولاً .

وكل مرارة ، وكل شهوة للانتقام ، وكل قسوة فى القلب ، تدفعك إلى عدم الإحساس بالألم الذى قد توقعه بغيرك ، كل ذلك ضد المحبة وبالتالي ضد إرادة الله .

إن الحب الذى يفسد العاقل قاس كالسكرابية ، فهو حجب أنانى . فينبغى أن تضرب بمحبة ، والمحبة تشعر بالضربة قبل أن تصيب المضروب ، فهى تتألم أولاً وتشعر بالقدر الأكبر من الضربة . وهذا درس واحد من الدروس العديدة التى نتلقاها من صفات الله تعالى . . .

إن أعظم شيء وأجمله وأهمه عندما يقارن بغيره — فيبدو غيره عديمًا — هو أننا عن طريق هذا الذى تسمونه موتاً نقرب من الله أكثر من دى قبل ، ونتحقق من وجوده ، ومن حياته فينا ومن حياتنا فيه . وكل ما يمكننا أن نقوله عبارة عن رموز باهتة وقاصرة .

أى صديق : إنك لا يمكنك أن تعرف ، ولا يمكننى أن أزعم أبداً أنى بدأت أوضح لك ، ما فى التحقق من محبة الله لنا من عظمة ومن مجد ومن شعور غير متناه . هذا الشعور الذى نحيما فيه ، وفيه تتحرك ، ومنه نستمد وجودنا . كم كنت أود أن أجعلك أكثر قدرة على الشعور به ، وأن أكون أكثر قدرة على شرحه .

ولكن لا يمكننى أن أقول أكثر من أن هذا الحب أعظم من أى حب حلمت به ، وأنه يتجاوز بكثير كل ما حاولت أن أشرحه لك فى خطابانى الأولى . إن كل ما تعرفونه من الحب الأرضى هو حب الأم لوليدها ، أو العروس لعريسها ، أو الزوج لزوجته . إن كل صنوف الحب التى تعرفونها مع ما فيها من نشوة العاطفة ليست أكثر من ألف باء لغة السماء .

وبقدر ما يكون حكم مثالياً خالياً من الانانية بقدر ما تفهمون الله وتضعونه في داخلكم فيتحقق الأمل المجيد ! ألا ما أعظم أجماد الشمس الشارة بجانب الشماع الرمادى الباهت الذى يسبق الشروق ؟ إنه كذلك أيضاً الفارق بين حياة المحبة التى نحيها والحياة التى تحيونها ، فيما خلا لحظات الإلهام الخاطفة السامية عندما يلبض قلبكم بالشوة المقدسة التى يولدها الإلهام والتفانى فى الحب ... (١)

من أقوال هرايت هوك

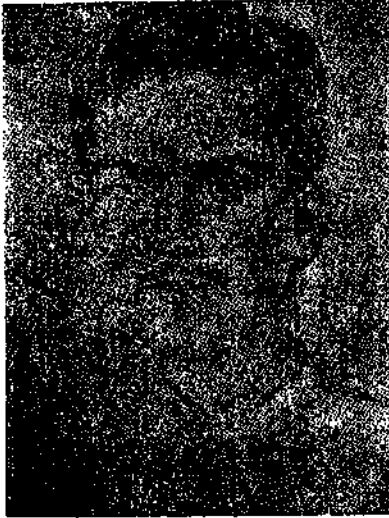
كما تقول الروح هوايت هوك White Hawk (أى الصقر الأبيض) :
« إن رسالتى هى مساعدة الإنسان على إدراك الله فى دخيلة نفسه ، وإلى أن يصل إلى هذا الإدراك فهو غير عليم بإمكانياته . سوف أقول فقط أيها الإنسان ومطالب بارتك السماوى ، لأن فى دخيلتك القوة التى توصلك إلى ملكة السماء .

أعتقد أن فى الإنسان بصيرة تمكنه من تفهم أسرار الحياة والموت ، وفيه القوة التى تمكنه من التغلب على المرض والفقر والانهيار ، أعتقد أن الإنسان إذا ما توصل حقاً إلى إدراك ذاته سوف يكون مخلوقاً بديعاً ، ولكن كيف تغير رجل الشارع بذلك ؟ إنه لن يستطيع الفهم ... »

من أقوال ليتارى

وتقول روح الدكتور ليتارى Lotari المرشد الوسيط لى Lilly المعالج المعروف فى نفس الانجاء أيضاً : « إذا سمعتم للقاء الرب فالرب يستطيع أن يأتى كما يقابلكم ... هناك حياة ليس إلا . كل شئ ما هو إلا حياة . الحياة قوة والقوة هى الروحية ، والروحية هى إحساس الإنسان للإنسان . إن الألوهية هى الوعى الإلهى فى الإنسان ، وهذا معناه نزول السماء إلى الأرض ... »

(١) « بعد الموت » أو خطابات من جوليا من ١٠٤ - ١٠٦ . وزاج ما سبق من هذه الروح لى الجزء الأول من ٢٢٢ وما بعدها .



الدكتور يعقوب

« إن صلاتكم تكون أفضل
عندما تنسون أنكم تصلون . ينظر
الإنسان إلى هنا وهناك باحثاً عن الله
ناسياً أنه تعالى كائن في داخله .

الجسم الطاهر معناه الفكر
الطاهر ، لأن الأفكار الشريرة
تسبب المرض . كيف تكون غنياً
في عالم الروح لا يلزمك أن تؤمن
بالله لحسب ، بل عليك أن تؤمن
بنفسك وروحانيتك أنت . القدرة
الروحية محكومة بالطهارة والقوة
والفهم من جانب نفسك . القداسة
معناها وجود الله في الإنسان ، والقدرة معناها وجود الله في الإنسان ، وعلى
هذا تكون القداسة معناه القدرة (١) .

من أقوال نوردياك

ويقول الروح زودياك Zodiao في خطاب ألقاه في قاعة الموسيقى ببادنبرج
في سنة ١٩٥٧ عن طريق الوسيطة الأنسة وينفريد مورز Winifred Moyes :
« إن الله خلق الإنسان على صورته . وهذا حتى مبين مهما يقل في ذلك
العلماء . ولكن على مر الزمان وبسبب سوء استخدام حرية الاختيار ، فإن
الإنسان قد فقد صورة الله وأصبح شيئاً نصفه روح والنصف الآخر وحش .
بل وجد أناس سقطوا أسفل سافلين ، ليس على هذا الكوكب فقط ، وإنما
في عوالم أخرى أخذت النفس فيها طريقها — وجد أناس سقطوا بعيداً
جداً عن تلك المخلوقات التي أبدعها الله أول خلقه بحيث أصبحوا في صورة
أحط من الوحش نفسه .

(١) من «أرواح مرسة» للدكتور علي عبد الجليل راضي من ٧٩ .

إذا صليتم لله فإنه يسمعكم في الحال ، ولكن الإجابة على الصلاة تأتي على درجات سلم من مخلوقات الله . لأن الله يريد أن ينال بركته كل واحد مثلاً في تلك الحلقات ، بركته على الخدمة ، وعلى علاج الآخرين ، تلك البركة التي تعني أن القوة الإلهية تزود هؤلاء العاملين كما تزود المستحقين ...



« إن الذين يئسوا من الأرواح إنما كانوا يتعاملون مع أرواح مرتبطة بالأرض . ولقد كان الفشل

زودهاك

متوقفاً لأن الوسطاء نسوا أن يصلوا . نسوا أن يبحثوا عما يحب الإله الذي كان من الممكن بالتأكيد أن يبنى حولهم وقاية ضد النفوس الشريرة التي عليها أن تتعلم الكثير .

إنا هنا محاطون بمضيفين من الأرواح ، بأقربائكم ، بأباء من عصر آخر ، بأطفال جميلة تسير معي ومعكم . عمّ يبحثون ؟ إنهم يريدون أن يدخلوا في حقولكم أن معظم النهار قد انقضى ، وأن الليل سادل أستاره ، ولكن الليل يقود إلى الفجر الإلهي البديع . فإذا جاء الفجر هل تفتتح أعينكم على سجل من الماضي النافذ ؟ أم تفتتح على الطريق الماضي ؟ ... ، (١) .

من أقوال أفرار

ويقول أفرار Aphraar الروح المرشد للأستاذ روبرت جيمس ليز Robert James Lees : « لقد كان فضل الله على أكثر مما كنت أتصور ، وكانت الحياة الأخرى مختلفة جداً عما كنت أتوقع . ولهذا فأنا كبشر قد وجدت نفسي عاجزاً عن الصمت ، عندما أدركت أن الصمت ليس مفروضاً علي ، وأن

العطف على الإنسانية والشكر لله يجعلاني أخلد للراحة قبل أن أحمل كل ما في وسعي من التبشير بكرمه تعالى ، ذلك الكرم الذي يفوق كل ما تتصور وما تقدر ، والذي يوجد في تلك الحياة التي تنتظر مباشرة خلف ضوء الشفق الخفيف الذي يظهر في لحظة الانفصال عن الجسد . إن الله الذي كنت أتوقع أن أقف أمام كرمي عدالته لأجده قاسياً لا يغفر كان حقاً أعظم من أي أب ، لم أصمت وحالماً وجدت العودة ممكنة والعوائق الطبيعية مزاحة أجبت رغبة قلبي ، ونشرت على العالم رسالتي الأولى اعترافاً بالجميل (١) . .

من أقوال إمبراتور

كما يقول إمبراتور Imperator — الروح المرشد للأسقف ستانتون موزس — الأستاذ بجامعة لندن — في مؤلفه « تعاليم أخرى للروح » (٢) :
« إننا نتحدث عن الفكرة الصحيحة عن الله ، ليس ككائن شخصي ، إنساني في صفاته فيما خلا القدرة ، ليس كإنسان مجيد ، بل كروح مهيمنة على الجميع وسائدة على الكون . والإنسان على استعداد الآن كيما يتلقى فكرة أكثر اتساعاً عن الله . وأنا أقدم إليكم لها اسمه المحبة التي لا تحدها حدود ، أما فكرة « الإله الشخصي » فقد كانت نتاج عبادة الإنسان لذاته التي سادت في وقت ما في الجنس الإنساني ، وتصحيح مثل هذه الأخطاء جزء من رسالتنا .

إن الله ليس شخصاً ، ولا يجلس على عرش في مكان معين ، بل يسود كل مكان وزمان ، ويرشد الجميع ويحبهم ، بينما يتصوره الإنسان — عندما يكون

(١) من « خلال الضباب » Through The Mists
(٢) More Spirit Teachings.

في جسده — محدوداً بحدود، أما الله — بقدر ما عرفناه — فهو ليس شخصية ذات حدود

والصلاة حسنة ، لأنه عن طريقها يحرك الإنسان قوى يعمل الله عن طريقها ، فمن الخير للجميع أن يصلوا ، والروح البليدة التي لا تصلى لا يمكن أن تصل إلى سفراء الملائكة ، لأن سفراء السماء تجذبهم الأرواح المصلية .
فمن جانب ، علينا أن نتحاشى الخطأ المدمر الذي يحاول أن يجتزل الإله إلى مجردة قوة . ومن جانب آخر علينا أن نحذر من أن نضيق على الإله الوهم الذي يصوره بصورة إنسانية بكل سقطاتها واحتياجاتها ، ولهفتها التي لا تشبع للسلطة .

في الأيام المبكرة صنع الإنسان إلهاً لنفسه ، طاغية بشرياً ، أسوأ مما يقدر الإنسان نفسه أن يكون . أما الله الحقيقي فهو المرشد ، والروح التي تتبع ، وتزودكم بالضوء والمحبة اللذين يمنحان الجمال لكل ما هو حولكم .
فإنه ليس مجرد قوة ، ولا هو البكائن الموضوعي الذي تسمونه الطبيعة .
فحاولوا أن تفهموه وتظرووه بوصفه الروح التي تلهم والتي تسود كل شيء ،
وكلمة الآب هي الفكرة الصحيحة . الطبيعة ليست هي الله ولكنها تعبير عن القدرة السامية ، كما أن اليد ليست هي الجسد ، ولكنها تعبير عن القدرة التي تنتمي إلى الجسد .

وإن أكثر الأفكار ريفاً عن الآب العظيم شاعت بين أبنائه ، فنظروا إليه في الماضي كإله غضوب لا يستعطف إلا بالدموع وبالعويل . كإله يجد نعيمه في أن يلقي بأبنائه في تعاسة أبدية . أما الإله الذي نعرفه — لا الإله الذي تتخيله — فهو إله محبة كاملة وغالدة ، تحتضن الطالح والصالح . إله يتطلع بعطف نحو جميع أولاده ولا يعرف بينهم تمييزاً بسبب المجلس أو الطبق ، ولكنه خنون ومحيب لكل من ينادى اسمه .

أهلوا أمكن الإنسان أن يرى كما نرى حبه الذي لا يهدأ والذي يميل نحو

أشد أطفاله تدهوراً وتعاسة ويمرهم . وكيف أن فرقا من الملائكة تحوط حقيقة أولئك الذين يحبهم . وآه لو أمكن لأعين بنى البشر أن تتفتح كما ترى الهواء من حولهم وقد امتلا بفرق من الكائنات المشرقة ، لمست يقين شغاف قلوبهم ، ولا رفعت أصواتهم بالتعجب والدعاء .

فهل لقلب الإنسان المتحجر الذى أغلق تماماً عن الإحساس بالتأثير الذى يحى من عل أن يشعر بإشعاعات شمس الحقيقة ، وأن يطلق صيحة التعجب لو اهب كل شيء ، إله المحبة السكينة ؟ .

من أقوال سيلفيريث

كما يقول سيلفيريث Silver Birch الروح المرشد للكاتب الكبير موريس باربانيل Maurice Barbanell وسيط جلسات هان سوافر H. Swaffer نقيب الصحفيين البريطانيين (١) في إحدى صلواته المشهورة (٢) :
« أيها الروح الأعظم إنا جميعاً نرغب في أن نكون عبادك المخلصين لننقى صدقك وحكمتك وحبك وفهم قوانينك الطبيعية الخالدة . نود مخلصين أن نعرف أطفالك مكانهم في ملكوتك اللانهاى ، حتى يمكنهم أن يعيشوا حقاً على أنفسهم ، ويتعلموا كيف يستخدمون القوة التى أنعمت عليهم بها في عالم مملوء بالظلام والمرارة والحزن والبغضاء . نرغب في بيان الصدق البسيط عن الحقائق الروحية التى تقوم عليها دائماً الأسس الخالدة للعدل والخير والجمال . غرضنا هو تعليم الذين ضلوا سبلهم ، الذين لا يعرفون أين يجدونك ، أنك موجود في داخلهم ، وأن الروح اللانهاية تقيم بين هياكلهم ، وأن ملكة السماء في الباطن حقاً ، ملكة السرور والسعادة ، ملكة الحكمة والفهم ، ملكة التسامح والبر . »

(١) راجع ما سبق في الجزء الأول من ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(٢) هذه صلاة من بين عدد من الصلوات التى أدلى بها سيلفيريث والتي تعبر عن نفس مشاعره الراقية وعن إيمانه العميق ، ومشهورة في كتاب عنوانه « إلى الروح الأعظم »
To The Great Spirit.

(م ٢٥ — الإنسان روح: ٢٦)

«نحن نرغب في الوصول إلى كل الخزان والمهمومين ، المرضى والمكرويين ، الشكلى والمجهدين والمتعبين والمنكودين الذين لا يعرفون أين يتجهون للإرشاد والفهم حتى يتحققوا أنك لم تتركهم وحيدين ... رسالتنا تشمل العالم المادى جميعه ، لتمييز بين كل الناس الذين يسكنونه ، ونؤكد أن روحك تسرى خلال كل طبيعة بشرية ، وفي كل صيغة فى الكون الجبار وأنها تظهر فى كل ذرة من الشعور .

وبمعرفة الصديق سوف يأتى سلام جديد يوقظ قلوب الناس ونفوسهم وعقولهم ، ويجعلهم يعيشون لبعضهم البعض خادمينك بخدمتهم لأطفالك أينما يكونون

ويناقد سيلفر بيرش كيفية فهم بعض الناس لله تعالى على أنه يشبه ملكاً أرضياً جالساً على عرش من مادة منظورة قائلاً :



« مازالوا متعلقين بأفكارهم من إله على هيئة بشرية . إن القانون يسرى ويتدخل ويظهر فى كل ناحية من الحياة . والقانون لا يعمل خلال الحب فقط إذ يشمل البغضاء أيضاً . القانون يتحكم فى شروق الشمس وفى العاصفة . القانون يعمل خلال الصحة والمرض . هل يريدون شكر الله على شروق الشمس ، ولا يشكروه على المطر ؟ ... »

سيلفر بيرش

« الروح الأعظم هو القانون

الذى يتحكم فى كل حياة . لا شئ يمكنه أن يوجد خارج ذلك القانون طالما علمت ذلك . وما تسمونه البغضاء ما هو إلا تعبير عن نفس غير

متقدمة . النفس داخل القانون . وفي وقت ما يأخذ الفرد الاتجاه الخاطيء . وهذا يبرز أقل صورة من صفة ، إذا ما استخدمت على وجه صحيح كانت هي الحب . الحب والبغضاء يسيران جنباً إلى جنب لأن الصفة التي تساعدك على إظهار الحب هي الصفة التي تستخدمها في التعبير عن البغضاء . إن الحياة تعمل خلال المقارنة ...

إذا سكنت إلى الأبد تحت أشعة الشمس فإنك لن تقدر الشمس . إنك تقدر الشمس لأنك تسكن غالباً في الظل . كذلك الحياة ، أنت تفهم السعادة لأنك ذقت المرارة . تستمتع بالصحة إذا ما عرفت قسوة المرض ، نفس الصفة التي تجعلك مريضاً هي التي تجعلك صحيحاً ، ونفس الصفة التي تجعلك تحب هي التي تجعلك تكره . لاشيء يمكن التعبير عنه خارج القانون الذي يتحكم في كل طور من الحياة ...

لإنكم إذا حددتم يوماً لفظ الروح الأعظم ، فالروح الأعظم لن يكون بعد ذلك الروح الأعظم . سيكون روحاً ذا خصائص ، روحاً محدوداً ، إذ أن طبيعة الروح الأعظم هي أن يكون لانهاية قادراً على كل شيء ، لا يتغير ولا يتبدل ، لا يتوقف عن العمل خلال نفاذ القوانين الإلهية ...

ماذا على أن أفعل ؟ لقد تعلموا منذ زمن بعيد أن الله يوجد في الخير والسبب البسيط هو أنهم صوروا الروح الأعظم كإنسان ضخم ، وبذا فهم لا يريدونه أن يحمل أية صفة يظنونها غير حسنة ، غير رحيمة أو غير عاقلة .

إن الروح الأعظم ليس بشراً . الروح الأعظم هو القانون الذي يتحكم في كل الحياة ، وبدون القانون لا توجد حياة . القانون هو الروح والروح هي القانون ، لا يمكنكم تغيير ذلك . قد يخلق هذا مشكلات طؤلاء الذين لا يستطيعون فهمه ، ولكن بالتقدم سوف يأتي الفهم ويتغير القول بأن

الروح الأعظم يعطيكم الأشياء الحسنة والشيطان يعطيكم الأشياء السيئة ،
لأنكم سترجعون ثانية إلى نفس الورطة القديمة وهى من الذى خلق
الشيطان ؟ ...

الروح الأعظم هو القانون . اعرفوا ذلك ، وعندئذ تتعلمون السر الأعظم
للحياة . لأنكم إذا ما تحققت مرة من أن العالم محكوم بقانون لا يتغير ولا
يتبدل ولا يتحطم قادر على كل شيء عرقت أن العدالة سارية ، وأنه لا يمكن
أن ينسى أحد في تدمير الخليقة العظيم ... (١) .

نعلبي

وهذا الفهم من بعض الأرواح لمعنى الجلالة قد يبدو أقرب إلى حقائق
الاعتقاد والعلم مما من تصوير الإله على صورة ذات أو ملك يجلس على عرش
في رقعة مامن هذا الكون المائل الاتساع . فقد أجمعت العقائد على أن الله
روح أو حبة أو نور على نور ، أو هو « نور السموات والأرض » ،
ولم تجمع في أية صورة من الصور على أنه جسم مادي . ومن ثم فإننا نحيا
في الواقع في الله عندما نعرف كيف نحيا في هذا الروح أو النور أو القانون
الأزلي الذى لا يتغير ولا يتبدل ، ولذا كانت الحياة خالدة لأن الله روح خالده
لا يموت ، أو نور لا ينطفئ . كما اتضح أيضاً من حقائق الفلك والفيزياء
مجتمعة بحقائق الرياضة أن اتساع هذا الكون غير محدود ، أو محدود لكن
قطره يقاس ببلايين السنين الضوئية (٢) .

وروح الله تعالى تملأ هذا الكون كله في جميع الأديان والفلسفات
وتهيمن على كل كبيرة وصغيرة فيه طبقاً لنواميس محكمة غاية الإحكام . ولذا
يصفه سيلفريدش « بالقانون الذى يسرى ويتدخل ويظهر في كل ناحية من
الحياة ... والذى يتحكم في كل حياة ... » . كما يرفض أى تحديد لطبيعته ، إذ أن
طبيعته أن يكون . لا نهائياً قادراً على كل شيء لا يتغير ولا يتبدل ...

(١) من « سفير الأرواح العليا » للدكتور راضى ص ١٨٢ - ١٨٦ .

(٢) راجع ما سبق ص ٤٧ - ٥٢ .

وذلك كله متفق مع كافة العقائد ، وكلها تقوم على التسليم بصفاته غير المحدودة التي لا يحدها حد ولا يقيدتها قيد من مكان ولا من زمان .

وهذا الفهم أقرب أيضاً إلى عقول العلماء عندما يدافعون عن هذه القدرة الكونية غير المحدودة التي انبثقت منها الحياة — ولا تزال تنبثق — بكل قوانينها المخيرة ، ما وصل منها إلى علم الإنسان ، وما لا يزال سراً مغلقاً عليه .

كما أنه أدعى إلى توثيق صلة الإنسان بخالقه ، وشعوره بأنه إلى جواره وأقرب إليه من نفسه فإذا دعاه فهو سميع الدعاء يجب . . ولذا قال بحق أحد الحكماء إنه « بالرغم من عظم تدبير الالكوان وجسامته فإن الله جل جلاله معنا هنا دائماً ، هنا حولنا ، هنا فينا . إنه أقرب للأخ من أخيه ، أقرب من الأم إلى رضيعها ، أقرب من الحبيب إلى حبيبه . أقرب إليكم من قلوبكم ، من دمائكم ، من عقليكم . إن الروح دائماً معكم فتشجعوا ولا تخوروا » عزائمكم . . تعلموا أن تعرفوا أن الله فيكم وفي جميع الآخرين ، وأنكم من الضرورة له بمكان ضرورته لكم ، لأنكم جزء من فكرته ومشيته . تعلموا أن الحياة في كل شيء واحدة ، وافتحوا قلوبكم لفيض الحب الإلهي والحكمة العلوية ، فكونوا راغبين في النور . تقدموا وازدهروا ... » (١) .

وذلك ينتقل بنا إلى موضوع مكمل للإيمان بالله تعالى وهو موضوع الصلاة والابتهاال .

في الصلوة والابتهاال

لا تقتصر تعاليم الأرواح الراقية على تعزيز الإيمان بالله وتثبيت عمده على أسس روحية علمية مفهومة ، بل إنها تطالب الإنسان — كما رأينا في أقوالها الصريحة — بالصلاة الحارة ، وتتطلب فيها أن تكون صلاة إيجابية

(١) من « فلسفة اليوجا » المرجع السابق ص ٣٥٠ .

منبعثة عن القلب لا عن اللسان، عن عميق حجة وعن قوة إيمان . وتؤكد أن صلاة هذا شأنها تقدر على تلقي العون فوراً ، وعلى تحقيق ما نسميه هنا بالمعجزات ، ويسمونه هناك تطبيقات لقوانين الله العادلة التي لم نعرف منها بعد سوى النزر اليسير .

فإيمان العقل أو الضمير لا يكفي ، بل لابد من صلة وثيقة بالله تعزز هذا الإيمان وتنبع منه ، هي صلة الصلاة أو الضراعة أو الابتغال أو الدعاء أو التوسل إليه في أية صورة يستريح إليها ضمير الإنسان ويطمن إليها وجدانه .

وفي هذا الصدد تتحدث الروح الفرعونية نونا التي عاشت في مصر تحت حكم أمنحوتب الثالث (بين سنتي ١٤٠٦ ، ١٣٧٠ قبل الميلاد) على لسان الوسيطة الشهيرة روزماري قائلة عن الحرب والسلام من ناحية صلتها بالصلاة «لقد أثارت الرغبة في خلق السلام موجة من الكراهية عند ذوى العقول الغليظة في عالمكم . لا يمكن أن تحدث عندكم حرب ما لم تنطلق قوة الشر التي قد تتغلب بعض الوقت على قوة الخير .. معظم زعمائكم لا يعرفون الصلاة ، ولو علموا أية قوة هي بين أيديهم لصلوا دائماً . إن الصلاة هي الصلة المباشرة التي بواسطتها يمكن أن تفتتح في أية لحظة صنابير كل القوى العالمية التي يسيرها الله لتنفيذ أغراضه .

إلى أن تقول «إن قوة الفكر في عالمكم اليوم تكون مسجياً واسعة تمنع كل أشعة الضوء الصادرة من العقل والرحمة وحب البشرية (كان هذا قول بين عامي ١٩٣١ ، ١٩٣٦) وليساعد الله دنياكم إذا لم يبرز ينبوع للقوة يمكنه الانتفاع عالياً ..» (١)

* * *

(١) من كتاب «روح فرعونية تتكلم» تأليف الدكتورين هوارد هولم H. Hulme (عالم في التاريخ الفرعوني) وفردريك وود F. Wood وترجمة الدكتور علي عبد الجليل راضي ص ٩٤ .

وهذه الصلاة بدأ بعض علماء المادة مثل العالم الطبيب ألكسيس كاريل Alexis Carrel — الحائز على جائزة نوبل في سنة ١٩١٢ ومدير معهد روكفلر بباريس والمشرف على عدد من معاهد العلاج — يعطيها قيمة عظيمة في العلاج والشفاء ، بل في حياة الإنسان ، فيجعلها ألزم لها من الماء والهواء . فإذا به بعد أن حقق بنفسه حالات متعددة من الشفاء المعجز في قرية لورد Lourdes عند الحدود الفرنسية الأسبانية يضع رسالة مشهورة عن الصلاة يقول فيها : « وليس من الضروري لحدوث ظاهرة الشفاء المعجز أن يصلي الإنسان لأجل نفسه . فقد شفى أطفال صغار لم يتكلموا بعد كما شفى أناس لا يؤمنون في لورد لأن بحوارهم إناساً يصلون لهم . وكثيراً ما كانت الصلاة لغير صاحبها أنفع من صلاته لنفسه ، وإنما تستمد الصلاة فعلها من عمقها وخالوصها ، .

كما يقول كاريل في تعريف الصلاة ، إن الصلاة على ما نرى تسام في النفس إلى أوج اللامادية من الدنيا . وهي — على أكثر ما تكون — شكاية أو ابتهاج أو صرخة أو استغاثة . وهي في بعض الأحيان تأمل خالص في أصول الوجود ومصادره . ويصح أن يقال إنها ارتفاع بالروح إلى المقام الإلهي عنواناً للتوجه بالحب والعبادة إلى ذلك الذي صدرت منه الأصبوبة التي هي الحياة

كما يقول : والشعور بالجانب المقدس من هذا الوجود حالة لا تنفصل من حالة الخشوع الذي يلزم الصلاة . فلا صلاة مع الابتذال والجشع والتهاون على اللبانات ، وإنما الصلاة تطلع مع الحب وفتح مع الثقة . وهي بهذا نوعان : مناجاة وابتهاج . ومن الجمل أن يقال إنها أشبه شيء بأن يطلب إنسان من الله أن يخل بنظام الكون ، ويغير الأسباب والمسببات ، لأن المصل وعقائده وملهماته جزء من نظام الكون ، وسبب من الأسباب التي يحيط بها علم الله ، .

ثم يحتمل رسالته قائلاً : « والخلاصة أن الشعور بالقداسة مع غيره من قوى النشاط الروحاني له شأن خاص في الحياة لأنه يقيمنا على اتصال بأفاق الخفاء المائل من عالم الروح . وبالصلاة يسمو الإنسان إلى الله ويدخل الله ممريرته . وهي على ما زرى ضرورة لا غنى عنها لنمو الإنسان في أرفع حالاته . ولا ينبغي أن ننظر إليها كأنها عمل لا يلجأ إليه غير الضعاف والمتسولين والجبناء ، كما قال نيتشه إنها شئ مخجل . فإ الصلاة بأدعى إلى الخجل من الشرب والماء والتنفس ، وإن الإنسان ليجتاج إلى الله حاجته إلى الماء والأكسجين . وهذا الشعور بالقداسة إلى قرائنه من الشعور بالبصيرة والحاسة الخلقية وذوق الجمال وحناء الفهم — هو تمام الازدهار والنضج للشخصية الإنسانية . وبما لا جدال فيه أن استيفاء حياتنا يتطلب منا أن نمى كل نشاط فينا يشمل الجسد والذهن والعاطفة والروح ، وما الروح خلو من العقل ولا من العاطفة . فن واجبنا إذن أن نحجب جمال العلم وجمال الله . . . »

وقد كانت رسالة الصلاة هذه — على حد تعبير المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد — زبدة آراء هذا العالم الطيب في مسائل العقيدة وأجمع منها لأرائه كتابه عن « الإنسان . هذا المجهول ، وهو في بابه أجرأ كتاب كتبه عالم باسم الطب والعلم في مسائل العقيدة والروح ، لأنه أعلن فيه أن النظر إلى الإنسان كأنه آلة جسدية هو خطأ طبي أو خطأ علمي . . . وختمه بنداء إلى ذوي الرأي والبصيرة كأنه توسل في محراب ناشدهم فيه « أن يعتقدوا ضمائرهم من ربة الكون المادى الذى بناه لهم الطيبون والفلكيون ، ولكننا لا نزال غائمين في الدنيا التى خلقتها علوم المادة الميتة غير ملتفتين إلى عوامل النمو والكمال التى في نفوسنا ، بين جذران دنيا لم تخلق لنا لأنها من صنع الخطأ في تفكيرنا والذهول عن حقيقتنا . ومثل هذه الدنيا لا يمكن أن تلائمنا ونلائمها ، فلانماص لنا من الخروج عليها وأن نبدل قيمها ونعيد نشأتها وفاناً لمطالبتنا الصادقة .

وإن هذه العلوم الإنسانية اليوم لتخولنا أن نتمى كل قوة كامنة في أجسامنا . فنحن نعلم الأسرار الآلية في وظائفها وفي ملكاتها القليلة ونعلم من ثم مواطن ضعفها ، كما نعلم كيف تخطينا أوامر الطبيعة ، ولماذا عوقبنا وضللنا في الظلمات ، ولسكننا على هذا نبصر خلال الضباب قبساً من الفجر خليقاً أن يهدينا سبل النجاة ... ،

هذا هو ما يقرره كاريل في كتابه المعروف « الإنسان هذا المجهول » والذي يقرر الأستاذ عباس محمود العقاد في شأنه أنه « قد جاء في إبانته فتجاوبت به الأندية العلمية والدينية سنوات ، وقيل إن وطأته على مذاهب الإنكار قد حملت دعائها على تطويقه بسد خفي من المصادرة فوققت نشره عند حد محدود » (١) . فإذا كانت مذاهب الإنكار لم تنطق كتاباً واحداً يعتبر ضربة موجعة لها ، فهل يمكن أن تطبق أمهات الكتب الروحية ، وأى منها قد يصدق عليه نفس هذا الوصف ؟

بل إن الروحية الحديثة تحارب في الواقع في جبهتين في وقت واحد : جبهة مذاهب الإنكار هذه ، وهي تأتي أن يفترض لإنسان — حتى مجرد افتراض — وجود الروح ودوام الحياة بعد الموت ، وجبهة مذاهب الجود التي تأتي أن يبحث أى إنسان فيها خشية المباراة السليمة ، وخشية أن يسفر بحثه عن خطوة واحدة للأمام ، وهذه هي الطامة الكبرى التي ينبغي ألا تكون ... !

* * *

وما يصدق على كاريل عندما علق هذه القيمة الكبرى على الصلاة بعد بحوثه الروحية وبخاصة في ظاهرة العلاج الروحي يصدق أيضاً على سير أوليفرلودج — وهو من أبرز الأسماء في الحركة الروحية الحديثة بين علماء الفيزياء — لأنه ظل لمدة أكثر من نصف قرن يبحث فيها ويؤلف ويحاضر

(١) عن « عقائد المفكرين في القرن العشرين » ص ٨٥ .

بمقدرة وببلاغة نادرتين، وقد راح يعلق على الصلاة نفس الأهمية التي هاقها عليها كاريل ويناقش الذين يتصورون التناقض بين الصلاة وبين القوانين الأبدية بأنهم « يتصورون أنفسهم كأنهم شيء منعزل عن الكون وخارج منه يعمل فيه من ظاهره ويحاول أن يبدل مظهره بالابتهاال إلى نظام في القوى المسيرة... ولكن إذا استطعنا أن نتفطن إلى أنفسنا وأتينا نحن جزء صميم من النظام بأسره، وأن رغباتنا ومطالبنا هي نفحة من الإرادة المسيطرة الهادية، لم يمتنع على حركات عقولنا أن يكون لها أثر فاعل، إذا سرنا بها وفاقاً لأصدق ما في الكون من قوانين وأعلامها... » (١)

* * *

وكلام الأرواح الراقية لا يخرج في جملة عن هذه المعاني في شأن لزوم الصلاة وفائدتها، كما لمسنا آنفاً من أقوال الدكتور ليتار ووزودياك وسيلفر بيرش وغيرهما. وكما لمسنا ذلك أيضاً في الباب الذي خصصناه « للشواب والعقاب » وقد رأينا كيف أنها — سواء أ كانت أرواح سعيدة أم شقية، راقية أم غير راقية — تتحدث عنها كثيراً وتطالبنا بها كما تطالب نفسها بها (٢).

والأرواح الراقية عندما تطالب الإنسان بعبادة الله تعالى على الصورة التي يستريح إليها وجدانه، لا تطالبه بأن يفعل ذلك لمجرد إرضائه بالزلفى إليه، ولا لمجرد تحقيق أغراض نافهة دنيوية قد تضر ولا تنفع (٣). كما لا تطالبه بأن تكون عبادة الله على صورة من صور التعلق الغامض بالغيبات أو الخضوع لسلطان التقليد وما أقواه من سلطان... بل تطالب بعبادة حارة مخلصنة

(١) عن كتاب « الله » للأستاذ المقادس ٢٨٩ .

(٢) راجع أمثلة فيما سبق ص ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٩١، ٣٤١ .

(٣) قال الفيلسوف روسو « إن أعبد الله ولا أسأله شيئاً لأن السؤال معناه العكس في نهاية الله وطبيعته ». وقال الفيلسوف كمنط « إن الله عليم بكل شيء، ملتبس للغاية، مبال إلى معرفتنا وهو يعرف حاجتنا أفضل مما نعرفها، فن الفضول الإمراب عنها بالصلاة... » .

صادرة من القلب لامن اللسان ، عن صحيح تقوى وإيمان ، وذلك حتى يكون المتعبد أقرب إلى ناموس الاعتدال وضبط النفس وأقدر على اتباعه مهما كان مرأ وقاسياً عليه ، وأشجع في مواجهة صعاب الحياة الدنيا التي عليه أن يجتازها في بحر من الظلمات قبل أن يصل راضياً إلى بر الأمان مرضياً ...
فلنعبده إذا إلهاً موضوعياً - مطلقاً ومجرداً - تتمثل فيه وتصدر عنه جميع قوانين الطبيعة الحكيمة التي يكتشفها العلم ببطء وفي مشقة . أما الإيمان الشخصي المنحيز فقد كان عقبة كثووداً - ولا يزال - في طريق التعبد المستنير ، بل حافراً للشك عند الكثيرين .

ولنعبده إذا إلهاً عادلاً وغفوراً معاً - لأن المغفرة من العدالة - وقاضياً سويّاً لا يعرف محاباة ولا تحيزاً يكون مع الإنسان عندما يكون هو معه ، ويحقق رغباته عندما يعرف كيف يحيا في توافق مع نواميسه الحكيمة التي تعرف بذاتها كيف تثيب من يطيعها وتعاقب من يخالفها ، بما لا يمكن لأية عدالة أرضية أن تصل إليه ، أو أن تدرك منه ولو جزءاً يسيراً ...

لله في تعدد الأديان حكمته سامية

قد يتساءل الإنسان قائلاً إذا كان الله واحداً تتمثل فيه هذه القوانين الأزلية التي لا تقبل التبديل لأنها معصومة من كل خطأ ، فلماذا إذا تعددت الأديان ، وما موقف العلم الروحي الحديث من تعليل هذا التعدد ؟ والجواب على ذلك يسير ، وهو أن لهذا التعدد رسالة في ناموس الحياة جليلة وهي توسيع آفاق الإنسان في المعرفة وفي الفضيلة ، وتغذية عاطفة التسامح والمحبة في قلب المؤمن لسائر الناس من أى جنس كانوا ومن أى دين .

فلولا تعدد الأديان لما كان لفضيلة التسامح الدينى - وهي أصل لفضائل كثيرة - من مبرر ولا مكان . والتسامح هو طريق المحبة الحقيقية التي لا تعترف بأخوة أصدق ولا أعرق من أخوة الإنسان للإنسان ، وبغيرها يصبح الإيمان بالله نوعاً لحسب من إيمان الإنسان بنفسه وبما ورثه من اعتقاد ،

وبالتالى حافوا للأثرة بدلا من الإيثارة، الذى هو الأب الشرعى والام الرؤوم
لكل فضيلة حقيقية .

ولله تعالى من تعدد الأديان حكمة أخرى سامية كحكمته من تعدد
الأجناس والأوطان والألوان ، وهى دفع ناموس التطور والارتقاء إلى
الأمم ، كما تقول الفلسفة الهندية المسالمة الجميلة « فالتطور هو التحرك إلى
الأمم من خطوة إلى أخرى . وفى هذا التحرك تغيير وتبديل وهما أصل
الاختلاف . فإذا محوت الاختلاف وجعلت التطابق يعم الخليفة محوت
التطور وأعدمت التقدم ، لأن الكون كما أبدعه الخالق آلة هائلة منسجمة
الأغراض سائرة إلى التطور فى كل جنباتها ، لكن يربط بين أواصرها
نظام واحد فى العمل ، وتجمعها وحدة شاملة فى الغرض .

فإذا حاولت أن تمحو الاختلاف فى الدين وتجعل الخلق منتظمين فى
دين واحد ، وأن يتجه تفكيرهم فى مجرى واحد لا يتغير لوجدت نفسك
فى النهاية وقد قضيت على الدين نفسه ، ولظلت أفكار البشر راکدة
آسنة . ولقد شاهد الإنسان أن مجرد الوقوف عند الاجتهاد فى الدين يؤدي
إلى ضعف الإيمان وإلى الفتن فى العبادة . وبدلا من التطلع إلى الأفضل
ينساق العقل إلى الخزعبلات والشعوذة والأباطيل . فالتعدد واجب
ما دامت الحياة أبدية . وكذلك سنة التطور وهى قانون من قوانين الخالق
جل شأنه ...

ولا نعد متساعجين مع الأديان الأخرى إلا إذا عاملناها بمثل ما نحب
أن نعامل به ، وإذا كانت الأديان كلها ذات مصدر واحد وتبشر بالحق
وتسمى بالإنسانية إلى السكال ، فمن التعسف أن توكل هذه المهمة إلى فرد
بذاته أو إلى جماعة بذاتها ، فإن معرفة الحق مشاع بين الجميع كما أراد الله
لكل نفس أن تتمتع بالشمس والهواء والماء (١) .

(١) ترجمها سديقتنا المرحوم الدكتور زكى الميزرى الطبيب النفساني من مجلة « براهما
بهارتا » الهندية ونشرها تحت عنوان « الدين لله » فى مجلة عالم الروح عدد إبريل سنة ١٩٥٩
من ١٧ وما بعدها .

ولعله لتحقيق هذا الهدف قال غاندى أيضاً : « إننى أملك ثقة عبياء الله وبجوده ، وميلاً للحق والحب لا ينضب معينه ، ولكن أليس هذا كامناً فى نفس كل إنسان ... إننا وصلنا إلى أكتشافات واختراعات جديدة فى العالم الخارجى ، فهل ينبغى أن يكون الإنسان ضارياً فى مبدأ الأمر ثم إنساناً بعد ذلك إذا قدر له أن يكون ؟ ... »

* * *

وبما قاله أيضاً فى هذا الصدد أحد الحكماء الروحانيين فى حروبنا العصرية نجد كلاماً من الطائفتين المقتلتين تدعو الله لينصرها على عدوها ، وكل من الفريقين يعتقد أن الله معه ... لقد اضطهد الإنسان أخاه الإنسان لأنه رأى فى الله غير رأيه ، فلما اشتد ساعد الضعيف المضطهد وتمكن من هو أضعف منه ومن يرى فى الله غير رأيه اضطهده . وكل يعتقد أنه ينفذ مشيئة الله وهو ينكل بخصمه الضعيف ، وذلك الخصم وهو يلقى النكال يلقاه راضياً لأنه فى سبيل الله ... والكل يعتقد أو يدعى أنه يرضى الله بالانتقام من أعدائه . وكما يبدو هذا كله عبث أطفال لمن أوتوا من سعة العلم وبسطته ما يجعلهم يدركون أن الناس جميعاً عيال الله ، وأنهم جميعاً يعملون بخير ما وصلت إليه عقولهم ومعرفةهم ولا لوم ولا تثريب عليهم .

فمن كان يعمه فى ضلاله فهو إنما يعمل ما وسعه وكل ميسر لما خلق له ، وكل يعبد الله بما ألقى فى روعه وهو يؤمن بأن عبادته خير العبادات ، وأن إيمانه أصح الإيمان ، وأن معبوده هو الحق ، وما يعبد الناس من دونه إلا الباطل ، وكلهم يعمل بدافع الغريزة الدينية التى تحفز الناس إلى الآمام ... لأنهم يظنون أنهم يعبدون آلهة تخيلية وما ذلك إلا وهم . فهم جميعاً يعبدون إلهاً واحداً ويقدمونه ، الخالق المبدع لا إله إلا هو الواحد الحق .

إن العقول المختلفة لها مناظير مختلفة ترى خلالها الله صوراً متعددة حتى يبدو بعضها للناس خيفاً ، ولكن هذا كله لا يغير الواقع ولا يبدله . فالحقيقة

هي هي ، والله لا إله إلا هو ، لا شريك ولا مثيل له ، الواحد الدائم الأول الآخر ... فمن عبده في أعلى ما يتخيل من صفاته فقد أحسن صنعا ، شأنه شأن الذين وصلوا إلى المراحل السامية الذين يعبدونه حق عبادته وعليه أجزهم . وسيزداد إيمان المتوحش والعالم النقي مع الزمن إذ ينبسط عقل كل منهما طاماً بعد عام ليتقبل نعمة الله ، ويتفتح ليسمح للعرفة الروحية أن تفيض عليه .

وواجب من أوتي شيئاً ولو قليلاً من العلم أن يأخذ بيد من هم أقل منه شأنًا إن استطاع وإن قبلوا معاونته وإرشاده . ولكن ليس لنا أن نغير من هم ديننا إيماناً وعقيدة ، فهم إخوتنا في الله يسبرون على الطريق شأنهم شأننا ، وما نحن وهم إلا أطفال في مختلف مراحل التعليم كل حسب نضجه وسنه ، كل يعمل على شاكلته ، يعمل ما يؤهله له سنه ودرجته . كل له من الفهم ما يمكنه منه سنه كل يحاول أن يصل بما يعمل إلى حد الكمال الذي يستطيعه ويتصوره .

يجب علينا ألا نسخر من أحد ، أو تنهم أحداً ، أو نبغض أحداً . يجب أن يضر حينا كل إخوتنا ، حتى ولو كانوا لم يفتحوا أعينهم بعد على ضوء المعرفة ... (١) .

من أقوال سيلفر بيرسه

وفي هذا الشأن يتحدث الروح سيلفر بيرش قائلاً أيضاً : « ينبغي أن نتذكروا أننا لانفكر في الروحية كشيء يمكن مقارنته بالديانات الأخرى . إن الروحية بالنسبة لنا قانون الكون الطبيعي . وكل ديانة كانت وسيلة للتعبير عن القانون الطبيعي .

(١) من الحكيم بوجي واما شاراكافي « فلسفة البوجا » ترجمة الأستاذ مريان يوسف سمعد
ص ٢٣١ - ٢٣٥ .

لكل زعيم ملهم جاءت الرؤيا والإلهام وفهم القانون الطبيعي يتصرف فيها على حسب العصر الذى عاش فيه، من نمو وتقدم وتطور وعادات وتجربة وفهم . وكما تلقاها النبى فهو قد نقلها لمن كان لديهم استعداد ...

ولم يستطع الحق البسيط أن يبقى على فطرته جميلاً . لقد غدا مزيجاً من الإلهام الذى أضيفت إليه المعتقدات السائرة ، والأماطير اللاهوتية ، والتجارب الدينية ، والتقاليد الموروثة . وفى وقت ما اندثر كلية ما يتعلق بالروح العظيم ، وظهرت الحاجة من جديد لبعث ما دقه الإنسان وإحيائه .

لقد استقر العزم على أن الحق الروحى قد جاء هذه المرة لأجل أن يبقى ، ولا توجد قوة على الأرض فى استطاعتها أن تمنعه ، والخطوة آخذة فى النجاح ، فالحقائق الروحية أصبحت محسوسة الآن فى كل الأقطار فى عالمكم .

وهذه الحقائق الروحية يجب أن تعيش لأنها هى أساس الأمر الجديد الذى يقام بينكم . إننا نستعين بنفوس لا عداد لها من عالم الروح . والذين يصطفون بجانبنا يسعون للعمل مع كل الناس من أى جنس ولون ، من أى مذهب وشعب، من يرغبون فى إسراع الأمر واستعجال هذا العصر الجديد ، ونحن نتكلم عن علم عندما نقول إن عالمكم القديم المؤسس على المادية الانانية يموت ، وإن دنياكم الجديدة قد ولدت بين ظهرانيكم .

كما يقول أيضاً : « الدين هو أن تخدم الروح الأعظم بخدمتك أطفاله . الدين هو ذلك الذى يساعد الروح الأعظم الذى فيكم على أن يبرز فى حياتكم ، الدين هو ذلك الذى يزيد من الرباط بينكم وبين الروح الأعظم وبين أطفاله الآخرين ، الدين هو ذلك الذى يجعلكم تنتشرون فى الأرض لتقدموا الخدمات أينما تقدرون ، الدين هو الخدمة والخدمة هى الدين . إنما يزداد نمو النفس بالخدمة لا غير ، لأنك عندما تنسى ذاتك فى خدمة الآخرين تنمو نفسك فى التركيب والقوة .

والأشياء التي من أجلها تسبب في الماضي سبل الدماء والتعذيب والتحرير
لا تزيد من روح الإنسان ذرة واحدة ، لقد قسمت البشر إلى معسكرات
متضادة ، خلقت الحواجز ، سببت فروقا لازوما لها بين الشعوب والعائلات .
خلقت المنازعات وعملت كل شيء ديدنه المهارة وعدم التألف . لقد فشلت
في تأليف أطفال الروح الأعظم ، هذا هو السبب في أننا لانعنى كثيراً
بالبشر . . لانهم بما يسميه الإنسان بنفسه ، إن ما يهمننا هو ما يعمل
من أعمال (١) .

من رواب المرات إلى مفاتيح المعرفة

وهذا الفهم الصحيح لغزى تعدد صور الاعتقاد - وصحيح رسالته في
شئ مستويات الوجود - لا تظهر قيمته على حقيقته إلا عند ما تقارن بينه
وبين أى فهم آخر قد تنادى به مدارس الانطواء أو الجود . فنجد أن أى فهم
آخر من نتائجه المحتمومة أن يعلق الإنسان على نفسه جل أبواب المعرفة ،
ويعصب عينيه عن النظر إلى حقائق الحياة المشرقة الجليلة . فيحيا في غير
زمانه وغير مكانه ، ويقاوم - يائساً - كل معرفة ، بل ينكر ناموس
التطور نفسه ، مع أن الله تعالى بدعه لرقى الإنسان وسيره حثيثاً نحو نجاح
رسالته في الحياة ، ونجاح رسالة الحياة فيه . وهو الذى انتقل به من حالة
إلى حالة ، وهباً له أن يصل إلى ما وصل إليه من رقى ومن عرفان .

والتطور ليس لحسب لازماً لتقدم الحياة ، بل لنشوتها ولا استمرارها ،
لأن الحياة ليست أكثر - ولا أقل - من حركة عاقلة دائبة تنكر السكون
من أية ناحية نظرت إليها . فهي متحركة في تحرك الشمس والكواكب
والنجوم في أفلاكها على هدى حتى وإن بدت لحواسنا ثابتة لا تتحرك ، أو متحركة

(١) من «سفير الأرواح العليا» ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

على غير هدى . وهى متحركة فى النبات والحيوان فى ظهورهما ونموهما وذبولهما . وهى متحركة فى الحجر الأصم الذى يمثل طاقة محبوسة متموجة لا تعرف السكون ، فهل نكون — نحن بنى البشر — أشد من الحجر الأصم صلابة وجموداً ؟ . . .

وهل نرفض كل معرفة جديدة لمجرد جدتها ، وكل حقيقة غريبة لمجرد غرابتها ؟ . . . هل نضحى على مذهب جمودنا وصلابتنا فهم الحقائق العلمية ومعها أمور الحياة الجليلة ؟ إن هذه التضحية سهلة ميسورة ، بل مريحة جداً ، لكنها فى نفس الوقت ضارة هدامة ! لأن معناها إنكار الحقائق فى سبيل التهادى فى عبادة « قديمنا » عبادة تتال حتماً من صحة تقدير الأمور بطريقة شعورية أحياناً ولا شعورية أحياناً أخرى ، بما فى ذلك أمور العلم والفلسفة والاجتماع والأخلاق والتشريع ، وغيرها من مقومات الحياة السكرية ، فإذا النتيجة المحتومة خطأ متراكم فى التفكير وفى التقدير .

والخطأ الذى نعرفه فى شرائعنا أمره غير ذلك الخطأ الذى تعرفه شريعة الطبيعة . « فالبطلان » فى « لإجرائنا » مثلاً قد يغيب أمره عن وعينا ، وقد نتنازل عنه ، وقد تراوغ فيه ، بل قد نستفيد منه أحياناً . أما الخطأ فى حقائق الحياة فهو رهيب لا يغيب عن وعينا ، وليس من سبيل للتنازل عنه أو للتراوغ فيه ، أو لجر مغنم منه . بل إن آثاره محتومة لأن النتائج مرتبطة فى فاموس الحياة ارتباطاً محتوماً بمقدماتها .

ومن يبحث فى العلل الدفينة لتخلف الشعوب والجماعات لن يجد علة أخرى حقيقية غير الانخلاء المتركة — بسبب عبادة القديم — فى الحكم على حقائق الحياة ، وعدم الرغبة فى تفهم صحيح نوااميسها ، ولا اتباع سننها . فالخطأ يبدو عندئذ صواباً ، والعنف يبدو عندئذ قوة ، والقسوة رحمة ، والشطط حكمة ، والمنطق المتفكك ذكاء ، والتسلط إغااء . . . وهكذا دواليك مما يؤدى حتماً إلى إلغاء (٢٦٢ — الإنسان روح : ج ٢)

رسالة العقل الناقد وبالتالي إلى جهود الروح وتوقفها ، ثم ضعفها وتخلفها .
وفي إلغاء دور العقل الناقد المتحرر ، إذكاء أيضاً لعناصر الطغيان
عند الأقوياء ، في المجتمع والخنوع عند الضعفاء ، وفي النهاية دهوة
مسترة لتجديد الأشخاص على حساب الحقائق الناصعة والمبادئ الرائعة ،
ثم ذبول هذه وتلك معاً وبالتالي اختفاؤها في خجل واستحياء . . .

ولمن يشك في ذلك أن يتأمل متروياً كيف يمكن أن تنحى على أى مجتمع
طريقة تجديد الأشخاص هذه ، ولو لمثل عضوية الدم أو الجوار وهي أسلوب
التقدير والموازنة عند الكثيرين حتى في الأمور اليومية البسيطة ، وكيف
يمكن أن تضحي على مذهب هذه الممالة جل دوافع النهوض والاستباق ، كما
تسود — موفورة — دوافع التردى والإخفاق ، كلما أثبتت موازنة بين
عمل وآخر ، أو رأى وآخر .

وذلك لحساب إنسان لن يفيد من مثل هذه الممالة شيئاً إلا عبثاً ثقيلًا
على ملكاته ، وعقبة جديدة من الخلاء في طريق تطوره وارتقائه ، وبالتالي
في أداء رسالته الصحيحة في الحياة ، كما تريد لها موازين الطبيعة العادلة
لا موازين الخديعة التي لا فائدة منها ولا كرامة لها ، والتي قد تنجح مرة
في خداع البصر ، لكن لن تنجح أبداً في قيادة البصيرة التي هي قبس الروح
ومصدر إلهامها ، كما تتعرف على طريقها الضائع في الظلام عندما تريد قوى
الممالة في هذا الكون أن تحيطه هائثة بالظلم والمظالم .

ولو ترك هذا الإنسان المدلل بغير هذه العقبة الكؤود في طريقه لسار حثيثاً
إلى الأمام ، وربما وصل بجده وجهاده إلى مرتبة حقيقية عالية من الإجابة
والإتقان ، وهكذا تنمو الحياة وتتقدم حتماً في أية بيئة تعرف قدر العدالة
والمساواة ، حين تراجع اللوراء كاسفة ذليلة في أية بيئة للممالة والمحاباة ، أيأ كان
موطنهما ومصدرهما ...

فالويل لتقدم الحياة إذاً من — شعور الممالة — إذا قدر له أن يسود ،

والويل لنا نحن - بني البشر - إذا ما تصورنا أن مثل هذا الشعور ينبغي أن يعد من علامات التقوى أو من دلائل الإيمان . وهو شعور مهما قيل إنه غريزي ، فإنه يمثل غريزة بدائية - مصدرها الأنانية وانفعالها العدوان - فهو يرجع إذاً فينا إلى ماضينا السحيق ، كما ترجع جل غرائزنا البدائية إلى أصول قد لا يشرفنا الالتئام إليها ، مهما جزم العلم بصحة هذا الالتئام . فهو لا يمت على أية حال بصلة إلى رسالة العقل المتطور النامي ، وإلى خطورة دوره في الحياة الصاعدة المتحررة من أغلال الترهات والأوهام .

بل هو شعور يتضمن في الواقع إلغاء لرسالة العقل ، لحساب إحساس موهوم بالتضامن البدائي ، فإذا العقل مع طول الأمد محض أشلاء ، لا قيمة لها ولا رونق فيها ، تبحث عن يربحها من طريق الحياة المتحررة الصاعدة التي تعرف كيف تشق سبيلها دائماً ، وتعرف كيف تتخلص من هوائها الصناعية ، كنتيجة محتومة لقانون تنازع البقاء وبقاء الأصالح ، ولو عن طريق الصراع الدامي والالم المرير .

وهذه سنة من سنن الحياة التي تفسر الكثير من صروف الدهر وأجدائه الآلئمة غير المفهومة ، كما تفسر علة رسوخ الفشل عندما نعبد الأشخاص دون الحقائق ، ونصبح أعداء كل تقدير موضوعي وكل منطق من التجريد قويم . فإننا بقدر تخليتنا عن سنن الحياة الراقية عن عمد أو عن خطأ بقدر تخلي هذه السنن العاقلة عنا عن عمد - أيضاً - أو عن خطأ !! لأن الجزاء في الطبيعة دائماً من جنس العمل .

وعبادة الأشخاص هذه قد تكون كريمة - بحسب مظهرها - فتنخذ في أذهاننا ذرائع الدفاع عن قاعدة سليمة أو عن مبدأ قويم ، أو تشجيع القريب أو مساعدة الضعيف ، أو غير ذلك من الأوصاف البراقة التي تعودت أن تخدع ضمائرنا في كل عبادة منا لدواتنا . فعبادة الذات لا تكون إلا مستترة بأردية زاهية براقة تغلب اللب والضمير حتى تحقق هدفها في الغواية والتغريب .

فلنتعلم إذاً كيف نحترم - ونحب - الإنسان في المبدأ ، لا المبدأ في

الإنسان ، ولتدع جانباً كل تغرير عاطفي قد يوجهنا غير وجهة التفكير الموضوعي القويم ، ولتتعلم كيف نتحاشى - في غير ما كراهية ولا احتقار - كل من وما لا يمثل في وضوح وصراحة أصدق مبادئ النبل والاستقامة التي تهدي إليها الفطرة السليمة ، مع الطاعة التامة لقوانين الحياة الراقية ومستنها الجليلة ، قبل أن تدهم الروح عواصف القدر التي لا تبقى ولا تذر..

ولتدع جانباً كل عبادة للأشخاص، وكل دعوة إليها صريحة أو مستترة، فطالما جنت على حقائق الأمور ، وطالما عوقت قافلة التقدم والارتقاء ، وطالما هدمت جل مبادئ الحق والعدالة التي نادى بها الأنبياء والفلاسفة والمصلحون في كل زمان ومكان .

ولنقدر أن عبادة الله لا يمكن أن تلتقي مع عبادة الأشخاص في محراب واحد ، لأن عبادة الله استمساك بكل ما هو عادل وجميل ، واستهجان لكل ما هو ظالم وقبيح . أما عبادة الأشخاص - أية كانت صورتها وموضعها - فهي إلغاء لقيمة الفكرة ، ولحقائق الحياة ، وأنانية ضارة تخلق في النفس عناصر التواطؤ مع قوى الظلام الفعالة وما أكثرها . فإذا بالتحيز المفروض يبدو صراطاً مستقيماً ، وإذا بالالتواء البين يبدو طريقاً قوياً ! وما أيسر على العقل في غشاوته من أن ينتحل المآذير انتحالاً ، لأنها موجودة أبداً عند ما يحلو للغرور أن يعانق الغيرة ، وللغش أن يساند الغواية ، ولظلام الشعور أن يحجب نور النهار عن أعين المبصرين ، من كل ملة ودين ، فإذا النتيجة المحتومة تدهور وانحيار .

وليس أيسر من تلبس العلل والأسباب ، ووضع الصيغ والعبارات عند جموح الهوى وانطلاقة الغريزة العمياء للتغريب بالضعفاء والأقوياء ، وبالجهال والعلماء ، فإذا الكل سيان في اللغو والبطلان . . . وإذا عقل العاقل وعلم العالم صنوان - في موازين الأمور - لصخب الدهماء في

موكب بهتان ، تدوى فيه عالية هتافات المجد والفخار ، بدلا من أن تذرف
غزيرة دموع العار والشنار ١١ .

فإذا ما رأيت الأمور الواضحة ، أيا كان موضعها في الحياة ، تناقش طويلا
في أي زمان أو مكان كما ينتهي رأى « العالقة » ، من بنى الإنسان إلى الزينغ
والبطلان فاعلم أن وراء النقاش الطويل هوى جامع هيات لمنطق الزينغ أن
يكبح جماحه ، أو أن يكشف عنه النقاب . واعلم أن وراء هذا النقاب يقف
مارد - أو أكثر من مارد - قادم من عالم الظلام ليحرس البهتان ويحميه ،
فكم للبهتان من مرادة ومن أخذان يشقيهم الحق ويسعدهم العدوان . . .

وقدرة الهوى الجامع على تخريب ملكات الضمير لا حد لها ولا نهاية ،
لأن الضمير سيد التقدير والتفكير ، وليس أصعب من تقويم آثار التفكير
الخطي . ولا من إصلاح أضراره ، مهما طال بها الأمد . بل إنها مع طول
الأمد تكتسب حتما ضراوة تفوق بكثير ضراوتها عندما كانت الفكرة
الخطئة في مبدئها غضة الإهاب لينة الأعراف .

عن الجهاد الأكبر

ولنتعلم إذا كيف نسعى نحو حقائق الحياة لا نحو أوهامها ، لأن من
يسعى إليها يسعى إلى الله وهو الحقيقة الأولى والأخيرة للحياة ، وهو
حياة الحقيقة ، ومركز كل عدالة ، وقبلة كل عبادة ، أما الأوهام فإلى
زوال سريع .

ولن نسعى لله عن طريق أية عمالة أو محاباة بل - فحسب - عن طريق
الجهاد الأكبر ، وهو جهاد النفس عند جموح هواها وانطلاقة غرائزها .
وكل جهاد غيره باطل أو في القليل ضئيل ، بل أصغر مما قد تصورنا لنا
عقولنا الهزيلة ، وأقل شأنا بكثير مما قد يبدو لنا في نشوة انتصاراتنا
الزائفة ، وزهو أعمادنا الصديانية الضئيلة .

ولنتق أن « الجهاد الأكبر » هذا هو أعظم المبادئ قاطبة وأسمائها . وأن من يعرف كيف يجاهد نفسه قاض عادل على نفسه وعلى الآخرين ، وبطل صنيدي تعرف له موازين البطولة حق قدره مهما ظل جندياً مجهولاً في موازين الخديعة والحماية . فهذا الجهاد الأكبر هو التراث الحق الذي ورثه الإنسان من سفر الحياة الكريمة وهو السبيل الأوحى للنهوض به ، ورفعة شأنه في العالمين بطلاً كريماً ، وإنساناً جديراً بالحياة راقياً عظيماً . . .

وأي « مبدأ » آخر غير مبدأ هذا « الجهاد الأكبر » عبارة أيضاً عن إحساس منا بعدم الثقة في أنفسنا ، وتغريب من شيطان الأنانية الكامن فينا ، ومن وحش الوصولية الرابض وراء أهوائنا وغرورنا ، واندفاعاتنا وجهوحننا ، وانحرافاتنا وسقوطنا . ومن لا يقاوم هذا الوحش الضاري يهلكه ، ومن لا يصارعه يصرعه فيتركه محض أشلاء تثير الإشفاق والرثاء .

ولنتق أن الروح التي لا تعرف كيف ترتقي إلى تحقيق رسالة الجهاد الأكبر تنزل إلى تحقيق رسالة الغرائز السفلى التي تسيطر على المردة والوحوش ، أو بالآقل إلى رسالة القطيع في تضامنه البدائي لا رسالة المجتمع الراقى في مقاومته لعوامل التدهور مهما جاءت براءة المظهر زاهية الردام ، وكيفما زفها إليه تجار « المبادئ » والشعارات .

وتدهور الروح - كارتقائها - لا يحدث بفتة ، بل هو جزاء طبيعي من صنع القرون والدهور التي لا حساب لها في زمان الطبيعة . فهو تدريجي « بطيء » ، ولكنه متى توافرت دواحيه في أي مكان أمر محتوم لأن نفس الأسباب تولد نفس النتائج . ومن شأنه أن يستفحل مع الوقت وأن يهبط بمستوى العقل والعاطفة - وهما أنبل ما يميز روح الإنسان - في الفرد والجماعة معاً في إصرار عنيد لا يوقفه إفراط في اعتقاد ، ولا تقان في عبادة أو في طقوس . أما العاطفة الإنسانية القويمة - النابعة من العقل النامي - فهي مصدر كل ازدهار في الروح ، والسد المنيع في طريق كل تدهور فيها . ومن ثم كانت كلمة الحق - حتى في الأمور العادية النافذة الشأن العنيفة القيمة - أقرب

بغير ما ريب إلى جوهر الإيمان الصحيح من كل صنوف العبادات التي
عرفها البشر . لأن الله تعالى حق ، بل هو - وحده - مصدر كل حقيقة نقية
نطق بها اللسان ، أو شعر بها الوجدان ، وذلك مهما كان وقع الحقيقة غريباً
أو أليماً على بعض النفوس والأذان . . .

ثم إن الحقائق تكشف الأباطيل ، أما الأباطيل فلا تكشف الحقائق ،
بل تسام العقل على التواطؤ معها ، وتتخادع الضمير للتضليل عنها في خفية
عن العقل وفي مهارة بالغة . . . فآية حقيقة تتوقعها إذن من الضمير عندما
يصبح معصوب الوجدان أبكم اللسان ، وأى قرار تنتظره من وعي الإنسان
عندما يخفى عنه مصدر كل حق وكل برهان ١٩ ..

وهكذا كلما قلبت النظر في علل تدهور الروح - في أي مكان أو زمان -
لن تجد شراً من هذا التواطؤ على الخديعة والبهتان ، الذي كثيراً ما يستتر
برداء خلاب من مظهر المحبة ، أو الأخوة ، أو العطف ، أو العاطفة ،
ولكنه يخفي تحته صوراً شتى من الأنانية ومن تفرير الشعور .

فلندع نحن - بني البشر - الدين للديان إذآ ، ولنذكر أن الدين لله
والله للجميع ، وأن الحقائق للعقل كالطعام للجسم - كما يقول العالم الاجتماعي
جاك بيرك - فعلى هضم الحقائق هضمًا لائقًا تتوقف قدرة الإنسان العقلية
وحجاءه ، كما تتوقف العافية والصحة على الطعام . فالرجل الذي يهضم عقله
أكبر قدر من الحقائق هو أعقل الرفاق في المجلس ، وأقدرهم على الإقناع
وأرقهم في الحياة معاملة ومعاشرة . .

ولنعترف - مع الواقع - بأن هذا الفهم الموضوعي السليم لمعنى الإيمان
هو أكثرها كرمًا وسماحة ، وأقربها إلى لب الحياة الراقية وجوهرها ،
وأدعاهما إلى السمو بالعقل وبالعاطفة ، وبالتالي بالروح الإنسانية حينما ولدت
وكيفما عاشت . وهذا الفهم يتسع لمحبة الله في كل خليقته من بني الإنسان ،

بل في كل ذرة من صنع يديه في هذا الكون وفي غيره من الأكوان .
وأي فهم آخر لا يناقض حقائق الحياة الجليلة لحسب ، بل يناقض كل محبة ،
وبالتالى كل عقل ، وكل عاطفة نبيلة ، وكل عدل ، وكل دفعة للحياة كريمة .

وبغيره هيات أن تتحقق هذه المنة الكبرى التى ينبغى أن يسعى كل
عاقِل إليها ، وهى سعادة العقل والوجدان التى هى السعادة الوحيدة التى يعرفها
ويعترف بها عالم الروح حيث تتوافر فيه ما اعتدنا أن نسميه بمبادئ الحياة ،
بوفرة تفقدها كل قيمتها ، فلا يتبقى للإنسان إلا أن يسعى لهذه السعادة العظمى ،
سعادة العقل والوجدان .

وهى ليست سهلة المنال ولا تجيء مطلقاً عن طريق أى منطق ملئ ، ولا
عن طريق أى منطق أناني ، ولا عن طريق خديعة الذات والتظاهر بمحبة الله
والناس ، لأنها أعظم مزايا الحياة قاطبة . وكل ميزة عظمى تتطلب للوصول
إليها جهاداً عظيماً ، قريماً ، مستقيماً في سبله وفي غاياته ، حكيماً في أصوله
وفي أسبابه ، مستنداً إلى حقائق الأمور ، بعيداً عن أوامرها وترهاتها . .
وشهوات النفس ونزواتها . . .

ولكل ميزة من مزايا الحياة مسئولياتها ، وأخطر مسئوليات الحياة
في المستوى العقلي الراقى للوجود الفكرة النقية تنبعث من العقل في غير
ما تكلف ولا عناء ، وفي غير ما قيد ولا تحفظ . وذلك يتطلب شخصية
ناضجة ، وفطرة نقية ، وشجاعة في إبداء الكلمة ، وقدرة على قبول الناس
على اختلاف مشاربهم وعقائدهم ، مهما بدا فيها من عيوب ، قد تكون في
حقيقتها مزايا لا نفهمها ولا نقدرها .

ومن يذكر العيوب - ولو في مقام الحب لا الكراهية - لا يغفرها
بسهولة . فالأب لا يحب أولاده رغم عيوبهم ، بل يحبهم لعيوبهم ، ويرى
فيها مظاهر ضعف الطفولة الجديرة بالحب والحماية ، لا بالقمع وبالانتقام ،
حتى تنمو مداركهم فتحرم منها مهما بدت جسيمة .

وفي العلاقة بين بعض البشر وبعضهم الآخر لا يوجد أبداً أشد وأطفال
صغار، بل إخوة يمثلون بأسباب الخطأ والعتار، وبكل صور الضعف
والانهايار، وأكثرم غروراً هم أكثرم خطأ ورذيلة، وشططاً واندفاعاً .
فكيف يدعى بعضهم الوصاية على البعض الآخر للهيمنة حتى على ما تحتفظ
به الحضائر في أقدس ركن منها، وتفتديه هائلة سعيدة بالمهيج وبالآرواح ؟
وإذا كان ناموس الحياة في علاقته معنا لا يعرف تحيزاً ولا محاباة،
فإنه يشرق شمساً على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين^(١) .
فكيف يحل لنا أن نكون غير ذلك في علاقتنا مع الآخرين ؟ ونحن زعم
أننا أبناء هذا الناموس ورسله ودعائه وجنوده المجندين ؟ . . .

وهذا الفهم السليم الوحيد للأمر لا يمكن أن يستقيم في ضمائر البشر
إلا مع سحق أسباب الضغينة والبغضاء في غير ما تصنع ولا ادعاء، وإزالة
ما يعترض طريق الحقائق الناصعة من عقبات في الغرائز والشهوات، وفي
الضوائر الملتوية عند الصغار والكبار . وإلى هذه المعاني مجتمة أشارت
آيات كثيرة في القرآن الكريم منها : -

- فذكر إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر .
- ليس عليك هدام، ولكن الله يهدي من يشاء .
- لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي .
- آمنا بالله وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله .
- قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
إن الله يغفر الذنوب جميعاً .
- أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين .

وفي هذه المعاني أيضاً تحدث عدد كبير من الفلاسفة والمتصوفين، ومنهم

الشاعر الفيلسوف يحيى الدين بن عربي المتوفى في سنة ٦٣٨ والذي كتب في قصيدة معروفة له يقول :

كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن دينه إلى ديني داني
لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف والواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه . فالحب ديني وأيماني
الأخوة الإنسانية حقيقة كونية

وهذا الذي ذكرناه عن موقف الفلسفة الروحية من العبادة من تعدد الأديان لا يمثل رأياً لمباحث دون آخر ، أو لروح دون أخرى ، بل يمثل فلسفة عامة مجتمعا عليها أسفرت عنها بحوث قرن وربع من الزمان في الأمور الروحية في كل مكان ، وقد تكشفنا كلها عن حقيقة كونية واضحة لا افتراض فيها ، ولا غموض في تأويلها ، وهي أن أخوة الإنسان للإنسان هي الأخوة الوحيدة التي تعرفها قوانين الحياة وتعترف بها . أما أية أخوة أخرى فهي من صنع كبرياء الإنسان مهما قيل إنها من صنع وحدة الإيمان .

يهدينا إلى ذلك أن قوانين الحياة واحدة للجميع ، وأن فرص السعادة والشفاء تتوقف بالتالي على مدى استحقاق كل روح ومدى احتياجاتها ، وبالقدر اللازم لسرعة تطورها ودفعها في طريق خيرها وصلاح أمرها . وهو ما يمكن التعبير عنه بأن الأخوة الإنسانية التي كانت فيما مضى مجرد دهوة فلسفية ودينية أصبحت في ظل هذا العلم حقيقة كونية ثابتة بقدر ثبوت الحياة بعد الموت .

وهذه الحقيقة الكونية ذات محور بسيط غاية البساطة ، وهو أن الصواب المطلق ليس ملكاً لأى من الناس بل هو ملك لجميع الأجناس ، فهو موزع بينها بالعدل والقسطاس ، وب نفس الحكمة التي وزعت الطبيعة بها عوامل التطور والارتقاء في أرجاء هذا الكون الفسيح . فأى فهم للأمور

على غير وضعها الصحيح هذا إنما ينبعث عن غشاة الكبرياء عند الإنسان التي طالما باعدت بينه وبين تطوره المطلوب، وطالما فرقت بين البشر موفرة لهم - ولا تزال - من أسباب العناء أكثر مما وفرت من عناصر السعادة ودوافع الارتقاء.

ألا ترى كيف تتكافأ فرص السعادة والشفاء أمام مختلف الأشخاص والأجناس فلا ترتبط في نواويس الحياة لا بخلق المرء ونواياه؟ أليس كل البشر خليقة رب واحد؟ أليس رب هنا هو رب هناك؟ فلماذا يقبل ضمير البعض أن يتصور أن يكون «إله المحبة»، و«الرحمن الرحيم»، في رقعة مامن هذا الكون هو بذاته إله الكراهية أو القسوة فيما عداها ولمن عداه؟

ألم يدع جميع الرسل والفلاسفة إلى الأخوة والتضامن بين جميع الناس منذ أقدم العصور؟ ألم يحرص رسول المسيحية على تذكير الناس بذلك في موعظة الجبل عندما قال «طوبى لصانعي السلام فإنهم يدهون أبناء الله». وعندما قال «إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يستوجب الحكم». ومن سخر لك ميلاً واحداً فامض معه اثنين، ؟

كما حرص رسول الإسلام بدوره على تحذير الناس من الاعتقاد بغير ذلك عندما قال بكل وضوح في خطبة الوداع المعروفة «أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لأدم وآدم من تراب. إن أكرمكم عند الله أتقاكم. ليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى، ؟ ...

فلم وللام تلصق بعض المدارس بمبدع هذه القوانين العادلة الحكيمة صفات من المحاباة ينكرها أي إنسان على نفسه بشدة لو ألصقها به أي عدو له لدود، وأية كانت دوافعه وأسبابه ؟ ...

ولم وللام يتصور صانعو الأحقاد بين الشعوب والجماعات أن من حق أحقادهم الصيانية أن توجه ناموس العدل والحكمة، ومبادئ الشعوب والأجيال ... ؟ وأن تتحكم فيها كما يتحكمون هم في عقول السذج والبسطاء ؟

وهل لإرضاء هذه الأحقاد المدمرة كانت الرسائل والأنبياء ، وكان
ناموس المحبة والإخاء ؟ ... وكان الارتباط المحتوم بين الإيمان بالله ومحبه
وتمجيده ، وبين إحساس الإنسان بحريته وشعوره الراسخ بأنه « حيث
توجد روح الرب فهناك حرية » ؟

إمامه المحب أم طار السموم ١٩

وحرية العقيدة كما يقول الفيلسوف الألماني المعاصر كارل ياسبرز
K. Jaspers جزء لا يتجزأ من إحساس الإنسان بحريته نحو الله ، لأن الإنسان
الذي يشعر بحريته شعوراً حقيقياً إنما يزداد يقيناً بوجود الله ، فالحرية والله
حقيقتان متصلتان لا تقوم الواحدة منهما بدون الأخرى . ومعنى هذا أن
شعورنا بالحرية من شأنه أن يظهرنا على أننا قد منحناها على سبيل المحبة
أو العطية أو الهدية ، وكأننا بأكملنا مجرد منحة من قبل الحقيقة المتعالية
أو القدرة الإلهية . ومن هنا فإنني كلما ازدادت شعوراً بحريتي ازدادت في
الوقت نفسه يقيناً بوجود الله ، إذ أشعر عندئذ بأنني لست حراً من ذاتي
أو بذاتي ، بل بفضل تلك الإرادة العليا التي شاءت لي أن أهمل في حياتي
بمقتضى إرادتي ، (١)

ويتحدث أيضاً الفيلسوف جون لوك John Locke قائلاً إنه « لا الدولة
ولا الكنيسة من حقها التدخل في حرية الفرد السلوكية أو العقيدية ، فله أن
يسلك الطريق الذي يراه ، وأن يدين بالدين الذي يحبه ويؤثره لأن الدين
فردى خاص ، معينه في نفسه استنبطه من ذاتها ويستحيل على إنسان آخر في
الدنيا بأسرها أن يهدين في الدين صراطاً مستقيماً إذا لم تهدن نفسه » .
ويتحدث المفكر توماس باين Thomas Payne أيضاً قائلاً « إنك إذا
أردت أن تعرف كيف ينبغي للإنسان أن يسلك وأن يفكر في السياسة
وفي الاقتصاد وفي العبادات ، وفي كل جوانب الحياة ، فالعقل يكشف لك عما

(١) عن « مشكلة الإنسان » للدكتور زكريا إبراهيم طبعة ١٩٥٩ م ص ٢٣٣ .

يحقق الاضطراب والاتساق والنظام . ولا تركز في ذلك إلى حكم تحكم به الحكومة أو فتوى يفتى بها رجال الدين ، (١) .

وفي نفس الاتجاه يقرر السياسي الفيلسوف توماس جيفرسون Thomas Jefferson الذي كان رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية في وقت ما ، إن الحرية الدينية حق طبيعي للإنسان ، فكما أنه لا يجوز أن يستبد بها حاكم سياسي فكذلك لا يجوز أن تنتقص منها هيئة دينية . وحسب الإنسان أن يرضى ضميره سواء في رأيه السياسي أم في عقيدته الدينية .

كما يقرر أيضاً ، لن أجترأ أبداً أمام كعبة التعصب في قول أو فعل أو أجزى حق مسألة الآخرين عن أفكارهم الدينية . بل إنه يتحتم علينا على العكس - أنت وأنا وكل فرد - أن نجعلها قضية عامة ... تحفظ للجميع حق حرية الضمير . يجب علينا أن نتكاتف قلباً واحداً ويداً واحدة فنحطم المحجودات الجريئة الخطرة التي يبذلها أولئك الذين يغزرون بالرأى العام ويغرونه بالتحكم والسيطرة على العقيدة الدينية التي أباحها القوانين جميعاً حريتها حقاً وعدلاً .

ويستطرد قائلاً : « أقسمت أمام مذبح الإله أن أضمر عداً أبدياً لكل صورة من صور الطغيان أو السيطرة على عقل الإنسان . ولكن هذا كل ما تخافه من الطوائف الدينية ، وهو كفيل ببك الخوف في قلوبهم حسبما يرون » ، (٢) .

وكما أن حرية الاعتقاد هي جوهر الإيمان بالله تعالى ، فإنها هي أيضاً جوهر الاعتراف بالروح . فأولئك الذين يفهمون - صدقاً لا كذباً -

(١) عن « حياة الفكر في العالم الجديد » للدكتور زكي نجيب محمود ص ٢٥ ، ٤١ .
(٢) عن « جيفرسون » تأليف جون ديوي ترجمة الدكتور عبد الحميد يونس
ص ١١٢ - ١١٤ .

معنى الحرية ويقدرونها يدركون بسهولة معنى الروح الخالدة الحرة وما تتطلبه من تقديس لحرية الإيمان والشعور في الإنسان .

فهل يتوافر أى قدر من حرية الإيمان والشعور في مدارس التعاليم والجمود ١٩٠٠ . أم أن هذه المدارس لا تشعر أن لها رسالة أخرى في الحياة غير رسالة استعباد الإيمان وإزدهاء الناس في أمنهم وحريةاتهم ١٩٠٠ . وغير رسالة إطلاق صيحات الفرقة الظاهرة والمستترة . هذه الصيحات التي لن تجدها الآن نفس صداها القديم بعد أن تغطي عقل الإنسان دور الطفولة ، إلى دور النضج ورغبة تمقل كافة أمور الحياة . . . بل أمور الموت أيضاً . . .

وهذه الحرية المقدسة التي من حقاك أن تشعر بها أنت هي نفس الحرية التي هي حق مقدس للآخرين كما يتكشف الله لهم خلالها ، فيتعرفون على ذاتهم عن طريقها ، ويردادون إحساساً بوجودهم ، فيرتبط بوجدانهم ومصيرهم . ويصبح هذا الإحساس جزءاً من كياناتهم ، وبالتالي يستيقظ قوياً الشعور لديهم بأنهم قد أصبحوا جزءاً من تلك القوة الكونية الجلية التي اتزتهم من أنفسهم ، فأصبحوا قادرين على التزيم مع اسمى ما في الكون من مشاعر الحرية وأحاسيس الإيمان .

ولعله لا يسعنا في هذا المقام شيء قدر حكمة الهند - فك في الهند من حكماء أتقياء - عندما تقول : لا تكن متعصباً متعنّياً ، ولا تكن من الغلاة المتطرفين الذين يرون أن الهدى فيما يتبعونه ، وأن كل طريق غير طريقهم ضلال بعيد . فإن الحق أوجهاً متعددة يرضى كل وجه طائفة من الناس . وكم من النظريات تبدو متناقضة مع بعضها ، فإذا أنعم النظر فيها تكشف عن أسس متقاربة متجانسة .

إن الكثير من الخلاف بين التعاليم المختلفة قد يكون سببه استعمال ألفاظ معينة أو سوء استعمالها ، ووضعها في غير مواضعها ، فإذا فهمت الكلمات والاصطلاحات فهماً صحيحاً بدت الحقائق التي وضعت الكلمات

للدلالة عليها وقد زال الكثير من الخلاف بينها ، وإذا التعاليم المتعارضة
تفقد ما يثبتها من تعارض ،^(١).

* * *

ولا ريب أن هذا الأسلوب السليم في فهم رسالة الاعتقاد هو وحده
الذي يتناسب عقل إنسان هذا القرن ، وطريقة العصر العلمي الذي نعيش
فيه ، والذي يمكن وحده أن يهضمه بعد طفولة طويلة امتدت إلى
قرون وقرون . ولا ريب أنه هو الذي وجه المجلس المسكوني للكنائس
الذي عقد في روما في سنة ١٩٦٤ عندما قرر صراحة ، ولأول مرة في تاريخه
« بأن أبواب السماء مفتوحة لجميع الأشخاص الصالحين مهما كانت عقائدهم
ومذاهبهم الدينية »^(٢) . وعندما عاد في سنة ١٩٦٥ ليقرر « وجوب عدم
إرغام أى شخص على أمر ما خاص بالدين يخالف معتقداته ، وبألا يمنع
أى شخص من العبادة بحسبها »^(٣) . فقارن هذه المواقف بمواقف أخرى
مقابلة ، وبتفسيرات غاطلة كثيرة كانت تصدر فيما مضى ، وكأنها تنزىل
لا يأتيه باطل من خلف ولا من قدام ...

ولا ريب أيضاً أن فهم الأمور على هذا النحو أدهى إلى تثبيت إيمان
الناس في الله ، وإلى توجيه ضمائرهم توجيهاً موضوعياً سليماً نحو فهم سنته
السامية ، على نحو يصلح تمهيداً مناسباً لتذويب الحواجز الصناعية التي تراكت
على مدى الأجيال بين الإنسان وأخيه الإنسان ، والتي شادت على عقول انطوائية
كثيرة حتى قضت أو كادت على ما في الإيمان الصحيح من روث وضيء ، وعلى
ما في رسالات السماء من محبة وإخاء ، وحتى أضحت هذه الحواجز عند

(١) عن « فلسفة البوذا » تأليف يوجي راماشاوا كما ترجمة الأستاذ عريان يوسف سعد

ص ٧٧ .

(٢) راجع جريدة الأهرام ل ١٩٦٥/١/٢٣ .

(٣) « ١٩٦٥/٩/٢٢ » .

بعض النفوس ذرائع للشك والإلحاد، وعند بعضها الآخر منبعاً لإدراك الإحسان والآحاد .

فلنقلها كلمة صريحة لمن تعود - تحت أى عنوان وفى أى مكان - أن يعبد إلهاً شخصياً يكيل له بمكيال النعمة لظروف البيئة والميراث ويكيل لغيره بمكيال النعمة ، أنه يعبد فى حقيقة الأمر نفسه لا إله ، وأنه يحرق البخور تمجيداً لأهوائه ، وفى قلبه من رهبة منه أكثر مما فيه من إيمان ، ومن نفاق له أكثر مما فيه من عرفان . وفى روحه من عجز الطفولة أكثر مما فيها من برامتها ، وفى عقله من ضعف الحجة أكثر مما فيه من قوة البرهان .

بل فلنعلنها حقيقة واضحة ، وهى أن إيمان هذا المؤمن بالله ، محض رهبة ونفاق . فهو يرهب إلهه كما يرهب العديد قاضياً للظلم فى مدينة للظلام ، وينافقه كما ينافق حاكماً بأمره فى غفلة من الزمان ... فهل هذا هو أفضل نوع من الإيمان يملكه ضمير الإنسان ؟

أليس الإيمان بالأصنام التى لا تضر ولا تنفع أفضل بكثير من إيمان هذا الإنسان بالله غشوم ، حاقد وظلوم لكل ما عدا جلسه من الشعوب والأجناس ؟ ... بل أليس الإيمان بـ "عدالة" قاضى الظلم هو من نفس نوع الإيمان بمظالم إله الحقيقة والعدالة فى كل زمان ولكل إنسان ؟ ... ثم أليس الشرك بالله شر ؟ فما بالك عندما تشرك الله بالشياطين فى أحقادها وفى أهوائها ، ونقول بل هذا هو بعينه الاستمساك بعبادته عن فهم وعن إيمان ؟ ...

وكلما ازداد - للأسف - مثل هذا النوع من الفهم الخاطى عمقاً واتساعاً كلما ازداد صاحبه عمقاً فى غوايته واتساعاً ، وتشبثاً بأهوائه وبأحقادها ، أسوة بشيطان الانانية ، الذى يعبدده وتقليداً له ، وحتى يبلغ الغاية من استرضائه ... ويأويح مجتمع توجهه أهواء بناته وبنيه ، حتى فى فهمهم لله وعبادتهم إياه ، ويأويح الأبناء فيه من الآباء والآباء فيه من الأبناء ...

وياوحي دعوة السلام من إيمان هو في حقيقته دعوة للحرب والعدوان ،
فأيهما أفضل للأنا ، إذا ، إيمان الأنانية والعدوان هذا أم إلحاد التواضع
والسلام ١٩ ...

بين الإيمان الشخصي والموضوعي

وليس الإيمان بالله معناه ترديد اسمه تعالى دواماً بغير عرفان ، بل معناه
محاولة تفهم صفاته الحسنى وترتيب نتائجها المحتومة بعيداً عن منطق الأنانية
لأنه مصدر كل خطأ يبطل المنطق وينفيه ، ونفي النتائج نفي لأسبابها ، وهو في
هذا النطاق نفي للإيمان التقى بالله وبأسمائه الحسنى .

فإذا قلنا إن الله محبة ، أو إنه عادل ورحيم وغفور ورؤوف وحكيم...
ولا نقف صفاته الحسنى غير المحدودة عند حد ولا قيد في اتساع مداها ، تغذر
على العقل أن يستدرك قائلاً بعدئذ ، ولكن الله تعالى لغيرنا من بني البشر هو
عكس ذلك كله . فالمحبة ، لنا كراهية لهم ، والعادل لنا ظالم لهم ، والرحيم
بنا قاسم عليهم ، والغفور الرؤوف بنا حقود لا يرحمهم ، والحكيم علينا غير
حكيم على غيرنا ... وهكذا من شتى صور الإيمان الشخصي الذي هو في تحليله
الصحيح محض أنانية بدائية لا تختلف شيئاً عن شروص الإلحاد التي عرفها البشر .
بل إنها تحمل - إلى جانب معنى إنكار الله في أسمائه الحسنى - معنى طغيان
الرأى تحت تأثير ما قد يعتل في النفس من أحاسيس ضارة إذا أطلق لها
العنان فإنها لا تبتقي ولا تذر ...

أما الله فتعالى عما نرسم ، وعما نخطط لأنفسنا ولأولادنا من بعدنا . فإذا
كنّا أبراراً فهو ، بار ورحيم . وإذا كنّا جملة أغبياء ، فطريقة فهمنا لنواميس
الله مصدر جهلنا وغبائنا ، وإذا كنّا عدولاً حكماً ، فإلهنا ، عادل وحكيم مثلنا .
أما إذا كان هو عادلاً ورحيماً وحكيماً وغفوراً ... فليس مقتضى ذلك
بالمرة أن نكون مثله في شيء من صفاته إلا إذا اخترنا - ابتداءً - أن نحاول
الاقتراب منه ، فنغير ما بأنفسنا تغييراً شاملاً لأن الله لا يغير ما بقوم حتى
(٢٧٢ - الإسراء : ٢٠)

يغيروا هم ما بأنفسهم ، ، وهو ما يقتضينا أن نغير طريقة فهمنا لنواميس الله التي هي نواميس الحياة الأزلية ، إذا ما فهمنا أن الله تعالى يملأ بروحه رحبات المكان والزمان ، ماداً ذراعيه لمن يتجه إليه من بني الإنسان . . ولن نتقدم الحياة إلا في ضوء فهم صحيح لعلاقة الإنسان بالله ، وبأخيه الإنسان ، وبغير ذلك لا تنتظر سلاماً يرسى ، ولا تقدماً يذكر للحياة .

انظر إلى نواميس الحياة في كل مكان وزمان ، فهل تجد فيها شيئاً يغير هذه المعاني الجليلة بذاتها ؟ ! وهي التي ما أصبحت بحاجة لمن يبرزها ويدافع عنها على الدوام ، وقد يتحمل المدافع الثبور وعظام الأمور من وراء دفاعه ، إلا لأن ظلام روح الإنسان أحاطها من كل جانب بالظلمات ، والويل للنور من الظلام وللوداعة من الحماقة !! ...

ثم تأمل في الإله الواحد ، الذي لا تتناقض صفاته ولا تتضارب ، فهل ترى فيما ذكرت شيئاً ينفيه العقل أو يرفضه الوجدان ؟ أم أن العقل والوجدان لا يمكن أن يقبلا التسليم بغير ذلك إلا إذا قبلوا ابتداء تعدد الآلهة المتباينة الصفات والنزوات ، كتعدد الأصنام التي عبدها أسلاف ذاك الإنسان في قديم الزمان ؟ . ولما تغلّ عنها أحفادهم اتجهوا إلى عبادة ذواتهم بدلا من عبادة الواحد الديان !! .

فأى إله إذا تختاره كيف يكون موضع حبنا ، ضارعين إليه في صلاتنا وصومنا نحن البشر أبناء مشيئته الواحدة ؟ وأبناء محبته التي لن تعرف سبيلها إلينا إلا إذا عرفت سبيلها إلى الجميع على حد سواء . . . ولن نعرف سبيلنا إليها إلا إذا ارتقت إليها نفوسنا عن فهم نقي لمعنى المحبة والإيمان ..

ولحسن الحظ أن ذلك النوع من الإيمان الاناني المتعير الذي طالما وقف — وما يزال — في ضمائر بعض الحرفيين من كل عقيدة ومذهب عقبة تحول دون قبول حقائق العلم الروحي الحديث — بغير ما بحث ولا اطلاع — آخذ في الأقول التدريجي تحت تأثير تقدم العقل في المعرفة والضمير في الفضيلة .

فالمعرفة السليمة بنواميس الحياة كفيّلة مع الوقت بأن تبدها شيئاً ضباب
ذلك الإيمان المتحيز الذي ينبع من طفولة الشعور كيما تشرق فيه شمس
الإيمان الموضوعى المجرد، الذى هو ثمرة لنمو العقل فى المعرفة والضمير
فى الفضيلة، وفى نفس الوقت طاقة حقيقية تقويهما وتقوى بهما .

كما أنه ثمرة لفلسفة واعية أكثر ترابطاً - وأنسب للإنسان فى تطوره
المستمر - من أية فلسفة تقوم على تملق انفعالات الكبرياء الطبيعى فيه
حيثما وجد، وأينما كان .

ثم إن المعرفة الصحيحة بقوانين الحياة فى كل فروعها كالطب
والسيكولوجيا والبيولوجيا والفسولوجيا... أظهرت أنها موضوعية
ومجردة إلى أقصى ما يستطيع الإدراك أن يصل إليه، فهى لا تعرف تحيزاً
ولا محاباة، فلماذا تكون غير ذلك قوانين الروح، مع أن الروح هى أصل
كل قانون وعلة كل حياة ؟ ..

فالقانون الوضعى يعد أداة فاشلة إذا ما وضع تحقيقاً لاعتبارات
شخصية، أو لمحابلة فريق من الناس على حساب آخر، أو إذا نظر إلى
جانب واحد من أية مشكلة مهما كانت صغيرة دون باقى جوانبها، ويعد بالتالى
معيباً إذا ما أخفل تقديرولو نتيجة واحدة من نتائجها المحتومة. والتشريع العادل
الذى يعتبر الناس «سواسية كأسنان المشط»، هو الهدف الاسمى لكل
شارع يريد أن يتق الله فى تشريعه، فكيف يمكن أن يكون غير ذلك التشريع
الإلهى نفسه ١٩ ...

وإن فلسفة هذه الروحية العلمية لتسلم تماماً بالمساواة بين الناس أمام
ناموس الطبيعة - كما ترى - ولا تعرف سبباً للمفاضلة بين إنسان وآخر
إلا السمات الطبيعية والفضائل الخلقية، التى ليس منها الانتهاء إلى شعب دون
آخر، وكلها ينتحل لنفسه الامتياز، وكلها يطالب الناموس الإلهى بالانحياز،

مع أن هذا الناموس واضح منقوش في ضمير الجميع، لأنه ناموس العمل الصالح والخلق القويم اللذين ينحني لهما الإنسان النليل احتراماً حيثما كانا وكيفما ظهرا... فهل المخلوق الضعيف أفضل من خالقه ؟

كما أنها تسلم تماماً بالعروة الوثقى من التضامن بين الإنسان وأخيه الإنسان من أى جنس ومن أى دين كانا . فكما أن الفرد لا يمكن أن يعيش سعيداً في أسرة شقية ، فلا يمكن لأى مجتمع أن يعيش سعيداً في عالم شقى ، ولذا كان كل إنسان مسئولاً عن خدمة أخيه أمام ناموس الطبيعة الحكيم الذى وضع كل واحد في موضعه بلا شذوذ ولا انحراف ، فكان توزيع البشر جماعات وأفراداً في هذا الكون جزءاً لا يتجزأ من الطبيعة في تناسقها العظيم ، الذى تكشف تدريجياً لعقول العلماء ، والذى أثبت في العصر الحالى أكثر من كل وقت مضى أن « الكل واحد » ، وأنه ليس بمقدور أى إنسان أن يقول كما قال قايين عن هابيل « وهل أنا مسئول عن أخى ؟... » . ولكن كم واحد بمقدوره أن يشعر شعوراً حقيقياً كما شعر غاندى العظيم عندما قال « إذا قدرت لى ولادة ثانية فأرجو أن أولد طريداً بين المطرودين حتى أستطيع أن أودى لهم خدمة فعالة أبعد أثراً » (١) ، ١٩... .

وقد التقت المدارس الروحية — مهما تعددت فلسفاتها — عند التسليم بالآخوة الإنسانية كحقيقة كونية ، وعند التسليم أيضاً بأن المعرفة الصحيحة قد ألفت بتدورها في كل زمان ومكان ، فأثبتت زهوراً يانعة تسبح بمجد الله وقدرته ، لكن سرعان ما نبئت إلى جوارها أشواك خائفة كادت أن تفتك بها ، رواها ضعف الإنسان وغروبه الطبيعي .

وهي تعلم أن هذه الأشواك وجست للأسف قتات كثيرة من الناس ترهاها على مر العصور ، عن طريق تملق غرائز الجماهير واستجداء كبرياتها

(١) كتب العلامة لينتون كلمة تلميحاً لذكرى غاندى يقول فيها « بالكاد ستصدق الاجيال القادمة أن إنساناً كهذا خطر على الأرض في لحم ودم » .

الزائفة وانفعالاتها الصاخبة بشعارات و ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب ،
كما تضمن موفورة ذرائع التسلط عليها ، إذ أن الجماهير تسلس قيادها لمن قد
يحسن إثارة مشاهرها وتملق كبريائها .

وقد ظل هذا التسلط واضحاً طيلة القرون الأولى والوسطى إلى أن
دالت دولة الطغيان باسم الاعتقاد . ولما أشرقت دولة الفكر المنحرر والمنطق
المتراجط أشرقت معها شمس الإيمان العلى ساطعة من خلف غيوم الجهالة
كثيفة ، فأضاءت للجميع آفاق الإيمان المستنير تحت سماء مشتركة اسمها سماء
المعرفة الصحيحة .

وعلم الروح الحديث رسالته هي أن يحمي الأزهار من الأشواك ،
والشروق من الغيوم ، والمعرفة الصحيحة من الآوهام . وهو إذ يحمل عبء
هذه الرسالة السامية ليعلم جيداً أنه إنما يخوض حرب مواجهة مع عدوان
الكبرياء والجهالة وشروورها ، سلاحه فيها قوة الحق وسلامة البرهان
ولا شيء غيرهما ، وهدفه منها سلام العالم لا أقل من ذلك . . . فهل يقدر
له الانتصار حتى تنال البطولة ، بل الحياة نفسها ، مغزى أسى كثيراً من
مغزاهما الخالي عند الجامدين والحرفيين من كل ملة ودين ؟ . . .

هذا ما يرجوه له كل عامل على تحرير عقل الإنسان من أغلاله وكتفه
من أحماله الثقيلة ، للدفع به قدماً في طريق مستقبل يسوده الوثام ، بل التضامن
التام بين جميع الأجناس والأديان ، على النحو الذى سعى إلى تحقيقه منذ
القدم كافة الأنبياء والفلاسفة عندما وجهوا ضمائر الناس إلى المحبة والإخاء
وقلوبهم إلى النقاء ، وبذلوا نفوسهم سخية في سبيل هذا التوجيه العسير
غاية العسر ، بسبب ارتطامه بما في نفوس الناس من غلو ومن كبرياء . . .
وما كانوا لينزلونها لولا إيمانهم بأن نظام الله تعالى في الكون و يمكن
أن يتأصل في الحب — كما يقول أحد الحكماء — أليس ذلك الفكر البسيط
يقدم عزاء للقلب البشرى أعظم من مجلد عويس في علم الكون ؟ ! إن كل

قد يس نفذ إلى لب الحقيقة قد شهد بأن هناك نظاماً عاماً مقدساً ، وأنه جميل ومفعم بالفرح ، (١)

وفي هذا الشأن يتحدث أيضاً حكيم آخر قائلاً « إن البشرية الآن على أبواب تغيرات عظيمة ، وإن الريح تهب وقد عرف من أين تأتي وفي أي اتجاه . إنها الآن نسيم رقيق ، ولكن بعد قليل ستصبح عاصفة تطيح بالكثير مما بناه الإنسان وهو يظن أنه ثابت للأجيال . وعند ما تهدأ العاصفة سيبنى الإنسان من جديد أشياء أحسن وأبقى ، فهل أحسنتم النسيم وشاهدتم النذر ؟ . ولكن لن يحدث هذا التغير نتيجة للبغضاء والحقد والتنافس والتناؤ ، إنه سيحدث نتيجة للحب والتعاطف والشعور بأن الناس إخوة ، بل أعضاء جسد واحد ، وأن سعادة الكل في سعادة كل جزء وكل فرد ، وهكذا يبدأ فجر جديد ، فجر العصر الذهبي ..

سيقول لنا الصوت الصاعد من الصمت : اذهبوا واعملوا في كرمي لا بقوة السواعد وبارغام الأشياء على أن تنمو وتزدهر ، ولكن ليسكن عملكم بالقُدوة الحسنة وبالحياة أسمى ما تكون الحياة . إن الناس يحتاجون إليكم لينتشر ضوءكم في ظلامهم (٢) .

وعلى أمثال هذه المعاني أجمعت الفلاسفات الروحية في كل ركن من أركان هذا الكوكب داعية للإغاثة الإنسانية العام الذي يسمو على كل الحواجز والسدود ، ويحطم الأغلال والقيود ، كما يقيم سلاماً حقيقياً بين البشر مختلفاً تماماً عن دهوات السلام الزائفة التي تقوم على التظاهر والرياء ، لأن الروحية هي الدعوة الوحيدة التي تقوم على أساس من الإيمان بالحب الشامل للإنسانية كلها ، ذلك الحب غير المشوب بكبرياء ، وغير المدنس بشهوة تسلط ولا ادعاء . كما تقوم على أساس من الإيمان العميق بالتضامن التام بين الناس جميعاً ، والذين ينبغي أن يجمع الإحساس بهذا التضامن بين قلوبهم ، كما ينبغي أن يدفعهم - في ركب واحد - ناموس التطور والارتقاء .

(١) عن « فلسفة الهند في سيرة يوجي » . المرحم السابق ص ٥٢٠ .

(٢) عن « فلسفة اليوجا » المرحم السابق ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

الفصل الثاني

في الخلق والضمير

تتحدث فلسفة الروحية عن قوانين طبيعية للأخلاق لا تعرف هوادة مع من يخالفها ، ويشعر سكان الأثير بقوتها ونفاذها أقوى من شعورنا هنا بأشعة الشمس الحامية عندما تدفء أجسادنا وتطهر أجواننا . فتحكم هذه القوانين عالم الأثير حكماً مباشراً بغير ما حاجة لحاكم من البشر يتولى مراقبة تطبيقها ومعاينة مخالفاتها ، على الأسلوب المألوف في المستوى الأرضي .

وهذه القوانين تكاد - رغم تعددها وتنوعها - ترجع إلى أصل واحد ، وهو أن كل ما ينبعث عن الأثرة شر يعوق تقدم الروح ويسوء إيلها ، لذا يحمل بالعقل تفاديه ، وأن كل ما ينبعث عن الإيثار خير يحمل الإقبال عليه ، لأن الإيثار طاقة حقيقية تغذى ملكات الروح وتدفع بها إلى الأمام في طريق نمو العقل والعاطفة .

فكل أخطاء النفس وشروها تنبع عن رذيلة الأثرة وشقيقتها الغرور ، وكل فضيلة فيها تنبع عن الإيثار وشقيقته التواضع . ومن ثم تتوقف سعادة النفس على ما قد يغذيها ويوجه تصرفاتها من إيثار ، كما يتوقف شقاؤها على ما قد يغذيها ويوجه تصرفاتها من أثرة .

وعوامل الضعف والعتار كثيرة ، ولكن مصدرها في النهاية هو الغرور الذي يفترس العقل افتراساً . ومعه كل موهبة حقيقية - كما يفترس الوحش الضاري فريسته الواهنة المستسلمة ، ويمزق ملكات الروح الدفينة فيتركها خلواً من كل موهبة إلا القدرة على التفرير والادعاء ، كما يمزق الداء الويل الصدر والأحشاء ، تاركاً ضحيته البائسة حطاماً وأشلأ ، ويستوى في ذلك السيد مع المسود ، وصاحب القوة والجاه مع العاجز الذليل ، والعلاق القوي مع المحطم الغليل .

ف عندما يتساءل المرء قائلاً : ماذا هذا العملاق كما يبدأ حياته مشرقة
جميلاً فإذا به ينهبها مسخاً هزيراً . . ١٩ . فلن نجد إلا جواباً واحداً بسيطاً
وهو أن الغرور هو المسئول الأول والآخر عن هذا الشر المستطير .

ومن ثم فليست هناك خدمة أجل للجمع من أن يعرف المربون كيف
يوجهون الجيل الصاعد وجهة التواضع والوداعة . فهنا تكمن مناعة الخلق ،
والوطنية المضحية النبيلة ، وهنا تكمن كل قوة حقيقية ، وكل خير للوطن في
بنه . فليست التربية الوطنية غروراً ولا شراسة ، وليست هي ادعاء
وانطواء كما فهمها خطأ بعض المربين ولا يزال .

بل إننا إذا قلنا التواضع والوداعة فقد قلنا في نفس الوقت البساطة
والإخلاص لكل ما هو راق ونيل . فنذ عرف قلب الإنسان طريقه إلى
البساطة والإخلاص عرف طريقه بنفس المقدار إلى الإلهام وإلى العبقرية ،
وبالتالي إلى التقدم والحضارة ، وإلى كل تضحية نبيلة تنحني لها الرؤوس
إجلالاً .

والتربية لا تكون بالوعظ والإرشاد ، بقدر ما تكون بالقوة الحسنة
تقدم للبنات وللبنين في أقرب صورها وأدعاهها للاقتداء . فليفهم الجميع أن
التواضع والوداعة من صفات الله تعالى لأنه درحمن ورحيم ، والرحمة تنفر
من الغرور لأن شيطان الغرور قاس لا يرحم . فمن يريد أن يعبد الله حقيقة
فليتشبه به أولاً ، بدلاً من أن يقتدى بالشياطين في غرورها وقسوتها ، وكل من
يعبد الله يأبى أن يشرك به الشيطان المتوذب لأن يقلب نعم الحياة جميعاً على
الجميع . ولا تبعد عن هذا الشيطان بعيداً لأنه أقرب إلى وإليك من الله
بكثير ، فهو كامن فينا ، أما الله فقد أبعدها عن حياتنا بغير ونا وقسوتنا . . .

إما الاسم المذموم

وما يصدق على الفرد يصدق على المجموع أيضاً ، فلا شيء يلتهم ذكاء
المجاهة ويحول إلى طاقة هدامة مثل نزعة الآثرة هذه . فعلة تخلف كثير من

الجماعات كائنة في مستواها من الأخلاق لاني مستواها من الذكاء . ثم إن تدهور الخلق يؤدي حتماً إلى تدهور الذكاء ، لأنهما وجهان متقابلان لشيء واحد اسمه العقل أو الوعي ، ولذا قال شوقي - رحمه الله : -

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
كما قال أيضاً : -

ولذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم ماتماً وعويلاً
والفرد يتفاعل مع مجتمعه ابدأ ، فهو يأخذ منه ويعطي أراد أم لم يرد ، وشعر بذلك أم لم يشعر . وهذه الآن ليست لحسب نظرية فلسفية أو اجتماعية ، بل حقيقة علمية وصل إليها علماء النفس المعاصرون - وبخاصة كارل جوستاف يونج K. Jung - عندما قرر أنه يوجد لكل مجتمع وعي عام مشترك يصل بين جميع أفراده بطريقة غير واعية منهم ، كما يجمع بين آبار المياه الموزعة في رقعة واحدة قاع عام مشترك يملأها كلها بطريقة مستمرة بنوع واحد من المياه .

وذلك ينمى مسئولية الفرد إزاء الجماعة ، ومسئولية الجماعة إزاء الفرد . ويقيم تضامناً وثيقاً في المسئولية بينهما ، كما يعطى لفطرة الشعوب قيمة عظيمة في توجيه مصائرهما ومقدرتها في قافلة واحدة عليها أن تلتقي طريقها في وحدة وطيدة في صحراء هذا الوجود قبل الوصول الى واحة الأمان والاطمئنان . حتى يبدو أن وحدة البيئة هي الرابطة الحقيقية التي تعترف سنن الطبيعة بها كما تصحح في نفوس الناس ما قد ينال منه تعدد الأجناس والألوان والأديان في الوطن الواحد ، ثم في الكوكب الواحد . فهل آن للإنسان أن يمي عظمة هذا الدرس ويرتب عليه نتائج المحتومة التي أرادتها له إرادة حكيمة من عند هيرز مقتدر ؟

ولما كان كل إنسان يمثل تركيباً من أثره ومن إثاره ، فهو يمثل في نفس الوقت تركيباً من ردائل ومن فضائل شتى مجتمعة معاً . ولذا كان لكل

إنسان مستوى محتوم من السعادة بقدر ما يزينه من إيثار ، وفي نفس الوقت من الشقاء بقدر ما يشينه من أثره ، ومن حب للعالم ، بحكم ارتباط المقدمات بنتائجها المحتومة في سنن الطبيعة . وذلك إلى المدى الذي دفع سويد نبرج إلى القول بأن حب الذات هو الحب السائد في الجحيم ، وهو الذي يصنع الجحيم في الإنسان !

وليس الغرور من صفات إنسان دون آخر ، بل إنه يكاد يكتسح نفوس البشر أجمعين وإن تفاوتت في قوته وضعفه . ولا يذهب بك الظن أنه من صفات الأقوياء أو الأغنياء ، أو ذوى الجاه والسلطان دون غيرهم ، فقد يصيب هؤلاء ، كما قد يصيب بنفس المقدار الضعفاء والمحرومين . وقد يكون العجز والحرمان هما جزاء الطبيعة العادل لإنقاذ المحروم من خيالاته ، فينجو من وهدة حرمانه . .

وإذا بلغ الغرور في القوة مداها فهنا الشطط والاندفاع ، وهنا الشر والعدوان ، وهنا الغموض والالتواء ، وهنا التخبط والاضطراب ، وهنا الكذب والنفاق ، وهنا التسلط والاستبداد ، وهنا المحافة والذيلة ، والجبن والخديعة ، وهنا الصغار والشبان ، وهنا فاقة المواهب والملكات ، وانطلاقات الغرائز والشهوات ...

ولا تسلم بعدئذ عن فارق بين « قوى » وبين « ضعيف » ، أو بين « قادر » وبين « عاجز » ، لأن مآل الجميع في النهاية إلى العجز إذاء رغبة الحياة في الارتقاء ، وإزاء رغبة الروح — وحققها المشروع — في أن تنعم بالسكينة في حاضرها والاطمئنان إلى مستقبلها ... وحقائق الحياة تنبئنا أنه مع تقدم الغرور تتخلف الحياة ، ويتخلف معها كل سكينة وكل اطمئنان للفرد في الجماعة وللجماعة في الفرد .

وسنن الطبيعة هذه تعطي الحياة ولا تأخذها ، لأن الحياة كما قلنا لا تتوقف ولا تقضى ، فهي تمثل بذاتها الدرجة القصوى للإيثار خاليا من الآثمة . ولذا

كان الإحساس بالسعادة في ضمائرنا يشير إلى قانون من قوانين الحياة عرفنا كيف نطيعه ونترنم معه ، حين يشير الإحساس بالشقاء إلى قانون آخر عصيناه . ولا يدفعنا إلى إطاعة قوانين الحياة شيء قدر نزعة الإيثار إذا ما وجهت تفكيرنا ، ولا يدفعنا إلى مخالفتها شيء قدر نزعة الآثرة التي تتعارض حتما مع قدرة الطبيعة في أسلوبها معنا عند ما تعطى فلا تأخذ وتهب فلا تسلب ، وتمنع فلا تمنع إلا ما تمنعه عن أنفسنا بأنفسنا ، وبما فينا من أثره ومن عناده .

وإذ لك كله كانت السعادة ليست حادثة بل قدرة ، وكانت أبواب السعادة الحقة — كما قال تولستوى — تفتح من الداخل ، . . أى من داخل النفس ، هذه النفس التي لا تملك — بالموت — إلاها .

السعادة تتبع من داخل النفس

ولنوضح هذه الحقيقة الفلسفية الهامة — وهي مجيء السعادة من داخل النفس لا من خارجها — بمثال تنزعه من فلسفة وليام جيمس عندما يقول : إن التفاؤل بالحياة فضيلة ، ويصبح الإنسان متفائلا إذا ما اعتقد بخير العالم لأنه سوف يجد العالم يلي رغباته ويخدمه وسيرفع عنه الاضطراب والقلق ، وحينئذ لن يفكر في الشر وسيعتبر أنه شيء غير موجود ، أو سيتجاهله بالآقل ، . ثم يضيف قائلا ، إن معظم ما نسميه شرأ يرجع إلى النحور الذي يأخذ به الناس الظواهر . يمكنك أن تجعل الشر خيرا بتغيير بسيط في الموقف الداخلي للإنسان المتوقع لك الشر . أى تغيير من موقف الخوف منه إلى موقف التضال لإزائه ، وستصبح لدعة الشر حلاوة إذا قبلنا مواجهته بفرح وابتهاج . انكر ما في الوقائع من سوء واحتقر شبح سوئها وأدرك لها فإن الشر الذي فيها قد يزول . . .^(١)

فالسعادة والشقاء لا يجيئان إذا من ناحية الأحداث الخارجية التي قد تواجهنا

(١) منوف التجربة الدينية ص ٨٩ .

بقدر ما يجربان من ناحية الطريقة التي نواجهها بها ، والتي تتوقف أول ما تتوقف على مقدار ما فينا من فضيلة أو رذيلة ، فالإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح ، والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر ، فإنه من فضلة القلب يتكلم فمه .

* * *

بل إن سعادة الإنسان وشقاءه لا يتوقفان لحسب على مقدار فضائله ورذائله ، التي اصطلاح الناس عليها في مألوف حياتهم وقيمهم الاجتماعية الصائدة بقدر ما يتوقفان قبل كل شيء آخر على مدى ذكائه وحكمته . وأيضاً على صحة إحساسه بذاته واستقلاله عما يحيط به من مظاهر الحياة ، وبالتالي يتوقفان على نوع شعوره ، وعلى عمق العاطفة الصحيحة لديه أو ضآلتها ، وعلى عمق الإحساس بالجمال حيثما وجد أو ضآلته . الجمال في كل شيء : في الطبيعة ، في نفوس الناس ، في الفكرة الجميلة ، في التصرف النبيل ، في اللوحة الجميلة ، في النغم المعبر ...

وكل ذلك يتوقف على المستوى الروحي - أو إن شئت - العقلي للإنسان ، هذا المستوى الذي يتحكم فيه شيء واحد في النهاية وهو المعرفة أو الجهل ، إلى الحد الذي دفع سقراط إلى القول « بأنه يوجد خير واحد للبشر هو المعرفة ، كما يوجد شر واحد هو الجهل ، ... والذي دفع شكسبير إلى القول بأن « الجهل هو لعنة الله ، أما المعرفة فهي الجناح الذي نظير به إلى السماء » . ودفع إيمرسون إلى أن يقول « بنثنى بما يدور في ذهن الرجل انبثك أى رجل هو ، ونورمان فلنسنت ييل إلى أن يقول بدوره « إنك لست من تفكر أنه أنت وإنما أنت ما تفكر » .

فالمعرفة لعقل الإنسان هي إذاً كل شيء حتى الفضيلة والعاطفة . ولعله لذلك قال طاغور أيضاً « نحن لا نعرف لأننا لا نحب ، ... والمعرفة أيضاً هي الإحساس الفنى والدوق السليم ، بل هي أيضاً الشجاعة والنخوة والوطنية .

والتضحية ، والاستقامة والجهاد . وهو حتى في هذا النطاق تنبع من إنكار الذات ، لأنها لا تجيء إلا عن هذا الطريق ولا تقف في طريقها عقبة كعقبة الأثرة التي تعطل في الإنسان نشاطه العقلي ومعه المعرفة الصحيحة والعاطفة السكرية ، وتقلب الموازين والقيم رأساً على عقب ، فإذا الجهل عرفاناً والغباوة إيماناً ، والشر خيراً ، والمغالطة برهاناً . كما أن الأثرة تولد احتقار الآخرين ، والحقد والحسد والانتقام وبالتالي القسوة ، كما تولد الحرب والمدران على الحقوق . . .

بل إن الأثرة لا تكفى بتعطيل كل فضيلة حقيقية في النفس ، فلا تقنع بأقل من التهامها في النهاية - ومعها كل موهبة ، بل كل ألمعية وذكاء ، وكل علم وعرفان - جاعلة منها عناصر للتخلف بدلا من الارتقاء - وذلك كله بحكم الصراع الخالد بين الشر والخير في ناموس الحياة ، والذي يتمثل أول ما يتمثل في اصطراع عوامل الخير والشر داخل الروح ، سواء عندما تكون في أسر جسدها المادى ، أم عندما تتخلص من هذا الأسر ، كيما تصبح سيدة جسدها الأثيرى .

ولا يوقف طغيان الأثرة عند حدها شيء قدر قوة الإيثار . وإرادة الإنسان هي في النهاية الفيصل في هذا الصراع الخالد بين الشر والخير ، أو بالأدق بين شهوات الذات السفلى محكومة بالجهالة ونوازع الذات العليا محكومة بالمعرفة ، وإرادة التسامى التي تستلهمها الروح من إحساسها بحقيقتها ، ومن انصالتها غير الواعى بعالمها الأصيل .

ولذلك يمكن بغير كبير عناء القول بأن كل فضائل النفس تنبع من فضيلة واحدة حقيقية . فهي أشبه ما تكون بالصيغ المتنوعة المباداة الصلبة عندما ترجع رغم تعددها إلى أصل واحد وهو الأثير ، الذي يرجع بدوره إلى طاقة واحدة محبوسة بحاجة إلى عقل كيما يوجهها ويتوجه بها ، كذلك

فضائل الإنسان ترجع كلها إلى طاقة واحدة تغذيها وتتغذى بها وهي طاقة الإيثار التي تغذيها المعرفة ، ويرجع عكسها إلى الصورة العكسية لنفس هذه الطاقة وهي الأثرة التي تغذيها الجهالة . وهكذا يظهر بجلاء معنى القول المقدس « من يحب نفسه يهلكها ، ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية » .

الأفهوم = المعرفة في الفلسفات القديمة

وليس بغض النفس معناه ازدراء ملكاتها ، ولا إنكار حقيقة الإحساس الصحيح بالذات كشرط لسعادة الإنسان ، بل معناه تحسب الترفع عما قد يحط من قدر الروح ، مع تكريس النفس للخدمة الشريفة ، وتكريس العقل لأداء رسالته الصحيحة ، وهي الابتداع . فرسالة العقل التي أعدها له الطبيعة منذ بدء الخليقة هي أن يكون نامياً مبتدعاً ، فإذا ما توقف عن أداء رسالته فقد ارتكب الوزر الأكبر نحو قانون الطبيعة الأكبر ، وهو الارتقاء ...

ولا ينمو العقل إلا في ظل انكار الذات ، وفي ضوء حرية كاملة من التفكير والتقدير ، ومن البحث وراء المعرفة غير مقيدة بقيود . فكل قيد على العقل أياً كان مصدره ، أو مداه ، إنما هو حرب معلنة على تقدم الحياة ، بل على كل فضيلة ، أشد وزراً من كل حرب دموية أعلنتها الحماية على الحكمة ، والجود على التقدم .

ومن يقف عاجزاً عن تفسير الكثير من ألغاز الطبيعة ، وعن تفهم حكمة الأحداث الضخمة التي غيرت مجرى التاريخ الإنساني ، وحكمة المأسى المرة التي عانى منها الإنسان ولا يزال يعاني ، فإنه لن يجد مفتاح اللغز إلا في قانون التطور وسلطانه الرهيب على الروح والمادة ، وتفوقه الساحق على كل قانون آخر عدهاء ، مهما ظهر لنا إنسانياً رحيماً ، في هذا المستوى الضيق المحدود من الوجود .

ولذا كان تطور الجسد هدفاً سامياً من أهداف الطبيعة ووسيلة من وسائلها نحو ارتقاء الحياة فتطور الروح - حاملة العقل - أحق وأوجب .
فنحن لا نحيا لإشباع شهواتنا وغرائزنا بل لتنمية ملكاتنا ومداركنا ، ومن ثم كان العقل غاية الحياة ، كما أن الحياة المتكاملة غاية للعقل المتكامل ، فالحياة تدور مع العقل وجوداً وعدماً ، كما تدور معه ارتقاء وانحطاطاً . وهيهات لنا موس الله العادل أن يكون الأمر غير ذلك ، إلا إذا نزل بنا مستوى الإدراك عن إدراك حقائق الحياة الواضحة ... وارتفع بنا مستوى الادعاء إلى زعم العلم بكل أسرار الكون وخفاياه ، كما تكون أداة طيعة في يد ادعاءاتنا ، وكأن الله تعالى يتلقى منا الوحي والإلهام ويتعرف منا على الحلال والحرام ...

وقد كانت الفلسفات القديمة تعرف للمعرفة حق قدرها ، وأثرها المباشر في الارتقاء بالروح وتطورها للأمام كما ، تعرف أثر الجهل في الانحطاط بها .
ففضيلة النفس الصحيحة - عند سقراط وأرسطو وأفلاطون - هي المعرفة . وفي هذا الشأن يقول الأخير : المعرفة انعكاس النفس على ذاتها لكشف المبادئ التي تهديها وتبين لها السبيل وتأخذ بيدها في طريق الحق . وسائر الفضائل تنبع عن فضيلة المعرفة . والعقل هو أساس سائر الفضائل التي تواضع الناس عليها ، (١) .

ومثل هذا الرأي نجده أيضاً عند الفلاسفة الكبار الفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد :-

فالفارابي يقول كأفلاطون إن النفس العاقلة هي جوهر الإنسان عند التحقيق . . وإن المعرفة الحقة هي سبيل الصعود إلى العالم العلوي . كما يقسم قوى النفس إلى قسمين رئيسيين : أحدهما موكل بالعمل والآخر موكل

بالإدراك . ثم يقسم القسم الثانى إلى قسمين فرعيين : حيوانى وإنسانى . أما الحيوانى فوظيفته الإحساس ، وأما الإنسانى فيهدف إلى تحصيل المعرفة العقلية بمعنى الكلمة ، ويطلق على هذا القسم الأخير وصف العقل النظرى (١) .

أما الرئيس ابن سينا فيقسم النفوس إلى ثلاث متفاوتة تبعاً لاختلاف مرتبتها من حيث الكمال فى الفضيلة والمعرفة . وهذه هى طائفة السابقين الذين يدركون الدرجة القصوى فى جنات النعيم فيلحقون بعالم العقل ويتزهون عن مقارنة أدران الحياة الجسمية ... والأمر الذى يهمنى هنا أن نبرزه هو كيف أنه يجعل الكمال فى الفضيلة إلى جانب الكمال فى المعرفة شرطاً لإدراك الدرجة القصوى فى جنات النعيم للحاق بعالم العقل .

كما يعرف الإمام الغزالى النفس الإنسانية بأنها دكال أول الجسم طبيعى آلى من جهة ما يفعل الأفاعيل بالاختبار العقلى والاستنباط بالرأى ، ومن جهة ما يدرك من الأمور الكلية (٢) .

ويذهب الإمام الغزالى أيضاً فى تبيان قيمة المعرفة إلى « ان الروح متجهة من ناحيتها إلى العودة إلى أصلها ، وقد جاءت إلى هذا العالم بالرغم من إرادتها لتحصل على معرفه أوسع بالله ، ومستوى عودتها هو درجة المعرفة التى تكتسبها فى هذا العالم . فرغبتها فى العودة ، بمزوجة مع عجزها عن تحقيق ذلك دون أن تتحقق لها المعرفة ، هى سر الحياة الإنسانية فى هذه الدنيا . وهذا السر نفسه هو حكمة الله فى خالق الحياة والموت بالنسبة للإنسان ، وهو نفسه الذى يضى على الحياة الإنسانية على هذه الأرض أهميتها الخاصة فى حياة الإنسان الخالدة . ويعيش الإنسان ليس بإرادة منه بل تبعاً لطبيعة روحه فى شعور دائم من القلق لإحساسه بوزائه وبعده عن

(١) أنظر « عيون المسائل » ومى فى مجموعة « الثمرة المرضية » ص ٧٢ - ٧٤ .

(٢) « فى النفس والعقل » للدكتور محمود طه ص ٩٨ .

الملكوت السماوى وهو الإحساس الذى يدفعه إلى التفكير فى نفسه وفى كل ما يحيط به من آفاق . . .

وعلى الإنسان قبل أن يحاول معرفة الملكوت السماوى ليصل إلى الرضى واطمئنان النفس أن يعرف أولاً عالم المشاهدة الذى يحيط به ، وأن يحرر نفسه من قيوده . وكل علم يحصل عليه هو ذو قيمة كبيرة حتى ولو لم يكن ذا قيمة مباشرة فى حياته ، إذ أنه يضيف شيئاً إلى معرفته بأعمال الله ، ويمكنه من المضى فى سيره نحو السعادة . وتكون سعادة الإنسان ورضاه هى النقطة النهائية فى عملية اكتساب متدرج للمعرفة بأمور كثيرة طبقاً لقدرته المتزايدة نتيجة نضوجه . وليست السعادة فى حد ذاتها إلا حالة وجودية ترافق أداء الإنسان للأمانة التى حملها الله إياها ، وهى معرفة الله عن طريق معرفة عوالمه المختلفة فى خلقه . . . (١) .

ويذهب فيلسوف قرطبة أبو الوليد بن رشد إلى أن اتصال النفس بالبدن لا يمكن أن يكون إلا لحكمة إلهية ، وهى أن يدرك المرء حقيقة الأشياء ويقف على جوهر نفسه . وإلى أنه يجب أن تكون المعرفة هى غاية الإنسان فى أفعاله التى تخصه دون سائر الحيوان ، وهذه هى أفعال النفس الناطقة . ولما كانت النفس الناطقة جزئين ، وهما جزء عملى وجزء على ، وجب أن يكون المطلوب الأول منه هو أن يوجد كماله فى هاتين القوتين (٢) . كما يقرر « أن النفس تنتهى إلى أن تترك أنها ليست صورة للجسم لحسب ، بل تعلم أنها جوهر عقلى يحل مكاناً وسطاً بين عالم الحس والعالم الإلهى . . . »

ولسوء الحظ أن تقدير قيمة « المعرفة العقلية بمعنى الكلمة » على حد تعبير الفارابى ، للوصول إلى « الكمال فى الفضيلة والمعرفة » على حد تعبير

(١) عن « الإنسان عند الفزائى » تأليف الدكتور على عيسى هتان ومترجم الأستاذ خيرى حماد من ١١١ ، ١١٢ .

(٢) عن « كتاب مناهج الأدلة » ص ٢٤٠ .

(م ٢٨ — الإنسان روح ج ٢)

ابن سيناء، وللوصول إلى طريق « السعادة والرضا ، وللحصول على معرفة أوسع بالله، على حد تعبير الغزالي، و« إدراك المرء لحقيقة الأشياء والوقوف على جوهر نفسه ، على حد تعبير ابن رشد . . . قد خبا مع الوقت تحت تأثير فهم خاطيء ساد في عصور لاحقة مقتضاه أن الإيمان الأعشى هو كل شيء للإنسان ، وأنه يغنى عن كل شيء حتى عن المعرفة الصحيحة ، حتى كاد التسليم الأعشى أن يسحق في طريقه الإدراك المبصر ، وأن يصبح ذريعة لظلام الغموض الذى ينبغى أن يحل فى بعض الأذهان محل نور العرفان . . .

بل كاد التسليم الأعشى أن يسحق فى طريقه الاستقامة والفضيلة والمحبة والوداعة، وأن يصبح ذريعة لإنكار فضائل الآخرين وخدماتهم وتضحياتهم، وبالتالى لإهدار حتى القيم الصحيحة والموازن العادلة . . .

ووجد هذا التقدير الخاطيء لمعنى الإيمان من يغذيه ، ولا يزال يجد حتى الآن بسبب غشاوة التكبرياء — وهى العدو الأول للإنسان فى كل زمان ومكان — والذى لا يمكنها أن تدرك أن المعرفة الصحيحة هى التى تقوى ملكات الروح ، وأن هذه الملكات هى سبيل الإيمان الصحيح . فالإيمان يبدأ أبداً وينتهى حيث تبدأ به وتنتهى المعرفة الصحيحة لحقيقة الأشياء ووقوف الإنسان وقوفاً صحيحاً على جوهر نفسه ، وعلى مكانه المحدد له فى الوجود منذ الأزل وإلى الأبد . . .

وفى هذا الشأن يتحدث الدكتور أحمد زكى — مدير جامعة القاهرة سابقاً — قائلاً : الناس فى كهولتهم وشيوخوتهم صنفان . . . صنف يسلم أمره للواقع ويسلم فهمه ، فهو لا يفكر إما جهلاً وإما عجزاً . وكثيراً ما يتدارى فى التعبد على أى دين كان . ويغمغم فى تعبه بما يدرى وما لا يدرى ، ويغمغم بالذى يكون له معنى ثم يصير من كثرة التكرار وليس له معنى يعيه . وهو يرجو أن ينزل عليه القدر بالخاتمة على هذه الحال ويرجو من ذلك حسن المسأل . . .

و أما الصنف الآخر فيؤسس إيمانه على الفهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا .
ولقد يعلم أن العقل سوف لا يبلغ الغاية ، ولكن عنده أن بعض الغاية خير
من فوائدها كلها . وعنده أن عقلا يتحرك يسنده القلب خير من عقل كسبح ،
وأن عقلا يفيض بشيء من الحياة خير من عقل لا حياة فيه . فإلى هذا
الصنف الأخير من شبان وشيوخ على الأخص أتوجه بالحديث ... (١) .

هل من نواحيس طبيعية لمؤلفه ؟

وعلم الروح الحديث - وإن كان لم يأت بجديد في شأن ماهية المبادئ
الخالقية المستقرة من ناحيتي قيمتها في إسعاد الانسان ، ووثيق اتصالها بنوع
المعرفة الذي يغذيها ويتغذى بها - إلا أنه ألقى على هذه المبادئ المستقرة
أضواء جديدة - لا تقل في قوتها عن تلك التي ألقاها على الإيمان المستنير
وعلى سلطان الضمير - عندما أعطاها أسانيد جديدة تجعل العقول أقرب
إلى فهمها ، وأسباب جديدة لتقدير قيمتها وبالتالي الاستمسك بها .

ويكفي في هذا الشأن أنه وضح تماماً كيف أن للكون نواحيسه الطبيعية
الصارمة التي تحكم الخلق ، كما تحكم قوانين أخرى المادة ، فتوجهها في
منظوماتها الذرية العجيبة وهي تسبح في فراغها الأثيري كما توجه الضوء
والحرارة والكهربائية والمغناطيسية ، وكل حركة في الكون نحو الاتزان
والتناسق مع سائر مظاهر الوجود الذي يبدو لنا مادياً وما هو في حقيقته
من « المادى » في شيء .

ولكل قانون « مادى » ، قانون خلق يقابله ، أو بالأدق قانون عقلى
مرتبط به مادام الارتباط محتوماً بين العقل والمادة . إذ من غير المتصور
أن توجد قوانين طبيعية تحكم مظاهر الوجود المادى ولا تحكم في نفس الوقت
وبنفس المقدار مظاهر الوجود الروحى أو بالأدق العقلى ، الذى يمثل
الوجود الحقيقى للحياة .

(١) في مؤلفه « مع الله في السماء » ص ٩ .

وإذا كنا لا نحس على المستوى الأرضي بكل ما لهذه القوانين الطبيعية الخلقية من سطوة فلأن الغلاف الجسدى الكثيف الذى يغلف عقولنا يحجب عنا هذا الإحساس إلى حد كبير . فإذا سقط هذا الغلاف بالتغير الذى اعتدنا أن نسميه موتاً سطعت هذه القوانين سطوع الشمس بعد سقوط الأمطار ، وشعرت الروح بكل نفاذها فاستضاءت بها الحكمة وهربت منها الحماقة ، ولكن إلى أين المفر ؟

وهذه القوانين الخلقية الطبيعية وصلت إليها المعرفة حتى عن طريق حقائق علم النفس التى أثبتت أن الأمراض النفسية كثيراً ما يكون سببها الأساسى الأنانية ، وأن السعادة النفسية مرتبطة برسالة الخدمة والعمل على إسعاد الآخرين . كما أثبتت أن الفراغ مدعاة لليأس وللحنوط ، وأن العمل المثمر يفتح باب الأمل ويشفى الكثير من أدواء النفس وهوامل شقائها ، وأن الحقن الدفين هدام للنفس والجسد ، ولذا كان الزمن يلسم الطبيعة لجراح النفس والجسد . . . وغير ذلك من القوانين الخلقية الطبيعية التى يلسم بها تماماً علم النفس الحديث .

ثم إن من يختبر نفوس الناس يدرك أن نوازع الهوى الجامح فيها تتجاوز نوازع الاعتدال ، وأن عوامل الزينغ أصيلة فيها هيبات أن يقاومها شعور راسخ بأن الحق أحق بأن يتبع ، وأن التواطؤ على الاتم أقرب إليها من التعاون على البر والتقوى . وكبرياء أى إنسان تزين له أبداً سبيل سوء وتلبس أسباب الاتواء ، كما تصور له أنه دائماً على صواب ، ولو كان بعيداً عنه بعد الأرض عن السماء

فالباحث عن العدالة فى ضمير الإنسان متطلب فى الماء جذوة نار . . . ومن أين إذا يمكن أن تشرق نار العدالة ونورها فتبديد فى رحيات الكون الفسيح مظالم البشر وظلمة ضمائرهم ؟ وكيف تعيد إلى النفوس الجزوعة الحزينة حقها السليب وسكونها الطبيعى المشروع ؟ ثم . إن وجود هذه القوانين العادلة المطلقة ، المعدة كما نحكم أحداث الحياة منذ الأزل وإلى الأبد ، فى كل مكان

وعلى كل مستوى ، هو الأمر الوحيد الذى يفسر معنى الضمير الإنسانى ،
ومعنى رسالة هذا الضمير فى استلهاهم هذه القوانين حلولها ، ومحاولة الوصول
إلى أسرارها .

وهو الأمر الوحيد الذى يفسر معنى قولنا بأن إرضاء الضمير يرضى
الله تعالى ، وأن مخالفته تغضبه . فلو لا هذه القوانين المطلقة الحكيمة لما
كان للضمير الإنسانى من مغزى ولا من هدف ، ولما كان هناك محل لرضاء
ولا لغضب . ولما كانت هناك وحدة سامية تربط بين ضمائر الناس على
اختلاف عقائدهم ومشاربهم برباط وثيق من الإحساس بقوة الفضيلة ،
وبضعف الرذيلة ، بل من الإحساس المشترك بماهية هذه وتلك على مر
الدهور والأجيال ، وبالتبيز بين القبيح والجميل فى معالم الحياة ، بل وفى
نفوس الناس ودوافعهم فيها حيثما كانوا وأينما وجدوا .

* * *

وفى هذا الشأن يتحدث أديب الروحية وفيلسوفها المعروف ليون دينز
Léon Denis قائلا : إذا كنا ننجى من العدم لنعود إلى العدم ، وإذا كان
نفس المصير ، نفس النسيان ينتظر المحرم والحكيم ، الأثامى والمخلص ،
وإذا كان بحسب مفارقات المصادفة ينبغى أن يكون العناء وحده من نصيب
البعض والسعادة والمرح من نصيب البعض الآخر ، إذاً فلنجرؤ على أن
نعلم أن الأمل سراب ، وأنه ليس من عزاء بعد للحزانى ، ولا من عدالة
اضحاياء سوء المصير .

فالإنسانية تدور محمولة على حركة الأرض بغير هدف ، بغير وضوح ،
بغير قانون خلقى ، مجددة نفسها بنفسها عن طريق الولادة والوفاة ، وهما
الظاهرتان اللتان يتردد الإنسان بينهما ، ويمضى غير تارك من أثر بعده
إلا ما هو كضوء باهت فى الليل .

وتحت تأثير مذاهب كذبه (يتحدث عن المذاهب المادية والوضعية)

ليس على الضمير إلا أن يسكت تاركاً مكانه للفريزة الوحشية ، وعلى روح الوصولية أن تغلف النخوة ، وحب المتعة أن يحل محل التطلعات الكريمة للروح . وعندئذ فلا يفكر كل إنسان إلا في نفسه . وبغض الحياة ، بل أفكار الانتحار ستجىء للاستحواذ على البؤساء . ولن يملك الفقراء إلا الحفيظة على الأغنياء ، وفي غمرة غضبهم قد يحطمون تحطيماً هذه الحضارة الفجة المادية .

ولكن كلا ! إن العقل والمنطق يشوران غاضبين محتجين ضد مذاهب اليأس هذه ، قائلين إن الإنسان لا يمكن أن يكون قد كافح وعمل وتألم كيما ينتهى إلى لا شيء ، وإن المادة ليست كل شيء ، فهناك قوانين أسمى منها ، قوانين للنظام والتناسق ، فليس الكون مجرد آلة لا وعى فيها .

فكيف يتأتى للبادء العمياء أن تحكم نفسها بنفسها عن طريق قوانين ذكية حكيمة ؟ وكيف يتأتى لها وهي مجردة من العقل ومن الشعور أن تنتج كائنات عاقلة ، شاعرة ، قادرة على أن تميز بين الخير والشر ، وبين الأمر العادل والظالم ؟ ماذا أقول ؟ إن الروح الإنسانية عرضة لأن تحب لغاية الفداء ، ومعاني الجمال والخير منقوشة فيها ، ومع ذلك يقولون إنها نابعة من عنصر لا يملك — فى أية درجة — شيئاً من هذه الصفات ؟ فهل نحن نشعر ونحب ونتألم ، ومع ذلك فقد اتبعنا من مصدر أصم صلب صامت ؟ وبالتالي فنحن أكمل وأفضل من مصدرنا ؟

إن منطقاً كهذا هو عدوان على المنطق ، فليس من الحكمة أن نقبل القول بأن الجزء يمكن أن يكون أسمى من الكل ، أو أن الذكاء يمكن أن يجيء من مصدر غير ذكى . أو أنه يمكن أن يخرج من طبيعة لا هدف لها كائنات عرضة لأن تتابع الجرى وراء أهدافها .

إن الذوق العام يقول لنا على العكس من ذلك إنه إذا كان الذكاء ، وحب الخير والجمال ، كائنين فينا فينبغى أن يصلا إلينا من مصدر يملكهما

بدرجة أعلى منا . وإذا كان النظام ظاهراً في جميع الأشياء ، وإذا كانت هناك خطة تكشف عن نفسها ، فذلك لأن تفكيراً قد وضعها ، ولأن عقلاً قد رسمها ... (١)

في عرافة البرمانيه بالتوايميس الطبيعية

وهذا الإيمان بوجود قوانين طبيعية للعدالة المطلقة ليس بالجديد على الأفهام بل هو قديم ، لأن الإلهام الروحي قديم . فعندما ارتقى عقل الإنسان المستوى الذى يمكنه من تلقى الإلهام الراقى بدأ فى التحدث عن قوانين طبيعية للعدالة المطلقة مصدرها ضمير الوجود لاضمائر البشر ، وتفسر وجدها المجرى العام للحياة الذى تعودنا أن نعبر عنه بالقضاء والقدر . وعلمنا أن نبحت عنها كنجم ماس مخبوء فى أعماق بعيدة ، وإذا عثرنا عليه قلنا بل نحن الذين بعقولنا صنعناه وهكذا وضعناه ١١ . فما أضل ما نفكر وما نزع من أوهام .

ولم يضعف إيمان الإنسان بهذه القوانين الطبيعية إلا عندما بدأ عصر الإنكار ، فكان أن ساد اعتقاد آخر يريد أن يرجع جميع القوانين الخلقية إلى قيم اجتماعية عابرة لا منطق فيها غير روح الاجتماع ، ولا رابطة تربطها إلا مصلحة الجماعة . فأصبح إنكار قوانين الطبيعة رقيقاً وفيماً لمدارس إنكار القدرة الخالقة ، كما كان الإيمان بالله شخصى متحيز رقيقاً وفيماً لمدارس الجهالة وما أكثرها ...

أما فلسفة الروحية فإنها تقوم الآن فى جملتها على التسليم بوجود نوايميس طبيعية موضوعية تحكم الروح فى تقدمها وارتقاءها ، هذا الارتقاء الذى ليس له مفتاح آخر إلا الخلق القويم ، نوايميس تعرف كيف تثيب بذاتها وتعاقب لأن يوم الدينونة هو كل يوم هنا وهناك ، وذلك حتى تحصل كل روح

(١) عن مؤلفه « بعد الموت » Après La Mort من ١٠٩ - ١١١ .

على الارتقاء المطلوب ، لأن الله تعالى يريد الخلاص لجميع الأرواح ولا يريد لروح واحدة أن تتألم أو تقاسى من الخروج عليها ، إلا بالقدر اللازم لدفعها في طريق تطورها للأمام وصلاح أمرها . هذا وقد بينا في باب الثواب والعقاب كيف أن هذه النوااميس تعمل في نطاق الارتباط الطبيعي بين المقدمات ونتائجها المحتملة ...

وهذا البنيان الذى تقوم عليه الفلسفة الروحية الحديثة ليس جديداً على الأفهام كما قلنا ، بل كان مزدهراً منذ كانت الفلسفة في أكثر أيامها ازدهاراً .

فها هو مثلاً الشاعر الإغريق سوفوكليس Sophocles يذكر في قصة أنتيجون أن دقوانين الأخلاق صادرة من الآلهة لا من الإنسان الفاني ولا يستطيع النسيان أن يؤثر في يقظتها ، وها هو أفلاطون يقارن بين العدل المطلق والقانون الصالح وبين التقاليد والتشريعات النافذة فعلاً . وها هو أرسطو يقسم العدل إلى نوعين : طبيعي ووضعي ، ويقرر أن القواعد الطبيعية أسمى من القواعد الوضعية وسائدة في كل مكان رغم تطبيق مبادئ متنوعة ومخالفة لها في شتى البلاد . فالفلسفة الإغريقية كانت تعرف العدل المطلق كما كانت تعرف حرية الإرادة .

ثم اعتنق فكرة العدل المطلق فيما بعد فلاسفة كبار منهم فولتير ومنتسكيو وهما من أنصار مدرسة العدالة المطلقة التي ظهرت في أعقاب ثورة سنة ١٧٨٩ في فرنسا . كما اعتنقها من بعدهم آخرون في فرنسا منهم جوزيف دومستر Joseph De Maistre (١٧٥٣ - ١٨٢١) الذى كان يؤمن بالعدالة الإلهية المطلقة حتى في أحكام القضاء الأرضى سواء أصابت بحسب تقديرنا أم أخطأت . واعتنقها أيضاً الفيلسوف الألماني عما نويل كنط E. Kant (١٧٢٤ - ١٨٠٤) . وتتماز آراء كنط بطابع روحى يريد أن يحتفظ للفرد بحريته إزاء الدولة ، حين تبدو آراء دومستر أقرب إلى الدفاع عن سلطان الدولة على الأفراد في سبيل تحقيق العدل الإلهى المطلق الذى كان يؤمن به .

واعتنقها في انجلترا فلاسفة كثيرون ، وأيضاً نفر من كبار الفقهاء
والمشرعين ، فنجد مثلاً الفقيه بلا كستون Blackstone يقول إن القوانين
البشرية وضعت على أساس من قانون الطبيعة the Law of Nature الذي
يرتكز على القوانين الإلهية الأزلية التي لا تتبدل ولا تتغير ، قوانين الخير
والشر التي جعل الله الإنسان يدركها بعقله . ولأن قانون الطبيعة خلق مع
الجنس البشرى فهو مواز له ، ولأنه من وضع الله فإن له السيادة والأسبقية
على كل ما عداه . وليس لأى قانون وضعى قيمة ولا اعتبار إذا ما تعارض
مع قانون الطبيعة . وأن كل قانون من القوانين الوضعية إن كان سليماً
فلأنه يستمد كل قوته وسلطانه مباشرة أو بالواسطة من هذا الأصل . . .

* * *

ولسنا نريد أن نتابع هنا موضوع هذا الإيمان بوجود قوانين مطلقة
خلقية تحكم هذا السكون بصرامة لا تقل عن صرامة قوانين المادة ، مثل الجاذبية
والحرارة والمغناطيسية والكهربائية والسكون والحركة . . . فإن هذا موضوع
يطول شرحه . إنما يكفي أن نقرر أن هذا الاعتقاد بدأ فلسفياً ثم تبنته شتى
العقائد في كل مكان جاعلة منه محوراً أساسياً من محاور الإيمان الدينى بجانب
الإيمان بالحياة بعد الموت وبالثواب والعقاب .

حتى لقد سادت في وقت من الأوقات فلسفة مقتضاها أن الدولة
ينبغي أن تعاقب الجاني من باب الانتقام منه لأنه خرق القانون الإلهي ،
وهذا هو عصر الانتقام الإلهي أو المقدس Vengeance Divine الذي
اتسمت فيه العقوبات بالقسوة عن فهم غير سليم لنا موس العقاب الذي
توجهه رحمة الإله عندما توجه الإنسان في نموه الروحي وتطوره البطيء
اللاملمح على المدى البعيد ، الذي يتعارض تماماً مع كل قسوة . فالقسوة لم تصد
تيار الجريمة في أى عصر من عصور التاريخ ولا أعادت أحداً من الجناة إلى
صفوف المجتمع ، ولا هذبت أخلاقه فدفعت به إلى الأمام .

والاعتقاد بوجود قوانين خلقية طبيعية يكاد يكون هو بعينه قانون الثواب والعقاب موضوعاً في قالب فلسفي ، لولاه لما وجد هذا الاعتقاد صدى القوي في أذهان الكافة منذ القدم . ولم تفعل الفلسفة الروحية في العصر الحديث إلا أن تولت إبرازه وشرح مقدماته ونتائجها بأساليب جمعت إلى قوة المنطق تماسك البنيان ووضوح البرهان .

السعادة وثيقة صلة بالعقل وبالرفق

ولهذا أيضاً فإن الإحساس بالسعادة أو الشقاء بحسب هذه القوانين الطبيعية لا يجرى من محض بيئة خارجية قد يحيا فيها الإنسان ، ولا من محض نوع من الشعور الداخلي الغامض قد يعمر قلبه . بل إنه مشكلة لها جوانب أكثر تركيياً : ما تتصور — إذا لم نحسن فهمها . وهي مشكلة في غاية البساطة إذا أحسنا فهمها على أنها في النهاية مشكلة الحالة العقلية للإنسان ، ولا شيء سواها . فهي القوة المسيرة له ، وهي صانعة مصيره .

ففي وسع العقل كما قال ملتون الشاعر أن يخلق وهو في مكانه مقيم جحيماً من الجنة أو نعيماً من الجحيم ، إذ في العقل تكمن عواطف الإنسان ومشاعره ، وفيه تتفاعل دوماً آلامه وآماله ، وتتصارع فضائله ورذائله . وقد أرجعنا فيما سبق جميع فضائله إلى نزعة الإيثار وجميع رذائله إلى نزعة الأثرة . فعندما ما يحدد العقل مكانه بين النزعتين إنما يحدد فوراً مكانه بين السعادة والشقاء . فكأن مشكلة سعادة الإنسان الحقيقية هي بالتالي مشكلة موضعه بين الإيثار أو الأثرة الذي يتمثل أيهما في دافع سلوكه في الحياة أكثر مما قد يتمثل في المظهر الخارجي لهذا السلوك .

فنوع الدافع هو كل شيء ، الأمر رهن دائماً بالدافع — تقول الروح سيلفر بيرش — إنك لا تستطيع أن تتدع الناموس . والناموس سجل مدون في قرارة نفسك . فكل فعل وكل ظن وكل رأى وكل رغبة — كل هذا يدون إلى الأبد في هالة النفس ... إن الدوافع لكل ما أتيت من عمل في دنياكم

المادية معروف لأولئك الذين يبصرون بعيني الروح ، إذ أن نفسك تكون عارية أمامهم . ومن ثم كانت السعادة تنبعث — أبداً — من داخل النفس لا من خارجها على ما يبينه أنفأ^(١) . وقد ثبت ذلك بأدلة سيكولوجية وفلسفية تتفق تماماً مع فلسفات الأقدمين ، وذلك بالإضافة إلى الأدلة العملية التي جاءت بها تجارب علم الروح على ما سردناه في باب الثواب والعقاب .

وفي هذا الشأن تقول نفس الروح أيضاً : « إنكم دائماً مركبات تستقبل الأفكار والآراء والقدرة . ولكنكم في نفس الوقت روح . جزء من روح الحياة الأعظم . فيمكنكم الدعام لذلك المنبع اللانهائي وأن تساعدوه ليعبر عن نفسه بصورة أكمل مما هي عليه . هل تظنون أن الإنسان قد وصل إلى الدور النهائي في تطوره . أليست مدينتكم الحالية برهاناً واضحاً على أن الإنسان مازال أمامه الكثير بعد في نموه وتطوره ؟ ... »

... وهذه الألوهية ولو أنها شرارة صغيرة إلا أنها ساكنة في دخيلة كل إنسان . وسواء نفختم في الشرارة كيما تجعلوها ضوءاً عظيماً ، أم تجاهلتموها حتى أصبحت مطفأة ، فهذا أمر عليكم أن تقطعوا فيه برأى مستلهمين عزيمتكم الحرة ، لأنه لا يوجد بشراً شخص آخر يفعل لكم ذلك . « أنتم الحكماء في مصائركم . أنتم تصنعون وتشكلون مستقبلكم . وسواء سمحتم للروح الأعظم ليظهر أم لا فهذا أمر متروك لتقديركم إن هذا لا يعمل لكم . ولا يوجد أحد يستطيع إثارة التقدم حتى تبدأوه بأنفسكم ، »^(٢) .

* * *

وفي نفس هذا الاتجاه تقول أيضاً الروح جوليا : « اذكروا ذلك ، أن الجنة هي أن يعيش الإنسان في إحساس دائم بحجة الله . فكل تصرف

(١) راجع ماسبق من ٤٢٣ — ٤٣٠ .

(٢) عن « سفير الأرواح العليا » ص ٨٠ .

أو كلمة أو فكرة لا تنبع من المحبة تبعد روحاً خارجاً عن السماء ، وتغلق عليها أبواب الجحيم بقدر ما تقوم الحياة على الأفكار .

فالآفكار السوداء والمخيبة والمريرة كلها قضبان في بوابة جهنم . وأنتم يا من ساعدتم على وضع هذه الأرواح هناك عليكم أن تساعدوا على إعادة الأسرى إلى حريتهم ، ولا تحسبوا أن عملكم في هذا الشأن سيكون محض عناء . إن أكبر متعة في حياتنا هنا هي أن نكون مشغولين إلى مالا نهاية بأن نعيد نور المحبة إلى أولئك الذين ساعدنا على حرمانهم منها .

وعندما أتحدث عن ذلك لا تحسب أني أتحدث فحسب عن الحب العاطفي أو الانفعالي ، كلا ، فإن طريق كل محبة هو العدل ، فإذا لم تكن عادلاً فليس بمقدورك أن تحب . فإعادة المخطيء إلى الطريق القويم ، وإنصاف المظلوم ، وإنقاذ المقيمين في الهاوية ، هذه هي أيجاد حياتنا ، هذه هي رياضات السماء ... (١)

كما تقول أيضاً في مؤلف آخر اسمه « دروس من العالم التالي » (٢)، إن الأفكار أشياء . الأفكار تعطى إلى مركز الروح أكثر مما تعطى الكلمات الكثيرة ، والاعتقادات الكثيرة ، والتصريحات الكثيرة عن الإيمان والوعظ الكثير فهل هذه كلها تعطى الروح حقيقة ما تحتاج إليه ؟ إن الأفكار النقية المقدسة تبعث بالروح إلى ممالك السلام والمجد المشرق حين تبعث بها الأفكار الفجة والشهوية إلى الجحيم الأسفل . فانظر إلى مدى ما يترتب على موقف العقل من آثار ، .

* * *

وفي نفس الوقت الذي نتحدث فيه الأرواح الراقية عن أثر العقل في سعادة النفس أو شقاؤها نتحدث كما سبق أن بينا عن أمكنة لاحتصر لها

(١) « بعد الموت » لسير وليام سفيد طبعة ١٩٥٢ ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٢) Lessons From The Beyond ص ٢٧ ، ٢٨ وهذه الدروس وردت بعد

انتقال سفيد عن طريق وسيطة اسمها السيدة ماي May .

تفاوتت تفاوتاً ضخماً من ناحية مناظرها وأجوائها وأصواتها وألوانها وظروف الحياة فيها. ويستحق كل إنسان مكانه فيها طبقاً لقانون طبيعي للتوافق الروحي هو الذي يحدد له هذا المكان بحسب مدى نموه العقلي والخلقي ولا أثر فيه لارستقراطية المولد أو الثراء الأرضي (١).

لذا يمكننا في ضوء فهمنا لبعض بيانات الأرواح عن السعادة والشقاء أن نقرر بأن « الجنة تكمن في الإنسان السعيد وهو فيها ، ويمكن الألم في الإنسان الشقي وهو فيه . وكلاهما موقع في سلم الاهتزازات الكونية ، وفي نفس الوقت حالة عقلية تقع في داخل النفس الإنسانية . ولا محل للفصل بينهما ، ولا للفصل بين حالة وأخرى بمواجز فاصلة لا يمكن اجتيازها ... »

وعلى ذلك فمساعدة الإنسان لا تتوقف لحسب على المكان الذي قد يوجد فيه ، بل تتوقف قبل كل شيء على حالته النفسية أو إن شئت العقلية أى على ضميره في النهاية . ولذا قال ماركوس أوريليوس : إن حياتنا من صنع أفكارنا ، كما قال سويدنبرج إن الشر في الإنسان هو الجحيم ، فالجحيم والشر شيء واحد . وهذه الحقيقة ندركها على هذا المستوى الأرضي بشكل واضح ، لكنهم يدركونها هناك بشكل أكثر وضوحاً . لأن الإحساس بالمكان هناك يتوقف أولاً على المستوى العقلي للروح ، مادام العقل هو هناك وسيلة الانتقال الوحيدة على ما بيناه فيما سبق ، ومادام للروح تأثير مباشر فيها حولها من مظاهر الوجود يحكم تأثير العقل في المادة .

ومن ثم يصبح القول بأن العقل هو كل شيء في الإنسان ، فهو النور الذي يشرق في جنبات الضمير ، وهو النار التي تحرق ما ينفذه من شعور الخير إذا شاء ، أو شعور الشر إذا شاء . فهو إذا — وحده — مصدر سعادتنا وشقاؤنا ، ورافعنا وخافضنا ، ومحطم الأغلال ووضع القيود ، وهو صديقنا الأول إذا شئنا ، وهو أيضاً العدو اللدود !

(١) راجع ما سبق ص ٧٣ وما بعدها ، و ١٥٠ وما بعدها .

فإذا ما اخترلنا الإنسان إلى مادة - ولو كانت حجراً كريماً - لا اخترلناه إلى مجرد تراب ، أما إذا اخترلناه إلى عقل لما بعدنا عن الصواب . وهذه الحقيقة الرائعة لا تبدو على كل روعتها إلا في ظروف العيش في أى مستوى من مستويات « ما بعد المادة » ، بعد إذ يتم تحرر العقول من الأجساد المادية التى لا تتفاوت كثيراً في مظهرها الخارجى ، والتى قد نخدعنا أحياناً عندما يطلو الجسد الذى قد يبدو جميلاً عقلاً لا مجال فيه ، والتى لا تتفاوت كثيراً ، بل قد تتفاوت لمصلحة الأحمق أو الجهول ثم إن تفاوتها بلغ ما بلغ مداه لا يمكن أن يعد في النهاية شيئاً مذكوراً إلى جانب تفاوت بنى البشر في عقولهم وملكاتهم ودوافعهم وعواطفهم وضمائرهم ، وكل هذه تبرز هناك مكشوفة واضحة للعيان في عيش لا استتار فيه ولا بهتان .

وهذه الحقيقة الأولية في علم الروح هى التى تفسر الآلام الضخمة التى قد يتعرض لها بنو البشر - بوجه عام - في هذا المستوى الحالى من مستويات الوجود ، والتى تهدف إلى النهوض التدريجى بعقول الناس - وبالتالي بملكاتهم ودوافعهم وعواطفهم - حتى تحسن التأثير فيما سيحيطها مستقبلاً من ظواهر الحياة الطبيعية التى ستخضع لها خضوعاً مباشراً . وحضارة العقل والعاطفة هى إذاً الهدف الأسمى من نشوء الحياة على مستوى المادة بكل ما يكتنفها من أسباب للآلام ، وللكفاح الذى لا يتوقف . ولعله لتحقيق هذا الهدف تصور برجسون الكون كله « آلة لصنع آلهة » كما قال . وهى لا تتفق إلا مع التسليم للإنسان بقدر وافر من حرية الاختيار ، فهذه الحرية هى التى تمكنه من أن يريد الخير أو الشر ، ويتقدم أو يتقهقر ، ويسرع فى الحالين أو يبطئ ، ويصيب أو يخطئ ، وهى التى تقيم - بحسب تعبير سويدنبرج - توازناً بين النعم والجحيم ، لأنه توازن بين الخير الذى يجي من النعم والشر الذى ينبعث من الجحيم ، وهذا التوازن الروحى هو نفسه حرية الاختيار فى الإنسان ، (١)

(١) عن « اللجنة والنار » الترجمة الفرنسية لفقرة ٩٧ ص ٤٦١ .

فإذا وجد الإنسان نفسه — هنا وهناك — في مكان جميل لكن لا يناسب مستواه العقلي فهو غير سعيد بالمرّة وما له المحتوم إلى الشقاء ، لأن الجهالة تشقى الإنسان حيثما كان ، بل قد تصيبه بأشد الأمراض النفسية قسوة على أصحابها . هذا وقد تبين علم النفس الحديث أن من الأسباب الأساسية لبعض العقد النفسية المستعصية الجهالة ولا شيء غيرها . فالعقل الذي يحيا في غير بيئته هو كساكن القرية المتخافة السعيد بها إذا فرض عليه أن يقيم في مدينة كبرى جميلة لكن لا تجانس بينه وبين مظاهر الوجود المختلفة فيها ، ولا بينه وبين أخلاق ساكنيها ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم ، فهل يمكن أن يكون سعيداً فيها كسعادته في قريته التي تناسبه والتي ألف الحياة فيها ؟ . . .

« وعندما يولد الناس في عالم أحسن ، فالمسؤولية عليهم أكبر — يقول سيلفر بيرش — ولو أنهم لن يقابلوا العقبات التي قابلها غيرهم في الأيام الغابرة ، إنها مسألة نسبية . وتذكر دائماً أنه لا يمكنك أن تخضع قانون الروح العظيم . ولن يمكنك في أى وقت أن تغير ما تستحقه ولو بقدر قيد إنملة . فليس هناك محسوبة ، بل هناك عدالة إلهية في أتم صورها .

« إن قوانين دنياكم قد تساعد عن غير استحقاق أو تعاقب . وقد تجر الفائدة على ذوى الألقاب والطبقات ، ولكن النفس يسجل عليها طور التقدم الذي وصلت إليه في حياتها الدنيوية بالضبط ، والدرجة التي صنعت نفسك إليها هي الدرجة التي ستكون فيها عندما يناديك الموت لحياة أخرى . . .

في الضمير

من المشكلات الفلسفية القديمة « الضمير الإنساني » الذي قد تسكره العلوم المادية ، والذي يتحدث عنه كثيراً الإنسان العاوي دون أن يدرك تماماً خطورة ما يتحدث عنه ، لأنه قد لا يعرف تماماً مدى يتخطته في تسجيل كل حركات النفس وسكناتها . . .

ومن الصعوبة بمكان وضع تعريف واحد للضمير ، فقد قال قوم إنه الجانب الرفيع من العقل يتحدث إلى الإنسان ، وقال آخرون إنه صوت الله يتحدث إلى الروح ، وقال غيرهم إنه العقل غير الواعي في الإنسان يردد ما ألقى إليه ، ولذلك فإنه يزداد مع الخبرة والتجربة نمواً واكتمالاً .

وكل إنسان يحس — وإن تفاوت إحساسه عن إحساس أخيه — بوجود صوت داخلي يتردد في حنايا نفسه . إنه شيء من المعرفة ظاهر الاستقلال عن القوة العاقلة intellect . هذا الصوت يتحدث إليه إما بلمحة المستدرج الراجي — إما يأمره بأن يفعل كذا وكذا أو أن يمتنع عن فعل كذا وكذا . وقد يدفعه حيناً إلى رفيع العمل وصالحه ، ويسكت حيناً عما لا يليق به من سوء الفعل ، أو يحجب إليه فعل سوء .

هذا الصوت ندعوه الضمير إذا سما وارتفع ، فإن هوى إلى ما سفلي من الأمر سميناه وسولساً temptation . يهتف الأول بالإنسان أن يعمل خيراً ويوسوس له الآخر بفعل سوء ... (١) .

فإذا أحسست الوحش للقديم يتحرك في طبقات وعيك السفلى يريد أن ينطلق من الغياهب التي أراه فيها ما علاه من طبقات التطور نحو الكمال فلا تفرع ولا تضطرب . إنك إذ تبصر به وتذكر أنه شيء منفصل عنك تريد أن تدفعك إلى فعل ما لا ترضاه وما تجد أنه لا يليق بك ، فهذا وحده دليل الخير وبشراه . لقد كنت فيما مضى ذلك الوحش ، وأما اليوم فإنه جزء منك فقط متوارٍ فيك ، وعما قليل سيختفي من كيائك اختفاء تاماً إلى غير رجعة ...

فالضمير يتصل بالخير والشر يعضر بهما العقل ، والإلهام يتصل بما يجب فعله فيما لا صلة له بمبادئ الأخلاق . الضمير يهدي للخير وينهى عن الشر والإلهام يسدد خطوات الإنسان في طريق النجاح ...

(١) عن « فلسفة البوجا » ترجمة الأستاذ عريان يوسف سعد ص ٢٩٢ .

وإن الضمير إذا اهتدى به كان الاهتداء على قدر ما بلغ الضمير من النور الداخلى ، وإن مبلغ النور هذا قد يجعل الضمير مشرقاً وقد يجعله مظلياً ، قد يرى صاحبه فى ضوءه مادي من الأمور فيضع كل أمر فى نصابه ، وقد يضعف نوره حتى يغيب عن صاحبه الكثير فلا يراه ولا يكون له فى حسابه وزن ، لذلك قد يفعل الرجل الفعلة الشنعاء فى نظرنا ، وهو يتيه على الناس من أمثاله إعجاباً بما فعل ، وهم يصفقون استحساناً لسوء فعلته . (١) .

* * *

وإذا صح أن كان للعقل حيوات متعددة سابقة ، سواء على مستوى المادة أم الروح — وهما مرتبطان معاً دواماً مهما تغير مدى فهمنا لهما وإحساسنا بهما — فإن الضمير يكون إذا هو المخزن الذى يخزن فيه العقل تجارب الماضى ودروسه وعبره ، كما يستمد من هذا السكنز الخبوء منذ ماضيه السحيق ما يتزود به فى رحلته التى لا تتوقف . وفيه ما قد ينبهه إلى بعض مافى الطريق من مخاوف ومن مخاطر ، وبعض مافيه من أسباب التيه والضللال ، ولذا كانت راحة الضمير هى سبيل النجاة وحسن المآل .

والضمير فى علم الروح الحديث هو الإنسان . هو فيه كل شيء ، وما عداه لا يعد شيئاً مذكوراً . لأن ما نفقده هنا من جسد مادي بالوفاة نحصل هناك فوراً على أفضل منه بكثير . أما إذا خسرنا راحة الضمير فقد خسرنا كل شيء هنا وهناك . فالضمير إذاً هو الذى يسعد النفس — ابتداء — أو يشقىها لأنه هو المسئول الأول عنها .

والافتناع المؤسس على يقين على ثابت بأن لكل فضيلة ثوابها ولكل رذيلة عقابها فى ناموس هذا الكون — وهو ما نعتقد أننا قد أقمنا أسبابه وأسائده فيما سبق — يجعل من الإنسان رقيباً على نفسه فى تصرفاتها الظاهرة والباطنة ، وهذا هو الهدف الاسمى لكل تعليم خلقي عرفه

(١) من المرجع السابق ص ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠ .

(٢٩٨ — الإنسان روح : ج ٢)

الإنسان منذ كان إنساناً مختلفاً — بالضمير وحده — عن وحش الغابة أو سمك البحار .

والضمير هو قاضينا هنا وهناك ، لأنه هو الذى يعاقب ويثيب ويحكم وينفذ ، لأنه جزء من قانون طبيعى هذه هي رسالته العظمى . . . وأين المفر من يقظة الضمير ، إذا ما أيقظته رقدة الموت المحتومة ، حتى إن بدا أثناء الحياة الأرضية قاضياً متحيزاً بليداً ، أو بمائتاً لصاحبه غيباً عنيداً ؟ . . .

روح سبيل نحدث عن الضمير

إلا من حق أى متشكك أن يعترض قائلاً : لكن من يدري أن هذا الكلام المرسل ليس من عندك كىما تغرينا بالافتتاح ؟ . . . لذا أترك الكلام فى هذا الشأن لروح سير وليام ستيد الذى كان تقيماً للصحافة فى بلاده فى كتابه : الجزيرة الزرقاء ، الذى بعث به من عالم الروح عن طريق الوسيط بارودى ودمان على ما بيناه آنفاً^(١) . وعن الفصل الخامس الذى عنوانه : « قرارة النفس » ، أنقل الفقرات الآتية فى شأن الضمير :

« فعقل الإنسان هو غلاف نفسه أو روحه ، وعند فحصه بطريقة علمية بحث يتبين أن المخ هو العضو الوحيد فى الجسم الذى حير رجال العلم فى بحثهم . وعندى أنه يمكن فهم الشيء الكثير عنه ، ولكن لا يمكن معرفة كل شيء . وإذا كان العقل هو غلاف الروح وآلتها الحركة فإنه يصبح بذلك أكثر دقة وتعقيداً ، بل يصبح حقاً العضو الذى حارت فيه الآليات . وإذا كنتم تعلقون أن العقل هو القوة المحركة لكل أعمالكم فكيف لا تفقهون جيداً أن كل عمل تعملونه ، وكل تفكير تفكرونه ، يدون أو يسجل فى كتاب ؟ . . . وإذا اشتري أحد منكم شيئاً من مؤسسة تجارية كبيرة دون أن يدفع الثمن فوراً فإنه لا يشعر بخطة العمل الدقيقة التى تجري من وراءه ، إذ يدون

(١) The Blue Island. وقد أعطاه العرب الأستاذ عبد الحميد فهمى مطراهم «بيت يسكاهم أو الجزيرة الزرقاء» ص ٨٠ وما بعدها . وراجع ما سبق فى الجزء الأول ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

الحساب في وثيقة تمر على أياد كثيرة قبل أن يصلك بيانه فيما بعد . فإذا دفعت قيمة الوثيقة فإنك تنسى كل شيء ، ولكن التسجيل الذي تم في تلك المؤسسة لا يزال قائماً . هكذا الحال في المنح ، فإن كل عمل أو فكر مهما كان نوعه يسجل إلى الأبد ثم يحل وقت الحساب عنه بعد الحياة الدنيا . ثم إنه بعد دفع الحساب يصبح السجل غير ضروري بل عديم الأهمية لكنه يبقى رغم ذلك . أمفهوم هذا ؟

وتستمر الروح قائلة : « ليس من سبب للبؤس والشقاء في حياتكم الدنيا إلا نزعة المادة التي تولد التفكير الخبيث ، وسيتراكم كل ذلك ويتزايد بمجموعه حتى يصغى البشر جمعاً وفرادى ويحتشدوا في أن يفهم كل عن نفسه شيئاً أكثر وأعمق مما يتعلق ببيع بضائمه وشرائها ، وبذلك يعطى فرصة أوسع للتفكير الطيب المؤدى إلى الخير ، والذي يستطيع وحده أن ينقذ العالم وينجيه . »

ثم تقول نفس الروح في موضع آخر : « ... هناك أناس من الأذكاء الماهرين الذين يستعملون عقولهم في الحصول على الكسب المادى مهما كلف ذلك غيرهم من الناس . وأمثال هؤلاء منغمسون في أسوأ الأفكار الخبيثة وليس موقفهم سليماً ، لكنه إيجابي ملوئ بالحركة والنشاط . أما أفكارهم تخليط من الخبيث والطيب ، ولكن نصيبهم من الطيب قليل . وعند ما يجيئون إلى هنا يكون حسابهم ثقيلاً عسيراً ، لأنهم بنوا لأنفسهم بناء من التفكير الشره الذي ملأوا به الدنيا ، والذي لابد من أن يحاسبوا عليه حساباً عسيراً في هذه الحياة الأخرى . »

ومهما كان نوع التفكير فإنه مادام قد اشتغل به العقل وخرج إلى حيز الفكر فإنه يعد موجوداً كاملاً بالنسبة لذلك العقل . وهذا التفكير قد يصحبه عمل مادى أو لا يصحبه ، ولكن ذلك عديم الأهمية مادمت قد وضعتة حجراً في بنائك الذي تبنيه لمستقبلك هنا . وطالما انشغل به العقل وفكر فيه

فقد قضى الأمر وسجل على ذلك العقل (١) .

قد يقال تعليقاً على ذلك إنه من المستحيل التحكم في جميع الأفكار التي تمر بخاطرنا يومياً ، ومع موافقتي على ذلك فإنى أرى أنك إذا قبلت نهائياً الحقيقة التي ذكرتها فلا شك أنك ستراقب بعين يقظة كل أحوالك العقلية لأنها لاشك ذات أهمية ، ولكنك ستجد صعوبة في الاعتراف بتلك الأهمية لأن مثل هذه الأمور داخلية للنفس وشخصية فلا يستطيع أحد في الدنيا أن يعرف مايجرى في قرارة النفس غيره ، ولذلك جعلت عنوان هذا الفصل « قرارة النفس » .

وسيحيا كل منكم كما يشكر الشخص الذى نبهه إلى تلك الحقائق إذا عمل بها . أما أولئك الذى يسمعون ويعلمون ولا يعملون بعلمهم ، فسيحل بهم يوم يعضون فيه نواجذ الندم على ما حل بهم من الخيبة ، وإنه لأخف مرارة على النفس أن تعلم بخيبتها وتحققها من أن تشعر أن غيرها قد علم بها ، ففكروا فى ذلك وتدبروه قليلا فى قرارة نفوسكم ، (٢)

وفى الفصل الثامن الذى عنوانه « حقيقة الاتصال الفكرى ، تقول نفس الروح : « يرى كثير من الناس أنه من المستحيل عليه أن يصدق أن كل تفكير مباشر يسجل عليه . أو أن هذا التفكير يؤثر بطريقة ما فى الشخص المتعلق به ، أو أنه يعود فيؤثر فيه شخصياً ، غير أن هذا هو الواقع ، ولا شك أنكم تتأثرون بحالة شخص بلغ منه الحزن العميق أو الفرح العظيم مبلغاً كبيراً ، ولا بد أن كلا منكم قد أحس بهذا التأثير نفسه ، وهو طبعاً ناشئ عن الاهتزازات الفكرية — منخفضة كانت أو مرتفعة — التى تبعث تيارات مختلفة عند كل من الحزن أو الفرح ، وهذه التيارات جميعها متساوية فى القوة ، لكن مفعولها يختلف باختلاف الأفراد الذين تقع عليهم ، وبهذه الطريقة تعمل الأفكار المباشرة عملها دون أن يشعر الشخص الذى يفكر

(١) « إنما الأعمال بالنيات » حديث شريف .

(٢) عن المرجع السابق ص ٨٥ — ٨٨ .

فيه غالباً بوجودها ، ولكن تأثيرها يكون موجوداً ومحسوساً بدرجة تختلف قوة وضعفا .

ثم إن كل تلك الأفكار تسجل بدقة في عقل المفكر نفسه إلى ما بعد مرور الحادث بزمان طويل . وعند حلوله في هذه الدار يُبحث هذا السجل كله ، وليس الذى يبحثه قاض في ملابسه الرسمية ولكن الروح تفحصه بنفسها . فتجدنا نتذكر بوضوح تام كل تلك الأشياء . وعلى نوع تلك الأفكار الفردية تتوقف حالة الشخص هنا من ناحية الندم أو السعادة أو الشقاء ، ومن ناحية اليأس أو القناعة . وهنا تتمنى الروح لو أتاحت لها العودة إلى الحياة الدنيا مرة أخرى لتكفر عما سلف منها من تعاسة ، وعما وقعت فيه من خطأ صغيراً كان أم كبيراً لنجيم عن تفكيرها وعملها السيئ .

لهذا السبب أنصحكم أن تضبطوا في دنياكم تفكيركم وتنظموه ، لأن هذا هو عين الحكمة . وإنه لما يوسف له أن أهل الدنيا لا يتنبهون لذلك في حياتهم مع أنهم يعلمون في قرارة نفوسهم أننى إنما أقرر الحقيقة . وأملى فيكم جميعاً أن تتعرفوا نتائج أعمالكم والتعاسة التى تسببونها لغيركم ، والندم والأسف اللذين ينتظرانكم في الحياة الأخرى عندما تواجهون بما جنت أيديكم .

اذكروا أن عقولكم هى القوى المحركة ، وأن مستقبلكم فى أخراكم مبنى على ما تعملونه فى دنياكم ، وعلى مقدار تفكيركم وأيضاً على درجة تحكم عقولكم فى أجسامكم ، بدلا من تحكم أجسامكم فى عقولكم ، إذ طالما كان الواحد منكم فى الحياة الدنيا فهو عبارة عن جسم ونفس وروح ، فإذا ما بارحتموها إلى هنا فقد صرتم إلى عقل وروح فقط .

ولضمان السعادة فى مستقبل حياتكم الأخرى ينبغى أن يسود العقل ويتحكم فى الحياة الدنيا ، ولم يبق إلا أن يصمم كل منكم على ذلك . أما إذا صممتم على أن يكون حسابكم عسيراً فسيروا كما تسيرون الآن ، غير أنكم ستجدون ديونكم هنا ثقيلة ولن تجدوا لكم نصيراً ...

لقد جعلت الأرض للإنسان ليتمتع بها لا لتغريه ثم تقف به فجأة فتأمره بالكف ، فليست هذه هي طريقة الخلاق الرحيم . لأنه أنعم علينا بكثير من الجمال وخلق لنا عقلاً ليهدينا إلى المتعة بكل ذلك . وطالما كان العقل يقودنا فإننا نظل متمتعين بالجمال ، أما في الوقت الذي يحكم فيه الجسم على العقل ويحقره فهنا الشقاء الكثير الذي يعقبه الألم ... (١) .

وهكذا تسترسل روح الكاتب الكبير ستيد في بيان دور الضمير في سعادة النفس أو شقاؤها ، بعد أن خبر ذلك بنفسه في « جزيرته الزرقاء » التي وصل إليها عقب انتقاله مباشرة بما يضيق المقام عن إيراد المزيد منه .

وعلى كثرة ما قرأت في كتب الأرواح ما وقع بصري على نصيحة واحدة غير خلقية ، أو على أية فكرة صريحة أو مستترة تدعو إلى التحلل من ناموس استقامة الخلق أو نقاء الضمير ، بل إلى أقابل فيها على الدوام تحليلاً دقيقاً لهذا الناموس ، وعمقا في فهمه وإثباته ، وقدره على غرسه ، وذلك بالإضافة إلى تحليل نواميس التوبة والمغفرة والتكفير عن الذنوب تحت أضواء جديدة ذات طابع علمي بعيد عن شوائب التعصب أو الغموض ، أو التعلق الفطري بالأشكال والصيغ والطقوس ، مما أعطى التفكير في هذه الأمور وضوحاً وترابطاً يندر أن يقابل القارئ لها مثيلاً .

فهل هي أرواح الشياطين وصلت فجأة إلى مستوى من الخلق لم يصل إليه بعض فلاسفة الأرضيين ؟ ... وهل هناك معبر للقول بأى تعارض بين البحث في الروح والبحث في الدين ؟ أم أنه لا مندوحة من التسليم مع البرهان الواضح بأن البحثين في حقيقتيهما مرتبطان معاً بخدمة موضوع واحد ، ويهدفان إلى هدف نبيل واحد هو إنقاذ الإنسان من نفسه ، ومن نزواته ومن شهواته ، وفي نفس الوقت من شكوكه ومن أوهامه ، الأخذ بيده إلى بر الأمان في رفق وفي يقين ... عن طريق تعزيز إيمانه وعاطفته وضميره ؟ ...

(١) من المرجع السابق ص ١٠٣ — ١٠٧ .

بين قيم الضمير وقيم المجتمع

وهذه المعرفة الروحية لو قبلها الناس بما تستحقه من اعتبار لكان لها شأنها في تصحيح قيم اجتماعية كثيرة تنبعث كلها من الأثرة لا من الإيثار ، وتتضمن في جوهرها إلهاماً لدرء ضمير الفرد ورسائله العظمى في تحقيق رقي الروح ، والأخذ بيدها في طريقها الوعر المخوف بالعقبات والصعاب ، وتجنبها الكثير من المحن والآلام ، فالضمير هو الصلة التي تصلنا على غير وعي منا بعالم الضمير في مستوى من مستوياته ، وتربطنا بقوانين الروح الراقية التي تخالف في الكثير منها قيمنا غير القويمة ، طالما كانت حياة الروح أكثر سعادة ونقاء من حياة الجسد ..

فضمير الإنسان هو أسمى ما يرفع قدره ويقيم له عناصر استقلاله عن وعي المجتمع الصاحب في فطرته وبدائيته ، والذي يعمل بالاندفاعات غريزة القطيع أكثر مما يعمل بإلهام العقل المتطور النامي . فالضمير هو الصلة التي تصلنا بعالم الضمير ، كما هو في نفس الوقت الحاجز الذي يفصلنا عن أوهام الجماهير عندما يعوزها ترابط التفكير .

ومن ثم فن يجد روح القطيع مغفلاً صوت الضمير ، يسيء إلى نفسه كما يسيء إلى القطيع . أما من يقف في طريق اندفاعاته وحماقاته ، فهو الراعي الأمين الشجاع الذي تفتقده الجماعات في المحن والشدائد ، وقلبا تجده بسبب طغيان روح الجماعة على روح الفرد ، وطغيان روح الانقياد الأعمى على روح الإرشاد المبصر .

وطغيان روح الجماعة على ضمير الفرد صورة في الطغيان أشد ضرراً — بمراحل كثيرة — من طغيان إرادة الفرد على روح الجماعة ، لأنها صورة خلافة في مظهرها قد يستغلها الباحثون عن السلطة بوصفها « شعبية » ، ويجد فيها الوصوليون وسيلة رخيصة ينفذون منها إلى تحقيق أطماعهم في السيطرة على حساب حقائق الحياة .

ومن جهة أخرى فإن طغيان الفرد على الجماعة كثيراً ما يجد رد فعله في شعور المجتمع ويقفاته المحتومة لدفع العدوان الحاصل عليه إن عاجلاً أو آجلاً . أما طغيان روح الجماعة على الفرد فهو بمثابة الداء الدفين — لأنه في مظهره الخارجى عافية وقوة — فلا يثير انتباه أحد إلى حقيقته إلا بعد أن يكون قد فات أو أن الإنقاذ من زمن بعيد ...

ولذلك لم يقف في وجه طغيان روح الجماعة إلا قلة من الفلاسفة والمفكرين عبر التاريخ ميزتهم الطبيعة بأجل ما يميز به أى إنسان، وهو استقلال الضمير والتفكير، وشجاعة اللسان والشعور، وهذا وذلك لا يوجدان إلا مع إنكار الذات ونضج الأخلاق والمسلكات .

فالإنسانية مدينة في ارتقائها إلى جهود أفراد لا إلى جهود جماعات ، لأن العقل المبتدع، والخلق النامى، والإحساس المرفه، والضمير اليقظ، من خصائص روح الفرد لا الجماعة ، ومن صفات النبى أو العبرى أو الفيلسوف أو الحكيم أو الشاعر الملهم أو الفنان المبدع ، لا من صفات الجماهير ولو في المجالس أو الهيئات ...

فإذا ما ناقشت فرداً عادياً في أى موضوع عادى قد تسمع منه فوراً كلمة الحق صريحة ، أما إذا عرضت نفس الموضوع على عدد من الأشخاص مجتمعين في مجلس أو في لجنة فقد ظهرت على الفور — صريحة — عناصر التواطؤ على البهتان ، وكأنما بين «روح الاجتماع» و«روح الحقيقة» عداء مبين هيات أن يهدأ أو يستكين .. فكم من أمور يفعلها الإنسان متحمساً وهو في جماعة سرعان ما يتخجل منها ضميره وهو في خلوة ، إذا كان على أية درجة من الإحساس بمعنى الحقيقة أو العدالة !

ومن ثم كانت أخطر رسالة للروح في اختباراتنا التى تنتزعها من اتصالاتها بالمجتمع هى أن تعرف كيف تعثر على ذاتها وسط صخب القطيع ، وأن تشرق طريقها — فى وداعة وفى هدوء — إلى أرض السلام وسط حماقاته واندفاعاته،

غير عابثة بخاطيء أحكامه وموازينه . فلبصيرة الروح قيمة أرق من قيم المجتمع ، وموازين أصدق من موازينه ، وما أشد قدرة هذه على تضليل بصيرة الفرد وبالتالي قدره ومصيره .

وليس في استقلال ضمير الفرد عن ضمير الجماعة أى معنى من معاني شراسة الانطواء ، ولا شهوة التسلط التى يفهمها الجهول خطأ على أنها من صور التضحية النبيلة أو الجهاد الكريم ، ولن يدرك أبداً أنها من وحى النفس الأمارة بالسوء . إذ أن هذا الاستقلال يقوم على الاتجاه أولاً إلى محبة الإنسان للإنسان . هذه المحبة التى معناها حب الخدمة ، والتفانى الذى ينسكب تماماً كل انطواء ، ويتعارض مع كل تسلط ، وهما توأمان من أم اسمها الكراهية وأب اسمه الغرور .

وحينما قلبت النظر فى قيم المجتمع وجدت هذه الحقيقة ناصعة واضحة . فلنقف برهة إذأ مع بعض هذه القيم الخاطئة لئلا نرى العجب العجيب من قدرتها على التخريب ، ومن طغيانها الرهيب على بصائر الجماهير وعقولها .

لأنها قيم اجتماعية ما زالت تعطى لمطالب الجسد الأسبقية على مطالب الروح ، وللغريزة التفوق على العاطفة ، وللجموح السيادة على الاعتدال . ومنها قيم ما زالت تعتبر الوداعة هجراً والتواضع ضعفاً : فهى تدعو إلى تمجيد الكبرياء تحت أوصاف خلافة شتى طالما استهوت مشاعر الدهماء ، وتحت عبارات من المثالية الزائفة طالما خدعت السذج والبسطاء .

ومنها قيم تقديس الغلو والاندفاع ، وتكره الاعتدال والتواضع مهما كان الغلو هداماً ، وكان الاعتدال حزاماً للنجاة ، وصخرة للأمان فى خضم الحياة .

ومنها قيم تعطى للمظهر التفوق على الجوهر ، حتى كادت الفضيلة أن تصبح مجردة لإتقان المظهر ، وكاد بريق المظهر أن يصبح هو جوهر الفضيلة وأسمى ما يستحق عناء البحث عنه والتعلق به ، وصارت القدرة على الخديعة عند الكثيرين هى كل مجدهم ، وكأنها الباب الضيق الموصل إلى أعجاز

السماء لا الطريق الواسع والباب الرحب الموصل إلى هاوية الهلاك ! إن « حكم الناس » هو كل شيء في الوجود ، أما حكم الضمير فلا وزن له ولا اعتبار إلا عندما يتخذ وسيلة للتغريب وحب الظهور ! ...

ومنها قيم تعتبر أن خطيئة الجسد خزي وعار ، أما أغلب خطايا الروح فهي مجد وخفار ! فالمرأة التي تبيع نفسها للشيطان تستحق الاحتقار ، أما تلك التي تنفث سموم الكراهية فهي وحدها محل الاعتبار . والرجل الذي يتردد على دور اللهو خليع جدير بالازدراء ، أما أقطاب الإيذاء فسادة تنحني لهم الجباه ، ويسعى إليهم موفوراً الساطان والمال ! ...

وتعاليم الضمير لا تنكر وزر خطيئة الجسد ولا تهون من شأنها . لكنها ترى أن في بعض خطايا الروح ما يتجاوز في مداه خطايا الجسد بكثير ، وأن زلات الجسد بالغاً ما بلغ مداها قد لا تبلغ في التدمير مبلغ « زلات الضمير » . وأن تجار الأحقاد أشد خطراً من تجار الأجساد ... وأن صريع الضمير لا نجاة له ولا حياة ، أما صريع الجسد فسيبقى يوماً من غفوته ، وينهض من كبوته .

ومنها قيم تعتبر أن السلطة غاية سامية ينبغي أن يتهاافت عليها الإنسان ولو على حساب كل فضيلة ، مع أن تعاليم الضمير تقول إن الجري وراء السلطة شر من سوء استعمالها ، وأنها هدف الوصوليين الضعاف الذين إذا ما انتشوا بخرم السلطة فقدوا وعيهم كما يفقد الوعي كل سكير عرييد . . . أما هدف الأحرار الأقوياء فهو مسئولية الكلمة الحرة ، والفكرة الصحيحة في شرف السعي إليها ، وفي شجاعة إعلانها والعمل بما تقتضيه .

ومنها قيم تقوم على تكريم الغنى واحتقار الفاقة ، مع أن الفاقة الوحيدة التي يعرفها علم الروح هي فاقة الروح في المواهب العقلية والخلقية ، وهي كثيراً ما أدت إلى فاقة المادة . أما فاقة المادة فكثيراً ما سميت الألم الذي يفضى إلى غنى الروح إذا ما عرفت الروح كيف تتعظ من الألم... أليس ذلك واضحاً حتى على المستوى الأرضي ؟ .

ومنها قيم تحسن التحايل على الأسماء والمسميات ، وعلى اصطناع
الأوصاف الزائفة البراقة ؛ فالنفاق الغادر اسمه أدب وكياسة ، والخداع الفاجر
اسمه مرونة وسياسة ، والوصولية الآثمة اسمها لباقة وفراصة ، والقسوة
الملتوية اسمها رحمة ووداعة ، والحماقة الجلية اسمها حكمة وبراعة ،
والغرور المتعالى اسمه قوة وصرامة ، والمكابرة في الحق اسمها عزم وصلابة !!
آه لو عرف ضمير الإنسان كيف يسمى الأشياء بصحيح أسمائها . .
وآه لو أدرك العقل كيف تتجهم عوامل انهيار الروح من داخلها لا من خارجها
حاملة أسماء زائفة للمجد والكرامة لحطمها قبل أن تحطمه ، ولطاردها قبل
أن تطرده من سفر الحياة الكريمة التي ينبغي أن يحياها وأن تمحيا فيه .
ولأبصر فوراً أنه بسبب هذه الأوصاف الخلابة كثيراً ما يرى الرذيلة
فضيلة ، والجهل عرفاناً ، والمغالطة برهاناً ، والقيود فلسفة ، والحماقة حكمة
والانحلال انطلاقة ، والتوقف استباقاً !

وما لم توصف الأشياء بصحيح أوصافها في الضمير وفي العقل فإن تغيير
حال الإنسان من الحال . لأن الترقى الحق ينبغي أن يبدأ من داخل النفس ،
عندما تستيقظ النفس على أقيسة للمجد والكرامة خير تلك التي عودتها
عليها أمثال هذه الصيغ البراقة التي تغذى الكبرياء ، وتضال الطموح ،
وتقوض أحسن مبادئ الأخلاق عند الشيوخ والشباب ...

ومنها قيم تقدس الاعتداد بالرأى وشهوة التسلط على حريات الآخرين
وآرائهم ، على حساب أن عظمة الرأى في الاعتداد به ، وأن دليل عصمته
هو في محاولة فرضه قضية مقطوعاً بصحتها في العالمين . . وذلك مع أن أصح
الآراء وأكثرها اتصالاً بحقائق الحياة هو ذلك الذي يفرض نفسه بنفسه
على فطرة الإنسان في حرية وتواضع ، وفي غير ما حاجة إلى صليل السيوف
أو قصف المدافع ...

إذا في الحرية الحقيقية يدرك الضمير معنى المسئولية ، وعن طريق
الإحسان بها تصل النفس إلى معرفة حقائق الحياة الجلية . أما العبودية

المسؤولة - ومثلها الحرية المغلولة - فتستكسح في طريقها كل حقيقة أولية ، بل كل بصيرة إنسانية قادرة على التعقل ، وعلى الوصول إلى حقائق الحياة صغر شأنها أو كبر . فبدون حرية تفقد المعاني الجليلة كل جلالها ، يستوى في ذلك العلم مع الاعتقاد ، والعدالة مع الفلسفة ، والأدب مع الفن ، بل المحبة مع الصداقة ، والوفاء مع الإخاء لأن العبودية تلغى في النفس الإحساس بالذات وبالندية ، وهو شرط لكل عاطفة نقية . . . وهكذا تفقد الحياة نفسها مغزاها وقيمتها ، وتستسلم النفس إلى عبودية النزوات والشهوات ، وهي أخطر صور العبودية وأشدّها تدميراً للذات وللذمكات ...

ومنها قيم ما زالت تبرر دناءة الوسيلة بشرف الغاية ، مع أن التعاليم الروحية تقول إن شرف الغاية لا يعرف إلا من شرف الوسيلة . فالغاية لا تبرر الوسيلة ، بل إن الغاية تبرر بالوسيلة إذا كانت شريفة ولا تبررها إذا لم تكن كذلك لأن السبيل الأعوج نتيجه المرسومة في الطبيعة خسارة ودمار ، وغايته المحتومة سقوط واندحار ، بحسب ارتباط النتائج المحتومة بمقدماتها . ومنها قيم من التكالب على المادة جعلت الحياة اليومية سطحية بغير عمق ، فكثر فيها عوامل الخطأ والعتار .

- فالكتاب الأريب يعتقد أن البراعة الحقّة هي في قدرة التعبير ومداهنة الجماهير عن طريق الدفاع عن أخطائها وآثامها ، أما حقائق الأمور فليس من أهدافه البحث عنها ، ولا من وسائله المشروعة !

- والقانوني الضليع يقدم الرأي والفتيا لإرضاء لرؤسائه أو لمقتضيات ظروفه وأهوائه ، لا إيماناً منه بأن هناك حقيقة واحدة موضوعية يبنى التقيد بها والوصول إليها ، حتى لقد أصبح الكثير من حقائق الحياة الناصعة أقرب إلى رجل الشارع منه إلى عمالقة الفتيا والشرائع !

- والطبيب المعروف يداوى سعيّاً وراء المال والشهرة أكثر مما يعالج بعاطفة الإنسان الذي يشاظر مريضه بخارقه وآلامه ، أو بحكمة الحكيم الذي

ينبغي أن يتحلى بأبذل مشاعر الإنسان قبل محاولة تشخيص الداء ، وذلك مع أن الطب والحكمة معبران - منذ القدم - رسالة واحدة لرسالتين ١ .

وهكذا مما يلبسه الإنسان بسهولة في غمار حياة سطحية تهوزها أعماق الإيمان بالروح ، والاعتماد على الضمير البقظ في توجيه العقل إلى استلزام خفايا الكون بعض إرشاداته ، التي بدونها لا تعد حياتنا شيئاً مذكوراً في صحيفته ، وفي فك أسرارهِ التي لن تفك إلا لمن يتجه إليها نقي العقل صافي السريرة ، مؤمناً بأن الحياة للروح لا للجسد ، وللخدمة لا للطعام ، وللحكمة لا للحماقة ، ولتجديد العقل الكوني العام لا لعبادة الأصنام . . .

وما أكثر الأصنام التي نعبدُها في تطلعاتنا وتضرعاتنا - بحسبانها آلهة - ونحن عن أنفسنا لاهون ، غير مدركين أننا نعبد أصناماً شائمة من القيم الخاطئة لا مجدفيها ولا كرامة لها . ومع ذلك فننتظر من إله الكون أن يكون - في عدالة موازينه - بمثلنا لنا عالياً ! أي أننا نتوقع منه أن يبادلنا التواء بالتواء وخديعة بخديعة ، ويأخذنا العجب عندما نفتقده في حياتنا فلا نجده . . . فلنكن إذاً مع الله إذا كنا نريد منه أن يكون معنا ، ولن يكون معنا أبداً عن طريق الصخب والويل ، ولا عن طريق التعالى والانطواء ، ولا عن طريق الغلو والعدوان ، بل نجسب عن طريق العمل الصالح إذا ما استقامت في سرائرنا موازين التقوى والصلاح .

وما تفعله عبادة القيم الشائنة تفعل مشله الغيرة ، وانعدام البصيرة ، والخوف ، والتخلي عن المسؤولية ، وسطحية التفكير ، وانحراف التقدير ، وغير ذلك من عوامل العثار عند الصغار والكبار . فإذا النتيجة المحتومة تدهور رهيب ، وحيدة أركانه ، خطيرة آثاره ، ثم صراخ وهويل وتساؤل ذليل لم التردى والإخفاق ؟ وكل يلقى المسؤولية على غيره ويتصور نفسه باذخ العقل مكتمل الفضائل ١ عبد الله - لا للشيطان - صادق القصد قوى البنيان .

ولنعرف أيضاً أن الشعوب في مسيرها للأمام بحاجة إلى القيم الصحيحة

قدر احتياجها إلى الماء والهواء ، وأنها هي المنائر التي تضيء لسفينة الحياة ظلام طريقها الطويل الخفيف عبر بحار الأبدية الشاسعة ، فتوجه مصائرهما ومقدراتها . فإذا ما تعلق الشعب بقيم خلقية غير قديمة فقد جنى على قدره ومصيره ، ومسح أهدافه وأضاع معالم طريقه ، فإذا سفينة الحياة تحبط خبط عشواء ، صبحاً ومساءً ، بغير أمل ولا رجاء ...

ولنعرف كذلك أن قيم المجتمع الخاطئة بمثابة ثقوب خفية في سفينة الحياة هذه ، ينفذ منها الضمير الملتوى إلى تحقيق أهدافه غير الآمنة ، ويتذرع بها لحماية نفسه من التأنيب المحتوم ، ويصم بها - ولو إلى حين - أذنيه عن سماع الآنين المحتوم ، عندما تبحر السفينة بمن فيها في لجة الأهواء فتسكتسحها أعاصير النزوات والأخطاء ...

ومن هنا جاء الألم بل الدمار عقاباً محتوماً للنزوات والأخطاء ، يستوى في ركاب السفينة من أخطأ مع من تسبب في الخطأ ، ومن أحدث الثغرات الخفية عامداً ، مع من تجاهلها وكأبر فيها - فالتضامن الاجتماعي قانون صارم من قوانين الحياة أو جدته حكمة سامية تريد للجميع الوصول إلى ميناء السلام في مركب واحد كأسرة واحدة تجمع أفرادها - في السراء والضراء - عروة وثقى لا تريد لهم انفصالاً ، ولا يريدون لها انفصاماً ...

فمن طريق المعرفة الروحية يمكن أن يقتنع الإنسان - بأدلة منطقية تجريبية مدروسة - أن الخلق الفاضل هو في يقظة الضمير ، ونقائه ، لأن ناموس الخير والشر منقوش في هذا الضمير ، ولأن حرية الاختيار هي التي توجهه دون غيرها . وهو أيضاً في الإحساس بقوة التضامن بين البشر جميعاً . وهو في الخدمة العاقلة تقدم للجميع على حد سواء . وهو في المحبة تبذل في سخاء بغير انتظار جزاء . وهو في شجاعة الكلمة تصدر في قوة ومضاء وفي غير ما ضعف ولا التواء .

أما أولئك الذين يعلقون الأهمية الكبرى على الصيغ والعبارات

— والأشكال والحركات — ويتصورون فيها خلاص نفوسهم مهدين بقطة الضمير فهم يغالطون أنفسهم أيا كان موضعهم في دنيا الله الواسعة ، لأن ناموس الحياة لا يقبل مغالطة من أحد ولا رياء ، ويحملون أعناقهم أحمالاً ثقلاً تعوق تطورهم وأرتقاءهم ، بدلاً من النزود من الحياة بقيمها الصحيحة التي تدفع هذا التطور قدماً في تحقيق حياة صالحة روحياً وخلقياً.

أو لنقل مثلاً قال الفيلسوف الألماني ماكس أوتو عندما لحص مذهب عن الأشياء والمثل العليا قائلاً : « ليسكن في قرارة قلوبنا أن الروح ليست شيئاً لشيء ولكنها اسم لحياة ، وأن خلاص الروح ليس بالسلعة أو المنحة التي تشتري أو تستعطي ، ولكنه تطور نبله وتترقى إليه . وإن تخليص روح الإنسان ليس بالعمل الموقوت الذي يتم في ساعته ، ولكنه سعى طويل يستغرق مدى العمر كله ، وليس هو إنقاذاً لكيان مبهم لا تعريف له ، ولكنه خلق لنموذج من الشخصية من طريق الاعتراف بالقيم البينة التي تدور عليها تجارب كل يوم . إنه نضج باطنى ويقظة لمعانى الحق والجمال وكرامة الحياة... » (١)

ولذلك قال أيضاً بليك في فلسفته : يدخل الناس الجنة لأنهم كتبوا عواطفهم ومشاعرهم وتغلبوا عليها ، ولا لأنه لم تكن لديهم عواطف أو مشاعر ، وإنما لأنهم طوروا فهمهم وأبلغوه أفضل ما في استطاعتهم . ولا تمثل كنوز الجنة نقياً للعاطفة ، وإنما هي حقائق العقل التي تصدر عنها كل العواطف ، دون أن يكتسبها شيء في عظمتها الأبدية . أما الآحق فإنه لن يدخل الجنة مهما كان طاهراً أو مقدساً ، (٢).

ولمن يشك في دور العلم الروحي الحديث في مضمار دفع عجلة التطور الخلقى والروحي قدماً للأمام أن يقلب في أى مؤلف في فلسفة الروحية وأدبها الرفيع كما يلحظ بنفسه أنها لا تهدف إلى غاية أخرى غير تعريف الإنسان بنفسه وبموضعته في ناموس الحياة بكل رونقه محرراً من زيف

(١) عن « عقائد المسكرين في القرن العشرين » للأستاذ العقاد ص ١٩ ، ٢٠ .

(٢) في الفصل الأول من « العلم والعالم الحديث » .

الآثرة والغلو . بل تعريفه كيف يعثر على نفسه أولاً عندما يعثر على المصباح
المخبوء في صدره تحت اسم الضمير ، والمدفون بين أكاداس من أحجار
الغرو والى تحجبه عن النور ، وتحجب عنه النور . وكما يلحظ بنفسه أن أى
فيلسوف أو كاتب روحى لا يحاول أن يتملق غرائز الجماهير ، ولا أن
يستجدى آراءها الفجة في أمور الحياة أو الموت وما أكثرها ، ولا قيمها
السائدة بها جانبى الصواب ! وذلك مع أن الجماهير تتطلب فيمن يكتب
أو يقول أن يردد نفس آرائها مصوغة في نفس العبارات التى ألفتها . ويعنيها
اللفظ قبل المعنى ، ويخلبها المظهر دون الجوهر . فإذا النتيجة حلقة مفرقة
من خداع رهيب ، ومن انهيار محتوم في روح الفرد والجماعة معاً .

بل إن الاتجاه السائد عند فلاسفة الروحية الحديثة - جميعهم - هو على
العكس من ذلك النقدا لما يستحق النقد من آراء الجماهير وانفعالاتها الصاخبة
ولقيمها غير القويمة التى طالما جنت عليها فدفعت بها إلى مزالق خطيرة ، وإلى
طريق لا تبغيه من تخلف روحى وخلقى في عالم متطور أبداً ، كاد أن يسبق
الزمن في تطوره المادى والعلمى ، حتى لقد أصبحت المفارقة ضخمة في عصرنا
الحاضر بين تقدم العلوم وتخلف الأخلاق ، وهو ما يهدد مستقبل الإنسان
- في كل مكان - بأشد الأخطار لو استمرت هذه المفارقة في الازدياد .

وهو الأمر الذى لا حظه مفكرون كثيرون ، ودفع الكونيت
دى نوى De Nöy في كتابه عن « القدر الإنسانى » إلى أن يقرر أنه
« على الإنسان أن يدرك أن التطورات الآلية التى أدخلها في بيئته وراح
يلتزم بينه وبينها لن تكون لها سوى نتيجة من اثنتين ، وهما إما التقدم
وإما الدمار حسب نجاحه في وصلهما بالتطور في بيئته الخلقية . فواجب
الإنسان أن يضع جانباً معالم حضارته الباطلة ، ويقيم في مكانها معالمه الصادقة
وهى السكال الذى يوافق كرامة الإنسانية . وليس المطلوب منه أن يقاوم
التقدم الآلى - ولا طاقة له بمقاومته لما يتوقع له من المزيد في تقدم العلم
والطب - بل عليه تهذيب النفس والارتقاء بمثلها العليا . »

ومن يتأمل في روعة التقدم العلى الذى حصل عليه الإنسان في قرن يأخذه الدهول ، ويدرك مدى صحة هذا القول وخطورته . ففي هذا القرن الواحد قفز الإنسان من على ظهر الدابة إلى القطار ، فالسيارة ، فالطائرة ، فسفينة الفضاء تقطع به — في سرعة مذهلة — ملايين الأميال في الفضاء وتوشك أن تصل به إلى سطوح الكواكب والأقمار .

وفي هذا القرن الواحد انتقل هذا الإنسان من القتال بينديقة الصيد إلى القتال بالصواريخ عابرة القارات حاملة الرؤوس الذرية التى لا تبقى ولا تدر ، وتندثر الإنسان بشر النذر . فإذا كان عمر الحياة على هذا الكوكب الضئيل يمتد إلى مئات الآلاف من الأعوام ، ومع ذلك لم يقفز الإنسان في حضارته هذا القفز السريع إلا عندما بدأ العقل يعرف سبيله إلى الأسلوب العلى في التنقيب عن حقائق الحياة ، فإذا ينتظر منه مستقبلاً بعد أن وضع قدميه فيه بعزم وثبات ؟ وماذا ينتظر أن يعرف مستقبلاً من وسائل الخراب والتدمير ؟ ولكن ما يروع الإنسان الروسى ليس هو خطورة المستقبل على المادة وعالم المادة ، وبالتالي احتمال فناء الحياة من على ظهر هذا الكوكب الصغير ، بل ما تثيره في النفس من مشاعر هذه المفارقة الضخمة بين تخلف الروح وحفرة المعرفة المادية ، وبالتالي ما كان يمكن أن تصل إليه النفوس من ازدهار لو عرف التقدم الروسى كيف يسير جنباً إلى جنب مع تقدم المعارف . فلو عرف الإنسان قدر نفسه كما يعرف بعض معرفة هذا التراب الذى يهوسه بقدميه لعرف كيف يتطور سريعاً ليصبح هو بذاته السيد السعيد صاحب القلب المعطوف والعقل الذكي ، الجدير بمكانه السامى في الطبيعة ، لا ذلك الوحش الخفيف ، القريب العهد بزهو افتراس القوى للضعيف

الفصل الثالث

فى الموت والالم

لا ريب أن شبح الموت هو أهم مشكلة تواجه الإنسان منذ اللحظة التى يدرك فيها أنه نهاية كل شىء ، فإننا كما قال شكسبير « سوف نقتات بالموت الذى يقتات بالناس ، فإذا قضى على الموت فلا يموت أحد بعد ذلك » ، والموت يمثل لحواسنا الفناء لأنها تعودت أن تربط بين الجسد المادى وبين القدرة على البقاء . وعند الإنسان شعور خفى بالحياة بعد الموت ، لكنه لا يعلم أين ولا كيف تكون هذه الحياة . كما أنه يعتقد ببقاء الصلة بصورة ما بين روحه وبين جسده المادى المتحول إلى تراب . ثم إن أسلوب الثواب والعقاب غامض عنده إلى المدى الذى قد يضاعف عنده رهبة الموت بدلاً من أن يخففها ، وقد يضاعف عند « الأحياء » لوعة الحزن ومرارة الفراق ، حتى مع التسليم بأن « الموت حق » ، وأن « هذه هى إرادة الله » .

أما عند مدارس الإنكار فالموت نهاية محتومة ، والحياة بعده خرافة كبرى أوجدما طمع الإنسان ورغبته الفطرية فى الخلود ، مع أن التلاشى هو قانون الحياة . وهكذا تبدو فيها الحياة عبارة عن مأساة قائمة يصدق عليها قول فولتير Voltaire « نهاية الحياة كثيفة وبدايتها لا تعد شيئاً مذكوراً » وبين الاثنين عاصفة لا تنقطع ، ...

ويعتد إنكار الخلود من وجهة العدالة مخيباً للآمال ، لأن انتهاء الإنسان المحتوم إلى ليل الفناء بدون فجر يليه ، مهما قضى حياته على خير وجه ، لا يعد نعم الجزاء لهذه الحياة ، بل يعد حافزاً للبهادة إلى إشباع الشهوات الأرضية ، وكلها تنبع من فردية هدامة لكل فضيلة ، طالما أشعلت نيران البغضاء بين الناس وفرضت عليهم مواكب لا تنقطع من الدموع والأحزان . فإذا صح أن الفناء هو النهاية المحتومة للإنسان لما كانت هناك غاية أخرى ينبغي أن

يدركها العقل أسمى من غاية إشباع مطالب الجسد وشهواته ، ولما كانت هناك فضيلة أخرى يعرفها غير العناية بصحة الجسد ورعايته ...

ولكن عقل الإنسان يمكنه أن يدرك - على العكس من ذلك - أن هناك غايات أخرى أسمى كثيراً من إشباع مطالب الجسد وشهواته ، بل أسمى حتى من مطالب النفس ورغباتها ولو كانت من أنواع راقية ، كما يمكنه أن يدرك أن هناك فضائل حقيقية غير العناية بصحة الجسد ورعايته ...

وكما أن الإيمان بقيمة الفضائل الحقيقية ينتهي وحده إلى الإيمان بالخلود ، فإن الإيمان بالخلود يصبح بذاته مصدراً لفضائل كثيرة ، لأن من يعرف كيف يطمئن الموت يطمئن للحياة ، ومن اطمئناته يحصل تدريجياً على أرفع الصفات وأسمائها ، مثل الصبر في الملمات ، والعزاء عند الحرمان ، وضبط النفس عند الغضب ، والسعادة بالعمل ولو كان شاقاً ، وأداء الواجب ولو بدا قاسياً ، والاعتدال في الحكم على الأمور ، والتسامح مع الآخرين ، وفي الجملة كل ما يولده الترفع عن التنكالب على أطماع الدنيا الزائلة من فضائل سامية جمّة ، تكاد تصنع الإله في الإنسان عندما تصل بين الإنسان وأخيه الإنسان ...

بل إن الإيمان بالروح والخلود ، مصدر لبطولة حية في الحرب والسلام معاً . في الحرب لأنه إذ يشكر الفناء يمحو من النفس رهبة الموت في جن واستخذه . وفي السلام لأن الإنسان المؤمن بالاقناء الموقن بأن الشكل إلى بقاء إنسان محب للإنسانية برمتها ، صادق في عاطفته مع أصدقائه ، شجاع نبيل حتى مع أعدائه .

وأصح الناس عاطفة هو أكثرهم شجاعة عند ما يدافع عن حق يؤمن بهداته ، بل هو أعداهم إحساساً بذاته ، وأعرفهم بحقوقه وبواجباته . أما الإنسان الحقود فهو جبان مع عدوه ، بل مع نفسه أيضاً ، مراوغ غدار

في تعرف حقوقه وواجباته . لذا تجده عنيفاً في غير قوة ، عنيداً في غير شجاعة ، متخاذلاً في غير نخوة ، أحمق في غير حكمة ...

ومثل هذا الإنسان هو أقربهم إلى خوف الفناء ، وبالتالي أقربهم إلى الشقاء . مهما بدا ضاحكاً سعيداً ... لأن السعادة الحقة لا تقوم إلا على جوهر من فضائل جمّة ، وفهم صحيح لكثير من أمور الحياة والموت أيضاً . ومن يفهم الموت على حقيقته يفهم الحياة أيضاً على حقيقتها ... طالما كان الموت امتداداً للحياة ، وكانت الحياة امتداداً للموت .

وفي هذا الموضوع يقول الإمام الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد ...
« كذلك قد ألهمت العقول وأشعرت النفوس أن هذا العمر القصير ليس هو منتهى ما للإنسان في الوجود ، بل الإنسان يزرع هذا الجسد كما يزرع الثوب من البدن ، ثم يكون حياً باقياً في طور آخر وإن لم يدرك كنهه .

ذلك إلهام يكاد يراحم البديهة في الجلاء ، يشعر كل نفس أنها خلقت مستعدة لقبول معلومات غير متناهية من طرق غير محصورة ، شيقة إلى لا تملك غير محدودة ولا واقفة عند غاية ، مهيأة للدرجات من الكمال لا تحددها أطراف المراتب والغايات ، معرضة للألام من الشهوات ونزوات الأهواء ، ونزوات الأمراض على الأجساد ومصارعة البهائم والحاجات ، وضروب مثل ذلك لا تدخل تحت عدد ولا تنتهي عند حد ... »

ولذلك قال الفيلسوف سينيكا Senéque : « إذا أردت ألا تخشى الموت فإن عليك ألا تفك لحظة عن التفكير فيه . ومن ثم فإن علم الروح يطلب الإنسان بأن يفهم الموت على حقيقته ، ويقتنع تماماً بأن بعد الموت حياة أفضل من حياته الحاضرة ، مهما بدت هذه الحياة مشرقة ناعمة ، فتحن الآن تخشى الموت لأننا نخشى المجهول ، فإذا عرفنا هذا المجهول على حقيقته وجدنا أكثر من سبب للمعرفة يقاوم نزاع الخوف منه .

« وإذا كان الحيوان كما قال شوبنهاور Schopenhauer يحيا دون أن يشعر بالموت فذلك لأنه يتمتع بكل ما للنوع من شعور الثبات والدوام ، لذا فهو لا يشعر بذاته ، اللهم إلا بوصفه موجوداً مستديماً لانتهائه له ، وأما لدى الإنسان فإن انبثاق العقل قد اقترن بالخوف من الموت ، فأصبح لدى الإنسان يقين مزعج عن حقيقة الفناء .. »^(١) ومهمة العقل أيضاً أن يقارم عوامل هذا الخوف من الفناء ويبددها بقليل من المعرفة اليقينية عن قدره ومصيره . وعصر هذه المعرفة اليقينية قد أزف ، وبدت إرهاباته واضحة عند عدد ضخم من أفضل الفلاسفة والمفكرين .

وليس معنى ذلك مطلقاً أن فكرة الموت قد تضي عليها نهائياً ، أو أن العلم سيتوصل إلى اقتناعها من قلوب الناس ، لأن حكمة الله قد أرادت أن تكون هذه الفكرة هي نفسها ، التي تخلع على شعورنا بالحياة كل ماله من قيمة وأهمية وحيوية ، وآية ذلك أنه ما تكاد فكرة الموت تغيب عن أذهاننا حتى تستحيل الحياة في نظرنا إلى مجرد عادة أو ملهاة أو تسلية ! ومعنى هذا أنه لولا محضرة الموت La presence de la mort ، لما وجدنا أنفسنا مضطرين إلى أن ننظر إلى الحياة وجهاً لوجه . ومن هنا فإن الشخص الذي ينصرف عن الموت لكي يستمتع بالحياة على خير وجه ، إنما ينصرف في الحقيقة عن الحياة أيضاً ، لأنه إذ يريد أن يتناسى الموت إنما يقتضى كما قال لافل Lavelle ، ما إلى نسيان كل من الموت والحياة ،^(٢)

بل ولم لا نقول مع بعض الفلاسفة « بأن لدينا حساً ميتافيزيقياً هو الذي يجعلنا نؤمن بأن هناك حقيقة ثابتة تكمن فيما وراء الظواهر المتغيرة ، وأنه لولا هذا الحس لما عرفنا حقيقة الموت نفسه ، وبالتالي لما انبثقت في أذهاننا فكرة الخلود ؟ ولم لا نقول مع موديس بلوندل مثلاً بأن « فكرة الموت

(٢٤١) من « مشكلة الإنسان » ، لكنتور زكريا إبراهيم طبعته ١٩٥٩ من ١٠٦/١٠٥ وهو مجلد الثانی . لك

L. Lavelle « La Conscience De Soi » Paris, Grasset 1933 . p. 25.

نفسها ما كانت لتكون ممكنة أو واقعية أو حقيقية لو لم تكن لدينا ثقة
ضمنية أو يقين مطوى عن الخلود... ٩

« فحينما نتساءل عن معنى الموت ، فإننا في الحقيقة إنما نتساءل عن معنى
الحياة ومصير الوجود البشرى ، لأننا لا نكاد نتصور أن تكون حياتنا
قد صنعت من نسج الأحلام كما قال شكسبير ١ ، أما إذا تغنى البعض بسحر
تلك الحياة المتناهية الغاية التي تجعل من كل فرد منا سائحاً عابراً قد شد
رحالة فإننا لا نكاد نصدق أن يكون المعنى الأوحد لحياتنا البشرية هو هذا
الترحال الذي لا يبقى منه أحد أو الذي لا يبقى على أحد ، وهكذا ترانا
مضطرين إلى أن نسأل أنفسنا قائلين : أأكون حياتنا مجرد نور لا يكاد يضيء
حتى ينطفئ ، أو مجرد لحن ما يكاد يشجيتنا حتى ينقطع ؟ هل يكون الخلود
وفقاً على العالم والمادة والأشياء ، أعنى على هذا الذي لا يدرك من أسر
بقائه شيئاً ؟ هل يكون الإنسان ، وهو الحيوان الوحيد الذي يعرف أنه
سيموت ، هو أيضاً الحيوان الشقي الذي لا بد من أن يتحدر إلى هاوية القضاء ؟
أليس من العجيب أن يكون الفكر البشرى قد جعل للفناء وهو الذي يزعج
بطبيعته نحو الخلود أو البقاء... ؟ (٢) »

وعلى هذا التساؤل الهام يرد سيلفر بيرش الروح الحكيم قائلاً : « إن خلود
الإنسان ليس مادة من مواد الإيمان ولا تبدأ من بنود العقيدة ، وإنما هو
جزء من المعرفة الذاتية والتجربة الفردية . علينا أن نبعث الصدق الروحي
من القبر الذي دفن فيه الإنسان فيه . علينا أن نقول للنفوس البشرية الضائعة
إنها سوف تستمر في الحياة ونخبرها عن الحقيقة العظمى وهي في نفس الوقت
الحقيقة البسيطة ، وهي المصير المنظور عن عناية الله التي لا تتوقف ، وعن
رعاية الروح الدائمة للنفوس المتجسدة . »

كما يقول في مناسبة أخرى وهو يصف انتقال الناس متتابعين ببلاغته
الماثورة : « واحد إثر واحد . القاطف الأعظم يجمعهم حتى يتمكن زيت

(١) عن مشكلة الإنسان ، المرحم السابق من ١٧٧ — ١٧٨ .

الحياة من الإضاءة في عالم أكل . إنما النموع لدينا كم فقط ، لأنهم ينتقلون إلى ما وراء عليكم . أما نحن فنفرح في عالمنا عندما نحیی النفوس الحديثة التحرر التي ستبدأ في تذوق مباحج الحياة التي لا يمكن وصفها باللغة الأرضية .
أنا أجاهد دائماً لأعلم الدرس : أن الموت ينطق بالحرية . وأنكم حين تندبون الأفراد الذين اختفوا من عالمكم ، نحن نسر لأننا نعلم أنهم بدأوا حياة حرة جديدة ، وسعادة جديدة ، وأن لديهم فرصاً أكبر لإظهار مافي دخیلتهم ، وما عجز عن أن يتحقق في عالم المادة . لو عرفتم أنهم لم يفقدوا منكم لمبطت الرحمة عليكم . وأنا أنبشكم بأنه كلما ازدادت قدرتهم باطراد نموهم في عالمنا فهم يعودون دائماً إليكم ليساعدوكم في المعركة العظمى التي نشترك جميعنا فيها (١) .

وهكذا تتكشف التجارب الروحية عن فلسفة تمهد للموت هي أوضح الفلسفات لأنها كما أرادها كارل ياسبرز K. Jaspers ، تريد أن تجد الأساس الذي لا يتزعزع ، والذي يعين الإنسان إن لم يكن على فهم الموت فعلي الأقل على رؤيته وتقبله — خلال القلق والألم — باطمئنان وهدوء ليس لنسيجه رواقيا ، بل حب واطمئنان (٢) .

المرت مهور انه

وعن طريق الاقتناع بهذه الحقائق تخف بغیر ماریب أحزان الخزان على فراق أعزائهم الذين وسدوهم الثرى وهم لا يعلمون أنهم قد أودعوهم الأثير . إنهم ليسوا في القبور ، بل أحياء عند ربهم يرزقون . إن من يسكنهم أحياءاً دماً لا دمعاً ينعمون — منذ الآن — ويمرحون ويحنون ممرة كفاحهم في هذه الحياة الدنيا طالت أيامهم فيها أم قصرت . إنهم منذ الآن يعملون ويلهون ويتزاورون ويتعاطفون وينتقلون في أجواء الله الواسعة وممالكه المسيحية حيث مالا عين رأت ، وما لا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . . .

(١) عن « سفير الأرواح العليا » ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) عن « مستقبل الإنسانية » ترجمة وتقديم الدكتور هنان أمين ص ٥٣ .

ذلك أن الموت هو الذى يتيح للروح فرصة الخلاص من أغلال الجسد
الترابى الذى يقيدها بأرض منفاها هذه كيما تعود إلى موطن راحتها .
فهو الخادم المطيع لا السيد الأمر ، والمحرر العجيب لا العدو الرهيب .
وموت البار تاج الحياة على رأسه يراه أحياء السماء ، حين يعجز عن رؤيته
أموات الأرض - وهو أبهى من تيجان الملوك التى نراها فى دنيا الأشواك
هذه . والموت هو الذى يتيح للذات فرصة استرجاع كامل حواسها عندما
تطلق من علل الجسد المادى وأوجاعه المحكومة بنواميس لاصلة لها
بالجسد الأثيرى .

وهو الذى يحرر الجسد الأثيرى من قيود الزمان والمكان كيما
تتفرغ الروح إلى تحقيق مطالبها الراقية هناك فى المعرفة وفى العاطفة ، عن
طريق الحياة فى أوسع صورها وأكثرها نشاطاً . أو بالأدق كيما تتوصل
الروح إلى تحقيق ذاتها والوصول إلى الحياة بمعناها الصحيح - كما يقول
طاغور الفيلسوف العظيم - فالخلاص أمام الإنسان حيث ساربحق روحه
الخالدة ...

البيت وأيام سفينا هي سبعون سنة - كما يقول داود النبى فى مزاميره -
وإن كانت مع القوة فثمانون سنة وأغمرها تعب وبلىة ، ٢ . فإذا تقاس
هذه السنون القليلة بالأبدية ؟ ... بل عن طريق الاقتناع بحقيقة هذه
الأبدية يصبح للحياة الأرضية رغم متاعها وبلاياها غاية واضحة وتبدو
مفهومة تصاريف للدمر كثيرة كانت ظمضة من قبل ، بل كانت مدعاة
للأسى والقنوط ...

ثم إن العبور إلى العالم الآخر لا يسبب ضيقاً ولا ألماً . إنه مسألة
لحظات قليلة يكون المحتضر فيها فى شبه غيبوبة كأنه يحلم حلماً جميلاً يعقبه رد
فعل عميق من الإحساس بنفثة الانطلاق إلى عالم الحرية والسلام .

هذا وقد جاءت الدراسات الطبية مؤيدة للبحوث الروحية في هذا الشأن .
وفيه يتحدث ستر هوارد برى مدير تحرير مجلة بنسلفانيا الطبية قائلاً إن
الموت ليس كرباً ، والمرء منا يأخذ الموت رقيقاً كما أخذته سنة النوم
مئات المرات . وحسبك أن تعلم أن الموت خلو من الألم . وهكذا يقول
الاطباء وهكذا يقول من شاربوا غمرات الموت ، وهكذا يقول الراحلون
وم في سكرات الموت

ويقول سير جيمس جود هارت الطبيب الذي حرص على مشاهدة
جميع المحتضرين في مستشفى ، وليس في الموت ما يفرح من جأته الوفاة ، فإن
الحجاب الفاصل بين الدنيا والآخرة لا يعدو أن يكون غمامة رقيقة يخترقها
المرء وهو لا يكاد يشعر . .

ويقول الدكتور ألفرد وستر الأستاذ بجامعة هارفارد ، الموت سهل
دائماً في آخره . .

ويقول الدكتور هرسل الاختصاصي في السرطان ، إن الموت نفسه
لا يسببه شيء من الألم أو من الأرجاع التي يحس بها المرء إحساساً
محبباً . .

وقد أجاب المرضى الذين كانوا موضع التجارب التي أجريت في
المستشفيات العامة ، أو الخاصة ... بأنهم عند زول الموت اختفت آلامهم
تماماً ، وأن كل ألم للمرض كانوا يحسونه قد اختفى وهم على عتبة الموت (١) .

كما أجمعت الدراسات الروحية على أن من نسيهم ، موتى ، هم قريبون
منا وعلى صلة دائمة بنا . فهم يشاطروننا أفراحنا وأتراحنا ويرغبون

(١) من كتاب « الحياة الأخرى » للأستاذ عبد الرزاق نوفل ص ٧٦ ، ٧٨ . وراجع
في الجزء الأول ص ٣١ .

بكل السبل في الاتصال بنا لتخفيف أحوالنا وإعطائنا أخبارهم حين يعلمون تماماً أخبارنا ، ويباركون خطوات الخير التي قد نخطوها ، كما يتألمون لأخطائنا . فهم في النهاية يسعدون بسعادتنا ويشقون بشقوتنا (١) . فلا توجد دراسة روحية واجدة خالفت ذلك في كثير . ولا في قليل . وفي ذلك ما يبعث على الثقة فيها وفي الأسس التي تقوم عليها .

فالولئك الذين تعودنا أن نطلب لهم الرحمة والرضوان تعودوا هم أن يطلبوهما لنا عن فهم تام وإطلاع كاف على آلامنا الرهيبة في المستوى الذي نشغله من الوجود ، وأيضاً عن إحساس بروعة المستوى الذي يشغلونه من نفس الوجود ، حتى أن الموت يبدو لهم نشيداً نظمته الطبيعة للخلود في عالم لا يعرف قيود ولا حدوداً . .

ذلك أن عالم الأثير هذا ليس له موقع جغرافي معين على النحو الذي نفهمه ونحن على المستوى الأرضي ، بل هو مجرد رتبة مرتفعة في سلم الاهتزازات الكونية ، حين أن عالمنا المادى هذا ليس سوى رتبة منخفضة من نفس السلم (٢) ، فهو في داخلنا ومن فوقنا ومن حولنا ، وإن كنا لا نشعر به الآن فلأن حواسنا المادية تقف في الشعور عند حد معين لا تتجاوزه . إلا بعد أن تتحرر من اتصالها بما يربطها بهذه الرتبة المنخفضة ممثلة في الجسد المادى .

فحينئذ حينما نكون على المستوى الأرضي نحيا في عالم الروح عن طريق أرواحنا ، وبحيا فينا - إلى حد ما - عالم الروح ، ولذا يحدث تأثيره المحترم

(١) راجع مثلاً ما سبق في الجزء الأول من ٢٥٨ وما بعدها في شأن القصائد الجميلة المرسلات من روحى شاعرنا العظيم أحمد شوقي وحنى ناصف فكلمها تلى . عن هذه اللغات الجميم عليها ، وتبين إلى أى مدى يحمل الأرواح أخبارنا ولغظائرها أفراننا وأنزاحنا .

(٢) راجع ما سبق في هذا الجزء من ٢٢ وما بعدها .

فينا ، فيطلق عليه علماء الروح وصف العالم الحقيقى أو الداخلى (١) ، وذلك بغير أن نشعر به شعوراً واعياً لبلادة حواسنا المادية . فهو قريب منا بحسب موقعه فى سلم الاهتزازات الكونية الذى يطوى جميع العوالم والذى ، ولكنة بعيد عنا - فى نفس الوقت - بسبب تفاوت رتبتي الاهتزاز بيننا وبينه ، فلا نحس به إحساساً واعياً بحسب الأصل .

ألم أقل إن نظرية الاهتزاز كفيلة بأن تترجم المعانى العامة التى يعرفها الروحانيون إلى حقائق علمية ؟ وبأن تبديد بعض مخارف الإنسان من الموت والفناء ، وبعض أحزانه عن فراق الأعزاء ، وبعض آلامه ومتاعبه التى لا تضيع هباء ؟

وهذه النظرية هى أيضاً التى توضح كيف أن المواد الصلبة أمكن إرجاعها كلها إلى كهارب تهتز على مستويات مختلفة فتبعث أمواجاً مختلفة تلتقطها حواسنا ، فإذا ما ارتفع تردد هذه الأمواج إلى مستوى يتجاوز اهتزاز الضوء اختفت تماماً من حواسنا لأنها لا تتلاشى من الوجود ، إذ ليس للتلاشى مكان فى نظريات الفيزياء الحديثة التى تسلم بأن المادة لا تفنى ، وأن الطاقة أيضاً لا تفنى .

ولا ريب أن العقل يمكنه بسهولة أن يتصور كيف أن القدرة الحكيمة التى خلقت هذا السلم المادى المحدود من اهتزازات الأثير ذات الرتبة الأرضية التى تتخذ أشكال المواد الصلبة والسائلة والغازية والمشعة - أى أشكال العناصر المختلفة وقد بلغ عددها حوالى مائة - وهى تكون مجتمعة الكون المادى الذى نعيش فيه الآن - يمكنها أيضاً أن تخلق سلباً آخر من الاهتزازات ذات الرتبة المرتفعة التى تكون المستوى الروحى أو الأثيرى للحياة على ما يبيناه فى الباب الأول .

* * *

ولعله ما من شيء يصور عظم العزاء الذي يمنحه الإيمان المستنير بمقائق هذه الروحية التجريبية إزاء صدمات الموت الرهيبة ، قدر ما تصوره هذه المراقبة التي فرح بها كما حدثت لرائد الروحية المرحوم الأستاذ أحمد فهمي أبي الخير . فقد امتحنه الله باختطاف نجله نبيل عقب مرض قصير وكان في السابعة عشر ربيعاً من عمره ، وظل والده رغم فداحة الصدمة على قلبه الأبرى الخنون ، رابط الجأش باسمائهما حتى في أثناء مراسيم الدفن ، كأن حدثاً رهيباً لا يمر أمام ناظريه .

فكان أحد أصدقائه أن الوالد المفجوع يخفي آلام بليغته بين جنبيه ، ويحمل من عناء الإخفاء أكثر مما تطيق قدرة البشر ، فرجاء أن يستسلم — كثيره — لتجسيع الأب في ابنه وهو في عمر الزهور ، ويذرف ولو بعض الدموع لعلها تخفف عنه بعضاً من بليغته فيه . فإذا الوالد المفجوع ينظر إلى الصديق — هادئاً باسمائهما كعادته — ويرد عليه ، صدقني هذا اليوم أحب إلي من يوم زفافه . . .

ولم تمض بضعة أيام إلا وروح شوق تبحث تصوراً لهذا الموقف الجليل في بضعة أبيات لا تقدر عليها إلا عبقرية شوق ، في استهلال رائع تقول فيه : —

لروح شاول في العزاء مقتنع والصمت في جلال أعز وأوقع
آمن على البعد السحيق بحسه كم شاء لو يحمل المصاب ويقشع^(١)

وبعد بضعة أيام كان نبيل في غرفة «الجلسات» يعانق والده ويطمئنه، ويراه وسطاء الجلاء البصري هائلاً سعيداً مع أصدقاء أبي الخير بمن سبقوه إلى

(١) والقصيدة المنشورة في الجزء الأول من ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ . وهي قبلية في أبياتها ، لكنها رائعة زائفة بأسباب الصدوب التي نلنا موافقت في أية أبيات أخرى قبلت في مثل هذا المقام .

دار الخلد . وكان الوالد هائلاً سعيداً كالم يكن من قبل ، وظل على صلة وثيقة به لسنوات طوال إلى أن لحق به في دار البقاء .

فعلام إذا يحزن الحوائى ويبحثون عن أجساد موتاهم في ظلام القبور ؟ ... إن علم الروح لا يعرف ظلاماً ولا حطاماً ولا يعترف بهما ، بل يعلم جيداً أن موت الجسد انتقال من الموت إلى الحياة لا من الحياة إلى الموت ، وأنه إذا كانت هجمة الليل - في سلام واطمئنان - هي مكافأة الطيبة عن كفاح النهار فإن رقدة الانتقال هي مكافأته العظمى عن كفاح العمر وجهاده الشاق كما يعلم جيداً أنه إذا كان الموت لوحة وفراق ، فهو في نفس الوقت خطوة للأمام إلى تلاق محترم مادام الحب باق يعمر القلوب ..

ومهما تعثر الإنسان في دوامة الحياة أو أخطأ ، فالخطأ من شيمة الإنسان ، لأنه أبداً ضعيف أمام طموحه وزوائه . ومن ينقب في ظروف الناس ينتظر زلاتهم ، فما بالك بهذه المحبة العظمى التي خلقت الإنسان كما يخطئ . حتماً فتبادره بالغفران الذى يسير عن أفعى يمنحه لنفسه ... مهما أراد ... لأنه ضعيف عند ما يخطئ . وعند ما يتدم ، وعند ما ينتظر لنفسه أو لغيره وعند ما يرفض الغفران ؟ ... أليس الإنسان هو دائماً الإنسان ؟ ..

لذا نجد أن الروحى الحق لا يعترف بأحزان الموت . وللفراق للار الذى يسيبه يعلم جيداً أنه إلى حين ، وأنه عن طريق الاتصال الروحى من الجائز أن تعود الصلة منذ صبيحة الفراق كأقوى ما تكون إذا ما أمكن توفير وسائلها وظروفها ، وتلاقت عندها إرادة من فى الأرض مع إرادة من فى الآفـير .

حتى لكان الروحية الحديثة تتحدث بلسان سقراط أبى الفلاسفة وهو يخاطب فضائه فى وداعة وثقة قائلاً : نخطئ . ولا شك إذا اعتقدنا أن الموت كرامة ... أو كأنها تتحدث بلسان الشاعر العظيم والاديب فيكتور هيغو V. Hugo

عند ما قال : « إن القبر الذى يغلق على الموتى يفتح لهم باب الأفق الأزرق وأن ما يبدو لنا هنا كأنه النهاية هو البداية » .

أو عند ما قال فى شيخوخته : « الشتاء على رأسى ولكن الربيع الخالد فى قلبى ، وإنى أتسلم عير الزنايق والبنفسج والورود كما لو كنت فى العشرين من عمرى ، وبقدر ما أدنو من النهاية بقدر ما أسمع واضحة السيمفونيات الخالدة للعالم تدعونى . إن ذلك رائع لكنه بسيط ، وتلك قصة « جنبية » ، لكنها حقيقة تاريخية . . .

وعند ما أنزل إلى القبر يمكننى أن أقول مثل كثيرين آخرين إنى قد أنهيت عمل اليوم ، ولكن لا يمكننى أن أقول لقد أنهيت حياتى ، فإن العمل اليومى سيبدأ من جديد فى الصباح التالى .

فليس القبر درباً مغلقاً ، بل طريقاً مفتوحاً يغلق عند الشجر كيما يفتح عند الشروق (١) . . .

أو كأنها تتحدث باسم الأديب الكبير موريس مترلنك M. Maeterlinck عند ما يقول : « إننا نقيم دائماً فى الأبدية نفسها ، فى الكون نفسه ، ومع ذلك فمن الأمور المعقولة المشروعة أن نقنع أنفسنا أنه ليس فى اللحد ما يخيف أكثر مما يخيف ما فى المهد ، بل إنه من الأمور المشروعة المعقولة ألا تقبل المهد إلا لصالح اللحد لأنه لو سمح لنا قبل أن نولد أن نختار بين راحة القناء العظمى وبين حياة لن ننهى أبداً الساعة الجليلة للوثة فمن منا — إذا كان يعلم ما ينبغى أن يعلمه — كان سيفضل المجهول القلق لوجود لن ينتهى باللغز المربح لنهايته ؟ ومن منا كان سيتمنى النزول إلى عالم لن نتعلم منه سوى أمور ضئيلة

(١) كان لكتوب هيجو عملاق الأدب الفرنسى وسيطاً روحياً وصاحب دائرة روحية منزلة بمدينة جيرسى Jersey أخذت معه جاسانها بانتظام من سبتمبر ١٨٥٣ إلى يوليى ١٨٥٥ وقد تم فيها تلقى أشعار كثيرة من أرواح متعددة مثل شكسبير وموليير و Tyrtæus كما تلقى يديه رسائل متعددة من روح زوجته المتوفاة .

إذا لم يكن يعلم أنه لابد من الدخول فيه للتمكن من الخروج منه ، وللتعلم أكثر فأكثر ؟ إن أحسن ما في الحياة أنها تعد لنا هذه الساعة ، وأنها الطريق الوحيد الذي يقودنا إلى مخرج الجحيم هذا ، وإلى هذا اللغز الذي لا يضيء ، والذي لن تكون فيه ممكنة صنوف اليأس والألم التي هي من صنع الأعضاء التي ستكون قد فقدناها ... (١)

أو كأن الروحانية تتحدث بلسان أحد الحكماء عند ما يقول أيضاً إنه « يجب أن يعلم الإنسان أنه سيظل حياً دائماً سواء أكان في الجسد أم خارجاً عنه ، وأن هذه الحياة الجسدية الفانية شيء تستعمله النفس التي لا تموت . لذلك يجب أن تقتل تلك الرغبة في الحياة التي تحملك على الخوف من الموت ، والتي تجعلك تولى هذه الحياة الجسدية فوق ما تستحق من الاهتمام الذي يبلغ حد الاقتتات على الحياة الأوسع ، حياة الروح ووهيها .

اقتلع من عقلك تلك الفكرة القائلة بأنك تنهى حين يموت الجسد ، لأنك بعد موته تنل حياً كما أنت الآن بل ربما أكثر حياة . اعرف للحياة الجسدية حقيقة قدرها ولا تكن مخدوعاً ، وكف عن النظر إلى الموت نظرة الرعب والهلج سواء أقبل عليك أم أطبق على من تحب . إن الموت طبيعي كالحياة تماماً في مرحلتنا هذه من التطور نسجد به بقدر ما نسمد بالحياة .

إنه لتعسير أن ننفض عنا الشعور القديم بالفزع من فناء الجسد ، ولا بد للإنسان من قتال مرير قبل أن يصير هذا الوهم البالي الذي علق بالبشرية بالرغم من الإيمان بحياة أخرى ، ذلك الإيمان الذي يتردد باستمرار على لسانها

إن الشخص الذي يصبح هذا الإحساس في نفسه وعياً باستمرار حياته بعد الموت ، هذا الشخص يتجرد الموت في نظره من رهيبته والقهر من هوله

(١) من مؤلفه عن الموت La Mort طبعة ١٩١٣ من ١٩١٠-١٩١١

وبذلك يكون قد قتل الرغبة في الحياة القصيرة هذه ، إذا حل محلها العلم بأن الحياة دائمة لا نهاية لها كما تقول أيضاً نفس الفلسفة ولا تخف الحياة ولا الموت ولا تهاب الردى ولا تطلبه ، فإن بلغت هذه الدرجة عرفت حقيقة الحياة وحقيقة الموت ، إنهما في الواقع مظهران للحياة ، (١) .

* * *

ومع التسليم بأن الإيمان الراسخ بدوام الحياة يخفف الكثير من رهبة الموت في نفس الإنسان ، فإنه لا يقضى عليها بتأناً طالما كان الكثير من حياة الإنسان بعد الموت لا يزال أرضاً مجهولة لم يستكشفها العلم بعد .

وحتى ما عرف عنها يثير في النفس رهبة وجوعاً ... فما معنى الانتقال بمجرد الفكر ، وكيف يتأتى للإنسان أن ينقل نفسه إلى أى مكان في لمح البصر ؟ وما معنى الخلق بالفكر ؟ وكيف تصبح للفكر كل هذه القوة الرهيبة التي من حقها — ونحن في مستوانا المادى هذا — أن تثير من عناصر القلق أكثر مما تثير من أسباب الاطمئنان ؟ أن كل هذه لا تبدو الآن ماسكات جميلة مريحة بقدر ما تبدو مسئوليات مخزنة رهبة

ثم لا يلغى أن نفضل أن إحساننا بالنقص الذي فينا يجعلنا على الحرب من الأبدية لإحساننا أيضاً بالكمال الذي فيها فالنقص يهرب من الكمال ويغشاه كما يهرب الضعف من القوة ، والريذة من الفضيلة ، والسحر من القدرة . وأقصى ما في وطأة الإحساس بالأبدية على نفوسنا هو رحمتها ، عندما تعاملنا بحجة لا نطبقها في حالتنا هذه ولا نفهمها ، لأننا أعداء خير وأهين لهذه الرحمة غير المحدودة .

ولأننا أعداء لها فنحن لا نطلبها ، وقد لا نقبلها بدافع من كبرياتنا المستورة . والكبرياء ترفض تقبل أية حقيقة ، حتى أعظم الحقائق كلها وهو حقيقة محبة الإله الرحيم وغفرانه ، التي يتجه إليها إنسان بقوله : بسم الله الرحمن الرحيم ، ويتجه إليها آخر بقوله : الله محبة .

(١) من « فلسفة الجونا » المرجع السابق ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

فأدامت في النفس كبرياء مستورة ، فلن تنفض عنها شعورها القديم
بالفزع من فناء الجسد ، حتى ولو آمنت النفس بالخلود وبمحببة الإله ، لأن
عظم هذه المحبة مصدر من مصادر هذا الفزع الحكيم كما تجني النفس فاضحة
ثمار العيش في هذا المستوى من الالتصاق بجسدها الفاني تصيب مرة
وتخطيء مراراً ، قبل أن تتحرر من رقيقته وتعود إلى ربها راضية مرضية ،
شاعرة تماماً بمعنى هذا القول الكريم : « أليست خمسة عصفائر تباع بفلسين
وواحد منها ليس منسياً أمام الله ؟ بل شعور رؤوسكم أيضاً جميعها محصاة ،
فلا تخافوا ، أنتم أفضل من عصفائر كثيرة » (١) .

* * *

وتقول روح فرعونية قديمة في نفس هذا الاتجاه : « كان هناك اعتقاد قديم
انحرف حتى في أيامنا واختلط بتقاليد أخرى ، فكان زامياً أن تكون هناك
موسيقى مرحة ورقص في مواكب الجنائزات . هذه كانت من بين الاعتقادات
الأكثر قدماً بأن الموت حادث سعيد ، فكان موكب الموت رمزاً يؤدي
بالنفس المنتقلة إلى حياة جديدة غير محدودة الجمال ذات جو أكثر حرية
وأقرب إلى الخالق . كانت رحلة بهيجة والموت بابها . كان هذا هو
الإيمان الأصيل .

لكن انحرف ذلك حتى في أيامنا (الأسرة الثانية عشرة) ففي طقوس
الجنائز اختفت النغمة المفرحة للتحرر من الجسد ، وحل محلها النواح الرسمي
وحمل التراب على الرأس إلى غير ذلك من البدع . إن الرحلة السعيدة للنفس
فسرت خطأ بتقاليد الدفن التي كانت تقتضي إمداد الجسم في قبره بالحاجيات
المادية . واختلط كل شيء كما اختلط إيمانكم اليوم بتقاليد وطقوس دفن
تختلف عن معتقداتكم الأصلية في البعث والخلود »

إلى أن تقول : « ولا يعلم أحد بالتأكييد من أين جاء الحق لأول مرة

(١) (لوقا : ١٢ : ٧) .

(الإيمان بالخلود) . ولكنه جاء من الشرق البعيد عن مصر في عصر ما قبل التاريخ . جاء عندما كانت مصر طفلة تحبو ، من نفوس قديمة عاشت عيشة كاملة الطهارة لا اتصالها بالله . عرف هؤلاء أسرار الحياة الخالدة التي هي الاستمرار في الحياة - التغيير المستمر - عدم الفناء ... (١) .

وفي هذا الشأن يتحدث - من وجهة نظر العلم التجريبي - الأستاذ شو دزموند في كتابه « كيف تحيا عندما تموت » ، (٢) قائلاً إنه تلقى في سنة ١٩٣٤ من عالم يسكن عالم الروح محاضرة في غرفة مغلقة ، كما سمع مثلها عن طريق وساطة الصوت المباشر أمام جمع غفير في قاعة كونواي Conway Hall بلندن وفي أمكنة أخرى - تتضمن شرحاً وافياً لحالة الروح بعد موت الجسد المادى مباشرة وعند يقظتها في العالم الآخر . وتبين كيف أن الموت عبارة عن ميلاد جديد ، وأن انفصال الجسد الأثيرى عن الجسد المادى الذى اتخذ مسكناً له خلال الحياة الأرضية هو أشبه ما يكون بانفصال الطفل الوليد من جسد أمه .

وقد وضح كيفية هذا الميلاد الثانى بعض من وسطاء الجلاء البصرى Clairvoyants عند حضورهم في ساعة الاحتضار بالقرب من « المنتقلين » . ومن ذلك مارواه الوسيط أندروجا كسون دافيز Andrew Jackson Davis في مؤلفه عن « الفلسفة المتناسقة » ، (٣) . وصفاً لعملية الانتقال قائلاً « نام الرجل على فراشه يعاني سكرات الموت .. كان موته سريعاً ... ازدادت سلبية الجسد وبرودته بازدياد الإيجابية والدفء في الجسم الروحى .. وبردت القدمان أولاً .. وظهر فوق الرأس مباشرة ما يصح أن نسميه هالة مغناطيسية يراها كل ذى جلاء بصرى ، وهذه الهالة انبعثت أثيرى ذهبي

(١) من «روح فرعونية» تكلم» الرجم السابق من ٩٩ - ١٠٠ .

(٢) How You Live When You Die? طبعة خامسة من ٢٥ .

The Harmonial Philosophy .

(٣)

اللون يختلج وينتفض كأنه يحس ويشعر (١).

ثم وصلت البرودة إلى الركبتين والساعدين ثم امتدت إلى الردين وامتد الانبعاث وإن لم يرتفع بعد . وامتدت البرودة إلى الصدر والجانبين ، واقترب الانبعاث من السقف ، وانقطع تنفس المحتضر وسكن نبضه ، ثم استطال ذلك الانبعاث وتشكل بصورة إنسان وبق متصلا بالمنخ . ثم اختلجت الرأس من الداخل بهزة بطيئة عميقة ولسكنها غير مؤلمة . . فكانت كهزة ماء البحر الضعيف التوج .



V. — La Mort physique et la Naissance astrale (Voy. p. 63)

موت الجسد والميلود الكوكبي

رسم رمزي من مؤلف للدكتور بايس (Dr. G. Encausse) Papus
عنوانه La Réincarnation.

أما قوى الرجل الذهنية فظلت سليمة حتى مات آخر جزء منه ، وظل

(١) راجع ملورد من الجسد الروحي أو الأثيري والمقالة في الجزء الأول من ٤٤٠ — ٤٥٥.

يصل ما بين هذا الانبعاث الذهني والمخ خيط دقيق جداً من خيوط الحياة، ثم ظهر على جسم الانبعاث شيء آخر أيضاً لامع في شكل الرأس، وبعدئذ ظهر وجه زاه وبدت بعد ذلك رقبة لطيفة وكتفان جميلان، وتلا ذلك بسرعة ظهور بقية أجزاء الجسم حتى القدمين، فإذا الجسم شبح زاه لامع كله، بزاد اصفراره قليلاً عن الجسم المادى. ولكنه نسخة طبق الأصل منه في جميع تفصيلاته، وظل ذلك الخيط الرفيع الدقيق متصلاً بالمخ القديم ولم يبق بعد ذلك إلا انفصال هذا العنصر الأثيرى... ثم أفلت الخيط وتحرر الجسم الروحي وانطلق، (١).

الآلم مدرسة الحياة

وهذا الفهم لعملية الموت بوصفها ميلاداً ثانياً في عالم أرق من عالمنا الثقيل وأرق يجعل الإنسان بغير ما ريب أقدر على تحمل آلام الحياة الأرضية، مهما كان نوعها من مرض وكفاح وعوز وفشل وظلم وضيق وشيخوخة وحرمان، إذ أن الروحية الحديثة تحدد رسالة الآلم تحديداً وضحا بأنه السبيل الوحيد للتطور ولا اكتساب الغنى المتزايد في الفضيلة والعاطفة والمعرفة. فالآلم هو في عبارة أخرى تضحية الحاضر لأجل المستقبل، وتضحية سعادة أيام وشهور للحصول على سعادة أجيال ودهور. ونحن الأرض هى وحدها التى تمهد الطريق لنعيم السماء، أما إيجاد الأرض فأغفر ما فيها هجر وهوان، لو أدرك الناس حقيقة معناها ونفذوا إلى لبها ومغزاها.

وقد حاول الفيلسوف ماكس شيلر Max Scheler في «معنى الآلم» (٢) أن يظهرنا على عمق هذه الصلة بين الآلم والتضحية عندما قال «إن الآلم هو في صميمه تضحية بالجزء من أجل الكل، أو تضحية بماله قيمة دنياء من أجل

(١) من كتاب الأستاذ عبد الرزاق نوفل «الحياة الأخرى» ص ٨٢، ٨٣.

(٢) ترجمة فرنسية

• Le Sens De La Souffrance. Aubier, P. P. 62—71.

ماله قيمة عليا والصلة وثيقة بين الألم والموت ، لأن الألم موت للجزء . لكنه موت يتحقق من ورائه إنقاذ الكل . كذلك يمكننا أن نربط بين الألم والحب فنقول إن أية قيمة عليا لا يمكن أن تفرض علينا التضحية بقيمة أخرى دنيا إلا إذا كانت أقدر منها على انتزاع حينا ، ومن هنا فإن الألم هو الذى يضطرنا إلى أن نخضع حياتنا الحسية لنشاط روحى يتزايد سمواً يوماً بعد يوم .

« وحينما يقول أفلاطون وغيره من الفلاسفة إن الألم أداة تطهير فإنهم يعنون بذلك أن آلام الحياة هي الكفيلة بأن توجه بصرنا الروحي نحو الخيرات العليا والقيم السامية ، فترفع بنا إلى مستوى الطهارة القلبية الحقة التي هي ينبوع السعادة الروحية العميقة إلى الحد الذي دفع كير كجارد Kierkegaard إلى القول بأنه حينما يريد الله أن يوثق العلاقة بينه وبين إنسان ما فإنه يستدعي رفيقه الأمين الذي هو الهم وينبه عليه أن يلاحقه أينما توجه ، ويشدد عليه بأن يلازمه في كل خطواته ^(١) .

« والواقع أن من شأن الألم في كثير من الأحيان أن يولد في النفس تناقضاً خصباً يزيد من عمق الحياة الباطنية ، إذ تشعر الذات بتوتر حاد بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون ؛ ومثل هذا التوتر هو على حد تعبير الفيلسوف الفرنسي رينيه لي سين R. Le. Senne شعور بالقيمة . وليس معنى هذا أن الألم هو في حد ذاته خير ، وإنما معناه أنه قد يعود بالخير على الذات حينما تتمكن من تمثله ، أعني حينما تستطيع أن تجعل منه أداة فعالة لتحقيق تطورها الروحي وتنمية حياتها الباطنة . وهكذا قد يكون في وسعنا أن نقول إن القدرة على التألم هي علامة طيبة ، إذ ربما كان أعزل داء يمكن أن تصاب به النفس هو أن تصبح غير قادرة على التألم ، وإذن فإن التألم

ليس مرضاً على الإطلاق ، وإنما هو بالأحرى نقاهة النفس ، أو هو السبيل إلى تحقيق سرور أعظم وأطهر (١) .

ثم إن الحياة — كما يقول وليام جيمس تتطلب بذاتها النضال ، فالإنسان لا يشعر بأنه يعيش فعلاً إلا إذا ذاق الصراع حلوه ومره فشقى بالهزيمة أو انتشى بالنصر . وإذا كان كل شيء ميسراً مهدداً لفقدنا كل إحساس بالتوئب ولا فقدنا بذلك ذاتيتنا ، وعدمنا إحساسنا بشخصيتنا . ففي كل منا ذخائر من الطاقة لا يمكن أن تستثمرها حياة هادئة رتيبة ، وإنما توقظها وتثيرها حياة متدفقة عارمة ، حياة غارقة فذة . هنا في مصبعة هذه الحياة نحس فعلاً بأننا نعيش ، ذلك لأننا خلقنا للنضال ، ومن أجل غاياتنا يشتغل حماسنا ويضطرم نشاطنا (٢) .

ولا يغير من ذلك شيئاً أن الحياة قد تبدو في كثير من الأحيان مظلمة كئيبة ، لأن جيمس يعتقد ، بأن هناك في النهاية خلاصاً ، وهذا الخلاص مشروط بأن يؤدي الإنسان خير ما يستطيع . وقد تنجح في ذلك القلة وتفشل الكثرة ومع ذلك فهو لا ييأس من المستقبل ، مادامت هناك قوة إلهية تساهم في تقدم هذا العالم ورفق الإنسانية .

كما يرى نفس الفيلسوف في الحياة أنها تبدو كأنها جهاد حق ، وكأن هناك شيئاً في العالم متوحشاً نريد — بكل ما لدينا من مثل عليا وعقائد وإخلاص — أن نخضعه ونجعله أليفاً ... ولكن لا بد لنا أن نجعل قلوبنا أليفة ، وأن نطهرها من الإلحاد والخوف لأن طبيعتنا قد تعودت على مثل هذا العالم — الذي نصفه متوحش ونصفه الآخر أليف ونقي وطاهر — وقد انسجمت معه . وإن أكثر الأشياء عمقاً في طبيعتنا هو تلك النقطة الرطبة اللينة من القلب التي نعيش فيها وحدنا ، مع ما لنا من رغبات ونفوس . ومع ما لنا من عقائد وخاوف ... (٣)

(١) عن « مشكلة الإنسان » للدكتور زكريا إبراهيم ١٩٥٩ ص ١٤٧ .

(٢) عن « وليام جيمس » للدكتور محمد فتحي الشنيطي ١٩٥٧ ص ١٥٨ .

(٣) عن « إرادة الاعتقاد » ترجمة الدكتور محمود حبيب الله ص ١٢٨ .

ولذلك كله قال أيضاً جوته Goethe ، إن من فاته أن يتذوق خبزه في
الآلم ومن لم يقض ساعات سوداء يترقب باكياً طلوع النهار المتشاغل ، إن مثل
هذا الإنسان لا يعرفك أيتها القوى السماوية . . وقال ألفريد دي موسيه
A. De Musset لا شيء يجعل الإنسان عظيماً غير ألم عظيم .

* * *

ثم إن الآلم — أو بالأدق تفهم علة الآلم ومصدره الكامن فينا —
كثيراً ما ينهبنا إلى الطريق الأعوج الذي قد نسير فيه فيدفعنا إلى تغييره
واختيار غيره ، بما فيه منجاة الروح ، وتحاشيها لآلام مستقبلية لعلها كانت
ستصبح أشد وطأة مما نتصور. فكما أن آلام الجسد تدبنا إلى أمراضه الدفينة
وتدفعنا إلى محاولة التخلص منها عن طريق العلاج ، فكذلك أيضاً آلام
الروح تدبنا إلى عيوبها الخبيثة ، وتدعونا إلى محاولة الخلاص منها عن طريق
الفهم العادل وضبط تقديرنا للأمور . فالآلم هو الذي يصلح عيوب الروح
ورذائلها التي تحجبها الكبرياء عن صاحبها ، فننمو هذه الرذائل بقدر نمو
الكبرياء وينمو معها الآلم أيضاً ، وتضعف بقدر ذل الكبرياء تحت وطأة
الآلم ، فإذا بغشاوة الكبرياء تخلفها بصيرة التواضع ، وتبددها أضواء الفضيلة
ومعها إشراقة السعادة .

والآلم هو الذي يحرك الضمير فيدفعه إلى الندم ، والندم هو أول خطوات
التقدم الروحي . وهو الذي يعطى الإنسان أعظم نعمة تميزه وترفعه من
قدره ، وهي الإحساس بالمسئولية الذي يميز الإنسان المتحضر عن زميله
البدائي ، والرجل البالغ عن الطفل الصغير . فالآلم هو صانع المعجزات
في الإنسان ، بل هو صانع إنسان المعجزات . وأعظم معجزاته هي مقاومة
حب الذات واللذات فيه . . .

والآلم هو القوة المحركة التي تجعل عقولنا تسيطر على شهواتنا ونزعات
الشر فينا ، فنفكر تفكيراً أكثر نقاء واعتدالاً . وإذا ما قدرنا أن التفكير

النقي العادل هو مصدر كل سعادة حقيقية لأنه الأنيس الوحيد الذي يلزم الإنسان في رحلة الأبدية ، وأن ما أعداه من متاع الدنيا الزائلة لا يعد شيئاً مذكوراً ، وليس له أى دور في إسعاد النفس ، لقد رنا أية نعمة كبرى ، وأية بركة حقيقية يمكن أن تحصل النفس عليها عن طريق الألم وحده ، لو عرفت كيف تتعظ به ، وتخرج منه أكثر نقاء واعتدالاً في حكمها على نفسها وعلى الآخرين .

وبالألم نسدد ديوننا التي اقترضناها بما وهبنا الله من حرية في اختيار الطريق الذي نريده ، إذا ما اخترنا طريق الأنانية بدلاً من الخدمة ، والخنول بدلاً من النشاط ...

وهو الذي يصقل الروح فيجعلها أكثر تواضعاً ، وبالتالي أكثر حذراً على الآخرين وتساعداً معهم ، وإحساساً بوطأة آلامهم . وبالتالي تقدير معنى الأخوة الإنسانية — كجزء لا يتجزأ من ناموس الحياة — حق قدرها ، إذ لا تقف عقبة كؤود كالسكبرياء بين الإنسان وبين أخيه الإنسان .

ولذا قال أحد الحكماء بحق : إن الإنسان القليل الغور هو الذي يفقد الاستجابة لأحزان الآخرين حينما يفرق في آلامه المحدودة . فإن من يستخدم مشروطاً للتشريح ذاته سوف يبلغ أنقاً فسيحاً لشفقة عامة ، ويحصل على الانطلاق من أسر الحاجيات الذاتية التي تصم أذنيه عن مساعدة الآخرين ، ويزدهر حب الله في مثل هذه التربة ، وفي النهاية يتجه المخلوق نحو خالقه ، إن لم يكن لسبب آخر فللسؤال الملح : لماذا يا إلهي ... لماذا ؟ وبأسواط الألم القاسية يساق المرء إلى النهاية في الوجود النهائي الذي ينبغي أن يجذبه جماله وحده ، (١) .

فكان الألم في النهاية هو النار التي تحول الفحم الأسود الذي فينا إلى ماس لامع مضيء ، ولكن عندما نعرف كيف نتعظ من الألم ، فنعترف — ولو

(١) عن « فلسفة الهند في سيرة يوجي » بقلم برمهنا بوجاندا ترجمة الأستاذ رزي هوش الحامي ص ٦٣ .

لضائرنا وقلوبنا - بمصدر الألم الكامن في عيوبنا ورذائلنا ، وهي لا تتوقف ولا تنقطع سواء اعترفنا بها أم أنكرناها ، وتجاهلناها أم جهلناها ، لأن لكل فعل - بل لكل خاطر يخطر على البال - وزن محسوب في سفر الحياة لا يميل ولا يخطئ .

ومن يعترف بخطئه - ولو لقلبه وضميره - يخطئ خطأ قليلاً ويسيراً ، أما من يكابر فيه فهو يخطئ خطأ كثيراً وجسيماً ، ومثل هذا الإنسان تحول له نار الألم إلى رماد لا قيمة له في سفر الحياة الكريمة ، حين تحول غيره إلى ماس ثمين في وجوده المحدود وغير المحدود ، يبصره كل ذى عينين لامعاً مضئاً على جبين الزمن يشع رونقاً يسر المتقين ويضئ الحاقدين . . . لأنه إشعاع الفضيلة يشع معها بريق السعادة . . . كما يخبرنا أن الآئين من صروف الدهر قد يجلب من الألم أكثر مما قد يجلب الألم من الآئين . . .

* * *

وفي رسالة الألم يقول أيضاً المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد بحق «ومن لنا أن النقص الذي لا يرضينا هو أقرب إلى الكمال من النقص الذي نرضاه؟ أليس حافز الألم هو وسيلة الشوق إلى الكمال ، والتفرقة بينه وبين النقص في شعور الضمير؟

بل الواقع أننا نرى هذه الآلام وسيلة الارتقاء بتنازع الأحياء ، وأنها وسيلة التهذيب والازدياد في نمو فضائل الإنسان . ولو أننا سألنا رجلاً ناضجاً أن يسقط من حياته آثار آلامه أو آثار مسراته لتردد كثيراً بين الآلام والمسرّات . ولعله في النهاية يسقط آثار المسرات ولا يسقط آثار الآلام .

ونحن نحكم على غايات الأبد بتجارب العمر القصير . فلا فرق في ذلك بيننا وبين من يحكم على الرواية المعروضة أمامه بكلمة في خطاب أو كلمة في جواب . . . ، (١)

(١) عن مؤلفه « الله » طبعة ثانية من ٢٩٧ .

وعن الألم يتحدث سيلفريدش ببلاغته المعبودة قائلاً : ولو كان الأمر كله سهلاً لم يرغب الناس في العمل على خلاص أنفسهم ، وعندئذ لن يبق في عالمكم بعد عدة أجيال شيء يتيسر للروح الأعظم الظهور فيه . إن النفس التي تذوق نزعات الألم والمرض والمرارة والأسى تخرج نفساً أعظم ، نفساً تفهم آلام الآخرين . والنفس التي تعيش ناعمة في الرفاهية تبحث عن الخرافات والظلال سيكون عليها في يوم ما أن تلبس الحقيقة . لا تحسدوا الذين تظنونهم يقضون وقتاً طيباً ، الطريق الأوعر في حياتهم ما زال أمامهم .. (١) .

كما يقول أيضاً : الشر والألم كما تسمو بهما جزءان من التطور . إذا لم يوجد الألم لا يوجد التحذير بأن الصحة تحتاج إلى الانتباه ، وإذا لم يوجد الظلام فلا ضياء . وإذا لم يوجد الشر فلا خيرات . وكيف يمكنكم الحكم على معايير الخير إذا لم يكن هناك شر في عالمكم ؟ وإذا لم تكن هناك أخطاء تعالجونها وظلم لتعاربوه كيف تتمكن الروح البشرية من النمو ؟ ... لا يمكن أن تكون الحياة نعمة واحدة . يجب أن يكون هناك ضوء وظل ، شروق وعاصفة ، فرح ودموع ، حب وبغض ، جمال وقبح ، خير وشر ، لأنه في التضاد يمكن أن نفهم الحياة . في النضال فقط ، في الجهاد فقط ، بالانتصار على المصائب فقط يمكن للروح الإنسانية — التي هي إلهية — أن تنمو وأن تسمح لمواهبها الدفينة أن تظهر . هذا هو القانون .. (٢) .

فللألم إذا رسالة عظمى لو وعيناها لنفعتنا في تطورنا كثيراً ، فكل دمة تسكبها — يقول أيضاً الروح الحكيم أجاشا Agasha — إنما تعبر عن تجربة سوف تبلور في ثلوة من حكمة إذا أنت قبلتها كدرس تتعلمه ، كما يضيف : « كن شكوراً للقدر إذا ما امتحنك ببلاء ، أو أدخلك في تجربة عسيرة . قبلتها بقبول حسن واعتبرها درساً مفيداً تتعلمه في مدرسة الحياة . تحدث

(١) عن « سفير الأرواح العليا » ص ٣٣ .

(٢) عن المرجع السابق ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

مع نفسك قائلاً : لا يهمنى في الكثير ولا في القليل أن تكون المشكلة صعبة . سأحاول أن أحل عقدها ولنسوف أستفيد من هذا المجهود . أنا جزء من الكون . أنا أحد آحاد ، الأحاد الأكبر ، . إننى أسير في طريق التكامل حتى أودى رسالتى التى من أجلها خلقت . أنا شكور وحيد لهذا الإله الذى وهبى كل هذه الفرص لأتعم بواسطتها الغرض الأسمى من هذه الحياة . إنى أبارك كل شئ يهبى الله إياه . ليست حياتى اليومية فارغة ، بل إنها مليئة (بالعلوم والآداب والفنون الجميلة والفلسفات والدين ...) وإذا كانت روحى ملكاً فإن الجسم مملكته ، وهذه المملكة تسير بخطى واسعة وهى تتدرج فى سنة النشوء والارتقاء ، (١) .

وليس العجز عن تفسير علة الألم فى الكثير من جوانبه يصح أن يعد حجة ضد عدالة الألم فى سائر جوانبه . فإن العلم لم يصل بعد إلى المرحلة التى يملك فيها قدرة تفسير جميع أسرار الحياة ، ولن يصل يوماً إلى هذه القدرة الكاملة التى ليست من صفات العلم بل هى من صفات العقل الأعظم ، وهيات أن يصل إليه الإنسان مهما بلغ عنده مدى العلم والعرفان .

ويبقى فى هذا الشأن أن نلاحظ أن العلم لم يوضح بعد حتى طبيعة صلة الإنسان بهذا الكوكب الضئيل الذى يقطنه . وإذا صح أننا جئنا إليه كما تتطور وترتقى تدريجياً ثم نعود أرقى شأنًا وأحسن حالاً ، فإن الكثير من تصاريف القدر القاسية — حتى الزلازل والأوبئة والحروب — تصبح ذات نهاية سعيدة .

ويكون شأننا شأن إنسان رضى أن يهاجر إلى بلاد نائية ، كما يقوم برسالة من الخدمة الشاقة أو من الدراسة المضنية ، إذا ما اضطرت ظروف قهرية أن يعود إلى وطنه الأصيل قبل التاريخ الذى قدره ، ناعماً بما قدم من

(١) ترجمة الأستاذ صلاح الدين يوسف فى مجلة « عالم الروح » ، عدد أغسطس سنة ١٩٥٦ من ٨ .

تضحية ، أو بما اكتسب من خبرة غير ضائعة ، لأن ناموس الحياة لا يعرف خدمة منكورة ، ولا تقدماً ضائعاً في العقل أو في الأخلاق .

وإذا كان هذا القول صحيحاً بالنسبة لصلة الإنسان بهذا الكوكب فهو صحيح أيضاً بالنسبة لصلته بحسبه من حيث الذكورة والأنوثة ، ومن حيث صلته بالقارة واللون والوطن والعقيدة ... فإن العلم لم يوضح بعد طبيعة صلات الإنسان بكل هذه الأمور . حتى أن علم الروح لا يملك في حاله الزاهنة إلا القول بأن تمت روابط عريقة طبيعية تربط الروح بها ، وهي عريقة عرافة الروح ، وعميقة الأثر في تطورها وارتقائها .

وما دامت آلام الروح - ومباهجها أيضاً - وثيقة الصلة بكل هذه الروابط مجتمعة ، فعلى عقل الإنسان أن يتواضع قليلاً - بل كثيراً - ويسلم بالعجز عن تفسير علة الآلام ، وبأن هذا العجز لا يتعارض مع جدوى الآلم إن لم يكن مع عدالته ، في ظل ناموس طبيعي يعطى للروح قدراً كبيراً من الحرية في تخير روابطها ومواضع أقدامها في طريق الأبدية الصاعد الطويل . ولنا عودة إلى الكلام في مدى حرية الاختيار في مناسبة لاحقة .

فهرس في الألم والسعادة

وهناك أيضاً اعتبار له قيمته في تزويدنا بالشجاعة اللازمة لتحمل وطأة الألم ، وهو أن نعرف مع الشاعر الأديب ماترلنك بأن السعادة تقتضينا قدراً من الشجاعة مثلما يقتضينا الألم أيضاً ، وربما نلزمنا طاقة للاستمرار في السعادة أكثر مما يلزمنا من طاقة للاستمرار في التعاسة ، لأن ترقب النعيم الذي كان من المفروض أن تمنحه السعادة للقلب غير الحكيم أفضل من حيازة الإنسان الكاملة لكل ما كان يشتهي من أمور . فن قوة السعادة الدائمة يمكن للإنسان أن يشاهد بوضوح حاجيات القلب الذي يبدو أنه لا يتقوت إلا من الخوف والأمل ، والذي يتألم من التقوت بما لديه ، حتى لو كان لديه كل شيء .

وكثيراً ما يشاهد الإنسان مخلوقات قوية وممتلئة حذراً ، وقد صرعتها
السعادة ، فعندما لا تجد في السعادة كل ما كانت تبحث عنه من أمور ،
فلا تقاومها ولا تتمسك بها بالحاس الذي ينبغي إظهاره دائماً في الحياة .
ولكم ينبغي أن يكون الإنسان حكيماً حتى لا يأخذه العجب من القول
بأن السعادة تحمل معها الأسى أيضاً ، وحتى لا يدعونا هذا الأسى للاعتقاد
بأننا لا نحوز السعادة الحقيقية بعد . ولعل أفضل ما يعثر عليه الإنسان في
السعادة هو اليقين بأن السعادة ليست شيئاً مطلوباً للنشوة ، بل هي أمر يدعو
إلى التفكير .

والحصول على السعادة يصبح أمراً أيسر منالاً ، وأقل ندرة ، عندما يعرف
الإنسان أن الهبة الوحيدة التي تنهبها للروح التي تعرف كيف تستفيد منها —
هي توسيع الوعي الذي لا يمكن للروح أن تعثر عليه أبداً عن أى سبيل آخر ،
فأهم للروح الإنسانية أن تقدر قيمة السعادة من أن تنعم بها . ومن اللازم
فهم أمور كثيرة حتى يحب الإنسان السعادة لأمد طويل . وبما لا غنى عنه
معرفة عدد متزايد منها للإقرار بأنه في داخل السعادة التي لا تكتنفها
العواصف يمكن القدر المحدد الثابت لكل هبة لحسب في تلك القوة السائدة
في أعماق وعينا ، والتي يمكننا أن نجعلنا سعداء حتى بين أحضان التعاسة ذاتها .
ولا يمكنك أن تقول إنك سعيد إلا إذا كانت السعادة قد عادت لك على أن
ترتق مرتفعات شائعة إلى المدى الذي لا تعود ترى السعادة بعده ، بغير أن
تفقد في نفس الوقت رغبتك في الحياة .

ونجد عدداً من ذوى الأفكار العميقة المملوئين شعوراً قوياً
باللانهاية وبالازل وبالكون مثل باسكال Pascal وهيلو Hello وشوبنهاور
Schopenhauer لا يبدون سعداء على الإطلاق . ولكن يخطئ الإنسان
خطأً غريباً لو أنه كان يعتقد أن تعبير الأسى العام يفترض دائماً خيبة
شخصية عظمى . فأفق السعادة عندما تتأمله من قبة تفكير غير غريزي

ولا أناي ولا ناه لا يختلف بشكل محسوس عن أفق آخر من نفس الطبيعة ، ولكنه يرجع إلى مصدر آخر .

وفي نهاية المطاف لا يعيننا كثيراً أن تكون الغيوم التي تتحرك هناك في سماء الوادي ، غيوماً كثيفة أم رائعة ، فإن ما يهدى روع المسافر هو الوصول إلى مكان مرتفع ، ليسكتشف منه فضاء لا حدود له . وليس من اللازم أن تمر أشعة بيضاء بغير توقف على البحر ، كما يبدو لنا البحر بكل ألغازه وروحه . لحديث عاصفة لا يضعف من حياة أرواحنا كما لا ينال منها يوم هادي جميل . إنما يضعفها أن نظل ليلاً ونهاراً سجناء في غرفة عقولنا الضئيلة بغير نشاط ولا راحة ، بينما المحيط يضيء السماء من حول المقر الذي فيه نقيم

ومن اللازم للسعادة أن تكون لدينا أفكار حية وجريئة عن الإنسان وعن الله وعن الطبيعة . ولكن ذلك لا يكفي ، إذ ماذا تساوى أية فكرة عميقة ما دامت لا تجلب لنا أية طمأنينة ؟

ثم يقول : من منا لا يجد ألف سبب وسبب كما يكون سعيداً بغير أن يبحث عن هذه الأسباب ؟ وبغير ريب من المفيد أن يبين لنا الإنسان الحكيم الأسباب العالية جداً للسعادة ، لأن الأسباب العالية جداً لعدم السعادة تكون قريبة جداً من أن تتحول إلى أسباب للسعادة ، ولكن جميع هذه الأسباب التي لا تحمل لنا بذور العظمة والسعادة (فيوجد في الواقع في الحياة المعنوية عدداً من مساحات تم اكتشافها تختلط فيها العظمة مع السعادة) لا تستحق أن يعددها الإنسان .

وينبغي أن يكون الإنسان سعيداً حتى يسعد غيره ، كما ينبغي أن يسعد غيره حتى يظل سعيداً ، فلنحاول أن نتبسم — بادی ذی بدء — حتى نتعلم إلهوتنا أن يتبسّموا ، وهندئد سنتبسم ابتساماً أكثر صدقاً عندما نراهم

يتبسمون . ويقول ماركوس أوريليوس ^(١) Marc-Aurèle ، إنه لا يناسبني أن أحزن نفسي بنفسي أنا الذي لم أحزن أحداً ، في عبارة من أجمل عباراته ، ولكن ليس جلب الحزن على النفس ومعرفة جلبيه على الآخرين يساوي عدم معرفة الإنسان أن يكون سعيداً على قدر استطاعته ^(٢) ؟

ثم يتساءل ما ترلك ، لماذا لا نعترف بأن الواجب الاسمي ليس في البكاء مع جميع الباكين ، ولا في الألم مع جميع المتألمين ، وليس في أن نفتتح قلوبنا لكل عابر سبيل كيما يدميها أو كيما يسعددها ؟ إن البكاء والآلام والجروح أمور لا تسالمنا إلا بقدر ما تمتنع عن تثبيط حياتنا .

فلنذكر دائماً أنه أية كانت رسالتنا على هذه الأرض ، وأياً كان الهدف من جهودنا وآمالنا ، وأية كانت نتائج أتراحنا وأفراحنا ، فنحن قبل كل اعتبار آخر مستودعات عمياء للحياة ، وهذا هو الشيء الوحيد المحقق بصفة مطلقة ، وهذه هي النقطة الثابتة الوحيدة للخلق الإنساني . لقد أعطينا الحياة ، ولا نعلم لماذا ، ولكن يبدو جلياً أن ذلك ليس لإضعاف الحياة ولا لضياعها .

بل إننا نمثل صيغة خاصة من الحياة على هذا الكوكب ، وهي صيغة حياة التفكير والشعور . ولذلك يبدو أن كل ما يؤدي إلى إضعاف جذوة التفكير أو الشعور ليس أمراً خطيباً بحسب الزاجح . فلنحاول إذاً أن نذكر هذه الجذوة ، وأن نجعلها وأن نوسع من نطاقها ، وقبل كل شيء آخر فلننقو من إيماننا في عظمة الإنسان وفي قدرته وفي مصيره .

ومن الصحيح أنه بمقدوري أيضاً أن أقول أيضاً ، بل في ضالة الإنسان

(١) إمبراطور روماني معروف بحكمته وفلسفته دام حكمه من سنة ١٦١ — ١٨٠

بعد الميلاد .

(٢) من كتاب « الحكمة والفلسفة » ، La Sagesse Et La Destinée ،

من ١٤٧ — ١٥٢ .

وضعفه وتعاسته . فن المثير أن يكون الإنسان تعيشاً جداً بقدر ما يكون سعيداً جداً . ويستوى في نهاية المطاف أن يكون هو الإنسان أو هو السكون الذى يبدو لنا رائعاً ، ما دمنا نجد سبباً يثير روعتنا ويذكر فينا إحساسنا باللانهاية .

إن النجم الذى يكتشفه الإنسان لا يضيف شيئاً من الإشعاع إلى تفكيره وشعوره وشجاعته . وكذلك كل ما نشاهده من جمال فيما يحيط بنا ، كان جميلاً في قلوبنا من قبل ، وكل ما نجد رائقاً وعظيماً في داخلنا نجده كذلك في نفس الوقت في نفوس الآخرين .

فاذا ما استيقظت روحى في هذا الصباح وقابلت في تفكير محبتها فكرة تقرب بها قليلاً من الله ، الذى لا يمثل بغير ما ريب سوى أجمل رغباتها ، فإنى سأجد نفس الفكرة تتردد في ذهن ذلك الإنسان المسكين الذى قد يمر في اللحظة التالية تحت نافذتى ، وسأحبه أكثر مما كنت أحبه ، لأنى عرفت أفضل من ذى قبل هذه الفكرة عن الله ...

ثم يقول أيضاً وإن كل فكرة تنمى قلبي تنمى في حب الإنسان واحترامه ، وبقدر ما ارتفع ترتفع معى . ولكنى كما أحبك لا ينبغي أن أقص جناحى محبتي لأن محبتك لم ينم لها جناحان بعد ، فعندئذ ستتضاعف الدموع ومعها الأنين غير المجدى في أعماق الوادى ، ولن تخط المحبة خطوة واحدة نحو الجبل . فلنحب من أعلى بقمة يمكن أن نرتقى إليها ، ولا ندع أنفسنا نحب بدافع من العطف عندما يمكننا أن نحب بدافع من الحب ، ولا ندع أنفسنا نفتخر للآخرين بدافع من الطيبة عندما يكون بمقدورنا أن نفتخر بدافع من العدالة ، ولا نعلم أنفسنا أن نعزى الآخرين عندما يكون بمقدورنا أن نتعلم كيف نحترمهم .

فلنكن متيقظين في تحسين نوع المحبة التى نعطيها للآخرين . إن كأساً من هذه المحبة نجرعه في القمم العالية يساوى مائة كأس يشربها الإنسان

من المستودع الآمن للسر العادى . وإذا كان ذلك الإنسان الذى لا تحبه بعد بدافع العطف عليه أو لمجرد أنه ينتحب ، سيجعل حتى النهاية أنك تحبه فى هذه اللحظة كما تجعل منه ومن نفسك إنساناً نبيلاً ، فاقية جملة فى نهاية المطاف ؟ لقد صنعت ما تصورت أنه أمر أفضل من غيره ، وهذا الأفضل يمكن ألا يكون مفيداً . ألا ينبغى أن نتصرف فى هذه الحياة دائماً كما لو كان الله — الذى تريده أسمى احتياجات قلوبنا — يراقبنا بغير ما توقف ؟ (١) .

فانوره اوسمفان

وفهم ناموس التطور الخلقى عن طريق الألم مرتبط بناموس آخر هو ناموس الحصول على أية سعادة عن طريق استحقاقها لا عن طريق اللهفة عليها . فمن يستحق سعادة ما بسبب جدارته بها سينالها حتماً طبقاً لقانون السببية ، ومن لا يستحقها فلن ينالها مهما تعلق بها ..

ذلك لأن السعى الحثيث للاستزادة من الخلق والمعرفة — بما يصاحبه من ألم محتوم — هو السبيل الوحيد الذى قد يوصل الإنسان إلى تحقيق أهدافه ، وبقدر ما تكون راقية ومناسبة لرسالته فى الحياة فى تقدير الناموس الحكيم الذى يراقب مدى ما يستحقه كل واحد بحسب ما قد يصل إليه من خلق ومن معرفة . فيعطيه هذا الناموس أحياناً ما لا يفكر فيه ولا يطمع إليه ، حين قد يسلبه ما قد يكون بحسب تقديره الضعيف فى حاجة ماسة إليه . فالإنسان يعطى من أسباب السعادة الحقيقية بحسب استحقاقه لا بحسب رغباته .

بل إن الألم نفسه قد يكون عطية حسنة يعطاها من يستحقها لدفعه فى طريق تقدمه وصلاحيته . ويعطاها إلى المدى الذى يمكنه أن يتحملة ، وبدون أن تهمله رحمة الرحمن أو تلساه . لأنها غالباً ما تهب مع الألم وسائل تخفيف قسوته فى حكمة بالغة يحار فى فهمها الحكماء . هى نفس الحكمة التى

(١) من ماثريك : الترجع السابق ص ١٧٧ — ١٨٠ .

(م ٢٢ — الإنسان روح : ص ٢٢)

أعطت الروح قدرة ذاتية هائلة على تحمل الألم مهما كان رهيباً ، كما أعطتها القدرة على الإحساس بفرحة الحياة وسط آلامها ومتاعبها ...

والألم مع ذلك ليس ملازماً محتوماً للشر أو للرذيلة ، وليس نتيجة محتومة لها . فليس من يتألم أكثر من غيره شرّاً من غيره . بل كل إنسان يتألم آلاماً ظاهرة أو دفينة ، نفسية أو جسدية ، بحسب مرحلة التطور التي وصلت إليها النفس وقت الألم ، وبحسب نوع الألم الذي قد يلزم هذه المرحلة للانتقال إلى مرحلة أخرى أرق من سابقتها وأسمى ، حيثما وجدت النفس ، لأن قانون التطور يفعل فعله دوماً . ولا يتصور توقفه إلا إذا توقفت حياة النفس ، كقانون الجاذبية لا يتصور توقفه إلا إذا توقفت الحياة المادية ، وهو - شأن كل قوانين الطبيعة - عاقل مفرط في عقله وفي حكمته ، حتى عندما يوزع جرعات الألم لخدمة النفس كأنه طبيب ماهر يعرف كيف يوزع جرعات الدواء لخدمة الجسد .

وكقانون الجاذبية ، الألم أيضاً قانون موضوعي من قوانين الحياة التي تربط ربطاً دقيقاً بين المقدمات ونتائجها الطبيعية لخدمة دوام الحياة وتطورها ، منذ خلق الإنسان جنيناً في بطن الطبيعة حتى يصل إلى نضج كاف في العقل وفي الفضيلة . ومن ثم قد يتألم أفضل الناس وقد يقاسى من دهره كل صنوف الهوان والحرمان ، لمجرد أن فرص الارتقاء التي تعدها مرحلة التقدم التي وصل إليها تتجاوز تلك التي وصل إليها ذلك الذي قد يبدو ناعماً سعيداً ، على غير جوهر من فضل ولا من فضيلة .

ثم إن أولهما يملك مستقبل الأجيال والدهور ، أما ثانيهما فلا ، لك سوى سكرة الساعات أو الشهور ، وله يوم وأيام من ألم مخبوء في سفر الحياة التي لا تنتهى . ومن يملك السكرة لا يملك السعادة ، لأن سكرة الأشرار غير سعادة الأبرار واطمئنان نفوسهم في سكون واستقرار ، هذا الاطمئنان الذي لن يناله إنسان إلا عن استحقاق ، والذي يفضل بذاته كل ماديات

الأرض ، وما وسعت من نعم زائف ، قد يخلب أبواب الحق ، وقد يسعدهم فيه مالا يسعدهم في هدوء البال وراحة الضمير .

وهذا الفهم لنا موسى الجدارة أو الاستحقاق يبعث في نفس العاقل الثقة بأن ماديّات الأرض لا تغني قتيلاً ، فهو على سفر عاجل إلى عالم آخر لا ينفعه فيه إلا ما كسب من اطمئنان وسكينة لأن كل نفس بما كسبت رهينة .

وهكذا يظهر كيف أن الطبيعة قد جمعت بين شاطئها النقيضين معاً : الإفراط في القسوة والإفراط في الرحمة . وإذا كان الألم يمثل أولها ، فإن الاستحقاق يمثل ثانيهما . وإذا كانت قسوة الطبيعة قد تصل أحياناً إلى حد اليأس منها ، فإن نور رحمتها هيات أن تدركه ونحن في ظلام قسوتها . لكن هذه هي بعينها سنة التطور والارتقاء ... ولن تجد لسنة الله تبديلاً ... فالألم يهدد للارتقاء ، والارتقاء يفتح أبواب السعادة الواحد بعد الآخر . ولا يفتح باب إلا لمن تحمل وعناء الطريق واجتاز صعابه حتى وصل إليه فاستحق أن يفتح له ...

ورسالة الموت هي أن يفتح باب الأبدية حتى يغمر نورها من قاسى من ظلام دنياه وظلمها ، فيتفياً ظلال رحمتها من قاسى من آلام دنياه ، وما أفدح وطأتها ... وذلك إلى المدى الذى قد يصدق عليه قول سولون Solon مشرع الإغريق العظيم : لا يدهى إنسان سعيداً إلا عند موته ، ... فمن يدري ؟ لعل سولون أشار إلى حقيقة البقاء ، لا إلى خوف الفناء ... وإلى ما يعرفه الآن علماء الروحية من أن عوائق السعادة هنا للنفس الراقية تتجاوز كثيراً عوائقها هناك .

ولعل إلى هذا المعنى أيضاً أشار القائلون بأن الموت والحرية مرتبطان وثيق ارتباط ، وبأن قدرة الإنسان على الموت هي أعلى درجات الحرية ، وهو ما عبر عنه الشاعر الفيلسوف إنجلان Angelus Silesius عندما قال : إن الموت أحسن شيء في الأشياء ، لأنه وحده يجعلنى حراً ... ،

فلم الحزن أو اليأس ؟ ... حتى لوعة الفراق علينا أن نتحملها بشجاعة ... لأن أغلب آلام الحياة الدنيا وما سببها أوجب للحزن منها وأدعى ... هذا لوعي الناس حقيقة هذا الانتقال من حياة مقيدة إلى حياة حرة، ومن حياة دنيا إلى حياة عليا ... وحقيقة هذه الصلات التي لا تنقطع بين من انتقلوا، ومن هم في طريق الانتقال .

الموت . الألم . الاستمقاة . في رسائل بعض الأرواح

ولعل خير ما نختتم به الفصل الخالي عن الموت والألم ، هو هذه الفقرات من رسالة جميلة بعث بها من هناك بحاجة روحى يدعى ألفريد بنزيك A. Bénézech إلى وسيطة روحية فيها تلخيص لمعاني هذا الفصل يغنى بذاته عن كل تعليق . « إنى أناذك مرة أخرى قائلاً: ثقة : إنك تسيرين نحو النور الأسمى ونحو متع نقية عميقة متدفقة بما ليس بمقدورك أن تتخيله . والويل للأشرار وللأذئاب والمرايين ، لأن ما يسيبونه من آلام سيتحملون مقابلها أضعافاً . فشجاعة وثقة ، إذ ماذا تعد آلام دنياكم أيها الابنة الطيبة بحجاب نعيم هذه الدنيا ؟

لتعلمي جيداً أنه لا يستحق أى إنسان أجراً غير ذلك الذى يحصل عليه . فعيشى طادلة ولا تفكرى فى خدك كثيراً ، وإياك أن تطيل الأنين من محن الحياة . كلا بل فليكن لديك من الشجاعة ما يجعلك تباركين هذه المحن . وإذا ما امتحنت فانهمى واقفة رغم الامتحان كيما تزدادين قوة وبهاء . وقرباً من السعادة التى تلتظر الإنسان العادل عند دخوله القبر ، والتى تعجزون عن إدراكها فى أرواحكم .

اقبري ؟ ... كلا بل إنه باب الحياة الحقبة التى تتفتح فيها زهرة الذات ، فارفعى رأسك وسيرى قدماً لأنك تسيرين نحو الهدف الحق والأوحد ... أموت ؟ ... كلا بل إنه الحياة فى أقوى وأروع ما يؤدى إليه اللفظ، ولكن لمن عرف كيف يجعل من حياته الأرضية أهلاً لها ...

... إنك قبل دخولك إلى عالمنا ستقتنعين بحقيقة الحياة بعد الموت .
ولست أخدعك إذ أؤكد لك من جديد ما لم أنقطع عن تأكيد طيلة حياتي
من أن النصر للخير ، والرفعة للجهد المبذول . وإذا كان الوصول إليهما مؤلماً
في المعتاد ، ولعله شاق على الدوام ، فإن ذلك للجهد هو مصدر قوته ومبعث
عصمته .

ودعى الضعفاء - الذين يجدون أن من الأسر لهم أن يسلبوا أنفسهم
غرائزهم وشهواتهم - يقولون ما يشاءون لقد كان بمقدوري أن أسبهم
بالأقوياء بدلاً من الضعفاء ، لكن كان بمقدوري أيضاً أن أضيف أن أقوياء
الأرض سيمسحونهم ضعفاء الأثير .

فتق في كلامي وفي تأكيداتي المتوالية ، وواصل حياة النقاء وتأدية
الواجب ، فسبنتظرك حينذاك النعيم الأسمى للجسد والروح والنفس ، النعيم
الذي لا يمكن لأي شيء في عالمكم أن يعطيك فكرة عنه . وعيشي في هذا
الأمل الحق رائية لحال أولئك الذين يقضون حياتهم كيفما اتفق ، ورغم
كل اعتبار ، مطرحة جانباً اعتراضاتهم وشكوكهم .. وإني لا أجد عبارات
أعبر بها عن فكري كما أتصوره ،^(١)

وفي نفس هذا الاتجاه أيضاً تقول الروح جوليا A. Julia في دروسها
من العالم الآخر ، : « في وسط الحياة نحن موتى ، . إني أريد أن أوضح
الحقيقة الغريبة التي يتضمنها هذا القول ، لكن علينا أن ننظر إليه من زاوية
تخالف تماماً تلك التي يفسر بها معناه غالباً . فنحن من هذا الجانب نرى الناس
في العالم المادى يسرون في ردائهم اللحمي وكأنهم موتى ، وجوهرهم من

(١) عن مؤلف الأستاذ شارل بيزيك الملتقى الفكري بمجامع الاستئناف الفرنسية عنوانه
« الحياة الأرضية والحياة ما بعد الموت » La Vie Terrienne Et La Vie D'Outre Tombe ،
والمؤلف هو ابن صاحب هذه الرسالة ، وتلقاها منه في جلسته العائلية .

كل جانب وبغير أن يشعروا توجد الحياة ، الحياة المشرقة تماماً آتية من الجانب الروحي .

إن العالم الأرضي مليء برجال ونساء قتل الجوع أرواحهم وأنفسهم ، ومع ذلك فهم يحيون - كما يعتقدون - في الحياة . آه لو تعلمون أيها الأصدقاء الأعزاء ، أى موت هو هذه الحياة ! الموت لكل ما هو روحي . الموت هو المعنى الحقيقي لهذه الحياة ، والموت وسط روائع الحياة .

تأملوا هذه السمكيات ، وسط الموت نحن نحيا ، وفكروا فيها من جانب الحياة التي نحياها . تمثلوا في أذهانكم إشراق الألوان ، وأنغام الموسيقى الجميلة ، والمدينة العظمى البيضاء التي تبعث ضوءها إلى العالم باحثاً عن القلب الذي يمكنه أن يتقبله .

فكروا فيمن يعملون لأجل إله المحبة ، مشرقين جميعهم برغبة مساعدة الإنسان ورفعته شأنه ، وقدروا أليست هذه هي الحياة ؟ . فكروا في المنازل التعيسة التي لا تجارب بينها وبين هذه الحياة ، لا المنازل الفقيرة بحسب المعنى المادى ، بل المنازل وأحياناً القصور التي يسكنها الإنسان الدنيوى ، والتي فيها يحاول الغنى المزعوم أن يحيا حياة غير خلقية سعيّاً وراء المملكات ، واسكنها خالية من حقائق الروح . هذا هو الموت كما نراه . هذه هي المفارقة الأليمة في الحياة . ومع هاتين الصورتين وجموا عقولكم نحو ضرورة تعليم هذه الحقيقة حيثما تذهبون قائمين ، إننا في وسط الحياة نحن موتى .

هنا العمل المتدفق لكل خادم يريد أن يخدم الله ، وكل ابن وضع في عقله هدف خير إنسانية . ونحن مشوقون الآن أكثر من أى وقت مضى لأن نحرر عالمكم من الموت ، وقد كان لذلك صداه على كل مستوى من مستويات الفكر . ونحن ننجح هذا العمل في رفع الكثيرين من الاهتزازات المنخفضة وأطلمهم على الحياة ، فقد كان له أثر عكسي في الأرواح السيئة الفهم التي تحيا لا للإنسانية ولا لله ، بل لإشباع حاجيات الجسد .

علموا حيثما استطعتم أيها الأصدقاء الأعزاء أن الحصاد كثير ، أما
الفعلة قليلون ...

إن سلام هذه الحياة يتجاوز مدى فهمكم إلى أن تحضروا وتختبروه
بأنفسكم ، كما أن القلق الخفيف ، للموت في الحياة الدنيا ، يتجاوز أفهام من
لا يلبسونه بأنفسهم . ولكن لكل هؤلاء يمكن أن يوجد السلام عند
الوصول إلى هذه الحياة . ينبغي أن تنبذوا حاجيات الجسد ... إن حاجيات
الجسد لن تشبع أبداً ، وإنما التطلع إلى الروح هو الذى يرفع صاحبه من
عالم الموت .

إذا ما عدتم إلى بمالك الروح بعد انقضاء الأجل المحتوم على الأرض
ماذا سيكون إحساسكم ؟ وأين ستكونون قد شيدتم مناركم ؟ إن ذلك
يتوقف على الطريقة التى تكونون قد قهرتم بها عالم الموت ، وبها حققتم
معنى الحياة ... إنى أترك هذه الأفسكار لاولئك من بينكم الذين يقومون
بالتعليم ، والذين يرغبون في التقدم ، والذين يشعرون بالحاجة الملحة لتعلم
الحياة الحقة ، (١) .

ثم نستطرد جوليا - في الفصل التالى - قائلة : « الحياة في الموت
والموت في الحياة ، هذا هو ما نحن بصدد التفسير فيه . والآن فلنقدم
مساعدة عملية ، وإني أريد منكم أن تتابعوني عندما نبحث كيف نتابع الحياة
بكل مغزاها خلال سدود الموت كما نعدم الموت ونجعل الحياة ظاهرة ،
ليس على جانبنا لحسب ، بل على مستواكم الأرضى أيضاً .

(١) Lessons From The Beyond ١١١ - ١١٤ .

وهذه الدروس أمتها جوليا في سنة ١٩٢٧ على وسيطة تدعى كوريللى جرين
Corelli Green إذ أن وسيطها السابق وهو سير و . ت . سبيد كان قد انتقل إلى عالم
الروح منذ سنة ١٩١٢ ، وأخذ يعمل من هناك كروح ، يرشد لداثرته التى أعيد افتتاحها منذ
سنة ١٩١٤ تحت اسم W. T. Stead Borderland And Library وقررها
في ميدان سميث بلندن 5. Smith Square .

ولا يمكنني في الوقت الحاضر أن أحدثكم عن الحالة الدنيا للحياة التي هي أسوأ من الموت ، بل أسألكم الآن أن تدرسوا الحياة من ممالكنا العليا ، وأن تدعوا اهتزازاتكم الخاصة تستجيب إلينا عن طريق الانتصار على الموت في عالمكم .

ولقد أتحدث عن «مستويات» جانبكم لأنه توجد درجات متعددة من النشاط العقلي عندكم ، إلى حد أنه يوجد فعلا عدد وافر من المستويات التي نسميها - بغير تمييز فيما بينها - الكوكب الأرضي . فهل بمقدوركم أن تلاحظوا الدرجات الكثيرة المتنوعة من الحالات العقلية والروحية ، وتقسمون في كل درجة منها بوصفها تمثل مستوى على حدة ؟ نعم إن لديكم عددا وافرأ من المستويات على الأرض . وبعضها أسمى من المستويات الكوكبية الأولى ، كما أن بعضها الآخر أدنى منها .

وفي ظروفكم الحالية يمكنكم أيها الأصدقاء الأعزاء أن تشاهدوا الموت في حياتكم ، ولكن ما علينا أن نضعه في الاعتبار هو إمكان إلغاء الموت على مستوياتكم ، وينبغي النظر إلى الموضوع من زاويتين : زاوية موت الجسد ، وزاوية موت النفس ، أو المظهر الخارجي للروح . وإلى أن يتحقق الإنسان من فاقة تطور العقل وتعاثته ، فلا يمكننا أن نتوقع أن نعالج هذه الحالة من ضربة الفاقة ، وبالتالي أن نلغي موت الروح الذي يحجب عن الظروف المظلمة لها . وهذه الدروس ينبغي أن تدرس ، ويمكن للجميع أن يدرسوها ، ولقد أعلم أن أولئك الذين يمكنهم قبول كلماتي مع إمعان النظر فيها يتعلمون أكثر مما يمكن للسكيات أن تعطيه .. (١) .

الباب الخامس

في الروح

بين العلم والاعتقاد

نريد

تقوم كافة العقائد على أمور مشتركة كثيرة ، منها الإيمان بأن الروح غير الجسد وأنها لا تقنى بفنائها . وبوجود عالم أو عوالم أخرى غير العالم المادى تحيا فيها الأرواح بعد الموت ، . فهى تلتقى كلها عند أخطر حقيقة يقوم عليها علم الروح الحديث ، وهى التسليم بدوام الحياة بعد موت الجسد ، وبوجود عالم آخر خير وأبقى من عالم الشهادة ، وتحتوى كلها على اتجاهات روحية مشتركة واضحة فى هذا المعنى .

كما تلتقى كافة العقائد عند جوهر الفضائل كالحب والرحمة والمغفرة والعفو عند المقدرة والإيمان والتقوى والصدق والأمانة والقناعة والشجاعة والإخلاص والإحساس بالمسئولية وأداء الواجب والاستقامة والاعتدال ... وكلها تنبع كما قلنا من مصدر واحد وهو إنكار الذات ، وتسلم بأن أخذاد هذه الفضائل رذائل يحمل بالعاقل تجنبها . وتلتقى أيضاً عند التسليم بأن لكل فضيلة ثوابها ولكل رذيلة عقابها .

وحق فى النواحي اللاهوتية الصرف تلتقى العقائد الكبرى المعاصرة فى كليات كثيرة : منها التسليم بوجود خالق واحد لهذا الكون ، وبصفاته غير المحدودة من القدرة والعدالة والجلالة والرحمة والمغفرة والحكمة وبهيئته على نواميس الحياة ، وبأزليته ، وبوجوب الصلاة أو الضراعة والصوم ، وبوجود أنبياء كثيرين ورسول وملائكة ، وبالمعجزات فى صور شتى . أما بالنسبة للجوئيات فإنها قد تختلف اختلافاً طبعياً بين عقيدة وأخرى ، وبين مذهب وآخر ، بل وبين إنسان وآخر من نفس المذهب والعقيدة ،

لأن لكل واحد طريقته الخاصة في فهم عقيدته ، والتي تناسب تكوينه العقلي والخلقي والروحي . وقد يكون الإنسان راقياً من هذه النواحي الثلاث بغير تعمق في أمور عقيدته ، أو بسبب تعمقه فيها . لكن الفضيلة الحقة هي التي تربط في النهاية برباط لا ينفصم من الفهم المتبادل والولاء الوثيق بين الأشخاص الذين قد ينتمون إلى عقائد شتى ، على النحو الذي عبر عنه الفيلسوف رالف إمرسون R. Emerson (١٨٠٣-١٨٨٢) عندما قال إن الرجال الأفاضل من كل دين يدينون بدين واحد .

وأي إنسان يبحث في العلم الروحي الحديث - ولو قليلاً - يجد نفسه إزاء حقيقة كونية قد ثبتت تماماً - بقدر ثبوت الحياة بعد الموت - وهي أنه لا يوجد أي فارق يفرق أمام نوااميس الطبيعة بين البشر بسبب العقيدة أيّاً كانت ، وذلك لأن عدالة الله اقتضت أن تكون محبته فوق المذاهب وطرق العبادة، وأن تكون نعمته جزءاً من الميراث الإلهي المقدس الشائع يتقاسمه البشر على حد سواء . وهذا هو جوهر البحث الحديث في الروح ولب لباب ما وصل إليه من نتيجة بعد بحوث قرن وربع من الزمان ، وذلك في شتى البيئات التي أخذت على عاتقها أمانة إجراء هذا النوع من البحث بطريقة علمية محايدة .

فلم يعد الأمر إذاً محض اجتهاد ، أو محض رأي فلسفي لباحث دون آخر ، بل أصبح حقيقة مقررة كأية حقيقة أخرى ، وعلى نفس المستوى . وهي حقيقة بسيطة ورائعة ، لو عاها الناس جيداً لكانت كقيلة بأن تبدد من ضمايرهم قرينة ظالمة طالما وجهت تصرفاتهم نحو الخطأ ، وطالما أوغرت الصدور ، ودفعت العقول المظلمة - ولا تزال تدفعها - إلى أن تتصرف بغرائز الغابة وهي تحسب أنها تتصرف بضمير القاضى وحكمة صاحب السلطان الحكيم . . . بل طالما أشعلت نيران الحروب في عصور ماضية لغير سبب قائم ولا هدف يرجى إلا إشباع نزعة التسلط في الإنسان - تحت ستار العقيدة - ويألفها من نزعة .

وهذه الحقيقة الكونية الكبرى في مساواة الناس أمام نوااميس الطبيعة لها محور فلسفي في غاية البساطة وهو أنه لو تواضع الإنسان قليلاً ، وبحث بروح علمية محايدة ، لتبين له على الفور أن الحقيقة المطلقة ليست ملكاً لأى من الناس ، بل ملك لجميع الأجناس . وهذه النسبية في معارف أى إنسان وإدراكه للأمور تعد الآن حقيقة رياضية ، قبل أن تكون فلسفة نظرية . ولعل هذه النسبية هى التى قصد بها ابن الهيثم (توفى سنة ١٠٤٤م) بقوله بأنه «وقى» بأن الحق واحد ، وأن الاختلاف فيه إنما هو من جهة السلوك إليه^(١) . لذا كان الطابع المميز للبحث الروحى الراقى هو تناوله المصير الإنسانى بأفق واسع وصدر رحب يتسع في محبة حقيقة لجميع العقائد ومعتقداتها ، بما لا يكاد يجد له الإنسان نداءً فى أى مجال آخر .

فلو أن أولئك الذين تعودوا - بغير ما بحث ولا تجريب - على توجيه سهام النقد المخرصة الطائشة إلى الروحانيين ، وإلى الروحية في كشفها وفلسفتها ومبادئها الإنسانية ، وجهوا عشر معشار هذا النقد إلى ما قد يعتل في أذهانهم من خواطر لجة كثيرة عن الحياة والموت ، والثواب والعقاب ، وعن الإنسان من ناحية صلته بالله وبأخيه الإنسان ، لما تبق في أذهانهم بعد شئ يستحق الاستمسك به والذود عنه بكل هذا الحماس ، ولشعروا هم أنفسهم أنهم بحاجة إلى تفهم هذا الموضوع الخطير ، بدلا من المكابرة فيه بغير معرفة ، وبغير غاية مشروعة .

وفي هذا الصدد يرد الأستاذ جيمس آرثر فندلاى - مدير المعهد الدولى للبحث الروحى - على المعترضين بما رده باستير Pasteur في رده على أولئك الذين أنكروا كشفه الخطير لدنيا الميكروبات لأسباب دينية عندما قال لهم : ليست المسألة في هذا كله مسألة دين أو فلسفة أو إلحاد أو مادية أو روحية ، وإنما هى بأسرها مسألة أمر واقع ،

ثم يضيف فندلاى قائلاً : والحقائق ماثلة موجودة لا يغيرها أن يرفض البعض مواجهتها . وإذا كان أى فرد قد كون لنفسه نظاماً من الاعتقاد

(١) لى كتابه : مقالة فيها منحه وصفه من علوم الأوائل .

يتعارض مع هذه الحقائق فالواجب أن يتغير عنده هذا النظام حتى يلائم هذه الحقائق ، وذلك لأن الحقائق لا يمكن أن تتغير لكي تلائم نظاماً خاصاً من نظم الاعتقاد والإيمان . وفي اعتقادي أن العلم والدين لا بد متحدان إذا قبلنا هذه الحقائق ، فيخطو بنو الإنسان إلى الأمام خطوة واسعة من حيث الذوق العقلي ، وعلى قدرها ستشتد أو أضعف الإنسانية وترتبط برباط من الإخاء المنفك المنظوم ... (١) .

ولاريب أن اتصال هذا النوع من البحث ببعض جوانب الاعتقاد كان من أقوى العوامل التي أثارت في وجهه غباراً - عند بعض المزمعين والخرفين - ولا تزال تثيره . حتى لقد جاء وقت حاول فيه بعض الهيئات أن يفرض عليه نوعاً من الوصاية التي كان يفرض مثلها فيما مضى على بعض أنواع المعرفة فكانت وصاية للجهالة على العرفان ، بل وصاية لغرور التزمت على تواضع الإيمان ... فما بالك يبحث يتناول أسرار الانتقال إلى العالم الآخر ، وطبيعة الحياة فيه ، والصلات بين العالمين ... وهذه كلها نواح طالمناحاض فيها شراح النصوص بطريقة المحيط بكل شيء العالم بأسرار الكون وبجميع خفاياه . فلما جاءت بحوث علم الروح كما تورد بعض الرواسب الغبية في نومها العميق كثر المعترضون والمقاومون بغير بحث ولا اطلاع ، ولكن في عنف وشراسة . فأيهما أولى بالاتباع أسلوب العلم أم أسلوب الاعتقاد ؟ للإجابة على هذا التساؤل الهام نجد أنفسنا إزاء نفس المشكلة القديمة ، وهي مشكلة كيفية التوفيق بين العلم والاعتقاد ، والتي يحسن أن نعالجها في الباب الحالي إجمالاً من زاوية الصلة بين علم الروح الحديث وبين العقيدة باعتبارها فرعاً من أصل وجزءاً من كل . وذلك في فصلين : -

الفصل الأول عنوانه : « البحث الروحي الحديث علم لا اعتقاد » .

والفصل الثاني عن : « دوره في توضيح بعض جوانب الاعتقاد » .

(١) « على حافة العالم الأثيري » الترجمة العربية للرحوم الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير طبعة ٣ من ١٤٠ .

الفصل الأول البحث الروحي الحديث علم لا اعتقاد

البحث الروحي الحديث هو سبيل من سبيل المعرفة بيمض قوانين الحياة . فهو علم وليس عقيدة ، لأن أسسه كلها مستمدة من محض تجارب عملية تقبل بطبيعتها الخضوع لأساليب النقاش العلمي للحكم لها أو عليها ، للخروج منها بدلالة أو بأخرى . وقد عبر عن ذلك النائب البريطاني جورج روجرز G. Rogers في خطاب بجمعية ماريلبون الروحية قائلاً : « ليس من حقنا أن نصف أنفسنا بأننا أصحاب دين قائم بذاته . ذلك لأن معظم الديانات الكبرى بدأت بظهور معلمين لها يرسمون للناس سبيل الحياة . ولكننا لا نكاد نرى شيئاً من ذلك في الروحية . فليست لنا فلسفة جديدة ، وكل ما عندنا هو حركة كشف القناع عن براهين جديدة لتلك الحقائق التي ثبتت قديماً . فالروحية على ذلك امتداد لمعرفتنا بالله » (١) .

هذا من جانب ، ومن جانب ثانٍ فإن كافة العقائد تقوم على الإيمان بأمور شتى ، أما البحث الروحي فلا يعرف الإيمان ، مفروضاً بأي أمر من الأمور . ومن جانب ثالث فإن معنى الانضمام إلى عقيدة معينة هو قبول عدد كبير من نظرياتها ومن شعائرها وطقوسها ، والارتباط مقدماً بما قد تقتضيه ، أما البحث الروحي فلا يعرف شيئاً من هذا القبيل فهو محض بحث علمي ، حتى وإن أصبح عند بعض الناس أساساً لأسلوب أو آخر من أساليب الحياة القائمة على الاقتناع بثبوت الحياة بعد الموت ، وبإمكان الاتصال بأرواح تقطن عالماً غير عالم المادة .

(١) مجلة « عالم الروح » عدد أبريل سنة ١٩٥٣ ص ٩ من مجلة السايكك نيوز .

موضع من العلوم الأخرى

ومن ناحية موضعه بين العلوم الأخرى ، وصلاته بها ، يتعذر اعتبار علم الروح الحديث فرعاً من علم معين دون غيره ، وإن كان وثيق صلة بعدد منها ، وهو ما يدعو إلى اعتباره علماً قائماً بذاته له كل خصائص الذاتية ، مهما تعددت صلاته بهذه العلوم الأخرى : —

— فهو مثلاً ذو وثيق صلة — ابتداءً — بالفيزياء من عدة نواح مثل اتصاله بنظرية الاهتزاز vibrational system والأمواج والاثير، وبنظرية النسبية ، وبحقائق الطاقة والمادة وبمعنى الزمان والمكان . وذلك بالإضافة إلى صلاته بالمجالات المغناطيسية والكهربائية الاستاتيكية على الأحياء بوجه عام والوسطاء بوجه خاص .

— كما هو ذو صلة بالسيكولوجيا ، وبفرع الباراسيكولوجى بوجه خاص ، بل لقد بينا كيف أن هذا الفرع يعد الآن الوسيلة العلمية لدراسة كافة الظواهر الوساطية ومن ضمن ظواهر الباراسيكولوجى هذه التلبأتى (التخاطر) ، والاستشفاف ، والتجسد، والسيكومتري^(١) ، والطرح الروحى والتنبؤ بالمستقبل ، والغيوبة الوساطية ... فضلاً عن اتصاله بموضوعات التنويم المغناطيسى ، وبنظريات العقل والتحليل النفسى والعلاج الإيحائى .

— وهو ذو صلة بالفسيولوجيا (علم وظائف الأعضاء) من ناحية انبعاث مادة الاكتوبلازم وعودتها وطبيعتها. والظواهر الفيزيائية وما يتصل بها من تجسّدات جزئية أو كلية ، والتغيرات التى لوحظ أنها تلحق أجسام الوسطاء أثناء الجلسات فى شأن النبض والتنفس ودرجة الحرارة ... بالإضافة إلى دراسة كوامن البشرة الكهربائية ekin potentials وغيرها .

(١) ظاهرة يطلق عليها بالانكليزية كلمة Psychometry وهى تسمى أثر الانسان فى الزمان والمكان . وقد فضل شارل ريشيه أن يستعمل بدلاً من هذا الوصف وصفاً آخر وهو بالفرنسية La cryptesthésie (راجع ما سبق فى الجزء الأول من ٣٤٣) .

- وهو بالإضافة إلى ذلك ذو صلة بعلم الأحياء والبيولوجيا، إلى حد أن بعض العلماء يعتبره من صميم موضوعاتها لأن الروح من خصائص الأحياء دون غيرها، وبخاصة وثيق صلة بالمجالات الحية الذاتية living autonomous fields التي تعين بطبيعتها الفطرية تكوين الكائنات الحية ووظائفها . والتي يرى بعض العلماء - مثل الدكتور جوستاف سترومبرج Gustaf Stromberg - برصد ويلسون بكاليفورنيا - أن دراستها تصل مباشرة إلى إقرار الرأي القائل بخلود نفس الإنسان عن طريق عدم فناء وعيه .

ولعل أقوى رابطة تربط بين علوم السيكلوجيا والفسيلوجيا والبيولوجيا في نطاق هذا العلم هي دراسة الجسد الأثيري أو اللامادى للإنسان . ذلك أن الجسد اللامادى هذا هو الذى يحمل عقل الإنسان الذى اصطاح العلماء على تسميته بالواعى وهو يعمل عن طريق المخ ، ومن ورائه الآخر - الأكثر منه اتساعاً وشمولاً والأصعب منه فى فهمه ودراسته - وهو الفوق الواعى الذى يعمل عن غير طريق المخ ، والذى يمثل من الشجرة جذورها الدفينة التى تستمد منها الحياة ، وهو الذى يوجه مشاعر الإنسان وعواطفه وغرائزه ويتحكم فيها . وهو من هذه الزاوية يتبع النفس بمفهومه التقليدى .

وفى نفس الوقت نجد أن هذا الجسد اللامادى هو الذى يتحكم فى وظائف الأعضاء وإفرازات الغدد الصماء وغير الصماء ، ودورة الدم وحركة التنفس ، وهو من هذه الزاوية يتبع علم الفسيولوجيا أو علم وظائف الأعضاء .

وهو الذى يهب الحياة للجسد المادى ويمسك بذراته بما فيها من كهارب سالبة وموجبة ، ويوجهه نحو النمو فالشيخوخة منذ أن يكون الإنسان جنيناً فى بطن أمه ، إلى أن يصبح بانفصاله عن الجسد المادى جنيناً لحياة جديدة فى بطن الطبيعة ، وهو من هذه الزاوية يتبع البيولوجيا أو علم الأحياء (١) .

ومثل هذا القول يصدق أيضاً على دراسة الصلة بين المخ والعقل - حينما

تتصل وحينما تنفصل انفصالاً تاماً أو جزئياً - فهو موضوع مشترك بين
السيكولوجيا والفسيولوجيا والبيولوجيا ، وفي نفس الوقت يمثل مفتاحاً
من أهم المفاتيح التي أدت إلى اقتناع عدد من العلماء بحقيقة الروح وعالم الروح
عن طريق الاقتناع بعدم الارتباط المحتوم بين المخ والعقل ، وبالتالي بين
المخ والحياة نفسها . وكذلك عدم الارتباط المحتوم بين الإحساس
وأعضاء الإحساس (١) .

فالدراسات الموضوعية المحايدة في هذه الموضوعات العويصة لعبت -
مع دراسة الظواهر الواسطية - الدور الأكبر في إقامة دعائم هذا العلم
الوليد على أسس علمية واضحة قبلتها أذهان الباحثين والعلماء للصلات
المتعددة بينها وبين حقائق العلوم الأخرى .

- وهو ذو صلات شتى بالفلك (من ناحية الفضاء الكوني واحتمال
تعدد العوالم المادية) وغيرها وبالطب (من ناحية العلاج الروحي)
وبالكيمياء (من ناحية بعض التحاليل) ، بالإضافة إلى أن تحقيق قيمة بعض
الرسائل الروحية كثيراً ما يتطلب إلماماً خاصاً بالأدب أو التاريخ أو اللغات
المختلفة أو غيرها بحسب الأحوال .

- وهو أيضاً ذو صلة وطيدة بعلم الأخلاق Ethics من ناحية اتصاله
بالقوانين الخلقية المختلفة بما في ذلك تحديد ماهيتها وآثارها .

- وهو ذو صلة بعلم العقائد المقارنة ، من ناحية دراسة الثواب
والعقاب والخلود . وكافة ما يتصل فيها بموضوع الروح .
- وهو ذو صلة بعلم ما وراء الطبيعة وفلسفاته .

ومن مجموع هذه الصلات يتضح تماماً كيف أن البحوث الروحية متى
جرت على نمط علمي منظم كان لها كل خصائص العلم القائم بذاته ، لأن صلة
هذه الموضوعات بعضها ببعض الآخر تنظمها رابطة مشتركة ، أو بالأدق
نظرية روحية واحدة . وهذا هو الاعتبار الذي دفع بعض كبرى الجامعات

في العالم إلى إنشاء كرسي أستاذية للبحث في جل فروع هذا العلم، ومنها جامعات عريقة تعودت أن تأخذ الأمور الجديدة مأخذاً جدياً .

كما دفعها إلى إنشاء معامل معدة أحسن إعداد لتحقيق الظواهر الواسطية وتسجيلها متى حدثت ، وقد يشترك في بحثها إلى جانب العالم الروحي عدد من الاختصاصيين - يتفاوت نوعاً ومقداراً بحسب نوع هذه الظواهر - منهم الفسيولوجي والسيكولوجي والطبيب والكيميائي وأخصائي الرسومات الدماغية وخبير في التصوير بالأشعة فوق البنفسجية ودون الحمراء ، وأحياناً خبير في الأرصاد من أصحاب الخبرة الخاصة في هذه الموضوعات .

فإذا ما اجتمع العدد المطلوب منهم واصلوا البحث لسنين كافية قبل تكوين الرأي في نتائج بحثهم ، فمن الخطورة تطبيق نظرية الاحتمالات أثناء فحص عملية محاولة ذات عوامل متعددة يزيد بعضها أو يقل من تأثير معين ، ولا يجوز الاستنتاج إلا ببقاء النسب ثابتة بين تلك العوامل المختلفة أثناء التجارب الكثيرة .

ولنضرب مثلاً بشخص أو وسيط قادر على استعراض ظاهرة معينة لمدة أسبوع في السنة نتيجة توفر حاملها الخاص المطلوب فإننا لو أجرينا التجارب يومياً (دون معرفة هذه الحقيقة) سنحصل على نتائج إيجابية في ٧ أيام فقط من ٣٦٥ يوماً أي بنسبة نحو ٢ ٪ . فإذا ما حدثت هذه الظاهرة في نفس الأسبوع من كل عام ، فإننا بعد سنوات من التجارب سنقبل هذه الظاهرة كحقيقة واقعة ١٠٠ ٪ ، ولكن لو تغيرت هذه الفترة بدون نظام لعوامل خارجية مختلفة فإننا بلا شك سننكر هذه الظاهرة على أساس نظرية الاحتمالات (١) .

(١) راجع مقالاً في هذا الموضوع عنوانه « البحث الروحي » للأستاذ محمد حسن السكري في مجلة « عالم الروح » عدد مايو سنة ١٩٥٣ ص ٩ - ١٧ وهو يحيل القارئ إلى Harry Price : Fifty Years Of Psychical Research.
وال S. W. Tromp : Psychical Physics
(م ٣٣ - الإنسان روح : ج ٢)

نبوب

ولولا الارتباط الوثيق بين موضوعات علم الروح الحديث وبعض العلوم الأخرى - وبخاصة علوم المادة - لما وجد هذا العلم الناشئ من الفلاسفة أو من العلماء - الذين يصدق عليهم هذا الوصف - من يقبل أن يواصل بحثه لسنوات طوال ثم يسلم بصحته وينصب نفسه مدافعاً عن وسائله ونتائجها، مع أنهم يمثلون أعلاماً في علوم شتى .

فكل واحد من هؤلاء يمثل في تاحيته مستوى خاصاً من العمق والاطلاع لا يدايه فيه كثيرون . وأى واحد منهم لم يكن عنده أى استعداد للاقتناع الروحى إذا لم يعرف أولاً كيف يوفق توفيقاً تاماً بين هذه الحقائق الكونية الخطيرة التى تكشف عنها هذا العلم ، وبين معلوماته الخاصة في فرع تخصصه . ويان ذلك يقتضي لنا وقفة قصيرة عند كل منهم لتوضيح هذه الحقيقة الهامة في مغزاها في جانب علم الروح .

وستناول ذلك في مباحث ثلاثة على النحو الآتى : -

المبحث الأول : في موقف بعض الفلاسفة : وسنختار طائفة من آراء وأقوال هنرى برجسون ، ووليام جيمس ، وكامى فلاماريون .

المبحث الثانى : في موقف بعض علماء المادة : وسنختار طائفة من أقوال وآراء سير أوليفر لودج ، وسير وليام باريت ، وآرثر كومبتون ، وسير ألفرد رامسل والاس .

المبحث الثالث : في موقف بعض علماء النفس وما وراء النفس : وسنختار طائفة من آراء وأقوال جوستاف جيلى ، وهانز دريش ، وبروض ، وشارل ريشيه .

وكل هؤلاء فلاسفة كبار ، وعلماء جادون ، وبحاث مادة ونفس ، من أعلى طراز عرفته الإنسانية في مجالات الفلسفة والتفكير العلمى المترابط العميق .

المبحث الأول

موقف بعض الفلاسفة

من علم الروح الحديث

موقف برهسونه

يعد هنري برجسون H. Bergson (١٨٥٩ - ١٩٤١) - بغير ريب - أعظم فلاسفة هذا القرن، وأعظم فيلسوف فرنسي منذ ديكارت Descartes ، وقد بحث الظواهر الوسائطية في باريس على عدد من الوسطاء ، وفي لندن عندما اختير في سنة ١٩١٣ رئيساً لجمعية البحث الروحي ، S.P.R. وهي أكاديمية كبرى للبحث المتحرر على نطاق دولي ، لأنها تنتظم لقيفاً من كبار العلماء التابعين لدول مختلفة (١) .

ومن الجلي أن مثل برجسون لا يقبل لفلسفته أن تدافع عن نتائج هذه البحوث - على خطورتها البالغة - فإلم يقتنع تماماً بصحتها ، وإلم يؤايم تماماً بينها وبين آرائه السيكلوجية والفلسفية الكثيرة العميقة عن النفس والعقل .

وقد بينا كيف أنه راح يعلن بكل جزم : أنه أريد أن أكشف وراء اعتراضات البعض وسخرجات البعض الآخر عن وجود فلسفة مستترة غير واعية لذاتها ، غير واعية وبالتالي متقلبة ، غير واعية وبالتالي عاجزة عن أن تسكيف باستمرار مع الملاحظة والتجربة كما يخلق بالفلسفة الجديرة بهذا الاسم . وأريد أن أبين من جهة أخرى أن سبب هذه الفلسفة هو العادة

(١) راجع ما سبق في شأنها في الجزء الأول من ١٩٦ - ٢٠٧ .

التي تعودها الفكر الإنساني منذ زمن طويل ، وأن ذلك هو السبب في بقائها وانتشارها بين الناس ، . وراح بعدئذ يزيح النقاب عن هذه الأفكار المادية المعترضة على البحوث الروحية والساخرة منها ، ويقابلها وجهاً لوجه ويتبين مالها من قيمة ... ، على حد تعبيره (١) .

وأعظم من ذلك في الدلالة على قيمة رأى برجسون في هذه البحوث أنه أخذ يوفق كما قلنا بين نتائجها وبين فلسفته ، أو بالأدق أخذ يشيد عليها فلسفة روحية عظمى . فنجد مثلاً في «رسالة في المعطيات المباشرة للشعور» (٢) ، ينكر قيمة المعرفة المادية وحدها في استكناه أسرار الحياة « فلا بد لنا من معرفة أخرى تمسكنا من هذا الفهم ، وتلك هي المعرفة الحدسية . ونحن بالحدس intuition ندرك المطلق ونفهم الحياة في أعقق معنى لها .

« فنحن هنا إزاء إحساس بالنفس وهي تنبض بالحياة . إننا نتتبع النفس في تموجات حركتها وتدفق حالتها . نحن هنا أمام نمط من التجربة المباشرة له صبغة كلية شاملة للوجدان فيها الغلبة للعقل . إن كل من يتأمل نفسه متحرراً من التحليل مستغنياً عن وسائل العلم المألوفة يمكنه أن ينطلق إلى الوجود المطلق الذي نجده في أنفسنا كما نجده في جميع الأشياء . والحدس ليس بمثابة امتلاك المرء لوجدانه حسب prise de conscience وإنما هو أيضاً تعاطف عقلي sympathy intellectuelle يفتح لنا مغاليق الموجودات الأخرى مثلاً يكشف لنا عن مكنون نفوسنا» (٣) .

ويرى برجسون في شأن التطور الخالق (٤) ، أن المبادئ الآلية التي

(١) راجع ما سبق في الجزء الأول من ٢٠٠ - ٢٠٤ .

(٢) Essai Sur Les Données Immédiates De La Conscience

(٣) عن « المعرفة » للدكتور محمد فتحي الشليطي طبعة ٣ سنة ١٩٦٢ م ١٩٤ .

L'Évolution Créatrice.

(٤)

يقابلها الإنسان عند لامارك وداروين وسبنسر تعجز هجراً تاماً عن تفسير



التطور في العالم لأنهم هؤلاء قد
انحصر في بحث المادة وحدها فلم
ينفذوا إلى جوهر التطور ، الذي
هو في رأيه عبارة عن رتبة حية
Elan Vital أشبه ما تكون بانطلاق
الحياة وتدققها ، وليس التطور إذن
وليد الصدفة ولا ثمرة الآلية ، وليس
التطور نابهاً من وراء خصائص
يكسبها الكائن أصلاً بالمادة . وإنما
التطور يتم دفعة واحدة على قفزات

برجسون

مباغنة sauts brusques . التطور ينجم من الباطن ولا يأتي من الخارج .
ينجم من هذه الدفعة الباطنية التي تولد كل جديد وتبتدع كل طريف . فالعقل
في نظر برجسون ليس غريزة مصقولة مستكملة ، وليست الغريزة بقية
موروثة من عادات الجنس البشري ركزت في الأفراد على مر الأجيال .
لأن الإنسان والحيوان لا يقفان على خط واحد في التطور ... فالطبيعة
شامت أن تجعل الإنسان كائناتاً مبتكراً مبدعاً فزودته بعقل قادر على كل
شيء صالح لكل شيء . إلا أن الإنسان كثيراً ما يتعثر في مجالات التجربة
وكثيراً ما يقع في الخطأ . وبين الغريزة الحيوانية والعقل الإنساني فارق
طبيعي ، بالرغم مما نلاحظه هناك من ظل عقلي يحوط الغريزة وظل غريزي
يكشف العقل .. (١) .

والحاسة الدينية عند برجسون هي الإلهام أو الكشف الذي يصل بين
الملمم وبين هذه الوثبة الحية أو دفعة الحياة ... وهي تظهر على أوضحها

(١) عن الدكتور الفيلسوف المرجع السابق من ١٩٩ - ٢٠١ .

في بديهة النخبة المختارة من كبار العباقرة الروحانيين ... وإذا كانت للخلقة قوة كونية تظهر لبعض كبار الملهمين ، فلم إذا تكون هذه الحاسة الدينية وهما مصطنعاً أو خرافة ؟ ولا تكون من قبيل الشعور البديهي بتلك القوة الكونية . أو من قبيل الاهتداء التدريجي في طريق البحث الصحيح عن هذه الحقيقة المجبولة ؟ ...

كما يقول برجسون في «التطور الخالق» : من الواجب أن تقتصر الفلسفة هذه الضروب الشاردة من الخدس والتي لا تضيء إلا على مسافات بعيدة ، لكي تدعها أولاً ، ثم لكي تمتد في أجليها وتوفق تبعاً لذلك فيما بينها . وكلما تقدمت الفلسفة في هذا العمل أدركت أن الخدس هو الروح نفسها ، وأنه الحياة نفسها بمعنى عام ، أما العقل فإنه يقتطع من هذه الروح بعملية تحاكي العملية التي أدت إلى نشأة المادة . وهكذا تظهر وحدة الحياة العقلية ، فلا يمكن التعرف على هذه الحياة إلا إذا نظرنا إليها من وجهة نظر الخدس لكي ننتقل منه إلى العقل ، ذلك لأنه لا يمكن أن ننتقل أبداً من العقل إلى الخدس .

وعلى هذا النحو تقودنا الفلسفة إلى الحياة الروحية ، وهي تكشف لنا في الوقت نفسه عن الصلة بين حياة الروح وحياة الجسد . إن الخطأ الكبير الذي وقعت فيه المذاهب الروحية إنما يرجع إلى أنها كانت تعتقد أنها إذا فصلت الحياة الروحية عن كل ما عداها ، وإذا ما علقتها في أعلى درجة بمكنة من الفضاء فوق الأرض فإنها تجعلها بآمن من كل اعتداء ، متناسية أنها تنتهي بكل بساطة إلى جعل تلك الحياة تبدو في نظر المرء بمظهر السراب !

نعم ، لقد كانت هذه المذاهب على حق في استماعها إلى الشعور عندما كان الشعور يؤكد الحرية الإنسانية ، لكن العقل ما زال موجوداً هنا ليقول إن السبب يحدد نتيجته ، وإن المثل شرط في وجود المثل ، وإن كل شيء معاد ، وإن كل شيء موجود من قبل . وقد كانت هذه المذاهب على

حق عندما آمنت بوجود شخصية فردية مطلقة ، وباستقلال الفرد تجاه المادة ، لكن العلم مائل هنا ليعين لنا التضامن بين الحياة الشعورية والحياة العصبية .

وقد كانت هذه المذاهب على حق عندما نسبت إلى الإنسان مكاناً ممتازاً في الطبيعة ، وقالت بأن المسافة التي تفصل الإنسان عن الحيوان مسافة لانهاية لها ، غير أن تاريخ الحياة يأتي هنا ليعرض علينا نشأة الأنواع بطريق التحول التدريجي ، ويبدو أنه يدمج الإنسان بهذه الطريقة في السلسلة الحيوانية .

وإذا نادت إحدى الغرائز القوية بإمكان خلود النفس كانت تلك المذاهب الروحية على حق عندما لم تهتم آذانها عن سماع صوت هذه الغريزة . ولكن إذا وجدت نفوس تستطيع البقاء في حياة مستقلة فنأين نجاءت ؟ ومتى وكيف ؟ ولماذا تتطرق إلى هذا الجسم الذي نراه تحت أعيننا ، والذي يصدر بطريقة طبيعية جداً من خلية مشتركة انحدرت من جسم والديه ؟

إن جميع هذه الأسئلة ستظل معلقة دون جواب وستكون فلسفة الخدس إنكاراً للعلم ، وسوف يكتسحها العلم في طريقه إن عاجلاً وإن آجلاً . إذا هي لم تعقد العزم على النظر إلى حياة الجسم حيثما وجدت هذه الحياة حقيقة ، أى في الطريق الذي يقود إلى حياة الروح . لكننا لن تعبأ في عزمها هذا بتلك السمكائنات الحية المحددة . فإن الحياة بأسرها ابتداء من الدفعة المبدئية التي قذفت بها في العالم ، سوف تبدو لتلك الفلسفة كما لو كانت موجة صاعدة تعترضها في طريقها حركة المادة الهابطة ...

إلى أن يقول : إن الشعور متميز عن الجسم الذي يبعث فيه الحياة ، على الرغم من أنه يكابد بعض ضروب التدهور بسبب ذلك . وكما أن الأفعال الممكنة التي تتطوى حالة شعورية على رسمها تستقبل بدءاً من

التنفيذ في المراكز العصبية في كل لحظة ، فإن الدماغ يحدد المقاطع الحركية للحالة الشعورية في كل لحظة ، لكن تتوقف هنا التبعية المتبادلة بين الشعور والدماغ ، إذ أن مصير الشعور ليس مرتبطاً لهذا السبب بمصير المادة الدماغية . وأخيراً فإن الشعور حر بحسب جوهره ، بل هو الحرية ذاتها ، لكنه لا يستطيع اجتياز المادة دون أن يهبط عليها ودون أن يتكيف بها ، وهذا التكيف هو ما يسمى بالعقل . وإذا استدار العقل إلى الشعور الفعل أي الحر فإنه يدخله بطبيعة الأمر في الحدود التي ألف أن يرى دخول المادة فيها ...

ثم يقول « وكما أن أصغر ذرة من الهباء تتضمن مع مجموعتنا الشمسية بأسرها ، وتنساق معها في هذه الحركة الهابطة غير المنقسمة وهي المادة نفسها كذلك نجد أن جميع الكائنات العضوية من أشدها تواضعاً إلى أكثرها رقياً ، ومن الأصول الأولى للحياة حتى العصر الذي نعيش فيه ، وفي جميع الأمكنة وجميع الأزمنة أيضاً ، لا تفعل سوى أن توضع في أحيثنا وجود دفعة وحيدة تسير في اتجاه مضاد لحركة المادة ، وغير منقسمة في ذاتها .

لجميع الأحياء متماسكة ، وهي تفسح طريقها أمام نفس الدفعة الهائلة . فالحيوان يعتمد على النبات والإنسان يعلو الحيوانية ، والإنسانية بأسرها من حيث المكان والزمان جيش ضخم يجب إلى جانب كل امرئ منا وأماننا وخلفنا خبأ جارفاً يستطيع إزاحة جميع ضروب المقاومة واجتياز عدد كبير من العقبات ، بل ربما اجتاز الموت أيضاً ، (١) .

وفي ختام مؤلفه يتحدث الفيلسوف العظيم عن الخلق والإفناء قائلاً :
لإنهما خاصان بالحركة أو بالطاقة ، لا بالوسط الأثيري الذي ربما تسرى فيه الطاقة والحركة ، لكن ما عسى أن يبقى من المادة عندما نجردها من كل ما يحدد من الطاقة والحركة على وجه الدقة ؟ فيجيب قائلاً : « على الفيلسوف

(١) من « التطور الخالق » ترجمة الدكتور محمود محمد قاسم ص ٣٠٤ - ٣٠٧ .

أن يذهب إلى حد أبعد مما يذهب إليه العالم ، فإذا صرف النظر تماماً عما ليس إلا من خيالي رأى أن العالم المادى ينحل إلى مجرد تيار وسريان متصل وصيرورة . وهكذا سيتخذ أهفته للعثور على الديمومة الحقيقية في المجال الذى يكون العثور عليها فيه أكثر فائدة ، أى في مجال الحياة والشعور .

ثم يختتمه بالعبارات الآتية : « فإذا فهمت الفلسفة على هذا النحو لم تنحصر غصب في عودة الروح إلى نفسه ، أو في التطابق بين الشعور الإنسانى والمبدأ الحى الذى يفيض منه ، أو في الاتصال بالمجمود الخالق ، وإنما هي التعمق في الصيرورة العامة ، وهي المذهب التطورى الحق ، ومن ثم فهي الامتداد الحقيقى للعلم ، ولكن بشرط أن يفهم العلم على أنه يضم مجموعة من الحقائق المشاهدة ، أو تلك التى قام البرهان عليها ، لا على أنه نوع جديد من التفكير المدرسى Scolastique الذى نما في النصف الثانى من القرن التاسع عشر حول علم الطبيعة الذى أنشأه جاليليو ، كما نما التفكير المدرسى القديم حول أرسطو ، .

وهكذا انتهى برجسون إلى تأسيس التطور على أسس عقلية مختلفة تماماً عن الأسس الآلية التى كان يقول بها التطوريون الماديون من قبل ، أسس عقلية استمدتها ابتداء من إيمانه بالروح عن طريق تجارب معملية -- كما قال وصرح مراراً -- ومن تسليمه بأن حياة النفس الإنسانية عبارة عن ديمومة *duree* وصيرورة *devenir* . فالروح من معدن غير معدن المادة لأنها صاعدة حرة ، والمادة هابطة مقيدة ولذا كانت الروح في هذا التطور الخالق هي أصل المادة ولم تكن المادة هي أصل الروح ، ولم تكن العين هي أصل النظر بل النظر هو أصل العين ، والعضو بوجه عام ليس هو أصل الوظيفة ، بل الوظيفة أيا كان نوعها هي أصل العضو (١) . مما يتفق في جملته وتفاصيله مع الروحية

(١) راجع ما سبق في الجزء الأول ص ٤٣٩ .

التجريبية الحديثة ولا يتفق مع غيرها ، وما يغلصح النتائج التي وصلت إليها ويؤيدها . فكان موقفه يشبه إلى حد كبير موقف ألفريد راسل والاس عندما أسس فهمه الجديد للتطور هو أيضا على أسس روحانية تجريبية تخالف أيضا التفسير الآلى له ، وكل ذلك فى ضوء الكشف الروحية وحدها ، وللتوفيق بينها وبين نظرية التطور التي دعمتها حقائق كثيرة لا محل لإنكارها على ما سيلي فى نهاية المبحث المقبل .

ثم انظر برجسون وهو يتحدث عن الصلة بين الروح والجسد قائلا فى محاضرة له فى ٢٨ أبريل سنة ١٩١٣ ظهرت مع دراسات أخرى لعدة مؤلفين فى كتاب عنوانه : المادية الحاضرة ، . . . ماذا نقول لنا التجربة فى الواقع ؟ انها تبين لنا أن حياة النفس ، وإن شئت قتل حياة الروح ، مرتبطة بحياة الجسد وأن هناك تضامنا بينهما ولا شيء غير ذلك . لكن هل هناك من أنكر هذه النقطة ؟

إلا أنه شتان بين أن نقرر ذلك وبين أن نقول إن الدماغ معادل العقل ، وإن فى الإمكان أن نقرأ فى الدماغ كل ما يجرى فى الشعور المقابل . إن الثوب الذى علق على مسمار متضامن مع هذا المسمار ، فإذا وقع المسمار وقع هو معه ، وإذا اهتز اهتز ، وإذا كان رأس المسمار حاداً تمزق الثوب ، ولكن ليس ينتج عن هذا أن كل جزء من أجزاء المسمار يقابل جزءاً من أجزاء الثوب ، ولا أن المسمار معادل للثوب ، ولا أن المسمار والثوب شيء واحد . نعم إن الشعور معلق بدماغ ، ولكن ليس ينتج عن ذلك أبداً أن الدماغ يرسم كل تفاصيل الشعور ، ولا أن الشعور وظيفة للدماغ . وكل ما تسمح لنا المشاهدة والتجربة بتقريره هو أن هناك علاقة بين الدماغ والشعور . . ولاحظ إصرار برجسون على أن يوضح أن هذه النتائج

ليست نظرية بل أنه خرج بها من « التجربة في الواقع » ومن « الملاحظة والتجربة » .

كما يعود كينا « يقرر تجريبياً ، في نفس المحاضرة : « إن حياة الفكر لا يمكن أن تكون نتيجة لحياة الجسد ، بل إن الجسد ما هو إلا غادم للفكر ، وأنه لا يسوغ لنا والخال هذه أن نفترض أن الجسد والروح مرتبطان أحدهما بالآخر ارتباطاً لا انفصام له . وطبيعي أنني إن أقطع في نصف الدقيقة الباقية (من المحاضرة) برأى في مسألة هي أخطر ما طرح على الإنسانية من مسائل على الإطلاق ، ولكنني لا أستطيع كذلك أن أنهرب منها . من أين أتينا ؟ وماذا نعمل هاهنا على هذه الأرض ؟ وإلى أين المصير ؟

وإذا كان صحيحاً أن ليس لدى الفلسفة ما تجيب به على هذه الأسئلة الحيوية الهامة ، أو كانت غير قادرة على أن توضحها بالتدرج كما توضح مسألة بيولوجية أو تاريخية ، أى إذا كانت لا تستطيع أن تجعلها تستفيد من تجربة ما تفك تسع ، وملاحظة ما تزال تدق ، إذا كان عليها أن تقتصر على مهاجمة أولئك الذين ينكرون الخلود لأسباب مستمدة مما يفرضونه للنفس والجسد من جوهر ... فإنه لعل جانب عظيم من الأهمية أن نستطيع منذ الآن أن نقرر - تجريبياً - أن البقاء إلى زمن ما يمكن بل محتمل . ونندع لغير الفلسفة أمر القطع بأن هذا الزمن محدود أو غير محدود . واعتقد أن المسألة الفلسفية المتعلقة بمصير النفس إذا اقتصرنا منها على هذه الأجزاء المتواضعة قابلة لأن تحل

إلى أن يقول بكل صراحة « وإذا كانت الحياة النفسية كما حاولنا أن نبرهن على ذلك تتجاوز الحياة الدماغية ، وكان الدماغ لا يزيد عن أن يعبر بحركات عن جزء صغير مما يجرى في الشعور فإن البقاء يصبح عندئذ مغفولاً جداً بحيث يقع واجب البرهان عندئذ على عاتق من ينكر لا على عاتق من

يدعى ... (١). ولذلك كان من الطبيعي أن يؤكد برجسون في فلسفته عن الخلود أنه مسألة لا ينبغي العقل ، وأن تحقيقها بالأسانيد العلمية ليس بعيداً عن تناول الدراسات الروحية .

موقف وليام جيمس

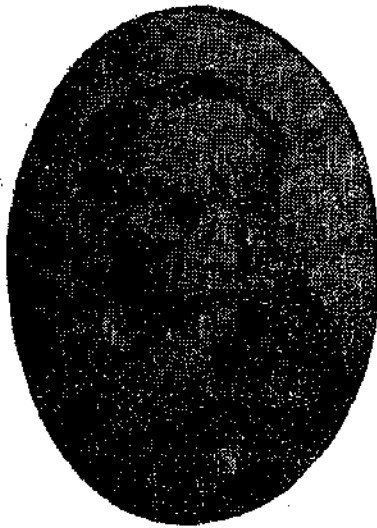
ومثل ذلك يمكن أن يقال أيضاً عن موقف عالم النفس الشهير والفيلسوف الأمريكي وليام جيمس W. James (١٨٤٢ — ١٩١٠) من نتائج بحوثه الروحية التي دفعته إلى التسليم التام بوجود عالم للروح وتأثيره الذي لا ينقطع في عالم المادة ، فإن وليام جيمس وأضرابه لا يعطون شهادتهم لأى أمر فى يسر وسهولة كما قد يتصور المعارض المتسرع . ومثله لا ينضم بسهولة « لجمعية البحث الروحي » بلندن S.P.R. ويحمل ضميره عبء الدفاع عن نتائج بحوثها ، ثم يدفعه الاقتناع إلى أن يؤسس لها فرعاً أمريكياً ويؤسس على نتائج بحوثها فلسفة روحية مترابطة طابعها الواقعية الفكرية التي كان يمثلها جيمس أصديق تمثيل بطريقته (٢) .

ومن ضمن أسس هذه الفلسفة الروحية إثبات العقل المجرد ، وإنكار ما كان يذهب إليه بعض علماء الفسيولوجيا والسيكولوجيا — وما يزالون — من أن العقل من عمل المخ . فالخ عند جيمس — كما هو عند برجسون وریشيه وكلود برنار ومكدوجال وهانز دريش وراين وغيرهم ممن سلموا بوجود عالم الروح — جهاز العقل لحسب لا مصدره . ولذا كانت ظواهر العقل فى الإنسان غير ظواهر الغرائز فى الكائنات السفلى ، وكانت ظواهر المادة عند وليام جيمس غير ظواهر الحياة .

وفلسفة وليام جيمس تشبه فلسفة برجسون من ناحية ما قرره كل منهما

(١) ترجمة الأستاذ سامى الدرونى فى كتاب « العلامة الروحية » ص ١٠١ ، ١٠٠ .
(٢) راجع ما سبق من وليام جيمس فى الجزء الأول ص ١٥٤ — ١٦٢ ، ١٦٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ .

وأكد من أنه يشيد آراءه على تجارب عليية مستمدة من الملاحظة والتجريب .



وليام جيمس

وذلك لأن جيمس وهو من أصحاب مذهب البراجماتية خير من يعلم أنه ينبغي ألا يفوتنا دائماً أن نتحقق من صحة الأفكار كما نتحقق من صحة الأوراق المالية وبعدها عن التزييف ، وإلا كان مصير أفكارنا الانهيار — كما ينهار نظام مالي . إن ما هو حقيقى لمو بمثابة مرشد فى طريق السلوك . وتغدر الأفكار صادقة حين تعيننا على أن نرتبط بسائر أجزاء تجربتنا التى

نعيشها ارتباطاً نرضى عنه . إن أية فكرة تؤدي إلى ازدهار حياتنا وتحملنا من جزء إلى آخر غير تجاربنا وترتبط بين الأشياء ربطاً نرضى عنه ، وتعمل فى أمان وبساطة ، وتوفر علينا المجهود والمثقة ، هى فكرة صحيحة سليمة صادقة معاً .^(١)

ثم انظر جيمس وهو يقيم الأدلة الموفورة على وجوب الإيمان بالله تعالى ، وعلى أن العقائد الدينية لا ترضى فحسب ميولنا الوجدانية ، بل أيضاً عقلنا ومنطقنا . لأن للإيمان بالله مكاناً طبيعياً فى نفوسنا ، فتبقى النفس مضطربة وناثرة حتى تصل إليه وتدركه ، وحينئذ تمتلئ هدوءاً وطمانينة ، وفى يقين أن حياة التدين خير من جميع أنواع الحياة الأخرى فى هذه الدنيا وفى غيرها ؛ فهى التى تقتل روح التشاؤم ، وتملأ النفس ثقة وأملًا ، وهى

(١) عن «المعرفة» للدكتور محمد تقي الفليطى ص ٢١٠ .

التي تجعل الجهاد في الحياة حلو المذاق، وهي التي تجعل هذا العالم عالماً يستحق أن يعيش فيه الإنسان،^(١) .

وفي بعض هذه المعاني يقول جيمس : «إننا مضطرون لأن نعتبر أن الإله هو الموضوع الطبيعي للاعتقاد العقلي ، لأن كل نظرية تؤدي إلى موضوع أقل من الإله لا يمكن أن ترضى المنطق أو تشبع العقل ، إذا أخذت كلمة المنطق بمعناها الكامل ووضعتها الصحيح ، بينما أن كل نظرية تذهب أبعد من الإله تكون أمراً محالاً في نظر العقل لأن المذاهب المادية ومذاهب الشك وكل ما هو أقل من مذهب التأليه غير مقبولة عقلاً ، لأنها ليست بواعث كافية وليست ملائمة لطبيعة الإنسان العملية ...

ويكنى المرء أن يعرف أنه نفسه موجود، وأنه يحتاج إلى الإله ، وأن هناك وراء هذا العالم إلهاً أزلياً أبدياً ، وأنه يسمع نداءه واستغاثاته . وفي الإيمان بتلك الحقائق التجريدية من غير تفلسف أو نظر في مباحث الوجود ، ومن غير فيض ميتافيزيقي أو خلق ليهررها أو يجعلها مستساغة لدى العقل ، وفي السعادة الناشئة عن مجرد الاعتراف بها موجودة ، توجد طمأنينة المرء وقوته التي يرغب فيها ، وتفتتح له أبواب طوفان الحياة على مصراعيها فتسرع منها التيارات بقوة وبشدة^(٢) ... » .

وقد انتهت بهيمس بحوثه العملية إلى التسليم بوجود عالم الغيب ، بل لقد راح يؤكد : « قد افترضت أن عقيدتنا في عالم الغيب هي التي تلهمنا وتبعث فينا هذا الصبر، وتلك المحاولات التي تجعل عالم الشهادة عالماً صالحاً لأن يعيش فيه الرجل الخلق . فمعقيدتنا أن هذا النظام المشاهد خير وحسن - وليس للخيرية

(١) عن « العقل والدين » وهو السفر الثاني من إرادة الاعتقاد ، ترجمة الدكتور محمود حب الله من ١٩٨٩ .

(٢) من المرجع السابق من ١٠١ - ١٠٣ .

والحسن هنا من معنى إلا الصلاحية والمناسبة لحياة ناجحة خلقياً ودينياً —
عقيدتنا هذه تبرهن على صحة نفسها من حيث أنها معتمدة على اعتقادنا
في عالم الغيب... (١) من إن مذهب البراهمانية هذا يقوم على الاعتقاد
بأن الوجود في العالم المادى لا بد أن يكون وسيلة لوجود آخر كجزء من
الإيمان لدى أصحابه بأن كل شيء لا بد أن يكون وسيلة لشيء آخر أسى
منه... فهل من المنطق العلى في شيء أن نهدر أمثال هذه الشهادات
المستمدة من تجارب معملية على أسس عليية قام بها فلاسفة من طراز برجسون
ووليام جيمس ؟

موقف كامى فلاماريون

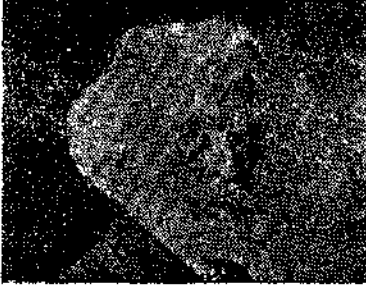
وهذا الذى قلناه عن الارتباط الوثيق بين علم الروح الحديث وبين العلوم
المختلفة ، يصدق أيضاً على علم الفلك ، وإلا لما وجدنا عالماً فلكياً كبيراً
من طراز كامى فلاماريون Camille Flammarion الذى يعد في نفس الوقت
فيلسوفاً من أبرز فلاسفة عصره — وقد انتقل إلى عالم الروح في سنة ١٩٢٥
— يدافع حتى تاريخ انتقاله عن البحوث الروحية وتنتائجها ويسهم فيها فيها
عدداً من أجل المؤلفات فيها حتى الآن مثل الموت وغامضه ، في ثلاثة
اجزاء ، ومثل المنازل المسكونة ، ومثل المجهول والمشكلات الروحية ،
و قوى الطبيعة المجهولة ، وغيرها . وكلها روائع فلسفية في العلم الطبيعى
وما وراء الطبيعى ترجمت إلى أغلب اللغات الحية (٢) .

ويكفى أن تنصت إليه وهو يقدم مؤلفه في الموت وغامضه (١٩٢٣)
كما تدرك أنك إزاء عالم فيلسوف متشكك ، مدقق في بحوثه إلى أقصى مدى ،
عندما يقول ، لقد قررت أن أقدم اليوم لاهتمام الأشخاص المفكرين

(١) عن المرجع السابق ص ١٧٨ .

(٢) راجع منه ما سبق في الجزء الأول ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

مؤلفاً بدأت منذ أكثر من نصف قرن . ومع ذلك فأنا غير راض عنه تماماً ،



فلاماريون

فإن الأسلوب العلى التجريبي ،
وهو الوحيد الذى يصلح للبحث
عن الحقيقة ، له مطالبه التى لا يمكن
ولا تقدر أن نروغ منها . والمشكلة
الكبرى التى تعرض لها هذا البحث
هى أكثر المشكلات تعقيداً ،

وتمثل بالنسبة للتكوين العام
للكون ، كما تمثل للتكوين العام
للإنسان ، ما يمثله الجزئ
الصغير فى الكل العظيم .

ولقد بدأت هذه الدراسات التى لا تنتهى منذ سنى الشباب ، لأنه فى هذه
السن لا يشك الإنسان فى شيء ، ولأنه يجد أمامه حياة طويلة مستقيمة ،
ولكن هذه الحياة تمر مهما كان طولها ، كحلم له أضواؤه وله ظلاله . وإذا
كان بمقدورنا أن نكون أمنية ما خلال هذا الوجود فهى أن نكون قد
خدمنا بصورة ما التقدم البطل . ولو أنه حقيقى للإنسانية ، هذا الجنس
العجيب ، الذى يجمع بين سرعة التصديق والتشكك ، وبين عدم الاكتراث
وحب الاستطلاع ، والطيبة والشر ، والفضيلة والجريمة ، هذا الجنس غير
المتناسق والجاهل فى مجموعه ، والذى خرج بالكاد من إسار أصله
الحيوانى

والإنسان ، هذه الذرة المفكرة التى تحملها ذرة مادية غير السدم
الفاصلة ، يمكنه أن يسائل نفسه عما إذا كان نافعاً بالروح بمقدار ثقافته
بالجسد ، وعما إذا كان لقانون التطور أن يرتفع به فى صعود لانهاى ،
وعما إذا كان يوجد نظام لعالم خلقى مترابط فى تناسق مع العالم المادى .

أليست الروح أسمى من المادة ؟ وماهى طبيعتنا الحقيقية ؟ وما هو

مصيرنا في المستقبل ؟ وهل نحن لسنا إلا شعلات عابرة تومض لحظة كما تنطفئ نهائياً ؟ وهل لن نرى أبداً أولئك الذين أحببناهم ، والذين سبقونا إلى العالم الآخر ؟ وهل انفصالنا عنهم أبدي ؟ وهل يموت فينا كل شيء ؟ وإذا كان يتبقى فينا شيء ، فما مصير هذا الشيء الذي لا يوزن ولا يُرى ولا يخضع للحواس ، ولكنه مع ذلك واع ويكون شخصيتنا الدائمة ، وهل سيبقى بعد الموت لأمد طويل ؟ وهل سيبقى بعد الموت للأبد ؟

أن نكون أم لا نكون ؟ هذا هو السؤال العظيم الذي وضعه الفلاسفة والمفكرون ، والباحثون في جميع العصور وجميع العقائد . هل الموت نهاية أم هو تحول ؟ وهل توجد أدلة وبيّنات على حياة الكائن الإنساني بعد انقضاء أعضائه الحية ؟ ولغاية هذه الأيام ظل هذا الموضوع خارج إطار المشاهدات العلمية ، فهل من الجائز أن نتناوله بمبادئ الأسلوب التجريبي الذي تدين له الإنسانية بكل التقدم الذي أحرزته العلوم ؟ وهل تكون المجادلة منطقية ؟ أسنا إزاء أسرار عالم غير منظور يختلف عن هذا العالم الذي يخضع لحواسنا ، ولا يمكن اختراقه بأساليبنا في التحقيق الوضعي ؟ ألا يصح أن يحاول الإنسان أن يبحث فيما إذا كانت هناك وقائع معينة ، متى خضعت للملاحظة الصحيحة الآمنة يمكن أن تقبل التحليل العلمي ، وتقبل بوصفها حقائق عن طريق أشد صور النقد صرامة ؟ فنحن لا نريد بعد مجرد عبارات ، ولا دماورا الطبيعية ، بل وقائع ووقائع !!

والأمر متعلق بمصيرنا ، بقدرنا ، بمستقبلنا الشخصي ، وبوجودنا . وليس هو وحده العقل الفاتر الذي يقسم ، ولا الروح وحدها ، بل أيضاً هو الإحساس وهو القلب .

ولأنه لمن التفاهة الصيانية وحب الظهور أن يخرج الإنسان إلى خشبة المسرح ، ولكن قد يكون الامتناع عن ذلك صعباً أحياناً . وبما أن ذلك يجرى بوجه خاص لمواجهة آلام القلوب الكسيرة ، التي لأجلها تابعت هذه البحوث المضنية ، فإنه يبدو لي أن التقديم المنطقي أكثر من غيره . لهذا (م ٣٤ — الإنسان روح : ٢)

الكتاب ينبغي أن يصدر من بعض الأسرار التي لا تحصى والتي حصلت عليها منذ نصف قرن للوصول في لهفة إلى حل لهذا اللغز ... ،

وبهذه الروح الناقدة المثابرة ، يستعرض فلا ماريون بحوثه في الظواهر المتصلة بخلود الإنسان ، في ثلاثة أجزاء ، تلك البحوث التي حملته على أن يقرر صحة الخلود ، وصحة الظواهر الوسائطية ، والصلات بين أحياء الأرض وأحياء الآثير . ثم يختتمها بالعبارات الصريحة الآتية : لقد فكرت في أن أنهي هذا المؤلف المصنئ بهذا الجزء الثالث منه ، ولكن عدداً من القراء يطالبني كيلا أتجاهل الوقائع الهامة التي بعد أن جمعتها كان على أن استبعدها من هذا الكتاب أثناء طباعته لكي أخفف من طوله . ومنها ظهور أشباح الموتى بجانب أسرة المختضرين ، والصور الفوتوغرافية الثابتة للأشباح^(١) photographies authentiques de fantomes ، وظواهر المنازل المسكونة ، والأشباح ، والظواهر الواردة في التاريخ المقدس منذ عهد صموئيل إلى عهد المسيح ، وكذلك في التاريخ العادي ، وتعدد وجود الروح بحسب وجهة النظر الفلسفية . وبالإضافة إلى ذلك فيما يتعلق بالظواهر وراء الروحية ، الوثائق ، والاتصالات التي تصلى يومياً بغير انقطاع من جميع أركان العالم . إن هذه الوقائع أكثر بكثير مما يظن الإنسان عادة ، ففي كل مرة يتحدث فيها لإنسان سيجد أن بين مستمعيه من يعرفون وقائع مماثلة (وهذه ملحوظة لها دلالتها) .

إن الأمر كان متعلقاً في هذا المؤلف قبل كل شيء بإثبات حقيقة الحياة بعد الموت عن طريق مشاهدات وضعية ، متعددة ، مترابطة ، وهو ما ثبت فعلاً . والآن يمكن إضافة هذه الوثائق التكميلية إليه ، وتقديمها للقراء الراغبين في معرفتها ، وأولئك أيضاً الذين يرغبون في أن يجدوا فيها بسهولة النماذج المميزة ، والأشخاص الذين استعرضناهم في هذا المؤلف وفهارس أبجدية للموضوعات وللمؤلفين المشار إليهم ... وهذا الجزء الرابع سيكون عنوانه « على هامش الموت وذا منته » .

(١) راجع نماذج منها في الجزء الأول ص ٤٨٣ - ٤٩٧ .

وأية كانت الإضافات التي يصح أن تضاف إلى المشاهدات السابقة فإننا نملك منذ الآن اليقين العلمي لدوام حياة الروح بعد أن تلفظ النفس الأخير على الأرض ، فالروح مستقلة عن الأعضاء المادية وتواصل حياتها بعد الموت .

ويقين أننا بعيدون عن معرفة كل شيء ، فهناك صعوبات وطلاسم وأمور يتعذر فهمها كما يعصى حلها على ملكاتنا الإنسانية ، إذ يغفلنا « مجهول » لا حدود له ولن نصل إلى حقيقته ، ولسكننا إذا ما اقتربنا منه ولو قليلا فلنرض بذلك ، وبدلاً من النوم في الظلة نكون قد استيقظنا في الفجر ... وبما أنه لم يصل أى إنسان حتى الآن إلى رفع النقاب عن إيزيس ، فلا أجرؤ على الزعم بأنى قد حلت حلاً تاماً هذه المشكلة العظمى ، ولكننى أومل ألا يكون عملي هذا مجدياً ، فإننى لم أفعل شيئاً سوى تعبيد الأرض وفتح الطريق أمام علم المستقبل ، وسيحكم المستقبل عن نتائج هذا المجهود ، فقد طبقنا عملياً دعوة المسيح « ابحثوا تجدوا » ، وأياً كان مدى تقدم الكشف المستقبلية فإن الفقه الذى حصلنا عليه يتلخص منذ الآن في هذه الكلمات: إن الجسد بمعنى ، ولكن الروح تحيا حياة أزلية فيما لا حدود له (١) . فهل يتصور العقل أن مثله يفاخر بكلمة واحدة في مجال هذه الروحانية التجريدية إلا إذا كان - فضلاً عن اقتناعه بصحة الظواهر التي حققها بنفسه وعظم دلائها - قد وجدها تلتئم تماماً مع معلوماته الواسعة في الفلسفة والفلك ؟ ... ومع ذلك فلسنا نطالب القارئ بالاعتناع الحتمى والنهائى الآن ، وإنما لدعوة لحسب إلى مزيد من الاطلاع في هذا الموضوع المفرط في أهميته كما يقدر بنفسه كيف أن كفة القول بالثبوت قد رجحت تماماً كفة الإنكار ، وأن المكابرة هنا خطأ يتعذر تبريره أو تفسيره - أية كانت بواعثه - إلا بعدم الاطلاع الكافى .

المبحث الثاني

موقف بعض علماء المادة

من علم الروح الحديث

موقف أوليفر لودج

ثم ننتقل إلى موقف سير أوليفر لودج — وهو عالم كبير الشأن في الأثير واللاسلكي — فتجده لا يعلن اقتناعه لأول مرة بصحة موضوع الخلود والصلات بين أرواح الأموات والأحياء إلا بعد بحوث وأصلها لسنين طويلة جاوزت الخمس والعشرين ، وإلا بعد أن ربط ربطاً تاماً بين معارفه في الأثير والفضاء الكوني والمادة والطاقة ، وبين ما أسفرت عنه تجاربه العديدة مع بعض الوسطاء الكبار .

فقدان هذا الموقف السليم المتحفظ من عالم كبير — ومدير لجامعة عريقة حتى سنى حياته الأخيرة — بموقف الارتجال الذي يقفه بعض المعارضين عند ما لا يجد أية حجة أخرى يحاول أن يدحض بها قيمة هذه البحوث المتواصلة العميقة إلا بالقول بأن أوليفر لودج لما فقد ابنه ريموند فقد معه صوابه ، فراح يهرف بما لا يعرف عن عالم الروح والاتصال بالأرواح ، وذلك مع أن ريموند هذا لقي مصرعه في الحرب العالمية الأولى في سبتمبر سنة ١٩١٥ ، حين أن والده كان عضواً مؤسساً « بجمعية البحث الروحي » ، بلندن منذ سنة ١٨٨٢ ، واختير رئيساً لها منذ سنة ١٩٠١ حتى سنة ١٩٠٣ ، ووضع أول مؤلف له عن « حياة الإنسان بعد الموت » ، منذ سنة ١٩٠٩^(١) . وأخذ يحاضر في موضوع ثبوت الاتصال بالأرواح لمدى سنين طويلة قبل مصرع ابنه^(٢) ،

(١) راجع ما سبق منه أيضاً في الجزء الأول من ٢١٥ — ٢٢٠ ، ٢٢٨ — ٢٣٠ .

(٢) فثلاثاً في مجلة المقتطف عدد فبراير سنة ١٩١٥ محاضرة طويلة لسير لودج عن ثبوت الاتصال بأرواح الموتى ، وقد أشرنا إلى بعض فقرات منها في الجزء الأول من ٢١٨ و ٢٠٧ — ٢٠٨ . وفي هذا الجزء من ٣١ ، حين أن ابنه ريموند لقي مصرعه في شهر سبتمبر من سنة ١٩١٥ وتلقى والده هذا النبأ في ١٧ منه . (راجع كتاب ريموند أو الحياة والموت من ١٩٣) .

ثم واصل لودج بحوثه بعد مصرعه وهذا أمر طبيعي .
وفي الفصل الأخير ، من كتاب «حياة الإنسان بعد الموت» (١) هذا ، يقرر
لودج بعد بحثه الشاق المثابر «إنا نكتشف أن أصدقاء موتى من بينهم
عدد من كانوا معروفين لنا جيداً وساهموا بدور إيجابي في أعمال جمعية
البحث الروحي» (٢) أثناء حياتهم ، خصوصاً منهم جيري ومايرز (٣)
وهو وجسون (٤) ، يزعمون على الدوام أنهم متصلون بنا يدفعهم قصد مستقر
تماماً على أن يثبتوا شخصياتهم بعد الموت في أناة ، وهم يعطوننا «مراسلات
متبادلة» (٥) ، عن طريق وسطاء متعددين . كما نكتشف أنهم يجيبون أيضاً
على أسئلة محددة بطريقة مميزة لشخصياتهم المعروفة ، وتكشف عن معلومات
كانت خاصة بهم .

وإني أقدم هذا الإقرار لا بسهولة ولا قبل الأوان . فبالرغم من محادثات
طويلة مع تلك السكائنات التي تزعم أنها تمثل الذكاء الذي تبقى بعد موت
أولئك الأصدقاء والباحثين ، فإننا لم نقتنع بشخصياتهم — على أي وجه كان
الاقتناع — عن طريق مجرد محادثة عامة ، حتى ولو كانت ذات صبغة ودية
وشخصية ، كذلك التي تكفي لإقناعنا في المعتاد ، وبغير تردد ممكن ، بشخصية
الأصدقاء الذين نحدثهم في التليفون مثلاً ، أو يكاتبوننا عن طريق خطابات
الالة الكاتبة — بل تطلبنا منهم دليلاً محدداً لا يمكن دحضه ، دليلاً صعباً
في تصويره بقدر ما هو صعب في تقديمه .

ويدرك المراسلون الظاهرون من الأرواح بقدر ما ندرك نحن ضرورة
هذا الدليل ، وقد بذلوا غاية ما في وسعهم لإرضاء مطلبنا المعقول هذا ، ويعتقد

Survival Of Man .

(١)

وله ترجمة فرنسية عنوانها La Survivance Humaine . من المطبعة الثالثة الانجليزية

بلفم الدكتور هـ . بوربون H. Bourbon .

(٢) راجع ما سبق عنه في الجزء الأول من ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٣) راجع ما سبق عنه في الجزء الأول من ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٤) راجع ما سبق عنه في الجزء لأول من ١٩٨ — ٢٠٠ .

(٥) راجع ما سبق عنها في الجزء الأول من ٢٢١ ، ٢٩٦ .

البعض منا أنهم قد نجحوا فعلا في تقديم هذا الدليل ، حين لا يزال البعض الآخر منا متشككاً (لاحظ أن هذا القول يرجع إلى سنة ١٩٠٩) ...

إن الحاجز بين الحالتين المعروفة وغير المعروفة لا يزال سميكاً ، ولكنه قد رق في بضعة مواضع . وإننا وسط هدير المياه والصخب الآتي من ألف مصدر آخر نعمل كمال يحفرون نفقاً من طرفه ، ونحاول من آن لآخر أن نستمع إلى طرقات معاول زملائنا الذين يعملون في الجانب الآخر .

وعندما نخرج من نفقنا إلى ضوء النهار نبليغ ما سمعناه إلى عالم متشكك منهمك ، وأحياناً سريع التصديق أكثر مما ينبغي . ولا نأمل أن يصدقنا الناس ، ولا نعدم من يقول لنا إن أخبارنا ليست طازجة ، وإن المسالك إلى الجانب الآخر من الجبل موجودة منذ القدم ، وإن النفق الذي شيدناه بعناه عديم الجدوى ...

نحن لا نعلن نبأ غير مألوف ، ولا سبيلاً جديداً للاتصال ، ولكننا نعلن لحسب مجموعة من أدلة لإثبات الشخصية أقيمت بعناية وبوسائل متقدمة وإن كانت قديمة . أدلة أكثر صواباً ، وربما أقرب إلى السكال من الأدلة التي تم الحصول عليها حتى الآن . وأنا أقول أدلة أقيمت بعناية لأف البراعة التي تم بها إعدادها متوافرة لدى عقول الجانب الآخر من الحاجز بقدر ما هي متوافرة لدى هذا الجانب . فقد جرى البحث في جو من التعاون الواضح بين أولئك الذين لا يزالون في المادة وأولئك الذين ليسوا فيها .

فنحن حقناً أن نعلن — إن لم يكن كإقرار نهائي — فبالأقل كنظرية شائعة صحة الاعتقاد القديم بإمكان التراسل بين العقول في الأسلوب المادي للوجود وأسلوب آخر له ، أثري فيما يبدو .

ولا يمكننا مع ذلك أن نقبل القول بأن أولئك الذين اختفوا من على

كوكبنا، لم يعد المكان أى معنى عندهم . لا ريب أنهم لم يعودوا متصلين بالمادة ، وبالتالي لا يمكنهم بعد أن يلجأوا إلى أعضاء إحساسنا كما كانوا يفعلون عندما كانت لهم أجساد معدة خصيصاً لهذا الغرض . ومع ذلك فبقدر ما سمح لنا أن نعرف فإنه من الجائز أن يوجدوا فى الفضاء ، وأن تتوافر لديهم معرفة بالمكان مثلنا ، وبحقائق الهندسة إن لم يكن الجغرافيا . ولا داعى لأن نجزم بأن الظروف والوسط الذى يوجدون فيه ، أمور مختلفة اختلافاً أساسياً ومطلقاً عن الظروف وعن الوسط الذى تتحرك فيه الإنسانية . فإن هذا أمر من الأمور التى يمكننا تدريجياً كشف عدم صحتها .

وفى انتظار ذلك ماذا يمكن أن نستنتج مؤقتاً من التعاليم الجادة التى يعطينا إياها التقرير بصحة هذه المراسلات ؟

أول شيء نتعلمه وأوضحه معرفة هو الدوام ، فلا يوجد فى ظروف التواجد أى انقطاع مباغت مما كان من السهل توقعه . ولا يوجد أى تصدع فى الذات الواحية الباقية ذات الخصائص المميزة والشخصية . صفاتهم الأساسية : مثل الذاكرة والتربية والتعليم والعادات والميول والعواطف ، كل هذا يحتفظ به . بل وربما يتم أيضاً الاحتفاظ — إلى مدى معين — بنفس الذوق والاهتمامات مهما حدث . أما المشاغل الأرضية ، مثل الأموال المادية ، والالام البدنية والعاهات ، فإنها فى جانبها الأقوى ترك جانباً .

ثم يختتم لودج مؤلفه بهذه الكلمات : إن رؤى سويدنبرج (١) إذا — جردناها من رداء الغلو — ليست كلها غير حقيقية ولا كلها خاطئة تماماً . فإن فيما أتى إلينا من معلومات عن طريق وسطاء متعددين يوجد نوع من التوافق

(١) راجع جانباً من رفاة وأقواله فى هذا الجزء فى ص ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٦١، ١٦٤ .

معبها ، وأن عملي مقصور على تقديم شهادتي في جانب صحة التصوير المعقول للأفكار العامة عن الكون التي وضعها مايرز وغيره في مؤلفه الممتلئ بلاغة وعظمة . .

وهكذا يحتتم لودج أول مؤلفاته عن الخلود ، والذي يتضمن نتيجة بحوثه لمدى أكثر من ربع قرن وحتى سنة ١٩٠٩ ، أى قبل أن يصاب بصدمة مصرع فجلة في سبتمبر من سنة ١٩١٥ التي أفقدته صوابه ، كما يقول المعارضون .

* * *

ومثل هذا الاعتراض المتسرع الذي يقابله القارىء أحياناً في كتب المعارضين يشير - فضلاً عن وضوح التحامل المفض - إلى قيمة بحوث لودج العلمية ، وكيف أنها تحاصر المعارضين بقسوة فلا يجدون منها فكاً كلاً إلا بمثل هذا القول الذي يلقي جزافاً . وكأن هذا الأسلوب المحزن من المغالطة - بل المهارة - يوصل إلى أى قدر من الحقيقة العلمية .

ثم هل موضوع الأرواح هو موضوع لودج بمفرده ؟ أم أنه الآن موضوع مئات من أفضل علماء العصر المنتشرين في كل مكان ، وموضوع العشرات من المعاهد العلمية والجامعات العريقة ؟ .

ومن يرجع إلى أى مؤلف لسير أوليفر لودج في موضوع الأرواح والخلود - بالإضافة إلى مؤلفاته في الأثير والفضاء الكوني - يتبين له تماماً كيف أن معلومات لودج في الأثير وفي المادة الصلبة والطاقة وعدم قابليتهما للفناء ، وإمكان تبادل التحول فيما بينهما - عن طريق معادلات رياضية مسلم بصحتها - أوصلته إلى هذا الاقتناع ، على نفس المستوى الذي أوصلته إليه بحوثه الخاصة في الظواهر الواسطية التي أجراها لمدة تجاوزت خمسين عاماً على منهاج علمي بحث . والمنهاج العلمي أساسه النقد المتواصل كما بينا ،

والنأى عن التسليم السهل أو الاقتناع السريع ، وهو وحده الذى يوصل إلى الحقائق العلمية .

وقد بينا كيف تحدث لودج عن الأثير قائلاً : « وعندما أستعمل كلمة أثير فإنما أعنى هذا الشيء الذى كان موضوع بحثى طيلة حياتى العلمية . وكل صفات الأثير التى وصلنا إليها تدل على أنه مادة كاملة » . إلى أن يقول « إن هذا الأثير يقوم بعمل أجل شأنًا مما يعلمه الناس من أمره ، وينبغى علينا أن نفكر فيه إذا أردنا أن نحصل على علم كامل ، (١) .

وبنفس هذا الوضوح يتحدث عن الأرواح فى محاضرة له فى سنة ١٩١٧ قائلاً : « إنى كما تعلمون انضممت بصفة نهائية إلى جانب المقتنعين بدوام الوجود . وقد وصلت إلى هذا الاقتناع مستنداً إلى وقائع وتجارب لا تثبت بحسب حياة خامضة غير محددة بعد الموت ، بل تثبت نظرية بقاء الشخصية والذاكرة بعد الانفصال الذى نسميه موتاً .

فبعد فحص عدد كبير من الحالات وجدت نفسى مضطراً بالينة المقتنعة إلى الاعتراف بالحقيقة البسيطة عن إمكان التحدث - متى توافرت شروط خاصة مع أشخاص عاشوا حديثاً على الأرض ، وإمكان تلقى اتصالات ورسائل ، رغم أن هؤلاء الأشخاص فقدوا بالموت الوسائل المألوفة لإظهار أنفسهم . وإنى أقدر كل ما لهذا الذى وصلت إليه من أهمية ، ومن جسامه كفيلة بأن تضفى عليه نتائج تتجاوز فى خطورتها كل قياس فى اليوم الذى يتقبلها الجنس الإنسانى ويقرها ، إذا قدر لهذا اليوم أن يحى . ففى الواقع إن هذا الكشف إذا ما تقبله الناس غيّر مصائر البشرية .

ومن الأمور الحقيقية أن الحياة بعد الموت والاتصال بالأرواح كانا

(١) رايى ما سبق أيضاً فى ص ٣١ وما بعدها .

معتزفاً بهما منذ أقدم العصور عند البعض ، لكن استمرار الوجود لم يعتبر أبداً حقيقة وضعية للحياة ، وقد أحاطت الاعتقادات الوقائع بغلالة كثيفة صناعية لها مظهر من الحقيقة جعلت هذه الحقائق تبدو غير مقبولة ، وغريبة للآمال ومصدراً للاضطراب^(١) ، ...

فهل كان يتأني لمثله أن يقتنع روحياً ما لم يقتنع ابتداء اقتناعاً علمياً مطابقاً تماماً لمعلوماته الواسعة في الأثير وفي الفضاء الكوني ؟ وأن يتحدث في الموضوعين معاً بكل هذا الاطمئنان إلى صواب ما وصل إليه من نتائج بعد فحص عدد كبير من الحالات كما قال . .

* * *

وبنفس هذا الاقتناع المؤيد بأسانيده العلمية نجد لودج يتحدث في مؤلفه « لماذا أؤمن بالخلود الشخصي »^(٢) ، الذي ظهر في سنة ١٩٢٨ أى بعد حوالي خمسين عاماً من مواصلة بحوثه الروحية قائلاً : « إن اقتناعي مستقر برمته على أساس من التجربة ، وعلى قبول طائفة من الوقائع التي يمكن أن يحققها الآخرون لو تكبدوا مشقة التحقيق . وإنني أعلم كم تساوى كلمة « حقيقة علمية » ، وإنني أقرر بغير ما تردد أن دوام الوجود الإنساني حقيقة قد ثبتت . وقد وصلت إلى هذا الاقتناع خلال دراسة بعض الملكات الإنسانية الغامضة التي قد لا يعترف بها حتى الآن العلم الحرفي ، والتي لم يقرها اللاهوتيون بعد كمقاعدة عامة . ولذلك قد يجوز لي — بل قد يتحتم علي — أن أقدم من آن إلى آخر بعض التبرير والعدل على منابرتي الثابتة في البحث ، وعلى اقتناعي بالنتائج .

ومن الواضح أن كلمة « خلود » المستعملة في العنوان مستخدمة بمعناها الاصطلاحي ، لأن تأكيد « اللانهاية » لا يمكن أن يدخل في نطاق بحثنا ...

(١) راجع جوزيف ميرا Joseph Mira المرحوم السابق ص ١٣ ، ١٤ .
(٢) Why I Believe In Personal Immortality.

فكل ما نملك عنه بينات خاصة هو دوامنا كأفراد بعد الانفصال عن الجسد المادى . أما ماذا يحدث فى المستقبل البعيد السحيق فإنه لا يمكن الادعاء بمعرفته ، وليست بنا حاجة لأن نفكر فيه منذ الآن . بل يكفيننا الآن أن نعلم أن الحياة الحاضرة ليست نهاية الوجود لنا كأفراد ، وأتأ إذا أحسنا استخداما فهى المرحلة المبكرة لفرصة من الوجود الطويل للخدمة متزايدة على الدوام ، من نوع متناسق مع طبيعتنا الحققة . ولذا فهى ملازمة للحرية التامة

ثم تأمل ملياً كيف يلخص لودج فى مؤلفه الأنف الإشارة إليه سبع نتائج رئيسية وصل إليها من بحوثه الطويلة فى موضوع الروح ، وكل نتيجة منها أصبحت تمثل الآن حقيقة علمية بالغة أقصى درجات الخطورة ، وهذه النتائج هى : —

أولاً : أن نشاط العقل ليس محصوراً فى دائرة التعبيرات الجسدية bodily manifestations برغم أنه من الصواب القول بأن هناك آلية مادية لازمة كما تظهر نشاطه بالنسبة إلينا هنا الآن .

ثانياً : أن آلية المخ والأعصاب والعضلات مع سائر الجسد المادى تكون جهازاً من صنع الحياة والعقل وسيطرتما ، ولخدمتهما ، جهازاً قد يصبح غير ملائم أو مستهلكاً إلى الحد الذى يحول دون إمكان السيطرة عليه بمعرفة المكنن المسيطر العادى ، وأن علامات الاستهلاك أو التلف قد تصبح واضحة بغير أن تسمح لنا بأن نخرج منها بأية دلالة ، إلا بأن الرابطة أو الصلة بين العقل والمادة قد أصبحت ضعيفة أو معيبة .

ثالثاً : أنه لا الحياة ولا العقل يزولان من الوجود عند انفصالهما عن العضو أو الجهاز المادى ، بل يتوقفان فحسب عن العمل فى المحيط المادى كما كانا يفعلان من قبل عندما كان الجهاز العضوى فى حالة طيبة . والواقع أنه لا شئ يزول من الوجود بل يغير شكله لحسب . فقد تحتفى الأشياء من

ناظرينا وتخرج عن نطاق حواسنا ، ولكن ذلك لا يثبت أنها اختفت من الوجود . وهذا الأمر الحقيقي الواضح بالنسبة للمادة وللطاقة حقيقي أيضاً «في تقديرى» بالنسبة للوجود الحيوى والروحى . وليس «لدينا» أساس لافتراض أن أى شىء حقيقى يمكن أن يتوقف عن الوجود ، حتى وإن جاز أن يختفى ويبعد عن إمكان الوصول إليه بحواسنا .

رابعاً : أن ما نسميه «فرداً» هو تجسد محدد ، أو ارتباط المادة بعنصر حيوى أو روحى له فى ذاته وجود دائم . فالذات Identity ، أو فى طورها للأمام هى الشخصية Personality لا تعتمد بيقين على ذاتية جزيئات المادة التى تظهر هذا العنصر ، والتى لا يمكن إلا أن تعتبر فحسب من نتائج السكائن المهيمن Controlling Entity الذى يجمع هذه الجزيئات إلى حين ، ولذا كان هذا السكائن قادراً «فياً نعلم» على طردها ، وعلى تجديدها فى المجرى العادى للحياة ، بدون أن يؤثر ذلك فى دوام وجوده^(١) .

خامساً : أن قيمة التجسد تتحصل فى الفرصة التى يقدمها فى تكوين الشخصية ، ونمو جانب من العقل تدريجياً بحيث يتم عزله وتنقيته من محيطه الفطرى الكونى Pristine Cosmic Surroundings ، وتمكينه من إنماء شخصية ستصبح مميزة لهذه الأعضاء الخاصة .

سادساً : أنه عندما تصبح الفردية أو الشخصية individuality or personality حقيقية فهناك كل سبب لافتراض أنها - ككل كائن حقيقى آخر - ينبغي أن تبقى ، وأن تها بعد انفصالها عن الأعضاء المادية التى ساعدت فى عزلها ، وجعلت من الممكن أن تصنع لنفسها خصائص فردية ، أو طباعاً مميزة .

وما إذا كانت الطباع الفردية التى تم تكوينها عن هذا الطريق تبقى

(١) يتحدث لودج عن تجديد الخلايا والأنسجة الحية خلال الحياة الأرضية ، فى كل كائن حي من طريق الجسد الأثيرى .

كفرد يحمل معه الذائرة والخبرة والعواطف، التي تشكلت تحت فرص الارتباط بالجسد المادى ومزايهه أثناء الحياة الأرضية، فهذا تساؤل ينبغى أن تكون الإجابة عليه عن طريق الملاحظة المباشرة والاختبار. وذلك يقودنى إلى اقتناعى الأخير وهو :

ساجداً : أن البيئة التي أمكن الحصول عليها فعلاً تكفى كيما تثبت أن طباع الفرد وذاكرته تبقى ، وأن الشخصيات التي غادرت هذه الحياة مستمرة بمعلوماتها وخبرتها التي حصلت عليها هنا ، وأنه تحت ظروف معينة عرفت جزئياً ، أمكن لأصدقائنا الموتى أن يظهروا لنا دوام حياتهم الحقيقية وشخصياتهم بعد الموت (١) .

وبالحال لودج بالتفصيل هذه النتيجة الأخيرة، وهي أخطرها كلها، مبدئياً مبدى ضحتها من واقع تجارب عديدة يسردها عن اتصالاته بأرواح معينة، من بينها روح عالم النفس فردريك ف. و. ه. مايرز، ومعزاً لإياها بالأسانيد التي يتعذر إهدارها إلا بمن أعد نفسه مقدماً ونهائياً للسكريرة عن غير علم ولا تجريب .

موقف وليام باريت

وهذا الذى ذكرناه عن لودج يكاد يصدق بحذافيره على موقف سير وليام باريت (١٨٤٥ - ١٩٢٦) الذى كان مثل لودج عالماً كبيراً فى الفيزياء، وعضواً بالجمعية الملكية (المجمع العلمى البريطانى) وأستاذاً بجامعة دبلن Dublin. فإنه ظل يواصل بحوثه على منهاج علمى صرف لمدة عشرات من السنين قبل أن يصل إلى إقرار ثبوت دوام الحياة بعد موت الجسد المادى، وقيام صلات بين أحياء العالمين المنظور وغير المنظور .

ففى مؤلفه «على عتبة غير المنظور» (٢)، نجده يقرر «أن القارىء

(١) من المرجع السابق ص ١٣ - ١٥ .

(٢) On The Threshold of the Unseen (1917).

(٢)

سيلاحظ أن النتائج التي وصلت إليها ليست ثمرة امتحان عاجل سطحي ،
فها قد مضى على أكثر من أربعين عاماً ، وأنا أدرس بروح متحررة تماماً
وبغير مصلحة خاصة ، الظواهر المسماة بالفوق العادية . ولما أصبح من
الضروري تأسيس جمعية تكفل دوام التحقيق وتقيم أسلوباً كاملاً للتجريب
أسست منذ سنة ١٨٨٢ جمعية البحث الروحي ، بمساعدة صديق أو صديقين .
ونشرت الجمعية حتى الآن (في سنة ١٩١٧) ستة وأربعين مجلداً من مضابطها
وجريدتها^(١) . كما دعوت لتأسيس شقيقتها الجمعية الأمريكية التي تأسست
منذ سنة ١٨٨٩ بمعرفة بعض أصدقائي من بوسطن وهارفارد ، وقد
ملأت أيضاً مضابطها وجريدتها مكتبة عظيمة^(٢) . وهكذا تراكم مجموعة
ضخمة من شهادات انزعجت بعناية سيصبح لها في دراساتنا قيمة ضخمة
كوثائق يرجع إليها .

وفيما يتعلق بالظواهر الفيزيائية للروحية الموصوفة في الجزء الثاني ،
فإنها مهما بدت غريبة ، صارخة أحياناً ، غير مفهومة إلا باعتبارها ظواهر
لذكاء أو لمقدرة مجولين ، إلا أن الشهادات التي أشرت إليها لا تقبل الجدل
فيما يبدو لي ، ومع ذلك فإن بعض قرأني ربما يترددون في قبولها . وإذا
كان الشك الأمين مرغوباً فيه بغير نزاع ، فإن النظر إلى المجرمين العلميين
المتنازعين المتنازعين حذراً باعتبارهم معتوهين أو مخرفين ، عمل - بكل بساطة -
صيباني ، وكذلك أيضاً النظر إلى رجال أذكاء وأمناء مثل الأسقف
ستانتون موزس S. Moses^(٣) .

ثم انظر باريت وهو يبنى على هذه البحوث نتائجها الفلسفية ، عندما

(١) راجع ما سبق عنها في الجزء الأول من ١٩٦ - ٢٠٧ .

(٢) راجع ما سبق عنها في الجزء الأول من ١٥٣ - ١٥٦ .

(٣) الوسيط الشهير الذي كان أستاذاً بجامعة لندن (راجع ما سبق عنه في الجزء الأول

من ٢٦٣ - ٢٦٥) .

يقول ، إن الأهمية الرئيسية للبحوث الروحية تتحصل في تقويم العقلية الغربية لدى الأفراد المتوسطين ، من ناحية أنها مستقرة على أن الجانب الفيزيقي يمثل كل الطبيعة ، أو بالأقل يمثل من السكون جانبه الوحيد الذي يهمننا حقيقة . إن هذه النظرية الزائفة المميتة تجعل ضئيلة جميع وجهات النظر ، ومجربة جميع مدارك الروح ، ...

ثم يقول إن هناك عدداً متزايداً من الأشخاص أصبح يقدر - على حد تعبير الأستاذ هنري سدجويك^(١) H.Sidgwick - أن من المخجل أن نرى أشخاصاً لا يزالون يناقشون صحة الظواهر الرائعة للروحية ، وسيكون من المحال مع ذلك ألا تنهم بالمغالاة في تقدير أهميتها العلمية لو أمكن لأي إنسان أن يعرض لحسب عشر الشهادات الجديرة بالثقة فيها ، ..

ثم يضيف قائلاً ، ومع ذلك فإن تحولاً يجري الآن في آراء النخبة بشأن هذا الموضوع . فإن عدداً من أصحاب أكثر النفوس ثقافة ، ومن الباحثين اليقظين قد اقتنعوا في هذه السنوات الأخيرة بصحة الظواهر الروحية ، أو بالأقل بجدية الأسباب التي تحمل على دراستها ، وتأثروا تأثراً عميقاً بما يولده القبول العام لهذه الظواهر من اتساع في الأفق ومن نشاط واسع في التفكير .

كما يقول ، وإنه هذا الاتساع في أفق التفكير هو الذي سمح للرواد الشجعان للروحية أن يغامروا بسمعتهم ، وأن يتحدثوا ما أثارته تحقيقاتهم من سخرية ومن لوم ، فإنهم عندما حصلوا على ما بدا لأعينهم الدليل الكافي على موضوعية هذه الظواهر ، نشروا آراءهم بشجاعة نادرة . وفي الصف

(٢) أستاذ فلسفة الأخلاق Moral Philosophy بجامعة كامبريدج ، وكان حتى انتقاله في سنة ١٩٠٠ رئيساً « لمجلة البحث الروحي » بلندن (راجع ما سبق عنه في الجزء الأول ص ١٥٥) .

الأول منهم يبرز الرياضى العظيم الأستاذ دى مورجان De Morgan الذى كتب منذ سنة ١٨٦٣ يقول : «إنى مقتنع تماماً بأنى رأيت وسمعت فى ظروف تجعل رفض التصديق مستحيلاً أشياء موصوفة بالروحانية لا يمكن لأى كائن عاقل أن يفسرها بالتدليس أو بالتعاصر الزمنى أو بالخطأ» (١) . وقد قدم شهادات عائلية الدكتور ألفرد راسل والاس A.R. Wallace (٢) وعدد آخر من الشخصيات المبرزة . وفى النهاية إن الكافة يعرفون تجارب سير وليام كروكس المعروفة (٣) .

ولم يقتنع هؤلاء الرجال المبرزون وحدهم بصحة الوقائع ، بل إن جمهوراً من الرجال والنساء وصل إلى نفس الاقتناع فى العالم أجمع ، وقد أشار إلى ذلك الدكتور والاس منذ زمن طويل فى موسوعة تشامبر Chamber's Encyclopaedia قائلا : «لقد تقدمت الروحانية إلى حد أنها وصلت — رغم التهم والاستخفاف والاضطهاد — إلى إقناع أشخاص من جميع الطبقات الاجتماعية ، وفى جميع أركان العالم المتحضر» (٤) .

ثم يضيف باريت قائلا لقد تبنوا بأنفسهم وجود ظواهر مجهولة تماماً من العلم الحديث ، ويفسرها بكل بساطة افتراض وجود عالم روحى تقطنه كائنات ذكية ، قادرة فى لحظات معينة ، وبوسائل معينة ، على الاتصال بنا . ولم يتمكن أى شيء من زعزعة إيمان كهذا يرجع إلى الماضى العريق ... وقد نمت قوة هذا الاعتقاد بسبب تكسب الشهادات عن الوقائع التى تحدث من وقت لآخر هنا وهناك .

(١) راجع ما سبق عنه فى الجزء الأول من ٢٠٨ .

(٢) راجع ما سبق عنه فى الجزء الأول من ٢١١ .

(٣) راجع ما سبق عنه ومنها فى الجزء الأول من ٢١٠ ، من ٣١٣ — ٣٣١ .

(٤) من الترجمة الفرنسية وعنوانها Au Seuil De L'Invisible بمعرفة «المكتبة

العولية لعلم الروحى» . الناشر : Payot طبعة ١٩٢٣ من ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٣ .

لقد قال فيخت Fichte وإن كل ما هو عظيم وطيب في وجودنا الحاضر يرجع — لحسب — إلى أن رجالا نبلاء حكماء قد تنازلوا عن متع الحياة في سبيل التعلق بالأراء . إن ما يؤكد رجلا واحدا هو عبارة عن الفكرة التي اعتنقها ، وهو أمر يسترعى الاهتمام ويستحق الإصغاء إليه . أما ما يؤكد عدد وافر من الرجال ، ويستمررون في تأكيده دون أن ينال منهم أي اضطهاد أو معارضة ، فهذا هو الموضوع الذي يستحق تماما التفات الباحث المخلص .

وما قد ينكره الناس هو من جانب آخر إما لا قيمة له ، وإما دليل على ندرة — أو على جدة — الأمر الذي ينكرونه ، مالم يكن الإنكار سيلا لإثبات حقيقة أخرى ، كإنكار الحركة الأزلية للكون ، أو كإنكار التليفون الذي صدر من بعض العلماء أمانى في سنة ١٨٧٧ ، ولم تكن له أدنى قيمة إزاء الشهادة الصادقة ممن شاهدوا التليفون وسمعوه ، (١) .

* * *

وأخطر من كل ذلك هذه النتائج العلمية الضخمة التي أخذت تبارت يقيمها الواحدة بعد الأخرى ، كما يفسر بها من جهة هذه الظواهر التي حقق صحتها بنفسه ، وكما يربط من جهة أخرى بينها وبين الحقائق الأخرى للحياة .

فنجده يقرر في إحداها ، أنه يمكننا القول مع أملاطون بأن العالم المحسوس ليس سوى صورة لأفكار موجودة في عالم يقع وراء الحس ، وأن المحسوسات ليست سوى وجود مستعار من حقائق أزلية ، أى من أفكار يحتويها غير المنظور . وذلك يشبه كثيرا ما كان يقول به سويديجر من أن أشياء عالمنا ليست سوى آثار ، أو مقابلات زائلة — أكثر منها

(١) المرجع السابق ص ٢٧ — ٢٩ .

(م ٣٥ — الإنسان روح : ج ٢)

حقيقية - لعالم رُوحى ندخله بعد الموت. وبالتالي فلسنا سوى أشباح متجسدة لكائناتنا الحقيقية ، ومن صور مادية عابرة لشخصيتنا الحقيقية الباقية .

ولنعد لموضوعنا ، فأية نظرية أخرى يمكن أن تقترح لتفسير الظواهر الفيزيائية التي تبدو صادرة عن مصادر وعى نشطة غير منظورة ؟ إن النظرية الشائعة للروحيين هي أن هذه الظواهر تعزى إلى نشاط كائنات إنسانية تحررت من أجسادها ، ونحاول أن نفهمنا بهذه الطريقة استمرار وجودها . ولكن إذا كانت هذه الظواهر (المادية) تبدو صادرة عن ذكاء غير منظور ، فإنها لا تعطينا الدليل على دوام حياة الإنسان بعد الموت . وسنعالج فيما بعد أدلة هذا الدوام منتزعة من ظواهر روحية أخرى ، وفي انتظار ذلك تبدو النظرية الروحية أكثر التفسيرات بساطة ، برغم أن بعض الوقائع العجيبة التي شوهدت في حضور الوسيط هم D.D.Home تظل بمثابة ألغاز (١).

ومع ذلك فبممكن افتراض أن الحياة موجودة في صورة ما في الأثير المضيء (أو في أى وسط غير منظور) وأن قانون التطور ، وهو القانون المقدس للتقدم ، يعمل عمله منذ قرون لا تحصى ، بل ربما قبل نشوء أرض مسكونة . وإذا كانت مادتنا الخام يمكن أن تكون مركبة للحياة تستجيب لاهتزازات الروح الإلهية ، فإن المادة الأثيرية ، وهي أكثر منها رقة ومرونة يمكن أن تكون أكثر مناسبة لهذا الغرض ، وأسهل استجابة للقعدة العظمى المختلفة وراء ظواهر الحياة . وليس في هذا الافتراض ما يجافى الصواب أو ما يعارض علمنا الحالي .

ثم يتساءل سيرباريت تأسيساً على ذلك « إذا كانت هذه الكائنات الذكية

(١) الحديث هنا يشير إلى الظواهر المادية التي كانت تحدث في حضور الوسيط هم وغيره مثل تحريك الأجسام الصلبة ، والارتجاج عن الأرض بغير وسيلة مادية ، والإسكات بالنار المشتعلة وغير ذلك (راجع ما سبق عن الجزء الأول من ٣١٤ ، ٣١٥) .

موجودة بيننا منذ قرون ، ألم يكن لها أي دور في تاريخ أرضنا ؟ ، ثم يجب
، إننا نعلم كيف نجح الإنسان في تغيير بعض معالم الطبيعة باستخدام ذكائه
وإرادته . وإذا كان بمقدورنا أن ندخل تغييرات على النباتات والحيوانات
عن طريق الانتخاب الصناعي ، فليس من عدم الصواب أن نفترض أن
التأثير الروحي للعقول التي نجعلها أمكنة أن يؤثر في التطور عبر العصور .
وهكذا تبدو مشكلات عديدة لم يحلها فقه التطور قابلة لأن تنتقل من عالم
الحواس والمادة الخام إلى العالم الغير المنظور الذي يحيط بنا ، أسوة بنا
عند ما نتقل تدريجياً في نطاق الفيزياء تفسيرنا الأخير للأشياء المحسوسة إلى
الآثير . وسيظل المصدر الأعظم الأول دائماً في غير متناول حواسنا ،
ولكن العلم الذي يعنى بالمصادر الثانوية للأشياء يقرر أن العالم المنظور لا يبدو
قادراً على أن يعطينا أى حل مرض لعدد من الأسئلة الغامضة .

وجود بعد رابع ألا يفسر مصدر ظواهر الروحية ؟ فهذه نظرية رياضية
تبين أن هذه الظواهر في مقدور كائنات من البعد الرابع بشرط أن تصل
إلى إحداث نتائج منظورة منا نحن كائنات البعد الثالث^(١) . ولنبين مقدماً
ونظرياً بعض هذه النتائج التي منها مثلاً مرور المادة الصلبة في المادة الصلبة^(٢) .
ومثل عمل عقدة في جبل بدون إمساك بأطرافه ، أو في قرط أو في طوق
من جلد . فإن كائناً عاقلاً يمكنه أن يحدث في هذا الجبل حلقات تنتمى إلى
البعد الرابع ، ويمكنه أن يصنع عقدة أو عدة عقد بدون أن يفك أطراف
الجبل الموضوع عليها الاختام ، أو بدون أن يقطع الحلقة الجلدية . فبالرغم من
أن هذا العمل العجيب يبدو لنا مستحيلاً فقد صدر تأكيد ، بأنه لحسن الحظ
قد تم تنفيذه في بضعة دقائق ، وفي ضوء النهار في شهر ديسمبر سنة ١٨٧٧
عن طريق وسيط معروف ، وأمام عدد من العلماء الألمان ذوى الروح الناقدة^(٣)

(١) راجع ما سبق في هذا الشأن في ص ١٣٤-١٤٠ عند الكلام في أسلوب الحياة في عالم الروح .

(٢) ومنها الجلوويات والمأخوذات الروحية ، وقد حققها علماء كبار وهيئات مبدقة موثوق

في صحة تحقيقها .

وهم الأساتذة : زولنر Zöllner وويبر Weber وفشنر Fechner وشريبنر Schreiberner^(١). ولم تكن هذه تجربة وحيدة ، بل تمت مثيلتها في روسيا بنجاح أيضاً ، وشهد أكراكوف Aksakoff^(٢) بأنه قد شاهد عقدة تتم في طوق من جلد بنفس الكيفية

ثم يقول باريت : «إننا نحفر الأساس للمحقق جديد ورحب لمعبد العلم . فينبغي أن نتوقع إذاً أن نشاهد أجمة من «سقالات» تعلو في صورة نظريات وافتراضات ، ولا يمكن إلا بهذه الطريقة أن ترتفع الأحجار من الأرض إلى القمة ، حتى يبني المعبد ، وعندئذ ستنطق مع الوقت الوقائع بذاتها ، وستعطى التفسيرات المطلوبة ، أما الآن فينبغي أن نعمل وأن ننتظر ،^(٣) (لا حظ أن هذا كله كتب قبل سنة ١٩١٧ ، فإياك بالحال الآن في سنة ١٩٦٦) .

* * *

وفي موضع آخر من نفس الكتاب يتساءل باريت قائلاً أيضاً : «إن الحجاب الذي يفصلنا عن الموقى يصير تدريجياً أقل كثافة ، وإن كنا نتساءل لماذا يرتفع لحسب ركن أو آخر من الحجاب من أن لاخر بغير أن يعطينا الكشف الكامل للعالم الروحي . ولماذا ما يصل إلينا من هذا الكشف يبدو ناقصاً وغير مرض إلى هذا المدى ؟

فتحن بغير شك لا نرى أبداً ما وراء الحجاب بنفس الوضوح الذي كان سويدنبرج يؤكد أنه كان يحوزه . وربما كان من الحق أن نقرر أنه قد أقمنا بالعدول عن متابعة خطواته ، وربما هناك أسباب طيبة كما يظل

(١) يحيل المؤلف القارئ إلى كتاب La Physique Transcendentale لهام الفيلسوف الألماني المعروف زولنر . وله ترجمة فرنسية بمعرفة Massey .

(٢) هام الفيزيائي ووزير روسي سابق .

(٣) من « على عتبة غير المنظور » المرحوم السابق ص ٩٨ — ١٠٢ .

اطلاعا على هذا العالم مضطرباً، ولكننا كما أننا متأكدون من أن النهار سيعقب الليل فليثق كل إنسان بأنه بعد ظلمة الموت العابرة سيدخل في حياة أبدية من الحرية والنور. ولو كانت هذه الحياة مطابقة للوصف الذي يعطيها إياه كثير من الروحيين، فإن عدداً قليلاً منا سيتعنى أن يبق في عالمنا هذا.

وربما تعدد كثرة من النفوس المتعبة المعذبة إلى الإلتجاء إلى عقار قاتل كيما تدخل — بغير ألم — في عالم ترجو أن تجد فيه نهاية لآلامها وللأبد، ولكن هذا أمل غائب لأن معنى الحياة الأرضية لازمة لنا، وليس لإنسان أن يؤمل في الوصول إلى حياة أسى من حياته بغير المرور أولاً بمدرسة الألم والكفاح.

* * *

ثم انظره وهو يقرر في أحد فصول كتابه الأخيرة : « يوجد بغير ماريب عالم خارج عن وعينا لسنا معزولين عنه ، لا من ناحية الزمان ولا المكان ، ولكن نحسب عن طريق حاجز من صنع حواسنا . وهذا الحاجز يمثل ما وُصف بحق بأنه يمثل عتبة الإحساس ، والقيد الذي يقيد مدى وعينا . وبقدر ما يحولنا التطور من كائنات دنيا إلى كائنات عليا فإن هذه العتبة تغير مكانها ، ولكن بقدر نمو الوعى فينا . فأعضاء القوقعة تكون العتبة التى تحجزها عن الجزء الأكبر من عالمنا المحسوس ، وكذلك أعضاء الإنسان الفيزيكية تكون عتبة تحجزه عن العالم السامى الذى هو جزء منه . وهذه العتبة ليست مع ذلك صامدة ، فهي تغير موضعها فى النبوة الروحية ، وفى الأحلام ، وفى الغيبوبة المغناطيسية ، وتتحرك الروح مؤقتاً فى عوالم لا تدركها الحواس . وكذلك تغير هذه العتبة موضعها فى الجلاء البصرى ، وفى الحالات العميقة للمغناطيسية ، وفى اليقظة النومية الحركية ، فيعبر عن نفسه ذكاء أسى ، ذو نقاء ومقدرة متناسبة مع توقف وظائف حالتنا اليقظة العادية ووعينا ، وبقدر ما قد يكون هذا التوقف تاماً أو جزئياً^(١) .

(١) راجع فى هذا الشأن الجزء الأول ص ٥١١ — ٥١٩ .

وهذا الذكاء يملك قدرات وأحاسيس أكثر اتساعاً وعمقاً مما يملكه
الوعي العادى . ولأن استخدام هذه الملسكات يبدو معوقاً بأعضائنا البشرية
فيمكننا أن نستنتج من ذلك أنه عند التحرر من هذا القيد الترابى تدخل
النفس فى حياتها الأرحب ، ومع ذلك فلا تلغى عتبة الإحساس بفتة عند
انطفاء الحواس للأبد . فعندما تغادرنا هذه الكائنات العزيرة علينا يبدو
من الجائز إذا أنها فى أغلب الحالات تستيقظ فى الفجر الذى هو وراء كل
فجر آخر ، فيوقظ فيها تدريجياً الوعي الأرحب والأعمق الذى ينتظرنا جميعنا
بالبسر أو بالعسر . ويقول الشاعر شيللى Shelley فى هذا الشأن واصفاً
انتقال أحد الموتى ، سلاماً سلاماً ، فهو لم يمت ولم ينم ، بل استيقظ . من
حلم الحياة (٢) .

عن اقتناع كوربنور

وما يصدق على الاقتناع العلمى المترابط المعزز بأسانيده التجريبية التى
محسها سير لودج لمدى أكثر من خمسين عاماً ، وسير باريت لمدى أكثر من أربعين
عاماً ، وهما عضوان فى المجمع العلمى فى بلادهما وعلمان من أعلام الفيزياء
فى القرن العشرين ، يصدق أيضاً على الاقتناع العلمى بوجود حياة تلى حياة الجسد
المادى ، وهو الذى نجمه عند غيرهما من أقطاب علوم المادة عن أشرنا إلى أقوالهم
فى مناسباتها . فإن اقتناعهم بوجود عالم للروح كان اقتناعاً علمياً صرفاً مؤسساً
على فهمهم لطبيعة المادة الصلبة وللحقائق الرياضية الحديثة . فلم يدفعهم إليه
إلا شوقهم للحقيقة وحدها ، لأن الشوق لها هو لب لباب الحياة ، ومحور
الوجود الإنسانى منذ نجم من صلب الطبيعة — على حد تعبير العلامة
إدنجتون Eddington — هذا الشوق الذى يجعل الإنسان مغايراً كل المغايرة
لما حوله من الظواهر الطبيعية ، ويجعله قوة روحية . . . وكل ذلك حتى

(٢) «على عتبة غير المنظور» (ترجمة فرنسية) من ١٨٧ ، ٢١٠ ، ٢١١ .
ول نفس هذا المعنى أيضاً يؤثر من الإمام على قوله « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا »
(عن المقامد الحسنة للسخاوى) .

بدون بحث في تحقيق الظواهر الوساطية، ولا أية متابعة معروفة لبعضهم فيها.
لذا نجد مثلاً الأستاذ آرثر كومبتون Arthur Compton رئيس المجمع
العلمي الأمريكي والحائز على جائزة نوبل في الذرة يقرر بدوره : «لست في
معملي أعني بإثبات حقيقة الحياة بعد الموت ، ولكنني أصادف كل يوم قوى
عاقلة تجعلني أحس إزائها أحياناً أنه يجب أن أركع احتراماً لها . فلو أنني
أوقدت شمعة ثم أطفأتها على الفور بنفخة من فمي فإني لا أكون قد
أبدت ضوءها .

أنك لن ترى هذا الضوء بعينك الفيزيكية ، ولكن لمحب هذه الشمعة
الضئيل يظل مجنحاً في الفضاء لمدة سنين ضوئية لاعداد لها . فإذا كنت
لا أستطيع أن أيد ضوء شمعة ، أوقدتها أنا بنفسى ثم أطفأتها ، فكيف يكون سخيلاً
أن نزن أن شخصية الإنسان تنعدم وتبدد بسبب ذلك الموت الفيزيقي ، .

ثم أنظر كومبتون وهو يكتب عن خلود الإنسان قائلاً : « بالرغم من
أهمية الإنسان من الناحية الفيزيكية فإنه كشخص ذكي يمثل أهمية غير عادية
في تخطيط الكون . فلو كان لنا أن نستخدم أفضل ما نملك من وسائل
الحكم على الأمور فما هو أهم شيء في الإنسان النبيل ؟ هل هو قوة جسده ،
أو بريق وعيه ؟ ألا ينبغي أولاً أن نعتبر جمال أخلاقه ؟ إن جسد الإنسان
يبلغ أوجه قبل منتصف العمر ، أما ذكاؤه فهو يبلغ أوجه بعد حوالي
منتصف العمر ، ولكن بناء أخلاق الإنسان النبيل يحتاج إلى استنفاد
حياته بأسرها .

فران الشباب ، وخضوعه للنظام ، والنضال بفشله ونجاحه ، وآلام
النضج ومتعه ، ثم وحدة الشيخوخة وهبوطها ... هذه هي الأشياء التي
تصنع النار التي ينبغي أن يجتازها الإنسان حتى يحصل على الجوهر النقي
لروحه ، فإذا تم ذلك على الوجه الأكمل فإذا استصنع له الطبيعة ؟ هل
ستعده ؟ فأى جهد ضائع لا ينقطع هذا ؟ ...

ولأحدث الآن - لا كمال - بل حديث إنسان لإنسان . فكيف يمكن لأب يحب أطفاله أن يختار لهم الموت ؟ طالما كان في السماء إله للجنة فلا بد أن توجد عند إله الأطفال ، حياة لا تنقطع لهم . وهذا ليس فحسب المنطق الفاتر للعلم ، بل هو الإيمان الحار بأب رأى طفله بالفعل وهو على حافة الموت ، (١) .

موقف ألفرد راسل والاس

ومثل ذلك يمكن أن يقال أيضاً عن موقف عالم كبير هو سير ألفرد راسل والاس A. R. Wallace الذي يعد في البيولوجيا نداً لداروين ويعتبر التطور بمفهومه الحديث نظرية شائعة بينهما أعلنها معاً في سنة ١٨٥٨ ، وهي مكملة لما قال به قبلهما عن التطور لامارك وسبنسر . فما كان يمكن أن يتأتى لوالاس أن يسلم بصحة الظواهر الواسطية كحقيقة علمية مقررة ، وبصحة خلود الإنسان ، ويؤلف كتابين معروفين في هذه الموضوعات مالم يوفق أولاً بين نظريته العلمية في التطور وبين هذه الكشوف الروحية الجديدة ، إذ أن علم العالم هو في نفس الوقت عقيدته وهو يبرسه الوحيد في الحياة .

بل إن من يتأمل قليلاً في حقيقة وجود جسد الأثيري للإنسان ، يتبين له أن ناموس التطور والارتقاء ، من طريق الانتخاب الطبيعي ، يصبح غير مفهوم بغير وجود هذا الجسد الأثيري المتطور الذي يحمل العقل . فالنظور يبدأ في العقل أولاً ، ثم يفرضه العقل على الجسد الأثيري ، ثم يفرضه هذا الأخير على الجسد المادى على الأمد البعيد خلال مصاحبتهم الأرضية اللازمة بحكم الصلة المحتومة بين العقل والمادة ، وقد تبين أنه ليس هناك من كيان متصور لأحدهما بدون الآخر .

(١) من « الكتاب الذهبي للخلود » (١٩٥٤) .

The Golden Book Of Immortality. Compiled by:
Thomas Curtis Clark and Hazel Davis. Clark:

فالعقل لا يستغنى عن المادة بحكم حاجته لإظهار نفسه ، والمادة لا تستغنى عن العقل للحفاظ عليها في أضعف الفروض ولخلقها في أقواها . والعقل ينمو عن طريق صلته بالمادة ، لأنها تقاومه وتؤثر فيه فتؤله وتدعوه إلى العمل الدائب في سبيل التغلب على عقباتها . ثم إنها تفرض عليه بقاء محتوماً في عالم شقي - كأشد ما يكون العقاء - محكوم بنواميس المادة، وهي شديدة الوطأة على الروح . بما يدفع العقل إلى النمو التدريجي البطيء عن طريق الألم الذي يرضه عليه الالتصاق بالمادة الصلبة والخضوع لنواميس عالمها الأرضي .

كما ينمو العقل من التأمل في حقائق هذا العالم المادي . ومن الخبرة التي يحصل عليها تدريجياً بسبب صلاته المحتمومة بعقول الآخرين، والمحكومة أيضاً بمطالب الجسد المادي الملازم له إلى حين . وذلك قبل أن ينطلق إلى عالم من مادة رقيقة (أثيرية) تخضع لتأثيره المباشر ولا يخضع هو لها فلا يعود يتألم بها . ولا ينشئ من الصلات إلا ما يلتم مع احتياجاته العقلية دون البدنية .

فكان مادة الجسم الحيواني تتطور عن طريق صلتها بالعقل في تطوره البطيء عندما يحدث تأثيره فيها تدريجياً على مر الحقب والأجيال ، لأن العقل هو الذي يوجه في النهاية المادة الحيوانية التي تعطيها جسماً وشكلاً خارجياً، مهما بدا محكوماً بها بسبب شديد وطأتها عليه ، ولذا كانت عملية التطور بطيئة غاية البطء . ومن هنا جاء ناموس التطور - عن طريق الانتخاب الطبيعي - واضحاً مفهوماً عن طريق التسليم بالعقل وبالجسد الأثيري وبالخلود ، غامضاً غير مفهوم عن غير هذا الطريق .

ولذا لم يقف فهم التطور لدى الفرد راسل والاس عند حد التسليم بوجود عوامل روحانية وراء تطور الحياة على هذا الكوكب الضئيل ، بل راجح يؤكد أيضاً اقتناعه الصريح بوجود الملائكة - هذا الاقتناع الذي كان يبدو أمام علماء القرن التاسع عشر في أوروبا مبعثاً للسخرية - غير

عابىء بسخريتهم ، بل راح هذا العالم الفيلسوف الذى يوضع على قدم المساواة



مع داروين فى إرساء أسس نظرية التطور بمفهومها الحديث ، يؤكد أن للملائكة دورهم فى النشاط الكونى ، بل وفى تفسير سير مجلة الحياة فى العالم ... وأن مجموع العالم عبارة عن مظهر للقوة العظمى التى تبعث فى الكون الحياة ، وربما لا تبعثها رأساً ، بل عن طريق توسط سفراء لهذه القوة ، وهم الملائكة الذين يعمل كل منهم

بموجب درجة ذكائه وقدرته ... فلا يمكن أن توجد هوة لانهاية لها بين الإنسان وبين الروح العظمى للعالم ، إن افتراضاً كهذا يبدو غير راجح إلى أقصى الدرجات .

وفى هذا الشأن يقول أيضاً الأستاذ روبرت بروم R. Broom عضو الجمعية الملكية (المجمع العلمى البريطانى) وهو من علماء البيولوجيا المعاصرين إن بحوثه الخاصة فى البيولوجيا خلال الخمسين السنة الأخيرة لم تقنعه فحسب أن الصور الحديثة للحياة نجمت عن التطور ، بل أيضاً أن التطور لم يأت عفواً ، لكنه تم بقيادة مصمم روحى أو مصممين عديدين ، وقد وصلت إلى ذلك بالبيئة التى أرضتني . وإن داروين رغم المنكاة الكبرى التى سيحتلها دائماً فى تاريخ الحيوان والنبات ، إلا أن نظريته فى الانتخاب الطبيعى تبدو فى تقديرى أبداً ما تكون عن الإرضاء ، بل حتى ألفريد راسل والاس وهو الذى أعلنها مع داروين فى سنة ١٨٥٨ قد عدل عنها فيما بعد . أما أن التطور قد حدث فعلاً فذلك أمر مؤكد ، لكن لا توجد لدينا حتى الآن نظرية مرضية تماماً لتعليه . ونظرية لامارك Lamarck

التي تتضمن الاعتراف بعنصر روحي في التطور أقرب إلى الصديق من نظرية داروين ، لكنها ليست مع ذلك مرضية تماماً على النحو الذي خلفها لنا فيه لامارك . ثم يعنيف بروم قائلاً إن ألفرد راسل والاس انتهى في أواخر أيامه إلى تعليل مذهبه في التطور بإيمانه بعدة عوامل روحانية لا تسمو إلى القدرة الكاملة ولا إلى الحكمة الكاملة .

وأمران يبدو أنهما محققان : أحدهما التطور الذي افضى إلى خلق الإنسان من تدبير قدرة روحانية عظيمة . والآخر أن هذا التدبير تتولاه عوامل ثانوية تخطيء في إنجازها ، ولكن الغاية المطلوبة تتحقق في النهاية على الرغم من هذه الأخطاء . إن ملاممة الحيوانات لبيئتها ترجع فيما يبدو إلى عنصر روحي غير واع في الحيوانات . وإن عدداً من علماء الحيوان يعتقد بوجود قوة روحية تقود التطور نحو غاية محددة ، ومنهم روبرت تشامبرز Robert Chambers الذي يبدو أن عنده فكرة واضحة تماماً فيما يبدو أنه الحقيقة ، وكذلك برجسون الذي يبدو أنه قد تأثر ببيانات كثيرة عن وجود قوة موجهة خلف التطور^(١) .

ثم يعنيف بروم ، وكان راسل والاس في شيخوخته يعتقد أن الكون المادى هو مظهر للكون الروحاني ، وأن في الكون الروحاني أنماطاً من العوامل الفعالة من القوى العليا إلى الأرواح الكامنة في الخلايا الحية . وربما تعذر إثبات هذه التقديرات بالبرهان القاطع ، ولكنها فيما نراه أصلح لتوضيح الوقائع من أى تقدير يأخذ به الماديون . وإن آراء تيندال Tyndall لا تستحق في هذه الأيام أى اعتبار جدى .

كما أن نظريات داروين وهكسلى ، بل وحتى نظرية داروين المعدلة تبدو بسهولة غير كافية على الإطلاق . بل إن ميفارت Mivart منذ سنوات كثيرة ماضية لم يتردد في أن يصف نظرية داروين بأنها فرض صيغى ، وينبغى أن أدرج نفسى بين أولئك الذين ينظرون إلى نظرية داروين (عن مادية

(١) راجع ما سبق في هذا الشأن في ص ٥١٨ — ٥٢٢ .

التطور) بوصفها نظرية غير مرضية على الإطلاق في أية صورة كانت . .
ثم يقول بروم : « ومتى سوغ الباحث لنفسه أن يقتنع بصدور التطور
عن قوة أو قوى توجهه إلى خلق الإنسان — فمن النتائج التي تنساق إليه مع
هذا الاقتناع طواعية أن ظهور كائنات كبيرة الدماغ تسير على قدمين لا يعقل
أن يكون هو غاية القصد من تمهيد ملايين السنين ، وأحرى أن يكون القصد
من هذا التدبير إنشاء كائنات روحية تبقى بعد موت الجسد . وبالتالي ينبغي
أن ينظر إلى جميع الناس بوصفهم إخوة ... »

وهناك نتيجة هامة تبدو مترتبة على دراسة التطور، وهي أن القوى التي
طورت الإنسان يبدو منها أنها ذات خبرة ، وأنها قادت فيما مضى — وفيما
يبدو كنتيجة محتومة — خطى التطور في أكوان أخرى ، وأن هناك
كائنات لا تخالف الإنسان ينبغي أن تسكن فيما يبدو آلافاً ، وربما ملايين
من الأكوان الأخرى . إن العلم يقود إلى نتائج لا تخالف تلك التي تتجم
عما وصل إليه بالإلهام والكشف المغفلون والدينون الكبار هذه هي
شهادة بروم عالم البيولوجيا المعروف نعرضها على القارئ بوصفها تمثل
وجهة نظر عالم حديث في البيولوجيا، كما يتبين لآى مدى بلغ التطور في فهم
نظرية التطور، وما كان لنظرية التطور أن تصاب بدورها بالجلود والتوقف !!

المبحث الثالث

موقف بعض علماء النفس وما وراء النفس

ما ذكرناه في المبحث السابق عن موقف بعض علماء المادة من ناحية اقتناعهم
بالتطابق التام بين علومهم وبين كشف علم الروح الحديث يصدق
أيضا على موقف لقيف من علماء النفس وما وراء النفس والروح ممن قبضوا

(١) راجع ص ٢٩ — ٣١ من مجموعة « الروح المصرية » ص ٢٩ نحو فلسفة الإيمان » المأذونة
ل سنة ١٩٥١ .

شطراً كبيراً من حياتهم ، باحثين مدققين في موضوع هذه الظواهر الواسطية بغير ارتباط سابق بأية وجهة نظر في شأن مدى صحتها ومدى دلالتها . فبحوث الباراسيكولوجي - ومثلها تماماً بحوث ما وراء الروح - لها طابع مميز عن بحوث الروحية الصرفة Spiritisme وهو أنها لا تتخذ لها نقطة بداية أساسها التسليم بحياة الإنسان بعد الموت . بل إنها أقرب إلى أن تبدأ منكرة هذا التسليم وتنتهي بعدئذ حيثما تقودها نتائج بحوثها . فإذا كانت قد انتهت إلى التسليم بحياة الإنسان بعد الموت وبإسناد عدد من الظواهر الروحية المختلفة إلى أرواح من نسميهم بالموقي كان ذلك أقوى في الدلالة على صحة هذا الموضوع من أي بحث آخر لا يتحفظ مثل هذا التحفظ الهام ، فيبدأ حيث كان ينبغي أن ينتهي .

وقد عبر عن هذا المعنى الدكتور جوستاف جيلي G. Geley^(١) مدير المعهد الدولي لما وراء الروح ، بباريس في خطبة له في مؤتمر دولي للبحوث الروحية عقد بمدينة كوبنهاجن في سنة ١٩٢١^(٢) عندما قال : إن المبدأ الثالث للفلسفة وراء الروحية هو مبدأ تحفظ وحذر يجعلنا نحتاط من النظريات المدرسية ومن أنظمة العلوم الخفية Occultisme ومن الشيو صوفية ومن الاسبرتزم . فلا يوجد في أساس علمنا نظريات مقررة أو مفروضة صحتها مقدماً . فإنه إذا كانت حياة الإنسان بعد فناء أعضائه المادية ومصيره هناك من مشكلات ما وراء الروحية ، إلا أن هذه المشكلات الخطيرة لن نحل بحسب ما يبدو لنا إلا في نهاية المطاف ...

إلى أن يقول : إن الإثبات المباشر لحياة الكائنات بعد الموت - إذا كان ممكناً - لن يكون هو أساس البنيان وراء الروحي ، ولكن تنويعاً له .

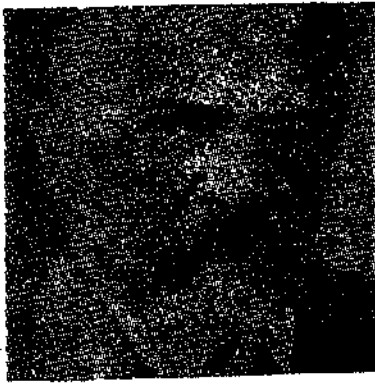
(١) راجع ما سبق عنه في الجزء الأول من ٢٧٩ - ٢٨٩ .

(٢) Congrès de Recherches Psychiques

وما يصدق على مادة ما وراء الروح يصدق على مادة الباراسيكولوجى أيضاً لأن أساسها ليس هو محاولة الاتصال بأرواح الموتى، بل فقط دراسة الظواهر الواسطية غير المألوفة والخروج منها بدلالاتها المحتملة فما العمل إذا كان العدد الأكبر من علماء المادتين قد انتهى بعد سنين طويلة من البحث إلى تعليل عدد من هذه الظواهر بثبوت حياة الإنسان بعد الموت ، وإسنادها صراحة إلى أرواح الموتى ؟

ولأدع الحديث في هذا الشأن لهانز دريش H. Driesch (١٨٦٧ - ١٩٤١) أستاذ الفلسفة والسيكولوجيا بجامعة هيدلبرج وكولونيا وليبنزج - وأحد علماء النفس المعدودين ورئيس « جمعية البحث الروحى » بلندن في وقت ما - وهو يصرح بأن « بعض

الظواهر ما وراء الروحية الاستثنائية يمكن تفسيره بسهولة - في الوضع الراهن لمعارفنا - بتداخل روح إنسان يواصل حياته بعد الموت أكثر مما يمكن تفسيره بملكات غير عادية لبعض الأحياء » (١).



وكل ذلك كتب وقيل منذ أكثر من أربعين عاماً ، فما بالك بما يكتب

هانز دريش

اليوم ويقال على لسان غيرهم مثل الأستاذ ج. ب. راين B. Rhine رئيس قسم الباراسيكولوجى بجامعة ديوك بأمريكا ومدير معاملها، وقد أخذ يحاضر

(١) راجع مؤلف « الحقيقة الروحية ، مصدر سعادة » La verité Spirite Source De Bonheur للأستاذ جوزيف ميرا Joseph Mira باريس ١٩٥٣ . ولهانز دريش مؤلف معروف عنوانه Para Psychology ظهرت طبعته الثالثة في زيورخ بسويسرا في سنة ١٩٥٢ .

في ثبوت استمرار الحياة بعد الموت والاتصال بأرواح الموتى في أحسن معاهد أمريكا واتجلترا معاً ١٩١٩.

* * *

ومثلهم تشارلس برووس Charles Dunbar Broad (ولد في سنة ١٨٨٧) — وهو أكبر فيلسوف بريطاني معاصر — وأستاذ فلسفة الأخلاق Moral Philosophy بجامعة كمبريدج Cambridge منذ سنة ١٩٣٣ حتى الآن — عند ما وضع كتابه عن العقل ومكانه في الطبيعة ، وفيه نادى بصحة الظواهر الواسطية وبدلائلها في الإنباء عن الحياة بعد الموت ، وسيطرة الأرواح على جسوم الوسطاء ، مبيناً كيف أن العامل الروحي Psychic Factor للإنسان الميت يستحوذ مؤقتاً على جسد الوسيط فينبعث منه عقل كما كانت الحال من قبل ، وهذا العقل ليس هو عقل الوسيط طالما كان هو العامل الروحي للإنسان الميت . وهذا العقل يظل فعالاً طيلة مدة الجلسة ، أو إلى الوقت الذي يفيق فيه الوسيط من غيبوبته فتعود روحه الخاصة من جديد للسيطرة على جسده ، وتواصل وجودها بعد انقطاعه (٢).

وقد خطب برووس في المعهد الملكي للفلسفة ، بلندن في شهر مايو من سنة ١٩٤٩ قائلاً إن هناك بعض ظواهر روحية لا يمكن أن تفسرها الفلسفة ، وضرب عدة أمثلة من بينها : أننا حين نفحص حالات التواصل خلال وسطاء الغيبوبة نجد أشياء كثيرة جداً غير عادية . ومن هذه الأشياء تلك الحالات التي تشير إلى أنه قد يكون المتحدث بلسان الوسيط الواقع في الغيبوبة شخص ميت عاد بعد موته كما يتحدث ، .

(١) راجع ما سبق منق في الجزء الأول من ١٧٥ إلى ١٨٢ ، ٤٦٧ ، ٤٧٠ .

(٢) The Mind And Its Place In Nature. 1925

راجع بوجه خاص الفصل السادس من ١٦٩ — ١٧١ والثاني عشر من ٥٣٥ — ٥٥٠ .
وراجع أيضاً الدليل إلى الفكر الحديث Guide To Modern Thought . للسترجود .
G. E. M. Joad طبعه ٢ من ٢٢٢ — ٢٢٤ .

ثم شبه روض الوسطاء - إلى حد ما - بالحجر المغناطيسي ، فوجود
مجال المغناطيسية الأرضية لم يدركه أحد حتى
أثبت الحجر المغناطيسي وجوده ، والوسطاء
كذلك قد يكونون مدركين لمجالات تحيط بنا
ولكننا لا نذكرها .



بروض

كما وجه الأنظار إلى النظرية القائلة بأن
وظيفة المخ والمجموع العصبي تعمل على حمايتنا
بإبعاد المعلومات غير اللازمة وترك ما يكرن
ذا فائدة ، ويرى أن توسيع هذه النظرية في
النواحي الروحية قد يفسح أمامنا مجالا كبيرا للبحث ...

ثم انظره وهو يقدم كتاباً حديثاً عنوانه « بحمة على بحر السواد »^(١)
تلقت - بالجلد السمي - وسيطة روحية معاصرة وهي السيدة برتا هاريس
Bertha Harris ونشرته في شهر يونية من سنة ١٩٦٥ قائلا « إن هذه
المخطوطات خضعت للفحص بمعرفتي وبمعرفة أعضاء كبار من جمعية البحث
الروحي^(٢) . ومنذ هذا الوقت قرأت الأدلة ووجدتها ذات قيمة عظيمة ،
ولاني مقتنع بأن هذه المخطوطات تمثل إضافة هامة جداً للكتلة الضخمة من
المواد التي من هذا القبيل ، والتي تشير من أول وهلة وبدرجة قوية إلى أن هناك
كائنات إنسانية معينة عاشت بعد موت أجسادها الفيزيكية ، وأمكنها أن
تتصل بأشخاص آخرين معينين ممن لا يزالون في أجسادهم . »

ومثل هذه الشهادة الضخمة لا تعطى في يسر ولا بسهولة ، من فيلسوف معاصر

Swan On A Black Sea.

(١)

(٢) راجع ما سبق عنها في الجزء الأول من ١٩٦ وما بعدها .

صاحب عدة مؤلفات عميقة في العقل والفلسفة والأخلاق^(١) ، بل سبقها
فحص وتحقيق طويلين بمعرفته بالاشتراك — كما قال — مع أعضاء كبار من
« جمعية البحث الروحي » ، بلندن التي انتخب رئيساً لها لمدة أربع سنوات
من ١٩٣٢ إلى ١٩٣٦ ولا يزال عضواً فيها حتى الآن ، والتي تضم صفوة من
علماء النفس والمادة من عدة دول ... فهل تعادل هذه الشهادة الخطيرة في
كل حرف منها — وأمثالها كثير الآن — ما نقرأه أحياناً من مرتجل
القول من هذا الكاتب أو ذاك ؟ ...

ومثل ذلك يمكن أن يقال عن موقف الفسيولوجي المعروف شارل ريشيه
Ch. Richet هذا العالم الذي وصفه الأستاذ رينيه سيدر René Sudre
بأنه الرائد الفرنسي العظيم الذي رد إلى علم الغيب التجريبي اعتباره ، فقد
أجرى تجاربه في الظواهر الوسائطية تحت وصف علم « ما وراء الروح » ،
Métapsychique حتى لا يرتبط بالتسليم أيضاً بوجود عالم غير منظور ،
وظل يواصل تجاربه هذه لعشرات من السنين — ثم اختتمها بمؤلف
عنوانه « دلائل عامة من البحث الروحي »^(٢) — وذلك رغم تدفق الظواهر
والبيانات التي سجلها إلى أدق تفاصيلها في مؤلفاته ، دون أن يقيد نفسه بتعليل
صريح إلا في ختام حياته ... لماذا ؟

لأنه أراد أولاً أن يذلل العقبات النظرية التي أثارها في ذهنه معلوماته
الواسعة في الفسيولوجيا ، أي في علم وظائف الأعضاء ، وهو وثيق صلة
بالظواهر الوسائطية ، خصوصاً منها ذلك النوع المسمى بالظواهر الفيزيائية ،
مثل انبعاث مادة الاكتوبلازم في صور كثيرة أثناء الغيبوبة الوسائطية ،
مع اتخاذها أشكالاً مختلفة وإحداثها تحركات شتى ثم عودتها إلى جسم الوسيط
أو الوسيطة بوسائل يكاد يحفلها حتى الآن العلم المادى .

Perception, Physics And Reality (1914).

(١) من مؤلفاته :

Five Types Of Ethical Theory (1930).

Ethics And The History Of Philosophy (1952).

Taente Anneés De Recherches Psychiques.

(٢)

(م ٣٦ — الإنسان روح : ٢٦)

فلما ذلل ريشيه هذه العقبات ومعها عقبات أخرى مستمدة من علم النفس ، وكان أيضاً من المبرزين فيه ، وجد أن التعليل الروحي هو التعليل الوحيد الذى يفسر هذه الظواهر مجتمعة على ما أعلنه وتقيده أمام ضميره ، وأمام العالم العلمى بعد بحوثه الشاقة الطويلة . وبعبارة أخرى أن ريشيه لم يقتنع روحياً إلا بعد أن اقتنع « فسيولوجياً وسيكولوجياً ، أولاً . ولو تعذر عنده الاقتناع الأول لتعذر بالتبعية الاقتناع الثانى ، لأن هؤلاء العلماء لا يعترفون بحقيقة أخرى صحيحة - من الناحية العقلية بالآقل - إلا تلك التى تجيء من ناحية الاقتناع العلمى الذى هو فى تقديرهم أقوى صور الاقتناع وأجدرها بالبحث عنه ^(١) .

فلم يكن اقتناع ريشيه إذاً سطحياً ولا متسرعاً ، بل كان اقتناعاً هادئاً متروى فيه ، وقد تحمل بشجاعة العالم المدقق مسئوليته عندما قدم بتاريخ ١٣ فبراير سنة ١٩٢٢ مؤلفه « فيما ما وراء الروح » ^(٢) ، فى صورة تقرير إلى أكاديمية العلوم بباريس ، التى كان من أبرز أعضائها .

ويصدق هذا القول حتى على اقتناعه بصحة الظواهر الواسطية الموضوعية التى لاحظ أنها تتعرض أكثر من غيرها للهجوم ، وتقتضى عناء أكثر من غيرها فى تحقيقها والدفاع عنها لأنها نادرة جداً ، وفى الغالب غير مستقرة inconstants ، أى غير خاضعة فى حدوثها لإرادة إنسان ما ، وقد تتأثر برواسب فيزيولوجية أو خلقية عند الوسيط أو الوسيطة .

بل يذهب ريشيه متسائلاً : « ألا توجد درجات فى اليقين ؟ فثلاً إننى متأكد من أن الأيدروجين يمكن أن يتحد بالأكسجين ، كما أننى متأكد أنه لا يوجد تكاثر ذاتى Generation Spontanée ^(٣) . هذان يقينان ، ولكن أولهما أقوى

(١) راجع ما سبق من ريشيه فى الجزء الأول من ٣١٠ - ٣٥٧ .

(٢) Traité De La Métapsychique .

(٣) أى من غير طريق التوالد ، وبعبارة أخرى أن الكائنات لا يمكن أى توجود نفسها بنفسها .

من ثانيهما ، وبنفس الطريقة أنا متيقن من أن الظواهر الموضوعية والوراء
الروحية صحيحة^(١) ، ولكنى أكثر تيقناً من صحة الظواهر الشخصية
الوراء الروحية^(٢) . ثم عاد فى مؤلفه دثلاثون عاماً من البحث الروحى ،
لتسجيل ظواهر موضوعية تيقن منها بكل أساليب التحقيق الصارم .

* * *

وهكذا أصبحت مادتا الباراسيكولوجى وما وراء الروح هما الوسيلة
المعملية المعترف بها علمياً للبحث فى الروح ، وفيما يتصل بخصائصها وملكاتهما
واستقلالها عن الجسد المادى ، و «احتمال» بقاءها بعد موت هذا الجسد .
فبحوثهما بدأت غير متقيدة بأى قيد ، لكنها انتهت - عند ظالبيه
الباحثين الكبار - بأن أثبتت هذا البقاء . وفى ذلك وحده من الضمان العلمى
وبواعث الاطمئنان ما فيه .

كما انتهت - عند إجماعهم - إلى نبذ المدارس السيكلوجية المادية التى
مقتضئها إنكار كل قوة خارج المخ والحواس الفيزيائية نبذاً تاماً ، ومثلها
بالتالى الإصرار على أن فناء المخ يودى بالتالى إلى فناء العقل . فإن من لم
يقتنع حتى الآن اقتناعاً تاماً من علماء الباراسيكولوجى ببقاء الحياة بعد
موت الجسد يقف بالأقل موقفاً محايداً تماماً - لا إثبات فيه ولا إنكار -
من هذا الموضوع الخطير ، وهو موقف علمى لا تثريب فيه ، لأن من
الأصول العلمية عدم سهولة الاقتناع .

لكنه على أية حال لا يمس فى شئ قيمة النتائج الإيجابية العديدة التى
وصل إليها بحاث الروح ، بل إن هذا الموقف المحايد يعتبر مكملًا لهذه

(١) ومنها تحريك الأجسام الصلبة بدون وسيلة مادية La Télékinésie وظواهر
الاكتوبلازم والتجسيدات .

(٢) ومنها التلباثنى (أى قراءة الفكر) والسيكومتري Cryptesthesie والإدراك
من غير طريق الحواس Perception extra sensorielle وهو الذى عالجته فى مؤلفه
من حاشتنا السادسة Notre Sixième Sens .

البحوث الأخيرة، وخطوة للأمام لا بد منها في طريق التسليم بها عند من يقارن بين هذا الموقف الحال والموقف الذى كان يميز علم النفس في القرن الماضى، عندما كانت مدارس السائدة تقف موقفاً عدائياً صريحاً من علم الروح ومن نتائجه لإيجابية .

فلم النفس الآن لا يقف هذا الموقف العدائى ، بل يقف موقف التسليم الصريح ، أو الحياد الصريح . وهذه ظاهرة من التحول الواضح ينبغى أن نسجلها هنا لمصلحة علم الروح ، ومع مراعاة أن حصول الاتصال بالارواح في بيانات علمية تحت وصف الباراسيكولوجى أو ما وراء الروح لا ينفى إمكان حصوله في غيرها ، إذ أن دور البحوث العلمية في هذا الشأن ليس هو إحداث هذه الظواهر الواسطية بأساليب مادية ، أو بأجهزة خاصة ، بل إن دوره هو مجرد إخضاع هذه الظواهر للتحقيق العلمى متى حدثت للثبوت منها ، ولتنفى شبهة التدليس فيها ، ثم لما هو أخطر من ذلك كله وهو الخروج منها بدلالاتها العلمية المحتومة .

ومن ثم يظهر بجلاء صحة ما سبق أن أشرنا إليه من أن نتائج البحوث الروحية قد أصبحت حقائق علمية مترابطة فيما بينها ، وفي نفس الوقت مرتبطة بحقائق الفلسفة ، بل أيضاً بحقائق العلوم الأخرى وثيق ارتباط . تستوى في ذلك حقائق علمى النفس والأخلاق مع حقائق الفيزياء والرياضة . فالمنطق العلمى يأبى التفكك ومقدماته تدل حتماً على نتائجها ، وفي ذلك تتمثل كل قوة العلم المعصرى ، وكل ثقة الناس في علوم العلماء وكشفهم ، وكل النتائج الضخمة التى تكشف عنها ، وما تزال تتكشف كل يوم .

وهكذا يبين أيضاً بوضوح كيف أن اقتناع هؤلاء العلماء الكبار الذين جعلنا عرض موقفهم من العلم الروحى الحديث — ومدى اتصالهم به — هو جوهر الحقيقة التى يقوم عليها المؤلف الحال لم يكن يمثل عقيدة لديهم موروثة ، بل كان بحثاً علمياً صرفاً ، ولم يكن أمراً هيئياً ولا بنياناً سطحيّاً

مؤسساً على دراسة محض ظواهر وساطية مهما كان وضوحها وتدققها .

بل كان اقتناعهم علياً مترابطاً كأقوى ما يكون الاقتناع قوة ومبعثاً للثقة في مقدماته ونتائجها على السواء ، وبغير ما حاجة إلى الدخول في تفاصيل هذا الاقتناع وجزئياته مهما اختلف الرأي فيها أو اتفق ، ما دمنا لا زلنا في مرحلة التقديم لهذا البحث الناشئ ، وفي معرض إثبات أنه أصبح بمثل علماء حقيقياً له كل خصائص العلوم الأخرى التي اعتاد عليها عقل الإنسان ، بدلالة هذا الدور الضخم الذي قام به فيه بعض أساطين العلوم الأخرى متبعين فيه نفس الأسلوب العلمي الناقد الذي اتبعوه في غيره ، والذي لا يمت بأية صلة إلى أسلوب الاعتقاد الصرف أو التقليد .

وبحوثهم نفسها تقطع بذلك . وقد أشرنا إلى ما ذكره برجسون عدة مرات من أنه يستند إلى تجارب واقعية ، ومثله وليام جيمس ، وباقي العلماء والفلاسفة الروحيين المعاصرين . كما أكد أوليفر لودج - في محاضرة له ترجع إلى سنة ١٩٣٤ - ذلك عندما قال : إنني لم أصل إلى معتقدي في صحة هذا الأمر عن طريق التأثير الديني ، وإنما بنيت اعتقادي فيه على نتائج التجارب العلمية التي قت بها في مجال العلم الواسع المدارك . هذا العلم الذي ينبغي عليه كما أعتقد أن يلتفت إلى هذه الظواهر ، فلا يقصر أمره على ظواهر المادة كما حمله على ذلك علماء القرن التاسع عشر ، بل ورجال العلم منذ نيوتن ، .

ومغزى هذا القول يظهر أكثر وضوحاً إذا ما لاحظنا كيف أن تمحيص هذه الظواهر الوساطية ، بكل عناية وأناة ، لم يكن هو كل نشاط هؤلاء العلماء الكبار فيه ، بل كان أول نشاط لهم لحسب . ذلك أنهم أرادوا في مبدأ الأمر أن يحصلوا على قدر من المعرفة الحسية التي من شأنها كما يقول الفيلسوف ويلهلم ليبنتز Leibnitz (١٦٤٦ - ١٧٢٦) أن تؤدي إلى اليقين أسوة بالمعرفة البرهانية والحدسية لكن بشرط الارتباط بين الظواهر ، ذلك الارتباط الذي يضفي على هذه المعرفة يقيناً مستمداً من يقين المعرفة العقلية .

ولما حصل هؤلاء العلماء على يقين المعرفة العقلية كان عليهم أن ينتقلوا إلى مرحلة أشد مشقة وخطورة ، وهي مرحلة الوصول إلى الارتباط بين الظواهر عن طريق تحليل يرضى منطق علومهم المادية لإرضاء تاماً ، ويصمد لأسلوب النقد العلمى . وهذه المرحلة الثانية هي التي اقتضت منهم التآنى في إعلان صحة الظواهر الروحية لمدة سنين طوال قبل أن يغامروا بإعلانها .

وهذه السنون امتدت عندهم إلى عشرات منها ، فوصلت عند بعضهم إلى ثلاثين أو أربعين أو خمسين عاماً قبل إعلان رأيهم حاسماً في هذا الشأن ، كما وضع من نفس تصريحاتهم في مؤلفاتهم التي أشرنا إليها آنفاً ، وذلك لعدة اعتبارات منها : أولاً : لأنهم بدأوا منكرين هذه الظواهر كما قلنا ، وثانياً : لأنهم أدركوا تماماً مدى خطورة دلالاتها بوصفها حقائق علمية ثابتة على دوام الحياة بعد موت الجسد المادى ، وثالثاً : لأنهم كانوا يعلمون أن هذا الإعلان معناه المحتوم أنهم سير بطون أسماءهم وتاريخهم بهذا الموضوع الروحى الخطير - كحقيقة وضعية مقررة - فى عصر مادى صرف ، وأنهم بذلك إنما يعلنون وثائق بالغة الأهمية عن أفول عصر وشروق آخر جديد على جمهور من العلماء وغير العلماء سيحاسبهم عسير حساب على أساس هذا الإعلان الخطير ونتائجه المحتومة .

وسيشعلها هذا الجمهور من العلماء وغيرهم ناراً حامية هيبات أن تنطق ، وقودها جميع الأساليب العلمية وغير العلمية . وجميع الوسائل الخلقية وغير الخلقية ، كما كان الشأن دائماً فى كل كشف جديد مهما كانت ضلالة قدره . فما بالك بكشف يقلب رأساً على عقب أخطر نظريات الماضى ، ومعها آراء فجأة لا تحصى تقوم عليها ، وذلك بعد أن تمكنت مع الوقت من عقول العلماء وأقنعتهم ، حتى أن زحزحتها أصبحت تتطلب جهوداً عسيرة قد تمتد إلى عشرات من السنين المقبلة ، كما تستقر لهذا العصر الروحى دعائمه النهائية فى حقائق العلم الحديث وفى وجدان المجتمع .

الفصل الثاني

دور العلم الروحي الحديث في توضيح الاعتقاد

أشرنا فيما سبق إلى أن العلم الروحي الحديث قام في توضيح الاعتقاد بدور لا يضارعه فيه أى علم آخر من علوم المادة ، وذلك أمر طبيعي لأن صلة كافة العقائد بالروح أو ثبوت من صلتها بالمادة . وبقي الآن أن نبين كيف قام علم الروح بهذا الدور ، وفي أى نطاق وإلى أى مدى .

ويتعين ابتداءً أن نبين أن ما يصدق على موقف عدد من رجال العلم المادى عندما أمكنهم أن يربطوا بين علومهم ونظرياتهم وبين حقائق الروحية الحديثة ، هو بعينه — من الناحية الفلسفية — موقف بعض كبار رجال العقيدة عندما أمكنهم — هم أيضاً — أن يربطوا بين فهمهم للعقيدة وبين هذه الحقائق . ويصدق ذلك مثلاً على الشيخ طنطاوى جوهري والعلامة محمد فريد وجدى وغيرهما في بلادنا ، كما يصدق على الأسقفين ستانتون موزس وشارل تويديل وغيرهما في الخارج ، ممن أقبلوا على بحث أمر هذه الحقائق الروحية الحديثة والدفاع عن نتائجها .

فلولا اقتناعهم التام بأن هذه الحقائق متفقة مع جوهر فهمهم للاعتقاد ، بل لولا يقينهم بأنها مكملة للاعتقاد ومفسرة له ، لما كان من الممكن أن يتحول أيهم إلى باحث فيها وأن ينصب نفسه مدافعاً عن نتائجها متجملًا الكثير من العناء ، ومن تهجم الأدعياء الذين تعودوا أن يتهموا كل صاحب أفق واسع أو رأى متطور أول ما يتهمونه في صحة عقيدته ، إن لم يكن في صحيح إدراكه للأمور .

وذلك يصدق أيضاً على عدد من رجال العقيدة ممن أفتوا فتاوى صريحة

وواضحة إلى جانب صحة علم الروح الحديث واتفاقه مع العقيدة، ومنهم بوجه خاص الشيوخ الأجلاء الأساتذة محمد حسنين مخلوف (مفتى الديار المصرية) ومحمود شلتوت (شيخ الجامع الأزهر) ومحمد نجيت (مفتى الديار المصرية) ومحمد أبو زهرة (أستاذ الشريعة ووكيل كلية الحقوق).

بل فليتأمل القارئ فيما كتبه الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي وهو يقدم كتاب «حياة محمد» للرحوم الدكتور محمد حسين هيكل قائلاً في تقديمه: «وعلم استحضار الأرواح فسر للناس شيئاً كثيراً مما كانوا فيه يختلفون. وأعان على فهم تجرد الروح وإمكان انفصالها، وفهم ما تستطيعه من السرعة في طي الأبعاد...»، فهل تصدر جزافاً مثل هذه الشهادة الخطيرة في مثل هذا المقام الخطير من عالم جليل وشيخ الأزهر، مالم يكن قد اطلع في هذا العلم الاطلاع الكافي الذي أقنعه بصحة بجوئه واتفاق نتائجها مع فهمه للعقيدة، حتى وجد أن هذه البحوث على حد تعبيره «تفسر للناس شيئاً كثيراً مما كانوا فيه يختلفون»؟... (١)

فكان المعارض المتسرع لهذا العلم باسم الاعتقاد يتحدى الآن بحوث الباحثين من فلاسفة وعلماء كبار في كل مكان ومعها — فضلاً عن المنطق السليم — هذه الفتاوى الصريحة الحاسمة لعدد من أبرز رجال الدين بمن يملكون بغير ما ريب صفة الإفتاء الديني الصحيح فيه، منتحلاً — في نفس الوقت — سلطة هذا الإفتاء التي لا يملك منها شيئاً البتة.

بل إنه يتحدى — بالإضافة إلى ما تقدم — آراء الفلاسفة والأئمة السكبار من أمثال الرازي وابن القيم الجوزية والغزالي والفارابي وابن سينا وابن رشد وابن خفيل وابن باجة وقد تحدثوا جميعهم عن خلود الأرواح،

(١) راجع ما سبق في الجزء الأول من ٢٩٩ — ٣٠٨، وراجع في هذا الشأن مؤلفين حديثين صدرين في سنة ١٩٦٥، أحدهما للأستاذ عبد الرزاق نوفل عنوانه «الحياة الأخرى» والآخر للأستاذ مصطفى السكيك عنوانه «بين عالمين: عالم المادة وعالم الروح»، وقد عرضا فيه عرضاً موثقاً عدة جوابات من علم الروح الحديث من وجهة النظر الدينية.

كما تحدث عدد منهم عن الصلات القائمة بين أرواح الأموات وأرواح الأحياء وتلاقيها وتزاورها كحقيقة واقعة. أى أنهم بحثوا في موضوع الروح بأساليب عصرهم ووصلوا فيه إلى نتائج معينة عن طريق التفاسير والفلسفة، فلم يقل واحد منهم إن بحث هذه الصلات أو تحقيقها حرام أو فيه شبهة تحریم^(١). وذلك مع أن هذا البحث والتحقيق هما أصل رسالة العلم الروحي الحديث وجوهره .

فالعلم الروحي الحديث له أصل هام هو بحث هذه الصلات وما يرتبط به بحثها، وما يشير إليه من دلالات، بأسلوب معمل وفلسفي في آن واحد . فهو في جوهره دراسة للروح بمعنى الجسد الأثيري للإنسان لحسب ، لا بمعنى الشعلة القدسية التي هي مصدر الحياة والتي لم يزعم أى عالم أنه عرف حقيقة كنهها ، أو أنه أخضعها لسلطان العلم المادى ، على ما وضحناء بأسانيده في عدة مناسبات^(٢) .

ولم يتغير في الأمر شيء الآن سوى أن العلماء العصريين يستخدمون في تحقيق الظواهر الواسطية وسائل آلية حديثة لم تكن معروفة من قبل ، مثل التحاليل الكيميائية ، وأجهزة التصوير العادية والتي تعمل بالأشعة فوق البنفسجية أو دون الحمراء ، وبعض أجهزة كهربية وعادية للضبط والقياس والكتابة المباشرة ، بالإضافة إلى اتباع الأساليب الإحصائية والرياضية الحديثة لمعرفة ما يصح أن يعزى إلى المصادفة ، وما قد يفلت من قوانينها . وهذه الوسائل الآلية في البحث والتحقيق هي كل الأمر الجديد في الموضوع ، أما أسس البحث فهي نفسها باقية على حالها لم يتغير منها شيء البتة . . . فعلام كل هذا الصخب والعويل باسم الاعتقاد ؟

وما يصدق على المعارض المتسرع باسم الإسلام يصدق — إلى نفس المدى — على المعارض باسم المسيحية ، وقد جاءت أقوال رسلها وآبائها صريحة

(١) راجع ما سبق في الجزء الأول ص ٧٨ — ٨٦ .

(٢) راجع ما سبق في الجزء الأول ص ٩٥ ، ٩٦ ، ٣٠٤ .

وحاسمة أيضاً في هذه المعاني ، وفي الدعوة الحارة المستمرة إلى العناية بالمواهب الروحية وتنميتها على ما يبيناه في موضع سابق (١) .

ولا ريب أن رجال العقائد الذين بحثوا موضوعات العلم الروحي الحديث ، واقتنعوا بصحة نتائجها إنما أدركوا أيضاً أن هذه الحقائق تقيم صلحاً حقيقياً بين العلم والاعتقاد ، كما تقيم الصلح المأمول بين كافة الأجناس والأديان (٢) ... وذلك هو بالذات ما تمقته الجملة والجود ، وما ينبغي أن يقاوماه بكل ما يملك من أساليب العنف والعدوان .

كما أدركوا احتمالاً أنهم عندما يقبلون على ضمايرهم أن تدافع عن نتائج كشفوا اطمننوا إلى صحتها إنما يثبتون بالإضافة إلى ما تقدم - بطريقة عملية - انتفاء التعارض بين العلم والاعتقاد ، فيحفظون للعقل قيمته وللحرية الفكرية - التي منها يستمد الإنسان جل عناصر وجوده وارتقائه - كل جلالها ، ويقدمون للناس حقائق علمية ودينية ضرورية للإنسان إلى أقصى ما يمكن للإدراك المستنير أن يصل إليه . وهي حقائق أحسن في وصفها الإمام الغزالي عندما لاحظ أنه بالرغم من وجود الروح في البدن فإن عليها أن تبحث عن المعرفة المتصلة بالله وعالم الملكوت . فأصلها من هناك ، وإذا أرادت أن تحيا الحياة التي تليق بها ، فإنها لا تستطيع أن تستقر أو يهدأ لها قرار إلا إذا عرفت ذلك الكون التي تلتقي إليه في جوهرها ... (٣)

ثم إنهم قبل كل اعتبار آخرو يقيمون الإيمان المستنير عمده وأسبابه العلمية في نفوس الناس وضمايرهم ، لأنها أكثر اتساقاً مع منطق العلوم المختلفة وكشفها الرائعة التي مهدت السبيل أمام الإنسانية في تطورها السريع للأمام ، فضلاً عن التثامها مع روح العصر ... ومع ضرورة المعرفة بالله

(١) راجع ما سبق في الجزء الأول ص ٦٥ - ٧٧ .

(٢) راجع ما سبق في هذا الجزء ص ٣٩٥ - ٤٢٢ .

(٣) عن كيمياء السعادة وهي مجموعة « الجواهر الفوالى للإمام الغزالي » القاهرة ١٩٣٤ ص ١٦ .

وبمحكم آثاره كما يكشف عنها العلم الحديث رويداً رويداً ، هذه المعرفة التي هي بذاتها عبادة حقيقية لله تعالى .

وفي هذا الشأن يقول الدكتور أحمد زكي : فرق هائل بين أن يعبد الجاهل وأن يعبد العالم ... الجاهل الذي يعبد الله ، وهو لا يدري شيئاً عن الله وعن آثاره وعن محكم آثاره كما يكشف عنها العلم كاد أن يعبد الله كما يعبد الصنم ، لأن اقتناعه بقدرة الله وبعظمة الله في أسلوبه وفي منهجه وفي مقداره كمثل اقتناع عابد الوثن بوثنه . ينشأ عابد الوثن على ما نشأ أبواه . قيل له إنه قدير ، فأمن . وإنه يعطي الشر ويعطي الخير فأمن . وحفظاه ما يدفع به نعمته ويستدر نعمته فراح يتلو صباح مساء كاليغاف . . فهذه عبادة الجاهل . قل فيها ما تقول واعتذر عن أهل الجاهل بما تعتذر فلن يغير هذا من الواقع شيئاً .

وغير هذا عبادة العلماء . إن عبادة العلماء ليست عبادة لفظ لحسب وإنما هي عبادة فكر وعبادة تأمل . فهي عبادة فكر أولاً ثم لفظ ثانياً ، واللفظ أفرغ ما يكون إذا لم يملأه معنى ... ،

إلى أن يقول : . فذلك هو العلم الحديث ، علم هذا الكون بالذي فيه من مواد وقوى وظواهر جارية أو ساكنة لهذه المواد والقوى . وهو إلى اليوم أثبت قاعدة يستقر عليها اعتقاد وإيمان ، ما انفسحت تلك القاعدة للعقائد والإيمان ، وهي رقعة تتسع على مر الأيام ، فهي تنفسح غداً لما لم تكن تنفسح له اليوم . فهذا العلم هو سبيل المعرفة بالله . وهو السبيل الأول والأقوم وهو آخر سبيل يجوز أن ترتفع إليه رتبة . والباحث في العلم إذا استهدف بيعته الكشف ، ولو بعض الكشف ، في بعض جوانب الله فهو أكبر عابد وأكرم قائم وراكع وساجد .

والقارئ للعلم يريد به استكناه حقيقة هذا القائم الأعظم على الكون ، والقائم فيه إنما يعبد الله على أسلوب هو في صنوف العبادات فوق الأساليب ، لأن العقل فيه يتحرك نحو الله عن علم ويمتلىء به قلبه عن معرفة ، ويتمزج

به عقلاً وقلباً ، وجامعهما النور ، والنور لا يكون منه إلا الصفاء ، كما أن الجهالة لا يكون منها إلا العكر ، ومع العكر الظلام ، (١).

تبويب

ودور العلم الروحي الحديث في توضيح رقعة الاعتقاد وتوسيمها وتليتها بوجه عام ، دور خطير ، متعدد الزوايا ، يتطلب كثيراً من الأناة في معالجته لفرط اتصاله بعد يدمن جوانب الاعتقاد العزيزة على نفس كل إنسان ، وذلك يقتضينا أن نتعرض هنا لبعض موضوعاته موزعة على مباحث أربعة على النحو الآتي : —

المبحث الأول : بين أسلوبي العلم والاعتقاد .

المبحث الثاني : بعض جوانب الاعتقاد في ضوء العلم الروحي الحديث .

المبحث الثالث : تطور المعرفة يثبت جلال الاعتقاد ولا ينفيه .

المبحث الرابع : التوفيق ميسور بين الاعتقاد وتطور المعرفة .

المبحث الأول

بين أسلوبي العلم والاعتقاد

هناك فارق جوهري ينبغي أن يلاحظ ابتداء بين أسلوب البحث العلمي وأسلوب البحث في الاعتقاد ، ذلك أن أولهما ينقد ، أما ثانيهما فهو يعتقد . فالأول لا يشعر بأن هناك أي قيد يقيده من ناحية آراء الأولين أو المحدثين مالم يصمد على النقد . أما الثاني فهو يشعر أن الإيمان نفسه يفرض عليه مدى معيناً من التقيد بهذه الآراء السابقة ، فهو لا يجد عنها أصلاً ، أو قد يجد عنها ولكن في نطاق معين وإلى حد محدود . ومن ثم إذا فقد العلم قدرته على الانتقاد فقدت في نفس الوقت علة وجوده ، وإذا فقدت العقيدة قدرتها على الاعتقاد فقدت هي الأخرى علة هذا الوجود .

ثم إن العقيدة غير مطالبة بالتعليل ، أما البحث العلمي فهو في جوهره

(١) عن مؤلفه « مع الله في السماء » ص ١٨ ، ٢٠٠ .

تعليل للأمور وتأصيل ، ولو كانت واضحة بسيطة لأول وهلة. وهذا التعليل بما يقتضيه من نقد ومن تحليل لكافة الآراء هو البوتقة التي تصهر شتى النظريات العلمية - وما أكثر تمارضها - على نار الحقيقة للتمييز بين الغث منها والthin. فهي تكشف تدريجياً وفي مشقة بالغة عن حقائق الحياة كما يكشف «حق الدفاع» النقاب أمام القاضى عن الأخطاء والباطيل التي لو تركت على حالها لوجهت حكمه أسوأ توجيه ، ولنأت به حتماً عما يتوخاه من يقين .

فالامر الذى يميز العالم الحقيقى عن غيره هو هذه القدرة على النقد الذاتى المتحرر الموضوعى بغية الوصول إلى حقائق الحياة ، وبغير الارتباط مقدماً بوجهة نظر معينة فيها، مالم تصمد لوسائل التمهيص التي وصل إليها العلم في آخر مراحلها . وهذه القدرة أيضاً على أن يفرح - ولا يفض - عندما يكتشف عيباً أو نقصاً حتى في نظرياته الخاصة ، وآرائه التي درج عليها والتي كان يؤمن بها إيماناً تاماً فيما مضى، مهما كبده الوصول إليها من عناء ، وكبده التنازل عنها من شجاعة التسليم العائى بالتراجع للعجز وللقصور .

فالعالم الذى لا يؤمن بتطور مستمر في الحياة وعلومها ليس من العالم الحقيقى في شيء . ومثله العالم الذى لا يعرف كيف ينكر ذاته في سبيل تحقيق هذا التطور والمساهمة فيه غير مبتغ جزاء من أحد ولا شكوراً ، وسواء أنجح في ذلك أم فشل ، وكان نجاحه صغيراً أم كبيراً ...

ولما كان الامر كذلك وضع لماذا كان من رسالة العلم أن يفسر الاعتقاد ولم يكن من رسالة الاعتقاد أن يفسر العلم ، ولماذا توقف العلم عن التقدم عندما خضع في وقت ما لوصاية الاعتقاد خضوعاً تاماً أو جزئياً، وحصر نفسه في دائرة من تفكير محدود الأفق لا يجد نفسه مطالباً بأى تأصيل لما قد يعلنه من حلول للمشكلات المختلفة. ومن فهم لسنن الطبيعة ، إلا بما قاله الأولون ، متقيداً بنفس ما تقيدوا به من قيود ومن حدود .

وذلك مع أن النقد المتحرر هو - كما قلنا - السبيل الوحيد للوصول إلى حقائق الحياة وهدم أباطيلها ، حتى تلك التي قد تبدو للعقل في رقت ما معصومة أزلية . وهو حتى إذا بدا في بادئ الأمر أمراً غير مقبول ولا معقول ، فإنه سيصبح مع الوقت معقولاً ومقبولاً . وذلك لأن النقد الخاطيء يذهب جفاء ، ولأنه مهما كان خاطئاً قد لا يخلو من جانب من الصحة يكون له أثره المحتوم في تحرير العقل تدريجياً من آراء كثيرة قد يكون فيها من الخطأ مثلما في النقد الخاطيء ذاته ، وفيها من ضرر أكثر مما قد يكون في توجيه سهام نقد طائشة إليها .

فكم تعرض الاعتقاد - في كل مكان - لصور شتى من النقد المتحرر الخاطيء والصائب معاً ، وقد خرج الاعتقاد في النهاية سليماً في جوهره ، لأنه دعامة الانفعال السامي في الإنسان ، فلا يمكن أن ينتزع منه بالأقوال الملية أو الجوفاء . بل لقد خرج الاعتقاد أقرب مما كان إلى لب الأمور ، وأوثق مما كان صلة بالله وبالحبة ويانكار الذات . وذلك بعد أن كاد يصبح محض تقليد ، ومحض لاهوت قادر على أن يفرق بين قلوب البشر على ضغينة ، أكثر مما يجمع بينها على صفاء .

فمن طريق النقد ، والنقد وحده - حتى ذلك الذي كان يبدو للبعض مغرضاً جائراً - عرف الاعتقاد كيف يشق طريقه إلى القلوب خالصاً نقياً من شوائب كثيرة ، وعرفت القلوب كيف تتحاول أن تعثر على الله بداخلها ، بل عرف الإنسان كيف يعثر على نفسه في الله ، وكيف يشق طريقه في حياة تستحق الحياة بكل ما فيها من متاعب ومن معاناة ...

والنقد هو سبيل المعرفة الصحيحة ، وهو الدفعة التي كانت وراء كل خطوة خطاها بنو الإنسان للأمام . بل هو وراء كل رسالة من رسالات السماء وصلت إلى بني البشر كيما تتغير - في رقعة من رقع هذا الكون أو في

أخرى - نزعة التقدم والارتقاء ، عن طريق النظر بعين النقد إلى أوضاع غير قديمة كانت قد استقرت في أذهان بنينا على أنها معصومة أزلية !

ولذا قاوم بنو البشر هذه الرسائل بما وسعهم من وسائل ، وقاسى رسل السماء منهم ما قاسوه من صنوف الاضطهاد وألوان العذاب . ولو كانت رسالاتهم قد اتجهت إلى تملق انفعالاتهم عن طريق الدفاع عن آثامهم وآرائهم ، لما قاومها واحد منهم ، ولما خطا بنو الإنسان خطوة تذكر في طريق تقدمهم وصلاح أمرهم .

فلنقد دوره إذا في ناموس الارتقاء ، ما دام له دوره حتى في رسائل السماء وفي كل رسالة لاى تقدم علمى أو اجتماعى ، وهو دور لا ينكره إلا منطق التوقف ، إذا صح أن للتوقف منطقاً ما إلا أن يكون هو بعينه منطق تملق «حاضر» الجماهير ، وماضياً إن أمكن ، ثم أقوى انفعالاتها قاطبة وهو التعلق «بالتقاليد» واستنكار كل جديد ١١

وهذا التوقف ، يرتدى غالباً رداء خلافاً من الفلسفة أو العلم أو الاعتقاد ، وأيا كان رداؤه فهو عقبة كؤود تعوق تقدم الحياة ، وذلك لأنه لا يملك وسيلة أخرى لتحقيق ما ربه سوى الأخلال يحاول أن يقيد بها عقول المفكرين ، بل عقول البشر أجمعين لو أمكنه ذلك ، ومعها أرقى النزعات إطلاقاً ، وهى نزعة الارتقاء إذا حاولت أن تجد لها متنفساً هنا أو هناك فى رأى مجدد أو فى تفكير غير مقلد . وبقدر ما يكون التفكير جامداً «متوقفاً» بقدر ما يكون حرص أصحابه على إنكار التوقف عندهم واستنكاره ، والزمع بأنهم قد سبقوا عجلة الزمن فى انطلاقها ، وفى سرعة تطويرها للقيم والمفاهيم ...

وما أضخم الأخلال التى قد تجيء من ناحية التوقف ، وما أقوى سلطانها على الضمير وعلى الشعور ، خصوصاً عندما يكون التوقف نابعاً فى تقدير

أصحابه من هذه الغريزة التي بدأ العلم يكتشفها بعناء ، ويعطيها مكانها الجديرة به في دوافع الإنسان الغلابة ، وهي الغريزة الدينية التي يمكن تعريفها بأنها غريزة الإحساس غير الواعي بعالم الغيب ، والشعور بالارتباط به على وجهه من الوجوه .

ومتي صبح أن تمت عالماً مجهولاً من حواسنا المادية ، وبالتالي من عقلنا الواعي ، وأن هذا العالم يؤثر - إلى مدى أو إلى آخر - في مشاعرنا وفي أحداث حياتنا ، وأن بمقدورنا عن طريق الإلهام غير الواعي أن نسجل وجوده ، وأن ندعن أحياناً لبعض أوامره ونواهيه ، الصادرة عن بعض مصادر الوعي فيه ، فقد صبح التسليم عندئذ بمدى عمق هذه الغريزة في حياة الإنسان وعظيم دورها في توجيه دفة حياته ، وبالتالي في توفير أسباب السعادة له ، ولكن - لحسب - بمقدار قدرتها على تحريره من ترهات التوقف ، ومن أغلال الشهوات ، وهو ما يتوقف في النهاية على موقفها من الروح وموقف الروح منها .

ومتي صبح التسليم بذلك فقد صبح أيضاً القول بأن من حق العقل الحكيم أن يصقل هذه الغريزة ، كما صقل غيرها من غرائز عبر تاريخه الطويل فسمت به وسماها ، بعد صراع معها طويل رهيب ، وبأن من حق العقل الحكيم أن يوجهها وجهة تعقل الأمور إلى آخر مدى ، حتى تنمو بالعقل وينمو بها العقل ، وتزدهر بها في النفس زهور المحبة والتسامح والتواضع ، وكل خلق كريم يخضع رسالة التطور والارتقاء ، بعد رسالة الجود والانطواء .

وبالتالي فإن أية مبادئ قوية قد تهيء من هذا الجانب الغلاب في دوافع الإنسان تكون أقوى دفعا وأحق أن رأ من أية مبادئ قد يتلقاها الإنسان عن سائر مصادر التفكير فيه أو الشعور . فلا ينبغي إذاً التهورين من شأن المبادئ الروحية التي ينبغي أن توجه شعور الإنسان نحو المحبة أو الكراهية ، ونحو التعقل أو الجود ، ونحو الضمير أو العلقوس ، ونحو عبادة المبادئ

أو عبادة الأشخاص ونحو السلام أو الحرب ، ونحو التواضع أو التعالى ،
ونحو الخدمة أو التسلط ، ونحو إنكار الذات أو إنكار حقوق الآخرين .

وهذه المبادئ القويمة التي ينبغي أن تسيطر على اتجاهات الروح
هي في حقيقتها مبادئ الحياة كما ينبغي أن تكون لا كما هي كائنة بالفعل ،
في غرائزى البشر وشهواتهم وانفعالاتهم . فإذا كان فهم العقل سليماً لها ، وعرف
كيف يرسم طريقه بينها ، لمساعدته ذلك أكبر مساعدة على تحقيق رسالة
تطوره وارتقائه التدريجي ، فيحسن العقل الحكيم عندئذ السيطرة على
تصرفاته وشهواته ، وهذه هي بعينها الجنة التي يبحث عنها ضمير الإنسان بغير
جدوى ، وطالما بحث عنها الفلاسفة والمصلحون في ضمير هذا الإنسان
بغير جدوى أيضاً !

أما إذا أساء الإنسان فهم مبادئ الحياة هذه ، أو أساء تطبيقها ، فقد
أعوزته هذه القوة الفعالة التي تمكن روحه من السيطرة على غرائزه
وانفعالاته ، وتساعده كيما يشق طريقه في صحراء الحياة مناضلاً
مخارفاً وأخطارها ، فيضيع جهده عبثاً ، ويوشك في كل خطوة أن يسقط
فريسة لاعتداده بذاته ، فإذا به يضرب بلا هدف مشروع ولا غاية صحيحة .

وخلال ذلك كله تبرز خطورة رسالة علم الروح ، الذي هو علم تعبيد
سبل الوصول إلى حقائق الأمور بعد أوهاماً ، ومحاولة استكشاف بعض
مبادئ الحياة بعد عبادة الأشخاص التي هي مرآة لعبادة الذات ، وتبرز
بالتالى خطورة الحقيقة القائلة بأن من رسالة العلم أن يفسر الاعتقاد .

وهذه الحقيقة لم تبرز أهميتها في أى عصر قدر بروزها في العصر العلمى .
فعندما بدأت العلوم تفسر الاعتقاد بدأ الاعتقاد - في جميع أنحاء المعمورة -
يكتسب مع الوقت عمقاً ، وتأصيلاً ، وأسانيد جديدة للإيمان بالله وبالحياة
الأخرى ، وبمزاياء الفضيلة في كافة صورها - وتحث أى شعار جاءت -
وبمساوىء الرذيلة في كافة صورها - وتحث أى ستار استترت .

بل اكتسب الاعتقاد أسانيد جديدة لثقة الإنسان بنفسه — في حاضره ومستقبله — فضلاً عن ثقته بأخيه الإنسان وبقدسية الأواصر التي لا تقصم بين البشر جميعاً من كافة الأديان والألوان ، وهي أسانيد علمية لم يكن أحد يتصور من قبل إمكان الوصول إليها . وهكذا أصبح أقوى المدافعين عن هذا الإيمان المستنير هم العلماء العلميون على النحو الذي ضربنا له عدة أمثلة فيما سبق (١) .

ومن هنا — أيضاً — نشأ الإحساس القوى — في كل المجتمعات — بالحاجة إلى رجل الدين العصري ذي الثقافة الكافية في شتى مناحي المعرفة ، وبوجه خاص في الفلسفة والفيزياء والروح والنفس والاجتماع وغيرها ، حتى يكتسب عن طريق ثقافته قدرة على التفكير الموضوعى المتحرر ، ويصبح أقدر بالتالى على أداء رسالته الاجتماعية الهامة بعيداً عن شوائب الغموض أو الجور .

وذلك إلى المدى الذى يلائم هذا العصر الذى نعيش فيه ، وهو عصر طابعه التطور السريع ، والتفكير الناقد ، ورغبة تعقل كافة الأمور على النحو الذى لن يحققه أمر قدر التوفيق بين العلم والاعتقاد ، بما يرضى عنه المنطق العلمى الناقد . ولعله لهذا السبب قال فولتير Voltaire إن « رجل الدين النبى الجاهل يثير هدم تقديرنا ، ورجل الدين الردى الشريف يولد الجور في نفوسنا . أما ذلك الناضج المتساح البعيد عن الخرافات فهو الجدير بحبنا واحترامنا » .

* * *

وهذا الذى نذكره في شأن الصلة بين الاعتقاد والعلم في كافة صورته إنما يصدق — من باب أولى — على علم الروح الحديث . فهذا العلم يلعب

(١) راجع مانسب من ٣٥٩ — ٣٧٥ وما بعدها .

في توضيح أغلب جوانب الاعتقاد وتفسيرها دوراً لا يضارعه فيه أى علم آخر . كما يلعب نفس الدور في ربط الاعتقاد بحقائق العلوم الأخرى . وذلك لأنه يجعل من أمور كثيرة — كان ينظر إليها فيها مضى على أنها محض عقيدية ، أو محض لاهوتية — حقائق علمية ثابتة بتجارب حسية ، ويتعذر في نفس الوقت فصلها عن حقائق الفيزياء والفسولوجيا والسيكولوجيا والبيولوجيا والفلك والرياضة ، على ما بيناه آنفاً (١) .

فعلى من يريد أن يطرق هذا الباب الجديد للمعرفة أن يضع في الاعتبار أنه يقف إزاء بنيان علمي محض يخضع في وسائله ونتائجه معاً للأساليب العلمية المعروفة . فهو ليس قالباً جديداً للاهوت قديم ، ولا صياغة ذات مظهر علمي لتعلق غامض بالغيبيات ، كما قد يفهمه بعض الناس خطأ . وهو يتنافر تماماً مع سرعة التصديق أو سهولة الاقتناع بما قد يقال على ألسنة القائلين من سكان الأرض أو الأثير ، أيأ كان شأنهم ، ما لم يصمد أو لا لأساليب النقد الصارم الذي لا يرحم ولا يمالئ ، والنقاش العلمي المتحرر من كل قيد ظاهر أو مستتر .

وهليه أيضاً أن يضع في الاعتبار أن من رسالة العلم أن يفسر الاعتقاد ، وليس من رسالة الاعتقاد أن يفسر العلم ، ولا أن يخضعه لأية وصاية كتلك التي كان بعض المعتقدين — وما يزال — يحاول أن يفرضها على شتى العلوم ، بما في ذلك التشريع والفلك والفلسفة

وليتساءل كما تساءل لويل — العالم الفلكي — في هذا الصدد وهل يتعرض أى شيء من صنع الله لخطر إذا قدم للفحص ؟ وهل نظام الكون هو الذي ارتعد أمام منظار جاليليو أم نظام الكهنوت ؟ وهل وقفت دورة الفلك لأن نيوتن وضع إصبعه الجريئة على نبضه ؟ ، فما لم يحجب العالم على هذه الأسئلة سلباً وبغير ما تردد فقد خان رسالته العلمية وقبل أن يسلم عقله فريسة لطغيان

التقليد وجبروته — في أية عقيدة كان — فلا أفاد العقيدة ، ولا أفاد في المعرفة شيئاً . وذلك ينتقل بنا إلى الكلام في « بعض جوانب الاعتقاد في ضوء العلم الروحي الحديث » .

المبحث الثاني

بعض جوانب الاعتقاد

في ضوء العلم الروحي الحديث

من حق القارئ أن يتساءل قائلاً: لكن ماهي الجوانب التي ألقى عليها علم الروح الحديث أضواء جديدة؟ والجواب أن عدداً من أهمها قد مر بنا في مناسبات مختلفة ، وقد لمس القارئ بغير ما ريب مدى خطورتها واتساع نطاقها ، وكيف أن هذه الجوانب كانت غامضة فيما مضى ، لأن مسائل العلم كانت قليلة ووسائله قاصرة ، وجهوده فردية ، فشتان بينها وبين ما يملك العلم الحديث من وسائل عصرية ومن تعاون علمي منظم بين عدد كبير من العلماء والباحثين ، في معاهد وهيئات تملك ما تحتاج إليه من معدات مطلوبة . وتملك قبل أي اعتبار آخر الأسلوب العلمي الناقد المثابر في البحث والتجريب .

وكان نجاح العلم الروحي الحديث في تبديد غموض هذه الجوانب في شأن نواميس الخلود من أحسن العوامل التي بددت في نفس الوقت شكوك الشاكين التي كادت أن تفتك بالقيم الخلقية والاجتماعية ، وأشبعت أيضاً حاجة الإنسان الطبيعية إلى المزيد من المعرفة في بعض جوانب الاعتقاد كلها تقدمت به معارفه في غيرها ، وهذا حق له مشروع ، فهل في ذلك ما يستدعي النقد أو المقاومة ؟

وكيما ندرك قيمة هذا القول لتمر الآن مروراً سريعاً على بعض الجوانب

الاعتقادية الغامضة التي كشف النقاب عنها علم الروح الحديث، أو بالأقل
عليها التي أضواء جديدة لم تكن معروفة من قبل .

أولاً : في شأنه موقع عالم الروح

فتلا أين يقع عالم الروح ؟ هل كان بمقدور أى بحث نظرى أن
يعطينا جواباً شافياً عنه، مع أن هذا الجواب لاغنى عنه لمن يبحث عن إيمان
علمى مترابط بدوام الحياة بعد الموت ؟ أما علم الروح الحديث فقد
وضح ذلك توضيحاً مؤسساً على حقائق الفيزياء والرياضة الحديثين، بما
أسكت كل مكابر باسم العلم المادى عندما كان علم المادة في طفولة فهمه
لها . وقد عالجتنا تفصيلاً موضوع موقع عالم الروح وظروف الحياة فيه في
باب على حدة، بما يبين تماماً أية خدمة جليلة أداها هذا العلم للاعتقاد^(١) .

ثانياً : في شأنه ميعاد قيامة الأرواح

وحين اختلف البحااث النظريون في شأن ميعاد قيامة الأرواح
وظروفها وطريقتها، إذ بالبحااث العاملين في الروح يثبتون أن هذه القيامة
تكون في لحظة الوفاة ، بل وأثناء الاحتضار ، إذ هي ميلاد ثان هناك يتم
بمجرد تمام انسلاخ الجسد الأثيرى - حاملاً شعلة العقل - من الجسد
المادى . فهو أشبه ما يكون بميلاد فراشة جميلة وظيقتها أن تحلق في الفضاء
بين الزهور عندما تنسلخ من جسم شرنقة قبيحة وظيقتها أن تزحف على
التراب في الجحور .

وقد يحتاج المولود الجديد هناك إلى فترة كافية من الوقت كيما يسترد وعيه
وذاكرته ، خصوصاً إذا كان الميلاد الثانى عقب شيخوخة طويلة أو عقب
داء مؤثر في الذاكرة مثل بعض أدواء الدورة الدموية . فشباب العقل
والروح يعود هناك إلى صاحبه تدريجياً بحسب الحالة والسن والظروف التي

حدثت فيها الوفاة . وقد عالج علم الروح موضوع لحظة الانتقال، هذه إلى أدق تفاصيلها بأسلوب على مترابط ، حين نجد البحث النظري يعطينا في هذا الشأن إجابات متعارضة ، غير مترابطة ، هي أشبه ما تكون بالحلول الارتجالية التي يحاول أصحابها فرضها بغير مقدمات مقبولة . فإين هذا الأسلوب من ذلك في إقناع إنسان القرن الذي نعيش فيه ، وإرضاء منطقته العلمي الناقد ، وهو حق له مشروع ؟ ..

ثالثاً : في شأن الصدى بين روح المتوفى وجسده

وحين كانت صلة الروح بالجسد بعد عملية الاحتضار غامضة فيما قبل ، إذ بالعلم الروحي يبين بالأسانيد العلية أن هذه الصلة معدومة عند الإنسان الذي يعرف كيف يقطع صلته بهذا الجسد نهائياً فور تخليه عنه ، وينظر إليه على أنه مجرد داء بال اقترضه من الأرض إلى حين ، وأصبح الآن ملكاً لأمه الأرض من جديد ، كيما يساهم من جديد في بناء الحياة النباتية والحيوانية .

إن جسده الأثيري هو مركبته الوحيدة إلى عالم الروح في المنطقة التي يحددها له قانون التوافق الروحي طبقاً لاهتزاز هذا الجسد، ولما ينبعث منه من ألوان تشبه ألوان الطيف الشمسي ، وهي التي تحدد بذاتها مدى رقي صاحبها العقلي والروحي وبالتالي مكانه هناك .

كما تبين أن بعض الذين ينتقلون إلى هناك معتقدين أن موضع الروح بعد الموت هو القبر قد يظنون بتأثير فكرتهم الخاطئة هذه ملازمين أجسادهم المسادية إلى حين، لأن العقل وحده هو سبيل الانتقال هناك ، فيقاسون من هذه الملازمة أهوالاً رهيبية بسبب رؤية أجسادهم أثناء تحللها . ولعله لتحاشي مثل هذا الخطر الحقيقي نشأت عادة حرق الجثث عند بعض الشعوب الآسيوية ، وعنها انتقلت الآن إلى بعض شعوب أوروبية .

كما ذكر بعض الأرواح بعد انتقاله أنه كان يشعر برغبة ملحة لمشاهدة

جسته أثناء تحملها ، وأن هذه الرغبة كثيراً ما ألمته إلى أن تتمكن من التغلب عليها في النهاية . فالإنسان المستدير هو ذلك الذي يعرف كيف يقطع صلته بجسده المادى فور تخليه عنه ، لأن هذه الصلة في الواقع قد انقطعت نهائياً وإلى الأبد، ولأن الجسد لا يترك صورة له طبق الأصل تبقى عنه، وهى أكثر اكتمالا وأقوى بقاءاً وأبقى على الزمن .

رابعاً : فى شأنه أسلوب الحياة هناك

وحين يسكت التفسير القديم عن إعطاء بيانات واضحة مترابطة عن طبيعة الحياة هناك ، إذ بهذا العلم الناشئ يقدم هذه البيانات إلى أبعد تفاصيلها وأدقها . فلا يوجد سؤال واحد يثيره ذهن الإنسان حول طبيعة هذه الحياة إلا ويجد المراجع الروحية حافلة بإجابات منطقية مترابطة عنه ، متفقة في كلياتها مهما تنوعت المراجع وتباينت لغاتها . وقد عاجلنا ذلك تفصيلاً فى فصل على حدة (١) .

خامساً : فى شأنه الثواب والعقاب

وهل فى كتب البحث النظرى هذه البيانات المحددة الواضحة المترابطة التى تسود نوااميس الثواب والعقاب؟ والتى تربط ربطاً محتوماً بين المقدمات ونتائجها بمقتضى قوانين طبيعية موضوعية عادلة إلى أقصى درجات العدالة؟ وهى قوانين تعرف كيف تعاقب بذاتها وتثيب بمقتضى رابطة السببية أو ارتباط العلة بالعلول على نفس النحو المعروف فى علم النفس والأخلاق ، بل على نفس النحو الذى تعرفه قوانين الفيزياء والكيمياء والطب والفلك والبيولوجيا ... والتى اتفقت عليها أيضاً البحوث العلية فى بلاد مختلفة وبلغات شتى على النحو الذى عرضنا له تفصيلاً فيما مضى (٢) .

(١) راجع ما سبق من ٦٥ - ٢٣٢ .

(٢) راجع ما سبق من ٢٣٣ - ٣٤٦ .

سادساً : في شأنه الصلوات بين عالمي الغيب والشهادة .
وقد قام العلم الروحي الحديث أيضاً بدور هام في شأن إثبات وجود
صلات بين العالمين المنظور وغير المنظور ، أعظم مدى وأجل شأنًا بكثير
منما كان يتصور أي إنسان من قبل ، وفي شأن توضيح دررها في النهوض
بالإنسان ورفعة شأنه على مر العصور .

وتأثير العالم غير المنظور في العالم المنظور يقع في الجواهر من العقائد
المختلفة ، وتقوم كلها على أساس من التسليم به حقيقة واقعة ، لأن رسالات
السماء ليست أكثر من تعبير راق عن هذا التأثير عندما يجيء غزيراً
متدفقاً ، وعلى دفعات ، فيحدث أرواح الأثر وأبقاه في أخلاق الشعوب
وتجاهاتها النفسية والروحية ، وبالتالي في حضاراتها ومصائرهما . وهذا
التأثير يعترف به تماماً علم الروح ويوضح دوره الهام — المفرط في
أهميته — حين لا يوضحه . وقد لا يعترف به ، أي بحث آخر يجري في نطاق
أي علم من علوم الحياة .

فعلم الروح أصبح يقوم على أساس من التسليم بوجود صلات طبيعية
لا تتوقف ، وإن تفاوتت في مداها ونوعها ، بين عالمي البقاء والفناء ،
أو عالمي الغيب والشهادة ، أو دارى الحق والباطل . وهى صلات
طبيعية لأنها لم تتوقف يوماً ، ولا يمكنها أن تتوقف ، بل هى لازمة
للحياة المادية في نشوئها واستمرارها وتقدمها . ولم يكن لعلم الروح
سوى فضل اكتشافها ودراستها على نمط علمي منظم ، والخروج منها
بدلالات بعيدة المدى . وتستوى في ذلك الصلات الراقية مثل
صلات الحراسة والإرشاد والإلهام والعلاج ، والصلات غير الراقية
مثل صلات المس الروحي obsession والاستحواذ possession ،
وما قد يتسبب عن هذه وتلك من أمراض عصبية وجسدية ، وذلك فضلاً

عن صلات الإرشاد غير الراقى ، وما قد يتسبب عنها من مآس ودماء .

سابعاً : فى شأنه طبيعة الزمان والمكان

وهل فى النظريات التقليدية شىء واضح عن طبيعة الزمان والمكان فى هذه المناطق ؟ إن العلم الروحى يجعل من هذا الموضوع الخطير باباً من أهم أبوابه ، ويقيم فيه فقهاً علمياً مؤسساً على أحدث النظريات الرياضية فى البعد الرابع وفى النسبية ، ويبين كيف أن هذا العالم الروحى « زمكانى » منذ أول طبقاته . فهو ذو أبعاد أربعة ، وهى الطول والعرض والارتفاع والزمان . وهو لذلك يختلف فى طبيعته تماماً عن عالمنا المادى ذى الأبعاد الثلاثة فقط ، وهى الطول والعرض والارتفاع .

ولما كان عالم الروح ذا أبعاد أربعة ، فإن قوى إدراك الأرواح قد تكون رباعية الأبعاد أيضاً . وقد سلم بإمكان ذلك العلامة أينشتاين عندما قال « إذا كانت نظرتى فى النسبية عن السكون صحيحة فلا بد إذن من وجود قوى إدراك رباعية الأبعاد ، أى لا تعترف بفواصل المكان أو الزمان . وقد تعرضنا لذلك فيما سبق ^(١) .

ثامناً : فى شأنه النوم واللامعوم

ومن الألفاظ التى يساهم العلم الروحى الحديث فى حلها لغز النوم ، وقد حار الأفقون فى تعليقه وتعددت فيه النظريات وتضاربت . أما علم الروح فهو يقرر أن النوم عبارة عن مجرد ارتفاع فى اهتزاز الجسد الأثيرى كما يستريح إلى حين من الاهتزاز المنخفض المتغير لطبيعته ، والذى يفرضه عليه « التصاقه » بالجسد المادى فى ساعات اليقظة ، بما فى ذلك الارتباط المحنوم بين العقل والمنع فى هذه الساعات .

أما أثناء النوم فإنه بسبب اقتراب اهتزاز الجسد الأثيرى — إلى

حدا - من اهتزاز عالم الروح فتترتب عدة نتائج منها: أن حكم حواس النائم على الزمان والمكان يصبح ، غائراً لحكمها أثناء اليقظة . ومنها احتمال الاتصال ببعض أرواح المنتقلين . ومنها احتمال حصول أحلام صادقة عن أحداث مستقبلية مستقلة عن هواجس العقل الباطن . وهوائف الرغبات المكبوتة .

وذلك لأن معنى المستقبل على مستوى معين من مستويات الوجود يختلف حتماً عن معناه على مستوى آخر . ولذا وصل أينشتين أيضاً إلى أن أحداث الحياة تتحقق في مستوى ما من الكون قبل أن تتحقق مادياً على المستوى الأرضي . بل لقد كان حاسماً فقرر أن هذه الأحداث موجودة في مكان ما من الكون وأتينا نمر بها في الوقت المناسب ، ولذا شبه هذه الأحداث بمحطات القطار المعدة لاستقباله مقدماً قبل أن يغادر محطة القيام ، وكل ذلك بغير أن ينفي حرية الإرادة عند الإنسان ، بل في ضوء نظرية النسبية وحدها ، وبعد الربط بينها وبين نظرية « البعد الرابع » .

ثامساً : في شأنه التنبؤ والتفسير

وذلك كله ينتقل بنا إلى كلمة عابرة في مشكلة قديمة واجهها علم الروح الحديث بأساليب أكثر عمقاً وترابطاً من أساليب الماضي ، وهي مشكلة تعيين مدى حرية الاختيار في الإنسان . وما ذكرناه عن نظرية أينشتين في شأن احتمال تحقق الأحداث مقدماً على مستوى معين من الوجود لا يتضمن نفياً محتوماً لإرادة الإنسان كما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة . لحرية الاختيار في الإنسان قد وجهت « ماضيه » وتوجه أيضاً « حاضره » ، فهي ترسم بالتالي مقدماً خطوط قدره ومصيره التي لا نعلبها نحن ، ولكن يعلمها علام الغيوب . وذلك مع مراعاة أن ألقاظ الماضي والحاضر والمستقبل لا تحمل بذاتها أى معنى متميز في ناموس الطبيعة الأزل ، مهما كان معناها واضحاً في إحساسنا النسبي بالزمان ، والمرتبط أيضاً بإحساسنا النسبي بالمكان .

أما ناموس الطبيعة العام فيحيا دراماً في إحساس بالحاضر الأزلي أو ما هو في حكم الحاضر بالنسبة لإحساسنا النسبي بالزمان . فإذا ما قيل إن خطوط « المستقبل » مرسومة في كتاب الطبيعة الخالد ، وإذا ثبت ذلك بمعادلات رياضية صحيحة ، فلا يعنى ذلك أكثر من إثبات رابطة السببية ، أو ارتباط العلة بالمعلول بين الماضي والحاضر ، وبين الحاضر والمستقبل عن طريق معادلات الرياضة ، بعد أن وصلت الفلسفة إلى هذه الحقيقة ، عن طريق المنطق ، والحكمة عن طريق الإلهام ، وعرفها الإنسان من قديم مرتبطة بمصير روحه الخالدة تحت وصف قانون السببية ، أو الفعل ورد الفعل .

ولا يعنى ذلك أيضاً سوى إثبات أن الطبيعة تحيا دائماً في « حاضرها الخالد » الذى يطوى بذاته صفحات ماضيا ومستقبلا ، وكأنها في كتاب مطبوع مقدماً ، ومعد لأن يفهمه العقل تدريجياً كلمة بكلمة جيلاً بعد جيل ، فالطبيعة تحيا في حاضرها الخالد هذا كما تحيا في مكانها غير المحدود . وذلك كله يقتضى أيضاً استبعاد فلسفة القدورية المطلقة Fatalisme ، التى ليس لها الآن من سند على ولا رياضى ، لاستبقاء الاعتقاد بالمصير المرسوم لمستقبلنا المرهون بأعمال حاضرننا ونواياه Déterminisme ، والذى لا يعنى أكثر من أن مستقبلنا مصنوع بحاضرننا ، ومغروس بجذوره فيه كغرس النبات فى تربته التى يستمد منها أسباب النمو والازدهار ، أو أسباب الذبول والانحيار .

حاضرننا قائم بذاته مرتبط بماضينا ، ولكنه فى ذاته قابل للتعديل والنمو والتطور ، بقدر ما نحسن استخدام حريتنا الراهنة فى الاختيار ، فى كل لحظة وفى أى مكان من الطبيعة وجدنا .

وفى هذا الصدد قد يعرف رجل القانون للواقعة القانونية سبباً مباشراً ،

وسياً - أو أكثر - غير مباشر ، كما قد يعرف لها سبباً ملائماً أو سبباً - أو أكثر - غير ملائم . فالحلول القانونية تقف حتماً في إسناد النتائج إلى أسبابها عند حد معين ، لأنه بغير هذا الوقوف يفقد القانون سبب وجوده في تيه من البحث عن الأسباب ، التي يعد البحث فيها أقرب إلى الفلسفة منه إلى القانون . والذي يؤدي حتماً إلى توزيع المسؤولية ، بل إلى القضاء عليها بنظريات من الإسناد قد يكون فيها من الفروض والتقديرات ما يعادل تلك التي يقوم عليها التشريع الوضعي في مجملته ، وربما ما يفوقها .

أما التشريع الطبيعي فلا يعرف سبباً مباشراً ، وآخر غير مباشر ، ولا سبباً ملائماً وآخر غير ملائم ، بل جميع الأسباب مسئولة - في الطبيعة - عن النتيجة . ولكل سبب منها ميزان دقيق ومدى معين محسوب في سفر الحياة . فإذا ما أردنا تعديل نتائج الأحداث لمصلحتنا ، فعلينا أن نعدل أولاً مقدماتها في تصرفاتنا الحاضرة ، فنعدل بذلك أسبابها في عقولنا وضمائرنا . وذلك يتطلب منا ابتداء أن نحسن استخدام ضمائرنا في الحكم على المقدمات وتقدير نتائجها المستقبلية . في غير أنانية ، وفي غير غلو ، بل في تواضع وروية وإنكار لذواتنا التي غالباً ما تحجب عنا بغلوها حقائق الحياة ، كما نقيم محلها أكداساً من أوهام الغرور ، مضلة لتصرفاتنا الحاضرة ، ولضمائرنا في تقديرها لنتائجها المستقبلية .

وهذا النظر لفهم السببية - قانون الطبيعة العادل - يفسح مجالاً واسعاً لدور الإرادة في تسيير دقة حياتنا ، ويسلم بقدر واسع من حرية الاختيار في أمورنا ، كأفراد لنا استقلالنا ، وكأجزاء في مجموعة إنسانية - تحم من هذا الاستقلال إلى حد ما - وإن كانت تنمى فينا شعور التكافل الاجتماعي ، وفي نفس الوقت الإحساس بالاستقلال الكافي من روح

الجماعة في أوهامها وأخطائها المترابكة بفعل غرائز القطيع^(١) .

وإرادة الإنسان تعمل خلال القوانين الطبيعية ، وعن طريقها ، لأنها قانون من ضمن هذه القوانين ، يقع في الأساس منها ، فلا ينبغي التهور من شأنها ، ولا إلغاء دورها حتى عندما نقول إن الإرادة الإنسانية محكومة بالعقل ، وأن هذا العقل قاصر كأشد ما يكون الفصور في حكمه على كافة الأمور ، إلى حد أنه كثيراً ما يخلط بين الخير والشر ، وبين الصداقة والعداوة ، فيحب ما يضره ويكره ما ينفعه . فكل صواب في تعرف إرادة العقل الأعظم يولد حتماً نتائجها القريبة والبعيدة ، الجسيمة والطفيفة ، وكذلك أيضاً كل خطأ له نتائجها المحتملة .

وكثيراً ما تبدو لعقولنا القاصرة أحداث الحياة قاسية ظالمة ، أو مفككة غير مترابطة ، أو مباغتة غير متوقعة ، لمجرد عجز عقولنا عن الإحاطة بكل نواميس الطبيعة ، وبكل أحداث الحياة في ماضيها وحاضرها . ولكن الأمر الوحيد الذي لا تعجز عقولنا عن فهمه وعن تصور صحته هو وجود نواميس طبيعية تحكم هذا الكون من أكبر أحداثه إلى أنفهامها : من ميلاد عبقرى إلى ميلاد فراشة ، ومن ازدهار حضارة إلى ازدهار زهرة ، ومن انتهاء دولة إلى موت نملة ، ومن انفجار بركان إلى اشتعال ثقاب ، ومن اصطدام كوكب بآخر إلى اصطدام كرة بقدم طفل صغير .

وذلك لأنه إذا كانت هذه النواميس الطبيعية تحكم الكليات الكبرى فهي تحكم الجزئيات الصغرى أيضاً ، وإذا اضطربت الجزئيات الصغرى كان ذلك علامة لا تتقضى على الفوضى وعلى أن زمام الحياة قد أفلت ، وأدى إلى خلل الكليات الكبرى فالوجود كله وحدة متناسقة محكومة بالعقل الأعظم . وخلال هذا العقل الأعظم وبواسطته تعمل عقولنا الضئيلة فتوجه

(١) راجع ما سبق في ص ٤٥٥ وما بعدها .

إرادتنا مختارة إلى الصواب مرة، وإلى الخطأ مرات ومرات . وكل خطأ سابق سيصلحه ألم لاحق ، وكل ألم لاحق نتيجة محتومة لخطأ سابق ، وهكذا في حياة لا تقبل الفناء، ولكن تقبل الردد بين السعادة والشقاء، وبين البهجة والعناء ، طبقاً لارتباط النتائج بالمقدمات . وذلك كله ينفي إمكان القول بصحة القدرية المطلقة كحقيقة طبيعية ، أو بها كذهب صالح لتفسير أحداث الحياة ، أو تبريرها من ناحيتي العدالة أو الأخلاق — في دماضيها، أو في حاضرها، على السواء .

ولا يبدو لنا مع ذلك أن ثمت تعارضاً محتوماً بين القدرية في مفهومها الصحيح وحرية الاختيار ، فالإنسان في حقيقة الأمر مسير غير في وقت واحد، وفي لحظة واحدة فهو غير بقدر ما يملكه من إرادة حرة ، وهو مسير بقدر ما هو محكوم بهذا القانون الذي لا يمكن أن يفلت منه وهو قانون السببية، أو ارتباط النتائج ارتباطاً محتوماً بمقدماتها، وبالتالي ارتباط الماضي بالحاضر والحاضر بالمستقبل .

فلا محل مطلقاً للقول بالتعارض بين التفسير — في معناه العلمي هذا — والتخيير، إلا إذا صح القول بالتعارض بين القطبين السالب والموجب، مع أن أحدهما يكمل الآخر، وكلا منهما لازم للآخر، واجتماعهما معاً لازم لأي نشاط كهربى ، كما أن اجتماع التخيير والتسيير معاً لازم لأي نشاط إرادى في هذا الوجود، وأياً كان مصدر الإرادة بين القوى العاملة في هذا الكون ، وسواء أكانت تنتمى إلى عالم الشهادة أم إلى عالم الغيب . وسواء أكانت تنتمى إلى مستوى الإنسان فيه أم إلى مستوى أسفى منه أم أدنى .

والفصل بين دور التسيير ودور التخيير في هذا المستوى هو أمر من صنع مداركنا القاصرة لحسب ، تشعر به كما تشعر بانعزال الإحساس بالمسكان عن الإحساس بالزمان ، مع أنها متداخلان معاً في حقائق الطبيعة، ولا يمكن بحال الفصل بينهما، حسبما انتهت إليه حقائق الرياضة في اهتدائها للبعد الرابع

الذى يمثل أسلوب الحياة في عالم الأثير ، وهو رباهى الأبعاد كما سبق أن قلنا^(١) . ومثل ذلك يمكن أن يقال عن إحساسنا المنعزل بالمادة عن الفراغ ، مع أن المادة أصبحت تمثل الآن فراغاً أثرياً ، والفراغ الأثيرى أصبح يمثل مادة حقيقية^(٢) . ومثله يمكن أن يقال عن إحساسنا المنعزل بالحركة عن السكون مع أنهما متداخلان معاً ، وما يبدو لنا صلباً ساكناً كالمادة الصلبة متحرك في حقيقته ، في صورة أمواج . فاجتماع الزمان بالمكان ، واجتماع السكون بالحركة ، لازم للحياة تماماً كاجتماع التفسير بالتخيير ، ولا محل للفصل بينهما ، ولا لأن تصور أن بينهما تضارباً محتوماً ، فلا ينفى أيهما الآخر إذاً ، بل يكمله ويتداخل فيه .

أما القول بالقدرية المطلقة Fatalisme فإنه فضلاً عن تعارضه مع وضوح دور الإرادة في الكثير من تصرفات الإنسان وضوحاً لا يحتاج إلى عناء في استظهاره وفي إثباته ، مهما تفاوتت الراى في مداه ، فهو يبدو مذهباً غير عادل ولا خلقي متعارضاً تماماً مع ما نلسه من قيام السكون على نواميس عادلة خلقية . هذا وقد قال في وصفه وليام جيمس بحق إنه «يربى في العقل مزاجاً جبرياً ويجعل السكالى أكثر خضوعاً وكسلاً ، كما يجعل الأقوياء أكثر شجوراً وبطشاً»^(٣) .

وينفيه أيضاً بطريقة عليية — معملية — ما ثبت من أن العقل يمكنه أن يؤثر في المادة تأثيراً مباشراً ، ففقتضى ذلك بالضرورة أن العقل أسمى من المادة ، وبمقدوره أن يوجه أحداث المادة وما وراء المسادة . خصوصاً متى تبين أن المخ نتاج للعقل ، وليس العقل نتاجاً للمخ ، على ما أشرنا إليه في عدة مناسبات سابقة^(٤) . فتيارات العقل الإنسانى توجه إذاً توجيهاً

(١) راجع ما سبق في ص ١٣٤ - ١٣٦ .

(٢) راجع ما سبق في ص ٢٩ - ٣٦ .

(٣) راجع الجزء الأول ص ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٣٥٧ ، ٤٣٤ ، ٤٤٠ .

تأماً هو اطفالنا وانفعالاتنا ، كيما ترسم لنا خطوط أحداثنا .
ومشاعر العقل الكونى العام إذا بمثابة قوانين أزلية ترسم خطوط الحياة .
ومشاعرنا قوى دافعة لأحداث حياتنا السعيدة بقدر اتساقها مع هذه
القوانين الأزلية ، ولأحداث حياتنا الشقية بقدر انتفاء الاتساق . ومن ثم
كانت المشاعر والأفكار هي أئمن ما تعرفه الطبيعة من حقائق الوجود ، مادامت
هي القوى المحركة لأحداث الحياة خيرها وشرها معاً . وكان نقاء المشاعر
والأفكار هو أئمن ما ينبغي أن يتطلع إليه أى تعليم خلقى يستحق هذا
الاسم ، وأسمى ما ينبغي أن تصبو إليه الروح فى كل زمان ومكان . فشعور
السلام يولد سلاماً فى النفس وخارجها ، وشعور البغضاء يولد حرباً وشقاء
للنفس وخارجها ، أية كانت البواحد والأسباب . وفى كل ذلك ما ينقى
مذهب التسيير المطلق ويعزز حرية الاختيار فى نطاق التقيد بالاتساق مع
قوانين الحياة الأزلية ، التى تركت لنا حرية الزرع ، وعليه يتوقف نوع الحصاد .

هذا وقد قال بعض مفكرى الروحية إن القوة التى تحدد مصائرنا هي
قوة عقلنا الباطن غير الواعى . ومن هؤلاء موريس ماترلينك M.Maeterlinck
الذى يقول «إنه ينبغي علينا أن نبحث فى حياتنا الباطنة ، الرجة ، التى
لا تنفذ ، والتى لا يسبر غورها ، والمقدسة ، تفسر فرص السعادة والشقاء
التى نمر بها ، » (١) .

ومنهم الدكتور اللندى Allardy الذى يقول عن المصير الذى يوجه
حياتنا إن العامل الأهم كامن فى «روحيتنا ، الباطنة ، فنها تنبع أعمق
توسلاتنا ، » (٢) .

Le Temple Enseveli, L'Hôte Inconnu.

(١) فى مؤلفه

(٢) فى مؤلفه

Le Problème De La Destinée, La Justice Interieure.

وعلى هذه الآراء يلاحظ الأستاذ موريس ماجر M. Magre أن العقل الباطن أو غير الواعي ليس سوى عنصر واحد من عناصر مصائرنا، فيه يتمركز قانون الكارما (أى ارتباط النتائج بالمقدمات فى حيوات الروح المتعاقبة)، فهو يمثل خلاصة أعمالنا المتراكمة التى أضحت بمثابة اتجاهات تعد نفسها كما تصبح نتائج وأحداثاً^(١).

ثم يضيف قائلاً إن مصير الإنسان لا يتوقف تماماً على عقله الباطن، بل على الجزء الأسمى من وعيه، هذا الجزء الذى سيصبح يوماً على صلة بالله، والذى يتمثل فى قدرته الفطرية على التمييز، وعلى الحكم على الأمور، وعلى توقعها، وعلى اختيار سبيله. ولا ريب أن العقل الباطن عنصر من عناصر مصيره، ولكن قيمة هذا المصير تتوقف على ملكة سحق العقل الباطن، وتجاوزه، والتصرف رغماً عنه وعن ميوله المظلمة^(٢)...

وما يصفه الناس بالخط، أو الشعور بأن قوانين الكون إنما تحبك وتنظم نفسها كما تحاييك، هو عبارة عن هبة مجنحة وتجاوب فى النغم مع هذه القوانين التى لا تحبك إلا لأنك تركتها تحملك. وهذه الهبة المجنحة، وهذا المعنى من التناسق قد صار شيئاً واحداً مع وعينا الأسمى. وللحظ صلة معينة بالعبقريّة الفنية، بل هو شقيق لها، لكنه بدلاً من أن يتفرغ لمطاردة الجمال، يرضيه أن يرشد الإنسان فى طريق الحياة، ويغمره بضوء مباغت سرعان ما ينطفىء.

وهذا الضوء المباغت هو مصيرنا، أو بالأدق هو القدر من مصيرنا الذى ينتمى إلينا خاصة، والذى خلقناه بأنفسنا. فنحن مقيدون بجسد لأننا ننتمى إلى أسرة إنسانية. ونحن نخضع لتأثيرات كوكبية لأننا ننتمى إلى نظام

Les Interventions Surnaturelles.

(١) فى قوله

(٢) فهو يظفر إلى العقل الباطن من زاوية أنه مقر الفرائز السفلى ورواسب ماخينا

السحق وغلافه.

(م ٣٨ - الإنسان روح: ج ٢)

كوني ، وعلينا أن نتحمل تحركاته العاطفية . ونحن مكيفون بماضينا وبأنفسنا ، وبالنتيجة المتواضعة لجهودنا ، ومقودون بكل هذه القوى . نحن نشق سبيلنا أحياناً في ومضة من برق ، أو من قرار ، أو من صلاة ، أو من فكرة هي نحن أنفسنا ، وكل ذلك عبارة عن نتيجة لارتباطات ترجع إلى الماضي السحيق . فهل نجد في ذلك وعداً بحرقنا المستقبل ؟ أو تحقيقاً مبدئياً لها ؟ وهل يمكن للإنسان أن يصف بالحرية نتائج أسباب متعددة كهذه ؟ وفي النهاية لا قيمة لذلك لأن خداع الحرية يساويها !

إن إنساناً ما قد عثر على الحظ - على غير توقع منه أو من غيره ، لأنه قد أطاع أمراً داخلياً أصدره إليه - على غير علم منه - وعيه الاسمى الذي صنع ما كان عليه أن يصنعه كما يكيف الأحداث في صالحه . فالحظ من صنعه غالباً ، ولكن ليس دائماً ، لأن الإنسان ليس بمفرده . فحتى إن لم توجد هناك قوى تسهر عليه بعناية ، فمن الجائز مع ذلك أن يحظى بمساعدة قد يكون طلبها ، وقد يوجيها إليه صديق غير منظور يرى خيره . وتكون المساعدة عندئذ فعالة بقدر ما يكون الصديق سامياً في تدرج الكائنات . وأحسن الناس حظاً هو ذلك الذي يكون قد صنع في ماضيه أكثر عدد من الصداقات مع أسمى الأرواح^(١) .

* * *

وأياً كان مقدار الصواب في هذا الرأي أو في ذاك فهناك اتجاه واضح في جميع المدارس الروحية نحو رفض فلسفة القدرية المطلقة التي تفترض رسم خطوط حياتنا مقدماً ونهائياً بغير حساب لدور الإرادة والضمير . وكلما رسخ في الأذهان الاعتقاد بأزلية الحياة الإنسانية ، وبعدم انقطاعها ، وتعدد فرص الوجود هنا وهناك ، كلما اتسع مجال القول بالتخيير وأصبح ذهن

(١) عن المرجع السابق ص ١٢٠ - ١٢٣ . وواضح أن المؤلف من أصار نظرية العودة للتجسد لأرضي reincarnation التي تكلمنا عنها فيما سبق في ص ٢٤٠ - ٢٥٠ .

المرة قادراً على قبول دور الإرادة والضمير واضحاً قوياً، وبالتالي على تفسير الكثير من صروف الحياة ومفارقات الدهر ، التي لا يمكن تفسيرها بغير هذا الإيمان العلى بامتداد الحياة ، وبخضوعها لنواميس عادلة عطوفة تفسح المجال الأكبر لدور إرادة الإنسان وعقله الواعى وغير الواعى معاً فى رسم خطوط قدره ومصيره

فما لا يفسره ماضينا القريب قد يفسره ماضينا السحيق، وما لا يتحقق من نتائج - قد تبدو محتومة فى ناموس العدل والأخلاق - فى المستقبل القريب قد يتحقق فى المستقبل البعيد . وما قد تعجز عن تفسيره كلمات مبتورة قد لا تعجز عنه عدة مؤلفات إذا كانت تحيط بجوانب الموضوع كلها ، وهيات لكتاب الطبيعة أن تسقط منه كلمة واحدة قد لا تدسع عقولنا لأكثر منها فى أى مستوى كنا من مستويات الوجود .

فاشراً : فى شأنه مدى إمكانه التنبؤ بالمستقبل

وموضوع التسيير والتخيير وثيق صلة بموضوع مدى إمكان تنبؤ عقل الإنسان بأحداث المستقبل المؤسسة على أحداث الماضى أو الحاضر . وهذا موضوع وثيق صلة بدوره بمعنى الزمان والمكان فى حواسنا من ناحية ، وفى ناموس الحياة من ناحية أخرى .

هذا وقد تعرضنا لهذا الموضوع فيما سبق من زاوية مدى علم الأرواح بالمستقبل ونقينا عنها - بصفة عامة - علم الغيب الذى لا يعلمه إلا علام الغيوب ، ولكن قلنا مع ذلك إن الأحداث المستقبلية قد تلقى كظلالها الباهتة بصورة ما قبل وقوعها، وأن هذه الظلال قد يراها بعض الأرواح أو بالأدق قد يشعر بها بصورة تتفاوت فى وضوحها ، فيتوقع أموراً مستقبلية توقعاً قد يصح حيناً وقد يخطئ أحياناً . كما يحدث نفس الأمر على الكوكب الأرضى ولكن بأساليب مختلفة بطبيعة الحال . وكلما ازداد نضج الروح وحسن تقديرها

لأمور الحاضر، ومشاعره وانفعالاته - بوصفها أسباباً - كلما ازداد
فضجها وحسن توقعها لبعض أمور المستقبل بوصفها نتائج محتومة
لأمور الحاضر (١).

وما يصدق في ذلك على الأرواح في عالم الروح يصدق على البشر في عالم
المادة، فالقوانين المسيطرة على التنبؤ بالمستقبل، واحدة هنا وهناك،
حتى مع التسليم بأن الممور بالزمان وبالمكان يختلف هناك عنه هنا، وبأن
حساسية الأرواح وملكانها الذهنية مرتفعة عما يقابلها - في المتوسط
العالم - عند الأرضيين.

ذلك لأن إرادة الإنسان بالتالي ترسم له حدود حاضره ومستقبله معاً
لأن نفس الأسباب تولد نفس النتائج. وبالتالي فنحن إذا ما أحطنا
إحاطة تامة بكل عناصر الحاضر لأمكننا من الناحية النظرية وحدها
أن نعرف ولو بعض معرفة عناصر المستقبل، مادامت عدالة الله اقتضت
أن يكون مستقبلنا مرتبطاً بحاضرننا برابطة لا تنفصم هي رابطة السببية.
وبعبارة أخرى أرادت أن يكون مستقبلنا من صنع حاضرننا، كما أن
حاضرننا من صنع ماضينا.

لكن كيف تتأني عملياً هذه الإحاطة التامة بعناصر الحاضر؟ (٢) ...
هذه هي في حقيقتها كل مشكلة التنبؤ باحتمالات المستقبل في اللحظة عن
طريق العقل الواعي، وفي النوم أو الغيبوبة الواسطية أو المغناطيسية عن
طريق العقل الباطن، بعد إعطائه تعريفه الصحيح بوصفه عقل الإنسان الذي
يعمل عن غير طريق المنع، وبغير ارتباط محتوم به.

(١) راجع ما سبق في هذا الجزء من ١٤٠ - ١٤٢.

(٢) يقول الفيلسوف أين ستيان: «لو أمكن إنسان من الناس أن يعرف الحوادث التي
في الأرض والسماء جميعاً وطبائهما، لفهم كيفية ما يحدث في المستقبل».

فمن يطلع على البحوث الروحية يبدو له مفهوماً أمر الأحلام والرؤى الصادقة التي ورد ذكرها في الكتب المقدسة ، وكذلك أمر الأحلام الصادقة التي تحدث كثيراً لعدد من الناس ، وتقف السيكولوجيا المادية إزاءها حائرة . فهي إما تنكرها رغم تواتر الروايات في شأنها ، وإما تسلم بها دون أن تعللها - سواء أكانت أحلاماً صريحة أم رمزية - ولما قد تمزوها إلى العقل الباطن دون أن تبين كيف يتأتى للعقل الباطن أن يرى المستقبل - في بعض الأحيان - مع أن من المسلم به بحسب هذه السيكولوجيا ذاتها أن كل ما ينزلق إلى العقل الباطن من مشاعر ومعلومات ينبغي أن ينزلق إليه عن طريق العقل الواعي ماراً به أولاً ، وهو ما لا يحدث في بعض الأحلام الصادقة .

فاذا أضيف إلى ما تقدم أن النوم قد يكون في بعض صورهِ غيبوبة وساطية ، أو طرحاً روحياً حقيقياً - بغير انفصام للحبل الأثيري الذي يصل ما بين الجسدين الأثيري والمادي - لتبين إلى أى مدى يفتح العلم الروحي الحديث في مجال النوم والأحلام والتنبؤات أبواباً جديدة للبحث والتحرى لا يدرك شيئاً منها المذهب المادي ، ولا يكفي فيها الوقوف عند ما ورد في بعض مراجع الأولين .

مادى عشر : في شأنه الطعمرات والظواهر

كذلك نجمع العلم الروحي الحديث في إثبات إمكان حدوث الكثير من المعجزات ، الموصوفة في الكتب المقدسة . فالعلم الروحي لا ينحو نحو العلم المادي من ناحية إنكار كل ظاهرة غير مألوفة يعجز الإدراك المادي عن تصورها أو عن تعليلها . بل إنه قد يسلم بصحة بعض الظواهر غير المألوفة أو غير العادية بشرط أن تصمد للاختبار الكافي ، ولوسائل التحقيق الدقيقة فهو في حقيقته دراسة عملية للظواهر غير المألوفة أو غير العادية بوجه عام ، أساسها هو عدم إنكارها مقدماً لمجرد العجز عن تعليلها تعليلاً مادياً .

وأساس هذه الدراسة هو التسليم بوجود قوى للإدراك رباعية الأبعاد كما قلنا ، أى قد يمتد نطاقها إلى الطول والعرض والارتفاع والزمان في وقت واحد وتجمع بينها ، فلا تعترف هذه القوى بالتالى بفراصل الزمان أو المكان في عقل الإنسان وحواسه^(١).

والكتب المقدسة تفيض بوصف ظواهر غير مألوفة وغير عادية . بل لا نغالى إذا قلنا إن شتى أنواع الظواهر الروحية موصوفة فيها مثل التجسد ، والطرح بالروح والجسد ، والمجلوبات والمأخوذات ، والشفاء المعجز ، والتنبؤات الصحيحة ، والرؤى الرمزية والحرفية ، والجللاء البصرى والسمعى ، والإلهام ، وتأثير العقل المباشر فى المادة ، والصوت المباشر ، وتحرك الأجسام الصلبة بدون وسيلة مادية ، وغيرها من الظواهر التى سجلها الباحثون الروحيون فى كل مكان ، والتى أصبحت تجمعها الآن أصول مترابطة ، وتربطها مقدمات ونتائج متشابهة . وقد عني بإيراد هذه الحقيقة نخبه من العلماء والباحثين تحت لواء العلم والاعتقاد معاً ، ممن وجدوا فى العلم الروحى الحديث وسيلة علمية لتوضيح الحقائق العقيدية ، وتقريبها على أسس علمية عصرية يمكن أن تتقبلها عقول السكافة^(٢).

تالى عشر : فى شأنه مشكلات فلسفية متنوعة

أخيراً - وليس آخرأ - لا ينبغي أن يفوتنا أن علم الروح الحديث ، عندما ما يخدم قضية الإيمان بالله وبالخالود ويقم لها عمداً علمية إنما يخدم فى نفس الوقت ونفس الأسباب الاعتقاد الدينى . كما أنه عندما يلقى أضواء جديدة

(١) بل إنه فى التنويم المغناطيسى توجد درجة - أو أكثر - فيها لا يحدد إدراك النوم بالزمان ولا المكان ويقتد من قام بتدويع سيطرته عليه تماماً ، وهذه الدرجة ثبتت عند غالبية علماء التنويم المغناطيسى أن للإنسان وجوداً روحياً دائماً بذاته ، أو بالأدق أنه عبارة عن روح ترمذى جسداً خارجياً . ولا يرفض هذا الرأى الآن سوى جانب ضئيل من العلماء لاتجاههم المسمى الزمن .

(٢) راجع طائفة من أسماء من قاموا بهذه الرسالة فى الجزء الأول ص ٢٦٢ - ٢٦٨ ، ٢٦٩ - ٣٠٨ وهامش ص ٥٦٨ من الجزء الثانى .

على مشكلات فلسفية كثيرة مثل طبيعة الناموس الخلق، ومثل حقيقة الضمير، ومثل توضيح مغزى رسالة الألم والموت، إنما يخدم نفس هذا الهدف أيضاً. وكذلك عندما يعالج مشكلة التقريب بين المذاهب والعقائد، ودراسة مدى التسيير والتخيير، وغير ذلك من المشكلات المشتركة بين العقيدة والفلسفة، أو بالأدق ذات الزوايا العقيدية والأخرى الفلسفية ...

فإن علم الروح الحديث يلتقي بغير ما ريب أضواء جديدة على هذه الزوايا وتلك معاً على نطاق واسع، وإلى المدى الذي لا ينكره إلا من تعود الحرب من مواجهة الأمور خشية أن تدفعه المواجهة إلى شيء من الجهد في فهم أخطر حقائق الحياة، أو إلى قدر من التطور في فهم بعض أصول الاعتقاد، وذلك ينتقل بنا إلى الكلام في تبيان الرسالة الصحيحة لهذا التطور.

المبحث الثالث

تطور المعرفة يثبت مهمل الاعتقاد ولا ينفيه

بينما في المبحث السابق كيف كان هذا العلم الروحي الوليد مصدر أضواء جديدة على بعض جوانب الاعتقاد، وفي نفس الوقت كان بمثابة دعوة صريحة لإقامة فقه من الإيمان الموضوعي المترابط الذي ينبغي أن تندمج فيه حكمة الحكماء بعلم العلماء، فلا يعتبران باينين للمعرفة منفصلين، بل باباً واحداً، ما دام العلم والاعتقاد معاً هما عبارة عن البحث في قوانين الله تعالى، وهو واحد لا يتعدد بتعدد نواحي البحث والاستقصاء في سنته وأحكامه لفهمها على أصولها الصحيحة، تستوى في ذلك نواحي البحث في المادة والطاقة، مع نواحي البحث في النفس والخلق والروح.

كما بينا خلال البابين السابقين كيف نصح هذا العلم الحديث في ربط الاعتقاد الديني برباط لا يفهم بأوليات العلوم المسلم بها. تستوى في ذلك أوليات الفيزياء مع الرياضيات مع البيولوجيا مع السيكولوجيا مع غيرها ..

وذلك بعد أن كان التفكير الدينى محدوداً فى القرنين الماضيين تفكيراً غير على فى أصوله وتفصيله فى بعض البعثات العلمية بالأقل .

أما الآن فقد صعدت الأصول العقيدية - والله الحمد - على النقد العلمى وتبين أن التفكير الدينى يمكن أن يصبح فى جوهره تفكيراً علمياً إذا عرف كيف يتطور - ولو قليلاً - مع تطور المعرفة اليقينية - خصوصاً منها المعرفة الروحية - ويفهم البنيان السماوى فى العقائد على نحوه الصحيح . ثم - وهذا هو الأهم - إذا عرف كيف يميز عن البنيان الإنسانى الذى كاد أن يبتلع كل ما عداه ويخفى كل رونقه وبهاءه . فلا ضير إذا فى تعقل العقيدة ولو أدى التعقل إلى مقدار من التطور فى فهمنا لها ، ما دام التطور فى المعرفة هو سبيل الارتقاء ، بل هو سبيل البقاء فى وجود يتنازع البقاء حتماً ، وهذه هى سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

عن تطور الاعتقاد

وفى هذا الشأن يلاحظ الفيلسوف وليام جيمس ، بأن تاريخ الأديان خير شاهد على التطور ، فيحدثنا بأن كثير أ من الفروض الدينية التى لم تنجح فى التطبيق على الحياة العملية قد اندحر عندما واجه المعارف الكونية الرحيمة ، وصار بعد ذلك فى حين النسيان ، فى حين أن بعضاً آخر منها احتفظ بكيانه على طول الأيام ، ولم يزده من الأيام إلا جدة وحيوية على الرغم من كل ما لاقى من محن وشدائد . ومهمة علم الأديان أن يبين لنا بإخلاص تلك الفروض التى عاشت وتحدثت الشدائد ...

ولا ضير على رجل العلم وعلى مهمته العلمية من الجدل الدينى فى عصره ، مادام هناك شئ من الحرية الفكرية ومن العدل والإنصاف . . . لذلك وجب على رجل العلم أن يرحب بكل أنواع الجدل الدينى . مادام أن بعض الفروض الدينية قد يكون حقاً ، وأما إذا لم يعترف بهذا القدر فلا كلام معه لأنه يكون بعيداً عن الروح العلمية كذلك . . .

ثم يقول جيمس : « إن أهم الأشياء وأعلاها قيمة للإنسان وللأمم وللصور هو مثلها العليا وعقائدها الدينية، ولو كان فيها مقدار كبير من الغلو والإفراط . لأن كل ما كان هنالك فيها من غلو ، نتيجة لفعل بعض الأفراد أو للتطور في بعض العصور ، قد عوض عنه في الجملة وعلى مر الأيام فأصبح في النهاية في صالح النوع الإنساني . لذلك لا يكاد يوجد خلاف بين العلماء في القول بأن الأديان لعبت دوراً مهماً في النهوض بحياة الإنسانية جمعاء » (١) .

وبحسب مذهب جيمس البراجماتيكي — أى المستمد من التجريب الواقعي — تعد ثمرة العقيدة معيار صدقها ... وننظر تنا إلى الدين ومسائله ينبغي ألا تختلف عن نظرتنا إلى العلوم ومسائلها في شيء ، فكما أن العلوم تبدأ بالفروض التي ترجحها الميول النفسية ثم تختبرها عملياً ، فكذا ينبغي أن يكون الشأن بالنسبة للدين وسائر الاعتقاد، فيبدأ بالفروض ثم بالاختبار العملي لها ... » (٢) .

كما يتحدث الفيلسوف الإيطالي بنديتو كروشي في الفصل الأخير من كتابه عن «مسالك الحياة» قائلاً عن العصر الذي نعيش فيه «إنه يهتم بهدم الديانات التي أصابت فيها الحياة الإنسانية منطقها وآداب سلوكها ومواطن استقرارها وآمالها . إلا أنها تهمة لا ثبات لها، لأن عصرنا بهذا الذي صنعه قد صنع شيئاً لا قبل له باجتنابه . إذ لم يكن هنالك بد من تساقط بعض الجوانب القيمة من البنية القديمة في خلال تعرية الديانات من جلايب الأساطير .

« وفي هذه الجوانب أفكار نفيسة وفضائل لا يسهل تقويمها عما كان متصلاً بالقضايا الأسطورية . ولكن عصرنا قد بادر إلى استخلاص هذه الأفكار والفضائل ووضعها في المكان اللائق بها ، بعد صقلها وتنظيفها وإثباتها في أركان صرح جديد هو أرسنخ وأنبل وأقوى من صرحها المهدوم .

(٢، ١) عن « العقل والدين » وهو السفر الثاني من « إرادة الاعتقاد » ترجمة الدكتور محمود حبيب الله ص ١٧٧ — ١٧٩ .

ولأنه لفخر عظيم لجبلنا هذا أن يفتح في تأسيس ديانة إنسانية وعقيدة مصفاة
تبرز من محض الفكر الصراح ، ولكنه فكر تتجسم فيه الحياة أو يسخر
بالجديد من الحياة ،^(١).

وفي نفس هذا الاتجاه يقول الحكيم الهندي يوجي راشارا كما أيضاً
« إن من يدرس الديانات يدرك من غير شك أن فكرة الإنسان عن الله
تنمو مع الزمن ، فهي يزيد أفقها اتساعاً وتصبح أرق حاشية وأخطر قدراً
وأكثر رحمة عاماً بعد عام حتى وقتنا هذا ، إذ امتازت السنوات العشرون
الآخيرة بتغير خطير في هذه الناحية ، فلم نعد نسمع بأن الله يحرق صفار
الأطفال في نار أبدية ، وازداد ترديد ذكر محبة الله ورحمته بدل الحديث عن
نقمته وكرهيته للبشر لأنهم يخطئون . وبدأ التعليم يتجه نحو حب الله بدل
الخوف من بطشه .

وهذا التحول يسير حثيثاً نحو أمور خير مما عهدنا ، ولكن يجب ألا
ننسى أن كل طريقة من طرق العبادة ، وكل نخلة ، وكل مذهب أياً كان ما يبدو
على تعاليمه من البدائية ، لها مكانها في التطور الديني للبشرية ، وأن كلا منها
يناسب المؤمنين به ، وعلى هذا فيجب أن يقابل بالاحترام .

وكما تقدم إدراك المؤمنين وارتفع عن مستوى نوع معين من تعاليم دينهم
أسقط أئمة ذلك الدين من تلك التعاليم ما لم يعد يناسب مع حال المؤمنين
حتى تستقيم الأمور .

إن الأئمة عادة سباقون لما حوّن يرون ما لا يمتد إليه بصر رعيّتهم ونابغيتهم ،
فهم أبعد منهم نظراً ، ولكنهم ينتظرون الوقت المناسب لإدخال التعديل
بالتدريج ، وأن أشد الديانات محافظة واستمساكاً بقديم شرائعها تبدو في
نظر السلف من أئمتها بدعاً لما أدخل عليها ، بل جحوداً وكفراً . إن المذاهب
والديانات تتطور فيسقط عنها من المعتقدات والتعاليم ما رث ويلي ، وظهرت
للناس عيوبه ، لتحل محلها أخرى يستسيغها الناس ويتقبلونها بقبول حسن .

(١) عن كتاب « الله » للأستاذ عباس عمود المقادس ٢٨٠

ومع ذلك تتمسك هذه المذاهب والديانات رغم ما يطرأ عليها من التغيير بأسمائها القديمة . مثلها كمثل قصة مدينة الصبي التي تحطم نصلها مرة بعد مرة فركب لها في كل مرة نصلاً جديداً ، ثم تحطم مقبضها مرة بعد مرة فغير لها المقبض في كل مرة ، ومع ذلك فإن صاحبها يعتبرها نفس مدينته القديمة... (١)

* * *

وعلم الروح الحديث ليس بعقيدة ولا بمذهب في عقيدة ، بل إن رسالته الأساسية - شأن بقية العلوم والمعارف - هي توضيح العقائد الدينية ودفعها قدماً في طريق التطور ، هذه العقائد التي هي بحسب تعبير وليام جيمس « أهم الأشياء وأعلاها قيمة للشعوب ، بجانب مثلها العليا . كما هي أيضاً واستخلاص الأفكار النفيسة والفضائل ووضعها في المكان اللائق بها ، على حد تعبير بنديتو كروش .

وذلك يجري في نطاق الرغبة المشروعة عند الإنسان المستنير للسلامة بين العلم والعقيدة أياً كان هذا العلم وهذه العقيدة . ومع مراعاة أن المعضلات التي تتضمنها محاولة إيجاد ملاءمة بين الدين والعلم تشابه كثيراً في الإسلام والمسيحية ، هلى ما لاحظته الدكتور ميلر بارون Miller Burrows الأستاذ بجامعة ييل ، الذي استطرد قائلاً : ومع أن الحواجز القومية قد تفصل بين بعض العلماء وبعضهم الآخر فالعلم نفسه لا يقبل تجزئة مثل هذه ، إذ أن ذنباً العلم واحدة ، وإذا كانت دياناتنا مختلفة فالله واحد . (٢)

فالله واحد - مطلق ومجرد - ونواميسه تعالى ثابتة - مطلقة أيضاً ومجردة - لا تتغير مهما تغير فهم الناس إياها ، ومهما تشابهت أو تفاوتت في فهمها الفلسفات والآراء ، حتى بين أولئك المعتنقين مذهباً واحداً من عقيدة واحدة ،

(١) عن « فلسفة البوجا » المرحم السابق ص ٢٤٠ - ٢٤٢ .

(٢) Some Suggestons Concerning The Relation Between Religion And Science In Islam.

أو بين أولئك المعتنقين مذاهب شتى من عقائد شتى ... أليس ذلك واضحاً بذاته الواضح الذي يغنى عن كل برهان وبيان ؟ .

ودور علم الروح الحديث بالتالى هو أنه سبيل إلى فهم هذه النواميس المطلقة المجردة، وتنمية المعارف الإنسانية فى شأنها ، وبالتالى سبيل إلى تأكيد جلال العقائد وإبراز رونقها على مر العصور والأجيال، مهما لحق فهم بعض جوانبها من تطور . وشأن البحث فى الروح شأن أى بحث علمى آخر ، لأنه لا يمثل عقيدة جديدة ، ولا هو صياغة حديثة لفقه قديم على أى وجه من الوجوه .

المبحث الرابع

التوفيق مبسور بين الاعتقاد وبين تطور المعرفة

سبق أن قلنا إن التطور فى فهم العقيدة قد يحىء عن طريق البحث فى الروح كما قد يحىء عن طريق البحث فى أى جانب من العلوم والمعارف . تستوى فى ذلك علوم الحياة مع علوم المادة غير الحية وعلى نفس المستوى، واستناداً إلى نفس الأسلوب والأسباب ، لأن العقيدة تمثل جزءاً من ضمير الإنسان وإدراكه ، وهما إذا استضاءا بأسلوب البحث العلمى فلا يمكن أن يقبلا الاستضاءة به فى جانب دون آخر ، أو فى رقعة من الضمير دون أخرى ، وهذه خصلة إنسانية حميدة لا حيلة لأحد فيها ، ولا وجه مصلحة فى مقاومتها .

وإذا كان هذا القول صحيحاً فى شأن علوم المادة ، فهو صحيح من باب أولى فى شأن الروح وهى علم العلوم . فلم تبدأ دراسة الروح على نهج علمى إلا عندما عرف العقل سبيله إلى دراسة الظواهر الواسطية ، التى اصطلاح « العلماء » حتى منتصف القرن الماضى على إهمالها إهمالاً تاماً ، أو على إنكارها بغير بحث ولا دراسة ، وهى نفس خطلة بعض « العلماء » السطحيين

حتى الآن . أما قبل هذا التاريخ فلم يكن الكلام في الروح أكثر من رجم بالغيب في الكثير من جوانبه ، إن أصاب صاحبه مرة فقد أخطأ مرات ومرات .

فإذا أضيف إلى ذلك دور العقل الختمى في الخضوع للخيال الواسع ، خصوصاً فيما لا يمكن أن يخضع للتفكير غير العلى من قوانين عميقة تحكم هذا الكون مفرطة في عمقها وفي إطلاقها ، وإذا أضيف إليه أيضاً دور العقل الختمى في الخضوع لانفعالات الساعة ، ولروح الجماعة ، ولاعتبارات الزمان والمكان ، لوضع جلياً أن الحلول غير العلمية في موضوع الروح لا تتضمن من صواب إلا بقدر ما في أمثال هذه الحلول من صواب في موضوعات الطب أو الكيمياء أو الفيزياء أو غيرها ، قبل أن تعرف طرائق الاختبار الناقدة ، ومعها أساليب التحليل العلى المتأنى ، الذى مهد - وحده - السبيل لكل الكشف الخطيرة التى ينعم بها الإنسان .

بل إن البحث في الروح يتعثر بعوامل للعثار تتجاوز بكثير العوامل التى يتعرض لها البحث في كافة علوم الحياة والمادة غير الحية ، فهو حتى إن جرى بطريقة موضوعية متحررة - وهو في ذاته أمر من الصعوبة بمكان - فإنه للوصول إلى نتائج يصح وصفها بأنها جديرة بالاعتبار يتطلب فضلاً عن التجرد التام ، والأفق الواسع ، والعاطفة النامية ، والخلق الناضج ، إلماماً كافياً صحيحاً بأهم مبادئ فروع كثيرة من علوم شتى .

ولهذه الاعتبارات مجتمعة جاء بحث موضوع الروح على أسلوب على متأخر في الترتيب الزمنى بالمقارنة مع سائر علوم الحضارة المعاصرة . أما في الحضارات القديمة فيبدو أنها قد بدأت به ، وتكاد تكون قد انتهت به أيضاً ، مكتفية بما وصلت إليه فيه على نحو أو آخر من معرفة محدودة

مرتبطة وثيق ارتباط بمعارف أصحابها المحدودة ، وبتطورهم في العقل وفي الأخلاق .

وكل ذلك بوضوح تماماً أية رسالة جلية أداها - وسيؤديها حتماً للإنسانية جمعاء - البحث في الروح على نهج موضوعي ناقد ، ولو بوضوح تماماً أننا عندما ننكر دور هذه الرسالة إنما ننأى عن الحقائق الناصعة ، وندافع عن الأخطاء لمجرد أنها قد تتعلق فينا الآنانية ، وهي أقوى الدوافع إلى العثار . بل إننا إذ نفعل ذلك إنما ننكر سلطان العقل في التحقيق والاستنباط ، ضارين على غير هدى ، في دروب مقفرة ، لغير حكمة مشروعة ، فنفقد طريقنا إلى تبه لا نخرج منه ، حين يعدو غيرنا عدواً سريعاً نحو هدف واضح وغاية مشروعة .

كما ننكر في نفس الوقت دور التطور ورسائله السامية ، متناسين أنه قانون إلهي ، بغيره تفقد الحياة حكمها ومغزاها . ومتجاهلين أن كل حضارة توقفت عن التقدم كتب عليها أن تقسح المجال لغيرها من حضارات . وما الحضارات سوى نتاج عقولنا ، والتعبير الخارجي لعواطفنا ومشاعرنا . فإذا نما العقل نمت حضارته وكتب لها الازدهار والتفوق ، وإذا توقف العقل عن النمو توقفت الحضارة بدورها ثم تلاشت هباء منثوراً ، لأن عقارب الساعة لا ترجع للوراء في أزلية الحياة ، كما أرادها لها من أبدعها ، وقدّر لها أن تسير متطورة في غير ما توقف ، ولا تراجع .

من صفحات الماضي

ودراسة أية حضارة مندثرة تلي عن صحة هذه الحقيقة الرهيبة ، وهي أن التوقف معناه الاندثار أية كانت دواحيه في الأخلاق أو العقول . فقد تفانى الفراعنة مثلاً في عبادة وآلهتهم ، واستغرقوا فيها استغراقاً

تماماً ، ولكنهم استغرقوا بنفس المقدار في عبادة أنفسهم أيضاً .
وبسبب الاستغراق الأول وصلوا إلى حقائق هامة كثيرة عن الروح
والثواب والعقاب ، حتى وإن كانت تكتنفها من كل جانب الخرافات
والأساطير . كما وصلوا إلى مبادئ كثيرة صحيحة عن الخلق والفضيلة ،
حتى وإن أعوزها بسبب الاستغراق الثاني كثير من الإخلاص في التطبيق .
وذلك حتى لقد اختفت في حياتهم - أو كادت - كل الصور الواضحة
للتضحية النبيلة أو إنكار الذات ، فاختفت معها في حياتهم - أو كادت -
جل مصادر السعادة الحقيقية للروح .

ووقفت معلوماتهم عن الخلود وعالم الخلود عند حد محدود ، فلم
يعرفوا شيئاً يذكر عن حقائق العقل والمادة والآثير ، ولا عن معنى الحياة
العقلية التي يوفرها تأثير العقل في الآثير ، وبالتالي تأثيره المباشر في كافة
مظاهر الوجود التي من حوله ، حتى تلك التي قد تبدو للحواس مادية صلبة .
ولم يعرفوا معنى الجسد الآثيري ، وعدم حاجة الروح في مستواها الجديد
لجسدها الزاني ، وإن كانت كل الدلائل تشير إلى أن وسطاءهم كانوا
يرون الأرواح متجسدة وغير متجسدة ، وكانوا ينصتون إليها عن طريق
وساطة الاستشفاف السمعي ، وربما أيضاً عن طريق وساطة الصوت
المباشر .

وقد تصور الفراعنة بسبب ضآلة معلوماتهم في العقل وفي المادة وفي
الآثير ، أن أجساد الأرواح هي نفس أجسادها المادية ، ولهم في ذلك بعض
الحد ، لأنها - كما قلنا في مناسبة سابقة - صورة طبق الأصل منها ،
ومن هنا جاء اهتمامهم المفرط بتحنيط جثثهم حتى تعود إليها ، السكاه
أو الروح فتستخدمها من جديد على نحو قاطض مجهول حتى منهم (١) ،

(١) حتى يبدو اعتقاد الفراعنة في هذا الشأن أشبه ما يكون بمن يعتقد حتى الآن بقيامة
نفس الأجساد الترابية الموقوفة في يوم ما .

ومن هنا اهتموا أيضاً بتشديد قبورهم بمنأى عن عوامل التحلل والفناء ،
وبتزييدها بالاثاث الجنائزى الذى ستحتاج إليه الروح حتماً فى عالم الخلد
بعد رحلتها إلى أيدوس — حيث دفنت رأس أوزيريس Osiris ، وبعد
اجتيازها بسلام فى المركب المقدسة لمناطق محفوفة بالأهوال ، وذلك فى حراسة
موكب من الأرواح الحارسة التى كانوا يعمرون عنها « بالآلهة » . وتنوعت
من ثم آلهتهم ورسموها فى صور آدمية وحيوانية شتى ، للتعبير عن أسماؤها
الرمزية ، التى كان بعض الأرواح ينتحلها — فيما يبدو — حتى لا تكشف
عن شخصيتها شأن بعض أرواح اليوم .

وبسبب الاستغراق فى العبادة قضى الفراعنة جل حياتهم فى إعداد
مدافنهم ومعابدهم الجنائزية ، فلم يستعدوا للبوت عن طريق البر والحنان ،
بقدر ما استعدوا له عن طريق إرهاب رعاياهم وأسراهم فى عمل شاق فى بناء
المدافن والمعابد — لراحة فيه ولاسند له من منطق صحيح ، وإن كانت
أسانيده كثيرة فى منطق الاعتقاد الخاطى والمعرفة المشوهة المبثورة .

ونحن إذ نقرر ذلك لا ننفى عنهم مطلقاً فضل حضارتهم الباهرة —
حتى فى شئون الاعتقاد . بالإضافة إلى فنون العمارة والنحت والطب والحرب —
ولكن كل شئ نسبى ، ويكفيهم فى هذا الشأن أن حضارتهم فى هذه الأمور
قد برزت كل حضارة أخرى سابقة لها أو لاحقة عليها ، إلى أن ظهرت حضارة
الإغريق . ويكفيهم ما كانوا عليه من ارتقاء فى وقت كان جل العالم من
حولهم يغط فى نوم عميق وجهالة مطلقة . ويكفيهم أن تفوقهم الضخم فى
البناء والنحت ، وذوقهم الفنى الرفيع فى الرسم والنقش ، أمور لا تزال تحلب
ألباب المتحضرين حتى الآن ، وكذلك إقبالهم الشديد على الحياة ، وعلى
العبادة ، وتعلقهم المفرط بالخلود وبالعالم المجهول .

وقد يقال إن العاملين فى بناء المدافن والمعابد الفرعونية كانوا مقبلين
على عملهم الشاق — فى أتمس الظروف — عن طيب خاطر لإحساسهم

يارضاء آلهتهم عن هذا السبيل ، فلم يكن عملهم محض سحره وإرغام كما تصور هيرودوت خطأ . وهذا القول في الدفاع عنهم فيه جانب قوى من الصحة ، ويشير إلى صحته ما بذله العاملون من قدرة فنية غارقة للعادة ، ولكنه إن دل على أمر فعلى مدى قوة هذه الغريزة الدينية ، وكيف أنها عميقة في الإنسان ، قادرة على أن تجعله يصنع المعجزات وقت اللزوم ؛ وكيف أنها قادرة أيضاً على أن تصنع من المتعبد إما فرعوناً قاسياً لا يرحم ، وإما عبداً سعيداً بالعبودية والهوان ، وذلك إلا إذا شاء له مستوى تطوره أن يرتفع بالتدين من مستوى الغريزة إلى مستوى العقل الناضج ، وال عاطفة النامية في الإنسان .

فلم يكن الفراعنة يعوزهم التدين إذا ، بل لقد كان تدينهم حقيقاً إلى آخر مدى . ولكن التدين مع نقص المعرفة أو الفضيلة قد يكون شراً من كل صور الإلحاد وقد يصنع من الأنانية إلهاً أنانياً ، بل موكباً كاملاً من آلهة تعوزها المعرفة والفضيلة ، كذلك الآلهة التي عرفها أيضاً الروم والرومان في أزهي أيام حضارتهم . ومثل ذلك يمكن أن يقال أيضاً عن التدين مع التوقف أو عنه مع الجود ، فإنه يصنع أيضاً آلهة متوقفة جامدة ، لا تسمع ولا تسمع حتى توصلات العابدين مهما توسلوا إليها في حرازة وفي إيمان !! ألا ما أعظم العبر التي يمكن أن يعتبر بها العاقل لو نقب قليلاً في صفحات الماضي الخافلة بالعبر في كل زمان ومكان ...

نحو حياة أغزر وأغمى

وهكذا جمدت في النهاية عقائد الفراعنة وتوقفت ، فتوقفت معها وبها حضارتهم الباهرة عن المسير ، فبدأ التدهور السريع الذي أطمع فيهم الغزاة والفتاحين ، لنفس الأسباب التي أطمعتهم من قبل في غزو جيرانهم من النوبيين والحيثيين والآشوريين وغيرهم ، وهكذا قامت حضارة بعد حضارة ، واندرت شتى الحضارات الواحدة بعد الأخرى .

وفي نهاية المطاف أصبح من رسالة الموكب الإنساني أن يتطور بصورة

أوضح نحو تحقيق أوفى لمشاعر أكثر رقة نحو الضعيف والمحروم ، وأكثر تقديرًا لمعاني العدالة والتضحية والتضامن الاجتماعي ، بعد الإفراط في الشعور بالذات وبالآلهة ، والاستغراق في عبادة هذه وتلك معاً . ونحوفهم أصبح لصفات إله المحبة والرحمة بعد آلهة الحروب والذباح .

وأصبح من رسالة الموكب الإنساني أن يتطور بوجه يكاد أن يكتسح ما عداه نحو تمجيد « الفكرة الصائبة » بعد « العزيمة الماضية » ، وبذلك دخل الإنسان تدريجياً في عصور الفلسفة ، والإلهام الراق ، والكشوف العلمية الرائعة في مجالات المادة وما وراء المادة ، والروح وما وراء الروح ، فبدأ الإنسان يعرف نفسه ويعرف طريقه إلى معرفة نفسه في عزم وفي ثبات ، وإن كان في تردد وفي اضطراب بين ما قد يبدو للعقل أنه حكم المنطق ، وما قد يبدو له أنه حكم الاعتقاد .

وهذه هي الاتجاهات التي تسير فيها حشود البشر تدريجياً ، ويبطء شديد متحدة النسكسة بعد الأخرى ، ولكن هدف التطور واضح ، وطريقه خطته عناية عاقلة وسط الزوابع والأعاصير ، عناية عظيمة تقف وراء هذا التطور باذلة ما وسعت نحو تحقيقه للوصول بالإنسان — في حدود طاقته — إلى الغاية النبيلة المعد لها منذ الأزل ، عن طريق إرادة حكيمة من عند عزيز قدير .

وقوى التطور تتصارع مع قوى الجمود والتخلف صراعاً لا يتوقف على هذا المستوى ، وعلى غيره من عوالم المادة وما وراء المادة ، ومن بينها هذا السوكب الذي اتخذته بنو البشر موطناً مؤقتاً لهم . وكأنه منقوش على لوحة القدر بحروف من نور ومن نار ، هذا الشعار الحق الذي يلبغى أن يهيم على موكب الإنسان باستمرار : وهو « نحو حياة أغزر وأعمق » ، ونحو إدراك للحياة أرحب وأصدق .

وهذا المسير المحتوم نحو حياة أغزر وأعمق قد يهيم من جانب العلم ،

كما قد يحىء بنفس المقدار من جانب الاعتقاد ، لو عرف البشر أن التوفيق بين جوهر هذا وذاك ليس مستحيلاً ، كما يتصور خطأ المتطرفون من « العليين » ، ومعهم المتطرفون من « المعتقدين » . ومع التطرف لا يصح رأى يستحق الذكر في علم ولا في اعتقاد ، لأن التطرف يؤدي حتماً إلى إهدار الجوهر لحساب المظهر ، والمعنى لحساب اللفظ ، والمعرفة لحساب الأشكال والحركات ، والتقدم لحساب الاعتداد بالرأى وبالذات .

وهذا المسير المحتوم نحو حياة أغزر وأعمق يحىء أيضاً من جانب الإيمان المدروس بقيمة العلم والاعتقاد معاً في توجيه الروح في رحلتها الطويلة عبر الأبدية . وفي هذا الشأن يقول الأستاذ مصطفى السكيك « فليس من شك في أن حياة الإنسان في عالم المادة وحياته في العالم الآخر حلقتان متصلتان في سلسلة الأبد . ويشبه هذا الاتصال ارتباط الجنين في بطن أمه بحياته الدنيوية التي ينتقل إليها بعد أن يكون أعضاؤها إعداداً كاملاً . وكما يعد الجنين وهو في بطن أمه إعداداً صالحاً لمواجهة الحياة على الأرض فإن الإنسان يعد في عالم المادة بتحصيل العلم إعداداً صالحاً لمواجهة مشكلات حياته في العالم الآخر . ومعنى ذلك أن مكانة الإنسان في الحياة الثانية متوائمة مع مقدار ما يكسبه لنفسه من العلم وهو على الأرض .

« أما إذا انتقل جاهلاً قليل الحظ من المعرفة فلم يعمل بكل جهده على تحقيق رسالة الحياة فإنه يكون في العالم الآخر أشبه بالجنين المسخ الذي يولد مشوهاً ، أو بالجنين الذي لم يكتمل تكوينه ، وفي الحالتين ينكره أهله وينكره الناس ، ثم هو بعد ذلك ينكر نفسه . ثم يستشهد المؤلف بالآية الكريمة « ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً » (١) .

كيفية الترفيع

والتوفيق بين جوهر العلم والاعتقاد بوجه عام يمكن أن يتحقق بسمولة

(١) عن مؤلفه « بين عالمين : عالم المادة وعالم الروح » . ١٩٦٥ م ١٢٨ .

لو فهم العقل الحديث معنى التشبيهات الجميلة في النصوص، والاستعارات والكنائيات والمجازات الرائعة الكثيرة التي حاول بعض «المعتقدين» أن يعطيها دلالات مادية ومفاهيم حرفية. وذلك في حدود ما كان يمكن لعقله أن يدركه من حقائق هذا الكون الهائل وضميره أن يعيه من أمور ضئيلة القدر محدودة المدى.

ولذا ورد في الحديث الشريف «إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم»^(١)، فمن لا يفعل ذلك إنما يجرث في الماء بل في الهواء والرسالات لا تعبت، ولا يعبت من بعدها فلاسفتها ومفسروها، لأنهم لو خاطبوا الناس على «غير عقولهم» لاتهموا بالعبت، ولما نجحوا في محاولة توجيه ضمايرهم إلى الإيمان ولا توجيه أخلاقهم إلى الفضيلة.

والإقرار بهذه الحقيقة الواضحة بذاتها أنسب بغير ما ريب لجلال الاعتقاد وأدعى للاجتهاد، وبالتالي للتطور العلمي، من القول بأن البنيان الإنساني يعادل السماوى في مستواه من تاحيتي القوة والعصمة، هذا القول الذى هو سند الحرفيين - من كل عقيدة - وسنادهم سواء أقروا به، أم لم يقرؤا، وإن تركوا ضمايرهم تتصرف على مقتضاه، وتوجههم على هواه في كل اتجاه إلا اتجاه المنطق المتناسك، والاعتقاد المؤمن بحرية البحث العلمى، التى ليس لها بدورها من سند ولا من سناد إلا حرية الفكرة والسكامة بغير ما قيد ولا تحفظ.

ثم أليست العصمة لله وحده؟.. فلماذا يدعونا التقليد لأن نضفي العصمة أحيانا على كل كلمة قبلت تحت راية الاعتقاد وباسم ساطانه العتيد على النفوس؟ ولأن ننحو نحو الجماهير الصاخبة عندما تستهويها العبارات البراقة التى تتلمق معاصرها وانفعالاتها، أكثر مما يستهويها الإدراك الصحيح لحقائق الأمور، وهندما تنفر من التفكير المهادى. قدر نفورها من الاعتدال والتزوى.

(١) من «المقاصد الحسنة» السخاوى ص ٩٣.

وذلك يتعارض - بغير ماريب - مع جلال الاعتقاد ودوره المحتوم في دفع عجلة التطور إلى الأمام ، وفي تلطيف الغرائز والانفعالات الصاخبة صيانة للإنسان في قدره ومصيره ، لا دفعاً به إلى هاربة الحروب والأحقاد أو الجود والاستبداد ، وكلاهما نتيجة محتومة لانفصال الاعتقاد عن العلم والعلم عن الاعتقاد .

والعقائد تكتسب جلالها أول ما تكتسبه من عقول المعتقدين ، وهذه من حق العلوم والمعارف الثابتة أن توجهها وتضئ جوانبها . كما ترتبط أيضاً بمقدار ما في نفوسهم من فضيلة أو رذيلة . فالإنسان الغر « يعتقد » غروراً حين يعتقد الإنسان الطيب طيبة وسلاماً ، مع أنهما قد ينتميان إلى مذهب واحد من عقيدة واحدة ... فهل « نعتقد » في عصر المعرفة هذا علماً وعرفاناً أم توقفاً وجموداً ؟ ١٩٠٠ .

وإذا كانت مدارك الإنسان متطورة بتطور المعرفة ، وفضائله متطورة أيضاً بتطور القيم والأقيسة الاجتماعية ، وينمو العلاقات بين الأفراد والشعوب ، فلا يمكن أن يحدد فهم الإنسان لكل جوانب العقيدة عند مستوى ثابت لا يتطور من الإدراك والفضيلة ، وإلا نأت هذه الجوانب عن إدراكه وعن فضائله معاً ، وهذا هو الإنكار لها بعينه .

أو بالأدق هذه هي مراوغة الإنسان المستنير لنفسه التي لا تمنحه نعمة الإيمان المستنير ، ولا نعمة أعمال العقل كما تعود في أخص شئونه وأبل مشاعره ، فإذا هو في النهاية موزع العقل والضمير تحت وطأة الوقوف عند فهم معين للأمور ، وعند آراء كثيرة قد يضفي عليها التوقف - وربما عن شعور غير واع - عصمة لا تختلف في شيء يذكر عن العصمة التي يسلم بها العقل الحكيم لله ، والله تعالى وحده .

بين الموت والتوقف !

وهذه العصمة التي يسلم بها العقل الحكيم لله تعالى وحده مستفادة من

أن حقائق الحياة الآزلية لا تقبل التبديل ولا التغيير ، وإنما هي عقولنا ، وإلهاماتنا ، وأخلاقنا ، ومشاعرنا التي تقبل التبديل والتغيير ، إذا أردنا الارتقاء وسعينا إليه . وهي بذاتها تمثل مسالكنا الوحيدة إلى حقائق الحياة الآزلية ، ولذا تبدو لنا هذه متطورة ، وما التطور إلا في تطور مسالكنا إليها . فإذا ارتقت هذه المسالك فقد ارتقت معها حقائق الحياة ، كيفما كانت الحياة وفي أى مستوى وجدت .

أما إذا تدهورت المسالك في رقعة مامن الكون فقد تدهورت الحياة وسط موكب رافع من النشاط والحركة يحيط بهامن كل جانب ، فإذا بهذه الرقعة تصبح عبئاً ثقيلاً على موكب الحياة ، فإما عرفت كيف تتخلص من تدهورها وإما عرفت الحياة كيف تنحيا جانباً كيما يسير الموكب ظافراً في طريقه ، إلى أن يقدر لهذه الرقعة نشاط بعد خمول ، ولشمس المعرفة فيها شروق بعد أفول .

ولا يكون النشاط بعد الخمول أمراً هيناً ولا عاجلاً ، بل مصحوباً دائماً بالمأسى وبالأحوال ، التي تجيء من ناحية الحماقة لا من ناحية الحكمة ، ومن ناحية الشطط لا من ناحية الاعتدال ، ورغم ذلك تسير الحياة في تقدمها على الدوام ، لأن إرادة الله أرادت أن يجيء تطور الحياة ظافراً في النهاية ومن كل جانب ، حتى من جانب أخطاء الحماقة والاندفاع عندما ترتطم بإرادة التعقل والاعتدال ، أو من جانب الطموح الكاذب عندما يصطدم بحقائق الحياة . وهكذا يجيء الخير من الشر رغمًا عنه ، ويتحقق - في النهاية - النهوض والارتقاء ولو في أعقاب دهر مليء بالجموح والأخطاء .

وذلك لأن مسير القافلة - ولو مع الخطأ المتراكم - خير من الرقاد بلا خطأ ولا صواب ، وخير من الاثنين معاً المسير مع كثير من الحكمة وقليل من الحماقة ، هذه الحكمة التي هي أئمن ما ينبغي أن يصبوا إليه الإنسان ، لأنها تمثل ذروة اجتماع العقل مع الإلهام ، ونمو الشعور مع الأخلاق ، وهي أمور كلها لا تنبع من التوقف بل من مواصلة الكد والعناء . ولكن بعد أن

يضع الإنسان قدمه في طريق الاستقامة والنقاء ، وبعد أن يعرف كيف يفكر لغيره بعد طول تفكير لنفسه وفي نفسه ! ...

* * *

فالتوقف إذا هو الموت الوحيد للروح الخالدة بطبيعتها ، والتي لا تعرف موتاً غيره ، لأن الإنسان خلق نامياً ساعياً بفطرته للزود - إلى ما لا نهاية - بحقائق الحياة ، لا بأوهامها . وهذه الحقائق لن تصل إليه إلا إذا وصل هو إليها بفضل نموه في الإدراك وفي العاطفة .

والروح هي المشكل المقدس للعقل ، كما أن العقل هو المستودع الأمين للعاطفة . والعقل والعاطفة هما القطبان السالب والموجب لحياة الروح . لأنه عن طريق تعقل الأمور - فحسب - تزود الروح بما يلزمها من إلهام ومن عرفان ، وعن طريق العاطفة النقية تشع الروح بما تزودته ضوءاً يرسم اتجاه الطريق - الصحيح - لمن حولها من بني الإنسان .

فكل حصار على نمو العقل والعاطفة إنما هو حرب باغية معلنة على الروح في صلاتها بالعقل الأعظم ، وفي اتجاهها الطبيعي إليه ، وفي روابطها المشروعة بمقول الآخرين . وعن طريق هذه الصلة وتلك الروابط عندما تكون واسعة الأفق ، متخطية السدود ، متحررة من حواجز الضيق والتزمت ، تزدهر حياة الروح في العقل النامي وفي العاطفة النقية . فإذا بها تفكر لغيرها بعد التفكير لنفسها ، وتتجه للمحبة بعد الاتجاه للسيطرة ، وإذا بها تخلق في السماء بعد رقاد بغيض في ظلمة ظلماء ...

وهكذا تنطلق الحياة من إسمار قبرها الوحيد ، وهكذا يصبح للوجود هدف غير هدف إزكاء الغرور والأحقاد ، وغير عبادة الذات والذات ، ومغزى أسى بكثير من مغزاها الباهت المتداعى ، بل الحزن الأليم في الرقاد والخنول .

وإذا تأملت في معارف إنسان هذا الجيل - وما سبقه من أجيال - بما فيها الطب والفلك والأخلاق والاجتماع والنفس والتشريع - لوجدتها كلها وقد تعثرت في مبدئها بأوهام واعتقادية ضخمة، ووقفت عند حواجز كادت أن تغطي جذونها للأبد حتى قبل أن تشتعل ، لولا لطف الله بالبشر .

فلما بلغت المعارف ذروتها في الاشتغال اتضح أنها هي بنفسها المشاغل التي تضيء طريق الإيمان النقي المستنير للإنسان ، وليس فيها شيء البتة من النار التي كان يخشى المتعبد، ليهيأ ويتصور آراءه والمعصومة لها وقوداً ، بسبب هوائف الضعف أو الخوف الغريزي في النفس من كل أمر ليس في الحساب .

كما اتضح أنها مشاغل حقيقية للفضيلة والمحبة وللتواضع ، وأنها تمثل - للروح المتطورة المتلطفة على الزود بالحقائق - الحياة بعد الموت لا الموت بعد الحياة . أو بالأدق تمثل حياة التحرر والانطلاق بعد موت العبودية والاختناق . ولا يجهل الانطلاق بغتة ، ولا يمكن أن يتحمل مسؤوليته كل إنسان ، لأن مسؤوليات الحرية عظمى تتطلب نضجاً في العاطفة ، وشجاعة في الرأي ، وتقديراً سليماً للأمر . وهي تفوق كثيراً مسؤوليات العبودية التي لا تتطلب من صاحبها إلا الطاعة والإذعان ، ومعهما الرقاد والتوقف .

فهل هناك مبرر للتوقف ، ولأن نتصور وجود تعارض بين العلم والاعتقاد؟ نعم إن هذا التعارض سد وسياج منيع لا يمكن اجتيازه في أذهان الحرفيين - من كل عقيدة - وضمائرهم . لكنه سراب لا وجود له - ليس عند الفلاسفة والعلماء وقادة الفكر لحسب ، بل أيضاً عند الإنسان المثقف العادى متى سمح لضياء المعرفة الصحيحة أن يضيء سبيل عليه وعقيدته معاً . فالعلم عند هؤلاء وهؤلاء هو عادم العقيدة الأمين، والمشعل الذي يضيء

سبيل المعتقدين ... فلم التردد أو الوجل ، بعد إذ فتح على مصراعيه أوسع باب للرجاء والأمل ١٩ ...

«عقائد الحياة» كما يراها فندلاي

ولعل خير ما تختتم به الفصل الحالي عن الروح بين العلم والاعتقاد، هو هذا المقال الضافي عن «حقائق الحياة» الذي استعرض فيه الأستاذ جيمس آرثر فندلاي J. A. Findlay (١) - مدير المعهد الدولي للبحث الروحي، حتى انتقاله في سنة ١٩٦٤ - وجهة نظر العلم الروحي في إقامة دعائم إيمان مشيد على العلم والتجريب ، بخلود الروح رغم فناء الجسد ، تقدمه للقارىء عن مجموعة واتجاه الروح الحديثة نحو فلسفة الإيمان ، التي اعتبرت فندلاي أحد أعلام هذا الاتجاه الحديث ، وفيه يقول في سطور مليئة بالطمأنينة والعزاء ، مفعمة بأسباب السرور والرجاء ، وتستحق كثيراً من الأناة في قراءتها والتأمل فيها ، ولكن - مع ذلك - بغير ارتباط منا بكل ما فيها من اتجاهات .

«وسط بلبلة العقائد في هذا العصر الذي يتسم بالانحلال الإيمان ، علام نعتد ؟ فكثير مما تعلّمناه على أنه حقائق مؤكدة نجده ، في عصرنا هذا الذي اتسعت معارفه ، خطأ يجب تنحيته جانباً . وماذا يتبقى لنا بعد ذلك ؟ إن كل شيء له قيمة باقية ، وأما الزبد فيذهب هباءً ، لذا ينبغي أن نلقيه بعيداً . وكل آمنيات الروح يمكن تحقيقها الآن لا بالإيمان والأمل ، بل بالمعرفة ... إن أسلافنا ، لتقديرهم أن على هذه الأرض يتساوى سلطان الحياة والموت ، استنتجوا معتقداتهم من الظواهر الطبيعية حولهم ، فقالوا إنه مثلما تغرب الشمس لتشرق ثانية ، ومثلما يموت النبات لكي ينحيا ثانية ، هكذا الإنسانية يجب أن تتبع نفس هذا النهج الطبيعي ، ومن ثم فإن الموت ما هو إلا عتبة لحياة أخرى .»

(١) راجع ما سبق منه في الجزء الأول من ٢٤٧ و ٢٤٨ ج ١

وحول هذه العقيدة البديية العامة بأن الموت ليس نهاية الحياة ، نشأت
طقوس — بعضها بدائى وقاس — مالبثت أن أصبحت ديانة للمارسينها .
وبملاحظة قوى الطبيعة ، قرر أسلافنا أن هناك قوة أو ذكاء فى الطبيعة ،
أى خارج قوامهم . وهكذا تطور ، بطريقة بسيطة ، الاعتقاد بأن ألواناً
مستقلة مختلفة من الذكاء تسيطر على العالم .

وكانت آلهتهم بصورة رجالهم ، وقساء مثلهم ، ولكنهم أقوى منهم
وأشجع . كذلك التصقت بهم صفات مستقاة من الظواهر الطبيعية . وبعد
قليل عزبت إلى بعض الرجال البارزين ، بعد وفاتهم ، صفات من صفات
الآلهة ، ونسجت حول حياتهم القصص والأساطير التى كانت تروى
عن الآلهة (١) .

وهكذا نصل إلى عصرنا الحديث ، الذى لا تزال الأغلبية فيه تعتقد فى
صدق هذه القصص التى تروى عن الرجال الآلهة . غير أن البعض قد وجد ،
بواسطة البحث ، أساس عقائد العالم ، وبذا تحقق من أن ما كان الكثيرون
يؤمنون به كحقائق ما هو إلا أساطير قديمة نسجت لترضى العالم فى مرحلة
الطفولة من نموه .

وأكثر الناس لا يزالون عبيداً لسيطرة العادة ، متمسكين بحكمة الماضى .
فالعادة تشبه السجون الموصدة بواسطة رجال الأزمئة القابرة ، الذين
أخذوا مفاتيح تلك السجون معهم إلى قبورهم . وهكذا يندثر الكثير من
الآراء القديمة ، حين أن القليل فقط منها يرى النور . ومع ذلك فلا زالت
الجمهير تسجد أمام مذبح كل ما هو أثيرى ، وتعبد ما تعتقد أنه المحصول
المقدس لما هو قديم .

إن الرجل المثقف المفكر الذكى فى العصر الحاضر يفكر لنفسه ، ويشفق
على ما يرتكبه الناس من أخطاء ومهازل ، ويحاول أن ينير عقولهم وضمائرهم
بالإشارة إلى المستقبل لا إلى الماضى . فالرجل المفكر — والمرأة المفكرة —

(١) يتحدث عن بعض الديانات البدائية المندثرة .

هما اللذان يساعدان العالم على حمل مشعل الحقيقة إلى الأمام ، وهكذا يقرب اليوم الذى يمتلئ به العالم بالنور .

ومتى اختفت كنوز الماضى التى تشبه الأساطير ، فإذا يتبقى لنا ؟ هل سنبقى بدون مشعل لأقدامنا ، وبدون نور لطريقنا ؟ بالتأ كيد لا . أليس لدينا الآن المعرفة عوضاً عن الأمل الذى كان يحدو وجدودنا إلى نسج الأساطير والخرافات ، وإلى تنظيم الطقوس التى وصل إلينا — بعضها — فى رداء المعتقدات والمراسيم المقدسة ؟ ...

ماهى إذاً الحقائق الثابتة لدينا ؟ ابتداءً بخصوص الأسرار العظيمة المتعلقة بالحياة والموت ، قد احتلت المعرفة الآن مكان الإيمان والأمل
ففى بحر السنوات المائة للماضية تم كشف الستار عن أغمض سر كان يجعل الإنسان فى خوف وعبودية مستديمين ، لقد تكلم أبو الهول أخيراً .
فن وراء البحر الشاسع الذى كان يبدو بلا نهاية ، قد وصلتنا — ساجدة فوق الأمواج — القروع والغصون التى تبرهن لنا على أنه توجد حياة فيما وراء الأفق ، وأن البحر الذى يبدو لنا قاسياً عنيفاً ما هو إلا قنطرة تصل بين حياة وحياة . فإلى حيث ذهب الموتى ، يمكن للعقل أن يذهب .
ومن الجانب الآخر قد وصلتنا ، الرؤيا ، فلا داعى للشعور الآن بأن الحياة ماهى إلا وادضيق بين نهايتين غامضتين . ولا داعى لنا الآن لأن نتطلع عبثاً فوق مستوى نظرنا ، ولا لأن نصرخ بصوت عال ثم لا نسمع سوى صدى صراخنا . ولا داعى لأن نقول إنه إن تأتينا من شفاه الموتى الصامتة كلمة تهدىء مخاوفنا .

لما نعرف الآن أن الحياة شىء أعظم مما كان يخطر ببال جدودنا وأنهم وأنبأ من ذلك بكثير . فالحياة ، على ما نعرف الآن ، مزينة كبرى . والعقل الخلاق الذى أبدعها قد رتب أيضاً . مستقبلنا بحكمة . وجدير بكل منا أن يحيا حياة لائقة بتفكير ذلك العقل ونفسيقه . وبما أنه لا يفقد شىء فى

الطبيعة ، فكما نفكر في هذا العالم ، هكذا سنصير في العالم التالي . وستبقى أفكارنا معنا حتى الأبد بمثابة قاض لنا . وبما أن أفكارنا هي أنفسنا ، فسندين أنفسنا بالعدل ، وسيكون المكان الذي نصل إليه هو ذلك المكان الذي أعدنا أنفسنا له ونحن على هذه الأرض .

وعندما ينتهى زمننا هنا ترجع الطبيعة الجسم البالى إلى الأرض ، وتحرر الكيان الروحي الذي كان مرتبطاً بحدودنا الجسمية إبان حياتنا الأرضية . ولا يمكننا نحن أن نسمع عبارات الترحيب التي تصي الإنسان المحرر ، ولكننا نعرف أنها تقدم له . ولا يمكننا أن نتبع أولئك الذين يغادروننا ، لكن يمكننا أن نتركهم في رعاية أولئك الذين يجتمعون ليرحبوا بهم ، فما يسبب الأسف هنا يكون سبباً للفرح والسعادة هناك .

ورسالتى إلى جميع الأحياء هي التالية : من ذلك العالم الذى سيصير وطننا يوماً ما ، يأتى رسل يحملون رسائل سارة إلى جميع الذين يعيشون فى الأرض ، وهم يقولون لنا إنه ليس علينا إلا أن نؤدى ما علينا على أحسن وجه ممكن ، ولن يطلب منا أكثر من ذلك . ويجب علينا ألا نضيع وقتنا فيما لا ضرورة له ، وأن نشغل أنفسنا فيما هو مفيد لنوعنا وخلقنا ، ولجعلنا جديرين بتلك البلاد التى ستصير وطننا يوماً ما .

إننا لم نخلق لنعيش فقط على هذه الرقعة الضيقة من الحيز التى تدعى الأرض ، بل إن هناك بلاداً عظيمة مجيدة فى انتظارنا بعد الموت . فالعقل لا حدود له وكل منا عقل ... لا أكثر .

وعندما تحل نهاية الحياة الأرضية ، يجب ألا نفكر أننا قد بلغنا الشفق أو أن السماء الذهبية تختفى نحو الغروب لآخر مرة فى حياتنا . يجب ألا نفكر أن الليل قد حل ، بل أن شروقاً أعظم فى انتظارنا وراء القبر ، فنواجه الموت كما نواجه النوم ، موقنين أن الصباح يتبع الليل ، وبهذه السكينة ندخل الفجر الذى يدعى الموت .

إن أحدا لم ير التركيب الذى وراء تكوين الرجل والمرأة ، ووراء الزهرة والشجرة ، وكل ما نراه هو الرداء الخارجى الذى ترتديه الحياة وتعمل فى إطاره لإبان حياة جسمية قصيرة . أما الرجل الحقيق ، والمرأة الحقيقية ، فهما مخلوقان أبعد كثيرا مما يمكن الحواس الجسمية أن تقدره . فكلنا لنا جسم أبدى آخر يسيطر عليه العقل ولا يمكن لأحد أن يراه أو يلمسه ، إذ أننا لا نرى سوى التعبير المادى لذلك العقل .

إن الجسم المادى ليست له حواس ، وكل مشاعرنا تتبع من جسمنا الأثيرى^(١) . فإن أحدا لم ير النواة التى تغطى الأرض الحياة ، غير أنه من ذلك الجسم المادى الذى تدفقه الأرض وترعاه الشمس والأمطار ، من تلك النطفة الصغيرة التى تشبه التراب ، تنمو زهرة البنفسج والورد . ولم يكن منشأ الحياة هو البذرة المادية ، بل العقل الذى وراء الحياة المادية . وعندما نفهم أن العقل هو كل شيء ، وأن كل شيء هو العقل ، فمعتدئ نبدأ أن نفهم ما هو الكون .

إننا نعرف أن الموت لا يرعبنا ، لأنه ليس إلا الاسم الذى يسمى به ذلك الباب الذى ندخل منه لنصل إلى صورة أخرى لوجودنا إلى عالم آخر أحسن وأسعد وأيسر للعيش . والموت ليس سوى تعبير لتقديرنا للتموجات التى يتكون منها الوجود . وبما أن الحال هى كذلك ، فأننا ندرك أن الحياة على الأرض ، ببهائمها وظلالها ، بنشوتها وألمها ، بجلالها ودموعها ، بأكاليلها وتيجانها ، بأشواكها وورودها ، بانتصاراتها وهزائمها ، ما هى إلا فترة استعداد ، أو مدرسة يجب أن يجتازها كل إنسان حتى يتعلم درس الحياة ، ذلك المدرس الذى لن ينتهى على الأرض بل يبقى للمرء أن يتعلمه حتى الأبد .

إننا نتعلم ببطء بأن نقدر ذلك المجرى العجيب للحياة ، بشلالاته وبركه ،

(١) راجع ما سبق منه فى الجزء الأول ص ٤٣٣ - ٤٣٧ .

الذى يصعد فى العالم الغير المنظور وينسكب فى الأرض ، ثم يرجع ثانية إلى العالم الأثيرى الذى نشأ منه . إنه ذلك الشعاع من الضوء الذى يجرى بين الظلمة والظلمة ، وينير الشريط الرقيق منها برداء من الخضرة لا يخبو أبداً .

إن ما يبدو حلماً بين شاطئى الميلاد والموت هو حقيقة عظمى . ومع أننا نبدو وكأننا نقف على جانب من الوقت الزائل ونحب ونؤمل ثم نختفى ، غير أن من أعظم حقائق الحياة هى أن كل حياة فردية لن تموت ، لأننا جميعاً جزء من العقل الروحى الذى لا يموت مطلقاً (١) .

* * *

فهل هناك توفيق بين العلم والاعتقاد أفضل من ذلك الذى جاء به علم الروح الحديث ؟ وهل من حق الإنسان أن يطمع فى أن يحصل من جهود العلماء وكفاحهم على رسالة ترضى عقله وضميره ، وتهدى روعه وشعوره بل تقلبهما إلى سرور وجور أكثر من رسالة الروح ، أى معرفته بنفسه ، وهى أئمن ما يصح أن يطمع الإنسان فى الوصول إليه إذا اقتنع تماماً بأنه فى النهاية « روح لا جسد » ، أو بالأدق روح باقية لأنها قبس من « العقل الذى لا يموت » ، وجسد فان لأنه جاء من التراب وإليه يعود ؟ ...

وهل هناك ضربات يمكن أن توجه إلى مدارس الشك والإنكار أقوى من ضربات الروحية الحديثة ، بعد أن قامت على أسس علمية ثابتة الأركان ، عميقة الأثر فى تطوير القيم والمفاهيم ، وتوجيه العقول فى ثقة ويقين وجهة الإيمان بالله وبالفضيلة والخلود ؟ .. وإذا كان علم الروح قد وصل إلى كل ذلك فى حاضره فما الذى ينتظر منه فى مستقبله إذا ما عرف كيف يزيل العقبات الضخمة التى لا تزال فى طريقه ؟ وذلك ينتقل بنا إلى الكلام فى « علم الروح بين حاضره ومستقبله » .

(١) عن مجموعة

باب جناسي

في علم الروح

بين حاضره ومستقبله

أسانيد بعيدة المدى . هل نوافرت لفيفة أخري مثلها ؟ معرفة
نهادي . معرفة تمام . بعض الدوافع غير العلمية للمعارضة .
الاعتراض بشهادة الحواس . في العقبات الحقيقية . المستقبل في
مناهب علم الروح . وبعد ! ...

* * *

أسانيد بعيدة المدى

لقد استطالت صفحات هذا البحث في العلم الروحي الحديث إلى مدى
لم يكن لينخطر لي قط على بال عندما بدأت . ومع ذلك أشعر أنها ينبغي أن
تتسع في النهاية إلى كلمة حق ينبغي أن يقال عن هذا العلم بين حاضره ومستقبله ،
أو بالأدق عن العقبات التي قد تقف في طريق مستقبله في ضوء ما ظهر من
عناصر الرأي في حاضره .

ولست أخال ابتداء أن أي إنسان طالع هذه الصفحات في الروح روح
محايدة — وفي ضوء ما تستحقه خطورة الموضوع من عناية ومن أناة —
إلا وقد وجد فيها أكثر من سبب للاقتناع بمجدية الموضوع ، ويجدوى موالة
الاطلاع الجاد فيه . إن لم يكن قد وجد فيها أكثر من سبب للاقتناع بأن
الروح قد دخلت بالفعل إلى نطاق الحقيقة العلمية ، بما في ذلك هذه المزية
العظمى التي تتميز بها عن الجسد الفاني ، وهي انتصارها المحتوم على رهبة
الموت وسلطان الفناء .

ولا أحب أن يعتقد القارىء أن البيانات التى طالعها ، والبيانات المنصلة بها ، تمثل كل ما يملكه هذا العلم الناشئ أو أفضلها . فهى لاتعدو أن تكون عينات من بيانات لعل ما اخترتها إلا لوضوحها ولسهولة عرضها . أما من يريد المزيد فله أن يرجع إلى أى من المراجع الموثوق بقيمتها ، فسيجدها تفيض بالكثير المقتنع لمن يريد أن يقتنع بطريقة علمية ، كأشد ما يكون الاقتناع الحكيم فى حذر وأناة .

أما من هيا ذهنه - مقدماً - لعدم الاقتناع ، فلا حيلة لأحد فيه ، لأن صاحبنا من ذلك الطراز الذى ألف الاعتراد بالرأى القديم لا يعدل عنه ، ولو اجتمع له أضعاف القدر المطلوب للعدول . فهو صاحب فكرة ثابتة تعصى على التقويم *dogmatiste incorrigible* على حد وصف الأستاذ هانز دريش Hans Driesch أحد علماء النفس المعدودين فى القرن الحالى وأستاذ الفلسفة بعدة جامعات ألمانية ، وقد خلعه بنفسه على هؤلاء المنكرين للظواهر الروحية - فى محاضرة له بجامعة لندن فى سنة ١٩٢٤ - بعد أن بلغت وناقضها ما بلغت من العدد والقوة ، وقد ساهم بنفسه فى تحقيق بعضها .

كما لا أحب أن يطالع أى إنسان هذا الجهد المتواضع إلا على أنه يمثل بحسب « مقدمة للنظرية العامة فى علم الروح الحديث » ، فذلك هو ما توخيته بالفعل منه لاعتقادي أن مثل هذه المقدمة هى التى تلزم الآن القارىء - بصفة عامة - كما يشعر أن الروح - وهى موضوعه الخاص - قد دخلت نطاق الحقيقة العلمية ، وأنها جديرة بالتالى بأن يعرف عنها شيئاً جديداً ومفيداً .

ولاعتقادي كذلك أن الدخول فى جزئيات هذا الموضوع والتغلغل فى أعماقه للموازنة بين بعض الآراء الخلافية فيه - والتى لا يخلو منها أى علم آخر - لا يمثل نفس الأهمية التى يمثلها الاقتناع - ابتداءً - بأن الحياة بعد الموت أصبحت حقيقة علمية ، بعد أن كانت فى الماضى مجرد عقيدة دينية .

وفلسفية ، وأن الصلات بين أحياء الأرض وأحياء الأثير أصبحت تبحث على أوسع نطاق بمعرفة جامعات عريقة وبيئات علمية جادة تماماً .

ولفطر حرصى فى هذه المقدمة لعلم الروح الحديث على الإحاطة بأهم الجوانب العامة فيه كنت سريع الانتقال من فصل إلى آخر ، مع أن كل فصل فيه كان يصلح - بغير ماريب - كيما يكون موضوعاً لمؤلف قائم بذاته - وربما من عدة مجلدات - فيما قد يبدو الآن مجرد جزئية صغيرة من جزئيات هذا العلم الوليد الذى تولته منذ نشأته أيد حكيمة كثيرة من كلا الجانبين المادى والروحى ، فجعلته يسبق الزمن فى نموه ، وكأنه على موعد محتوم مع قدر مرسوم يريد أن يجنب أبناء هذا العصر خطر المادية الملحدة التى تقف مكتوفة عاجزة عن أن ترسم للإنسان طريقاً أو هدفاً ، حين تعرف الروحية كيف تحدد له طريقه وأهدافه ، كما يريد أن يجنبه فى نفس الوقت خطر الجور الضار ، عندما تعرف الروحية كيف تحرره من القيود والإسار ، كيما يتعرف طريقه بلا تضبط ولا عثار ...

هل توافرت حقيقة أخرى مثل هذه الأسانيد ؟

وليثق القارئ أن صاحب هذه الصفحات ليس من صفاته سهولة التصديق ولا سرعة الاقتناع ، فلو لا طبيعة الإنكار الغالبة فيه لما احتاج إلى بذل كل هذا العناء فى التنقيب فى الروحية فى حذر شديد . هذا وقد بدأ اطلاعه المثابر منذ أن كان قاضياً ، ولم يكن الموضوع - برمته - يمثل فى تقديره أكثر من مجرد دعوى مطروحة على محكمة العلم ، ومن حق المدعين فيها - وما أكثرهم وما أضخم مكانتهم الفلسفية والعلمية - أن تفحص أسانيدهم قبل إبداء الرأى فيها .

فلما كون - ببطء شديد - رأيه طبقاً لنظام إقناعية الدليل ، وكان اقتناعه لا يعوزه التثبيت واليقين من الاطلاع والتجريب معاً ، رأى أن من واجبه أن يسجل فى كتاب خلاصة ما رآه من أسانيد اطلاعه خلال حقبة من

الزمن قاربت — الآن — العشرين عاماً ، مصحوبة بما استرعى انتباهه من فلسفات الأقدمين والمحدثين من الروحيين ، بالإضافة إلى خواطره الخاصة في بعض الجوانب العامة المحيطة بالبحوث الروحية . فلعل القارئ يستمد من هذا الاقتناع شعوراً بالسلام والاطمئنان ، كما استمد هو نفس الشعور بعد قلق طويل .

ولم تكن المشكلة الماثلة أمامه في أى وقت مضى هي في أن يقنع أى إنسان أو أن يحاول إقناعه ، بل كانت مشكلته الحقيقية هي في أن يقنع نفسه ، وأن يصل إلى رأى مترابط يرضى المنطق الناقد لهذا الأمر الغريب ، بل « الخارق للعقل » ، كما يراه حتماً كل من لم تتح له فرصة اطلاع كاف ، ولا تجريب .

ومع مداومة التساؤل عن مدى صحة هذا الأمر ، « الخارق للعقل » ، كان لا يكف أيضاً عن التساؤل عن مدى صحة البنيان العلمى الكامن وراء هذه الظواهر الروحية ، وعن مدى ترابط البنيان الفلسفى المحيط بها ، ومدى اتفاقه مع جوهر الاعتقاد ، بل مع جوهر المبادئ اللازمة للنهوض بالإنسان ، وهي كلها موضوعات مفرطة في عمقها ودقتها ، ولذا تخير مراجعته بناية شديدة ، حتى لا يقع ضحية تقرير من أقوال سطحية مرتجلة ، أو من تجارب مبسرة في أى اتجاه كانت .

ومع ذلك فمن حق القارئ العزيز — بعد مامره من بينات كثيرة في هذا المؤلف أو في غيره — أن يختار لنفسه طريق الاقتناع ، أو عدم الاقتناع إذا شاء . وهو سيختار في الواقع بين شهادة الحقائق العلمية التى قتلت بحثاً وتمحيصاً بمعرفة علماء كبار في معاهد جادة تماماً وخارجها ، وبين شهادة حواسه الخاصة . وهو حر في أن يغلب أياً من الشهادتين على الأخرى ، ولكن من حق الرأى السليم في هذا الموضوع الخطير — المفرط في خطورته وفي اتساع مداه — أن يطالبه بموالاته الاطلاع في مراجعته العلمية المعتمدة ،

وأيضاً بموالاتة التجريب بأسلوب على نافذ، إذا ما توافرت له وسائله بعيداً عن «تجار» الوساطة الروحية وأدعيائها.

وأيضاً من حق الرأي الصحيح في مثل هذا الموضوع الخطير أن يخاطب في الإنسان الفطرة السليمة قبل الذكاء المتوقد، والأفق الواسع قبل الرأي المغرض المتحيز. فبغير الفطرة السليمة والأفق الواسع يكون الذكاء المتوقد ضربة موجهة إلى حقائق الحياة لا سيلاً صحيحاً للوصول إليها. ولذا كانت أغلب حقائق الحياة أقرب إلى النفوس المتواضعة - من البسطاء والعلماء معاً - منها إلى عقول بعض أولئك «العالمة الكبار» أسرى حواسم الخاصة - وضحايا تسرعهم في الحكم على الأمور. وهم يحسبون أنهم سادة «الحقائق العلمية»، مع أن الحقائق بعيدة عنهم بعد الأرض عن السماء!

هذا وقد عرضت في صفحات المؤلف الحالي بجزئية جانباً ضئيلاً من أسانيد الحقيقة الخطيرة التي يقوم عليها علم الروح الحديث، وبينت جانباً يسيراً من مراجعه المعتمدة، ومن الأسماء المبرزة فيه، ومن النتائج الواقعية والفلسفية التي وصل إليها. وكنت - كما وعدت - حريصاً على الرجوع لحسب إلى أعمال لفيف من أفضل فلاسفة وعلماء القرنين الماضي والحاضر الموزعين على أرقى البيئات والمعاهد والأكاديميات العلمية في شتى بلاد العالم، بمن واصلوا تجاريهم لعشرات من السنين، وكانت قدرتهم على النقد الموضوعي المخايد، وعلى تأصيل الأمور وحسن تحليلها فوق كل شك أو شبهة في أي ميدان طرّقه من ميادين الفلسفة أو العلم التجريبي، ومستبعداً تماماً ما عداها حتى يشعر القارئ. فعلاً أتنا إزاء حقائق خطيرة موضوعية لا تنال منها تلك الأقوال المرتجلة، ولا اعتراضات لفيف من «الأدباء البلغاء» الذين لا يملكون سوى قدرة على القول المرسل المعاد، دون أية قدرة صحيحة من علم أو من تجريب مثابر جاد.

وأى إنسان يرغب في المزيد من المعرفة فيه فليرجع إلى بعض مراجعه

الموثوق فيها وفي أصحابها فإنه سيلحظ أنه يحيا مع عدد من أفضل أصحاب
المقول النيرة الناقدة ، ويتبادل الرأي مع أئمة كبار للفلسفة والمعرفة ،
ارتبطوا مع ضمائرهم على أمر واحد وهو محاولة الوصول إلى الحقيقة العلمية
ولا شيء غيرها ، لأنها في تقديرهم أئمن من كل حقيقة أخرى . ومن ثم
انبعوا في البحث عنها أشد الأساليب العلمية الناقدة دقة وصرامة .

كما سيلحظ أن في بحوثهم من الضمان ما يبعث على الاطمئنان التام بأننا
إذا علم صحيح يستمد عناصر وجوده وازدهاره من نفس العناصر التي تستمد
منها كافة العلوم الأخرى عناصر وجودها وازدهارها .

بل إن علم الروح الحديث يعرف - بالمقارنة مع العلوم الأخرى -
مصادر إضافية لهذه العناصر :

- منها فطرة الإنسان التي فطره الله عليها، والتي ألهمت عقله دوماً وفي كل
مكان أن يعرف طريق الاعتقاد بدوام الحياة بعد الموت بصورة ما، تستوى
في ذلك المجتمعات المتحضرة مع تلك التي عاشت - وما تزال - على الفطرة ،
ومجتمعات الحضارات المندثرة مع الحضارة المعاصرة . فطرة الإنسان حملته
على أن يشعر في كل زمان ومكان أنه أكثر من مجرد جسد مادي يحوله
الموت إلى حفنة من تراب ، لا شعور فيها ولا إدراك .. . فإين ذهب إذا
الشعور والإدراك ؟ ..

- ومنها الفلسفة العظمى التي وصل إليها العقل عن خلود الروح منذ
أزهى عصوره اتصالاً بالفلسفة وتعلقاً بها حتى الآن ، وبخبر توقف
ولا انقطاع (١) .

- ومنها رسالات الرسل والأنبياء الذين وجهوا عقائد البشر إلى الخير
والنقاء على مر العصور وفي كل الأرجاء . وقد التفت عند جوهر الفضيلة
كما التفت عند التسليم بأن الإنسان موهوب للبقاء لا للفناء في ماضيه
وحاضره ومستقبله على السواء (٢) .

— ومنها — كعلم حديث — هذا التطابق الواضح في الأصول والكماليات، وهذا التوافق الكافي في النتائج والمقدمات، وذلك إلى المدى الذي كان من المحال أن يتحقق — ولو جزئياً — ما لم نكن إزاء علم صحيح له أسانيدُه الراسخة في حقائق الطبيعة ونواميسها الثابتة التي لم يدرك العلم منها شيئاً يذكر بعد .

— ومنها هذا الترابط الواضح بين أصوله وكمالياته وبين أصول العلوم الأخرى وكمالياتها، من فيزياء وفلك وبيولوجيا وانثروبولوجيا وفسيولوجيا ونفس وغيرها .

— ومنها هذا التقدم السريع إلى الأمام، وهذه الأرض التي أخذ في العصر الحاضر يغزوها بنيران ما توقف في مؤلفات عدد من أفضل العلماء، وفي أروقة المعاهد والجامعات، وفي المحافل والمؤتمرات، وفي الجلسات العلنية في أكبر القاعات .

— ومنها هذا البنيان الفلسفي المترابط الذي شادته بحوث هذا العلم على أروع وجه وأقوى صورة . حتى لم يكن القول بأن الروح كانت عند الإغريق وليدة الفلسفة، أما الآن فهي عند المحدثين أم لفلسفة حديثة عن الخلود وما يرتبط به من أمور متماكة فلما تجد لرؤيتها نظيراً بين فلسفات الأرضيين، على ما لا حظه وشهد به عدد من أفضل الفلاسفة والمفكرين المعاصرين .

فهل اجتمعت لصحة أى علم آخر من علوم الحياة مثل هذه الأسانيد في وضوحها وعمقها وتماسكها وتعددتها ؟ .. وما اسمه وأين يوجد ؟ ...

* * *

لكن مع كل هذه الأسانيد — الواضحة العميقة المتماكة المتعددة — فإن المعارضين لم يكفوا عن المعارضة مع ذلك ولن يكفوا إلى سنين كثيرة مقبلة فيما نتوقع، وذلك لأن حقائق الكشوف الروحية أكثر عمقاً — وارتفاعاً — واتساعاً — من قدرة بعض العقول على الفهم والاستيعاب . هذا من جانب

أول ، ومن جانب ثانٍ لأنها تتطلب مثابرة وإطلاعاً صحيحاً في فروع كثيرة من العلوم ، وذلك يتطلب أيضاً جهداً يتجاوز قدرة البعض الآخر على البحث والتحصيل . ولذا كثر المقتنعون من الفلاسفة والعلماء الكبار ، وكثر أيضاً المعارضون من أنصاف المتعلمين والكتاب السطحين الهاربين من البحث ، لأنه يقتضيهم مشقة لا قبل لهم بها . ومن جانب ثالث لأنه ليس من طبيعة الإنسان أن يستسلم بسهولة لحكم البرهان الواضح ولا المنطق الحاسم ، وإلا لما كان هناك ضراع خالد بين الحق والباطل وبين الخطأ والصواب ، خصوصاً وأنه في هذا الميدان بالذات قد تعددت الدوافع المحتملة للمكابرة وتضافرت عناصر البهتان .

ولست أقصد البتة أن كل معارض يصدق عليه شيء مما تقدم ، لاني أعلم جيداً أن هناك من قد يعارض لدوافع لها تقديرها مهما كان الرأي في قيمتها الإقناعية ، كما أن في صفوف غير المقتنعين من يستحق التقدير التام مهما تفاوت الرأي في هذا الموضوع بينه وبيننا . على أن هذا التقدير الشخصي لا ينفي حق النقاش النزيه لموضوع خطير غاية الخطورة ، هو ملك الآن للحقيقة العلمية وحدها ، وليس ملكاً لأي إنسان .

فإذا كان الإنصاف يعني بعض هؤلاء المعترضين من تبعة التحامل المغمض فإنه قد لا يفهم مع ذلك من تبعة الاعتداد بالرأي القديم لمجرد قدمه ، والتسرع في الحكم على هذا الأمر الروحي الخطير ، لمجرد أنه جديد على علمهم ومعلوماتهم ، والناس أبدأ أعداء ما جهلوا ، بل أعداء كل أمر جديد^(١) . ومنهم من قد يكون مثقفاً ، بل عالماً في أي فرع من فروع العلوم ، لكنه قد كون رأياً مبتسراً — في موضوع يأتي تماماً لفرط دقته وخطورته الابتسار في الرأي — ومع ذلك يريد أن يعطى رأيه قيمة مطلقة ونهائية .

(١) وقد أوردنا في ص ٦ من الجزء الأول بعض أمثلة والمية لمقاومة كل أمر جديد مأخوذة من دورس التاريخ الحافل بالمطبات والعبر لمن يريد أن يمتيز .

وهذا يصدق بوجه خاص على معارضة بعض السادة من المحللين النفسيين من أبناء مدرسة فرويد التي لا تسلم — بعد — بحياة بعد الموت، ولا بوجود قوة أخرى خارج قوة المخ والحواس الفيزيكية للإنسان لمجرد دعوتهم عن تصور إمكان ذلك . ومثل هذه المعارضة لا تضير البحث في الروح بعد المرحلة التي قطعها ، والحقائق التي وصل إليها . فالاحتجاج بملكات العقل الباطن في دحض قيمة الظواهر الروحية أو إضعاف دلالتها قد فقد قيمته نهائياً الآن بعد أن لاحظ أحسن فلاسفة النفس في القرن العشرين أن غالبية ملكات العقل الباطن هذه تثبت استقلال الوعي عن الجسد المادى ، وأن كل ما يثبت هذا الاستقلال يثبت — في نفس الوقت ونفس الأسباب — بقاء الوعي بعد تحلل الجسد المادى، ولا ينفي هذا البقاء .

وقد أشرنا إلى ما ذكره الفيلسوف هنرى برجسون في هذا الشأن (١) . كما أشرنا إلى آراء صريحة كثيرة لأفضل علماء النفس في جانب علم الروح ، ومنهم بوجه خاص : وليام جيمس (٢) ووليام مكدوجل (٣) وكارنجتون (٤) وراين (٥) في أمريكا . ومنهم فردريك . و . ه . مايرز (٦) ووليام براون (٧) وفلووجل (٨) في إنجلترا ، ويونج في سويسرا (٩) وهانز دريش في ألمانيا (١٠) ولومبر وزو (١١) وبوزانو (١٢) في إيطاليا .. فهل هناك من النفسيين من هم أنداد هؤلاء في القرن العشرين ؟ وأين هم ؟

(١) راجع ما سبق في الجزء الأول من ٢٠٠ — ٢٠٥ وفي هذا الجزء من ٥٢٤ — ٥٢٧ .

(٢) راجع ما سبق في الجزء الأول من ١٥٤ — ١٦٢ .

(٣) راجع ما سبق في الجزء الأول من ١٧٤ — ١٧٥ .

(٤) راجع ما سبق في الجزء الأول من ١٦٥ — ١٦٨ .

(٥) راجع ما سبق في الجزء الأول من ١٧٥ — ١٨٢ .

(٦) راجع ما سبق في الجزء الأول من ٢٢١ — ٢٢٢ .

(٧) راجع ما سبق في الجزء الأول من ٢٠٦ .

(٨) راجع ما سبق في الجزء الأول من ٢٠٧ .

(٩) راجع ما سبق في الجزء الأول من ٢٩٤ ، ٤٤٩ — ٤٥٢ .

(١٠) راجع ما سبق في هذا الجزء من ٦٢٤ .

(١١) راجع ما سبق في الجزء الأول من ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

(١٢) راجع ما سبق في الجزء الأول من ٣٨٨ — ٣٧١ .

وليس الأمر الهام أن هؤلاء قد أبدوا آراء صريحة واضحة في جانب علم الروح ، بل الأخطر من ذلك هو دلالة هذه السيكولوجيا الحديثة التي تشيد الآن على نطاق واسع ، والتي مقتضاها في النهاية - مهما ، تفاوتت في تفاصيلها - أن العقل الواعي يمثل إدراك الإنسان الذي يستخدمه خلال المخ والحواس المادية ، وأن العقل الباطن يمثل الإدراك الذي يقع عن غير طريق المخ والحواس المادية . وهذا العقل الباطن هو في النهاية العقل الحقيقي للإنسان الذي يوجه تصرفاته ويتحكم في ملكاته ، وقد يلزمه بالتالى في رحلة الأبدية . وهذه هي النظرية الروحية بعينها^(١).

لكن كل هذه البحوث العلمية الهادئة الموضوعية المحايدة لا توازى في نظر بعض النفسانيين المحافظين مانادى به فرويد من أنه لا توجد وظائف أخرى خارج المخ ، وما أسسه من نظريات لا محل فيها لإيمان بحياة بعد الموت !! هذا القول الذى قيل في عدة مراجع إنه عدل عنه في سنه الأخيرة .

بل إن علماء الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا والفسولوجيا الذين تعمقوا في بحث الظواهر الواسطية لمدى سنوات امتدت عند بعضهم إلى عشرات قبل أن ينسبوا إلى مصدرها الروحي كانت نصب أعينهم نظريات علم النفس في ملكات العقل الباطن ، وبخاصة في التحليل النفسى والإحياء والتلباثى وازدواج الشخصية والتنويم المغناطيسى والسيكومتري وغيرها ، لفرط اتصالها بموضوعات بحوثهم في هذه الظواهر .

ومن يراجع ما كتبه أمثال سير وليام كروكس ، أو سير أوليفر لودج ، أو سير ألفرد راسل والاس ، أو سير وليام باريت ، أو الأستاذ شارل ريشيه ، أو غيرهم من أقطاب العلوم المادية الصرفة - قبل أن يكونوا

(١) من أحدث المؤلفات في هذا الاتجاه مؤلف الأستاذ ج. ج. بنيت J. G. Bennett عنوانه « سيكولوجيا روحية » A Spiritual Psychology صدر في سنة ١٩٦٤ .

من علماء الروح - عن أشرنا إلى بعض بحوثهم وأعمالهم في البابين الثالث والرابع من الجزء الأول ، وفي الباب الخامس من الجزء الثاني . يمكنه أن يتحقق من أن أيهم قد تزود - قبل الإقدام على بحوثه في الظواهر الوساطية - بقدر من المعرفة في السيكلوجيا يتجاوز يقيين القدر الذي يعرفه بعض هؤلاء السادة من المحللين النفسيين المعترضين بغير ما بحث ولا اطلاع .

معرفة نثرناوى

فعلم النفس بمفهومه المادى قد أصبح الآن أطلاقاً أو أن شئنا خطأماً إزاء البحوث الروحية الحديثة ، وما تكشفته عنه من بنيان مترابط من الحقائق الخطيرة ، وقد ظهر وما يزال يظهر لعدد من أفضل علماء النفس والفلاسفة علماء بدائياً قاصراً ، حتى أن منهم الآن من يأتى أن يعترف به كعلم له أصوله الصحيحة .

وفي صفحات هذا المؤلف أشرنا إلى أقوال صريحة للفيلسوف وليام جيمس عندما تنسك - بعد بحوثه الروحية - لمؤلفه القديم ومبادئ علم النفس ، وقال فيه ما لم يقله الإمام مالك في الخبر ، ومثل هذه الآراء الخاسمة الصريحة أصبح القارىء يقابلها الآن كثيراً عند عدد من أفضل الفلاسفة والعلماء النفسيين في القرن الحالى . ومنهم عالم النفس والفيلسوف الألمانى المعاصر كارل ياسبر K. Jaspers الذى يقول : كان طبعياً أن تسيطر على النفوس أساليب فرويد ومدروسته في مجتمع مهزوز مكشود . من الممكن أن نلاحظ أن الناس في عالمنا المقلوب هذا قد أحسوا حاجة شديدة إلى التحرر ، وجاء التحليل النفسانى فزودهم بذلك الوهم ، وكما نخادع خداع ذلك العالم ذاته إننا هنا بصدد عملية جبارة من عمليات الاستهواء الذاتى الذى هو نتاج صادق لهذا العصر ... (١) .

(١) عن « كارل ياسبرز : مستقبل الإنسانية » ترجمة وتقديم الدكتور هيثام أمين . القاهرة :

ثم استمع إلى تحية دحارة ، إلى السيكولوجيا المادية صادرة عن الطبيب العالمى والعالم الفسيولوجى ألكسيس كاريل - وله أكثر من صلة بالبحوث الروحية - فى مؤلفه « الإنسان ذلك المجهول » ، عندما يقول « إن باتولوجية العقل تعتمد على السيكولوجيا مثلما تعتمد باتولوجية الأعضاء على الفسيولوجيا ... ولكن الفسيولوجيا علم فى حين أن السيكولوجيا ليست علماً ... إذ مازالت السيكولوجيا تنتظر « كلود برنار ، أو « باستير ، آخر ... لقد كانت السيكولوجيا موجودة فى حالات الجراحة حينما كان الجراحون حلاقين ، وفى الكيمياء قبل « لافوازييه » . ومع ذلك فقد يكون من الظلم أن تهم النفسيين العصريين ووسائلهم بالنظر إلى الحالة البدائية الحاضرة لعلم النفس ، إذ أن شدة تعقيد هذه المادة هى السبب الرئيسى فى جهلهم ... » (١) .

كما يقول العالم الشهير فى مكان آخر وقد أحدث فرويد أضراراً أكثر من تلك التى أحدثها أكثر علماء الميكانيكا تطرفاً ، فإن من الكوارث أن نخزل الإنسان إلى جانبه العقلى مثل اخزاله إلى آلياته الطبيعية الكيميائية ، ثم يستدرك مع ذلك قائلاً « إن استبدال الروحى بالمادى لن يصحح الخطأ الذى ارتكبته النهضة . فاستبعاد المادة سوف يكون أكثر إضراراً بالإنسان من استبعاد العقل .. وإنما سيوجد الخلاص فقط فى التنحى عن جميع المذاهب ، وفى القبول التام لمعلومات الملاحظة وإدراك الحقيقة القائلة بأن الإنسان لا يقل ولا يزيد عن هذه المعلومات » (٢) .

ومثل هذه المعانى نقابلها عند الدكتور محمد كامل حسين الجراح المعروف ، ومدير جامعة عين شمس السابق ، عندما يقول أيضاً : « كل هذه الاعتبارات تجعل الباحث يتردد كثيراً فى تطبيق الطريقة التحليلية

(١) من ترجمة الأستاذ عادل عفيفى ص ١٢٥ .

(٢) من المرجع السابق ص ٢١٦ .

على الظواهر النفسية ، بل إن هذه الاعتبارات تجعل الإنسان يكاد يهزم أن تطبيق هذه الطريقة على النفس سيؤدي إلى قيام علم لا أساس له ، كما قام علم الكيمياء (قديماً) كنتيجة لتطبيق طريقة الاستنتاج على الظواهر الطبيعية .

ثم يقول في مكان آخر : هناك فرق كبير بين أن تصف الظاهرة وبين أن تصورها . الأول حقيقة والثاني خيال . وقد تستعمل طريقة المشابهة لشرح بعض الظواهر القريبة فتشبه بأخرى معروفة لتقريبها إلى الأذهان ، على أن يظل مفهوماً أن الوصف تشبيه ، وليس الأمر كذلك في هذين العلمين الضالين (الكيمياء قديماً والتحليل النفسي حديثاً) . فهما علمان قائمان على تصور الوقائع لا على وصفها ، ويمكن أن توضع للواقع صور كثيرة ، ولكن الوصف الحقيقي لا يكون إلا واحداً . . . وفي كلا العلمين غموض قد لا يشعر به المختصون ، ولكنه على الفكر العادي غموض على كل حال ، والغموض صفة ملازمة لكل علم ضال . . . والعلم لا يكون غامضاً إلا أن يكون به عيب من خطأ أو قصور . . .

ثم يقول أيضاً : ولعلنا إذا وفقنا لمعرفة القيمة الحقيقية للتحليل النفسي نفتح الطريق للباحثين في علم النفس أن لا يركنوا إليه ، بل عليهم أن يلتمسوا طريقة جديدة للبحث في النفس وفهماً جديداً لظواهرها ، كما حدث في علم الكيمياء ، حين لم يتبين الحق في هذا العلم إلا يوم اكتشفت طريقة التجربة والمنطق التحليلي ، وعند ذلك تصبح العلوم النفسية علوماً حقيقية غير ضالة . ولا أظن أن التحليل النفسي سيستطيع أن يصل بنا يوماً إلى هذه الغاية (١) .

* * *

وعلم الروح الحديث يعتمد على منطق التجريب التحليلي هذا الذي قاد أوضح خطى التقدم العلمي في العصر الحديث ، ووصل به إلى الكشف

(١) من مقال عنوانه « الكيمياء قديماً والتحليل النفسي حديثاً » منشور في كتابه « متنوعات » طبعة ٢ من ١٠١ - ١١٠ .

الرائعة التي ينعم بها الإنسان ، سواء في الطب أم في الكيمياء أم في الفيزياء أم في غيرها ، وهذه ضمانات من أكبر ضمانات الثقة في النتائج التي وصل إليها .

وهو من هذه الناحية يقع على النقيض من علم النفس بمعناه التقليدي والمؤسس - حتى الآن - على نظريات افتراضية ، طالما ثبت فشلها الذريع عند ارتطامها بأرض الواقع ومواجهتها لحقائق النفس الإنسانية في الحياة العملية وفي مصحات الأمراض العقلية ، بل وفي عيادات هؤلاء السادة من المحللين النفسيين المعترضين بغير ما بحث ولا اطلاع . فعلام كل هذا التعلق بالنظريات البالية ، خصوصاً بعد أن تساقطت أوراقها تدريجياً كما تساقط أوراق الشجر في الخريف ، وبدت الجذوع والأغصان ذابلة لا حياة فيها ولا رونق لها ١٩

معرفة تمام

ومهما كان الإنسان في حكمه على علم النفس بمفهومه التقليدي فإن هناك - على أية حال - علماً جديداً للنفس يشيد الآن على أنقاضه ، وفي ضوء الكشف الروحية على اختلاف صورها ، علماً يتحدث عنه ر . ا . هـ . ليفنسال في سنة ١٩٢٩ قائلاً : «لمدى العشرين العام الماضية كرس علماء النفس وقتهم متأثرين بفرويد في البحث عن العقل الباطن ، وإذا صح أن نظرية العقل الباطن تسيطر اللثام عن كثير من الأحاسيس التي تفسر أعمال البشر ، فإنها لا تكشفها كلها ، فهي تفسر الشاذ منها لا الأعمال الخارقة للعادة .

وعلم النفس الحديث هذا وقف على منطقة جديدة في الإنسان أطلق عليها وصف الفوق الواعي . وعلى نقيض العقل الباطن أو غير الواعي الذي يمثل التيارات المغمورة لطبيعتنا ، فإنه يكشف ضروب السموات التي يمكن لطبيعتنا بلوغها . والإنسان يتمثل في شخصية ثلاثية لاثنائية لحسب ، فكيف لنا الواعي وتحت الواعي يتوجهما وهي سام . . .

ومنذ سنوات كتب العالم النفسى الروحى المعروف ف . و . ه . مايرز يقول أيضاً : إن فى أعماق كيانتنا تختبئ كومة من الثغابات مع كنز ثمين . وعلى نقيض علم النفس الذى يوجه اهتمامه إلى الإدراك تحت الواعى لطبيعة الإنسان ، فإن علم النفس الحديث للإدراك السامى يركز انتباهه فى ذلك الكنز الذى هو المنطقة التى تلقى دون سواها ضوءاً على أعمال البطولة المجيدة غير الانانية للبشر ، ... وهذه المنطقة هى بعينها التى تلقى نفس الضوء على أعمال الملهمين والعباقرة والوسطاء الكبار ، وهى التى يعنى بها بوجه خاص علم الروح بوصفه أصلاً لعلم النفس الحديث لا فرعاً منه ، رضى بذلك النفسيون المحافظون أم لم يرضوا . . .

وذلك مع العلم بأننا - فى حدود ما نملك من اطلاع محدود - نسلم تماماً بوجود ظواهر نفسية صرف مثل قراءة الأفكار أى التلباتى Telepathie والإيحاء Suggestion والإيحاء الذاتى Auto Suggestion يمكن أن تختلط ببعض ظواهر الوساطة الروحية ، وبأن بعض صور الرؤية التى قد يراها الوسطاء الروحيون عبارة عن محض ظواهر نفسية . فلا ينبغي أن يفوتنا أن الوسيط يملك عقلاً من نفس نوع العقول التى تملكها الأرواح غير المتجسدة ، ويملك بالتالى أن يؤثر بصورة ما فى الوسط الذى يحيط به ، كما يملك أن يتأثر به على نحو أو على آخر ، ومن ذلك أن يتلقى تأثيرات معينة عن طريق التلباتى من عقول بعض الجلساء معه فى الغرفة ، أو من بعض البعيدين عنه أيضاً .

ولكن هناك ظواهر روحية صرف لا يمكن تعليلها إلا ببقاء الوهى بعد الموت ، وبإمكان نشوء صلات بين رعى أحد المنتقلين ووهى الوسيط أو الوسيطة ، تماثل إلى حد كبير الصلات التى يمكن أن تنشأ بين عقل شخصين أو أكثر لا يزالان على قيد الحياة الأرضية ، وقبل التحرر من ربة الجسد المادى .

وذلك لأن كل ما يصح أن يصدر عن عقل الروح المتجسدة incarnated يصح أن يصدر مثله من عقل الروح بعد انفصالها عن الجسد ، disincarnated . فكل هذه الخصائص النفسية من مميزات الروح لا الجسد ، لأن العقل بشطريه الواهي والباطن موطنه الروح ، أما المخ فموطنه الجسد . بل إن الروح بعد تخليها عن جسدها تكون أقدر غالباً على إحداث هذه التأثيرات « النفسية » منها قبل هذا التخلي وذلك :
 أولا : لأنها تستخدم عقلها متحرراً من قيود الاعتقال في الجسد المادى .

وثانياً : لأنها تستخدم عقلها بالكامل ، أى بشطريه الواهي وغير الواهي مندجين معاً أحدهما في الآخر ، لأنه بالتححرر من الجسد المادى لم يعد هناك بعد شطر غير واع من العقل .

وثالثاً : لأنها أسرع انتقالاً بكثير بعد « الوفاة » عما كانت قبلها ، مما يسهل لها أن تنشئ صلات مباشرة مع عقل الوسيط كانت تعجز عن مثلها قبل « الوفاة » .

وربما : لأنها بالنظر إلى إرتفاع اهتزازها تحصل على قدرة من التأثير في الأثير الرقيق المحيط بها تفوق قدرتها السابقة قبل الوفاة . وكذلك الشأن في تأثيرها في أية طاقة قد تنبعث من الوسيط ، أو من أحد الجلساء ، بما في ذلك احتمال تأثيرها في الاكتوبلازم ، إذا ما توافرت لها أية وساطة من هذا القبيل (١) .

هذا من جانب ، ومن جانب ثان فإن التمييز عادة يكون ميسوراً بين ما قد يرد إلى عقل الوسيط من عقل كائن لم يتخل بعد عن جسده المادى ، وما قد يرد إليه من عقل كائن تخلى بالفعل عن هذا الجسد . وسبل تحقيق شخصية الروح أصبحت الآن متنوعة ، وقد عرضنا لبعضها في مناسبتته (٢) .

(١) راجع ما سبق في الجزء الأول من ١١٩ - ١٢٢ ، ١٢٩ - ١٤٠ .

(٢) راجع ما سبق في الجزء الأول من ٣٩٥ - ٤٠٠ .

ومن جانب ثالث فإن تمت ظواهر روحية غالبة لا تملك النظريات النفسية التقليدية أى تحليل لها ، خصوصاً تلك الظواهر الفيزيكية التى أمكن تسجيلها بأجهزة دقيقة أو بالكاميرا ، مثل تجسد الأرواح كلياً وجزئياً ، والصوت المباشر ، والكتابة التلقائية والمباشرة ، وظهور صور وكتابات شتى على الألواح الحساسة ، وتحريك الأجسام الصلبة ، وعلاج بعض الأمراض العضوية التى لا تمت بصلة مباشرة إلى الحالة النفسية أو العقلية للمريض ...

ولقد وصل العلم الآن إلى إمكان التمييز بين الظواهر النفسية الصرفة ، وبين ظواهر الوساطة الروحية التى تثبت دوام الوعى بعد التخلي عن الجسد المادى ، بفضل بحوث دقيقة تسكل بها علماء كبار — نفسيون وغير نفسيين — ممن واجهوا بشجاعة مسئولية البحث العلمى المباشر ، متحررين من قيود الماضى وافتراضات المدارس المادية فى علم النفس القديم .

ولحسن الحظ قد انتهى بفضلهم العصر الذى كانت تفسر فيه كل ظاهرة روحية بأنها من نتاج العقل الباطن للإنسان ، وكانت الظواهر كلها قويت وكلها ظهرت دلالتها الصارخة كلها أضنى النفسيون المحافظون على العقل الباطن — تدريجياً ومع الوقت — اتساعاً رهيباً لا يمكن أن يعترف به أى بحث علمى محابى . واكتسب العقل الباطن قدرات فى الخلق والإبداع تفوق كل تصور ، فأصبحت ظواهر التجسد الناطقة الواضحة من نتاج العقل الباطن وقدرته الساحقة فى الخلق والإبداع ... وكل ذلك للتوصل — عن طريق الافتعال المفروض — إلى نقي دلالة الظواهر الواضحة الصريحة ، حتى التجسيدات المادية فى الإنباء عن درام الحياة بعد موت الجسد المادى .

* * *

وفى هذا الشأن يتحدث الأستاذ موريس ماجر Maurice Magre قائلاً : يمكن القول بأن فرويد Freud خلط بين الماضى والمستقبل .

إن العقل الباطن (أو غير الواعي inconscient) عبارة عن كومة غير مرتبة متبقية من حيواتنا الماضية^(١)، ترتفع منها أحياناً دفعات غامضة وقوى متضاربة إلى عقلنا الواعي، إذ لا يمد العقل الواعي أضواءه إلا على مساحة صغيرة، ولكن أمامه الأرض الواسعة التي للوعي الأسمى La Conscience Supérieure، والتي عليه أن يغزوها ولو عن طريق مجهودات مؤلمة. وعن طريق هذا الوعي الأسمى قد تأتي أحياناً ومضة من الضوء، أو شعلة ترسم الطريق يخطونها عادة بما يشير به العقل الباطن، إذ أنه لا شيء يميز عندهم ما هو قادم من فوق بما هو قادم من تحت.

ولذا أسندوا جميع الظواهر التي تتجاوز نطاق القوانين الطبيعية - وبغير أية تفرقة بينها - إلى هذا الذي يسمى بالعقل الباطن، بغير أن يعرفوا ما هي حدوده بالضبط. فأسندوا إلى هذا العقل الباطن قوى أشد إعجازاً بكثير من كل ما يمكن تخيله في نطاق المعجزات. فمثلاً إذا ما أخذ وسيط في غيوبته في التحدث أو في الكتابة بلغة قديمة - ولو كانت هي اللغة السنسكريتية التي لا يعرفها - فذلك بفضل العقل الباطن !! وإذا ما عهد نفس هذا الوسيط الخاضع لاستحواذ كائن غير معروف أو قوة غير محددة إلى قراءة أفكار غيره، أو إلى الرؤية عن بعد، أو إلى رسم أحداث مضت، أو إلى التنبؤ بأحداث مستقبله تنبؤاً صحيحاً، فكل ذلك يعزى إلى العقل الباطن! وهكذا - عن طريق تحكم لا يمكن تهريبه - افترضوا أن قوى العقل الباطن لانهاية لها.

ومعنى ذلك استبدال صورة من الإعجاز بصورة أخرى تبدو أشد منها غرابة، وأبعد منها عن التصور. ولكن يبدو خطأ فرويد صارخاً أكثر من ذلك في شأن تفسير الأحلام^(٢)، ...

(١) إذ أن المؤلف من أنصار نظرية تعدد الحيات Re-incarnation.

(٢) عن مؤلفه عن « التدخلات فوق الطبيعية » ص ٥٩، ٦٠.

Les Interventions Surnaturelles (1939).

ولقد أخطأ فرويد كثيراً عندما قال باستبعاد التمييز بين العقل الأسمى والعقل الأسفل ، لأنه باستبعاد هذا التمييز قد استبعد التفسير الوحيد المقبول لكل الظواهر التي عرض لها ، فإن هذا التمييز هو الذى يبرز ذاتية ما هو روى psychique وما هو واعٍ

، إن هناك نوعاً من التعمية الفلسفية وقصوراً فى النظر عند القول بأن الإنسان مسير بعقله الباطن الأسمى . إن العقل الباطن يحىء من ناحية أعماق أبعد كثيراً من أعماق الطفولة . إنه عبارة عن كتلة غامضة من تجارب متراكمة من الحيات السابقة ، ومن المستحيل ألا يكون فرويد قد رآها ، ولكن هل كان بمقدور عالم غربي أن يقول بذلك ؟ لقد كان فرويد مقيداً بالفكرة الأولية التي كونها عن النفس الإنسانية ، والتي لا تحتل سوى حياة واحدة ، هي حياتها المنظورة .

ولإنها لفكرة مماثلة لها ، هذه الفكرة التي تميل إلى إنكار كل حياة للنفس بعد موت الجسد ، والتي تحمل عدداً كبيراً من بحاث ما وراء الروح إلى أن يعزوا إلى العقل الباطن كل ظاهرة من الظواهر الفوق الطبيعية .

إن العقل الباطن يصح تشبيهه بالجميل الذى كان يتحدث عنه بوذا ، والذي كان يعلم أنه العدو الأعظم للإنسان ، لأنه عبارة عن « فوضى لا شكل لها chaos informe ، حيث تنصارع الشهوات الحيوانية والخاوف القديمة من العصور المنقضية .

إن دماء العقل الباطن أخطأوا ، أو بالأدق بالغوا ، لأنهم لم يحسبوا حساب وعينا الأسمى الذى يمثل ذواتنا الحقيقية ، التي صرنا إليها بعناء شديد من حياة إلى حياة ، وخرجنا بها من من الانعكاسات السفلى ، هذه الذات التي اعتقد العالم النفسى الممتاز يونج Jung أنه قد اكتشفها أخيراً وأطلق عليها وصف « الإنسان السماوى L'homme Celeste ^(١) » .

* * *

(١) من الترجمة السابق من ٦٣ ، ٦٤ . وراجع ما سبق من بعض آراء يونج في الجزء الأول من ٢٩٤ ، ٤٤٩ - ٤٥١ .

وليس المقام - مع ذلك - مقام دخول في نقاش مع أى إنسان . إنما بعد البيانات التى سردناها نظن أن من حقنا أن نتطلب فيمن يحاول الجدل أن يطلع أولاً اطلاعاً كافياً في هذا الموضوع المثشعب الأطراف ، وأن يواصل البحث والتجريب لسنين كثيرة ، فإن ذلك أفضل جداً للحقيقة العلمية التى ينبغى أن تكون وحدها رائد الجميع . أما الاهتداد بالرأى ، وأما التمسك بالتقديم لمجرد قدمه فهو ليس من سمة العلم الصحيح فى شيء ، ولا هو السبيل الصحيح للوصول إلى أية حقيقة من حقائق هذا الكون غير المحدود ، والتى لا يعرف العلم منها حتى الآن إلا أقل من القليل .

بعض الدوافع غير العلمية للمعارضة

فإذا تركنا معارضة بعض المحللين النفسيين ، وجسدنا دوافع كثيرة غير علمية للمعارضة . منها بوجه خاص الشك المطلق الذى ليس له ما يبرره فى نتائج جميع البحوث العلمية فى الروح مهما كانت أمينة ومحايدة ، ومهما أحيطت بجميع الضمانات المطلوبة للاطئنان إليها . وهذه الطريقة الغربية من الشك ، أو بالأدق من الإنكار المضطرب ليست من الأسلوب العلمى فى شيء أيضاً ، ولانكفى لهذا نتائج جميع البحوث العلمية الدقيقة التى أحيطت بالضمانات الكافية ، والتى أسفرت عن كثير من النتائج الإيجابية الحاسمة التى صمدت على أعين وسائل الاختبار والتجريب . بل إنها خطة من المكابرة تثير من الابتسام أكثر مما تثير من الأسى ، ومن الإشفاق على أصحابها أكثر مما تثير من العنيق أو الغضب .

ذلك لأن الموقف بين القائلين بالثبوت ، وبين أصحاب هذه الخطة من الإنكار مقدماً بغير ما تحفظ ، هو أشبه ما يكون بموقف صاحب دهنوى إذا قدم إلى القاضى مائة دليل على صحة دعواه . فإذا فرضنا أن القاضى استبعد تسعة أعشار هذه الأدلة - للشك فيها أو لعدم صحتها - ألا يكنى العشر الباقى وحده - متى صمد لكل وسائل التحقيق والخبرة الفنية - للحكم

للمدعى بصحة دعواه ١٩ بل لنفترض أن هناك دليلاً واحداً لحسب حمد تماماً لأقصى وسائل التحقيق والخبرة ، وكان منصباً على أصل الحق المدعى به ألا يكنى للقول بثبوت من الناحية المنطقية حتى مع استبعاد كل الأدلة الأخرى ؟

وهنا في مجال الحاجة الروحية لسنا لإزاء دليل واحد حمد على أعقبي وسائل البحث والتحقيق ، ولا عشرة ولا مائة ولا ألف دليل . بل نحن لإزاء أكده من أدلة تم تمحيصها في بيئات عليية ، وبوسائل علمية في أنحاء شتى من العالم ، ولا يمكن لسكثرة هذه الأدلة أن يمتد إليها حصر الآن . وهي مترابطة متساندة فيما بينها وفيما بين حقائق العلوم الأخرى ، أفلا يوجد فيها دليل واحد قادر على إقناع صاحبنا هذا المصير مقدماً على إنكاره بغير ما سند ولا سبب ؟ ... فما بالك إذا كانت أمامه الآن أعمال عشرات من الجامعات والمعاهد والهيئات المنتشرة في كل مكان ، والمطروحة على محكمة العلم بكل تفاصيلها وأسانيدها التي تحمل على الثقة فيها ، والمستمدة من الطريقة التي جرت بها وقيمة الأشخاص الذين تأبروا عليها عشرات من السنين ؟ . والمستمدة قبل كل اعتبار آخر من النتائج المترابطة التي انتهوا إليها في أخطر حقيقة كونية وضع العلم المادى يده عليها حتى الآن .

والأ تساوى هذه البحوث مجتمعة معارضة من مقصر ربما تكون كل صلته بهذا الموضوع الخطير أنه قرأ فيه كتابين أو ثلاثة قد يعوزها النهج العلمي ، وكثيراً ما يشوبها الخلط بين العلم والشعوذة ، أو قد تكون محض شعوذة - فما أكثر المشعوذين باسم الروح - فيتصور أن هذا هو علم الروح وأن هذه هي كل أسانيده ؟ وهكذا يكون صاحبنا رأياً لا يحيد عنه يتصور فيه كل العصمة ويبادر إلى الإمساك بالقلم للهجوم على الموضوع كله في جملة تفاصيله ، بغير هوادة ولا رحمة ! !

ويشبهه المعارض الذى حضر بعض جلسات فاشلة ، أو ذلك الذى كان

ضحية دجال باسم « تحضير الأرواح » ، فخرج باقتناع حاسم بأن الموضوع كله محض دجل . وقياساً على ذلك هل يجوز لمن كان ضحية طبيب فاشل أن يمان أن الطب كله محض خرافة ودجل ؟ وهل يجوز أن نقرر أن الطب كله محض ادعاء لمجرد انتشار ادعاء الطب في كل مكان ؟ ... وهل يكون ذلك من المنطق العلمي في شيء أم يبعدنا حتماً عن ميدان الحقائق النافعة إلى ميدان المهارات الضارة ؟ ..

ويؤسفني أن ألاحظ أن عدداً ما من الذين تصدوا للاعتراض سلم خلال سطور ما يكتب من تحامل قاس بأن بواعث معارضته لاتخرج في النهاية عن بعض هذه البواعث أو كلها . فهل يوصل مثل هذا النوع من الاعتراض إلى أية حقيقة علمية ؟

بل إن منهم من لا يزال يتصور أن الأمر كله عبارة عن محض مباراة كلامية ، وأن العبارات الرنانة — التي قد تتخللها أحياناً ألفاظ منتقاة معاقب عليها قانوناً ، وتسكرها تماماً أساليب النقاش العلمي — كقيلة بأن ترهب المفكرين والعلماء ، وبأن تقوض نهائياً بحوثاً تجري — منذيف ومائة عام — على أشد المناهج العلمية صرامة بغية الوصول إلى الحقيقة وحدها ، وما أخطرها من حقيقة . . .

إن كل هذا البيان الشاخ من النتائج الإيجابية التي جمعها العلماء في كد ونصب سيصبح هشياً تذروه الرياح ، لأن صاحبنا الأديب نزل إلى الميدان منفعلاً بقلمه البليغ في الإنشاء . . . أما أن يتهم نفسه بالتسرع في تكوين الرأي ، أو بالاندفاع فيما لا مجال فيه للاندفاع ، فكلاً وألف كلا ، لأن الخطأ ليس من شيمة هؤلاء البلقاء الأذكياء ! لكنه من شيمة جميع الهيئات العلمية ، والجامعات العريقة ، ومن يعملون مثابرين فيها وفي خارجها من مفكرين وعلماء .

بقى من الدوافع غير العلمية للمعارضة عند بعض المعارضين اعتقاده الجازم أنه قد ملك الحقيقة المطلقة كاملة غير منقوصة ، وملك غيره البطلان ! فهو يتوقع من أى باحث أو كاتب أن يردد هذه الحقيقة كما يفهمها بنفس صيغها وحروفها ، وبلا زيادة ولا نقصان. ويريد بالتالى من فلسفة الروحية - أيا كان مصدرها - أن ترضى كبريائه وأن تصوره ناموساً - متحيزاً وغيباً - قدر لشخصه المرموق التفوق والالتصار ، وقدر لغيره الضياع والاندحار !

فإذا بدا من هذه الفلسفة الروحية أى أفق واسع ، أو أية عجة غامرة للبشر أجمعين - وعلى قدم المساواة فيما بينهم - فهذه هى بعينها الطامة الكبرى . وهى بغير ما ريب فلسفة من وحى الجن أو الشياطين ! وبما أن هذه الفلسفة لن ترتفع - أبداً - إلى مستوى فهمه العظيم ، فهو لن ينزل - أبداً - إلى مستوى فهمها العقيم ، الذى يناقض ما رضع لبانه منذ الصغر من فهم - لحقائق الحياة - أليم . . . فهو يملك بالتالى كل سبب يدعو إلى رفض الموضوع فى جملة وتفصيله .

وهذا الطراز من المعارضة كان - وما يزال - هو الطابع المميز لموقف بعض المعارضين باسم الاعتقاد - بوجه خاص - والمستترين بستاره فى كل مكان ، وذلك منذ بدأت البحوث الروحية فى سنة ١٨٤٦ حتى الآن . والفلسفة الروحية واضحة عرضاً لبعض أجزائها فى الأبواب الثلاثة الأخيرة من الجزء الثانى ، وهى لا تحتاج إلى من يدافع عنها ، أو إلى من يقارن بينها وبين غيرها من فلسفات لكن لنفرض جدلاً أنها بعيدة عن الحق وعن السكال ، هل يكفى ذلك من الناحية المنطقية الصرف لرفض الموضوع جملة وتفصيلاً ؟

لو صح إمكان ذلك من الناحية المنطقية لصح إذاً لمن يقرأ فلسفة لا تعجبه آتية من بلاد الصين أن ينكر وجود هذه الفلسفة ، وينكر معها

وجود أية صلة ببلاد الصين ، بل أن ينكر وجود بلاد الصين ذاتها ويقول إنها محض خرافة . أو أن يتخذ منها موقف العداء المبين بلا هوادة ولا لين ، أو أن يصر على أن بلاد الصين هذه لا يقطنها سوى الجن أو الشياطين
أليس ذلك من الناحية المنطقية هو بالضبط موقف هذا الصنف من المعارضين ؟ وهل يؤدي مثل هذا الأسلوب غير العلمى فى بحث الأمور إلى الوصول إلى أية حقيقة علمية ، ومتى وفى أى مكان نجح فى ذلك ؟ ..

* * *

ومن ضمن وسائل الاعتراض التى يتذرع بها هذا الصنف أيضا تصوير أخطار وهمية قد تحيط بالبحوث الروحية وبأحشائها ووسطائها ، وذلك لتشفير الناس من البحث فيها أو الاطلاع عليها . ولندع مناقشة ذلك للروح الفرعونية القديمة نونا Nona على لسان الوسيطة روزمارى وهى تقول : كل فرع من فروع البحث له أخطاره . وإنما تأتى المآسى من الأعداء الجبهة الذين لا يقدرّون قيمة المواهب الذهبية . كذلك كانت مأساة جان دارك والتى لم تتضح بعد لمعظم هؤلاء الذين يتشدقون ببطولتها الفريدة . وإذا كان للوساطة اليوم قيمتها فيجب أن نعين الشجعان من النساء والرجال الذين يتحملونها ويقاسون عناء حساسيتهم الزائدة فى عالم هو بالنسبة لهم منخفض النبذة .

لقد ذهب الأيَّام التى كان الجهل يرفع فيها عقيرته ويوجه فيها التلميحات للشيطان .. إن هؤلاء الوسطاء هم ملح الأرض .. (١) .
قطعت جبهة قول كل خطيب . . .

الاعتراض بشهادة الخواص

بقى من ضمن دوافع المعارضة غير العلمية عدم الثقة إلا بما قد تنبئ عنه

(١) من كتاب « مصر القديمة تتحدث » Ancient Egypt Speaks من تأليف الدكتورين هوارد هيلم H. Hulme العالم فى التاريخ الفرعونى من أكسفورد ونوردريك وود F. Wood .

الحواس المادية والتجارب الشخصية للإنسان . ويصعب أن نتصور وجود معارضة قائمة بذاتها لا تملك من دوافع الاعتراض إلا التذرع بشهادة الحواس وحدها . فإن هذا النوع من المعارضة إنما مكمل ومتداخل مع الاعتراض بعدم صحة جميع البحوث التي جرت في هذا الشأن ، وكلا النوعين يستندان في حقيقة الأمر إلى الاعتقاد الجازم الذي يملأ عقول بعض الناس بأنه قد ملك الحقيقة المطلقة كاملة غير منقوصة ، وملك غيره البطلان ! فإن هذا الاعتقاد الجازم ولا شيء غيره هو الحافز الحقيقي الذي يستتر عادة بستار إنكار قيمة بحوث الآخرين ، وعدم التعويل إلا على شهادة الحواس المادية والتجارب الشخصية ، على حساب أن يرتدى بذلك مظهرأ علمياً مقبولاً ...

وهذا الاعتراض بشهادة الحواس لا قيمة له بداهة رغم أن الظواهر الروحية حسية في جوهرها ، لكنها لا تحدث عند الطلب وليس للعلم المادى عليها من سلطان ، وليس هناك من سبيل لأن تكون كذلك . فهذا الصنف من المعارضين يريد أن يأمر الظواهر الروحية فتأتمر فوراً وتحدث على أقوى صورة قرأ عنها أو سمع ، وإلا فهي غير صحيحة ، وكل من يتحدث عن صحتها ساذج مخدوع ..

وكأنه يريد بمنطقه هذا من قوانين الطبيعة أن تغير من طبيعتها ، وأن تعطل نفسها ، بل أن تلغى وجودها حتى يسلم هو بوجودها ... وهو غالباً يريد ظواهر مثيرة ، فلا تقنعه الظواهر الهادئة أو البحوث التي تجري في صبر وأناة ، مهما أحيطت بالضمانات الكافية ، ومهما وضحت دلالتها ، لأنه يريد أولاً وقبل كل شيء من عالم الأثير أن يكون طوع بئانه ، وإلا فلن يتنازل بفضل الاعتراف له بأى وجود ، ولن يمنحه هذه النعمة العظمى التي لن يستحقها منه . ولهذا الاعتراض قيمته لو أن الأسلوب التجريبي زعم أنه قد سيطر على الروح وعالم الروح وأخضعهما لسلطانه . لكن أحداً من العلماء لم يزعم ذلك ، بل إنهم كلهم يسلمون بأن الروح هي سيدة المادة وليست

المادة سيدة الروح ، وأن رسالة الروح هي « أن تعرف لا أن تعرف وأن تشعر لا أن يشعر بها » ، كما بينا ذلك في عدة مناسبات^(١).

ثم إن عدم خضوع الروح في ظروفها العادية لحواسنا في حالتها الطبيعية أمر لا ينبغي بذاته صحة وجود الروح ، وصلاتها المحتملة بنا ، لأن حكم الحواس لا يصح أن يكون هو الفاصل بين الحق والباطل بعد ما ثبت من قصور هذا الحكم إلى أقصى مدى . أو لنقل مثلما قال المرحوم الأستاذ عباس العقاد بحق في معرض الدفاع عن الإيمان بالله عن غير طريق الحواس — فهو من الناحية المنطقية ينطبق إلى نفس المدى على الإيمان بالروح وبالعالم الروح — « إن العلم براء من هذا التعطيل الذي يشل العقول ويفقدها شجاعة الاعتقاد . فإذا جاز له أن ينكر فإنما يجوز ذلك بحجة واحدة وهي أنه يجهل وليس أنه يعلم . ومن الجهل لا من العلم أن نجعل الجهل مرجعاً للوجود من أهله إلى أدناه ، فليقل « العالم ، أنه يجهل لأن الأمر أكبر من أن يعرفه ويحيط بمحدوده ، لكن الأمر الذي لا يعرفه ولا يحيط بمحدوده موجود لاشك فيه .. »^(٢).

ومع ذلك فلسنا — في نطاق علم الروح الحديث — إزاء محض اعتقاد أو إيمان ، بل نحن إزاء ظواهر حسية خضعت لكل وسائل الاختبار المعمل كما قلنا ولا تزال تخضع له في كل مكان . وكل ما يميزها عن ظواهر العلم المادى الصرف هو — لحسب — أنها ليست طوع إرادته ، لأن ظواهر الروحية خاضعة لنواميس لاسلطان لأحد عليها . لكن من الجائز أن تنجح متى توافرت لها ظروفها وبعد التقيد بقواعدها . وذلك لا ينبغي مطلقاً إمكان صحتها وصحة دلائلها الخطيرة في الإنباء عن دوام حياة الإنسان بعد موت الجسد ، وعن الصلات المحتملة بين سكان الأثير وسكان الأرض ، بحسب أى مذهب في الفلسفة اتخذه الإنسان سبيلاً له إلى أية معرفة صحيحة حتى الآن .

(١) راجع ما سبق في الجزء الأول ص ٩٤ — ٩٩ ، ٣٣٠ .

(٢) من كتاب « الله » طبعة ٢ ص ٢٩١ .

ويستوى في ذلك مذهب ديكارت Descartes (١٥٩٦-١٦٥٠) فيلسوف الشك الفرنسي مع غيره . لأن ديكارت وإن كان يستبعد شهادة الحواس ويتندرع بالشك إلا أنه يصل عن طريق الشك إلى اليقين ، فهما وصل إلى الشك فليس بمقدورى أن أشك فى أننى أشك ، . ولأنه يعلم بأن بمقدور الإنسان مع تزايد معرفته أن يصل بعقله إلى اليقين فى كل ما يستطيع الوصول إليه ، إذ أن العقل السليم هو أعدل الأشياء قسمة بين الناس . فالمعرفة الواضحة عنده هى المعرفة العقلية ، ما دام أن الله هو الذى يضمن كل معرفة وكل حقيقة وكل علم ، لأنه هو مبدأ المعرفة ومصدر اليقين ، .

وأحب أن يقدر هؤلاء السادة من المعارضين المتسرعين أن جل بحاث العلم الروحى الحديث ورواده لم يبدأوا شاكين ، بل بدأوا منكرين تماماً ، فإذا كانوا قد انتهوا إلى اليقين بعد سنوات طوال من البحث المضنى فإن اليقين كان بعد استبعاد شهادة الحواس ، وبعد أن كان سيبلغهم إلى اليقين هو المعرفة العقلية ، خاضعة لكل وسائل التحيص والنقد الصارم التى يعرفونها .

ولا يقل عن ذلك فى الوصول إلى نفس هذه النتيجة مذهب عمانوئيل كنت Emmanuel Kant (١٧٢٤ - ١٨٠٤) الفيلسوف الألمانى الذى يجعل العلم قادراً على الوصول إلى نتائج يقينية إذا ما درس عالم الظواهر الطبيعية . لأن العقل يزود صاحبه بالعناصر الأولية المطلوبة لتحقيق صحة الظواهر فى التجربة . وذلك إذا ما لوحظ ما سبق أن ذكرناه فى أكثر من مناسبة من أن محور العلم الروحى الحديث هو دراسة ظواهر معينة مهما كانت غير عادية أو غير مألوفة ، فإنها من ظواهر الطبيعة التى خضعت لوسائل التجربة والتحقيق . لذا يطلق على الروحية الحديثة وصف الروحية التجريبية لتمييزها عن الروحية الفلسفية أو الدينية .

وإذا ذهبنا مذهب أوجست كونت Auguste Comte (١٧٩٨-١٨٥٧) وإمام الفلسفة الوضعية — والذى كان يمتك كل تأمل ميتافيزيقى —

لوجدنا أننا هنا إزاء ظواهر لا تمت بصلة إلى التأمل فيما وراء الطبيعة ، بل نحن إزاء بحوث معملية صرف من نوع تلك البحوث التي كان هذا الفيلسوف يطالب بتطبيق المنهاج العلمي عليها على أوسع صورة ، حتى نصل إلى تنمية التراث العلمي ، وتنظيم أوضاع حياتنا على قواعد مدروسة ، ...

فكيفما قلبنا النظر في موقف المعارضين باسم شهادة الحواس لوجدنا أن موقفهم لم يعد مفهوماً من الناحية المنطقية منذ نصف قرن بالآقل ، بعد أن صمدت هذه البحوث لمدة نصف قرن آخر على أدق وسائل البحث الوضعي ، والتحصيل الدقيق داخل بيئات علمية بدأت منكراً للوضع تماماً .

في العقبات الحقيقية

لكن مهما كثرت معارضوه - هذا العلم الحديث وتعددت بواعث معارضتهم - كما ترى - فإن وأيم الحق لا أخشى على مستقبله منهم ، لما بينت من أسباب عن بطلان معارضتهم ومخالفتها لكل منطق علمي وفلسفي . ولا اعتقادي أن مرور الزمن يخدم كل حقيقة علمية مهما كابدت من معارضتها ، كما كان الشأن دائماً وعلى مر العصور . بل إن الخطر الحقيقي على مستقبله يكمن في جانب من « الروحيين » أنفسهم سواء أكانوا من الوسطاء أم من الباحثين السطحيين والكتاب .

وذلك لأن البحث في موضوع الأرواح يمكن - كما بحث آخر - أن يجرى على كل مستوى . فهو يمكن أن يرتفع بفضل المنهاج العلمي الصحيح إلى مستوى من « علم أصيل قد لا يدانيه في عمقه وفي فائدته للإنسان أي علم آخر ظهر على سطح الأرض سواء في كشفه عن حقيقة الإنسان ، أم عن حقيقة الطبيعة وعن عوالم أخرى ليس عليها إلى الآن أقل إشارة من علم .. » على ما لاحظته عالم من أبرز العلماء في القرن الماضي ، وهو سير وليام كروكس . أما عند انتفاء المنهاج العلمي بسبب شدة الحماس أو سرعة التصديق فإن هذا البحث ينزل حتماً إلى مستوى من هدر يضر حتماً ولا ينفع أحداً .

فليحذر إذا كل باحث جاد من سرعة التصديق ، أو من الانقياد وراء
الأوهام والخرافات ، وليضع نصب عينيه أن في ميدان البحث في الروح
بالذات خرافات كثيرة طالما أساءت إليه وألبست الحق بالباطل . وليلم
أن صلة المشعوذين بالروحيين كصلة أذعياء الطب بالأطباء . وليس هناك من
يفصل بين الحق والباطل في هذا الشأن إلا الأسلوب العلمى الناقد والبحث
المثابر المحايد الذى ينبغى أن يضطلع به عدد كاف من العلماء والاختصاصيين
مجتمعين ، لا يحدوهم هدف سوى رغبة الوصول إلى الحقيقة العلمية وحدها
بصرف النظر عن أى اعتبار آخر . ومهما كبدهم هذه الحقيقة من مشقة
الاطلاع المتواصل ، وعناء التجريب الذى لا يتوقف لسنوات طوال .

* * *

وكذلك من الناحية الخلقية أيضاً ، فإن هذا البحث يمكن أن يرتفع إلى
مستوى من الخدمة الراقية التى ترفع من قدر صاحبها ، ومثله الوساطة الراقية
أيأ كان نوعها . كما يمكن أن ينزل أيهما إلى مستوى من الدجل قد يخضع
لقانون العقوبات ، شأنه في ذلك شأن الطب أو السيكلوجيا أو القانون ،
أو أى علم أو فن آخر عندما يستخدم في استنزاف مال البسطاء ، أو في الاتجار
بأحزان الناس وآلامهم .

فعلى القارىء أن يحذر تماماً من قد يحاول إيهامه بأن له أى سلطان على
الأرواح ، أو أن الأرواح تقضى الحاجيات المادية التافهة ، إذ هى لا تغنى بها
ولا تعرف كيف تقضيها ، لأنه يهملها أولاً خلاص نفوسنا ونحريرنا من
التعاقب بالحاجيات العابرة التى لا تسمن ولا تغنى من جوع . فطريق الروح غير
طريق الجسد ، وسبيل الحياة الباقية يقع على التقبض من سبيل الحياة الفانية .
ثم إن قوانين الطبيعة نفسها تجعل نشاط الأرواح محكوماً بهذه القوانين الروحية
إلى آخر مدى ، فلم أقرأ أن روحاً واحدة رغبت في خدمة مصلحة مادية لأى
إنسان مهما كان وثيق صلة بها ، أو تمكنت من ذلك .

وفي هذا الشأن يروى طبيب لبناني عاش في الولايات المتحدة الأمريكية أنه كان يعاني داء في جسده عندما اتصل بروح والده عن طريق وسيط أمريكي يسأله المشورة في صحة جسده ، وبعد أن قدم له والده عدة شواهد على صحة شخصيته بعث إليه برسالة مسببة قال له فيها « وعلى كل كتبت لك بالإسهاب لأنني أهتم بخلود نفسك وخلاصها أكثر من اهتمامي بجسدك الذي سوف يزول فلا تبقى سوى نفسك الثمينة »^(١) . خلاص نفسك الثمينة ! هذا هو نداء الأرواح الراقية إلى كل نفس ذائقة الموت ، أما اهتمامات حياتنا ومطالبها الصغرى فقلبا ترد على لسانها أو تثير لديها اهتماماً يذكر ، رغم الأهمية القصوى التي قد نعلقها عليها عن جهالة وضيق أفق ...

ومن الناحية الدينية يمكن أن يرتفع البحث في الروح إلى مستوى عالٍ من المحبة والسباحة والفهم الصحيح لحكمة تعدد الأديان — إذ لو شاء ربك لوحد الأديان — فيقبلها قبولاً حسناً ، كقبول حكمته تعالى في تعدد الأجناس والأوطان والألوان والألوان ، هذا التقبل الذي يكسب الإنسان خبرة متزايدة وأفقاً واسعاً تنمو بهما عاطفة المحبة مع التسامح وتعمق على الدوام ، بدلاً من نمو الانطواء والغرور اللذين فطرت عليهما نفس الإنسان ، واللذين هما عدوها الأكبر في كل مكان وزمان .

كما يمكن — من نفس هذه الناحية — أن ينزل البحث في الروح إلى مستوى من الانطواء البغيض أو الانقياد الأعمى للغيبيات ، وهما خطر داهم يتهدد حتماً أسلوب التحييص المنطقي الناقد ، ومعه مشعل العرفان الذي قاد خطوات الإنسان نحو كل معرفة صحيحة ، منذ عرف كيف يشق طريقه إلى المعرفة .

(١) عن « بهجة الأبرار في مناجاة الأرواح » للكتور إبراهيم عرييل ص ١٢٦ .

فأولئك الفلاسفة والعلماء الكبار الذين قبلوا أن يلصقوا أسماءهم بالحركة الروحية قدروا حتماً أى مستوى رفيع يمكن أن يبلغه ما تعلق بها من أمور فى شأن الفلسفة أو الاعتقاد أو البحث العلمى أو الوساطة، وأى هدف نبيل يمكن أن يحققه للإنسانية أى مجهود هائل قد يبذل فى هذا الميدان . أما لو كان موضوعها يمثل أى مستوى من الانقياد الأعمى ، أو من ضعف العقل أو الخلق ، لما وجدت هذه الحركة هائل واحدأ يقبل أن يلصق اسمه بها ، أو أن يهبها لحظة واحدة من وقته ، لأن فلاسفة النفس والأخلاق ، وعلماء المادة والروح ، خيراً من يقدرولل علم كرامته ، وللوقت قيمته ، وللخلق الراقى عظيم رسالته فى الحياة^(١) .

* * *

كما أن هناك خطراً يهدد الحركة الروحية فى جوانبها الراقية من بعض الأرواح غير الراقية ، لأن ملك الله الواسع ملء بكل الأصناف منها . وجميعنا نعرف أن فى الكون قوى للشر وقوى للخير ، يقول سير أوليفر لودج فى محاضرة له ترجع إلى سنة ١٩١٥ : « ولستنا نحن الوسيلة الوحيدة التى يستعملها الله فى هذا الكون . بل له وسائل من مخلوقات غيرنا ، وعليها أن تعمل فى جانب قوى الخير ضد قوى الشر التى هى موجودة فعلاً ، لأن المخلوقات أعطيت حرية الإرادة فاستطاعت أن تختار الخير والشر . »

وأقرب الأرواح إلى المستوى الأرضى وأسرعها — أحياناً — إلى تلبية طلب الحضور — عند توافر صورة الوساطة التى تناسبها — هى أبعدها عن الرقى وأقربها إلى الانانية . فهى تزعم المعرفة بأشياء كثيرة تجهلها ، وتلقى بنصائح مضللة فيما لا يعينها . وينبؤات كاذبة عن خطأ وعن عمد كىما تسخر

(١) من الأمور التى تسترعى الانتباه أن من بين أعلام الروحية الحديثة ثلاثة أساتذة من تماقوا على شغل كرسي فلسفة الأخلاق Moral Philosophy بجامعة كامبريدج ، وهم سيدجويك (راجع ما سبق منه فى الجزء الأول من ١٥٥) ، وهودجسون (الجزء الأول من ١٩٨) وبروش (راجع ما سبق منه فى الجزء الثانى من ٥٥٩ — ٥١١) .

من الموجودين فتسعد بذلك . وقد تدعى الحكمة ورغبة الخدمة كيما تتماق مشاعرهم وانفعالاتهم كما كانت تفعل تماماً قبل انطلاقها من قيود الجسد . وكيما تبذر أيضاً بذور الفتنه والحقد والحسد لو أمكنها ذلك... فالموت لا يغير نجاة من شخصية الإنسان ولا يصقلها ، وعدد من ينطلقون يومياً من قيود الجسد في أنحاء العالم الأرضي وحده يبلغ حوالى مائتى ألفاً . فكم منهم انطلق صالحاً حقاً لحياة الروح وأهلاً لها في سموها ونقاها ؟ . . . وكم منهم اكتسب ثقافة حقيقية وخلفاً كريماً قبل انتقاله أو بعده ؟ . . .

ومن الأرواح من قد ينتحل أسماء رنانة حتى يثير الاهتمام في نفوس الموجودين . ولذا كان تحقيق شخصية الروح مشكلة من الصعوبة بمكان كبير هند جميع الباحثين الجادين في هذه الأمور ، وتتطلب في مواجهتها كثيراً من الحذر والأناة . بل إن بعض الأسماء الرنانة على المستوى الأرضي - حتى عندما لا يحدث انتحال كاذب - قد لا يكون على المستوى المطلوب بحسب أقيسة عالم الروح . فليس الاعتبار هناك لمساكنة الإنسان السابقة في عالم المادة ، ولا لرايه في نفسه ، بل الاعتبار الوحيد هو لحقيقة موضعه من ناموس التطور الروحي ، أى العقلي والخلقي أولاً وأخيراً .

والأرواح الراقية لا تتحدث كثيراً عن الخلق الكريم بقدر ما تنقيد به في تصرفاتها وأقوالها . والإنسان الفاضل ليس هو الإنسان الكثير التحدث عن الخصال الكريمة أو عن نسبتها إلى نفسه أو إلى غيره ، بل هو من تنطق تصرفاته بها . . .

وحتى أقوال الأرواح الراقية وآراؤها ينبغي أن تكون عملاً للنقاشه وللتمحيص المنطقي لأنها ليست أكثر من وجهات نظر ، أو بالأكثر فلمقات قد تكون لما قيمتها الخاصة ، لكنها تقبل كل ما يقبله غير هامن تقدومن نقاش . وعلى ضوء هذه الفلسفات والمعلومات قد يصح للإنسان أن يعيد النظر في بعض آرائه ومعلوماته الخاصة لما قد تنسم به في الجملة من أفق أكثر اتساعاً ،

ومن نظرة إلى حقائق الحياة أكثر اطلاعاً ، لكن ليس من شأن ذلك البتة محاولة إضفاء أية عصمة عليها ، لأن العصمة لله تعالى وحده .

فالباحث في الروح ينبغي إذاً أن يكون يقظاً أرباباً يحسن التمييز بين التافه والثمين ، وبين الأقوال العلمية المترابطة ، أو الفلسفية الراقية ، وبين الكلام المفكك الذى قد يلحق على عواهنه ، متبعاً نفس المعايير التى يميز بها على هذا المستوى الأرضى بين ما هو راق وغير راق فى كافة تصرفات الأفراد ، وآرائهم وفلسفاتهم . لأن المصدر الروحى لا يضفى بذاته قيمة خاصة على أى رأى أو تصرف قد ينسب إلى روح من الأرواح إن صدقاً أو كذباً .

فإن لم يفعل ذلك وقبل أى رأى — مهما كان روحى المصدر — على أنه أمر ينبغى التسليم بصحته لمجرد أنه يتفق مع هواه ، أو مع كيفية فهمه للأمور ، جنى على أسلوب البحث العلمى وأساء إليه . أليس التسرع فى الحكم على الأمور أو الخطأ فى الاستنتاج يسىء إلى كل علم آخر ؟ فلماذا تكون الحال غير ذلك فى هذا العلم الناشئ الذى يتطلب كثيره أناة وأسلوباً حذراً ناقداً إلى آخر المدى ؟ بل إنه يتطلب أيضاً ما يتطلبه أى علم أو فن آخر من فطرة سليمة ، هذه الفطرة التى هى وحدها مفتاح كل حقيقة وصل إليها عقل الإنسان حتى الآن .

المستقبل فى جانب علم الروح

هذه هى العقبات الحقيقية التى قد تعوق تقدم البحث فى الروح — وهو ما يزال يحبو فى مهده — أما ما عداها فهى أمور سيتكفل الأسلوب العلمى وحده بتذليلها على مر الأيام ، خصوصاً بعد أن رست له أصول علمية ثابتة وقواعد معروفة . وبعد أن أفلت المذاهب المادية فى تحليل الحياة إلى غير رجعة بسبب تقدم العقل فى المعرفة اليقينية عن طريق تقدم الأساليب

الرياضية ، ولا عجب فقد كانت الرياضة منذ عهد الإغريق - وما تزال -
هى المشغل المفضى للإنسان طريق كل معرفة علمية صحيحة .

هذا وقد تقدمت فعلاً حركة البحث فى الروح تقدماً واضحاً ، وذلك إلى
الحمد الذى وصفه الأستاذ محمد فريد وجدى وصف صدق عندما قال
« إن حركة الاعتقاد بالروح فى هذا العصر تفوق كل حركة تقدمتها ،
وإن البرهان المحسوس على وجود الروح وخلودها صار على طرف النمام
لكل طالب ، فيا ليت رسل الظلمة يفتحون أعينهم لمشرق هذا النور
المنبعث فى كل مكان فيقلعون عن تسميم النفوس بكتاباتهم الإلحادية والله
من ورأهم يحيط ، (١) .

ولذا فلا نشك فى أن أى اعتراض على هذه البحوث مهما كانت أساليبها
ودواعيها سيخدم جوانبها مستقبلاً كما خدمها فى الماضى ، ما دامت تبلغ هذه
الدرجة من الخطورة ، لأن كل جزئية صغيرة فيها هى فى حقيقة الأمر كلية
كبرى بحاجة إلى من يبحثها بحثاً متواصلاً أميناً . بل إن الاعتراض غير
العلى - مهما ظهر مغرضاً سطحياً ، أو إنشائياً نظرياً ، أو متناقضاً مع
نفسه غير منطقي - قد لا يخلو من فائدة فى النهاية .

فقد يدفع عجلة البحث فى هذا العلم عن غير قصد منه ، وقد يكون من
هوامل المثابرة فيه والتأنى فى تقدير نتائجه وإعلانها ، كما هو الشأن فى شتى
العلوم والمعارف . فلكل خصلة إنسانية - ولو بدت فى ظاهرها معوقة
ضارة - حكمة فى ناموس الحياة ، لأنها جزء لا يتجزأ من وسائل هذا
الناموس الحكيم بكل ما يملك من وسائل ، وما أكثرها .

فلولا اعتراضات بعض المعترضين لما وصل البحث فى الروح إلى
ما وصل إليه ، ولما وجد فى كل مكان أسمى العقول النيرة التى دفعت عجلته

(١) عن « دائرة معارف القرن الرابع عشر إلى العشرين » طبعة ١٩١٣ مجلد ٤ من ٤٠٠ ،
وإذا كانت هذه الشهادة قبلت منذ سنة ١٩١٣ فماذا يمكن أن يقال الآن ؟

كل هذا الدفع الحثيث رغم الحرب الباغية الضروس التي أعلنتها عليه بلا رحمة مدارس المادية والجهود معاً ، فإذا به يخرج منها ظافراً ثم يتبوء تدريجياً مكانه الحال الذي يرشحه في نظر كثير من أفضل علماء العصر لأن يصبح في المستقبل القريب علماً للعلوم .

وليس ذلك بحكم حماس أى من العلماء بقدر ما هو بحكم خطورة موضوعاته وعمقها واتساع نطاقها . وبحكم هذه الحقيقة الكونية الكبرى وهي أن الروح هي أصل الحياة ، وأن الحياة هي أصل المادة ، ولذا فإن علم الروح ينبغي أن يعد أصلاً لعلوم الحياة والمادة معاً بحسب وضعه الطبيعي ، الذي لا يلقى اعتراضاً الآن إلا عند من لا يريد أن يحيا مع هذه الحقائق كما أزاح النقاب عنها كفاح العلماء ، بل يريد - عن وعى منه أو عن غير وعى - أن يغفلها أو أن يتغافل عنها .

وهو وضع لا يمارى فيه إلا من قد يمارى أيضاً في أخطر حقائق النفس أو الفيزياء أو الفلك أو البيولوجيا ، لأن حقائق الروح قد ثبتت بنفس الطريقة العلمية وعززتها مشاهدات يقينية لا تحصى . بحيث أن هذه العلوم مجتمعة أصبحت متساندة في الإنباء عن حقيقة وجود الروح ، وعن الخلود ، وعن الصلة الوثيقة بين عالمي الروح والمادة . وهو بديان منطقي ورياضي في بعض جوانبه وحسى في بعضها الآخر ، فلا يمكن أن يرفضه الآن إلا من تعود الحرب من قيمة الأسلوب العلمى في الكشف عن حقائق هذا الكون التي لا يزال عقل الإنسان في طفولته يحبو باحثاً عنها ، ولن تتكشف له إلا تدريجياً . وعن طريق الملاحظة الدقيقة والبحث الناقد المتحرر دون غيرهما .

وبعد ! ...

وذلك كله يحملنى على الاعتقاد بأن أية ربح للمعارضة ، مهما كانت هوتها ، وأياً كان مصدرها ، لاتضير الآن البحث في الروح ، ولاتمس في قليل ولا في كثير شيئاً من أتمه الحقائق الخطيرة التي وصل إليها . أما الأمر (٢٢م - الإنسان روح : ٢٦)

الذى يضير حتماً البحث في الروح ، بل في الواقع يضير تقدم الحياة ونمو المعرفة، فهو تجاهل هذه البحوث الخطيرة كلية ، فهذه هي الجريمة التي لا تغتفر إزاء المعرفة في ذاتها ، كما هي جريمة إزاء كل إنسان من حقه أن يطمئن على مصيره المحتوم ، وأن يتعزى عن نكبات الدهر الختون وما أكثرها .

ولكن هذا الموقف السلبي ، لن يكون — فيما أقدر — موقف بلاد الشرق بوجه عام ، وبلاد العروبة العزيزة بوجه خاص ، لأن بلاد العروبة هي موطن الإيمان بالروح ، ومهبط رسالات السماء ، وليست روحانية الشرق الأصلية بحاجة إلى كبير عناء كيما تشرق من جديد ساطعة مغدقة أسباب الحياة، كما كانت على مر العصور . فما كان الشرق يوماً داعياً للمادية، وما كان للمدارس الإلحاد فيه أى ملجأ ولا ملاذ . وإذا كان الغرب قد نقض عنه نهائياً نير هذه المدارس ، وأزاح سلطانها الهدام لكل فضيلة ولكل رجاء ، فإن للشرق يوماً آت وقريب تبزغ فيه شمس هذا العصر الروحي قوية نفاذة ، تضيء للعالمين طريق الاطمئنان واليقين .

ولو عقل الناس مبادئ هذه الروحية العلمية الحديثة ، لوجدوا أنها خير تقريب بين الشعوب ، وخير راية للسلام ، وأنه تحت لوائها يمكن أن تسير الإنسانية كأسرة واحدة متغاممة في السراء والضراء نحو هدف واحد سام رسمته لها سنة الذشوء والارتقاء ، تغذيها مشاعر متبادلة للحب والإخاء بعد العداوة والبغضاء ... لقد تطورت عقلية الشعوب والأفراد ، وما كان يمكن للإنسان قبله في ماضيه السحيق رفضه منذ ماضيه القريب ، وما قبله في ماضيه القريب هيئات أن يقبله الآن . وسيجيء له أحفاد ينسكرون بشدة أنهم أحفاد إنسان هذا القرن الذى أعمل السيف في رقبة أخيه الإنسان ذبحاً وقتيلاً في حرب دامية بعد حرب بعد حرب ، وارتكب من الأوزار — وما يزال — ما يندى له جبين الأبالسة الكبار

لقد قال نابليون : لقد اضطرت إلى غزو أوروبا بالسيف وسيفزوها

من يأتي بعدى بالروح ، فالروح دائماً أقوى من السيف . . . نعم الروح أقوى من السيف ، لأن السيف أسلوب العنف لا الحجة ، وستار الضعف لا القوة . أما الروح فهي رسالة السماء إلى الأرض ، وتواضع الإيمان إلى غرور العدوان . وهي الرسالة التي يعرف الإنسان بها نفسه ، ويحدد بها مواقع قدميه ، فيتجنب الكثير من أسباب العثار التي طالما ضللت طريقه ، ولطخته بالآثام على مر القرون والأجيال ، بحثاً عن أمجاد مضللة ، أو لها طمع وغرور وآخرها دماء وأرواح .

وغزو الروح - عندما يآزف وقته - معناه أنه قد آن لدولة الحب أن تغزو دولة الحرب ، وللبأس التواضع أن يسحق غرور التسلط . ولا تصدق أبداً أن الحرب أقوى من الحب ، فالحرب موت ، والحب حياة ، وما كان للبوت أن يكون أقوى من الحياة ، ولا لتسلط الغرور أن يتنصر على أنبل عاطفة وشعور . . . ومن يعرف سبيل الروح يعرف سبيل الحب ، ويعرف بالتالي كيف يرى عيوبه الخاصة ، وكيف يحاول أن يصلح نفسه لا نفس غيره . ومن يحاول إصلاح نفسه هو البطل المغوار الذي لا تعرف قيم الروح بطلا غيره ، وهو رسول السلام بين نفسه وبين هذه القيم التي لا تفرط في شيء إطلاقاً ، لأنها هي بذاتها قيم الحياة الحرة المتطورة نحو الكمال .

وهذه هي بذاتها رسالة الروح التي تغزو الآن العالم تدريجياً بعظمة وبمهابة لم يعرف نابليون نفسه منهما شيئاً ، لأنه ليس أكثر من أسطورة دامية من أساطير الحرب لا الحب . ومع هذا الغزو الروحي ستراجع تدريجياً قوى التسلط مهما ظهرت براقة لصغار الأحلام ، كما يشرق من وراء الغمام السكثيف فجر سلام طويل للأنام .

وهذه الاعتبارات مجتمعة تحملني على ألا أدع القلم إلا بعد التعبير عن بالغ أسنى لما يلقاه العلم الروحي الحديث من إهمال في بلادنا ، إلى حد أنه لا يوجد لدينا حتى الآن أي معهد كيميائى فيه يجهد ما إلى جانب الجهود

السخية التي تبذل في الخارج من جامعات عريقة ومعاهد شتى ، مع أن نتائجها دخلت بالفعل إلى نطاق الحقيقة العلمية التي تحف بها الخطورة من كل جوانبها .

فهل فقدت المعرفة بالروح قيمتها في بلاد يعتبرها العالم أجمع أم الحضارة الروح والمادة معاً ؟ ... قد يقول البعض إن المعرفة بالمادة أصبحت في هذا العصر هي كل شيء في نهضات الشعوب وبناء الحضارات .. إلا أن هذا وهم عاطفي وخطير ، لأن حقائق التاريخ تحدثنا أن تلازم المعرفة أمر لازم لكل نهضة حقيقية ، ولكل حضارة إنسانية بقدر ضرورة تلازم الروح والجسد معاً للوجود على هذا المستوى من الوجود ، بل على كل مستوى له .

ولعل إيماني بهذه الحقيقة الكبرى هو الأمر الهام الذي دفعني لأن أحاول أن أشق طريقاً إلى ميدان من حق القارئ العزيز أن يراني قريباً فيه . فلولا إيماني التام بأنني إنما اخترت بذلك معالجة موضوع على صرف لا يقل خطراً عن كل موضوعات القانون مجتمعة ، وهو في نفس الوقت وثيق صلة بنهضة بلادنا وبرفعة شأنها في العالمين ، لما وجدت القدرة ولا الشجاعة على تحمل هذه القيام يبحث شامل فيه مقدراً — منذ بداءته — مشقته ، متحملاً — بسعادة بالغة — مسؤوليته ، ويألهما من مشقة ومن مسؤولية ...

ولم يكن لي من قوة محرّكة إلا الإحساس بهذا الشعور ومعه — أيضاً — الإحساس بحاجة القارئ الطبيعية إلى بعض المعرفة اليقينية عن قدره ومصيره ، وإلى بعض الاطمئنان إليهما ، وإلى بعض العزاء عن فراق أحبابه وذويه ... وكل ذلك حق له مشروع وفائدة له عظمى ... فهل كان من كرامة المعرفة التخلي عن تحمل هذه المشقة وتلك المسؤولية ، مهما كان الدافع إليهما قوياً ؟ ... أم أن المعرفة أمانة في العنق ينبغي أن تؤدي إلى من يطلبها مذ كان أداء الأمانة — في كل قانون — حقاً مقضياً ؟ ...

الإنسان روح لا جسد

بمختصر في العلم الروحي الحديث

طبعة ثانية

فهرس

المجلد الثاني

صفحة	الموضوع
	من روح أمير الشعراء درة جديدة : وتحية وتأيد لكتاب الإنسان
٣	روح لا جسد
١٧	— مقدمة
١٩	— تبويب

الباب الأول

٢٢	في موقع عالم الروح
٢٢	تمهيد
٢٧	الفصل الأول : أوليات الفيزياء الحديثة تحل مشكلة موقع عالم الروح
٢٧	— في طبيعة المادة الصلبة
٢٩	— في الاهتزاز أو التردد
٣٣	— في الأمواج
٣٦	— بين العقل والمادة
٤٢	— الضوء هو الحقيقة الثابتة الوحيدة
٤٣	— في تبادل التحول بين المادة والطاقة

الـمـوضـوع	الـمـوضـوع
٤٥	— دلالة النفسية
٤٦	— معنى الزمن في الفيزياء والرياضة الحديثتين
٤٧	— اتساع الفضاء الكوني
٥٢	— بين اتساع الفضاء الكوني وعجز العقل
٥٦	— الفصل الثاني : عالم الروح متداخل في عالم المادة
٥٦	— رأى جيمس آرثر فندلاى
٥٧	— العالم الحقيقى يشتمل على سبع كرات متداخلة
٥٩	— اتساع عالم الروح
٦٠	— رأى روح وليام جيمس
٦١	— رسالة لروح ف. و. مايرز

الباب الثاني

٦٥	في أسلوب الحياة في بعض مناطق عالم الروح
٦٦ .	— الفصل الأول : بعض المراجع الهامة في وصف عالم الروح
٧٣	— الفصل الثاني : طائفة من الأوصاف العامة
٧٣	— من رأى شو دز موند
٧٤	— من رأى لسير آرثر كونان دويل
٧٦	— من وصف أمله روح سير وليام ستيد
٨٣	— من معلومات جيمس آرثر فندلاى
٨٨	— من معلومات شارل بينزيك
	— الفصل الثالث : أمور يجمع عليها عن أسلوب الحياة في عالم
٩٣	« المستوى الثالث »
٩٤	— المبحث الأول : في شخصية الإنسان هناك

الموضوع	صفحة
— في الوعي	٩٦
— في تطور الوعي : رأى جيل	٩٩
— : : : : : ماتزلتك	١٠١
— في تفاعل الشكل مع الوعي	١٠٣
— في الحواس	١٠٥
المبحث الثاني : في الصورة العامة للطبيعة هناك	١٠٥
— أوصاف عامة	١٠٥
— نماذج من صور وساطية لبعض مناظر طبيعية آتية	
من عالم الروح	١٠٨
— في الحياة الحيوانية والنباتية	١١٠
المبحث الثالث : في بعض المميزات العامة للحياة هناك	١١٣
— في تأثير العقل المباشر في المادة	١١٣
— في المباني	١١٧
— في المدن	١٢٠
— في العمل	١٢٢
— في التعليم والتربية	١٢٥
— هل تقرأ الأرواح كتبنا الأرضية ؟	١٢٨
— في التسلية والرياضة واللهو	١٢٩
المبحث الرابع : في الزمان والمكان هناك	١٣٤
— صلة هذا البحث بنظرية النسبية	١٣٤
— بعض الأقوال في الزمن والروح	١٣٦
— الزمن حالة ذهنية	١٣٨
— هل الأرواح تعرف المستقبل ؟	١٤٠

المرسوع	صفحة
— روح جاليليو تتحدث في الزمان والمكان	١٤٢ . . .
المبحث الخامس : في الحياة الاجتماعية هناك	١٤٤ . . .
— الأرواح تحيا في أمم متعددة	١٤٤ . . .
— في أنظمة الحكم	١٤٦ . . .
— العناية أساس الحياة الاجتماعية	١٤٧ . . .
— في التوافق الروحي	١٥٠ . . .
— في المحبة	١٥٣ . . .
— جوليا تتحدث في المحبة	١٥٤ . . .
— آيات في المحبة لروح شوقي	١٥٨ . . .
— في العبادة	١٥٩ . . .
المبحث السادس : في الحياة العائلية هناك	١٦٠ . . .
المطلب الأول : من أقوال سويدنبرج في شأن الحياة	
العائلية هناك	١٦١ . . .
المطلب الثاني : من أقوال بعض الأرواح في هذا	
الشأن	١٦٥ . . .
المطلب الثالث : من تجارب مارجرى لورنس في	
هذا الشأن	١٦٧ . . .
المطلب الرابع : شودزمووند العالم الأديب يعالج	
موضوع الحياة العائلية هناك	١٧٠ . . .
— عن مؤلفه : « كيف تحيا عندما تموت » ؟	١٧١ . . .
— عن مؤلفه : « الحب بعد الموت » : تلخيص	
لبعض فصوله	١٧٥ . . .
— الحب والزواج عندنا ١٧٧ مراحل الزواج الثلاث ١٧٩	
— أحلام الحب والخدمة	١٨٣ . . .

- وجهة النظر السوكبية عن الزواج ١٨٥ . العاطفة ١٨٨
- العقل والروح في العاطفة . . . ١٩٣
- الفكر والجمال والموت ١٩٦ فن الحب . ١٩٩
- قصة حب أثيرية ٢٠٢ . الاتصال السوكبي والميلاد ٢٠٦
- تلامس الأفكار ٢٠٨ . التأقلم المتبادل هناك ٢١١
- الحب والموسيقى في العالم السوكبي . . . ٢١٣
- في تعليم الحب ٢١٤ . الطفل والأسرة بعد الموت ٢١٧
- بناء المسكن في العالم الأثيري . . . ٢١٩
- الحب الأفلاطوني ٢٢٢ جسيم الحب وجناته ٢٢٥
- الحواجز تتداعى ٢٢٨ . خاتمة . . ٢٣٠

الباب الثالث

في الثواب والعقاب

٢٣٣

- تمهيد ٢٣٣
- رأى الإمام الغزالي ٢٣٣
- بحوث آلان كاردك تتفق معه ٢٣٤
- نبذة عن كاردك ٢٣٦
- الشيخ طنطاوى جوهرى يدافع عن نتائج هذه البحوث ويثبتها ٢٣٨
- الفصل الأول : في مبادئ الثواب والعقاب بوجه عام . . . ٢٤٠
- وقفة عند نظرية العودة للتجسد ٢٤٠
- بعض تجارب معملية في جانب هذه النظرية . . . ٢٤٣
- موقف بعض الآراء منها ٢٤٦
- بعض المراجع فيها ٢٤٩
- أساس الثواب والعقاب ارتباط النتائج بمقدماتها . . ٢٥٠

الموضوع	صفحة
— مبادئ الثواب والعقاب عند كاردك	٢٥٢
— ماهية هذه المبادئ	٢٥٢
الفصل الثاني : اتصالات بأرواح شتى لتوضيحها	٢٦٣
المبحث الأول : اتصالات بأرواح سعيدة	٢٦٤
المبحث الثاني : اتصالات بأرواح في حالة وسط بين السعادة والشقاء	٢٧٤
المبحث الثالث : اتصالات بأرواح تشكو آلاماً شتى	٢٧٧
المبحث الرابع : اتصالات بمنتحرين	٢٨٧
المبحث الخامس : اتصالات بأرواح قتلة	٢٩٩
المبحث السادس : اتصالات بأرواح عنيدة	٣٠٨
المبحث السابع : اتصالات بأرواح كفرت عن سيئاتها على الأرض	٣٢٠

الباب الرابع

بعض المشكلات الفلسفية

في ضوء علم الروح الحديث	٣٤٧
تمهيد	٣٤٧
الفصل الأول : في الإيمان بالله وبالخلود	٣٤٨
— رأى لديكارت في الإيمان بالله	٣٤٨
— في عجز مدارس المادة	٣٥١
أولاً : بالنسبة لتقدم الرياضة	٣٥١
ثانياً : بالنسبة لتقدم الفيزياء	٣٥٢
ثالثاً : بالنسبة لتقدم البيولوجيا	٣٥٣
رابعاً : بالنسبة لتقدم البحوث الروحية وما وراء الروحية	٣٥٧
— العلم الحديث يتجه نحو الإيمان بالله وبالخلود	٣٥٩

الوضوح	الصفحة
— دور الروح في هذا الإيمان العلى	٣٧٥
— من أقوال الأرواح عن الله تعالى	٣٧٦
— في الصلاة والابتهاال	٣٨٩
— لله في تعدد الأديان حكمة سامية	٣٩٥
— من رواسب الجهالة إلى حقائق المعرفة	٤٠٠
— عن الجهاد الأكبر	٤٠٥
— الأخوة الإنسانية حقيقة كونية	٤١٠
— إيمان الحرب أم لإحاد السلام ؟	٤١٢
— بين الإيمان الشخصى والموضوعى	٤١٧
الفصل الثانى : فى الخلق والضمير	٤٢٣
— إنما الأمم الأخلاق	٤٢٤
— السعادة تبعث من داخل النفس	٤٢٧
— الأخلاق = المعرفة فى الفلسفات القديمة	٤٣٠
— هل من نواميس طبيعية للأخلاق ؟	٤٣٥
— فى عراقة الإيمان بالنوانميس الطبيعية	٤٣٩
— السعادة وثيقة صلة بالعقل وبالذافع	٤٤٢
— فى الضمير	٤٤٧
— روح ستيد تتحدث عن الضمير	٤٥٠
— بين قيم الضمير وقيم المجتمع	٤٥٥
الفصل الثالث : فى الموت والالم	٤٦٦
— الموت ميلاد ثان	٤٧١
— الالم مدرسة الحياة	٤٨٤
— خواطر فى الالم والسعادة	٤٩٢

الوضوع	صفحة
— قانون الاستحقاق	٤٩٧
— الموت . الألام . الاستحقاق في رسائل بعض الأرواح .	٥٠٠

الباب الخامس

في الروح بين العلم والاعتقاد

تمهيد	٥٠٥
الفصل الأول : البحث الروحي الحديث علم لا اعتقاد	٥٠٩
— موضعه من العلوم الأخرى	٥١٠
— تبويب	٥١٤
المبحث الأول : موقف بعض الفلاسفة من علم الروح	
الحديث	٥١٥
— برجسون	٥١٥
— وليام جيمس	٥٢٤
— كامى فلاماريون	٥٢٧
المبحث الثاني : موقف بعض علماء المادة من علم الروح	
الحديث	٥٣٢
— أوليفر لودج	٥٣٢
— وليام باريت	٥٤١
— كومبتون	٥٥٠
— ألفرد راسل والاس	٥٥٢
المبحث الثالث : موقف بعض علماء النفس وما وراء النفس	
— جيلي	٥٥٧
— هانز دريش	٥٥٨

الصفحة	الموضوع
٥٥٩	— بروض
٥٦١	— شارل ريشيه
٥٦٧	الفصل الثاني : دور العلم الروحي الحديث في توضيح الاعتقاد
٥٧٢	— تبويب
٥٧٢	المبحث الأول : بين أسلوب العلم والاعتقاد
	المبحث الثاني : بعض جوانب الاعتقاد في ضوء العلم
٥٨٠	الروحي الحديث
٥٨١	أولاً : في شأن موقع عالم الروح
٥٨١	ثانياً : في شأن ميعاد قيامة الأموات
٥٨٢	ثالثاً : في شأن الصلة بين روح المتوفى وجسده
٥٨٣	رابعاً : في شأن أسلوب الحياة هناك
٥٨٣	خامساً : في شأن الثواب والعقاب
٥٨٤	سادساً : في شأن الصلات بين عالمي الغيب والشهادة
٥٨٥	سابعاً : في شأن طبيعة الزمان والمكان
٥٨٥	ثامناً : في شأن النوم والأحلام
٥٨٦	تاسعاً : في شأن التخير والنسيير
٥٩٥	عاشراً : في شأن مدى إمكان التنبؤ بالمستقبل
٥٩٧	حادى عشر : في شأن المعجزات والخوارق
٥٩٨	ثاني عشر : في شأن مشكلات فلسفية متنوعة
٥٩٩	المبحث الثالث : تطور المعرفة يثبت جلال الاعتقاد ولا ينفيه
٦٠٠	— في تطور الاعتقاد
٦٠٠	— رأى وليام جيمس
٦٠١	— رأى بنديتو كروش
٦٠٢	— رأى يوجى راشاراك

الوضوع	صفحة
المبحث الرابع : التوفيق ميسور بين الاعتقاد وتطور المعرفة	٦٠٤
— من صفحات الماضي	٦٠٦
— نحو حياة أغزر وأعمق	٦٠٩
— كيفية التوفيق	٦١١
— بين الموت والتوقف	٦١٣
— حقائق الحياة كما يراها قنذلاى	٦١٧

باب ختامي

في علم الروح بين حاضره ومستقبله	٦٢٣
— أسانيد بعيدة المدى	٦٢٣
— هل توافرت لحقيقة أخرى مثلها ؟	٦٢٥
— معرفة تهساوى	٦٣٣
— معرفة تقام	٦٣٦
— بعض الدوافع غير العلمية للمعارضة	٦٤٢
— الاعتراض بشهادة الخواص	٦٤٦
— المستقبل في جانب علم الروح	٦٥٥
— وبعد !	٦٥٧

فهرس أبجدى للجزئين معا

- ١ -

الجزء الأول

- إهداء ٨٠ . ألكسيس كاريل . رأيه فى تخلف علوم الحياة عن علوم
الجمادى ٣٩ . إغريق : الروح عندهم ٥٩ . أفلاطون : الروح عنده ٦١ .
أرسطو : الروح عنده ٦٢ . إميل لودفيج يتحدث عن المسيح ٦٦ .
أعمال الرسل تتحدث عن الظواهر الوساطية ٧٢ . أوريجانوس ٧٦ .
الفارابى يتحدث عن الروح ٧٨ . ابن سينا ٧٩ . الغزالى ٨٠ - ٨٣ .
ابن رشد ٨٣ . ابن باجة وابن طفيل ٨٤ . ابن القيم ٨٤ . ابن
خلدون ٨٦ . أندرو جاكسون دافيز ١٠٢ - ١٠٤ . أسايا
بلادينو ١٠٧ - ١١٠ ، ٣٤١ . إجلنتون ١١٢ . إستيل روبرتس ١١٤ .
إثبات الظواهر الوساطية ١١٥ . آلات تعمل عن طريق الوساطة ١١٦ .
إكتوبلازم ١١٩ . إكتوبلازم بالصور ١٢٠ . اعتراض بالتدليس :
مناقشته ١٢٣ . أوليفر لودج : تجاربه مع ليونوريير ١٢٤ . نبذة عنه
٢١٥ - ٢٢٠ . رأيه فى الجسد الأثيرى ٤٢٨ ، ٤٧٤ . أسماء
ومراجع ١٤٥ . فى أمريكا الشمالية ١٤٩ . إدموندز (جون) ١٥٠ ،
١٥٠٠ ، ٤١٧ . أوين (روبرت) ١٥٢ . إدوارد راندال ١٦٥ .
إدوين فردريك باورز ١٦٩ . فى إنجلترا ١٨٩ . آرثر كونان دويل
١٩٣ ، ٢٣٨ - ٢٤٣ ، ٥٠٣ . ألفرد راسل والاس ٢١١ . إدموند
جيرنى ٢٢٢ . ألكساندر كانون ٢٢٦ . إرنست أرتن ٢٤٣ .
ألفرد كيتسون ٢٤٣ . إرنست تومسون ٢٥١ . ليفانز ٢٥٨ .
أولدفيلد ٢٦٢ . أليوت (موريس) ٢٦٧ .
أسماء ومراجع فى فرنسا ٢٦٩ . أسماء متنوعة ٢٦٩ . ألييردى
روشا ٢٧١ . أوجين أوستى ٢٨١ . آلان كاردك ٢٨٣ . ألفريد

بينزيك ٢٨٧ . أندريه ديماس ٢٩٠ . إدوار سابي ٢٩١ . أسماء
ومراجع في بلاد شتى ٢٩٢ . - في بلجيكا ٢٩٣ . - في ألمانيا
٢٩٣ . - في سويسرا ٢٩٤ . - في إيطاليا ٢٩٤ . - في
روسيا ٢٩٦ . - في أسبانيا ٢٩٧ . - في تركيا ٢٩٧ . - في مصر
٢٩٩ . أحمد فهمي أبو الخير ٣٠٣ ، ٤٢١ . إرنست بوزانو ٣٥٨ -
٣٧١ . ارواح طامة تقيد الأرضيين ٤٠٠ . إشعاعات غريبة تسجلها
الكاميرا ٤٠٥ . أندرو لانج ٤١٩ إندنجتون : رأي في وجود عالم الروح
٤٦٥ . أنطون مسمر ٤٧١ . أدب بروحي وإلهام ٥٠١ . أوسكار
وايلند ٥٠٣ . إديسون ١٥٣ ، ٥١٣ . أطفال موهوبون ٥١٩ . إلهام
ثرى راق ٥٢٠ . أميز الشعراء شوقي يبعث بأشعاره ٥٢٨ ، ٦٠٥ -

الجزء الثاني

أمير الشعراء يقدم الجزء الثاني ٣ - ١٦ . اهتزاز أو تردد ٢٩
أمواج ٣٣ . اتساع الفضاء الكوني ٤٧ . اتساع الفضاء وعجز
العقل ٥٢ . أسلوب الحياة هناك ٦٥ . أوصاف عامة للمستوى
الثالث ٧٣ . أمور يجمع عليها ٩٣ . أينشتين وحقائق الروح ٤٥ -
١٣٤ ، ١٣٦ . ألكسيس كاريل يتحدث في الزمان والمكان
١٣٦ . وفي الصلاة والابتهاال ٣٩١ . وفي علم النفس ٦٣٤ .
اجتماع في عالم الروح ١٤٤ . أفرار (روح) يتحدث في هذا
الشان ١٥٠ . وفي الإيمان بالله ٣٨٢ . اتصال كوكبي ٢٠٦ .
آلان كاردك يعالج الثواب والعقاب ٢٣٥ - ٢٤٥ . اتصالات بأرواح
شتى لتوضيح الثواب والعقاب ٢٦٣ . اتصالات بأرواح سعيدة ٢٦٤ .
اتصالات بأرواح في حالة وسط بين السعادة والشقاء ٢٧٤ . اتصالات
بأرواح تشكو آلاماً شتى ٢٧٧ . اتصالات بأرواح منتحرين ٢٨٧ .
اتصالات بأرواح قتلة ٢٩٩ . اتصالات بأرواح عنيدة ٣٠٨ .
اتصالات بأرواح كفرت عن سيناتها في الأرض ٣٢٠ . إيمان بالله
وبالخلود ٣٤٨ . آرام أينشتين ٣٥٩ . آرثر تومسون ٣٦١ . آرثر

- إدنجتون ٣٦١ . إدوارد لوثركسيل ٣٦٥ . إيرفينج وليام كنبولوك ٣٦٦ . أندرو كونواي أيني ٣٦٩ . إدموند . وسينوت ٣٧١ . أقوال أرواح في الإيمان بالله ٣٧٦ . أجاشا ٣٧٧ . إمبراتور ٣٨٣ . ابتهاج لله ٣٨٩ . أخوة إنسانية ٤١٠ . إيمان الحرب أم إلحاد السلام ؟ ٤١٢ . إيمان شخصي وموضوعي ٤١٧ . أخلاق وضمير ٤٢٣ . إنما الأمم الأخلاق ٤٢٤ . أخلاق ومعرفة ٤٣٠ . ابن سيناء : رأي في المعرفة ٤٣٢ . الغزالي ٤٣٢ . ابن رشد ٤٣٣ . الألام مدرسة الحياة ٤٨٤ . — خواطر في الألام ٤٨٥ . استحقاق . — قانونه ٤٩٧ . اعتقاد . صلته بعلم الروح ٥٠٥ . أوليفر لودج . بعض آرائه ٥٣٢ — ٥٤١ . ألفرد راسل والاس يتحدث في التطور الروحي ٥٥٢ . أسلوب العلم والاعتقاد . مقارنة ٥٧٣ . اعتقاد . بعض جوانبه في ضوء العلم الروحي ٥٨٠ . انقطاع الصلة بين روح المتوفى وجسده ٥٨٢ . أسانيد بعيدة المدى ٦٢٣ .

— ب —

الجزء الأول

- بولس الرسول يتحدث في الظواهر الروحية ٦٩ . في قيامة الأموات ٧٠ — ٧٢ . باريش ١١٥ . برنس (و فرانكلين) ١٦٩ . باراسيكولوجي ١٨٢ . برجسون ١٨٣ ، ٢٠٠ — ٢٠٦ ، ٤٣٩ ، باريت (وليام) ٢١٢ ، ٤٧٤ . برايس (هاري) ٢٢٧ . باربانيل (موريس) ٢٤٥ . بول ميللر ٢٥٤ . بول برتون ٢٦٠ . بول جييه ٢٧٠ . بينيك (ألفريد) ٢٨٧ . (شارل) ٢٨٨ . بير ليكور ٢٨٨ . بينات ووقائع ٣٠٩ . بوزانو (إرنستو) ٣٥٨ — ٣٧١ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ . بينات . متنوعة علمية وعلاجية ٣٩٥ . بودنجتون (هاري) ١٢٠ ، ٤٤٢ . برجيك ٤٦٠ . بور سينيل ٤٧٣ . برناردشو (جورج) ٥٠٤ ، ٥٠٥ . بير ميل ٥١٤ .

الجزء الثاني

- باراسيكولوجي ٣٥٧ . بول كلارنس إبرسنولد يتحدث في الإيمان (٤٣م — الإنسان روح: ج٢)

باته ٣٦٥ . بول إرنست أدولف يتحدث فيه ٣٦٩ . برجسون موقفه من علم الروح ٥١٥ - ٥٢٤ . باريت (وليام) موقفه ٥٤١ - ٥٥٠ . بروم يتحدث في التطور الروحي ٥٥٤ . بروض يتحدث في الظواهر الواسطية ٥٥٩ . بنديتو كروش يتحدث في تطور الاعتقاد ٦٠١ .

— ب —

الجزء الأول

تصدير لروح أمير الشعراء ٣ . تبويب للجزئين ٤٦ . تجسّدات جزئية وكاملة ١٢٩ - ١٤٠ ، ٣١٦ - ٣٣٠ ، ٣٤٤ - ٣٤٨ . تجسّدات كاملة وجزئية بالصور : تجسّد روحين في حضور إجلمتون ٣٣٢ تجسّد تام للوجه في المعهد الدولي لما وراء الروح بباريس ٣٣٣ . تجسّدان كاملان في حضور مدام ديسبرانس ٣٣٤ . تجسّد تام في الدانمرك ٣٣٥ ، ٣٣٦ . تجسّد جزئي واضح في إيطاليا ٢٣٦ . تجسّد تام في أمريكا ٣٣٧ . تجسّد آخر في أمريكا ٣٣٨ . تجسّد في البرازيل ٣٣٨ . شعر ورداء روح متجسّدة ٣٣٩ . تويديل (شارل) ٢٦٥ . توماس (درايتون) ٢٦٧ . تنبؤ بالمستقبل ٣٤٣ . تلباثن (تخاطر) ٣٦٦ - ٣٧٠ ، ٣٧٢ - ٣٨٧ تحقيق شخصية الروح ٣٩٥ - ٤٠٠ . تأثير العقل المباشر في المادة ٤٦٤ . تشارلز ديكنز ٥٠٤ . نيسون ٥١٢ .

الجزء الثاني

تصدير لروح أمير الشعراء ٣ - ١٦ . تحول بين المادة والطاقة ٤٣ . تطور الوعي بعد الموت ٩٩ . تفاعل الشكل مع الوعي ١٣٠ . تأثير العقل في المادة ١١٣ . تعليم وتربية في عالم الروح ١٢٥ . تسليّة ورياضة ولهو ١٣٩ . تويديل يبحث في أسلوب الحياة هناك ١٤٥ ، تلامس الأفكار ٢٠٨ . تأقلم متبادل في الحياة السكوكبية ٢١١ تعدد الأديان . حكمته ٣٩٥ . تطور المعرفة ٤٠٠ . تطور خالق ٥١٦ . تسيير وتخيير ٥٨٦ . تنبؤ المستقبل ٥٩٥ . تطور المعرفة يثبت جلال الاعتقاد ٥٩٩ . توفيق بين العلم والاعتقاد ٦٠٤ ، ٦١٦ . توقف المعرفة ٦٠٦ . توقف وموت ٦١٣ .

الجزء الثاني

ثواب وعقاب ٢٢٣ .

— مبادؤه يحسب آلان كاردك ٢٥٢ .

— اتصالات لإيضاحها ٢٦٣ .

الجزء الأول

- جاك وبر ١١٣ ، ٤٤٨ . جيمس آرثر فندلاي : تجاربه مع سلون ١٢٥ .
جوستاف جيلي : تجاربه مع فرانك كلاسكي ١٣٧ — ١٤٠ نبذة عنه ٢٧٩ .
جمعية البحث الروحي الأمريكية ١٥٣ . جيمس (وليام) ١٥٦ — ١٦٣ .
جيمس هايسلوب ١٦٣ . جلين هاملتون ١٨٧ جمعية (ال) الجدلدية ١٨٩ .
جمعية البحث الروحي بلندن ١٩٦ ، ٢٠٦ . جون رايلي ٢١٤ . جيرفي
(إدموند) ٢٢٢ جون هتنجر ٢٢٥ . جيمس آرثر فندلاي ٢٤٧ ، ٤٤٠ ، ٤٦٦ .
جيرالدين كامينز ٢٥٢ . جيمس كوتس ٢٥٩ . جوزيا أولدفيلد ٢٦٢ .
جون لاموند ٢٦٦ . جورج فيل أوين ٢٦٦ . جان ماير ٢٧١ . جان
ليرميت ٢٧٥ . جابريل ديلان ٢٨٦ . جوليت بيسون (مدام) ٢٨٦ .
جورج فيتو ٢٩٠ . جورج بارباران ٢٩١ . جوهان زولنر ٢٩٣ . جسد
أثيري للإنسان ٤٢٧ . للحيوان ٤٥٥ . جان جوزيك ٤٥٧ — ٤٦٠ .
جسد أثيري (بالصور) ٤٨٣ — ٤٩٧ . جيمس جينز : رأى له في حقيقة
العالم (لمادى) ٤٦٦ . جوته قول له في الإلهام ٥١٣ .

الجزء الثاني

- جاليليو . رسالة له عن الأثير ٣١ . جوليا تتحدث في العلانية ١٤٩ .
في المحبة ١٥٤ . في العاطفة العائلية ١٦٥ . في الإيمان بالله ٣٧٨ ، ٤٤٣ . في
« موت » الحياة ٥٠١ . جيلي يتحدث في تطور الوعي ٩٩ . في العودة
للتجسد ٢٤٧ . فيما وراء الروح ٥٥٧ . جيمس جينز يتحدث عن الله ٣٦٢ .

جون كليفلاند كوثران يتحدث في الإيمان بالله ٣٦٤ . جورج إيرل دافيز
يتحدث فيه ٣٦٦ . جهاد النفس ٤٠٥ . جيمس فندلاي يتحدث في موقع
عالم الروح ٥٦ - ٥٨ ، في بقاء الشخصية ٩٤ . في العلم والاعتقاد ٥٠٧ .
في حقائق الحياة ٦١٧ .

— ح —

الجزء الثاني

حب بعد الموت ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٦١ ، ١٧٥ - ٢٢٨ . حب وموسيقى
في العالم الكوكبي ٢١٣ - تعليم الحب ٢١٤ - جحيم الحب وجناته ٢٢٥ .

— خ —

الجزء الأول

خلود الروح في الديانات القديمة ٤٨ .

الجزء الثاني

خلق وضمير ٤٢٣ .

— د —

الجزء الأول

ديوك : بحوث جامعة ديوك ١٧٥ . دي مورجان ٢٠٨ . ديون ٢٢٥ .
دزموند (شو) ٢٤٨ ، ٢٧٨ . درايتون توماس ٢٦٧ . دي روشا ٢٧١ .
دينين (ليون) ٢٨٤ . ديلان (جابريل) ٢٨٦ . دودنج (لورد مارشال) ٣٨٨ .
دونوهو (مسز) ٤٧٥ . دين (مسز) ٤٧٥ .

الجزء الثاني

دزموند يتحدث في تأثير العقل المباشر في المادة ١١٣ . في التربية
والتعليم هناك ١٢٥ . في الحب بعد الموت ١٧٠ . في الميلاد الثاني ٤٨٢ .
ديكارت : أقوال له في الإيمان بالله ٣٤٨ . دور علم الروح في توضيح
الاعتقاد ٥٦٧ .

- ر -

الجزء الأول

رسالة علم الروح من ناحيتي المعرفة والعزاء ٢٨ . والإيمان بالله تعالى
وبناموسه الخالق ٢٢ . والاطلاع على الحركة العلية والفكرية ٣٤ .
وتقدير الإنسان حق قدره ٣٥ . الروح عند الفراعنة ٥٢ . عند الهندوس ٥٥ .
عند الإغريق والرومان ٥٩ . عند فلاسفة المسيحية ٦٥ . عند فلاسفة
الإسلام ٧٨ . في عصور أحدث مما تقدم ٨٧ . راين (جوزيف بالكس)
١٧٥ ، ١٦٧ ، ٤٦٧ . رايلي (جون) ٢١٤ . رينيه فاركوليه ٢٨٢ . رينيه سيدير ٢٨٩ .
ريشيه (شارل) ٣٤٠ ، ٣٥٩ ، ٤١٨ .

الجزء الثاني

رياضة في عالم الروح ١٣٩ . روبرت موريس بيچ يتحدث في الله ٣٦٤ .
روبرت بروم يتحدث في التطور ٣٧٤ . ريشيه يتحدث في الظواهر
الوساطية ٥٦١ .

- ز -

الجزء الأول

زولتر ٢٩٣ .

الجزء الثاني

زمان ومكان ١٣٤ . الزمن حالة ذهنية ١٣٨ . زودياك يتحدث في
الإيمان بالله ٣٨١ .

- س -

الجزء الأول

سقراط : رأيه في الخلود ٥٩ - ٦١ . في الإلهام ٥١٢ . سوافر
(هانن) ٢٤٥ . ستانتون موزس ٢٦٣ . ساج (ميشيل) ٢٨٧ .
سيمون (ج) ٢٨٩ . سيزار دى فيزم ٢٩٠ . سيزار لومبروزو ٢٩٤ .
سويدنبرج ٩٩ - ١٠٢ ، ٤٢٦ . ستيد (وليام) ٢٣٢ - ٢٣٨ ، ٥٠٣ .

سلامة سعد (الدكتور) ٦٠٣ . — السيدة قرينته ٥٢٥ — ٦٠٢ .

الجزء الثاني

سويدنبرج يتحدث عن تطور الروح هناك ٩٧ . وعن الحياة الاجتماعية في عالم الروح ١٤٤ — عن أنظمة الحكم ١٤٧ — عن العاطفة العائلية ١٦١ . سيلفر بيرش يتحدث في العلانية ١٤٩ . في الإيمان بالله ٣٨٥ . في الأديان ٣٩٨ . في الدافع ٤٤٢ . في الثواب والعقاب ٤٤٧ . في الخلود ٤٧٠ . سعادة ٤٢٧ . ستيد (روح) يتحدث عن الضمير ٤٥٠ .

— سم —

الجزء الأول

شودزمووند ٧٣، ٢٤٧ . شيلر (فريدناند) ١٦٤ . شارل تويديل ٢٦٥ . شارل هنري ٢٧٤ . شفروى ٢٨٣ . شازاران ٢٨٧ . شارل لانسلان ٢٨٨ . شرنك فون نوتزنج ٢٩٣ . شارل ريشيه ٣٤٠ - ٣٥٧، ٣٥٩، ٤١٨ . شغب مجهول المصدر ٣٤١، ٤١٧ - ٤٢٦ . شو (جورج برنارد) ٥٠٤، ٥٠٥ . شوبنهور ٥١٣ . شكسبير هل كان وسيطاً ملهماً ٥٠٥، ٥٠٦ . شعر لشوق وحفى ناصف من عالم الروح ٥٢٥ .

الجزء الثاني

شخصية الإنسان بعد الانتقال ٩٤ . شودزمووند يتحدث في تأثير العقل في المادة ١١٣ — في التعليم والتربية ١٢٥ — في العاطفة ١٧٠ . في الميلاد الثاني ٤٨٢ .

— ص —

الجزء الأول : صور

صورة أحمد شوقي ٣ . سويدنبرج ١٠٠ . أندرو جاكسون دافيز ١٠٣ . هدمسون تاتل ١٠٥ . ظواهر في حضور أسايا ١١٠ . مدام ديسبرانس ١١١ . إجلنتون ١١٢ . باريش وروحه المرشدة ١١٥ . رفلكتوجراف ١١٦ . كوميو نيغراف ١١٦ . بوق طائر ١١٨ . عدة صور للاكتوبلازم ١٢٠ - ١٢٢ . مارجرى ١٢٩، ١٣٢ - ١٣٤ . صور أطراف

- متجسدة ١٣٤ - ١٣٧ . رسم روح متجسدة ١٣٨ . احتفال باليوبيل
 المتوى للعلم الروحي ١٤٤ . مؤتمر العلم الروحي في سنة ١٩٦٣ : ١٤٤ .
 كارنيجتون ١٦٥ . إيلين جاريت ١٦٦ . هودجسون ١٩٩ . سير وليام
 كوكس ٢١٠ . سير وليام باريت ٢١٢ . سير أوليفر لودج ٢١٥ .
 فردريك مايرز ٢٢١ . العمل الوطني للبحث الروحي ٢٢٨ . سير وليام
 ستيد ٢٣٢ . سير آرثر كونان دويل ٢٣٩ . ألفريد كيتسون ٢٤٤ .
 رسوم أرواح غير متجسدة ٢٥٥ - ٢٥٧ . ستانتون موزس ٢٦٣ .
 جان ماير ٢٧١ . جوستاف جيلي ٢٨٠ . رينيه فاركوليه ٢٨٢ . شرنك
 فون نوتزنج ٢٩٣ . لومبروزو ٢٩٥ . طنطاوى جوهرى ٣٠٠ . محمد
 فريد وجدى ٣٠١ . أحمد فهمى أبو الخير ٣٠٣ . على راضى ٣٠٥ .
 هوم ١١٥ . فلورنس كوك ٣١٦ . وجه كاتى كنج ٣١٩ . تجسد كاتى كنج
 بالصور ٣٢١ . تجسد روحين في وقت واحد ٣٣٢ . تجسد تام للوجه ٣٣٣ .
 تجسد تام في حضور مدام ديسبران ٣٣٤ . تجسد تام للملكة أستريد
 ٣٣٥ . تجسد تام في حضور أيزنيلزن ٣٣٦ . تجسد جزئى في إيطاليا ٣٣٦ .
 تجسد تام في أمريكا ٣٣٧ ، ٣٣٨ . تجسد تام في البرازيل ٣٣٨ . خصلة شعر
 متجسدة ٣٣٩ . عينة من رداء روح متجسدة ٣٣٩ . صورة شارل
 ريشيه ٣٤١ . الروح بيان ، وامتجسدة ٣٤٧ . إرنستوبوزانو ٣٥٨ . لورد
 دودنج ٣٨٩ . ظواهر غريبة داخل الكلية البريطانية للعلم الروحي ، ٤٠٦ .
 هارى إدواردوز ٤٠٨ . العلاج الروحي بالصور ٤١٤ - ٤١٦ . هارى
 برايس يذبح من داخل « منزل مسكون » ٤٢٠ . رسم يمثل الجسد
 المادى والآثيرى ٤٣١ . هارى بودنجتون ٤٤٣ . رسم إشعاعات
 منبعثة من يدى الوسيط ٤٤٣ . جهاز الكتروني لاستكشاف التواصل
 بالافكار ٤٤٥ . صورة حديثة للمالة ٤٤٦ . الجسد الآثيرى
 لجاك وبر ٤٤٨ . كارل بونج ٤٥٠ . مراكر الطاقة في الجسد

الآثيرى ٤٥٥ . الجسد الآثيرى لكلب ميت ٤٦٢ . نماذج من
صور وساطية لتوضيح قصة فرعونية ٤٧٦، ٤٧٧ . صور أرواح غير
متجسدة فى حضور الوسيط بورسينيل ٤٨٣ - ٤٨٦ . صورة روحية
للسيد واين ٤٨٧ . للسيدة مارى تويديل ٤٨٧ . لسير وليام
كروكس ٤٨٨ . لسير ارثر كونان دويل ٤٨٨ . عدة صور روحية
فى وقت واحد ٤٨٩ . للسيد جون آدامسون ٤٨٩ . لوالدة الوسيط
إدوارد دويل ٤٩٠ . للسيدة أليس هوايتيكر ٤٩٠ . للسيد
نيكولسون وآخر ٤٩٠ . للطفلة أجنس سمسون ٤٩١ . للطفل
أليكساندر جرانت ٤٩١ . لطفل صيفى ٤٩٢ . وساطة مارتين ٤٩٢ .
وساطة هوب ٤٩٣ . وساطة دجويد ٤٩٤ . وساطة برمسون ٤٩٤
وساطة دين ٤٩٥ . وساطة دونو هو ٤٩٥ . وساطة جون
مايرز ٤٩٦ . صورة لروح الدكتور كروفورد ٤٩٧ . مضاهاة
الخطوط . صورة خط روح كروفورد ٤٩٨ . خط روح سير آرثر
كونان دويل ٤٩٨ . خطوط وتوقيعات لايد غير منظورة ٤٩٩ . خط
وتوقيع روح سويدنبرج ٥٠٠ . ولورد باكون ٥٠٠ . صورة كتابة صينية
للوسيطة مارجرى ٥١٧ . السيدة وسيطة روح أمير الشعراء ٥٢٦ .
الشاعر الكبير الأستاذ عزيز أباطة ٥٨٩ . الدكتور سلامة سعد ٦٠٣ .

الجزء الثانى : صور

صورة أحمد شوقي ٣ رسم لتداخل الأكوان والشموس ٥٨ . صورة
الدكتور بينلز ٦٧ . روح سير ستيد ٧٥ . صورة أخرى له ٧٦ .
صور وساطية لعالم الروح ١٠٨ . صور وساطية لأزهار وفراشات
١١١ ، ١١٢ . آلات موسيقية ١٢٢ . لألعاب الرياضة
والتسلية ١٣٠ . صورة آلان كاردك ٢٣٦ . الدكتور ليتارى ٣٨١
زودياك ٣٨٢ . سيلفريدش ٣٨٦ . برجسون ٥١٧ . وليام

— ٦٨١ —

جيمس ٤٢٥ . كامي فلاديماريون ٥٢٨ . ألفرد راسل والاس ٥٥٤ .
هانز دريش ٥٥٨ . بروض ٥٦٠ .

— ص —

الجزء الثاني

ضوء ٤٢ . ضمير وخلق ٤٢٣ . ضمير . تعريفه ٤٤٧ . بين قيم الضمير
وقيم المجتمع ٤٥٥ .

— ط —

الجزء الأول

طنطاوي جوهرى (الشيخ) . رأى له ٤٢ . نبذة عنه ٢٩٩ . طاغور
يتحدث فى الروح ٨٧ — ٨٩ .

الجزء الثاني

طبيعة المادة الصلبة ٢٧ .

— ظ —

الجزء الأول

ظواهر الوساطة الروحية بوجه عام ٩٧ . ظواهر الاكتوبلازم
١٢٠، ١٣٢ . ظواهر تجسد الأيدي والأقدام ١٣٣ — ١٤٠ . ظواهر
التجسد السكلى والجزئى ٣١٦ — ٣٣٩، ٣٤٥ — ٣٤٩ . ظواهر روحية
شتى ٢٦٠ — ٣٨٦ . ظواهر العلاج الروحى ٣٩٠ — ٣٩٤، ٤٠٣ —
٤١٦ . ظاهرة الشغب المجهول المصدر ٤١٧ — ٤٢٦ . ظواهر الطرح
الروحى ٤٣١ — ٤٣٢، ٤٤٧ — ٤٤٩ . ظواهر الصور الروحية
٤٧٣ — ٥٠٠ . ظواهر الأدب الروحى والإلهام ٥٠١ — ٦٠٨ .

— ع —

الجزء الأول

علم الروح بين أنصاره ومناوئيه ١٣ . عصر البحث العلمى للروح ١٥ .
عقبات فى الطريق كانت متوقعة ٢٥ . علم الروح يجعل الخلود حقيقة

عليه ٢٦ . عجلة عن الروح عند الأقدمين ٤٧ : عقل . صلته بالمنح
٢٥٢ - ٢٥٧، ٤٣٥ - ٤٣٧ . علاج روحى ٣٩٢ - ٣٩٤، ٤٠٧ - ٤١٣ .
علماء كبار يحققون صحته ٤٠٩ - ٤١٣ : علاج روحى بالصور ٤١٤ -
٤١٦ . عقل باطن . صلته بالإلهام ٥١٤ .

الجزء الثانى

عقل ومادة ٣٦ . عالم المادة . اتساعه ٤٧ . عالم الروح . اتساعه
٥٩، ٥٦ . عقل فى عالم الروح ٩٦ . عالم الروح . صور
وساطية له ١٠٨، ١٠٩ . عمل فى عالم الروح ١٢٢ . علانية عالم الروح
١٤٧ . عبادة ١٥٨ . عائلة ١٥٩، ١٦١، ١٦٧، ١٧٠، ٢١٩ .
عقل وروح فى العاطفة ١٩٣ . عودة للتجسد . وقفة عندها ٢٤٠ .
- تجارب فى جانبها ٢٤٣ . - موقف بعض الآراء منها ٢٤٦ . - رأى
مازلتك فيها ٢٤٧ . عجز مدارس المادة ٣٥١ . عراقة الإيمان
بالنواميس الطبيعية ٤٣٩ . عقائد . اشتراكها فى كليات كثيرة ٥٠٥ . علم
الروح . صلته بالاعتقاد ٥٠٥، ٥٠٩ . موضعه من العلوم الأخرى ٥١٠ .
عقبات فى طريق علم الروح ٦٥٠ .

- غ -

الجزء الثانى

غزالى : الإمام الغزالى يعالج الثواب والعقاب ٢٣٣ . وقية
المعرفة ٤٣٢ .

- ف -

الجزء الأول

فراصة . الروح عندهم ٥٢ . فلورنس كوك ١٠٦ . فلوجل ٢٠٧
فردريك مايرز ٢٢١ . فردريك وود ٢٥٨ . فلاماريون (كسى)
١٢٦، ٢٧٢، ٤١٨ . فاركوليه (رينيه) ٢٨٢ . فيوم ٤٥٢ .

الجزء الثاني

فكر وجمال وموت ١٩٦ . فرانك ألن يتحدث في الله ٣٦٤ . فارابي :
رأيه في المعرفة ٤٣١ : فلاسفة . موقف بعضهم من علم الروح
٥١٥ - ٥٣١ . فراغتة ٦٠٥ . فندلاي (جيمس) راجع جيمس .

— ك —

الجزء الأول

كارلو ميرا بلي ١١٣ . كامى فلاماريون يناقش المعترضين ١٣٦ .
كروكس يناقشهم ١٢٧ . — نبذة عن بحوثه ٣١٣ . كارنجتون (هيروارد)
١٦٥ ، ٤١٩ . كارل ويكلاند ١٧٢ . كروفورد ٢٢٤ . كانون
(الكساندر) ٢٢٦ . كوتس (جيمس) ٤٨٩ - ٤٩٤ . كاردك (آلان) ٢٨٢ .
كارل جوستاف يونج ٢٩٤ . كاتي كنج . تجسدها ٣١٦ - ٣٣٠ .
كاتي كنج بالصور ٣٣١ . كامى فلاماريون ١٢٦ ، ٢٧٢ ، ٤١٨ . كلية (ال)
البريطانية للعلم الروحي ٢١٢ ، ٢٣٩ ، ٤٨٣ - ٤٨٧ . كامى موكلير ٥١٤ .

الجزء الثاني

كلود هاتاراي يتحدث في الإيمان بالله ٢٦٧ . كامى فلاماريون .
موقفه من علم الروح ٥٢٧ . كومبتون يتحدث في الخلود ٥٥٠ .

— ل —

الجزء الأول

ليونور بير ١١٢ ، ١٢٤ . لاموند (جون) ٢٦٦ . ليرميت
(جان) ٢٧٥ . ليون دنيز ٢٨٤ . لانسلان (شارل) ٢٨٨ . ليكور
(بيير) ٢٨٨ . لومبروزو ٢٩٤ ، ٤١٩ ، ٤٧١ . ليديتير ٤٥٥ .

الجزء الثاني

ليتاري يتحدث في الإيمان بالله ٣٨٠ . ليون دنيز ٤٣٧ . لويل ٥٧٩ .

الجزء الأول

- مقدمة الطبعة الثانية ٩ . موضوع المؤلف الحالي ٤٤ . محمد فريد
وجدى . رأى له في الإيمان بالخلود ٣٣ . تعليق له على تقرير الجمعية
الجدلية ١٩٥ . صلته بالبحث الروحي ٣٠١ . موضوع العلم الروحي
الحديث ٩٣ . مارجرى ١٢٩ - ١٣٥ ، ٥١٧ . مكدوجال (وليام)
١٧٤ . مايرز (فردريك) ٢٢١ . معمل (ال) الوطى للبحث
الروحي ٢٢٨ . موريس باربايل ٢٤٥ . ميللر (بول) ٢٥٤ .
موزس ٢٦٣ . موريس إلبوت ٢٦٧ . ماير (جان) ٢٧١ .
معهد (ال) الدولي لما وراء الروح بباريس ٢٧٦ ، ٢٣٣ ، ٤٤٥ . ميشيل
ساج ٢٨٧ . موريس ماجر ٢٩٠ . موريس ماترنك ٢٩٢ . محمد
حسنين مخلوف (الشيخ) ٣٠٦ . محمد مصطفى المراغى (الشيخ) ٣٠٦ .
عمود شلتوت (الشيخ) ٣٠٧ . محمد أبو زهرة (الشيخ) ٣٠٧ .
منازل مسكونة : ٣٤٢ ، ٣٤٠ . مخمدى صلته بالعقل ٣٥٢ - ٣٥٧ ،
٤٣٥ - ٤٣٧ . ماكنزى (هيات) ٤٣٠ . مسمر (أنطون) ٤٧١ .
ماملر ٤٧٢ . مضاهاة خطوط الأرواح ٤٩٨ - ٥٠٠ . مورتون
برنس ٥٠٧ .

الجزء الثانى

- مقدمة الجزء الثانى ١٧ . موقع عالم الروح ٢٢ . مشكلة موقع
عالم الروح تحملها أوليات الفيزياء الحديثة ٢٧ . مادة وعقل ٢٦ .
مادة وطاقة التحول بينهما ٤٣ . مستويات عالم الروح ٦٠ - ٦٣ .
مراجع هامة فى وصف عالم الروح ٦٦ . مميزات الحياة فى عالم الروح ١١٣ .
مباني عالم الروح ١١٧ . مدته ١٢٠ . موسيقاه ١٢١ . مستقبل
هل تعرفه الأرواح ١٤٠ ؟ . موريس ماترنك يتحدث عن الموت

والفضاء ٥٢ . — وعن تطور الوعي بعد الموت ١٠١ . — وعن العودة
للتجسد ٢٤٧ . — وعن راحة الموت ٤٧٨ . — وعن السعادة والألم
٤٩٣ - ٤٩٧ . — وعن قوة عقلنا الباطن ٥٩٢ . — حجة بوجه عام ١٥٢
— الروح جوليا تتحدث في المحبة ١٥٤ . — روح شوقي تتحدث فيها ١٥٨ .
مارجرى لورنس تبحث في الحياة العائلية هناك ١٦٧ . — مايرز (روح)
يتحدث في مراحل التطور الروحي ٦١ . — وفي المجلس بالنسبة للروح ٢٢٥ ،
٢٢٦ ، ٢٢٧ . — مبادئ الثواب والعقاب عند كاردك ٢٥٢ . — مشكلات
فلسفية في ضوء علم الروح الحديث ٣٤٧ . — مدارس المادة : عجزها ٣٥١ .
موت وألم ٤٦٦ . — خواطر فيهما ٤٦٨ - ٤٧١ . — الموت ميلاد ثان
٤٧١ . — موت . ألم . استحقاق ٥٠٠ . — موريس ماجر يتحدث عن
المصير ٥٩٣ . — معجزات وخوارق ٥٩٧ . — معارضة غير علمية ٦٤٢ - ٦٥٠ .
مستقبل علم الروح ٦٥٥ .

— ه —

الجزء الأول

نشأة العلم الروحي الحديث ٩١ . — ناندور فودور ١٢٢ ، ٤٢٠

الجزء الثاني

نسيية ٤٥ - ٥٢ ، صلتها بالزمان والمكان هناك ١٣٤ . — نيموي
تحدث في الحب والزواج ١٦٦ . — نواميس الأخلاق الطبيعية . هل
لها وجود ٤٣٥ ؟ . — نقد . أثره في التقدم ٥٧٣ . — نوم وأحلام ٥٨٥ .

— ه —

الجزء الأول

هندوس . الروح عندهم ٥٥ . هندسون تاتل ١٠٤ - ١٠٦ . هايسلوب
(جيمس) ١٦٣ . — هيروارد كلرنجتون ١٦٥ ، ١٩٠ ، ٤١٩ . — هودجسون
(رتشارد) ١٩٨ . — هنتجر (جون) ٢٢٥ . — هاري برايس ٢٢٧ ، ٤٢٠ .
هانن سوافر ٢٤٥ . — هانز دريش ٢٩٣ . — هاري إدواردز ٢٥٠ ، ٢٥٤ .

٤٠٧، ٤٠٨ . هيات ما كنزى ٤٣٠ . هارى بودنيجتون ١٢٠، ٤٤٢ .

الجزء الثاني

هوايت هوك يتحدث في الإيمان بالله ٣٨٠ . هانز دريش يتحدث في
الظواهر الواسطية ٥٥٨، ٦٢٤ .

- و -

الجزء الأول

وسطاء متنوعون ٩٩ - ١١٥ . وليام جيمس ١٥٦ - ١٦٣ .
ولتر فرانكلين برنس ١٦٩، ٥٠٧ . ويكلاند (كارل) ١٧٢ . وليام
مكدوجال ١٧٤ . وليام براون ٢٠٦ . وليام كروكس ٢٠٩، ٣٠٩ - ٣٣٠ .
وليام باريت ٢١٢ . وليام سقيد ٢٣٢ - ٢٣٨، ٥٠٣ . واليس ٢٥٠ .
وود (فردريك) ٢٥٩ . وجدى (محمد فريد) ٣٠١ . وقائع لها دلالتها
عن مضابط جمعية البحث الروحي وجريدتها ٣٧٢ . ولتر كيلنر ٤٤١ .
واريك ٤٧٥ .

الجزء الثاني

وعى الإنسان بعد الموت ٩٦ تطوره ٩٩ . أثره في الشكل ١٠٣ . ولتر
أوسكار لاندبرج يتحدث في الإيمان بالله ٣٦٥ . وليام جيمس . بعض
أقواله في الألم ٨٦ في الإيمان ٥٢٤ ، في تطور الاعتقاد ٦١٠ . وليام باريت
بعض آرائه ٥٤١ .

- ي -

الجزء الأول

يوجا: الروح في هذا المذهب ٥٦ . يونج (كارل جوستاف)
٢٩٤، ٤٤٩ .

الجزء الثاني

يوجا: بعض من حكمة اليوجا ٤٢١، ٤٢٢، ٤٤٨، ٤٧٩، ٦٠٢ .

تصويب الأخطاء المطبعية

رقم الصفحة	رقم السطر	خطأ	صواب
١٦٨	١٤	أنه قد	قد
٢٣٨	١٤	خطر	أخطر
٣٦٠	٧	التخلص	التخلص
٣٠٢	١	هل يرى	هل يرى
٣٣٩	٩	لأنه	لأنك
٤٣٩	٧	المستوى	إلى المستوى
٥١١	١٥	النفس	علم النفس
٥٢٥	رقم الصفحة	٤٢٥	٥٢٥
٥٢٧	٣	من أن	بل إن
٥٥٤	٢٢	أبد	أبعد

للمؤلف

- ١ - «جرائم الاعتداء على الأشخاص والأموال في القانون المصري» .
ظهرت طبعته الأولى في سنة ١٩٥٣ والثانية في سنة ١٩٥٥ والثالثة في سنة ١٩٥٨ والرابعة في سنة ١٩٦٠ والخامسة في سنة ١٩٦٥ .
- ٢ - «جرائم التزيف والتزوير في القانون المصري» . ظهرت طبعته الأولى في سنة ١٩٥٣ والثانية في سنة ١٩٥٤ .
- ٣ - «مبادئ الإجراءات الجنائية في القانون المصري» . ظهرت طبعته الأولى في سنة ١٩٥٤ والثانية في سنة ١٩٥٦ والثالثة في سنة ١٩٥٩ والرابعة في سنة ١٩٦٢ والخامسة في سنة ١٩٦٤ والسادسة في سنة ١٩٦٦ .
- ٤ - «ضوابط تسبيب الأحكام الجنائية في قضاء النقض المصري» . ظهر في سنة ١٩٥٦ .
- ٥ - «السببية في القانون الجنائي» : دراسة تحليلية مقارنة . ظهرت طبعته الأولى في سنة ١٩٥٩ والثانية في سنة ١٩٦٦ .
- ٦ - «شرح قانون العقوبات التكميلي» : في جرائم المخدرات . الأسلحة والذخائر . التشرد . الاشتباه . التدليس والغش . تهريب النقد . ظهرت طبعته الأولى في سنة ١٩٦١ والثانية في سنة ١٩٦٥ والثالثة في سنة ١٩٦٦ .
- ٧ - «مبادئ القسم العام من التشريع العقابي المصري» . ظهرت طبعته الأولى في سنة ١٩٦٢ والثانية في سنة ١٩٦٤ والثالثة في سنة ١٩٦٥ / ١٩٦٦ .
- ٨ - «المشكلات العملية الهامة في الإجراءات الجنائية» . في جزئين .
ظهر في سنة ١٩٦٣ .
- ٩ - «الإنسان روح لا جسد» . ظهرت طبعته الأولى في سنة ١٩٦٤ والثانية في جزئين في سنة ١٩٦٦ .

ثمن النسخة من الجزئين

ح
٢٢٠